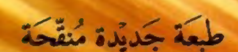
كِتَابُ الشِّفَا

بتعريف حقوق المصطفى

للقاضي عيّاض بن موسى اليحصبي السبتي المغربي

٤٧٦ - ٥٤٤ هـ





دار الفكـر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان

Dar El Fikr - Printers- Publishers- Distributors- Beirut- Lebanon

كِتَابُ الشِّفَا

بتعريف حقوق المصطفى

للقاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي المغربي
٤٧٦ - ٥٤٤ هـ

قام بدارسته وتوثيق نصوصه
وتحقيق أصوله وتخريج آياته وأحاديثه
الدكتور عبد السلام البكاري المساري
أستاذ الدراسات الإسلامية بالمركز الوطني
لمفتشي التعليم وأستاذ زائر لكلية الآداب
والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس - الرباط -
المرحوم سيدي محمد المنوني رحمه الله

الجزء الأول

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

مقدمة المحقق

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب والحكمة هدى وبشرى للعالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله العليم الخبير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم الرسالات والرسل سيد البشرية وأولي الألباب.

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم والسنة الشريفة هما المصدران الشرعيان، ومنهما تستنبط الأدلة الشرعية والأحكام الفقهية وإليهما ترد سائر مكونات الشريعة الإسلامية، وبين قطبي القرآن والسنة تتموقع جميع المصادر الأُخرى مترتبة بمفهوم العلاقة القائمة بين النظرية والتطبيق ومحسنات التطبيق والنموذج التطبيقي.

وقد عرف علماء الحديث وفقهاء الشريعة السنة بأنها أقوال وأفعال وتقريرات الرسول ﷺ، وإذا كان القرآن الكريم أنزل على النبي ﷺ ليبلغه للناس وليبينه لهم، لأن أحكامه وقواعده متوقفة على البيان والكيفية العملية والتطبيقية نظراً لكثرة ما يحدث من قضايا اجتماعية، ولعل بعضها قد لا ينزل في شأنها قرآن فيحتاج الرسول ﷺ للقضاء فيها بحكم يوحى إليه أو يجتهد فيه فيقره الله عليه.

والرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام يعتبر المثل الأعلى للأمة الإسلامية والأسوة التي يقتدي بها في ممارساته، وما يصدر عنه من حركات وسكنات تعد تشريعاً يجب التمسك به والسير على نهجه. ومن خلال دراسة السنة الشريفة يتبين للباحث المسلم أن السنة ذات أهمية عظمى في التشريع الإسلامي ومعرفة الأحكام وتأصيل التشريعات التي لم يرد فيها نص صريح في القرآن الكريم، وبهذه الخاصية اعتبرت السنة لدى المسلمين المصدر الثاني لاستنباط الأحكام ومعرفة القرآن، وقد ورد فيه الكثير من الآي تبين أهمية السنة في التشريع وتحث المسلمين أن يعملوا بها، واتباع ما ورد فيها، قال تعالى في سورة الحشر ٥٩/ ٧: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾.

وإلى جانب هذا صرح القرآن الكريم أن ما جاء عن النبي ﷺ من الأقوال والأفعال والتقارير يعتبر وحياً يوحى إليه قال تعالى في سورة النجم ٥٣/ ٢: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾.

وأهم ما تفعله السنة بالنسبة للقرآن الكريم أنها تبين وتوضح ما في القرآن من إجمال مثل كيفية الصلاة وأوقاتها وشروطها، كما أنها تبين الأنصبة في الزكاة، وكذلك الأمر في شعيرة الحج وما إلى ذلك من العبادات والأحكام والمعاملات التي وردت مجملة في القرآن الكريم فبينت السنة ما فيها، كما أنها تخصص عموم القرآن وتنص على ما طرأ علي بعض آياته لأن القرآن لم يتعرض لبيان تفاصيل الأحكام التي وردت فيه غالباً وإنما اكتفى في الأغلب الأعم بذكر أصل الحكم وترك للسنة مهمة البيان.

والسنة قد تزيد على ما في القرآن من أحكام بحيث تأتي بأحكام لا نص لها في القرآن الكريم، ومن ذلك نكاح المرأة على عمتها أو خالتها وأكل لحوم الحمر الأهلية، وفريضة زكاة الفطر. . . ولكن يلتقي القرآن الكريم والسنة الشريفة في أغراض وأهداف مشتركة ولا سيما في التدريس كاشتقاق القراءة وحسن الفهم بيد أن هناك أغراضاً خاصة بالنسبة منها على سبيل المثال:

- غرس محبة الرسول ﷺ في قلوب المسلمين ليتخذوه قدوة ولا سيما في مرحلة التنشئة التي تحتاج إلى قدوة حسنة لتملئة قلوبهم وعقولهم بشخصية الرسول ﷺ فإذا برزت جوانب عظيمة من حياته وسمو أخلاقه تأصل فيهم حبه فالتزموا طاعته وأخلصوا لشريعته، وأضحى ذلك عادة لهم ولأبنائهم ولمن يأتي بعدهم من الأجيال المؤمنة، وتحقق قول ابن عمر رضي الله عنهما في الحديث الذي أخرجه الإمام النووي في كتاب الحجة حيث قال ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»**.

- تعلم السنة الشريفة والتعرف على خواصها ومراتبها وطرق وصولها إلينا وأهم ما ألف فيها.

. تعريف المسلمين من خصالها بالأحكام الشرعية التفصيلية، فالسنة فصلت وبينت ما أجمل من أحكام القرآن الكريم كالصلاة والزكاة والحج. . .

- تعميق ثقافة الباحثين في الإسلام وإثراء حصيلتهم اللغوية وإظهار بلاغة التعبير النبوي وإبراز مواطن الجمال فيه ليتذوقها الباحث المتمعن، يروي أبو هريرة حديثاً أخرجه الشيخان حيث قال ﷺ: **«بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب»**.

- تعويد الباحثين على المنهج العلمي والتفكير الصحيح من خلال دراسة الطرق التي وصل بها الحديث إلينا ومعرفة الجهود الحقيقية التي بذلها علماء السنة وعلوم

الحديث ليصل إلينا صحيحاً، لقد انفردت هذه الأمة بعلم الأسانيد وأصول الحديث، قال تعالى في سورة النحل ١٦/ ٤٤: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع»**[1].

وأخرج الإمام الترمذي وابن حبان والإمام أحمد وغيرهم برواية زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى بلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه»**. وفي الغرب الإسلامي قيض الله لسنة نبيه عليه الصلاة والسلام من يرفع شأنها ويذود عنها في أقصى بلاد الإسلام غرباً، فكان عياض السبتي المغربي الذي آل على نفسه أن يكون من أنصار السنة وحماة السيرة وكيف لا وهو تفقه على أشهر شيوخ العلم في زمانه بمسقط رأسه سبتة المغربية، ومن أولئك الشيوخ:

القاضي أبو الفضل محمد بن عيسى التميمي والخطيب أبو القاسم المعافري، وأبو محمد عبد الغالب بن يوسف السالمي، وأبو الحجار بن يوسف موسى الكلبي، في حياض هؤلاء نهل عياض وهم من هم من حيث المعرفة والثقافة الإسلامية، ففي مجامع هؤلاء الشيوخ شب وترعرع وأضحى القاضي عياض كاتب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ.

١ ـ مصادر كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى التي اعتمد عليها عياض

اعتمد القاضي عياض السبتي أعظم ما عرف في عصره من المصادر المختلفة ورتبها حسب الأهلية وأقربها إلى مذهبه ونهج فيها وفق خطة مرسومة لإنجاز كتابه الشفا ويمكن تصنيف تلك المصادر على الشكل التالي: القرآن الكريم، وكتب التفاسير والحديث وكتب أئمة الحديث، وكتب المغازي والسير وكتب علم الكلام وعلماء هذا الفن...

القرآن الكريم: إن القرآن الكريم هو أول مصدر اعتمد عليه القاضي عياض، فالآيات القرآنية هي اللآلىء التي رصع بها عياض كتاب الشفا وهي أساس بنائه وتكوينه. وبعدها حج المؤلف إلى مجموعة من التفاسير قصد شرحه وكتابه المؤلف الذي سماه

(١) الفيض: ٦/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤.

الشفا، غير أنه اكتفى بذكر بعض كتب التفسير ولم يذكر مؤلفيها أحياناً، وفي مواضيع أُخرى يذكر تفاسير وأسماء أصحابها رغم أنها متأخرة في هذا الفن ومنهم أولئك:

الإمام أبو محمد سهل بن عبداللّه بن يونس التستري، العالم الزاهد والورع المفسر، ت/ ٢٧٣هـ ودفن بالبصرة.[١]

الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الزجاج شيخ اللغة العربية وعميد أدبها وأصحاب التصانيف الجليلة، ت/ ٣١٠هـ، وقيل ٣١٦هـ ودفن ببغداد[٢].

الإمام أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي السبتي الأديب الفقيه المحدث الشافعي المذهب له عدة تصانيف منها معالم السنن وغريب الحديث وأسماء الله الحسنى ت/ ٣٨٨هـ ودفن بسبتة[٣].

الإمام الطبري أبو جعفر محمد بن جرير المؤرخ المفسر الفقيه، له عدة تصانيف وله التفسير الكبير وتاريخه المشهور، ت/ ٣١٠هـ[٤].

الإمام أبو بكر بن موسى الواسطي المفسر الفقيه الورع، ت/ ٣٢٠هـ[٥].

أبو بكر محمد بن طاهر المعافري الشاطبي المفسر العالم الورع، ت/ ٣٣٠هـ[٦].

السمرقندي الإمام أبو الليث نصر بن محمد الفقيه المفسر الحنفي المذهب، ت/ ٤١٢هـ[٧].

الإمام أحمد بن سعيد المعروف بابن الهندي عالم أندلسي، وكان رحمه الله أوحد عصره، ت/ . . . .[٨]

الإمام إسحاق بن يحيى السرقسطي أحد أعلام سرقسطة وفقهائها، ت/ ٤١٧هـ[٩].

---

(١) ابن خلكان ٢/ ٤٢٩.
(٢) ابن خلكان ١/ ٤٩.
(٣) ابن خلكان ٢/ ٢١٤.
(٤) ابن خلكان ٤/ ١٩١.
(٥) ابن خلكان ١/ ٥٦.
(٦) ابن خلكان ١/ ٥١، ٢/ ١٨.
(٧) الأعلام الزركلي ٨/ ٣٤٨.
(٨) الأعلام الزركلي ٩/ ٢٥٨.
(٩) لسان الميزان ١/ ١٧٦.

الإمام مكي بن أبي طالب القيرواني الصوفي الخبير بعلوم القرآن وأسرار اللغة العربية له عدة تصانيف في مقدمتها التفسير الكبير «الهداية إلى بلوغ النهاية»، ت/ ٤٣٧هـ ودفن بقرطبة[١].

الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب القاضي الشافعي والمعروف بالماوردي، ومن كتبه «الأحكام السلطانية»، ت/ ٤٥٠هـ[٢].

الإمام القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبدالله القشيري الفقيه المفسر الصوفي الشافعي المذهب صاحب كتاب الرسالة واللطائف والإشارات، يعد من أعلام التفسير والحديث والفقه والأصول واللغة والأدب، ت/ ٤٦٥هـ ودفن بنيسابور[٣].

الإمام الرازي سليمان بن أيوب له مصنفات عديدة في القراءات القرآنية واللغة، ت/ ٤٤٧هـ[٤].

. أبوعبدالله محمد بن الحسين السلمي الصوفي المفسر المحدث الحافظ المؤرخ، له مصنفات في التصوف، ت/ ٤١٢هـ[٥].

٢ ـ المحدثون الذين أفاد القاضي عياض من كتبهم في الحديث[٦]

وهؤلاء هم:

أصحاب الكتب الستة وهي:

أ ـ الجامع الصحيح للإمام البخاري (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ).

ب ـ الجامع الصحيح للإمام مسلم (٢٠٤ ـ ٢٦١هـ).

ج ـ سنن الإمام أبي داود (٢٠٢ ـ ٢٧٥هـ).

د ـ سنن الإمام الترمذي (٢٠٩ ـ ٢٧٥هـ).

---

(١) ابن خلكان ١/ ٦٧.
(٢) ابن خلكان ١/ ٦٧، ٢/ ٨٢.
(٣) ابن خلكان ١/ ٦١، ٣/ ٢٢٢.
(٤) ابن خلكان ١/ ٢٧٠، ٢/ ٢٣، ٣/ ٢٠٥.
(٥) ابن خلكان ١/ ٣٧٧.
(٦) مصابيح السنة ٤/ ٥٠٠.

هـ ـ سنن الإمام النسائي (٢١٥ ـ ٣٠٢هـ).

و ـ سنن الإمام ابن ماجه (٢٠٩ ـ ٢٧٣هـ).

كما أفاد عياض من مسند الإمام أحمد، وموطأ الإمام مالك بن أنس، ت/ ١٧٩هـ[١]، وجامع أبي وهب القرشي المصري المالكي، ت/١٩٧هـ[٢]، وهو فقيه ومقرىء ومحدث، ت/١٩٧هـ. وأبي بكر البزار أحمد بن عمر بن عبد الخالق الحافظ البصري وله مسندان، ت/٢٩٢هـ، والساجي أبي يحيى زكرياء بن يحيى العيني البصري، ت/٣٠٧هـ. والخطابي أبي سليمان السبتي، ت/ ٣٨٨هـ، اختلف في اسمه، قيل أحمد بن محمد بن إبراهيم المحدث الفقيه الأديب اللغوي الشاعر، ومن مصنفاته كتاب غريب الحديث وأعلام السنن، ت/٣٨٨هـ، وأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى الإمام الحافظ المالكي المذهب وله كتاب في الضعفاء ت/ ٣٢٢هـ.

والإمام ابن قانع عبد الباقي بن قانع بن مرزوق الأموي البغدادي أشهر حفاظ الحديث ومن كتبه معجم الصحابة رضوان الله عليهم، ت/ ٣٥١هـ، والإمام التجيبي الفقيه المحدث الحافظ، ت/ ٣٥٢هـ، والإمام الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الشافعي المذهب صاحب المعاجم الثلاثة: المعجم الكبير والمعجم الأوسط والمعجم الصغير في ترجمة الصحابة، ت/ ٣٦٠هـ، والإمام القابسي أبي الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري من أعلام السنة والحديث ومتونه وأسانيده، ت/ ٤٠٣هـ ودفن بالقيروان. والإمام ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد النميري القرطبي إمام عصره وأوحد زمانه في الحديث والفقه ومن أهم ما ألف كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد ـ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ت/ ٤٦٣هـ، والإمام الباجي أبو الوليد القاضي سليمان بن خلف الأندلسي وحافظها صنف الكثير من الفنون، ت/ ٤٧٤هـ.

ويلاحظ من خلال قراءة كتاب الشفا أن القاضي عياض كان في بعض الأحيان يكتفي بإيراد راوي الحديث، ولم يذكر المصدر مثل أن يقول: عن ابن عباس، وعن ابن عمر وعن عائشة.

---

(١) مصابيح السنة ٤/ ٩٨٦.

(٢) مصابيح السنة ٤/ ٤٩٢.

٣ ـ كتب المغازي والسير

وكما أفاد عياض من كتب الحديث والسنة، ومن علماء هذا الفن، الإمام موسى بن عقبة بن عباس مولى الزبير وهو من الثقات وقد أثنى عليه الإمام مالك، كما أثنى عليه الإمام الشافعي ووثق كل منهما له كتاب مغازيه وعلى هذا الكتاب اعتمد الإمام البخاري في صحيحه، ت/ ١٤١هـ، وقيل عام ١٤٢هـ، والإمام ابن إسحاق أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن يسار وهو صاحب السيرة المشهورة التي هذبها الإمام ابن هشام وجعل كتابه معتمداً لكل من يكتب في السيرة النبوية وإليه رجع الإمام عياض في تدوين كتاب الشفا، والإمام معمر بن راشد الكوفي وله كتاب المغازي، ت/ ١٥٤هـ، وقد ضاعت كتبه ولم تصل إلى المؤرخين إلا عن طريق تاريخ الإمام الطبري وابن سعد والواقدي والبلاذري. . . وقد اعتمد عليه الإمام عياض دون أن يذكر المصدر الذي استنبط منه، والإمام الواقدي محمد بن عمر الأسلمي وهو من أهل المدينة إلا أنه انتقل إلى بغداد، وروي عن الإمام مالك بن أنس والشافعي، ت/ ٢٠٧هـ، والإمام ابن سعد أبوعبدالله محمد بن سعد مولى بني هاشم ومن كتبه كتاب الواقدي وهو ثقة عالم بأخبار الصحابة والتابعين، والإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت/ ٣١٠هـ، وقد اعتمد عليه القاضي عياض في قضايا التفسير والسيرة والمغازي. . .

٤ ـ الفقه والفقهاء الذين أفاد القاضي عياض من أقوالهم وكتبهم الفقهية

ومن هؤلاء:

كتاب موطأ إمام مالك بن أنس وإليه رجع عياض ليأخذ منه رأي الإمام أو أحاديثه، وكان عياض غالباً ما ينقل عن الإمام مالك دون أن يشير إلى كتاب الموطأ[١].

كتاب المبسوط للفقيه محمد بن سلمة بن هشام بن الوليد بن المغيرة، ت/ ٢١٦هـ[٢].

كتاب ابن سحنون أبي عبدالله محمد بن عبد السلام بن سعيد التنوخي القيرواني الفقيه المالكي المؤرخ المناظر، له تصانيف وتآليف عدة، ت/ ٢٥٦هـ[٣].

---

(١) ابن خلكان ٢/ ٢٠٠.

(٢) ابن خلكان ٢/ ١٥٨.

(٣) عمر كحالة ١٠/ ١٦٨.

كتاب العبية للفقيه الإمام محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عقبة بن أبي سفيان الأموي القرطبي العتبي الفقيه المحدث اللغوي البارع، ت/ ٢٥٤هـ، وقيل عام ٢٥٥هـ[١].

كتاب ابن جلاب أبي القاسم عبد الرحمٰن بن عبدالله الفقيه المحدث وله مسائل الخلاف تثبت المصادر أنه كان حياً عام ٣٧٥هـ، وقيل إنه توفي سنة ٣٧٨هـ[٢].

كتاب ابن حبيب عبد الملك بن حبيب بن سليمان السلمي الأندلسي الفقيه اللغوي الطبيب المحدث المفسر، ت/ ٢٣٨هـ[٣].

كتاب المجموعة للإمام ابن عبدوس القيرواني الفقيه الأصولي المحدث، ت/ ٢٦٠هـ[٤].

كتاب البديع لأبي بكر بن سابق الملكي وهو كتاب في فروع الفقه المالكي[٥].

كتاب الشامل لأبي نصر عبد السيد بن محمد المعروف بابن الصباغ الفقيه الشافعي المذهب، ومن كتبه تذكرة العالم والطريق السالم والعدة في أصول الفقه، ت/ ٤٧٧هـ[٦].

وإلى جانب هؤلاء أفاد عياض من فقهاء مشهورين إلا أنه لم يصرح بمؤلفاتهم التي استنبط منها، ومنهم على سبيل المثال الإمام جعفر بن محمد الصادق، والإمام أبو حنيفة النعمان والإمام الشافعي والإمام أحمد رحمهم الله[٧].

٥ ـ وأما كتب علماء اللغة

التي أفاد منها القاضي عياض ورجع إليها في القراءات والروايات فكثيرة منها:

الإمام الكسائي أبو الحسن علي بن حمزة الأسدي الكوفي، ت/ ١٨٩هـ، ودفن بالري، وكان إمام النحاة واللغة والقراءات، كما كان من أئمة القراء السبعة[٨].

---

(١) عمر كحالة ١٠/ ٢٧٦.
(٢) عمر كحالة ٦/ ٢٣٨.
(٣) ابن خلكان ٢/ ١٥٣.
(٤) ابن خلكان ٢/ ١٥٩.
(٥) ابن خلكان ١/ ١٥٦.
(٦) ابن خلكان ٣/ ٢١٧.
(٧) ابن خلكان ١/ ٤٩٩.
(٨) ابن خلكان ٣/ ٢٩٥.

إمام القراء أبو زكرياء يحيى بن زياد الأسلمي الكوفي كان إمام أهل الكوفة في النحو واللغة والأدب، ت/ ٢٠٧هـ[١].

الإمام المبرد أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي البصري شيخ القراء وإمام النحاة صنف في العديد من العلوم ومن أهم كتبه الكامل في اللغة والأدب، ت/ ٢٠٧هـ[٢].

الإمام ثعلب أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني إمام أهل الكوفة في النحو واللغة ورواية الشعر، ت/ ٢٩١هـ[٣].

الإمام نفطريه أبو عبدالله إبراهيم المهلبي الأزدي النحوي الواسطي، ت/ ٣٢٣هـ[٤].

الإمام الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد الشافعي صاحب كتاب التهذيب وله مصنفات في التفسير والحديث والأدب والفقه، ت/ ٣٧٠هـ[٥].

والإمام الرماني أبو الحسن علي بن عيسى أحد الأعلام المشاهير بين علم الكلام وعلم اللغة والقراءات وعلم التفسير، ت/ ٣٨٤هـ[٦].

٦ ـ وقد ختم القاضي عياض استفادته من علماء الكلام وكتبهم

ومن أولئك:

الإمام الأشعري أبو الحسن علي بن إسماعيل، الذي اعتزل في بداية أمره لينتهي به المطاف إماماً لمذهب كلامي نسب إليه وهو بعد حياة الاعتزال إمام أهل السنة والجماعة، له تصانيف مشهورة وعديدة، ت/ ٣٢٤هـ[٧].

الإمام الباقلاني أبو بكر بن الخطيب البصري القاضي المتكلم الأشعري المذهب، له عدة مؤلفات في علم الكلام وغيره، ت/ ٤٠٣هـ[٨].

---

(١) ابن خلكان ٦/ ١٧٦.
(٢) ابن خلكان ٤١/ ٣١٣.
(٣) ابن خلكان ١١/ ١٠١.
(٤) ابن خلكان ١/ ٤٧.
(٥) ياقوت الحموي ٦/ ٢٩٧.
(٦) ابن خلكان ٣/ ٢٨٩.
(٧) ابن خلكان ٣/ ٣٨٤.
(٨) ابن خلكان ٤/ ٢٦٩.

الإمام ابن فروك أبو بكر محمد بن الحسن الأصبهاني الواعظ الفقيه النحوي اللغوي الأديب الأصولي المتكلم له ما يقارب مائة مصنف في أصول الدين ومعاني القرآن الكريم، ت/٤٠٦هـ[١].

الإمام الإسفرائيني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد إبراهيم الشافعي المذهب العالم بالفقه والأصول ثقة في رواية الحديث وله عدة مناظرات مع علماء الاعتزال، وله مؤلفات كثيرة، ت/٤١٨هـ[٢].

الإمام الجويني أبو المعالي إمام الحرمين عبد الملك بن يوسف بن محمد النيسابوري الشافعي المذهب، ت/٤٧٨هـ[٣].

الإمام الغزالي أبو حامد محمد بن أحمد المعروف بحجة الإسلام الطوسي الشافعي المذهب يعد من المكثرين في التأليف والتصانيف في مختلف العلوم، ت/ ٥٠٥هـ، (انظر كشاف المصادر والمراجع في نهاية الجزء الثاني)[٤].

مذهب القاضي عياض

كان القاضي عياض مالكي المذهب، ويبدو هذا واضح من خلال كتابه **«الشفا بتعريف حقوق المصطفى»**، وباقي مؤلفاته، وهو مذهب أشعري في الأصول، وبهذا المذهب فقد كان كثيراً ما يخالف حجة الإسلام الإمام الغزالي، وآراء أهل الاعتزال وسائر الفرق الكلامية الأخرى، وغالى حتى إتهم بعضهم بالكفر حيث عقد فصلاً قال فيه: «تحقيق في إكفار المتأولين» وقال مثله في حق الجاحظ، وتمامة، وقد نهج هذا السبيل الإمام الغزالي في كتابه التفرقة حيث يقول: وقائل هذا كله كافر بالإجماع، على كفر من لم يكفر من النصارى واليهود، وإلى مثل هذا ذهب الباقلاني الذي اعتمد عليه في الكثير من الآراء والنظريات.

ثقافة عياض

من يقرأ كتاب الشفا وباقي كتبه يرى من الأسلوب والمعلومات الشيء الكثير،

---

(١) ابن خلكان ٤/ ٢٧٢.
(٢) ابن خلكان ١/ ٢٨.
(٣) ابن خلكان ٣/ ١٦٧.
(٤) ابن خلكان ٤/ ٢١٦.

فهذا الكتاب الذي يتناول حقوق المصطفى ﷺ ثقافة إسلامية قرآنية وسنية وفقهية ولغوية وأدبية وبلاغية في منتهى الكمال والتمام، ويرى كيف يعالج عياض النصوص ويحللها وينقدها، وبالكيفية التي وردت في الكتاب عملاً شاقاً لا يستطيع القيام به إلا رجل مثل القاضي عياض المفسر المحدث الفقيه الأديب البلاغي الخبير في شؤون سيرة الرسول الأعظم ﷺ.

وأما نقده وتعليقه على النصوص فإنه قد صاغ كتابه الشفا صياغة محكمة ورتبه ترتيباً منظماً داخل أقسام وأبواب وفصول بعد توجيه وتقرير وترجيح ثم عرض الأقوال والآراء، ويقول: «والصحيح ما أصلناه»، وغالباً ما يدلي برأيه الأريب في مسائل السيرة، ويقف عند مسألة الإسراء والمعراج، حيث يقول بعد عرضه جملة من الآراء والأقوال: والحق من هذا والصحيح إن شاء الله أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار، ويعلق على بعض ما يأتي به من النصوص والآراء والأقوال، وقد لا يستطيع القيام بهذا العمل إلا من خبر واستوعب التفاسير واستطاع أن يقارن بين المتفقين منهم في الرأي الواحد ويعرض آراءهم عند الحاجة. ويذهب إلى القول بإمكانية رؤية الله تعالى حيث يقول بعد عرضه لآراء العلماء المؤيدين والمخالفين: «والحق الذي لا مراء فيه أن رؤية الله في الدنيا جائزة عقلاً، وليس في العقل ما يحيلها، والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى لها»[(١)].

والقاضي عياض يناقش آراء وأقوال من سبقه في تفضيل النبي ﷺ على سائر البشر ويؤكد ذلك حيث يقول: «فإن قلت إذا قر من دليل القرآن وصحيح الآثار وإجماع الأمة كونه أكرم البشر وأفضل الأنبياء، فما معنى الأحاديث الواردة بالنهي عن التفضيل: «**ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى**»»[(٢)].

والقاضي عياض رسم أهدافاً لكتاب الشفا وسار على نهجها وهي:

- التعريف بحقوق المصطفى ﷺ.
- ما يجب له من التوقير والاحترام والإكرام ﷺ.
- حكم من لم يعرف المصطفى حقه من التوقير والاحترام ﷺ.

---

(١) الفصل الثالث كرامة الإسراء ١/ ١٥.

(٢) الفصل الأول مكانته ١/ ١٠٧.

ـ جمع أقوال الأئمة والسلف الصالح في هذا الشأن وعرضها وتحليلها.

ثم انصرف القاضي إلى منهاج الكتاب فقسمه إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: وتضمنه القاضي عياض تعظيم العلي الأعلى لقدر النبي ﷺ قولاً وفعلاً

وشمل هذا القسم أربعة أبواب هي:

الباب الأول: في ثنائه تعالى عليه ويتضمن عشرة فصول.

الباب الثاني: في تكميله تعالى له المحاسن خلقاً وخُلقاً وفيه سبعة وعشرون فصلاً.

الباب الثالث: فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه وفيه اثنا عشر فصلاً.

الباب الرابع: فيما أظهره الله تعالى على يديه من الآيات والمعجزات وشرفه من الخصائص والكرامات وفيه ثلاثون فصلاً.

القسم الثاني: وضمنه فيما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ

وهو أربعة أبواب:

الباب الأول: في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول.

الباب الثاني: في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول.

الباب الثالث: في تعظيم أمره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول.

الباب الرابع: في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول.

القسم الثالث: فيما يستحيل في حقه ﷺ وما يجوز عليه وما يمتنع أو يصبح من الأحوال البشرية

ويتضمن بابين هما:

الباب الأول: فيما يختص بالأمور الدينية والكلام في عصمة نبينا ﷺ وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وفيه ستة عشر فصلاً.

الباب الثاني: في أحواله الدنيوية وما يجوز طرؤه عليه من الأعراض البشرية، وفيه تسعة فصول.

القسم الرابع: في تصرف وجوه الأحكام على من تنقصه أو سبه ﷺ

ويقسم الكلام فيه إلى بابين هما:

الباب الأول: في بيان ما هو في حقه سب ونقص وتعريض أو نص وفيه عشرة فصول.

الباب الثاني: في حكم شائنه ومؤذيه ومنقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلاة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول.

الباب الثالث: وهو تكملة ووصلة للبابين قبله في حكم من سب الله ورسوله وملائكته وكتبه وآل النبي ﷺ، وصحبه وهو خمسة فصول.

وعياض زيادة على هذه الحالة مؤلف كبير مجيد مكثر أثنى عليه العلماء واستفادوا من مؤلفاته وإنتاجه وعنوا بذلك، وقد بلغت كتبه المنسوبة إليه الثلاثين أو تزيد، إلا أن الذين وصل منها قليل وتم إحصاؤها بدقة لدى الكثير من الباحثين وذكرت أسماؤهم جميعاً (راجعها في محلها)، وهكذا ظلت العناية بمؤلفاته عهداً يتوارثه ملوك الأسرة الحاكمة بالغرب الإسلامي لاحق عن سابق حرصاً منهم جميعاً على إحياء مجد هذه الأمة والحفاظ على تراثها المقدس. فكان عياض رحمه الله على رأس لائحة رواد التراث الإسلامي الذي احتفظ الغرب الإسلامي بإنتاجهم ومؤلفاتهم الغزيرة التي حصنت الإسلام، وذادت عنه في أحلك الملمات والأزمات، إنه القاضي عياض صاحب الأجوبة المخبرة عن المسائل المحيرة، والأجوبة فيما نزل في أيام قضائه من نوازل الأحكام، وأجوبة القرطبيين وأخبارهم، واختصار شرف المصطفى، والإعلام بجدود قواعد الإسلام، وإكمال المعلم بفوائد مسلم، والإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع وبغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد، وتاريخ المرابطين وترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب مالك، والشبهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة، والجامع في التاريخ وكتاب خطبه وكتاب سؤالات وترسيل، والسيف المسلول على من سب أصحاب الرسول. والصفا بتحرير الشفا والعيون الستة في أخبار سبتة، وغريب الشبهات والغنية في أسماء شيوخه، غنية الكاتب وبغية الطالب في الصدور والترسيل، وكتاب العقيدة، والفنون الستة في أخبار سبتة، والقواعد، ومشارف الأنوار على صاحب الآثار، ومطالع الأفهام في شرح الأحكام والمقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان، والمعجم في ذكر أبي علي الصدفي وأخباره وشيوخه وأخبارهم ونظم البرهان على صحة

جزم الآذان، وكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وسماه الإمام الذهبي الشفا في شرف المصطفى، وهو أشهر من أن يعرف، أقرأه القاضي عياض في حياته وأجاز به طلبته رحم الله القاضي عياض إنه كان العالم والمفكر الذائع الصيت والقاضي المحدث والفقيه الأصولي المفسر.

المحقق.

المدخل ويتضمن:

١ ـ الحياة السياسية والعلمية التي عاش فيها القاضي عياض.

٢ ـ القاضي عياض: (٤٧٦ ـ ٥٤٤هـ).

٣ ـ شيوخ القاضي عياض

٤ ـ مؤلفاته.

٥ ـ كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى.

٦ ـ بعض من شرح كتاب الشفا.

٧ ـ كتاب الشفا للقاضي عياض من خلال رواته ورواياته بقلم الفقيه الجليل السيد محمد المنوني.

٨ ـ بعض المراجع التي اهتمت بالقاضي عياض.

الحياة السياسية والعلمية التي عاش فيها مخضرم الدولتين: القاضي عياض (٤٧٦ ـ ٥٤٤هـ)

من المعروف في تاريخ المغرب، أن دولة المرابطين، قامت على الأساس الديني، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكذلك كان الشأن في دولة الموحدين التي قامت لإصلاح الفساد الديني والاجتماعي وهداية الناس إلى دين التوحيد والعقيدة الصحيحة.

وكما كان لدولة المرابطين مصلح ديني دعا أتباعه للجهاد وأخذ الملحدين والمناوئين بالعنف والقوة، فكذلك كان للموحدين رائد ديني أمر أتباعه بالجهاد وأخذ المخالفين بالشدة.

فكان للمرابطين عبدالله بن ياسين وللموحدين المهدي بن تومرت، وكل منهما قضى نحبه قبل أن يرى أمله يتحقق، ودعوته تستقر.

وإذا كان خلف عبدالله بن ياسين هو يوسف بن تاشفين، فخلف المهدي هو عبد المؤمن بن علي الكومي، وهما معاً من البرابرة، فالأولون من قبيلة صنهاجة، والآخرون من قبيلة مصمودة، وإذا كان يوسف بن تاشفين قد غزا الأندلس ووحدها مع المغرب، فقد غزاها عبد المؤمن كذلك...

فالمرابطون والموحدون تشابهوا في أمور كثيرة، حتى في العاصمة الإدارية فكل منهما جعل من مراكش عاصمة ملكه وقد اشتبهت الدولتان في البداية وفي النهاية، فإذا كان ابن تومرت ظهر ودولة المرابطين في عظمتها وقوتها وأقصى استقرارها وقد برز كداعية دينية لا يشك أحد أن وراء دعوته غرضاً سياسياً، وربما أن دعوته لم تنقلب إلى ما آلت إليه إلا بعد أن ناظره العلماء. ثم الأمراء، ثم حكم عليه بالطرد من مراكش ونفي إلى قبائل المصامدة بالسوس، فاتجه بدعوته إلى تلك القبائل فخاطبها بلغتها تارة بالسوسية وأحياناً بالبربرية والعامية فجذبها إليه جذباً، ما لبث أن ظهر خطره على دولة المرابطين وسرعان ما أرسلوا إليه جيشاً سنة ٥١٥هـ، والمهدي يومئذٍ بجبل تينمل بالسوس، إلا أنه سرعان ما هزم جيش المرابطين ومن ذلك اليوم والحرب سجال بين الموحدين

والمرابطين، وظل المهدي يناوىء المرابطين حتى قضى نحبه سنة ٥٢٤هـ. بعد أن عهد بالأمر لعبد المؤمن بن علي الكومي، الذي ما إن سلم الأمر حتى قام برحلة إلى بلاد المغرب الأوسط، مظهراً قوة وبأس دولة الموحدين، فآل إليه أمر المرابطين في نهاية سنة ٥٦١هـ. وبعد هذه الجولة فكر عبد المؤمن في أمر الأندلس، وهو في أمره هذا إذا بوفد الأندلس يأتيه إلى مراكش، فبايعه وكان ذلك سنة ٥٤٢هـ. وبذلك توسعت مملكته فشملت من برقة إلى الأندلس سنة ٥٥٥هـ.

وفي سنة ٥٥٦هـ عبر عبد المؤمن بن علي الكومي إلى الأندلس، فوطد ملكه هناك، وأرهب الأعداء بجيوشه القوية. وفي سنة ٥٥٨هـ توفي هذا الملك الذي بسط نفوذه على أفريقيا الشمالية والأندلس وكانت وفاته بعد عودته إلى المغرب.

فإلى هذا الأمير يرجع إرساء قواعد دولة الموحدين، وتوحيد أقطار شمال أفريقيا، والأندلس وأضحت دولة الموحدين في عهده تكاد تكون أقوى دولة على وجه الأرض.

ومما أقدمت عليه دولة الموحدين في عهد هذا الملك، أنها قطعت صلتها بدولة بني العباس في الشرق، بعد أن كان المرابطون على صلة معهم. وقبل الموحدين كان المرابطون يتخذون لقب أمير المسلمين تأدباً مع العباسيين، وهو لقب لقبهم به الخليفة العباسي، تمرد الموحدون على ذلك واتخذوا لأنفسهم لقب أمير المؤمنين، وهو لقب لم يلقب به إلا الخلفاء من قريش.

وقد يكون من باب إنصاف الموحدين أنهم كانوا جديرين بهذا اللقب، لأنهم قاموا بنشر الإسلام والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله، وتقوية دولة التوحيد، وبسط نفوذها في الغرب الإسلامي والأندلس، وهذا عمل لم يفعله بنو العباس في عهد حكمهم.

وإذا كان المجتمع المغربي قد عرف الوحدة الشاملة في عهد دولة المرابطين لأول مرة في التاريخ الإسلامي، وقد يكون طوى صفحة تاريخ المغرب والأندلس وجمعهما معاً، وبذلك برزت الشخصية المغربية تحت لواء الإسلام محققة ذاتها في الاستقلال بأمورها، فتحقق آمال الدولة الجديدة وتخلصت من التبعية الشرقية، فكان هذا الحق سبباً في رواج سوق العلم والآداب والحضارة وازدهار الحياة، واتساع العمران وإنماء الصناعة وتحسين مستوى المعيشة.

فقد جاءت دولة الموحدين بدعوة التوحـ وتصحيح العقيدة وتجديد المفاهيم

الفكرية الإسلامية، فصاحب هذا التجديد الاهتمام بالعلوم الفكرية والرياضية، فتوفر الاستقرار وازدهر العمران وراج العلم والصناعة وحظيت هذه الطفرة بتشجيع ملوك الموحدين وأمرائهم.

في هذا الصراع الحربي والديني والرواج الفكري ولد ونشأ القاضي عياض (٤٧٦ ـ ٥٤٤هـ) فكان بحق ابن بيئته. حتى قيل عنه: لولا عياض لما ذكر المغرب:

عبد السلام البكاري

القاضي عياض[1]

(٤٧٦ ـ ٥٤٤هـ)

اسمه ونسبه:

القاضي عياض هو أبو الفضل موسى بن عياض بن عمر بن موسى اليحصبي السبتي، المحدث، المالكي، ولد بسبتة سنة ٤٧٦هـ[2].

جمع أبو الفضل عياض معارف عصره المتنوعة، فأظهر فيها ذكاء وموهبة عقلية، وتفوقاً، قل أن يكون لمثله في مثلها مجتمعة فهو، المحدث، المفسر، الفقيه، الأصولي، النحوي، اللغوي، الكاتب الشاعر، الخطيب.

رحل القاضي عياض إلى الأندلس في عقده الثالث من عمره لتلقي العلوم والمعارف، ثم عاد إلى مسقط رأسه بسبتة بعد أن تلقى العلوم والمعارف عن مائة شيخ وعالم وأديب، وأجلسه أهل سبتة للمناظرة العلمية بعد عودته من الأندلس، ثم أجلس للشورى، ثم تولى القضاء بسبتة أولاً، ثم نُقِل إلى قضاء غرناطة ثانياً، واشتهر بعد ذلك بلقب القاضي فغلب عليه هذا اللقب لأنه كان قاضياً بالمغرب، والأندلس أكثر عمره[3] [4].

وقد عاصر القاضي عياض آخر دولة المرابطين: (٤٦١ ـ ٥٤٢هـ)، وأوائل دولة الموحدين: (٥٢٤ ـ ٧٦٧هـ) فالرجل مخضرم الدولتين. وقد عاصر من ملوك الدولتين:

١ ـ من الدولة المرابطية: يوسف بن تاشفين. ت/ ٥٠٠هـ، وابنه علي بن يوسف. ت/ ٥٣٧هـ.

---

(١) كشف الظنون: ٤/ ٥٢.

(٢) النبوغ المغربي: ١/ ٨٨، أن مولده كان في شعبان سنة ٤٩٦ هـ.

(٣) النبوغ المغربي: ٢/ ٣٢، ١٤٢.

(٤) التعريف بالقاضي عياض تحقيق د/ محمد بن شريفة طبع وزارة الأوقاف ١٤٠٢/ ١٩٨٢ ـ وأزهار الرياض في أخبار عياض تحقيق د/ عبد السلام الهراس، د/ سعيد أعراب طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٠١/ ١٩٨١.

٢ ـ من الدولة الموحدية: المهدي بن تومرت. ت/ ٥٢٤هـ، وخلفه عبد المؤمن بن علي الكومي. ت/ ٥٥٨هـ.

وفي دولة الموحدين حدث ببلدة سبتة اضطراب وفتن ضد الموحدين، اتهم فيها القاضي عياض، فقبض عليه وحمل إلى مراكش منفياً، فلم يلبث أن توفي بها بعد سنة من تغريبه إليها سنة ٥٥٤هـ[١]، في خلافة عبد المؤمن بن علي الكومي.

وكان القاضي عياض معاصراً للفتح بن خاقان الوزير والأديب الأندلسي المشهور. وقد ترجم له الفتح وأثنى عليه في بعض إنتاجه، أي في كتابه قلائد العقيان، الذي جمع فيه كل شهير من العلماء والأدباء والأمراء والوزراء، والكتاب. .

كما أن القاضي عاصر جمعاً كبيراً من ذوي الفكر والمعرفة من شتى الألوان منهم:

١ ـ زين الدين أبو زكريا بن معط. ت/٦٢٨هـ. صاحب الألفية المشهورة في النحو التي نظم على منوالها ابن مالك صاحب الألفية المتداولة.

٢ ـ ميمون الخطابي الشاعر الذي يقارنه الكثير من الباحثين بأبي الطيب المتنبي قولاً، وبلاغة، وحكمة، وفلسفة.

٣ ـ أبو العباس الجراوي الذي كان لا يقل في شاعريته عن ابن تمام.

٤ ـ أبو جعفر بن عطية (٥١٧ ـ ٥٥٣هـ). الذي قال عنه عبد المؤمن. ت/٥٥٨هـ يوم قتله، ذهب ابن عطية، وذهب الأدب معه.

٥ ـ ابن حبوس، أول شاعر أنشد عبد المؤمن في حفل جبل الفتح. المشهور.

٦ ـ أبو حفص الأغماتي (٥٣٠ ـ ٦٠٣هـ).

٧ ـ أبو العباس السبتي (٥٢٤ ـ ٦٠١هـ)[٢].

٨ ـ أبو عبدالله محمد بن عبد الكريم الفاسي الملقب بابن الكناني. ت/٥٩٦هـ.

٩ ـ عبدالله بن سعيد الوجدي نسبة إلى وجدة (٤٩٥ ـ ٥١٠هـ).

١٠ـ إبراهيم بن جعفر اللواتي المكنى بأبي إسحاق والمعروف بابن الفاسي. ت/ ٥١٣هـ

١١ـ أبو عبدالله التميمي القاضي المكنى أبا عبدالله محمد بن عيسى (٤٢٩ ـ ٥٠٥هـ).

---

(١) ودفن بباب إيلان حيث ضريحه المعروف إلى اليوم، مذاكرات من التراث المغربي: ٢/ ٢٧٣/ ٢٧٤.

(٢) مذاكرات من التراث المغربي: ٢/ ٢٧٦ وهو من الأولياء السبعة بمراكش.

شيوخ القاضي عياض

للقاضي عياض شيوخ وأئمة تفقه عليهم وأخذ عنهم ومن بين هؤلاء:

١ - محمد بن أحمد بن رشد، أبو الوليد، العالم المحقق المالكي، تفقه على ابن رزق، وسمع الجياني، وابن فرج، وابن أبي العافية كان بصيراً بالأصول والفروع والفرائض، وزعيم الفقهاء في عصره بالأندلس، والمغرب، وولي قضاء قرطبة، عنه أخذ القاضي عياض...(١).

٢ - الشيخ محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم أبو عبدالله التجيبي. قاضي الجماعة بقرطبة.

٣ - الشيخ أبو عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي.

٤ - أبو علي الصدفي حسن بن محمد بن فيرة بن حيون بن سكرة.

٥ - أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي بن سعيد بن عبد الله الجذامي.

٦ - حسين بن محمد بن أحمد، أبو علي الجياني الغساني رئيس أهل الحديث في وقته بقرطبة.

٧ - محمد بن عبد الله بن أحمد. أبو بكر المعافري الإشبيلي.

٨ - محمد بن علي بن محمد. أبو عبد الله التغلبي.

٩ - الفقيه الحافظ الأصولي أبو بكر بن عطية المشهور.

---

(١) الديباج لابن فرحون: ١٢٩. الشذرات: ٢/٦٢، شجرة النور الزكية: ١٢٩.

مؤلفات القاضي عياض

ترك القاضي عياض للمكتبة العربية تراثاً فكرياً من مؤلفاته ومن ذلك:

١ ـ الأجوبة المخبرة عن الأسئلة المتحيرة.

٢ ـ أخبار القرطبيين.

٣ ـ الإسلام في حدود الأحكام.

٤ ـ إكمال المعلم شرح مسلم.

٥ ـ الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع.

٦ ـ بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد.

٧ ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب الإمام مالك.

٨ ـ جامع التاريخ.

٩ ـ السيف المسلول على من سب أصحاب الرسول.

١٠ـ الصفا بتحرير الشفا.

١١ـ العيون الستة في أخبار سبتة.

١٢ـ غريب الشهاب.

١٣ـ غنية في أسماء الشيوخ.

١٤ـ غفية الكاتب، وبغية الطالب.

١٥ـ مشارق الأنوار في تفسير غريب الحديث المختصر بالصحاح الثلاثة وهي: الموطأ. والبخاري، ومسلم.

١٦ـ ضبط الألفاظ والتنبيه على مواضع الأوهام والتصحيفات وضبط أسماء الرجال.

١٧ـ كتاب العقيدة.

١٨ـ القواعد.

١٩ـ مطامع الأفهام في شرح الأحكام.

٢٠ـ شرح البرهان على صحة جزم الأذان.

٢١ـ كتاب التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة.

٢٢ـ أدعية وتحميدات.

٢٣ـ كتاب الشفا: فلعله أشهر كتاب في بابه وهو منتشر في العالم الإسلامي، ولا تكاد تخلو مكتبة خاصة وعامة منه في القديم والحديث وقد اكتسب بموضوعه طابع التبرك والتيمن والإجلال والاحترام.

كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ

قال ابن بشكوال عن الشفا وعن صاحبه: وجمع من علوم الحديث كثيراً، وله عناية كبيرة به، والاهتمام بجمعه، وتقييده، وهو من أهل التفنن في العلم واليقظة والفهم(١).

وعن الشفا قال المرحوم عبدالله كنون: أبدع فيه كل الإبداع وسلم له أكفاؤه، براعته فيه، ولم ينازعه أحد في الانفراد به ولا أنكروا عليه مزية السبق إليه، بل تشوقوا للظفر به، وأنصفوا في الاستفادة منه، وحمله عنه الناس، فطارت نسخه شرقاً وغرباً، وهو في الحقيقة كتاب فريد، دحض به مزاعم الملاحدة، ومطاعنهم على المقام النبوي الشريف، وأتى في ذلك بالعجب العجاب مما لا ينكره إلا أعمى القلب مطموس البصيرة(٢).

وقال أحد الشعراء فيه وفي مؤلفه:

عوضت جنات عدن بأعياض   عن الشفا الذي ألفته عوض

جمعت فيه أحاديثاً(٣) مصححة   فهو الشفا لمن في قلبه مرض

ومما يلفت النظر في كتاب الشفا أسلوب القاضي عياض الذي امتاز بالأسلوب الهادىء، والواضح. وهذا ليس في كتاب الشفا وحده بل في جل مؤلفاته، إلا أن أسلوبه في الرسائل قد فشا فيه الاهتمام بالزخارف اللفظية، شأنه في ذلك شأن أدباء عصره، حتى قيل إن أسلوبه في بعض رسائله كان غامضاً أفسده التكلف أحياناً.

إلا أن أسلوبه العام، فهو أشبه بأسلوب أبي عثمان الجاحظ. جمل قصيرة، فيها موسيقى توقيعية وأسلوب واضح في الأعم الأغلب.

---

(١) النبوغ المغربي: ١/ ٨٨، ط٢.

(٢) النبوغ المغربي: ١/ ٨٨.

(٣) أخرج أحاديث الشفا السيوطي في كتابه: مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا، الهداية: ١/ ١٤، كما أخرجها الحافظ قاسم بن قطلوبغا. الهداية ١/ ١٥.

بعض من شرح كتاب الشفا

إن شراح الشفا كثيرون منهم:

١ ـ الشيخ محمد بن أحمد الأسنوي الشافعي. ت/ ٧٦٣هـ.

٢ ـ كمال الدين محمد بن أبي شريف المقدسي. ت/ ٧٨١هـ.

٣ ـ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن إبراهيم. ت/ ٨٦١هـ.

٤ ـ الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن أقهرش الشافعي. ت/ ٨٦٢هـ.

٥ ـ السسيد قطب الدين محمد بن محمد الخيضري وضع كتاباً سماه الصفا بتحرير الشفا. ت/ ٨٩٤هـ.

٦ ـ الشيخ شمس الدين محمد بن محمد الدلجي الشافعي العثماني: ت/ ٩٤٧هـ.

٧ ـ يوسف بن أبي الفتح الدمشقي المعروف بالسقيفي. ت/ ١٠٥٧هـ.

٨ ـ الحاج الحبيب العيتتابي المدرس بالمدينة المنورة. ت/ ١٢١٩هـ.

٩ ـ محمد بن عبد السلام البناني الذي سمى شرحه الفتح الرباني، ولفظ نداء الحياض في شرح الشفا للقاضي عياض.

١٠ـ الشيخ أبو عبدالله محمد بن الحسن بن مخلوف الراشدي.

١١ـ أبو عبدالله محمد بن علي أبي الشريف الحسيني التلمساني الذى سمى شرحه المنهل الأصفى في شرح ما تحس به الحاجة إليه من ألفاظ الشفا وهو أجود شرح.

١٢ـ عمر العرض في ٤ مجلدات.

١٣ـ السيد قطب الدين عيسى الصفوي.

١٤ـ ابن الخيضري جلال الدين أحمد بن محمد الخنجدي الحنفي.

١٥ـ أبو المحاسن عبد الباقي اليماني: الاكتفا في شرح ألفاظ الشفا.

١٦ـ ومن هذا القبيل ما تفضل به الباحث الكبير والمؤرخ الحافظ الفقيه الجليل السيد محمد المنوني فأغنى التحقيق بهذا التقديم وبهذا التعريف جزاه الله خيراً عن هذا

العمل الذي تفضل به ليكون جوهرة عقد هذا الكتاب.

ومن هذه المصادر وغيرها من كتب السير والتفسير والحديث والتاريخ والأدب أتيت بتعليقاتي على كتاب الشفا فكان في هذه الطبعة الجديدة جامعاً لعصارة ما ورد في هذه الشروح مما يساعده على الاستفادة من الكتاب في شكله الجديد.

كتاب الشفا للقاضي عياض
من خِلال رواته ورواياته

كما هو معروف: فكتاب «الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى ﷺ»: كان من تأليف القاضي أبي الفضل: عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، المتوفى ـ بمراكش ـ عام ١١٤٩/٥٤٤.

وقد اشتهر الكتاب من حياة مؤلفه. فأقبل الدارسون على روايته، وسمعه على مصنفه من لا يحصى كثرة من أعلام الغرب الإسلامي[1].

ثم استتبع ذلك وفرة رواياته. وشيوعها على مستوى العالم الإسلامي.

كما تعددت أصوله انطلاقاً من أصل المؤلف، إلى الأصول المتفرعة. ثم انتشرت نسخها مغرباً ومشرقاً وغرباً.

وبهذه الاعتبارات: كان رواة الشفا. ورواياتها. ونسخها: ثلاثتها تجسم الدور البارز للكتاب العياضي، في تعريفه بمدى النضج الثقافي للمغرب عند عصر المؤلف، فضلاً عن أثر ذلك في ربط الصلات العلمية بين هذه المنطقة وما جاورها من الأندلس والمغربين. إلى ما وراء ذلك من البلاد المشرقية، مع ما تبع هذا وذاك من الصيت الذائع للمؤلف وكتابه، وللمغرب والمغاربة: عبر الأجيال والجهات القريبة والبعيدة.

وسيسير عرض الموضوع متدرجاً في ثلاثة أبواب:

فيقدم الباب الأول نماذج من رواة الشفا ـ عن المؤلف ـ تستوعب ٢٢ اسماً.

بينما يتناول الباب الثاني أمثلة من روايات نفس الكتاب، وعددها ٢٢ رواية رئيسية.

---

(١) المقري في «أزهار الرياض» مطبعة فضالة ٣٤٢/٤، وفي نفس الاتجاه يقول الداودي عن كتاب الشفا في ترجمة مؤلفه: «وحمله الناس عنه، وطارت نسخه شرقاً وغرباً». طبقات المفسرين، نشر مكتبة وهبة بالقاهرة ٢٠/٢.

والباب الثالث: يشتمل على مسرد لبعض أصول كتاب القاضي عياض في ٣٧ نسخة بين أصول معروفة ومندثرة.

وختاماً: نذيل بعشر ملحقات تستوعب نصوص السماعات والأسانيد المدونة على عدد من أصول الكتاب المنوه به، فضلاً عن ملحق بالمطبوعات الأولى من الكتاب ذاته، ثم ملحق عثر عليه وشيكاً، حيث يستوعب مجموعة كبرى من الأسانيد لكتاب الشفا.

الباب الأول
رواة الشفا عن المؤلف

والقصد هنا إلى تقديم نماذج ـ في اثنين وعشرين اسماً ـ من رواة كتاب القاضي أبي الفضل فترويه جماعة بطريق السماع من المؤلف، بينما يحمله آخرون ـ عنه ـ بواسطة الإجازة، فيأتي عرض كل فريق على حدة. حسب التسلسل التاريخي للذين عرفت وفياتهم أو عصرهم.

١ ـ ويبتدي فرق السماع بولد المؤلف: محمد بن عياض بن موسى السبتي، المتوفى ـ بغرناطة أو سبتة ـ عام ٧٩/٥٧٥ ـ ١١٨٠[١].

٢ ـ أبو الطيب بن الخلوف: عبد المنعم بن يحيى بن خلف الحميري الغرناطي، المتوفى ـ بالإسكندرية ـ عام ٥٨٦/ ١١٩٠[٢].

٣ ـ أبو عبدالله بن زرقون: محمد بن سعيد بن أحمد الأنصاري الإشبيلي، المتوفى ـ بها ـ عام ٥٨٦/ ١١٩٠[٣].

---

(١) روايته هي الواردة عند رقم ٥ من الباب الثاني، وهو موضوع عرض روايات الشفا، وسنجتزي ـ هنا ـ بهذه الإشارة من غير أن نحتاج إلى تكرارها عند الإحالة على الروايات التالية.
وقد جاء عند ابن الآبار في ترجمة محمد بن عياض: «سمع من أبيه القاضي أبي الفضل». «التكملة» نشر قديرة بمجريط رقم ١٠٥٦، ونشير لهذه الطبعة في الإحالات التالية بحرف ق.

(٢) سماعه للشفا من المؤلف: يحتفظ بنصه المقري في «أزهار الرياض» ٤/ ٣٤٩ ـ ٥٠، وترجمته في «التكملة» ق١٨١٣.
ثم «الذيل والتكملة» نشر دار الثقافة في بيروت: ٥/ رقم ١٣٢. مع «صلة الصلة» المطبعة الاقتصادية بالرباط رقم ٢٥.

(٣) روايته تحمل رقم ٦، وترجمته في «التكملة» ق٨٢٤، فيذكر عنه ابن الآبار: أنه سمع من القاضي عياض واختص به، ولازمه كثيراً، ونحوه في «الذيل والتكملة» ٦/ رقم ٥٩٧.
وفي تعبير ابن دحية وهو يذكر ابن زرقون: «ثم لزم القاضي أبا الفضل عياض بن موسى مدة مديدة، وأعواماً عديدة» (المطرب في أشعار أهل المغرب): المطبعة الأميرية بالقاهرة، ص٢٢٠.

٤ ـ ابن الغازي: محمد بن حسن بن عطية الأنصاري الجابري السبتي. المتوفى عام ٥٩١/ ٩٤ ـ ١١٩٥[١]. ويرد ذكره في الأسانيد «بابن غاز» دون تعريف، وبالياء آخره وحذفها.

٥ ـ ابن فليح: عبدالله بن محمد بن فليح الحضرمي القصري: قصر عبد الكريم بشمال المغرب، كان بقيد الحياة عام ٥٩١/ ٩٤ ـ ١١٩٥[٢].

٦ ـ ابن مضاء: أحمد بن عبد الرحمن بن محمد اللخمي الجياني ثم القرطبي، المتوفى ـ بإشبيلية ـ عام ٥٩٢/ ١١٩٦[٣].

٧ ـ أبو جعفر الحصار: أحمد بن علي بن حكم القيسي الغرناطي، المتوفى ـ بها ـ عام ٥٩٨/ ١٢٠١[٤]. ويذكر في الأسانيد «بابن حكم».

٨ ـ أبو عبد الله بن عبو: محمد بن عبد القادر الفازازي الركلاوي المكناسي، كان بقيد الحياة عام ٦١١/ ١٢١٤ ـ ١٥[٥].

٩ ـ أبو بكر محمد بن أبي بكر بن الحداد الجذامي، تاريخ وفاته غير مذكور[٦].

---

(١) روايته تحمل رقم ١، وترجمته في «التكملة» ق١٠٦٠، غير أن ابن الآبار لم يدقق تاريخ وفاته: (وتوفي في بضع وتسعين وخمسمائة). ثم حدد ابن الزبير هذا البضع بعام ٥٩١، حسب «صلة الصلة»: القطعة المخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٨٥٠ تاريخ: قسم الخزانة التيمورية.

(٢) روايته ومعه ابن مضاء: تحمل رقم ٧، وترجمة ابن فليح في «التكملة» ق١٤٨٩، ويقول عنه ابن الآبار وهو يعدد مشيخته: «روى عن أبي بكر بن العربي. . . وأبي الفضل عياض بن موسى وعليه اعتماده في الرواية، وأجاز له أبو بكر بن طاهر. . .».

(٣) روايته مع ابن فليح تحمل رقم ٧، ومع ابن حكم: رقم ٨، وجاء التصريح بسماع ابن مضاء من أبي الفضل عند الفاسي في «العقد الثمين. . .»: مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ٦/ ٤٤، وله ترجمة موسعة في «الذيل والتكملة» ١/ رقم ٢٩١.

(٤) روايته ـ بمفرده ـ تحمل رقم ٢، وترجمته في «التكملة» ط الجزائر رقم ٢٣٩، مع «الذيل والتكملة» ١/ رقم ٣٨٧، وبالمصدرين ـ معاً ـ يذكر سماع ابن حكم من القاضي عياض.

(٥) ترجمته في «صلة الصلة»: القطعة المخطوطة، فيذكر ابن الزبير أنه سمع على عياض كتاب الشفا وغيره.

(٦) روايته ـ بمفرده ـ تحمل رقم ٩، ومع العزفي في رقم ١٠، وورد التصريح بسماعه من المؤلف عند السراج في الافتتاحية التي صدر بها أصله من كتاب «الشفا» حيث عرض بها أسانيده، وتوسع في ذكر طرقها، حتى انتهى بها إلى عياض المؤلف، وسيرد نص الافتتاحية عند الملحق رقم ٥.

ولا ذكر لترجمة ابن الحداد بالمصادر التي رجعت لها، وأشار لاسمه الرعيني وهو يعدد أشياخ أبي العباس العزفي هكذا: «وأبو عبد الله محمد بن أبي بكر الجذامي: سمع عليه الشفا. . .» «برنامج شيوخ الرعيني»: المطبعة الهاشمية بدمشق ص٤٥.

١٠ـ أبو عبد اللّه العزفي: محمد بن أحمد بن محمد اللخمي السبتي قاضيها، تاريخ وفاته غير مذكور[١].

١١ـ أبو عبد اللّه التميمي: محمد بن عبد اللّه بن محمد بن عيسى السبتي، تاريخ وفاته غير مذكور[٢].

ومن الذين يروون الشفا عن المؤلف بطريق الإجازة.

١٢ـ ابن قرقول: إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم القائدي الحمزي ثم الوهراني، المتوفى ـ بفاس ـ عام ٥٦٩/ ١١٧٤[٣].

١٣ـ أبو الطاهر السلفي: أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهاني نزيل الإسكندرية. المتوفى ـ بها ـ عام ٥٧٦/ ١١٨٠[٤].

١٤ـ ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك بن مسعود الأنصاري القرطبي، المتوفى ـ بها ـ عام ٥٧٨/ ١١٨٢[٥].

١٥ـ أبو الحسن ابن أبي عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري النسب والمذهب، القرطبي، المتوفى ـ بغرب عدوة المغرب ـ عام ٥٨٥/ ٨٩ ـ ١١٩٠[٦].

١٦ـ أبو محمد الحجري: عبد اللّه بن محمد بن علي المري، نزيل سبتة، والمتوفى ـ

---

(١) روايته ومعه أبو بكر بن الحداد تحمل رقم ١٠، ولا ذكر لترجمته بالمصادر التي رجعت لها.

(٢) روايته تحمل رقم ٣، ويرد التصريح بسماعه من المؤلف في أسانيد ابن جبير لكتاب الشفا، وترجمته في «التكملة» ق١٠٥٧، وهي خالية من تاريخ وفاته.

(٣) روايته رقم ١١، وترجمته في «التكملة» ط الجزائر رقم ٣٩٤، ثم في «جذوة الاقتباس» ط. دار المصور بالرباط رقم ١٣، وفي المصدر الأخير يشير ابن القاضي إلى أن ابن قرقول مجاز من أبي الفضل.

(٤) روايته ـ بمفرده ـ رقم ١٢، ومع ابن بشكوال رقم ١٤، وكتب له ترجمة موسعة الأستاذ محمد محمود زيتون في كتاب على حدة بعنوان: «السلفي أشهر علماء الزمان». وهو منشور بمبادرة شباب الجامعة بالإسكندرية في مطبعة صلاح الدين.

(٥) روايته ـ بمفرده ـ رقم ١٣ ومع السلفي رقم ١٤، وترجمته في «التكملة» رقم ١٧٩، ويقول ابن بشكوال عند ترجمة عياض: «وقدم علينا قرطبة. . . فأخذنا عنه بعض ما عنده»، حسب «الصلة» نشر العطار رقم ٩٧٥، غير أن سنده للشفا عن مؤلفها كان بالمكاتبة، كما سيتبين من سياق روايته الواردة عند رقم ١٣ من الباب الثاني.

(٦) روايته رقم ١٥، وترجمته في «التكملة» ق١٦١٩، حيث يذكر ابن الآبار عياضاً بين الذين كتبوا له بالإجازة.

بها ـ عام ٦٩١/ ١١٩٥[١].

١٧ـ ابن الفرس: عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي الغرناطي، المتوفى ـ بها ـ عام ٥٩٧/ ١٢٠١[٢].

١٨ـ ابن أبي جمرة: محمد بن أحمد بن عبد الملك المرواني ولاء المرسي. المتوفى ـ بها ـ عام ٥٩٩/ ١٢٠٢[٣].

١٩ـ ابن الصائغ: يحيى بن محمد بن علي الأنصاري السبتي. المتوفى ـ بها ـ عام ٦٠٠/ ٠٣ ـ ١٢٠٤[٤].

٢٠ـ الشقوري علي بن أحمد بن علي الغافقي القرطبي. المتوفى ـ بها ـ عام ٦١٦/ ١٢١٩[٥].

٢١ـ ومن الذين ذكرت روايتهم مجملة دون النص على السماع أو الإجازة أبو محمد خليل بن إسماعيل بن خلف السكوني اللبلي. المتوفى ـ بها ـ عام ٥٥٧/ ١١٦٢[٦].

٢٢ـ أبو القاسم بن الملجوم: عبد الرحمن بن يوسف بن محمد الأزدي الزهراني الفاسي، المتوفى ـ بها ـ عام ٦٠٥/ ١٢٠٨[٧].

---

(١) روايته ـ بمفرده ـ رقم ١٦، ومع ابن الغازي رقم ١٧، وترجمته في «التكملة» ق١٤١٦، ويقول عنه ابن رشيد: «ولقي أبو حمد الحجري ـ بغرناطة ـ القاضي أبا الفضل عياض بن موسى إذ ولي قضاءها، وأجاز له ما حمله ورواه». إفادة النصيح. . . ط. الدار التونسية للنشر ص٨٦.

(٢) روايته رقم ١٨ وترجمته في «التكملة» ق١٨١٥. ثم في «الذيل والتكملة» ٥/ رقم ١٢٩، وفي هذا المصدر يثبت أن عياضاً من المجيزين لابن الفرس. ومثله في «صلة الصلة»: القطعة المنشورة رقم ٢٨.

(٣) روايته رقم ١٩، وترجمته في «التكملة» ق٨٧٠، وفيها أن ابن أبي جمرة استجاز عياضاً، وترجمته ـ أيضاً ـ في «الذيل والتكملة» ٦/ رقم ١.

(٤) روايته رقم ٤، وترجمته في «التكملة» ق٢٠٧٠، مع «صلة الصلة»: القطعة المنشورة رقم ٣٩١، وحدد روايته بالإجازة كل من السراج حسب الملحق رقم ٥، ثم ابن غازي في فهرسه: «التعلل برسوم الإسناد. . .»، نشر دار المغرب بالبيضاء، ص١٨٨.

(٥) روايته رقم ٢٠، وترجمته في «التكملة» ق١٨٩٠، ثم في «الذيل والتكملة» ٥/ رقم ٣٣٤، وبهما ـ معاً ـ إن أبا الحسن الشقوري مجاز من عياض.

(٦) روايته رقم ٢١ وترجمته «بالتكملة» ق١٨٨ وتحديد تاريخ وفاته عند السيوطي في «بغية الوعاة»: مطبعة السعادة بمصر ص٢٤٥.

(٧) روايته رقم ٢٢، وترجمته في «التكملة» ق١٦٥٢.

الباب الثاني
روايات الشفا

قدم الباب الأول اثنين وعشرين من رواة الشفا عن المؤلف بين سماع وإجازة. غير أن اثنين منهم لا تعرف لهم ـ الآن ـ أسانيد مسلسلة للكتاب، وهما الواردان عند رقمي ٢ و٨ بينما تفرعت عن باقيهم اثنتان وعشرون رواية رئيسية، وهي التي يقدمها هذا العرض، مع ملاحظة أن أربعة منها كانت أكثر انتشاراً. فصارت لها الأسبقية في هذا المسرد.

١ ـ بدءاً من **رواية ابن الغازي** سابق الذكر عند رقم ٤. ويقول عنه ابن الآبار[١]: «روى عن أبي الفضل عياض، واختص بصحبته وملازمته، وسمع منه جل روايته وتواليفه».

ثم يذكر عنه السراج[٢] أنه قرأ كتاب الشفا على مؤلفه. وعارض بأصله، وكتب له عياض خطه بذلك في غرة ذي القعدة سنة ٥٣٥.

وقد انتشرت رواية ابن الغازي بالمغرب مع مر الزمن، اعتماداً على نسخة علي بن فرج من الشفا، وهي التي كتبها هذا بخطه، ثم قابلها وصححها. وترجع إلى أصل ابن الغازي المقروء ـ مرتين ـ على القاضي أبي الفضل[٣].

وهذه النسخة ـ التي كتبها ابن فرج ـ أعاد مقابلتها يحيى السراج، فصارت ـ بعد ذلك ـ هي أم المنسخات المغربية من هذا الكتاب، كما سنرى عند التعريف بها[٤].

---

(١) «التكملة» ق١٠٦٠.

(٢) في افتتاحيته للشفا حيث سيرد نصها بالملحق رقم ٥.

(٣) سيرد التعريف بهذه النسخة عند رقم ١٧ من الباب الثالث، وعليها كتابات تعرف بقيمتها حسب الملحقات رقم ١ ـ ٤، أما كاتب هذا الأصل فاسمه كاملاً: علي بن محمد بن فرح القيسي القيجاطي نزيل غرناطة، وله ترجمة في «صلة الصلة» المنشورة رقم ٢٨٢، وعند الرحالة السبتي أبي القاسم التجيبي في تعاليقه المنشورة مع «الذيل والتكملة» ٥/ ص٣١٩.

ومن الجدير بالذكر أن كاتب النسخة التي نعلق عليها، يوجد بخطه كتاب «الإلماع» للقاضي عياض، فرغ منه بتاريخ ٥ رمضان عام ٦٣٢، ويحمل بالأسكوريال رقم ١٥٧٢، مع نسخة من الجواهر الثمينة لابن شاش، حيث يوجد منها السفران الثاني والثالث في مجلد مبتور الطرفين، وجاء عند آخر السفر الثاني أنه وقع الفراغ من كتابته أواخر ذي القعدة عام ٤٦٤، ومن معارضته بتاريخ ٤ ربيع الأول عام ٦٤٧، والسفران ـ معاً ـ ضمن مخطوطات خزانة تمكروت بإقليم ورزازات رقم ١١٠٣.

(٤) انظر رقم ١٧ من الباب الثالث. وترجمة السراج توجد ومعها جملة من مصادرها ومراجعها عند الكتاني في «سلوة الأنفاس. . .» ط.ف: ٢/ ١٤٣ ـ ١٤٤.

ونشير ـ الآن ـ إلى أن للسراج أسانيد متعددة لكتاب الشفا، حيث دونها في افتتاحية النسخة المنوه بها، وابتدأ منها بالسند إلى ابن الغازي.

عن شيخه ابن الحاج البلفيقي: محمد بن محمد بن إبراهيم السلمي (المرداسي المري)[١].

عن أبي إسحاق الغافقي: إبراهيم بن أحمد (بن عيسى) المديوني الإشبيلي ثم السبتي[٢].

عن أبي عبد الله الأزدي: محمد بن عبد الله بن أحمد السبتي[٣].

عن ابن الغازي، عن المؤلف أبي الفضل.

٢ ـ رواية أبي جعفر الحصار: سابق الذكر عند رقم: ٧.

ويعرف ـ أيضاً ـ بابن حكم، وقد انتشرت روايته بالأندلس وسبتة وتونس، وبمصر والشام والمدينة المنورة.

وستتبين مدى شيوعها بالأندلس من أسانيد الجهات التالية:

ففي تونس: يستند إلى رواية ابن حكم: عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، في «كتاب الوفا ببيان فوائد الشفا»[٤]، فيصدر تعاليقه بسنده إلى أبي الفضل عياض:

من طريق شيخه أبي القاسم الكلاعي: محمد بن قائد بن علي[٥].

عن أبي إسحاق بن عياش: إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد العزيز التجيبي[٦].

---

(١) ترجمته عن ابن الخطيب في «الإحاطة» نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ٢/ ١٣٤ ـ ١٩٦، وكان قد ترجمه قيد حاشيته، ثم ترجمه وذكر تاريخ وفاته (بالدرر الكامنة) مطبعة مجلس دائرة المعارف في حيدر آباد الدكن ٤/ ١٥٥ ـ ١٥٧.

(٢) ترجمته عند الوادي آشي في «برنامجه» طبع دار الغرب الإسلامي رقم ١٠١.

(٣) ترجمته في «برنامج شيوخ الرعيني» رقم ٩١.

(٤) السفر الأول: مخطوط خ.م ٤٠١٦: ص٢، ومؤلفه هو صاحب الرحلة التجانية، حيث توجد ترجمته بمقدمة طبعتها في المطبعة الرسمية بتونس: ص١٩ م ـ ٤٣م.

(٥) أشار له ولوفاته الزركشي: مسمياً له عبد الوهاب بن قائد الكلاعي: «تاريخ الدولتين...» مطبعة الدولة التونسية ص٣٤.

(٦) لا ذكر لترجمته بالمصادر التي رجعت لها، ولوالده ترجمة «بالتكملة» ق١٦٤٢.

عن أبي زيد الناشي: عبد الرحمٰن بن محمد الخزرجي[١].

عن ابن حكم، عن المؤلف.

وفي تونس أيضاً: يروي ابن جابر الوادي آشي نفس الكتاب من ثلاث طرق:

أ ـ عن القبتوري: خلف بن عبد العزيز بن محمد الإشبيلي نزيل سبتة[٢].

عن ابن أخت أبي صالح، عبد الله بن أبي القاسم الأنصاري المالقي نزيل سبة[٣].

عن القمارشي: عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الرحمٰن الخزرجي المالقي[٤].

عن ابن حكم، عن المؤلف[٥].

وللقبتوري نسخة معتمدة من الشفا سنشير لها من بعد[٦].

ب ـ وعن ابن الغماز: أحمد (بن محمد بن حسن الخزرجي البلنسي نزيل تونس)[٧].

عن أبي الربيع (الكلاعي: سليمان بن موسى) بن سالم (الحميري البلنسي)[٨].

عن ابن حكم، عن المؤلف[٩].

وهذا السند وسابقه: من طرق ابن مرزوق «الخطيب» للشفا: عن ابن جابر مباشرة[١٠].

ج ـ وعن ابن هارون، عبد الله (بن محمد الطائي القرطبي نزيل تونس)[١١].

---

(١) قد يكون هو القمارشي المتكرر الذكر بالروايات التالية، وترجمته «بالتكملة» ق١٦٤٣، مع «برنامج شيوخ الرعيني» رقم ٦٤.

(٢) ترجمته في «برنامج الوادي آشي» رقم ٢٦.

(٣) ترجمته بنفس المصدر رقم ١٩٠.

(٤) مصدر ترجمته سبق عند التعليق ٣٤.

(٥) ساق هذا السند الوادي آشي في «برنامجه» ص٢١٥ ـ ٢١٦، ولصاحب السند ترجمة موسعة عند تقديم برنامجه المنشور: ص ٩ ـ ٢٠.

(٦) انظر النسخة رقم ١١ من الباب الثالث.

(٧) ترجمته في «برنامج الوادي آشي» رقم ١.

(٨) ترجمته في «الذيل والتكملة» ٤/ رقم ٢٠٣.

(٩) هذا السند عند الوادي آشي في «برنامجه» ص٢١٦.

(١٠) «نفح الطيب» المطبعة الأزهرية المصرية ٣/١٠٨، على إبهام في اسم القبتوري. وحذف اسم ابن الغماز من السند الثاني، وانظر عن ترجمته ابن مرزوق الخطيب: «الديباج المذهب» لابن فرحون: مطبعة المعاهد بمصر ص٣٠٥ ـ ٣٠٩، مع «نيل الابتهاج» للتنبكتي، المنثور بهامش الديباج ص٢٦٧ ـ ٢٧٠.

(١١) ترجمته في «برنامج الوادي آشي» رقم ١٣.

عن أبي الحسن بن مالك: سهل (بن محمد بن سهل بن أحمد الأزدي) الغرناطي(١).

عن ابن حكم، عن المؤلف(٢).

وهذا السند أحد طرق ابن حجر العسقلاني إلى الشفا، عن أبي إسحاق التنوخي، عن ابن جابر(٣).

وفي سبتة: نشر إلى أبي الحسين بن أبي الربيع، عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله القرشي الأموي العثماني الإشبيلي نزيل سبتة(٤).

فيروي الشفا عن أبي علي الشلوبين: عمر بن محمد بن عمر الأزدي الإشبيلي(٥).

عن ابن حكم، عن المؤلف(٦).

ومن نفس المدينة ابن رشيد: محمد بن عمر بن محمد الفهري(٧).

وهو يروي الشفا عن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الأنصاري سابق الذكر.

عن أبي زيد القمارشي سابق الذكر.

عن ابن حكم، عن المؤلف(٨).

وهنا تنتهي هذه النماذج من الأسانيد إلى ابن حكم في كل من تونس وسبتة، وكما أشير له سلفاً: فهي تدل على شيوع لهذه الرواية بالأندلس.

---

(١) له ترجمة مطولة في «الذيل والتكملة» ٥/ رقم ٢٢٩.

(٢) أورد هذا السند الوادي آشي في برنامجه ص٢١٨.

(٣) «كفاية الراوي والسامع..» اسم ثبت الشيخ يوسف الحسيني الحلبي، المنشور ضمن «الأنوار الجلية...» لمحمد راغب الطباخ: المطبعة العلمية بحلب ص٦٦، وأصل ذلك عند ابن حجر في «المعجم المفهرس»: مصور خ.م. ١٢٦٤٦: لوحة ٥٦.

(٤) ترجمته بالقطعة المخطوطة من «صلة الصلة» لابن الزبير.

(٥) له ترجمة موسعة «بالذيل والتكملة» ٥/ رقم ٨٠٧.

(٦) جاء هذا السند في برنامج ابن أبي الربيع: المنشور في «مجلة معهد المخطوطات العربية»: بالجزء الثاني من المجلد الأول ص٢٦٦.

(٧) ترجمته ومعها جملة من مصادرها ومراجعها: في «سلوة الأنفاس» ٢/ ١٩١ ـ ١٩٢.

(٨) ورد ضمن أسانيد السراج بالافتتاحية التي صدر بها أصله من كتاب الشفا، حيث سيرد نصها بالملحق رقم ٥.

ونضيف لذلك رواية أندلسية من طريق أبي عبد الله (الطنجالي)، محمد بن أحمد بن يوسف الهاشيم (المالقي)[١].

عن أبي الوليد العطار، إسماعيل بن يحيى (بن إسماعيل الأزدي الغرناطي)[٢].

عن ابن حكم، عن المؤلف[٣].

ورواية أندلسية مغربية من طريق المنثوري: محمد بن عبد الملك بن علي القيسي الغرناطي[٤].

عن ابن عمر: محمد بن محمد بن عبد الرحمٰن اللخمي الفاسي[٥].

عن أبي الحسن القرطبي: علي بن سليمان بن أحمد الأنصاري نزيل فاس[٦].

عن ابن حوط الله: عبد الرحمٰن بن عبد الله بن سليمان الأنصاري الأندي[٧].

عن ابن حكم، عن المؤلف[٨].

وبلغت رواية ابن حكم إلى مصر والشام، فيرويها صلاح الدين العلائي، خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي[٩]، نزيل بيت المقدس.

عن أبي الحسن علي بن عمر بن حسان الشاغوري[١٠].

عن أبي عبد الله بن محارب: محمد بن محمد بن عبد الرحمٰن القيسي: من الإسكندرية[١١].

---

(١) ترجمته في «الإحاطة» ٣/ ٢٤٥ ـ ٢٤٨.

(٢) ترجمته في «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري: دار الكتاب اللبناني: رقم ٧٩٠.

(٣) هذا السند عند السراج، حسب افتتاحية أصله من الشفا: بالملحق رقم ٥.

(٤) ترجمته عند الكتاني في «فهرس الفهارس» ٢/ ٥ ـ ٦.

(٥) ترجمته عند الكتاني في «سلوة الأنفاس» ٢/ ٣.

(٦) ترجمته «بالمصدر الأخير» ٣/ ١٤٩.

(٧) ترجمته في «غاية النهاية. . .» رقم ١٥٨٠.

(٨) ساق هذا السند المنتوري في «فهرسه»: مخطوط خ.م ١٥٧٨/١ ص٧٠.

(٩) ترجمته في «الدرر الكامنة» ٢/ ٩٠ ـ ٩٢، ومن الرواة الأندلسيين عن صلاح الدين العلائي: خالد أبلوي، حسب رحلته «تاج المفرق. . .» مطبعة فضالة ١/ ٢٦٠، غير أنه لم يحدد سند أستاذه للشفا.

(١٠) لا ذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر، وترجم ابن حجر لعلي بن عثمان بن حسان الدمشقي الشاغوري، حب «الدرر الكامنة» ٣/ ٨٣، فهل تصحف هنا والد المترجم بعمر؟.

(١١) ترجمته في «التكملة» ق٢١٤٤ ص٧٥٢ ـ ٧٥٣.

ومنها زار الأندلس فروى ـ بغرناطة ـ عن ابن حكم، عن المؤلف[١].

ووصلت الرواية ذاتها إلى المدينة المنورة فرواها جماعة، بينهم محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون اليعمري التونسي ثم المدني[٢].

عن خلف القبتوري، بسنده المتقدم إلى ابن حكم، عن أبي الفضل[٣].

٣ ـ رواية أبي عبد الله التميمي سابق الذكر عند رقم ١١.

عرفت في الشرق من طريق تلميذه الرحالة ابن جبير: محمد بن أحمد بن حسين الكناني البلنسي المولد. ثم استوطن عدة مدن بالأندلس وغيرها: إلى أن أقام ـ آخر عمره ـ بالقاهرة والإسكندرية يحدث ويؤخذ عنه. إلى أن توفي بالمدينة الأخيرة عام ٦١٤/ ١٢١٧[٤].

أ ـ وقد حدث عنه بكتاب الشفا جماعات، بينهم أبو محمد المنذري:

عبد العظيم بن عبد القوي (بن عبد الله). الشامي ثم المصري القاهري[٥].

ب ـ (وابن الجرج التلمساني): محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن الأنصاري نزيل الإسكندرية[٦].

ولكل من الاثنين نسخة من الشفا سنشير لها من بعد[٧].

ج ـ ونفس الكتاب رواه عن ابن جبير: رشيد الدين بن العطار: يحيى بن علي (بن عبد الله) القرشي (الأموي النابلسي ثم المصري)[٨].

---

(١) هذا السند عند السراج حسب افتتاحيته الشفا: بالملحق رقم ٥.

(٢) ترجمته عند السخاوي في «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة». مطبعة دار نشر الثقافة بالقاهرة. رقم ٤٠٦٦.

(٣) أشار لهذا السند: السخاوي في «التحفة اللطيفة» عند رقم ١١٤٢.

(٤) له ترجمة مطولة «بالذيل والتكملة» ٥/ رقم ١١٧٢.

(٥) ترجمته في «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي: المطبعة الحسينية المصرية ٥/١٠٨ ـ ١٠٩، وفي ترجمة ابن جبير من شجرة النور الزكية، «ص١٧٥»: وحدث بالشفا. ـ وسمع منه الحافظان عبد العظيم المنذري، وأبو الحسن يحيى بن علي القرشي، وانظر العقد الثمين. . . للفاسي ٦/ ٤٤.

(٦) أشار لاسمه ووفاته الذهبي في «تذكرة الحفاظ»: «دار إحياء التراث العربي» ص١٤٣٨.

(٧) سيرد التعريف بهما عند الباب الثالث رقم ٢٣، ٢٤، ٣٥، ٣٦.

(٨) ترجمته عند الذهبي في «تذكرة الحفاظ» ص١٤٤٢ ـ ٤٣، ووردت الإشارة لروايته الشفا عن ابن جبير ومعه الأربعة المذكورون بعده: عند الفاسي في «العقد الثمين. . .» ٦/ ٤٤.

د ـ والتاج القسطلاني: علي بن أحمد بن علي القيسي المصري ثم المكي[١].

هـ ـ والكمال: علي بن شجاع (بن سالم) العباسي الضرير[٢].

و ـ ومعين الدين: عبد الهادي بن عبد الكريم (بن علي) القيسي (المصري)[٣].

ز ـ كما رواه عن المنوه به: القاضي علم الدين: محمد بن الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق الربعي القاهري[٤].

وعنه ـ مباشرة ـ يسند أبو الفتح ابن سيد الناس إلى «الشفا» في كتابه «عيون الأثر...»[٥].

ومن جهة ابن سيد الناس: يسند ابن حجر العسقلاني إحدى طرقه لهذا الكتاب[٦].

حـ ـ ومن رواة الشفا عن ابن جبير: الحسين بن الحسن بن إبراهيم الخليلي الداري[٧].

ومن طريقه وصلت الرواية الجبيرية للمغرب، فيسوقها السراج[٨] بسنده إلى الخليلي الداري عن ابن جبير..

ثم دخلت الرواية ذاتها للمغرب من طريق عبد العظيم المنذري، وكان ذلك بواسطة ابن غازي: محمد بن أحمد بن محمد العثماني المكناسي نزيل فاس[٩]،

---

(١) ترجمته المصدر الأخير قم ٢٠٣٢، وروايته عن ابن جبير: إحدى الطرق التي أسند إليها زكرياء الأنصاري. وهو يذكر أسانيده للشفا، حسب «فهرسه» من جمع تلميذه السخاوي: خ.ع.ك سادس مجموع ١٢٣٣ ـ ص١٢٤.

(٢) ترجمته في «غاية النهاية» رقم ٢٢٣١.

(٣) ترجمته بنفس المصدر رقم ١٩٧٥.

(٤) ترجمته عند الصفدي في «الوافي بالوفيات»: الطبعة الثانية رقم ٨٨١، وطريق ابن رشيق: إحدى روايات الشفا التي يسند لها ابن حجر في «الحجر المفهرس»: لوحة ٥٦.

(٥) نشر دار المعرفة في بيروت ٢/٣٤٧، وترجمة مؤلفه في «الوافي بالوفيات» رقم ١٩٨.

(٦) يوجد هذا السند في إجازة مكتوبة بهامش خاتمة كتاب الشفا في مخطوطة مشرقية خ.م ٢٥٥٢، وسيرد التعريف بهذه النسخة عند الباب الثالث رقم ٢٠.

ومن جهة ابن سيد الناس عن ابن رشيق أيضاً: يسند الصفدي إلى الشفا، حسب «الوافي بالوفيات» ج٢٣: مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس ١٣٣٢٥: ورقة ٣٣.أ.

(٧) لا ذكر لترجمته بالمصادر التي رجعت لها، وذكره ابن حجر في «المعجم المفهرس» لوحة ٥٦: باسم محمد بن الحسن بن الخليلي.

(٨) في افتتاحية أصله من الشفا: حسب الملحق رقم ٥.

(٩) «التعلل برسوم الإسناد...» ص١٤٠.

فيرويها عن مجيزه فخر الدين الديمي، عثمان بن محمد بن عثمان المصري[١]: بسنده إلى المنذري عن ابن جبير..

وسيضاف إلى الرواة السبعة المشار إليهم: مجموعة يبلغ تعدادها خمسة عشر راوياً، وهم المدونة أسماؤهم في لائحة السماع على الرحالة الأندلسي، حيث سجل نصها على المجلد الأول من أصل الشيخ المسمع، المحفوظ بمخطوطات الأوقاف ببغداد رقم ٢٩٥٠.

وإلى ذلك تضاف ثمانية أسماء ضمن لائحة سماع أخرى، وهي بآخر المجلد الأول من مخطوطة للشفا بمكتبة الحرم المكي بمكة المكرمة رقم ٤١٦.

وسيرد نص هذه اللائحة عند الملحق رقم ١٠.

٤ ـ رواية ابن الصائغ سابق الذكر عند رقم ١٩.

يظهر أنها وصلت للمشرق بواسطة تلميذه ابن تامتيت «أحمد بن محمد بن حسين اللواتي الفاسي، فيذكر عنه ابن الآبار[٢]، أنه لحق بالمشرق وحدث بمصر وغيرها عن أستاذه ابن الصائغ.

غير أن الأسانيد التي سنشير لها إنما تتصل بابنه يحيى، الراوي بدوره للشفا عن ابن الصائغ ـ مباشرة ـ إجازة[٣] وقد اشتهر من المشارقة اثنان يسندون لكتاب أبي الفضل من طريق يحيى بن تامتيت.

الأول: أبو المحاسن الدلاصي: يوسف بن محمد بن محمد بن أبي الفتوح القرشي المصري[٤].

---

(١) ترجمته عند السخاوي في «الضوء اللامع» ٥/ ١٤٠ ـ ١٤٢.

(٢) عند ترجمته من «التكملة» ط. الجزائر رقم ٣٢٥، وتاريخ وفاته في «الوافي بالوفيات» رقم ٣٣٧٧.

(٣) رواية يحيى بن تامتيت هذه: أشار لها ابن مرزوق الخطيب في أحد أسانيده للشفا، حيث وردت عند إبراهيم بن هلال في «فهرسه» المخطوط خ.ع.ك ١٢٣٣، ثم ابن غازي في «التعلل برسوم الإسناد» ص١٨٨.

(٤) لا ذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر، ويسميه المقري بعبد الله بن عبد الحق القرشي المخزومي الدلاصي.. حسب «أزهار الرياض» ٤/ ٣٤١، وهذا له ترجمة مذكورة بعدد من كتب التراجم، ومنها في «برنامج الوادي آشي» رقم ٤٧.

الثاني ابن سيد الكل، الزبير بن علي الأزدي المهلبي، الأسواني ثم المدني نزيلها ودفينها(١).

فمن طريق الدلاصي نشير لثلاثة أسانيد:

أ ـ الحافظ ابن حجر العسقلاني: عن ناصر الدين ابن الفرات: محمد بن عبد الرحيم. حيث يذكر عنه السخاوي(٢): أنه أسمع ـ صغيراً ـ على الدلاصي وحدث بالشفا(٣).

ب ـ ابن مرزوق الكفيف: محمد بن محمد الحفيد بن أحمد بن محمد الخطيب بن أحمد العجيسي التلمساني(٤): عن والده محمد الحفيد(٥): عن الشيخين: ابن الكويك: محمد بن محمد بن عبد اللطيف الربعي القاهري(٦)، وابن الملقن: عمر بن علي بن أحمد الأنصاري القاهري(٧): كلاهما عن الدلاصي(٨).

ج ـ السخاوي: محمد بن عبد الرحمٰن(٩): عن محمد بن عبد الله الخطيب(١٠)، عن

---

(١) ترجمته عند الأدفوي في «الطالع السعيد...»: المطبعة الجمالية بالقاهرة ص١٢٩ ـ ١٣٠، ثم في «الدرر الكامنة» ٢/١١٣، حيث يسمي جده بسيد الكل، بينما يسميه المصدر الأول سيد الأهل.
وقد انفرد الأدفوي بذكر سماع ابن سيد الكل ـ مباشرة ـ من أبي العباس بن تامتيت، وهو شيء غير ممكن، اعتباراً بأن هذا الأخير كانت وفاته من مفتتح عام ٦٥٧هـ. حسب «الوافي بالوفيات» ٧/٣٨٤، بينما كنت ولادة ابن سيد الكل عام ٦٥٦هـ: «غاية النهاية» ١/٢٩٣، أو في عام ٦٦٠هـ: «الدرر الكامنة» ٢/١١٣، هذا فضلاً عن التاريخ الذي يحدده المصدر الأخير لرواية الأسواني عن ابن تامتيت. وهو عام ٦٧٥هـ. والذي كان بقيد الحياة في هذه الحقبة هو يحيى بن تامتيت، فيكون هو أستاذ ابن سيد الكل، وهو ما يسير عليه سياق ابن مرزوق الخطيب في أحد أسانيده للشفا الواردة عند إبراهيم بن هلال في فهرسه آنف الذكر، ثم السراج في افتتاحية أصله من الشفا: «الملحق» رقم ٥، وثالثاً: الرصاع في «فهرسه» نشر المكتبة العتيقة بتونس ص١١١، وغير هؤلاء.

(٢) «الضوء اللامع» ٧/٥١: عند ترجمة ابن الفرات.

(٣) أورد هذا السند السخاوي في «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر»: مخطوط خ.م. ١٥٠٠ ١/٧٥.

(٤) ترجمته في «نيل الابتهاج...» المنشور بهامش الديباج ص٣٣٠.

(٥) ترجمته بنفس المصدر ص٢٩٣ ـ ٢٩٩.

(٦) ترجمته في «الضوء اللامع» ٩/١١١.

(٧) ترجمته بالمصدر الأخير ٦/١٠٠ ـ ١٠٥.

(٨) ورد هذا السند في «ثبت» أحمد بن علي البلوي: مصورة مخطوطة الأسكوريال رقم ١٧٢٥ من فهرس بروفنسال.

(٩) كتب لنفسه ترجمة ذاتية «بالضوء اللامع» ٨/٢ ـ ٣٢.

(١٠) يعرف بالرشيدي. وترجمته في «الضوء اللامع» ٨/١٠١ ـ ١٠٢.

علي بن محمد السبع[١]، عن الدلاصي[٢].

ومن طريق ابن سيد الكل نعرض ثلاثة أسانيد للشفا:

أ ـ فيرويها كل من ابن مرزوق الخطيب المتكرر الذكر، والنويري: علي بن أحمد بن عبد العزيز العقيلي المكي[٣] كلاهما عن ابن سيد الكل[٤].

ب ـ أبو شامل الشمني[٥]: عن محمد بن أحمد المرغوشي[٦] بالإسكندرية، عن ابن سيد الكل[٧].

ج ـ أبو الطيب السحولي: محمد بن عمر بن علي اليمني ثم المكي. قال عنه السخاوي[٨]: «واحضر ـ في آخر الخامسة بالمدينة ـ على الزبير الأسواني: الشفا». ثم قال: «سمع منه الأئمة، سيما الشفا. فحدث به غير مرة لتفرده به في الدنيا، وممن سمع منه شيخنا (يعني ابن حجر العسقلاني). وذكره في معجمه. والتقي بن فهد».

وابن فهد هو محمد بن محمد بن محمد الهاشمي المكي[٩]، ومن طريقه عادت رواية ابن الصائغ إلى المغرب الأوسط، فيرويها الشريف التلمساني[١٠]: محمد بن علي بن أبي الشرف الحسني ـ في افتتاحية شرحه للشفا[١١] ـ عن المحب النويري: أحمد بن محمد بن محمد العقيلي المكي[١٢] في منزله ـ بمكة ـ سنة ٩٢٠هـ، عن التقي بن فهد، عن السحولي، عن ابن سيد الكل.

---

(١) ترجمته في «الدرر الكامنة» ٣/ ١١١، ثم في «شذرات الذهب» ٦/ ٣٤٠، وقد ضبط فيها «السبع» بفتح فسكون.

(٢) ورد هذا السند في «التعلل برسوم الإسناد...» ص١٥٢ ـ ١٥٣.

(٣) «الدرر الكامنة» ٣/ ١٧.

(٤) جاء هذا السند في ثبت البلوي سابق الذكر وشيكاً.

(٥) ترجمته في «الضوء اللامع» ٩/ ٧٤ ـ ٧٥.

(٦) لا ذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر.

(٧) أورد هذا السند التلمساني في افتتاحية شرحه للشفا خ.ع.ك ١٣٤٠: ص٤.

(٨) «الضوء اللامع» ٨/ ٢٥١ عند ترجمته.

(٩) ترجمته بالمصدر الأخير ٩/ ٢٨١ ـ ٢٨٣.

(١٠) ترجمته في «نيل الابتهاج» ص٣٣٦.

(١١) المخطوط الآنف الذكر: ص٤.

(١٢) ترجمته عند الغزي في «الكواكب السائرة...» ١/ ١٢٦.

كما عادت نفس الرواية إلى تونس من طريق أبي القاسم البرزلي، عن الزبيدي[١]، عن ابن مرزوق الخطيب، عن ابن سيد الكل[٢].

وعادت إلى المغرب الأقصى من طريق محمد بن أحمد بن غازي سابق الذكر، وهو يتصل بالدلاصي بسند كل من ابن مرزوق الكفيف والسخاوي.

ويتصل بابن سيد الكل، بسند كل من ابن مرزوق الخطيب والشمني[٣].

وقد مر تفصيل الأسانيد الأربعة وشيكاً.

وإلى هنا نتابع تقديم بقية روايات الشفا حسب العرض التالي:

٥ ـ رواية ولد المؤلف: محمد بن عياض مار الذكر رقم ١.

ومن الأسانيد إليها: رواية مسلسلة بالأباء: من طريق ابن مرزوق الكفيف محمد، عن أبيه محمد الحفيد، عن أبيه محمد[٤] وعمه أبي الطاهر أحمد[٥]، عن أبيهما محمد ابن مرزوق الخطيب، عن سبط حفيد القاضي عياض: أبي المجد أحمد[٦]، عن أبيه محمد[٧]، عن أبيه عياض الحفيد[٨]، عن أبي محمد، الراوي عن والده القاضي أبي الفضل عياض مصنف الشفا[٩].

٦ ـ رواية أبي عبد الله بن زرقون مار الذكر رقم ٣.

يسندها ابن أبي الربيع القرشي ـ سابق الذكر ـ من طريقين:

أ ـ عن ابن خلفون: محمد بن إسماعيل بن محمد الأزدي الأونبي[١٠]، عن أبي

---

(١) ترجمته في «نيل الابتهاج» ص٢٢٥ ـ ٢٢٦، وله ترجمة موسعة في «فهرس الرصاع».

(٢) أورد هذا السند الرصاع في فهرسه ص١٠١.

(٣) «التعلل برسوم الإسناد..» ص٤٦، ١٥٢ ـ ١٥٣، ١٨٧ ـ ١٨٨.

(٤) لا ذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر.

(٥) لا ذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر.

(٦) لا ذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر.

(٧) ترجمته في «الإحاطة» ٢/٢٢٦ ـ ٢٢٩.

(٨) ترجمته في «التكملة» ق١٩٥٢، ثم في «صلة الصلة»: القطعة المطبوعة رقم ٣٢٢، مع الإحاطة ٤/٢٢١.

(٩) هذا السند أحد طرق ابن مرزوق «للشفا»، ونقله عنه إبراهيم بن هلال في «فهرسه» وابن غازي في «التعلل برسوم الإسناد..» ص١٨٨ من النص المطبوع، مع الرجوع إلى بعض مخطوطات الفهرس.

(١٠) ترجمته في «برنامج ابن أبي الربيع» المنشور في مجلة معهد المخطوطات العربية: بالجزء الثاني من المجلد الأول ص٢٦٠.

عبد الله بن زرقون، عن القاضي أبي الفضل عياض[١].

ب ـ وعن أبي القاسم بن بقي: أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن الأموي[٢]، عن أبي عبد الله بن زرقون[٣]...

وإلى هذا السند الأخير ترجع رواية ابن غازي المكناسي للشفا: من طريق شيخه عبد الله بن عبد الواحد الورياجلي[٤]. بسنده المبسوط في التعلل برسوم الإسناد[٥].

ويسند السراج[٦] هذه الرواية عن شيخه أبي علي الحكيم: عمر بن أحمد بن عمر القرشي العبدري[٧] عن أبي عبد الله بن صالح[٨] عن أبي برطلة: عبد الله بن عبد الرحمن الأزدي[٩]، عن أبي الحسين بن زرقون محمد[١٠]، عن والده أبي عبد الله محمد بن سعيد صاحب الرواية..

٧ ـ رواية ابن مضاء وابن فليح، وقد مر ذكرهما رقم ٥، ٦.

يرويها محمد بن علي بن محمد بن عبد الغافر الجملي[١١]: عن أبي عبد الله الطنجالي سابق الذكر، عن ابن حوط الله: عبد الرحمن بن عبد الله بن سليمان الأنصاري الأندي سابق الذكر، عن ابن مضاء وابن فليح: كلاهما عن القاضي أبي الفضل عياض.

٨ ـ رواية ابن مضاء، مع ابن حكم سابق الذكر عند رقم ٧.

---

(١) ورد هذا السند بنفس المصدر ص٢٦٦.

(٢) ترجمته بنفس البرنامج ص٢٥٩.

(٣) ورد هذا السند في «التعلل برسوم الإسناد» ص١١٨.

(٤) ترجمته في «سلوة الأنفاس» ٣/٣٠٣ ـ ٣٠٤.

(٥) ص١١٨.

(٦) في افتتاحية أصله من «الشفا» حسب الملحق رقم ٥.

(٧) ترجمته عند السراج في «فهرسه»: الجزء الأول مخطوط خ.ع.ك ١٢٤١.

(٨) ك ـ ترجمته في «الذيل والتكملة» ٦/ رقم ٦٧٢، مع «عنوان الدراية...»: الطبعة الثانية ص١٠٤ ـ ١٠٧.

(٩) ترجمته في «غاية النهاية» رقم ١٧٩٧.

(١٠) ترجمته في «برنامج شيوخ الرعيني» رقم ١١.

(١١) ترجمته في «الدرر الكامنة» ٤/٦٨، والجملي نسبة إلى جملة بضم أولها وفتح الثاني وتشديد اللام: من أعمال مرسية، حسب التكملة ق٩١٣. ونسخة رواية الجملي: سيرد التعريف بها عند الباب الثالث رقم ٣٠، ٣١، ٣٢.

يرويها السراج(١) عن الطنجالي، عن ابن حوط الله، عن ابن حكم وابن مضاء.

٩ ـ **رواية ابن الحداد**، سابق الذكر عند رقم ٩.

رواها السراج(٢) عن أبي الربيع الأنفاسي، سليمان بن يوسف بن عمر الفاسي(٣)، عن أبي عبد الله اللوشي: محمد بن يوسف اليحصبي(٤) عن ابن ربيع المالقي: عبد الله بن أبي عامر يحيى بن عبد الرحمٰن الأشعري(٥)، عن محمد بن عياض، عن أبيه عياض الحفيد، عن أبي بكر بن الحداد، عن المؤلف سماعاً.

١٠ـ **رواية ابن الحداد، مع محمد بن أحمد العزفي** سابق الذكر عند رقم ١٠.

يسندها السراج(٦) عن ثلاثة من أشياخه: أبي حمد الوانغيلي عبد الله بن عمر الفاسي(٧) وأبي محمد العمراني، عبد النور بن محمد بن أحمد الحسني الفاسي(٨) وابن عمر: محمد بن محمد بن عبد الرحمٰن اللخمي الفاسي سابق الذكر.

ثلاثتهم عن أبي الحسن القرطبي: علي بن سليمان الأنصاري الفاسي سابق الذكر.

عن ثلاثة من أشياخه: ابن أبي الربيع القرشي المتكرر الذكر، وأبي علي بن الناظر:

الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي الفهري الغرناطي(٩) ثم أبي الحجاج المربلي(١٠) ثلاثتهم عن أبي العباس العزفي أحمد(١١) عن أبيه القاضي محمد بن أحمد، وأبي بكر بن الحداد: كلاهما عن المؤلف.

١١ـ **رواية ابن قرقول** سابق الذكر رقم ١٢.

---

(١) في افتتاحية أصله من الشفا: بالملحق رقم ٥.

(٢) المصدر الأخير.

(٣) ترجمته في «سلوة الأنفاس» ٣/١٥٦ ـ ١٥٨.

(٤) ترجمته في «غاية النهاية» رقم ٣٥٥٤.

(٥) ترجمته في «التكملة» ق١٤٥٩.

(٦) في افتتاحية أصله من «الشفا» بالملحق رقم ٥.

(٧) ترجمته عند السراج بالجزء الأول من «فهرسه الآنف الذكر»، ثم في «سلوة الأنفاس» ٣/٣٠١.

(٨) ترجمته بالجزء الأول من فهرس السراج.

(٩) ترجمته في «الإحاطة» ١/٤٦٣ ـ ٤٦٥، مع «المرقبة العليا...» للنباهي، نشر دار الكاتب المصري، ص١٢٧، ثم «غاية النهاية» رقم ١١٠٦.

(١٠) ترجمته في «المصدر الأخير» رقم ٣٩١٠.

(١١) ترجمته في «برنامج شيوخ الرعيني» رقم ١٤.

أسندها في «المنح البادية»[١] إلى ابن سالم: أبي الربيع الكلاعي مار الذكر، عن القرطبي[٢] عن ابن قرقول، عن المؤلف.

١٢ـ رواية أبي الطاهر السلفي سابق الذكر عند رقم ١٣.

يرويها السراج[٣] بسنده إلى صلاح الدين العلائي: خليل بن كيكلدي سابق الذكر، عن شرف الدين محمد بن عبد الحميد بن عبد الله القرشي (المصري)[٤]، عن ابن بنت الجميزي: علي بن هبة الله (بن سلامة اللخمي المصري)[٥]. عن أبي طاهر السلفي، عن المؤلف.

ويرويها الشريف التلمساني شارح الشفا[٦] عن محب الدين النويري: أحمد بن محمد العقيلي المكي سابق الذكر، عن أبي العباس الحفار، أحمد بن محمد الدمشقي[٧] عن المسندة أم عبيدة الله زينب ابنة الكمال أحمد بن عبد الرحمٰن المقلسية[٨]، عن ابن بنت الجميزي آنف الذكر، عن أبي طاهر السلفي..

١٣ـ رواية ابن بشكوال سابق الذكر رقم ١٤.

أشار لها عبد الله التجاني عند افتتاحية تعاليقه على الشفا، وأسند إليها من طريق شيخه أبي القاسم الكلاعي، محمد بن قائد بن علي.

عن أبي إسحاق بن عياش. إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد العزيز التجيبي، وقد مر ذكرهما.

عن أشياخه القضاة: أبي عامر (بن أبي: يحيى بن عبد الرحمٰن بن أحمد بن

---

(١) مخطوطة خاصة، ومؤلفها هو محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي الفهري، المترجم في «سلوة الأنفاس» ١/ ٣١٩ ـ ٣٢٠.

(٢) قد يكون هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد الأنصاري الإشبيلي المعروف بالقرطبي، وهو مترجم في «برنامج شيوخ الرعيني» رقم ٣، ثم في «الذيل والتكملة» ٦/ رقم ٦٩٧.

(٣) في افتتاحية أصله من «الشفا» بالملحق رقم ٥.

(٤) ترجمته في «الدرر الكامنة» ٣/ ٤٩٣.

(٥) ترجمته عند الذهبي في كتابه «معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار»، مطبعة دار التأليف بمصر ص٥١٨ ـ ٥١٩، مع «غاية النهاية» رقم ٢٣٦٦.

(٦) في افتتاحية شرحه «للشفا»: ص٤.

(٧) قد يكون هو المترجم عند السخاوي في كل من «الضوء اللامع» ٢/ ١١٠، مع «التحفة اللطيفة» رقم ٢٧١، وفي المصدرين معاً يلقب المترجم بالحجار بالجيم، بدل الحفار بالفاء الوارد بالنص الذي نعلق عليه.

(٨) ترجمتها في «الدرر الكامنة» ٢/ ١١٧ ـ ١١٨. باسم زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم.

عبد الرحمٰن) بن ربيع الأشعري نسباً ومذهباً، القرطبي[١].

وأبي الوليد بن الحاج: (محمد بن أحمد بن محمد) التجيبي (القرطبي)[٢].

وأبي أمية بن عفير: (إسماعيل بن سعد السعود بن أحمد) الأموي (اللبلي)[٣].

ثلاثتهم عن ابن بشكوال، عن المؤلف مكاتبه.

١٤ـ رواية أبي الطاهر السلفي مع ابن بشكوال.

من طريق السراج[٤]: بسنده إلى صلاح الدين العلائي المتكرر الذكر، عن أبي بكر محمد بن عبد الرحمٰن الصالحي[٥]، عن أبي القاسم عبد الرحمٰن بن مكي[٦]، عن الشيخين: أبي طاهر السلفي وأبي القاسم بن بشكوال، عن المؤلف.

١٥ـ رواية ابن أبي، عبد الرحمٰن بن ربيع سابق الذكر عند رقم ١٥.

يرويها السراج[٧] بسنده إلى ابن ربيع المالقي: عبد اللّٰه سابق الذكر، عن أبيه أبي عامر يحيى سابق الذكر، عن أبيه عبد الرحمٰن بن ربيع، عن المؤلف.

١٦ـ رواية أبي محمد الحجري سابق الذكر عند رقم ١٦.

يرويها ابن أبي الربيع القرشي المتكرر الذكر، عن جماعة فيهم أبي القاسم بن بقي: أحمد بن يزيد سابق الذكر، عن أبي محمد الحجري، عن المؤلف[٨].

١٧ـ رواية الحجري وابن الغازي:

يرويها السراج[٩] بسنده إلى أبي جعفر بن الزبير: أحمد بن إبراهيم الثقفي

---

(١) ترجمته في «التكملة» ق٢٠٦٨، مع «صلة الصلة»: القسم المنشور رقم ٣٨٧، ثم «المرقبة العليا» ص١٢٤.
(٢) ترجمته في «التكملة» ق١٠٢٤.
(٣) ترجمته في «التكملة» ط الجزائر: ٤٩٦.
(٤) في افتتاحية أصله من «الشفا»: بالملحق رقم ٥.
(٥) لا ذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر.
(٦) هو سبط السلفي، وورد اسمه ضمن الآخذين عن جده، حسب «تذكرة الحفاظ» ص٣٠٠، وأشار لتوقيت وفاته في «النجوم الزاهرة» ٣١/٧.
(٧) في افتتاحية أصله من «الشفا»: بالملحق رقم ٥.
(٨) ورد هذا السند في «برنامج ابن أبي الربيع». المنشور في مجلة معهد المخطوطات العربية: بالجزء الثاني من المجلد الأول ص٢٦٦.
(٩) في افتتاحية أصله من «الشفا» بالملحق رقم ٥.

العاصمي الجياني نزيل غرناطة[1] عن شيخه: أبي عبد الله الأزدي سابق الذكر، وأبي الحسن الشاري: علي بن محمد بن علي الغافقي السبتي[2]، كلاهما عن ابن الغازي وأبي محمد الحجري، عن المؤلف.

١٨ـ **رواية ابن الفرس** سابق الذكر عند رقم ١٧، ومعه ابن حكم.

يرويها الجملي[3] عن الطنجالي ـ وقد سبق ذكرهما ـ عن أبي الوليد العطار وعبد الرحمن بن حوط الله وسبق ذكرهما: كلاهما عن ابن حكم وابن الفرس، عن المؤلف.

١٩ـ **رواية ابن أبي جمرة** مار الذكر عند رقم ١٨.

يرويها السراج عن الرعيني: محمد بن سعيد بن محمد الفاسي[4]، عن أبي القاسم بن الشاط: قاسم بن عبد الله بن محمد الأنصاري السبتي[5]، عن ابن مشليون: محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري البلنسي[6]، عن ابن أبي جمرة، عن المؤلف.

٢٠ـ **رواية الشقوري**: سابق الذكر عند رقم ٢٠.

وهي من الروايات المذكورة بالشرق، فيسند إليها ابن مرزوق[7] الخطيب من ثلاث طرق.

أ ـ عن محمد بن إبراهيم بن مرتضى الكناني المصري[8]، عن أبي إسحاق إبراهيم بن يحيى بن محمد الفاسي[9]، عن أبي بكر بن مسدي: محمد بن يوسف بن موسى الأندلسي ثم المكي خطيب المسجد الحرام[10] عن أبي الحسن الشقوري، عن المؤلف.

---

(١) ترجمته في «الذيل والتكملة» ١/ رقم ٣١.
(٢) ترجمته في «التكملة» ق١٩٢٢، مع القطعة المنشورة من «صلة الصلة»: ١٠٠.
(٣) عند افتتاحية نسخته من الشفا، حيث سيرد ذكرها عند رقم ٣٠، ٣١، ٣٢ من الباب الثالث.
(٤) ترجمته عند السراج بالجزء الأول من «فهرسه سابق الذكر، مع سلوة الأنفاس» ٣/ ٢٧٧.
(٥) ترجمته في «برنامج الوادي آشي» رقم ٢٦٢.
(٦) ترجمته في «الذيل والتكملة» ٦/ رقم ٥٨.
(٧) حسب إبراهيم بن هلال في فهرسه المتكرر الذكر.
(٨) ترجمته في «التحفة اللطيفة» رقم ٣٥٩٧.
(٩) لا ذكر لترجمته بالمصادر التي رجعت لها.
(١٠) ترجمته في «الوافي بالوفيات» رقم ٢٣٣٥، مع «العقد الثمين» رقم ٤٩٣.

ب ـ وأعلا منها بدرجة: عن محمد بن عبد المعطي القرشي المكي[١] عن ابن مسدي، عن الشقوري. .

ج ـ وبنفس العلو: عن أبي العباس العشاب: أحمد بن محمد بن إبراهيم المرادي القرطبي نزيل الإسكندرية[٢]، عن أبي إسحاق بن عياش، إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد العزيز التجيبي سابق الذكر، عن الشقوري.

ورابع الطرق إلى هذه الرواية: عن الفخر التوزري: عثمان بن محمد بن عثمان المصري نزيل مكة المكرمة[٣]، عن ابن برطلة: عبد الله بن عبد الرحمٰن الأزدي سابق الذكر، عن الشقوري[٤].

وساق السراج[٥] سنده لهذه الرواية، إلى ابن ربيع المالقي، عبد الله بن أبي عامر سابق الذكر، عن أبي عبد الله الطراز: محمد بن سعيد بن علي الأنصاري الغرناطي[٦]، عن الشقوري.

٢١ـ رواية أبي محمد خليل السكوني مار الذكر رقم ٢١.

أسندها في المنح البادية إلى الفخر ابن البخاري[٧]، وابن الزبير: كلاهما عن أبي الخطاب بن خليل، محمد[٨]، عن أبيه أحمد[٩]، عن أبيه خليل السكوني، عن المؤلف.

٢٢ـ رواية أبي القاسم بن الملجوم، سابق الذكر رقم ٢٢.

---

(١) ترجمته بالمصدر الأخير رقم ٢٨٠، غير أنه ذكر في نسبته الأنصاري الخزرجي، لا القرشي.

(٢) «برنامج الوادي آشي» رقم ٩٣، مع «الوافي بالوفيات» رقم ٣٣٠٥، ثم «الدرر الكامنة» ١/ ٢٤١، وجاء في ترجمته من الوافي: «وسمع الشفاء عن أبي إسحاق بن عياش التجيبي، بسماعه من الشقوري، عن مؤلفه: إجازة».

(٣) ترجمته في «برنامج الوادي آشي» رقم ٢٢٦، مع «العقد الثمين. . .» رقم ١٩٦٨.

(٤) هذا السند الأخير: عند الفاسي في «العقد الثمين» ٦/ ٤٤ ـ ٤٥.

(٥) في افتتاحية أصله من الشفا: بالملحق رقم ٥.

(٦) ترجمته في «التكملة» ق١٠٣٢، مع «الذيل والتكملة» ٦/رقم ٦١٣، ثم «الديباج المذهب» ص٢٩٧.

(٧) ترجمته في «غاية النهاية» رقم ٢١٥١.

(٨) ترجمته في «الذيل والتكملة» ٥/ رقم ١٢٠٠.

(٩) ترجمته في «الذيل والتكملة» ١/ رقم ١٤٨، وفي «المنح البادية» يسمى هذا بمحمد، وهو سبق قلم عن أحمد الذي هو اسم والد أبي الخطاب.

تسندها طالعة نسخة من «الشفا» عن محمد بن أحمد بن فرح الأنصاري الأندلسي[١]، عن أحمد بن عمر الأنصاري[٢]، عن أبي القاسم بن الملجوم، عن المؤلف.

الباب الثالث
جملة من أصول كتاب الشفا

تبينا وفرة رواة الشفا عن المؤلف فمن بعده، وقد استتبع ذلك تعدد أصول الكتاب بالمغرب والمشرق، وفي هذا الاتجاه يقول المقري[٣] بعدما يستعرض جملة من الشارحين:

«. . . . وكما اعتنى الناس بذلك: اعتنوا ـ أيضاً ـ بتصحيحه وضبطه وإتقانه، ولقد وقفت ـ والكلام للمقري ـ من نسخه الصحاح على عدة. .».

ويمكن تصنيف هذه النسخ في قسمين: أصول غير معروفة الآن، غير أنها تأتي الإحالة عليها عند الاقتضاء، فيحسن التعريف بها في مدخل يتقدم عرض الأصول الباقية التي هي القسم الثاني من هذا الباب.

١ ـ فمن القسم الأول: **أصل المؤلف أبي الفضل عياض**، وكان من ستة أجزاء[٤] ولا

---

(١) ترجمته في «الذيل والتكملة» ٥/ رقم ١١٥٤.

(٢) ترجمته في «الذيل والتكملة» ١/ رقم ٤٤٨.

(٣) «أزهار الرياض» ٤/٣٠٨.

وفي اتجاه وفرة منتسخات الشفا بصفة عامة: نشير إلى وراق من تلمسان كتب ـ بخطه ـ ٧١ نسخة، واسمه أحمد «اليافوخ» بن محمد ـ بفتح أوله ـ بن محمد ـ بضم أوله ـ الحلفاوي، الأندلسي ثم التلمساني، فيسجل آخر منتسخة له من نفس الكتاب خ.م ٢٢٦٦: أنه علق من الشفا ٧١ نسخة، وكان فراغه من هذه زوال يوم الأربعاء الثاني من ذي الحجة عام ١١٤٩هـ.

ومما يؤكد هذه القولة من الوراق التلمساني: وجود بعض نسخ أخرى بخطه من كتاب أبي الفضل، وفي آخرها يشير إلى العدد الذي انتهى إليه: فمخطوطة دار الكتب الوطنية بتونس: هي التاسعة والعشرون، وفرغ منها عام ١١٤١هـ. حسب «برنامج المكتبة العبدلية» ٢/ ٢٥٤.

ومخطوطة خ.م. ٢١٨ ز: هي التاسعة والستون، وفرغ منها ضحوة يوم الاثنين ٢٤ جمادى الآخرة ١١٤٩هـ.

هذا مع العلم بأن الوراق الجزائري كانت آخر منسخاته المعروفة ترجع إلى عام ١١٥٥هـ. وهو تاريخ فراغه من كتابة جزء من «الاكتفا» للكلاعي، حسب «رصيد مكتبة حسن حسني عبد الوهاب» ص٣٥٣.

(٤) «التعريف بالقاضي عياض» لولده محمد، مطبعة [illegible] ص١١٦، وعلى هذه التجزئة سارت =

يعرف ـ الآن ـ إلا من خلال إشارات له في بعض أصول الشفا المتفرعة عنه.

٢ ـ ومنها **نسخة ابن الغازي** تمليذ المؤلف: محمد بن حسن بن عطية الأنصاري الجابري السبتي سابق الذكر، وهي مقابلة بكتاب المؤلف مرتين: إحداهما من ابن الغازي نفسه، والثانية من جهة خاله محمد بن سليمان بن سبع (السبتي) سنة ٥٢٢هـ[(١)].

٣ ـ ثم **نسخة أبي عبد الله الطراز**: محمد بن سعيد بن علي الأنصاري الغرناطي سابق الذكر، والمتوفى ـ ببلده ـ عام ١٢٤٨/٦٤٥[(٢)].

٤ ـ وقد عارضها بأصل شيخه أبي العباس العزفي: أحمد بن القاضي محمد بن أحمد اللخمي السبتي سابق الذكر، وهو على رواية ابن الغازي[(٣)].

ثم قابلها بكتاب المؤلف عام ٦١٣هـ بقرطبة[(٤)].

٥ ـ وعلى أصل المؤلف ـ أيضاً ـ صحح نسخته الجملي: محمد بن علي بن محمد بن عبد الغافر الأنصاري المالقي سابق الذكر، والمتوفى عام ١٣٢٩/٧٢٩، وهي على رواية كل من ابن مضاء وابن فليح[(٥)].

٦ ـ وبعد الجملي ينقل عن **خط المؤلف** عبد الله بن أحمد بن سعيد الزموري خلال شرحه للشفا، وقد ألفه أواسط المائة الهجرية التاسعة[(٦)].

= الأصول المغربية من كتاب الشفا، وهناك تجزئات أخرى على غير نسق المؤلف، ومنها ٢٤ أو ٣٠ جزءاً. . .

(١) هذا وارد ضمن الملحق رقم ٢، وابن سبع المذكور لا تعرف له ـ الآن ـ ترجمة، وقد ضبط الزرقاني كلمة سبع بإسكان الباء وقد تضم، نقله عن التبصير، «شرح المواهب اللدنية»: المطبعة الأزهرية المصرية ١/ ٤٢.

(٢) جاءت الإشارة لها بالملحقات ١، ٢، ٤، وقد استمر أصل الطراز معروفاً حتى منتصف المائة الهجرية التاسعة، فيقف عليه عبد الله الزموري، ويعتمده في شرحه للشفا آتي الذكر.

(٣) وردت الإشارة له بالملحقات ١، ٢، ٣.

(٤) الملحق ٤.

(٥) الملحق ٩، وانظر الملحق ٨.

(٦) أصله لوالده أحمد بن سعيد بن يحيى، ولما توفي أضاف له ابنه ـ المنوه به ـ زيادات، وسماه «إيضاح اللبس والخفاء. عن ألفاظ الشفاء». لا يزال مخطوطاً في نسخ محدودة، واحدة منها في مجلد بخزانة القرويين رقم ٤٩/٢٧٩٠، ولمؤلفه ـ الابن ـ ترجمة وجيزة في نيل الابتهاج ص١٦١ ثم في «طبقات الحضيكي»: المطبعة العربية بالدار البيضاء ٢/ ١٦٥، وبالمصدرين ـ مما ـ تمدد حياة المترجم إلى عام ٨٨٨هـ.

٧ - ويعتمد الزموري - أيضاً - أصل القاضي العزفي: محمد بن أحمد» بن محمد اللخمي السبتي مار الذكر، فيشير إلى أن به خط المؤلف.

٨ - كما اعتمد كلاً من أصل الطراز المنوه به وشيكاً، وأصل ابن خلصة (قد يكون هو محمد بن عبد الرحمٰن بن أحمد اللخمي البلنسي المتوفى - بالمرية - عام ٥٢١/ ١١٢٦)[١].

٩ - ومن هذه الأصول ننتقل إلى نسخة ابن القصير تلميذ المؤلف عبد الرحمٰن بن أحمد بن أحمد الأزدي الغرناطي، المتوفى - بتونس - عام ٥٧٦/ ١١٨٠.

وكان نقلها - حسب المقري -[٢] من نسخة عليها خط المؤلف، وفرغ منها في رمضان ٥٥٩/ ١١٦٤، وهي على رواية ابن الخلوف مار الذكر بلائحة رواة الشفا - سماعاً - على المؤلف، وقد وقف عليها المقري وأفاد منها.

١٠- ثم نسخة عياض الحفيد بن محمد بن القاضي أبي الفضل، المتوفى - بمالقة - عام ٦٣٠/ ١٢٣٣: أشار لها يحيى السراج، حسب الملحق رقم ٦.

١١- نسخة أبي القاسم القبتوري: خلف بن عبد العزيز بن محمد الغافقي الإشبيلي نزيل سبتة، والمتوفى - بالمدينة المنورة - عام ٧٠٤/ ١٣٠٤، وهي على رواية ابن حكم، وقد جبر منها ابن رشيد بعض أصله[٣]، ثم صارت من النسخ المرجوع لها في بعض النسخ المشرقية، كما سيتضح ذلك عند ذكر الأصلين رقم ١٩ - ٢٠.

١٢- نسخة ابن رشيد: محمد بن عمر بن محمد الفهري السبتي، المتوفى - بفاس - عام ٧٢١/ ١٣٢١، وهي - بدورها - على رواية ابن حكم، وقد سمع فيها يحيى السراج على شيخه أبي الربيع الأنفاسي، وعارض نسخته بها، حسب الملحقين رقم ٥ - ٦.

وستكون نسخة ابن رشيد قد كملت اثنتي عشرة من نسخ الشفا التي تعتبر - الآن - ضائعة، غير أن هذه جاءت تمهيداً لعرض جملة من المخطوطات الأصيلة الباقية من الكتاب ذاته:

---

(١) ترجمته في «الذيل والتكملة» ٦/ رقم ٨٩٤.

(٢) «أزهار الرياض» ٤/ ١٧٥، ٣٠٨، مع ص ٣٤٩ - ٣٥٠، ولابن القصير ترجمة في التكملة ق١٦٠٧.

(٣) الملحق رقم ٧.

١٣ـ انطلاقاً من **نسخة المكتبة الخالدية** بالقدس الشريف، وهي بخط أندلسي من سنة ٥٩٣هـ، ومقابلة على نسخة المؤلف الأصلية(١).

١٤ـ نسخة خزانة تمكروت رقم: ٢٩٤٢، وهي برواية أبي القاسم عبد الرحمٰن ابن الملجوم الفاسي، سابق الذكر عند لائحة رواة الشفا ـ بالإجازة ـ عن المؤلف.

الموجود منها المجلد الأول مبتور الآخر، ومكتوب بخط شرقي نسخي، وجاءت افتتاحيته كالتالي:

«أخبرنا الشيخ. . محمد بن أحمد بن أبي فرج الأنصاري الأندلسي بمنى، ومن أصله نقلت، قال: أنا أحمد بن عمر الأنصاري، قال: أنا أبو القاسم عبد الرحمٰن عرف بابن الملجوم، عن مؤلفه عياض».

١٥ـ نسخة الرحالة أبي الحسين بن جبير سابق الذكر، يوجد المجلد الأول منها ضمن مخطوطات الأوقاف ببغداد رقم: ٢٩٥٠، وعليه سماع مكتوب بخط شرقي نسخي، وموقع بخط ابن جبير على الطريقة الأندلسية عام ٦١٣هـ، وهذا نص السماع:

«سمع جميع هذا التصنيف على الشيخ الفقيه الإمام العالم، بقية السلف الصالح: أبي الحسين: محمد بن أحمد بن جبير الكناني، رضيَ الله عنه وأدام مدته، بقراءة الشيخ الفقيه العالم، جمال الدين: أبي الفضل عبد الصمد بن أبي علي الحسين بن يوسف الأصبحي.

الشيخ الفقيه الزاهد: أبو محمد عبد المنعم بن محمد الخيمي.

والفقيه: أبو حفص عمر بن علي بن أبي سعيد. . . الكسي.

والفقيه المؤدب: عبد الوهاب بن طاهر بن إبراهيم الحاسب.

والفقيه: محمد بن أحمد الشاطبي.

والفقيه: عبد النصير بن علي بن عبد المحسن الهمداني.

والفقيه: أبو المنصور عبد الوهاب بن أبي الفضل اللخمي.

والفقيه: مفرج بن محمد بن مفرج النباتي.

---

(١) «تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان: الترجمة العربية ٦/٢٦٨.

والفقيه: أبو الفتوح بن سند بن سيف السعدي.

وولد أخته: أبو الفتوح منصور بن سليمان بن معمر اللخمي البياضي.

وهبة الله بن محمد بن الحسين بن مفرج بن حاتم المقدسي: كاتب هذا السماع المذكور فيه.

وريحان مولاه الحر المسلم.

ومن سمع الأكثر وفاته البعض، وأجاز لهم الشيخ الفقيه المسمع المذكور، أن يرووا عنه ما لم يسمعوه بالإجازة المعتبرة بين أهل العلم:

الفقيه المؤدب مظفر بن رسلان بن عنان...

وعبد الرحمٰن بن محمد بن علي الجرخي.

وولد أخته: علي بن حسين بن إسماعيل الأزدي.

وذلك في عدة مجالس، آخرها الحادي والعشرون من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة، والحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وسلامه...».

ويلي ذلك توقيع ابن جبير بخطه الأندلسي هكذا: «صحيح ذلك، وكتب محمد بن أحمد بن حسين بن محمد بن جبير الكناني، وبالله التوفيق»[(١)].

١٦ـ مخطوطة دار الكتب الظاهرية رقم: ٥٤٥ حديث، الموجود: المجلد الأول منها برواية عبد الله بن أحمد (بن محمد) بن عطية القيسي (المالقي) سنة ٦١٧ وسنة ٦١٨، بسند يتصل بالمؤلف، وهي بخط أندلسي عريض مشكول[(٢)].

١٧ـ نسخة ابن فرج: علي بن محمد بن علي القيسي الفيحاطي نزيل غرناطة، والمتوفى ـ بها ـ عام ٦٦٤/ ٦٥ ـ ١٢٦٦.

من مخطوطات الخزانة العامة بالرباط رقم ٤٠٧ ق: في ٢٧٨ ص أصلاً وتقديماً وتذييلاً، مسطرة ٢٥، مقياس ٢٧٠/ ٢٠٠.

كتبها ابن فرج المنوه به بخط أندلسي مليح متقن مصحح ملون بالحمرة، ومهمش

---

(١) «الكشاف عن مخطوطات خزائن الأوقاف» في (بغداد) ص٥٢ ـ ٥٣، مع التصحيح من مصورة للسماع واردة عند الزركلي في «الأعلام» ٦/ بعد ص٢٢٤، والبياض بالسماع يشير لكلمات لا تتبين قراءتها.

(٢) «فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية»: جزء التاريخ وملحقاته: ص٥٤، وترجمة راوي المخطوطة في «التكملة» ق١٤٦٠، مع القطعة المخطوطة من «صلة الصلة».

بإشارات للفروق وغيرها، ثم فرغ من انتساخها لأربع خلون من شهر شعبان عام ٦٣٢هـ.

وكان قد نقلها وقابلها من أصل شيخه أبي عبد الله الطراز الذي خطه بيده، وقابله وصححه في سبتة بأصل شيخه أبي العبّاس العزفي، المصحح بأصل ابن الغازي، المقرؤ على مؤلفه مرتين.

ثم قابل الطراز كتابه بأصل المؤلف أبي الفضل، مصححاً له به، متحرياً في نقل ما فيه.

كما أن ابن فرج أعاد معارضة نسخته بأصل المؤلف، وفرغ من ذلك في أخريات رمضان ٦٤٣هـ.

وقد فصل ابن فرج سير هذه التحريات التي اتبعت في كتابة نسخته ونسخة أستاذه الطراز، وشرح ذلك في فقرات أثبت بعضها في افتتاحية الكتاب، والبعض الآخر في خاتمته: في بضعة نصوص سترد ـ كاملة ـ عند الملحقات رقم ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤.

ومن هذا العرض نتبين مدى أهمية نسخة ابن فرج، ولذلك اعتمدها المسند المغربي أبو زكرياء السراج: يحيى بن أحمد بن محمد النفزي الفاسي المتوفى ـ بها ـ عام ٨٠٥/ ٠٢ ـ ١٤٠٣، فأعاد مراجعتها، مقابلاً لها على أصل ابن رشيد وغيره، ثم همشها ـ بخطه ـ بعلامات الفروق، وبخطه ـ أيضاً ـ صدر النسخة المنوه بها بذكر أسانيده للشفا: في عرض موسع استوعب قرابة ثلاث صفحات في حجم الأصل، فضلاً عن فقرة تعرف بنسخة ابن رشيد، وفقرة تشرح الإشارات التي أضافها السراج لنسخة ابن فرج.

وبذلك كله كانت هذه النسخة هي المفضلة بالمغرب في رواية «الشفا» من طريق ابن الغازي، وصارت هي عمدة النسخ المغربية المكتتبة بعد، حيث سنشير لبعضها ضمن نسخ الكتاب الفرعية.

كما سنثبت ـ عند الملحقات رقم ٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ فقرات عروض السراج التي صدر بها أصل ابن فرج.

١٨ـ نسخة ابن ربيع: أبي عمرو بن محمد بن عبد الله بن يحيى الأشعري، كتبها بخط أندلسي متقن، إلا قليلاً بخط مغربي عوضاً عن الضائع، وفرغ منها ليلة ١٣ من شعبان ٦٩٧هـ، ناقلاً لها من أصل كان عليه: «نسخ من أصل عتيق عليه خط

مؤلفه». وهي تامة في سفر ضخم بخزانة القرويين رقم ٢٥٢[١].

١٩ـ نسخة مشرقية من الشفا: في خزانة خاصة، وهي مبتورة الطرفين، فتبتدىء أثناء الباب الثاني من القسم الأول عند أوائل فصل: الضرب الثاني. . . ثم تنتهي مع مبادىء الباب الأول من القسم الثالث عند نهاية فصل: في حكم عقد قلب النبي ﷺ من وقت نبوته.

٥٠٦ ص، مسطرة ١٧، مقياس.

مكتوبة ـ على ورق متين ـ بخط عريض مليح ملون مذهب مشكول من نوع الثلث المشرقي، تتخلله ـ بالأصل والهوامش ـ إشارات المقابلة، في علامات منوعة وبلاغات تساير كتابة النسخة[٢].

وضمن المقارنة بأصول متعددة: يأتي التصريح ـ في بعض الهوامش ـ بالمعارضة مع أصلي أبي القاسم القبتوري وأبي الحسين بن جبير، هامش ص ١٦٢ و٢٣٤ بالنسبة إلى القبتوري، ثم هامش ص ١٣٨ و٣٤٦ و٤٥٥ بالنسبة لابن جبير، هذا فضلاً عن إشارات كثيرة بحرف ق فيبدو أن المعنى هي نسخة القبتوري، حيث يقع احتذاؤها ـ أيضاً ـ في تجزئة الكتاب، حسب إشارة ص ١٨٣: «آخر الجزء الثاني عند ق».

ونظراً لانعدام بداية ونهاية هذه النسخة: فلا يضبط تاريخ كتابتها، غير أن عدداً من هوامشها مثقل بحواشي أغلبها من تقريرات الحافظ جمال الدين أبي الحجاج المزي: (يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف القضاعي الكلبي، المتوفى عام ٧٤٢/ ١٣٤١)[٣]، قرئها منه ـ في حياته ـ أحد الآخذين عنه، وقد تكون بخط تلميذه علم الدين البرزالي: القاسم بن محمد بن يوسف الإشبيلي ثم الدمشقي، المتوفى عام ٧٣٩/ ١٣٣٩[٤]، وبهذا الاعتبار يترجح أن تاريخ النسخة: حوالي نهاية المائة الهجرية السابعة تقريباً.

٢٠ـ نسخة مشرقية من الشفا: خ م. ٢٥٥٢: من تجزئة ٢٤ موزعة بين ستة أسفار. صفحاتها غير منتظمة الترقيم. مسطرة ١١، مقياس ٢١٥/ ١٦٠.

---

(١) «فهرس مخطوطات خزانة القرويين» دار الكتاب بالبيضاء، ١/ ٢٦٣.

(٢) انظر ص: ١٩، ٢١، ٧٨، ١٥٩، ٣٤٦، ٤٢٦.

(٣) ترجمته في «الدرر الكامنة» ٤/ ٤٥٧ ـ ٤٦١.

(٤) ترجمته بنفس المصدر ٣/ ٢٣٧ ـ ٢٣٩.

وخط البرزالي منه مصورة عند الزركلي في الأعلام ٦ بعد ص ٨.

مكتوبة ـ على ورق لين ـ بخط مشرقي يميل للثلث، حسن ملون مشكول، عار عن تاريخ النسخ واسم الناسخ.

معارضة بعدة نسخ، بينها أصلاً القبتوري وابن جبير المنوه بهما وشيكاً، كما تتخللها تعليقات هامشية من تقريرات الحافظ المزي.

هذا فضلاً عن بلاغات المقابلة في عدة صيغ، منها أربعة كالتالي:

أ ـ بلغ مقابلة بالأصل المنقول من نسخة أقبغاءا ص.

ب ـ بلغ مقابلة على يد مالكها: على المنشاوي على نسخ الشيخ شرف الدين محمد بن يحيى الأقصراويي.

ج ـ بلغ مقابلة على يد مالكها علي بن صدقة المنشاوي: من نسخة أقبغاءا ص.

د ـ بلغ مقابلة بالأصل المنقول منه على يد مالكها على نسخ أقبغاءا ص.

وأخيراً: يدون بهامش خاتمة الجزء الأخير: سماعان لكتاب «الشفا» مع الإجازة بها، برسم بدر الدين حسن بن محمد بن أحمد الشريف الإدريسي الأرميوني المالكي[1].

وقد انتهى السماع الأول بتاريخ ١٤ شعبان ٩٤١هـ. وضاع اسم الشيخ المسمع في خروق بآخر الورقة.

أما شيخ السماع الثاني: فهو ناصر بن حسن اللقاني[2]: بتاريخ ٩ ذي الحجة ٩٤٢هـ.

٢١ـ نسخة دار الكتب الظاهرية رقم ١١٩ حديث: في جزئين من رواية أبي جعفر (ابن الموازيني): محمد بن علي بن الحسين (السلمي المرداسي الدمشقي). المتوفى عام ٧٠٨/٠٨ ـ ١٣٠٩، مكتوبة بخطوط مختلفة، وبعضها لتكملة النسخة[3].

٢٢ـ نسخة دار الكتب المصرية رقم ٦١٨، وهي ـ حسب فهرس الكتبخانة الخديوية[4] ـ

---

(١) لا ذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر.

(٢) اسمه محمد بن حسن، وله ترجمة وجيزة في «معجم المؤلفين» ٩/٢٠٣.

(٣) «فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية»: جزء التاريخ وملحقاته: ص٥٣.
وترجمة راوي المخطوطة في «الوافي بالوفيات» ٤/٢١٣.

(٤) الطبعة الثانية ١/ ٣٦٤.

بخط عثمان بن خضر بن مصلح الخليلي الداري. فرغ من كتابتها نهار الخميس ٦ ذي الحجة. ٧٢٥هـ، مكتوب بآخرها بخط العلامة أبي زرعة أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن إبراهيم الشافعي[١] ما يفيد قراءتها في مجالس: آخرها اليوم التاسع عشر من شهر ربيع الأول، سنة ٨٨٨هـ.

٢٣ـ **فرع من أصل ابن جبير**: برواية عبد العظيم المنذري ـ سابق الذكر ـ عنه: في الخزانة الناصرية بتمكروت رقم ٢٨٧.

نسخة تامة في مجلد بخط مشرقي جيد خالٍ من تاريخ النسخ واسم الناسخ.

٢٤ـ **فرع من أصل ابن جبير**: برواية محمد بن إبراهيم التلمساني ـ سابق الذكر ـ عنه، منه نسختان بخط مغربي:

الأولى: بخزانة خاصة في مجلد به ٢٥٠ ورقة من حجم متوسط، ووقع الفراغ من كتابتها يوم الخميس ٢٤ ربيع الآخر ٩٩٧هـ، على يد أحمد بن أبي بكر بن علي بن دنبسل (الفلاني)[٢].

الثانية: تشتمل على السفر الأول: خ، ع، ك ٨٥ ٢٦: في حجم طويل غير مرقم الصفحات، عار عن تاريخ النسخ واسم الناسخ.

وقد كتب على الصفحة الأولى من النسختين: السند إلى الشفا في الصيغة التالية:

رواية الإمامين العالمين: محمد بن عبد الله التميمي، وعبد الله بن محمد الحجري.

رواية الإمام العالم: أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني عن التميمي خاصة.

رواية الإمام القاضي: محمد بن إبراهيم التلمساني عن الكناني والحجري.

---

(١) هو سبط داود بن عثمان بن محمد بن عبد الهادي السبتي، حسب السخاوي في ترجمته من الضوء اللامع ٢/ ١٦٠.

(٢) يوجد بخطه ـ أيضاً ـ الرسالة «القيروانية: خ.ع.ك٥، كتبها برسم أمير كوكو بالسودان الغربي». وفرغ منها يوم الاثنين ١٣ شعبان ٩٩٥هـ.

مع الربع الأول من صحيح مسلم: بخزانة الزاوية الحمزاوية بإقليم الرشيدية، فرغ منه عشية الأربعاء ٢٨ ربيع الثاني عام ١٠٠٠هـ.

وهناك تقديم صدرت به النسخة التي نعلق عليها، وبه مزيد من التعريف بالوراق السوداني.

رواية الشيخ الإمام الأوحد: محمد بن إسماعيل الأبياري عنه[١].

رواية الإمام الحافظ: أبي الخير بن منصور الشماخي عنه[٢].

رواية الفقيه الأجل العالم: أبي العباس أحمد بن أبي الخير الشماخي عنه[٣].

رواية العبد الفقير إلى الله تعالى: أحمد بن عمر بن محمد الشويري[٤] عنه.

رواية العبد الفقير إلى كرم الله تعالى: سليمان بن إبراهيم بن عمر العلوي[٥] لطف الله به عن شيخه الإمام الحافظ: أبي الحسن علي بن أبي بكر بن شداد المقرىء[٦] رحمه الله. عن الفقيه أبي العباس أحمد بن أبي الخير[٧].

٢٥ـ فرع من أصل ابن جبير: خ. م ٨٢٤ز، يبتدي بسند ابن جبير عن التميمي عن المؤلف، ويشتمل على النصف الثاني في سفر بخط مشرقي نسخي عتيق مصحح مقروء.

وقع الفراغ من كتابته في شهر ربيع الآخر ٧٥٦هـ، على يد علي بن أحمد بن عبد الصمد.

٢٦ـ فرع من أصل ابن جبير: في دار الكتب الوطنية بتونس رقم: ١١٤٧، ويفتتح بدوره بذكر ابن جبير، بخط تونسي كتبه مصطفى بن أحمد بن عبد الله الطرابلسي سنة ١١٩١هـ[٨].

٢٧ـ فرع من أصل ابن فرح بمراجعة السراج: خ. م ٦٥٧.

نسخة تامة في مجلد يستوعب ستة أجزاء: ٢٧٦ ورقة. مسطرة ٢١، مقياس ٢٨٢/١٩٧، بخط مغربي متقن واضح مصحح مشكول ملون مذهب مجدول، كتبه ـ

---

(١) لا ذكر لترجمته فيما رجعت إليه من المصادر.

(٢) له ترجمة وجيزة في «معجم المؤلفين» ١٣٢/٤.

(٣) سقط هذا الاسم من النسخة الخاصة، وثبت في نسخة خ.ع. وهو الصواب. وترجمة صاحبه لم أقف عليها الآن.

(٤) لا ذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر.

(٥) ترجمته في «فهرس الفهارس» ٣٢٧/٢ ـ ٣٢٨.

(٦) ترجمته في «غاية النهاية» رقم ٢١٨٠.

(٧) يتبين من سياق هذا السند أنه مسلسل ـ في أكثر رجاله ـ باليمنيين، فيشير إلى وصول رواية ابن جبير إلى اليمن.

(٨) «برنامج المكتبة العبدلية» ٢٥٦/٢.

عام ١٠٦٥هـ ـ أبو السعود الفاسي: عبد القادر بن علي بن يوسف الفهري[(١)].

٢٨ـ فرع من أصل ابن فرح: خ. م ٣٣٣٢.

نسخة تامة في مجلد يستوعب ستة أجزاء. بخط أبي السعود الفاسي عام ١٠٦٨هـ: ١٩٦ ورقة، مسطرة ٢٣، مقياس ٢٨٧/ ٢١٠.

وقد كتب أبو السعود الفاسي نسخاً عديدة من الشفا[(٢)]، حيث صارت عمدة للنسخ المغربية المتفرعة عن أصل ابن فرج بمراجعة السراج.

٢٩ـ فرع من أصل ابن فرج: خ. م ٣٨٣٦.

نسخة تامة في مجلد يستوعب ستة أجزاء: ٢١٠ ورقات، مسطرة ١٩، مقياس ١٨٤/٢٥٤، خط مغربي جيد مجوهر واضح مشكول ملون، يستوعب ـ بالأصل والهوامش ـ مقارنات وتعاليق ابن فرج والسراج.

وافق انتهاء كتابته غرة صفر ١١٤٢هـ. على يد علي بن محمد بن الحسن هلال[(٣)].

وبهذا الفرع مقيدات في أوله وآخره، حيث سترد نصوصها عند الملحقات ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤.

٣٠ـ فرع من أصل الجملي: بخزانة القرويين رقم ٢٥٧.

نسخة تامة في مجلد يستوعب ستة أجزاء: ١٥١ ورقة، مسطرة ٣٠ مقياس ٣١٠/ ٢٢٠، خط مغربي جيد واضح، كتبه ـ من أصل معارض بأصل المؤلف ـ محمد بن العربي بن عبد العزيز بن محمد العوفي ثم السلوي[(٤)].

٣١ـ فرع من أصل الجملي: في خزانة خاصة.

وقع الفراغ من انتساخه ـ بخط مغربي متوسط ـ بتاريخ ٢٦ جمادى الأولى ١١٥٤هـ. على يد عبد العزيز بن موسى بن علي الحسني الإدريسي البزيوي، كتبه من

---

(١) ترجمته في «سلوة الأنفاس» ١/ ٣٠٩ ـ ٣١٤.

(٢) «تحفة الأكابر...» لعبد الرحمن بن أبي مسعود الفاسي. مخطوطة خ.م. ٦٤٣: عند الباب الرابع.

(٣) لا تعرف له ـ الآن ـ ترجمة وجده الحسن هلال جاء ذكره عند أحمد القادري في رحلته الحجازية: «نسمة الآس...» خ.ع.ك. ١٤١٨ ضمن مجموع.

(٤) «فهرس مخطوطات خزانة القرويين» ١/ ٢٦٥.

نسخة بخط القاضي عبد الله الهسكوري، الناقل لها من نسخة بخزانة الشيخ الصغير بن المنيار[(١)].

ويذيل هذا الفرع بمقيدتين: إحداهما: بآخر أصل الجملي: عن خطته في معارضة نسخته على أصل المؤلف، والثانية: بأول ورقة منه عن سنده إلى كتاب الشفا، وهما ـ معاً ـ موضوع الملحقين، ٨ ـ ٩.

٣٢ـ فرع من أصل الجملي: خ. م ٥٠٧٩..

نسخة تامة من مجلد يستوعب ستة أجزاء، بخط مغربي لا بأس به مشكول ملون.

وقع الفراغ من كتابته يوم الخميس ٢٣ محرم ١٢٧٨، على يد محمد بن الطيب الملوكي.

وهو ـ بدوره ـ مذيل بمقيده عن خطة الجملي في معارضة نسخته على أصل المؤلف، حسبما أشير لها وشيكاً.

٣٣ـ نسخة مشرقية من الشفا: مخطوطات الأوقاف ببغداد رقم ٦٥٨٧[(٢)]. كتبت ـ بحلب ـ سنة ١١٧٠هـ: من أصل صحيح بخط الحافظ علي بن الجناب اليوسفي: سودون بن عبد الله الإبراهيمي[(٣)]. وكتب سنة ٨٣٠هـ.

٣٤ـ نسخة مغربية من الشفا: مخطوطات وزان بالمسجد الأعظم رقم: ٩٦.

تامة في مجلد بخط مغربي حسن ملون، مكتوبة من نسخة مجزأة على ٢٤ جزءاً، صحيحة مقابلة مقروء بها على عدة من الشيوخ المشارقة والمغاربة.

كتبها محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي[(٤)].

٣٥ـ وهذه ثلاث نسخ من الشفا وقفت عليها وشيكاً، فألحقتها بسابقاتها، انطلاقاً من **مخطوطة مكتبة الحرم المكي بمكة المكرمة رقم ٤١٦.**

من رواية محمد بن إبراهيم الأنصاري عن ابن جبير.

---

(١) هو المترجم عند الأفراني في «صفوة من انتشر...» ط.ف. ص٨٣ ـ ٨٤، وخزانته لا تزال فيها بقايا بزاويته في أبزو بإقليم آزيلال.

(٢) «الكشاف عن مخطوطات خزائن الأوقاف» ص٥٣.

(٣) له ترجمة في «الضوء اللامع» ٥/ ٢٢٩.

(٤) ترجمته في «عناية أولي المجد...» المطبعة الجديدة بفاس ص٥٨ ـ ٥٩.

الموجود منها النصف الأول في سفر متوسط الحجم، مكتوب بخط شرقي نسخي، وجاء عنوان الصفحة الأولى هكذا.

«كتاب الشفا، بتعريف حقوق المصطفى ﷺ: تأليف الإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي.

رواية الشيخ الفقيه أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير عنه (كذا).

رواية... محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن الأنصاري».

ويزيد في أهمية هذا السفر تذييله بما كان على أصله من كتابات منقولة من خط الحافظين ابني سيد الناس: أبي عمرو[1]. وابنه أبي الفتح سالف الذكر.

وفيها أن أبا عمر قابل أصله على نسخة ابن جبير من الشفا بخطه...

كما أن أبا الفتح نقل ـ عن غيره ـ طبقة سماع جماعة للكتاب ذاته: على ابن جبير: عام ٦٠٩ بمصر.

وأثر هذا يسجل أبو الفتح طبقة سماعه للشفا مع أخيه أبي بكر وجماعة: على علم الدين بن رشيق سابق الذكر، وذلك بقراءة والد الأولين أبي عمرو بن سيد الناس: عام٦٧٧ بمصر[2].

وقد ذيلت كل فقرة من هذه الكتابات باسم ناقلها: محمد بن علي الذي لم تتبين قراءة نسبه كاملاً، وخطه مشرقي نسخي مندمج، ومنه استخرجت الملحق الذي سيرد عند رقم ١٠.

٣٦ـ نسخة المكتبة المحمودية: بالمدينة المنورة رقم ٢٠٣٤، من رواية عبد العظيم المنذري عن ابن جبير.

في سفر ـ من حجم متوسط ـ يستوعب الشفا كاملة، مكتوب بخط مشرقي نسخي، بتاريخ ضحى الأولى من المحرم عام ١١٩٣. على يد محمد سعيد بن محمد صادق بن محمد بن أحمد يحيى زادة. القاضي بعسكر الصولي: سابقاً.

وجاء افتتاحها كالتالي: «أخبرنا الشيخ الإمام. العالم الحافظ. زكي الدين: أبو

(١) لا ذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر.

(٢) لا ذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر.

محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري رحمه الله. قال:

أنا الشيخ الأجل الفاضل أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي: بقراءتي عليه بجميعه، وقرأت عليه ـ أيضاً ـ بجميعه وأنا أسمع، قال:

• أنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبو (كذا) محمْد عبد الله بن الفقيه أبي عبد الله محمد بن عيسى التميمي إجازة:

أنا القاضي الإمام الحافظ: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض سماعاً منه.

٣٧ـ **نسخة أُخرى في مكتبة الحرم المكي**: خالية من الرقم: رواية ابن الصائغ عن المؤلف تامة. في سفر بخط شرقي نسخي عار عن التاريخ. ويرجع ـ ظناً ـ إلى القرن ١٣هـ.

وتبتدي هكذا: «أخبرنا الشيخ الصالح»، نجم الدين: أبو المحاسن بن يوسف بن محمد بن فتوح[1] الدلاصي، المؤذن بالجامع العتيق بمصر: إجازة بهذا الكتاب وغيره.. قال:

أخبرنا أبو الحسين تقي الدين: أحمد بن محمد بن حسين بن تامتيت[2]... سماعاً: بهذا الكتاب سنة ٦٧٥ بفسطاط مصر، قال:

أنا ابن الصائغ...

---

(١) الصواب: أبو المحاسن يوسف بن محمد بن محمد بن أبي الفتوح.. حسب اسمه الوارد عند فصل رواية ابن الصائغ رقم ٤ من الباب الثاني.

(٢) قارن مع التعليق رقم ٨٥.

الملحقات

وعددها عشرة، فتستوعب طائفة من النصوص المدونة بجملة من أصول كتاب «الشفا»، وبهذه ـ إلى جانب الأسانيد ـ سماعات ومعارضات وتفسيرات للعلامات المنوعة.

وقد أضيف لهذه العشرة ملحق حادي عشر بالمطبوعات الأولى من «الشفا»، ثم ملحق الملحقات: في نص مطول عثر عليه أخيراً.

ومن الجدير بالذكر أن أسماء الرواة الواردين بالملحقات: ورد أكثرهم بالأبواب الثلاثة السابقة، فكانت مناسبة للتعليق بالإشارة لمصادر التعريف بهم، ولهذا فإن تعاليق الملحقات إنما تهتم بالمصادر لتراجم الأسماء الباقية.

الملحق الأول
سند ابن فرج إلى الشفا
في نص قيده بأول أصله

كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ تأليف الفقيه الأجل القاضي الحافظ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رضي الله عنه.

رواية الفقيه أبي عبد اللّه بن غازي السبتي عنه.

رواية الفقيه المحدث أبي العباس العزفي عنه.

رواية الفقيه الثقة الضابط أبي عبد اللّه بن سعيد عنه.

رواية كاتبه علي بن محمد بن فرج عنه.

نقله ـ بخطه ـ علي بن محمد بن علي بن فرج القيسي نفعه الله به: من أصل الفقيه الأجل، الفاضل الكامل الراوية الأحفل: أبي عبد اللّه محمد بن سعيد بن علي الأنصاري أعزه الله، الذي كتبه بيده، وأتقنه وصححه، وقرأه على الفقيه المحدث الجليل: أبي العباس العزفي بسبتة، حسبما قيد على ظهر كتابه.

ونص التقييد المذكور: يقول محمد بن سعيد بن علي الأنصاري الغرناطي، قرأت هذا الكتاب ـ من أوله إلى آخره ـ على الشيخ الأجل، الفقيه المحدث الحافظ الأحفل، أبي العباس أحمد، ابن الشيخ الفقيه: أبي عبد اللّه محمد بن أحمد بن محمد اللخمي ـ رضي الله عنه ونفعه بالعلم ـ وهو يمسك على كتاب روايته.

وحدثني به عن الفقيه الفاضل: أبي عبد اللّه محمد، ابن الشيخ الزاهد: أبي علي حسن بن عطية بن غازي: سماعاً عليه لأكثره، وقراءة لسائره.

عن مؤلفه الفقيه القاضي: أبي الفضل عياض بن موسى ـ رحمه الله ـ قراءة عليه سنة خمس وثلاثين وخمسمائة.

وحدثني به ـ أيضاً ـ عن أبيه: سماعاً لبعضه: عن القاضي مؤلفه.

وكتب محمد المذكور ـ بخطه ـ لخمس خلون من شهر رجب الفرد، سنة عشرين وستمائة، والحمد لله رب العالمين.

ما قاله الفقيه الفاضل الزاهد أبو عبد اللّه المذكور: صحيح، وكتب عبيد اللّه الفقير إلى عفوه: أحمد بن محمد بن أحمد ـ المذكور أعلاه ـ في التاريخ المذكور، وهو يحمد الله بما ينبغي له، ونصلي على سيدنا محمد وآله وسلم».

وسمعت كثيراً منه من لفظ الفقيه الأجل، أبي عبد اللّه المذكور، وأجاز لي سائره، مع جميع رواياته، والحمد لله.

ثم سمعت جميعه عليه، وسمع ابني معي نحو نصفه، وأصل المؤلف يمسك علينا.

الملحق الثاني
توثيق ابن فرج لنسخته من الشفا
في نص قيده بخاتمة هذا الأصل

انجز جميع كتاب الشفا بحمد الله وعونه، ونصره ومنه، وذلك لأربع خلون من شهر شعبان المكرم، عام اثنين وثلاثين وستمائة.

نقلته من أصل الفقيه الفاضل، الزاهد الكامل: أبي عبد اللّه محمد بن سعيد الذي خطه بيده، وصححه وأتقنه غاية الإتقان، وألفيت آخره ـ مقيداً بخطه ـ ما نصه:

بلغت ـ قراءة وتصحيحاً لجميعه ـ على الشيخ الفقيه المحدث، العدل، الحافظ: أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد اللخمي ثم العزفي، أعزه الله بطاعته، وهو يمسك عليّ كتابه الذي صححه بيده.

وحدثني به عن الفقيه الفاضل: أبي عبد اللّه محمد ابن الشيخ الصالح أبي علي حسن بن عطية بن غازي: سماعاً عليه لأكثره، وقراءة لسائره: عن مؤلفه الفقيه القاضي أبي الفضل: قراءة عليه سنة خمس وثلاثين وخمسمائة.

وكان أصل الشيخ أبي عبد اللّه معارضاً بأصل القاضي: مقروءاً عليه مرتين: إحداهما للفقيه أبي عبد اللّه المذكور، والثانية لخاله الفقيه أبي عبد اللّه محمد بن الخطيب أبي الربيع سليمان بن سبع سنة اثنتين وعشرين، ذكر ذلك شيخنا أبو العباس في آخر كتابه.

وكتب العبد الفقير إلى رحمة مولاه: محمد بن سعيد بن علي بخطه، انتهى. قال ذلك كاتبه علي بن فرج.

بلغت المقابلة بأصل الفقيه الجليل الفاضل أبي عبد اللّه محمد بن سعيد ـ أعزه الله ـ الذي نسخه بيده، وقابله وصححه بأصل الفقيه المحدث أبي العباس العزفي، ثم قرأه عليه.

وصحح الفقيه أبو العباس أصله ـ بيده ـ بأصل شيخه الفقيه الفاضل أبي عبد اللّه محمد بن الصالح أبي علي بن عطية بن غازي، المقروء على مؤلفه مرتين.

والحمد لله حق حمده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

ثم بلغت ـ سماعاً لجميعه ـ على الفقيه الفاضل أبي عبد اللّه بن سعيد، وتصحيحاً ومعارضة بأصل مؤلفه القاضي أبي الفضل عياض، في أخريات شهر رمضان المعظم، ثلاث وأربعين وستمائة.

الملحق الثالث

تفسيرات ابن فرج لإشارات نسخته من الشفا

في نص قيده بأول هذا الأصل على ضياع فقرات منه

. . . فكل ما في كتابي ـ هذا ـ مكتوباً (بالحمرة) أو عليه علامة (عين): فهو ما في أصل المؤلف عياض.

وما في الأصل المكتوب (بالحمرة)، أو عليه (ز): فهو ما في أصل أبي العباس العزفي، لعله مما كتب قبل تنقيح المؤلف الكتاب، أو تلقى عليه إملاء، فتعقب ـ بعد ذلك ـ أصله المذكور، وأصلح فيه وزاد ونقص.

. . . ابني أبو بكر محمد ـ هداه الله ـ حين هذه المعارضة مع الفقيه المحدث الراوية: أبي عبد الله بن سعيد، وسمع الدول التي قيدت في الطرة:

(سمع من هنا): تنبيهاً على أول الدولة.

وقيدت (إلى هنا سمع): تنبيهاً على آخر الدولة.

ثم ما انقطع بين ذلك إلى قولي ـ مرة أخرى ـ (سمع من هنا)، هو الذي فاته سماعه عليه:

والله ينفع بذلك كله، ويجعله لوجهه، برحمته.

الملحق الرابع
صيغة سماع للشفا على أبي عبد الله الطراز: في نص مقيد بأول أصل ابن فرج، وهو ومعه ابنه: المعنيان بالسماع

سمع على صاحبنا الفقيه الأجل، الكاتب الضابط الأعرف الحافظ المتفنن الأفضل: أبو الحسن علي، ابن الشيخ المبارك المجاهد الصالح، أبي عبد الله محمد بن علي بن فرج القيسي، نفعه الله بالعلم، وزينه بالخشية والحلم: جميع هذا الكتاب من أوله إلى آخره.

وكان قد نقله من كتاب روايتي على شيخنا الفقيه الجليل العالم: أبي العباس أحمد، ابن الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد اللخمي العزفي، ـ رحمه الله ـ بقراءتي عليه، ثم قابلت كتابي ـ بعد ـ بأصل مؤلفه الفقيه القاضي الإمام أبي الفضل عياض بن موسى رضي الله عنه، مصححاً له، متحرياً في نقل ما فيه، حتى لم أهمل شيئاً مما فيه.

وحضر ـ الآن ـ في هذا السماع، الأصل المذكور، وأمسك علينا وصحح به: الفقيه الأجل أبو الحسن المذكور، ورد كتابه هذا إليه، وأقر ما ثبت في كتاب شيخنا أبي العباس ـ رحمه الله ـ بعلامته، وسمع معه نحو النصف منه ابنه المرجو: محمد. هداه الله وأقر به عينه.

وأذنت لهما في روايته عني، عن شيخنا الفقيه الفاضل: أبي الحسن علي بن أحمد بن علي الغافقي ثم الشقوري: إجازة منه لي بقرطبة ـ أعادها الله للإسلام ـ في سنة ثلاث عشرة وستمائة، عن مؤلفه ـ رضي الله عنه ـ إجازة منه له أيضاً، وقد صحت لنا هذه الرواية بمعارضته بأصل مؤلفه، والحمد لله.

وعن الفقيه أبي العباس المذكور بحق قراءتي عليه.

والله ينفعني وإياهما بالعلم ويجعلنا من أهله، وممن حمله حق حمله.

وكتب العبد الفقير إلى رحمة ربه، الغني به: محمد بن سعيد بن علي الأنصاري،

عفا الله عنه، وذلك في السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم، من سنة ثلاث وأربعين وستمائة، والحمد لله حق حمده.

الملحق الخامس
أسانيد السراج لكتاب الشفا
في نص مطول قيده بأول أصل ابن فرج:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اللهم صلي على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه
وسلم تسليماً كثيراً

يقول كاتب هذا، يحيى بن أحمد بن محمد النفزي الحميري شهر بالسراج، لطف الله له، وأصلح قوله وعمله: حدثني بكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، وشرف وكرم. تأليف الشيخ الفقيه الإمام، العالم المحدث الناقد، الراوية المسند، القاضي الأعدل، الخطيب البليغ الأكمل: أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، رضي الله عنه: من طريق الشيخ الفقيه القاضي، الراوية العدل أبي عبد اللّه محمد بن حسن بن عطية بن غاز، السبتي الأنصاري الجابري: من ذرية جابر بن عبد اللّه صاحب رسول الله ﷺ:

الشيخ الفقيه، المحدث الراوية المكثر، المسند المعمر، قاضي الجماعة بجزيرة الأندلس، وخاتمة الجلة بها، الخطيب الأكمل، أبو البركات محمد بن أبي بكر محمد بن إبراهيم السلمي، عرف ـ ببلده ـ بابن الحاج، وبالبلفيقي في سواه، قراءة عليه لبعضه، وإجازة لجميعه: عن الشيخ الفقيه القاضي، الأستاذ المقري: أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد المديوني عرف بالغافقي: قراءة لجميعه، وسماعاً لجملة منه: عن القاضي أبي عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن أحمد الأزدي، سماعاً عليه لأكثره، وإجازة لسائره، عن القاضي العدل أبي عبد اللّه بن غاز المذكور، سماعاً عن القاضي أبي الفضل مؤلفه سماعاً، وقال لي: بهذا السند أحمل تواليف هذا الإمام ورواياته، قلت: وهذا السند مسلسل بالقضاة.

وحدثني به من طريق الشيخ الفقيه، الخطيب الزاهد: أبي جعفر أحمد بن علي بن حكم القيسي: الشيخ الفقيه الحاج أبو عبد اللّه محمد بن سعيد الرعيني: قراءة عليه لبعضه، ومناولة لجميعه، وإجازة غير ما مرة، والأصل الذي ناولني هو أصل سماع

الخطيب أبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد، وسماع الفقيه العالم، أبي القاسم بن عبد الله بن محمد الأنصاري عرف بابن الشاط: من طريق ابن حكم المذكور.

وحدثني به عنهما سماعاً لنحو الكراسين على ابن رشيد، وإجازة عن ابن الشاط.

وحدثني به ـ أيضاً ـ عن الأستاذ المحدث الخطيب، أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد الصديني الشهير بالغماري[١]: مناولة ثلاثتهم عن الشيخ الأديب، النحوي اللغوي: أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الأنصاري: قراءة لجميعه لابن رشيد، وسماعاً للأخرين: عن الفقيه الفاضل الثقة: أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري ثم الخزرجي ثم القمارشي: سماعاً عليه لمعظم الكتاب من أوله، وقراءة لسائره: عن الخطيب أبي جعفر أحمد بن حكم المذكور سماعاً عليه، عن مؤلفه أبي الفضل المذكور: سماعاً عليه، قال ابن رشيد ـ ومن خطه كتبت ـ هذا السند سند الزهاد الأفاضل الثقات.

قال ابن رشيد وحدثني به الشيخ المقري المجود الفاضل: أبو القاسم محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الطيب بن أحمد بن علي بن أحمد بن رزقون[٢] القيسي، قراءة عليه وأنا أسمع وأمسك كتابي، وكان بينه وبين الرواية التي عليها مدار طريق أبي القاسم المذكور اختلاف في زيادات يسيرة، وتقديم وتأخير، واختلاف ألفاظ ربما اتفقت معانيها.

وأخبرنا بهذا الكتاب على الرواية المقروءة عليه، بحق سماعه لجميعه على الفقيه الراوية المسند العدل، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الأزدي ـ رحمه الله ـ عام ستة وخمسين وستمائة، قال: سمعت جميعه على شيخنا الفقيه الفاضل، المحدث الحافظ: أبي عبد الله محمد بن أبي علي حسن بن عطية بن غازي بن خلوف، من ولد جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ صاحب رسول الله ﷺ: في صفر عام أحد وتسعين وخمسمائة، قال قرأت جميعه على مؤلفه القاضي أبي الفضل رحمه الله، وعارضت بأصله، وكتبت له عياض خطه بذلك في غرة ذي القعدة من سنة خمس وثلاثين وخمسمائة.

---

(١) ترجمته عند ابن القاضي في «درة الحجال»، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة رقم ٧٢٦.

(٢) بتقديم الراء على الزاي، حسب ترجمته من «الذيل والتكملة» ٦/ رقم ٩٩٤: أصلاً وتعليقاً.

قال الغماري ومن خطه نقلت: وحدثته به ـ أيضاً ـ عن الفقيه المقري، بقية أئمة القرآن العزيز: أبي القاسم محمد بن عبد الرحيم القيسي الشهير بابن الطيب، قلت: هو المذكور، وعن الفقيه الكاتب الأعدل، الحاج المبارك: أبي محمد عبد المهيمن الأنصاري الشهير بالجزيري[١]: كلاهما عن القاضي الأعدل، الرواية المسند: أبي عبد الله الأزدي.

قال أبو القاسم بن الشاط ومن خطه نقلت: وحدثته به ـ أيضاً ـ عن الشيخ المسند الحسيب: أبي بكر محمد بن محمد الأنصاري البلنسي المعروف بابن مشليون: بحق الإجازة، عن القاضي الحسيب أبي بكر بن أبي جمرة بحق الإجازة، عن المؤلف بحق الإجازة أيضاً.

وحدثني به ـ أيضاً ـ صاحبنا الفقيه الأجل، الصالح المبارك الخير، المعظم عند الخاصة والعامة، لأنه على حالة مستحسنة تامة، أبو الربيع سليمان ابن الشيخ الفقيه الخطيب الصالح المتبرك به: أبي يعقوب يوسف الأنفاسي، رحمه الله ورضي عنه: قراءة عليه لجميعه ما عدا من قوله: فصل: «وأما الخصال المكتسبة» إلى قوله: «فسألته عن سيرته ـ ﷺ ـ في جلسائه»: فإنه سماعاً من لفظه، وهو يمسك على أصل الخطيب أبي عبد الله بن رشيد: في مجالس، آخرها في أوائل ذي القعدة عام ثمانية وسبعين وسبع مائة، وحدثني به عن الخطيب أبي عبد الله محمد بن يوسف اليحصبي اللوشي، إجازة، عن ابن رشيد المذكور: سماعاً من لفظه.

وعن القاضي الإمام أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي: سماعاً عليه، عن الشيخ الراوية العدل القاضي: أبي عبد الله محمد بن عبد الله الأزدي، قراءة عليه لجملة وافرة من الكتاب: من أوله، وإجازة لجميعه ـ غير ما مرة ـ في الجملة.

وعن المحدث أبي الحسن علي بن محمد بن يحيى الغافقي الشاري: سماعاً عليه لبعضه، وإجازة لجميعه:

قالا: سمعناه على أبي عبد الله بن غاز، وعن أبي محمد بن عبيد الله[٢] الحجري، عن المؤلف.

---

(١) ترجمته في «برنامج الوادي آشي» رقم ٢٩.

(٢) نسبه إلى أحد أجداده، حيث أن اسمه هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبيد الله، حسب ترجمته في «التكملة» ق١٤١٦، ثم عند ابن رشيد في «إفادة النصيح» ص٧٨.

قال اللوشي: وحدثني به ـ أيضاً ـ الفقيه العدل الوزير الحسيب: ابن ربيع المالقي: سماعاً عليه لجميعه، وسمعت بعضه على الفقيه المتصوف المقري الحافظ: أبي محمد عبد اللّه بن سلمون الكناني(١)، وأجازني جميعه، وكذلك سمعت بعضه على الشيخ الصالح ولي الله تعالى المقرىء الضابط: أبي إسحاق بن أبي العاص(٢): بسندهم.

قلت وقد كتب لي بالإجازة العامة الخطيب أبو عبد اللّه اللوشي المذكور مرتين.

قال ابن ربيع: حدثنا به القاضي أبو عبد اللّه محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى: سماعاً عليه، قال: حدثنا أبي قراءة عليه، قال: حدثنا القاضي أبو بكر محمد بن أبي بكر بن الحداد الجذامي سماعاً، عن المؤلف سماعاً عليه.

ويحمله ـ أيضاً ـ عن أبيه أبي عامر، وعن الأستاذ المحدث أبي عبد اللّه بن سعيد الطراز، وعن المحدث أبي العباس العزفي: في عموم إجازاتهم إياه:

قال أبوه القاضي أبو عامر، حدثنا أبي، وقال الطراز: حدثنا أبو الحسن الشقوري، وقال أبو العباس العزفي: حدثنا أبو عبد اللّه بن غاز: كلهم عن المؤلف رحمه الله.

وحدثني به ـ أيضاً ـ من طريق ابن حكم المذكور: شيخنا الفقيه المدرس: أبو علي حسن بن خلف الله بن بادس القيسي القسنطيني(٣) سماعاً عليه لأبعاض من مجالس مختلفة، ومناولة لجميعه، في رجب الفرد عام أربعة وستين وسبعمائة: عن المقري المحدث الرحال: أبي عبد اللّه محمد بن جابر القيسي الوادي آشي، عن الفقيه الكاتب الجليل: أبي القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري، عن أبي محمد عبد اللّه بن أبي القاسم الأنصاري: بسنده المذكور قبل، قال ابن جابر؛ وقد أجازنيه أبو محمد هذا.

قال: وكنت قرأته بتونس على قاضي الجماعة أبو كذا العباس أحمد بن الغماز، بحق روايته له عن الحافظ أبي الربيع بن سالم، إجازة إن لم يكن سماعاً، قال: قرأت صدراً منه على أبي جعفر أحمد بن حكم وناولنيه، وحدثني أنه سمعه على مؤلفه.

قال ابن جابر: وقد كنت سمعت على الشيخ أبي محمد بن هارون من كتاب

---

(١) ترجمته في «الإحاطة» ٣/ ٤٠٠ ـ ٤٠٢.

(٢) ترجمته بنفس المصدر ١/ ٣٧٤ ـ ٣٧٧، والغالب أن رواية السراج عن هذا وسابقه كانت في بداياته.

(٣) ترجمته عند السراج بالجزء الأول من فهرسه.

الشفا: دولاً لم أضبطها، وأجازنيه بحق روايته له عن أبي الحسن سهل بن مالك الأغرناطي: إجازة عن أبي جعفر بن حكم، عن المؤلف.

وحدثني به ـ أيضاً ـ من الطريق المذكور: الشيخ الفقيه، الطبيب المؤرخ: أبو علي عمر بن أحمد بن عمر القرشي العبدري الشهير بالحكيم: قراءة عليه لجملة وافرة منه، ومناولة لجميعه: عن صهره وابن عمته: الشيخ الفقيه الأديب: الحاج أبي علي عمر بن علي الجراوي[١]: سماعاً عليه، عن القبتوري المذكور، وعن الشيخ الصالح أبي عبد الله بن صالح: إجازة مشافهة، عن الشيخ الفقيه القاضي المحدث: أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن برطلة الأزدي، قال: قرأته على الفقيه الأجل: أبي الحسين ابن الشيخ الفقيه الزاهد الراوية: أبي عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد بن زرقون الأنصاري، قال: حدثني به أبي عن مؤلفه القاضي الإمام أبي الفضل عياض.

ويحمله ابن صالح ـ أيضاً ـ عن القاضي أبي عبد الله الأزدي المذكور. وعن القاضي أبي بكر بن محرز الزهري[٢]: عن ابن غاز المذكور، قراءة عليه، وعن أبي الحسين بن السراج[٣]: قراءة لبعضه ومناولة لسائره، عن أبي عبد الله المذكور، عن مؤلفه.

وحدثني به ـ أيضاً ـ الشيخ الفقيه الخطيب: الحاج أبو علي عمر بن محمد البطوي الشهير بابن البحر[٤]، رحمه الله: قراءة عليه في نحو الثلث الأول، ثم قراءة عليه ـ أيضاً ـ من أوله إلى قوله في النصف الثاني: «فصل في ذم من لم يصل على النبي عليه السلام وإثمه». وإجازة لجميعه في الجملة: عن الشيخ الفقيه المحدث الناقد: صلاح الدين خليل، ابن الأمير الكبير المجاهد: كيكلدي العلائي: سماعاً عليه.

عن الشيخ الرباني العلامة: أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن الفزاري[٥]، والفقيه أبي الحسن علي بن عمر بن حسان الشاغوري: قراءة على كل واحد منهما،

---

(١) لا ذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر.

(٢) ترجمته في «التكملة» ق١٠٤١.

(٣) هو المترجم بنفس المصدر ق١٦٥٦.

(٤) ترجمته عند السراج بالجزء الأول من فهرسه.

(٥) ترجمته في «برنامج الوادي آشي» رقم ٥٢.

وأبي زكرياء يحيى بن محمد بن سعد المقدسي[١]: إجازة:

قال الأولان: أنا أبو محمد الحسين بن الحسن بن إبراهيم الخليلي الداري: سماعاً عليه، أنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني: سماعاً، أنا أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن عيسى التميمي: إجازة، أنا القاضي عياض سماعاً.

وقال الثاني: أنبأنا أبو عبد اللّه محمد بن محمد بن عبد الرحمٰن بن محارب القيسي من الإسكندرية، قال: أنا أبو جعفر أحمد بن علي ابن الحكم الخطيب: سماعاً عليه، قال: أنا القاضي عياض.

قال صلاح الدين العلائي: «وأخبرني به ـ أيضاً ـ أبو عبد اللّه محمد بن عبد الحميد بن عبد اللّه القرشي: فيما كتب لي ـ بخطه ـ من القاهرة: أن أبا الحسن علي بن هبة الله بن الجميزي أخبره وهو يسمع، قال أنبأنا الحافظ أبو طاهر السلفي، أنبأنا عياض رحمه الله.

قال: وقد قرأت نحو النصف الأول منه ـ أيضاً ـ على أبي بكر محمد بن عبد الرحمن الصالحي. عن أبي القاسم عبد الرحمن بن مكي: إذناً، قال أنبأنا الحافظان: أبو طاهر السلفي، وأبو القاسم خلف بن بشكوال، قالا: أنبأنا عياض.

وأخبرني بجميعه ـ أيضاً ـ الشيخان: أبو محمد عبد الوهاب بن الحسن بن إبراهيم القمني[٢]. وأبو المحاسن يوسف بن محمد بن محمد بن أبي الفتوح القرشي الدلاصي: المصريان: قراءة وسماعاً بمصر، قالا: أنا به أبو الحسين يحيى بن أحمد بن محمد بن تامتيت اللواتي: سماعاً عليه، قال أنبأنا الحافظ يحيى بن محمد بن علي الأنصاري: ابن الصائغ، عن القاضي عياض إجازة».

وحدثني به ـ أيضاً ـ الفقيه الحافظ الأستاذ المقري، المدرس المشاور: أبو محمد عبد اللّه بن عمر الوانغيلي الكفيف: قراءة عليه لبعضه، وإجازة لجميعه.

والفقيه القاضي المشاور: أبو محمد عبد النور بن محمد بن أحمد الحسني العمراني: قراءة عليه لبعضه، ومناولة لجميعه.

---

(١) ترجمته في «الدرر الكامنة» ٤/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧.

(٢) لا ذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر.

والأستاذ المقري: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمر اللخمي: قراءة عليه لبعضه، وسماعاً لكثير منه، وإجازة لجميعه:

ثلاثتهم عن الفقيه الأستاذ المقري، الراوية الشهير، العلم: أبي الحسن علي بن سليمان بن أحمد بن سليمان الأنصاري القرطبي: إجازة، عن الأستاذ الإمام: أبي الحسين بن أبي الربيع: سماعاً لبعضه، وإجازة لسائره.

قال ابن سليمان: «وحدثني هو والقاضي أبو علي بن الناظر، والخطيب أبو الحجاج المربلي: ثلاثتهم عن أبي العباس العزفي، عن أبيه القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد، وأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الجذامي: عن أبي الفضل مؤلفه».

ويحمله ـ أيضاً ـ الأستاذ أبو الحسين، والقاضي أبو علي المذكوران: عن القاضي أبي القاسم بن بقي وجماعة غيره: عن أبي محمد بن عبد الله الحجري، عن المؤلف.

وعن القاضي أبي عبد الله بن خلفون في آخرين: عن ابن زرقون، عن المؤلف.

وعن الأستاذ أبي علي الشلوبين، عن الخطيب أبي جعفر أحمد بن علي بن حكم القيسي الحصار، عن المؤلف.

وحدثني به ـ أيضاً ـ قاضي الجماعة، وخطيب الحضرة: أبو القاسم محمد بن يحيى الغساني ثم البرجي(١): قراءة لبعضه، ومناولة لجميعه غير مرة: عن المحدث الرحال أبي عبد الله بن جابر المذكور: سماعاً لبعضه وإجازة لجميعه: بسنده المذكور.

وعن ولي الله ـ تعالى ـ الخطيب المحدث: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي: إجازة إن لم يكن سماعاً. عن الراوية أبي عمر بن حوط الله: إجازة. عن أبي جعفر بن حكم، وأبي العباس بن مضا: عن المؤلف.

وعن الطنجالي ـ أيضاً ـ عن أبي الوليد إسماعيل بن يحيى المعروف بالعطار، عن ابن حكم المذكور.

قلت: وقد أخذته عن غير من ذكر، ولي فيه أسانيد كثيرة غير ما ذكر، تركتها اختصاراً واكتفاء بهذه عنها.

---

(١) ترجمته عند السراج بالجزء الأول من فهرسه.

والحمد لله رب العالمين. والصلاة على سيدنا محمد خاتم النبيين. وعلى آله الطيبين الطاهرين. وسلم تسليماً كثيراً.

الملحق السادس
خطة السراج في مراجعة أصل ابن فرج من الشفا، مع تفسير الإشارات التي أضافها لهذه النسخة: في نص قيده بأول هذا الأصل

الحمد لله حق حمده. والصلاة والسلام الأكملان على سيدنا ومولانا محمد نبيه وعبده. وعلى آله وأزواجه وذريته من بعده، ورضي الله عن أصحابه الكرام، وعن كل من اتبعهم وسلك مهيعهم واستقام.

أما بعد:

فيقول كاتب هذا: يحيى بن أحمد النفزي لطف الله به، وأخذ بيده ووفقه إلى رشده، إن كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» ﷺ، وشرف وكرم:

تأدت إلى روايته من طريق القاضي الراوية العدل: أبي عبد الله محمد بن حسن بن عطية بن غازي السبتي الأنصاري الجابري، رحمه الله تعالى.

ومن طريق الخطيب الزاهد أبي جعفر أحمد بن علي بن حكم القيسي.

وأصل كتابي هذا هو على رواية ابن غازي المذكور، ثم قابلته بأصل الخطيب المحدث أبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري، وهو على رواية ابن حكم المذكور، وفيه التنبيه على بعض روايات غيره مما يخالف رواية ابن حكم.

إلا أنه ضاع من هذا الأصل من قبل «فصل: وأما الخصال المكتسبة» بنحو سطرين، إلى قوله في حديث هند بن أبي هالة في صفته ﷺ: «وهذه الكلمة من غير الروايتين».

وضاع ـ أيضاً ـ من قوله: «فصل: وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه وجوهاً كثيرة» إلى آخر الفصل.

فقابلت ما ضاع من الأصل المذكور من أصل نسخ منه وقوبل به قبل الضياع، ثم من آخر كذلك.

فكل ما ثبت في الأصل المذكور كتبته في كتابي هذا، وعلمت عليه بعلامة صورتها هكذا (ش): تنبيهاً على أنه كذلك في أصل الخطيب ابن رشيد.

إلا الزيادات التي كانت عنده في الطرة مكتوباً بإثرها (صح أصل س ت): فإن تلك الزيادات تثبت في كتابي هذا في الأصل من غير علامة. فلكثرتها تركت العلامات التي بإثرها. ولأني ما عثرت على ما أراد بهما: أعني بالسين والتاء[١]. كما لم أعثر على ما أراد بالعلامة التي صورتها هكذا (ش).

وأما ما عليه هكذا (ط): فالطاء: كناية عن شيخه أبي القاسم بن الطيب.

وأما ما عليه هكذا (ض) فالضاد كناية عن عياض بن محمد حفيد المؤلف رحمه الله.

وما عليه هكذا: (لاش)، فلم يثبت في أصل ابن رشيد.

وما في كتابي هذا مما عليه هكذا (ز). فهو مما قيده الضابط المحقق أبو عبد الله الطراز، عن شيخه المحدث أبي العباس العزفي.

وما عليه هكذا (ع): فهو ما قيد من أصل القاضي الإمام أبي الفضل عياض، حسبما نبه عليه مقيده على ظهر كتابي هذا.

وما عليه معلم (قر): فهو مما تعقبه الأستاذ أبو محمد القرطبي[٢] على المؤلف، رحمه الله عليه، ورضوانه على جميعهم.

وما عليه (صح خ) فهو عن نسخة صحيحة معتمد عليها، والحمد لله حق حمده.

---

(١) بين المحدث المغربي: إدريس العراقي أن ابن رشيد يشير برسم السين والتاء إلى أصل أبي القاسم القبتوري. نقله عنه محمد الفاطمي الصقلي كاتب الطبعة الحجرية الفاسية من «الشفا» عام ١٣٠٥هـ: ١/ ص٤ من الملزمة ٢٥.

(٢) ترجمته في «التكملة» ق١٤٣٣.

الملحق السابع
صيغة السماع المكتوب على نسخة ابن رشيد من الشفا
وهذه إحدى الأصول التي راجع عليها السراج نسخة
ابن فرج حيث قيد ذلك بإثر الملحق الخامس

كان على ظهر كتاب الخطيب أبي عبد اللّه محمد بن رشيد الفهري ـ رحمه الله تعالى ـ ما نصه: سمع عليّ وليي في الله تعالى: الشيخ الفقيه الفاضل، التقي الزاهد الورع، المقري المحدث النحوي العارف أبو صالح محمد بن محمد بن محمد بن أبي صالح التجيبي[١]، نشر الله بالعلم ذكره، وأعلا في الدارين قدره: هذا الكتاب كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ»، وسمع ـ أيضاً ـ معظمه وقرأ سائره: الطالب النجيب، الفاضل المجتهد: أبو محمد عبد اللّه بن أبي القاسم الأنصاري، وفقه الله وسدده، وهداه وأرشده.

وحدثتهما به سماعاً مني على الشيخ الفقيه الخطيب بغرناطة: أبي جعفر أحمد بن علي بن حكم القيسي رحمه الله، سماعه على مؤلفه الشيخ الفقيه القاضي أبي الفضل عياض.

وكتب قائل هذا: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري ثم الخزرجي، حامداً لله تعالى، ومصلياً على محمد رسوله المصطفى، وعلى آله أئمة الدين والهدى: في العشر الأول من ذي حجة، من عام أربعة وثلاثين وستمائة. انتهى.

وتحته بخط ابن رشيد المذكور: عبد الرحمن هذا يكنى أبا زيد، وهو من أهل قمارش، وبالنسب إليها يعرف، وكان بمالقة يعلم كتاب الله، وكان ثقة فاضلاً، روى عنه الناس، وروى عنه الأستاذ الزاهد أبو بكر حميد[٢]، توفي ـ بمالقة ـ غرة شوال، عام سبعة وثلاثين وستمائة.

ومن خط ابن رشيد ما نصه: أكملت قراءة هذا الكتاب من أوله إلى آخره: على الشيخ الأديب، النحوي اللغوي: أبي محمد عبد اللّه بن أبي القاسم الأنصاري، عشية

---

(١) ترجمته بنفس المصدر ق١٠٣٠.

(٢) لا ذكر لترجمته فيما رجعت له من المصادر.

يوم الأربعاء الخامس لشهر ربيع الثاني، عام ثلاثة وثمانين وستمائة.

وحدثني به بحق سماعه ـ في هذه النسخة ـ لمعظم الكتاب من أوله وقراءة سائره: على الفقيه الفاضل الثقة: أبي زيد عبد الرحمٰن الأنصاري ثم الخزرجي ثم القمارشي المذكور أعلاه: بالإسناد المقيد بخطه.

وحضر سماع جميع الكتاب: الفقيه النبيل، الكاتب الأديب، المشارك: أبو القاسم بن الشاط، وحضر ـ أيضاً ـ الفقيه النحوي الذكي أبو محمد عبد الحق الفنتروسي[١]: سماع جميع الكتاب، إلا مجلساً واحداً من أوله فاته سماعه.

وكتب محمد بن عمر بن رشيد، حامداً لله، ومصلياً على رسوله، المصطفى وعلى آله ومسلماً، انتهى.

ومن خطه ـ أيضاً ـ ما نصه: وكانت هذه الأوراق المجبورة قد ضاعت من الكتاب، فجبرت من فرع كان نسخ منه وقوبل به قبل الضياع، وكان بخط الكاتب الجليل: أبي القاسم القبتوري. انتهى.

قلت (والكلام هنا للسراج): وقد نبهت في أصلي هذا على أول هذه الأوراق المجبورة وآخرها، ليعلم من يقف عليها معنى قولنا فيها: ليس في الفرع. أو ثبت في الفرع. أو سقط من الفرع، وأن المراد بذلك: الفرع المنبه عليه هنا: الذي جبرت منه. انتهى.

---

(١) ترجمته في «درة الحجال» رقم ١١٢١.

الملحق الثامن
سند الجملي للشفا، في نص منقول عن اول اصله

كتاب الشفا: بتعريف حقوق المصطفى ﷺ: تصنيف الفقيه، القاضي، الإمام، الحافظ الأوحد. العلامة: أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض رحمه الله.

قرأت جميعه على سيدي الشيخ الفقيه الجليل، الخطيب، الصالح الكامل، القدوة، الصدر الكبير، العالم الأوحد الشهير: أبي عبد الله ابن الشيخ الفقيه الجليل. الصالح الورع الزاهد الأتقى. المبرور المقدس المرحوم: أبو (كذا) جعفر أحمد ابن الشيخ الفقيه الجليل، القاضي، الشريف، الشهير ـ رحمه الله ونفعه ـ أبي الحجاج يوسف بن أحمد بن عمر بن محمد بن يوسف، الهاشمي، أمتع الله ببقائه. ولا أعدم متعرف بركة لقائه:

وهو يمسك على أصل مؤلفه: القاضي، الإمام الكبير، أبو (كذا) الفضل عياض بن موسى بن عياض رضي الله عنه ورحمه.

وحدثني به عن الشيخين الجليلين. المسندين: أبي الوليد إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن خلف الأزدي الغرناطي، وأبي عمر عبد الرحمن بن القاضي، المحدث الجليل، العلم: أبي محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن خلف بن حوط الأندي: إجازة منهما له:

كلاهما عن الخطيب الزاهد: أبي جعفر أحمد بن علي بن حكم، والقاضي أبو (كذا) محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن فرج الخزرجي:

كلاهما عن الإمام أبي الفضل: مؤلفه. رحم الله جميعهم.

قال أبو عمر بن حوط الله: وأجازنيه القاضيان. المحدثان: أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضا، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن فليح:

كلاهما عن مؤلفه: الإمام الكبير، العالم الشهير: أبي الفضل. رحمه الله.

الملحق التاسع
خطة الجملي في معارضة أصله من الشفا؛ في نص منقول عن خاتمة هذا الأصل، ويتخلل ذلك كثير من البياض

تم جميع الديوان بحمد الله وتأييده، وتوفيقه وتسديده: على يد مقيده لنفسه. عبد اللّه الفقير إليه: محمد بن علي بن محمد بن عبد الغافر الجملي، وفقه الله وهداه. وأراه مراشده وهداه. حامداً الله - تعالى - على آلائه. ومصلياً على نبيه محمد خاتم أرساله وأكرم أنبيائه. وعلى آله وعترته الأعلام وأوِدائه. ومسلماً عليه وعليهم تسليماً.

عارضته - أجمع - على أصل مؤلف (كذا) المحدث الحافظ، القاضي، العلامة: أبي الفضل عياض بن موسى رحمه الله. المجزي على ستة أجزاء: منها - بخطه - الجزء (بياض) معظم الحواشي، وبعض المتون من غيره، وعاينتها - ستتها - جهدي، وبذلت في (بياض) إليها، وتصحيحه بها (بياض) ولم آل في ذلك بحال (بياض) تصحيحاته وإشكال (بياض) وتخريجاته، وثبت في نظره (بياض) حتى لم يبق عندي منه (بياض).

وعلمت على ما يثبت في أصله هكذا: ص ص. وعل أشكال أو وهم منها: ع.

قاله محمد الجملي. وفقه الله بمنة.

الحمد لله الذي هدانا لهذا. وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

أكملته - قراءة - على سيدي الخطيب: أبي عبد اللّه الطنجالي. أبقى الله بركته: في مجالسة (كذا) أولها يوم السبت الحادي وعشرين من محرم. عام سبعة عشر وسبعمائة، وتوالت كل يوم جلس إلا أيام الجمع: إلى يوم الخميس سابع صفر هذا. قاله محمد الجملي.

الملحق العاشر

يحدد الأصول الثلاثة التي عارض بها ابن جبير نسخته من الشفا، ويذكر طبقتي سماع لنفس الكتاب على كلم ابن جبير وأبي الحسن بن رشيق؛ حسب مقيدة في ثلاثة نصوص بآخر السفر الأول من مخطوطة مكتبة الحرم المكي رقم ٤١٦:

ومما على أصله بخط الحافظ أبي عمرو بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس. رضي الله عنه: انتهت المقابلة بالأصل الذي بخط الشيخ الفقيه الأديب. الكاتب البارع. الزاهد الورع: أبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني رحمه الله. الذي فرغ من كتابته في عقب شهر ذي القعدة. سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة.

وكان في آخره بخطه: قابلته ـ عقيب تاريخ الفراغ من نسخه ـ بالأم المنتسخ منها. وبأصل كان عليه خط مؤلفه ـ رضي الله عنه ـ إجازة لقارئه عليه، وكانت مقابلتي له بغرناطة حرسها الله، وبها كان انتساخه.

ثم قابلته بمدينة فاس ـ حرسها الله ـ[1] بالأم العتيقة الذي (كذا) كان أكثرها بخط المؤلف رضي الله عنه. وهي مبيضته التي حررها وأظهرها. وقرئت ـ عدة مرات ـ عليه. وكانت هذه المقابلة ـ الأخيرة ـ في ربيع الآخر، سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة. والحمد لله رب العالمين. وصلواته على محمد وعلى آله الطاهرين، وسلامه عليهم أجمعين.

نقله محمد بن علي.

وعليه ـ أيضاً ـ بخط شيخنا الحافظ أبي الفتح بن سيد الناس: سمع جميع كتاب

---

(١) كان القاضي عياض قد اجتاز بمدينة فاس مرتحله من سبتة قاصداً مراكش. فزار بالمدينة الأولى «القاضي عيسى» ابن الملجوم بداره. حيث استجازه ابن المزور: أبو القاسم عبد الرحيم بن الملجوم. وهو الذي وقت هذه الزيارة والاستجازة بتاريخ عشية يوم الاثنين ٨ رجب ٥٤٣هـ، حسب «أزهار الرياض» ٢٣ ـ ٢٤.

وإلى ذلك يسجل ابن القاضي وهو يترجم أبا الفضل: إن هذا أخذ عنه بفاس جماعة. «جذوة الاقتباس» رقم ٥٦٧.

ومن هذه الإشارة وسابقتها: يمكن أن يستنتج أن القاضي عياضاً ترك بفاس ـ عند بعض الرواة عنه ـ أصله من «الشفا». ثم استمر كتابه بهذه المدينة بعد وفاته حتى عارض به ابن جبير.

«الشفا بتعريف حقوق المصطفى». تأليف القاضي الإمام: أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي: على الشيخ الإمام الأوحد، الأعلم الأجل، الأفضل الأكبر، ذي الفضائل: أبي الحسين محمد، ابن الشيخ أبي جعفر أحمد بن حسين بن محمد بن جبير الكناني، مد الله في مدته: بحق إجازته من الشيخ الإمام الحسب ذي السن العالية: أبي عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن محمد بن عيسى التميمي. بحق سماعه إياه على مؤلفه المذكور:

الشيوخ الفقهاء. الأئمة الفضلاء: أبو علي حسن بن عبد اللّه بن الحسين عرف بالطويل.

وبهاء الدين أبو محمد عبد العزيز، وعز الدين أبو البركات عبد الحميد، وعماد الدين أبو الفضل عبد الوهاب، وعلم الدين أبو الحسن محمد: أولاد الشيخ الإمام العالم، جمال الدين: أبي علي الحسين بن عتيق بن رشيق المالكي.

وأبو زكرياء يحيى، ابن الشيخ الإمام: أبي الحسن علي بن عبد اللّه القرشي العطار.

ونظام الدين أبو عبد اللّه محمد، وأخوه أبو محمد عبد اللّه: ابنا القاضي أمين الدين حسين بن حسن الخليلي.

وجماعة كثيرة.

وصح بقراءة مثبت أسمائهم: عبد الحافظ بن صالح بن علي بن زيدان المسكري: في مجالس آخرها سلخ شهر رمضان المعظم. من سنة تسع وستمائة بمصر.

وأجاز لهم جميع ما يدخل في روايته. وما نسب وينسب إليه.

نقله ـ من خط ابن زيدان مختصراً ـ محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس: أبو الفتح اليعمري. وفقه الله تعالى.

ومن خطه نقل محمد.

وعلي ـ أيضاً ـ بخط الحافظ أبي عمرو بن سيد الناس: سمع جميع هذا الكتاب على الشيخ الفقيه، الإمام العالم الصالح: علم الدين أبي الحسن محمد، ابن الشيخ العالم أبي علي الحسين بن عتيق بن رشيق المالكي. رضي الله عنه: بحق سماعه فيه من ابن

جبير: بقراءة محمد بن محمد بن أحمد بن عبد اللّه بن محمد بن سيد الناس اليعمري، وهذا خطه:

ولداه المحمدان: أبو بكر وأبو الفتح.

والفقيه سعد الدين: أبو الحسن علي بن جابر بن علي التميمي.

والفقيه الأجل: أبو القاسم أحمد بن محمد بن هشام الأنصاري.

وشهاب الدين: أبو العباس أحمد بن عبد الرحيم بن أبي عبد اللّه القرشي.

وحسام الدين: لاجين بن عبد اللّه الخزنداري.

وشهاب الدين أحمد بن محمد الهذياني.

وآخرون مذكورون في الأصل المكتوب بخط ابن جبير.

وأجاز الشيخ للمذكورين جميع ما تجوز له روايته.

وكان الفراغ من قراءته في يوم السادس والعشرين من رجب، سنة سبع وسبعين وستمائة بمصر حرسها الله.

نقله كما هو: محمد بن علي.

ملحق ختامي
عن الطبعات الأولى للشفا

يتبين من العروض السابقة أنه صار لكتاب «الشفا» ـ مع مر الزمن ـ نسختان: مغربية ومشرقية، اعتباراً بفروق يسيرة بين الروايات التي انتشرت هنا أو هناك.

وعلى هذا التفاوت جرى نشر الكتاب في طبعاته الأولى: ففي المغرب صار الاعتماد على رواية ابن الغازي عن المؤلف.

وفي المشرق: استند الناشرون إلى أصح النسخ المتداولة هناك دون تحديد لرواياتها.

١ ـ وأول نشرات «الشفا» كانت بالطباعة الحجرية، فظهرت ـ للمرة الأولى ـ بالأستانة عام ١٢٦٤هـ[١].

٢ ـ ثم كانت الطبعة الأولى بمصر: عام ١٢٧٦هـ. بتصحيح العالم المصري الشيخ حسن العدوي الحمزاوي[٢]. حيث اعتمد فيها على نسخة مصححة على الأصل. وكانت ـ حسب تعبيره ـ يرجع إليها علماء العصر.

وأضاف المصحح المنوه به للنص تعاليق بالهوامش. سماها «المدد الفياض، بنور الشفا للقاضي عياض». فبين فيها الضبط الصحيح. واختلاف النسخ. مع الشروح اللغوية للكلمات الغامضة، فضلاً عن مقدمة تمهيدية، وأخيراً: كلمة ختامية كتبها الشيخ عبد الهادي نجا الإبياري[٣].

وقد استوعبت المقدمة والخطبة الافتتاحية: ص٢ ـ ١٦. بينما جاء النص والتعاليق في سفرين من قطع بين المتوسط والكبير:

الأول: ١ ـ ٣١٧ص.

والثاني: ١ ـ ٣٤٦ص.

٣ ـ وعن المطبعة الحجرية أيضاً: ظهر بالأستانة ـ عام ١٢٩٠هـ ـ طبعة متقنة من

---

(١) «تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان: الترجمة العربية ٦/٢٦٩، فيذكر كتاب «الشفا» طبع حجر وطبعاً عادياً: في أستانبول ١٢٦٤، ١٢٩٠، ١٢٩٣، ١٣١٢، وفي بومباي: ١٢٧٦ والهند: ١٢٨٧.

(٢) ترجمته عند الزركلي في «الأعلام» ٢/٢١٤.

(٣) ترجمته بنفس المصدر ٤/٣٢٢ ـ ٢٣.

«الشفا» بمبادرة ناشرها يوسف بن محمد أبو السعود. فاعتنى بتصحيح كلماتها. وضبط ألفاظها، وكتابة الفروق ـ بين الروايات ـ على الهوامش، وصدرت عن مطبعة خليل أفندي بالأستانة: في مجلد يضم سفرين من حجم صغير:

الأول: ٣١٢ص عدا فهرس الأبواب بأوله.

والثاني: ٢٩٥ص عدا الكلمات الختامية بآخره.

٤ ـ **وفي الغرب الإسلامي صدرت أول طبعة من «الشفا» عن المطبعة الحجرية الفاسية** عام ١٣٠٥هـ، فجاءت في مجلد يستوعب سفرين من قطع متوسط.

الأول: ١٩٦ص: أصلاً وتذييلاً.

والثاني: ٢٠٨ص: أصلاً وكلمة ختامية.

كتبها ـ بخطه ـ محمد الفاطمي بن الحسين الصقلي الفاسي[١] وتولى تصحيحها الشيخ التهامي جنون[٢].

وقد اعتمد الناشرون لها: رواية ابن الغازي عن طريق نسخة كل من ابن فرج والسراج، ولذلك تأخذ هذه الطبعة بعين الاعتبار تجزئة المؤلف السداسية للكتاب، كما تتناثر بهوامشها إشارات الفروق، نظير واقع الأصول المغربية من الشفا، وقد ذيل السفر الأول بنص للسراج في تفسير إشارات الفروق.

---

(١) له ترجمة وجيزة عند إدريس الفضيلي في «الدرر البهية» ط.ف: ٢/٢٢٦.

(٢) ترجمته بنفس المصدر ٢/ ٣٧٠ ـ ٧١، وعند الفاسي في «معجم الشيوخ» ١/ ١٦٧ ـ ١٦٩.

ملحق الملحقات

وهو نص جديد يستوعب مجموعة كبرى من الأسانيد لكتاب الشفا بين مغربية ومشرقية ومختلطة. فيرويها أبو زيد بن أبي السعود الفاسي في طالعة كتابه «مفتاح الشفا»(١) حسب السياق التالي:

ولنذكر هنا بعض أسانيدنا إلى القاضي عياض ـ رضي الله عنه ـ تبركاً به، وبالوسائط الذين بيننا وبينه: بالسماع أو اللقي أو الإجازة أو بالمجموع، وإن لم يكن إلا اللقي فهو مما يرجى بركته، فإنه إن لم تحصل الرواية فلا بد منه في المذكورين، إلا ما كان بمجرد الإجازة، فصح أن ينفرد كل منها عن كل، وأن يجتمع اثنان فقط أو ثلاثة، وليس المراد الاستقصا، بل الاكتفاء بما تيسر، لأن ذلك ليس من مقصود الكتاب.

ولنبدأ بأسانيد المغاربة: واحداً عن واحد فنقول: أخبرنا الشيخ الإمام، والدنا: أبو السعود عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي، جدد الله عليه مضاعفات رحمته، وأفاض علينا من عوارفه وبركته. عن عم والده الإمام المحدث، العالم العارف: أبي العز عبد الرحمن بن محمد، رحمه الله.

وعن الإمام المفتي الخطيب: أبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني، والإمام النظار: أبي محمد عبد الواحد بن أحمد (بن) عبد الواحد بن عاشر الأندلسي الأنصاري، والإمام القاضي المسند: أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني، وغيرهم.

قال الثلاثة: أخبرنا الإمام المفتي الخطيب المحقق النظار: أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار القيسي الغرناطي.

وقال الأول والرابع: أخبرنا الإمام الأستاذ العلامة: أبو العباس أحمد بن علي المنجور المكناسي.

---

(١) مخطوط خ.م. ١٢٦٥٥، وقد وقفت على هذا النص في نسخة وحيدة بعد رقم الدراسة، فآثرت إلحاقه ريثما تتيسر معارضته والتعليق عليه في فرصة لاحقة بإعانة الله سبحانه.

وزاد الأول عن شيخه أحمد، الإمام المحدث الصوفي: أبو المحاسن يوسف بن محمد.

وزاد الثاني عن شيخه عمه. الإمام المفتي، أبو عثمان سعيد.

وزاد الثاني والرابع ـ أيضاً ـ عن الإمام المحدث الفقيه المسند أبي العباس أحمد بن أحمد المدعو باب السوداني.

وأخذ القصار والمنجور وأبو المحاسن الفاسي وأبو عثمان المقري، عن الإمام المسند. الرحلة الراوية المحدث، المتفنن: أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل خروف التونسي الأنصاري.

وأخذ السوداني عن والده المسند، الحاج أبي العباس، عن عبد العزيز اللمطي الفاسي نزيل المدينة المنورة. عن عمه: أبي عمرو عثمان بن عبد الواحد. وأبي العباس الزقاق.

وزاد القصار والمنجور وأبو المحاسن: عن الإمام المسند الرحال، أبي عبد الله اليسيتني، وأبي شامة بن إبراهيم المشنزائي.

وزاد المنجور: عن أبي محمد عبد الرحمن سقين العاصمي ثم القصري. خطيب فاس الأندلس.

وزاد القصار: عن الإمام أبي العباس التسولي، والإمام أبي النعيم رضوان بن عبد الله، وأبي القاسم بن عبد الجبار الفجيجي. وأبي عبد الله بن قنزع التلمساني.

وزاد أبو عثمان المقري: عن الإمام أبي عبد الله التنسي الصغير التلمساني.

وأخذ أبو شامة عن أبي العباس الحباك. وأبي العباس بن جيدة.

وأخذ أبو النعيم رضوان: عن سقين. والحباك. وأبي الحسن بن هارون. وأبي القاسم بن إبراهيم. وأبي عبد الله العبسي. والعدي. وابن مجبر.

وأخذ اللمطي واليسيتني والتسولي والحباك وابن هارون وابن إبراهيم والعبسي والعدي وابن مجبر، كلهم عن ابن غازي.

وأخذ التنسي عن والده أبي عبد الله محمد التنسي الكبير.

وأخذ الزقاق عن والده أبي الحسن. عن أبي عبد اللّه المواق.

وأخذ ابن عبد الجبار عن والده محمد. عن والده عبد الجبار.

وأخذ ابن قنزع عن أبي العباس الوجدي.

وأخذ التسولي ـ أيضاً ـ عن أبي العباس الدقون. عن المواق.

وأخذ ابن جيدة والوجدي وعبد الجبار: كلهم عن الشيخ أبي عبد اللّه محمد بن يوسف السنوسي.

وأخذ المواق عن المنتوري.

وأخذ سقين ـ أيضاً ـ عن الشيخ أبي العباس أحمد بن أحمد زروق البرنسي الفاسي.

وقد انتهت الطرق إلى الشيخ ابن غازي والشيخ زروق والشيخ السنوسي والشيخ المنتوري.

فأما الأولان: فعن الفقيه أبي عبد اللّه السراج، عن والده أبي القاسم.

وأخذ هو والرابع: عن والده أبي زكرياء يحيى بن أحمد الحميري السراج.

وأخذ الثاني والثالث: عن أبي زيد عبد الرحمن الثعالبي.

وزاد الثالث وعبد الجبار المتقدم: عن أبي الحسن القلصادي.

وزاد عبد الجبار: عن ابن مرزوق الكفيف.

وزاد السنوسي: عن أبي علي أبركانَ.

وأخذ القلصادي والثعالبي وأبركان والكفيف: كلهم عن الإمام أبي عبد اللّه محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد.

وأخذ هو والمنتوري عن ابن عرفة.

وزاد الحفيد: عن ابن قنفد، عن الإمام الخطيب الصوفي: أبي عبد اللّه محمد بن إبراهيم بن عباد الرندي.

وزاد ـ أيضاً ـ عن الإمام القاضي أبي زيد عبد الرحمن بن خلدون.

وأخذ ابن عرفة وابن عباد وابن خلدون: عن أبي عبد الله الأبلي.

وانفرد ابن عرفة وابن خلدون بالأخذ عن ابن جبار الوادي آشي.

وأخذ الأبلي عن أبي موسى بن الإمام، عن الإمام الوالي الشهير: أبي العباس أحمد بن البنا المراكشي.

وأخذ السراج ـ أيضاً ـ عن الرعيني، عن ابن البنا.

وأما المنتوري فعن جماعة: منهم ابن لب، عن ابن جابر، عن أبي الحسن الفيجاطي. وهو عن ابن أبي الأحوص.

ومنهم ابن زكرياء: عن ابن ليون. عن ابن شعيب. عن ابن أبي الأحوص.

ومنهم ابن بقي: عن أبي البركات ابن الحاج البلفيقي. عن أبي إسحاق الغافقي. عن أبي محمد الغزي. عن أبي القاسم بن الطيلسان.

وأخذ ابن بقي ـ أيضاً ـ عن أبي عبد الله ابن الخطيب السلماني. عن أبي القاسم بن رضوان. وأبي البركات ابن الحاج وابن الجياب، وأبي عبد الله المقري، وابن شاطر، والحكيم، وابن مرزوق الخطيب، وأبي الحسن الفيجاطي، وأبي جعفر الطنجالي، وأبي القاسم الشريف الغرناطي، وابن منظور، وابن عبد (بياض).

وأخذ ابن رضوان أيضاً: عن أبي محمد التجيبي المقري. عن ابن أبي الأحوص.

وأخذ ابن الخطيب ـ أيضاً ـ عن أبي محمد بن أيوب. عن ابن أبي الأحوص. وعن أبي عبد الله المقري: عن الأبلي، وقد تقدم. وعن أبي عبد الله بن شاطر. عن ابن البنا، وقد تقدم وعن ابن ليون. وأبي الحسن الفيجاطي. وقد تقدما.

وأخذ الشريف الغرناطي: عن ابن رشيد. وأبي إسحاق الغافقي.

وأخذ أبو عمر بن منصور: عن أبي عبد الله بن الفخار.

وأخذ أبو البركات ابن الحاج وابن الجياب: عن أبي جعفر بن الزبير.

وأخذ أبو زكرياء السراج: عن ابن رضوان أيضاً. عن ابن صفوان. عن ابن البنا المتقدم.

ومنهم ابن جزي: عن ابن رشيد، عن ابن صالح الكناني، عن أبي عبد الله بن الأبار أيضاً.

وأخذ ابن بقي أيضاً: عن أبي جعفر بن خاتمة.

وأخذ ابن البنا وتلميذه ابن صفوان: عن قاضي مراكش: أبي عبد الله بن عبد الملك الأوسي.

وقد انتهت طرقهم إلى ابن أبي الأحوص وابن الطيلسان وابن الأبار وابن خاتمة وابن عبد الملك.

أما ابن أبي الأحوص: فعن أبي الربيع بن سالم وابن واجب، وابن الجميل، وابن خير: عن ابن الفخار.

وأخذ ابن أبي الأحوص أيضاً: عن الكلاعي، عن ابن الفخار.

وأما ابن الطيلسان: فعن أبي جعفر بن الأصلع. عن ابن الفخار وابن خير وابن قرقول. وزاد ابن الطيلسان أيضاً: عن أبي إسحاق الزولي. عن ابن خير.

وأخذ ابن رشيد ـ أيضاً ـ عن المنذري. عن الحصار. عن ابن الفخار.

وأما ابن الأبار: فعن أبي الخطاب بن الجميل. عن ابن خير.

وأخذ ابن الأبار أيضاً: عن أبي القاسم بن بقي. عن أبي عبد الله الفخار. وأخذ ـ أيضاً ـ عن ابن واجب.

وأما ابن خاتمة: فعن ابن ليون، عن ابن رشيد، وقد تقدم، وعن ابن جابر الوادي آشي، عن ابن الغماز، وعن أبي عبد الله بن عزيون، عن أبي الحسين بن السراج، عن أبي خير.

وأما ابن عبد الملك: فعن أبي جعفر وأبي عبد الله الطنجاليين. عن أبي العباس بن ماتع. عن ابن خير.

ح: وعن ابن دقيق العيد، عن المنذري، عن الحصار، عن ابن الفخار.

وعن أبي القاسم العزفي. عن أبي عبد الله الأزدي وابن واجب أيضاً: عن ابن غاز السبتي.

وعن أبي إسحاق التلمساني عن ابن عميرة.

ح: وعن أبي بكر بن برفوب وأبي مروان بن الكماد معاً: عن ابن السراج، عن ابن خير.

وعن أبي جعفر بن الزبير.

وعن ابن الغماز وأبي الحجاج بن أحمد بن حكم.

وعن الرعيني، وأبي علي بن أبي الأحوص، وأبي محمد القطان.

وأخذ أبو جعفر الطنجالي أيضاً: عن أبي الخطاب بن واجب.

وأخذ ابن الزبير عن أبي الخطاب السكوني. عن أبيه.

وأخذ الرعيني وابن الغماز: عن ابن قطرال، وزاد الرعيني عن أبي إسحاق الزولي، وعن ابن الطيلسان: عن أبي جعفر الكماد، وزاد ابن الغماز: عن أبي الربيع بن سالم، عن أبي الخطاب بن واجب.

وأخذ ابن الغماز أيضاً: عن الكلاعي، عن ابن الفخار. وعن أبي الحسين بن السراج، عن ابن خير، وعن أبي العباس العزفي، وعبد العظيم المنذري.

وأخذ ابن واجب: عن ابن غاز السبتي.

وأخذ الكماد: عن ابن غاز السبتي.

وابن حكم: عن والده أبي الحسن، وأبي علي أحمد بن محمد بن واجب: عن أبي الخطاب، عن جد أبيه أبي حفص.

وأخذ ابن قطرال: عن أبي عبد الله بن الفخار، وأبي العباس بن مضي.

وأخذ أبو القاسم العزفي عن ابن قطرال.

وأخذ ابن الفخار وابن قرقول والسلفي وابن خير وأبو علي بن واجب وابن مضي وابن حكم والسكوني وأحمد بن واجب وابن غاز السبتي والغافقي: كلهم عن القاضي عياض رضي الله عنه.

هذه بعض أسانيد المغاربة.

ح: وحدثنا ـ أيضاً ـ عم والدنا. الإمام المحصل المحدث المتفنن: أبو حامد محمد العربي، وابن أخيه الإمام الخطيب القاضي: أبو القاسم محمد بن أحمد: إجازة عامة منهما، عن الشيخ القصار، إجازة، بالسند المتقدم.

وأما أسانيد المشارقة: فأخبرنا خطيب الحرم الشيخ زين العابدين الطبري: إجازة، عن والده الشيخ عبد القادر، عن شيخ الإسلام الرملي، عن زكرياء.

ح: وعن الشيخ عبد الواحد الخطيب الشهير بالمعمر، عن الشيخ محمد بن إبراهيم الغمري.

وهو وزكرياء: عن ابن حجر العسقلاني.

وأخذ الشيخ عبد القادر أيضاً: عن جده شرف الدين يحيى، عن جده المحب الأخير، عن أبي اليمن محمد بن أحمد الطبري، عن والده الشهاب أحمد بن الرضي، عن والده إبراهيم بن محمد، عن علي بن عبد الله بن سلامة، عن السلفي.

وأخذ الرضي أيضاً: عن أبي بكر بن مسدي، عن أبي الخطاب بن واجب.

(وأخذ المحب الأخير أيضاً: عن محمد المحب الأوسط، عن القطب اليافعي، عن الرضي).

ح: وأخبرنا الشيخ جمال الدين محمد البابلي المصري. عن الشيخ سالم السنهوري. وعن محمد بن عبد الله الأنصاري المعروف بحجازي الواعظ، وعن الشهاب أحمد بن خليل السبكي: ثلاثتهم عن الغيطي، عن زكرياء.

ح: وأخبرنا الشيخ نور الدين الشبراملسي. عن الشيخ إبراهيم اللقاني. والنور الزيادي. وسليمان البابلي، وسالم الشبشري. وحفيد الجمال بن زكرياء. والشهاب السبكي:

فالأول عن شمس الدين محمد البكري، وشيخ الإسلام محمود بن الشهاب الرملي، ونور الدين علي المقدسي، والشيخ محمد النحرير، والشهاب أحمد بن قاسم العبادي، والشيخ محمد الخفاجي، والشيخ أبو بكر الشنواني، والشيخ محمد العسيلي، والشيخ محمد الجبرتي، والشيخ محمد البهنسي الشافعي نزيل الحرم المكي، والشيخ عبد الرحمن الشريشي، والشيخ أحمد الخطيب الشربيني، والشيخ نور الدين الزيادي، والشيخ أحمد السنهوري، والشيخ طه المالكي، والشيخ أحمد المغماوي، والشيخ جامع الدميري: أخي أبي الفتح الدميري، والشيخ عبد الدائم البغري، والشيخ محمد

البنوفري، والشيخ إبراهيم العلقمي، والشيخ عبد الله الشنشوري، والشيخ صالح البلقيني، والشيخ أحمد البلقيني، والشيخ أحمد الزرقاني، والشيخ محمد الترجماني، فلينظروا في فهرسته.

والثاني: عن الرملي عن زكرياء.

والثالث والرابع: عن الخطيب الشربيني، عن زكرياء.

والخامس: عن جده، عن زكرياء.

والسادس: عن الغيطي وقد تقدم، وعن الرملي وتقدم، وعن الشهاب المقدسي، عن الشهاب القسطلاني، عن الشمس بن القبابي، عن عمر بن علي الأنصاري، عن أبي الفتوح يوسف بن محمد الدلاصي، عن ابن الصائغ، عن عياض.

وروى ابن حجر الشفاء عن ناصر الدين: محمد بن عبد الرحيم بن الحسن بن الفرات، عن الدلاصي.

ح: ونا الشيخ الإمام: إبراهيم بن محمد بن عيسى الماموني الأنصاري المصري الشافعي، عن والده الشيخ محمد بن عيسى، وأبي بكر الشنواني، والشيخ محمد الخفاجي، والشيخ أحمد السنهوري المالكي، والشيخ محمد الشيراوي: والشيخ أحمد الخطيب الشربيني، والشيخ عثمان الغزي، والشيخ طه المالكي، والشيخ نور الدين الزيادي.

وكلهم عن العيطي، عن زكرياء.

وزاد السنهوري: عن ابن حجر المكي، عن زكرياء.

ونا الماموني أيضاً: عن الرملي، عن زكرياء.

ح: ونا الشيخ الإمام: ملا إبراهيم بن حسن الشهرزوري الكردي نزيل طيبة المنورة، عن شيخه وعماده الشيخ صفي الدين القشاشي، والشيخ عبد الباقي الميداني الدمشقي، والشيخ عبد الملك العباسي الهندي، والشيخ ملا محمد شريف العراقي، والشيخ سلطان بن أحمد المزاحي المصري، والشيخ نور الدين العقيبي الأنصاري اليمني التعزي، والشيخ إسحاق بن جعمان الرميدي اليماني[1]، والشيخ نور الدين علي بن

(١) هكذا تكرر ذكر هذا الاسم والذي قبله.

الديبع الشيباني الزبيدي، والشيخ عبد بن مطير الحكمي اليمني، والشيخ علي بن مطير الحكمي، والشيخ عبد الكريم بن مطير الحكمي اليمني، والشيخ عبد الباقي الحنبلي، والشيخ علي بن محمد بن صلاح الحسني الشافعي، الحنبلي، والشيخ ملا محمد بن أبي سفيان الحارثي النجاري، والشيخ عبد القادر بن مصطفى الصفوري، والشيخ عبد الكريم بن أبي بكر: هدية الله الحسيني الكوراني الشاهوي:

فالأول: عن أبي المواهب الشناوي، عن سيدي محمد البكري، عن والده سيدي أبي الحسن، عن زكرياء، وعن أبيه الشيخ علي الشناوي، عن الشعراني، والشمس العلقمي، وابن حجر المكي: كلهم عن السيوطي، وعن العبادي، عن الأرميوني، عن السيوطي، وزاد الشعراني: عن زكرياء.

والثاني: عن الشمس الميداني، عن يحيى بن عبد القادر النعيمي، عن والده عبد القادر بن محمد، عن قطب الدين الخيضري، عن الشهاب بن حجر العسقلاني.

والثالث: عن قطب الدين محمد بن علاء الدين النهروالي المكي، عن محدث اليمن وجيه الدين: الشيخ عبد الرحمٰن الديبع الشيباني، عن زين الدين الشرجي، عن ابن الجزري، وأخذ الشرجي أيضاً: عن نفيس الدين العكي العدناني، عن الجمال الإنشكامي، عن العز الفاروثي، عن الحاتمي، عن السلفي، عن عياض.

والرابع: عن القطب النهروالي وقد تقدم. وعن ابن حجر المكي وقد تقدم.

والخامس: عن النور الزيادي وقد تقدم، وعن عميرة البرلسي، والشمس الرملي بن الشهاب الرملي، والشهاب البلقيني، وابن حجر المكي: كلهم عن زكرياء.

والسادس: عن الجمال محمد بن علي بن مطير الحكمي اليمني، عن أبيه علي وهو العاشر، عن عمه عبد اللّه بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم، عن أبيه أبي القاسم، عن أبيه عمر، عن أبيه أحمد، عن أبيه إبراهيم، عن أبيه محمد بن عيسى، عن خاله إبراهيم بن عمرو التباعي، عن أبيه مظفر الدين عمرو بن علي، عن أبي عبد اللّه بن أبي الصيف، عن أبي طاهر السلفي، عن القاضي عياض.

والسابع: عن والده: الجمال محمد بن إبراهيم عن عمه الجمال محمد بن أبي القاسم بن إسحاق، عن والده، عن شرف الدين بن جعمان، عن البرهان بن جعمان، عن الجمال محمد الطيب بن أحمد الناشري، والده، عن الجمال الديمي، عن الوجيه الناشري، عن الجمال العامري، عن ابن عجيل، عن أبي بكر بن مسدي، عن أبي الخطاب بن واجب، عن السلفي.

والثامن: عن محمد بن الصديق الخاص اليماني، عن أبي الصديق بن محمد الخاص، عن الشريف الطاهر بن الحسين الأهدل الحسيني، عن الوجيه الديبع، وأخذ الثامن أيضاً: عن ابن الصديق المتقدم، عن عبد الرحمٰن بن فهد، عن عمه جار اللّه، عن العلاء الكازروني، عن الجلال الدواني.

والتاسع: عن والده الصفي أحمد بن علي، عن والده علي وقد تقدم.

وأما الشيخ عبد القادر بن مصطفى: فعن ملا عبد الكريم بن سليمان الكوراني، عن خواجة محمد النجاري وملا حسين الخلخالي معاً: عن ملا ميرزجان.

وأخذ الملا محمد بن أبي سفيان الحارثي النجاري: عن ملا صالح اليدخشي، عن ملا يوسف القرباعي، عن ملا ميرزجان، عن جمال الدين محمود الشيرازي.

وأخذ السيد عبد الكريم بن هدية اللّه: عن ملا حمد المنجلي الكردي، عن ملا حبيب اللّه ميرزجان الشيرازي، عن الجمال محمود الشيرازي.

وأخذ ملا شريف بن ملا يوسف وهو الرابع: عن والده ملا يوسف ابن القاضي محمود الصديقي، عن ميرزا إبراهيم الحسيني الهمداني، عن أبي الفتح الشرقه عن فخر الدين محمد بن الحسين الحسني السماكي، عن الجمال محمود الشيرازي.

وأخذ ـ أيضاً ـ الصفي القشاشي: عن ملا شيخ الأرموي الكردي، عن ميرزجان.

وأخذ أيضاً: عن الشناوي، عن العبادي، عن الوجيه العلوي والقطب الأيجي، عن أبي الفضل الكازروني، وهو ومحمود الشيرازي، عن الجلال الدواني الصديقي.

والحادي عشر: وهو عبد الباقي الحنبلي: عن المعمر عبد الرحمٰن الهبرتي الحنبلي، عن جمال الدين يوسف الأنصاري الخزرجي، عن والده زكرياء.

ح: والشيخ أحمد المنوفي: عن نور الدين الزيادي، عن العلقمي.

ح: ونا الشيخ ياسين بن محمد، عن عمر غرس الدين، والنجم الغزي، ومنصور المجلاوي، وعبد الرحمٰن الخياري، وأبي العباس المقري.

فالأول: عن سالم السنهوري والنور الزيادي: عن الغيطي، عن حجازي، عن الأرميوني، عن السيوطي، وعن الشيخ أحمد المنشيصي، عن ابن الترجمان، عن البدر المشهدي، عن محمد بن مقبل، عن عبد الوهاب بن السلار، عن الحجار، عن ابن النجار، عن الحاتمي.

والثاني: عن والده البدر، عن جده رضي الدين، عن زكرياء.

والثالث: عن سالم السنهوري وقد تقدم، والرابع عن الرملي وقد تقدم، وعن أحمد الكلبي: عن الشعراين، والنور الزيادي.

ح: ونا الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمٰن الخياري: عن النجم الغزي والغرس الخليلي وتقدما، وعن عبد العزيز الزمزمي.

ح: ونا الشيخ عيسى الثعالبي: عن نور الدين الأجهوري، وشهاب الدين الخفاجي، والشهاب القليوبي، وسلطان بن أحمد المزاجي، وزين العابدين بن زكرياء الأنصاري، وشمس الدين محمد بن عبد الفتاح الطهطائي، وتاج الدين بن أحمد المالكي، وعبد العزيز الزمزمي المكي، وأبي القاسم بن الجمال القيرواني، وتاج العارفين البكري التونسي. وغيرهم.

فالأول: عن أبي حفص عمر بن الجاي. وبدر الدين الكرخي. ونور الدين علي بن أحمد القرافي: ثلاثتهم عن السيوطي، وأخذ ابن الجاي والقرافي أيضاً: عن الشهاب الحجرزي، عن ابن أبي المجد، عن الحجار، وأخذ الأجهوري أيضاً: عن الرملي عن زكرياء.

والثاني: عن العلقمي. عن السيوطي والرملي، عن زكرياء، ووالده محمد الخفاجي، عن ابن حجر المكي، وعن خاله أبي بكر الشنواني، عن الغيطي.

والثالث: عن الشمس الرملي.

والرابع: تقدم.

والخامس: عن زكرياء.

والسادس: عن سالم السنهوري، وعبد الرؤوف المنوي، ومحمد الشبراوي، ويوسف الزرقاني، وعن والده، عن البنوفري، عن ابن المنباوي، عن الشيخ زروق، وأخذ السادس أيضاً: عن محمد الكلبي، عن الشيخ محمد بن يوسف الشامي صاحب السيرة، والأرميوني، والنور القرافي، والشعراني: كلهم عن السيوطي.

والسابع: عن خالد بن أحمد الجعفري: عن الرملي، عن زكرياء.

والثامن: عن والده محمد بن عبد العزيز، عن زكرياء، وأخذ والده أيضاً: عن ابن حجر المكي.

ح: ونا الشيخ يوسف بن حجازي القاسمي الخبيرتي الخليلي، عن سالم السنهوري، وأبي بكر الشنواني، وعلي الحلبي، والشهاب القليوبي، وعبد الرحمن بن الخطيب الشربيني، وعامر الشبراوي، وأبي الحسن الخطيب، ومحمد الخطيب، ومنصور الحنبلي، ومحمد الشوبري، ومحمد الشامي، ومحمد الجابري.

ح: ونا الشيخ عمر بن عبد القادر المشرقي الحنفي، عن صالح التمرتاشي والغرس الخليلي، وأخذ صالح عن والده محمد بن عبد الله، عن الشمس المشرقي الغزي، عن الشعراني، وأخذ والده أيضاً عن أمين الدين بن عبد العالي الحنفي، عن عبد الله بن الشحنة الحنفي، وزكرياء، وأبي عمرو عثمان الديمي: عن ابن حجر (بياض).

ح: ونا الشيخ خير الدين الرملي، عن أحمد الجنبلاطي، عن أبيه أمين الدين، عن جده عبد العالي، عن ابن حجر.

ح: ونا الشيخ عبد القادر بن القصير الغزي، عن الشيخ المقري، والشيخ إبراهيم اللقاني، والشيخ علي الحلبي: عن الرملي.

وأما الطرق المشتركة بين المشارقة والمغاربة فكثيرة: منهم سند القصار: عن أبي الطيب الغزي. والبدر القرافي، والزين البكري، وغيرهم. وسند المنجور: عن الغيطي، وله أسانيد شتى.

وسند خروف: عن الكمال الطويل، عن الزين العراقي، والمجد التركماني، والنور

الهيتمي: الأول عن العز بن جماعة والصلاح العلائي، والثاني والثالث عن الميدومي، وأخذ الأول عنه أيضاً:

وأخذ خروف أيضاً، عن الشمس اللقاني عن البرهان اللقاني، عن ابن حجر.

وبرواية سقين عن زكرياء والقلقشندي: عن ابن حجر، وأخذ زكرياء أيضاً: عن أبي إسحاق بن صدقة، والصلاح الحكري، وأبي عبد الله الرشيد: كلهم عن الزين العراقي، وأخذ القلقشندي أيضاً: عن أبي محمد الهيثمي، عن العز بن جماعة.

وأخذ سقين أيضاً: عن عبد الحق السنباطي، عن الزين القابوني، وعن الغاقوسي، وأبي الطيب بن حجر، وأم محمد العراقية، وأم الكرام أنس، وزوجة ابن حجر، والبدر النسابة، والتقي الشمني، والشرف الحريري، والأبيتجي.

فالستة الأول: عن الزين العراقي.

والسابع: عن عمه وابن الكويك معاً، عن الميدومي.

والثامن: عن الأبشيطي والتقي الزبيري معاً: عن الميدومي.

والتاسع والعاشر: عن الأنباسي، عن الميدومي.

وأخذت أم الكرام وزوجة ابن حجر معاً: عن أبي الكويك، عن الميدومي.

وأخذ الفاقوسي أيضاً: عن أبي هريرة ابن الذهبي، عن أبيه الحافظ الذهبي.

وأخذ سقين أيضاً: عن الشمشين: السخاوي والتتاءي. فالأول: عن ابن حجر، والشرف المراعي، والثاني: عن الحجازي، والشمني، والنسابة والأبيتجي، والفاقوسي، وتقدموا. وعن الجوجري، والفخر السيوطي، والزكي المناوي: الأول والثالث: عن الزين العراقي، والثاني: عن التنوخي، عن الميدومي، عن ابن منصور، عن ابن خميس، عن عياض.

وبسند اليسيتني: عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد الحطاب المكي، عن والده، عن الشمس المراغي، عن الشرف المراغي، عن إبراهيم بن فرحون اليعمري، عن ابن جابر الوادي آشي، عن الذهبي، وعمن تقدم.

وبسند ابن غازي: عن أبي عبد الله الصغير، عن أبي عبد الله السلوي، عن أبي

شامل الشمني، عن الماغوسي. (كذا)، عن الأسواني، عن ابن تامتيت، عن أبي الحسن بن الصائغ، عن القاضي عياض، وأخذ ابن غازي أيضاً: عن أبي عبد اللّه محمد بن يحيى البادسي، عن أبي زيد الثعالبي، عن أبي محمد الغرياني، عن أبي عبد اللّه البطرني عن محمد بن أحمد بن حيان الأوسي، عن أبي بكر محمد بن فتوح، عن أبي طاهر السلفي.

وسند السنوسي: عن إبراهيم التازي، عن أبي الفتح المراغي، عن ابن الفرات، عن التنوخي، عن الحجار، عن أبي الفضل الهمداني، عن السلفي.

الرباط ـ محمد المنوني

توضيحات

إن المصادر والمراجع الواردة بالهوامش تذكر وضعيتها عند الإحالة الأولى: مخطوطة ومكانها ورقمها، أو منشورة مع ذكر المطبعة أو الناشر وبلد ذلك، مراعياً في الإحالات الاقتصار ـ غالباً ـ على المستندات الأصيلة.

وترد بالهوامش والدراسة إشارات للمخطوطات هكذا:

خ.ع.ذ: قسم حرف الدال من مخطوطات الخزانة العامة بالرباط.

خ.ع.ك: قسم حرف الكاف من نفس الخزانة.

خ.ع.ق: قسم حرف القاف من نفس الخزانة.

خ.ع.ج: قسم حرف الجيم من نفس الخزانة.

خ.م: الخزانة الملكية.

وبالنسبة للمطبوعات الحجرية الفاسية: ط.ف.

مراجع ترجمة القاضي عياض وعمله في:

أنباء الرواة للقطفي. ٢/ ٣٦٣

البداية والنهاية لابن كثير. ٢/ ٢٢٥

بغية الملتمس للضبي. ٤٢٥

تاريخ الإسلام للذهبي وفيات سنة: ٥٤٤

تذكرة الحفاظ للذهبي. ٤/ ١٣٠٤

تهذيب الأسماء واللغات للنووي. ٢/ ٤٣

الديباج المذهب لابن فرحون. ١٦٨

التعريف بالقاضي عياض. تحقيق د/ محمد بن شريفة. ط. ١٤٠٢/ ١٩٨٢

الرسالة المستطرفة للكتاني. ١٠٦

روضات وطبقات المفسرين. للداودي. ٢/ ١٨

الرياض في أخبار عياض. تحقيق. د/ عبد السلام الهراس.
د/ سعيد إعراب. ط. ١٤٠١/ ١٩٨١

العبر للذهبي. ٤/ ١٢٢

المعجم لابن الأبار. ٣٠٦

مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة. ٢/ ١٤٩

مذكرات التراث المغربي مجموعة من الأساتذة. ٢/ ٢٧٤ ـ ٢٧٦

النجوم الزاهرة لابن تغري. ٥/ ٢٨٥

النبوغ المغربي عبد الله جنون. ٢/ ٣٢، ١٤٢

طبقات الحفاظ السيوطي. ٤٧٠

وفيات الأعيان لابن خلكان. ١/ ٣٩٢

نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض. شهاب الدين

الخفاجي، ط ١٣١٢هـ.

شرح الملا علي القاري على كتاب الشفاء. لعلي بن محمد المعروف بالقاري. ١٦٠٦م.

مناهل الصفا للإمام السيوطي. ١٢٧٦هـ

عملي في هذا الكتاب

١ ـ عزوت الآيات القرآنية الكريمة.

٢ ـ خرجت الأحاديث النبوية الشريفة حسب الطريقة المتعارف عليها عند أرباب فن الحديث.

٣ ـ ضبط الكلام بالشكل منعاً للالتباس والخطأ.

٤ ـ شرحت بعض الكلمات الغريبة اعتماداً على أهم المعاجم والقواميس اللغوية كاللسان والتاج والقاموس والصحاح...

٥ ـ اعتمدت فهارس فنية آخر الكتاب تضمنت ما يلي:

أ ـ فهارس الآيات القرآنية الكريمة.

ب ـ فهارس الأحاديث النبوية الشريفة.

ج ـ فهارس المصادر والمراجع.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة القاضي عياض

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ، وآلِهِ وسَلِّمْ

قَالَ الْفَقِيهُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو الْفَضْلِ عَيَاضُ بْنُ مُوسَى بن عَيَاضٍ الْيَحْصبِيُّ رَحْمَةُ الله عَلَيْهِ.

الْحَمْدُ[١] لله الْمُنْفَرِدِ بِاسْمِهِ الأَسْمَى، الْمُخْتَصِّ بِالْعِزِّ الأَحْمَى الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ مُنْتَهَى، وَلاَ وَرَاءَهُ مَرْمَى، الظَّاهِرِ لاَ تَخَيُّلاً وَلاَ وَهْماً، الْبَاطِنِ تَقَدُّساً لاَ عُدْماً، وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً، وَأَسْبَغَ عَلَى أَوْلِيَائِهِ نِعَماً عُمّاً وَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ، عُرْباً وَعُجْماً وَأَزْكَاهُمْ مَحْتِداً وَمَنْمَى وَأَرْجَحَهُم عَقْلاً وَحِلْماً وَأَوْفَرَهُمْ عِلْماً وَفَهْماً، وَأَقواهُمْ يَقِيناً وَعَزْماً. وَأَشَدَّهُمْ بِهِمْ رَأْفَةً وَرحْماً زَكَّاهُ رُوحاً وَجِسْماً، وَحَاشَاهُ عَيْباً وَوَصْماً، وَآتَاهُ حِكْمَةً وَحُكْماً، وَفَتَحَ بِهِ أَعْيُناً عُمْياً، وَقُلُوباً غُلْفاً، وَآذَاناً صُمّاً، فَآمَنَ بِهِ وَعَزَّرَهُ وَنَصَرَهُ من جَعَلَ الله لَهُ فِي مَغْنَمِ السَّعَادَةِ قِسْماً، وَكَذَّبَ بِهِ وَصَدَفَ[٢] عَنْ آيَاتِهِ مَنْ كَتَبَ الله عَلَيْهِ الشَّقَاءَ حَتْماً[٣] ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي

---

(١) الحمد لغة: الوصف الجميل على وجه التعظيم، لأجل جميل اختياره، وقد ابتدأ القاضي كلامه بالحمد اقتداء بكتاب الله عز وجل، وامتثالاً لقوله عليه الصلاة والسلام: **«كل أمر ذي بال لا يبتدأ فيه بحمد لله فهو أقطع»**. أخرجه ابن حبان في صحيحه: ١/١٦٣ تحت رقم (١) ـ وفي رواية: **«كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم»**. أخرجه أبو داود في السنن: ٤/٢٦١. تحت رقم: ٤٨٤٠.

وأجمع القراء السبعة وجمهور من العلماء على رفع الدال من الحمدُ. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١/ ١٣٥.

والحمد بالرفع أمكن في المعنى لأنها تدل على ثبوت الحمد واستقراره لله تعالى، فيكون قد أخبر بأن الحمد مستقر لله تعالى، وفي هذا الشأن يقول صاحب الألفية:

وَارْفَعْ أَوِ انْصِبْ إنْ قَطَعْتَ مُضْمِرا مُبْتَدأً أَوْ نَاصِباً لَنْ يَظْهَرَا

وروي عن سفيان بن عيينة، ورؤبة بن الحجاج: الحمد بنصب الدال وذلك على إضمار فعل: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١/١٣٥. وقد ورد في الخبر: «إن آدم عليه السلام حين عطس قال: الحمد لله» وصارت كلمة كل مؤمن يشكر ربه. وجرت كلمة «الحمد لله» على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. اقتداء بأبيهم آدم عليه السلام، فهم أولى الناس بشكر ربهم. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١/ ١٣٤. وقد ورد في القرآن الكريم على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿الْحَمْدُ لله الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [إبراهيم:٣٩].

(٢) صدف: أعرض. والصدوف الميل والإعراض عن الشيء. لسان العرب مادة (ص. د. ف).

(٣) الحتم: اللزوم.

ٱلۡأَخِرَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [الإسراء:٧٢]. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاَةً تَسْمُو وَتُنْمَى وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً.

أَمَّا بَعْدُ[١]

أَشْرَقَ[٢] اللهُ قَلْبِي وَقَلْبَكَ بِأَنْوَارِ الْيَقِينِ وَلَطَفَ لِي وَلَكَ بِمَا لَطَفَ[٣] بِأَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ، شَرَّفَهُمُ اللهُ بِنُزُلِ[٤] قُدْسِهِ، وَأَوْحَشَهُمْ مِنَ الْخَلِيقَةِ بِأُنْسِهِ، وَخَصَّهُمْ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَمُشَاهَدَةِ عَجَائِبِ مَلَكُوتِهِ[٥]، وَآثَارِ قُدْرَتِهِ: بِمَا مَلأَ قُلُوبَهُمْ حَبْرَةً وَوَلَّهَ عُقُولَهُمْ فِي عَظَمَتِهِ حَيْرَةً، فَجَعَلُوا هَمَّهُمْ بِهِ وَاحِداً. وَلَمْ يَرَوْا فِي الدَّارَيْنِ غَيْرَهُ مُشَاهَداً، فَهُمْ بِمُشَاهَدَةِ جَمَالِهِ وَجَلاَلِهِ يَتَنَعَّمُونَ، وَبَيْنَ آثَارِ قُدْرَتِهِ، وَعَجَائِبِ عَظَمَتِهِ، يَتَرَدَّدُونَ، وَبِالانْقِطَاعِ إِلَيْهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، يَتَعَزَّزُونَ لَهِجِينَ[٦] بِصَادِقِ قَوْلِهِ: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾[٧] [الأنعام:٩٢]. فَإِنَّكَ كَرَّرْتَ عَلَيَّ السُّؤَالَ فِي مَجْمُوعٍ يَتَضَمَّنُ التَّعْرِيفَ، بِقَدْرِ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَمَا يَجِبُ لَهُ مِنْ تَوْقِيرٍ وَإِكْرَامٍ، وَمَا حُكْمُ مَنْ لَمْ يُوَفِّ وَاجِبَ عَظِيمِ ذَلِكَ الْقَدْرِ، أَوْ قَصَّرَ فِي حَقِّ مَنْصِبِهِ الْجَلِيلِ. قُلاَمَةَ[٨] ظُفْرٍ وَأَنْ أَجْمَعَ لَكَ مَا لأَسْلاَفِنَا، وَأَئِمَّتِنَا فِي ذَلِكَ مِنْ مَقَالٍ، وَأُبَيِّنَهُ بِتَنْزِيلِ صُوَرٍ، وَأَمْثَالٍ: فَاعْلَمْ أَكْرَمَكَ اللهُ أَنَّكَ حَمَّلْتَنِي مِنْ ذَلِكَ أَمْراً، إِمْراً[٩]، وَأَرْهَقْتَنِي[١٠] فِيمَا نَدَبْتَنِي إِلَيْهِ عُسْراً وَأَرْقَيْتَنِي بِمَا كَلَّفْتَنِي مُرْتَقًى صَعْباً، مَلأَ قَلْبِي رُعْباً، فَإِنَّ الْكَلاَمَ فِي ذَلِكَ يَسْتَدْعِي تَقْدِيرَ أُصُولٍ، وَتَحْرِيرَ فُصُولٍ، وَالْكَشْفَ عَنْ غَوَامِضَ، وَدَقَائِقَ مِنْ عِلْمٍ، الْحَقَائِقِ،

---

(١) أما بعد: ذكر الإمام النووي في شرح الإمام مسلم في باب الجمعة. أن العلماء اختلفوا في أول من تعلم بأما بعد، فقيل نبي الله داود عليه السلام، وقيل يعرب بن قحطان، وقيل قس بن ساعدة الأيادي، وعلى هذا القول الأخير درج المتأخرون: توفي قس سنة ٦٠٠ م.

(٢) أشرق: أضاء، والإشراق. الضياء، واللمعان.

(٣) اللطف: التوفيق من الله والصحة لسان العرب. مادة: (ل. ط. ف).

(٤) النزل: الطعام الذي يهيأ للضيف.

(٥) الملكوت: الملك.

(٦) لهجين: معناه مواظبين ومداومين على ذكر الله سبحانه وتعالى. مادة: (ل. هـ. ج) لسان العرب لابن منظور.

(٧) في نسخة دار الفكر كتبت الآية: ﴿قل اللهم ثم ذرهم في خوضهم يعلبون﴾ والصحيح: ﴿قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوضِهِم يَلْعَبُونَ﴾. [الأنعام: ٩٢].

(٨) قلامة: وهو ما يسقط نت الظفر أو يزال منه.

(٩) إمراً: كل أمر شديد أو عظيم وهو الشيء المنكر.

(١٠) الإرهاق: هو تكليف الإنسان ما لا يطيق من العمل.

مِمَّا يَجِبُ لِلنَّبِيِّ وَيُضَافُ إِلَيْهِ، أَوْ يَمْتَنِعُ أَوْ يَجُوزُ عَلَيْهِ، وَمَعْرِفَةَ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ، وَالرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ، وَالْمَحَبَّةِ، وَالْخلَّةِ، وَخَصَائِصِ هَذِهِ الدَّرَجَةِ الْعَلِيَّةِ، وَهَهُنا مَهَامَهُ(١) فِيحٌ(٢) تَحَارُ فِيهَا الْقَطَا(٣)، وَتَقْصُرُ بِهَا الْخُطَى، وَمَجَاهِلُ تَضِلُّ فِيهَا الأَحْلَامُ. إِنْ لَمْ تَهْتَدِ بِعَلَمِ عِلْمٍ، وَنَظَرٍ سَدِيدٍ، وَمَدَاحِضُ(٤) تَزِلُّ بِهَا الأَقْدَامُ، إِنْ لَمْ تَعْتَمِدْ عَلَى تَوْفِيقٍ مِنَ اللهِ وَتَأْيِيدٍ لَكِنِّي لِمَا رَجَوْتُهُ لِي وَلَكَ فِي هَذَا السُّؤَالِ، وَالْجَوَابِ، مِنْ نَوَالٍ وَثَوَابٍ بِتَعْرِيفِ قَدْرِهِ الْجَسِيمِ(٥)، وَخُلُقِهِ الْعَظِيمِ، وَبَيَانِ خَصَائِصِهِ التي لَمْ تَجْتَمِعْ قَبْلُ فِي مَخْلُوقٍ، وَمَا يُدَانُ اللهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ حَقِّهِ الَّذِي هُوَ أَرْفَعُ الْحُقُوقِ ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا﴾ [المدثر: ٣١].

وَلَمَّا أَخَذَ اللهُ تعالى عَلَى الذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لِتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ، وَلا تَكْتُمُونَهُ، وَلَمَّا حَدَّثَنَا بِهِ أَبُو الْوَلِيدِ(٦) هِشَامُ بنُ أَحْمَدَ الْفَقِيهُ رَحِمَهُ(٧) اللهُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ قَالَ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ(٨) بنُ مُحَمَّدٍ(٩) حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ النَّمَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ بنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ حدَّثنا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بن بكر(١٠)، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ(١١) بنُ

---

(١) المهام: المفازة. (٢) فيح: جَ فيحاء الأرض الواسعة الفناء.

(٣) القطا: طائر يضرب به المثل في الهداية والإرشاد.

(٤) المداحض: وهو المكان الذي تنزلق به الأقدام.

(٥) جَسم الرجل: عَظُمَ. الجسيم، العظيم الجسم من الرجال.

(٦) أبو الوليد هشام بن أحمد الإمام القرطبي الزاهد من أعلام المحدثين. ويعرف بابن العواد. يعد من شيوخ القاضي عياض. من أئمة النحو واللغة. وقد وصفه بعض الحفاظ بالإتقان والضبط. ولد بقرطبة سنة ٤٥٢ هـ وتوفي سنة ٥٠٩ هـ.

(٧) الحسين بن محمد من الحفاظ المشهورين في علم الحديث والمصنفات له تآليف جيدة في هذا العلم ت./ سنة ٤٩٨ هـ.

(٨) ابن عبد البر: هو أبو عمر بن عبد البر النميري. حافظ المغرب، ومن أهم كتبه الاستيعاب الذي لا يستغني عنه أبي باحث ولد سنة: ٣٦٨ هـ/ت/ في شاطبة ٤٦٣هـ.
ترجمته: في بغية الملتمس للضبي: ٤٧٤، وتذكرة الحفاظ للذهبي: ١١٢٨/٣. وجذوة المقتبس للحميدي: ٣٤٤ والديباج المذهب لابن فرحون: ٣٧٥. والرسالة المستطرفة للكتاني: ١٥ وشذرات الذهب لابن العماد: ٣/٣١٤، والصلة: ٢/٢٧٧..

(٩) أبو محمد عبد المؤمن، ويعد من قدماء: المترجم للشيوخ الآنف الذكر، اشتغل بالتجارة كما اشتغل بالعلم ولقي كبار أهله وأخذ عنهم، وقيل في حقه أنه كان غير جيد الضبط والإتقان ترجم له صاحب ميزان الاعتدال.

(١٠) محمد بن بكر هو: أبو بكر محمد بن بكر والملقب بابن داسة، يعد من مشايخ الحديث المشهورين في هذا العلم، والمشهور برواية سنن أبي داود، وروى عنه أبو نعيم، ثم أجازه.

(١١) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني. الإمام الحافظ وتتلمذ عليه الإمام أحمد بن حنبل، واستحسن كتابه المسند عندما اطلع عليه، وقيل في حقه: ألان الله له الحديث كما ألان الحديد لداود عليه السلام ولد أبو داود سنة: ٢٠٢ هـ وتوفي بالبصرة سنة: ٢٧٥ هـ. =

الأَشْعَثِ حَدَّثَنَا مُوسَى[١] بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ[٢] أَخْبَرَنَا عَلِيٌّ[٣] بْنُ الحَكَمِ عَنْ عَطَاءٍ[٤] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[٥]، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[*] فَبَادَرْتُ إِلَى نُكَتٍ سَافِرَةٍ عَنْ وَجْهِ الْغَرَضِ، مُؤَدِّياً مِنْ ذَلِكَ الْحَقَّ الْمُفْتَرَضَ، اخْتَلَسْتُهَا عَلَى اسْتِعْجَالٍ، لِمَا الْمَرْءُ بِصَدَدِهِ مِنْ شُغْلِ الْبَدَنِ وَالْبَالِ، بِمَا قُلِّدَهُ مِنْ مَقَالِيدِ

= ترجمته: في البداية والنهاية لابن كثير: ١١/ ٥٤، وتاريخ بغداد للخطيب: ٩/ ٥٥. وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٩١، وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٤/ ١٦٩، والرسالة المستطرفة للكتاني: ١١. وشذرات الذهب ٢/ ١٦٧، وطبقات الحنابلة: ١/ ١٥٩، وطبقات الشافعية للسبكي: ٢/ ١٨٩، وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢٠١، والعبر: ٢/ ٥٤، واللباب: ١/ ٥٣٣، ومرآة الجنان لليافعي: ٢/ ١٨١، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زادة: ٢/ ١٣٥، ووفيات الأعيان لابن خلكان: ١/ ٢١٤...

(١) موسى بن إسماعيل التبوذكي المِنْقَري، مولاهم أبو سلمة البصري، من أعلام المحدثين روى عنه الرماح التجاري، وأبو داود، وقال عنه عباس الدوري: كتبنا عنه ٣٥ ألف حديث يعد من الثقات، خرج له أصحاب الكتب الستة، وأبو حاتم وأبو زرعة توفي في شهر رجب الفرد سنة ٢٢٣ هـ.
ترجمته: في تذكرة الحفاظ للذهبي: ١/ ٣١٤، وشذرات الذهب: ٢/ ٥٢ وطبقات ابن سعد ٧ ق ٢/ ٥٦ والعبر: ١/ ٣٨٨، وميزان الاعتدال للذهبي: ٤/ ٢٠٠..

(٢) حماد أحد علماء الحديث روى عنه الإمام مالك، وشعبة وغير ذلك واشتهر بالصدق في الرواية وأخرج الإمام مسلم له الكثير من الأحاديث. توفي سنة ١٩٩ هـ.

(٣) علي بن الحكم: البناني البصري روى عن الصحابي الجليل أنس بن مالك، وأبي عثمان النهدي وجماعة منهم الإمام نافع. خرج له الإمام البخاري وغيره توفي سنة ١٣١ هـ.

(٤) عطاء بن أبي رباح، هو أبو محمد المكي مولى بني جمح، انتهت إليه فتوى أهل مكة وكان أسود أعوج أفطس... توفي سنة ١١٤ هـ وقيل ١١٥ هـ وقيل ١١٦ هـ وقيل ١١٧ هـ وقيل: ١١٨ هـ على خلاف في ذلك.
ترجمته: في تذكرة الحفاظ: ١/ ٩٨، وتهذيب التهذيب: ٧/ ١٩٩، وحلية الأولياء: ٣/ ٣١٠. وخلاصة تهذيب الكمال: ٢٢٥ وشذرات الذهب: ١/ ١٤٧. وطبقات ابن سعد: ٥/ ٣٤٦. والعبر: ١/ ١٤١...

(٥) أبو هريرة هو عبد الرحمٰن بن صخر الدوسي اليماني حفظ عن النبي عليه الصلاة والسلام الكثير كما روى عن أبي بكر وعمر وأبي بن كعب، وعنه روى خلق كثير ومن هؤلاء سعيد بن المسيب وبشير بن نهيك وكان من أوعية العلم ومن كبار أهل الفتوى. أسلم عام خيبر سنة ٧ هـ وتوفي سنة ٥٧ هـ أو ٥٨ هـ.
ترجمته: في أسد الغابة: ٦/ ٣١٨، وتذكرة الحفاظ للذهبي ص ١/ ٣٢ وخلاصة تهذيب الكمال: ص ٣٩٧ وشذرات الذهب: ١/ ٦٣ وطبقات ابن سعد: ٢/ ٥٢ والقراء لابن الجوزي: ١/ ٣٧٠ والقراء للذهبي: ١/ ٤٠ والعبر ١/ ٦٢ والنجوم الزاهرة ١/ ١٥١.

(*) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٢/ ٢٦٣، ٣٠٥ في مسند أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه أبو داود في سننه: ٤/ ٦٧ ـ ٦٨ كتاب العلم (١٩) باب كراهية منع العلم. (٩) رقم الحديث ٣٦٥٨. والترمذي في السنن: ٥/ ٢٩ كتاب العلم (٤٢) باب ما جاء في كتمان العلم (٣) رقم الحديث: ٢٦٤٩ وقال: حديث حسن. وابن ماجة نحوه في السنن ١/ ٩٦ المقدمة باب من سئل عن علم فكتمه (٢٤) رقم الحديث: ٢٦١. ولفظ الحديث: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»...

الْمِحْنَةِ الَّتِي أُبْتُلِيَ بِهَا فَكَادَتْ تَشْغَلُ عَنْ كُلِّ فَرْضٍ، وَنَفْلٍ، وَتَرُدُّ بَعْدَ حُسْنِ التَّقْوِيمِ إِلَى أَسْفَلِ سُفْلٍ، وَلَوْ أَرَادَ اللهُ بِالْإِنْسَانِ خَيْراً لَجَعَلَ شُغْلَهُ وَهَمَّهُ كُلَّهُ، فِيمَا يُحْمَدُ غَداً وَلاَ يُذَمُّ مَحَلُّهُ؛ فَلَيْسَ ثَمَّ سِوَى نَضْرَةِ النَّعِيمِ. أَوْ عَذَابِ الْجَحِيمِ؛ وَلَكَانَ عَلَيْهِ بِخُوَيْصَتِهِ [1]، وَاسْتِنْقَاذِ مُهْجَتِهِ، وَعَمَلٍ صَالِحٍ يَسْتَزِيدُهُ، وَعِلْمٍ نَافِعٍ يُفِيدُهُ أَوْ يَسْتَفِيدُهُ، جَبَرَ اللهُ تَعَالَى صَدْعَ قُلُوبِنَا، وَغَفَرَ عَظِيمَ ذُنُوبِنَا، وَجَعَلَ جَمِيعَ اسْتِعْدَادِنَا لِمَعَادِنَا، وَتَوَفَّرَ دَوَاعِينَا فِيمَا يُنْجِينَا وَيُقَرِّبُنَا إِلَيْهِ زُلْفَى [2]، وَيُحْظِينَا بِمَنِّهِ وَرَحْمَتِهِ. وَلَمَّا نَوَيْتُ تَقْرِيبَهُ، وَدَرَّجْتُ تَبْوِيبَهُ، وَمَهَّدْتُ تَأْصِيلَه وَخَلَّصْتُ تَفْصِيلَهُ، وَانْتَحَيْتُ [3] حَصْرَهُ وَتَحْصِيلَهُ. تَرْجَمْتُهُ: بِالشِّفَاءِ بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ الْمُصْطَفَى». وَحَصَرْتُ الْكَلاَمَ فِيهِ فِي أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:

١ ـ القسم الأول: فِي تَعْظِيمِ الْعَلِيِّ الأَعْلَى، لِقَدْرِ هَذَا النَّبِيِّ قَوْلاً وَفِعْلاً، وَتَوَجَّهَ الْكَلاَمُ فِيهِ إِلَى أَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ:

الباب الأول:

فِي ثَنَائِهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَإِظْهَارِهِ عَظِيمَ قَدْرِهِ لَدَيْهِ، وَفِيهِ عَشَرَةُ فُصُولٍ:

الباب الثاني:

فِي تَكْمِيلِهِ تَعَالَى لَهُ الْمَحَاسِنَ خَلْقاً وَخُلُقاً، وَقِرانِهِ جَمِيعَ الفَضَائِلِ الدِّينِيَّةِ، وَالدُّنْيَوِيَّةِ، فِيهِ نَسَقاً، وَفِيهِ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ فَصْلاً.

الباب الثالث:

فِيمَا وَرَدَ مِنْ صَحِيحِ الأَخْبَارِ، وَمَشْهُورِهَا بِعَظِيمِ قَدْرِهِ عِنْدَ رَبِّهِ. وَمَنْزِلَتِهِ، وَمَا خَصَّهُ اللهُ بِهِ فِي الدَّارَيْنِ مِنْ كَرَامَاتِهِ، وَفِيهِ، اثْنَا عَشَرَ فَصْلاً [4]:

الْبَابُ الرَّابِعُ:

فِيمَا أَظْهَرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الآيَاتِ، وَالْمُعْجِزَاتِ وَشَرَّفَهُ بِهِ مِنَ الْخَصَائِصِ، وَالْكَرَامَاتِ، وَفِيهِ ثَلاَثُونَ فَصْلاً.

---

(١) الخويصة: تصغير خاصة والمراد بها هنا الأمر الذي يختص به.
(٢) الزلفى: القربى أو ما يتقرب به: ﴿إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].
(٣) الانتحاء: يعني هنا القصد.
(٤) هذا التقسيم النسخ إلا أن هذا الباب فيه خمسة عشر فصلاً. ولا أدري ماذا قصد المصنف بالاثنى عشر فصلاً.

٢ ـ القِسْمُ الثَّانِي: فِيمَا يَجِبُ عَلَى الأَنَامِ[١] مِنْ حُقُوقِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَيَتَرَتَّبُ الْقَوْلُ فِيهِ فِي أَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ:

الْبَابُ الأَوَّلُ:

فِي فَرْضِ الإِيمَانِ بِهِ، وَوُجُوبِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ، وَفِيهِ خَمْسَةُ فُصُولٍ.

الْبَابُ الثَّانِي:

فِي لُزُومِ مَحَبَّتِهِ، وَمُنَاكَحَتِهِ، وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُولٍ.

الْبَابُ الثَّالِثُ:

فِي تَعْظِيمِ أَمْرِهِ، وَلُزُومِ تَوْقِيرِهِ، وَبِرِّهِ، وَفِيهِ سَبْعَةُ فُصُولٍ.

الْبَابُ الرَّابِعُ:

فِي حُكْمِ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ، وَالتَّسْلِيمِ، وَفَرْضِ ذَلِكَ وَفَضِيلَتِهِ وَفِيهِ عَشَرَةُ فُصُولٍ.

٣ ـ الْقِسْمُ الثَّالِثُ: فِيمَا يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ ﷺ وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ، وَمَا يَمْتَنِعُ، وَيَصِحُّ مِنَ الأُمُورِ الْبَشَرِيَّةِ أَنْ يُضَافَ إِلَيْهِ وَهَذَا الْقِسْمُ ـ أَكْرَمَكَ اللهُ تَعَالَى ـ هُوَ سِرُّ الْكِتَابِ، وَلُبَابُ ثَمَرَةِ هَذِهِ الأَبْوَابِ، وَمَا قَبْلَهُ لَهُ كَالْقَوَاعِدِ، وَالتَّمْهِيدَاتِ، وَالدَّلاَئِلِ عَلَى مَا نُورِدُهُ فِيهِ مِنَ النُّكَتِ الْبَيِّنَاتِ، وَهُوَ الْحَاكِمُ عَلَى مَا بَعْدَهُ. وَالْمُنْجِزُ مِنْ غَرَضِ هَذَا التَّأْلِيفِ وَعْدَهُ، وَعِنْدَ التَّقَصِّي لِمَوْعِدَتِهِ وَالتَّقَصِّي عَنْ عُهْدَتِهِ، يَشْرَقُ[٢]، صَدْرُ الْعَدُوِّ اللَّعِينِ، وَيُشْرِقُ قَلْبُ الْمُومِنِ بِالْيَقِينِ، وَتَمْلأُ أَنْوَارُهُ جَوَانِحَ صَدْرِهِ، وَيَقْدُرُ الْعَاقِلُ[٣]، النَّبِيَّ حَقَّ قَدْرِهِ، وَيَتَحَرَّرُ الْكَلاَمُ فِيهِ فِي بَابَيْنِ:

الْبَابُ الأَوَّلُ:

فِيمَا يَخْتَصُّ بِالأُمُورِ الدِّينِيَّةِ، وَيَتَشَبَّثُ بِهِ الْقَوْلُ فِي الْعِصْمَةِ وَفِيهِ سِتَّةَ عَشَرَ فَصْلاً.

---

(١) الأنام: تطلق الكلمة على سائر البشر، ومنهم من يطلقها على الإنس والجن، وقيل تطلق على سائر ما خلق الله في الكون.

(٢) شَرِقَ يَشْرَقُ: بكسر الراء في الماضي وفتحها في المضارع. ويعني أن الإنسان قد يشرق بالماء العذب أي يموت، بسبب شربه.

(٣) العاقل: نقلت في بعض النسخ: الغافل، والعافل أوفق وأصح في التعبير.

الْبَابُ الثَّانِي:

فِي أَحْوَالِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَمَا يَجُوزُ طُرُوُّهُ[١] عَلَيْهِ مِنَ الْأَعْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ وَفِيهِ تِسْعَةُ فُصُولٍ.

٤ ـ **الْقِسْمُ الرَّابِعُ:** فِي تَصَرُّفِ وُجُوهِ الْأَحْكَامِ عَلَى مَنْ تَنَقَّصَهُ أَوْ سَبَّهُ ﷺ، وَيَنْقَسِمُ الْكَلَامُ فِيهِ فِي بَابَيْنِ:

الْبَابُ الْأَوَّلُ:

فِي بَيَانِ مَا هُوَ فِي حَقِّهِ كَسبٌ وَنَقْصٌ مِنْ تَعْرِيضٍ أَوْ نَصٍّ وَفِيهِ عَشَرَةُ فُصُولٍ.

الْبَابُ الثَّانِي:

فِي حُكْمِ شَانِئِهِ، وَمُؤْذِيهِ، وَمُشَقِّصِهِ[٢]، وَعُقُوبَتِهِ وَذِكْرِ اسْتِتَابَتِهِ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَوِرَاثَتِهِ، وَفِيهِ عَشَرَةُ فُصُولٍ.

وَخَتَمْنَاهُ بِبَابٍ ثَالِثٍ: جَعَلْنَاهُ تَكْمِلَةً لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَوُصْلَةً لِلْبَابَيْنِ اللَّذَيْنِ قَبْلَهُ فِي حُكْمِ مَنْ تَسبُّ اللهَ تَعَالَى وَرسُلَهُ وَمَلَائِكَتَهُ، وَكُتُبَهُ، وَآلَ النَّبِيِّ ﷺ وَصَحْبَهُ وَاخْتُصِرَ الْكَلَامُ فِيهِ فِي خَمْسَةِ فُصُولٍ. وَبِتَمَامِهَا يَنْتَجِزُ الْكِتَابُ، وَتَتِمُّ الْأَقْسَامُ، وَالْأَبْوَابُ، وَيَلُوحُ[٣] فِي غُرَّةِ الْإِيمَانِ لُمَعَةٌ مُنِيرَةٌ، وَفِي تَاجِ التَّرَاجِمِ[٤]، دُرَّةٌ خَطِيرَةٌ تُزِيحُ كُلَّ لَبْسٍ، وَتُوضِحُ كُلَّ تَخْمِينٍ، وَحَدْسٍ، وَتَشْفِي صُدُورَ قَوْمٍ مُومِنِينَ وَتَصْدَعُ بِالْحَقِّ وَتُعْرِضُ عَنِ الْجَاهِلِينَ، وَبِاللهِ تَعَالَى ـ لَا إِلَهَ سِوَاهُ ـ أَسْتَعِينُ.

---

(١) طروه: هو ما كتب في نسخة دار الفكر. وفي نسخ: طُرُوؤُهُ، ويعني الوقوع والحدوث وفي لسان العرب مادة: «طَوَأ» وقال يجوز الإبدال إذا كان على تقدير الهمز.

(٢) ومنتقصه: في نسخ غير هذة النسخ وردت الكلمة جاءت الكلمة على هذه الصيغة: ومتنصفه. والصواب والصحيح تقديم النون على التاء.

(٣) في بعض النسخ تلوح بالتاء. وبين التاء والياء تغيير في الإعراب. «لمعة» تعرب فاعلاً إذا كان الفعل تلوح، وتمييزاً إذا كان الفعل يلوح: «لمعة».

(٤) تاج التراجم في طبقات الحنفية لمؤلفه الشيخ قاسم بن قطلوبغا (الحنفي. ت/ ٣٧٩ هـ وهو مختصر جمعه من تذكرة شيخه التقي المقريزي، ومن الجواهر المضيئة مختصراً على ذكر من له تصنيف وهم: ٣٣٠ ترجمة. كشف الظنون ١/ ٢٦٩.

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ

فِي تَعْظِيمِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى لِقَدْرِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ﷺ[1] قَوْلاً وَفِعْلاً

مقدمة القسم الأول

قَالَ الْفَقِيهُ الْقَاضِي[2] الْإِمَامُ أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى لاَ خَفَاءَ عَلَى مَنْ مَارَسَ شَيْئاً مِنَ الْعِلْمِ، أَوْ خُصَّ بِأَدْنَى لَمْحَةٍ مِنَ الْفَهْمِ: بِتَعْظِيمِ اللهِ قَدْرَ نَبِيِّنَا ﷺ وَخُصُوصِهِ إِيَّاهُ بِفَضَائِلَ، وَمَحَاسِنَ، وَمَنَاقِبَ، لاَ تَنْضَبِطُ لِزِمَامٍ، وَتَنْوِيهِهِ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِهِ بِمَا تَكِلُّ عَنْهُ الْأَلْسِنَةُ، وَالْأَقْلاَمُ، فَمِنْهَا مَا صَرَّحَ بِهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَنَبَّهَ بِهِ عَلَى جَلِيلِ نِصَابِهِ، وَأَثْنَى بِهِ عَلَيْهِ مِنْ أَخْلاَقِهِ وَآدَابِهِ، وَحَضَّ الْعِبَادَ عَلَى الْتِزَامِهِ وَتَقَلُّدِ إِلْجَابِهِ: فَكَانَ جَلَّ جَلاَلُهُ هُوَ الَّذِي تَفَضَّلَ وَأَوْلَى - ثُمَّ طَهَّرَ وَزَكَّى ثُمَّ مَدَحَ بِذَلِكَ، وَأَثْنَى، ثُمَّ أَثَابَ عَلَيْهِ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى، فَلَهُ الْفَضْلُ بَدْأً وَعَوْداً، وَالْحَمْدُ أُولَى، وَأُخْرَى، وَمِنْهَا مَا أَبْرَزَهُ لِلْعِيَانِ مِنْ خَلْقِهِ عَلَى أَتَمِّ وُجُوهِ الْكَمَالِ، وَالْجَلاَلِ، وَتَخْصِيصِهِ بِالْمَحَاسِنِ الْجَمِيلَةِ، وَالْأَخْلاَقِ الْحَمِيدَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الْكَرِيمَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْعَدِيدَةِ وَتَأْيِيدِهِ بِالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ، وَالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ وَالْكَرَامَاتِ الْبَيِّنَةِ الَّتِي شَاهَدَهَا مَنْ عَاصَرَهُ، وَرَآهَا مَنْ أَدْرَكَهُ، وَعَلِمَهَا عِلْمَ يَقِينٍ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ، حَتَّى انْتَهَى عِلْمُ حَقِيقَةِ ذَلِكَ إِلَيْنَا وَفَاضَتْ أَنْوَارُهُ عَلَيْنَا: «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيراً».

«حَدَّثَنَا الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَافِظُ قِرَاءَةً مِنِّي عَلَيْهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ الْمُبَارَكُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ، وَأَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ خَيْرُونَ، قَالاَ: حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى الْبَغْدَادِيُّ، قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ السِّنْجِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَحْبُوبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عِيسَى بْنُ سَوْرَةَ الْحَافِظُ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَنْبَأَنَا مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ»[3] عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «أُتِيَ بِالْبُرَاقِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مُلْجَماً مُسْرَجاً فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: أَبِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذَا فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْهُ؟ قَالَ فَارْفَضَّ عَرَقاً»(*).

---

(١) ما بين قوسين ليست من كلام المصنف. وإنما هو للعلامة أحمد الشمني.

(٢) في بعض النسخ وردت هذه الجملة: قال الفقيه القاضي الإمام أبو الفضل وفقه الله تعالى وسدده. نسخة دار الفكر طبعة بيروت دون تاريخ: ١/ ١١.

(٣) في النسخة المحققة ـ مكتبة الفارابي. دمشق دون تاريخ ـ ساقطة.

(*) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح: ١/ ١٤٥ ـ ١٤٧. في كتاب الإيمان (٨) باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات (٧٤) الحديث: ٢٥٩/ ١٦٢.

=

الباب الأول: في ثناء الله تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه.

الفصل الأول: فيما جاء من ذلك مجيء المدح.

الفصل الثاني: في وصفه تعالى له بالشهادة.

الفصل الثالث: فيما ورد من خطابه إياه مورد الملاطفة والمبرة.

الفصل الرابع: في قسمه تعالى بعظيم قدره.

الفصل الخامس: في قسمه تعالى جده له ليحقق مكانته عنده.

الفصل السادس: فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفعة والإكرام.

الفصل السابع: فيما أخبر الله تعالى به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الأنبياء وخطوة رقبته.

الفصل الثامن: في أعلام الله تعالى خلقه بصلواته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه.

الفصل التاسع: فيما تضمنته سورة الفتح من كرامته ﷺ.

الفصل العاشر: فيما أظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرماته عليه ومكانته عنده.

= أنس: هو أنس بن مالك الأنصاري الخزراجي الصحابي الجليل رضي الله عنه خدم النبي ﷺ عشر سنين. أمه أم سليم. يعد من المكثرين من رواة الحديث دعا له النبي ﷺ بالمال والبنين واستجابة الدعاء. توفي سنة ٩٣ هـ.

ترجمته: في الثقات: ٣/ ٤. وفي الطبقات لابن سعد: ٧/ ١٧. وفي الإصابة ١/ ٧١.

ما بين قوسين ساقط من النسخة المحققة اللآنفة الذكر.

الْبَابُ الْأَوَّلُ
فِي ثَنَاءِ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَإِظْهَارِهِ عَظِيمِ قَدْرِهِ لَدَيْهِ

اعْلَمْ أَنَّ فِي كِتَابِ اللهِ الْعَزِيزِ آيَاتٍ كَثِيرَةً مُفْصِحَةً بِجَمِيلِ ذِكْرِ الْمُصْطَفَى ﷺ، وَعَدِّ مَحَاسِنِهِ، وَتَعْظِيمِ أَمْرِهِ وَتَنْوِيهِ قَدْرِهِ، اعْتَمَدْنَا مِنْهَا عَلَى مَا ظَهَرَ مَعْنَاهُ وَبَانَ فَحْوَاهُ وَجَمَعْنَا ذَلِكَ فِي عَشَرَةِ فُصُولٍ:

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ:

فِيمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ مَجِيءَ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ وَتَعْدَادُ الْمَحَاسِنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨] الآيَةَ.

قَالَ السَّمَرْقَنْدِيُّ[١]: وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ ﴿مِّنْ أَنفَسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨] بِفَتْحِ الْفَاءِ، وَقِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ بِالضَّمِّ، قَالَ الْفَقِيهُ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى: أَعْلَمَ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَوِ الْعَرَبَ أَوْ أَهْلَ مَكَّةَ أَوْ جَمِيعَ النَّاسِ عَلَى اخْتِلَافِ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ الْمُوَاجَهِ بِهَذَا الْخِطَابِ. أَنَّهُ بَعَثَ فِيهِم رَسُولاً مِنَ أَنْفُسِهِمْ، يَعْرِفُونَهُ وَيَتَحَقَّقُونَ مَكَانَهُ وَيَعْلَمُونَ صِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، فَلاَ يَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ وَتَرْكِ النَّصِيحَةِ لَهُمْ: لِكَوْنِهِ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِي الْعَرَبِ قَبِيلَةٌ إِلاَّ وَلَهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وِلاَدَةٌ، أَوْ قَرَابَةٌ، وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَغَيْرِهِ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[٢] [الشورى:٢٣] وَكَوْنِهِ مِنْ أَشْرَفِهِمْ، وَأَرْفَعِهِم، وَأَفْضَلِهِمْ عَلَى قِرَاءَةِ الْفَتْحِ هَذِهِ نِهَايَةُ الْمَدْحِ، ثُمَّ وَصَفَهُ بَعْدُ بِأَوْصَافٍ حَمِيدَةٍ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَحَامِدَ كَثِيرَةٍ: مِنْ حِرْصِهِ عَلَى هِدَايَتِهِمْ، وَرُشْدِهِمْ، وَإِسْلَامِهِمْ وَشِدَّةِ مَا يُعْنِتُهُمْ، وَيَضُرُّ بِهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ وَعِزَّتِهِ عَلَيْهِ. وَرَأْفَتِهِ، وَرَحْمَتِهِ بِمُؤْمِنِيهِمْ، قَالَ بَعْضُهُمْ: أَعْطَاهُ اسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، وَمِثْلُهُ فِي الآيَةِ الأُخْرَى قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران:١٦٤].

---

(١) هو أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السَّمَرْقَنْدِي، كان فقيهاً حنفياً، ومفسراً ومتصوفاً توفي رحمه الله سنة: ٣٧٣ هـ/ ٩٨٣ م، وقيل سنة ٣٧٥ هـ أو سنة ٣٩٣ هـ.

ترجمته: في الجواهر للقرشي: ٢/١٩٦، وفي تاج التراجم لابن قطلوبغا: ٥٨ ـ ٥٩. وفي الأعلام للزركلي: ٨/٣٤٨، وفي معجم المؤلفين لكحالة: ١٣/٩١ وفي دائرة المعارف الإسلامية: ١/١٣٧..

(٢) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، ولد قبل الهجرة بـ ٣ سنوات كان يلقب بحبر الأمة، ويعد من فقهاء الصحابة ومن أئمتهم في الإفتاء توفي سنة ٦٨ هـ. ترجمته: في الثقات: ٣/٢٠٧. وفي الإصابة: ٢/ ٣٣٠، وفي طبقات ابن سعد: ٢/ ٣٦٥، وفي حلية الأولياء: ١/٣١٤.

الآيَة. وَفِي الآيَةِ الأُخْرَى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢] الآيَة. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ [البقرة: ١٥١] الآيَة.

وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ[1] بنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ الله عَنْهُ: عَنْهُ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٩] قَالَ: «**نَسَباً وَصِهْراً وَحَسَباً لَيْسَ فِي آبَائِي مِنْ لَدُنْ آدَمَ سِفَاحٌ كُلُّهَا نِكَاحٌ**»، قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ: كَتَبْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ خَمْسَمِائَةِ أُمٍّ فَمَا وَجَدْتُ فِيهِنَّ سِفَاحاً وَلاَ شَيْئاً مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ الْجَاهِلِيَّةُ؛ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ الله عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨] قَالَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَى نَبِيٍّ حَتَّى أَخْرَجْتُكَ نَبِيّاً، وَقَالَ جَعْفَرُ[2] بنُ مُحَمَّدٍ: عَلِمَ الله تَعَالَى عَجْزَ خَلْقِهِ عَنْ طَاعَتِهِ، فَعَرَّفَهُمْ ذَلِكَ لِكَيْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ لاَ يَنَالُونَ الصَّفْوَ مِنْ خِدْمَتِهِ، فَأَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مَخْلُوقاً مِنْ جِنْسِهِمْ فِي الصُّورَةِ؛ أَلْبَسَهُ مِنْ نَعْتِهِ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ، وَأَخْرَجَهُ إِلَى الْخَلْقِ سَفِيراً صَادِقاً، وَجَعَلَ طَاعَتَهُ طَاعَتَهُ وَمُوَافَقَتَهُ مُوَافَقَتَهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] قَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ: زَيَّنَ الله مُحَمَّداً ﷺ بِزِينَةِ الرَّحْمَةِ فَكَانَ كَوْنُهُ رَحْمَةً، وَجَمِيعُ شَمَائِلِهِ، وَصِفَاتِهِ رَحْمَةً عَلى الْخَلْقِ، فَمَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ رَحْمَتِهِ فَهُوَ النَّاجِي فِي الدَّارَيْنِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَالْوَاصِلُ فِيهِمَا إِلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ؛ أَلاَ تَرَى أَنَّ الله تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فَكَانَتْ حَيَاتُهُ رَحْمَةً، وَمَمَاتُهُ رَحْمَةً. كَمَا قَالَ ﷺ: «**حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُم وَمَوْتِي خَيْرٌ لَكُمْ**». وَكَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**إِذَا أَرَادَ الله رَحْمَةً بِأُمَّةٍ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطاً وَسَلَفاً**»[*].

---

(١) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الهاشمي. يكنى أبا الحسن، قاضي الأمة نهض بأعباء العلم والعمل، ولد قبل البعثة بعشر سنين، واستشهد في سابع شهر عشر رمضان عام ٤٠ هـ وعمره: ٦٠ سنة.
ترجمته: في أسد الغابة: ٤/ ٩١. والإصابة: ٢/ ١٠٥. وتاريخ بغداد: ١/ ١٣٣. وتاريخ الخلفاء: ١٦٦. وتذكرة الحفاظ: ١/ ١٠. وخلاصة تهذيب الكمال: ٢٣٢. وشذرات الذهب: ١/ ١٩، وطبقات ابن سعد ١/ ١١ وطبقات الشيرازي: ١١ وطبقات القراء لابن الجوزي: ١/ ٥٤٦. وطبقات القراء للذهبي؛ ١/ ٣٠. والعبر: ١/ ٤٦. ومروج الذهب: ٢/ ٣٥٨. والنجوم الزاهرة: ١/ ١١٩.

(٢) جعفر بن محمد. هو جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ولد سنة: ٨٠ هـ. ويعد من فضلاء أهل البيت وأئمتهم توفي سنة ١٨٤ هـ ودفن بالبقيع بجوار عائلته.
ترجمته: في التذكرة: ١٦٦، والبداية والنهاية: ١٠/ ١٠٥ وفي حلية الأولياء: ٣/ ١٩٢.

(*) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٩/ ١٧٦ ـ ١٧٧، والمتقي الهندي في كنز العمال تحت رقم: ٣١٩٣، ٣١٩٠٤، ٣٥٤٧٠.

وَقَال السَّمْرَقَنْدِيُّ[1]: ﴿رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]. يَعْنِي لِلْجِنِّ وَالإِنْسِ. قِيلَ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ: لِلْمُؤْمِنِ رَحْمَةً بِالْهِدَايَةِ، وَرَحْمَةً لِلْمُنَافِقِ بِالأَمَانِ مِنَ الْقَتْلِ، وَرَحْمَةً لِلْكَافِرِ بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ[٢] رَضِيَ الله عَنْهُمَا: هُوَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ إِذْ عُوفُوا مِمَّا أَصَابَ غَيْرَهُمْ مِنَ الأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ[٣].

وَحُكِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هَلْ أَصَابَكَ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ شَيْءٌ؟»[*]. قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَخْشَى الْعَاقِبَةَ فَأَمِنْتُ لِثَنَاءِ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ بِقَوْلِهِ: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:٢٠ ـ ٢١].

وَرُوِيَ عَنْ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة:٩١]. أَيْ بِكَ إِنَّمَا وَقَعَتْ سَلَامَتُهُمْ مِنْ أَجْلِ كَرَامَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَقَالَ الله تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥] الآيَةَ.

قَالَ كَعْبُ الأَحْبَارِ، وَابْنُ جُبَيْرٍ: الْمُرَادُ بِالنُّورِ الثَّانِي هُنَا: مُحَمَّدٌ ﷺ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ [النور:٣٥] أَيْ نُورِ مُحَمَّدٍ[٤] ﷺ.

وَقَالَ سَهْلُ بنُ عَبْدِ الله: الْمَعْنَى الله هَادِي أَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ قَالَ: مَثَلُ نُورِ مُحَمَّدٍ إِذْ كَانَ مُسْتَوْدَعاً فِي الأَصْلَابِ كَمِشْكَاةٍ صِفَتُهَا كَذَا. وَأَرَادَ بِالْمِصْبَاحِ قَلْبَهُ، وَالزُّجَاجَةِ صَدْرَهُ: أَيْ كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ لِمَا فِيهِ مِنَ الإِيمَانِ وَالْحِكْمَةِ، يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ: أَيْ مِنْ نُورِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَضَرَبَ الْمَثَلَ بِالشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ وَقَوْلُهُ: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ﴾ [النور:٣٥] أَيْ: تَكَادُ نُبُوَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ تَبِينُ لِلنَّاسِ قَبْلَ كَلَامِهِ كَهَذَا الزَّيْتِ، وَقَدْ قِيلَ فِي الآيَةِ غَيْرُ هَذَا وَالله أَعْلَمُ.

وَقَدْ سَمَّاهُ الله تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ نُوراً وَسِرَاجاً مُنِيراً. فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة:١٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥، ٤٦]. وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح:١] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. شَرَحَ: وَسَّعَ، وَالْمُرَادُ بِالصَّدْرِ هُنَا: الْقَلْبُ.

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء: ٢/٤٩٦، ولفظه: إذا أراد الله بأمة خير أقبض نبيها قبلها.
(٢) تقدمت ترجمته. (٣) تقدمت ترجمته.
(٤) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد: ٨/٢٧٦ مع اختلاف في اللفظ.
جعفر بن محمد الصادق تقدمت ترجمته.
أخرجه عياض في الشفا: ١/١٨٧، وفي مناهل الصفاء: ٣.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ[١] رَضِيَ الله عَنْهُمَا: شَرَحَهُ بِنُورِ الإِسْلَامِ، وَقَالَ سَهْلٌ[٢]: بِنُورِ الرِّسَالَةِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: مَلأَهُ حُكْماً وَعِلْماً، وَقِيلَ مَعْنَاهُ: أَلَمْ يُطَهِّرْ قَلْبَكَ حَتَّى لاَ يَقْبَلَ الْوَسْوَاسَ ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ٨ ـ ٩]. قِيلَ مَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِكَ يَعْنِي قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَقِيلَ أَرَادَ ثِقَلَ أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَقِيلَ أَرَادَ مَا أَثْقَلَ ظَهْرَهُ مِنَ الرِّسَالَةِ حَتَّى بَلَّغَهَا، حَكَاهُ الْمَاوَرْدِيُّ[٣] وَالسُّلَمِيُّ[٤]، وَقِيلَ عَصَمْنَاكَ وَلَوْلاَ ذَلِكَ لأَثْقَلَتِ الذُّنُوبُ ظَهْرَكَ حَكَاهُ السَّمَرْقَنْدِيُّ[٥]، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤].

قَالَ يَحْيَى بْنُ آدَمَ: بِالنُّبُوَّةِ، وَقِيلَ إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي، فِي قَوْلِ: **«لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله»**. وَقِيلَ فِي الأَذَانِ، وَالإِقَامَةِ.

قَالَ الْفَقِيهُ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ هَذَا تَقْرِيرٌ مِنَ الله جَلَّ اسْمُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ عَلَى عَظِيمِ نِعَمِهِ لَدَيْهِ وَشَرِيفِ مَنْزِلَتِهِ، عِنْدَهُ وَكَرَامَتِهِ عَلَيْهِ، بِأَنْ شَرَحَ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ وَالْهِدَايَةِ وَوَسَّعَهُ لِوَعْيِ الْعِلْمِ، وَحَمْلِ الْحِكْمَةِ وَرَفَعَ عَنْهُ ثِقَلَ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَيْهِ وَبَغَّضَهُ لِسِيَرِهَا وَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ بِظُهُورِ دِينِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَحَطَّ عَنْهُ عُهْدَةَ أَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ، وَالنُّبُوَّةِ لِتَبْلِيغِهِ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ، وَتَنْوِيهِهِ بِعَظِيمِ مَكَانِهِ وَجَلِيلِ رُتْبَتِهِ وَرِفْعَةِ ذِكْرِهِ، وَقِرَانِهِ مَعَ اسْمِهِ اسْمَهُ.

قَالَ قَتَادَةُ[٦]: رَفَعَ الله ذِكْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلَيْسَ خَطِيبٌ وَلاَ مُتَشَهِّدٌ، وَلاَ صَاحِبُ صَلاَةٍ إِلاَّ يَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله.

---

(١) عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. تقدمت ترجمته.

(٢) سهل بن عبد الله بن يونس التستري الزاهد المشهور الذي لم يجد الدهر بمثله، علماً وزهداً وورعاً وله كرامات مشهورة كان من أصحاب ذي النون المصري بمكة وسنة ٢٠٠ هـ بتستر، وتوفي سنة ٢٧٣ بالصبرة رحمه الله.

(٣) الماوردي هو أبو الحسن علي بن حبيب، أجل من صنف في الفقة والتفسير والأصول والفرائض توفي رحمه الله سنة ٤٥٠ هـ.

(٤) السلمي: محمد بن الحسين بن موسى كنيته أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري شيخ من شيوخ الصوفية في عصره، ومصدر تاريخ الصوفية وتفسيرهم ولد سنة ٣٣٠ هـ وتوفي في شعبان سنة ٤١٢ هـ. ترجمته في ميزان الاعتدال ٣/ ٥٢٤، وشرح القاري: ١١/ ٤٤.

(٥) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية: ٧/ ١٩٧/ طبع الهند.

(٦) قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر. . بن الخزرج وكنيته أبو عمرو وسمع النبي ﷺ يقول: إذا أحب الله عبداً حماه الدنيا، شهد بدراً وأصيبت عينه يوم أحد حتى وقعت على وجنته، توفي سنة ٢٣ هـ وهو ابن: ٦٥ سنة وصلى عليه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. ترجمته في الثقات ٣/ ٣٤٤، والإصابة ٣/ ٢٢٥، والطبقات: ٣/ ٤٥٢.

وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ[(١)] الْخُدْرِيُّ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ تَدْرِي كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ؟ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي»**[(٢)].

قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ[(٣)]: جَعَلْتُ تَمَامَ الْإِيمَانِ بِذِكْرِكَ مَعِي، وَقَالَ: أَيْضاً جَعَلْتُكَ ذِكْراً مِنْ ذِكْرِي، فَمَنْ ذَكَرَكَ ذَكَرَنِي.

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ[(٤)] الصَّادِقُ: لاَ يَذْكُرُكَ أَحَدٌ بِالرِّسَالَةِ إِلاَّ ذَكَرَنِي بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَشَارَ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ إِلَى مَقَامِ الشَّفَاعَةِ، وَمِنْ ذِكْرِهِ مَعَهُ تَعَالَى، أَنْ قَرَنَ طَاعَتَهُ، وَاسْمَهُ بِاسْمِهِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٢]. وَ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحديد: ٧]. فَجَمَعَ بَيْنَهُمَا بِوَاوِ الْعَطْفِ الْمُشَرِّكَةِ، وَلاَ يَجُوز جَمْعُ هَذَا الْكَلَامِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ﷺ. قَالَ [حَدَّثَنَا الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَيَّانِيُّ الْحَافِظُ فِيمَا أَجَازَنِيهِ وَقَرَأْتُهُ عَلَى الثِّقَةِ عَنْهُ.

قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ النَّمَرِيُّ، قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ. قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ دَاسَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ السِّجْزِيُّ. حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ يَسَارٍ][(٥)] عَنْ حُذَيْفَةَ[(٦)] رَضِيَ الله عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ مَا شَاءَ**

---

(١) أبو سعيد الخدري: سعد بن مالك الأنصاري الخزرجي المدني، كان من علماء الصحابة، وممن شهد بيعة الشجرة روى حديثاً كثيراً وأفتى مدة توفي سنة ٧٤ هـ. ترجمته في: أسد الغابة ٦/ ١٤٢ وتاريخ بغداد: ١/ ١٨٠، وتذكرة الحفاظ للذهبي: ١/ ٤٤ وخلاصة تذهيب الكمال: ١١٥ وشذرات الذهب: ١/ ٨١ وطبقات الشيرازي: ٥١ والعبر: ١/ ٨٤ والنجوم الزاهرة ١/ ١٩٢.

(٢) أخرجه الهيثمي في موارد الظمآن تحت رقم ١٧٧٢، وفي مجمع الزوائد: ٨/ ٢٥٤، والطبري في تفسيره: ٣٠/ ١٥١، وابن كثير في التفسير: ٨/ ٤٥٢.

(٣) ابن عطاء هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الإمام الزاهد، أحد شيوخ الصوفية بالعراق توفي سنة ٣٩٩ هـ.

(٤) جعفر بن محمد الصادق: هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ولد سنة: ٨٠ هـ وثقه الإمام الشافعي، وابن معين، وأبو حاتم والذهبي وهو من أجلة أهل البيت وفقهائهم وعلمائهم توفي سنة ١٨٤ هـ ودفن بالبقيع مع أبيه وجده وعمه في قبر واحد. ترجمته في: تذكرة الحفاظ: ١٦٦ والبداية والنهاية ١٠/ ١٠٥ وحلية الأولياء: ٣/ ١٩٢.

(٥) [.....] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٦) حذيفة بن اليمان العبسي، ولد بالمدينة وأسلم معه أبوه وشهد معه أحداً حيث استشهد أبوه، وشهد بعد ذلك غزوة الخندق عام ٥ هـ وما بعدها من الغزوات، ولي المدائن في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: توفي سنة ٣٦ هـ ترجمته في: أسد الغابة: ٢/ ٣١٨.

الله، وَشَاءَ فُلانٌ، وَلَكِنْ مَا شَاءَ الله ثُمَّ شَاءَ فُلاَنٌ»[١].

قَالَ الْخَطَّابِيُّ[٢]: أَرْشَدَهُمْ ﷺ إِلَى الْأَدَبِ فِي تَقْدِيمِ مَشِيئَةِ الله تَعَالَى عَلَى مَشِيئَةِ مَنْ سِوَاهُ، وَاخْتَارَهَا بِثُمَّ الَّتِي هِيَ لِلنَّسَقِ وَالتَّرَاخِي بِخِلاَفِ الْوَاوِ الَّتِي هِيَ لِلاشْتِرَاكِ، وَمِثْلُهُ الْحَدِيثُ الآخَرُ: أَنَّ خَطِيباً خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ. فَقَالَ: «مَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا»[٣].

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «بِئْسَ خَطِيبُ الْقَوْمِ أَنْتَ قُمْ ـ أَوْ قَالَ ـ اذْهَبْ» قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: كَرِهَ مِنْهُ الْجَمْعَ بَيْنَ الاسْمَيْنِ بِحَرْفِ الْكِنَايَةِ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّسْوِيَةِ، وَذَهَبَ غَيْرُهُ إِلَى أَنَّهُ إِنَّمَا كَرِهَ لَهُ الْوُقُوفَ عَلَى يَعْصِهِمَا، وَقَوْلُ أَبِي سُلَيْمَانَ أَصَحُّ لِمَا رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ: وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى، وَلَمْ يَذْكُرِ الْوُقُوفَ عَلَى يَعْصِهِمَا، وَقَدِ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ، وَأَصْحَابُ الْمَعَانِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب:٥٦] هَلْ يُصَلُّونَ رَاجِعَةٌ عَلَى الله تَعَالَى وَالمَلاَئِكَةِ أَمْ لا؟ فَأَجَازَهُ بَعْضُهُمْ، وَمَنَعَهُ آخَرُونَ لِعِلَّةِ التَّشْرِيكِ وَخَصُّوا الضَّمِيرَ بِالمَلاَئِكَةِ وَقَدَّرُوا الآيَةَ: إِنَّ الله يُصَلِّي، وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ عُمَرَ[٤] رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ الله أَنْ جَعَلَ طَاعَتَكَ طَاعَتَهُ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء:٨٠] وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١] الآيَتَيْنِ.

---

(١) أخرجه الإمام النووي في نزهة المتقين شرح رياض الصالحين تحت رقم: ٣٣٣ باب كراهية قول ما شاء الله، وشاء فلان ٢/ ١١٨٧، وأخرجه أبو داود في السنن كتاب الأدب باب لا يقال حبست نفسي. ولفظ الحديث في نزهة المتقين: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان» أخرجه أبو داود بإسناد حسن.

(٢) الخطابي الإمام العلامة المفيد المحدث الرحال أبو سليمان حَمْدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بن خطاب البستي: وهو منسوب إلى جده الخطاب حيث كان من ذرية زيد بن الخطاب.. توفي عام ٣٨٨ هـ: ترجمته: في: إرشاد الأريب: ١/ ٨١، وإنباه الرواة للقطني: ١/ ١٢٥ والأنساب: ٨٠، والبداية والنهاية لابن كثير، ١١/ ٦ والنجوم الزاهرة ٤/ ١٩٩، وتذكرة الحافظ: ٣/ ٢٠١٨ والعبر؛ ٣/ ٣٩، وشذرات الرهيب: ٣/ ١٢٢ وطبقات الشافعية لابن السبكي: ٣/ ٢٨٢ ووفيات الأعيان لابن ملكان.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ٣/ ٢١٥. والحاكم في المستدرك: ١/ ٢٨٩.

(٤) عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أبو حفص العدوي الفاروق الخليفة الثاني لرسول الله ﷺ، ومن الله به الإسلام، وهو الصادق الملهم وهو الذي سن للمحدثين التثبت في النقل. ترجمته في: أسد الغاية ٤/ ١٤٥. والإصابة ٢/ ٥١١ وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٠٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٥ وخلاصة تذهيب الكمال: ٢٣٩. وشذرات الذهب: ١/ ٣٣، وطبقات ابن سعد: ٣/ ١٩٠ وطبقات القراء لابن الجزري ١/ ٥٩١ والعبر: ١/ ٢٧، ومروج الذهب ٢/ ٣١٢.

وَرُوِي أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ، قَالُوا إِنَّ مُحَمَّداً يُرِيدُ أَنْ يَتَّخِذَهُ حَنَاناً كَمَا اتَّخَذَتِ النَّصَارَى عِيسَى، فَأَنْزَلَ اللهُ الآيَةَ ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢] فَقَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ، رَغْماً لَهُمْ، وَقَدِ اخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي أُمِّ الكِتَابِ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧]. فَقَالَ أَبُو العَالِيَةِ (١)، وَالحَسَنُ البَصْرِيُّ (٢): الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَخِيَارُ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَأَصْحَابِهِ، حَكَاهُ عَنْهُمَا أَبُو الحَسَنِ المَاوَرْدِيُّ (٣)، وَحَكَى مَكِّيٌّ (٤) عَنْهُمَا نَحْوَهُ، وَقَالَ هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَاحِبَاهُ، أَبُو بَكْرٍ (٥) وَعُمَرُ (٦) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَحَكَى أَبُو اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيُّ (٧) مِثْلَهُ عَنْ أَبِي العَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] قَالَ فَبَلَغَ ذَلِكَ الحَسَنَ، فَقَالَ صَدَقَ وَاللهِ وَنَصَحَ.

وَحَكَى المَاوَرْدِيُّ (٨) ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بنِ زَيْدٍ (٩)، وَحَكَى أَبُو عَبْدِ الرَّحْمٰنِ السُّلَمِيُّ عَنْ بَعْضِهِمْ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢] إِنَّهُ مُحَمَّدٌ ﷺ وَقِيلَ الإِسْلَامُ، وَقِيلَ شَهَادَةُ التَّوْحِيدِ.

---

(١) أبو العالية هو رفيع بن مهران تابعي أسلم زمان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. أخرج له الشيخان في الصحيحين وله تفسير توفي رحمه الله سنة ٩٠ هـ.

(٢) الحسن البصري: هو الحسن بن أبي الحسن، واسم أبيه سيار مولى زيد بن ثابت الأنصاري كنيته أبو سعيد، ولد قبل وفاة عمر بن الخطاب بسنتين، رأى (١٢٠) صاحبياً من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان من علماء التابعين بالقرآن والفقه، والأدب، من عباد البصرة وزهادهم توفي سنة ١١٠ هـ وهو ابن ٨٩ سنة. ترجمته في المشاهير: ٨٨.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) مكي هو أبو محمد بن أبي طالب شيخ الصوفية وأهل السنة وأصله من القيروان، وبها ولد ثم انتقل إلى الأندلس، وسكن قرطبة، وكان من أئمة التفسير وغيره من العلوم، وله تفسير كبير وكتابه قوت القلوب وهو كتاب جليل توفي في قرطبة سنة ٤٣٧ هـ ودفن بها ترجمته في: تاريخ بغداد: ٣/ ٨٩، والوافي بالوفيات ٤/ ١١٦ - والمنتظم ٧/ ١٨٩ والشذرات ٣/ ١٢٠، والكامل: ٩/ ٤٤.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) عبد الرحمن بن زيد هو: ابن أسلم المدني، روى عن أبيه وابن المنكدر وروى عنه أصبغ وقتيبة وهشام ويعدوه في الضعفاء. وله تفسير مشهور، أخرج أحاديثه أصحاب السنن توفي سنة ١٨٢ هـ ترجمته في الميزان.

وَقَالَ سَهْلٌ[1] فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

قَالَ نِعْمَتُهُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣] الآيَتَيْنِ.

أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، قَالَ بَعْضُهُمْ: وَهُوَ الَّذِي صَدَّقَ بِهِ، وَقُرِئَ صَدَقَ بِالتَّخْفِيفِ، وَقَالَ غَيْرُهُمْ الَّذِي صَدَّقَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ، وَقِيلَ أَبُو بَكْرٍ[2]، وَقِيلَ عَلِيٌّ[3]، وَقِيلَ غَيْرُ هٰذَا مِنَ الأَقْوَالِ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ[4] فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] قَالَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ.

الْفَصْلُ الثَّانِي

فِي وَصْفِهِ تَعَالَى لَهُ بِالشَّهَادَةِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ الثَّنَاءِ وَالْكَرَامَةِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] الآيَةَ.

جَمَعَ اللهُ تَعَالَى لَهُ فِي هَذِهِ الآيَةِ ضُرُوباً مِنْ رُتَبِ الأَثَرَةِ، وَجُمْلَةَ أَوْصَافٍ مِنَ الْمِدْحَةِ، فَجَعَلَهُ شَاهِداً عَلَى أُمَّتِهِ لِنَفْسِهِ بِإِبْلاغِهِمْ الرِّسَالَةَ وَهِيَ مِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ، وَمُبَشِّراً لأَهْلِ طَاعَتِهِ، وَنَذِيراً لأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ، وَدَاعِياً إِلَى تَوْحِيدِهِ، وَعِبَادَتِهِ، وَسِرَاجاً مُنِيراً يُهْتَدَى بِهِ لِلْحَقِّ.

[حَدَّثَنَا الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ عَتَّابٍ. حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ حَاتِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ. حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْقَابِسِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ الْمَرْوَزِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا الْبُخَارِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ حَدَّثَنَا هِلالُ بنُ][5] عَطَاءِ[6] بْنُ يَسَارٍ، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بنَ عمرو[7] بْنَ الْعَاصِ، فَقُلْتُ أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: أَجَلْ. وَاللهِ إِنَّهُ

---

(١) تقدمت ترجمته. (٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) مجاهد هو: أبو محمد بن جبر، من أجلة التابعين اشتهر بالقراءة والتفسير، إمام زاهد عابد، أخرج له أصحاب السنن، وغيرهم وثقه أصحاب الحديث، وترجم له الذهبي في تذكرة الحفاظ، ولد في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتوفي في مكة سنة ١٠٢ هـ وهو ساجد لله تعالى.

(٥) [. . . .] ساقطة من نسخة دمشق المحققة مع زيادة: (عن) في بداية الكلام: عن عطاء بن يسار. . .».

(٦) هلال بن عطاء بن يسار كنيته أبو عمر المدني من كبار التابعين اختلف في وفاته قيل إنه توفي سنة ٩٤ هـ وقيل سنة ١٠٣ هـ.

(٧) عبد الله بن عمرو بن العاص هو أبو محمد وقيل أبو عبد الرحمن القرشي الصحابي الجليل وهو الصحابي=

لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]. وَحِرْزاً لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي[١] وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ، بِفظٍّ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ الله حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَيَفْتَحَ بِهِ أَعْيُناً عُمْياً، وَآذَاناً صُمّاً، وَقُلُوباً غُلْفاً، وَذُكِرَ مِثْلُهُ عَنْ عَبْدِ الله[٢] بن سَلاَمٍ، وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ[٣]، وَفِي بَعْضِ طُرُقِهِ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ[٤]: وَلاَ صَخِبٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلاَ مُتَزَيِّنٍ بِالْفُحْشِ، وَلاَ قَوَّالٍ لِلْخَنَا. أُسَدِّدُهُ لِكُلِّ جَمِيلٍ، وَأَهَبُ لَهُ كُلَّ خُلُقٍ كَرِيمٍ، وَأَجْعَلُ السَّكِينَةَ لِبَاسَهُ، وَالبِرَّ شِعَارَهُ، وَالتَّقْوَى ضَمِيرَهُ، وَالْحِكْمَةَ مَعْقُولَهُ، وَالصِّدْقَ وَالْوَفَاءَ طَبِيعَتَهُ، وَالْعَفْوَ، وَالْمَعْرُوفَ خُلُقَهُ، وَالْعَدْلَ سِيرَتَهُ، وَالْحَقَّ شَرِيعَتَهُ وَالْهُدَى إِمَامَهُ، وَالْإِسْلاَمَ مِلَّتَهُ، وَأَحْمَدَ اسْمَهُ أَهْدِي بِهِ بَعْدَ الضَّلاَلَةِ وَأُعَلِّمُ بِهِ بَعْدَ الْجَهَالَةِ، وَأَرْفَعُ بِهِ بَعْدَ الْخَمَالَةِ، وَأُسَمِّي بِهِ بَعْدَ النُّكْرَةِ وَأُكَثِّرُ بِهِ بَعْدَ الْقِلَّةِ، وَأُغْنِي بِهِ الْعَيْلَةَ، وَأَجْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْفُرْقَةِ وَأُؤَلِّفُ بِهِ بَيْنَ قُلُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَهْوَاءٍ مُتَشَتِّتَةٍ وَأُمَمٍ مُتَفَرِّقَةٍ، وَأَجْعلُ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: أَخْبَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ عَنْ صِفَتِهِ فِي التَّوْرَاةِ «عَبْدِي أَحْمَدُ الْمُخْتَارُ

= الذي كان بعيشه وبين عربيه: ١٢ سنة في السن وكان الرسول ﷺ يقول في حق هذه الأسرة: نعم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله. اعتنق الإسلام قبل أبيه وكان كثير العبادة والرواية عن الرسول ﷺ. حتى في حقه: إنه أكثر رواية من أبي هريرة لا كان يكتب وأبو هريرة كان لأنه يكتب وإنما لم تشتهر روايته كأبي هريرة، وسكن مصر وتوفي بفلسطين سنة ٩٩ هـ وعمره ٧٣ سنة: ترجمته في الإصابة: ٦/١٧٦ ـ ١٧٧، وأسد الغابة: ٦/٣٣٨ ـ ٣٤٧.

(١) أخرجه البغوي بلفظه التام بإسناده في شرح السنة ١٣/ ٢١٠. كتاب الفضائل باب فضائل سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ تحت رقم: ٣٦٢٨ ـ وسخاب أي صياح وشرف بفحتين أي مكان مرتفع.

(٢) عبد الله بن سلام أسلم في عهد الرسول ﷺ كما قدم المدينة وكان من أجلة العلماء عالماً بالتورلة متقناً للقرآن الكريم، وشهد له الرسول ﷺ بالجنة، وهو من بني إسرائيل كان اسمه في الجاهلية حصيناً فسماه النبي عبد الله وفيه نزل قوله تعالى: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده أم الكتاب﴾. كان من أجلة الصحابة أخرج أحاديثه أئمة الحديث الستة توفي سنة ٤٣ هـ. ترجمته في: الروض الأنف ٢/ ٢٥٧ والثقات ٣/ ٢٢٨، والطبقات ٢/ ٣٥٢. والإصابة: ٢/ ٣٢٠.

(٣) كعب الأحبار مانع بن مينوع، أدرك زمان الرسول الله ﷺ وأسلم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وصحب عمر بن الخطاب وأكثر الرواية عنه، وعن غيره، وأخذ عنه الصحابة، وكان على دين اليهود في الجاهلية، وسكن اليمن، ثم حمص بالشام بعد إسلامه وظل بها حتى توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ٣٢ هـ.

(٤) ابن إسحاق هو محمد بن إسحاق بن أبي بكر وكنيته أبو عبد الله كان حبراً عالماً بالسير، وله غرائب استنكرها عليه غيره لسعة حفظه، وهو صاحب كتاب المغازي. ضعفه بعضهم وقال آخرون إنه ثقة صدوق توفي سنة ١٥١ هـ.

مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ وَمُهَاجَرُهُ بِالْمَدِينَةِ ـ أَوْ قَالَ طَيْبَةَ ـ أُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ» (١) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧] الآيَتَيْنِ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] الآيَةَ. قَالَ السَّمَرْقَنْدِيُّ (٢) ذَكَّرَهُمُ اللهُ تَعَالَى مِنَّتَهُ أَنَّهُ جَعَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَحِيماً بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفاً لَيِّنَ الْجَانِبِ وَلَوْ كَانَ فَظّاً خَشِناً فِي الْقَوْلِ لَتَفَرَّقُوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَكِنْ جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى سَمْحاً سَهْلاً طَلْقاً بَرّاً لَطِيفاً هَكَذَا قَالَهُ الضَّحَّاكُ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَابِسِيُّ (٣): أَبَانَ اللهُ تَعَالَى فَضْلَ نَبِيِّنَا ﷺ وَفَضْلَ أُمَّتِهِ بِهَذِهِ الآيَةِ وَفِي قَوْلِهِ فِي الآيَةِ الأُخْرَى ﴿وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨]. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١] الآيَةَ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسَطًا﴾ أَيْ عَدُولاً خِيَاراً وَمَعْنَى هَذِهِ الآيَةِ: وَكَمَا هَدَيْنَاكُمْ فَكَذَلِكَ خَصَصْنَاكُمْ وَفَضَّلْنَاكُمْ بِأَنْ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً خِيَاراً عَدُولاً، لِتَشْهَدُوا لِلأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى أُمَمِهِمْ وَيَشْهَدُ لَكُمُ الرَّسُولُ بِالصِّدْقِ، قِيلَ إِنَّ اللهَ جَلَّ جَلاَلُهُ إِذَا سَأَلَ الأَنْبِيَاءَ: هَلْ بَلَّغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ نَعَمْ. فَتَقُولُ أُمَمُهُمْ، مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ، فَتَشْهَدُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ لِلأَنْبِيَاءِ، وَيُزَكِّيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ وَقِيلَ مَعْنَى الآيَةِ: إِنَّكُمْ حُجَّةٌ عَلَى كُلِّ مَنْ خَالَفَكُمْ وَالرَّسُولُ ﷺ حُجَّةٌ عَلَيْكُمْ. حَكَاهُ السَّمَرْقَنْدِيُّ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢].

قَالَ قَتَادَةُ وَالْحَسَنُ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: قَدَمَ صِدْقٍ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ يَشْفَعُ لَهُمْ.

وَعَنِ الْحَسَنِ (٤) أَيْضاً: هِيَ مُصِيبَتُهُمْ بِنَبِيِّهِمْ، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (٥) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، هِيَ شَفَاعَةُ نَبِيِّهِمْ مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ شَفِيعُ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ.

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ (٦) التُّسْتَرِيُّ: هِيَ سَابِقَةُ رَحْمَةٍ أَوْدَعَهَا فِي مُحَمَّدٍ ﷺ وَقَالَ

---

(١) أخرجه القاضي عياض في الشفا: ١/ ٧٥. دمشق.
وأخرجه الدارمي في السنن: ١/ ٥ ـ ٦. والإمام البغوي بلفظه التام بإسناده في شرح السنة: ١٣/ ٢١٠. كتاب الفضائل باب فضائل سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ الحديث رقم: ٣٦٢٨.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) أبو الحسن القابسي هو: أبو الحسن بن محمد بن خلف المغافري ولد سنة ٣٢٤ هـ ضريراً، وكتبه من الأهمية في الصحة، ثقة، ضبط، وينسب لقابس وهي بلدة بين تونس وليبيا حالياً، ولم يكن منها ولكنه عرف بعمه الذي كان منها، توفي سنة ٤٠٣ هـ بالقيروان وبها دفن.

(٤) تقدمت ترجمته. (٥) تقدمت ترجمته.

(٦) سهل بن عبد الله بن يونس التستري العبد الصالح المشهور الذي قل أن يأتي بمثله الدهر. أكبر علماء عصره وأحفظهم وأورعهم وله كرامات مشهورة كان من أصحاب ذي النون المصري ولد سنة ٢٠٠ هـ بتستر وتوفي بالبصرة سنة ٢٧٣ هـ.

مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ[١] التِّرْمِذِيُّ: هُوَ إِمَامُ الصَّادِقِينَ وَالصِّدِّيقِينَ الشَّفِيعُ الْمُطَاعُ وَالسَّائِلُ الْمُجَابُ: مُحَمَّدٌ ﷺ. حَكَاهُ عَنْهُ السُّلَمِيُّ.

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

فِيمَا وَرَدَ مِنْ خِطَابِهِ إِيَّاهُ مَوْرِدَ الْمُلَاطَفَةِ وَالْمَبَرَّةِ

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ مَكِّيٌّ[٢] قِيلَ هَذَا افْتِتَاحُ كَلَامٍ بِمَنْزِلَةِ: أَصْلَحَكَ الله، وأَعَزَّكَ الله.

وَقَالَ عَوْنُ[٣] بْنُ عَبْدِ الله أَخْبَرَهُ بِالْعَفْوِ قَبْلَ أَنْ يُخْبِرَهُ بِالذَّنْبِ حَكَى السَّمَرْقَنْدِيُّ[٤] عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ مَعْنَاهُ عَافَاكَ الله يَا سَلِيمَ الْقَلْبِ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ، قَالَ وَلَوْ بَدَأَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] لَخِيفَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْشَقَّ قَلْبُهُ مِنْ هَيْبَةِ هَذَا الْكَلَامِ، لَكِنِ الله تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ أَخْبَرَهُ بِالْعَفْوِ حَتَّى سَكَنَ قَلْبُهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ بِالتَّخَلُّفِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الصَّادِقُ فِي عُذْرِهِ مِنَ الْكَاذِبِ؟ وَفِي هَذَا مِنْ عَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ الله. مَا لَا يَخْفَى عَلَى ذِي لُبٍّ، وَمِنْ إِكْرَامِهِ، إِيَّاهُ وَبِرِّهِ بِهِ مَا يَنْقَطِعُ دُونَ مَعْرِفَةِ غَايَتِهِ نِيَاطُ الْقَلْبِ، قَالَ نِفْطَوَيْهِ[٥]: ذَهَبَ نَاسٌ إِلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُعَاتَبٌ بِهَذِهِ الآيَةِ وَحَاشَاهُ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ كَانَ مُخَيَّراً، فَلَمَّا أَذِنَ لَهُمْ أَعْلَمَهُ الله تَعَالَى: أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ لَقَعَدُوا لِنِفَاقِهِمْ، وَأَنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِي الإِذْنِ لَهُمْ.

قَالَ الْفَقِيهُ الْقَاضِي وَفَّقَهُ الله تَعَالَى: يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ الْمُجَاهِدِ نَفْسَهُ الرَّائِضِ بِزِمَامِ الشَّرِيعَةِ خُلُقَهُ أَنْ يَتَأَدَّبَ بِآدَابِ الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، وَمُعَاطَاتِهِ، وَمُحَاوَرَاتِهِ، فَهُوَ عُنْصُرُ الْمَعَارِفِ الْحَقِيقِيَّةِ وَرَوْضَةُ الآدَابِ الدِّينِيَّةِ، وَالدُّنْيَوِيَّةِ وَلْيَتَأَمَّلْ هَذِهِ الْمُلَاحَظَةَ الْعَجِيبَةَ فِي السُّؤَالِ مِنْ رَبِّ الأَرْبَابِ الْمُنْعِمِ عَلَى الْكُلِّ الْمُسْتَغْنِي عَنِ الْجَمِيعِ وَيَسْتَثِيرُ مَا فِيهَا مِنَ الْفَوَائِدِ، وَكَيْفَ

---

(١) محمد بن علي الترمزي كنيته أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر، الإمام الزاهد الحافظ، وليس الترمذي هذا هو صاحب السنن، وهو يروي عن أبيه: علي وأخذ عنه خلق كبير وسكن نيسابور سنة ٢٨٥ هـ وتوفي بعد عمر ٨٠ سنة، ولم ينج من الطعن.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي، الإمام الزاهد الورع الفقيه، المشهور، قالوا إن روايته عن الصحابة مرسلة، وهو ليس بتابعي، ثقة توفي حوالي سنة ١٦٠ هـ.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) نفطويه: لقب لأبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي اللغوي النحوي الواسطي ولد سنة ٢٤٤ هـ وتوفي سنة ٣٢٣ هـ في شهر صفر الخير رحمه الله.

ابْتَدَأَ بِالإِكْرَامِ قَبْلَ الْعَتْبِ، وَآنَسَ بِالْعَفْوِ قَبْلَ ذِكْرِ الذَّنْبِ إِنْ كَانَ ثَمَّ ذَنْبٌ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤].

قَالَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ: عَاتَبَ اللهُ الأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ بَعْدَ الزَّلاَّتِ، وَعَاتَبَ نَبِيَّنَا ﷺ قَبْلَ وُقُوعِهِ لِيَكُونَ بِذَلِكَ أَشَدَّ انْتِهَاءً، وَمُحَافَظَةً لِشَرَائِطِ المَحَبَّةِ، وَهَذِهِ غَايَةُ الْعِنَايَةِ، ثُمَّ انْظُرْ كَيْفَ بَدَأَ بِثَبَاتِهِ وَسَلاَمَتِهِ قَبْلَ ذِكْرِ مَا عَتَبَهُ عَلَيْهِ، وَخِيفَ أَنْ يَرْكَنَ إِلَيْهِ، فَفِي أَثْنَاءِ عَتْبِهِ بَرَاءَتُهُ، وَفِي طَيِّ تَخْوِيفِهِ تَأْمِينُهُ وَكَرَامَتُهُ، وَمِثْلُهُ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ [الأنعام: ٣٣] الآيَةَ.

قَالَ عَلِيٌّ[1] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ أَبُو جَهْلٍ[2] لِلنَّبِيِّ ﷺ: **«إِنَّا لاَ نُكَذِّبُكَ، وَلَكِنْ نُكَذِّبُ مِمَّا جِئْتَ بِهِ»**[3]، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ [الأنعام: ٣٣] الآيَةَ.

وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: لَمَّا كَذَّبَهُ قَوْمُهُ حَزِنَ فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ: مَا يُحْزِنُكَ؟ قَالَ: **«كَذَّبَنِي قَوْمِي»**. فَقَالَ: إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّكَ صَادِقٌ[4]، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى الآيَةَ، فَفِي هَذِهِ الآيَةِ مَنْزَعٌ لَطِيفُ المَأْخَذِ مِنْ تَسْلِيَتِهِ تَعَالَى لَهُ ﷺ، وَإِلْطَافِهِ فِي الْقَوْلِ، بِأَنْ قَرَّرَ عِنْدَهُ أَنَّهُ صَادِقٌ عِنْدَهُمْ، وَأَنَّهُمْ غَيْرُ مُكَذِّبِينَ لَهُ، مُعْتَرِفُونَ بِصِدْقِهِ قَوْلاً وَاعْتِقَاداً، وَقَدْ كَانُوا يُسَمُّونَهُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ الأَمِينَ، فَدَفَعَ بِهَذَا التَّقْرِيرِ ارْتِمَاضَ نَفْسِهِ بِسِمَةِ الْكَذِبِ، ثُمَّ جَعَلَ الذَّمَّ لَهُمْ بِتَسْمِيَتِهِمْ جَاحِدِينَ ظَالِمِينَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] وَحَاشَاهُ مِنَ الْوَصْمِ، وَطَوَّقَهُمْ بِالْمُعَانَدَةِ بِتَكْذِيبِ الآيَاتِ حَقِيقَةَ الظُّلْمِ، إِذِ الْجَحْدُ إِنَّمَا يَكُونُ مِمَّنْ عَلِمَ الشَّيْءَ ثُمَّ أَنْكَرَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] ثُمَّ عَزَّاهُ وَآنَسَ بِمَا ذَكَرَهُ عَمَّنْ قَبْلَهُ وَوَعَدَهُ بِالنَّصْرِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: ٣٤] الآيَةَ.

فَمَنْ قَرَأَ لاَ يُكْذِبُونَكَ بِالتَّخْفِيفِ، فَمَعْنَاهُ لاَ يَجِدُونَكَ كَاذِباً وَقَالَ الْفَرَّاءُ[5] وَالْكِسَائِيُّ[6]:

---

(١) تقدمت ترجمته. (٢) أبو جهل تقدمت ترجمته.

(٣) أورد هذا الخبر القرطبي في تفسيره: ٤١٦/٦ قال أبو ميسرة: إن رسول الله ﷺ مر بأبي جهل وأصحابه فقالوا: يا محمد والله ما نكذبك، وإنك عندنا لصادق، ولكن نكذب ما جئت. فنزلت الآية: ﴿قد نعلم أنه...﴾ [الأنعام: ٣٣].

(٤) قال الدلجي: وحديث جبريل هذا أورده بصيغة: رُوِيَ ولم أعرف له راوٍ. وقد ورد في بعض النسخ «أكذبه».

(٥) الفراء هو الإمام أبو زكرياء يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي الدؤلي الكوفي، النحوي اللغوي الباهر في هذه الفنون كان أفقه أهل الكوفة وأعلمهم بفنون الأدب والتفسير واللغة، وتفسير الفراء من أجل التفاسير وعليه اعتمد جار الله الزمخشري في تفسيره توفي سنة ٢٠٧ هـ وهو ابن ٦٣ سنة، ولقب بالفراء لفصاحته وحسن لغته، ترجمته في فقه اللغة للثعالبي ص ١٧.

(٦) الكسائي: هو أبو الحسن علي بن حمزة الأسدي الكوفي، أحد القراء السبعة الإمام النحوي واللغوي. وإمام =

لاَ يَقُولُونَ إِنَّكَ كَاذِبٌ، وَقِيلَ لاَ يَحْتَجُونَ عَلَى كَذِبِكَ وَلاَ يُثْبِتُونَهُ، وَمَنْ قَرَأَ بِالتَّشْدِيدِ[1]، فَمَعْنَاهُ لاَ يَنْسِبُونَكَ إِلَى الْكَذِبِ، وَقِيلَ لاَ يَعْتَقِدُونَ كَذِبَكَ وَمِمَّا ذُكِرَ مِنْ خَصَائِصِهِ وَبِرِّ الله تَعَالَى بِهِ أَنَّ الله تَعَالَى خَاطَبَ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ بِأَسْمَائِهِمْ[2] فَقَالَ: يَا آدَمُ، يَا نُوحُ، يَا إِبْرَاهِيمُ، يا مُوسَى، يَا دَاوُدُ، يَا عِيسَى، يا زَكَرِيَّاءُ يَا يَحْيَى، وَلَمْ يُخَاطِب هُوَ إِلاَّ: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ.

الفَصْلُ الرَّابِع في قسمه تعالى بعظيم قدره

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] اتَّفَقَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ فِي هَذَا أَنَّهُ قَسَمٌ مِنَ الله جَلَّ جَلاَلُهُ بِمُدَّةِ حَيَاةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَصْلُهُ ضَمُّ الْعَيْنِ مِنَ الْعُمرِ وَلَكِنَّهَا فُتِحَتْ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَمَعْنَاهُ، وَبَقَائِكَ يَا مُحَمَّدُ، وَقِيلَ وَعَيْشِكَ وَقِيلَ وَحَيَاتِكَ، وَهَذِهِ نِهَايَةُ التَّعْظِيمِ وَغَايَةُ الْبِرِّ، وَالتَّشْرِيفِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا: «مَا خَلَقَ الله تَعَالَى وَمَا ذَرَأَ وَمَا بَرَأَ نَفْساً أَكْرَمَ: عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا سَمِعْتُ الله تَعَالَى أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ غَيْرِهِ»[3].

وَقَالَ أَبُو الْجَوْزَاءِ[4]: مَا أَقْسَمَ الله تَعَالَى بِحَيَاةِ أَحَدٍ غَيْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ لأَنَّهُ أَكْرَمُ الْبَرِيَّةِ عِنْدَهُ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يس ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [يس: ١ ـ ٢] الآيَاتِ. اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَى: «يس» عَلَى أَقْوَالٍ:

فَحَكَى أَبُو مُحَمَّدٍ[5] مَكِّيٌّ أَنَّهُ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: لِي عِنْدَ رَبِّي عَشْرَةُ أَسْمَاءٍ ذَكَرَ مِنْهَا: طَهَ، وَيَس، اسْمَانِ لَهُ.

= القراء ولقبه هذا اللقب شيخه حمزة لأنه كان يجيئه ملتفاً بكساء، توفي سنة ١٨٣ هـ بالري وهو ابن ٧٠ سنة. فقه اللغة: ص ١٧.

(١) القراء بالتشديد: نافع، والكسائي. (٢) تقدمت ترجمته.

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، وأبو نعيم في الحلية، وأبو يعلى في المسند.

(٤) أبو الجوزاء هو أوس بن عبد الله بن الربعي البصري، من رواة أحاديث الفتوحات، وكان يروي عن عائشة رضي الله عنها، وصفوان بن عسال وغير ذلك من الصحابة ووثقه الحاكم، وأخرج له الائمة الستة. توفي سنة ٨٣ هـ مقتولاً. ترجمته في خلاصة تذهيب الكمال ٤٩٥، وتهذيب التهذيب: ١٢/ ٦٢.

(٥) تقدمت ترجمته.

وَحَكَى أَبُو عَبْدِ[1] الرَّحْمٰنِ السُّلَمِي[2] عَنْ جَعْفَرٍ[3] الصَّادِقِ أَنَّهُ أَرَادَ: يَا سَيِّدُ مُخَاطَبَةً لِنَبِيِّهِ ﷺ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَس يَا إِنْسَانُ أَرَادَ مُحَمَّداً ﷺ، وَقَالَ هُوَ قَسَمٌ وَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ الله تَعَالَى[4].

وَقَالَ الزَّجَّاجُ[5]، قِيلَ مَعْنَاهُ: يَا مُحَمَّدُ، وَقِيلَ يَا رَجُلُ، وَقِيلَ يا إِنْسَانُ. وَعَنِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ[6]: «يَس» يَا مُحَمَّدُ[7].

وَعَنْ كَعْبٍ[8]: «يَس»[9] قَسَمٌ أَقْسَمَ الله تَعَالَى بِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ بِأَلْفَيْ عَامٍ. يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢ ـ ٣]. فَإِنْ قُدِّرَ أَنَّهُ مِنْ أَسْمَائِهِ ﷺ وَصَحَّ فِيهِ أَنَّهُ قَسَمٌ كَانَ فِيهِ مِنَ التَّعْظِيمِ مَا تَقَدَّمَ، وَيُؤَكِّدُ فِيهِ القَسَمَ، عَطْفُ القَسَمِ الآخَرِ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى النِّدَاءِ فَقَدْ جَاءَ قَسَمٌ آخَرُ بَعْدَهُ لِتَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ وَالشَّهَادَةِ بِهِدَايَتِهِ، أَقْسَمَ الله تَعَالَى باسْمِهِ، وَكِتَابِهِ أَنَّهُ لَمِنَ المُرْسَلِينَ بِوَحْيِهِ إِلَى عِبَادِهِ، وَعَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، مِنْ إِيمَانِهِ، أَيْ طَرِيقٍ لاَ اعْوِجَاجَ فِيهِ وَلاَ عُدُولَ عَنِ الحَقِّ.

قَالَ النَّقَّاشُ[10]: لَمْ يُقْسِم الله تَعَالَى لأَحَدٍ مِنَ أَنْبِيَائِهِ بِالرِّسَالَةِ فِي كِتَابِهِ إِلاَّ لَهُ، وَفِيهِ مِنْ تَعْظِيمِهِ وَتَمْجِيدِهِ عَلَى تَأْوِيلِ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ سَيِّدُ مَا فِيهِ.

---

(١) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٧/١٦٢ والقرطبي في تفسيره: ١١/١٦٦، ١٥/٤.

(٢) عبد الرحمن السلمي: هو صاحب الحقائق الصوفية وشيخ الصوفيين وصاحب تاريخ الصوفية وطبقاتهم وتفاسيرهم ولد سنة ٣٣٠ هـ وتوفي سنة ٤١٢ هـ.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) الزجاج هو شيخ العربية الإمام في الأدب. أبو إسحاق إبراهيم بن محمد. صاحب التصانيف الجليلة، وله تفسير مشهور، وإعراب القرآن وكان منيفاً في الدين والأخلاق، وإليه ينسب الزجاجي صاحب الجمل، توفي رحمه الله ببغداد سنة ٣٠٦ هـ وهو ابن ٨٠ سنة. فقه اللغة: ص ٢٠.

(٦) ابن الحنفية: هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الصديق الخليفة الأول في الإسلام رضي الله عنه، والحنفية أمه واشتهر بانتسابه إليها تمييزا عن السبطين رضي الله عنهما، وهو إمام صدوق ثقة أخرج له الشيخان وغيرهما وهو من أجلة التابعين توفي بالمدينة سنة ٨٠ هـ/ الحلية: ٣/١٧٣، والطبقات: ٥/٩١ ـ ١١٦.

(٧) أخرج ذلك البيهقي في دلائل النبوة، والإمام أحمد في المسند: ٥/٢٦. على أنه قلب القرآن.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) يس: ٣٦/١. سورة من سورة القرآن الكريم. التي افتتحت بالحروف المقطعة.

(١٠) النقاش هو أبو بكر محمد بن الحسن بن أحمد الموصلي البغدادي المقرىء. المحدث المفسر، روى عن أبي مسلم الكجي وطبقته، وقرئ بالروايات السبع حتى شيخ القراء في زمانه. على ضعف. قاله أبو شامة في الشاطبية وغلط الجعبري من ضعفه. توفي سنة ٣٥١ هـ.

وَقَدْ قَالَ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلاَ فَخْرَ»[1] وَقَالَ الله تَعَالَى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: ١ ـ ٢] قِيلَ لاَ أُقْسِمُ بِهِ إِذَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ بَعْدَ خُرُوجِكَ مِنْهُ. حَكَاهُ مَكِّيٌّ، وَقِيلَ لاَ زَائِدَةٌ أَيْ أُقْسِمُ بِهِ، وَأَنْتَ بِهِ يَا مُحَمَّدُ حَالٌ أَوْ حِلٌّ لَكَ مَا فَعَلْتَ فِيهِ عَلَى التَّفْسِيرَيْنِ، وَالْمُرَادُ بِالْبَلَدِ عِنْدَ هَؤُلاَءِ مَكَّةَ.

وَقَالَ الوَاسِطِيُّ[2]، أَيْ يَحْلِفُ لَكَ بِهَذَا الْبَلَدِ الَّذِي شَرَّفْتَهُ بِمَكَانِكَ فِيهِ حَيّاً وَبِبَرَكَتِكَ مَيْتاً يَعْنِي الْمَدِينَةَ، وَالأَوَّلُ أَصَحُّ لأَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ وَمَا بَعْدَهُ يُصَحِّحُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: ٢] وَنَحْوُهُ قَوْلُ ابْنِ عَطَاءٍ[3] فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ٣] قَالَ أَمَّنَهَا الله تَعَالَى بِمُقَامِهِ فِيهَا، وَكَوْنِهِ بِهَا فَإِنَّ كَوْنَهُ أَمَانٌ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد: ٣] مَنْ قَالَ أَرَادَ آدَمَ فَهُوَ عَامٌّ، وَمَنْ قَالَ هُوَ إِبْرَاهِيمُ وَمَا وَلَدَ فَهِيَ إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى إِشَارَةٌ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَتَتَضَمَّنُ السُّورَةُ الْقَسَمَ بِهِ ﷺ فِي مَوْضِعَيْنِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ١ ـ ٢].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ[4] هَذِهِ الْحُرُوفُ أَقْسَامٌ أَقْسَمَ الله تَعَالَى بِهَا، وَعَنْهُ وَعَنْ غَيْرِهِ فِيهَا غَيْرُ ذَلِكَ.

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ الله التُّسْتَرِيُّ[5]: الأَلِفُ هُوَ الله تَعَالَى، وَاللاَّمُ جِبْرِيلُ، وَالْمِيمُ مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَحَكَى هَذَا الْقَوْلَ السَّمَرْقَنْدِيُّ[6] وَلَمْ يَنْسِبْهُ إِلَى سَهْلٍ وَجَعَلَ مَعْنَاهُ الله أَنْزَلَ جِبْرِيلَ عَلَى مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْقُرْآنِ لاَ رَيْبَ فِيهِ، وَعَلَى الْوَجْهِ الأَوَّلِ يَحْتَمِلُ الْقَسَمُ أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ حَقٌّ لاَ رَيْبَ فِيهِ، ثُمَّ فِيهِ مِنْ فَضِيلَةِ قُرْآنِ اسْمِهِ بِاسْمِهِ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ.

---

(١) أخرج الحديث الإمام أحمد في المسند: ٣/٢، والإمام الترمذي في السنن ٥/٣٠٨، كتاب تفسير الرازي (٤٨) باب ومن سورة بني إسرائيل (١٨) الحديث رقم: ٣١٤٨، وفي: ٥/٥٨٧، كتاب المناقب (٥٠) باب في فضل النبي ﷺ (١) الحديث رقم: ٣٦١٥، واللفظ له وقال فيه (حسن صحيح). والإمام ابن ماجه في السنن: ٢/١٤٤٠، كتاب الزهد (٣٧) باب ذكر الشفاعة (٣٧) الحديث رقم: ٤٣٠٨. وزاد «وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلاَ فَخْرَ».

(٢) والواسطي: هو أبو بكر بن موسى، الإمام الحافظ العارف بالله من أصحاب الجنيد وهو من كبار علماء عصره في الصوفية، وينسب لواسطة مدينة مشهورة توفي رحمه الله سنة: ٣٢ هـ.

(٣) تقدمت ترجمته. (٤) تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ[(١)] فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق:١] أَقْسَمَ بِقُوَّةِ قَلْبِ حَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ حَيْثُ حَمَلَ الْخِطَابَ، وَالمُشَاهَدَة وَلَمْ يُؤَثِّرْ ذَلِكَ فِيهِ لِعُلُوِّ حَالِهِ، وَقِيلَ هُوَ اسْمٌ لِلْقُرْآنِ، وَقِيلَ هُوَ اسْمٌ لله تَعَالَى، وَقِيلَ جَبَلٌ مُحِيطٌ بِالأَرْضِ، وَقِيلَ غَيْرُ هَذَا[(٢)].

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ فِي تَفْسِيرِ ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم:١]. إِنَّهُ مُحَمَّدٌ ﷺ وَقَالَ: النَّجْمُ قَلْبُ مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَى انْشَرَحَ مِنَ الأَنْوَارِ، وَقَالَ انْقَطَعَ عَنْ غَيْرِ الله.

وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١ ـ ٢] الْفَجْرُ مُحَمَّدٌ صَلَّى الله لأَنَّ مِنْهُ تَفَجَّرَ الإِيمَانُ[(٣)].

الْفَصْلُ الْخَامِسُ فِي قَسَمِهِ تَعَالَى جده له لِتَحقق مكانتِهِ عنده قال جل اسمه

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى:١ ـ ٢]. السُّورَة. اخْتُلِفَ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ فَقِيلَ كَانَ تَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ قِيَامَ اللَّيْلِ لِعُذْرٍ نَزَلَ بِهِ فَتَكَلَّمَتِ امْرَأَةٌ فِي ذَلِكَ بِكَلامٍ[(٤)]، وَقِيلَ بَلْ تَكَلَّمَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ عِنْدَ فَتْرَةِ الْوَحْيِ فَنَزَلَتِ السُّورَةُ. قَالَ الْفَقِيهُ الْقَاضِيُّ وَفَّقَهُ الله تَعَالَى تَضَمَّنَتِ مِنْ كَرَامَةِ الله تَعَالَى لَهُ وَتَنْوِيهِهِ بِهِ وَتَعْظِيمِهِ إِيَّاهُ سِتَّةَ وُجُوهٍ:

الأَوَّلُ الْقَسَمُ لَهُ عَمَّا أَخْبَرَهُ بِهِ مِنْ حَالِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ٢] أَيْ وَرَبِّ الضُّحَى، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ دَرَجَاتِ الْمَبَرَّةِ.

الثَّانِي بَيَانُ مَكَانَتِهِ عِنْدَهُ وَحُظْوَتِهِ لَدَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى:٣] أَيْ مَا تَرَكَكَ وَمَا أَبْغَضَكَ، وَقِيلَ مَا أَهْمَلَكَ بَعْدَ أَنِ اصْطَفَاكَ.

الثَّالِثُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحى:٤] قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَيْ مَآلُكَ فِي مَرْجِعِكَ عِنْدَ الله أَعْظَمُ مِمَّا أَعْطَاكَ مِنْ كَرَامَةِ الدُّنْيَا. وَقَالَ سَهْلٌ: أَيْ ادَّخَرْتُ لَكَ مِنَ الشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ خَيْرٌ لَكَ مِمَّا أَعْطَيْتُكَ فِي الدُّنْيَا.

الرَّابِعُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى:٥] وَهَذِهِ آيَةٌ جَامِعَةٌ لِوُجُوهِ الْكَرَامَةِ، وَأَنْوَاعِ السَّعَادَةِ، وَشَتَاتِ الأَنْعَامِ فِي الدَّارَيْنِ، وَالزِّيَادَةِ.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) أخرج الشيخان هذه الرواية عن جندب، كما أخرجها الحاكم في المستدرك من رواية أرقم رضي الله عنه، والمرأة هنا المراد بها زوجة أبي لهب حمالة الحطب. جميلة.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ[١] يُرْضِيهِ بِالْفُلْجِ فِي الدُّنْيَا وَالثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ. وَقِيلَ يُعْطِيهِ الْحَوْضَ وَالشَّفَاعَةَ.[٢]

وَرُوِيَ عَنْ بَعْضِ آلِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ آيَةٌ فِي الْقُرْآنِ أَرْجَى مِنْهَا، وَلاَ يَرْضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ النَّارَ[٣].

الْخَامِسُ مَا عَدَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَقَرَّرَهُ[٤] مِنَ آلائِهِ قِبَلَهُ فِي بَقِيَّةِ السُّورَةِ، مِنْ هِدَايَتِهِ إِلَى مَا هَدَاهُ لَهُ أَوْ هِدَايَةِ النَّاسِ بِهِ عَلَى اخْتِلاَفِ التَّفَاسِيرِ، وَلاَ مَالَ لَهُ فَأَغْنَاهُ بِمَا آتَاهُ أَوْ بِمَا جَعَلَهُ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْقَنَاعَةِ وَالْغِنَى، وَيَتِيماً فَحَدِبَ عَلَيْهِ عَمُّهُ[٥] وَآوَاهُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ آوَاهُ إِلَى اللهِ وَقِيلَ يَتِيماً لاَ مِثَالَ لَكَ فَآوَاكَ إِلَيْهِ، وَقِيلَ الْمَعْنَى أَلَمْ يَجِدْكَ فَهَدَى بِكَ ضَالاًّ، وَأَغْنَى بِكَ عَائِلاً، وَآوَى بِكَ يَتِيماً؟ ذَكَّرَهُ بِهَذِهِ الْمِنَنِ وَأَنَّهُ عَلَى الْمَعْلُومِ مِنَ التَّفْسِيرِ لَمْ يُهْمِلْهُ فِي حَالِ صِغَرِهِ وَعَيْلَتِهِ وَيُتْمِهِ، وَقَبْلَ مَعْرِفَتِهِ بِهِ، وَلا وَدَّعَهُ، وَلاَ قَلاَهُ، فَكَيْفَ بَعْدَ اخْتِصَاصِهِ وَاصْطِفَائِهِ؟.

السَّادِسُ أَمَرَهُ بِإِظْهَارِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ وَشُكْرِ مَا شَرَّفَهُ بِهِ بِنَشْرِهِ وَإِشَادَةِ ذِكْرِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:١١] فَإِنَّ مِنْ شُكْرِ النِّعْمَةِ التَّحَدُّثَ بِهَا وَهَذَا خَاصٌّ لَهُ عَامٌّ لِأُمَّتِهِ وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم:١] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم:١٨].

اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالنَّجْمِ﴾ [النجم:١] بِأَقَاوِيلَ مَعْرُوفَةٍ مِنْهَا النَّجْمُ عَلَى ظَاهِرِهِ. وَمِنْهَا الْقُرْآنُ.

وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَقَالَ هُوَ قَلْبُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَقَدْ قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ [الطارق:١ ـ ٣] إِنَّ النَّجْمَ هُنَا أَيْضاً مُحَمَّدٌ ﷺ، حَكَاهُ السُّلَمِيُّ. تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الآيَاتُ مِنْ فَضْلِهِ وَشَرَفِهِ الْعِدِّ مَا يَقِفُ دُونَهُ الْعَدُّ، وَأَقْسَمَ جَلَّ اسْمُهُ عَلَى هِدَايَةِ الْمُصْطَفَى وَتَنْزِيهِهِ، عَنِ الْهَوَى، وَصِدْقِهِ فِيمَا تَلاَ، وَأَنَّهُ وَحْيٌ يُوحَى أَوْصَلَهُ إِلَيْهِ عَنِ اللهِ جِبْرِيلُ، وَهُوَ الشَّدِيدُ الْقُوَى ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ فَضِيلَتِهِ بِقِصَّةِ الْإِسْرَاءِ،

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) الفلج: بفتح الفاء وسكون اللام: الفوز والظفر «فلج».

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح تحت رقم: ٢١٣٦. وأورده القرطبي في تفسيره: ٢٠/٩٦. والمراد بآل النبي ﷺ: الإمام علي كرم الله وجهه، وقيل الحسن بن علي رضي الله عنهما.

(٥) عمه هو أبو طالب، الذي رباه وآواه وحماه من الكفار.

وَانْتِهَائِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَتَصْدِيقِ بَصَرِهِ فِيمَا رَأَى، وَأَنَّهُ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى، وَقَدْ نَبَّهَ عَلَى مِثْلِ هَذَا فِي أَوَّلِ سُورَةِ الإِسْرَاءِ، وَلَمَّا كَانَ مَا كَاشَفَهُ ﷺ مِنْ ذَلِكَ الْجَبَرُوتِ وَشَاهَدَهُ مِنْ عَجَائِبِ الْمَلَكُوتِ لاَ تُحِيطُ بِهِ الْعِبَارَاتُ وَلاَ تَسْتَقِلُّ بِحَمْلِ سَمَاعِ أَدْنَاهُ الْعُقُولُ رَمَزَ عَنْهُ تَعَالَى بِالإِيمَاءِ وَالْكِنَايَةِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّعْظِيمِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم:١٠] وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْكَلاَمِ يُسَمِّيهِ أَهْلُ النَّقْدِ، وَالْبَلاَغَةِ بِالْوَحْيِ وَالإِشَارَةِ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ أَبْلَغُ أَبْوَابِ الإِيجَازِ، وَقَالَ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٨] انْحَسَرَتِ الأَفْهَامُ عَنْ تَفْصِيلِ مَا أَوْحَى، وَتَاهَتِ الأَحْلاَمُ فِي تَعْيِينِ تِلْكَ الآيَاتِ الْكُبْرَى.

قَالَ الْقَاضِي[1] أَبُو الْفَضْلِ اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الآيَاتُ عَلَى إِعْلاَمِ الله تَعَالَى بِتَزْكِيَةِ جُمْلَتِهِ ﷺ، وَعِصْمَتِهَا مِنَ الآفَاتِ فِي هَذَا الْمَسْرَى فَزَكَّى فُؤَادَهُ وَلِسَانَهُ وَجَوَارِحَهُ فَقَلْبَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ وَلِسَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم:٣] وَبَصَرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم:١٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ [التكوير:١٥ ـ ١٦] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ﴾ [التكوير:٢٥] لاَ أُقْسِمُ، أَيْ أُقْسِمُ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، أَيْ كَرِيمٍ عِنْدَ مُرْسِلِهِ ذِي قُوَّةٍ عَلَى تَبْلِيغِ مَا حُمِّلَهُ مِنَ الْوَحْيِ، مَكِينٍ أَيْ مُتَمَكِّنِ الْمَنْزِلَةِ مِنْ رَبِّهِ، رَفِيعِ الْمَحَلِّ عِنْدَهُ مُطَاعٍ، ثُمَّ أَيْ فِي السَّمَاءِ، أَمِينٍ عَلَى الْوَحْيِ. قَالَ: عَلِيُّ بْنُ عِيسَى[2]، وَغَيْرُهُ: الرَّسُولُ الْكَرِيمُ هُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ فَجَمِيعُ الأَوْصَافِ بَعْدُ عَلَى هَذَا لَهُ.

وَقَالَ غَيْرُهُ هُوَ جِبْرِيلُ فَتَرْجِعُ الأَوْصَافُ إِلَيْهِ، وَلَقَدْ رَآهُ يَعْنِي مُحَمَّداً ﷺ قِيلَ رَأَى رَبَّهُ، وَقِيلَ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ، وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ، أَيْ بِمُتَّهَمٍ، وَمَنْ قَرَأَهَا بِالضَّادِ فَمَعْنَاهُ مَا هُوَ بِبَخِيلٍ بِالدُّعَاءِ بِهِ، وَالتَّذْكِيرِ بِحِكَمِهِ وَبِعِلْمِهِ وَهَذِهِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ بِاتِّفَاقٍ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ [القلم:١] الآيَاتِ أَقْسَمَ الله تَعَالَى بِمَا أَقْسَمَ بِهِ مِنْ عَظِيمِ قَسَمِهِ عَلَى تَنْزِيهِ الْمُصْطَفَى مِمَّا غَمَصَتْهُ الْكَفَرَةُ بِهِ وَتَكْذِيبِهِمْ لَهُ وَآنَسَهُ وَبَسَطَ أَمَلَهُ بِقَوْلِهِ مُحْسِناً خِطَابَهُ ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم:٢] وَهَذِهِ نِهَايَةُ الْمَبَرَّةِ فِي الْمُخَاطَبَةِ وَأَعْلَى دَرَجَاتِ الآدَابِ فِي الْمُحَاوَرَةِ ثُمَّ أَعْلَمَهُ بِمَا لَهُ عِنْدَهُ مِنْ نَعِيمٍ دَائِمٍ وَثَوَابٍ غَيْرِ مُنْقَطِعٍ لاَ يَأْخُذُهُ عَدٌّ وَلاَ يَمُنُّ بِهِ عَلَيْهِ، فَقَالَ، وَإِنَّ لَكَ لأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا مَنَحَهُ مِنْ هِبَاتِهِ، وَهَدَاهُ إِلَيْهِ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ تَتْمِيماً لِلتَّمْجِيدِ بِحَرْفَي

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) علي بن عيسى: هو أبو الحسين علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني إمام النحاة واللغويين، والتفسير وعلم الكلام، له تفسير عظيم، وهو تلميذ ابن دريد، وينسب إلى الرماني وهو نبع الرمان ولد ببغداد سنة ٢٩٦ هـ، وتوفي سنة ٣٨٤ هـ، ومن أهم كتبه النكت في إعجاز القرآن الكريم.

التَّوْكِيدِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] قِيلَ الْقُرْآنُ، وَقِيلَ الْإِسْلَامُ، وَقِيلَ الطَّبْعُ الْكَرِيمُ، وَقِيلَ لَيْسَ لَكَ هِمَّةٌ إِلاَّ الله.

قَالَ الْوَاسِطِيُّ(١) أَثْنَى عَلَيْهِ بِحُسْنِ قَبُولِهِ لِمَا أَسْدَاهُ إِلَيْهِ مِنْ نِعَمِهِ وَفَضَّلَهُ بِذَلِكَ عَلَى غَيْرِهِ لأَنَّهُ جَبَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْخُلُقِ فَسُبْحَانَ اللَّطِيفِ الْكَرِيمِ الْمُحْسِنِ الْجَوَادِ الْحَمِيدِ الَّذِي يَسَّرَ لِلْخَيْرِ، وَهَدَى إِلَيْهِ ثُمَّ أَثْنَى عَلَى فاعِلِهِ، وَجَازَاهُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ مَا أَغْمَرَ نَوَالَهُ وَأَوْسَعَ إِفْضَالَهُ ثُمَّ سَلاَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ بَعْدَ هَذَا بِمَا وَعَدَهُ بِهِ مِنْ عِقَابِهِمْ وَتَوَعُّدِهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ [القلم:٥]. الثَّلاثُ الآيَاتِ ثُمَّ عَطَفَ بَعْدَ مَدْحِهِ عَلَى ذَمِّ عَدُوِّهِ(٢) وَذِكْرِ سُوءِ خُلُقِهِ، وَعَدِّ مَعَايِبِهِ مُتَوَلِّياً ذَلِكَ بِفَضْلِهِ وَمُنْتَصِراً لِنَبِيِّهِ ﷺ فَذَكَرَ بِضْعَةَ عَشَرَةَ خَصْلَةً مِنْ خِصَالِ الذَّمِّ فِيهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [القلم:٨] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم:١٥] ثُمَّ خَتَمَ ذَلِكَ بِالْوَعِيدِ الصَّادِقِ بِتَمَامِ شَقَائِهِ وَخَاتِمَةِ بَوارِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم:١٦] فَكَانَتْ نُصْرَةُ الله تَعَالَى لَهُ أَتَمَّ مِنْ نُصْرَتِهِ لِنَفْسِهِ، وَرَدُّهُ تَعَالَى عَلَى عَدُوِّهِ أَبْلَغَ مِنْ رَدِّهِ وَأَثْبَتَ فِي دِيوَانِ مَجْدِهِ.

الْفَصْلُ السَّادِسُ فِيمَا وَرَدَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي جِهَتِهِ ﷺ مَوْرِدَ الشَّفَقَةِ والإِكْرَامِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿طه ۝١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾ [طه:١-٢] قِيلَ طَه اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ ﷺ وَقِيلَ هُوَ اسْمٌ لله وَقِيلَ مَعْنَاهُ يَا رَجُلُ وَقِيلَ يَا إِنْسَانُ، وَقِيلَ هِيَ حُرُوفٌ مُقَطَّعَةٌ لِمَعَانٍ.

قَالَ الْوَاسِطِيُّ(٣) أَرَادَ يَا طَاهِرُ، يَا هَادِي، وَقِيلَ هُوَ أَمْرٌ مِنَ الْوَطْءِ وَالْهَاءُ كِنَايَةٌ عَنِ الأَرْضِ أَيِ اعْتَمِدْ عَلَى الأَرْضِ بِقَدَمَيْكَ وَلاَ تُتْعِبْ نَفْسَكَ بِالاعْتِمَادِ عَلَى قَدَمٍ وَاحِدَةٍ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾ [طه:٢] نَزَلَتِ الآيَةُ فِيمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَكَلَّفُهُ مِنَ السَّهَرِ، وَالتَّعَبِ، وَقِيَامِ اللَّيْلِ.

أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ الله مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ وَغَيْرُ وَاحِدٍ عَنِ الْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ الْبَاجِيِّ إِجَازَةً وَمِنْ أَصْلِهِ نَقَلْتُ.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) قيل المراد بالعدو هنا هو الأخنس بن شريق وذهب بعضهم إلى أنه الوليد بن المغيرة، وقال الثعلبي في تفسيره أنه أبو جهل وأوعز هذا إلى ابن عباس رضي الله عنهما، وقال آخرون إنه عتبة بن ربيعة. وعلى كل أن هؤلاء كلهم كانوا أعداء الدعوة الإسلامية وأعداء الرسول ﷺ.

(٣) تقدمت ترجمته.

قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو ذَرٍّ الْحَافِظُ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَمَوِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بن خُزَيْمٍ الشَّاشِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ[1] عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ[2]، قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، إِذَا صَلَّى قَامَ عَلَى رِجْلٍ وَرَفَعَ الْأُخْرَى فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿طه﴾ [طه: ١] يَعْنِي طَإِ الْأَرْضَ يَا مُحَمَّدُ[3] ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ٢] الآيَةَ. وَلاَ خَفَاءَ بِمَا فِي هَذَا كُلِّهِ مِنَ الْإِكْرَامِ وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ وَإِنْ جَعَلْنَا طَهَ مِنْ أَسْمَائِهِ ﷺ كَمَا قِيلَ أَوْ جُعِلَتْ قَسَماً لَحِقَ الْفَصْلُ بِمَا قَبْلَهُ، وَمِثْلُ هَذَا مِنْ نَمَطِ الشَّفَقَةِ وَالْمَبَرَّةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦] أَيْ قَاتِلٌ نَفْسَكَ لِذَلِكَ غَضَباً أَوْ غَيْظاً أَوْ جَزَعاً، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى أَيْضاً: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣] ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤] وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: ٩٧] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: ١٠] الآيَةَ قَالَ مَكِّيٌّ سَلاَّهُ تَعَالَى بِمَا ذَكَرَ وَهَوَّنَ عَلَيْهِ مَا يَلْقَاهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَعْلَمَهُ أَنَّ مَنْ تَمَادَى عَلَى ذَلِكَ يَحُلُّ بِهِ مَا حَلَّ بِمَنْ قَبْلَهُ وَمِثْلُ هَذِهِ التَّسْلِيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [فاطر: ٤] وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢] عَزَّاهُ اللهُ تَعَالَى بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ الأُمَمِ السَّالِفَةِ وَمَقَالَتِهَا لأَنْبِيَائِهِمْ قَبْلَهُ وَمِحْنَتِهِمْ بِهِمْ وَسَلاَّهُ بِذَلِكَ عَنْ مِحْنَتِهِ بِمِثْلِهِ مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ وَأَنَّهُ لَيْسَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَ ذَلِكَ ثُمَّ طَيَّبَ نَفْسَهُ وَأَبَانَ عُذْرَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [الذاريات: ٥٤] أَيْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات: ٥٤] أَيْ فِي أَدَاءِ مَا بَلَّغْتَ وَإِبْلاَغِ مَا حُمِّلْتَ وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] أَيْ اصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ فَإِنَّكَ بِحَيْثُ نَرَاكَ وَنَحْفَظُكَ؛ سَلاَّهُ اللهُ تَعَالَى بِهَذَا فِي آيٍ كَثِيرَةٍ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى.

الْفَصْلُ السَّابِعُ فِيمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى بِهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِهِ وشَرِيف مَنْزلته على الأنبياء وحظوة رتبته عليهم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران: ٧٩]

---

(١) [. . .] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٢) الربيع بن أنس: هو أبو حاتم البكري. من خير التابعين ثقة صدوق قال ابن حجولة أوهام توفي سنة ١٣٩ هـ.

(٣) أسند عياض هنا هذا الحديث في تفسير عبد بن حميد عن الربيع بن أنس مرسلاً، وأخرجه ابن مردويه برواية علي كرم الله وجهه، في تفسيره بلفظ: لما نزل: ﴿يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً﴾. ١/٧٣ ـ ٢.

إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ[1]﴾ [آل عمران: ٨١] قَالَ أَبُو الحَسَنِ القَابِسِي[2] اسْتَخَصَّ الله تَعَالَى مُحَمَّداً ﷺ بِفَضْلٍ لَمْ يُؤْتِهِ غَيْرَهُ أَبَانَهُ بِهِ وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ فِي هَذِهِ الآيَةِ، قَالَ المُفَسِّرُونَ أَخَذَ الله المِيثَاقَ بِالوَحْيِ فَلَمْ يَبْعَثْ نَبِياً إِلاَّ ذَكَرَهُ لَهُ مُحَمَّداً وَنَعْتَهُ وَأَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُ إِنْ أَدْرَكَهُ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ، وَقِيلَ أَنْ يُبَيِّنَهُ لِقَوْمِهِ وَيَأْخُذَ مِيثَاقَهُمْ أَنْ يُبَيِّنُوهُ لِمَنْ بَعْدِهِمْ؛ وَقَوْلُهُ ثُمَّ جَاءَكُمْ: الخِطَابُ لأَهْلِ الكِتَابِ المُعَاصِرِينَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ؛ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ الله عَنْهُ: لَمْ يَبْعَثِ الله نَبِياً مِنْ آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ إِلاَّ أَخَذَ عَلَيْهِ العَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ لَئِنْ بُعِثَ وَهُوَ حَيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ وَيَأْخُذَنَّ العَهْدَ بِذَلِكَ عَلَى قَوْمِهِ وَنَحْوُهُ عَنِ السُّدِّي[3] وَقَتَادَةَ فِي آيٍ تَضَمَّنَتْ فَضْلَهُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ وَاحِدٍ[4] قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧] الآيَةَ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ ـ إلى قوله ـ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٣] رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ[5] رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي كَلَامٍ بَكَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ الله أَنْ بَعَثَكَ آخِرَ الأَنْبِيَاءِ. وَذَكَرَكَ فِي أَوَّلِهِمْ فَقَالَ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧] الآيَةَ. بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَهُ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يَوَدُّونَ أَنْ يَكُونُوا أَطَاعُوكَ وَهُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا يُعَذَّبُونَ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا الله وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ.

قَالَ قَتَادَةُ[6] إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: كُنْتُ أَوَّلَ الأَنْبِيَاءِ فِي الخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي البَعْثِ، فَلِذَلِكَ

---

(١) تقدمت ترجمته.
والآيات هي: ﴿وَإِذَا أَخَذَ الله النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ ءَاقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِيَ، قَالُوا أَقْرَرْنَا، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ١٨١].

(٢) تقدمت ترجمته.
«إتمام الآية الثانية»: ﴿وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً * وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ، وَكَلَّمَ الله مُوسَىٰ تَكْلِيماً * رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى الله حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ الله عَزِيزاً حَكِيماً * لَكِنَ الله يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ، وَالْمَلاَئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِالله شَهِيداً﴾. [النساء: ١٦٢ ـ ١٦٦].

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) السدي هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة إمام المحدثين وأشهرهم واختلف في ثقته، لا يحتج به، وقال الشمني إنه من أهل الكوفة تابعي مفسر صدوق إلا أنه متهم بالتشيع وثقه ابن حبان وضعفه أبو حاتم توفي سنة ١٢٠ هـ وينسب إلى موضع بالمدينة.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

وَقَعَ ذِكْرُهُ مُقَدَّماً هُنَا قَبْلَ نُوحٍ وَغَيْرِهِ[١].

قَالَ السَّمَرْقَنْدِيُّ[٢] فِي هَذَا تَفْضِيلُ نَبِيِّنَا ﷺ لِتَخْصِيصِهِ بِالذِّكْرِ قَبْلَهُمْ وَهُوَ آخِرُهُمْ بَعْثاً. الْمَعْنَى أَخَذَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ كَالذَّرِّ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] الآيَةَ.

قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ أَرَادَ بِقَوْلِهِ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ مُحَمَّداً ﷺ لِأَنَّهُ بُعِثَ إِلَى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ، وَأُحِلَّتْ لَهُ الْغَنَائِمُ وَظَهَرَت عَلَى يَدَيْهِ الْمُعْجِزَاتُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ أُعْطَى فَضِيلَةً أَوْ كَرَامَةً إِلاَّ وَقَدْ أُعْطِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ مِثْلَهَا.

قَالَ بَعْضُهُمْ وَمِنْ فَضْلِهِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَاطَبَ الأَنْبِيَاءَ بِأَسْمَائِهِمْ وَخَاطَبَهُ بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ﴾ [الأحزاب: ١] وَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ [المائدة: ٦٧] وَحَكَى السَّمَرْقَنْدِيُّ[٣] عَنِ الْكَلْبِيِّ[٤] فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات: ٨٣] إِنَّ الْهَاءَ عَائِدَةٌ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، أَيْ إِنَّ مِنْ شِيعَةِ مُحَمَّدٍ لإِبْرَاهِيمَ أَيْ عَلَى دِينِهِ. وَمِنْهَاجِهِ، وَأَجَازَهُ الْفَرَّاءُ[٥]، وَحَكَاهُ عَنْهُ مَكِّيٌّ[٦]، وَقِيلَ الْمُرَادُ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلاَمُ.

الْفَصْلُ الثامن في إعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] أَيْ مَا كُنْت بِمَكَّةَ فَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، وَبَقِيَ فِيهَا مَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ نَزَلَ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]. وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا﴾ [الفتح: ٢٥] الآيَةَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ [الفتح: ٢٥] الآيَةَ فَلَمَّا هَاجَرَ الْمُؤْمِنُونَ نَزَلَتْ ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٤] وَهَذَا مِنْ أَبْيَنِ مَا يُظْهِرُ مَكَانَتَهُ ﷺ، وَدِرْأَتَهُ الْعَذَابَ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ بِسَبَبِ كَوْنِهِ ثُمَّ

---

(١) أخرجه الإمام البغوي في شرح السنة: ٥/ ٢٣٢ والسيوطي في الدر المنثور: ٥/ ١٨٤، وابن الجوزي في زاد المسير: ٦/ ٣٠٥.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) الكلبي: هو محمد بن السائب الكلبي كنيته أبو نصر. الإمام المفسر المحدث النسابة الشهير، أخرج له الامام الترمذي في السنن، ونبسته إلى كلب وهي قبيلة معروفة توفي مع الامام الشافعي في سنة واحدة: ١٨٤ هـ.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

كَوْنِ أَصْحَابِهِ بَعْدَهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ فَلَمَّا خَلَتْ مَكَّةُ مِنْهُمْ، عَذَّبَهُمُ الله بِتَسْلِيطِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ وَغَلَبَتِهِمْ إِيَّاهُمْ، وَحَكَّمَ فِيهِمْ سُيُوفَهُمْ وَأَوْرَثَهُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ، وَفِي الآيَةِ أَيْضاً تَأْوِيلٌ آخَرُ.

حَدَّثَنَا الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ الله بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ بْنُ خَيْرُونَ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ، والصَّيْرَفِيُّ، قَالاَ، حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى ابْنُ زَوْجِ الْحُرَّةِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ السِّنْجِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَحْبُوبٍ الْمَرْوَزِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عِيسَى الْحَافِظُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُهَاجِرٍ عَنْ عَبَّادِ بن يُوسُفَ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ[(١)] بن أبي مُوسَى[(٢)] عَنْ أَبِيهِ، قَالَ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَنْزَلَ الله عَلَيَّ أَمَانَيْنِ لِأُمَّتِي[(٣)] ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]. فَإِذَا مَضَيْتُ تَرَكْتُ فِيكُمُ الاسْتِغْفَارَ»، وَنَحْوٌ مِنْهُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. قَالَ: ﷺ «أَنَا أَمَانٌ لِأَصْحَابِي»[(٤)]: قِيلَ مِنَ الْبِدَعِ، وَقِيلَ مِنَ الاخْتِلَافِ، وَالْفِتَنِ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: الرَّسُولُ ﷺ هُوَ الأَمَانُ الأَعْظَمُ مَا عَاشَ وَمَا دَامَتْ سُنَّتُهُ بَاقِيَةً فَهُوَ بَاقٍ فَإِذَا أُمِيتَتْ سُنَّتُهُ فَانْتَظِرُوا الْبَلاَءَ وَالْفِتَنَ وَقَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى﴾ [الأحزاب: ٥٦] الآيَةَ؛ أَبَانَ الله تَعَالَى فَضْلَ نَبِيِّهِ ﷺ بِصَلاَتِهِ عَلَيْهِ ثُمَّ بِصَلاَةِ مَلاَئِكَتِهِ وَأَمَرَ عِبَادَهُ بِالصَّلاَةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ وَقَدْ حَكَى أَبُو بَكْرِ[(٥)] بْنُ فُورَكٍ أَنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ تَأَوَّلَ قَوْلَهُ ﷺ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ عَلَى هَذَا». أَيْ فِي صَلاَةِ الله تَعَالَى عَلَيَّ وَمَلاَئِكَتِهِ وَأَمْرِهِ الأُمَّةَ بِذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَالصَّلاَةُ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ وَمِنَّا لَهُ دُعَاءٌ وَمِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ رَحْمَةٌ وَقِيلَ يُصَلُّونَ يُبَارِكُونَ وَقَدْ فَرَّقَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ عَلَّمَ الصَّلاَةَ عَلَيْهِ بَيْنَ لَفْظِ الصَّلاَةِ وَالْبَرَكَةِ وَسَنَذْكُرُ حُكْمَ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ وَذَكَرَ بَعْضُ

---

(١) [. . . .] ما بين قوسين ساقط من طبعة دمشق المحققة.

(٢) أبو موسى الأشعري الصحابي المشهور، واسمه هو: عامر بن قيس، وقيل الحارث، أحد الحكمين بين علي ومعاوية رضي الله عنهم ونسبته إلى أشعر قبيلة من قبائل العرب المعروفة باليمن لقب به، توفي سنة ٤٤ هـ وقيل سنة ٥٢ هـ. أسد الغابة: ٣/٧ ـ ٧، ١٢/١٥٦.

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في السنن تحت رقم: ٣٠٨٢ وأورده المتقي الهندي في كنز العمال تحت رقم: ٢٠٨١ والسيوطي في جمع الجوامع: ٤٥٢٢ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٨/٦٠٥ والسيوطي في الدر المنثور: ٣/١٨١ وابن كثير. في تفسيره: ٣/ ٥٩٠.

(٤) أخرجه عياض في الشفا: ١/١١٩، وفي مناهل الصفا: ٦.

(٥) أبو بكر بن فورك: هو محمد بن الحسن الأصبهاني: الإمام الجليل والعالم الذي لا يجارى علماً وفقهاً ولغة ونحواً وأصولاً وكلاماً مع الزهد والورع، وقد امتحن في الدين وعقدت له مناظرات كانت سبباً في غوله توفي مسموماً شهيداً سنة ٤٠٦ هـ ونقل إلى نيسابور حيث دفن، وقبره يزار، وهو شافعي المذهب. . .

الْمُتَكَلِّمِينَ فِي تَفْسِيرِ حُرُوفِ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم:١] أَنَّ الْكَافَ مِنْ كَافٍ أَيْ كِفَايَةُ الله لِنَبِيِّهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦] وَالْهَاءَ هِدَايَتُهُ لَهُ قَالَ: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح:٢] وَالْيَاءَ تَأْيِيدُهُ قَالَ ﴿أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ﴾ [الأنفال:٦٢] وَالْعَيْنَ عِصْمَتُهُ لَهُ قَالَ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ﴾ [المائدة:٦٧] وَالصَّادَ صَلاَتُهُ عَلَيْهِ قَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب:٥٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ [التحريم:٤] الآيَةَ مَوْلاَهُ أَيْ وَلِيُّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ قِيلَ الأَنْبِيَاءُ وَقِيلَ الْمَلاَئِكَةُ وَقِيلَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَقِيلَ عَلِيٌّ رَضِيَ الله عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ وَقِيلَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى ظَاهِرِهِ.

الفَصْل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته ﷺ

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح:١] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ﴾ [الفتح:١٠] تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الآيَاتُ مِنْ فَضْلِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَكَرِيمِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ الله تَعَالَى وَنِعْمَتِهِ لَدَيْهِ مَا يَقْصُرُ الْوَصْفُ عَنِ الانْتِهَاءِ إِلَيْهِ فَابْتَدَأَ جَلَّ جَلاَلُهُ بِإِعْلاَمِهِ بِمَا قَضَاهُ لَهُ مِنَ الْقَضَاءِ الْبَيِّنِ بِظُهُورِهِ وَغَلَبَتِهِ عَلَى عَدُوِّهِ وَعُلُوِّ كَلِمَتِهِ وَشَرِيعَتِهِ وَأَنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ غَيْرُ مُؤَاخَذٍ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ قَالَ بَعْضُهُمْ أَرَادَ غُفْرَانَ مَا وَقَعَ وَمَا لَمْ يَقَعْ أَيْ أَنَّكَ مَغْفُورٌ لَكَ وَقَالَ مَكِّيٌّ[1] جَعَلَ الله الْمِنَّةَ سَبَباً لِلْمَغْفِرَةِ وَكُلٌّ مِنْ عِنْدِهِ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ مِنَّةً بَعْدَ مِنَّةٍ وَفَضْلاً بَعْدَ فَضْلٍ ثُمَّ قَالَ: وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ[2]، قِيلَ بِخُضُوعِ مَنْ تَكَبَّرَ لَكَ وَقِيلَ بِفَتْحِ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ وَقِيلَ يَرْفَعُ ذِكْرَكَ فِي الدُّنْيَا وَيَنْصُرُكَ وَيَغْفِرُ لَكَ فَأَعْلَمَهُ بِتَمَامِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ بِخُضُوعِ مُتَكَبِّرِي عَدُوِّهِ لَهُ وَفَتْحِ أَهَمِّ الْبِلاَدِ عَلَيْهِ وَأَحَبِّهَا لَهُ وَرَفْعِ ذِكْرِهِ وَهِدَايَتِهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ الْمُبَلِّغَ الْجَنَّةَ وَالسَّعَادَةَ وَنَصْرِهِ النَّصْرَ الْعَزِيزَ وَمِنَّتِهِ عَلَى أُمَّتِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالسَّكِينَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ الَّتِي جَعَلَهَا فِي قُلُوبِهِمْ وَبِشَارَتِهِمْ بِمَا لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ بَعْدُ وَفَوْزِهِمُ الْعَظِيمِ وَالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَالسَّتْرِ لِذُنُوبِهِمْ وَهَلاَكِ عَدُوِّهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَعْنِهِمْ وَبُعْدِهِمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَسُوءِ مُنْقَلَبِهِمْ ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الفتح:٨] الآيَةَ فَعَدَّ مَحَاسِنَهُ وَخَصَائِصَهُ مِنْ شَهَادَتِهِ عَلَى أُمَّتِهِ لِنَفْسِهِ بِتَبْلِيغِهِ الرِّسَالَةَ لَهُمْ وَقِيلَ شَاهِداً لَهُمْ بِالتَّوْحِيدِ وَمُبَشِّراً لأُمَّتِهِ بِالثَّوَابِ وَقِيلَ بِالْمَغْفِرَةِ وَمُنْذِراً عَدُوَّهُ بِالْعَذَابِ وَقِيلَ مُحَذِّراً مِنَ الضَّلاَلاَتِ لِيُؤْمِنَ بِالله ثُمَّ بِهِ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ الله الْحُسْنَى وَيُعَزِّرُوهُ أَيْ يُجِلُّونَهُ وَقِيلَ يَنْصُرُونَهُ وَقِيلَ يُبَالِغُونَ فِي تَعْظِيمِهِ وَيُوَقِّرُوهُ أَيْ يُعَظِّمُونَهُ وَقَرَأَهُ بَعْضُهُمْ ﴿وَيُعَزِّزُوهُ﴾ [الفتح:٩] بِزَاءَيْنِ مِنَ الْعِزِّ وَالأَكْثَرُ وَالأَظْهَرُ أَنَّ هَذَا فِي حَقِّ مُحَمَّدٍ ﷺ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَيُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح:٨] فَهَذَا رَاجِعٌ إِلَى الله تَعَالَى قَالَ ابْنُ

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) والآية: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلاً﴾ [الفتح: ٨ ـ ٩].

(٣) ويعززوه قراءة شاذة ونسبها البعض إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

عَطاءِ[1] جُمِعَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي هَذِهِ السُّورَةِ نِعَمٌ مُخْتَلِفَةٌ مِنَ الْفَتْحِ الْمُبِينِ وَهِيَ مِنْ أَعْلامِ الْإِجابَةِ، وَالْمَغْفِرَةِ وَهِيَ مِنْ أَعْلامِ الْمَحَبَّةِ وَتَمامِ النِّعْمَةِ وَهِيَ مِنْ أَعْلامِ الاخْتِصاصِ وَالْهِدايَةِ وَهِيَ مِنْ أَعْلامِ الْوِلايَةِ، فَالْمَغْفِرَةُ تَبْرِئَةٌ مِنَ الْعُيُوبِ وَتَمامُ النِّعْمَةِ إِبْلاغُ الدَّرَجَةِ الْكامِلَةِ، وَالْهِدايَةُ وَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى الْمُشاهَدَةِ: وَقالَ جَعْفَرُ بْنُ[2] مُحَمَّدٍ مِنْ تَمامِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ أَنْ جَعَلَهُ حَبِيبَهُ وَأَقْسَمَ بِحَياتِهِ وَنَسَخَ بِهِ شَرائِعَ غَيْرِهِ وَعَرَجَ بِهِ إِلَى الْمَحَلِّ الْأَعْلَى وَحَفِظَهُ فِي الْمِعْراجِ حَتَّى مَا زاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى وَبَعَثَهُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ وَأَحَلَّ لَهُ وَلِأُمَّتِهِ الْغَنائِمَ وَجَعَلَهُ شَفِيعاً مُشَفَّعاً وَسَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ وَقَرَنَ ذِكْرَهُ بِذِكْرِهِ وَرِضاهُ بِرِضاه وَجَعَلَهُ أَحَدَ رُكْنَي التَّوْحِيدِ ثُمَّ قالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] يَعْنِي بَيْعَةَ الرِّضْوانِ[3] أَيْ إِنَّمَا يُبايِعُونَ الله بَيْعَتِهِمْ إِيَّاكَ ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] يُرِيدُ عِنْدَ الْبَيْعَةِ قِيلَ قُوَّةُ الله وَقِيلَ ثَوابُهُ وَقِيلَ مِنَّتُهُ، وَقِيلَ عَقْدُهُ، وَهَذِهِ اسْتِعاراتٌ وَتَجْنِيسٌ فِي الْكَلامِ وَتَأْكِيدٌ لِعَقْدِ بَيْعَتِهِمْ إِيَّاهُ وَعِظَمِ شَأْنِ الْمُبايَعِ ﷺ وَقَدْ يَكُونُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] وَإِنْ كانَ الْأَوَّلُ فِي بابِ الْمَجازِ وَهَذا فِي بابِ الْحَقِيقَةِ لِأَنَّ الْقاتِلَ وَالرَّامِيَ بِالْحَقِيقَةِ هُوَ الله وَهُوَ خالِقُ فِعْلِهِ وَرَمْيِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَيْهِ وَمَشِيئَتِهِ وَلِأَنَّهُ لَيْسَ فِي قُدْرَةِ الْبَشَرِ تَوْصِيلُ تِلْكَ الرَّمْيَةِ حَيْثُ وَصَلَتْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ تَمْلأْ عَيْنَيْهِ وَكَذَلِكَ قَتْلُ الْمَلائِكَةِ لَهُمْ حَقِيقَةٌ وَقَدْ قِيلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْأُخْرَى إِنَّها عَلَى الْمَجازِ الْعَرَبِيِّ وَمُقابَلَةِ اللَّفْظِ وَمُناسَبَتِهِ أَيْ مَا قَتَلْتُمُوهُمْ وَمَا رَمَيْتَهُمْ أَنْتَ إِذْ رَمَيْتَ وُجُوهَهُمْ بِالْحَصْباءِ وَالتُّرابِ وَلَكِنَّ الله رَمَى قُلُوبَهُمْ بِالْجَزَعِ أَيْ أَنَّ مَنْفَعَةَ الرَّمْيِ كانَتْ مِنْ فِعْلِ الله فَهُوَ الْقاتِلُ وَالرَّامِي بِالْمَعْنَى وَأَنْتَ بِالاسْمِ.

الفصل العاشر فيما أظهره الله تعالى في كتابه العزيز

مِنْ كَرامَتِهِ عَلَيْهِ وَمَكانَتِهِ عِنْدَهُ وَمَا خَصَّهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ سِوَى مَا انْتَظَمَ فِيمَا ذَكَرْناهُ: مِنْ ذَلِكَ مَا قَصَّهُ تَعالَى مِنْ قِصَّةِ الْإِسْراءِ[4] فِي سُورَةِ سُبْحانَ، وَالنَّجْمِ، وَمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ الْقِصَّةُ مِنْ

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) بيعة الرضوان كانت بالحديبية سنة ٦ هـ وسميت بهذا الاسم لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]. وتحت هذه الشجرة وقعت بيعة الرضوان وظلت هذه الشجرة محل توقير إلى زمان عمر رضي الله حيث استأصلها واختلف في عدد المبايعين ما بين ١٤٠٠ و١٥٠٠ وبايعوا الرسول ﷺ على عدم الفرار وعلى الموت في سبيل إعلاء كلمة الله. تراجع القصة في الروض الأنف ٤/ ٢٤.

(٣) تراجع قصة الإسراء في الروض الأنف للسهيلي: ٢/ ١٤١ ـ ١٧٠.

وفي قوله تعالى من سورة الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى. . .﴾ [الإسراء: ١].

عَظِيم مَنْزِلَتِهِ وَقُرْبِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ مَا شَاهَدَ مِنَ الْعَجَائِبِ، وَمِنْ ذَلِكَ عِصْمَتُهُ مِنَ النَّاسِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ﴾ [الأنفال:٣٠] الآيَةَ وَقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٤٠] وَمَا دَفَعَ الله بِهِ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ أَذَاهُمْ بَعْدَ تَحَزُّبِهِمْ لِهُلْكِهِ وَخُلُوصِهِمْ نَجِيّاً فِي أَمْرِهِ وَالأَخْذِ عَلَى أَبْصَارِهِمْ عِنْدَ خُرُوجِهِ عَلَيْهِمْ وَذُهُولِهِمْ عَنْ طَلَبِهِ فِي الْغَارِ وَمَا ظَهَرَ فِي ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ وَنُزُولِ السَّكِينَةِ عَلَيْهِ وَقِصَّةُ سُرَاقَةَ[1] بن مَالِكٍ حَسْبَمَا ذَكَرَه أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالسِّيرِ فِي قِصَّةِ الْغَارِ وَحَدِيثُ الْهِجْرَةِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ① فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:١ ـ ٣] أَعْلَمَهُ الله تَعَالَى بِمَا أَعْطَاهُ: وَالْكَوْثَرُ حَوْضُهُ وَقِيلَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ وَقِيلَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ وَقِيلَ الشَّفَاعَةُ وَقِيلَ الْمُعْجِزَاتُ الْكَثِيرَةُ وَقِيلَ النُّبُوَّةُ وَقِيلَ الْمَعْرِفَةُ؛ ثُمَّ أَجَابَ عَنْهُ عَدُوَّهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:٣] أَيْ عَدُوَّكَ وَمُبْغِضَكَ؛ وَالأَبْتَرُ الْحَقِيرُ الذَّلِيلُ أَوِ الْمُفْرَدُ الْوَحِيدُ أَوِ الذي لاَ خَيْرَ فِيهِ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧] وَقِيلَ السَّبْعُ الْمَثَانِي: السُّوَرُ الطِّوَالُ الأُوَلُ، وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ: أُمُّ الْقُرْآنِ، وَقِيلَ السَّبْعُ الْمَثَانِي: أُمُّ الْقُرْآنِ، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ: سَائِرُهُ، وَقِيلَ السَّبْعُ الْمَثَانِي: مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ وَبُشْرَى وَإِنْذَارٍ وَضَرْبِ مَثَلٍ وَإِعْدَادِ نِعَمٍ، وَآتَيْنَاكَ نَبَأَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَقِيلَ سُمِّيَتْ أُمُّ الْقُرْآنِ مَثَانِي: لأَنَّهَا تُثَنَّى فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، وَقِيلَ بَلِ الله تَعَالَى اسْتَثْنَاهَا لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَذَخَرَهَا لَهُ دُونَ الأَنْبِيَاءِ وَسُمِّيَ الْقُرْآنُ مَثَانِي: لأَنَّ الْقَصَصَ تُثَنَّى فِيهِ، وَقِيلَ السَّبْعُ الْمَثَانِي: أَكْرَمْنَاكَ بِسَبْعِ كَرَامَاتٍ: الْهُدَى، وَالنُّبُوَّةُ، وَالرَّحْمَةُ، وَالشَّفَاعَةُ، وَالْوِلاَيَةُ، وَالتَّعْظِيمُ، وَالسَّكِينَةُ، وَقَالَ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ [النحل:٤٤] الآيَةَ وَقَالَ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى﴾ [الأعراف:١٥٨] الآيَةَ، قَالَ الْقَاضِي رَحِمَهُ الله فَهَذِهِ مِنْ خَصَائِصِهِ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم:٤] فَخَصَّهُمْ بِقَوْمِهِمْ وَبَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً كَمَا قَالَ ﷺ: «بُعِثْتُ إِلَى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ»[2] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦] قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَيْ أَنْفَذُهُ فِيهِمْ مِنْ أَمْرٍ فَهُوَ مَاضٍ عَلَيْهِمْ كَمَا يَمْضِي حُكْمُ السَّيِّدِ عَلَى عَبْدِهِ وَقِيلَ اتِّبَاعُ أَمْرِهِ أَوْلَى مِنَ اتِّبَاعِ رَأْيِ النَّفْسِ، وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ أَيْ هُنَّ فِي

---

(١) سراقة بن مالك هو: الصحابي الحجازي، رضي الله عنه كانت هذه القصة قبل إسلامه، وكان إسلامه في غزوة الطائف، بعد فتح مكة سنة ٨ هـ توفي سنة ٢٤ هـ. ترجمته في الثقات: ٣/ ١٨٠، والإصابة: ٢/ ١٩.

(٢) جاء في حديثه ﷺ: «أرسلت إلى الأسود والأحمر» يعني العرب والعجم والغالب على ألوان العرب السمرة والأدمة وعلى ألوان العجم البياض والحمرة. شرح ابن أبي الحديد. ١/ ٢٨٥.

الْحُرْمَةِ كَالْأُمَّهَاتِ حَرُمَ نِكَاحُهُنَّ عَلَيْهِمْ بَعْدَهُ تَكْرِمَةً لَهُ وَخُصُوصِيَّةً وَلِأَنَّهُنَّ لَهُ أَزْوَاجٌ فِي الْجَنَّةِ وَقَدْ قُرِىءَ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ وَلاَ يُقْرَأُ بِهِ الآنَ لِمُخَالَفَتِهِ الْمُصْحَفَ وقَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣] الآيَة قِيلَ فَضْلُهُ الْعَظِيمُ بِالنُّبُوَّةِ وَقِيلَ بِمَا سَبَقَ لَهُ فِي الْأَزَلِ وَأَشَارَ الْوَاسِطِي[١] إِلَى أَنَّهَا إِشَارَةٌ إِلَى احْتِمَالِ الرُّؤْيَةِ التي لَمْ يَحْتَمِلْهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ.

---

(١) تقدمت ترجمته.

الباب الثاني: في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقاً وخُلقاً وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقاً.

الفصل الأول: إذا كانت خصال الكمال والجمال ما ذكرناه.

الفصل الثاني: إذا قلت أكرمك الله.

الفصل الثالث: وأما نظافة جسمه.

الفصل الرابع: وأما وفور عقله.

الفصل الخامس: وأما فصاحة اللسان.

الفصل السادس: وأما شرف نسبه.

الفصل السابع: وأما ما تدعو ضرورة الحياة إليه مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب.

الفصل الثامن: والضرب الثاني ما يتفق المدح بكثرته.

الفصل التاسع: وأما الضرب الثالث...

الفصل العاشر: وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة.

الفصل الحادي عشر: في بيان أصول هذه الأخلاق وتحقق وصف النبي بها.

الفصل الثاني عشر: وأما الحلم، والاحتمال والعفو مع القدرة.

الفصل الثالث عشر: وأما الجود والكرم.

الفصل الرابع عشر: وأما الشجاعة والنجدة.

الفصل الخامس عشر: وأما الحياء والإغضاء.

الفصل السادس عشر: وأما حسن عشرته.

الفصل السابع عشر: وأما الشفقة.

الفصل الثامن عشر: وأما خلقه ﷺ في الوفاء.

الباب الثاني

في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقاً وخلقاً وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقاً

مقدمة الباب الثاني

اعْلَمْ أَيُّهَا الْمُحِبُّ لِهَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ الْبَاحِثُ عَنْ تَفَاصِيلِ جُمَلِ قَدْرِهِ الْعَظِيمِ أَنَّ خِصَالَ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ فِي الْبَشَرِ نَوْعَانِ: ضَرُورِيٌّ دُنْيَوِيٌّ اقْتَضَتْهُ الْجِبِلَّةُ وَضَرُورَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمُكْتَسَبٌ دِينِيٌّ وَهُوَ مَا يُحْمَدُ فَاعِلُهُ وَيُقَرِّبُ إِلَى اللهِ تَعَالَى زُلْفَى؛ ثُمَّ هِيَ عَلَى فَنَّيْنِ أَيْضاً مِنْهَا مَا يَتَخَلَّصُ لِأَحَدِ الْوَصْفَيْنِ وَمِنْهَا مَا يَتَمَازَجُ وَيَتَدَاخَلُ. فَأَمَّا الضَّرُورِيُّ الْمَحْضُ فَمَا لَيْسَ لِلْمَرْءِ فِيهِ اخْتِيَارٌ وَلاَ اكْتِسَابٌ مِثْلُ مَا كَانَ فِي جِبِلَّتِهِ[1] مِنْ كَمَالِ خِلْقَتِهِ وَجَمَالِ صُورَتِهِ وَقُوَّةِ عَقْلِهِ وَصِحَّةِ فَهْمِهِ وَفَصَاحَةِ لِسَانِهِ وَقُوَّةِ حَوَاسِّهِ وَأَعْضَائِهِ، وَاعْتِدَالِ حَرَكَاتِهِ وَشَرَفِ نَسَبِهِ وَعِزَّةِ قَوْمِهِ وَكَرَمِ أَرْضِهِ وَيَلْحَقُ بِهِ مَا تَدْعُوهُ ضَرُورَةُ حَيَاتِهِ إِلَيْهِ مِنْ غِذَائِهِ وَنَوْمِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَسْكَنِهِ وَمَنْكَحِهِ وَمَالِهِ وَجَاهِهِ، وَقَدْ تَلْحَقُ هَذِهِ الْخِصَالُ الآخِرَةُ بِالأُخْرَوِيَّةِ إِذَا قَصَدَ بِهَا التَّقْوَى وَمَعُونَةَ الْبَدَنِ عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِهَا وَكَانَتْ عَلَى حُدُودِ الضَّرُورَةِ وَقَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ؛ وَأَمَّا الْمُكْتَسَبَةُ الأُخْرَوِيَّةُ فَسَائِرُ الأَخْلاَقِ الْعَلِيَّةِ وَالآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ الدِينِ وَالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالصَّبْرِ والشُّكْرِ وَالْعَمَلِ وَالزُّهْدِ وَالتَّوَاضُعِ، وَالْعَفْوِ، وَالْعِفَّةِ، والْجُودِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْحَيَاءِ وَالْمُرُوءَةِ وَالصَّمْتِ وَالتُّؤَدَةِ وَالْوَقَارِ وَالرَّحْمَةِ وَحُسْنِ الأَدَبِ وَالْمُعَاشَرَةِ وَأَخَوَاتِهَا وَهِيَ التِي جِمَاعُهَا: حُسْنُ الْخُلُقِ. وَقَدْ يَكُونُ مِنْ هَذِهِ الأَخْلاَقِ مَا هُوَ فِي الْغَرِيزَةِ. وَأَصْلُ الْجِبِلَّةِ لِبَعْضِ النَّاسِ، وَبَعْضُهُمْ لاَ تَكُونُ فِيهِ فَيَكْتَسِبُهَا وَلَكِنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنْ أُصُولِهَا فِي أَصْلِ الْجِبِلَّةِ شُعْبَةٌ كَمَا سَنُبَيِّنُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَتَكُونُ هَذِهِ الأَخْلاَقُ دُنْيَوِيَّةً إِذَا لَمْ يُرِدْ بِهَا وَجْهُ اللهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ وَلَكِنَّهَا كُلُّهَا مَحَاسِنُ وَفَضَائِلُ بِاتِّفَاقِ أَصْحَابِ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ. وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِي مُوجِبِ حُسْنِهَا وَتَفْضِيلِهَا.

الفصل الأول: خصال الكمال والجلال ﷺ

قَالَ الْقَاضِي إِذَا كَانَتْ خِصَالُ الْكَمَالِ وَالْجَلاَلِ مَا ذَكَرْنَاهُ وَرَأَيْنَا الْوَاحِدَ مِنَّا يَتَشَرَّفُ بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا أَوِ اثْنَتَيْنِ إِنِ اتَّفَقَتْ لَهُ فِي كُلِّ عَصْرٍ إِمَّا مِنْ نَسَبٍ أَوْ جَمَالٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ حِلْمٍ أَوْ شَجَاعَةٍ أَوْ سَمَاحَةٍ حَتَّى يَعْظُم قَدْرُهُ وَيُضْرَبَ بِاسْمِهِ الأَمْثَالُ وَيَتَقَرَّرَ لَهُ بِالْوَصْفِ بِذَلِكَ فِي الْقُلُوبِ أَثَرَةٌ وَعَظَمَةٌ وَهُوَ مُنْذُ عُصُورٍ خَوَالٍ[2]، رِمَمٌ بَوَالٍ فَمَا ظَنُّكَ بِعَظِيمِ قَدْرِ مَنِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ

---

(١) الجبلة: هي الخلقة التي عليها الإنسان وهنا الخلقة التي خلق عليها عليه الصلاة والسلام.

(٢) رمم: ج رمة، العظام البالية من الرفاة.

كُلُّ هَذِهِ الْخِصَالُ إِلَى مَا لاَ يَأْخُذُهُ عَدُّو وَلاَ يُعَبِّرُ عَنْهُ مَقَالٌ وَلاَ يَنَالُ بِكَسْبٍ وَلا حِيلَةٍ إلاَّ بِتَخْصِيصِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ مِنْ فَضِيلَةِ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَالْخُلَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالاصْطِفَاءِ وَالإِسْرَاءِ وَالرُّؤْيَةِ وَالْقُرْبِ وَالدُّنُوِّ وَالوَحْيِ وَالشَّفَاعَةِ، وَالْوَسِيلَةِ وَالْفَضِيلَةِ وَالدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَالْبُرَاقِ، وَالْمِعْرَاجِ، وَالْبَعْثِ إِلَى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ وَالصَّلاَةِ بِالأَنْبِيَاءِ وَالشَّهَادَةِ بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ وَالأُمَمِ وَسِيَادَةِ وَلَدِ آدَمَ وَلِوَاءِ الْحَمْدِ وَالْبِشَارَةِ وَالنِّذَارَةِ وَالْمَكَانَةِ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ وَالطَّاعَةِ ثَمَّ وَالأَمَانَةِ وَالْهِدَايَةِ وَرَحْمَةٍ لِلْعَالَمِينَ وَإِعْطَاءِ الرِّضَى وَالسُّؤْلِ وَالْكَوْثَرِ وَسَمَاعِ الْقَوْلِ وَإِتْمَامِ النِّعْمَةِ وَالْعَفْوِ عَمَّا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ وَشَرْحِ الصَّدْرِ وَوَضْعِ الإِصْرِ وَرَفْعِ الذِّكْرِ وَعِزَّةِ النَّصْرِ وَنُزُولِ السَّكِينَةِ وَالتَّأْيِيدِ بِالْمَلاَئِكَةِ وَإِيتَاءِ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ وَالسَّبْعِ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَتَزْكِيَةِ الأُمَّةِ وَالدُّعَاءِ إِلَى اللهِ وَصَلاَةِ اللهِ تَعَالَى وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاهُ اللهُ وَوَضْعِ الإِصْرِ وَالأَغْلاَلِ عَنْهُمْ وَالْقَسَمِ بِاسْمِهِ وَإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ وَتَكْلِيمِ الْجَمَادَاتِ وَالْعُجْمِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَإِسْمَاعِ الصُّمِّ وَنَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَتَكْثِيرِ الْقَلِيلِ وَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ وَرَدِّ الشَّمْسِ وَقَلْبِ الأَعْيَانِ وَالنَّصْرِ بِالرُّعْبِ وَالاطِّلاَعِ عَلَى الْغَيْبِ وَظِلِّ الْغَمَامِ وَتَسْبِيحِ الْحَصَى، وَإِبْرَاءِ الآلاَمِ وَالعِصْمَةِ مِنَ النَّاسِ إِلَى مَا لاَ يَحْوِيهِ مُحْتَفِلٌ، وَلاَ يُحِيطُ بِعِلْمِهِ إِلاَّ مَانِحُهُ ذَلِكَ وَمُفَضِّلُهُ بِهِ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِلَى مَا أَعَدَّ لَهُ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ، مِنْ مَنَازِلِ الْكَرَامَةِ، وَدَرَجَاتِ الْقُدْسِ وَمَرَاتِبِ السَّعَادَةِ وَالْحُسْنَى وَالزِّيَادَةِ الَّتِي تَقِفُ دُونَهَا الْعُقُولُ وَيُحَارُ دُونَ إِدْرَاكِهَا الْوَهْمُ.

الفصل الثاني: صفاته الخلقية ﷺ

إِنْ قُلْتَ أَكْرَمَكَ اللهُ لاَ خَفَاءَ عَلَى الْقَطْعِ بِالْجُمْلَةِ أَنَّهُ ﷺ أَعْلَى النَّاسِ قَدْراً، وَأَعْظَمُهُمْ مَحَلاً وَأَكْمَلُهُمْ مَحَاسِنَ وَفَضْلاً وَقَدْ ذَهَبْتُ فِي تَفَاصِيلِ خِصَالِ الْكَمَالِ مَذْهَباً جَمِيلاً شَوَّقَنِي إِلَى أَنْ أَقِفَ عَلَيْهَا مِنْ أَوْصَافِهِ ﷺ تَفْصِيلاً.

فَاعْلَمْ نَوَّرَ اللهُ قَلْبِي وَقَلْبَكَ، وَضَاعَفَ فِي هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ حُبِّي وَحُبَّكَ أَنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى خِصَالِ الْكَمَالِ النَّبِيِّ هِيَ غَيْرُ مُكْتَسَبَةٍ وَفِي جِبِلَّةِ الخِلْقَةِ، وَوَجَدْتَهُ ﷺ حَائِزاً لِجَمِيعِهَا مُحِيطاً بِشَتَاتِ مَحَاسِنِهَا دُونَ خِلاَفٍ بَيْنَ نَقَلَةِ الأَخْبَارِ لِذَلِكَ بَلْ قَدْ بَلَغَ بَعْضُهَا مَبْلَغَ الْقَطْعِ.

أَمَّا الصُّورَةُ وَجَمَالُهَا وَتَنَاسُبُ أَعْضَائِهِ فِي حُسْنِهَا فَقَدْ جَاءَتِ الآثَارُ الصَّحِيحَةُ، وَالْمَشْهُورَةُ الْكَثِيرَةُ بِذَلِكَ. مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ[١] وَأَنَسٍ[٢] بْنِ مَالِكٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ[٣]. وَالبَرَاءِ[٤] بن عَازِبٍ،

---

(١) (٢) (٣) تقدمت تراجمهم.

(٤) البراء بن عازب الأنصاري الأوسي، له صحبة كما كانت لأبيه، شهد من الغزوات أحداً وقد غزا إلى جانب النبي ﷺ ١٥ غزوة وصحبه في الكثير من أسفاره توفي بالكوفة في خلافة بني أمية سنة ٧٢ هـ.

ترجمته: في الثقات: ٢٦/٣، وفي الطبقات لابن سعد: ٣٦٤/٤، ١٧/٦. وفي الإصابة: ١٤٢/١.

وَعَائِشَةَ[1] أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَابْنِ أَبِي هَالَةَ[2]، وَأَبِي جُحَيْفَةَ[3]، وَجَابِرْ بْنَ[4] سَمُرَةَ وَأُمِّ مَعْبَدٍ[5] وَابْنِ عَبَّاسٍ[6] وَمُعَرِّضٍ[7] بْنِ مُعَيْقِيبٍ. وَأَبِي[8] الطُّفَيْلِ وَالْعَدَاءِ[9] بن خَالِدٍ وَخُرَيْمٍ[10] بنِ فَاتِكٍ وَحَكِيمٍ[11] بنِ حِزَامٍ وَغَيْرِهِمْ رَضِيَ الله عَنْهُمْ مِن أَنَّهُ ﷺ: كَانَ أَزْهَرَ اللَّوْنِ أَدْعَجَ أَنجَلَ أَشْكَلَ أَهْدَبَ الأَشْفَارِ أَبْلَجَ أَزَجَّ أَقْنَى أَفْلَجَ مُدَوَّرَ الْوَجْهِ وَاسِعَ الْجَبِينِ كَثَّ اللِّحْيَةِ تَمْلأُ صَدْرَهُ سَوَاءَ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ وَاسِعَ الصَّدْرِ عَظِيمَ الْمَنْكِبَيْنِ ضَخْمَ الْعِظَامِ عَبْلَ الْعَضُدَيْنِ وَالذِّرَاعَيْنِ وَالأَسَافِلِ رَحْبَ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، سَائِلَ الأَطْرَافِ أَنْوَرَ الْمُتَجَرِّدِ دَقِيقَ الْمَسْرُبَةِ رَبْعَةَ الْقَدِّ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلاَ الْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ يُمَاشِيهِ أَحَدٌ يُنْسَبُ إِلَى الطُّولِ إِلاَّ طَاوَلَهُ ﷺ، رَجْلَ الشَّعَرِ، إِذَا افْتَرَّ ضَاحِكاً افْتَرَّ عَنْ مِثْلِ سَنَا الْبَرْقِ، وَعَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ، إِذَا

---

(١) عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تزوجها الرسول ﷺ وهي بنت ٩ سنوات ولم يتزوج بكراً غيرها تصنف في قائمة الرواة المكثرين للحديث توفيت بالمدينة سنة ٥٨ هـ وصلى عليها أبو هريرة ودفنت في البقيع. ترجمتها في الثقات: ٣/ ٣٢٣ وفي الطبقات ٨/ ٥٨، ٢/ ٣٧٤، وفي الإصابة ٤/ ٣٥٩، وفي الحلية، ٢/ ٣٤. . . .

(٢) ابن أبي هالة هو هند بن هند بن أبي هالة التميمي يقال إن له صحبة: ترجمته: في الثقات: ٣/ ٤٣٦، وفي الإصابة ٣/ ٦١١.

(٣) أبو جحيفة هو وهب بن عبد الله توفي ٧٢ هـ ترجمته. في الثقات ٣/ ٤٢٨. وفي الطبقات ٦/ ٦٣، ٣١٩، وفي الإصابة: ٣/ ٦٤٢.

(٤) جابر بن سمرة هو أبو عبد الله ابن أخت سعد بن أبي وقاص توفي بالكوفة سنة ٦٧٢. ترجمته في الثقات: ٣/ ٥٢، وفي الطبقات ٦/ ٢٤، والإصابة: ١/ ٢١٢.

(٥) أم معبد هي عاتكة بنت خالد بن منقذ ويقال لها بنت خالد بن خلف. . . ترجمتها: في الثقات ٣/ ٣٢٥ والطبقات ٨/ ٢٨٨، والإصابة ٤/ ٤٩٧.

(٦) تقدمت ترجمته آنفاً.

(٧) معرض بن معيقيب اليماني نسبة إلى اليمامة، روى عنه حديث الطفل الذي نطق بتصديق الرسول ﷺ معجزة له، توفي رحمه الله في خلافة الإمام علي كرم الله وجهه.

(٨) أبو الطفيل هو عامر بن واثلة الكتاني صحابي مشهور له رؤية ورواية، وكان يقول الشعر ولد في بداية الهجرة وتوفي سنة ١١٠ هـ وهو آخر من مات من الصحابة ترجمته في: الثقات ٣/ ٢٩١، والطبقات ٥/ ٤٥٧، ٦/ ٦٤، والإصابة: ٢/ ٢٦١، ٤/ ١١٣.

(٩) العداء بن خالد بن هودة، أسلم يوم الفتح سنة ٨ هـ وحسن إسلامه، وهو الذي اشترى من النبي ﷺ غلاماً أو أمة، كما أخرج الترمذي، ومات ما بعد المائة.

(١٠) خريم بن فاتك شهد بدراً توفي بالرقة أيام معاوية رضي الله عنهما. وأخرج له ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق.

(١١) حكيم بن حزام، هو ابن أخي خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها توفي سنة ٦٠ هـ وعاش ١٢٠ سنة نصفها في الإسلام. وكان قد ولد داخل الكعبة. ترجمته في: الثقات ٣/ ١١٣، والإصابة: ١/ ٤٢٤ وحلية الأولياء: ١/ ٣٦٣.

تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ ثَنَايَاهُ أَحْسَنَ النَّاسِ عُنُقاً لَيْسَ بِمُطَّهَّمٍ، وَلاَ مُكَلْثَمٍ مُتَمَاسِكَ الْبَدَنِ ضَرْبَ اللَّحْمِ.

قَالَ الْبَرَاءُ[(١)] مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَّةٍ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ[(٢)] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَإِذَا ضَحِكَ يَتَلأْلأُ فِي الْجُدُرِ.

وَقَالَ جَابِرُ[(٣)] بْنُ سَمُرَةَ وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: كَانَ وَجْهُهُ ﷺ مِثْلَ السَّيْفِ؟ فَقَالَ لاَ بَلْ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَكَانَ مُسْتَدِيراً.

وَقَالَتْ أُمُّ مَعْبَدٍ[(٤)] فِي بَعْضِ مَا وَصَفَتْهُ بِهِ: أَجْمَلُ النَّاسِ مِنْ بَعِيدٍ وَأَحْلاَهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي[(٥)] هَالَةَ: يَتَلأْلأُ وَجْهُهُ تَلأْلُؤَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ.

وَقَالَ عَلِيٌّ[(٦)] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي آخِرِ وَصْفِهِ لَهُ: مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ، يَقُولُ نَاعِتُهُ لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ.

وَالأَحَادِيثُ فِي بَسْطِ صِفَتِهِ مَشْهُورَةٌ كَثِيرَةٌ فَلاَ نُطَوِّلُ بِسَرْدِهَا وَقَدِ اخْتَصَرْنَا فِي وَصْفِهِ نُكَتَ مَا جَاءَ فِيهَا وَجُمْلَةً مِمَّا فِيهِ كِفَايَةٌ فِي الْقَصْدِ إِلَى الْمَطْلُوبِ، وَخَتَمْنَا هَذِهِ الْفُصُولَ بِحَدِيثٍ جَامِعٍ لِذَلِكَ تَقِفُ عَلَيْهِ هُنَاكَ إِنْ شَاءَ اللهُ.

الفصل الثالث: نظافته ﷺ

وَأَمَّا نَظَافَةُ جِسْمِهِ، وَطِيبُ رِيحِهِ وَعَرَقِهِ، وَنَزَاهَتُهُ عَنِ الأَقْذَارِ وَعَوْرَاتِ الْجَسَدِ فَكَانَ قَدْ خَصَّهُ اللهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ بِخَصَائِصَ لَمْ تُوجَدْ فِي غَيْرِهِ ثُمَّ تَمَّمَهَا بِنَظَافَةِ الشَّرْعِ وَخِصَالِ الْفِطْرَةِ

---

(١) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم الأنصاري سكن الكوفة كنيته أبو عمارة ويقال أبو عمرو استصغره رسول الله ﷺ يوم بدر فرده، توفي رحمه الله في ولاية مصعب بن الزبير على العراق على خلاف في ذلك والمشهور سنة ٧٢ هـ. ترجمته في: الطبقات ٤/ ٣٦٤، ٦/ ١٧، والإصابة ١/ ١٤٢، والثقات ٣/ ٢٦.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمتها.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

الْعَشرِ. وَقَالَ «بُنِيَ الدِّينُ عَلَى النَّظَافَةِ»[١].

حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بن الْعَاصِي وَغَيْرِ وَاحِدٍ قَالُوا حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الرَّازِيُّ، قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْجُلُودِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ سُفْيَانَ قَالَ حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ قَالَ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا جعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ ثَابِتٍ[٢] عَنْ أَنَسٍ، قَالَ مَا شَمِمْتُ عَنْبَرَاً قَطُّ وَلاَ مِسْكاً وَلاَ شَيْئاً أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ الله ﷺ[٣].

وَعَنْ جَابِرِ[٤] بْنِ سَمُرَةَ أَنَّهُ ﷺ مَسَحَ خَدَّهُ قَالَ فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْداً وَرِيحاً كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ، قَالَ غَيْرُهُ مَسَّهَا بِطِيبٍ أَمْ لَمْ يَمَسَّهَا يُصَافِحُ الْمُصَافِحَ فَيَظَلُّ يَوْمَهُ يَجِدُ رِيحَهَا، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الصَّبِيِّ فَيُعْرَفُ مِنْ بَيْنِ الصِّبْيَانِ بِرِيحِهَا وَنَامَ رَسُولُ الله ﷺ فِي دَارِ أَنَسٍ فَعَرِقَ فَجَاءَتْ أُمُّهُ بِقَارُورَةٍ تَجْمَعُ فِيهَا عَرَقَهُ فَسَأَلَهَا رَسُولُ الله ﷺ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ.

وَذَكَرَ الْبُخَارِيُّ[٥] فِي تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ عَنْ جَابِرٍ[٦] لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ يَمُرُّ فِي طَرِيقِهِ فَيَتْبَعُهُ أَحَدٌ إلاَّ عَرَفَ أَنَّهُ سَلَكَهُ مِنْ طِيبِه.

وَذَكَرَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ[٧] أَنَّ تِلْكَ كَانَتْ رَائِحَتَهُ بِلاَ طِيبٍ ﷺ.

---

(١) [. . . . . .] ساقطة من طبعة دمشق المحققة.

(٢) قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: عشر من الفطرة: قصُّ الشارب، وإعفاءُ اللِّحية، والسواك، واستنشاق الماءِ، وقصُّ الأظفارِ، وغسلُ البراجمِ، ونتفُ الإبطِ، وحلقُ العانةِ وانتقاص الماء». . أخرجه مسلم في الصحيح: ١/٢٢٣ كتاب الطهارة (٢) باب خصال الفطرة (١٦) الحديث ٥٦/٢٦١.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في الشمائل.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) الإمام البخاري (١٩٤ ـ ٢٥٦ هـ) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم. . . ترجمته في نشأة علوم الحديث ومصطلحه للعجاج: ٣٢٦، وتاريخ بغداد ٢/٤، وطبقات الحنابلة: ١/٢٧١ ـ ٢٨٠، وتذكرة الحفاظ ٢/١٢٢، وطبقات الشافعية: ٢/٢ وتاريخ دمشق ٣٧/١١٠، وتهذيب التهذيب: ٩/٤٧، وجامع الأصول: ١/١٠٨، وتاريخ الأدب العربي ٣/١٦٥. . .

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) إسحاق بن راهويه إبراهيم بن مخلد التميمي كنيته أبو يعقوب المروزي، الورع الزاهد الثقة المجتهد إمام في الحديث ويقال عنه أنه أحيا السنة بالمشرق، وكان رحمه الله لا يسمع شيئاً إلا حفظه وما نسيه.

وَرَوَى الْمُزَنِيُّ[١] وَالْحَرْبِيُّ[٢] عَنْ جَابِرٍ[٣] أَرْدَفَنِي النَّبِيُّ ﷺ خَلْفَهُ فَالْتَقَمْتُ خَاتَمَ النُّبُوَّةِ بِفَمِي فَكَانَ يَنِمُّ عَلَيَّ مِسْكاً وَقَدْ حَكَى بَعْضُ الْمُعْتَنِينَ بِأَخْبَارِهِ وَشَمَائِلِهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَغَوَّطَ انْشَقَّتِ الأَرْضُ فَابْتَلَعَتْ غَائِطَهُ وَبَوْلَهُ وَفَاحَتْ لِذَلِكَ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ ﷺ.

وَأَسْنَدَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ كَاتِبُ الْوَاقِدِي[٤] فِي هَذَا خَبَراً عَنْ عَائِشَةَ[٥] رَضِيَ الله عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنَّكَ تَأْتِي الْخَلاَءَ فَلاَ نَرَى مِنْكَ شَيْئاً مِنَ الأَذَى، فَقَالَ يَا عَائِشَةُ: «**أَو مَا عَلِمْتِ أَنَّ الأَرْضَ تَبْتَلِعُ مَا يَخْرُجُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ فَلاَ يُرَى مِنْهُ شَيْءٌ؟**». وَهَذَا الْخَبَرُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَشْهُوراً. فَقَدْ قَالَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِطَهَارَةِ هَذَيْنِ الْحَدَثَيْنِ مِنْهُ ﷺ وَهُوَ قَوْلُ بَعْضِ أَصْحَابِ الشَّافِعِي.

حَكَاهُ الإِمَامُ أَبُو نَصْرٍ[٦] بْنُ الصَّبَّاغِ فِي شَامِلِهِ. وَقَدْ حَكَى الْقَوْلَيْنِ عَنِ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ[٧] سَابِقٍ الْمَالِكِي فِي كِتَابِهِ الْبَدِيعِ فِي فُرُوعِ الْمَالِكِيَّةِ وَتَخْرِيجِ مَا لَمْ يَقَعْ لَهُمْ مِنْهَا عَلَى مَذْهَبِهِمْ مِنْ تَفَارِيعِ الشَّافِعِيَّةِ، وَشَاهِدُ هَذَا أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ شَيْءٌ يُكْرَهُ وَلاَ غَيْرُ طَيِّبٍ.

وَمِنْهُ حَدِيثُ عَلِيٍّ[٨] رَضِيَ الله عَنْهُ غَسَّلْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَيِّتِ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئاً، فَقُلْتُ طِبْتَ حَيّاً وَمَيِّتاً قَالَ وَسَطَعَتْ مِنْهُ رِيحٌ طَيِّبَةٌ لَمْ نَجِدْ مِثْلَهَا قَطُّ.

وَمِثْلُهُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ[٩] رَضِيَ الله عَنْهُ حِينَ قَبَّلَ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهِ.

وَمِنْهُ شُرْبُ مَالِكِ[١٠] بنِ سِنَانٍ دَمَهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَمَصُّهُ إِيَّاهُ وَتَسْوِيغُهُ ﷺ ذَلِكَ لَهُ. وَقَوْلُهُ لَهُ

---

(١) المزني إبراهيم وقيل أبو إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني الزاهد كان مستجاب الدعاء، وقال عنه الإمام الشافعي لو أنه ناظر الشيطان لغلبه. توفي رحمه الله. ٢٦٤ هـ.

(٢) الحربي هو إبراهيم بن إسحاق الحربي الحنبلي وبهذا الاسم ينسب إلى الحربية وهي محلة من بغداد توفي رحمه الله سنة ١٠٧ هـ.

(٣) محمد بن سعد كنيته أبو عبد الله محمد مولى بني هاشم صاحب الطبقات الإمام الحافظ توفي رحمه الله سنة ٢٠٤ هـ.

(٤) الواقدي تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمت ترجمتها.

(٦) أبو نصر بن الصباغ هو عبد السيد بن محمد الإمام الحافظ إليه انتهت رئاسة الشافعية في زمانه وصفوه بالزهد، والورع، والتقوى كان مكفوف البصر توفي رحمه الله سنة ٤٧٧ هـ.

(٧) أبو بكر بن سابق الإمام الحافظ العالم الفاضل المقلد لمذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر، كنيته أبو سعيد الخدري يعد من أجلة الصحابة الكرام شرب دم النبي ﷺ يوم أحد فقال عليه الصلاة والسلام من مس دمه دمي لم يخالطه ذنب واستشهد يوم أحد رضي الله عنه.

«لَنْ تُصِيبَهُ النَّارُ»[١]، وَمِثْلُهُ شُرْبُ عَبْدِ[٢] الله بْنِ الزُّبَيْرِ دَمَ حِجَامَتِهِ فقال عليه السَّلاَمُ: «وَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِنْكَ» وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ وَقَدْ رُوِيَ نَحْوٌ مِنْ هَذَا عَنْهُ فِي امْرَأَةٍ شَرِبَتْ بَوْلَهُ فَقَالَ لَهَا لَنْ تَشْتَكِي وَجَعَ بَطْنِكِ أَبَداً[٣]. وَلَمْ يَأْمُرْ وَاحِداً مِنْهُمْ بِغَسْلِ فَمٍ، وَلاَ نَهَاهُ عَنْ عَوْدَةٍ. وَحَدِيثُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ الَّتِي شَرِبَتْ بَوْلَهُ صَحِيحٌ أَلْزَمَ الدَّارَقُطْنِي[٤] مُسْلِماً، وَالْبُخَارِي[٥] إِخْرَاجَهُ فِي الصَّحِيحِ، وَاسْمُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ بَرَكَةُ[٦] وَاخْتُلِفَ فِي نَسَبِهَا وَقِيلَ هِيَ أُمُّ أَيْمَنَ[٧] وَكَانَتْ تَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَتْ وَكَانَ لِرَسُولِ الله ﷺ قَدَحٌ مِنْ عَيْدَانٍ يُوضَعُ تَحْتَ سَرِيرِهِ يَبُولُ فِيهِ مِنَ اللَّيْلِ فَبَالَ فِيهِ لَيْلَةً ثُمَّ افْتَقَدَهُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئاً فَسَأَلَ بَرَكَةَ عَنْهُ فَقَالَتْ قُمْتُ وَأَنَا عَطْشَانَةٌ فَشَرِبْتُهُ وَأَنَا لاَ أَعْلَمُ. رَوَى حَدِيثَهَا ابْنُ جُرَيْجٍ[٨] وَغَيْرُهُ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ ولد مَخْتُوناً مَقْطُوعَ السُّرَّةِ[٩].

وَرُوِيَ عَنْ أُمِّهِ آمِنَةَ[١٠] أَنَّهَا قَالَتْ: وَلَدْتُهُ نَظِيفاً مَا بِهِ قَذَرٌ[١١].

---

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط برواية أبي سعيد الخدري وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة برواية عمر بن السائب.

(٢) عبد الله بن الزبير بن العوام، أول مولود في الإسلام بعد الهجرة. استخلف بعد وفاة معاوية رضي الله عنه وحاصره الحجاج بن يوسف الثقفي عند الكعبة. فاستشهد سنة ٧٣ هـ.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك والدارقطني، وأقره الإمام الذهبي.

(٤) الدارقطني الإمام شيخ الإسلام حافظ الزمان كنيته أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي. الحافظ الشهير صاحب السنن والعلل والإفراد ولد سنة ٣٠٦ هـ وأخذ عن البغوي وابن أبي داود وابن دريد وأخذ عنه الحاكم وأبو حامد الأسفرايني وعبد الغني والبرقاني وأبو نعيم والقاضي أبو الطيب. توفي رحمه الله سنة ٣٨٥ هـ. ترجمته في البداية والنهاية: ١١/ ٣١٧، وتاريخ بغداد: ١٢/ ٣٤، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٩٩١ والرسالة المستطرفة: ص ٢٣. وشذرات الذهب ٣/ ١١٦ وطبقات الشافعية ٣/ ٤٦٢ وطبقات القراء لابن الجزري ١/ ٥٥٨، وطبقات ابن هداية الله: ١٠٢ والعبر ٣/ ٢٨، واللباب: ١/ ٤٠٤ ومفتاح السعادة ٢/ ١٤٠، والمنتظم ٧/ ١٨٣ والنجوم الزاهرة ٤/ ١٧٢ ووفيات الأعيان ١/ ٣٣١.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان بن حرب المهاجرة السابقة قدمت مع أم حبيبة من الحبشة فتزوجها النبي ﷺ وكانت بركة تخدمها. وهي القائلة أنه كان له ﷺ قدح تحت سريره يبول فيه فشربته ليلاً.

(٧) أم أيمن سمعت النبي ﷺ يقول: إنما الأسود لفرجه وبطنه، وروى عنها علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وله قصة طويلة في حديث الأوزاعي عن واصل الأحدب ليس هذا موضعه.
ترجمتها في: الوصاية: ٤/ ٤٣٢، ٤٣٣ والطبقات ٨/ ٢٢٣، والثقات ٣/ ٤٦٠.

(٨) ابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج وكنيته أبو الوليد وهو إمام حافظ أجمع أهل الحديث على ثقته ويقال إنه أول من صنف في الإسلام، توفي رحمه الله سنة ١٥٠ هـ.

(٩) أخرجه أبو نعيم والطبراني في الأوسط، وأخرج ابن سعد والبيهقي بسند ضعيف برواية ابن عباس رضي الله عنهما عن أبيه أنه ولد معذوراً مسروراً، أي مقطوع السرة مختوناً، وأخرجه الخطيب البغدادي برواية أنس....

(١٠) آمنة بنت وهب بن عبد مناف ولم تلد غيره ﷺ ولم تتزوج غير أبيه. (١١) أخرجه ابن سعد في الطبقات.

وَعَنْ عَائِشَةَ[١] رَضِيَ الله عَنْهَا مَا رَأَيْتُ فَرْجَ رَسُولِ الله ﷺ قَطُّ، وَعَنْ عَلِيٍّ[٢] رَضِيَ الله عَنْهُ أَوْصَانِي النَّبِيُّ ﷺ لاَ يَغْسِلُهُ غَيْرِي: فَإِنَّهُ لاَ يَرَى أَحَدٌ عَوْرَتِي إلاَّ طُمِسَتْ عَيْنَاهُ، وَفِي حَدِيثِ عِكْرِمَةَ[٣] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[٤] رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّهُ ﷺ: نَامَ حَتَّى سُمِعَ لَهُ غَطِيطٌ فَقَامَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ قَالَ عِكْرِمَةُ ﷺ. كَانَ مَحْفُوظاً.

الفصل الرابع: رجاحة عقله وفصاحة لسانه

وَأَمَّا وُفُورُ عَقْلِهِ وَذَكَاءُ لُبِّهِ وَقُوَّةُ حَوَاسِّهِ وَفَصَاحَةُ لِسَانِهِ وَاعْتِدَالُ حَرَكَاتِهِ وَحُسْنُ شَمَائِلِهِ فَلاَ مِرْيَةَ أَنَّهُ كَانَ أَعْقَلَ النَّاسِ وَأَذْكَاهُمْ، وَمَنْ تَأَمَّلَ تَدْبِيرَهُ أَمْرَ بَوَاطِنِ الْخَلْقِ وَظَوَاهِرِهِمْ وَسِيَاسَةَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ مَعَ عَجِيبِ شَمَائِلِهِ وَبَدِيعِ سِيَرِهِ فَضْلاً عَمَّا أَفَاضَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَقَدَّرَهُ مِنَ الشَّرْعِ دُونَ تَعَلُّمٍ سَبَقَ وَلاَ مُمَارَسَةٍ تَقَدَّمَتْ وَلاَ مُطَالَعَةٍ لِلْكُتُبِ مِنْهُ: لَمْ يَمْتَرِ فِي رُجْحَانِ عَقْلِهِ وَثُقُوبِ فَهْمِهِ لأَوَّلِ بَدِيهَةٍ، وَهَذَا مِمَّا لاَ يُحْتَاجُ إِلَى تَقْرِيرِهِ لِتَحَقُّقِهِ، وَقَدْ قَالَ وَهْبُ[٥] بْنُ مُنَبِّهٍ قَرَأْتُ فِي أَحَدٍ وَسَبْعِينَ كِتَاباً فَوَجَدْتُ فِي جَمِيعِهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرْجَحُ النَّاسِ عَقْلاً وَأَفْضَلُهُمْ رَأْياً وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فَوَجَدْتُ فِي جَمِيعِهَا أَنَّ الله تَعَالَى لَمْ يُعْطِ جَمِيعَ النَّاسِ مِنْ بَدْءِ الدُّنْيَا إِلَى انْقِضَائِهَا مِنَ الْعَقْلِ فِي جَنْبِ عَقْلِهِ ﷺ إلاَّ كَحَبَّةِ رَمْلٍ مِنْ بَيْنِ رِمَالِ الدُّنْيَا وَقَالَ مُجَاهِدٌ[٦] كَانَ رَسُولُ الله ﷺ. إِذَا قَامَ فِي الصَّلاَةِ يَرَى مَنْ خَلْفَهُ كَمَا يَرَى مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَبِهِ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء:٢١٨] وَفِي الْمُوَطَّإِ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، «إِنِّي لأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي» وَنَحْوُهُ عَنْ أَنَسٍ[٧] فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَعَنْ عَائِشَةَ[٨] رَضِيَ الله عَنْهَا مِثْلُهُ قَالَتْ زِيَادَةً زَادَهُ الله إِيَّاهَا فِي حُجَّتِهِ وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: «إِنِّي لأَنْظُرُ مِنْ وَرَائِي كَمَا أَنْظُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ»، وَفِي أُخْرَى: «إِنِّي

---

(١) تقدمت ترجمتها.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) عكرمة بن عبد الله البربري مولى ابن عباس رضي الله عنهما أحد فقهاء المدينة وأحد التابعين، وهو من اللائحة الثقات في التفسير والحديث توفي سنة ١٠٧.

(٤) تقدمت ترجمتها.

(٥) وهب بن منبه: تقدمت ترجمته.

(٦) مجاهد هو أبو محمد بن جبر من أجلة التابعين المقرىء المفسر الحافظ الزاهد الإمام العابد أخذ عنه أصحاب السنن وعده المحدثون في الثقات وترجم له الذهبي في تذكرته، ولد سنة ٢١ هـ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه توفي بمكة سنة ١٠٢ هـ. وهو ساجد في الصلاة.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) تقدمت ترجمتها.

لأُبْصِرُ[١] مِنْ قَفَايَ كَمَا أُبْصِرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ». وَحَكَى بَقِيُّ بْنُ مَخْلَدٍ عَنْ عَائِشَةَ[٢] رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرَى فِي الظُّلْمَةِ كَمَا يَرَى فِي الضَّوْءِ[٣].

وَالأَخْبَارُ كَثِيرَةٌ صَحِيحَةٌ فِي رُؤْيَتِهِ ﷺ الْمَلائِكَةَ وَالشَّيَاطِينَ؛ وَرُفِعَ النَّجَاشِيُّ[٤] لَهُ حَتَّى صَلَّى عَلَيْهِ وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ حِينَ وَصَفَهُ لِقُرَيْشٍ. وَالْكَعْبَةُ حِينَ بَنَى مَسْجِدَهُ[٥].

وَقَدْ حَكَى عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَرَى فِي الثُّرَيَّا أَحَدَ عَشَرَ نَجْماً وَهَذِهِ كُلُّهَا مَحْمُولَةٌ عَلَى رُؤْيَةِ الْعَيْنِ وَهُوَ قَوْلُ أَحْمَدَ بْنُ حَنْبَلٍ[٦] وَغَيْرِهِ وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى رَدِّهَا إِلَى الْعِلْمِ، وَالظَّوَاهِرِ تُخَالِفُهُ وَلاَ إِحَالَةَ فِي ذَلِكَ وَهِيَ مِنْ خَوَاصِّ الأَنْبِيَاءِ وَخِصَالِهِمْ كَمَا أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ الْعَدْلُ مِنْ كِتَابِهِ.

حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْمُقْرِيءُ الْفَرْغَانِيُّ حَدَّثَتْنَا أُمُّ الْقَاسِمِ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ عَنْ أَبِيهَا حَدَّثَنَا الشَّرِيفُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَسَنِي حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ مُحَمَّدِ بْنُ سُلَيْمَانَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ حَدَّثَنَا هُمَام حَدَّثَنَا الْحَسَنُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ[٧] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[٨] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«لَمَّا تَجَلَّى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَانَ يُبْصِرُ النَّمْلَةَ عَلَى الصَّفَا فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ مَسِيرَةَ عَشَرَةِ فَرَاسِخَ»**[٩] وَلاَ يَبْعُدَ عَلَى هَذَا أَنْ يَخْتَصَّ نَبِيُّنَا ﷺ بِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ هَذَا الْبَابِ بَعْدَ الإِسْرَاءِ وَالْحُظْوَةِ بِمَا رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه والحاكم في مستدركه.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح.

(٣) أخرجه ابن عدي في مسنده والبيهقي في دلائل النبوة وقال إسناده ضعيف.

(٤) النجاشي هو أصمعة كتب إليه الرسول ﷺ فرد يقول إني أشهد إنك رسول صادقاً مصدقاً قد بايعتك وأسلمت لله رب العالمين توفي سنة ٩ هـ.

(٥) أخرجه الشيخان وغيرهما وبه التشهد واستدل الإمام الشافعي على جواز الصلاة على الغائب، وأخرج ابن حبان في صحيحه من رواية عمران بن حصين، إنه ﷺ قال: إن أخاكم النجاشي توفي فقوموا وصلوا عليه، فقال عليه الصلاة والسلام وصفوا خلفه فكبر أربعاً وهم لا يظنون أن جنازته بين يديه.

(٦) الإمام أحمد بن حنبل كنيته أبو عبد الله بن هلال بن أسعد الذهلي الشيباني ولد في بغداد سنة ١٦٤ هـ وفيها نشأ واشتهر بحبه للسنة حتى صار إماماً فيها في عصره وتفقه على الشافعي، وهو أحد اللائحة الكبار توفي رحمه الله سنة ٢٤١ هـ.

(٧) [....] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) أخرجه الطبراني في الصغير بنحو هذا الرواية، ولم يروه عن قتادة إلا الحسن رضي الله عنه.

وَقَدْ جَاءَتِ الأَخْبَارُ بِأَنَّهُ صَرَعَ رُكَانَةُ أَشَدَّ أَهْلِ وَقْتِهِ وَكَانَ دَعَاهُ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَصَارَعَ أَبَا رُكَانَة[١] فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ شَدِيداً وَعَاوَدَهُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذَلِكَ يَصْرَعُهُ رَسُولِ الله ﷺ، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَسْرَعَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ فِي مَشْيِهِ كَأَنَّمَا الأَرْضُ تُطْوَى لَهُ، إِنَّا لَنَجْهَدُ أَنْفُسَنَا وَهُوَ غَيْرُ مُكْتَرِثٍ، وَفِي صِفَتِهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَنَّ ضَحِكَهُ كَانَ تَبَسُّماً إِذَا الْتَفَتَ مَعاً وَإِذَا مَشَى مَشَى تَقَلُّعاً كَأَنَّما يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ[٢].

الفصل الخامس: فصاحة لسانه وبلاغته

وَأَمَّا فَصَاحَةُ اللِّسَانِ وَبَلاَغَةُ الْقَوْلِ فَقَدْ كَانَ ﷺ مِنْ ذَلِكَ بِالْمَحَلِّ الأَفْضَلِ[٣] وَالْمَوْضِعِ الذِي لاَ يُجْهَلُ سَلاَسَةَ طَبْعٍ وَبَدَاعَةَ مَنْزَعٍ وَإِيجَازَ مَقْطِعٍ وَنَصَاعَةَ لَفْظٍ وَجَزَالَةَ قَوْلٍ وَصِحَّةَ مَعَانٍ، وَقِلَّةَ تَكَلُّفٍ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخُصَّ بِبَدَائِعِ الْحِكَمِ وَعُلِّمَ أَلْسِنَةَ الْعَرَبِ فَكَانَ يُخَاطِبُ كُلَّ أُمَّةٍ مِنْهَا بِلِسَانِهَا وَيُحَاوِرُهَا بِلُغَتِهَا وَيُبَارِيهَا فِي مَنْزَعِ بَلاَغَتِهَا حَتَّى كَانَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَسْأَلُونَهُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ عَنْ شَرْحِ كَلاَمِهِ وَتَفْسِيرِ قَوْلِهِ. مَنْ تَأَمَّلَ حَدِيثَهُ وَسِيَرَهُ عَلِمَ ذَلِكَ وَتَحَقَّقَهُ وَلَيْسَ كَلاَمُهُ مَعَ قُرَيْشٍ وَالأَنْصَارِ وَأَهْلِ الْحِجَازِ وَنَجْدٍ كَكَلاَمِهِ مَعَ ذِي الْمِشْعَارِ[٤] الْهَمَدَانِيِّ وَطِهْفَةَ[٥] النَّهْدِيِّ وَقَطَنِ[٦] بْنِ حَارِثَةَ الْعُلَيْمِيِّ وَالأَشْعَثِ[٧] بْنِ قَيْسٍ، وَوَائِلِ[٨] بْنِ حُجْرٍ الْكِنْدِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَقْيَالِ حَضْرَمَوْتَ وَمُلُوكِ الْيَمَنِ؛ وَانْظُرْ كِتَابَهُ إِلَى هَمَدَانَ: «**إِنَّ لَكُمْ فِرَاعَهَا وَوِهَاطَهَا وَعَزَازَهَا،**

---

(١) ركانة بن عبد يزيد بن هاشم القرشي، أسلم يوم الفتح ٨ هـ. توفي بالمدينة سنة ٢٤ هـ.

(٢) الصبب: ما انحدر من الأرض.

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في الشمائل والبيهقي في دلائل النبوة.

(٤) ذو المشعار هو أبو ثور مالك بن نمط الهمداني نسبة إلى همدان قبيلة يمنية قدم على الرسول عليه الصلاة والسلام أثناء رجوعه من تبوك ٩ هـ مع كثير من قومه مسلمين فقال هذا وفد همدان ما أسرعها إلى النصر وأصبرها على الجلد هاجر في زمان عمر إلى الشام ومعه أربعة ألف من العبيد فأعتقهم وانتسبوا إلى قبيلته.

(٥) طهفة النهدي نسبة إلى قبيلة نهد باليمن وهو خطيب أهل اليمن توفي سنة ٩ هـ.

(٦) قطن بن حارثة العليمي صاحبي جليل قدم على النبي ﷺ فسأله الدعاء له ولقومه في غيث السماء. ورد ذلك في حديث فصيح كثير الغريب.

(٧) الأشعث بن قيس قدم على النبي ﷺ مع قومه وارتد بعد وفاته فجيء به إلى أبي بكر فقال له استبقني لحربك وزوجني أختك ففعل ورجع إلى الإسلام، وارتحل إلى العراق مع سعد وشهد معه كثيراً من المشاهد، وسكن الكوفة وبها توفي سنة ٤٠ هـ. ترجمته في الإصابة ١/٥١ والطبقات. ٢/٢٢.

(٨) وائل بن حجر الكندي: بشر الرسول ﷺ بقدومه قبل أن يقدم وقدم وأسلم فرحب به عليه الصلاة والسلام، وقربه منه وأبسط له رداءه وأجلسه عليه ودعا له بالبركة وولاه حضرموت وكان من ملوك حمير توفي سنة ٤٩ هـ. ترجمته في: الإصابة ٣/٦٢٨، والطبقات ٦/٢٦، والثقات: ٣/٤٢٤.

تَأْكُلُونَ عِلاَفَهَا، وَتَرْعَوْنَ عَفَاءَهَا، لَنَا مِنْ دِفْئِهِمْ وَصِرَامِهِمْ مَا سَلَّمُوا بِالْمِيثَاقِ وَالْأَمَانَةِ. وَلَهُمْ مِنَ الصَّدَقَةِ الثِّلْبُ وَالنَّابُ وَالْفَصِيلُ وَالْفَارِضُ الدَّاجِنُ وَالْكَبْشُ الْحَوَارِيُّ وَعَلَيْهِمْ فِيهَا الصَّالِغُ وَالْقَارِحُ»[١].

وَقَوْلُهُ لِنَهْدٍ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَخْضِهَا وَمَخْضِهَا وَمَذْقِهَا وَابْعَثْ رَاعِيَهَا فِي الدَّثْرِ وَافْجُرْ لَهُ الثَّمَدَ وَبَارِكْ لَهُمْ فِي الْمَالِ وَالْوَلَدِ، مَنْ أَقَامَ الصَّلاَةَ كَانَ مُسْلِماً[٢]، وَمَنْ آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُحْسِناً، وَمَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ كَانَ مُخْلِصاً؛ لَكُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ وَدَائِعُ الشِّرْكِ وَوَضَائِعُ الْمُلْكِ، لاَ تُلْطِطْ فِي الزَّكَاةِ وَلاَ تُلْحِدْ فِي الْحَيَاةِ وَلاَ تَتَثَاقَلْ عَنِ الصَّلاَةِ»[٣].

---

(١) هذا ورد في كتابه ﷺ إلى همدان: أورد الرسالة صاحب صبح الأعشى ٦/ ٤٧٤، وصاحب العقد الفريد ١/ ١٠٩ وعياض: ٢/ ١٦٨ ـ ١٦٩.
الفراع: جمع فرعة كوردة وهي ما ارتفع من الأرض.
الوهاط: جمع وهطة وهي ما اطمأن من الأرض لغة في وهدة.
العلاف: جمع علف كجبل وهو ما تعتلفه الدواب من نبات الأرض.
العافي: ما ليس لأحد فيه ملك من قولهم عفا الأثر إذا درس.
العزاز: ما صلب من الأرض واشتد وخشن ويكون ذلك في أطرافها.
العفا: العافي وهو في العقد واللسان والقاموس بالقصر «العفى» وفي الشفا بالمد.
الدفء: نتاج الإبل وما ينتفع به منها سمي دفئاً لأنه يتخذ من أوبارها وأصوافها ما يستدفأ به والمراد هنا الغنم والإبل.
الصرام: النخل وأصله قطع الثمرة.
الثلب: الجمل تكسرت أنيابه هرماً.
الناب: الناقة المسنة.
الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه من الرضاع.
الفارض: المسن من الإبل.
الداجن: الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم والمراد أنه لا يؤخذ منهم في الزكاة.
الكبش: الكبش الحوري منسوب إلى الحور وهي جلود تتخذ من جلود الضأن وقيل هو ما دبغ من الجلود بغير القرظ.
الصالغ: بالصاد والسين وهو من البقر والغنم الذي كمل وانتهى سنه ويكون ذلك في السنة السادسة.
القارح: الفرس إذا استتم السنة الخامسة ودخل في السادسة.

(٢) أخرجه عياض في مناهل الصفاء: ١٠ وفي الشفا: ١/ ١٦٩، والمتقي الهندي في كنز العمال تحت رقم: ٢١٦٠٧، ٣٠٣١٧، ٣٠٣٢٥، والسيوطي في جمع الجوامع: ٩٩٢٧، وابن الجوزي في العلل المتناهية: ١/ ١٧٩.

(٣) ورد هذا الحديث في كتابه ﷺ إلى بني نهد وفيه: وكتب ﷺ مع طهفة بن أبي زهير النهدي حين وفد عليه كتاباً إلى بني نهد. بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى بني نهد بن زيد... في المثل السائر: ص ٦٣، والمواهب اللدنية للقسطلاني شرح الزرقاني: ٤/ ١٩٢. وصبح الأعشى: ٢/ ٢٤٤، ٦/ ٣٦٨، وفي الشفا: ٢/ ١٧٠ ـ ١٧١. وفي العقد الفريد: ١/ ١١٤.

وَكَتَبَ لَهُمْ فِي الْوَظِيفَةِ[١] الْفَرِيضَةِ[٢] وَلَكُمُ الْفَارِضُ[٣] وَالْفَرِيشُ[٤] وَذُو الْعِنَانِ[٥] الرَّكُوبُ وَالْفَلُوُّ[٦] الضَّبِيسُ[٧]، لاَ يُمْنَعُ سَرْحُكُمْ[٨] وَلاَ يُعْضَدُ[٩] طَلْحَكُمْ[١٠] وَلاَ يُحْبَسُ دَرُّكُمْ[١١] مَا لَمْ تُضْمِرُوا الرِّمَاقَ[١٢] وَتَأْكُلُوا الرِّبَاقَ[١٣]، مَنْ أَقَرَّ فَلَهُ الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ وَالذِّمَّةِ وَمَنْ أَبَى فَعَلَيْهِ الرِّبْوَةُ»[١٤].

وَمِنْ كِتَابِهِ لِوَائِلِ بْنِ حَجَرٍ[١٥]: «إِلَى الأَقْيَالِ[١٦] الْعَبَاهِلَةِ وَالأَوْرَاعِ الْمَشَابِيبِ؛ وَفِيهِ: فِي

---

(١) الوظيفة: النصاب في الزكاة وأصله الشيء الراتب.

(٢) الفريضة: الهرمة المسنة والمراد أنها لا تؤخذ منهم في الزكاة. بل تكون لهم ويروى: عليكم في الوظيفة الفريضة». أي في كل نصاب ما فرض فيهم.
يروى بالعين وبالفاء، فالعارض بالعين: المريضة، وقيل هي التي أصابها كسر.
يقال عرضت الناقة إذا أصابها آفة أو كسر أي إنا لا نأخذ ذات العيب فتضر بالصدقة.

(٣) الفارض بالفاء: السنة كالفريضة.

(٤) الفريش: هي التي وضعت حديثاً كالنفساء من النساء والفرس بعد نتاجها بسبع ليال. وهو خير أوقات الحمل عليها.

(٥) ذو العنان الركوب: الفرس الذلول.

(٦) الفلو: كحمل وعدو وسمو المهر الصغير وقيل العظيم من جميع أولاد الحافر.

(٧) الضبيس: العسر الصعب الذي لم يرض.

(٨) السرح: المواشي السائمة أي أنها لا تمنع من المرعى.

(٩) يعضد: يقطع.

(١٠) الطلح: شجر عظام.

(١١) الدر: اللبن والمراد ذوات الدر من المواشي. أراد أنها لا تحشر إلى المصدق وتمنع من المرعى إلى أن تجتمع الماشية-ثم تعد لما في ذلك من الأضرار.

(١٢) الرماق: مخفف من الرماق ترك الهمز منه ليوازن الرباق. والرماق: نكث العهد من الأنفة. من أماق إذا صار ذا مأقة بالفتح وهي الحمية والآنفة.

(١٣) الرباق: جمع ربق بالكسر وهو حبل فيه عدة عرى تشد به البهيمة من يدها أو عنقها كل عروة ربقة بالكسر والفتح.

(١٤) الرِّبوة: الزيادة أي من تعاقد عن أداء الزكاة فعليه الزيادة في الفريضة الواجبة عليه كالعقوبة له مما يجب عليه من الزكاة.

(١٥) هذا الحديث ورد في كتابه ﷺ إلى وائل بن حجر وأهل حضرموت. وفيه من محمد رسول إلى الأقيال...». صبح الأعشى: ٢/٢٤٦. ٦/٣٧١ والعقد الفريد ١/١١٢، والبيان والتبيين: ٢/١٣.

(١٦) الأقيال: جمع قَيل وهو الملك من ملوك حمير أو هود دون الملك الأعلى فهو في حمير كالوزير في الإسلام.

التِّيعَةِ[1] شَاةٌ لاَ مُقْوَرَّةُ[2] الْأَلْيَاطِ وَلاَ ضِنَاكَ وَأَنْطُوا الثَّيجَةَ[3] وَفِي السُّيُوبِ الْخُمُس وَمَنْ زَنَى[4] مِمْ بِكْرٍ فَاصْقَعُوهُ مِائَةً وَاسْتَوْفِضُوهُ[5] عَاماً وَمَنْ زَنَى مِمْ ثَيِّبٍ[6] وَضَرِّجُوهُ بِالْأَضَامِيم وَلاَ تَوْصِيمَ[7] فِي الدِّينِ وَلاَ عَمَةَ[8] فِي فَرَائِضِ الله وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ وَوَائِلُ بْنُ حَجَرٍ. يَتَرَفَّلُ[9] عَلَى الْأَقْيَالِ. أَيْنَ هَذَا مِنْ كِتَابِهِ لِأَنَسٍ فِي الصَّدَقَةِ الْمَشْهُورِ لَمَّا كَانَ كَلاَمُ هَؤُلاَءِ عَلَى هَذَا الْحَدِّ وَبَلاَغَتُهُمْ عَلَى هَذَا النَّمَطِ وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالِهِمْ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ؟ اسْتَعْمَلَهَا مَعَهُمْ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلِيُحَدِّثَ النَّاسَ بِمَا يَعْلَمُونَ؛ وَكَقَوْلِهِ فِي حَدِيثِ عَطِيَّةَ السَّعْدِيّ: **«فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْطِيَةُ وَالْيَدُ السُّفْلَى هِيَ الْمُنْطَاةُ»**.

قَالَ فَكَلَّمَنَا رَسُولُ الله ﷺ بِلُغَتِنَا.

وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ الْعَامِرِيِّ حِينَ سَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **«هَلْ عَنْكَ»** أَيْ سَلْ عَمَّا شِئْتَ وَهِيَ لُغَةُ بَنِي عَامِرٍ وَأَمَّا كَلاَمُهُ الْمُعْتَادُ وَفَصَاحَتُهُ الْمَعْلُومَةُ وَجَوَامِعُ كَلِمِهِ وَحِكَمه الْمَأْثُورَةِ فَقَدْ أَلَّفَ النَّاسُ فِيهَا الدَّوَاوِينَ وَجُمِعَتْ فِي أَلْفَاظِهَا وَمَعَانِيهَا الْكُتُبُ؛ وَمِنْهَا مَا لاَ يُوَازَى فَصَاحَةً وَلاَ يُبَارَى بَلاَغَةً كَقَوْلِهِ: **«الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَؤُ دِمَاؤُهُمْ وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ»**[10].

---

(١) التيعة: الشاة الزائدة على الأربعين حتى تبلغ الفريضة الأخرى وقيل هي الشاة التي تكون لصاحبها في منزله يحلبها وليست بسائمة وهي بمعنى الداجن.

(٢) وفي رواية أخرى أن كتابه لهم: إلى الأقيال العباهلة والأرواع . . .» وهي الرواية التي اعتمدها صاحب الشفا. صبح الأعشى: ٢/٢٤٦، ٦/ ٣٧١ والشفا: ٢/ ١٧١ ـ ١٧٢.

(٣) أنطوا الثيجة: هو بلغة أهل اليمن بمعنى أعطوا، خاطبهم ﷺ بلغتهم، والثيجة: الوسط من المال التي ليست من خياره. ولا رذالته أخذا من ثيجة الناقة: ما بين الكاهل إلى الظهر.

(٤) جرى فيه على لغة أهل اليمن حيث يبدلون لام التعريف ميماً قال: ابن الأثير: وعلى هذا فتكون راء بكر مكسورة من غير تنوين لأن أصله من البكر، فلما أبدلت الألف واللام ميماً بقيت الحركة بحالها ويكون البكر قد استعمل موضع الإبكار.

(٥) ومن زنى مم . . .: أي أدموه بالضرب، تضرج بالدماء تلطخ به والأضاميم جمع إضمامة بالكسر: الحجارة والمعنى ارموه بالحجارة.

(٦) استوفضوه: أي اضربوه وأصل الصفع الضرب على الرأس وقيل الضرب ببطن الكف، استوفضوه: نفوه وغربوه أخذاً من قولهم استوفضت الإبل إذا تفرقت في رعيها.

(٧) التوصيم: الفترة والتواني لا تفتروا في إقامة الحدود ولا تتوانوا فيها.

(٨) العمة: الستر أي لا تستروا فرائض الله ولا تخفوها بل اجهروا بها وأعلنوها.

(٩) يترفل: يسود ويترأس استعارة من ترفيل الثوب وهو إسباغه وإرساله.

(١٠) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ١/١٢٢، وأبو داود في السنن: ٤/ ٦٦٦ ـ ٦٦٩ كتاب الديات (٣٣) باب إيقاد المسلم (١١) الحديث رقم: ٤٥٣٠. والنسائي في المجتبى من السنن: ٨/ ٢٤. كتاب القسامة (٤٥) باب سقوط القود من المسلم للكافر (١٣ ـ ١٤).

وَقَوْلُهُ: «النَّاسُ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ»[١]. و «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ وَلاَ خَيْرَ فِي صُحْبَةِ مَنْ لاَ يَرَى لَكَ مَا تَرَى لَهُ»[٢]. و«النَّاسُ مَعَادِنُ وَمَا هَلَكَ امْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَهُ»[٣]. وَ«الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ وَهُوَ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَكَلَّمْ» «وَرَحِمَ اللهُ عَبْداً قَالَ خَيْراً فَغَنِمَ أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ»[٤].

وَقَوْلُهُ: «أَسْلِمْ تَسْلَمْ وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ»[٥] «وَإِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجَالِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقاً الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافاً اللَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ»[٦].

وَقَوْلُهُ: «لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِمَا لاَ يَعْنِيهِ وَيَبْخَلُ بِمَا لاَ يُغْنِيهِ»[٧].

وَقَوْلُهُ: «ذُو الْوَجْهَيْنِ لاَ يَكُونُ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً»[٨]. و«نَهْيُهُ عَنْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةِ الْمَالِ وَمَنْعٍ وَهَاتِ وَعُقُوقِ الأُمَّهَاتِ وَوَأْدِ الْبَنَاتِ»[٩].

---

(١) أخرجه ابن لآلٍ في مكارم الأخلاق.

(٢) أخرجه الشيخان وأورد صاحب البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف لابن حمزة الحسيني: ٢/ ٢٤٠.

(٣) متفق عليه. أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٦/ ٥٢٥ ـ ٥٢٦ كتاب المناقب (٦١). باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]. الحديث رقم ٣٤٩٣ ـ ٣٤٩٦.

والإمام مسلم في الصحيح: ١٩٥٨/٤ كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب خيار الناس (٤٨) الحديث: ١٩٩/ ٢٥٢٦. والحديث بلفظه أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٥٣٩/٢. في مسند أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه باللفظ المذكور وأخرجه الإمام أحمد في المسند عن أبي هريرة ولفظه: المستشار مؤتمن وهو بالخيار إن شاء تكلم، وإن شاء سكت، فإن تكلم فليجتهد رأيه».

(٥) ورد هذا النص في كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس... بسم الله الرحمن الرحيم... أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام: «أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ...».

السيرة الحلبية: ٣٧١/٢. وفي صبح الأعشى: ٣٧٨/٦، خطط المقريزي: ٢٩/١. حسن المحاضرة: ١/ ٤٣. المواهب اللدنية للقسطلاني بشرح الزرقاني ٣٩٧/٣.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٩٣/٤، وابن حبان، ذكره الهيثمي في موارد الظمآن: «٤٧٣، ٤٧٤» كتاب الأدب (٣٢) باب ما جاء في حسن الخلق (٣) الحديث رقم: ١٩١٧، والطبراني في المعجم الكبير: ٢٢/ ٢٢١ (الحديث رقم: ٥٨٨. وأبو نعيم في الحلية ٩٩/٣، والبيهقي في السنن الكبرى: ١٠/ ١٩٣ ـ ١٩٤. كتاب الشهادات. باب بيان مكارم الأخلاق. والبغوي في شرح السنة: ٣٦٦/١٢ ـ ٣٦٧، الحديث رقم: ٣٣٩٥ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣/ ١٥ الحديث رقم: ٥٢١٣.

(٧) أخرجه أبو بكر أحمد بن الحسن البيهقي شعبة، وأخرج ما يشبهه الإمام الترمذي في سننه.

(٨) أخرجه البيهقي في الآداب. ص ١٠٤ رقم الحديث: ١٤٤.

(٩) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح الباب (١٨، ٥٣) كتاب الزكاة. والباب (١٩) كتاب الاستقراض، والباب (٣)، كتاب الخصومات والباب (٢) كتاب الأدب... والإمام مسلم: حديث ١٠، ١٢، ١٣، ١٤. كتاب =

وقوله: **«اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ. وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا»**[1].

وقوله: **«أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْماً مَا»**[2].

وقوله: **«الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[3] وقوله في بعض دعائه: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي وَتَجْمَعُ بِهَا أَمْرِي وَتَلُمُّ بِهَا شَعَثِي وَتُصْلِحُ بِهَا غَائِبِي وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي وَتُزَكِّي بِهَا عَمَلِي وَتُلْهِمُنِي بِهَا رُشْدِي وَتَرُدُّ بِهَا أُلْفَتِي وَتَعْصِمُنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْفَوْزَ عِنْدَ الْقَضَاءِ وَنُزُلَ الشُّهَدَاءِ وَعَيْشَ السُّعَدَاءِ وَالنَّصْرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ»**[4] إِلَى مَا رَوَتْهُ الكَافَّةُ عَنِ الكَافَةِ مِنْ مَقَامَاتِهِ وَمُحَاضَرَاتِهِ وَخُطَبِهِ وأَدْعِيَتِهِ وَمُخَاطَبَاتِهِ وَعُهُودِهِ مِمَّا لاَ خِلاَفَ أَنَّهُ نَزَلَ مِنْ ذَلِكَ مَرْتَبَةً لاَ يُقَاسُ بِهَا غَيْرُهُ وَجَازَ فِيهَا سَبْقاً لاَ يُقْدرُ قَدْرُهُ وَقَدْ جُمِعَتْ مِنْ كَلِمَاتِهِ الَّتِي لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْهَا وَلاَ قَدَرَ أَحَدٌ أَنْ يُفْرِغَ فِي قَالِبِهِ عَلَيْهَا كَقَوْلِهِ: **«حَمِيَ الْوَطِيسُ»**[5] و**«مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ»**[6] **«لا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ»**[7] و**«السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ»**[8] فِي أَخَوَاتِهَا مَا يُدْرِكُ النَّاظِرُ الْعَجَبَ فِي مُضَمَّنِهَا وَيَذْهَبُ بِهِ الْفِكْرُ فِي أَدَانِي حِكَمِهَا وَقَدْ قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ. مَا رَأَيْنَا

= الأقضية، والدارمي في السنن الباب (٣٨) كتاب الرقاق، والإمام مالك في الموطأ الباب: ٢٠ من أبواب الكلام، والإمام أحمد في المسند: ٢/٣٢٧، ٣٦٠، ٤/٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٥. والإمام الترمذي في سننه الباب (٢٩) كتاب الزهد، والإمام ابن ماجه في السنن الباب (١) كتاب الزهد. أيضاً.

(١) البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف. لابن حمزة الحسيني ١/١٩ ـ ٢٠.

(٢) أخرجه ابن السمعاني في تاريخه.

(٣) أخرجه الإمام الترمذي، والإمام البيهقي كلاهما عن طريق أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد.

(٤) متفق عليه. أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٥/١٠٠ كتاب المظالم (٤٦) باب الظلم ظلمات.. (٨) الحديث رقم: ٢٤٤٧ ـ والإمام مسلم في الصحيح: ٤/١٩٩٦ كتاب البر....(٤٥) باب تحريم الظلم (١٥) الحديث: ٥٧/٢٥٧٩ ـ واللفظ لهما.

(٥) البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف لابن حمزة الحسيني: ١/١٣٨ ـ ١٣٩ وقد أورده في صفحة ونصف وذكر سبب وروده.

(٦) قال ذلك ﷺ في غزوة حنين. على إخراجه الإمام مسلم والإمام البيهقي وقد فُسِّرَ الوطيس بضراب الحرب.

(٧) أخرجه الإمام البيهقي في شعب الإيمان. ولفظه: من مات حتف أنفه فقد وقع أجره على الله.

(٨) أخرجه الإمام البخاري. الباب (٧٣) كتاب الأدب، والإمام مسلم حديث (٦٣) كتاب الزهد، والإمام أبو داود في السنن الباب (٢٩) كتاب الأدب، والإمام ابن ماجه الباب ١٣ كتاب الفتن، والإمام أحمد في المسند ٢/١١٥، ٣٧٩. وأخرجه الشهاب: (٨٢٧ ـ ٨٢٨)، والطبراني في المعجم الكبير: ١٣١٣٨، والدارمي في السنن ٢٧٨٤.

الذِي هُوَ أَفْصَحُ مِنْكَ فَقَالَ: وَمَا يَمْنَعُنِي وَإِنَّمَا أُنْزِلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِي لِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ[١]. وَقَالَ: مَرَّةً أُخْرَى: «أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدٍ»[٢].

فَجُمِعَ لَهُ بِذَلِكَ ﷺ قُوَّةُ عَارِضَةِ الْبَادِيَةِ وَجَزَالَتُهَا وَنَصَاعَةُ أَلْفَاظِ الْحَاضِرَةِ، وَرَوْنَقُ كَلَامِهَا إِلَى التَّأْيِيدِ الإِلَهِي الذِي مَدَدُهُ الْوَحْيُ الذِي لاَ يُحِيطُ بِعِلْمِهِ بَشَرِيٌّ. وَقَالَتْ أُمُّ مَعْبَدٍ فِي وَصْفِهَا لَهُ: حُلْوُ الْمَنْطِقِ. فَصْلٌ لاَ نَزْرٌ وَلاَ هَذْرٌ كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتٌ نُظِمْنَ وَكَانَ جَهِيرَ الصَّوْتِ حَسَنَ النَّغْمَةِ ﷺ.

الفصل السادس: شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه

وَأَمَّا شَرَفُ نَسَبِهِ وَكَرَمُ بَلَدِهِ وَمَنْشَئِهِ فَمَا لاَ يَحْتَاجُ إِلَى إِقَامَةِ دَلِيلٍ عَلَيْهِ وَلاَ بَيَانِ مُشْكِلٍ وَلاَ خَفِيٍّ مِنْهُ فَإِنَّهُ نُخْبَةُ بَنِي هَاشِمٍ وَسُلاَلَةُ قُرَيْشٍ وَصَمِيمُهَا وَأَشْرَفُ الْعَرَبِ وَأَعَزُّهُمْ نَفَراً مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَمِنْ أَهْلِ مَكَّةَ مِنْ أَكْرَمِ بِلاَدِ اللهِ عَلَى اللهِ وَعَلَى عِبَادِهِ.

[حَدَّثَنَا قَاضِي الْقُضَاة حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّدَفِيُّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ سُلَيْمَانُ بْنُ خَلَفٍ. قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو ذَرٍ عَبْدُ بْنُ أَحْمَدَ حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ السَّرَخْسِيُّ وَأَبُو إِسْحَاقَ وَأَبُو الْهَيْثَمِ: قَالُوا حَدَّثَنَا مِحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. قَالَ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ عَنْ عَمْرٍو عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ][٣] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[٤] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْناً فَقَرْناً حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ مِنْهُ»[٥] وَعَنِ الْعَبَّاسِ[٦] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ مِنْ خَيْرِ قَرْنِهِمْ ثُمَّ تَخَيَّرَ الْقَبَائِلَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ قَبِيلَةٍ ثُمَّ تَخَيَّرَ

---

(١) أخرجه الديلمي.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

(٣) أخرجه أصحاب الغرائب، ولا يعرف له يسند، وأخرج الطبراني: «أَنَا أَعْرَبُ الْعَرَبِ، وُلِدْتُ فِي قُرَيْشٍ، وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْد فَأَنَّى يَأْتِينِي اللَّحْنُ؟».

(٤) [.....] ساقطة في نسخة دمشق المحققة تقدمت ترجمته.

(٥) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ٦/٥٦٦ كتاب المناقب (٦١) باب صفة النبي ﷺ (٢٣) الحديث رقم ٣٥٥٧ انفرد به البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) العباس بن عبد المطلب بن هشام عم النبي ﷺ ولد قبل أبي أخيه بسنتين وكان في الجاهلية صاحب السقاية، والعمارة وحضر بيعة العقبة مع الأنصار قبل إسلامه وشهد بدراً وهو مشرك إلا أنه كان مكرهاً فافتدى نفسه ورجع إلى مكة هاجر قبل فتح مكة وشارك في الفتح ٨ هـ وحضر غزوة حنين توفي بالمدينة سنة ٣٢ هـ ترجمته في: الثقات ٣/٢٨٨ والطبقات ٤/٥، والإصابة: ٢/٢٧١.

الْبُيُوتَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْساً وَخَيْرُهُمْ بَيْتاً»[١].

وَعَنْ وَاثِلَةَ[٢] بْنِ الْأَسْقَعِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشاً وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»**[٣] قَالَ التِّرْمِذِيُّ[٤] وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ؛ وَفِي حَدِيثٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ[٥] رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا رَوَاهُ الطَّبَرِيُّ[٦] أَنَّهُ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اخْتَارَ خَلْقَهُ فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي آدَمَ ثُمَّ اخْتَارَ بَنِي آدَمَ فَاخْتَارَ مِنْهُمُ الْعَرَبَ ثُمَّ اخْتَارَ الْعَرَبَ فَاخْتَارَ مِنْهُمْ قُرَيْشاً ثُمَّ اخْتَارَ قُرَيْشاً فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي هَاشِمٍ ثُمَّ اخْتَارَ بَنِي هَاشِمٍ فَاخْتَارَنِي مِنْهُمْ فَلَمْ أَزَلْ خِيَاراً مِنْ خِيَارٍ أَلَا مَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَ الْعَرَبَ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ»**[٧]

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[٨] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَتْ رُوحُهُ نُوراً بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِأَلْفَيْ عَامٍ يُسَبِّحُ ذَلِكَ النُّورُ وَتُسَبِّحُ الْمَلَائِكَةُ بِتَسْبِيحِهِ فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ أَلْقَى ذَلِكَ النُّورَ فِي صُلْبِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«فَأَهْبَطَنِي اللهُ إِلَى الْأَرْضِ فِي صُلْبِ آدَمَ وَجَعَلَنِي فِي صُلْبِ نُوحٍ وَقَذَفَ بِي فِي صُلْبِ إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ لَمْ يَزَلِ اللهُ تَعَالَى يَنْقُلُنِي مِنَ الْأَصْلَابِ الْكَرِيمَةِ وَالْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ حَتَّى أَخْرَجَنِي مِنْ أَبَوَيَّ لَمْ يَلْتَقِيَا عَلَى سِفَاحٍ قَطُّ»**[٩] وَيَشْهَدُ بِصِحَّةِ هَذَا الْخَبَرِ شِعْرُ[١٠] الْعَبَّاسِ[١١] الْمَشْهُورُ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ ﷺ.

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة والترمذي في السنن وحسنه.

(٢) واثلة بن الأسقع هو أبو الأسقع الليثي أسلم قبل غزوة تبوك وشهدها وكان رضي الله عنه من أهل الصفة، مدح النبي ﷺ (٣) سنين توفي سنة ٨٣ هـ عن عمر ١٠٥ سنين.

(٣) أخرجه الإمام مسلم من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه في الصحيح: ٤/ ١٧٨٢ كتاب الفضائل (٤٣) باب فضل النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة (١) الحديث ١/ ٢٢٧٦.

(٤) والإمام الترمذي من حديث واثلة رضي الله عنه في السنن ٥/ ٥٨٣ كتاب المناقب (٥٠) باب في فضل النبي ﷺ (١) الحديث رقم: ٣٦٠٥ وقال فيه حديث حسن صحيح.

(٥) الترمذي هو محمد بن عيسى بن سورة السلمي البرعي الترمذي يلقب أبا عيسى صاحب الجامع في الحديث من أئمة علماء الحديث وحفاظه ينسب إلى أهل ترمذ الواقعة على نهر جيحون تتلمذ على الإمام البخاري وكان يضرب به المثل في الحفظ توفي رحمه الله بترمذ سنة ٢٧٩ هـ.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره.

(٧) الطبري هو محمد بن جرير كنيته أبو جعفر أحد الأعلام صاحب التصانيف المشهورة من أهل طبرستان كان كثير الترحال والطواف والعبادة ولد سنة ٢٢٤ هـ وتوفي سنة ٣١٠ هـ.

(٨) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير والأوسط.

(٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) أخرجه السيوطي في الدر المنثور: ٣/ ٢٩٥.

(١١) قال العباس رضي الله عنه في قصيدة منها:

الفصل السابع: حالته في الضروريات ﷺ

وَأَمَّا مَا تَدْعُو ضَرُورَةُ الْحَيَاةِ إِلَيْهِ مِمَّا فَصَّلْنَاهُ فَعَلَى ثَلاثَةِ أَضْرُبٍ: ضَرْبُ الْفَضْلِ فِي قِلَّتِهِ، وَضَرْبُ الْفَضْلِ فِي كَثْرَتِهِ، وَضَرْبٌ تَخْتَلِفُ الأَحْوَالُ فِيهِ؛ فَأَمَّا مَا التَّمَدُّحُ وَالْكَمَالُ بِقِلَّتِهِ اتِّفَاقاً وَعَلى كُلِّ حَالٍ عَادَةً وَشَرِيعَةً كَالْغِذَاءِ وَالنَّوْمِ، وَلَمْ تَزَلِ الْعَرَبُ وَالْحُكَمَاءُ تَتَمَادَحُ بِقِلَّتِهِمَا وَتَذُمُّ بِكَثْرَتِهِمَا لِأَنَّ كَثْرَةَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ دَلِيلٌ عَلَى النَّهَمِ وَالحِرْصِ وَالشَّرَهِ وَغَلَبَةِ الشَّهْوَةِ، مُسَبِّبٌ لِمَضَارِّ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ جَالِبٌ لِأَدْوَاءِ الْجَسَدِ وَخُثَارَةِ النَّفْسِ وَامْتِلاءِ الدِّمَاغِ؛ وَقِلَّتُهُ دَلِيلٌ عَلَى الْقَنَاعَةِ وَمِلْكِ النَّفْسِ؛ وَقَمْعُ الشَّهْوَةِ مُسَبِّبٌ لِلصِّحَّةِ وَصَفَاءِ الْخَاطِرِ وَحِدَّةِ الذِّهْنِ؛ كَمَا أَنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ دَلِيلٌ عَلَى الْفُسُولَةِ والضَّعْفِ، وَعَدَمُ الذَّكَاءِ. وَالْفِطْنَةِ مُسَبِّبٌ لِلْكَسَلِ وَعَادَةِ الْعَجْزِ وَتَضْيِيعِ الْعُمُرِ فِي غَيْرِ نَفْعٍ وَقَسَاوَةِ الْقَلْبِ وَغَفْلَتِهِ وَمَوْتِهِ؛ وَالشَّاهِدُ عَلَى هَذَا مَا يُعْلَمُ ضَرُورَةً وَيُوجَدُ مُشَاهَدَةً، وَيُنْقَلُ مُتَوَاتِراً مِنْ كَلامِ الأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَالْحُكَمَاءِ السَّالِفِينَ وَأَشْعَارِ الْعَرَبِ وَأَخْبَارِهَا وَصَحِيحِ الْحَدِيثِ وَآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَخَلَفَ مِمَّا لاَ يُحْتَاجُ إِلَى الاسْتِشْهَادِ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا تَرَكْنَا ذِكْرَهُ هُنَا اخْتِصَاراً وَاقْتِصَاراً عَلَى اشْتِهَارِ الْعِلْمِ بِهِ؛ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَخَذَ مِنْ هَذَيْنِ الْفَنَّيْنِ بِالأَقَلِّ؛ هَذَا مَا لاَ يُدْفَعُ مِنْ سِيرَتِهِ وَهُوَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ وَحَضَّ عَلَيْهِ لاَ سِيَّمَا بِارْتِبَاطِ أَحَدِهِمَا بِالآخِرَةِ.

[حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الصَّدَفِيُّ الْحَافِظُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ الأَصْفَهَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ سَهْلٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ أَنَّ يَحْيَى بْنَ جَابِرٍ حَدَّثَهُ][1] عَنِ الْمِقْدَامِ[2] بْنِ مَعْدِ يَكْرِبَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«مَا مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنِهِ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»**[3] وَلِأَنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ مِنْ كَثْرَةِ الأَكْلِ

= أنت نورٌ من عزيزٍ راحمٍ ... تقمعُ الشركَ وعُبَّادَ الوثنْ

جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام للقرشي ص: ٢٩ تحقيق السيد علي محمد البجاوي. دون تاريخ. والعباس بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي ﷺ، توفي سنة ٣٢ هـ بالمدينة. ترجمته في الثقات: ٣/٢٨٨ وفي الطبقات ٤/٥ والإصابة ٢/٢٧١.

(١) [....] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٢) المقدام بن معد يكرب الكندي صحابي سكن حمص. أخرج أحاديثه الأئمة أصحاب السنن. توفي رحمه الله سنة ٨٧ هـ.

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في السنن: ٤/٥٩٠ كتاب الزهد (٣٧) باب ما جاء في كراهية كثر الأكل (٤٧) الحديث رقم: ٢٣٨٠. وقال حديث: حسن صحيح واللفظ له. وأخرجه الإمام ابن ماجه في السنن: ٢/١١١١ كتاب الأطعمة (٢٩) باب الاقتصاد في الأكل (٥٠) الحديث رقم: ٣٣٤٩. والإمام أحمد في المسند ٤/١٣٢، وابن المبارك في الزهد: ص ٢١٣. باب في طلب الحلال الحديث رقم: ٦٠٣ وابن حبان: ذكره =

وَالشُرْبِ قَالَ سُفْيَانُ[١] الثَّوْرِيُّ بِقِلَّةِ الطَّعَامِ يُمْلَكُ سَهْرُ اللَّيْلِ؛ وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «لاَ تَأْكُلُوا كَثِيراً فَتَشْرَبُوا كَثِيراً فَتَرْقُدُوا كَثِيراً فَتَخْسَرُوا كَثِيراً». وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ مَا كَانَ عَلَى ضَفَفٍ»[٢] «أَيْ كَثْرَةِ الأَيْدِي». وَعَنْ عَائِشَةَ[٣] رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: لَمْ يَمْتَلِىءْ جَوْفُ النَّبِيِّ ﷺ شِبَعاً قَطُّ؛ وَأَنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ لاَ يَسْأَلُهُمْ طَعَاماً وَلاَ يَتَشَهَّاهُ إِنْ أَطْعَمُوهُ أَكَلَ وَمَا أَطْعَمُوهُ قَبِلَ وَمَا سَقَوْهُ شَرِبَ؛ وَلاَ يُعْتَرَضُ عَلَى هَذَا بِحَدِيثِ بَرِيرَةَ[٤] وَقَوْلُهُ: «أَلَمْ أَرَ الْبُرْمَةَ فِيهَا لَحْمٌ»[٥] إِذْ لَعَلَّ سَبَبَ سُؤَالِهِ ظَنُّهُ ﷺ اعْتِقَادَهُمْ أَنَّهُ لاَ يَحِلُّ لَهُ فَأَرَادَ بَيَانَ سُنَّتِهِ؛ إِذْ رَآهُمْ لَمْ يُقَدِّمُوهُ إِلَيْهِ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَأْثِرُونَ عَلَيْهِ بِهِ فَصَدَقَ عَلَيْهِمْ ظَنُّهُ وَبَيَّنَ لَهُمْ مَا جَهِلُوهُ مِنْ أَمْرِهِ بِقَوْلِهِ: «هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ» وَفِي حِكْمَةِ لُقْمَانَ[٦]: يَا بُنَيَّ إِذَا امْتَلأَتِ الْمَعِدَةُ نَامَتِ الْفِكْرَةُ وَخَرِسَتِ الْحِكْمَةُ وَقَعَدَتِ الأَعْضَاءُ عَنِ الْعِبَادَةِ؛ وَقَالَ سَحْنُونُ[٧]: لاَ يَصْلُحُ الْعِلْمُ لِمَنْ يَأْكُلُ حَتَّى يَشْبَعَ.

وَفِي صَحِيحِ الْحَدِيثِ قَوْلُهُ ﷺ: «أَمَّا أَنَا فَلاَ آكُلُ مُتَّكِئاً» وَالاتِّكَاءُ هُوَ التَّمَكُّنُ لِلأَكْلِ وَالتَّقَعْدُدُ فِي الْجُلُوسِ لَهُ كَالمُتَرَبِّعِ وَشِبْهِهِ مِنْ تَمَكُّنِ الْجِلْسَاتِ الَّتِي يَعْتَمِدُ فِيهَا الْجَالِسُ عَلَى مَا تَحْتَهُ وَالْجَالِسُ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ يَسْتَدْعِي الأَكْلَ وَيَسْتَكْثِرُ مِنْهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ إِنَّمَا كَانَ جُلُوسُهُ لِلأَكْلِ جُلُوسَ الْمُسْتَوْفِزِ مُقْعِياً وَيَقُولُ: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ»[٨]

= الهيثمي في موارد الظمآن. ص: ٣٢٨. كتاب الأطعمة (١٩) باب فيما يكفي الإنسان من الأكل (٦) الحديث رقم ١٣٤٨، والحاكم في المستدرك ٤/ ١٢١ كتاب الأطعمة باب كان أحب الفاكهة إلى النبي ﷺ البطيخ وصححه الذهبي قوله: «أُكُلات» بضمتين. والأكلة بالضم اللقمة.

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق كنيته أبو عبد الله الكوفي فقيه زمانه وعالم عصره اشتهر بالزهد والورع وعلم الحديث أخرج أحاديثه الأئمة الستة توفي سنة ١٦١ هـ.

(٢) أخرجه أبو يعلى وغيره عن أنس بن مالك وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) تقدمت ترجمتها.

(٤) بريرة بنت صفوان مولاة عائشة رضي الله عنها واختلفوا في نسبتها فمنهم من نسبها إلى القبط ومنهم إلى الحبشة وكان عبد الملك بن مروان يجلس إليها فتقول له: يا عبد الملك إني أرى فيك خصالاً وإنك لخليف أن تلي هذا الأمر، فإن توليته فاحذر الدماء..

(٥) أخرجه الشيخان في صحيحهما.

(٦) لقمان بن عنقاء يقال: إنه ابن أخت داود عليه السلام وعنه أخذ الحكمة واختلفوا فيه بين النبوة والولاية والأشهر أنه ولي لحديث روي عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لم يكن لقمان نبياً ولكن كان عبداً كثير التفكير حسن اليقين. أحب الله تعالى فأحبه فمنّ عليه بالحكمة. وقيل إنه عاش ألف سنة.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) أخرجه البزار عن ابن عمر رضي الله عنهما بسند ضعيف، وأبو بكر الشافعي في فوائده من حديث البزار إلى قوله كما يأكل العبد، وبقية الحديث من إخراج ابن سعد وأبي يعلى بسند حسن عن عائشة رضي الله عنها كما أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٥/ ٢١٤، ٧/ ١١٦...

وَلَيْسَ مَعْنَى الْحَدِيثِ فِي الاتِّكَاءِ الْمَيْلَ عَلَى شِقٍّ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ. وَكَذَلِكَ نَوْمُهُ ﷺ كَانَ قَلِيلاً شَهِدَتْ بِذَلِكَ الآثَارُ الصَّحِيحَةُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ قَالَ ﷺ: **«إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي»**(١) وَكَانَ نَوْمُهُ عَلَى جَانِبِهِ الأَيْمَنِ اسْتِظْهَاراً عَلَى قِلَّةِ النَّوْمِ لأَنَّهُ عَلَى الْجَانِبِ الأَيْسَرِ أَمْنَا لِهُدُوِّ الْقَلْبِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنَ الأَعْضَاءِ الْبَاطِنَةِ حِينَئِذٍ لِمَيْلِهَا إِلَى الْجَانِبِ الأَيْسَرِ فَيَسْتَدْعِي ذَلِكَ الاسْتِثْقَالَ فِيهِ وَالطُّولَ، وَإِذَا نَامَ النَّائِمُ عَلَى الأَيْمَنِ تَعَلَّقَ الْقَلْبُ وَقَلِقَ فَأَسْرَعَ الافَاقَةَ وَلَمْ يَغْمُرْهُ الاسْتِغْرَاقُ.

الفصل الثامن: زواجه وما يتعلق به ﷺ

وَالضَّرْبُ الثَّانِي مَا يَتَّفِقُ التَّمَدُّحُ بِكَثْرَتِهِ وَالْفَخْرُ بِوُفُورِهِ كَالنِّكَاحِ وَالْجَاهِ(٢).

أَمَّا النِّكَاحُ فَمُتَّفَقٌ فِيهِ شَرْعاً وَعَادَةً فَإِنَّهُ دَلِيلُ الْكَمَالِ وَصِحَّةِ الذُّكُورِيَّةِ وَلَمْ يَزَلِ التَّفَاخُرُ بِكَثْرَتِهِ عَادَةً مَعْرُوفَةً وَالتَّمَادُحُ بِهِ سِيرَةً مَاضِيَةً؛ وَأَمَّا فِي الشَّرْعِ فَسُنَّةٌ مَأْثُورَةٌ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ(٣): أَفْضَلُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً(٤)، مُشِيراً إِلَيْهِ ﷺ وَقَدْ قَالَ ﷺ: **«تَنَاكَحُوا تَنَاسَلُوا فَإِنِّي مُبَاهٍ بِكُمُ الأُمَمَ»**(٥) وَنَهَى عَنِ التَّبَتُّلِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ قَمْعِ الشَّهْوَةِ وَغَضِّ الْبَصَرِ اللَّذَيْنِ نَبَّهَ عَلَيْهِمَا ﷺ بِقَوْلِهِ: **«مَنْ كَانَ ذَا طَوْلٍ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ»**(٦) حَتَّى لَمْ يَرَهُ الْعُلَمَاءُ مِمَّا يَقْدَحُ فِي الزُّهْدِ، قَالَ سَهْلُ ابْنُ عَبْدِ اللهِ(٧): قَدْ حُبِّبْنَ إِلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ فَكَيْفَ يُزْهَدُ فِيهِنَّ؟ وَنَحْوُهُ لابْنِ عُيَيْنَةَ(٨)؛ وَقَدْ كَانَ زُهَّادُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كَثِيرِي الزَّوْجَاتِ وَالسَّرَارِي كَثِيرِي النِّكَاحِ؛ وَحُكِيَ فِي ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ(٩) وَالْحَسَنِ(١٠) وَابْنِ عُمَرَ(١١) وَغَيْرِهِمْ غَيْرُ شَيْءٍ، وَقَدْ كَرِهَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنْ يَلْقَى اللهَ عَزَباً.

---

(١) أخرجه البخاري: فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري. ٥٧٩/٦ رقم الحديث: ٣٥٦٩.

(٢) [. . . .] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح.

(٥) أخرجه ابن مردويه في تفسيره برواية ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً بسند ضعيف، وأخرج مثله الطبراني في الأوسط.

(٦) أخرجه الطبراني وأخرجه الشيخان بلفظ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» فتح الباري ١٠٦/٧ رقم الحديث: ٥٠٦٥.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) ابن عيينة هو سفيان بن عيينة بن عمران الكوفي الإمام الحافظ العالم بعلوم الإسلام أخرج لائحة الحديث الستة وهو من أجلة التابعين أدرك منهم جمهوراً، وسكن مكة ولد سنة ١٠٧ هـ وتوفي رحمه الله ١٩٨ هـ.

(٩) تقدمت ترجمته. (١٠) تقدمت ترجمته.

(١١) تقدمت ترجمته.

فإنْ قِيلَ كَيْفَ يَكونُ النِّكاحُ وَكَثْرَتُهُ مِنَ الْفَضَائِلِ وَهَذَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَدْ أَثْنَى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ حَصُوراً، فَكَيْفَ يُثْنِي اللهُ عَلَيْهِ بِالعَجْزِ عَمَّا تَعُدُّهُ فَضِيلَةً وَهَذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ تَبَتَّلَ مِنَ النِّسَاءِ وَلَوْ كَانَ كَمَا قَدَّرْتَهُ لَنَكَحَ؟ فَاعْلَمْ أَنَّ ثَنَاءَ اللهِ تَعَالَى عَلَى يَحْيَى بِأَنَّهُ حَصُورٌ لَيْسَ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ كَانَ هَيُوباً أَوْ لاَ ذَكَرَ لَهُ بَلْ قَدْ أَنْكَرَ هَذَا حُذَّاقُ الْمُفَسِّرِينَ وَنُقَّادُ الْعُلَمَاءِ وَقَالُوا هَذِهِ نَقِيصَةٌ وعَيْبٌ وَلاَ يَلِيقُ بِالأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ. وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنَ الذُّنُوبِ أَيْ لاَ يَأْتِيهَا كَأَنَّهُ حُصِرَ عَنْهَا، وَقِيلَ مَانِعاً نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَقِيلَ لَيْسَتْ لَهُ شَهْوَةٌ فِي النِّسَاءِ. فَقَدْ بَانَ لَكَ مِنْ هَذَا أَنَّ عَدَمَ الْقُدْرَةِ عَلَى النِّكَاحِ نَقْصٌ، وَإِنَّمَا الْفَضْلُ فِي كَوْنِهَا مَوْجُودَةً ثُمَّ قَمْعُهَا إِمَّا بِمُجَاهَدَةٍ كَعِيسَى[1] عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَوْ بِكِفَايَةٍ مِنَ اللهِ تَعَالَى كَيَحْيَى[2] عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَضِيلَةٌ زَائِدَةٌ لِكَوْنِهَا مُشْغِلَةً فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَوْقَاتِ حَاطَّةً إِلَى الدُّنْيَا: ثُمَّ هِيَ فِي حَقِّ مَنْ أُقْدِرَ عَلَيْهَا وَمُلِّكَهَا وَقَامَ بِالْوَاجِبِ فِيهَا وَلَمْ يَشْغَلْهُ عَنْ رَبِّهِ دَرَجَةٌ عَلْيَاءُ وَهِيَ دَرَجَةُ نَبِيِّنَا ﷺ الَّذِي لَمْ تَشْغَلْهُ كَثْرَتُهُنَّ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ بَلْ زَادَهُ ذَلِكَ عِبَادَةً لِتَحْصِينِهِنَّ وَقِيَامِهِ بِحُقُوقِهِنَّ وَاكْتِسَابِهِ لَهُنَّ وَهِدَايَتِهِ إِيَّاهُنَّ بَلْ صَرَّحَ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ حُظُوظِ دُنْيَاهُ هُوَ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ حُظُوظِ دُنْيَا غَيْرِهِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: **«حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ»**[3] فَدَلَّ أَنَّ حُبَّهُ لِمَا ذُكِرَ مِنَ النِّسَاءِ وَالطِّيبِ اللَّذَيْنِ هُمَا مِع أَمْرِ دُنْيَا غَيْرِهِ وَاسْتِعْمَالَهُ لِذَلِكَ لَيْسَ لِدُنْيَاهُ بَلْ لآخِرَتِهِ لِلْفَوَائِدِ الَّتِي ذَكَرْنَاها مَا فِي التَّزْوِيجِ وَلِلِقَاءِ الْمَلاَئِكَةِ فِي الطِّيبِ وَلأَنَّهُ أَيْضاً مِمَّا يَحُضُّ عَلَى الْجِمَاعِ وَيُعِينُ عَلَيْهِ وَيُحَرِّكُ أَسْبَابَهُ، وَكَانَ حُبُّهُ لِهَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ لأَجْلِ غَيْرِهِ وَقَمْعِ شَهْوَتِهِ وَكَانَ حُبُّهُ الْحَقِيقِي الْمُخْتَصُّ بِذَاتِهِ فِي مُشَاهَدَةِ جَبَرُوتِ مَوْلاَهُ وَمُنَاجَاتِهِ وَلِذَلِكَ مَيَّزَ بَيْنَ الْحُبَّيْنِ وَفَصَلَ بَيْنَ الْحَالَيْنِ فَقَالَ: **«وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ»**[4] فَقَدْ سَاوَى يَحْيَى وَعِيسَى فِي كِفَايَةِ فِتْنَتِهِنَّ وَزَادَ فَضِيلَةً بِالْقِيَامِ بِهِنَّ؛ وَكَانَ ﷺ مِمَّنْ أُقْدِرَ عَلَى الْقُوَّةِ فِي هَذَا وَأُعْطِيَ الْكَثِيرَ مِنْهُ وَلِهَذَا أُبِيحَ لَهُ مِنْ عَدَدِ الْحَرَائِرِ مَا لَمْ يُبَحْ لِغَيْرِهِ؛ وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ.

---

(١) عيسى ابن مريم عليه السلام هو آخر الأنبياء قبل محمد بن عبد الله ﷺ أرسل إلى بني إسرائيل فأصروا وجحدوا ومكروا مكراً ونفاقاً، فكانت معجزاته إحياء الموتى بإذن الله وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله، ولما أراد بنو إسرائيل قتله توفاه الله ورفع قدره.

(٢) يحيى بن زكريا عليه السلام وهو ابن خالة عيسى عليه السلام وأكبر منه وزكريا والد يحيى نبي أيضاً وهو ينتسب إلى ذرية سليمان عليه السلام وقد قتله بنو إسرائيل لعنهم الله كما قتلوا ابنه يحيى. عليهما السلام.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك والنسائي في السنن. ونهاية الحديث: النساء والطب وقرة عيني في الصلاة. كما سيأتي بعد.

(٤) أخرجه النسائي في السنن ٧/ ٦١ في عشرة النساء باب حب النساء وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥ وإسناده صحيح.

قَالَ أَنَسٌ[١]: وَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلاثِينَ رَجُلاً خَرَّجَهُ[٢] النَّسَائِي[٣]، وَرُوِيَ نَحْوُهُ عَنْ أَبِي رَافِعٍ[٤]، وَعَنْ طَاوُسٍ[٥]: أُعْطِيَ عَلَيْهِ السَّلامُ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلاً فِي الْجِمَاعِ، وَمِثْلُهُ عَنْ صَفْوَانَ[٦] بْنِ سُلَيْمٍ، وَقَالَتْ سَلْمَى[٧] مَوْلاتُهُ: طَافَ النَّبِيُّ ﷺ لَيْلَةً عَلَى نِسَائِهِ التِّسْعِ وَتَطَهَّرَ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الأُخْرَى[٨] وَقَالَ: «هَذَا أَطْيَبُ وَأَطْهَرُ»[٩]؛ وَقَدْ قَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلامُ لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ أَوْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ، وَإِنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ[١٠]: كَانَ فِي ظَهْرِ سُلَيْمَانَ مَاءُ مِائَةِ رَجُلٍ وَكَانَ لَهُ ثَلاثُمِائَةِ امْرَأَةٍ وَثَلاثُمِائَةِ سَرِيَّةٍ؛ وَحَكَى النَّقَّاشُ[١١] وَغَيْرُهُ سَبْعُمِائَةِ امْرَأَةٍ وَثَلاثُمِائَةِ سَرِيَّةٍ، وَقَدْ كَانَ لِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلَى زُهْدِهِ وَأَكْلِهِ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ امْرَأَةً وَتَمَّتْ بِزَوْجِ أُورِيَّاءَ مِائَةً، وَقَدْ نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ [ص: ٢٢] وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ[١٢] عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلامُ «فُضِّلْتُ عَلَى النَّاسِ بِأَرْبَعٍ: بِالسَّخَاءِ وَالشَّجَاعَةِ وَكَثْرَةِ الْجِمَاعِ وَقُوَّةِ الْبَطْشِ»[١٣] وَأَمَّا الْجَاهُ فَمَحْمُودٌ عِنْدَ الْعُقَلاءِ عَادَةً

---

(١) تقدمت ترجمته. (٢) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، والنسائي في السنن.

(٣) أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ولد سنة ٢٢٥ هـ وأخذ عن اللائحة الحفاظ في زمانه وكان شافعي المذهب له مناسك صنفها على مذهب الإمام الشافعي اتصف بالتقوى والورع متحرياً توفي بمكة سنة ٣٠٣ هـ وبها دفن.

(٤) أبو رافع مولى الرسول ﷺ واختلف في اسمه قيل إبراهيم وقيل أسلم وقيل ثابت وحديثه أخرجه أبو داود في السنن والبيهقي في الدلائل والنسائي في السنن ولفظه: «طاف رسول الله ﷺ على نسائه في يوم أو ليلة واحدة وكان يغتسل عند هذه وهذه... في سنن أبي داود أخرجه تحت عدد: ٢١٩ وفي رواية له أيضاً طاف ذات يوم على نسائه في غسل واحد. تحت رقم: ٢١٨.

(٥) طاوس هو: عبد الرحمن بن كيسان اليماني الإمام الحافظ الملقب بطاوس، لأنه كان طاوس القراء وهو من أهل فرسي، أخرج له أئمة السنن وغيرهم توفي طاوس سنة ١٠٦ هـ بمكة.

(٦) صفوان بن سُلَيم هو الإمام العابد تابعي، أخرج له أصحاب السنن توفي سنة ١٣٢ هـ.

(٧) سلمى خادمة الرسول ﷺ، وقيل عنها أنها كانت مولاة صفية رضي الله عنها وهي عمة الرسول عليه السلام، وهي زوجة أبي رافع مولدة فاطمة رضي الله عنها، وهي التي أخبرت حمزة رضي الله عنه بسب أبو جهل الرسول ﷺ فغضب وذهب إليه فشجه وكان ذلك سبب إسلامه.

(٨) أخرجه الإمام أبو داود في السنن وهو حديث صحيح كما قال السيوطي،

(٩) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى: ٨/ ١٢٤، والمتقي الهندي في كنز العمال تحت عدد: ٧٤١٣.

(١٠) تقدمت ترجمته: وأخرج حديثه ابن جرير الطبري في تفسيره مرفوعاً.

(١١) النقاش هو أبو بكر محمد بن الحسن بن أحمد الموصلي البغدادي المقرىء المفسر أخذ عن أبي مسلم الكجي وقرأ بالروايات حتى أضحى شيخ القراء في عصره إلا أن أبا شامة ضعفه في الشاطبية، وغلط الجعبري من ضعفه. (١٢) تقدمت ترجمته.

(١٣) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/٢٦٩، ٩/١٣، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٧/٩٧، والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣١٩٣٥. وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق: ٤/٣٤٧ والخطيب في تاريخ بغداد: ٨/ ٧٠. وابن الجوزي في العلل المتناهية: ١/١٦٩.

وَبِقَدْرِ جَاهِهِ عِظَمُهُ فِي الْقُلُوبِ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي صِفَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٤٥] لَكِنْ آفَاتُهُ كَثِيرَةٌ فَهُوَ مُضِرٌّ لِبَعْضِ النَّاسِ لِعُقْبَى الآخِرَةِ: فَلِذَلِكَ ذَمَّهُ مَنْ ذَمَّهُ وَمَدَحَ ضِدَّهُ وَوَرَدَ فِي الشَّرْعِ مَدْحُ الْخُمُولِ وَذَمُّ الْعُلُوِّ فِي الْأَرْضِ؛ وَكَانَ ﷺ قَدْ رُزِقَ مِنَ الْحِشْمَةِ وَالْمَكَانَةِ فِي الْقُلُوبِ وَالْعَظَمَةِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ عِنْدَ الْجَاهِلِيَّةِ وَبَعْدَهَا وَهُمْ يُكَذِّبُونَهُ وَيُؤْذُونَ أَصْحَابَهُ وَيَقْصِدُونَ أَذَاهُ فِي نَفْسِهِ خُفْيَةً حَتَّى إِذَا وَاجَهَهُمْ أَعْظَمُوا أَمْرَهُ وَقَضَوْا حَاجَتَهُ. وَأَخْبَارُهُ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفَةٌ سَيَأْتِي بَعْضُهَا؛ وَقَدْ كَانَ يَبْهَتُ وَيَفْرَقُ لِرُؤْيَتِهِ مَنْ لَمْ يَرَهُ كَمَا رُوِيَ عَنْ قَيْلَةَ[1] أَنَّهَا لَمَّا رَأَتْهُ أُرْعِدَتْ مِنَ الْفَرَقِ فَقَالَ: «يَا مِسْكِينَةُ عَلَيْكِ السَّكِينَةُ»[2]؛ وَفِي حَدِيثِ أَبِي مَسْعُودٍ[3] أَنَّ رَجُلاً قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأُرْعِدَ فَقَالَ لَهُ: «هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ»[4] الْحَدِيثَ.

فَأَمَّا عَظِيمُ قَدْرِهِ بِالنُّبُوَّةِ وَشَرِيفُ مَنْزِلَتِهِ بِالرِّسَالَةِ وَإِنَافَةُ رُتْبَتِهِ بِالِاصْطِفَاءِ وَالْكَرَامَةِ فِي الدُّنْيَا فَأَمْرٌ هُوَ مَبْلَغُ النِّهَايَةِ؛ ثُمَّ هُوَ فِي الآخِرَةِ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ. وَعَلَى مَعْنَى هَذَا الْفَصْلِ نَظَمْنَا هَذَا الْقِسْمَ بِأَسْرِهِ.

الفصل التاسع: ما يتعلق بالمال والمتاع

وَأَمَّا الضَّرْبُ الثَّالِثُ فَهُوَ مَا تَخْتَلِفُ الْحَالَاتُ فِي التَّمَدُّحِ بِهِ وَالتَّفَاخُرِ بِسَبَبِهِ. وَالتَّفْضِيلِ لِأَجْلِهِ كَكَثْرَةِ الْمَالِ فَصَاحِبُهُ عَلَى الْجُمْلَةِ مُعَظَّمٌ عِنْدَ الْعَامَّةِ لِاعْتِقَادِهَا تَوَصُّلَهُ بِهِ حَاجَاتِهِ وَتَمَكُّنَ أَغْرَاضِهِ بِسَبَبِهِ وَإِلَّا فَلَيْسَ فَضِيلَةً فِي نَفْسِهِ؛ فَمَتَى كَانَ الْمَالُ بِهَذِهِ الصُّورَةِ وَصَاحِبُهُ مُنْفِقاً لَهُ فِي مُهِمَّاتِهِ وَمُهِمَّاتِ مَنِ اعْتَرَاهُ وَأَمَّلَهُ وَتَصْرِيفِهِ فِي مَوَاضِعِهِ مُشْتَرِياً بِهِ الْمَعَالِيَ وَالثَّنَاءَ الْحَسَنَ وَالْمَنْزِلَةَ مِنَ الْقُلُوبِ كَانَ فَضِيلَةً فِي صَاحِبِهِ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَإِذَا صَرَفَهُ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ وَأَنْفَقَهُ فِي سُبُلِ الْخَيْرِ وَقَصَدَ بِذَلِكَ اللهَ وَالدَّارَ الآخِرَةَ كَانَ فَضِيلَةً عِنْدَ الْكُلِّ بِكُلِّ حَالٍ، وَمَتَى كَانَ صَاحِبُهُ مُمْسِكاً لَهُ غَيْرَ مُوَجِّهِهِ وُجُوهَهُ حَرِيصاً عَلَى جَمْعِهِ عَادَ كُثْرُهُ كَالْعَدَمِ وَكَانَ مَنْقَصَةً فِي صَاحِبِهِ وَلَمْ

---

(١) قيلة بنت مخرمة بن قرط لها صحبة طويلة مشهورة ترجمتها في الثقات ٣/٣٤٩، والإصابة ٤/٣٩١ والطبقات: ٨/٣١٢.

(٢) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: والهيثمي في مجمع الزوائد: ٦/١١. والمتقي الهندي في كنز العمال: ٦٤٠٣ وابن حجر في فتح الباري: ١١/٦٥. وعياض في مناهل الصفا: ١٤.

(٣) أبو مسعود هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجي البدري كما في البخاري إلا أن ابن عبد البر قال ليس ببدري، وإنما شهد العقبة الثانية، وشهد بدراً، توفي سنة ٤٠ كان والياً على الكوفة. ترجمته في الثقات ٣/ ٢٧٩ والإصابة: ٢/٤٩٠.

(٤) أخرجه ابن ماجه في السنن: ٣٣١٢، والهيثمي في جمع الزوائد: ٩/ ٢٠ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٦/ ٢٧٧ ـ ٢٧٩ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٧/ ١٤٢ والألباني في السلسلة الصحيحة: ١٨٧٦.

يَقِفُ بِهِ عَلَى جُدَدِ السَّلاَمَةِ بَلْ أَوْقَعَهُ فِي هُوَّةِ رَذِيلَةِ الْبُخْلِ وَمَذَمَّةِ النَّذَالَةِ؛ فَإِذَا التَّمَدُّحُ بِالْمَالِ وَفَضِيلَتِهِ عِنْدَ مُفَضِّلِهِ لَيْسَتْ لِنَفْسِهِ وَإِنَّمَا هُوَ لِلتَّوَصُّلِ بِهِ إِلَى غَيْرِهِ وَتَصْرِيفِهِ فِي مُتَصَرَّفَاتِهِ؛ فَجَامِعُهُ إِذَا لَمْ يَضَعْهُ مَوَاضِعَهُ وَلاَ وَجَّهَهُ وُجُوهَهُ غَيْرُ مَلِيءٍ بِالْحَقِيقَةِ وَلاَ غَنِيٌّ بِالْمَعْنَى وَلاَ مُمْتَدَحٍ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْعُقَلاَءِ بَلْ هُوَ فَقِيرٌ أَبَداً غَيْرُ وَاصِلٍ إِلَى غَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِهِ؛ إِذْ مَا بِيَدِهِ مِنَ الْمَالِ الْمُوصِلِ لَهَا لَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْهِ؛ فَأَشْبَهَ خَازِنَ مَالِ غَيْرِهِ وَلاَ مَالَ لَهُ فَكَأَنَّهُ لَيْسَ فِي يَدِهِ مِنَ الْمَالِ شَيْءٌ وَالْمُنْفِقُ مَلِيٌّ غَنِيٌّ بِتَحْصِيلِهِ فَوَائِدَ الْمَالِ وَإِنْ لَمْ يَبْقَ فِي يَدِهِ مِن الْمَالِي شَيْءٌ. فَانْظُرْ سِيرَةَ نَبِيِّنَا ﷺ وَخُلُقَهُ فِي الْمَالِ تَجِدْهُ قَدْ أُوتِيَ خَزَائِنَ الأَرْضِ وَمَفَاتِيحَ الْبِلاَدِ وَأُحِلَّتْ لَهُ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تُحَلَّ لِنَبِيٍّ قَبْلَهُ، وَفُتِحَ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ ﷺ بِلاَدُ الْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَجَمِيعِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَمَا دَانَى ذَلِكَ مِنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَجُلِبَتْ إِلَيْهِ مِنْ أَخْمَاسِهَا وَجِزْيَتِهَا وَصَدَقَاتِهَا مَا لاَ يُجْبَى لِلْمُلُوكِ إِلاَّ بَعْضُهُ، وَهَادَتْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ مُلُوكِ الأَقَالِيمِ فَمَا اسْتَأْثَرَ بِشَيْءٍ مِنْهُ وَلاَ أَمْسَكَ مِنْهُ دِرْهَماً بَلْ صَرَفَهُ مَصَارِفَهُ وَأَغْنَى بِهِ غَيْرَهُ وَقَوَّى بِهِ الْمُسْلِمِينَ وَقَالَ: **«مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي أُحُداً ذَهَباً يَبِيتُ عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلاَّ دِينَارٌ أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ»**[(١)] وَأَتَتْهُ دَنَانِيرُ مَرَّةً فَقَسَمَهَا وَبَقِيَتْ مِنْهَا سِتَّةٌ فَدَفَعَهَا لِبَعْضِ نِسَائِهِ فَلَمْ يَأْخُذْهُ نَوْمٌ حَتَّى قَامَ وَقَسَمَهَا وَقَالَ: **«الآنَ اسْتَرَحْتُ»**[(٢)] وَمَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ فِي نَفَقَةِ عِيَالِهِ[(٣)] وَاقْتَصَرَ مِنْ نَفَقَتِه وَمَلْبَسِهِ وَمَسْكَنِهِ عَلَى مَا تَدْعُوهُ ضَرُورَتُهُ إِلَيْهِ وَزَهِدَ فِيمَا سِوَاهُ؛ فَكَانَ يَلْبَسُ مَا وَجَدَهُ فَيَلْبَسُ فِي الْغَالِبِ الشَّمْلَةَ وَالْكِسَاءَ الْخَشِنَ وَالْبُرْدَ الْغَلِيظَ وَيَقْسِمُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ أَقْبِيَةَ الدِّيبَاجِ الْمُخَوَّصَةَ بِالذَّهَبِ وَيَرْفَعُ لِمَنْ لَمْ يَحْضُرْ؛ إِذِ الْمُبَاهَاةُ فِي الْمَلاَبِسِ وَالتَّزَيُّنُ بِهَا لَيْسَتْ مِنْ خِصَالِ الشَّرَفِ وَالْجَلاَلَةِ وَهِيَ مِنْ سِمَاتِ النِّسَاءِ، وَالْمَحْمُودُ مِنْهَا نَقَاوَةُ الثَّوْبِ وَالتَّوَسُّطُ فِي جِنْسِهِ وَكَوْنُهُ لُبْسَ مِثْلِهِ غَيْرَ مُسْقِطٍ لِمُرُوءَةِ جِنْسِهِ مِمَّا لاَ يُؤَدِّي إِلَى الشُّهْرَةِ فِي الطَّرَفَيْنِ وَقَدْ ذَمَّ الشَّرْعُ ذَلِكَ؛ وَغَايَةُ الْفَخْرِ فِيهِ فِي الْعَادَةِ عِنْدَ النَّاسِ إِنَّمَا يَعُودُ إِلَى الْفَخْرِ بِكَثْرَةِ الْمَوْجُودِ وَوُفُورِ الْحَالِ وَكَذَلِكَ التَّبَاهِي بِجَوْدَةِ الْمَسْكَنِ وَسَعَةِ الْمَنْزِلِ وَتَكْثِيرِ آلاَتِهِ وَخَدَمِهِ وَمَرْكُوبَاتِهِ وَمَنْ مَلَكَ الأَرْضَ وَجُبِيَ إِلَيْهِ مَا فِيهَا وَتَرَكَ ذَلِكَ زُهْداً وَتَنَزُّهاً حَائِزٌ لِفَضِيلَةِ الْمَالِيَّةِ وَمَالِكٌ لِلْفَخْرِ بِهَذِهِ الْخَصْلَةِ إِنْ كَانَتْ فَضِيلَةً زَائِدٌ عَلَيْهَا فِي الْفَخْرِ وَمُعَرِقٌ فِي الْمَدْحِ بِإِضْرَابِهِ عَنْهَا وَزُهْدِهِ فِي فَانِيهَا وَبَذْلِهَا فِي مَظَانِّهَا.

---

(١) أخرجه الشيخان: البخاري ومسلم. وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٣٢٦/١٠. وابن حجر في فتح الباري: ٢٦٥/١١.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) كانت مرهونة عند يهودي هو أبو الشحم ـ في نفقة عياله إلى سنة فيما يقدر بثلاثين صاعاً من الشعير. على ما أخرجه الإمام البخاري والترمذي والنسائي وأخرج البزار أنها كانت مرهونة في أربعين صاعاً، وقال عبد الرزاق في مصنفه في وسق شعير. ويقدر الوسق بستين صاعاً.

الفصل العاشر: الأخلاق الحميدة

وَأَمَّا الْخِصَالُ الْمُكْتَسَبَةُ مِنَ الأَخْلاَقِ الْحَمِيدَةِ وَالآدَابِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي اتَّفَقَ جَمِيعُ الْعُقَلاَءِ عَلَى تَفْضِيلِ صَاحِبِهَا وَتَعْظِيمِ الْمُتَّصِفِ بِالْخُلُقِ الْوَاحِدِ مِنْهَا فَضْلاً عَمَّا فَوْقَهُ وَأَثْنَى الشَّرْعُ عَلَى جَمِيعِهَا وَأَمَرَ بِهَا وَوَعَدَ السَّعَادَةَ الدَّائِمَةَ لِلْمُتَخَلِّقِ بِهَا وَوَصَفَ بَعْضَهَا بِأَنَّهُ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ وَهِيَ الْمُسَمَّاةُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَهُوَ الاعْتِدَالُ فِي قُوَى النَّفْسِ وَأَوْصَافِهَا، وَالتَّوَسُّطُ فِيهَا دُونَ الْمَيْلِ إِلَى مُنْحَرِفِ أَطْرَافِهَا؛ فَجَمِيعُهَا قَدْ كَانَتْ خُلُقَ نَبِيِّنَا ﷺ عَلَى الانْتِهَاءِ فِي كَمَالِهَا. وَالاعْتِدَالُ إِلَى غَايَتِهَا حَتَّى أَثْنَى اللهُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٥]. قَالَتْ عَائِشَةُ[1] رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ يَرْضَى بِرِضَاهُ وَيَسْخَطُ بِسَخَطِهِ، وَقَالَ ﷺ: «**بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ**»[2].

قَالَ أَنَسٌ[3] كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقاً؛ وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ[4] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِثْلُهُ، وَكَانَ فِيمَا ذَكَرَهُ الْمُحَقِّقُونَ مَجْبُولاً عَلَيْهَا فِي أَصْلِ خِلْقَتِهِ وَأَوَّلِ فِطْرَتِهِ لَمْ تَحْصُلْ لَهُ بِاكْتِسَابٍ وَلاَ رِيَاضَةٍ إِلاَّ بِجُودٍ إِلٰهِي وَخُصُوصِيَّةٍ رَبَّانِيَّةٍ؛ وَهَكَذَا لِسَائِرِ الأَنْبِيَاءِ؛ وَمَنْ طَالَعَ سِيَرَهُمْ مُنْذُ صِبَاهُمْ إِلَى مَبْعَثِهِمْ حَقَّقَ ذَلِكَ كَمَا عُرِفَ مِنْ حَالِ عِيسَى وَمُوسَى وَيَحْيَى وَسُلَيْمَانَ وَغَيْرِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ بَلْ غُرِزَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الأَخْلاَقُ فِي الْجِبِلَّةِ وَأُودِعُوا الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ فِي الْفِطْرَةِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢].

---

(١) تقدمت ترجمتها.

(٢) عزاه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/١٨٨ للطبري في المعجم الأوسط. كتاب الصلة باب مكارم الأخلاق والعفو عمن ظلم، وأخرجه الإمام البغوي في شرح السنة ١٣/٢٠٢ كتاب الفضائل باب فضائل سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ رقم: ٣٦٢٢، ٣٦٢٣، بلفظ: إن الله تعالى بعثني لتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال. ومالك في الموطأ: ٩٠٤.

وأخرجه البيهقي في الآداب: ١٣٦ تحت رقم: ٢٠٤ بلفظ: بعثت لأتمم صالح الأخلاق.

(٣) أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الأنصاري المدني. خادم رسول الله ﷺ وله صحبة طويلة وحديث كثير توفي سنة ٩٣ هـ. ترجمته: في أسد الغابة ١/٨٤ وتذكرة الحفاظ: ١/٤٤، وخلاصة تذهيب الكمال: ٣٥ وشذرات الذهب ١/١٠٠ وطبقات الشيرازي: ٥١ وطبقات القراء لابن الجوزي ١٠/١٧٢ والعبر: ١/١٠٧.

(٤) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبو الحسن الهاشمي قاضي الأمة نهض بأعباء العلم والعمل. استشهد يوم ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ.

ترجمته: في أسد الغابة: ٤/٩١، والإصابة ٢/١٠٥، وتاريخ بغداد: ١/١٣٣. وتاريخ الخلفاء: ١٦٦، وتذكرة الحفاظ: ١/١٠، وخلاصة تذهيب الكمال: ٢٣٢. وشذرات الذهب: ١/٤٩ وطبقات ابن سعد ١١/١٣٢ وطبقات الشيرازي: ٤١ وطبقات القراء لابن الجوزي ١/٥٤٦ وطبقات القراء للذهبي: ١/٣٠، والعبر: ١/٤٦ ومروج الذهب: ٢/٣٥٨، والنجوم الزاهرة: ١/١١٩.

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: أَعْطَى اللهُ يَحْيَى الْعِلْمَ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى فِي حَالِ صِبَاهُ؛ وَقَالَ مَعْمَرٌ[١]: كَانَ ابْنُ سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلاَثٍ فَقَالَ لَهُ الصِّبْيَانُ لِمَ لاَ تَلْعَبُ؟ فَقَالَ: «أَلِلَّعِبِ خُلِقْتُ»[٢]؟ صَدَقَ يَحْيَى بِعِيسَى وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثِ سِنِينَ فَشَهِدَ لَهُ أَنَّهُ كَلِمَةُ اللهِ وَرُوحُهُ؛ وَقِيلَ صَدَّقَهُ وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ فَكَانَتْ أُمُّ يَحْيَى تَقُولُ لِمَرْيَمَ إِنِّي أَجِدُ مَا فِي بَطْنِي يَسْجُدُ لِمَا فِي بَطْنِكِ تَحِيَّةً لَهُ؛ وَقَدْ نَصَّ اللهُ تَعَالَى عَلَى كَلاَمِ عِيسَى لِأُمِّهِ عِنْدَ وِلاَدَتِهَا إِيَّاهُ بِقَوْلِهِ لَهَا، ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ [مريم:٢٤] عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ ﴿مِن تَحْتِهَآ﴾ [مريم:٢٤] وَعَلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ إِنَّ الْمُنَادِي عِيسَى وَنَصَّ عَلَى كَلاَمِهِ فِي مَهْدِهِ فَقَالَ ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ [مريم:٣٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء:٦٨] وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ حُكْمِ سُلَيْمَانَ وَهُوَ صَبِيٌّ يَلْعَبُ فِي قَضِيَّةِ الْمَرْجُومَةِ وَفِي قِصَّةِ الصَّبِيِّ مَا اقْتَدَى بِهِ دَاوُدُ أَبُوهُ، وَقَالَ الطَّبَرِيُّ[٣] إِنَّ عُمْرَهُ حِينَ أُوتِيَ الْمُلْكَ اثْنَا عَشَرَ عَاماً، وَكَذَلِكَ قِصَّةُ مُوسَى مَعَ فِرْعَوْنَ وَأَخْذَهُ بِلِحْيَتِهِ وَهُوَ طِفْلٌ، وَقَالَ الْمُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء:٦٨] أَيْ هَدَيْنَاهُ صَغِيراً، قَالَهُ مُجَاهِدٌ[٤] وَغَيْرُهُ، وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ[٥]: اصْطَفَاهُ قَبْلَ إِبْدَاءِ خَلْقِهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَمَّا وُلِدَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بَعَثَ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مَلَكاً يَأْمُرُهُ عَنِ اللهِ أَنْ يَعْرِفَهُ بِقَلْبِهِ وَيَذْكُرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ وَلَمْ يَقُلْ أَفْعَلُ فَذَلِكَ رُشْدُهُ، وَقِيلَ إِنَّ إِلْقَاءَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِي النَّارِ وَمِحْنَتَهُ كَانَتْ وَهُوَ ابْنُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً وَإِنَّ ابْتِلاَءَ إِسْحَاقَ بِالذَّبْحِ كَانَ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ، وَإِنَّ اسْتِدْلاَلَ إِبْرَاهِيمَ بِالْكَوْكَبِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ كَانَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسَةَ عَشَرَ شَهْراً؛ وَقِيلَ أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى يُوسُفَ وَهُوَ صَبِيٌّ عِنْدَمَا هَمَّ إِخْوَتُهُ بِإِلْقَائِهِ فِي الْجُبِّ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾ [يوسف:١٥] الآيَةَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا ذُكِرَ مِنْ أَخْبَارِهِمْ، وَقَدْ حَكَى أَهْلُ السِّيَرِ أَنَّ آمِنَةَ بِنْتَ وَهْبٍ أَخْبَرَتْ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّداً ﷺ وُلِدَ حِينَ وُلِدَ بَاسِطاً يَدَيْهِ إِلَى الأَرْضِ رَافِعاً رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ.

وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ ﷺ: «لَمَّا نَشَأْتُ بُغِّضَتْ إِلَيَّ الأَوْثَانُ وَبُغِّضَ إِلَيَّ الشِّعْرُ وَلَمْ أَهُمَّ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ تَفْعَلُهُ إِلاَّ مَرَّتَيْنِ فَعَصَمَنِي اللهُ مِنْهُمَا ثُمَّ لَمْ أَعُدْ»[٦] ثُمَّ يَتَمَكَّنُ الأَمْرُ لَهُمْ

---

(١) معمر بن راشد يكنى أبا عروة اللازوي المهلبي مولى عالم اليمن روى عن الزهري وغيره عنه. وروى عنه خلق كثير، وأخرج له أئمة الحديث الستة، وقد تكلم عليه مطولاً صاحب الميزان، توفي سنة ١٥٣ هـ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في الزهد، وابن أبي حاتم في تفسيره، والديلمي عن معاذ إلا أنه لم يسنده، والحاكم في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند ضعيف.

(٣) تقدمت ترجمته. (٤) تقدمت ترجمته.

(٥) ابن عطاء هو أبو عبد الله محمد بن عطاء شيخ عصره توفي سنة ٣٩٩ هـ.

(٦) أخرجه أبو نعيم في الدلائل عن شداد بن أوس رضي الله عنه وشداد هذا هو: شداد بن أوس بن ثابت بن منذر بن حرام بن عمرو البخاري يكنى أبا يعلى وهو ابن أخي حسان بن ثابت. سكن الشام وتوفي ببيت =

وَتَتَرَادَفُ نَفَحَاتُ الله تَعَالَى عَلَيْهِمْ وَتُشْرِقُ أَنْوَارُ الْمَعَارِفِ فِي قُلُوبِهِمْ حَتَّى يَصِلُوا إِلَى الْغَايَةِ وَيَبْلُغُوا بِاصْطِفَاءِ الله تَعَالَى لَهُمْ بِالنُّبُوَّةِ فِي تَحْصِيلِ هَذِهِ الْخِصَالِ الشَّرِيفَةِ النِّهَايَةَ دُونَ مُمَارَسَةٍ وَلاَ رِيَاضَةٍ قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [يوسف:٢٢، القصص:١٤] وَقَدْ نَجِدُ غَيْرَهُمْ يُطْبَعُ عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الأَخْلاَقِ دُونَ جَمِيعِهَا وَيُولدُ عَلَيْهَا فَيَسْهُلُ عَلَيْهِ اكْتِسَابُ تَمَامِهَا عِنَايَةً مِنَ الله تَعَالَى كَمَا نُشَاهِدُ مِنْ خَلْقِهِ بَعْضَ الصِّبْيَانِ عَلَى حُسْنِ السَّمْتِ أو الشَّهَامَةِ أَوْ صِدْقِ اللِّسَانِ أَوِ السَّمَاحَةِ وَكَمَا نَجِدُ بَعْضَهُمْ عَلَى ضِدِّهَا؛ فَبِالاكْتِسَابِ يَكْمُلُ نَاقِصُهَا وَبِالرِّيَاضَةِ وَالْمُجَاهَدَةِ يُسْتَجْلَبُ مَعْدُومُهَا وَيَعْتَدِلُ مُنْحرِفُهَا، وَبِاخْتِلاَفِ هَذَيْنِ الْحَالَيْنِ يَتَفَاوَتُ النَّاسُ فِيهَا، وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ؛ وَلِهَذَا مَا قَدِ اخْتَلَفَ السَّلَفُ فِيهَا: هَلْ هَذَا الْخُلُقُ جِبِلَّةٌ أَوْ مُكْتَسَبَةٌ؟ وَحَكَى الطَّبَرِيُّ[1] عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّ الْخُلُقَ الْحَسَنَ جِبِلَّةٌ وَغَرِيزَةٌ فِي الْعَبْدِ؛ وَحَكَاهُ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ[2] وَالْحَسَنِ[3] وَبِهِ قَالَ هُوَ؛ وَالصَّحِيحُ مَا أَصَّلْنَاهُ. وَقَدْ رَوَى سَعْدٌ[4] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**كُلُّ الْخِلاَلِ يُطْبَعُ عَلَيْهَا الْمُؤْمِنُ إِلاَّ الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ**»[5] وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ[6] رَضِيَ الله عَنْهُ فِي حَدِيثِهِ: وَالْجُرْأَةُ وَالْجُبْنُ غَرَائِزُ يَضَعُهُمَا الله حَيْثُ يَشَاءُ.

وَهَذِهِ الأَخْلاَقُ الْمَحْمُودَةُ وَالْخِصَالُ الْجَمِيلَةُ الشَّرِيفَةُ كَثِيرَةٌ وَلَكِنَّنَا نَذْكُرُ أُصُولَهَا وَنُشِيرُ إِلَى جَمِيعِهَا وَنُحَقِّقُ وَصْفَهُ ﷺ بِهَا إِنْ شَاءَ الله.

الفصل الحادي عشر: عقله ﷺ

أَمَّا أَصْلُ فُرُوعِهَا وَعُنْصُرُ يَنَابِيعِهَا وَنُقْطَةُ دَائِرَتِهَا فَالْعَقْلُ الذِي مِنْهُ يَنْبَعِثُ الْعِلْمُ وَالْمَعْرِفَةُ وَيَتَفَرَّعُ مِنْ هَذَا ثُقُوبُ الرَّأْيِ وَجَوْدَةُ الْفِطْنَةِ وَالإِصَابَةُ، وَصِدْقُ الظَّنِّ وَالنَّظَرِ لِلْعَوَاقِبِ وَمَصَالِحِ

= المقدس سنة ٥٨ هـ في ولاية معاوية. ترجمته: في الثقات: ٣/ ١٨٥ والطبقات ٧/ ٤٠١ والإصابة ٢/ ١٣٩، وحلية الأولياء: ١/ ٢٦٤.

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) سعد بن أبي وقاص: هو سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف أحد العشرة المبشرين بالجنة، وآخرهم من توفي، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وهو من أهل الشورى الستة توفي سنة ٥٥ هـ ترجمته في أسد الغابة: ٤/ ١٧٠ ـ ١٧٧.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف والإمام أحمد في المسند وابن عدي في المقدمة وابن أبي الدنيا في الصمت، وأوقفه الدارقطني في العلل. والبيهقي في الأدب ٧٨ تحت رقم: ١١١ عن أبي سعيد مرفوعاً بلفظ: خصلتان لا تجتمع في المرء: البخل، وسوء الخلق» وقال أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

(٦) تقدمت ترجمته.

النَّفْسِ وَمُجَاهَدَةِ الشَّهْوَةِ وَحُسْنُ السِّيَاسَةِ وَالتَّدْبِيرِ وَاقْتِنَاءِ الْفَضَائِلِ وَتَجَنُّبُ الرَّذَائِلِ وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَى مَكَانِهِ مِنْهُ ﷺ وَبُلُوغِهِ مِنْهُ وَمِنَ الْعِلْمِ الْغَايَةَ الْقُصْوَى الَّتِي لَمْ يَبْلُغْهَا بَشَرٌ سِوَاهُ وَإِذْ جَلاَلَةُ مَحَلِّهِ مِنْ ذَلِكَ وَمِمَّا تَفَرَّعَ مِنْهُ مُتَحَقِّقَةٌ عِنْدَ مَنْ تَتَبَّعَ مَجَارِي أَحْوَالِهِ وَاطِّرَادَ سِيَرِهِ وَطَالَعَ جَوَامِعَ كَلاَمِهِ وَحُسْنَ شَمَائِلِهِ وَبَدَائِعَ سِيَرِهِ وَحُكْمَ حَدِيثِهِ وَعِلْمَهُ بِمَا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ. وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ وَحِكَمِ الْحُكَمَاءِ وَسِيَرِ الأُمَمِ الْخَالِيَةِ وَأَيَّامِهَا وَضَرْبِ الأَمْثَالِ وَسِيَاسَاتِ الأَنَامِ وَتَقْرِيرِ الشَّرَائِعِ وَتَأْصِيلِ الآدَابِ النَّفِيسَةِ وَالشِّيَمِ الْحَمِيدَةِ إِلَى فُنُونِ الْعُلُومِ الَّتِي اتَّخَذَ أَهْلُهَا كَلاَمَهُ ﷺ فِيهَا قُدْوَةً وَإِشَارَاتِهِ حُجَّةً كَالْعِبَارَةِ(١) وَالطِّبِّ وَالْحِسَابِ وَالْفَرَائِضِ وَالنَّسَبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا سَنُبَيِّنُهُ فِي مُعْجِزَاتِهِ إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى دُونَ تَعْلِيمٍ وَلاَ مُدَارَسَةٍ وَلاَ مُطَالَعَةِ كُتُبِ مَنْ تَقَدَّمَ وَلاَ الْجُلُوسِ إِلَى عُلَمَائِهِمْ بَلْ نَبِيٌّ أُمِّيٌّ لَمْ يُعْرَفْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى شَرَحَ الله صَدْرَهُ وَأَبَانَ أَمْرَهُ وَعَلَّمَهُ وَأَقْرَأَهُ، يُعْلَمُ ذَلِكَ بِالْمُطَالَعَةِ وَالْبَحْثِ عَنْ حَالِهِ ضَرُورَةً وَبِالْبُرْهَانِ الْقَاطِعِ عَلَى نُبُوَّتِهِ نَظَراً. فَلاَ تُطَوِّلُ بِسَرْدِ الأَقَاصِيصِ وَآحَادِ الْقَضَايَا، إِذْ مَجْمُوعُهَا مَا لاَ يَأْخُذُهُ حَصْرٌ وَلاَ يُحِيطُ بِهِ حِفْظُ جَامِعٍ، وَبِحَسَبِ عَقْلِهِ كَانَتْ مَعَارِفُهُ ﷺ إِلَى سَائِرِ مَا عَلَّمَهُ الله تَعَالَى وَأَطْلَعَهُ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمِ مَا يَكُونُ وَمَا كَانَ وَعَجَائِبِ قُدْرَتِهِ وَعَظِيمِ مَلَكُوتِهِ قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣] حَارَتِ الْعُقُولُ فِي تَقْدِيرِ فَضْلِهِ عَلَيْهِ وَخَرِسَتِ الأَلْسُنُ دُونَ وَصْفٍ يُحِيطُ بِذَلِكَ أَوْ يَنْتَهِي إِلَيْهِ.

الفصل الثاني عشر: الحلم والعفو

وَأَمَّا الْحِلْمُ وَالاحْتِمَالُ وَالْعَفْوُ مع المَقْدِرَةِ وَالصَّبْرُ عَلَى مَا يَكْرَهُ وَبَيْنَ هَذِهِ الأَلْقَابِ فَرْقٌ فَإِنَّ الْحِلْمَ حَالَةُ تَوَقُّرٍ وَثَبَاتٍ عِنْدَ الأَسْبَابِ الْمُحَرِّكَاتِ، والاحْتِمَالَ حَبْسُ النَّفْسِ عِنْدَ الآلاَمِ وَالْمُؤْذِيَاتِ وَمِثْلُهَا الصَّبْرُ وَمَعَانِيهَا مُتَقَارِبَةٌ، وَأَمَّا العَفو فَهُوَ تَرْكُ الْمُؤَاخَذَةِ وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا أَدَّبَ الله تَعَالَى بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ [الأعراف:١٩٩] الآيَةَ، رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الآيَةِ سَأَلَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَنْ تَأْوِيلِهَا فَقَالَ لَهُ حَتَّى أَسْأَلَ الْعَالِمَ ثُمَّ ذَهَبَ فَأَتَاهُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ الله يَأْمُرُكَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ وَقَالَ لَهُ: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان:١٧] الآيَةَ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥] وَقَالَ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ [النور:٢٢] الآيَةَ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٠] وَلاَ خَفَاءَ بِمَا يُؤْثَرُ مِنْ حِلْمِهِ وَاحْتِمَالِهِ، وَأَنَّ كُلَّ حَلِيمٍ قَدْ عُرِفَتْ مِنْهُ زَلَّةٌ وَحُفِظَتْ عَنْهُ هَفْوَةٌ وَهُوَ ﷺ لاَ يَزِيدُ مَعَ كَثْرَةِ الأَذَى إِلاَّ صَبْراً وَعَلَى إِسْرَافِ الْجَاهِلِ إِلاَّ حِلْماً.

[حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ الله مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ التَّغْلَبِيُّ وغيره قالوا حَدَّثَنَا محمد بن عتاب

---

(١) العبارة: تعني تعبير الرؤيا.

حدثنا أبو بكر بن واقد القاضي وَغَيْرُهُ حَدَّثَنَا أبو عِيسَى حَدَّثَنَا عُبَيْدُ الله حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنِ ٱبْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ][(١)] عَنْ عَائِشَةَ[(٢)] رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: «مَا خُيِّرَ رَسُولَ الله ﷺ فِي أَمْرَيْنِ قَطُّ إلاَّ ٱخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْماً فَإِنْ كَانَ إِثْماً كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا ٱنْتَقَمَ رَسُولُ الله ﷺ لِنَفْسِهِ إلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله تَعَالَى فَيَنْتَقِمُ لله بِهَا»[(٣)] وَرُوِيَ أَنَّ النبيَّ ﷺ لَمَّا كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ وَشُجَّ وَجْهُهُ يَوْمَ أُحُدٍ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ شَقّاً شَدِيداً وَقَالُوا لَوْ دَعَوْتَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّاناً وَلَكِنِّي بُعِثْتُ دَاعِياً وَرَحْمَةً»[(٤)] «اللَّهُمَّ ٱهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ»[(٥)].

وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ[(٦)] رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي بَعْضِ كَلاَمِهِ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله لَقَدْ دَعَا نُوحٌ عَلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:٢٦] وَلَوْ دَعَوْتَ عَلَيْنَا مِثْلَهَا لَهَلَكْنَا مِنْ عِنْدِ آخِرِنَا فَلَقَدْ وُطِىءَ ظَهْرُكَ وَأُدْمِيَ وَجْهُكَ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُكَ فَأَبَيْتَ أَنْ تَقُولَ إلاَّ خَيْراً فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ. قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ الله: ٱنْظُرْ مَا فِي هَذَا الْقَوْلِ مِنْ جِمَاعِ الْفَضْلِ وَدَرَجَاتِ الْإِحْسَانِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ وَكَرَمِ النَّفْسِ وَغَايَةِ الصَّبْرِ وَالْحِلْمِ، إِذْ لَمْ يَقْتَصِرْ ﷺ عَلَى السُّكُوتِ عَنْهُمْ حَتَّى عَفَا عَنْهُمْ ثُمَّ أَشْفَقَ عَلَيْهِمْ وَرَحِمَهُمْ وَدَعَا وَشَفَعَ لَهُمْ فَقَالَ ٱغْفِرْ أَوْ ٱهْدِ، ثُمَّ أَظْهَرَ سَبَبَ الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ بِقَوْلِهِ لِقَوْمِي، ثُمَّ ٱعْتَذَرَ عَنْهُمْ بِجَهْلِهِمْ فَقَالَ فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ، وَلَمَّا قَالَ لَهُ الرَّجُلُ ٱعْدِلْ فَإِنَّ هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ الله: لَمْ يَزِدْهُ فِي جَوَابِهِ أَنْ بَيَّنَ لَهُ مَا جَهِلَهُ وَوَعَظَ نَفْسَهُ وَذَكَّرَهَا بِمَا قَالَ لَهُ فَقَالَ: وَيْحَكَ «فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ»[(٧)] وَنَهَى مَنْ أَرَادَ مِنْ أَصْحَابِهِ قَتْلَهُ، وَلَمَّا

---

(١) [. . .] ساقطة من نسخة دمشق المحققة. (٢) تقدمت ترجمتها.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٦/٥٦٦ كتاب المناقب (٦١) باب صفة النبي ﷺ الحديث رقم ٣٥٦٠. وفي: ١٠/٥٢٤ كتاب الأدب (٧٨) باب قول النبي ﷺ: يسروا ولا تعسروا، (٨٠) الحديث رقم: ٦١٢٦ واللفظ له. والإمام مسلم في الصحيح: ٤/١٨١٣، كتاب الفضائل (٤٣) باب مباعدته ﷺ للآثام (٢٠) الحديث: ٢٣٢٧/٧٧. والحديث متفق عليه. وفيه مزيد على ما هنا ولفظه: وعن عائشة رضي الله عنها. قالت: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرَهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قطُّ ألا أن تنتهك حُرمة الله فينتقم لله بها».

(٤) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح: ٤/٢٠٠٦ ـ ٢٠٠٧. كتاب البر والصلة (٤٥) باب النهي عن لعن الدواب وغيرها (٢٤). رقم الحديث: ٢٥٩٩/٨٧. مع بعض الاختلاف في المتن.

(٥) أخرجه ابن الأثير في جامع الأصول من أحاديث الرسول ٩/٢٢٢. بلفظ مختلف.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح: ٧/١٥٩، والبخاري في الصحيح ٦/٦١٧ ـ ٦١٨ كتاب المناقب (٦١) باب علامات النبوة في الإسلام (٢٥) الحديث قم ٣٦١٠، وفي ١٠/٥٥٢ كتاب الأدب (٧٨) باب ما جاء في قول الرجل ويلك (٩٥) الحديث رقم ٦١٦٣.

تَصَدَّى لَهُ غَوْرَثُ[١] بنُ الْحَارِثِ لِيَفْتِكَ بِهِ وَرَسُولُ الله ﷺ مُنْتَبِذٌ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَحْدَهُ قَائِلاً وَالنَّاسُ قَائِلُونَ فِي غَزَاةٍ فَلَمْ يَنْتَبِهِ رَسُولُ الله ﷺ إلاَّ وَهُوَ قَائِمٌ وَالسَّيْفُ صَلْتاً فِي يَدِهِ فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقَالَ: «اللهُ»؛ فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ: فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟» قَالَ كُنْ خَيْرَ آخِذٍ؛ فَتَرَكَهُ وَعَفَا عَنْهُ؛ فَجَاءَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ.

وَمِنْ عَظِيمِ خَبَرِهِ فِي الْعَفْوِ عَفْوُهُ عَنِ الْيَهُودِيَّةِ[٢] الَّتِي سَمَّتْهُ فِي الشَّاةِ بَعْدَ اعْتِرَافِهَا عَلَى الصَّحِيحِ مِنَ الرِّوَايَةِ؛ وَأَنَّهُ لَمْ يُؤَاخِذْ لَبِيدَ[٣] بْنَ الأَعْظَمِ إِذْ سَحَرَهُ وَقَدْ أُعْلِمَ بِهِ وَأُوحِيَ إِلَيْهِ بِشَرْحِ أَمْرِهِ، وَلاَ عَتَبَ عَلَيْهِ فَضْلاً عَنْ مُعَاقَبَتِهِ وَكَذَلِكَ لَمْ يُؤَاخِذْ عَبْدَ الله[٤] بْنَ أُبَيٍّ وَأَشْبَاهَهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بِعَظِيمِ مَا نُقِلَ عَنْهُمْ فِي جِهَتِهِ قَوْلاً وَفِعْلاً بَلْ قَالَ لِمَنْ أَشَارَ بِقَتْلِ بَعْضِهِمْ «لاَ، لِئَلاَّ يَتَحَدَّثَ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»[٥] وَعَنْ أَنَسٍ[٦] رَضِيَ الله عَنْهُ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَجَبَذَهُ أَعْرَابِيٌّ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً حَتَّى أَثَّرَتْ حَاشِيَةُ الْبُرْدِ فِي صَفْحَةِ عَاتِقِهِ، ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ أَحْمِلْ لِي عَلَى بَعِيرَيَّ هَذَيْنِ مِنْ مَالِ الله الَّذِي عِنْدَكَ فَإِنَّكَ لاَ تَحْمِلُ لِي مِنْ مَالِكَ وَلاَ مِنْ مَالِ أَبِيكَ، فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «الْمَالُ مَالُ الله وَأَنَا عَبْدُهُ، ثُمَّ قَالَ: وَيُقَادُ مِنْكَ يَا أَعْرَابِيُّ مَا فَعَلْتَ بِي»[٧] قَالَ لاَ، قَالَ: «لِمَ؟» قَالَ لأَنَّكَ لاَ تُكَافِىءُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ ثُم أَمَرَ أَنْ يُحْمَلَ لَهُ عَلَى بَعِيرٍ شَعِيرٌ وَعَلَى الآخَرِ تَمْرٌ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ الله عَنْهَا، مَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ مُنْتَصِراً مِنْ مَظْلَمَةٍ ظُلِمَهَا قَطُّ مَا لَمْ تَكُنْ حُرْمَةً مِنْ مَحَارِمِ الله وَمَا ضَرَبَ بِيَدِهِ شَيْئاً قَطُّ إِلاَّ أَنْ

---

(١) أورد القصة ابن هشام في السيرة: ٣/٢١٦ برواية مختلفة عن القاضي عياض وفي بعضهما ولما تصدى له دعثور بدل غورث. والمعترض على النبي ﷺ هو ذو الحويصرة حرقوص بن زهير المنافق قتل يوم النهروان على يد الإمام علي رضي الله عنه.
والقصة أخرجها البخاري في الصحيح ٦/٣٧٦ كتاب الأنبياء (٦٠) باب قول الله تعالى: ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً﴾ [هود: ٥٠]. (٦) الحديث رقم ٣٣٤٤. وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح ٢/٧٤١ كتاب الزكاة (١٢) باب ذكر الخوارج (٤٧) الحديث ١٤٣/١٠٦٤.

(٢) اليهودية هي زينب بنت الحارث بن سلام.

(٣) لبيد بن الأعظم هو رجل من بني زريق وهم بطن من الأنصار، وفي الصحيحين أن لبيداً يهودي وربما منافق، وفي بعض الروايات أسلم.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) أخرجه البخاري ومسلم، والطبراني. وفيه: عرض ولد عبد الله على الرسول ﷺ بقتل أبيه، ومنعه الرسول ﷺ عن ذلك.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) أخرجه الشيخان، وأخرجه البيهقي بلفظ المصنف في الأدب برواية أبي هريرة وأخرجه النسائي في السنن: ٨/ ٣٠، وأبو داود في السنن ٢/١٨٥.

يُجاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَرَبَ خَادِماً وَلاَ امْرَأَةً، وَجِيءَ إِلَيْهِ بِرَجُلٍ فَقِيلَ هَذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَكَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **«لَنْ تُرَاعَ لَنْ تُرَاعَ وَلَوْ أَرَدْتَ ذَلِكَ لَمْ تُسَلَّطْ عَلَيَّ»**[1] وَجَاءَهُ زَيْدُ بْنُ[2] سَعْنَةَ قَبْلَ إِسْلاَمِهِ يَتَقَاضَاهُ دَيْناً عَلَيْهِ فَجَبَذَ ثَوْبَهُ عَنْ مَنْكِبِهِ وَأَخَذَ بِجَامِعِ ثِيَابِهِ وَأَغْلَظَ لَهُ ثُمَّ قَالَ: إِنَّكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مُطْلٌ فَانْتَهَرَهُ عُمَرُ وَشَدَّدَ لَهُ فِي الْقَوْلِ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَتَبَسَّمُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَنَا وَهُوَ كُنَّا إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ أَحْوَجَ يَا عُمَرُ**[3]**: تَأْمُرُنِي بِحُسْنِ الْقَضَاءِ وَتَأْمُرُهُ بِحُسْنِ التَّقَاضِي»**، ثُمَّ قَالَ لَقَدْ بَقِيَ مِنْ أَجَلِهِ ثَلاَثٌ، وَأَمَرَ عُمَرَ يَقْضِيهِ مَالَهُ وَيَزِيدُهُ عِشْرِينَ صَاعاً لِمَا رَوَّعَهُ فَكَانَ سَبَبَ إِسْلاَمِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ مَا بَقِيَ مِنْ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلاَّ وَقَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ إِلاَّ اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبُرْهُمَا: يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلاَ تَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ إِلاَّ حِلْماً، فَاخْتَبَرْتُهُ بِهَذَا فَوَجَدْتُهُ كَمَا وُصِفَ، وَالْحَدِيثُ عَنْ حِلْمِهِ ﷺ وَصَبْرِهِ وَعَفْوِهِ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَأْتِيَ عَلَيْهِ، وَحَسْبُكَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِمَّا فِي الصَّحِيحِ وَالْمُصَنَّفَاتِ الثَّابِتَةِ إِلَى مَا بَلَغَ مُتَوَاتِراً مَبْلَغَ الْيَقِينِ مِنْ صَبْرِهِ عَلَى مُقَاسَاةِ قُرَيْشٍ وَأَذَى الْجَاهِلِيَّةِ وَمُصَابَرَةِ الشَّدَائِدِ الصَّعْبَةِ مَعَهُمْ إِلَى أَنْ أَظْفَرَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَحَكَّمَهُ فِيهِمْ وَهُمْ لاَ يَشُكُّونَ فِي اسْتِئْصَالِ شَأْفَتِهِمْ وَإِبَادَةِ خَضْرَائِهِمْ فَمَا زَادَ عَلَى أَنْ عَفَا وَصَفَحَ، وَقَالَ: **«مَا تَقُولُونَ إِنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟»** قَالُوا خَيْراً، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، فَقَالَ: **«أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾** [يوسف: ٩٢] الآيَةَ. **اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ»**[4] وَقَالَ أَنَسٌ هَبَطَ ثَمَانُونَ رَجُلاً مِنَ التَّنْعِيمِ صَلاَةَ الصُّبْحِ لِيَقْتُلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأُخِذُوا فَأَعْتَقَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [الفتح: ٢٤] الآيَةَ وَقَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ[5] وَقَدْ سِيقَ إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ جَلَبَ إِلَيْهِ الأَحْزَابَ وَقَتَلَ عَمَّهُ وَأَصْحَابَهُ وَمَثَّلَ بِهِمْ فَعَفَا عَنْهُ وَلاَطَفَهُ فِي الْقَوْلِ: **«وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَئِنْ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ؟ فَقَالَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَحْلَمَكَ وَأَوْصَلَكَ وَأَكْرَمَكَ»**[6] وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبْعَدَ النَّاسِ غَضَباً وَأَسْرَعَهُمْ رِضاً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند.
وأخرجه الطبراني بسند صحيح ولم يسم الرجل الذي جيء به إلى رسول الله ﷺ.

(٢) زيد بن سعنة وهو حبر من أحبار اليهود، وقال بعضهم صحابي من أحبار اليهود الذين اعتنقوا الإسلام وكان من أغنيائهم مالاً وعلماً أسلم وحسن إسلامه وشهد المشاهد توفي بعد غزوة تبوك سنة ٩ هـ.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) أورد الخطبة صاحب المنتخب من أدب العرب: ٤/ ١٥٤ طبعة وزارة المعارف العمومية. سنة ١٩٥٣. دار الكتاب العربي بمصر. والطلقاء جمع طليق: الأسير يطلق ويخلى سبيله، وقال عليه الصلاة والسلام هذا في فتح مكة سنة ٨ هـ. تراجع القصة في سيرة ابن هشام ٤/ ٣٢.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) الحديث في سيرة ابن هشام: ٤/ ٢٢ وهو طويل.

الفصل الثالث عشر: الجود والكرم

وَأَمَّا الْجُودُ وَالْكَرَمُ وَالسَّخَاءُ وَالسَّمَاحَةُ وَمَعَانِيهَا مُتَقَارِبَةٌ وَقَدْ فَرَّقَ بَعْضُهُمْ بَيْنَهَا بِفُرُوقٍ فَجَعَلُوا الْكَرَمَ الإِنْفَاقَ بِطِيبِ النَّفْسِ فِيمَا يَعْظُمُ خَطَرُهُ وَنَفْعُهُ وَسَمَّوْهُ أَيْضاً جُرْأَةً وَهُوَ ضِدُّ النَّذَالَةِ، وَالسَّمَاحَةُ التَّجَافِي عَمَّا يَسْتَحِقُّهُ الْمَرْءُ عِنْدَ غَيْرِهِ بِطِيبِ نَفْسٍ، وَهُوَ ضِدُّ الشَّكَاسَةِ، وَالسَّخَاءِ سُهُولَةُ الإِنْفَاقِ وَتَجَنُّبُ اكْتِسَابِ مَا لاَ يُحْمَدُ وَهُوَ الْجُودُ وَهُوَ ضِدُّ التَّقْتِيرِ، فَكَانَ ﷺ لاَ يُوَازَى فِي هَذِهِ الأَخْلاَقِ الْكَرِيمَةِ وَلاَ يُبَارَى بِهَذَا، وَصَفَهُ كُلُّ مَنْ عَرَفَهُ.

[حَدَّثَنَا الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ الصَّدَفِيُّ رَحِمَهُ الله حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِي حَدَّثَنَا أَبُو الْهَيْثَمِ الْكُشْمِيهَنِيُّ وَأَبُو مُحَمَّدٍ السَّرْخَسِيُّ وَأَبُو إِسْحَاقَ الْبَلْخِيُّ قَالُوا حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الله الْفِرَبْرِيُّ حَدَّثَنَا الْبُخَارِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ][1] عَنِ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله يَقُولُ: مَا سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ لاَ. وَعَنْ أَنَسٍ[2] رَضِيَ الله عَنْهُ وَسَهْلِ ابْنِ[3] سَعْدٍ رَضِيَ الله عَنْهُ مِثْلِهِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ[4] رَضِيَ الله عَنْهُمَا: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَأَجْوَدَ مَا كَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَكَانَ إِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ.

وَعَنْ أَنَسٍ[5]: أَنَّ رَجُلاً سَأَلَهُ فَأَعْطَاهُ غَنَماً بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّداً يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لاَ يَخْشَى فَاقَةً، وَأَعْطَى غَيْرَ وَاحِدٍ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ، وَأَعْطَى صَفْوَانَ[6] مِائَةً ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً، وَهَذِهِ كَانَتْ خُلُقَهُ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ وَقَدْ قَالَ لَهُ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ[7]: إِنَّكَ تَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَرَدَّ عَلَى هَوَازِنَ سَبَايَاهَا وَكَانَتْ سِتَّةَ آلاَفٍ وَأَعْطَى الْعَبَّاسَ مِنَ الذَّهَبِ، مَا لَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ وَحُمِلَ إِلَيْهِ تِسْعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَوُضِعَتْ عَلَى حَصِيرٍ ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا فَقَسَمَهَا فَمَا رَدَّ سَائِلاً حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: «مَا عِنْدِي شَيْءٌ وَلَكِنِ ابْتَعْ عَلَيَّ

---

(١) [....] ساقطة من نسخة دمشق المحققة، والحديث أخرجه الإمام البخاري.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة الجمحي القرشي كنيته أبو وهب وقيل أبو أمية عداده في أهل مكة توفي سنة ٧٢ هـ في خلافة معاوية. ترجمته.

(٧) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى من أعقل أهل عصره وأعلمهم بالشعر والبلاغة اعتنق اليهودية ثم النصرانية وترهب وآمن بنبوته ﷺ، ولكنه لم يدرك زمان الرسالة، وذهب بعضهم إلى أنه صحابي، رآه النبي ﷺ في الجنة.

فَإِذَا جَاءَنَا شَيْءٌ قَضَيْنَاهُ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ مَا كَلَّفَكَ اللهُ مَا لاَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْفِقْ وَلاَ تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلاَلاً فَتَبَسَّمَ ﷺ وَعُرِفَ الْبِشْرُ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ: «بِهَذَا أُمِرْتُ». ذَكَرَهُ التِّرْمِذِي. وَذُكِرَ عَنْ مُعَوِّذِ[1] بْنِ عَفْرَاءَ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِقِنَاعٍ مِنْ رُطَبٍ يُرِيدُ طَبَقاً وَأَجْرِ زُغْبٍ يُرِيدُ قِثَّاءً فَأَعْطَانِي مِلْءَ كَفِّهِ حُلِيّاً وَذَهَباً؛ قَالَ أَنَسٌ[2]: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لاَ يَدَّخِرُ شَيْئاً لِغَدٍ.

وَالْخَبَرُ بِجُودِهِ ﷺ يَسْأَلُهُ فَاسْتَلَفَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ نِصْفَ وَسْقٍ فَجَاءَ الرَّجُلُ يَتَقَاضَاهُ فَأَعْطَاهُ وَسْقاً وَقَالَ: «نِصْفُهُ قَضَاءٌ وَنِصْفُهُ نَائِلٌ»[3].

الفصل الرابع عشر: الشجاعة والنجدة

وَأَمَّا الشَّجَاعَةُ وَالنَّجْدَةُ: فَالشَّجَاعَةُ فَضِيلَةُ قُوَّةِ الْغَضَبِ وَانْقِيَادِهَا لِلْعَقْلِ.

وَالنَّجْدَةُ ثِقَةُ النَّفْسِ عِنْدَ اسْتِرْسَالِهَا إِلَى الْمَوْتِ حَيْثُ يُحْمَدُ فِعْلُهَا دُونَ خَوْفٍ، وَكَانَ ﷺ مِنْهُمَا بِالْمَكَانِ الذِي لاَ يُجْهَلُ قَدْ حَضَرَ الْمَوَاقِفَ الصَّعْبَةَ وَفَرَّ الْكُمَاةُ وَالأَبْطَالُ عَنْهُ غَيْرَ مَرَّةٍ وَهُوَ ثَابِتٌ لاَ يَبْرَحُ وَمُقْبِلٌ لاَ يُدْبِرُ وَلاَ يَتَزَحْزَحُ، وَمَا شُجَاعٌ إِلاَّ وَقَدْ أُحْصِيَتْ لَهُ فَرَّةٌ وَحُفِظَتْ عَنْهُ جَوْلَةٌ سِوَاهُ.

[حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْجَيَانِيُّ فِيمَا كَتَبَ لِي حَدَّثَنَا الْقَاضِي سِرَاجٌ حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الأَصِيلِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ الْفَقِيهُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ][4] عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ سَمِعَ الْبَرَاءَ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ: أَفَرَرْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ[5]، ثُمَّ قَالَ لَقَدْ رَأَيْتُهُ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وَأَبُو سُفْيَانَ[6] آخِذٌ بِلِجَامِهَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ»[7]. وَزَادَ غَيْرُهُ: «أَنَا ابْنُ عَبْدِ

---

(١) تقدمت ترجمته. (٢) تقدمت ترجمته.

(٣) هذا الحديث رواه أبو هريرة ولم يعرف له مخرج عند أئمة الحديث وائمة التفسير. إلا أن عياض أخرجه في الضعفاء ١/ ٢٣٤، ومناهل الصفاء: ١٩.

(٤) (. . . .) ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٥) أخرج هذا الحديث الإمام البخاري في الجهاد، والإمام مسلم في المغازي والإمام النسائي في السير.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) أخرجه البخاري في الصحيح: ٤/ ٣٧، ٥٢، ٨١، ١٩٥، ٢٢٤. ٥/ ١٩٥. وابن الجارود في المنتقى: ١٠٦٦، والإمام أحمد في المسند: ١/ ٢٦٤، ٤/ ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٩، ٣٠٤، والدارمي في السنن: ١/ ١٦٦ والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ١٥٥ وابن عساكر في تاريخ دمشق ١/ ٢٨٩. . .

المُطَّلِبُ»[١]، قِيلَ فَمَا رُئِيَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْهُ، وَقَالَ غَيْرُهُ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ بَغْلَتِهِ، وَذَكَرَ مُسْلِمٌ عَنِ العَبَّاسِ[٢] قَالَ فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ نَحوَ الْكُفَّارِ وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِهَا أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لاَ تُسْرِعَ وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِهِ ثُمَّ نَادَى يَا لِلْمُسْلِمِينَ الْحَدِيثَ.

وَقِيلَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا غَضِبَ. وَلاَ يَغْضَبُ إِلاَّ للهِ ـ لَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ؛ وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ[٣] مَا رَأَيْتُ أَشْجَعَ وَلاَ أَنْجَدَ وَلاَ أَجْوَدَ وَلاَ أَرْضَى مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ وَقَالَ عَلِيٌّ[٤] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِنَّا كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ. وَيُرْوَى اشْتَدَّ الْبَأْسُ وَاحْمَرَّتِ الْحَدَقُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ وَلَقَدْ رَأَيْتَنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْساً وَقِيلَ كَانَ الشُّجَاعُ هُوَ الذِي يَقْرُبُ مِنْهُ ﷺ إِذَا دَنَا الْعَدُوُّ وَلِقُرْبِهِ مِنْهُ؛ وَعَنْ أَنَسٍ[٥]: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ النَّاسِ، لَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَاجِعاً قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَقَدِ اسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ عَلَى فَرَسٍ لأَبِي[٦] طَلْحَةَ عُرْيٍ وَالسَّيْفُ فِي عُنُقِهِ وَهُوَ يَقُولُ: لَنْ تُرَاعُوا، وَقَالَ عِمْرَانُ[٧] بْنُ حُصَيْنٍ مَا لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَتِيبَةً إِلاَّ كَانَ أَوَّلَ مَنْ يَضْرِبُ وَلَمَّا رَآهُ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ[٨] يَوْمَ أُحُدٍ وَهُوَ يَقُولُ أَيْنَ مُحَمَّدٌ. لاَ نَجَوْتُ إِنْ نَجَا وَقَدْ كَانَ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ ﷺ حِينَ افْتَدَى يَوْمَ بَدْرٍ عِنْدِي فَرَسٌ أَعْلِفُهَا كُلَّ يَوْمٍ فَرَقاً مِنْ ذُرَةٍ أَقْتُلُكَ عَلَيْهَا فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ اللهُ»**، فَلَمَّا رَآهُ يَوْمَ أُحُدٍ شَدَّ أُبَيٌّ عَلَى فَرَسِهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاعْتَرَضَهُ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«هَكَذَا»** أَيْ خَلُّوا طَرِيقَهُ وَتَنَاوَلَ الْحَرْبَةَ مِنَ الْحَارِثِ[٩] بْنِ الصِّمَّةِ

---

(١) تقدمت ترجمته.
(٢) تقدمت ترجمته.
(٣) تقدمت ترجمته.
(٤) تقدمت ترجمته.
(٥) هذا الحديث أخرجه الشيخان.
(٦) زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو، ويكنى أبا طلحة الأنصاري شهداً بدراً توفي سنة ٣٤ هـ. ترجمته: في الثقات ٣/١٣٧، والطبقات ٣/٣٧٦. والإصابة ١/٥٦٦.
(٧) عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي الأنصاري، يكنى أبا عبيد، أسلم عام خيبر ٧ هـ وشهد عدة غزوات، وهو صاحب راية خزاعة، ومن فقهاء الصحابة وفضلائهم توفي سنة ٥٢ هـ ترجمته في أسد الغابة ٤/ ٢٨١، والإصابة ٣/ ٢٧ وتذكرة الحفاظ ١/٢٩، وخلاصة تذهيب الكمال للخزرجي: ٢٥٠ وشذرات الذهب: ١/ ٥٨ والعبر ١/ ٥٧ والنجوم الزاهرة ١/١٤٣.
(٨) أبي بن خلف اشتهر بالأذان للرسول ﷺ. في مكة وهو الذي استشار عقبة بن أبي معيط حتى بصق في وجه النبي ﷺ فنزل قوله: و﴿يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧]. الآية.
(٩) الحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك ذكره ابن إسحاق في البدريين من بني عامر وهو ابن أخت أبي بن كعب قتل في غزوة بئر معونة. ترجمته. في الثقات ٣/ ٨٤ والطبقات ٣/٥٠٨، والإصابة ١/ ٢٨١.

فَانْتَفَض بِهَا انْتِفَاضَةً تَطَايَرُوا عَنْهُ تَطَايُرَ الشُّعَرَاءِ عَنْ ظَهْرِ الْبَعِيرِ إِذَا انْتَفَضَ ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَطَعَنَهُ فِي عُنُقِهِ طَعْنَةً تَدَأْدَأَ مِنْهَا عَنْ فَرَسِهِ مِرَاراً وَقِيلَ بَلْ كَسَرَ ضِلْعاً مِنْ أَضْلاَعِهِ فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ يَقُولُ قَتَلَنِي مُحَمَّدٌ وَهُمْ يَقُولُونَ لاَ بَأْسَ عَلَيْكَ فَقَالَ لَوْ كَانَ مَا بِي بِجَمِيعِ النَّاسِ لَقَتَلَهُمْ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ أَنَا أَقْتُلُكَ وَاللهِ لَوْ بَصَقَ عَلَيَّ لَقَتَلَنِي فَمَاتَ بِسَرِفٍ فِي قُفُولِهِم إِلَى مَكَّةَ.

الفصل الخامس عشر: الحياء والإغضاء

وَأَمَّا الْحَيَاءُ وَالإِغْضَاءُ: فَالْحَيَاءُ رِقَّةٌ تَعْتَرِي وَجْهَ الإِنْسَانِ عِنْدَ فِعْلِ مَا يُتَوَقَّعُ كَرَاهِيَتُهُ أَوْ مَا يَكُونُ تَرْكُهُ خَيْراً مِنْ فِعْلِهِ، وَالإِغْضَاءُ: التَّغَافُلُ عَمَّا يَكْرَهُ الإِنْسَانُ بِطَبِيعَتِهِ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً وَأَكْثَرَهُمْ عَنِ الْعَوْرَاتِ إِغْضَاءً قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] الآيَةَ.

[حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ عَتَّابٍ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ حَاتِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْقَابِسِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ الْمَرْوَزِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا عَبْدَانُ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ مَوْلَى أَنَسٍ يُحَدِّثُ][(١)] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ[(٢)] الْخُدْرِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا؛ وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئاً عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ وَكَانَ ﷺ لَطِيفَ الْبَشَرَةِ رَقِيقَ الظَّاهِرِ لاَ يُشَافِهُ أَحَداً بِمَا يَكْرَهُهُ حَيَاءً وَكَرَمَ نَفْسٍ، وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا بَلَغَهُ عَنْ أَحَدٍ مَا يَكْرَهُهُ لَمْ يَقُلْ مَا بَالُ فُلاَنٍ يَقُولُ كَذَا وَلَكِنْ يَقُولُ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَصْنَعُونَ أَوْ يَقُولُونَ كَذَا، يَنْهَى عَنْهُ وَلاَ يُسَمِّي فَاعِلَهُ.

وَرَوَى أَنَسٌ[(*)] أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ بِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ فَلَمْ يَقُلْ لَهُ شَيْئاً وَكَانَ لاَ يُوَاجِهُ أَحَداً بِمَا

---

(١) [.....] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٢) أبو سعيد الخدري سعد بن مالك الأنصاري الخزرجي المدني كان من علماء الصحابة وممن شهد بيعة الشجرة. من المكثرين في رواية الحديث، أفتى مدة توفي سنة ٧٤ هـ ترجمته: في أسد الغابة لابن الأثير: ٦/ ١٤٢، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١/ ١٨٠ وتذكرة الحفاظ للذهبي: ١/ ٤٤ وخلاصة تذهيب الكمال للخزرجي: ١١٥ وشذرات الذهب لابن العماد ١/ ٨١، وطبقات الشيرازي: ٥١ والعبر: ١/ ٨٤ والنجوم الزاهرة: ١/ ١٩٢...

(*) أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الأنصاري المدني خادم الرسول ﷺ عشر سنين وله صحبة طويلة وحديث كثير توفي سنة ٩٣ هـ.

ترجمته: في أسد الغابة ١/ ٨٤، وتذكرة الحفاظ ١/ ٤٤، وخلاصة تذهيب الكمال: ٥٣ وشذرات الذهب: ١/ ١٠٠ وطبقات الشرازي: ٥١ وطبقات القراء لابن الجوزي: ١/ ١٧٢، والعبر: ١/ ١٠٧.

وحديث أنس أخرجه أبو داود في السنن.

يَكْرَهُ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ: لَوْ قُلْتُمْ لَهُ يَغْسِلُ هَذَا: وَيُرْوَى يَنْزِعُهَا: قَالَتْ عَائِشَةُ[١] رَضِيَ الله عَنْهَا فِي الصَّحِيحِ: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَحَّاشاً وَلاَ مُتَفَحِّشاً وَلاَ سَخَّاباً فِي الْأَسْوَاقِ وَلاَ يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَقَدْ حُكِيَ مِثْلُ هَذَا الْكَلاَمِ عَنِ التَّوْرَاةِ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ سَلاَمٍ وَعَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو[٢] بْنِ الْعَاصِ، وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ مِنْ حَيَائِهِ لاَ يُثْبِتُ بَصَرَهُ فِي وَجْهِ أَحَدٍ وَأَنَّهُ كَانَ يُكَنِّي عَمَّا اضْطَرَّهُ الْكَلاَمُ إِلَيْهِ مِمَّا يَكْرَهُ، وَعَنْ عَائِشَةَ[٣] رَضِيَ الله عَنْهَا: مَا رَأَيْتُ فَرْجَ رَسُولِ الله ﷺ قَطُّ.

الفصل السادس عشر: حسن عشرته ﷺ

وَأَمَّا حُسْنُ عِشْرَتِهِ وَأَدَبِهِ، وَبَسْطُ خُلُقِهِ ﷺ مَعَ أَصْنَافِ الْخَلْقِ فَبِحَيْثُ انْتَشَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ قَالَ عَلِيٌّ[٤] رَضِيَ الله عَنْهُ: فِي وَصْفِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: كَانَ أَوْسَعَ النَّاسِ صَدْراً وَأَصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً وَأَلْيَنَهُمْ عَرِيكَةً وَأَكْرَمَهُمْ عِشْرَةً.

[حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُشَرَّفٍ الْأَنْمَاطِيُّ فِيمَا أَجَازَنِيهِ وَقَرَأْتُهُ عَلَى غَيْرِهِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْحَبَّالُ حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدُ بْنُ النَّحَّاسِ حَدَّثَنَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ مَرْوَانَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالاَ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ أَبِي كَثِيرٍ يَقُولُ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ أَسْعَدَ بْنُ زُرَارَةَ][٥] عَنْ قَيْسٍ[٦] بْنِ سَعْدٍ قَالَ

---

(١) عائشة بنت أبي بكر الصديق. زوجة النبي ﷺ. وأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق كنيتها أم عبد الله توفيت سنة ٥٧ هـ في ولاية معاوية وهي بنت ١٨ سنة. ترجمتها في الثقات ٣/٣٢٣ والطبقات، ٢/٣٧٤، ٨/٥٨، والإصابة ٤/٣٥٩، حلية الأولياء: ٢/٢٤...

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) حديث عائشة أخرجه الإمام الترمذي في الشمائل المحمدية.

(٤) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أبو الحسن الهاشمي قاضي الأمة نهض بأعباء العلم، والعمل استشهد في ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ عن سن ٦٠ سنة. ترجمته: في أسد الغابة ٤/٩١ والإصابة: ٢/١٠٥ وتاريخ بغداد ١/١٣٣ وتاريخ الخلفاء: ١٦٦ وتذكرة الحفاظ: ١/١٠ وخلاصة تذهيب الكمال: ٢٣٢، وشذرات الذهب: ١/٤٩ وطبقات ابن سعد: ج٣/ق١/١١ وطبقات الشيرازي: ٤١ وطبقات القراء لابن الجزري: ١/٥٤٦ وطبقات القراء للذهبي: ١/٣٠ والعبر: ١/٤٦ ومروج الذهب ٢/٣٥٨، والنجوم الزاهرة: ١/١١٩...

وحديث علي رضي الله عنه أخرجه الإمام الترمذي في الشمائل.

(٥) [.....] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٦) قيس بن سعد بن عبادة كنيته أبو عبد الله الخزرجي، كان صاحب الشرطة للنبي ﷺ، كان جواداً سيداً في قومه، يعد من ذوي الرأي والدهاء توفي بالمدينة في نهاية خلافة معاوية رضي الله عنه «ترجمته» في الثقات: ٣/٣٣٩، والإصابة ٣/٢٤٩، والطبقات: ٦/٥٢.

زَارَنَا رَسُولُ الله ﷺ وَذَكَرَ قِصَّةً فِي آخِرِهَا فَلَمَّا أَرَادَ الانْصِرَافَ قَرَّبَ لَهُ سَعْدٌ[١] حِمَاراً وَطَّأَ عَلَيْهِ بِقَطِيفَةٍ فَرَكِبَ رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ قَالَ سَعْدٌ يَا قَيْسُ[٢] : اَصْحَبْ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ قَيْسٌ فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ : «ارْكَبْ» فَأَبَيْتُ فَقَالَ: «إِمَّا أَنْ تَرْكَبَ وَإِمَّا أَنْ تَنْصَرِفَ» فَانْصَرَفْتُ، وَهِي رِوَايَةٌ أُخْرَى: «ارْكَبْ أَمَامِي فَصَاحِبُ الدَّابَّةِ أَوْلَى بِمُقَدَّمِهَا»؛ وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُؤَلِّفُهُمْ وَلاَ يُنَفِّرُهُمْ وَيُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ وَيُوَلِّيهِ عَلَيْهِمْ وَيَحْذَرُ النَّاسَ وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُطْوَى عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ بِشْرَهُ وَلاَ خُلُقَهُ، يَتَعَهَّدُ أَصْحَابَهُ وَيُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ نَصِيبَهُ، لاَ يَحْسَبُ جَلِيسُهُ أَنَّ أَحَداً أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ، مَنْ جَالَسَهُ أَوْ قَارَبَهُ لِحَاجَةٍ صَابَرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفُ عَنْهُ وَمَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إِلاَّ بِهَا أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ قَدْ وَسِعَ النَّاسَ بَسْطُهُ وَخُلُقُه فَصَارَ لَهُمْ أَباً وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، بِهَذَا وَصَفَهُ ابْنُ أَبِي هَالَةَ، قَالَ وَكَانَ دَائِمَ الْبِشْرِ سَهْلَ الْخُلُقِ لَيِّنَ الْجَانِبِ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ وَلاَ سَخَّابٍ وَلاَ فَحَّاشٍ، وَلاَ عَيَّابٍ وَلاَ مَدَّاحٍ يَتَغَافَلُ عَمَّا لاَ يَشْتَهِي وَلاَ يُؤْيِسُ مِنْهُ، وَقَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِىَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت:٣٣] الآيَةَ: وَكَانَ يُجِيبُ مَنْ دَعَاهُ وَيَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَوْ كَانَتْ كُرَاعاً وَيُكَافِىءُ عَلَيْهَا[٣].

قَالَ أَنَسٌ[٤] رَضِيَ الله عَنْهُ: خَدَمْتُ رَسُولَ الله ﷺ عَشَرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ وَمَا

---

(١) سعد بن أبي وقاص، أبو إسحاق الزهري أول من رمى بسهم في سبيل الله روى عنه بنوه عامر ومحمد ومصعب وخلق كثير أسلم وهو ابن ١٧ سنة. كان مجاب الدعوة له مناقب كثيرة وجهاد عظيم وفتوحات جمة ووقع في نفس المؤمنين. اعتزل الفتنة ولم يقاتل مع علي توفي سنة ٥٥ هـ.
ترجمته: في أسد الغابة: ٢/٣٦٦ والإصابة: ٢/ ٣٠ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ٢٠٥ وتذكرة الحفاظ: ١/ ٢٢ وخلاصة تذهيب الكمال ١١٥ وشذرات الذهب: ١/ ٦١ وطبقات ابن سعد ج٣ ق١/٩٧ وطبقات القراء لابن الجوزي ١/ ٣٠٤ والعبر ١/ ٦٠ وفتوح البلدان للبلاذري ٣١٣ ـ ٣٢٩. والنجوم الزاهرة ١/ ١٤٧ ونكت الهميان ١٥٥...

(٢) قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن أسد أبو القاسم، وقيل أبو عبد الله خدم النبي ﷺ من وقت قدومه المدينة إلى أن قبض، كان صاحب الشرطة للنبي ﷺ، وكان من أهل الرأي والدهاء توفي بالمدينة سنة ٨٥ هـ أيام خلافة عبد الملك بن مروان. ترجمته: في الثقات ٣/٣٣٩، والطبقات ٦/ ٥٢ والإصابة: ٣/ ٢٤٩. وقصة قيس أخرجها أبو داود في السنن كتاب الأدب والنسائي في اليوم والليلة.

(٣) أخرجه ابن سعد مرسلاً. وأخرجه الإمام البخاري في الصحيح ١٠/ ٤٠٨ في الأدب باب الكبر. مع اختلاف في اللفظ.

(٤) تقدمت ترجمته آنفاً.

وحديث أنس أخرجه الشيخان: البخاري في الصحيح: ١٠/ ٤٥٦ كتاب الأدب (٧٨) باب حسن الخلق والسخاء (٣٩) الحديث رقم ٦٠٣٨. واللفظ له. ومسلم في الصحيح ٤/ ١٨٠٤، كتاب الفضائل (٤٣) باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً (١٣) الحديث ٥١/ ٢٣٠٩.

قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَهُ وَلاَ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ؟ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مَا كَانَ أَحَدٌ أَحْسَنَ خُلُقاً مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا دَعَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَلاَ أَهْلِ بَيْتِهِ إِلاَّ قَالَ لَبَّيْكَ؛ وَقَالَ جَرِيرُ[1] بْنُ عَبْدِ اللهِ: مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ قَطُّ مُنْذُ أَسْلَمْتُ وَلاَ رَآنِي إِلاَّ تَبَسَّمَ. وَكَانَ يُمَازِحُ أَصْحَابَهُ وَيُخَالِطُهُمْ وَيُحَادِثُهُمْ وَيُدَاعِبُ صِبْيَانَهُمْ وَيُجْلِسُهُمْ فِي حِجْرِهِ وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْحُرِّ وَالْعَبْدِ وَالأَمَةِ وَالْمِسْكِينِ وَيَعُودُ الْمَرْضَى فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ وَيَقْبَلُ عُذْرَ الْمُعْتَذِرِ، قَالَ أَنَسٌ[2]: مَا الْتَقَمَ أَحَدٌ أُذُنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيُنَحِّي رَأْسَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يُنَحِّي رَأْسَهُ وَمَا أَخَذَ أَحَدٌ بِيَدِهِ فَيُرْسِلُ يَدَهُ حَتَّى يُرْسِلَهَا الآخِذُ وَلَمْ يُرَ مُقَدِّماً رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ وَكَانَ يَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلاَمِ وَيَبْدَأُ أَصْحَابَهُ بِالْمُصَافَحَةِ لَمْ يُرَ قَطُّ مَادّاً رِجْلَيْهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ حَتَّى يُضَيِّقَ بِهِمَا عَلَى أَحَدٍ، يُكْرِمُ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ وَرُبَّمَا بَسَطَ لَهُ ثَوْبَهُ وَيُؤْثِرُهُ بِالْوِسَادَةِ الَّتِي تَحْتَهُ وَيَعْزِمُ عَلَيْهِ فِي الْجُلُوسِ عَلَيْهَا إِنْ أَبَى وَيُكَنِّي أَصْحَابَهُ وَيَدْعُوهُمْ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِمْ تَكْرِمَةً لَهُمْ وَلاَ يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَتَجَوَّزَ فَيَقْطَعَهُ بِنَهْيٍ أَوْ قِيَامٍ، وَيُرْوَى بِانْتِهَاءٍ أَوْ قِيَامٍ، وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ لاَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ أَحَدٌ وَهُوَ يُصَلِّي إِلاَّ خَفَّفَ صَلاَتَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ فَإِذَا فَرَغَ عَادَ إِلَى صَلاَتِهِ، وَكَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ تَبَسُّماً وَأَطْيَبَهُمْ نَفْساً مَا لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ قُرْآنٌ أَوْ يَعِظْ أَوْ يَخْطُبْ؛ وَقَالَ عَبْدُ اللهِ[3] بْنُ الْحَارِثِ: رَأَيْتُ أَحَداً أَكْثَرَ تَبَسُّماً مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ وَعَنْ أَنَسٍ كَانَ خَدَمُ الْمَدِينَةِ يَأْتُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ بِآنِيَتِهِمْ فِيهَا الْمَاءُ فَمَا يُؤْتَى بِآنِيَةٍ إِلاَّ غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي الْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ يُرِيدُونَ بِهِ التَّبَرُّكَ.

---

(١) جرير بن عبد الله البجلي أبو عمر وفد إلى الرسول ﷺ في السنة العاشرة من رمضان فقال عنه: يطلع عليكم رجل من اليمن به مسحة ملك فقيل إن النبي ﷺ ألقى إليه رداءه وقال: «أتاكم كريم قوم فأكرموه» كان جميلاً حتى قال عنه عمر رضي الله عنه أنه يوسف هذه الأمة، واعتزل الفتنة وكان له الأثر العظيم في معركة القادسية، سكن الكوفة وتوفي سنة ٥١ هـ.

ترجمته: في الثقات: ٣/ ٥٤. والطبقات: ٦/ ٢٢. والإصابة: ١/ ٢٣٢. وحديثه أخرجه الشيخان: «ما حجبني رسول الله ﷺ قط منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم». تاريخ الصحابة: ٥٩، ٦٠. والبخاري في الصحيح: ١٠/ ٥٠٤ كتاب الأدب ٧٨ باب التبسم والضحك (٦٨) الحديث ٦٠٩٢. ومسلم في الصحيح ٤/ ١٩٢٥ كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب من فضائل جرير في عبد الله رضي الله عنه (٢٩) الحديث ١٣٤/ ٢٤٧٥.

(٢) تقدمت ترجمته آنفاً.

وحديث أنس أخرجه أبو داود والترمذي والبيهقي عنه. وأخرجه البزار عن أبي هريرة.

(٣) عبد الله بن الحارث الزبيدي بن أخي محمية بن جزء سكن مصر وحديثه عن أهلها آخر من مات من الصحابة بمصر سنة ٨٥ هـ. ترجمته: في الثقات ٣/ ٢٣٩ والطبقات: ٧/ ٤٩٧. والإصابة ٢/ ٢٩١. وحلية الأولياء: ٢/ ٦... وحديثه أخرجه أحمد في المسند: ٤/ ١٩٠، وأخرجه الترمذي في السنن. ٥/ ٦٠١ كتاب المناقب (٥٠) باب في بشاشة النبي ﷺ (١٠) الحديث ٣٦٤٢ واللفظ لهما.

الفصل السابع عشر: الشفقة والرأفة

وَأَمَّا الشَّفَقَةُ وَالرَّأْفَةُ وَالرَّحْمَةُ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ فَقَدْ قَالَ الله تَعَالَى فِيهِ ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٣٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] قَالَ بَعْضُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﷺ أَنَّ الله تَعَالَى أَعْطَاهُ اسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ فَقَالَ ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨,] وَحَكَى نَحْوَهُ الإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ[١] بْنُ فَوْرَك [حَدَّثَنَا الْفَقِيهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُشَنِيُّ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ حَدَّثَنَا إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ أَبُو عَلِيٍّ الطَّبَرِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْغَافِرِ الْفَارِسِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْجَلُودِيُّ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُفْيَانَ حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ حَدَّثَنَا أَبُو الطَّاهِرِ أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَنْبَأَنَا يُونُسُ][٢] عَنِ ابْنِ[٣] شِهَابٍ قَالَ: غَزَا رَسُولُ الله ﷺ غَزْوَةً وَذَكَرَ حُنَيْناً قَالَ فَأَعْطَى رَسُولُ الله ﷺ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةً مِنَ النَّعَمِ ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ: وَالله لَقَدْ أَعْطَانِي مَا أَعْطَانِي وَإِنَّهُ لأَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَيَّ فَمَا زَالَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ، وَرُوِيَ[٤] أَنَّ أَعْرَابِيّاً جَاءَهُ يَطْلُبُ مِنْهُ شَيْئاً فَأَعْطَاهُ ثُمَّ قَالَ أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ، قَالَ الأَعْرَابِي لاَ وَلاَ أَجْمَلْتَ، فَغَضِبَ الْمُسْلِمُونَ وَقَامُوا إِلَيْهِ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنْ كَفُّوا ثُمَّ قَامَ وَدَخَلَ مَنْزِلَهُ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ﷺ وَزَادَهُ شَيْئاً ثُمَّ قَالَ: **«أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ»**، قَالَ: نَعَمْ فَجَزَاكَ الله مِنْ أَهْلٍ وَعِشِيرَةٍ خَيْراً، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّكَ قُلْتَ مَا قُلْتَ وَفِي نَفْسِ أَصْحَابِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَقُلْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَا قُلْتَ بَيْنَ يَدَيَّ حَتَّى يَذْهَبَ مَا فِي صُدُورِهِمْ عَلَيْكَ»**، قَالَ نَعَمْ. فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَوِ الْعَشِيُّ جَاءَ فَقَالَ ﷺ: **«إِنَّ هَذَا الأَعْرَابِيَّ قَالَ مَا قَالَ فَزِدْنَاهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ رَضِيَ أَكَذَلِكَ؟»** قَالَ: نَعَمْ فَجَزَاكَ الله مِنْ أَهْلٍ وَعِشِيرَةٍ خَيْراً. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَثَلِي وَمَثَلُ هَذَا مَثَلُ رَجُلٍ لَهُ نَاقَةٌ شَرَدَتْ عَلَيْهِ فَاتَّبَعَهَا النَّاسُ فَلَمْ يَزِيدُوهَا إِلاَّ نُفُوراً فَنَادَاهُمْ صَاحِبُهَا خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ نَاقَتِي فَإِنِّي أَرْفَقُ بِهَا مِنْكُمْ وَأَعْلَمُ فَتَوَجَّهَ لَهَا بَيْنَ يَدَيْهَا فَأَخَذَ لَهَا**

---

(١) أبو بكر بن فورك: هو محمد بن الحسن الأصبهاني، الإمام الجليل، والبحر الذي لا يجارى، نحواً، ولغة، وفقهاً، وصولاً، وكلامات مع اشتهاره بالورع والزهد وقد امتحن في الدين، وجرت له مناظرات أدت إلى عزله، ومات مسموماً شهيداً أثناء الطريق لما عاد من غزنة سنة ٤٠٦ هـ، ونقل جثمانه إلى نيسابور وبها دفن، وقبره يزار ويستجاب عنده الدعاء وهو شافعي المذهب، قال عنه التلمساني: انتهى إلى أن يكلمه الملك في اليقظة...

(٢) [.....] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٣) ابن شهاب هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري الفقيه المحدث من أعلام التابعين شاهد عدداً من الصحابة. كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى الآفاق عليكم بابن شهاب فإنه أعلم بالسنة الماضية توفي رحمه الله سنة ١٢٤ هـ.

(٤) وأخرج حديث الأعرابي. البزار برواية أبي هريرة وابن حبان وغيره وسنده ضعيف.

مِنْ قُمَامِ الأَرْضِ فَرَدَّهَا حَتَّى جَاءَتْ وَٱسْتَنَاخَتْ وَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا وَٱسْتَوَى عَلَيْهَا وَإِنِّي لَوْ تَرَكْتُكُمْ حَيْثُ قَالَ الرَّجُلُ مَا قَالَ فَقَتَلْتُمُوهُ دَخَلَ النَّارَ».

وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: لاَ يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئاً فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ[1].

وَمِنْ شَفَقَتِهِ عَلَى أُمَّتِهِ ﷺ تَخْفِيفُهُ وَتَسْهِيلُهُ عَلَيْهِمْ. وَكَرَاهَتُهُ أَشْيَاءَ مَخَافَةَ أَنْ تُفرَضَ عَلَيْهِمْ كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مع كُلِّ وُضُوءٍ». وَخَبَرُ[2] صَلاَةِ اللَّيْلِ وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْوِصَالِ؛ وَكَرَاهَتِهِ دُخُولُ الْكَعْبَةِ لِئَلاَّ تَتَعَنَّتَ أُمَّتُهُ؛ وَرَغْبَتُهُ لِرَبِّهِ أَنْ يَجْعَلَ سَبَّهُ وَلَعْنَهُ لَهُمْ رَحْمَةً بِهِمْ؛ وَأَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَيَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِهِ.

وَمِنْ شَفَقَتِهِ ﷺ أَنْ دَعَا رَبَّهُ وَعَاهَدَهُ فَقَالَ: أَيُّمَا[3] رَجُلٍ سَبَبْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ فَٱجْعَلْ ذٰلِكَ لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً وَصَلاَةً وَطَهُوراً وَقُرْبَةً فَقَرِّبْهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَمَّا كَذَّبَهُ قَوْمُهُ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ أَمَرَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَاهُ مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ مُرْنِي بِمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو[4] أَنْ يُخرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ وَلاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً». وَرَوَى ٱبْنُ الْمُنْكَدِرِ[5] أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ١/٣٩٦. وأخرجه أبو داود في السنن: ٥/ ١٨٣ كتاب الأدب (٣٥) باب رفع الحديث (٣٣) الحديث رقم ٤٨٦٠، وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٧١٠ كتاب المناقب (٥٠) باب فضل أزواج النبي ﷺ (٦٤) الحديث رقم: ٣٨٩٦ واللفظ: لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً فإني أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر». وهي رواية مختلفة عن جميع نسخ الشفاء.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٢/ ٣٧٤ كتاب الجمعة (١١) باب السواك يوم الجمعة (٨) الحديث رقم: ٨٨٧، وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح: ١/ ٢٢٠ كتاب الطهارة (٢) باب السواك (١٥) الحديث: ٤٢/ ٢٥٢، وأخرجه أبو داود في السنن: ١/ ٤٠ كتاب الطهارة (١) باب السواك (٢٥) الحديث رقم: ٤٦ وأخرجه النسائي في السنن: ١/ ٢٦٦ - ٢٦٧ كتاب المواقيت (٦) باب ما يستحب من تأخير العشاء (٢٠) وهذا لفظه.

(٣) أخرجه الإمام البخاري: ١١/ ١٤٧ في الدعوات باب قول النبي ﷺ: «من أذيته فاجعله زكاة ورحمة»، وأخرجه الإمام مسلم تحت رقم: ٢٦٠١ في البر والصلة باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه. وقد جاء هذا الحديث من طرق مختلفة اللفظ مع اتفاق في المعنى.

(٤) أخرجه أصحاب الكتب الستة في الحديث.

(٥) ابن المنكدر هو: محمد بن المنكدر بن عبد الله التيمي الإمام الحافظ المحدث روى عن أبيه وعن أم المؤمنين عائشة وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهم وأخرجه أئمة الحديث الستة.
أن الحديث الذي أخرجه مرسل، وله حكم الموصول بما سبقه من الحديث السابق الذكر الذي أخرجه البخاري ومسلم.

السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ أَنْ تُطِيعَكَ فَقَالَ: «**أُؤَخِّرُ عَنْ أُمَّتِي لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ**»؛ قَالَتْ عَائِشَةُ[١] رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «مَا خُيِّرَ[٢] رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا» قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ[٣] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا؛ وَعَنْ عَائِشَةَ[٤]: أَنَّهَا رَكِبَتْ بَعِيراً وَفِيهِ صُعُوبَةٌ فَجَعَلَتْ تُرَدِّدُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ**»[٥].

الفصل الثامن عشر: الوفاء وحسن العهد

وَأَمَّا خُلُقُهُ ﷺ فِي الْوَفَاءِ وَحُسْنِ الْعَهْدِ وَصِلَةِ الرَّحِيمِ [فَحَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَامِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْحَبَّالُ حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ النَّحَاسِ حَدَّثَنَا ابْنُ الأَعْرَابِي حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ عَنْ بُدَيْلٍ عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ عَنْ أَبِيهِ][٦] عَنْ عَبْدِ[٧] اللهِ عَنْ أَبِي الْحَمْسَاءِ قَالَ بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِبَيْعٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ فَنَسِيتُ ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلاَثٍ فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ فَقَالَ: «**يَا فَتَى لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ أَنَا هَهُنَا مُنْذُ ثَلاَثٍ أَنْتَظِرُكَ**».

وَعَنْ أَنَسٍ[٨] كَانَ النَّبِيُّ ﷺ: إِذَا أُتِيَ[٩] بِهَدِيَّةٍ قَالَ: «**اذْهَبُوا بِهَا إِلَى بَيْتِ فُلاَنَةَ فَإِنَّهَا كَانَتْ صَدِيقَةً لِخَدِيجَةَ إِنَّهَا كَانَتْ تُحِبُّ خَدِيجَةَ**». وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ

---

(١) تقدمت ترجمتها.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) عبد الله بن مسعود بن الحارث.. يكنى أبا عبد الرحمن سكن الكوفة ومات بالمدينة سنة ٣٢ هـ وأوصى أن يدفن بجنب قبر عثمان بن مظغون، فدفن في البقيع وصلى عليه الزبير بن العوام.
ترجمته: في الثقات: ٣/ ٢٠٨، والطبقات: ٢/ ٣٤٢، ٣/ ١٥٠، ٦/ ١٣. والإصابة: ٢/ ٣٦٨. وفيه عبد الله بن مسعود بن غافل، والحلية ١/ ١٢٤.

(٤) تقدمت ترجمتها آنفاً.

(٥) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح تحت رقم: ٢٥٩٣ في البر والصلة باب فضل الرفق وأخرجه أبو داود في السنن تحت عدد: ٢٤٧٨ في الجهاد باب ما جاء في الهجرة رقم: ٤٨٠٨، في الأدب باب في الرفق.

(٦) [.....] ساقطة من النسخة المحققة/ دمشق وزادت الفاء: فعن.

(٧) عبد الله بن أبي الحمساء العامري الصحابي له صحبة عداده في أهل البصرة، وقيل فيه إنه ابن أبي الجدعاء التميمي، ويقال له الكناني الذي ذكره الإمام البخاري في الصحابة: ترجمته: في الثقات ٣/ ٢٣٩، والطبقات: ٧/ ٥٩ والإصابة: ٢/ ٢٩٨.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

مَا غِرْت عَلى خَدِيجَةَ لِمَا كُنت أَسْمَعُهُ يَذْكُرها، وإن كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيُهْدِيهَا إِلَى حَلائِلِهَا وَٱسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ أُخْتها فَٱرْتَاحَ إِلَيْهَا، وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ ٱمْرَأَةٌ فَهَشَّ لَهَا وَأَحْسَنَ السُّؤَالَ عَنْهَا فَلَمَّا خَرَجَتْ قَالَ: **«إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الإِيمَانِ»**[١]، وَوَصَفَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ كَانَ يَصِلُ ذَوِي رَحِم مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤْثِرَهُمْ عَلَى مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ. وَقَالَ ﷺ: **«إِنَّ آلَ بَنِي فُلانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاء: غَيْرَ أَنَّ لَهُمْ رَحِماً سَأَبُلُّهَا بِبِلالِهَا»**[٢].

وَقَدْ صَلَّى عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: بِأُمَامَةَ[٣] ٱبْنَةِ ٱبْنَتِهِ زَيْنَبَ يَحْمِلُهَا عَلَى عَاتِقِهِ فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا وَإِذَا قَامَ حَمَلَها؛ وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ (وَفَد)[٤] وَفْدٌ لِلنَّجَاشِي فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْدُمُهُمْ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ نَكْفِيكَ فَقَالَ: **«إِنَّهُمْ كَانُوا لأَصْحَابِنَا مُكْرَمِينَ وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أُكَافِئَهُمْ»**[٥].

وَلَمَّا جِيءَ بِأُخْتِهِ مِنَ الرَّضَاعَةِ الشَّيْمَاءِ فِي سَبَايَا هَوَازِنَ وَتَعَرَّفَتْ لَهُ بَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ وَقَالَ لَهَا: **«إِنْ أَحْبَبْتِ أَقَمْتِ عِنْدِي مُكَرَّمَةً مُحَبَّبَةً أَوْ مَتَّعْتُكِ وَرَجَعْتِ إِلَى قَوْمِكِ»**: فَٱخْتَارَتْ قَوْمَهَا فَمَتَّعَهَا، وَقَالَ أَبُو الطُّفَيْلِ[٦] رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا غُلامٌ إِذْ أَقْبَلَتِ ٱمْرَأَةٌ حَتَّى دَنَتْ مِنْهُ فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ فَقُلْتُ مَنْ هَذِهِ قَالُوا أُمُّهُ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ[٧]. وَعَنْ عَمْرِو[٨] بْنِ السَّائِبِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ جَالِساً يَوْماً فَأَقْبَلَ أَبُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ فَوَضَعَ لَهُ بَعْضَ ثَوْبِهِ فَقَعَدَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَقْبَلَتْ

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك من رواية عائشة رضي الله عنها مرفوعاً.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ١٠/ ٤١٩ كتاب الأدب (٧٨) باب تُبلُّ الرحم ببلالها (١٤) الحديث رقم ٥٩٩٠. وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح ١/ ١٩٧ كتاب الإيمان (١) باب موالاة المؤمنين (٩٣) الحديث: ٣٦٦/ ٢١٥. متفق عليه. إلا أن البخاري زاد في رواية الجزء الأخير من الحديث.

(٣) أمامة هي بنت أبي العاص بن الربيع وكان عليه الصلاة والسلام يحبها وتزوجها الإمام علي كرم الله وجهه بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها، ثم تزوجها بعده المغيرة بن نوفل فتوفت عنده... والحديث الذي ورد فيها، أخرجه الشيخان: البخاري، ومسلم، وهي ابنة ابنته زينب رضي الله عنها.

(٤) [.....] جاء. في نسخة دمشق المحققة، وفي بقية النسخ (وَفَدَ).

(٥) هذا الحديث أخرجه البيهقي وحده عن أبي قتادة. الذي هو الحارث بن ربعي الصحابي الأنصاري، فارس رسول الله ﷺ. روى أحاديثه الإمام أحمد وأصحاب السنن. مات سنة ٥٤ هـ. ترجمته: في الثقات ٣/ ٧٣، والطبقات ٦/ ١٥، والإصابة: ١/ ٢٧٨، ٤/ ١٥٨...

(٦) أبو الطفيل هو عامر بن واثلة الكناني له صحبة من ذوي الرأي والرواية والشعر ولد في بداية الهجرة. وهو آخر من توفي من الصحابة سنة ١١٠ هـ وقيل سنة ١٠٧ هـ ودفن بمكة.
ترجمته: في الثقات ٣/ ٢٩١ والطبقات ٥/ ٤٥٧، ٦/ ٦٤ والإصابة: ٢/ ٢٦١، ٤/ ١١٣.

(٧) أخرج هذا الحديث ابن إسحاق والبيهقي.

(٨) عمرو بن السائب من خير التابعين ثقة روى أحاديثه عن أسامة بن زيد رضي الله عنه كما روى عن جماعة من الصحابة رضوان الله عنهم. وأخرج أحاديثه أبو داود في سننه.

أُمُّهُ فَوَضَعَ لَهَا شِقَّ ثَوْبِهِ مِنْ جَانِبِهِ الآخَرِ فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ أَخُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ فَقَامَ ﷺ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ(١). وَكَانَ يَبْعَثُ إِلَى ثُوَيْبَةَ مَوْلاَةِ أَبِي لَهَبٍ(٢) مُرْضِعَتِهِ بِصِلَةٍ وَكِسْوَةٍ، فَلَمَّا مَاتَتْ سَأَلَ: مَنْ بَقِيَ مِنْ قَرَابَتِهَا؟ فَقِيلَ لاَ أَحَدَ(٣). وَفِي حَدِيثِ خَدِيجَةَ(٤) رَضِيَ الله عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لَهُ ﷺ: أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لاَ يُحْزِنُكَ الله أَبَداً إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ.

الفصل التاسع عشر: تواضعه ﷺ

وَأَمَّا تَوَاضُعُهُ ﷺ عَلَى عُلُوِّ مَنْصِبِهِ وَرِفْعَةِ وَتْبَتِهِ فَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ تَوَاضُعاً وَأَعْدَمَهُمْ كِبْراً، وَحَسْبُكَ أَنَّهُ خُيِّرَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيّاً مَلِكاً أَوْ نَبِيّاً عَبْداً فَاخْتَارَ أَنْ يَكُونَ نَبِيّاً عَبْداً، فَقَالَ لَهُ إِسْرَافِيلُ عِنْدَ ذَلِكَ: فَإِنَّ الله قَدْ أَعْطَاكَ بِمَا تَوَاضَعْتَ لَهُ: أَنَّكَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الأَرْضُ عَنْهُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ(٥).

[حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ الْعَوَّادِ الْفَقِيهُ رَحِمَهُ الله بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ فِي مَنْزِلِهِ بِقُرْطُبَةَ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِمِائَةٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَافِظُ حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ حَدَّثَنَا ابْنُ دَاسَةَ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ نُمَيْرٍ عَنْ مِسْعَرٍ عَنْ أَبِي الْعَنْبَسِ عَنْ أَبِي الْعَدَبَّسِ عَنْ أَبِي مَرْزُوقٍ عَنْ أَبِي غَالِبٍ](٦) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ(٧) رَضِيَ الله عَنْهُ؛ قَالَ خَرَجَ

---

(١) أخرج هذا الحديث أبو داود في السنن مرسلاً.

(٢) أبو لهب عم النبي ﷺ، هو عبد العزى وكني بذلك لتوقد سحنته ذكره القرآن الكريم في سورة المسد وكنى عنه بهذه الإشارة إلى أنه جهنمي توفي بعد غزوة بدر الكبرى سنة ٢ هـ.

(٣) أخرج الحديث ابن سعد عن الواقدي عن جماعة من أهل الفضل والعلم.

(٤) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى الزوجة الأولى للنبي ﷺ وهي التي حملت معه الكثير من مشاق الدعوة إلى إعلاء كلمة الله وهي أول من أسلم من النساء وقاست من أجل الإسلام الآلام توفت رضي الله عنها بعد حصار المسلمين في شعب بني هاشم قبل الهجرة وبعد موت أبي طالب بثلاثة أيام، وأولاد الرسول ﷺ منها كلهم إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية. ترجمتها: في الثقات: ٣/ ١١٤ والطبقات ٨/ ١٤، ٥٢، والإصابة: ٤/ ٢٨١...

أخرج لها هذا الحديث: أبشر.. الشيخان: البخاري، ومسلم.

(٥) أخرج هذا الحديث أبو نعيم في الحلية برواية أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) [....] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٧) أبو أمامة هو الباهلي والسهمي، صدي بن عجلان بن وهب بن عمرو بن عامر. أبو أمامة الباهلي توفي سنة ٨٦ هـ وكان من شيعة علي يوم صفين.

أخرج أحاديثه الأئمة الستة في الحديث وهو آخر ما بقي من الصحابة بحمص.

ترجمته: الثقات ٣/ ١٩٥، والطبقات ٧/ ٤١١. والإصابة: ٢/ ١٨٢.

عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ مُتَوَكِئاً عَلَى عَصا فَقُمْنَا لَهُ فَقَالَ: **«لاَ تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الأَعَاجِمُ يُعَظِّمُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً»**(١) وَقَالَ: **«إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ العَبْدُ وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ»**(٢) وَكَانَ ﷺ يَرْكَبُ الْحِمَارَ وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ وَيَعُودُ الْمَسَاكِينَ وَيُجَالِسُ الْفُقَرَاءَ وَيجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ وَيَجْلِسُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ مُخْتَلِطاً بِهِمْ حَيْثَمَا أَنْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ جَلَسَ.

وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ عَنْهُ ﷺ **«لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ»**(٣) وَعَنْ أَنَسٍ(٤) رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ جَاءَتْهُ فَقَالَتْ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً. قَالَ: اجْلِسِي يَا أُمَّ فُلاَنٍ فِي أَيِّ طُرُقِ الْمَدِينَةِ شِئْتِ أَجْلِسُ إِلَيْكِ حَتَّى أَقْضِي حَاجَتَكِ، قَالَ فَجَلَسَتْ فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهَا حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا(٥).

قَالَ أَنَسٌ(٦): كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَرْكَبُ الْحِمَارَ وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ وَكَانَ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ عَلَى حِمَارٍ مَخْطُومٍ بِحَبْلٍ مِنْ لِيفٍ عَلَيْهِ إِكَافٌ. قَالَ: وَكَانَ يُدْعَى إِلَى خُبْزِ الشَّعِيرِ، وَالإِهَالَةِ السَّنِخَةِ فَيُجِيبُ.

قَالَ: وَحَجَّ ﷺ على رَحْلٍ رَثٍّ وَعَلَيْهِ قَطِيفَةٌ مَا تُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ فَقَالَ: **«اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجّاً مَبْرُوراً لاَ رِيَاءَ فِيهِ وَلاَ سُمْعَةَ»**(٧) هَذَا وَقَدْ فُتِحَتْ عَلَيْهِ الأَرْضُ وَأَهْدَى فِي حَجِّهِ ذَلِكَ مِائَةَ بَدَنَةٍ وَلَمَّا فُتِحَتْ عَلَيْهِ مَكَّةُ وَدَخَلَهَا بِجُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ طَأْطَأَ عَلَى رَحْلِهِ رَأْسَهُ حَتَّى كَادَ يَمَسُّ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٥/ ٢٣٥، وأبو داود في السنن: ٥/ ٣٩٧. الحديث رقم ٥٢٣٠، وابن ماجه في السنن: ٢/ ١٢٦١ كتاب الدعاء (٣٤) باب دعاء رسول الله ﷺ (٢) الحديث رقم ٣٨٣٦. بزيادة بعده وقال المنذري في مختصر سنن أبي داود: ٨/ ٩٣ ـ ٩٤.

(٢) أخرجه الهيثمي في إتحاف السادة المتقين: ٨/ ٤٠٦. والسيوطي في الدر المنثور: ٤/ ١١٥. والمتقي المنذي في كنز العمال تحت رقم: ٤٠٧٩١.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح ٦/ ٣٤٧٨ كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب قول الله ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ (٤٨) الحديث رقم ٣٤٤٥. وأخرجه مطولاً في ١٢/ ١٤٤ ـ ١٤٥. كتاب الحدود (٨٦) باب رجم الحبلى من الزنى (٣١) الحديث رقم ٦٨٣٠. وذكره. ٥/ ١٠٩ كتاب المظالم (٤٦) باب ما جاء في الشقائق (١٩) الحديث رقم ٢٤٦٢ وفي ٧/ ٢٦٤ في كتاب مناقب الأنصار (٦٣) باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة (٤٦) الحديث رقم: ٣٩٢٨... وهو من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو بهذا اللفظ جزء من حديث طويل يسمى حديث السقيفة أخرجه الستة.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) أخرج هذا الحديث الإمام مسلم.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه: ٢٨٣٦ والبيهقي في السنن الكبرى: ٥/ ١٢٩ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٤/ ٣٥٠، والسيوطي في الدرالمنثور ١/ ٢٣٤.

قَادِمَتَهُ تَوَاضُعاً لله تَعَالَى[١].

وَمِنْ تَواضُعِهِ ﷺ قَوْلُهُ: «لاَ تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ - ابْنِ مَتَّى - وَلاَ تُفَضِّلُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ وَلاَ تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، وَلَوْ لَبِثْتُ مَا لَبِثَ يُوسُفُ فِي السِّجْنِ لأَجَبْتُ الدَّاعِي»[٢] وَقَالَ لِلذِي قَالَ لَهُ: يَا خَيْرَ البَرِيَّةِ: «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ»[٣].

وَسَيَأْتِي الكَلاَمُ عَلَى هَذِهِ الأَحَادِيثِ بَعْدَ هَذَا إِنْ شَاءَ الله تعالَى.

وَعَنْ عَائِشَةَ[٤] وَالْحَسَنِ[٥] وَأَبِي سَعِيدٍ[٦] وَغَيْرِهِمْ فِي صِفَتِهِ وَبَعْضِهِمْ يَزِيدُ عَلَى بَعْضٍ.

كَانَ فِي بَيْتِهِ فِي مَهْنَةِ أَهْلِهِ يَفْلِي ثَوْبَهُ وَيَحْلِبُ شَاتَهُ وَيَرْفَعُ ثَوْبَهُ وَيَرْقَعُ ثَوْبَهُ وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَخْدِمُ نَفْسَهُ وَيَقُمُّ البَيْتَ وَيَعْقِلُ البَعِيرَ وَيَعْلِفُ نَاضِحَهُ وَيَأْكُلُ مَعَ الخَادِمِ وَيَعْجِنُ مَعَهَا وَيَحْمِلُ بِضَاعَتَهُ مِنَ السُّوقِ.

وَعَنْ أَنَسٍ[٧] رَضِيَ الله عَنْهُ إِنْ كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ لِتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ الله ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ حَتَّى تَقْضِيَ حَاجَتَهَا. وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَأَصَابَتْهُ مِنْ هَيْبَتِهِ رِعْدَةٌ فَقَالَ لَهُ: «هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَأْكُلُ القَدِيدَ»[٨] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ:

---

(١) أخرجه ابن إسحاق، والإمام البيهقي برواية عائشة رضي الله عنها. وأخرجه أبو يعلى والحاكم والبيهقي في رواية أخرى. عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح ٦/ ٤٥٠ ـ ٤٥١، كتاب الأنبياء (٦٠) باب قول الله تعالى ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾ [الصافات:٣٧ ـ ١٣٩]، الحديث رقم: ٣٤١٤ و٣٤١٥. والحديث طويل وأتى بطرق مختلفة.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح ٢٠١٦/٤ كتاب الفضائل (٤٣) باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ (٤١) الحديث رقم (٢٣٦٩/١٥٠).

(٤) تقدمت ترجمتها.

(٥) الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب كان أشبه الناس برسول الله ﷺ وهو ابن ابنته فاطمة رضي الله عنها، كنيته أبو محمد توفي مسموماً وأوصى أخاه بِدَفْنِهِ كانت وفاته سنة ٥١ هـ في خلافة معاوية وهو ابن ٤٦ سنة.

ترجمته: في الثقات: ٦٧/٣، والإصابة ٤٢٨/١ والحلية: ٣٥/٢.

(٦) تقدمت ترجمته. أخرج حديث هؤلاء البخاري.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٦٦/٢، ٣٨/٣ والبيهقي في دلائل النبوة ٦٩/٥، والسيوطي في الدر المنثور: ١١١/٦.

دَخَلْتُ السُّوقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَاشْتَرَى سَرَاوِيلَ وَقَالَ لِلْوَزَّانِ: «زِنْ وَأَرْجِحْ»[1] وَذَكَرَ الْقِصَّةَ، قَالَ: فَوَثَبَ إِلَى يَدِ النَّبِيِّ ﷺ يُقَبِّلُهَا فَجَذَبَ يَدَهُ وَقَالَ: «هَذَا تَفْعَلُهُ الأَعَاجِمُ بِمُلُوكِهَا وَلَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ»[2] ثُمَّ أَخَذَ السَّرَاوِيلَ فَذَهَبْتُ لأَحْمِلَهُ فَقَالَ: «صَاحِبُ الشَّيْءِ أَحَقُّ بِشَيْئِهِ أَنْ يَحْمِلَهُ»[3].

الفصل العشرون: عدله وأمانته ﷺ

وَأَمَّا عَدْلُهُ ﷺ وَأَمَانَتُهُ وَعِفَّتُهُ وَصِدْقُ لَهْجَتِهِ، فَكَانَ ﷺ آمَنَ النَّاسِ وَأَعْدَلَ النَّاسِ وَأَعَفَّ النَّاسِ وَأَصْدَقَهُمْ لَهْجَةً مُنْذُ كَانَ اعْتَرَفَ لَهُ بِذَلِكَ مُحَادُّوهُ وَعِدَاهُ وَكَانَ يُسَمَّى قَبْلَ نُبُوَّتِهِ: الأَمِينَ؛ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ كَانَ يُسَمَّى الأَمِينَ بِمَا جَمَعَ اللهُ فِيهِ مِنَ الأَخْلاَقِ الصَّالِحَةِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:٢١] أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّهُ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ وَلَمَّا اخْتَلَفَتْ قُرَيْشٌ وَتَحَازَبَتْ عِنْدَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ فِيمَنْ يَضَعُ الْحَجَرَ حَكَّمُوا أَوَّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ فَإِذَا بِالنَّبِيِّ ﷺ دَاخِلٌ وَذَلِكَ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ فَقَالُوا: هَذَا مُحَمَّدٌ؟ هَذَا الأَمِينُ قَدْ رَضِينَا بِهِ. وَعَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ: كَانَ يُتَحَاكَمُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الإِسْلاَمِ.

وَقَالَ ﷺ: «وَاللهِ إِنِّي لأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ فِي الأَرْضِ»[4] [حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الصَّدَفِيُّ الحَافِظُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ بْنُ خَيْرُونٍ. حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى بْنُ زَوْجِ الْحُرَّةِ حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ السِّنْجِيُّ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَحْبُوبٍ الْمَرْوَزِيُّ. حَدَّثَنَا أَبُو عِيسَى الْحَافِظُ. حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ نَاجِيَةَ بْنِ كَعْبٍ][5] عَنْ عَلِيٍّ[6] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ أَبَا جَهْلٍ[7] قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّا لاَ نُكَذِّبُكَ وَلَكِنْ نُكَذِّبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ؛ فَأَنْزَلَ

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن تحت رقم: ٣٣٣٦ في البيوع باب في الرجحان في الوزن والوزن بالأجر، والترمذي في السنن تحت رقم: ١٣٠٥ في البيوع باب ما جاء في الرجحان في الوزن، والنسائي في السنن ٧/ ٥٨٤ في البيوع باب الرجحان في الوزن من حديث سفيان عن سماك بن حرب قال: حدثني سويد بن قيس. . . الحديث وقال الترمذي: هذا حديث صحيح وهو كما قال. . .

(٢) أخرجه السيوطي في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفاء: ٢٣. وفي الشفا تحقيق دمشق: ١/ ٢٦٧.

(٣) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥/ ١٢٢، والقاضي عياض في الشفا ١/ ٢٦٧ طبع دمشق. والزبيدي في أتحاف السادة المتقين. ٦/ ٣٧١ والسيوطي في الحاوي للفتاوى: ١/ ٥٧٠ والمتقي الهندي في كنز العمال تحت رقم ٥٧٢٦. والعجلوني في كشف الخفا: ٢/ ٢٥.

(٤) أخرجه المتقي الهندي تحت رقم: ١٥٧٥٥ وعبد الرزاق في المصنف تحت رقم: ١٤٠٩١.

(٥) [. . . .] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) أخرجه ابن سعد.

الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ [الأنعام:٣٣] الآية. وروى غيره: لا نُكذِّبُكَ وَما أنتَ فينا بِمُكَذَّبٍ».

وقيل إنَّ الأخنس[1] بن شريق لقي أبا جهل[2] يوم بدر فقال له: يا أبا الحكم ليس هُنا غيري وغيرك يسمع كلامنا، تُخبرني عن محمَّد صادق هو أم كاذب؟ فقال أبو جهل: والله إنَّ محمَّداً الصَّادقُ وما كذب محمَّدٌ قطُّ. وسأل[3] هرقل عنه أبا سفيان[4] فقال: هل كنتم[5] تتّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا. وقال النضر[6] بن الحارث لقريش: قد كان محمَّد فيكم غلاماً. حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشَّيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر، لا والله ما هو بساحر[7].

وفي الحديث عنه: ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك[8] رقها.

وفي حديث علي[9] في وصفه ﷺ: أصدق الناس لهجة، وقال في الصحيح: «ويحك فمن يعدل إن لم أعدل؟ خِبتُ وخسرتُ إن لم أعدل»[10] قالت عائشة[11] رضي الله عنها: ما

---

(١) الأخنس بن شريف هو أبي بن شريق بن عمرو الثقفي لقب بالأخنس لأنه رجع بيني زهرة يوم بدر، ثم أسلم، فكان من المؤلفة وشهد حنيناً، وتوفي أول الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) أبو جهل أكبر أعداء الإسلام وأكبر المؤذين للرسول ﷺ ولرسالته كان قتله يوم بدر الكبرى ٢ هـ على يد معوذ ومعاذ ابني عفراء من الأنصار.

(٣) هرقل اسم اثنين من أباطرة بيزنطة. عرف عهد الأول (٦١٠ ـ ٦٤١م) حروباً كثيرة وفي عهده بدأ الفتح الإسلامي فخسر سوريا وفلسطين ومصر وبلاد ما بين النهرين..

(٤) أبو سفيان فخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أسلم يوم الفتح ٨ هـ. وشهد مع الرسول ﷺ حنيناً وأعطاه من غنائم غزوتها، وكان أبو سفيان شيخ مكة ورئيسها ورئيس قريش، بعد أبي جهل توفي سنة ٣١ هـ ودفن بالبقيع. ترجمته: في الثقات ٣/١٩٣، والطبقات ٢/٥٨، والإصابة ٢/١٧٨، ١٥٩.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: ١١/٢٦٥. وأخرجه الشيخان والقصة طويلة ومفصلة في أول صحيح البخاري.

(٦) النضر بن الحارث كان شديد الإذاية للرسول والمسلمين وقع يوم بدر في الأسر فأمر النبي ﷺ علياً كرم الله وجهه بقتله فقتله بالصفراء بعد المعركة.

(٧) أخرجه الخبر ابن إسحاق والبيهقي في دلائل النبوة برواية ابن عباس رضي الله عنهما.

(٨) أخرجه البخاري في تفسير سورة الممتحنة: ١٠/٢٦١، وفي الطلاق باب إذا أسلمت المشركة أو النصرانية تحت الذمي أو الحربي: ١١/٣٤٥ وفي الأحكام باب بيعة النساء ١٦/٣٣٠، ومسلم في الصحيح تحت رقم ١٨٦٦ في الإمارة باب بيعته النساء وأبو داود في السنن تحت عدد: ٢٩٤١ في الخراج باب ما جاء في البيعة.

(٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) أخرجه البغوي في شرح السنة ١٠/٢٢٤. ومسلم في الصحيح ٧/١٥٩...

(١١) تقدمت ترجمتها.

خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَمْرَيْنِ إِلاَّ اَخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْماً. فَإِنْ كَا إِثْماً كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ[١] مِنْهُ «قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ[٢] الْمُبَرِّدُ: قَسَّمَ كِسْرَى[٣] أَيَّامَهُ فَقَالَ يَصْلُحُ يَوْمَ الرِّيحِ لِلنَّوْمِ وَيَوْمِ الْغَيْمِ لِلصَّيْدِ، وَيَوْمَ الْمَطَرِ لِلشُّرْبِ وَاللَّهْوِ، وَيَوْمَ الشَّمْسِ لِلْحَوَائِجِ. . .».

قَالَ اَبْنُ خَالَوَيْهِ[٤] مَا كَانَ أَعْرَفَهُمْ بِسِيَاسَةِ دُنْيَاهُمْ ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:٧] وَلَكِنْ نَبِيُّنَا ﷺ جَزَّأَ نَهَارَهُ ثَلاَثَةَ أَجْزَاءٍ: جُزْءاً للهِ وَجُزْءاً لِأَهْلِهِ وَجُزْءاً لِنَفْسِهِ، ثُمَّ جَزَّأَ جُزْأَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ فَكَانَ يَسْتَعِينُ بِالْخَاصَّةِ عَلَى الْعَامَّةِ وَيَقُولُ: **«أَبْلِغُوا حَاجَةَ مَنْ لاَ يَسْتَطِيعُ إِبْلاَغِي فَإِنَّهُ مَنْ أَبْلَغَ حَاجَةَ مَنْ لاَ يَسْتَطِيعُ إِبْلاَغَهَا أَمَنَهُ اللهُ يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ»**[٥] وَعَنِ الْحَسَنِ[٦]: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لاَ يَأْخُذُ أَحَداً بِقَرْفِ أَحَدٍ وَلاَ يُصَدِّقُ أَحَداً عَلَى أَحَدٍ، وَذَكَرَ أَبُو جَعْفَرٍ[٧] الطَّبَرِيُّ عَنْ عَلِيٍّ[٨] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْمَلُونَ بِهِ غَيْرَ مَرَّتَيْنِ كُلُّ ذَلِكَ يَحُولُ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُرِيدُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بِسُوءٍ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللهُ بِرِسَالَتِهِ، قُلْتُ لَيْلَةً لِغُلاَمٍ كَانَ يَرْعَى مَعِي: لَوْ أَبْصَرْتَ لِي غَنَمِي حَتَّى أَدْخُلَ مَكَّةَ فَأَسْمُرَ بِهَا كَمَا يَسْمُرُ الشَّبَابُ، فَخَرَجْتُ لِذَلِكَ حَتَّى جِئْتُ أَوَّلَ دَارٍ مِنْ مَكَّةَ سَمِعْتُ عَزْفاً بِالدُّفُوفِ[٩] وَالْمَزَامِيرِ لِعُرْسِ بَعْضِهِمْ فَجَلَسْتُ أَنْظُرُ، فَضُرِبَ عَلَى أُذُنِي فَنِمْتُ فَمَا**

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ٦/ ١٩ في الأنبياء باب صفة النبي ﷺ وفي الأدب باب قول النبي ﷺ، وفي الحدود باب إقامة والانتقام لحرمات الله، ومسلم في الصحيح تحت رقم ٢٣٢٧. في الفضائل باب مباعدته ﷺ، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٣ في حسن الخلق باب ما جاء في حسن الخلق، وأبو داود في السنن تحت: ٢٧٨٥ في الأدب باب في التجاوز في الأمر. وتمامه: «وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم».

(٢) أبو العباس المبرد. هو محمد بن يزيد بن عبد الله شيخ النحاة وأهل العربية بمدرسة البصرة أخذ عن أبي عمرو الجرمي والمازني ترك تصانيف كثيرة أشهرها الكامل في الأدب وأكبرها جحماً المقتضب. توفي سنة ٢٨٥ هـ. بعد ٧٠ سنة من العمل.

(٣) كسرى ملك الفرس وكسرى اسم يطلق على كل ملوك الأكاسرة.

(٤) ابن خلويه هو محمد بن خلويه إمام النحو واللغة، رحل إلى بغداد ثم انتقل إلى بلاد الشام أخذ اللغة والنحو عن ابن الأنباري، والسيرافي وتصدر للتدريس في أيامه وله تصانيف جليلة وشعر جيد توفي بحلب سنة ٣٧٠ هـ.

(٥) أخرجه الآجري في الشريعة ٤٧٣. والسيوطي في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا لعياض: ٢٣ والعلجوني في كشف الخفاء: ١/ ٣٠.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) أبو جعفر الطبري هو محمد بن جرير أبو جعفر الطبري من أعلام العرب وفقهائهم له التصانيف الكثيرة المشهورة ينتسب إلى طربسان اشتهر بالرحلات العلمية والعبادة، ولد سنة ٢٢٤ هـ وتوفي سنة ٣١٠ هـ.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) أخرجه ابن راهويه في المسند، والبيهقي في دلائل النبوة برواية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأخرجه =

أيقظني إلاَّ مَسُّ الشَّمْسِ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئاً، ثُمَّ عَرَانِي مَرَّةً أُخْرَى مِثْلُ ذَلِكَ ثم لَمْ أَهِمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِسُوءٍ».

الفصل الحادي والعشرون: الوقار والمروءة

وَأَمَّا وَقَارُهُ ﷺ وَصَمْتُهُ وَتُؤَدَتُهُ وَمُرُوءَتُهُ وَحُسْنُ هَدْيِهِ [فَحَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْجَيَانِيُّ الْحَافِظُ إِجَازَةً وَعَارَضْتُ بِكِتَابِهِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الدُّلاَئِي أَخْبَرَنَا أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الله الْوَرَّاقُ. حَدَّثَنَا اللُّؤْلُؤِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَلاَّمٍ. حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ ابْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزِّنَادِ][1] عَنْ عُمَرَ[2] بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ وُهَيْبٍ سَمِعْتُ خَارِجَةَ[3] بْنَ زَيْدٍ يَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْقَرَ النَّاسِ فِي مَجْلِسِهِ لاَ يَكَادُ يُخْرِجُ شَيْئاً مِنْ أَطْرَافِهِ. وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ[4] الْخُدْرِيُّ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا جَلَسَ فِي الْمَجْلِسِ احْتَبَى بِيَدَيْهِ وَكَذَلِكَ كَانَ أَكْثَرُ جُلُوسِهِ ﷺ مُحْتَبِياً. وَعَنْ جَابِرِ[5] بْنِ سَمُرَةَ: أَنَّهُ تَرَبَّعَ وَرُبَّمَا جَلَسَ الْقُرْفُصَاءَ وَهُوَ فِي حَدِيثِ قَيْلَةَ[6]: وَكَانَ كَثِيرَ السُّكُوتِ[7] لاَ يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، تُعْرِضُ عَمَّنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ جَمِيلٍ، وَكَانَ ضَحِكُهُ تَبَسُّماً وَكَلاَمُهُ فَصْلاً لاَ فُضُولَ وَلاَ تَقْصِيرَ، وَكَانَ ضَحِكُ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ التَّبَسُّمَ تَوْقِيراً لَهُ وَاقْتِدَاءً بِهِ. مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَخَيْرٍ وَأَمَانَةٍ لاَ تُرْفَعُ فِيهِ الأَصْوَاتُ وَلاَ تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرَمُ، إِذَا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جُلَسَاؤُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ.

وَفِي صِفَتِهِ: يَخْطُو تَكَفُّؤاً وَيَمْشِي هَوْناً كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ: وَفِي الْحَدِيثِ الآخَرِ: إِذَا مَشَى مَشَى مُجْتَمِعاً يُعْرَفُ فِي مَشْيَتِهِ أَنَّهُ غَيْرُ غَرِضٍ وَلاَ وَكِلٍ: أَيْ غَيْرُ ضَجِرٍ وَلاَ كَسْلاَنَ[8].

= الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/ ٢٢٦. وعياض في الشفاء ١/ ٢٧٣. والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣٥٤٣٨ والطبري في تاريخه. ٢/ ٢٧٩ وابن كثير في البداية والنهاية: ٢/ ٢٨٧.

(١) [. . . .] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٢) عمر بن عبد العزيز بن وهيب وهو أنصاري مولى لزيد بن ثابت. أخرج أحاديثه أبو داود في المراسل.

(٣) خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري تابعين وأحد فقهاء المدينة السبعة توفي سنة ٩٩ هـ.

(٤) تقدمت ترجمته.
أخرج حديثه أبو داود في دلائل النبوة والترمذي في الشمائل.

(٥) جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب بن حجير. حليف بني زهرة كنيته أبو عبد الله وقيل أبو خالد سكن الكوفة وتوفي بها سنة ٩٤ هـ. ترجمته: في الثقات ٣/ ٥٢ والطبقات: ٦/ ٢٤، والإصابة: ١/ ٢١٢.

(٦) قيلة هي قيلة بنت مخرمة الغنبرية وقيل الغنوية، روت عنها بعض النساء الصحابيات. ولها قصة طويلة مشهورة. ترجمتها في الثقات ٣/ ٣٤٩ والطبقات ٨/ ٣١٢، والإصابة ٤/ ٣٩١.

(٧) أخرجه الإمام مسلم، وأبو داود.

(٨) أخرجه الترمذي في السنن تحت رقم: ٣٦٤١، ٣٦٤٢. في المناقب باب (٨) وهو حديث حسن. وأخرجه البخاري في الصحيح ١٠/ ٤٢٠ في الأنبياء باب صفة النبي ﷺ بلفظ مختلف.

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ أَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ[١].

وَعَنْ جَابِرِ[٢] بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: كَانَ فِي كَلَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَرْتِيلٌ أَوْ تَرْسِيلٌ[٣].

قَالَ ابْنُ أَبِي[٤] هَالَةَ: كَانَ سُكُوتُهُ عَلَى أَرْبَعٍ: عَلَى الْحِلْمِ وَالْحَذَرِ، وَالتَّقْدِيرِ وَالتَّفَكُّرِ: قَالَتْ عَائِشَةُ[٥]: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثاً لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ أَحْصَاهُ، وَكَانَ ﷺ يُحِبُّ الطِّيبَ وَالرَّائِحَةَ الْحَسَنَةَ وَيَسْتَعْمِلُهُمَا كَثِيراً وَيَحُضُّ عَلَيْهِمَا وَيَقُولُ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»[٦] وَمِنْ مُرُوءَتِهِ ﷺ نَهْيُهُ عَنِ النَّفْخِ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَالأَمْرُ بِالأَكْلِ مِمَّا يَلِي، وَالأَمْرُ بِالسِّوَاكِ وَإِنْقَاءُ الْبَرَاجِمِ وَالرَّوَاجِبِ وَاسْتِعْمَالِ خِصَالِ الْفِطْرَةِ[٧].

الفصل الثاني والعشرون: الزهد في الدنيا

وَأَمَّا زُهْدُهُ فِي الدُّنْيَا فَقَدْ تَقَدَّمَ مِنَ الأَخْبَارِ أَثْنَاءَ هَذِهِ السِّيرَةِ مَا يَكْفِي، وَحَسْبُكَ مِنْ تَقَلُّلِهِ مِنْهَا وَإِعْرَاضِهِ عَنْ زَهْرَتِهَا، وَقَدْ سِيقَتْ إِلَيْهِ بِحَذَافِيرِهَا وَتَرَادَفَتْ عَلَيْهِ فُتُوحُهَا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي نَفَقَةِ عِيَالِهِ، وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتاً»[٨].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح موقوفاً.

(٢) جابر بن عبد الله بن الصحابي رضي الله عنهما شهد المشاهد كلها إلا بدراً من المكثرين في رواية الحديث وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة توفي سنة ٧٠ هـ. وقيل سنتي ٧٨ أو ٧٩ هـ. ترجمته في الثقات ٣/ ٥١ والإصابة ١/ ٢١٣.

(٣) أخرجه أبو داود في دلائل النبوة والإمام أحمد في المسند في الزهد.

(٤) ابن أبي هالة هو هند بن أبي هالة، وهو ربيب الرسول ﷺ وابن خديجة رضي الله عنها من الزوج الأول. فعاش مع النبي ﷺ فأكثر من وصفه حتى اشتهر بهند الوصاف وسبق بهذا الفن كبار الصحابة لأنهم كانوا يهابون النظر إلى الرسول ﷺ، قتل يوم الجمل مع جيش علي رضي الله عنه. ترجمته: في الثقات ٣/ ٤٣٦ والإصابة ٣/ ٦١١.

(٥) عائشة رضي الله عنها تقدمت ترجمتها.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٣/ ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥، وإسناده حسن. وأخرجه النسائي في السنن ٧/ ٦١ في عشرة النساء باب حب النساء وإسناده حسن، وأخرجه كذلك البيهقي في الدلائل والحاكم في المستدرك.

(٧) أخرجه الإمام أحمد في المسند وأبو داود في الدلائل وابن ماجه في السنن والترمذي في السنن وصححه. وقد سبق الكلام عليه.

(٨) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٢/ ٤٤٦، ٤٨١، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٣/ ٢٤ وابن ماجه في السنن: ٤١٣٩. وابن كثير في البداية والنهاية: ٦/ ٥٨. وفتح الباري بشرح البخاري لابن حجر العسقلاني: ١١/ ١٦٠، ٢٧٥، ٢٩٣، والبيهقي في دلائل النبوة: ١/ ٢٥٢، ٣٣٩، ٦/ ٨٧.

[....] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

[حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ الْعَاصِي وَالْحَسَيْنَ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَافِظُ وَالْقَاضِي أَبُو عَبْدِ الله التَّمِيمِيُّ قَالُوا: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو العَبَّاسِ الرَّازِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْجَلُودِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ سُفْيَانَ حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الأَسْوَدِ] عَنْ عَائِشَةَ(١) رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: مَا شَبعَ(٢) رَسُولُ الله ﷺ، ثَلاثَةَ أَيَّام تِبَاعاً مِنْ خُبْزٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَوَالِيَيْنِ وَلَوْ شَاءَ لأَعْطَاهُ الله مَا لاَ يَخْطُرُ بِبَالِ(٣)، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى(٤): مَا شَبِعَ آلُ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ خُبْزِ بُرٍّ حَتَّى لَقِيَ الله عَزَّ وَجَلَّ(٥). وَقَالَتْ عَائِشَةُ(٦) رَضِيَ الله عَنْهَا: «مَا تَرَكَ رَسُولُ الله ﷺ، دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً وَلاَ شَاةً وَلاَ بَعِيراً(٧)، وَفِي حَدِيثِ عَمْرو(٨) بْنِ الْحَارِثِ مَا تَرَكَ رَسُولُ الله ﷺ إِلاَّ سِلاَحَهُ وَبَغْلَتَهُ وَأَرْضاً جَعَلَهَا صَدَقَةً». قَالَتْ عَائِشَةُ(٩) رَضِي الله عَنْهَا وَلَقَدْ مَاتَ وَمَا فِي بَيْتِي شَيْءٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلاَّ شَطْرَ شَعِيرٍ فِي رَقٍّ لِي(١٠). وَقَالَ لِي «**إِنِّي عُرِضَ عَلَيَّ أَنْ يُجْعَلَ لِي بَطْحَاءُ مَكَّةَ ذَهَباً فَقُلْتُ لاَ يَا رَبِّ أَجُوعُ يَوْماً وَأَشْبَعُ يَوْماً فَأَمَّا الْيَوْمُ الَّذِي أَجُوعُ فِيهِ فَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ وَأَدْعُوكَ وَأَمَّا الْيَوْمُ الَّذِي أَشْبَعُ فِيهِ فَأَحْمَدُكَ وَأُثْنِي عَلَيْكَ**»(١١) وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّ جِبْرِيلَ نَزَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الله تَعَالَى يُقْرِئُكَ السَّلاَمَ وَيَقُولُ لَكَ: «أَتُحِبُّ أَنْ أَجْعَلَ هَذِهِ

---

(١) تقدمت ترجمتها.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح: ١١/ ٢٨٢ كتاب الرقاق (٨١) باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه (١٧) الحديث ٦٤٥٨ واللفظ له، وأخرجه مسلم في الصحيح ٤/ ٢٢٨٢ كتاب الزهد والرقائق (٥٣) الحديث ٢٦/ ٢٩٧٢ ـ والحديث متفق عليه.

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح: ٤/٢٢٨٢ كتاب الزهد والرقائق (٥٣) الحديث ٢٢/ ٢٩٧٠.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح ١١/ ٢٨٢ كتاب الرقائق (٨١) باب كيف كان يعيش رسول الله ﷺ وأصحابه (١٧) الحديث رقم ٦٤٥٥. ومسلم في الصحيح الحديث ٢٥/ ٩٢٧١.

(٥) أخرجه الشيخان.

(٦) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح ٣/ ١٢٥٦ كتاب الوصية (٢٥) باب ترك الوصية لمن ليس له شيء، (٥) الحديث ١٨/ ١٦٣٥.

(٧) عمرو بن الحارث بن أبي ضرار بن المصطلق الخزاعي أخو جويرية بنت الحارث زوجة النبي ﷺ، وله صحبة سكن الكوفة ترجمته في الثقات ٣/ ٢٧٣، والطبقات: ٦/ ١٩٦، والإصابة ٢/ ٥٣٠.

(٨) أخرجه البخاري في الصحيح: ٥/ ٣٥٦، كتاب الشروط (٥٤) باب الوصايا (١) الحديث رقم: ٢٧٣٩.

(٩) أخرجه الشيخان برواية عائشة.

(١٠) تقدمت ترجمتها.

(١١) حديث «عرض علي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً» أخرجه الإمام الترمذي برواية أبي أمامة. في السنن تحت رقم ٢٣٤٨ باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه وإسناده حسن وقال الترمذي: هذا حديث حسن وفي الباب عن فضالة بن عبيد.

الْجِبَالَ ذَهَباً وَتَكُونَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ؟» [(١)] فَأَطْرَقَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «يَا جِبْرِيلُ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لاَ دَارَ لَهُ وَمَالُ مَنْ لاَ مَالَ لَهُ قَدْ يَجْمَعُهَا مَنْ لاَ عَقْلَ لَهُ» [(٢)] فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ ثَبَّتَكَ اللهُ يَا مُحَمَّدُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ؛ وَعَنْ عَائِشَةَ [(٣)] رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: إِنْ كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ لَنَمْكُثُ شَهْراً مَا نَسْتَوْقِدُ نَاراً إِنْ هُوَ إِلاَّ التَّمْرُ وَالْمَاءُ [(٤)]. وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ [(٥)] ابْنِ عَوْفٍ: هَلَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يَشْبَعْ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ [(٦)]: وَعَنْ عَائِشَةَ وَأَبِي أُمَامَةَ [(٧)] وَابْنِ عَبَّاسٍ [(٨)] نَحْوُهُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَبِيتُ هُوَ وَأَهْلُهُ اللَّيَالِي الْمُتَتَابِعَةِ طَاوِياً لاَ يَجِدُونَ [(٩)] عَشَاءً. وَعَنْ أَنَسٍ [(١٠)] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَا أَكَلَ [(١١)] رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى خِوَانٍ وَلاَ فِي سُكُرُّجَةٍ وَلاَ خُبِزَ لَهُ مُرَقَّقٌ وَلاَ رَأَى شَاةً سَمِيطاً قَطُّ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: إِنَّمَا [(١٢)] كَانَ فِرَاشُهُ ﷺ الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ أَدَماً حَشْوُهُ لِيفٌ، وَعَنْ حَفْصَةَ [(١٣)] رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ [(١٤)] فِرَاشُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِهِ

---

(١) أخرجه صاحب أمالي الشجري: ٢/ ١٧٠، والسيوطي في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا: ٢٥، وأخرجه البيهقي في الدلائل كتاب الزهد برواية عطاء عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال: «ما أمسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق»... أما رواية الشفا فلم أعثر عليها.

(٢) تابع للحديث الذي قبله (٤). (٣) تقدمت ترجمتها.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح ١١/ ٢٨٢ كتاب الرقاق (٨١) باب كيف كان يعيش النبي ﷺ (١٧) الحديث: ٦٤٥٨. واللفظ له. ومسلم في الصحيح ٤/ ٢٢٨٢ كتاب الزهد والرقائق (٥٣) الحديث ٢٦/ ٢٩٧٢.

(٥) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف القرشي الزهري أبو محمد أحد المبشرين بالجنة وأحد أصحاب الشورى أسلم قبل أن يدخل دار الأرقم، وهاجر الهجرتين وشهد بدراً وبقية المشاهد. توفي سنة ٣١ هـ ودفن في البقيع. الإصابة ٦/ ٣١١ ـ ٣١٣.

(٦) أخرجه الإمام الترمذي والبزار بإسناده حسن.

(٧) تقدمت ترجمته. (٨) تقدمت ترجمته.

(٩) أخرجه ابن ماجه في السنن، والترمذي في السنن وصححه.

(١٠) تقدمت ترجمته.

(١١) أخرجه البخاري في الصحيح ٩/ ٥٣٠ كتاب الأطعمة (٧٠) باب الخبز المرقق والأكل على الخوان والسفرة (٨) الحديث ٥٤١٥ وأخرجه ابن الأثير في البداية والنهاية في غريب الحديث ٢/ ٨٩، ٣٧٣، ٣٨٤. برواية قتادة عن أنس: ولفظه: ما أكل النبي ﷺ على خوان ولا في سُكُرُّجَةٍ ولا خُبِزَ له مُرَقَّق. قيل لقتادة: علام يأكلون؟ قال على السفر».

(١٢) أخرجه الإمام البخاري، والإمام مسلم في صحيحهما.

(١٣) حفصة بنت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أم المؤمنين كانت قبل أن يتزوجها الرسول ﷺ متزوجة عند حصن بن حذافة، وكان ممن شهد بدراً ثم توفي بالمدينة، وتوفيت حفصة رضي الله عنها بالمدينة سنة ٤١ هـ. ترجمتها: في الثقات ٣/ ٤٨. والطبقات ٨/ ٨١، والإصابة ٤/ ٢٧٤، والحلية ٢/ ٥٠.

(١٤) أخرجه البخاري في الصحيح: ١١/ ٢٨٢. كتاب الرقاق (٨١) باب كيف كان يعيش النبي ﷺ (١٧) الحديث رقم ٦٤٥٦. وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح ٣/ ١٦٥٠ كتاب اللباس. (٣٧) باب التواضع في اللباس. (٦) الحديث رقم: ٣٨/ ٢٠٨٢، واللفظ له، قوله: أدماً بفتحتين اسم لجمع الأديم وهو الجلد المدبوغ..

مِسْحاً تَثْنِيهِ ثِنْتَيْنِ فَيَنَامُ فَثَنَيْنَاهُ لَهُ لَيْلَةً بِأَرْبَعٍ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: «مَا فَرَشْتُمُوا لِي اللَّيْلَةَ؟» فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «رُدُّوهُ بِحَالِهِ فَإِنَّ وَطْأَتَهُ مَنَعَتْنِي اللَّيْلَةَ صَلاَتِي» وَكَانَ يَنَامُ أَحْيَاناً عَلَى سَرِيرٍ مَزْمُولٍ بِشَرِيطٍ حَتَّى يُؤَثِّرَ فِي جَنْبِهِ. وَعَنْ عَائِشَةَ [(١)] رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمْ يَمْتَلِئْ [(٢)] جَوْفُ النَّبِيِّ ﷺ شِبَعاً قَطُّ وَلَمْ يَبِثَّ شَكْوَى إِلَى أَحَدٍ وَكَانَتِ الْفَاقَةُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَى وَإِنْ كَانَ لَيَظَلُّ جَائِعاً يَلْتَوِي طُولَ لَيْلَتِهِ مِنَ الْجُوعِ فَلاَ يَمْنَعُهُ صِيَامَ يَوْمِهِ وَلَوْ شَاءَ سَأَلَ رَبَّهُ جَمِيعَ كُنُوزِ الأَرْضِ وَثِمَارِهَا وَرَغَدَ عَيْشِهَا وَلَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي لَهُ رَحْمَةً مِمَّا أَرَى بِهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِي عَلَى بَطْنِهِ مِمَّا بِهِ مِنَ الْجُوعِ وَأَقُولُ نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ لَوْ تَبَلَّغْتَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَقُوتُكَ. فَيَقُولُ: «يَا عَائِشَةُ مَالِي وَلِلدُّنْيَا؟ إِخْوَانِي مِنْ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ صَبَرُوا عَلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا فَمَضَوْا عَلَى حَالِهِمْ فَقَدِمُوا عَلَى رَبِّهِمْ فَأَكْرَمَ مَآبَهُمْ وَأَجْزَلَ ثَوَابَهُمْ فَأَجِدُنِي أَسْتَحِي إِنْ تَرَفَّهْتُ فِي مَعِيشَتِي، أَنْ يَقْصُرَ بِي غَداً دُونَهُمْ وَمَا مِنْ شَيْءٍ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ اللُّحُوقِ بِإِخْوَانِي وَأَخِلاَّئِي» [(٣)]. قَالَتْ فَمَا أَقَامَ بَعْدُ إِلاَّ شَهْراً حَتَّى تُوُفِّيَ ﷺ.

الفصل الثالث والعشرون: الخوف والطاعة من الله

وَأَمَّا خَوْفُهُ مِنْ رَبِّهِ وَطَاعَتُهُ لَهُ وَشِدَّةُ عِبَادَتِهِ فَعَلَى قَدْرِ عِلْمِهِ بِرَبِّهِ [وَلِذَلِكَ قَالَ فِيمَا حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ عَتَّابٍ قِرَاءَةً مِنِّي عَلَيْهِ قال: حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الطَّرَابُلُسِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْقَابِسِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ الْمَرْوَزِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْفِرَبْرِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ. حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ عَنِ اللَّيْثِ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ] [(٤)] أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً» زَادَ فِي رِوَايَتِنَا عَنْ أَبِي عِيسَى التِّرْمِذِيِّ رَفَعَهُ إِلَى أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِداً للهِ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ» [(٥)] لَوَدِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ، رُوِيَ هَذَا

---

(١) تقدمت ترجمتها.

(٢) قال الدلجي: لم أدر من روى هذا الحديث؟ وفعلاً أن روايته بهذا اللفظ لا وجود لها.

(٣) أجوبة صاحب أخلاق النبوة: ٢٦٨/مطبعة النهضة المصرية.

(٤) [. . . .] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٥) أخرجه الترمذي في السنن تحت رقم ٢٣١٣ في الزهد باب قول النبي ﷺ، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً. وأخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤١٩٠. في الزهد باب الحزن والبكاء، وأحمد في المسند ٥/ ١٧٣ وإسناده حسن وقد حسنه الترمذي.

وهناك رواية أخرى هي: أن أبا ذر قال: لوددت أني كنت شجرة تُعْضَدُ ويروى عن أبي ذر موقوفاً. وكل هذه الروايات أخرجها الترمذي في السنن.

الْكَلاَمُ: وَدِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ، مِنْ قَوْلِ أَبِي ذَرٍّ نَفْسِهِ، وَهُوَ أَصَحُّ.

وَفِي حَدِيثِ الْمُغِيرَةِ[١]: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَماهُ، وَفِي رِوَايَةٍ: كَانَ يُصَلِّي حَتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَكَلَّفُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً»[٢].

وَنَحْوُهُ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ[٣] وَأَبِي هُرَيْرَةَ[٤] وَقَالَتْ عَائِشَةُ[٥] رَضِيَ اللهُ عَنْها: كَانَ عَمَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ دِيمَةً، وَأَيُّكُمْ يُطِيقُ.

وَقَالَتْ: كَانَ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لاَ يُفْطِرُ وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لاَ يَصُومُ[٦].

وَنَحْوُهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[٧].

---

(١) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي أسلم قبل عمرة القضاء وشهدها وشهد بيعة الرضوان، ويعد من دهاة العرب ويقال له مغيرة الرأي توفي سنة ٥٠ هـ. ترجمته: في الثقات ٣/ ٣٧٢، والطبقات ٤/ ٢٨٤، ٦/ ٢٠ والإصابة: ٣/ ٤٥٢.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح ٨/ ٥٨٤. كتاب التفسير (٦٥) باب ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ...﴾ [الفتح: ٢]. الحديث: ٤٨٣٦. وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح: ٤/٢١٧١، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٥٠) باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة (١٨) الحديث ٧٩/ ٢٨١٩.

(٣) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني تابعي أحد فقهاء المدينة السبعة. قال الزهري: أربعة من قريش وجدتهم بحوراً: سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وعبيد الله بن عبد الله. ترجمته: في تذكرة الحفاظ: ١/ ٦٣ وتهذيب التهذيب: ١٢/ ١١٥ وخلاصة تذهيب الكمال: ٣٨٨، وشذرات الذهب ١٠/ ١٠٥، والعبر ١/ ١١٢.

(٤) أبو هريرة وهو أحفظ الصحابة، قال عنه الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في الدنيا. توفي سنة ٥٨ هـ. ترجمته: في أسد الغابة ٦/ ٣١٨.
وتذكرة الحفاظ: ١/ ٣٢، وخلاصة تذهيب الكمال: ٣٩٧، وشذرات الذهب: ١/ ٦٣ وطبقات ابن سعد: ٤ ق ٢/ ٥٢ وطبقات القراء لابن الجوزي ١/ ٣٧٠ وطبقات القراء للذهبي: ١/ ٤٠ والعبر: ١/ ٦٢، والنجوم الزاهرة: ١/ ١٥١.

(٥) تقدمت ترجمتها.

(٦) أخرج حديث عائشة رضي الله عنها الشيخان: البخاري ومسلم.

(٧) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو العباس الهاشمي، الإمام البحر عالم العصر ابن عم الرسول ﷺ دعا له أن يفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل.
توفي سنة ٦٨ هـ بالطائف. ترجمته: في أسد الغابة ٣/ ٢٩٠ والإصابة ١/ ٣٢٢ وتاريخ بغداد: ١/ ١٧٣، وتذكرة الحفاظ: ١/ ٤٠ وخلاصة تذهيب الكامل ١٧٢. وشذرات الذهبي: ١/ ٧٥ وطبقات الشيرازي: ٤٨ وطبقات القراءة لابن الجوزي ١/ ٤٢٥ وطبقات القراء للذهبي: ١/ ٤١ والعبر: ١/ ٧٦ والنجوم الزاهرة ١/ ١٨٢. ونكت الهيجان لابن الصفدي: ١٨٠.

وَأُمّ سَلَمَةَ[١] وَأَنسٍ[٢] وَقَالَ: كُنْتَ لاَ تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ فِي اللَّيْلِ مُصَلِّياً إِلاَّ رَأَيْتَهُ مُصَلِّياً وَلاَ نَائِماً إِلاَّ رَأَيْتَهُ نَائِماً. وَقَالَ عَوْفُ[٣] بْنُ مَالِكٍ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فَاسْتَاكَ ثُمَّ تَوَضَّأَ. ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي؛ فَقُمْتُ مَعَهُ فَبَدَأَ فَاسْتَفْتَحَ الْبَقَرَةَ، فَلاَ يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلاَّ وَقَفَ فَسَأَلَ، وَلاَ يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلاَّ وَقَفَ فَتَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ فَمَكَثَ بِقَدْرِ قِيَامِهِ يَقُولُ: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»، ثُمَّ سَجَدَ وَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ قَرَأَ آلَ عِمْرَانَ، ثُمَّ سُورَةً سُورَةً، يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ[٤].

وَعَنْ حُذَيْفَةَ[٥] مِثْلُهُ وقَالَ: سَجَدَ نَحْواً مِنْ قِيَامِهِ، وَجَلَسَ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْواً مِنْهُ وَقَامَ حَتَّى قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ وَالنِّسَاءَ وَالْمَائِدَةَ.

وَعَنْ عَائِشَةَ[٦] قَالَتْ: قَامَ رَسُولُ الله ﷺ بِآيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ لَيْلَةً[٧]. وَعَنْ عَبْدِ[٨] الله بْنِ الشِّخِيرِ: أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ[٩]. قَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ[١٠]: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ مُتَوَاصِلَ الأَحْزَانِ، دَائِمَ الْفِكْرَةِ لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ[١١].

---

(١) أم سلمة أعقل نساء الرسول ﷺ، كانت تحت أبي سلمة قبل زواجها رسول الله ﷺ، وتزوجها الرسول عليه الصلاة والسلام بعده، وهي آخر من توفيت من نساء النبي ﷺ وأمهات المؤمنين، وكانت وفاتها في خلافة يزيد.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) حديث ابن عباس أخرجه الشيخان البخاري، ومسلم، وحديث أم سلمة أخرجه الترمذي والنسائي، وحديث أنس أخرجه البخاري والترمذي.

(٤) عبد الرحمن الأشجعي، صحابي جليل القدر رضي الله عنه من الذين سكنوا الشام توفي في خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٧٣ هـ.

(٥) هو حذيفة بن اليمان العبسي وابن اليمان حسيل بن جابر وكنيته أبو عبد الله هاجر إلى النبي ﷺ ثم شهد أحداً وفي هذه المعركة استشهد أبوه، وشهد حذيفة كل المعارك بعد أحد، توفي سنة: ٣٦ هـ. ترجمته: في الثقات: ٣/ ٨٠، والطبقات ٦/ ١٥، ٧/ ٣١٧، والإصابة: ١/ ٣١٧، وحلية الأولياء: ١/ ٢٧٠.

(٦) تقدمت ترجمتها.

(٧) أخرجه الإمام الترمذي في السنن تحت رقم ٤٤٨ في الصلاة باب ما جاء في قراءة الليل وإسناده صحيح وله شاهد صحيح من حديث أبي ذر قال: قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها والآية: ﴿أن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ أخرجه كذلك ابن ماجه في السنن والحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي.

(٨) عبد بن الشخير بن عوف بن كعب بن وقدان بن الحريش بن كعب العامري الجرشي له صحبة سكن البصرة وحديثه عن أهلها وروى أحاديثه الستة.
ترجمته: في الطبقات: ٣/ ٢٣٨، والطبقات: ٧/ ٣٤، والإصابة ٢/ ٣٢٤...

(٩) أخرج حديث عبد الله بن الشخير الإمام النسائي في السنن والترمذي في السنن وأبو داود في السنن.

(١٠) تقدمت ترجمته.

(١١) أخرج حديث أبي هالة الطبراني، والقضاعي، وقال ابن القيم إنه لم يثبت. ولم أعثر عليه في الصحاح.

وَقَالَ ﷺ: «إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» وَرُوِيَ «سَبْعِينَ مَرَّةً»[١].

وَعَنْ عَلِيٍّ[٢] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ سُنَّتِهِ فَقَالَ: «الْمَعْرِفَةُ رَأْسُ مَالِي، وَالْعَقْلُ أَصْلُ دِينِي وَالْحبُّ أَسَاسِي وَالشَّوْقُ مَرْكَبِي وَذِكْرُ اللهِ أَنِيسِي وَالثِّقَةُ كَنْزِي وَالْحُزْنُ رَفِيقِي وَالْعِلْمُ سِلاَحِي وَالصَّبْرُ رِدَائِي وَالرِّضَاءُ غَنِيمَتِي وَالْعَجْزُ فَخْرِي. وَالزُّهْدُ حِرْفَتِي وَالْيَقِينُ قُوَّتِي وَالصِّدْقُ شَفِيعِي، والطَّاعَةُ حَسْبِي، وَالْجِهَادُ خُلُقِي، وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ»[٣] وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «وَثَمَرَةُ فُؤَادِي فِي ذِكْرِهِ وَغَمِّي لأَجْلِ أُمَّتِي: وَشَوْقِي إِلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ».

الفصل الرابع والعشرون: صفات الأنبياء عليهم السلام

اَعْلَمْ وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ أَنَّ صِفَاتِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَمَالِ الْخَلْقِ وَحُسْنِ الصُّورَةِ وَشَرَفِ النَّسَبِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَجَمِيعُ الْمَحَاسِنِ هِيَ هَذِهِ الصِّفَةُ لِأَنَّهَا صِفَاتُ الْكَمَالِ. وَالْكَمَالُ وَالتَّمَامُ الْبَشَرِي وَالْفَضْلُ الْجَمِيعُ لَهُمْ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ إِذْ رُتْبَتُهُمْ أَشْرَفُ الرُّتَبِ وَدَرَجَاتُهُمْ أَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ وَلَكِنْ فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وَقَالَ: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢] وَقَدْ قَالَ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» ثُمَّ قَالَ آخِرَ الْحَدِيثِ: «عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً فِي السَّمَاءِ». وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «رَأَيْتُ مُوسَى فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ ضَرْبٌ رَجْلٌ أَقْنَى كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ وَرَأَيْتُ عِيسَى فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ رَبْعَةٌ كَثِيرُ خِيلَانِ الْوَجْهِ أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ» وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «مُبَطَّنٌ مِثْلُ السَّيْفِ»، قَالَ: «وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ[٤] بِهِ». وَقَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ فِي صِفَةِ مُوسَى: «كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ».

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ[٥] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْهُ ﷺ: «مَا بَعَثَ اللهُ تَعَالَى مِنْ بَعْدِ لُوطٍ[٦]

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح. (٢) تقدمت ترجمته.

(٣) هذا الحديث ذكره صاحب الإحياء، وأنكره العراقي، والإمام السيوطي قال عنه موضوع.. وأخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٥/ ٣١١ ـ ٣١٢، والفتني في تذكرة الموضوعات: ٨٧.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٦/ ٣١٨، كتاب بدء الخلق (٥٩) باب ما جاء في صفة الجنة الحديث رقم: ٣٢٤٥، ٣٢٤٦، ٣٢٥٤، وفي: ٦/ ٣٦٢ كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب خلق آدم وذريته (١) الحديث رقم: ٣٣٢٧. وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح: ٤/ ٢١٧٩، كتاب الجنة (٥١) باب أول زمرة تدخل الجنة... (٦) الحديث: ١٥/ ٢٨٣٤، ١٦/ ٢٨٣٤.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) أخرجه عياض في الشفا: ١/ ٢٩٢. والسيوطي في مناهل الصفاء في تخريج أحاديث الشفا: ٢٧.

نَبِياً إلاَّ فِي ذُرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ» وَيُرْوَى: «فِي ثَرْوَةٍ» أَيْ كَثْرَةٍ[١] وَمَنَعَةٍ. وَحَكَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ قَتَادَةَ[٢] وَرَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ[٣]: مَا بَعَثَ[٤] الله تَعَالَى نَبِياً إلاَّ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الصَّوْتِ وَكَانَ نَبِيُّكُمْ أَحْسَنَهُمْ، وَجْهاً وَأَحْسَنَهُمْ صَوْتاً ﷺ.

وَفِي حَدِيثِ هِرَقْلَ[٥] وَسَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِه فَذَكَرْتَ أَنَّهُ[٦] فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَنْسَابِ قَوْمِهَا وَقَالَ تَعَالَى فِي أَيُّوبَ ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم:١٢] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:١٥] وَقَالَ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:٣٩] وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ [آل عمران:٣٣] الآيَتَيْنِ وَقَالَ فِي نُوحٍ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:٣] وَقَالَ ﴿ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ـ إِلَى ـ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:٤٥ ـ ٤٦] وَقَالَ: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم:٣٠ ـ ٣١] وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ [الأحزاب:٦٩] الآيَةَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: كَانَ مُوسَى رَجُلاً حَيِياً سَتِيراً مَا يُرَى مِنْ جَسَدِهِ شَيْءٌ ٱسْتِحْيَاءً الْحَدِيثَ وَقَالَ تَعَالَى عَنْهُ: ﴿فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾ [الشعراء:٢١] الآيَةَ وَقَالَ فِي وَصْفِ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الدخان:١٨] وَقَالَ: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦] وَقَالَ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥] وَقَالَ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ﴾ [الأنعام:٨٤] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾ [الأنعام:٩٠] فَوَصَفَهُمْ بِأَوْصَافٍ جَمَّةٍ مِنَ الصَّلاحِ وَالْهُدَى وَالاجْتِبَاءِ وَالْحُكْمِ وَالنُّبوَّةِ وَقَالَ: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات:٢٨][٧] وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ـ إِلَى ـ أَمِينٌ﴾ [الدخان:١٧ ـ ١٨] وَقَالَ: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢] وَقَالَ فِي إِسْمَاعِيلَ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم:٥٤] الآيَتَيْنِ وَفِي مُوسَى ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾

---

(١) وأخرج الرواية الثانية، الطحاوي في مشكل الآثار: ١/١٣٦.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٦/٤٧٠ والعراقي في المغني عن حمل الأسفار: ٢/٢٦٨. وأخرجه صاحب ميزان الاعتدال: ١٨٠٠ وابن عدي في الكامل في الضعفاء: ٢/٨٤٠...

(٥) تقدم الكلام عنه.

(٦) تقدم الكلام عليه آنفاً.

(٧) ﴿وَبَشَّرُوه بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات:٢٨] وليس في كتاب الله: ﴿فبشرناه بغلام عليم﴾.

[مريم:٥١] وَفِي سُلَيْمَانَ ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٣٠] وَقَالَ: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ - إلى - ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص:٤٥ - ٤٦] وَفِي دَاوُدَ ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٤] ثُمَّ قَالَ: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص:٢٠] وَقَالَ عَنْ يُوسُفَ ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥] وفي موسى ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف:٦٩] وَقَالَ تَعَالَى عَنْ شُعَيْبٍ ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص:٢٧] وَقَالَ: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ [هود:٨٨] وَقَالَ: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء:٧٤] وَقَالَ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الأنبياء:٨٩] الآيَةَ قَالَ سُفْيَانُ هُوَ الْحُزْنُ الدَّائِمُ فِي آيٍ كَثِيرَةٍ ذَكَرَ فِيهَا مِنْ خِصَالِهِمْ وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِهِمُ الدَّالَّةَ عَلَى كَمَالِهِمْ وَجَاءَ مِنْ ذَلِكَ فِي الأَحَادِيثِ كَثِيرٌ كَقَوْلِهِ ﷺ: **«إِنَّمَا الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ: يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ نَبِيٌّ ابْنُ نَبِيٍّ ابْنُ نَبِيٍّ ابْنُ نَبِيٍّ»**[١].

وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ[٢]: **«وَكَذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلاَ تَنَامُ قُلُوبُهُمْ»**، وَرُوِيَ أَنَّ سُلَيْمَانَ كَانَ مَعَ مَا أُعْطِيَ مِنَ الْمُلْكِ لاَ يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ تَخَشُّعاً وَتَوَاضُعاً لله تَعَالَى وَكَانَ يُطْعِمُ النَّاسَ لَذَائِذَ الأَطْعِمَةِ وَيَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيرِ وَأُوحِيَ إِلَيْهِ يَا رَأْسَ الْعَابِدِينَ وَابْنَ مَحَجَّةِ الزَّاهِدِينَ وَكَانَتِ الْعَجُوزُ تَعْتَرِضُهُ وَهُوَ عَلَى الرِّيحِ فِي جُنُودِهِ فَيَأْمُرُ الرِّيحَ فَتَقِفُ فَيَنْظُرُ فِي حَاجَتِهَا وَيَمْضِي، وَقِيلَ لِيُوسُفَ مَالَكَ تَجُوعُ وَأَنْتَ عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ قَالَ أَخَافُ أَنْ أَشْبَعَ فَأَنْسَى الْجَائِعَ، وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ[٣] رَضِيَ الله عَنْهُ، عَنْهُ ﷺ: **«خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ الْقُرْآنُ: فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَابَّتِهِ فَتُسْرَجُ فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ وَلاَ يَأْكُلُ إِلاَّ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»**، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ:١٠ - ١١] وَكَانَ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ عَمَلاً بِيَدِهِ يُغْنِيهِ عَنْ بَيْتِ الْمَالِ وَقَالَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَحَبُّ[٤] الصَّلاَةِ إِلَى الله صَلاَةُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى الله صِيَامُ دَاوُدَ»** وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ وَيَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يَوْماً وَكَانَ

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ٤١٧/٦ كتاب الأنبياء (٦٠) باب: ﴿أم كنتم شهداء، إذ حضر يعقوب الموت﴾ [البقرة:١٣٣]، الحديث رقم ٣٣٨٢. إلا أن الحديث بدون زيادة وبدون كلمة: «إنما» ويظهر من هذا إما أن ما فيه من الزيادة مدرجة في كلام الراوي أو ذلك من تفسير القاضي عياض. والحديث أخرجه أيضاً ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه.

(٢) تقدمت ترجمته. (٣) تقدمت ترجمته.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح: ١٦/٣ كتاب الجهاد (١٩) باب من نام عند السحر (٧) الحديث رقم: ١١٣١، وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح: ٨١٦/٢ كتاب الصيام (١٣) باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به.. (٣٥) الحديث ١٨٩/١١٥٩.

يَلْبَسُ الصُّوفَ وَيَفْتَرِشُ الشَّعَرَ وَيَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيرِ بِالْمِلْحِ وَالرَّمَادِ وَيَمْزِجُ شَرَابَهُ بِالدُّمُوعِ وَلَمْ يُرَ ضَاحِكاً بَعْدَ الخَطِيئَةِ وَلاَ شَاخِصاً بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ حَيَاءً مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَمْ يَزَلْ بَاكِياً حَيَاتَهُ كُلَّهَا، وَقِيلَ بَكَى[١] حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ مِنْ دُمُوعِهِ وَحَتَّى اتَّخَذَتِ الدُّمُوعُ فِي خَدِّهِ أُخْدُداً؛ وَقِيلَ كَانَ يَخْرُجُ مُتَنَكِّراً يَتَعَرَّفُ سِيرَتَهُ فَيَسْمَعُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ فَيَزْدَادُ تَوَاضُعاً؛ وَقِيلَ لِعِيسَى[٢] عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَوْ اتَّخَذْتَ حِمَاراً قَالَ أَنَا أَكْرَمُ عَلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ أَنْ يَشْغَلَنِي بِحِمَارٍ؛ وَكَانَ[٣] يَلْبَسُ الشَّعَرَ وَيَأْكُلُ الشَّجَرَ وَلَم يَكُنْ لَهُ بَيْتٌ. أَيْنَمَا أَدْرَكَهُ النَّوْمُ نَامَ؛ وَكَانَ أَحَبُّ الأَسَامِي إِلَيْهِ أَنْ يُقَالَ لَهُ مِسْكِينٌ؛ وَقِيلَ إِنَّ[٤] مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ كَانَتْ تُرَى خُضْرَةُ الْبَقْلِ فِي بَطْنِهِ مِنَ الهُزَالِ. وَقَالَ ﷺ: **«لَقَدْ كَانَ[٥] الأَنْبِيَاءُ قَبْلِي يُبْتَلَى أَحَدُهُمْ بِالْفَقْرِ وَالقَمْلِ وَكَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعَطَاءِ إِلَيْكُمْ»**، وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ لِخِنْزِيرٍ لَقِيَهُ **«أَذْهَبْ بِسَلاَمٍ»** فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ أَكْرَهُ أَنْ أُعَوِّدَ لِسَانِي الْمَنْطِقَ بِسُوءٍ؛ وَقَالَ مُجَاهِدٌ[٦] كَانَ طَعَامُ يَحْيَى الْعُشْبَ وَكَانَ يَبْكِي مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى اتَّخَذَ الدَّمْعُ مَجْرَى فِي خَدِّهِ وَكَانَ يَأْكُلُ مَعَ الْوَحْشِ لِئَلاَّ يُخَالِطَ النَّاسَ وَحَكَى الطَّبَرِيُّ[٧] عَنْ وَهْبٍ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَانَ يَسْتَظِلُّ بِعَرِيشٍ وَكَانَ يَأْكُلُ فِي نُقْرَةٍ مِنْ حَجَرٍ، وَيَكْرَعُ فِيهَا إِذَا أَرَادَ أَنْ يَشْرَبَ كَمَا تَكْرَعُ الدَّابَّةُ تَوَاضُعاً للهِ بِمَا أَكْرَمَهُ اللهُ بِهِ مِنْ كَلاَمِهِ وَأَخْبَارُهِمْ فِي هَذَا كُلِّهِ مَسْطُورَةٌ وَصِفَاتُهُمْ فِي الْكَمَالِ وَجَمِيلِ الأَخْلاَقِ وَحُسْنِ الصُّوَرِ، وَالشَّمَائِلِ مَعْرُوفَةٌ مَشْهُورَةٌ فَلاَ نُطَوِّلُ بِهَا وَلاَ تَلْتَفِتْ إِلَى مَا تَجِدُهُ فِي كُتُبِ بَعْضِ جَهَلَةِ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ مِمَّا يُخَالِفُ هَذَا.

الفصل الخامس والعشرون: الأخلاق الحميدة

قَدْ أَتَيْنَاكَ أَكْرَمَكَ اللهُ مِنْ ذِكْرِ الأَخْلاَقِ الْحَمِيدَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَجِيدَةِ، وَخِصَالِ الْكَمَالِ الْعَدِيدَةِ وَأَرَيْنَاكَ صِحَّتَهَا لَهُ ﷺ وَجَلَبْنَا مِنَ الآثَارِ مَا فِيهِ مَقْنَعٌ وَالأَمْرُ أَوْسَعُ فَمَجَالُ هَذَا الْبَابِ فِي حَقِّهِ ﷺ مُمْتَدٌّ يَنْقَطِعُ دُونَ نَفَادِهِ الأَدِلاَّءُ. وَبَحْرُ عِلْمِ خَصَائِصِهِ زَاخِرٌ لاَ تُكَدِّرُهُ الدِّلاَءُ وَلَكِنْ أَتَيْنَا

---

(١) أخرجه ابن حاتم عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً، وأخرجه مجاهد مرفوعاً.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند في الزهد. وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في الزهد من رواية عبيد بن عمير، وأخرجه مجاهد والشعبي وابن عساكر في تاريخه.

(٤) أخرجه الإمام في الزهد كذلك، وابن أبي حاتم من رواية ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه من رواية أبي سعيد مرفوعاً.

(٦) أخرجه الإمام ابن أبي حاتم، والإمام أحمد في المسند في الزهد.

(٧) الطبري هو محمد بن جبير المكنى أبا جعفر الطبري، أحد الأعلام الكبار وصاحب التصانيف المشهورة ينتسب إلى طبرستان كان كثير الترحال والتنقل ولد سنة ٢٢٤ هـ وتوفي سنة ٣١٠ هـ.

فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ مِمَّا أَكْثَرُهُ فِي الصَّحِيحِ وَالْمَشْهُورِ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ وَاقْتَصَرْنَا فِي ذَلِكَ بِقُلٍّ مِنْ كُلٍّ وغَيْضٍ مِنْ فَيْضٍ وَرَأَيْنَا أَنْ نَخْتِمَ هَذِهِ الْفُصُولَ بِذِكْرِ حَدِيثِ: الْحَسَنِ[١] عَنِ ابْنِ أَبِي هَالَةَ[٢] لَجَمْعِهِ مِنْ شَمَائِلِهِ وَأَوْصَافِهِ كَثِيراً وَإِدْمَاجِهِ جُمْلَةً كَافِيَةً مِنْ سِيرِهِ وَفَضَائِلِهِ، وَنَصِلُهُ بِتَنْبِيهٍ لَطِيفٍ عَلَى غَرِيبِهِ وَمُشْكِلِهِ.

[حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللهُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ سَنَةَ ثَمانٍ وَخَمْسِمِائَةٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللهِ بْنُ طَاهِرٍ التَّمِيمِيُّ فِيمَا قَرَأْتُ عَلَيْهِ أَخْبَرَكُمُ الْفَقِيهُ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ النَّيسَابُورِيُّ وَالشَّيْخُ الْفَقِيهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ الْحَسَنِ الْمُحَمَّدِيُّ، وَالْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنُ جَعْفَرٍ الْوَخْشِيُّ قَالُوا حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْخُزَاعِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْهَيْثَمُ بْنُ كُلَيْبٍ الشَّاشِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو عِيسَى مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى سَوْرَةَ الْحَافِظُ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ حَدَّثَنَا جَمِيعُ بْنُ عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعِجْلِيُّ إِمْلَاءً مِنْ كِتَابِهِ قَالَ حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ مِنْ وَلَدِ أَبِي هَالَةَ زَوْجِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ[٣] رَضِيَ اللهُ عَنْهَا يُكَنَّى أَبَا عَبْدِ اللهِ عَنِ ابْنٍ لِأَبِي هَالَةَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَأَلْتُ خَالِي هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ قَالَ الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللهُ وَقَرَأْتُ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي طَاهِرٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ خُذَادَاذَا الْكَرَجِيُّ الْبَاقِلَانِيِّ قَالَ وَأَجَازَ لَنَا الشَّيْخُ الْأَجَلُّ أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنُ خَيْرُونٍ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ الْحَسَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنُ شَاذَانَ بْنُ حَرْبِ بْنُ مِهْرَانَ الْفَارِسِيُّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ فَأَقَرَّ بِهِ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنُ يَحْيَى بْنُ الْحَسَنِ بْنُ جَعْفَرِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنُ عَلِيِّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنُ عَلِيِّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ أَخِي طَاهِرٍ الْعَلَوِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنُ إِسْحَاقَ بْنُ جَعْفَرِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنُ عَلِيِّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنُ عَلِيِّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنُ عَلِيِّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ أَخِي مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ][٤] قَالَ الْحَسَنُ[٥] بْنُ عَلِيٍّ وَاللَّفْظُ لِهَذَا السَّنَدِ سَأَلْتُ خَالِي هِنْدَ[٦] بْنَ أَبِي هَالَةَ عَنْ حِلْيَةِ

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في شمائله، وابن سعيد والبيهقي في الدلائل والطبراني في الأوسط. وتقدمت ترجمة أبي هالة آنفاً.

(٣) [. . .] ساقطة من نسخة دمشق المحققة. (٤) تقدمت ترجمته.

(٥) أخرجه الإمام الترمذي في الشمائل وأخرجه ابن سعيد والبيهقي في دلائل النبوة والطبراني.

(٦) هند هو هند بن هند بن أبي هالة التميمي له صحبة: ترجمته في: الثقات ٣/٤٣٦. والإصابة: ٣/٦١١.

رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَ وَصَّافاً وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَصِفَ لِي مِنْهَا شَيْئاً أَتَعَلَّقُ بِهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخْماً مُفَخَّماً يَتَلأْلأُ وَجْهُهُ تَلأْلُؤَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ أَطْوَلَ مِنَ الْمَرْبُوعِ وَأَقْصَدَ مِنَ الْمُشَذَّبِ عَظِيمَ الْهَامَةِ رَجِلَ الشَّعَرِ إِنِ انْفَرَقَتْ عَقِيقَتُهُ فَرَقَ وَإِلاَّ فَلاَ يُجَاوِزُ شَعْرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ إِذَا هُوَ وَفَّرَهُ أَزْهَرَ اللَّوْنِ وَاسِعَ الْجَبِينِ أَزَجَّ الْحَوَاجِبِ سَوَابِغَ مِنْ غَيْرِ قَرَنٍ بَيْنَهُمَا، عِرْقٌ يُدِرُّهُ الْغَضَبُ أَقْنَى الْعِرْنَيْنِ لَهُ نُورٌ يَعْلُوهُ وَيَحْسِبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشَمَّ كَثَّ اللِّحْيَةِ أَدْعَجَ سَهْلَ الْخَدَّيْنِ ضَلِيعَ الْفَمِ أَشْنَبَ مُفَلَّجَ الأَسْنَانِ دَقِيقَ الْمَسْرُبَةِ كَأَنَّ عُنُقَهُ جِيدُ دُمْيَةٍ فِي صَفَاءِ الْفِضَّةِ مُعْتَدِلَ الْخَلْقِ بَادِناً مُتَمَاسِكاً سَوَاءَ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ مُشِيحَ الصَّدْرِ بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ ضَخْمَ الْكَرَادِيسِ أَنْوَرَ الْمُتَجَرِّدِ مَوْصُول مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ وَالسُّرَّةِ بِشَعَرٍ يَجْرِي كَالْخَطِّ عَارِي الثَّدْيَيْنِ مَا سِوَى ذَلِكَ أَشْعَرَ الذِّرَاعَيْنِ وَالْمَنْكِبَيْنِ وَأَعَالِي الصَّدْرِ طَوِيلَ الزَّنْدَيْنِ رَحْبَ الرَّاحَةِ شَثْنَ الكَفَّيْنِ والْقَدَمَيْنِ سَائِلَ الأَطْرَافِ أَوْ قَالَ سَائِنَ الأَطْرَافِ وَسَائِرَ الأَطْرَافِ سَبْطَ الْعَصَبِ خُمْصَانَ الأَخْمَصَيْنِ مَسِيحَ الْقَدَمَيْنِ يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ إِذَا زَالَ زَالَ تَقَلُّعاً وَيَخْطُو تَكَفُّؤاً وَيَمْشِي هَوْناً ذَرِيعَ الْمِشْيَةِ إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيعاً خَافِضَ الطَّرْفِ، نَظَرُهُ إِلَى الأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ جُلُّ نَظَرِهِ الْمُلاَحَظَةُ يَسُوقُ أَصْحَابَهُ وَيَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلاَمِ قُلْتُ صِفْ لِي مَنْطِقَهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَوَاصِلَ الأَحْزَانِ دَائِمَ الْفِكْرَةِ لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ وَلاَ يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ طَوِيلَ السُّكُوتِ يَفْتَتِحُ الكَلاَمَ وَيَخْتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعَ الْكَلِمِ فَصْلاً لاَ فُضُولَ فِيهِ وَلاَ تَقْصِيرَ دَمِثاً لَيْسَ بِالْجَافِي وَلاَ الْمَهِينَ يُعَظِّمُ النِّعْمَةَ وَإِنْ دَقَّتْ لاَ يَذُمُّ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ يَذُمُّ ذَوَاقاً وَلاَ يَمْدَحُهُ وَلاَ يُقَامُ لِغَضَبِهِ إِذَا تُعُرِّضَ لِلْحَقِّ بِشَيْءٍ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ وَلاَ يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ وَلاَ يَنْتَصِرُ لَهَا إِذَا أَشَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا وَإِذَا تَعَجَّبَ قَلَبَهَا وَإِذَا تَحَدَّثَ اتَّصَلَ بِهَا فَضَرَبَ بِإِبْهَامِهِ الْيُمْنَى رَاحَتَهُ الْيُسْرَى وَإِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ وَإِذَا فَرِحَ غَضَّ طَرْفَهُ، جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ وَيَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ قَالَ الْحَسَنُ فَكَتَمْتُهَا عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ زَمَاناً ثُمَّ حَدَّثْتُهُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ فَسَأَلَ أَبَاهُ عَنْ مَدْخَلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَخْرَجِهِ وَمَجْلِسِهِ وَشَكْلِهِ فَلَمْ يَدَعْ مِنْهُ شَيْئاً. قَالَ الْحُسَيْنُ(١) سَأَلْتُ أَبِي عَنْ دُخُولِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ كَانَ دُخُولُهُ لِنَفْسِهِ مَأْذُوناً لَهُ فِي ذَلِكَ فَكَانَ إِذَا أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ جَزَّأَ دُخُولَهُ ثَلاَثَةَ أَجْزَاءٍ جُزْءاً للهِ وَجُزْءاً لأَهْلِهِ وَجُزْءاً لِنَفْسِهِ ثُمَّ جَزَّأَ جُزْأَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ فَيَرُدُّ ذَلِكَ عَلَى الْعَامَّةِ بِالْخَاصَّةِ وَلاَ يَدَّخِرُ عَنْهُمْ شَيْئاً فَكَانَ مِنْ سِيرَتِهِ فِي جُزْءِ الأُمَّةِ إِيثَارَ أَهْلِ الْفَضْلِ بِإِذْنِهِ،

---

(١) الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم. كنيته أبو عبد الله، قال ﷺ فيه وفي أخيه الحسن: اللهم إني أحبهما فأحبهما، قتل يوم عاشوراء بكربلاء يوم السبت سنة ٦١ هـ وهي السنة التي ولد فيها عمر بن عبد العزيز. ترجمته: في الثقات ٣/٦٨، والإصابة ١/٢٣٢ وحلية الأولياء: ٢/٣٩...
أخرج حديث الأصبهاني مع اختلاف في بعض ألفاظه.

وَقِسْمَتُهُ عَلَى قَدْرِ فَضْلِهِمْ فِي الدِّينِ مِنْهُمْ ذُو الْحَاجَةِ وَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَتَيْنِ وَمِنْهُمْ ذُو الْحَوَائِجِ فَيَتَشَاغَلُ بِهِمْ وَيَشْغَلُهُمْ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ وَالأُمَّةَ مِنْ مَسْأَلَتِهِ عَنْهُمْ وَأَخْبَارِهِمْ بِالَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ وَيَقُولُ: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنكُمُ الْغَائِبَ وَأَبْلِغُونِي حَاجَةَ مَنْ لاَ يَسْتَطِيعُ إِبْلاَغِي حَاجَتَهُ فَإِنَّهُ مَنْ أَبْلَغَ سُلْطَاناً حَاجَةَ مَنْ لاَ يَسْتَطِيعُ إِبْلاَغَهَا ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» لاَ يُذْكَرُ عِنْدَهُ إِلاَّ ذَلِكَ وَلاَ يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَهُ، قَالَ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ[1] بْنِ وَكِيعٍ: يَدْخُلُونَ رُوَّاداً وَلاَ يَتَفَرَّقُونَ إِلاَّ عَنْ ذَوَاقٍ وَيَخْرُجُونَ أَدِلَّةً يَعْنِي فُقَهَاءَ قُلْتُ فَأَخْبِرْنِي عَنْ مَخْرَجِهِ كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ فِيهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْزُنُ لِسَانَهُ إِلاَّ مِمَّا يَعْنِيهِمْ وَيُؤَلِّفُهُمْ وَلاَ يُفَرِّقُهُمْ يُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ وَيُوَلِّيهِ عَلَيْهِمْ وَيَحْذَرُ النَّاسَ وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ بِشْرَهُ وَخُلُقَهُ وَيَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي النَّاسِ وَيُحَسِّنُ الْحَسَنَ وَيُصَوِّبُهُ وَيُقَبِّحُ الْقَبِيحَ وَيُوهِنُهُ مُعْتَدِلَ الأَمْرِ غَيْرَ مُخْتَلِفٍ لاَ يَغْفُلُ مَخَافَةَ أَنْ يَغْفُلُوا أَوْ يَمَلُّوا لِكُلِّ حَالٍ عِنْدَهُ عَتَادٌ لاَ يُقَصِّرُ عَنِ الْحَقِّ وَلاَ يُجَاوِزُهُ إِلَى غَيْرِهِ الَّذِينَ يَلُونَهُ مِنَ النَّاسِ خِيَارُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ أَعَمُّهُمْ نَصِيحَةً وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَحْسَنُهُمْ مُوَاسَاةً وَمُوَازَرَةً فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَجْلِسِهِ عَمَّا كَانَ يَصْنَعُ فِيهِ فَقَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لاَ يَجْلِسُ وَلاَ يَقُومُ إِلاَّ عَلَى ذِكْرٍ وَلاَ يُوطِنُ الأَمَاكِنَ وَيَنْهَى عَنْ إِيطَانِهَا وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ وَيُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ نَصِيبَهُ حَتَّى لاَ يَحْسِبَ جَلِيسُهُ أَنَّ أَحَداً أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ مَنْ جَالَسَهُ أَوْ قَاوَمَهُ لِحَاجَةٍ صَابَرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفَ عَنْهُ مَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إِلاَّ بِهَا أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ قَدْ وَسِعَ النَّاسَ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ فَصَارَ لَهُمْ أَباً وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ مُتَقَارِبِينَ مُتَفَاضِلِينَ فِيهِ بِالتَّقْوَى وَفِي الرِّوَايَةِ الأُخْرَى صَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً. مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَصَبْرٍ وَأَمَانَةٍ لاَ تُرْفَعُ فِيهِ الأَصْوَاتُ وَلاَ تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرَمُ، وَلاَ تُثْنَى فَلَتَاتُهُ وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ غَيْرِ الرِّوَايَتَيْنِ يَتَعَاطَفُونَ بِالتَّقْوَى مُتَوَاضِعِينَ يُوَقِّرُونَ فِيهِ الْكَبِيرَ وَيَرْحَمُونَ الصَّغِيرَ وَيُرْفِدُونَ ذَا الْحَاجَةِ وَيَرْحَمُونَ الْغَرِيبَ فَسَأَلْتُهُ عَنْ سِيرَتِهِ ﷺ فِي جُلَسَائِهِ فَقَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ دَائِمَ الْبِشْرِ، سَهْلَ الْخُلُقِ، لَيِّنَ الْجَانِبِ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ وَلاَ سَخَّابٍ وَلاَ فَحَّاشٍ وَلاَ عَيَّابٍ وَلاَ مَدَّاحٍ يَتَغَافَلُ عَمَّا لاَ يَشْتَهِي و يُؤْيِسُ مِنْهُ قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلاَثٍ: الرِّيَاءِ، وَالإِكْثَارِ، وَمَا لاَ يَعْنِيهِ، وَتَرَكَ النَّاسَ مِنْ ثَلاَثٍ: كَانَ لاَ يَذُمُّ أَحَداً؛ وَلاَ يُعَيِّرُهُ وَلاَ يَطْلُبُ عَوْرَتَهُ. وَلاَ يَتَكَلَّمُ إِلاَّ فِيمَا يَرْجُو ثَوَابَهُ، إِذَا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جُلَسَاؤُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ وَإِذَا سَكَتَ تَكَلَّمُوا لاَ يَتَنَازَعُونَ عِنْدَهُ الْحَدِيثَ مَنْ تَكَلَّمَ عِنْدَهُ أَنْصَتُوا لَهُ حَتَّى يَفْرَغَ، حَدِيثُهُمْ حَدِيثُ أَوَّلِهِمْ يَضْحَكُ مِمَّا يَضْحَكُونَ مِنْهُ وَيَتَعَجَّبُ مِمَّا يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ وَيَصْبِرُ لِلْغَرِيبِ عَلَى الْجَفْوَةِ فِي

---

(١) سفيان بن وكيع بن الجراح يكنى أبا محمد ينتسب إلى الكوفة. كان إماماً حافظاً أخذ عنه الإمام الترمذي، والدارقطني توفي رحمه الله سنة ٢٤٧ هـ.

الْمَنْطِقِ وَيَقُولُ: «إِذَا رَأَيْتُمْ صَاحِبَ الْحَاجَةِ يَطْلُبُهَا فَارْفِدُوهُ»، وَلاَ يَطْلُبُ الثَّنَاءَ إِلاَّ مِنْ مُكَافِيءٍ وَلاَ يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَتَجَوَّزَهُ فَيَقْطَعَهُ بِانْتِهَاءٍ أَوْ قِيَامٍ؛ هُنَا انْتَهَى حَدِيثُ سُفْيَانَ بْنِ وَكِيعٍ؛ وَزَادَ الآخَرُ قُلْتُ كَيْفَ كَانَ سُكُوتُهُ ﷺ؟ قَالَ: كَانَ سُكُوتُهُ عَلَى أَرْبَعٍ: عَلَى الْحِلْمِ، وَالْحَذَرِ، وَالتَّقْدِيرِ، وَالتَّفَكُّرِ.

فَأَمَّا تَقْدِيرُهُ فَفِي تَسْوِيَةِ النَّظَرِ وَالاسْتِمَاعِ بَيْنَ النَّاسِ.

وَأَمَّا تَفَكُّرُهُ فَفِيمَا يَبْقَى وَيَفْنَى وَجُمِعَ لَهُ الْحِلْمُ ﷺ فِي الصَّبْرِ فَكَانَ لاَ يُغْضِبُهُ شَيْءٌ يَسْتَفِزُّهُ وَجُمِعَ لَهُ فِي الْحَذَرِ أَرْبَعٌ: أَخْذُهُ بِالْحَسَنِ لِيُقْتَدَى بِهِ، وَتَرْكُهُ الْقَبِيحَ لِيُنْتَهَى عَنْهُ وَاجْتِهَادُ الرَّأْيِ بِمَا أَصْلَحَ أُمَّتَهُ وَالْقِيَامُ لَهُمْ بِمَا جُمِعَ لَهُمْ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. انْتَهَى الْوَصْفُ بِحَمْدِ اللهِ وَعَوْنِهِ.

الفصل السادس والعشرون

فِي تَفْسِيرِ غَرِيبِ هَذَا الْحَدِيثِ وَمُشْكِلِهِ[1].

قَوْلُهُ الْمُشَذَّبُ أَيِ الْبَائِنُ الطُّولِ فِي نَحَافَةٍ وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الآخَرِ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْمُمَغَّطِ، وَالشَّعَرُ الرَّجِلُ الذِي كَأَنَّهُ مُشِطَ فَتَكَسَّرَ قَلِيلاً لَيْسَ بِسَبْطٍ وَلاَ جَعْدٍ، وَالْعَقِيقَةُ شَعَرُ الرَّأْسِ أَرَادَ إِنِ انْفَرَقَتْ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهَا فَرَقَهَا وَإِلاَّ تَرَكَهَا مَعْقُوصَةً وَيُرْوَى عَقِيصَتُهُ، وَأَزْهَرُ اللَّوْنِ نَيِّرُهُ وَقِيلَ أَزْهَرُ حَسَنٌ وَمِنْهُ زَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: أَيْ زِينَتُهَا وَهَذَا كَمَا قَالَ فِي الْحَدِيثِ: الآخَرِ لَيْسَ بِالأَبْيَضِ الأَمْهَقِ وَلاَ بِالآدَمِ: هُوَ النَّاصِعُ الْبَيَاضِ وَالآدَمُ الأَسْمَرُ اللَّوْنِ. وَمِثْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الآخَرِ: أَبْيَضُ مُشْرَبٌ أَيْ فِيهِ حُمْرَةٌ، وَالْحَاجِبُ الأَزَجُّ الْمُقَوَّسُ الطَّوِيلُ الْوَافِرُ الشَّعَرِ، وَالأَقْنَى: السَّائِلُ الأَنْفِ الْمُرْتَفِعُ وَسَطُهُ، وَالأَشَمُّ: الطَّوِيلُ قَصَبَةِ الأَنْفِ. وَالْقَرَنُ: اتِّصَالُ شَعَرِ الْحَاجِبَيْنِ؛ وَضِدُّهُ الْبَلَجُ وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ أُمِّ مَعْبَدٍ. وَصْفُهُ بِالْقَرَنِ، وَالأَدْعَجُ: الشَّدِيدُ سَوَادِ الْحَدَقَةِ.

وَفِي الْحَدِيثِ الآخَرِ: أَشْكَلُ الْعَيْنِ، وَأَسْجَرُ الْعَيْنِ، وَهُوَ الذِي فِي بَيَاضِهَا حُمْرَةٌ، وَالضَّلِيعُ: الْوَاسِعُ وَالشَّنَبُ: رَوْنَقُ الأَسْنَانِ. وَمَاؤُهَا وَقِيلَ: رِقَّتُهَا وَتَحْزِينٌ فِيهَا كَمَا يُوجَدُ فِي أَسْنَانِ الشَّبَابِ، وَالْفَلَجُ فَرْقٌ بَيْنَ الثَّنَايَا، وَدَقِيقُ الْمَسْرُبَةِ خَيْطُ الشَّعَرِ الذِي بَيْنَ الصَّدْرِ وَالسُّرَّةِ، بَادِنٌ ذُو لَحْمٍ وَمُتَمَاسِكٌ مُعْتَدِلُ الْخَلْقِ يُمْسِكُ بَعْضُهُ بَعْضاً مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الآخَرِ لَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ وَلاَ بِالْمُكَلْثَمِ أَيْ لَيْسَ بِمُسْتَرْخِي اللَّحْمِ. وَالْمُكَلْثَمُ: الْقَصِيرُ الذَّقَنِ، وَسَوَاءُ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ أَيْ مُسْتَوِيهِمَا مُشِيحُ الصَّدْرِ إِنْ صَحَّتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ فَتَكُونُ مِنَ الإِقْبَالِ وَهُوَ أَحَدُ مَعَانِي أَشَاحَ أَيْ أَنَّهُ كَانَ بَادِيَ الصَّدْرِ وَلَمْ يَكُنْ فِي صَدْرِهِ قَعَسٌ وَهُوَ تَطَامُنٌ فِيهِ وَبِهِ يَتَّضِحُ قَوْلُهُ قَبْلُ

(١) عند القاضي عياض هنا يشرح فيه كلمات الأحاديث السابقة المروية عن أبي هالة وهو فصل أعده لشرح اللفاظ الصعبة.

سَوَاءُ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ أَيْ لَيْسَ بِمُتَقَاعِسِ الصَّدْرِ؛ وَلاَ مُفَاضِ الْبَطْنِ، وَلَعلَّ اللَّفْظَ مَسِيحٌ: بِالسِّينِ وَفَتْحِ الْمِيمِ بِمَعْنَى عَرِيضٍ كَمَا وَقَعَ فِي الرِّوَايَةِ الأُخْرَى، وَحَكَاهُ ابْنُ دُرَيْدٍ وَالْكَرَادِيسُ: رُؤُسَ الْعِظَامِ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الآخَرِ جَلِيلِ الْمَشَاشِ وَالْكَتَدِ. وَالْمَشَاشُ: رُؤُوسَ الْمَنَاكِبِ، وَالْكَتَدُ: مُجْتَمَعُ الْكَتِفَيْنِ، وَشَثْنُ الْكَفَّيْنِ، وَالْقَدَمَيْنِ لَحِيمُهُمَا؛ وَالزَّنْدَانِ: عَظْمَا الذِّرَاعَيْنِ؛ وَسَائِلُ الأَطْرَافِ أَيْ طَوِيلُ الأَصَابِعِ؛ وَذَكَرَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ أَنَّهُ رُوِيَ سَائِلُ الأَطْرَافِ، أَوْ قَالَ سَائِنُ بِالنُّونِ قَالَ وَهُمَا بِمَعْنَى تُبْدَلُ اللاَّمُ مِنَ النُّونِ إِنْ صَحَّتِ الرِّوَايَةُ بِهَا. وَأَمَّا عَلَى الرِّوَايَةِ الأُخْرَى وَسَائِرُ الأَطْرَافِ فَإِشَارَةٌ إِلَى فَخَامَةِ جَوَارِحِهِ كَمَا وَقَعَتْ مُفَصَّلَةً فِي الْحَدِيثِ وَرَحْبُ الرَّاحَةِ أَيْ وَاسِعُهَا وَقِيلَ كَنَّى بِهِ عَنْ سَعَةِ الْعَطَاءِ وَالْجُودِ؛ وَخُمْصَانُ الأَخْمَصَيْنِ أَيْ مُتَجَافِي أَخْمَصِ الْقَدَمِ وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي لاَ تَنَالُهُ الأَرْضُ مِنْ وَسَطِ الْقَدَمِ، وَمَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ أَيْ أَمْلَسُهُمَا وَلِهَذَا قَالَ يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ خِلاَفُ هَذَا قَالَ فِيهِ إِذَا وَطِىءَ بِقَدَمِهِ وَطِىءَ بِكُلِّهَا لَيْسَ لَهُ أَخْمَصُ وَهَذَا يُوَافِقُ مَعْنَى قَوْلِهِ مَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ وَبِهِ قَالُوا سُمِّيَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ أَيْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَخْمَصُ وَقِيلَ مَسِيحٌ لاَ لَحْمَ عَلَيْهِمَا وَهَذَا أَيْضاً يُخَالِفُ قَوْلَهُ شَثْنُ الْقَدَمَيْنِ وَالتَّقَلُّعُ رَفْعُ الرِّجْلِ بِقُوَّةٍ، وَالتَّكَفُّؤُ: الْمَيْلُ إِلَى سَنَنِ الْمَمْشِي وَقَصْدِهِ، وَالْهَوْنُ: الرِّفْقُ وَالْوَقَارُ؛ وَالذَّرِيعُ: الْوَاسِعُ الْخَطْوِ أَيْ أَنَّ مَشْيَهُ كَانَ يَرْفَعُ فِيهِ رِجْلَيْهِ بِسُرْعَةٍ وَيَمُدُّ خَطْوَهُ خِلاَفَ مِشْيَةِ الْمُخْتَالِ وَيَقْصِدُ سَمْتَهُ. وَكُلُّ ذَلِكَ بِرِفْقٍ وَتَثَبُّتٍ دُونَ عَجَلَةٍ كَمَا قَالَ كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ، وَقَوْلُهُ يَفْتَتِحُ الْكَلاَمَ وَيَخْتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ أَيْ لِسِعَةِ فَمِهِ؛ وَالْعَرَبُ تَتَمَادَحُ بِهَذَا؛ وَتَذُمُّ بِصِغَرِ الْفَمِ، وَأَشَاحَ: مَالَ وَانْقَبَضَ، وَحَبُّ الْغَمَامِ: الْبَرَدُ. وَقَوْلُهُ: فَيَرُدُّ ذَلِكَ بِالْخَاصَّةِ عَلَى الْعَامَّةِ أَيْ جَعَلَ مِنْ جُزْءِ نَفْسِهِ مَا يُوَصِّلُ الْخَاصَّةَ إِلَيْهِ فَتُوَصِّلُ عَنْهُ لِلْعَامَّةِ: وَقِيلَ يَجْعَلُ مِنْهُ لِلْخَاصَّةِ ثُمَّ يُبْدِلُهَا فِي جُزْءٍ آخَرَ بِالْعَامَّةِ؛ وَيَدْخُلُونَ رُوَاداً أَيْ مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِ وَطَالِبِينَ لِمَا عِنْدَهُ وَلاَ يَنْصَرِفُونَ إِلاَّ عَنْ ذَوَاقٍ، قِيلَ: عَنْ عِلْمٍ يَتَعَلَّمُونَهُ: وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ عَلَى ظَاهِرِهِ أَيْ فِي الْغَالِبِ وَالأَكْثَرِ؛ وَالْعَتَادُ: الْعُدَّةُ وَالشَّيْءُ الْحَاضِرُ الْمُعَدُّ؛ وَالْمُوَازَرَةُ. الْمُعَاوَنَةُ، وَقَوْلُهُ لاَ يُوطِنُ الأَمَاكِنَ أَيْ لاَ يَتَّخِذُ لِمُصَلاَّهُ مَوْضِعاً مَعْلُوماً، وَقَدْ وَرَدَ نَهْيُهُ عَنْ هَذَا مُفَسَّراً فِي غَيْرِ هَذَا الْحَدِيثِ. وَصَابَرَهُ أَيْ حَبَسَ نَفْسَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ صَاحِبُهُ وَلاَ تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرَمُ أَيْ لاَ يُذْكَرْنَ فِيهِ بِسُوءٍ وَلاَ تُثْنَى فَلَتَاتُهُ أَيْ لاَ يُتَحَدَّثُ بِهَا أَيْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ فَلْتَةٌ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ أَحَدٍ سُتِرَتْ؛ وَيُرْفِدُونَ: يُعِينُونَ، وَالسَّخَّابُ: الْكَثِيرُ الصِّيَاحِ، وَقَوْلُهُ وَلاَ يَقْبَلُ الثَّنَاءَ إِلاَّ مِنْ مُكَافِىءٍ؛ قِيلَ مُقْتَصِدٍ فِي ثَنَائِهِ وَمَدْحِهِ، وَقِيلَ إِلاَّ مِنْ مُسْلِمٍ، وَقِيلَ: إِلاَّ مِنْ مُكَافِىءٍ عَلَى يَدٍ سَبَقَتْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ؛ وَيَسْتَفِزُّهُ: يَسْتَخِفُّهُ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ فِي وَصْفِهِ[1] ﷺ مَنْهُوسُ الْعَقِبِ أَيْ قَلِيلُ لَحْمِهَا؛ وَأَهْدَبُ الأَشْفَارِ: أَيْ طَوِيلُ شَعَرِهَا.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح تحت رقم: ١٨٢٠.

الفصل الأول: فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه.

الفصل الثاني: في تفضيله بما تضمنته كرامة الإسراء من المناجاة والرؤية. . .

الفصل الثالث: ثم اختلف السلف والعلماء: هل كان إسراء بروحه أو جسده على ثلاثة مقالات.

الفصل الرابع: في إبطال حجج من قال إنها نوم.

الفصل الخامس: وأما رؤيته ﷺ لربه جل وعز. فاختلف السلف فيها فأنكرته عائشة.

الفصل السادس: وأما ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله تعالى وكلامه معه بقوله:

الفصل السابع: وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر الآية:

الفصل الثامن: في ذكر تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة.

الفصل التاسع: في تفضيله بالمحبة والخلة.

الفصل العاشر: في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود.

الفصل الحادي عشر: في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة.

الفصل الثاني عشر: في بيان شبهة ترد على ما تقدم.

الفصل الثالث عشر: في أسمائه ﷺ وما تضمنته من فضيلته.

الفصل الرابع عشر: في تشريف الله تعالى له بما سماه من أسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلا.

الفصل الخامس عشر: قال القاضي أبو الفضل.



الْبَابُ الثَّالِثُ

فِيمَا وَرَدَ مِنْ صَحِيحِ الْأَخْبَارِ وَمَشْهُورِهَا بِعَظِيمِ قَدْرِهِ عِنْدَ رَبِّهِ وَمَنْزِلَتِهِ وَمَا خَصَّهُ بِهِ فِي الدَّارَيْنِ مِنْ كَرَامَتِهِ ﷺ

وَفيهِ خَمسَةَ عَشَرَ فَصْلاً

مقدمة الباب الثالث

لاَ خِلاَفَ أَنَّهُ أَكْرَمُ الْبَشَرِ، وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَأَفْضَلُ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ الله، وَأَعْلاَهُمْ دَرَجَةً، وَأَقْرَبُهُمْ زُلْفَى. وَاعْلَمْ أَنَّ الأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جِدّاً وَقَدِ اقْتَصَرْنا مِنْهَا عَلَى صَحِيحِهَا وَمُنْتَشِرِهَا وَحَصَرْنَا مَعَانِي مَا وَرَدَ مِنْهَا فِي اثْنَي عَشَر فَصْلاً.

الفصل الأول: مكانته ﷺ

فِيمَا وَرَدَ بَيْنَ ذِكْرِ مَكَانَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالاصْطِفَاءِ وَرَفْعِهِ الذِّكْرِ وَالتَّفْضِيلِ، وَسِيَّادَةِ وَلَدِ آدَمَ وَمَا خَصَّهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ مَزَايَا الرُّتَبِ وَبَرَكَةِ اسْمِهِ الطَّيِّبِ: أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الله بْنُ أَحْمَدَ الْعَدْلُ إِذْناً بِلَفْظِهِ.

[حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْفَرْغَانِيُّ حَدَّثَتنا أُمُّ الْقَاسِمِ بِنْتُ أَبِي بَكْرِ بْنُ يَعْقُوبَ عَنْ أَبِيهَا، حَدَّثَنَا حَاتِمُ وَهُوَ ابْنُ عَقِيلٍ عَنْ يَحْيَى وَهُوَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ يَحْيَى الْحِمَّانِيِّ، حَدَّثَنَا قَيْسٌ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ عَبَايَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ][1] عَنْ عَبَّاسٍ[2] رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الله تَعَالَى قَسَمَ الْخَلْقَ قِسْمَيْنِ: فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِم قِسماً**»[3]. فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: أَصْحَابُ الْيَمِينِ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ فَأَنَا مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَنَا خَيْرُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ثُمَّ جَعَلَ الْقِسْمَيْنِ أَثْلاثاً فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا ثُلثاً وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. فَأَنا مِنَ السَّابِقِينَ وَأَنَا خَيْرُ السَّابِقِينَ ثُمَّ جَعَلَ الأَثْلاثَ قَبَائِلَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهَا قَبِيلَةً وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ [الحجرات:١٣] الآيَةَ: فَأَنَا أَتْقَى وَلَدِ آدَمَ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى الله وَلاَ فَخْرَ، ثُمَّ جَعَلَ الْقَبَائِلَ بُيُوتاً فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهَا بَيْتاً فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب:٣٣] الآيَةَ؛ وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ[4]

---

(١) [. . . .] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٢) أخرجه الطبراني والبيهقي في دلائل النبوة ١/١١٣.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٣/٥١، ١٢/١٠٤ والسيوطي في جمع الجوامع ٢٦ ٤٩ والبيهقي في دلائل النبوة: ١/١٣٣، ١٧٠ . . .

(٤) تقدمت ترجمته.

عَنْ أَبِي [(١)] هُرَيْرَةَ. قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ الله مَتَى وَجَبَتْ لَكَ النُّبُوَّةُ قَالَ «وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ» [(٢)] وَعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ [(٣)] قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ «إِنَّ الله اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» [(٤)] وَمِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ [(٥)] رَضِيَ الله عَنْهُ «أَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلاَ فَخْرَ» [(٦)] وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ [(٧)] أَنَا أَكْرَمُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَلاَ فَخْرَ [(٨)].

وَعَنْ عَائِشَةَ [(٩)] رَضِيَ الله عَنْهَا عَنْهُ ﷺ «أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَقَالَ قَلَّبْتُ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَلَمْ أَرَ رَجُلاً أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَلَمْ أَرَ بَنِي أَبٍ أَفْضَلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» [(١٠)] وَعَنْ أَنَسٍ [(١١)] رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِالْبُرَاقِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ بِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذَا؟ فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمَ عَلَى الله مِنْهُ، فَارْفَضَّ عَرَقاً [(١٢)]. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ [(١٣)] رَضِيَ الله عَنْهُمَا عَنْهُ ﷺ «لَمَّا خَلَقَ الله آدَمَ أَهْبَطَنِي فِي صُلْبِهِ إِلَى الأَرْضِ وَجَعَلَنِي فِي صُلْبِ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ وَقَذَفَ بِي فِي النَّارِ فِي صُلْبِ إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَنْقُلُنِي فِي الأَصْلاَبِ الْكَرِيمَةِ إِلَى الأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ حَتَّى أَخْرَجَنِي بَيْنَ أَبَوَيَّ لَمْ يَلْتَقِيَا عَلى سِفَاحٍ قَطُّ» [(١٤)] وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الْعَبَّاسُ [(١٥)] بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ الله عَنْهُ بِقَوْلِهِ:

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في السنن وصححه: ٥/ ٥٨٥ كتاب المناقب (٥٠) باب في فضل النبي ﷺ (١) الحديث: ٣٦٠٩، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٦٠٩، كتاب التاريخ باب ذكر مراكبه ﷺ، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة: ٢/ ١٣٠ جماع أبواب المبعث، باب الوقت الذي كتب فيه محمد ﷺ نبياً.

(٣) واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر... الليثي كنيته أبو الأسقع وقيل أبو قرصافة توفي سنة ٨٣ هـ وهو ابن: ١٠٥ سنين سكن الشام وحدث عنه أهلها. واختلف في سنة وفاته. ترجمته: في الثقات ٣/ ٤٢٦ وفي الطبقات ٧/ ٤٠٧، وفي الإصابة: ٣/ ٦٢٦ وفي حلية الأولياء: ٢/ ٢١...

(٤) وأخرج الحديث الإمام مسلم في الصحيح.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) أخرجه الدارمي في السنن: ١/ ٢٦ ـ ٢٧ المقدمة باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل، الترمذي في السنن ٥/ ٥٨٥ كتاب المناقب (٥٠) باب في فضل النبي ﷺ (١) الحديث: ٣٦١٠ وقال عنه: حسن غريب، ورواية مسلم مختلفة عن رواية الشفا.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) أخرجه الترمذي في السنن: كما أخرجه الدارمي في السنن أيضاً.

(٩) تقدمت ترجمتها.

(١٠) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، وأبو نعيم في الحلية والطبراني في الأوسط.

(١١) تقدمت ترجمته.

(١٢) أخرجه الشيخان من رواية أنس رضي الله عنه.

(١٣) تقدمت ترجمته.

(١٤) أخرجه ابن أبي عمر العدني في مسنده.

(١٥) تقدمت ترجمته.

مِنْ قَبْلِهَا طِبْتَ فِي الظِّلاَلِ وَفِي مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الْوَرَقُ[1]
ثُمَّ هَبَطْتَ الْبِلاَدَ لاَ بَشَرٌ أَنْتَ وَلاَ مُضْغَةٌ وَلاَ عَلَقُ
بَلْ نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وَقَدْ أَلْجَمَ نَسْراً وَأَهْلَهُ الْغَرَقُ
تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ إِذَا مَضَى عَالِمٌ بَدَا طَبَقُ
ثُمَّ احْتَوَى بَيْتُكَ الْمُهَيْمَنُ مِنْ خِنْدَفَ عَلْيَاءَ تَحْتَهَا النُّطُقُ
وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الْأَرْ ضُ وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الْأُفُقُ
فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّـ ـورِ وَسُبْلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ
يَا بَرْدَ نَارِ الْخَلِيلِ يَا سَبَباً لِعِصْمَةِ النَّارِ وَهْيَ تَحْتَرِقُ

وروى عنه ﷺ أبو ذر[2] وابن عمر[3] وابن عباس[4] وأبو هريرة[5] وجابر بن عبد الله[6] أنه قال: «أُعطيتُ خمساً ـ وفي بعضها ستاً ـ لم يُعطهن نبيٌّ قبلي: نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر، وجُعلتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأُحلّت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبُعثتُ إلى الناس كافةً وأُعطيتُ الشفاعة»[7].

وفي رواية بدل هذه الكلمة: «وقيل لي سل تُعطه»[8] وفي رواية أخرى «وعُرض عليّ أمتي فلم يخف عليّ التابع من المتبوع»[9] وفي رواية: بُعثت إلى الأحمر والأسود[10]. قيل

---

(١) جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام تأليف أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي. حققه وضبطه وزاد في شرحه. السيد علي محمد البجاوي ص ٢٩.
العباس بن عبد المطلب بن هشام عم النبي ﷺ ولد قبل النبي ﷺ بسنتين وكان له في الجاهلية صاحب السقاية، والعمارة وحضر بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يدخل في الإسلام، وشهد بدراً مع المشركين مكرهاً فافتدى نفسه وعاد إلى مكة، هاجر قبل الفتح وشهده وشهد حنين توفي رحمه الله ورضي الله عنه بالمدينة سنة ٣٢ هـ. ترجمته في الثقات ٣/٢٨٨. والطبقات: ٤/٥ والإصابة: ٢/ ٢٧١.

(٢) (٣) (٤) (٥) (٦) تقدمت ترجمتهم.

(٧) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح ١/ ٣٧١، كتاب المساجد (٥) الحديث: ٥/ ٥٢٣. والإمام البخاري في الصحيح ١/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦ كتاب التيمم (٧) باب (١) الحديث: ٣٣٥ واللفظ له. وأخرجه مسلم كذلك في الصحيح: ١/ ٣٧٠، كتاب المساجد (٥) الحديث: ٣/ ٥٢١ برواية مختلفة مع زيادة في آخره.

(٨) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ١/ ٣٨٦، ٤٠٠، ٤٣٧، ٤٤٥ ضمن مسند ابن مسعود والترمذي في السنن: ٢/ ٤٨٨. كتاب الصلاة ما ذكر في الثناء على الله والصلاة على النبي ﷺ قبل الدعاء (٤١٦) الحديث: ٥٩٣. وله أول.

(٩) أخرجه البزار، والبيهقي في دلائل النبوة.

(١٠) رواية عن أبي ذر لم يخرجها أحد من أئمة الحديث.

السُّودُ الْعَرَبُ لأَنَّ الْغَالِبَ عَلَى أَلْوَانِهِمْ الأُدْمَةُ فَهُمْ مِنَ السُّودِ. وَالْحُمْرُ الْعَجَمُ، وَقِيلَ الْبِيضُ وَالسُّود مِنَ الأُمَمِ، وَقِيلَ الْحُمْرُ: الإِنْسُ. وَالسُّودُ: الْجِنُّ.

وَفِي الْحَدِيثِ الآخَرِ عَنْ أَبِي[1] هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ جِيءَ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِيَّ»[2].

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ «وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ» وَعَنْ عُقْبَةَ[3] بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ ﷺ: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي وَالله لأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِ الآنَ وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ وَإِنِّي وَالله مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا»[4] وَعَنْ عَبْدِ الله[5] بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ: النَّبِيُّ الأُمِّيُّ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ وَعُلِّمْتُ خَزَنَةَ النَّارِ وَحَمَلَةَ الْعَرْشِ». وعَنِ ابْنِ عُمَرَ: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدِي السَّاعَةِ»[6]، وَمِنْ رِوَايَةِ ابْنِ وَهْبٍ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «قَالَ الله تَعَالَى سَلْ يَا مُحَمَّدُ فَقُلْتُ مَا أَسْأَلُ يَا رَبِّ اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً وَكَلَّمْتَ مُوسَى تَكْلِيماً، وَاصْطَفَيْتَ نُوحاً، وَأَعْطَيْتَ سُلَيْمَانَ مُلْكاً لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ. فَقَالَ الله تَعَالَى: مَا أَعْطَيْتُكَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ، أَعْطَيْتُكَ الْكَوْثَرَ وَجَعَلْتُ اسْمَكَ مَعَ اسْمِي يُنَادَى بِهِ فِي جَوْفِ السَّمَاءِ وَجَعَلْتُ الأَرْضَ طَهُوراً لَكَ وَلأُمَّتِكَ وَغَفَرْتُ لَكَ مَا

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٦/ ٩٠ في الجهاد باب قول النبي ﷺ: نصرت بالرعب مسيرة شهر. . وأخرجه مسلم في الصحيح تحت رقم ٥٢٣ في المساجد في فاتحته، والترمذي في السنن تحت رقم: ١٥٥٣ في السير باب ما جاء في الغنيمة. والنسائي في السنن: ٦/ ٣، ٤ في الجهاد، باب وجوب الجهاد. .

(٣) عقبة بن عامر بن عيسى الجهني الصحابي الجليل كان من المقرئين والعالمين بعلم الفرائض والفقه من البلغاء يقول الشعر ويكتب وهو من الذين جمعوا القرآن الكريم توفي سنة ٥٨ هـ ترجمته: في الثقات: ٣/ ٢٨٠. والطبقات: ٤/ ٣٤٣، ٧/ ٤٩٨، والإصابة: ٤/ ٤٨٩، والحلية: ٢/ ٨. . .

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح: ١١/ ٤١٤ في الرقاق: باب في الحوض، وباب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، وفي الجنائز: باب الصلاة على الشهيد وفي الأنبياء. باب علامات النبوة في الإسلام، وفي المغازي، باب غزوة أحد وباب أحد يحبنا ونحبه، وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح تحت رقم: ٢٢٩٦ في الفضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

(٥) أخرجه ابن سعد: ١ ـ ٢/ ٦٨، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١/ ١٦٩.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند بسند حسن، ٢/ ٥٠، ٥٢. والهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٢٦٧، ٦/ ٤٩ وابن أبي شيبة في مصنفه: ٥/ ٣١٣، وابن كثير في تفسيره: ١/ ٢١٣، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٩/ ٧٧، والخطيب البغدادي: في الفقيه والمتفقه ٢/ ٧٣، والزيلعي في نصب الراية ٤/ ٣٤٧. وأبو نعيم في تاريخ أصبهان: ١/ ١٢٩.

تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَأَنْتَ تَمْشِي فِي النَّاسِ مَغْفُوراً لَكَ، وَلَمْ أَصْنَعْ ذٰلِكَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ، وَجَعَلْتُ قُلُوبَ أُمَّتِكَ مَصَاحِفَهَا، وَخَبَّأْتُ لَكَ شَفَاعَتَكَ وَلَمْ أَخْبَأْهَا لِنَبِيٍّ غَيْرِكَ»(١).

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ، رَوَاهُ حُذَيْفَةُ: «بَشَّرَنِي ـ يَعْنِي رَبَّهُ عَزَّ وجَلَّ ـ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَعِي مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفاً لَيْسَ عَلَيْهِمْ حِسَابٌ. وَأَعْطَانِي أَنْ لاَ تَجُوعَ أُمَّتِي وَلاَ تُغْلَبَ، وَأَعْطَانِي النَّصْرَ وَالْعِزَّةَ، وَالرُّعْبَ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْ أُمَّتِي شَهْراً، وَطَيَّبَ لِي وَلِأُمَّتِي الْمَغَانِمَ، وَأَحَلَّ لَنَا كَثِيراً مِمَّا شَدَّدَ عَلَى مَنْ قَبْلَنَا، وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْنَا فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ(٢) عَنْهُ ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ إِلاَّ وَقَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْياً أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ؛ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣) مَعْنَى هَذَا عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ بَقَاءُ مُعْجِزَتِهِ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَسَائِرُ مُعْجِزَاتِ الأَنْبِيَاءِ ذَهَبَتْ لِلْحِينِ وَلَمْ يُشَاهِدْهَا إِلاَّ الْحَاضِرُ لَهَا وَمُعْجِزَةُ الْقُرْآنِ يَقِفُ عَلَيْهَا قَرْنٌ بَعْدَ قَرْنٍ عِيَاناً لاَ خَبَراً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَفِيهِ كَلاَمٌ يَطُولُ هَذَا نُخْبَتُهُ، وَقَدْ بَسَطْنَا الْقَوْلَ فِيهِ، وَفِيمَا ذُكِرَ فِيهِ سِوَى هَذَا آخِرَ بَابِ الْمُعْجِزَاتِ.

وَعَنْ عَلِيٍّ(٤) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كُلُّ نَبِيٍّ أُعْطِيَ سَبْعَةَ نُجَبَاءَ وُزَرَاءَ رُفَقَاءَ مِنْ أُمَّتِهِ، وأُعْطِيَ نَبِيُّكُمْ ﷺ أَرْبَعَةَ عَشَرَ نَجِيباً مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ(٥) وَعُمَرُ(٦) وَابْنُ مَسْعُودٍ(٧) وَعَمَّارٌ(٨). وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ

---

(١) أخرجه الإمام البيهقي في دلائل النبوة من رواية أسماء في حديث الإسراء حيث أتى سدرة المنتهى.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخه مرفوعاً. وابن عساكر هو الإمام الكبير الحافظ في أهل الشام الثقة الثبت الحجة ثقة الدين. كنيته أبو القاسم علي بن الحسين. الدمشقي الشافعي، صاحب تاريخ دمشق، وأطراف السنن الأربعة وعوالي مالك وغرائب مالك، وفضل أصحاب الحديث، ومناقب الشبان وعوالي الثوري، ومن وافقت كنيته كنية زوجته، ومسند أهل داريا، وتاريخ المزة وما إلى ذلك من المصنفات والمؤلفات. ترجمته: في البداية والنهاية ١٢/ ٢٩٤، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٤/ ١٣٢٨، وشذرات الذهب ٤/ ٢٣٩، وطبقات الشافعية ٧/ ٢١٥، والعبر ٤/ ٢١٢، ومرآة الجنان لليافعي ٣/ ٣٩٣. ومفتاح السعادة. ٢/ ٣٥٢ والمنتظم ١٠/ ٢٦١. والنجوم الزاهرة: ٦/ ٧٧ ووفيات الأعيان لابن خلكان: ١/ ٣٣٥.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٩/ ٥ ـ ٦. في فضائل القرآن: باب كيف نزول الوحي، وأول ما نزل وفي الاعتصام باب قول النبي ﷺ بعثت بجوامع الكلم ـ وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح تحت رقم: ١٥٢ في الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) (٨) تقدمت تراجمهم.

الله قَدْ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الفِيلَ وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّمَا لاَ تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ»[(١)] وَعَنِ الْعِرْبَاضِ[(٢)] بْنِ سَارِيَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنِّي عَبْدُ الله وَخَاتِمُ النَّبِيِّينَ[(٣)] وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ وَعِدَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ». وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[(٤)] قَالَ: إِنَّ الله فَضَّلَ[(٥)] مُحَمَّداً ﷺ عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ وَعَلَى الأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ الله وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِمْ قَالُوا فَمَا فَضْلُهُ على أَهْلِ السَّمَاءِ قَالَ إِنَّ الله تَعَالَى قَالَ لِأَهْلِ السَّمَاءِ[(٦)]. ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ﴾ [الأنبياء:٢٩] الآيَةَ - وَقَالَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح:١] الآيَةَ، قَالُوا: فَمَا فَضْلُهُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: إِنَّ الله تَعَالَى قَالَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم:٤] الآيَةَ، وَقَالَ لِمُحَمَّدٍ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ:٢٨] وَعَنْ خَالِدِ[(٧)] بْنِ مَعْدَانَ أَنَّ نَفَراً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ: وَقَدْ رُوِيَ نَحْوُهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ[(٨)] وَشَدَّادِ[(٩)] بْنِ أَوْسٍ، وَأَنَسِ[(١٠)]، بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ الله عَنْهُمْ فَقَالَ: «نَعَمْ أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ - يَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:١٢٩] - وَبَشَّرَ بِي عِيسَى وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهُ قُصُورُ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وَاسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ فَبَيْنَا أَنَا مَعَ أَخٍ لِي خَلْفَ بُيُوتِنَا نَرْعَى بَهْماً لَنَا إِذْ جَاءَنِي رَجُلاَنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ ثَلاَثَةُ رِجَالٍ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ ثَلْجاً فَأَخَذَانِي فَشَقَّا

---

(١) أخرجه ابن ماجه والترمذي وحسنه.

(٢) أخرجه الشيخان في الصحيحين.

(٣) عرباض بن سارية السلمي كنيته نجيح صحابي جليل من أهل الصفة وممن نزل فيه قوله تعالى: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع﴾ [التوبة: ٩٢]. من أوائل من أسلم. توفي سنة ٧٥ هـ. ترجمته في الثقات ٣/ ٣٢١، والطبقات ٤/ ٢٧٦ ٧/ ٤١٢، والإصابة ٢/ ٤٧٣ وحلية الأولياء ٢/ ١٣....

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤/ ١٢٧ والطبراني في المعجم الكبير: ١٨/ ٢٥٢ والبيهقي في دلائل النبوة: ١/ ٨٠، ٨١، وابن سعد في الطبقات: ١/ ٩٦.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) أخرجه الإمام البيهقي في دلائل النبوة، والدارمي في السنن، وابن أبي حاتم.

(٧) خالد بن معدان بن التابعين الذين سكنوا الشام روى حديثه عن ابن عمر ومعاوية وثوبان، ويعد من كبار التابعين وزهادهم في الدنيا أدرك الكثير من الصحابة، وأخرج أحاديثه أئمة الحديث الستة توفي رحمه الله سنة ١٠٤ هـ.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) شداد بن أوس بن ثابت بن منذر ابن أخي حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ صحابي جليل سكن بيت المقدس ورحل إلى الشام وهناك توفي سنة ٥٨ هـ.

(١٠) تقدمت ترجمته.

بَطْنِي» قَالَ فِي غَيْرِ هَذَا الْحَدِيثِ: «مِنْ نَحْرِي إِلَى مَرَاقِّ بَطْنِي ثُم اسْتَخْرَجَا مِنْهُ قَلْبِي فَشَقَّاهُ فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ فَطَرَحَاهَا ثُمَّ غَسَلاَ قَلْبِي وَبَطْنِي بِذَلِكَ الثَّلْجِ حَتَّى أَنْقَيَاهُ».

قَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «ثُمَّ تَنَاوَلَ أَحَدُهُمَا شَيْئاً فَإِذَا بِخَاتَمٍ فِي يَدِهِ مِنْ نُورٍ يَحَارُ النَّاظِرُ دُونَهُ فَخَتَمَ بِهِ قَلْبِي فَامْتَلأَ إِيمَاناً وَحِكْمَةً ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ وَأَمَرَّ الآخَرُ يَدَهُ عَلَى مَفْرِقِ صَدْرِي فَالْتَأَمَ ـ وَفِي رِوَايَةٍ إِنَّ جِبْرِيلَ قَالَ قَلْبٌ وَكِيعٌ: أَيْ شَدِيدٌ فِيهِ عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ وَأُذْنَانِ سَمِعَتَانِ ـ ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ زِنْهُ بِعَشْرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ثُمَّ قَالَ زِنْهُ بِمِائَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ ثُمَّ قَالَ زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ ثُمَّ قَالَ: دَعْهُ عَنْكَ فَلَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَوَزَنَهَا» قَالَ فِي الْحَدِيثِ الآخَرِ: «ثُمَّ ضَمُّونِي إِلَى صُدُورِهِمْ وَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنِي، ثُمَّ قَالُوا يَا حَبِيبُ كَمْ تُرَعْ إِنَّكَ لَوْ تَدْرِي ما يُرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ لَقَرَّتْ عَيْنَاكَ» وَفِي بَقِيَّةِ هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ قَوْلِهِمْ «مَا أَكْرَمَكَ عَلَى الله إِنَّ الله مَعَكَ وَمَلاَئِكَتَهُ»[١]؛ قَالَ فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ[٢]: «فَمَا هُوَ إِلاَّ أَنْ وَلَّيَا عَنِّي فَكَأَنَّمَا أَرَى الأَمْرَ مُعَايَنَةً» وَحَكَى أَبُو مُحَمَّدٍ[٣] الْمَكِّيُّ أَبُو اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيُّ[٤]؛ وَغَيْرُهُمَا؛ أَنَّ آدَمَ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ قَالَ اللَّهُمَّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَيُرْوَى وَتَقَبَّلْ تَوْبَتِي فَقَالَ لَهُ الله: مِنْ أَيْنَ عَرَفْتَ مُحَمَّداً. قَالَ: رَأَيْتُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِنَ الْجَنَّةِ مَكْتُوباً لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله. وَيُرْوَى مُحَمَّدٌ عَبْدِي وَرَسُولِي فَعَلِمْتُ أَنَّه أَكْرَمُ خَلْقِكَ عَلَيْكَ فَتَابَ الله عَلَيْهِ وَغَفَرَ لَهُ، وَهَذَا عِنْدَ قَائِلِهِ تَأْوِيلُ قَوْلِه تَعَالَى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فَقَالَ آدَمُ: لَمَّا خَلَقْتَنِي رَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى عَرْشِكَ فَإِذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْظَمَ قَدْراً عِنْدَكَ مِمَّنْ جَعَلْتَ اسْمَهُ مع اسْمِكَ فَأَوْحَى الله إِلَيْهِ: «وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي إِنَّهُ لآخِرُ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ وَلَوْلاَهُ مَا خَلَقْتُكَ» قَالَ: وَكَانَ آدَمُ يُكَنَّى بِأَبِي مُحَمَّدٍ[٥]، وَقِيلَ بِأَبِي الْبَشَرِ وَرُوِيَ عَنْ سُرَيْجِ[٦] بْنِ يُونُسَ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ لله مَلاَئِكَةً سَيَّاحِينَ عِبَادَتُهَا عَلَى كُلِّ دَارٍ فِيهَا أَحْمَدُ أَوْ مُحَمَّدٌ إِكْرَاماً مِنْهُمْ لِمُحَمَّدٍ ﷺ[٧]، وَرَوَى ابْنُ قَانِعٍ

---

(١) أخرجه الدارمي في السنن، وأبو نعيم في الدلائل.
(٢) تقدمت ترجمته.
(٣) تقدمت ترجمته.
(٤) تقدمت ترجمته.
(٥) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة عن علي رضي الله عنه مرفوعاً.
(٦) سريج بن يونس بن إبراهيم الحارث البغدادي، الورع القدوة، أحد رجالات الحديث أخرج أحاديثه الإمام مسلم في صحيحه والإمام البغوي وابن أبي حاتم توفي سنة ٢٣٥ هـ.
(٧) أخرجه ابن قانع في معجم الصحابة رضوان الله عليهم، وهو له، وأخرجه الطبراني.
(٨) ابن قانع هو عبد الباقي بن قانع بن مرزوق الأموي البغدادي، صاحب معجم الصحابة توفي سنة: ٣٥١ هـ.

الْقَاضِي[١] عَنْ أَبِي الْحَمْرَاءِ[٢] قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ إِذَا عَلَى الْعَرْشِ مَكْتُوبٌ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله، أَيَّدْتُهُ بِعَلِيٍّ» وَفِي التَّفْسِيرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ[٣] فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ [الكهف:٨٢] قَالَ لَوْحٌ بْنُ ذَهَبٍ فِيهِ مَكْتُوبٌ: «عَجَباً لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْقَدَرِ كَيْفَ يَنْصَبُ! عَجَباً لِمَنْ أَيْمَنَ بِالنَّارِ كَيْفَ يَضْحَكُ! عَجَباً لِمَنْ رَأَى الدُّنْيَا وَتَقَلُّبَهَا بِأَهْلِهَا كَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا! أَنَا الله لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدِي وَرَسُولِي»[٤]. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[٥] رَضِيَ الله عَنْهُمَا: عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ مَكْتُوبٌ إِنِّي أَنَا الله لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله لا أُعَذِّبُ مَنْ قَالَهَا، وَذُكِرَ أَنَّهُ وُجِدَ عَلَى الْحِجَارَةِ الْقَدِيمَةِ مَكْتُوبٌ: مُحَمَّدٌ تَقِيٌّ مُصْلِحٌ، وَسَيِّدٌ أَمِينٌ[٦]؛ وَذَكَرَ السَّمِنْطَارِيُّ[٧] أَنَّهُ شَاهَدَ فِي بَعْضِ بِلادِ خُرَاسَانَ مَوْلُوداً وُلِدَ عَلَى أَحَدِ جُنْبَيْهِ مَكْتُوبٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَعَلَى الآخَرِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله، وَذَكَرَ الأَخْبَارِيُّونَ أَنَّ بِبِلادِ الْهِنْدِ وَرْداً أَحْمَرَ مَكْتُوباً عَلَيْهِ بِالأَبْيَضِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَرُوِيَ عَنْ جَعْفَرِ[٨] بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ إِذَا كَانَ يَومُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ أَلاَ لِيَقُمْ مَنِ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ لِكَرَامَةِ اسْمِهِ ﷺ، وَرَوَى ابْنُ الْقَاسِمِ[٩] فِي سَمَاعِهِ وَابْنُ وَهْبٍ فِي جَامِعِهِ عَنْ مَالِكٍ[١٠] سَمِعْتُ أَهْلَ مَكَّةَ يَقُولُونَ مَا مِنْ بَيْتٍ

---

(١) يعرف باسم أبي الحمراء صحابيان أحدهما هو مولى رسول الله ﷺ. واسمه هلال بن الحارث أو ابن ظفر وسكن حمص بالشام، ومن الصحابة أبو الحمراء مولى آل عفراء البدري ولم يرو منه حديث..

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) أخرجه البزار مرفوعاً من رواية أبي ذر ومرفوعاً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن علي رضي الله عنه.

(٤) تقدمت ترجمته. (٥) لم أعثر على هذه الرواية بلفظها عند أئمة الحديث.

(٦) السمنطاري هو أبو بكر بن عتيق بن علي نسبة لسمنطار قرية من جزائر الغرب اشتهر بالورع والعبادة والزهد وهو جليل القدر له تصانيف وتآليف في شتى العلوم والفنون..

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) ابن القاسم هو أبو العتيق عبد الرحمن، جمع بين الزهد والورع والعلم رافق مالك ٢٠ سنة، أخرج أحاديث الإمام البخاري، وأبو داود، والنسائي ويعد من الثقات توفي في مصر سنة ١٩١ هـ.

(٩) الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر ولد سنة ٩٥ هـ وهو الإمام المشهور في الفقه والسنة وكفاه فخراً أن الإمام الشافعي درس عليه وفي أصحابه وكان مبالغاً في تعظيم العلم واحترام العلماء، توفي سنة ١٧٩ هـ. بالمدينة. وكان شيخ الأئمة وإمام دار العجزة، أخذ عن نافع ومحمد بن المنكدر، وجعفر الصادق وحميد الطويل. وترجمته في الأنساب: ١٤١ والبداية والنهاية ١٠/ ١٧٤ وتذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٢٠٧. وتهذيب الأسماء للنووي: ٢/ ٧٥ وتهذيب التهذيب: ١٠/ ٥. وجمهرة الأنساب لابن حزم ٤٣٥. وحلية الأولياء للأصبهاني: ٦/ ٣١٣. وخلاصة تذهيب الكمال للخزرجي ٣١٣، والديباج المذهب: ١٧ والرسالة المستطرفة: ١٣ وشذرات الذهب: ٢/ ٩٩ وطبقات ابن سعد: ٥/ ٤٥، وطبقات الشيرازي ٩٧ وطبقات القراء لابن الجوزي: ٢/ ٣٥، وطبقات المفسرين: ٢/ ٢٩٣ والعبر: ١/ ٢٧٢. والفهرست ١٩٨، واللباب: ١/ ٥٥، ٣/ ٨٦. ومرآة الجنان ١/ ٣٧٣، ومروج الذهب ٣/ ٣٥٠، وصفوة الصفوة لابن الجوزي: ٢/ ٩٩. والنجوم الزاهرة: ٢/ ٩٦ ووفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ٤٣٩.

فِيهِ اَسْمُ مُحَمَّدٍ إِلاَّ نَمَا وُرُزِقُوا وَرُزِقَ جِيرَانُهُمْ: وَعَنْهُ ﷺ «مَا ضَرَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ فِي بَيْتِهِ مُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدَانِ وَثَلاثَةٌ»[1] وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ[2] رَضِيَ الله عَنْهُ: أَنَّ الله تَعَالَى نَظَرَ[3] إِلَى قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاَخْتَارَ مِنْهَا قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَاَصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَبَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ؛ وَحَكَى النَّقَّاشُ[4] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قَامَ خَطِيباً فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ أَهْلَ الإِيمَانِ إِنَّ الله تَعَالَى فَضَّلَنِي عَلَيْكُمْ تَفْضِيلاً وَفَضَّلَ نِسَائِي عَلَى نِسَاءِكُمْ تَفْضِيلاً» الْحَدِيثَ.

الفصل الثاني: كرامة الإسراء

فِي تَفْضِيلِهِ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ كَرَامَةُ الإِسْرَاءِ مِنَ الْمُنَاجَاةِ. وَالرُّؤْيَةَ وَإِمَامَةِ الأَنْبِيَاءِ وَالْعُرُوجِ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَمَا رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى: وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ قِصَّةُ الإِسْرَاءِ[5] وَمَا اَنْطَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ دَرَجَاتِ الرِّفْعَةِ مِمَّا نَبَّهَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ وَشَرَحَتْهُ صِحَاحُ الأَخْبَارِ قَالَ الله تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١] الآيَةَ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١] إِلَى قَوْلِهِ ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: ١٨] فَلاَ خِلافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي صِحَّةِ الإِسْرَاءِ بِهِ ﷺ إِذْ هُوَ نَصُّ الْقُرْآنِ وَجَاءَتْ بِتَفْصِيلِهِ وَشَرْحِ عَجَائِبِهِ وَخَوَاصِّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فِيهِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ مُنْتَشِرَةٌ رَأَيْنَا أَنْ نُقَدِّمَ أَكْمَلَهَا وَنُشِيرَ إِلَى زِيَادَةٍ مِنْ غَيْرِهِ يَجِبُ ذِكْرُهَا.

[حَدَّثَنَا الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ وَالْفَقِيهُ أَبُو بَحْرٍ بِسَمَاعِي عَلَيْهِمَا. وَالْقَاضِي أَبُو عَبْدِ الله التَّمِيمِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ شُيُوخِنَا قَالُوا حَدَّثَنَا ابُو الْعَبَّاسِ الْعُذْرِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَاسِ الرَّازِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْجَلُودِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ سُفْيَانَ حَدَّثَنَا مُسْلِمِ بْنُ الْحَجَّاجِ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخٍ حَدَّثَنَا

---

(١) أخرجه ابن سعد من رواية عثمان العمري مرفوعاً.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) أخرجه البزار، والإمام أحمد في المسند، والطبراني.

(٤) النقاش هو أبو بكر محمد بن الحسن بن أحمد الموصلي البغدادي المقرىء المفسر روى عن أبي سلم الكجي وطبقته، وأحد الحفاظ للروايات حتى عد من المقرئين في عصره. وله ترجمة طويلة في كتب السير والتراجم.

(٥) حديث الإسراء أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٤/ ١٣٣، ومسلم في الصحيح: رقم ١٤٥ والإمام أحمد في المسند؛ ٢٥، ٣٠٩، ٣١٠، والترمذي في السنن: ٥/ ٣٠٠ وابن هشام في السيرة: ٢/ ٣٦، وابن كثير في تفسيره: ٣/ ١٠٨، والسيرة الحلبية: ١/ ٤٧٨. وابن سعد والطبقات: ١/ ١٤٢.

حَمادُ بْنُ سَلَمَةَ حَدَّثَنَا ثَابِتُ البُنَانِيُّ[1] عَنْ أَنَسِ بْنِ[2] مَالِكٍ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِالبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ قَالَ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبُطُ بِهَا الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ؛ قَالَ: جِبْرِيلُ: قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ ﷺ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ[3] فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ: قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّاءَ صَلَّى الله عَلَيْهِمَا فَرَحَّبَا بِي وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَذَكَرَ مِثْلَ الأَوَّلِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ وَذَكَرَ مِثْلَهُ فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَذَكَرَ مِثْلَهُ فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَذَكَرَ مِثْلَهُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَذَكَرَ مِثْلَهُ فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ مُسْنِداً ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ ثَمَرُهَا كَالْقِلاَلِ؛ قَالَ فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ الله مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ الله يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا فَأَوْحَى الله إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلاَةً قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ يَا رَبِّ خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي فَحَطَّ عَنِّي خَمْساً فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّي خَمْساً قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ قَالَ فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى حَتَّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ فَتِلْكَ خَمْسُونَ صَلاَةً وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا

---

(١) [....] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١٣/٣٩٩ ـ ٤٠٦. في التوحيد باب ما جاء في ﴿وكلم موسى تكليماً﴾ [النساء: ١٦٤]. وفي الأنبياء باب صفة النبي ﷺ والإمام مسلم في الصحيح تحت رقم: ١٦٢ في الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ. إلى السموات، والنسائي في السنن: ١/٢٢١ في الصلاة باب فرض الصلاة، والترمذي في السنن تحت رقم ٣١٣٠ في التفسير باب ومن سورة بني إسرائيل.

كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْراً وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئاً فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً قَالَ فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ»، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَقُلْتُ قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ» قَالَ الْقَاضِي وَفَّقَهُ الله جَوَّدَ ثَابِتٌ[1] رَحِمَهُ الله هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَنَسٍ[2]: مَا شَاءَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ عَنْهُ بِأَصْوَبَ مِنْ هَذَا وَقَدْ خَلَّطَ فِيهِ غَيْرُهُ عَنْ أَنَسٍ تَخْلِيطاً كَثِيراً لاَ سِيَّمَا مِنْ رِوَايَةِ شَرِيكِ[3] بْنِ أَبِي نَمِرٍ فَقَدْ ذَكَرَ فِي أَوَّلِهِ مَجِيءُ الْمَلَكُ لَهُ وَشَقَّ بَطْنَهُ وَغَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ وَهَذَا إِنَّمَا كَانَ وَهُوَ صَبِيٌّ وَقَبْلَ الْوَحْيِ وَقَدْ قَالَ شَرِيكٌ فِي حَدِيثِهِ «وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ وَذَكَرَ قِصَّةَ الْإِسْرَاءِ وَلاَ خِلاَفَ أَنَّهَا كَانَتْ بَعْدَ الْوَحْيِ وَقَدْ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ إِنَّهَا كَانَتْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسَنَةٍ وَقِيلَ قَبْلَ هَذَا وَقَدْ رَوَى ثَابِتٌ[4] عَنْ أَنَسٍ مِنْ رِوَايَةِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ أَيْضاً مَجِيءَ[5] جِبْرِيلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ عِنْدَ ظِئْرِهِ وَشَقَّهُ قَلْبَهُ تِلْكَ الْقِصَّةَ مُفْرَدَةً مِنْ حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ كَمَا رَوَاهُ النَّاسُ فَجَوَّدَ فِي الْقِصَّتَيْنِ وَفِي أَنَّ الْإِسْرَاءَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَإِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى كَانَ قِصَّةً وَاحِدَةً وَأَنَّهُ وَصَلَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ عَرَجَ مِنْ هُنَاكَ فَأَزَاحَ كُلَّ إِشْكَالٍ أَوْهَمَهُ غَيْرُهُ وَقَدْ رَوَى يُونُسُ[6] عَنِ ابْنِ شِهَابٍ[7] عَنْ أَنَسٍ[8] قَالَ كَانَ أَبُو ذَرٍّ[9] يُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «فُرِجَ سَقْفُ[10] بَيْتِي

---

(١) ثابت البناني هو أحد رجال سند الحديث وينسب لحي من العرب يقال لهم بنانة وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة على رأس العلماء العارفين في عصره. توفي سنة ١٢٧ هـ.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) شريك بن أبي نمر هو القاضي المدني تابعي ثقة اشتهر بالصدق توفي سنة ١٤٠ هـ.

(٤) تقدمت ترجمته. (٥) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح.

(٦) يونس هو يونس بن يزيد الديلي القريشي كان يأخذ عن الزهري وعن نافع، قال بعضهم عنه أنه ثقة صدوق، وقال عنه أبو داود إنه ليس بحجة توفي رحمه الله سنة ١٥٩ هـ.

(٧) ابن شهاب هو الزهري أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله شهاب المدني. نزل الشام وأخذ عن سهل بن سعد وابن عمر، وجابر وأنس وعنه أخذ أبو حنيفة ومالك وعطاء وعمر بن عبد العزيز... وكان من أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقاً لمتون الأخبار فقيهاً فاضلاً» وقال عنه الإمام الليث: ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب ولا أكثر علماً منه. توفي سنة ١٢٤ هـ. ترجمته في: تذكرة الحفاظ: ١/ ١٠٨ وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٩/ ٤٤٥ وحلية الأولياء ٣/ ٣٦٠، وخلاصة تذهيب الكمال: ٣٠٦. وشذرات الذهب: ١/ ١٦٢. وطبقات الشيرازي: ٦٣ وطبقات القراء لابن الجزري: ٢/ ٢٦٢، والعبر: ١/ ١٥٨، والنجوم الزاهرة ١/ ٢٩٤، ووفيات الأعيان لابن خلكان: ١/ ٤٥١...

(٨) تقدمت ترجمته. (٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩ كتاب الصلاة (٨) باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء (١) الحديث ٣٤٩، وفي: ٦/ ٣٧٤. كتاب الأنبياء (٦٠) باب ذكر إدريس عليه السلام. (٥) الحديث: ٣٣٤٢. وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح ١/ ١٤٨ ـ ١٤٩ كتاب الإيمان (١) باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلاة (٧٤) الحديث: ٢٦٣/ ١٦٣.

فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ بَطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِىءٍ حِكْمَةً وَإِيمَاناً فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ». فَذَكَرَ الْقِصَّةَ. وَرَوَى قَتَادَةُ(١) الْحَدِيثَ بِمِثْلِهِ عَنْ أَنَسٍ(٢) عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ(٣) وَفِيهَا تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ وَزِيَادَةٌ وَنَقْصٌ وَخِلاَفٌ فِي تَرْتِيبِ الأَنْبِيَاءِ فِي السَّمَوَاتِ. وَحَدِيثُ ثَابِتٍ(٤) عَنْ أَنَسٍ(٥) أَتْقَنُ وَأَجْوَدُ وَقَدْ وَقَعَتْ فِي حَدِيثِ الإِسْرَاءِ زِيَادَاتٌ نَذْكُرُ مِنْهَا نُكَتاً مُفِيدَةً فِي غَرَضِنَا مِنْهَا فِي حَدِيثِ ابْنِ شِهَابٍ(٦) وَفِيهِ قَوْلُ كُلِّ نَبِيٍّ لَهُ مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ إِلاَّ آدَمَ وَإِبْرَاهِيمَ فَقَالاَ لَهُ وَالابْنِ الصَّالِحِ وَفِيهِ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ بِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلاَمِ»(٧)، وَعَنْ أَنَسٍ(٨): «ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى أَتَيْتُ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ ـ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ قَالَ ـ ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ»(٩). وَفِي حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ(١٠) صَعْصَعَةَ: «فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ ـ يَعْنِي مُوسَى ـ بَكَى فَنُودِيَ مَا يُبْكِيكَ قَالَ رَبِّ هَذَا غُلاَمٌ بَعَثْتَهُ بَعْدِي يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي»(١١). وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ(١٢) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ فَحَانَتِ الصَّلاَةُ فَأَمَمْتُهُمْ فَقَالَ قَائِلٌ يَا مُحَمَّدُ هَذَا مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَالْتَفَتُّ فَبَدَأَنِي بِالسَّلاَمِ»(١٣) وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ(١٤): «ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَتَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَنَزَلَ فَرَبَطَ

---

(١) قتادة: هو ابن دعامة يكنى أبا الخطاب السدوسي الأعمى الحافظ المفسر الراوي عن عبد الله بن سرجس، وأنس وخلق كثير توفي رحمه الله سنة ١١٧ هـ.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) مالك بن صعصعة الخزرجي المازني. أخرج حديثه الإمام البخاري والإمام مسلم والترمذي، والنسائي والإمام أحمد وليس له في كتب الحديث سوى حديث الإسراء، وقال الإمام النووي أن له خمسة أحاديث اتفق البخاري ومسلم منها على حديث واحد هو حديث الإسراء.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) صوت حركة الأجرام، والمراد به هنا صوت القلم على الورق.

(٨) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح والإمام أحمد في المسند من مسند ابن عباس.

(٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) هذا الحديث مرفوع.

(١١) أخرجه الشيخان.

(١٢) أخرجه الإمام البخاري والإمام مسلم، في الصحيحين.

(١٣) الرؤية هنا بصرية ليكون الإسراء في حالة اليقظة.

(١٤) أخرجه الإمام البيهقي في دلائل النبوة.

فَرَسَهُ إِلَى صَخْرَةٍ فَصَلَّى مَعَ الْمَلاَئِكَةِ فَلَمَّا قَضَيْتُ الصَّلاَةَ قَالُوا يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا مَعَكَ قَالَ هَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ خَاتِمُ النَّبِيِّينَ قَالُوا وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قَالُوا حَيَّاهُ اللهُ مِنْ أَخٍ وَخَلِيفَةٍ فَنِعْمَ الأَخُ وَنِعْمَ الْخَلِيفَةُ ثُمَّ لَقُوا أَرْوَاحَ الأَنْبِيَاءِ فَأَثْنَوْا عَلَى رَبِّهِمْ»، وَذَكَرَ كَلاَمَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَهُمْ إِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانُ ثُمَّ ذَكَرَ كَلاَمَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ وَأَنَّ مُحَمَّداً ﷺ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: «كُلُّكُمْ[1] أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ وَأَنَا أُثْنِي عَلَى رَبِّي الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَرْسَلَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَكَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْفُرْقَانَ فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَجَعَلَ أُمَّتِي خَيْرَ أُمَّةٍ وَجَعَلَ أُمَّتِي أُمَّةً وَسَطاً وَجَعَلَ أُمَّتِي هُمُ الأَوَّلُونَ وَهُمُ الآخِرُونَ وَشَرَحَ لِي صَدْرِي وَوَضَعَ عَنِّي وِزْرِي وَرَفَعَ لِي ذِكْرِي وَجَعَلَنِي فَاتِحاً وَخَاتِماً»، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بِهَذَا فَضَلَكُمْ مُحَمَّدٌ ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَمِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ[2]: «وَانْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى[3] وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَنْ يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يَهْبِطُ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا» قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم:١٦] قَالَ فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ[4] مِنْ طَرِيقِ الرَّبِيعِ[5] بْنِ أَنَسٍ: «فَقِيلَ لِي هَذِهِ السِّدْرَةُ الْمُنْتَهَى يَنْتَهِي إِلَيْهَا كُلُّ أَحَدٍ مِنْ أُمَّتِكَ خَلاَ عَلَى سَبِيلِكَ وَهِيَ السِّدْرَةُ الْمُنْتَهَى يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى، وَهِيَ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا سَبْعِينَ عَاماً وَأَنَّ وَرَقَةً مِنْهَا مُظِلَّةُ الْخَلْقِ فَغَشِيَهَا نُورٌ وَغَشِيَتْهَا الْمَلاَئِكَةُ» قَالَ فَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم:١٦]» فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: سَلْ فَقَالَ «إِنَّكَ اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكاً عَظِيماً وَكَلَّمْتَ مُوسَى تَكْلِيماً وَأَعْطَيْتَ دَاوُدَ مُلْكاً عَظِيماً وَأَلَنْتَ لَهُ الْحَدِيدَ وَسَخَّرْتَ لَهُ الْجِبَالَ، وَأَعْطَيْتَ سُلَيْمَانَ مُلْكاً عَظِيماً وَأَلَنْتَ لَهُ الْحَدِيدَ وَسَخَّرْتَ لَهُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ وَالشَّيَاطِينَ وَالرِّيَاحَ وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكاً لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَّمْتَ عِيسَى التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَجَعَلْتَهُ يُبْرِىءُ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الدلائل.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) حديث الإسراء من رواية أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة. أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٣٢٠٧، ٣٨٨٧ والإمام مسلم في الصحيح تحت رقم ١٦٤ والنسائي في السنن: ١/٢١٧ والإمام أحمد في المسند ٤/٢٠٨، ٢١٠ والطبراني في الكبير ١٩/٥٩٩. وابن حبان في صحيحه: ٤٨ واللفظ الذي أورد عياض منقول من زاد المعاد لابن القيم.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) الربيع بن أنس هو البكري البصري التابعي سكن خراسان، روى أحاديثه عن أنس توفي رحمه الله سنة: ١٣٩هـ.

الأَكْمَهُ وَالأَبْرَصَ وَأَعَذْتَهُ وَأُمَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِمَا سَبِيلٌ» فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذْتُكَ خَلِيلاً وَحَبِيباً فَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ مُحَمَّدٌ حَبِيبُ الرَّحْمٰنِ وَأَرْسَلْتُكَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ هُمُ الأَوَّلُونَ وَهُمُ الآخِرُونَ وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ لاَ تَجُوزُ لَهُمْ خُطْبَةٌ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّكَ عَبْدِي وَرَسُولِي وَجَعَلْتُكَ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ خَلْقاً وَآخِرَهُمْ بَعْثاً وَأَعْطَيْتُكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَلَمْ أُعْطِهَا نَبِيّاً قَبْلَكَ وَأَعْطَيْتُكَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ عَرْشِي لَمْ أُعْطِهَا نَبِيّاً قَبْلَكَ وَجَعَلْتُكَ فَاتِحاً وَخَاتِماً وَفِي الرِّوَايَةِ الأُخْرَى قَالَ: فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاَثاً: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَغُفِرَ لِمَنْ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً مِنْ أُمَّتِهِ الْمُقْحِمَاتُ[1] وَقَالَ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم:١١] الآيَتَيْنِ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ. وَفِي حَدِيثِ شَرِيكٍ[2] أَنَّهُ رَأَى مُوسَى فِي السَّابِعَةِ قَالَ بِتَفْضِيلِ كَلاَمِ اللهِ قَالَ ثُمَّ عَلِيَ بِهِ فَوْقَ ذَلِكَ بِمَا لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللهُ فَقَالَ مُوسَى لَمْ أَظُنَّ أَنْ يُرْفَعَ عَلَيَّ أَحَدٌ.

وَرُوِيَ عَنْ أَنَسٍ[3]: أَنَّهُ ﷺ صَلَّى بِالأَنْبِيَاءِ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ[4]. وَعَنْ أَنَسٍ[5] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **«بَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ دَخَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَوَكَزَ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَقُمْتُ إِلَى شَجَرَةٍ فِيهَا مِثْلُ وَكْرِي الطَّائِرِ فَقَعَدَ فِي وَاحِدَةٍ وَقَعَدْتُ فِي الأُخْرَى فَنَمَتْ حَتَّى سَدَّتِ الْخَافِقَيْنِ وَلَوْ شِئْتُ لَمَسَسْتُ السَّمَاءَ وَأَنَا أُقَلِّبُ طَرْفِي وَنَظَرْتُ جِبْرِيلَ كَأَنَّهُ حِلْسٌ لاَ طِيءٌ فَعَرَفْتُ فَضْلَ عِلْمِهِ بِاللهِ عَلَيَّ وَفُتِحَ لِي بَابُ السَّمَاءِ وَرَأَيْتُ النُّورَ الأَعْظَمَ وَلُطَّ دُونِيَ الْحِجَابُ وَفَرَجَهُ الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ ثُمَّ أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا شَاءَ أَنْ يُوحِيَ»**[6]. وَذَكَرَ الْبَزَّارُ عَنْ عَلِيِّ[7] بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَمَّا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُعَلِّمَ رَسُولَهُ ﷺ الأَذَانَ جَاءَهُ جِبْرِيلُ بِدَابَّةٍ يُقَالُ لَهَا الْبُرَاقُ[8] فَذَهَبَ يَرْكَبُهَا فَاسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهَا جِبْرِيلُ اسْكُنِي فَوَاللهِ مَا رَكِبَكِ عَبْدٌ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ فَرَكِبَهَا حَتَّى أَتَى بِهَا إِلَى الْحِجَابِ الَّذِي يَلِي الرَّحْمٰنَ تَعَالَى فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ مَلَكٌ مِنَ الْحِجَابِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **«يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا»** قَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لأَقْرَبُ

---

(١) هذه الرواية أخرجها الإمام مسلم في صحيحه.
(٢) تقدمت ترجمته.
(٣) تقدمت ترجمته.
(٤) أخرجه الإمام البزار والبيهقي في دلائل النبوة.
(٥) تقدمت ترجمته.
(٦) أخرجه البزار والبيهقي.
(٧) تقدمت ترجمته.
(٨) البزار: هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري. صاحب المسند الكبير، يعد البزار من الثقات الحفاظ توفي رحمه الله سنة ٢٩٢ هـ.

الْخَلْقِ مَكَاناً وَإِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا رَأَيْتُهُ مُنْذُ خُلِقْتُ قَبْلَ سَاعَتِي هَذِهِ فَقَالَ الْمَلَكُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ فَقِيلَ لَهُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ صَدَقَ عَبْدِي أَنَا أَكْبَرُ أَنَا أَكْبَرُ ثُمَّ قَالَ الْمَلَكُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ فَقِيلَ لَهُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ صَدَقَ عَبْدِي أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَذَكَرَ مِثْلَ هَذَا فِي بَقِيَّةِ الأَذَانِ إِلاَّ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ جَوَاباً عَنْ قَوْلِهِ حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ حَيَّ عَلى الْفَلاَحِ وَقَالَ ثُمَّ أَخَذَ الْمَلَكُ بِيَدِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَدَّمَهُ فَأَمَّ أَهْلَ السَّمَاءِ فِيهِمْ آدَمُ وَنُوحٌ[(١)]. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَاوِيهِ أَكْمَلَ اللهُ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ الشَّرَفَ عَلَى أَهْلِ السَّمواتِ وَالأَرْضِ قَالَ الْقَاضِي وَفَّقَهُ اللهُ مَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ ذِكْرِ الْحِجَابِ فَهُوَ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ لاَ فِي حَقِّ الْخَالِقِ فَهُمُ الْمَحْجُوبُونَ وَالْبَارِي جَلَّ اسْمُهُ مُنَزَّهٌ عَمَّا يَحْجُبُهُ إِذِ الْحُجُبُ إِنَّمَا تُحِيطُ بِمُقَدَّرٍ مَحْسُوسٍ وَلَكِنْ حُجُبُهُ عَلَى أَبْصَارِ خَلْقِهِ وَبَصَائِرِهِمْ وَإِدْرَاكَاتِهِمْ بِمَ شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ وَمَتَى شَاءَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥] فَقَوْلُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْحِجَابُ وَإِذْ خَرَجَ مَلَكٌ مِنَ الْحِجَابِ يَجِبُ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ حِجَابٌ حُجِبَ بِهِ مِنْ وَرَائِهِ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ عَنِ الاطِّلاَعِ عَلَى مَا دُونَهُ مِنْ سُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ وَعَجَائِبِ مَلَكُوتِهِ وَجَبَرُوتِهِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ مِنَ الْحَدِيثِ قَوْلُ جِبْرِيلَ عَنِ الْمَلَكِ الذي خَرَجَ مِنْ وَرَائِهِ إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا رَأَيْتُهُ مُنْذُ خُلِقْتُ قَبْلَ سَاعَتِي هَذِهِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْحِجَابَ لَمْ يَخْتَصَّ بِالذَّاتِ وَيَدِلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ كَعْبٍ فِي تَفْسِيرِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى قَالَ إِلَيْهَا يَنْتَهِي عِلْمُ الْمَلاَئِكَةِ وَعِنْدَها يَجِدُونَ أَمْرَ اللهِ لاَ يُجَاوِزُهَا عِلْمُهُمْ وَأَمَّا قَوْلُهُ الذِي يَلِي الرَّحْمَنَ فَيُحْمَلُ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ أَيْ يَلِي عَرْشَ الرَّحْمَنِ أَوْ أَمْراً مَا مِنْ عَظِيمِ آيَاتِهِ أَوْ مَبَادِيءِ حَقَائِقِ مَعَارِفِهِ مِمَّا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:٨٢] أَيْ أَهْلَهَا وَقَوْلُهُ فَقِيلَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ صَدَقَ عَبْدِي أَنَا أَكْبَرُ فَظَاهِرُهُ أَنَّهُ سَمِعَ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ كَلاَمَ اللهِ تَعَالَى وَلَكِنْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى:٥١] أَيْ وَهُوَ لاَ يَرَاهُ حَجَبَ بَصَرَهُ عَنْ رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ صَحَّ الْقَوْلُ بِأَنَّ مُحَمَّداً ﷺ رَأَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْطِنِ بَعْدَ هَذَا أَوْ قَبْلَهُ رُفِعَ الْحِجَابُ عَنْ بَصَرِهِ حَتَّى رَآهُ وَاللهُ أَعْلَمُ.

الفصل الثالث: حقيقة الإسراء

ثُمَّ اخْتَلَفَ السَّلَفُ وَالْعُلَمَاءُ هَلْ كَانَ إِسْرَاؤُهُ بِرُوحِهِ أَوْ جَسَدِهِ عَلَى ثَلاَثِ مَقَالاَتٍ: قَدْ

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح: ١/١٤٥ ـ ١٤٦ كتاب الأيمان (١) باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات (٧٤) الحديث ٢٥٩/١٦٢.

ذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى أَنَّهُ إِسْرَاءٌ بِالرُّوحِ وَأَنَّهُ رُؤْيَا مَنَام مَعَ اتِّفَاقِهِمْ أَنَّ رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ حَقٌّ وَوَحْيٌ وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ مُعَاوِيَة[١] وَحُكِيَ عَنِ الْحَسَنِ[٢]. وَالْمَشْهُورُ عَنْهُ خِلافُهُ وَإِلَيْهِ أَشَارَ مُحَمَّدُ[٣] بْنُ إِسْحَاقَ وَحُجَّتُهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] وَمَا حَكَوْا عَنْ عَائِشَةَ[٤] رَضِيَ الله عَنْهَا مَا فَقَدْتُ جَسَدَ رَسُولِ الله ﷺ وَقَوْلُهُ: «بينا أنا نائم». وَقَوْلُ أَنَس[٥] وَهُوَ نَائِمٌ فِي المَسْجِدِ الْحَرَامِ وَذَكَرَ الْقِصَّةَ ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِهَا فَاسْتَيْقَظْتُ وَأَنَا بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَذَهَبَ مُعْظَمُ السَّلَفِ وَالْمُسْلِمِينَ: إِلَى أَنَّهُ إِسْرَاءٌ بِالْجَسَدِ وَفِي اليَقْظَةِ وَهَذا هُوَ الْحَقُّ وَهُوَ قَوْلُ: ابْنِ عَبَّاسٍ[٦] وَجَابِرٍ[٧] وَأَنَسٍ[٨] وَحُذَيْفَةَ[٩] وَعُمَرَ[١٠] وَأَبِي هُرَيْرَةَ[١١] وَمَالِكِ بْنِ[١٢] صَعْصَعَةَ وَأَبِي حَبَّةَ الْبَدْرِيِّ[١٣] وَابْنِ مَسْعُودٍ[١٤] وَالضَّحَّاكِ[١٥] وَسَعِيدِ بْنِ[١٦] جُبَيْرٍ وَقَتَادَةَ[١٧]

---

(١) معاوية بن أبي سفيان الصحابي الجليل تولى الخلافة بعد وفاة علي رضي الله عنه سنة ٤٠ هـ توفي بالشام سنة ٦٠ هـ ترجمته في الثقات ٣/ ٣٧٣، والطبقات ٧/ ٤٠٦. والإصابة: ٣/ ٤٣٣.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) محمد بن إسحاق بن أبي بكر يقال له أبو عبد الله كان من أجلة العلماء وله غرائب في العلوم والسيرة قد استنكرها بعضهم لكثرة حفظه، وهو مؤلف المغازي اختلف الناس في تضعيفه، والرأي الصحيح أنه ثقة توفي رحمه الله سنة ١٥١ هـ.

(٤) تقدمت ترجمتها.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) تقدمت ترجمته.

(١١) تقدمت ترجمته.

(١٢) تقدمت ترجمته.

(١٣) أبو حبة البدري هو عامر بن عبد عمرو بن عمير بن ثابت وقال الواقدي أنه شهد صفين مع الإمام علي كرم الله وجهه.

(١٤) تقدمت ترجمته.

(١٥) الضحاك هو ابن مزاحم العلالي الخراساني أخذ عن أبي هريرة رضي الله عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما وغير ذلك من الصحابة، قال بعضهم أنه ضعيف إلا أن أحمد وابن معين عداه من الثقات وأخرج له أصحاب السنن وغيرهم ترجم له صاحب الميزان توفي سنة ١٠٥ هـ.

(١٦) سعيد بن جبير الوالهي كنيته أبو عبد الله التابعي الورع العابد الثقة أحد أعلام الحديث أخذ عن ابن عباس وروى عنه أصحاب السنن قتله الحجاج ظلماً وعدواناً سنة ٩٥ هـ.

(١٧) تقدمت ترجمته.

وَٱبْنِ الْمُسَيَّبِ[١] وَٱبْنِ شِهَابٍ[٢] وَٱبْنِ زَيْدٍ[٣] وَالْحَسَنِ[٤] وَإِبْرَاهِيمَ[٥] وَمَسْرُوقٍ[٦] وَمُجَاهِدٍ[٧] وَعِكْرِمَةَ[٨] وَٱبْنِ جُرَيْجٍ[٩] وَهُوَ دَلِيلُ قَوْلِ عَائِشَةَ[١٠] وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ كَانَ الإِسْرَاءُ بِالْجَسَدِ يَقْظَةً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَإِلَى السَّمَاءِ بِالرُّوحِ وَٱحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء:١] فَجَعَلَ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى غَايَةَ الإِسْرَاءِ الذِي وَقَعَ التَّعَجُّبُ فِيهِ بِعَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَالتَّمَدُّحِ بِتَشْرِيفِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ بِهِ وَإِظْهَارِ الْكَرَامَةِ لَهُ بِالإِسْرَاءِ إِلَيْهِ قَالَ هَؤُلاَءِ وَلَوْ كَانَ الإِسْرَاءُ بِجَسَدِهِ إِلَى زَائِدٍ عَلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى لَذَكَرَهُ فَيَكُونُ أَبْلَغَ فِي الْمَدْحِ؛ ثُمَّ ٱخْتَلَفَتْ هَذِهِ الفِرْقَتَانِ هَلْ صَلَّى بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ أَمْ لاَ؟ فَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ[١١] وَغَيْرِهِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ صَلاَتِهِ فِيهِ وَأَنْكَرَ ذَلِكَ حُذَيْفَةُ[١٢] بْنُ الْيَمَانِ. وَقَالَ: وَاللهِ مَا زَالاَ عَنْ ظَهْرِ الْبُرَاقِ حَتَّى رَجَعَا[١٣]، قَالَ الْقَاضِي وَفَّقَهُ اللهُ وَالْحَقُّ مِنْ هَذَا وَالصَّحِيحُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنَّهُ إِسْرَاءٌ بِالْجَسَدِ وَالرُّوحِ فِي الْقِصَّةِ كُلِّهَا وَعَلَيْهِ تَدُلُّ الآيَةُ وَصَحِيحُ الأَخْبَارِ وَالاعْتِبَارُ وَلاَ يُعْدَلُ عَنِ الظَّاهِرِ وَالْحَقِيقَةِ إِلَى التَّأْوِيلِ إِلاَّ عِنْدَ الاسْتِحَالَةِ وَلَيْسَ فِي الإِسْرَاءِ بِجَسَدِهِ وَحَالِ يَقْظَتِهِ ٱسْتِحَالَةٌ إِذْ لَوْ كَانَ مَنَاماً لَقَالَ بِرُوحِ عَبْدِهِ وَلَمْ يَقُلْ بِعَبْدِهِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم:١٧] وَلَوْ كَانَ مَنَاماً لَمَا كَانَتْ فِيهِ آيَةٌ وَلاَ مُعْجِزَةٌ وَلَمَّا ٱسْتَبْعَدَهُ الْكُفَّارُ وَلاَ كَذَّبُوهُ فِيهِ وَلاَ ٱرْتَدَّ بِهِ ضُعَفَاءُ مَنْ أَسْلَمَ وَٱفْتَتَنُوا بِهِ إِذْ مِثْلُ هَذَا مِنَ الْمَنَامَاتِ لاَ يُنْكَرُ بَلْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُمْ إِلاَّ وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ خَبَرَهُ إِنَّمَا كَانَ عَنْ جِسْمِهِ وَحَالِ يَقْظَتِهِ إِلَى مَا ذُكِرَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ ذِكْرِ صَلاَتِهِ بِالأَنْبِيَاءِ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي رِوَايَةِ أَنَسٍ[١٤] أَوْ فِي السَّمَاءِ عَلَى مَا رَوَى غَيْرُهُ وَذِكْرِ مَجِيءِ جِبْرِيلَ لَهُ بِالبُرَاقِ

---

(١) هو سعيد بن المسيب من أجلة التابعين ورئيسهم على الإجماع، جمع بين الحديث والفقه والتقوى والورع، ولد في بداية خلافة عمر رضي الله عنه وتوفي بالمدينة رحمه الله سنة ٩١ هـ. ترجمته في الطبقات ٥/١١٧، ١٤٣. وتذكرة الحفاظ ١/٥٤.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) ابن زيد هو عبد الرحمن بن أسلم المدني أخذ عن أبيه وعن ابن المنكدر وعنه أخذ ابن أصبع وقتيبة وهشام وغيرهم، وله تفسير وترجمة عند صاحب الميزان وأخرج أحاديث أصحاب السنن توفي رحمه الله سنة ١٨٢ هـ.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي المكنى أبا عمران من أجلة التابعين وكبارهم من أهل الصلاح والصدق محدث كبير وفقيه أهل العراق توفي رحمه الله سنة ٩٦ هـ.

(٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) تقدمت تراجمهم.

(١١) تقدمت ترجمته. (١٢) تقدمت ترجمته.

(١٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند. (١٤) تقدمت ترجمته.

وَخَبَرِ الْمِعْرَاجِ وَاسْتِفْتَاحِ السَّمَاءِ فَيُقَالُ وَمَنْ مَعَكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَلِقَائِهِ الأَنْبِيَاءَ فِيهَا وَخَبَرِهِمْ مَعَهُ وَتَرْحِيبِهِمْ بِهِ، وَشَأْنِهِ فِي فَرْضِ الصَّلاَةِ وَمُرَاجَعَتِهِ مَعَ مُوسَى فِي ذَلِكَ وَفِي بَعْضِ هَذِهِ الأَخْبَارِ: فَأَخَذَ يَعْنِي جِبْرِيلَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ إِلَى قَوْلِهِ: ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ بِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلاَمِ، وَأَنَّهُ وَصَلَ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَأَنَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَرَأَى فِيهَا مَا ذَكَرَهُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ[(١)]: هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ[(٢)] رَآهَا ﷺ لاَ رُؤْيَا مَنَامٍ وَعَنِ الْحَسَنِ فِيهِ: بَيْنَا[(٣)] أَنَا نَائِمٌ فِي الْحِجْرِ جَاءَنِي جِبْرِيلُ فَهَمَزَنِي بِعَقِبِهِ فَقُمْتُ فَجَلَسْتُ فَلَمْ أَرَ شَيْئاً فَعُدْتُ لِمَضْجَعِي، ذَكَرَ ذَلِكَ ثَلاثاً، فَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: فَأَخَذَ بِعَضُدِي فَجَرَّنِي إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَإِذَا بِدَابَّةٍ، وَذَكَرَ خَبَرَ الْبُرَاقِ.

وَعَنْ أُمِّ[(٤)] هَانِىءٍ مَا أُسْرِيَ[(٥)] بِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلاَّ وَهُوَ فِي بَيْتِي تِلْكَ اللَّيْلَةَ صَلَّى الْعِشَاءَ الآخِرَةَ وَنَامَ بَيْنَنَا فَلَمَّا كَانَ قُبَيْلَ الْفَجْرِ أَهَبَّنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمَّا صَلَّى الصُّبْحَ وَصَلَّيْنَا قَالَ: **«يَا أُمَّ هَانِىءٍ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَكُمُ الْعِشَاءَ الآخِرَةَ كَمَا رَأَيْتِ بِهَذَا الْوَادِي ثُمَّ جِئْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَصَلَّيْتُ فِيهِ ثُمَّ صَلَّيْتُ الْغَدَاةَ مَعَكُمُ الآنَ كَمَا تَرَوْنَ»**. وَهَذَا بَيِّنٌ فِي أَنَّهُ (بِجِسْمِهِ)[(٦)]. وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ[(٧)] مِنْ رِوَايَةِ شَدَّادِ[(٨)] بْنِ أَوْسٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ[(٩)] بِهِ: طَلَبْتُكَ يَا رَسُولَ اللهِ الْبَارِحَةَ فِي مَكَانِكَ فَلَمْ أَجِدْكَ فَأَجَابَهُ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حَمَلَنِي إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى؛ وَعَنْ عُمَرَ[(١٠)] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«صَلَّيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فِي مُقَدَّمِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ**

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) أخرجه الإمام البخاري، والترمذي في السنن تحت رقم: ٣١٣٤.

(٣) أورده القرطبي في التفسير: ١٠/٢٠٧، ٢٨٤، ١٥/٤٥ والطبري في التفسير أيضاً: ١٥/٣.

(٤) أم هانىء هي بنت أبي طالب أخت علي رضي الله عنهما صحابية جليلة عظيمة القدر أسلمت يوم الفتح وخطبها النبي ﷺ فاعتذرت بأنها ذات أولاد فقبل النبي ﷺ، أخرج أصحاب الكتب الستة وبقيت حية بعد وفاة علي رضي الله عنه. ترجمتها: في الثقات ٣/٤٦٥ والطبقات ٨/ ٤٦٠ والإصابة ٤/٥٠٣ والحلية ٢/ ٧٧.

(٥) أخرج هذا الحديث ابن إسحاق والطبراني وابن جرير.

(٦) [. . . .] في نسخة دمشق المحققة: بجسده.

(٧) أبو بكر الصديق هو عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي التميمي خليفة رسول الله ﷺ ولد بعد عام الفيل سنة ٥٧٢ م، يعد في أفضلية الصحابة على الإطلاق بل هو أفضلهم، حارب المرتدين وانتصر عليهم، وثبت دعائم الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ. توفي سنة ١٣ هـ وهو ابن ٦٣ سنة ودفن بجانب النبي ﷺ. ترجمته: في أسد الغابة ٣/٣٠٩. والخلفاء: ٢٧ وتذكرة الحفاظ: ١/٢ وشذرات الذهب ١/٢٧، والطبقات ٣/١١٩ والعبر ١/١٦، والمسعودي في المروج: ٢/٣٠٥.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) أخرجه الإمام البيهقي في دلائل النبوة وابن مردويه.

(١٠) تقدمت ترجمته.

دَخلْتُ الصَّخرَةَ فَإذَا بِملَكٍ قَائِم مَعَهُ آيَةٌ ثَلاثٌ»، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ. وَهَذِهِ التَّصْرِيحَاتُ ظَاهِرَةٌ غَيْرُ مُسْتَحِيلَةٍ فَتُحْمَلُ عَلَى ظَاهِرِهَا؛ وَعَنْ أبي[1] ذَرٍّ عَنْهُ ﷺ: «فُرِجَ سَقْفُ[2] بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَشَرَحَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ» إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي.

وَعَنْ أَنَسٍ[3] «أُتِيتُ فَانْطَلَقُوا بِي إِلَى زَمْزَمَ فَشُرِحَ عَنْ صَدْرِي» وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ لَمْ أُثْبِتْهَا فَكُرِبْتُ كَرْباً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ فَرَفَعَهُ الله لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ»[4] وَنَحْوَهُ عَنْ جَابِرٍ[5] وَقَدْ رَوَى عُمَرُ بْنُ[6] الْخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى خَدِيجَةَ[7] وَمَا تَحَوَّلَتْ عَنْ جَانِبِهَا».

الفصل الرابع: إبطال الحجج

فِي إِبْطَالِ حُجَجِ مَنْ قَالَ إِنَّهَا نَوْمٌ احْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ [الإسراء: ٦٠] فَسَمَّاهَا رُؤْيَا قُلْنَا قَوْلُهُ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] يَرُدُّهُ لِأَنَّهُ لاَ يُقَالُ فِي النَّوْمِ أَسْرَى، وَقَوْلُهُ فِتْنَةً لِلنَّاسِ يُؤَيِّد أَنَّهَا رُؤْيَا عَيْنٍ وَإِسْرَاءٌ بِشَخْصٍ إِذْ لَيْسَ فِي الْحُلْمِ فِتْنَةٌ وَلاَ يُكَذِّبُ بِهِ أَحَدٌ لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَرَى مِثْلَ ذَلِكَ فِي مَنَامِهِ مِنَ الْكَوْنِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فِي أَقْطَارٍ مُتَبَايِنَةٍ؛ عَلَى أَنَّ الْمُفَسِّرِينَ قَدِ اخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الآيَةِ فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي قَضِيَّةِ الْحُدَيْبِيَةِ وَمَا وَقَعَ فِي نُفُوسِ النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ وَقِيلَ غَيْرُ هَذَا وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّهُ قَدْ سَمَّاهَا فِي الْحَدِيثِ مَنَاماً وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثٍ آخَرَ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ وَقَوْلُهُ أَيْضاً وَهُوَ نَائِمٌ وَقَوْلُهُ ثُمَّ اسْتَيْقَظْتُ فَلاَ حُجَّةَ فِيهِ إِذْ قَدْ يَحْتَمِلُ أَنَّ أَوَّلَ وُصولِ الْمَلَكِ إِلَيْهِ كَانَ وَهُوَ نَائِمٌ أَوْ أَوَّلَ حَمْلِهِ وَالْإِسْرَاءِ[8] بِهِ

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدم.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) أخرجه المتقي في كنز العمال تحت عدد: ٣١٨٣٨، وأخرجه البخاري في باب الإيمان (٢٦٠).

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) تقدمت ترجمتها.

(٨) تراجع هذا الخبر عند شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة: ٢/ ٥١٠ حيث قال: إن أهل السنة متفقون على أن الله لا يراه أحد بعينه في الدنيا، لا نبي ولا غير نبي.
وأخرج الإمام مسلم في الصحيح ١/ ١٦١ كتاب الإيمان باب قوله عليه السلام «نوراني أراه» والرواية عن أبي ذر رضي الله عنه. =

وَهُوَ نَائِمٌ وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ كَانَ نَائِماً فِي الْقِصَّةِ كُلِّهَا إِلاَّ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ثُمَّ اسْتَيْقَظْتُ وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ؛ فَلَعَلَّ قَوْلَهُ اسْتَيْقَظْتُ بِمَعْنَى أَصْبَحْتُ أَوِ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمٍ آخَرَ بَعْدَ وُصُولِهِ بَيْتَهُ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّ مَسْرَاهُ لَمْ يَكُنْ طُولَ لَيْلِهِ وَإِنَّمَا كَانَ فِي بَعْضِهِ وَقَدْ يَكُونُ قَوْلُهُ: اسْتَيْقَظْتُ وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لِمَا كَانَ غَمَرَهُ مِنْ عَجَائِبِ مَا طَالَعَ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَخَامَرَ بَاطِنَهُ مِنْ مُشَاهَدَةِ الْمَلأِ الأَعْلَى وَمَا رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى فَلَمْ يَسْتَفِقْ وَيَرْجِعْ إِلَى حَالِ الْبَشَرِيَّةِ إِلاَّ وَهُوَ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَوَجْهٌ ثَالِثٌ أَنْ يَكُونَ نَوْمُهُ وَاسْتِيقَاظُهُ حَقِيقَةً عَلَى مُقْتَضَى لَفْظِهِ وَلَكِنَّهُ أُسْرِيَ بِجَسَدِهِ وَقَلْبُهُ حَاضِرٌ وَرُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ حَقٌّ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلاَ تَنَامُ قُلُوبُهُمْ وَقَدْ مَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الإِشَارَاتِ إِلَى نَحْوٍ مِنْ هَذَا قَالَ تَغْمِيضُ عَيْنَيْهِ لِئَلاَّ يَشْغَلَهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَحْسُوسَاتِ عَنِ اللهِ تَعَالَى وَلاَ يَصِحُّ هَذَا أَنْ يَكُونَ فِي وَقْتِ صَلاَتِهِ بِالأَنْبِيَاءِ وَلَعَلَّهُ كَانَتْ لَهُ فِي هَذَا الإِسْرَاءِ حَالاَتٌ. وَوَجْهٌ رَابِعٌ وَهُوَ أَنْ يُعَبِّرَ بِالنَّوْمِ هَهُنَا عَنْ هَيْئَةِ النَّائِمِ مِنَ الاضْطِجَاعِ وَيُقَوِّيهِ:

قَوْلُهُ فِي رِوَايَةِ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ[1] عَنْ هَمَّامٍ[2]: بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ وَرُبَّمَا قَالَ مُضْطَجِعٌ وَفِي رِوَايَةِ هُدْبَةَ عَنْهُ بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ فِي الْحَطِيمِ وَرُبَّمَا قَالَ فِي الْحِجْرِ مُضْطَجِعٌ، وَقَوْلُهُ فِي الرِّوَايَةِ الأُخْرَى بَيْنَا النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ فَيَكُونُ سَمَّى هَيْئَتَهُ بِالنَّوْمِ لِمَا كَانَتْ هَيْئَةُ النَّائِمِ غَالِباً وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الزِّيَادَاتِ مِنَ النَّوْمِ وَذِكْرِ شَقِّ الْبَطْنِ وَدُنُوِّ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ الْوَاقِعَة فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِنَّمَا هِيَ مِنْ رِوَايَةِ شَرِيكٍ[3] عَنْ أَنَسٍ[4] فَهِيَ مُنْكَرَةٌ مِن رِوَايَتِهِ إِذْ شَقُّ الْبَطْنِ فِي الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ إِنَّمَا كَانَ فِي صِغَرِهِ ﷺ وَقَبْلَ النُّبُوَّةِ وَلأَنَّهُ قَالَ فِي الْحَدِيثِ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ. وَالإِسْرَاءُ بِإِجْمَاعٍ كَانَ بَعْدَ الْمَبْعَثِ. فَهَذَا كُلُّهُ يُوهِنُ مَا وَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَنَسٍ مَعَ أَنَّ أَنَساً قَدْ بَيَّنَ مِنْ غَيْرِ طَرِيقٍ أَنَّهُ إِنَّمَا رَوَاهُ

= وقال النووي في شرح مسلم: ٣/ ١٢، وأما قوله ﷺ: «نوراني أراه» وأما الحديث الموضوع في هذا فقد أورده الإمام السيوطي في اللآلىء ١/ ١٢ ـ ١٣، والشوكاني في الفوائد: ٤٤١. وابن عراق في تنزيه الشريعة: ١/ ١٣٧ ونصه كما في اللآلىء المصنوعة: عن أنس مرفوعاً. ليلة أسري بي إلى السماء أسريت فرأيت ربي بيني وبينه حجاب بارز من نار، فرأيت كل شيء منه حتى رأيت تاجاً مخصوصاً من اللؤلؤ».

ونقل الشوكاني والسيوطي أقوال ابن الجوزي والذهبي وغيرهما عن الحديث وكلها على أنه موضوع ومكذوب، وأخرج الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة. بعض الأحاديث التي يذكر أحدها أن الرسول رأى الله تعالى يوم الإسراء. ص: ٤٤١. وفي حديث آخر ص: ٤٤٧. أن الرسول رأى ربه في المنام في صورة شاب، ونقل الشوكاني كلام الأئمة في بيان وضع الحديثين.

(١) عبد الله بن حميد بن نصر بن الكشي إمام حافظ من أئمة الحديث ثقة توفي سنة ٢٤٩ هـ.

(٢) همام بن يحيى العوذي نسبة إلى بطن من الأزد القبيلة المشهورة إمام صدوق أخرج أحاديثه الأئمة الستة. توفي رحمه الله سنة ١٦٣ هـ. الحديث سبق ذكره.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

عَنْ غَيْرِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ مَرَّةً عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ[1] وَفِي كِتَابِ مُسْلِمٍ لَعَلَّهُ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ عَلَى الشَّكِّ وَقَالَ مَرَّةً كَانَ أَبُو ذَرٍّ[2] يُحَدِّثُ وَأَمَّا قَوْلُ عَائِشَةَ[3] مَا فُقِدَتْ جَسَدُهُ فَعَائِشَةُ لَمْ تُحَدِّثْ بِهِ عَنْ مُشَاهَدَةٍ لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ حِينَئِذٍ زَوْجَهُ وَلاَ فِي سِنِّ مَنْ يَضْبِطُ وَلَعَلَّهَا لَمْ تَكُنْ وُلِدَتْ بَعْدُ عَلَى الْخِلاَفِ فِي الْإِسْرَاءِ مَتَى كَانَ فَإِنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلاَمِ عَلَى قَوْلِ الزُّهْرِيِّ[4] وَمَنْ وَافَقَهُ بَعْدَ الْمَبْعَثِ بِعَامٍ وَنِصْفٍ وَكَانَتْ عَائِشَةُ[3] فِي الْهِجْرَةِ بِنْتَ نَحْوِ ثَمَانِيَةِ أَعْوَامٍ وَقَدْ قِيلَ كَانَ الْإِسْرَاءُ لِخَمْسٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ وَقِيلَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِعَامٍ وَالْأَشْبَهُ أَنَّهُ لِخَمْسٍ وَالْحُجَّةُ لِذَلِكَ تَطُولُ لَيْسَتْ مِنْ غَرَضِنَا فَإِذَا لَمْ تُشَاهِدْ ذَلِكَ عَائِشَةُ دَلَّ أَنَّهَا حَدَّثَتْ بِذَلِكَ عَنْ غَيْرِهَا فَلَمْ يُرَجَّحْ خَبَرُهَا عَلَى خَبَرِ غَيْرِهَا، وَغَيْرُهَا يَقُولُ خِلاَفَهُ مِمَّا وَقَعَ نَصّاً فِي حَدِيثِ أُمِّ هَانِىءٍ[5] وَغَيْرِهِ وَأَيْضاً فَلَيْسَ حَدِيثُ عَائِشَةَ[3] رَضِيَ الله عَنْهَا بِالثَّابِتِ، وَالْأَحَادِيثُ الْأُخَرُ أَثْبَتُ لَسْنَا نَعْنِي حَدِيثَ أُمِّ هَانِىءٍ[5] وَمَا ذُكِرَتْ فِيهِ خَدِيجَةُ[6] وَأَيْضاً فَقَدْ رُوِيَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ مَا فُقِدَتْ وَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ إِلاَّ بِالْمَدِينَةِ وَكُلُّ هَذَا يُوهِنُهُ بَلِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ صَحِيحُ قَوْلِهَا إِنَّهُ بِجَسَدِهِ لِإِنْكَارِهَا أَنْ تَكُونَ رُؤْيَاهُ لِرَبِّهِ[7] رُؤْيَا عَيْنٍ وَلَوْ كَانَتْ عِنْدَهَا مَنَاماً لَمْ تُنْكِرْهُ فَإِنْ قِيلَ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١] فَقَدْ جَعَلَ مَا رَآهُ لِلْقَلْبِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ رُؤْيَا نَوْمٍ، وَوَحْيٌ لاَ مُشَاهَدَةُ عَيْنٍ وَحِسٍّ قُلْنَا يُقَابِلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧] فَقَدْ أَضَافَ الْأَمْرَ لِلْبَصَرِ وَقَدْ قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١] أَيْ لَمْ يُوهِمِ الْقَلْبُ الْعَيْنَ غَيْرَ الْحَقِيقَةِ بَلْ صَدَّقَ رُؤْيَتَهَا وَقِيلَ مَا أَنْكَرَ قَلْبُهُ مَا رَأَتْهُ عَيْنُهُ.

الفصل الخامس: رؤيته لربه ﷺ

وَأَمَّا رُؤْيَتُهُ ﷺ لِرَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ فَاخْتَلَفَ السَّلَفُ فِيهَا فَأَنْكَرَتْهُ[8] عَائِشَةُ رَضِيَ الله عَنْهَا.

---

(١) تقدمت ترجمته. (٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمتها.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) أم هانيء الأنصارية ترجمتها في الثقات ٣/٤٦٦، والطبقات ٨/ ٤٦٠ والحلية: ٢/ ٧٧، والإصابة: ٤/ ٥٠٣.

(٦) خديجة بنت خويلد بن أحمد بن عبد العزى زوجة رسول الله ﷺ، توفيت بمكة قبل الهجرة بعد أبي طالب بثلاثة أيام وأولاد الرسول ﷺ منها إلا إبراهيم فمن مارية القبطية. ترجمتها في: الإصابة ٤/ ٢٦١، والطبقات: ٨/ ١٤، ٥٢، والطبقات ٣/ ١١٤.

(٧) الحديث تقدم قبل قليل.

(٨) تقدمت ترجمتها

[حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ سِرَاجُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْحَافِظُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي وَأَبُو عَبْدِ الله بْنُ عَتَّابٍ الْفَقِيهُ قَالاَ حَدَّثَنَا الْقَاضِي يُونُسُ بْنُ مُغِيثٍ حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ الصُّقَيْلِي حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ قَاسِمِ بْنُ ثَابِتٍ عَنْ أَبِيهِ وَجِدِّهِ قَالاَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ آدَمَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنِ ابْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ عَامِرٍ][١] عَنْ مَسْرُوقٍ[٢] أَنَّهُ قَالَ لِعَائِشَةَ[١] رَضِيَ الله عَنْهَا يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ فَقَالَتْ لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي مِمَّا قُلْتَ ثَلاثٌ: مَنْ حَدَّثَكَ بِهِنَّ فَقَدْ كَذَبَ مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّداً رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ ثُمَّ قَرَأَتْ ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] الآيَةَ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَقَالَ جَمَاعَةٌ بِقَوْلِ عَائِشَةَ[٣] رَضِيَ الله عَنْهَا وَهُوَ الْمَشْهُورُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ[٤] وَمِثْلُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[٥] أَنَّهُ قَالَ إِنَّمَا رَأَى جِبْرِيلَ وَاخْتُلِفَ عَنْهُ. وَقَالَ بِإِنْكَارِ هَذَا وَامْتِنَاعِ رُؤْيَتِهِ فِي الدُّنْيَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ، وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[٦] رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّهُ رَآهُ بِعَيْنِهِ وَرَوَى عَطَاءٌ[٧] عَنْهُ أَنَّهُ رَآهُ بِقَلْبِهِ وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ عَنْهُ رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ[٨] أَنَّ ابْنَ عُمَرَ[٩] أَرْسَلَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ[١٠] رَضِيَ الله عَنْهُمَا يَسْأَلُهُ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ فَقَالَ نَعَمْ وَالْأَشْهَرُ عَنْهُ أَنَّهُ رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنِهِ رُوِيَ ذَلِكَ عَنْهُ مِنْ طُرُقٍ وَقَالَ: إِنَّ الله تَعَالَى اخْتَصَّ مُوسَى بِالْكَلَامِ وَإِبْرَاهِيمَ بِالْخُلَّةِ وَمُحَمَّداً بِالرُّؤْيَةِ وَحُجَّتُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١١ - ١٣] قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ قِيلَ إِنَّ الله تَعَالَى قَسَمَ كَلَامَهُ وَرُؤْيَتَهُ بَيْنَ مُوسَى وَمُحَمَّدٍ ﷺ فَرَآهُ مُحَمَّدٌ مَرَّتَيْنِ وَكَلَّمَهُ مُوسَى مَرَّتَيْنِ.

وَحَكَى أَبُو الْفَتْحِ[١١] الرَّازِي وَأَبُو اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِي[١٢] الْحِكَايَةَ عَنْ كَعْبٍ[١٣] وَرَوَى

---

(١) [. . .] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٢) مسروق بن أجدع الهمداني أحد أعلام السنة كان أعلم الناس بالفتوى في زمانه أخرج أحاديث أئمة الكتب الستة وسمي بهذا الاسم لأنه سرق عندما كان صغيراً ثم وجد، توفي رحمه الله سنة ٦٣ هـ.

(٣) تقدمت ترجمتها

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) تقدمت ترجمته.

(١١) أبو الفتح الرازي ليس هو الفخر الرازي كما توهم بعض المؤرخين. بل هو سليمان بن أيوب توفي غريقاً في اليم سنة ٤٤٧ هـ.

(١٢) أبو الليث السمرقندي تقدمت ترجمته. (١٣) تقدمت ترجمته.

عَبْدُ اللهِ[١] بْنُ الْحَارِثِ قَالَ اجْتَمَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ[٢] وَكَعْبٌ[٣] فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ[٤] أَمَّا نَحْنُ بَنُو هَاشِمٍ فَنَقُولُ إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ رَأَى رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ فَكَبَّرَ كَعْبٌ[٥] حَتَّى جَاوَبَتْهُ الْجِبَالُ وَقَالَ إِنَّ اللهَ قَسَمَ رُؤْيَتَهُ وَكَلامَهُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى فَكَلَّمَهُ مُوسَى وَرآهُ مُحَمَّدٌ بِقَلْبِهِ وَرَوَى شَرِيكٌ[٦] عَنْ أَبِي ذَرٍّ[٧] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ الآيَةِ قَالَ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ.

وَحَكَى السَّمَرْقَنْدِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ[٨] الْقَرَظِيِّ وَرَبِيعِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ قَالَ رَأَيْتُهُ بِفُؤَادِي وَلَمْ أَرَهُ بِعَيْنِي وَرَوَى مَالِكُ[٩] بْنُ يُخَامِرَ عَنْ مُعَاذٍ[١٠] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: رَأَيْتُ رَبِّي، وَذَكَرَ كَلِمَةً فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ فِيمَ يَخْتَصِمُ الملأُ الأعلى الحديث.

وَحَكَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ[١١] أَنَّ الْحَسَنَ كَانَ يَحْلِفُ بِاللهِ لَقَدْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ وَحَكَاهُ أَبُو عُمَرَ الطَّلَنْكِيُّ[١٢] عَنْ عِكْرِمَةَ[١٣].

وَحَكَى بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ هَذَا الْمَذْهَبَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ[١٤]. وَحَكَى ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ مَرْوَانَ[١٥] سَأَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ فَقَالَ نَعَمْ.

وَحَكَى النَّقَّاشُ[١٦] عَنْ أَحْمَدَ[١٧] بْنِ حَنْبَلٍ أَنَّهُ قَالَ أَنَا أَقُولُ بِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ[١٨] بِعَيْنِهِ: رَآهُ رَآهُ حَتَّى انْقَطَعَ نَفَسُهُ يَعْنِي نَفَسَ أَحْمَدَ وَقَالَ أَبُو عُمَرَ[١٩] قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَآهُ بِقَلْبِهِ وَجَبُنَ

---

(١) تقدمت ترجمته. (٢) تقدمت ترجمته.
(٣) تقدمت ترجمته.
(٤) تقدمت ترجمته.
(٥) تقدمت ترجمته.
(٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) تقدمت تراجمهم.
(١٦) النقاش هو أبو بكر محمد بن الحسن بن أحمد الموصلي البغدادي المقرىء المفسر أخذ عن أبي مسلم الكجي، وقرأ بالروايات حتى تصدر هذا العلم في زمانه على ضعف فيه، قال عنه أبو شامة في الشاطبية أنه ضعيف عند أهل النقل إلا أن الجعبري قد غلط من ضعفه. ترجته: إرشاد الأريب: ٦/٤٩٦ والأنساب ٥٥٦.
(١٧) أحمد بن حنبل هو أبو عبد بن هلال بن أسعد الذهلي الشيباني، ولد في بغداد سنة ١٦٤ هـ. وفيها نشأ، وشغف بالسنة حتى صار أحد أئمتها في عصره وتتلمذ على الإمام الشافعي وتوفي سنة ٢٤١. ترجمته في: في تاريخ بغداد ٤/٤١٢. وتذكرة الحفاظ: ٢/٤٣١. وتهذيب التهذيب ١/٧٢ وحلية الأولياء ٩/١٦١ وخلاصة تذهيب الكمال: ١٠ والرسالة المستطرفة: ١٨ وشذرات الذهب: ٢/٩٦ وطبقات الحنابلة: ١/٤ وطبقات ابن سعد: ٧ ق. ٢/٩٢، وطبقات الشيرازي: ٩١، وطبقات المفسرين: ١/٧٠ والعبر: ١/٤٣٥، ومرآة الجنان: ٢/١٣٢، ووفيات الأعيان: ١/١٧، والفهرس: ٢٢٩. والنجوم الزاهرة: ٢/٣٠٤...
(١٨) تقدمت ترجمته.
(١٩) تقدمت ترجمته.

عَنِ الْقَوْلِ بِرُؤْيَتِهِ فِي الدُّنْيَا بِالأَبْصَارِ وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ لاَ أَقُولُ رَآهُ وَلاَ لَمْ يَرَهُ وَقَدِ ٱخْتَلَفَ فِي تَأْوِيلِ الآيَةِ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةَ وَالْحَسَنِ وَٱبْنِ مَسْعُودٍ فَحُكِيَ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةَ رَآهُ بِقَلْبِهِ وَعَنِ الْحَسَنِ وَٱبْنِ مَسْعُودٍ رَأَى جِبْرِيلَ وَحَكَى عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ رَآهُ وَعَنِ ٱبْنِ عَطَاءٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح:١] قَالَ شَرَحَ صَدْرَهُ لِلرُّؤْيَةِ وَشَرَحَ صَدْرَ مُوسَى لِلْكَلاَمِ وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الأَشْعَرِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنَّه رَأَى اللهَ تعالى بِبَصَرِهِ وَعَيْنَي رَأْسِهِ وَقَالَ كُلُّ آيَةٍ أُوتِيهَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ فَقَدْ أُوتِيَ مِثْلَهَا نَبِيُّنَا ﷺ وَخُصَّ مِنْ بَيْنِهِمْ بِتَفْضِيلِ الرُّؤْيَةِ وَوَقَفَ بَعْضُ مَشَايِخِنَا فِي هَذَا، وَقَالَ لَيْسَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ وَلَكِنَّهُ جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ.

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ اللهُ وَالْحَقُّ الَّذِي لاَ ٱمْتِرَاءَ فِيهِ أَنَّ رُؤْيَتَهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا جَائِزَةٌ عَقْلاً وَلَيْسَ فِي الْعَقْلِ مَا يُحِيلُهَا وَالدَّلِيلُ عَلَى جَوَازِهَا فِي الدُّنْيَا سُؤَالُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَهَا وَمُحَالٌ أَنْ يَجْهَلَ نَبِيٌّ مَا يَجُوزُ عَلَى اللهِ وَمَا لاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ بَلْ لَمْ يَسْأَلْ إِلاَّ جَائِزاً غَيْرَ مُسْتَحِيلٍ وَلَكِنْ وُقُوعُهُ وَمُشَاهَدَتُهُ مِنَ الْغَيْبِ الَّذِي لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ مَنْ عَلَّمَهُ اللهُ فَقَالَ اللهُ تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٢] أَيْ لَنْ تُطِيقَ وَلاَ تَحْتَمِلَ رُؤْيَتِي ثُمَّ ضَرَبَ لَهُ مَثَلاً مِمَّا هُوَ أَقْوَى مِنْ بِنْيَةِ مُوسَى وَأَثْبَتُ وَهُوَ الْجَبَلُ وَكُلُّ هَذَا لَيْسَ فِيهِ مَا يُحِيلُ رُؤْيَتَهُ فِي الدُّنْيَا بَلْ فِيهِ جَوَازُهَا عَلَى الْجُمْلَةِ وَلَيْسَ فِي الشَّرْعِ دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَى ٱسْتِحَالَتِهَا وَلاَ ٱمْتِنَاعِهَا إِذْ كُلُّ مَوْجُودٍ فَرُؤْيَتُهُ جَائِزَةٌ غَيْرُ مُسْتَحِيلَةٍ وَلاَ حُجَّةَ لِمَنْ ٱسْتَدَلَّ عَلَى مَنْعِهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] لاخْتِلاَفِ التَّأْوِيلاَتِ فِي الآيَةِ وَإِذْ لَيْسَ يَقْتَضِي قَوْلُ مَنْ قَالَ فِي الدُّنْيَا الاسْتِحَالَةَ وَقَدِ ٱسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ بِهَذِهِ الآيَةِ نَفْسِهَا عَلَى جَوَازِ الرُّؤْيَةِ وَعَدَمِ ٱسْتِحَالَتِهَا عَلَى الْجُمْلَةِ وَقَدْ قِيلَ لاَ تُدْرِكُهُ أَبْصَارُ الْكُفَّارِ وَقِيلَ ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] لاَ تُحِيطُ بِهِ وَهُوَ قَوْلُ ٱبْنِ عَبَّاسٍ وَقَدْ قِيلَ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَإِنَّمَا يُدْرِكُهُ الْمُبْصِرُونَ وَكُلُّ هَذِهِ التَّأْوِيلاَتِ لاَ تَقْتَضِي مَنْعَ الرُّؤْيَةِ وَلاَ ٱسْتِحَالَتَهَا وَكَذَلِكَ لاَ حُجَّةَ لَهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٢] وَقَوْلُهُ ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٤٣] لِمَا قَدَّمْنَاهُ وَلأَنَّهَا

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) (٥) (٦). تقدمت ترجمتهم.

(٧) أبو الحسن: هو علي بن إسماعيل بن أبي بشير ينتسب إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. كان معتزلياً المذهب ثم اعتنق مذهب أهل السنة، كان من العلماء الكبار، لا يبارى في علم الكلام والدفاع عن السنة قال عنه الإمام الباقلاني أنه أفضل أهل عصره، وهو إمام أهل السنة وصاحب التآليف والمصنفات المشهورة توفي سنة ٣٢٤ هـ. ترجمته في تذكرة الحفاظ.

لَيسَتْ عَلَى الْعُمُومِ وَلِأَنَّ مَنْ قَالَ مَعْنَاهَا لَنْ تَرَانِي فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا هُوَ تَأْوِيلٌ وَأَيْضاً فَلَيْسَ فِيهِ نصُّ الامْتِنَاعِ وَإِنَّمَا جَاءَتْ فِي حَقِّ مُوسَى وَحَيْثُ تَتَطَرَّقُ التَّأْوِيلاتُ وَتَتَسلَّطُ الاحْتِمَالاتُ فَلَيْسَ لِلْقَطْعِ إِلَيْهِ سَبِيلٌ وَقَوْلُهُ: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ أَيْ مِنْ سُؤَالِي مَا لَمْ تُقَدِّرْهُ لِي وَقَدْ قَالَ أَبُو[1] بَكْرٍ الْهُذَلِيُّ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ أَيْ لَيْسَ لِبَشَرٍ أَنْ يُطِيقَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ فِي الدُّنْيَا وَأَنَّهُ مَنْ نَظَرَ إِلَيَّ مَاتَ وَقَدْ رَأَيْتُ لِبَعْضِ السَّلَفِ وَالْمُتَأَخِّرِينَ مَا مَعْنَاهُ أَنَّ رُؤْيَتَهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا مُمْتَنِعَةٌ لِضَعْفِ تَرْكِيبِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَقُوَاهُمْ وَكَوْنِهَا مُتَغَيِّرَةً عَرَضاً لِلآفَاتِ وَالْفَنَاءِ فَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ قُوَّةٌ عَلَى الرُّؤْيَةِ فَإِذَا كَانَ فِي الآخِرَةِ وَرُكِّبُوا تَرْكِيباً آخَرَ وَرُزِقُوا قُوًى ثَابِتَةً بَاقِيَةً وَأَتَمَّ أَنْوَارَ أَبْصَارِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ قَوُوا بِهَا على الرُّؤْيَةِ وَقَدْ رَأَيْتُ نَحْوَ هَذَا لِمَالِكِ[2] بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ الله قَالَ لَمْ يُرَ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُ بَاقٍ وَلاَ يُرَى الْبَاقِي بِالْفَانِي فَإِذَا كَانَ فِي الآخِرَةِ وَرُزِقُوا أَبْصَاراً بَاقِيَةً رُئِيَ الْبَاقِي بِالْبَاقِي وَهَذَا كَلاَمٌ حَسَنٌ مَلِيحٌ وَلَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى الاسْتِحَالَةِ إلاَّ مِنْ حَيْثُ ضَعْفُ الْقُدْرَةِ فَإِذَا قَوَّى الله تَعَالَى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ وأَقْدَرَهُ عَلَى حَمْلِ أَعْبَاءِ الرُّؤْيَةِ لَمْ تَمْتَنِعْ فِي حَقِّهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ مَا ذُكِرَ فِي قُوَّةِ بَصَرِ مُوسَى وَمُحَمَّدٍ ﷺ وَنُفُوذِ إِدْرَاكِهِمَا بِقُوَّةٍ إِلٰهِيَّةٍ مُنِحَاهَا لإِدْرَاكِ مَا أَدْرَكَاهُ وَرُؤْيَةِ مَا رَأَيَاهُ وَالله أَعْلَمُ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْقَاضِي[3] أَبُو بَكْرٍ فِي أَثْنَاءِ أَجْوِبَتِهِ عَنِ الآيَتَيْنِ مَا مَعْنَاهُ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ رَأَى الله فَلِذَلِكَ خَرَّ صَعِقاً وَأَنَّ الْجَبَلَ رَأَى رَبَّهُ فَصَارَ دَكّاً بِإِدْرَاكٍ خَلَقَهُ الله لَهُ وَاسْتَنْبَطَ ذَلِكَ وَالله أَعْلَمُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف:١٤٣] ثُمَّ قَالَ:

---

(١) أبو بكر الهذلي هو أحد الأدباء قال الشعر وتعمق في البديع أخذ عن محمد بن عمر المعروف بابن الغوطية مؤلف كتاب الأفعال الثلاثية والرباعية.

(٢) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي الحميري أبو عبد الله المدني. شيخ اللائحة وإمام دار الهجرة. أخذ عن نافع ومحمد بن المنكدر وجعفر الصادق وحميد الطويل، وغير هؤلاء كثير. وعنه أخذ الشافعي وقد جمع الأخذين عنه الخطيب في مجلد. وقال ابن المديني: له نحو ألف حديث..

ترجمته في: الأنساب: ١٤١، والبداية والنهاية: ١٠/ ١٧٤ وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٧ وتهذيب الأسماء: ٢/ ٧٥ وتهذيب التهذيب ١٠/ ٥، وجمهرة الأنساب: ٤٣٥. وحلية الأولياء ٦/ ٣١٣، وخلاصة تذهيب الكمال ٣١٣، والديباج المذهب: ١٧ والرسالة المستطرفة: ١٣ وشذرات الذهب: ١/ ٢٨٩، وصفوة الصفوة: ٢/ ٩٩ وطبقات ابن سعد: ٥/ ٤٥ وطبقات الشيرازي: ٦٧ وطبقات القراء: ٢/ ٣٥، وطبقات المفسرين ٢/ ٢٩٣، والعبر: ١/ ٢٧٢، والفهرس: ١٩٨. واللباب ١/ ٥٥، ٣/ ٨٦ ومرآة الجنان: ١/ ٣٧٣، ومروج الذهب ٣/ ٣٥٠، والنجوم الزاهرة: ٢/ ٩٦ ووفيات الأعيان: ١/ ٤٣٩.

(٣) القاضي أبو بكر هو محمد بن الطيب الباقلاني، إمام أهل السنة، توفي رحمه الله سنة ٤٠٣ هـ. تراجع ترجمته في كتب السير، والتراجم.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف:١٤٣] وَتَجَلِّيهِ لِلْجَبَلِ هُوَ ظُهُورُهُ لَهُ حَتَّى رَآهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ وَقَالَ جَعْفَرُ[1] بْنُ مُحَمَّدٍ شَغَلَهُ بِالْجَبَلِ حَتَّى تَجَلَّى وَلَوْلاَ ذَلِكَ لَمَاتَ صَعِقاً بِلاَ إِفَاقَةٍ وَقَوْلُهُ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُوسَى رَآهُ وَقَدْ وَقَعَ لِبَعْضِ الْمُفَسِّرِينَ فِي الْجَبَلِ أَنَّهُ رَآهُ بِرُؤْيَةِ الْجَبَلِ لَهُ ٱسْتَدَلَّ مَنْ قَالَ بِرُؤْيَةِ مُحَمَّدٍ نَبِيِّنَا لَهُ إِذْ جَعَلَهُ دَلِيلاً عَلَى الْجَوَازِ وَلاَ مِرْيَةَ فِي الْجَوَازِ إِذْ لَيْسَ فِي الآيَاتِ نَصٌّ فِي الْمَنْعِ.

وَأَمَّا وُجُوبُهُ لِنَبِيِّنَا ﷺ وَالْقَوْلُ بِأَنَّهُ رَآهُ بِعَيْنِهِ فَلَيْسَ فِيهِ قَاطِعٌ أَيْضاً وَلاَ نَصٌّ إِذِ الْمَعُولُ فِيهِ عَلَى آيَتَي النَّجْمِ وَالتَّنَازُعُ فِيهِمَا مَأْثُورٌ وَالاحْتِمَالُ لَهُمَا مُمْكِنٌ وَلاَ أَثَرَ قَاطِعٌ مُتَوَاتِرٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِذَلِكَ وَحَدِيثُ ٱبْنِ عَبَّاسٍ[2] خَبَرٌ عَنِ ٱعْتِقَادِهِ لَمْ يُسْنِدْهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَيَجِبُ الْعَمَلُ بِٱعْتِقَادِ مُضَمَّنِهِ وَمِثْلُهُ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ فِي تَفْسِيرِ الآيَةِ. وَحَدِيثُ[3] مُعَاذٍ مُحْتَمِلٌ لِلتَّأْوِيلِ وَهُوَ مُضْطَرِبُ الإِسْنَادِ وَالْمَتْنِ. وَحَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ[4] الآخِرِ مُخْتَلِفٌ مُحْتَمِلٌ مُشْكِلٌ فَرُوِيَ: «نُورٌ[5] أَنَّى أَرَاهُ». وَحَكَى بَعْضُ شُيُوخِنَا أَنَّهُ رُوِيَ: نُورَانِيٌّ أَرَاهُ، وَفِي حَدِيثِهِ الآخِرِ: سَأَلْتُهُ[6] فَقَالَ: رَأَيْتُ نُوراً. وَلَيْسَ يُمْكِنُ الاحْتِجَاجُ بِوَاحِدٍ مِنْهَا عَلَى صِحَّةِ الرُّؤْيَةِ فَإِنْ كَانَ الصَّحِيحُ رَأَيْتُ نُوراً فَهُوَ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَمْ يَرَ اللهَ تَعَالَى. وَإِنَّمَا رَأَى نُوراً مَنَعَهُ وَحَجَبَهُ عَنْ رُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَى وَإِلَى هَذَا يَرْجِعُ قَوْلُهُ نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ أَيْ كَيْفَ أَرَاهُ مَعَ حِجَابِ النُّورِ الْمُغَشِّي لِلْبَصَرِ وَهَذَا مِثْلُ بَاقِي الْحَدِيثِ الآخِرِ: حِجَابُهُ[7] النُّورِ وَفِي

---

(١) جعفر بن محمد هو جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ولد سنة ٨٠ هـ وأخذ برواية الشافعي وابن معين، وأبو حاتم والذهبي وهو من فضلاء أهل البيت وفقهائهم توفي سنة ١٨٤ هـ ودفن في البقيع مع أبيه وجده وعمره في قبر واحد. ترجمته. في تذكرة الحفاظ: ١١٦ والبداية والنهاية ١٠/ ١٠٥ والحلية ٣/ ١٩٢.

(٢) تقدمت ترجمته. (٣) تقدمت ترجمته.

(٤) معاذ بن جبل الخزرجي الأنصاري البارع في الحلال والحرام شهد بدراً وهو ابن ٢١ سنة، وأمره النبي ﷺ على اليمن وكان من جلة شباب الأنصار علماً وحلماً وحياء وسخاء توفي بالطاعون سنة ١٧ هـ. ترجمته في الثقات. ٣/ ٣٦٨، والطبقات: ٢/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨، ٧/ ٣٨٧، والإصابة ٣/ ٤٢٦ والحلية ١/ ٢٢٨.

(٥) أخرج هذا الحديث الإمام مسلم في الصحيح.

(٦) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح.

(٧) أخرجه أبو داود الطيالسي برواية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وأول الحديث: «إنَّ الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام» والحديث «قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه: يُرْفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور» وفي رواية: «النار ـ لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه، ما انتهى إليه بصره من خلقه».

أخرجه الإمام مسلم في الصحيح تحت رقم: ٢٦١٢ في البر والصلة باب النهي عن ضرب الوجه، وأخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٥/ ١٣٢ في العتق باب إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه.

الْحَدِيثِ الآخِرِ: لَمْ أَرَهُ بِعَيْنِي وَلَكِنْ رَأَيْتُهُ بِقَلْبِي مَرَّتَيْنِ[1] وَتَلاَ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم:٨] وَالله تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ الإِدْرَاكِ الذِي فِي الْبَصَرِ فِي الْقَلْبِ أَوْ كَيْفَ شَاءَ لاَ إِلٰهَ غَيْرُهُ فَإِنْ وَرَدَ حَدِيثٌ نَصٌّ بَيِّنٌ فِي الْبَابِ اعْتُقِدَ وَوَجَبَ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ إِذْ لاَ اسْتِحَالَةَ فِيهِ وَلاَ مَانِعٌ قَطْعِيٌّ يَرُدُّهُ وَالله الْمُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ.

الفصل السادس: مناجاته لربه ﷺ

وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ مُنَاجَاتِهِ لله تَعَالَى وَكَلاَمِهِ مَعَهُ بِقَوْلِهِ ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم:١١] إِلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ الأَحَادِيثُ فَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ الْمُوحِيَ هُوَ الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَى جِبْرِيلَ وَجِبْرِيلَ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ إِلاَّ شُذُوذاً مِنْهُمْ فَذُكِرَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ[2] مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ قَالَ أَوْحَى إِلَيْهِ بِلاَ وَاسِطَةٍ وَنَحْوُهُ عَنِ الْوَاسِطِيِّ[3] وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّ مُحَمَّداً كَلَّمَ رَبَّهُ فِي الإِسْرَاءِ وَحُكِيَ عَنِ الأَشْعَرِيِّ[4] وَحَكَوْهُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ[5] وَابْنِ عَبَّاسٍ[6] وَأَنْكَرَهُ آخَرُونَ وَذَكَرَ النَّقَّاشُ[7] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قِصَّةِ الإِسْرَاءِ عَنْهُ ﷺ فِي قَوْلِهِ دَنَا فَتَدَلَّى قَالَ: فَارَقَنِي جِبْرِيلُ فَانْقَطَعَتِ الأَصْوَاتُ عَنِّي فَسَمِعْتُ كَلاَمَ رَبِّي وَهُوَ يَقُولُ: لِيَهْدَأْ ارَوْعُكَ يَا مُحَمَّدُ أُدْنُ أُدْنُ.

وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ[8] فِي الإِسْرَاءِ نَحْوٌ مِنْهُ وَقَدِ احْتَجُّوا فِي هَذَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري برواية محمد بن كعب عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) الواسطي: هو أبو بكر بن موسى، الإمام العالم الورع، وهو ممن صحب الجنيد ويعد من أجل العلماء الكبار، المتصوفين، وينتسب لواسطة وهي مدينة مشهورة توفي سنة ٣٢ هـ.

(٤) الأشعري هو أبو موسى عبد الله بن قيس استعمله النبي ﷺ مع معاذ على اليمن، ثم ولي لعمر الكوفة والبصرة، وكان عالماً عاملاً صالحاً تالياً لكتاب الله، إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن. أخذ عنه طارق بن شهاب وابن المسيب وخلق، قال أبو إسحاق سمعت الأسود يقول: لم أر في الكوفة أعلم من علي وأبي موسى توفي في ذي الحجة سنة ٤٤ هـ. ترجمته في: أسد الغابة ٣٠٦/٦، والإصابة: ٣٥١/٢، وتذكرة الحفاظ ٢٣/١، وخلاصة تذهيب الكمال: ١٧٨ وشذرات الذهب: ٥٣/١، وطبقات ابن سعد: ٤/ ٧٨. وطبقات الشيرازي: ٤٤، وطبقات القراء: ٤٤٢/١، وطبقات القراء للذهبي: ٣٧/١، والعبر: ١/ ٥٢، والنجوم الزاهرة: ١٢٦/١..

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) تقدمت ترجمته.

لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١] فَقَالُوا هِيَ ثَلاثَةُ أَقْسَامٍ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ كَتَكْلِيمِ مُوسَى وَبِإِرْسَالِ الْمَلائِكَةِ كَحَالِ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ وَأَكْثَرِ أَحْوَالِ نَبِيِّنَا ﷺ. اَلثَّالِثُ قَوْلُهُ وَحياً وَلَمْ يَبْقَ مِنْ تَقْسِيمِ صُوَرِ الْكَلامِ إِلاَّ الْمُشَافَهَةُ مَعَ الْمُشَاهَدَةِ وَقَدْ قِيلَ الْوَحْيُ هُنَا هُوَ مَا يُلْقِيهِ فِي قَلْبِ النَّبِيِّ دُونَ وَاسِطَةٍ وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ[1] الْبَزَّارُ عَنْ عَلِيٍّ[2] فِي حَدِيثِ الإِسْرَاءِ مَا هُوَ أَوْضَحُ فِي سَمَاعِ النَّبِيِّ ﷺ لِكَلامِ الله مِنَ الآيَةِ فَذَكَرَ فِيهِ: فَقَالَ الْمَلَكُ: الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ فَقِيلَ لِي مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ صَدَقَ عَبْدِي أَنَا أَكْبَرُ أَنَا أَكْبَرُ، وَقَالَ فِي سَائِرِ كَلِمَاتِ الأَذَانِ مِثْلَ ذَلِكَ وَتَجِيءُ الْكَلامُ فِي مُشْكِلِ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ فِي الْفَصْلِ بَعْدَ هَذَا مَعَ مَا يُشْبِهُهُ وَفِي أَوَّلِ فَصْلٍ مِنَ الْبَابِ مِنْهُ وَكَلامُ الله تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَمَنِ اخْتَصَّهُ مِنْ أَنْبِيَائِهِ جَائِزٌ غَيْرُ مُمْتَنِعٍ عَقْلاً وَلاَ وَرَدَ فِي الشَّرْعِ قَاطِعٌ يَمْنَعُهُ فَإِنْ صَحَّ فِي ذَلِكَ خَبَرٌ اعْتُمِدَ عَلَيْهِ وَكَلامُهُ تَعَالَى لِمُوسَى كَائِنٌ حَقٌّ مَقْطُوعٌ بِهِ نَصَّ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَأَكَّدَهُ بِالْمَصْدَرِ دَلالَةً عَلَى الْحَقِيقَةِ وَرَفَعَ مَكَانَهُ عَلَى مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ فِي السَّمَاءِ التَّابِعَةِ بِسَبَبِ كَلامِهِ وَرَفَعَ مُحَمَّداً فَوْقَ هَذَا كُلِّهِ حَتَّى بَلَغَ مُسْتَوًى وَسَمِعَ صَرِيفَ الأَقْلامِ فَكَيْفَ يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّ هَذَا أَوْ يَبْعُدُ سَمَاعُ الْكَلامِ؟ فَسُبْحَانَ مَنْ خَصَّ مَنْ شَاءَ بِمَا شَاءَ وَجَعَلَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ.

الفصل السابع: الدنو والقرب

وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ الإِسْرَاءِ وَظَاهِرِ الآيَةِ مِنَ الدُّنُوِّ وَالْقُرْبِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٨] فَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ الدُّنُوَّ وَالتَّدَلِّي مُنْقَسِمٌ مَا بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَجِبْرِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ أَوْ مُخْتَصٌّ بِأَحَدِهِمَا مِنَ الآخَرِ أَوْ مِنَ السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى قَالَ الرَّازِيُّ[3] وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ[4] هُوَ مُحَمَّدٌ دَنَا[5] فَتَدَلَّى مِنْ رَبِّهِ وَقِيلَ مَعْنَى دَنَا قَرُبَ وَتَدَلَّى زَادَ فِي الْقُرْبِ وَقِيلَ هُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ أَيْ قَرُبَ وَحَكَى[6] مَكِّيٌّ وَالْمَاوَرْدِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[7] هُوَ الرَّبُّ دَنَا مِنْ مُحَمَّدٍ فَتَدَلَّى إِلَيْهِ أَيْ أَمْرُهُ وَحُكْمُهُ.

---

(١) تقدمت ترجمته. (٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته. (٤) تقدمت ترجمته.

(٥) أخرجه الإمام ابن أبي حاتم في مسنده.

(٦) مكي: هو أبو محمد بن أبي طالب شيخ الصوفية وأهل السنة، وأصله من القيروان ولد بها ثم انتقل إلى الأندلس وسكن قرطبة، كان من علماء التفسير وعلوم القرآن وله تفسير كبير وكتابه: قوت القلوب. وهو كتاب جليل توفي رحمه الله سنة ٤٣٧ هـ.

(٧) الماوردي هو علي بن حبيب القاضي أبو الحسن وهو صاحب التآليف والتصانيف الهامة في شتى ميادين المعرفة كالتفسير والفقه، والأصول، والحديث ومنها الحاوي والأحكام والسلطانية توفي سنة ٤٥٠ هـ.

وَحكَى النَّقَّاشُ(١) عَنِ الْحَسَنِ قَالَ دَنَا مِنْ عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَتَدَلَّى فَقَرُبَ مِنْهُ فَأَرَاهُ مَا شَاءَ أَنْ يُرِيَهُ مِنْ قُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ قَالَ وَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ هُوَ مُقَدَّمٌ وَمُؤَخَّرٌ تَدَلَّى الرَّفْرَفُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ فَجَلَسَ عَلَيْهِ ثُمَّ رُفِعَ فَدَنَا مِنْ رَبِّهِ قَالَ فَارَقَنِي جِبْرِيلُ وَٱنْقَطَعَتْ عَنِّي الْأَصْوَاتُ وَسَمِعْتُ كَلاَمَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَ وَعَنْ أَنَسٍ فِي الصَّحِيحِ: «عَرَجَ بِي جِبْرِيلُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَدَنَا الْجَبَّارُ رَبُّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَيْهِ بِمَا شَاءَ وَأَوْحَى إِلَيْهِ خَمْسِينَ صَلاَةً». وَذَكَرَ حَدِيثَ الْإِسْرَاءِ وَعَنْ مُحَمَّدِ(٥) بْنِ كَعْبٍ هُوَ مُحَمَّدٌ دَنَا مِنْ رَبِّهِ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ.

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَدْنَاهُ رَبُّهُ مِنْهُ حَتَّى كَانَ مِنْهُ كقاب قوسين.

وَقَالَ جَعْفَرُ(٦) بْنُ مُحمدٍ، وَالدُّنُوُّ مِنَ اللهِ لاَ حَدَّ لَهُ وَمِنَ الْعِبَادِ بِالْحُدُودِ.

وَقَالَ أَيْضاً ٱنْقَطَعَتِ الْكَيْفِيَّةُ عَنِ الدُّنُوِّ: أَلاَ تَرَى كَيْفَ حَجَبَ جِبْرِيلَ عَنْ دُنُوِّهِ وَدَنَا مُحَمَّدٌ إِلَى مَا أُودِعَ قَلْبُهُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِيمَانِ فَتَدَلَّى بِسُكُونِ قَلْبِهِ إِلَى مَا أَدْنَاهُ وَزَالَ عَنْ قَلْبِهِ الشَّكُّ وَالارْتِيَابُ؟.

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ اللهُ: ٱعْلَمْ أَنَّ مَا وَقَعَ مِنْ إِضَافَةِ الدُّنُوِّ وَالْقُرْبِ هُنَا مِنَ اللهِ أَوْ إِلَى اللهِ فَلَيْسَ بِدُنُوِّ مَكَانٍ وَلاَ قُرْبِ مَدًى بَلْ كَمَا ذَكَرْنَا عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ لَيْسَ بِدُنُوِّ حَدٍّ وَإِنَّمَا دُنُوُّ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ رَبِّهِ. وَقُرْبُهُ مِنْهُ إِبَانَةُ عَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ وَتَشْرِيفُ رُتْبَتِهِ وَإِشْرَاقُ أَنْوَارِ مَعْرِفَتِهِ. وَمُشَاهَدَةُ أَسْرَارِ غَيْبِهِ وَقُدْرَتِهِ وَمِنَ ٱللهِ تَعَالَى لَهُ مَبَرَّةٌ وَتَأْنِيسٌ وَبَسْطٌ وَإِكْرَامٌ وَيُتَأَوَّلُ فِيهِ مَا يُتَأَوَّلُ فِي قَوْلِهِ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا»(٧). عَلَى أَحَدِ الْوُجُوهِ نُزُولَ إِفْضَالٍ وَإِجْمَالٍ وَقَبُولٍ وَإِحْسَانٍ قَالَ الْوَاسِطِيُّ(٨) مَنْ تَوَهَّمَ أَنَّهُ بِنَفْسِهِ جَعَلَ ثَمَّ مَسَافَةً بَلْ كُلُّ مَا دَنَا بِنَفْسِهِ مِنَ الْحَقِّ تَدَلَّى

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) محمد بن كعب هو: كعب بن مانع بن هيشوع أدرك زمن النبي ﷺ ولم يره وأسلم في خلافة أبي بكر وصحب عمر رضي الله عنهما وأخذ عن عمر وعن غيره، وروى عنه الصحابة. وسكن اليمن ثم انتقل إلى حمص بعد إسلامه، وبها توفي سنة ٣٢ هـ في خلافة عثمان رضي الله عنه.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح: ١/ ٥٢٢ كتاب الصلاة (٦) باب الترغيب في الدعاء (٢٤) الحديث: ١٧١/ ٧٥٨. برواية أبي هريرة، وفي رواية: «يكون كذلك حتى يضيء الفجر ثم يعلو ربنا إلى كرسيه» أخرج هذه الرواية الدارقطني في كتاب النزول، ص: ٩٧ من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٨) تقدمت ترجمته.

بُعداً يَعنِي عَنْ دَرْكِ حَقِيقَتِهِ إِذْ لاَ دُنُوَّ لِلْحَقِّ وَلاَ بُعْدَ، وَقَوْلُهُ: قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى[١] فَمَنْ جَعَلَ الضَّمِيرَ عَائِداً إِلَى الله تَعَالَى لاَ إِلَى جِبْرِيلَ عَلَى هَذَا كَانَ عِبَارَةً عَنْ نِهَايَةِ الْقُرْبِ وَلُطْفِ الْمَحَلِّ وَإِيضَاحِ الْمَعْرِفَةِ وَالإِشْرَافِ عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وعِبَارَةً عَنْ إِجَابَةِ لِرَغْبَةٍ وَقَضَاءِ الْمَطَالِبِ وَإِظْهَارِ التَّحَفِّي وَإِنَافَةِ الْمَنْزِلَةِ، وَالْمَرْتَبَةِ مِنَ الله لَهُ وَيُتَأَوَّلُ فِيهِ مَا يَتَأَوَّلُ فِي قَوْلِهِ: **«مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيتُهُ هَرْوَلَةً»**[١] قُرْبٌ بِالإِجَابَةِ وَالْقَبُولِ، وإِتْيَانٌ بِالإِحْسَانِ وَتَعْجِيلِ الْمَأْمُولِ.

الفصل الثامن: في ذِكرِ تفضيلِهِ ﷺ في القِيامَةِ بخُصُوصِ الكَرامَةِ

[حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ وَأَبُو الْحُسَيْنِ قَالاَ أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى حَدَّثَنَا السِّنْجِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ مَحْبُوبٍ حَدَّثَنَا التِّرْمِذِيُّ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَزِيدَ الْكُوفِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلاَمِ بْنُ حَرْبٍ عَنْ لَيْثٍ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ][٢] عَنْ أَنَسٍ[٣] رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجاً إِذَا بُعِثُوا وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا. لِوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِي وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي ولا فَخْرَ»**[٤].

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ زُحْرٍ[٥] عَنِ الرَّبِيعِ[٦] بْنِ أَنَسٍ فِي لَفْظِ هَذَا الْحَدِيثِ **«أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجاً إِذَا بُعِثُوا وَأَنَا قَائِدُهُمْ إِذَا وَفَدُوا وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا أَنْصَتُوا وأَنَا شَفِيعُهُمْ إِذَا حُبِسُوا وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أُبْلِسُوا. لِوَاءُ الْكَرَمِ بِيَدِي وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلاَ فَخْرَ وَيَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خَادِمٍ كَأَنَّهُمْ**

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح تحت رقم: ٢٦٨٧ في الذكر باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله. من رواية أبي ذر رضي الله عنه ولفظه بالتمام: «يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيدُ ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها، أو أغفرُ، ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً. ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولةً ومن لقيني بتراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة».

(٢) [....] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/٢٠٣ والدارمي في السنن، والتبريزي في المشكاة ٣/١٦٠٥ وكشف المناهج: ١٩٤، وبرواية فيها زيادة. أخرجها الدارمي في السنن ١/٢٦ ـ ٢٧ المقدمة باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل، والترمذي في السنن ٥/٥٨٥ كتاب المناقب (٥٠) باب في فضل النبي ﷺ (١) الحديث: ٣٦١٠ وقال حسن غريب.

(٥) ابن زحر هو عبد الله بن زحر العابد أخرج أحاديثه أئمة الحديث الستة وأخرج له الإمام البخاري في الصحيح في الأدب المفرد وله ترجمة طويلة في الميزان. وينسبونه بالإفريقي.

(٦) الربيع بن أنس هو أبو حاتم التابعي البكري البصري ثقة صدوق إلا أن له أوهاماً كما قال ابن حجر العسقلاني توفي رحمه الله سنة ١٣٩ هـ.

لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ»[١] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[٢] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «وَأُكْسَى حُلَّةً مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلائِقِ يَقُومُ ذَلِكَ الْمَقَامَ غَيْرِي»[٣] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ[٤] الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلاَ فَخْرَ وَمَا نَبِيٌّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلاَّ تَحْتَ لِوَائِي وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلاَ فَخْرٌ»[٥] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْهُ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ». وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا «أَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلاَ فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حَلَقَ الْجَنَّةِ فَيُفْتَحُ لِي فَأَدْخُلُهَا فَيَدْخُلُهَا مَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلاَ فَخْرَ وَأَنَا أَكْرَمُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَلاَ فَخْرَ»[٦] وَعَنْ أَنَسٍ «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ النَّاسِ تَبَعاً»[٧] وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَدْرُونَ لِمَا ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ»[٨]. وَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[٩] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «أَطْمَعُ أَنْ أَكُونَ أَعْظَمَ الأَنْبِيَاءِ أَجْراً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١٠]. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ «أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ وَعِيسَى فِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ ثُمَّ قَالَ إِنَّهُمَا فِي أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَيَقُولُ أَنْتَ دَعْوَتِي وَذُرِّيَّتِي فَاجْعَلْنِي مِنْ أُمَّتِكَ. وَأَمَّا عِيسَى فَالأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ بَنُو عَلاَّتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَإِنَّ عِيسَى أَخِي لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ. وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ»[١١]. قَوْلُهُ أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُوَ سَيِّدُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَكِنْ أَشَارَ ﷺ لانْفِرَادِهِ فِيهِ بِالسُّؤْدَدِ وَالشَّفَاعَةِ دُونَ غَيْرِهِ إِذْ لَجَأَ النَّاسُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ فَلَمْ يَجِدُوا سِوَاهُ. وَالسَّيِّدُ هُوَ الَّذِي يَلْجَأُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِي حَوَائِجِهِمْ فَكَانَ حِينَئِذٍ سَيِّداً مُنْفَرِداً مِنْ بَيْنِ الْبَشَرِ، لَمْ يُزَاحِمْهُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ وَلاَ ادَّعَاهُ

---

(١) سبق تخريجه في رقم: ٢.
(٢) أخرجه الإمام الترمذي في السنن رقم: ٣٦١١، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٤٩٦.
(٣) تقدمت ترجمته.
(٤) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح: ٤/ ١٧٨٢ كتاب الفضائل (٤٣) باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (٢) الحديث ٣/ ٢٢٧٨ ـ برواية أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٤٩٦، وابن كثير في تفسيره: ٢/ ٣٧٥.
(٦) أخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/ ٩٨، والمتقي الهندي في كنز العمال رقم: ٣١٩٦٧، ٣٢٥١.
(٧) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح: ١٨٤.
(٨) تقدمت ترجمته.
(٩) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح.
(١٠) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح كذلك.
(١١) أخرجه القاضي في مناهل الصفا: ٣٣.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦] وَالْمُلْكُ لَهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَكِنْ فِي الآخِرَةِ انْقَطَعَتْ دَعْوَى الْمُدَّعِينَ لِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ لَجأَ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ جَمِيعُ النَّاسِ فِي الشَّفَاعَةِ فَكَانَ سَيِّدَهُمْ فِي الأُخْرَى دُونَ دَعْوَى، وَعَنْ أَنَسٍ[١] رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لاَ أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ». وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو[٢] قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ كِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَداً»[٣] وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ[٤] نَحْوُهُ. وَقَالَ: طُولُهُ مَا بَيْنَ عُمَانَ إِلَى أَيْلَةَ يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ[٥].

وَعَنْ ثَوْبَانَ[٦] مِثْلُهُ، وَقَالَ: أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ. وَالآخَرُ مِنْ وَرِقٍ[٧]، وَفِي رِوَايَةِ حَارِثَةَ[٨] بْنِ وَهْبٍ: كَمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَصَنْعَاءَ[٩] وَقَالَ أَنَسٌ[١٠]: أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ. وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ[١١]: كَمَا بَيْنَ الْكُوفَةِ وَالْحَجَرِ الأَسْوَدِ». وَرَوَى حَدِيثَ الْحَوْضِ أَيْضاً: أَنَسٌ[١٢] وَجَابِرُ[١٣] بْنُ

---

(١) أخرجه الإمام مسلم.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ١١/ ٤٦٤ كتاب الرقاق (٨١) باب في الحوض (٥٣) الحديث: ٦٥٨١. من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) أخرج حديث أبي ذر الإمام مسلم في الصحيح.

(٦) ثوبان هو مولى النبي ﷺ، صحابي جليل اشتراه ثم أعتقه رسول الله ﷺ، فخدمه حتى توفي ثم ارتحل إلى الرملة ثم حمص وتوفي سنة ٤ هـ. وكان اسمه ثوبان بن بجدد ويكنى أبا عبد الله وقيل أبا عبد الرحمن الهاشمي. ترجمته: في الثقات ٣/ ٤٨ والإصابة ١/ ٢٠٤ والحلية: ١/ ١٨٠.

(٧) أخرجه الإمام مسلم.

(٨) حارثة هو حارثة بن وهب الخزاعي. أخو عبيد الله بن عمر بن الخطاب لامه له صحبة سكن الكوفة أمه أم عبيد الله بن أم عمر أم كلثوم مليكة بنت جردل بن مالك بن المسيب الخزاعية. ترجمته في الثقات ٣/ ٧٩، والطبقات ٦/ ٢٦ والإصابة ١/ ٢٩٩.

(٩) أخرج حديث حارثة الشيخان في صحيحهما.

(١٠) تقدمت ترجمته.

(١١) تقدمت ترجمته.

(١٢) تقدمت ترجمته.

(١٣) جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب بن حجير بن رئاب بن حبيب... السوائي حليف بني زهرة كنيته أبو عبد الله وقيل أبو خالد توفي سنة ٩٤ هـ في خلافة بشر بن مروان على العراق. أخرج حديثه أهل الكوفة ولأبي صحبة.

ترجمته في الثقات: ٣/ ٥٢، والطبقات ٦/ ٢٤/ والإصابة ١/ ٢١٢.

سَمُرَةَ، وَٱبْنُ عُمَرَ[(١)] وَعُقْبَةُ[(٢)] بْنُ عَامِرٍ وَحَارِثَةُ[(٣)] بْنُ وَهْبٍ الْخُزَاعِيُّ وَالْمُسْتَوْرِدُ[(٤)] وَأَبُو بَرْزَةَ[(٥)] الْأَسْلَمِيُّ وَحُذَيْفَةُ[(٦)] بْنُ الْيَمَانِ وَأَبُو أُمَامَةَ[(٧)] وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ[(٨)] وَٱبْنُ مَسْعُودٍ[(٩)] وَعَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدٍ[(١٠)] وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ[(١١)] وَسُوَيْدُ بْنُ[(١٢)] جَبَلَةَ وَأَبُو بَكْرٍ[(١٣)] وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ[(١٤)]. وَٱبْنُ بُرَيْدَةَ[(١٥)] وَأَبُو سَعِيدٍ[(١٦)] الْخُدْرِيُّ وَعَبْدُ[(١٧)] اللهِ الصُّنَابِحِيُّ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَالْبَرَاءُ[(١٨)] وَجُنْدَبٌ[(١٩)] وَعَائِشَةُ[(٢٠)] وَأَسْمَاءُ بِنْتَا أَبِي بَكْرٍ وَأَبُو بَكْرَةَ[(٢١)] وَخَوْلَةُ[(٢٢)] بِنْتُ قَيْسٍ[(٢٣)] وَغَيْرُهُمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

الفصل التاسع: في تفضيله ﷺ

فِي تَفْضِيلِهِ بِالْمَحَبَّةِ وَالْخُلَّةِ: جَاءَتْ بِذَلِكَ الْآثَارُ الصَّحِيحَةُ وَٱخْتُصَّ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُسْلِمِينَ بِحَبِيبِ اللهِ.

[أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْخَطِيبُ وَغَيْرُهُ عَنْ كَرِيمَةَ بِنْتِ أَحْمَدَ حَدَّثَنَا أَبُو الْهَيْثَمِ وَحَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَافِظُ سَمَاعاً عَلَيْهِ.

حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ أَحْمَدَ حَدَّثَنَا أَبُو الْهَيْثَمِ حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ][(٢٤)] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَوْ كُنْتُ**

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) عقبة بن عامر بن عبس كنيته أبو أسود الجهني، كان والياً بمصر ويعد من الرماة واختلف في كنيته توفي سنة ٥٨ هـ. في ولاية معاوية. ترجمته في الثقات ٣/ ٢٨٠، والطبقات ٤/ ٣٤٣، ٧/ ٤٩٨ والإصابة ٢/ ٤٨٩ - والحلية ٢/ ٨.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) المستورد بن شداد الفهري القرشي، سكن مصر. ترجمته في الثقات ٦/ ٦١ والإصابة ٣/ ٤٠٧.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) زيد بن أرقم بني الحارث بن الخزرج الأنصاري كنيته أبو عمرو واختلف في كنيته توفي سنة ٦٥ هـ. ترجمته في الثقات ٣/ ١٣٩ والطبقات ٦/ ١٨، والإصابة ١/ ٥٦٠.

(٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) تقدمت ترجمته.

(١١) تقدمت ترجمته وباختصار من ١٢ - ٢٣ تقدمت تراجمهم. وكل هؤلاء من رواة حديث الحوض الذي أخرجه الشيخان في الصحيح كما سبق آنفاً.

(٢٤) [. . . .] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

مُتَّخِذاً خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ»[(١)] . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ»[(٢)] وَمِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللهِ[(٣)] بْنِ مَسْعُودٍ: وَقَدِ اتَّخَذَ اللهُ صَاحِبَكُمْ[(٤)] خَلِيلاً، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[(٥)]، قَالَ: جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَنْتَظِرُونَهُ. قَالَ: فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ فَسَمِعَ حَدِيثَهُمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَجَباً إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلاً، وَقَالَ آخَرُ مَاذَا بِأَعْجَبَ مِنْ كَلاَمِ مُوسَى كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيماً، وَقَالَ آخَرُ فَعِيسَى كَلِمَةُ اللهِ وَرُوحُهُ، وَقَالَ آخَرُ آدَمُ اصْطَفَاهُ اللهُ: فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ وَقَالَ: **«قَدْ سَمِعْتُ كَلاَمَكُمْ وَعَجَبَكُمْ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَهُوَ كَذَلِكَ وَمُوسَى نَجِيُّ اللهِ وَهُوَ كَذَلِكَ، أَلاَ وَأَنَا حَبِيبُ اللهِ وَلاَ فَخْرَ وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حَلَقَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللهُ لِي فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَلاَ فَخْرَ»**[(٦)] . وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ[(٧)] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: إِنِّي اتَّخَذْتُكَ خَلِيلاً فَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ لَيْسَ حَبِيبُ الرَّحْمَنِ. قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ اللهُ: اخْتُلِفَ فِي تَفْسِيرِ الْخُلَّةِ وَأَصْلِ اشْتِقَاقِهَا فَقِيلَ الْخَلِيلُ الْمُنْقَطِعُ إِلَى اللهِ الَّذِي لَيْسَ فِي انْقِطَاعِهِ إِلَيْهِ وَمَحَبَّتِهِ لَهُ اخْتِلاَلٌ وَقِيلَ الْخَلِيلُ الْمُخْتَصُّ وَاخْتَارَ هَذَا الْقَوْلَ غَيْرُ وَاحِدٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَصْلُ الْخُلَّةِ: الاسْتِصْفَاءُ وَسُمِّيَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلَ اللهِ لأَنَّهُ يُوَالِي فِيهِ وَيُعَادِي فِيهِ، وَخُلَّةُ اللهِ لَهُ نَصْرُهُ وَجَعْلُهُ إِمَاماً لِمَنْ بَعْدَهُ وَقِيلَ الْخَلِيلُ: أَصْلُهُ الْفَقِيرُ الْمُحْتَاجُ الْمُنْقَطِعُ مَأْخُوذٌ مِنَ الْخُلَّةِ وَهِيَ الْحَاجَةُ فَسُمِّيَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ لأَنَّهُ قَصَرَ حَاجَتَهُ عَلَى رَبِّهِ وَانْقَطَعَ إِلَيْهِ بِهَمِّهِ وَلَمْ يَجْعَلْهُ قِبَلَ غَيْرِهِ إِذْ جَاءَهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ فِي الْمَنْجَنِيقِ لِيُرْمَى بِهِ فِي النَّارِ فَقَالَ أَلَكَ حَاجَةٌ؟ قَالَ: أَمَّا إِلَيْكَ فَلاَ؛ وَقَالَ أَبُو بَكْرِ[(٨)] بْنُ فُورَكٍ:

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٧/ ١٢ كتاب فضائل الصحابة (٦٢) باب قول النبي ﷺ سدوا الأبواب. (٣) الحديث: ٣٦٥٤. برواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) وأخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٥٥ كتاب فضائل الصحابة. (٤٤) باب من فضائل أبي بكر (١) الحديث ٣/ ٢٣٨٣. برواية عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً... مع اختلاف في اللفظ.

(٣) تقدمت ترجمته. (٤) تقدمت ترجمته.

(٥) أخرجه الدارمي في السنن والترمذي في سننه.

(٦) أخرجه السيوطي في الدر المنثور: ٢/ ٢٣٠، وابن كثير في تفسيره: ٢/ ٣٧٥ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ١٠/ ٤٩٦. والإمام أحمد في المسند: ٣/ ١٤٤ والمتقي الهندي في كنز العمال تحت رقم: ٣٢٠٤٨، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ٣٤٩. وأبو نعيم في دلائل النبوة.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) أبو بكر بن فورك هو محمد بن الحسن الأصبهاني إمام جليل وبحر في العلم لا يجارى في الفقه واللغة والأصول وعلم الكلام، وقد امتحن في الدين واعتزل بعد مناظرات مات مسموماً سنة ٤٠٦ هـ ونقل إلى نيسابور وبها دفن وقبره يزار عند العوام وهو شافعي المذهب...

الْخُلَّةُ صَفَاءُ الْمَوَدَّةِ الَّتِي تُوجِبُ الاخْتِصَاصَ بِتَخَلُّلِ الْأَسْرَارِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَصْلُ الْخُلَّةِ: الْمَحَبَّةُ وَمَعْنَاهَا الْإِسْعَافُ وَالْإِلْطَافُ وَالتَّرْفِيعُ وَالتَّشْفِيعُ؛ وَقَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة:١٨] فَأَوْجَبَ لِلْمَحْبُوبِ أَنْ لاَ يُؤَاخَذَ بِذُنُوبِهِ: قَالَ هَذَا وَالْخُلَّةُ أَقْوَى مِنَ النُّبُوَّةِ لِأَنَّ النُّبُوَّةَ قَدْ تَكُونُ فِيهَا الْعَدَاوَةُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن:١٤] الآيَةَ وَلاَ يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ عَدَاوَةٌ مَعَ خُلَّةٍ فَإِذَا تَسْمِيَةُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ بِالْخُلَّةِ إِمَّا بِانْقِطَاعِهِمَا إِلَى الله وَوَقْفِ حَوَائِجِهِمَا عَلَيْهِ وَالانْقِطَاعِ عَمَّنْ دُونَهُ وَالْإِضْرَابِ عَنِ الْوَسَائِطِ وَالْأَسْبَابِ أَوْ لِزِيَادَةِ الاخْتِصَاصِ مِنْهُ تَعَالَى لَهُمَا وَخَفِيِّ أَلْطَافِهِ عِنْدَهُمَا وَمَا خَالَلَ بَوَاطِنَهُمَا مِنْ أَسْرَارِ إِلَهِيَّتِهِ وَمَكْنُونِ غُيُوبِهِ، وَمَعْرِفَتِهِ أَوْ لاسْتِصْفَائِهِ لَهُمَا وَاسْتِصْفَاءِ قُلُوبِهِمَا عَمَّنْ سِوَاهُ حَتَّى لَمْ يُخَالِلْهُمَا حُبٌّ لِغَيْرِهِ وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ: الْخَلِيلُ مَنْ لاَ يَتَّسِعُ قَلْبُهُ لِسِوَاهُ وَهُوَ عِنْدَهُمْ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: **«وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً[١] لَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ»**. وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ أَرْبَابُ الْقُلُوبِ أَيُّهُمَا أَرْفَعُ: دَرَجَةُ الْخُلَّةِ أَوْ دَرَجَةُ الْمَحَبَّةِ؟ فَجَعَلَهُمَا بَعْضُهُمْ سَوَاءً فَلاَ يَكُونُ الْحَبِيبُ إِلاَّ خَلِيلاً، وَلاَ الْخَلِيلُ إِلاَّ حَبِيباً لَكِنَّهُ خَصَّ إِبْرَاهِيمَ بِالْخُلَّةِ وَمُحَمَّداً بِالْمَحَبَّةِ وَبَعْضُهُمْ قَالَ: دَرَجَةُ الْخُلَّةِ أَرْفَعُ وَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ ﷺ: **«لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ»**[٢] فَلَمْ يَتَّخِذْهُ وَقَدْ أَطْلَقَ الْمَحَبَّةَ لِفَاطِمَةَ[٣] وَابْنَيْهَا وَأُسَامَةَ[٤] وَغَيْرِهِمْ، وَأَكْثَرُهُمْ جَعَلَ الْمَحَبَّةَ: أَرْفَعَ مِنَ الْخُلَّةِ لِأَنَّ دَرَجَةَ الْحَبِيبِ نَبِيِّنَا أَرْفَعُ مِنْ دَرَجَةِ الْخَلِيلِ إِبْرَاهِيمَ، وَأَصْلُ الْمَحَبَّةِ: الْمَيْلُ إِلَى مَا يُوَافِقُ الْمُحِبَّ وَلَكِنْ هَذَا فِي حَقِّ مَنْ يَصِحُّ الْمَيْلُ مِنْهُ وَالانْتِفَاعُ بِالْوَفْقِ وَهِيَ دَرَجَةُ الْمَخْلُوقِ، فَأَمَّا الْخَالِقُ فَمُنَزَّهٌ عَنِ الْأَعْرَاضِ فَمَحَبَّتُهُ لِعَبْدِهِ تَمْكِينُهُ مِنْ سَعَادَتِهِ، وَعِصْمَتُهُ وَتَوْفِيقُهُ وَتَهْيِئَةُ أَسْبَابِ الْقُرْبِ وَإِفَاضَةُ رَحْمَتِهِ عَلَيْهِ وَقُصْوَاهَا: كَشْفُ الْحُجُبِ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى يَرَاهُ بِقَلْبِهِ وَيَنْظُرَ إِلَيْهِ بِبَصِيرَتِهِ فَيَكُونُ كَمَا قَالَ فِي الْحَدِيثِ: **«فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ»**[٥] وَلاَ يَنْبَغِي أَنْ يُفْهَمَ مِنْ هَذَا سِوَى التَّجَرُّدِ لله وَالانْقِطَاعِ إِلَى الله وَالْإِعْرَاضِ عَنْ غَيْرِ الله وَصَفَاءِ

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) فاطمة بنت الرسول ﷺ أمها خديجة بنت خويلد بن أسد توفيت بعد أبيها عليه الصلاة والسلام بستة أشهر وصلى عليها زوجها الإمام علي كرم الله وجهه ولم يخبر بها أحداً ودفنها ليلاً وهي بنت: ٢١ سنة ترجمتها في الثقات ٣/ ٣٣٤، والإصابة: ٤/ ٣٧٧ وحلية الأولياء: ٢/ ٩٢.

(٤) أسامة بن زيد بن حارثة بن سراحيل يكنى أبا محمد صحابي جليل توفي بعد مقتل عثمان سنة ٣٥ هـ. ترجمته. في الثقات: ٣/ ٢، والطبقات: ٤/ ٦١، والإصابة: ١/ ٤٦.

(٥) تقدم تخريجه، وهو حديث قدسي. أخرجه البخاري في الصحيح: ٨/ ١٣١.

الْقَلْبِ للهِ وَإِخْلَاصِ الْحَرَكَاتِ للهِ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ[1] رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ بِرِضَاهُ يَرْضَى وَبِسَخَطِهِ يَسْخَطُ؛ وَمِنْ هَذَا عَبَّرَ بَعْضُهُمْ عَنِ الْخُلَّةِ بِقَوْلِهِ:

قَدْ تَخَلَّلْتَ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي ... وَبِذَا سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلا

فَإِذَا مَا نَطَقْتُ كُنْتَ حَدِيثِي ... وَإِذَا مَا سَكَتُّ كُنْتَ الْغَلِيلا[2]

فَإِذَا مَزِيَّةُ الْخُلَّةِ وَخُصُوصِيَّةُ الْمَحَبَّةِ حَاصِلَةٌ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ الصَّحِيحَةُ الْمُنْتَشِرَةُ الْمُتَلَقَّاةُ بِالْقَبُولِ مِنَ الأُمَّةِ وَكَفَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: ٣١] الآيَةَ، حَكَى أَهْلُ التَّفْسِيرِ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ الْكُفَّارُ إِنَّمَا يُرِيدُ مُحَمَّدٌ أَنْ نَتَّخِذَهُ حَنَاناً كَمَا اتَّخَذَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ فَأَنْزَلَ اللهُ غَيْظاً لَهُمْ وَرَغْماً عَلَى مَقَالَتِهِمْ هَذِهِ الآيَةَ ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢] فَزَادَهُ شَرَفاً بِأَمْرِهِمْ بِطَاعَتِهِ وَقَرَنَهَا بِطَاعَتِهِ ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ عَلَى التَّوَلِّي عَنْهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢] وَقَدْ نَقَلَ الإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ[3] بْنِ فُورَكٍ عَنْ بَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ كَلَاماً فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْمَحَبَّةِ وَالْخُلَّةِ يَطُولُ جُمْلَةُ إِشَارَاتِهِ إِلَى تَفْضِيلِ مَقَامِ الْمَحَبَّةِ عَلَى الْخُلَّةِ وَنَحْنُ نَذْكُرُ مِنْهُ طَرَفاً يَهْدِي إِلَى مَا بَعْدَهُ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: الْخَلِيلُ يَصِلُ بِالْوَاسِطَةِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥] وَالْحَبِيبُ يَصِلُ إِلَيْهِ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩] وَقِيلَ الْخَلِيلُ الَّذِي تَكُونُ مَغْفِرَتُهُ فِي حَدِّ الطَّمَعِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي﴾ [الشعراء: ٨٢] وَالْحَبِيبُ الَّذِي مَغْفِرَتُهُ فِي حَدِّ الْيَقِينِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] الآيَةَ، وَالْخَلِيلُ قَالَ: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٧] وَالْحَبِيبُ قِيلَ لَهُ ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ﴾ [التحريم: ٨] فَابْتُدِئَ بِالْبِشَارَةِ قَبْلَ السُّؤَالِ، وَالْخَلِيلُ قَالَ فِي الْمِحْنَةِ حَسْبِيَ اللهُ، وَالْحَبِيبُ قِيلَ لَهُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٤] وَالْخَلِيلُ قَالَ ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] وَالْحَبِيبُ قِيلَ لَهُ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] أُعْطِيَ بِلَا سُؤَالٍ؛ وَالْخَلِيلُ قَالَ ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] وَالْحَبِيبُ قِيلَ لَهُ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣] وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ تَنْبِيهٌ عَلَى مَقْصِدِ أَصْحَابِ الْمَقَالِ مِنْ تَفْضِيلِ الْمَقَامَاتِ وَالأَحْوَالِ و﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٤].

---

(١) تقدمت ترجمتها.

(٢) أورد البيتين الخفاجي في نسيم الرياض ٢/ ٣٦٤ بقوله: وفي رواية: كنت الدخيلا. وقال المراد بالغليل العطش الذي يكون داخل القلب والمراد بالدخيل: ما هو دخل القلب والبدن وقالوا تغلغل الماء بين النبات جرى تحته مستتراً.

(٣) تقدمت ترجمته.

الفصل العاشر: في تفضيله ﷺ بالشَّفاعة والمقام المحمود

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] [أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ الْغَسَّانِيُّ الْجَيَّانِيُّ فِيمَا كَتَبَ بِهِ إِلَيَّ بِخَطِّهِ، حَدَّثَنَا سِراجُ بْنُ عَبْدِ الله الْقَاضِي حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الأَصِيلِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ وَأَبُو أَحْمَدَ قَالاَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبَانٍ حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ][١] عَنْ آدَمَ[١] بْنِ عَلِيٍّ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ[٢] يَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ[٣] يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًى كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ يَا فُلاَنُ اشْفَعْ لَنَا يَا فُلاَنُ اشْفَعْ لَنَا حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ الله الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[٤] سُئِلَ عَنْهَا رَسُولُ الله ﷺ يَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] فَقَالَ الشَّفَاعَةُ.

وَرَوَى كَعْبُ[٥] بْنُ مَالِكٍ عَنْهُ ﷺ: **«يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ وَيَكْسُونِي رَبِّي حُلَّةً خَضْرَاءَ ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي فَأَقُولُ مَا شَاءَ الله أَنْ أَقُولَ فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ»**[٦].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ[٧] رَضِيَ الله عَنْهُمَا وَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ قَالَ: فَيَمْشِي حَتَّى يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ الْجَنَّةِ فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ الله الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الذِي وَعَدَهُ.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ[٨] عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قِيَامَهُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ مَقَاماً لاَ يَقُومُهُ غَيْرُهُ يَغْبِطُهُ فِيهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ؛ وَنَحْوُهُ عَنْ كَعْبٍ[٩] وَالْحَسَنِ[١٠]، وَفِي رِوَايَةٍ هُوَ الْمَقَامُ الذِي أَشْفَعُ لِأُمَّتِي فِيهِ.

---

(١) [. . . .] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

آدم بن علي أخذ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ويعد من الثقات. وقال بعضهم: لا بأس به، توفي رحمه الله في خلافة هشام بن عبد الملك الأموي.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) حديث الشفاعة أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٩/١٤٩ والإمام مسلم: في الصحيح رقم: ١٨٠ والترمذي في السنن: ٤/٦٢٨، وأبو داود في السنن: ٢/٢١٦. وابن ماجه في السنن رقم: ١٤٤٠.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٣/٤٥٦.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) تقدمت ترجمته.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ(١) قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنِّي لَقَائِمٌ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ قِيلَ وَمَا هُوَ قَالَ ذَلِكَ يَوْمَ يَنْزِلُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى كُرْسِيِّهِ»(٢) الْحَدِيثَ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى(٣) رَضِيَ الله عَنْهُ: عَنْهُ ﷺ: «خُيِّرْتُ بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ لِأَنَّهَا أَعَمُّ أَتَرَوْنَهَا لِلْمُتَّقِينَ، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَّائِينَ»(٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ(٥) رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ الله مَاذَا وَرَدَ عَلَيْكَ فِي الشَّفَاعَةِ فَقَالَ: «شَفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله مُخْلِصاً يُصَدِّقُ لِسَانَهُ قَلْبُهُ»(٦).

وَعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أُرِيتُ مَا تَلْقَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي وَسَفْكَ بَعْضِهِمْ دِمَاءَ بَعْضٍ وَسَبَقَ لَهُمْ مِنَ الله مَا سَبَقَ لِأُمَمٍ قَبْلَهُمْ فَسَأَلْتُ الله أَنْ يُؤْتِيَنِي شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيهِمْ فَفَعَلَ»(٧).

وَقَالَ حُذَيْفَةُ(٨) يَجْمَعُ الله النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ حَيْثُ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ حُفَاةً عُرَاةً كَمَا خُلِقُوا سُكُوتاً لاَ تُكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَيُنَادَى: مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ وَالْمُهْتَدِي مَنْ هَدَيْتَ وَعَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَلَكَ وَإِلَيْكَ لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ سُبْحَانَكَ رَبَّ الْبَيْتِ قَالَ فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي ذَكَرَ الله»(٩).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ(١٠) رَضِيَ الله عَنْهُمَا: إِذَا دَخَلَ أَهْلُ النَّارِ النَّارَ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيَبْقَى آخِرُ زُمْرَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ وَآخِرُ زُمْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَتَقُولُ زُمْرَةُ النَّارِ لِزُمْرَةِ الْجَنَّةِ مَا نَفَعَكُمْ إِيمَانُكُمْ فَيَدْعُونَ

---

(١) (٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) أخرجه الإمام ابن ماجه في السنن: رقم: ١٤٤١.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٢/٣٠٧. والهيثمي في موارد الظمآن: ٢٥٩٤ والطبراني في المعجم الصغير: ٢/٩٠. والمنذري في الترغيب والترهيب ٤/٤٣٧.

(٧) أخرجه الإمام البيهقي في الشعب والحاكم في المستدرك.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) أخرجه البيهقي في الشعب، والنسائي في السنن موقوفاً.

(١٠) تقدمت ترجمته.

رَبِّهِمْ وَيَضِجُّونَ فَيَسْمَعُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَيَسْأَلُونَ آدَمَ وَغَيْرَهُ بَعْدَهُ فِي الشَّفَاعَةِ لَهُمْ فَكُلٌّ يَعْتَذِرُ حَتَّى يَأْتُوا مُحَمَّداً ﷺ فَيَشْفَعُ لَهُمْ فَذَلِكَ الْمَقَامَ الْمَحْمُودُ[١] وَنَحْوُهُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ[٢] أَيضاً وَمُجَاهِدٍ[٣] وَذَكَرَهُ عَلِيٌّ[٤] بْنُ الْحُسَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ جَابِرُ[٥] بْنُ عَبْدِ اللهِ لِيَزِيدَ[٦] الْفَقِيرِ سَمِعْتُ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ، يَعْنِي الذِي يَبْعَثُهُ اللهُ فِيهِ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ الْمَحْمُودُ الذِي يُخْرِجُ اللهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ يَعْنِي مِنَ النَّارِ، وَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ فِي إِخْرَاجِ الْجَهَنَّمِيِّينَ.

وَعَنْ أَنَسٍ[٧] نَحْوُهُ وَقَالَ: فَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الذِي وَعَدَهُ: وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ[٨] وَأَبِي هُرَيْرَةَ[٩] وَغَيْرِهِمَا دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي حَدِيثِ بَعْضٍ قَالَ ﷺ: **«يَجْمَعُ اللهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُّونَ ـ أَوْ قَالَ فَيُلْهَمُونَ ـ فَيَقُولُونَ لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا»**[١٠] وَمِنْ طَرِيقٍ آخَرَ عَنْهُ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[١١]: وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الْغَمِّ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَلاَ يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُونَ أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ زَادَ بَعْضُهُمْ أَنْتَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلاَئِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟

---

(١) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود الطيالسي.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) مجاهد هو أبو محمد بن جبر من أجلة التابعين اشتهر بالقراءات والتفسير واتصف بالورع والتقوى أخرج له أئمة السنن وهو ثقة عند المحدثين ولد في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة: ٢١ هـ وتوفي بمكة سنة ١٠٢ هـ وهو ساجد لله تعالى.

(٤) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بزين العابدين، وكان يضرب به المثل في الحلم والتقوى والورع كان ينفق على أكثر بيوتات المدينة توفي سنة ٩٤ هـ. ترجمته: في الطبقات ٥/ ٢١١ والبداية والنهاية ٩/ ١٠٣.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ٦/ ٢٦٤، ٢٦٥، في الأنبياء باب قول الله عز وجل: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ وباب قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ وفي تفسير سورة بني إسرائيل باب: «ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً». وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح تحت رقم: ١٩٤ في الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، وأخرجه الإمام الترمذي في السنن تحت رقم ٢٤٣٦ في صفة القيامة باب ما جاء في الشفاعة. والحديث طويل جداً.

(١٠) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة: ٥/ ٤٧٧.

(١١) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٩/ ١٣٩.

فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَنَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ. نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ فَيَأْتُونَ نُوحاً فَيَقُولُونَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ وَسَمَّاكَ الله عَبْداً شَكُوراً أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلاَ تَرَى مَا بَلَغَنَا أَلاَ تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ نَفْسِي نَفْسِي[١]. قَالَ فِي رِوَايَةِ أَنَسٍ[٢] وَيُذْكَرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ[٣] رَضِيَ الله عَنْهُ: وَقَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الله فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ نَبِيُّ الله وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً فَذَكَرَ مِثْلَهُ وَيَذْكُرُ ثَلاَثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ نَفْسِي نَفْسِي لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ الله. وَفِي رِوَايَةٍ فَإِنَّهُ عَبْدٌ آتَاهُ الله التَّوْرَاةَ وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيّاً قَالَ فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ وَقَتْلَهُ النَّفْسَ؛ نَفْسِي نَفْسِي وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ الله وَكَلِمَتُهُ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ عَبْدٍ غَفَرَ الله لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ فَأُوتَى فَأَقُولُ أَنَا لَهَا فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنَ لِي فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِداً[٤].

وَفِي رِوَايَةٍ: فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَخِرَّ سَاجِداً. وَفِي رِوَايَةٍ فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لاَ أَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلاَّ أَنَّهُ يُلْهِمُنِيهَا الله؛ وَفِي رِوَايَةٍ فَيَفْتَحُ الله عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي؛ قَالَ فِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ[٥] فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي فَيَقُولُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ وَلَمْ يَذْكُرْ[٦]. فِي رِوَايَةِ أَنَسٍ هَذَا الْفَصْلَ، وَقَالَ مَكَانَهُ ثُمَّ أَخِرُّ سَاجِداً فَيُقَالُ لِي يَا مُحَمَّدُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَهْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيُقَالُ انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، وَذَكَرَ مِثْلَ الأَوَّلِ وَقَالَ فِيهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ، قَالَ فَأَفْعَلُ ثُمَّ

---

(١) تقدمت ترجمته.
(٢) تقدمت ترجمته.
(٣) حديث الشفاعة المتقدم.
(٤) تقدمت ترجمته.
(٥) تقدم الحديث آنفاً.
(٦) تقدمت ترجمته.

أَرْجِعُ، وَذَكَرَ مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ وَقَالَ فِيهِ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ[١]، فَأَفْعَلُ وَذَكَرَ فِي الْمَرَّةِ الرَّابِعَةِ فَيُقَالُ لِي: ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَهْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ. قَالَ لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْكَ وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي وَجِبْرِيَائِي لَأُخْرِجَنَّ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ[٢] اللهُ، وَمِنْ رِوَايَةِ قَتَادَةَ[٣] عَنْهُ قَالَ فَلاَ أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ فَأَقُولُ يَا رَبِّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلاَّ من حَبَسَهُ الْقُرْآنُ أَيْ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ.

وَعَنْ أَبِي[٤] بَكْرٍ وَعُقْبَةَ[٥] بْنِ عَامِرٍ وَأَبِي سَعِيدٍ[٦] وَحُذَيْفَةَ[٧] مِثْلُهُ قَالَ فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً فَيُؤْذَنُ لَهُ وَتَأْتِي الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ؛ وَذَكَرَ فِي رِوَايَةِ أَبِي مَالِكٍ عَنْ حُذَيْفَةَ[٨] فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً فَيَشْفَعُ فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ فَيَمُرُّونَ أَوَّلُهُمْ كَالْبَرْقِ ثُمَّ كَالرِّيحِ وَالطَّيْرِ وَشَدِّ الرِّجَالِ وَنَبِيُّكُمْ ﷺ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ حَتَّى يَجْتَازَ النَّاسُ وَذَكَرَ آخِرَهُمْ جَوَازاً الْحَدِيثَ: وَفِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ[٩] فَأَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ[١٠].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[١١] عَنْهُ ﷺ: **«يُوضَعُ لِلأَنْبِيَاءِ مَنَابِرُ يَجْلِسُونَ عَلَيْهَا وَيَبْقَى مِنْبَرِي لاَ أَجْلِسُ عَلَيْهِ قَائِماً بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي مُنْتَصِباً فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا تُرِيدُ أَنْ أَصْنَعَ بِأُمَّتِكَ فَأَقُولُ يَا رَبِّ عَجِّلْ حِسَابَهُمْ فَيُدْعَى بِهِمْ فَيُحَاسَبُونَ فَمِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِي وَلاَ أَزَالُ أَشْفَعُ حَتَّى أُعْطَى صِكَاكاً بِرِجَالٍ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ حَتَّى إِنَّ خَازِنَ النَّارِ لَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ مَا تَرَكْتَ لِغَضَبِ رَبِّكَ فِي أُمَّتِكَ مِنْ نِقْمَةٍ»**؛ وَمِنْ طَرِيقِ زِيَادٍ[١٢] النُّمَيْرِيِّ عَنْ

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح: ١٨٣.
(٢) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١٤٩/٩، ابن عوانة في المسند ١٨٤/١ والبيهقي في الأسماء والصفات ١٣٠، وفي السنن الكبرى ٤٢/١٠.
(٣) تقدمت ترجمته. أخرجه البخاري في الصحيح: ١٤٨/٩.
(٤) تقدمت ترجمته.
(٥) تقدمت ترجمته.
(٦) تقدمت ترجمته. أخرجه الترمذي في السنن: ٣٠٨/٥.
(٧) تقدمت ترجمته.
(٨) تقدمت ترجمته. أخرجه أبو داود في السنن: ٢١٦/٢.
(٩) تقدمت ترجمته.
(١٠) أخرجه الشيخان في الصحيحين.
(١١) تقدمت ترجمته.
(١٢) زياد النميري هو زياد بن عبد الله البصري نسب إلى نمير وهي قبيلة تسمى باسم أبيها، واختلف الرواة في ثقته فمنهم من قال إنه ثقة، ومنهم من قال ضعيف لا يحتج به.

أنس[1] أنّ رسول الله ﷺ قال: «أنا أوّل من تنفلق الأرض عن جمجمته ولا فخر. وأنا سيّد الناس يوم القيامة ولا فخر. ومعي لواء الحمد يوم القيامة وأنا أوّل من تفتح له الجنّة ولا فخر. فآتي فآخذ بحلقة الجنّة فيقال من هذا؟ فأقول محمّد، فيفتح لي فيستقبلني الجبّار تعالى فأخرّ ساجداً»[2] وذكر نحو ما تقدّم؛ ومن رواية أنيس[3] سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لأشفعنّ يوم القيامة لأكثر ممّا في الأرض من حجر وشجر»[4] فقد اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه الآثار أنّ شفاعته ﷺ ومقامه المحمود من أوّل الشفاعات إلى آخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذٍ لإراحة الناس من الموقف ثمّ يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن أبي هريرة وحذيفة وهذا الحديث أتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من أمّته إلى الجنّة كما تقدّم في الحديث ثمّ يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسبما تقتضيه الأحاديث الصحيحة ثمّ فيمن قال لا إله إلاّ الله وليس هذا لسواه ﷺ وفي الحديث المنتشر الصحيح: «لكلّ[5] نبيّ دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة لأمّتي يوم القيامة» قال أهل العلم معناه دعوة أعلم أنّها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم وإلاّ فكم لكلّ نبيّ منهم من دعوة مستجابة ولنبيّنا ﷺ منها ما لا يعدّ لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم إجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين من الإجابة؛ وقد قال محمّد بن زياد وأبو صالح عن أبي هريرة في هذا الحديث: «لكلّ نبيّ دعوة دعا بها في أمّته فاستجيب له وأنا أريد أن أؤخّر دعوتي شفاعة لأمّتي يوم القيامة»[6] وفي رواية أبي صالح «لكلّ نبيّ دعوة مستجابة فتعجّل كلّ نبيّ دعوته»[7]. ونحوه في رواية أبي زرعة عن أبي هريرة وعن أنس مثل رواية ابن

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، وأبو نعيم في الدلائل.

(٣) أنيس هو الأشهلي الأنصاري يقال له لحية ويقال له أنيس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث وإنه ممن شهد بدراً. وروى عنه شهر بن حوشب ترجمته في الاستيعاب عند ابن عبد البر. ١/١١٤.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط وقال أن إسناده ليس بالقوي وأخرجه الإمام أحمد في المسند برواية بريدة بلفظ: «إني لأشفع».

(٥) (٦) (٧) أخرجه الإمام مسلم بلفظ أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيح: ١/١٨٩ كتاب الإيمان (١) باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته (٨٦) الحديث: ٣٣٨/١٩٩. والإمام البخاري ومسلم بلفظ أقصر منه قال: «لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبىء دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة». أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١١/٩٦ كتاب الدعوات (٨٠) باب لكل نبي دعوة مستجابة (١) رقم الحديث ٦٣٠٤، والإمام مسلم في المصدر الآنف الذكر: ١/١٨٨ ـ ١٨٩ الحديث رقم: ١٩٨/٣٣٤، ١٩٨/٣٣٥، ١٩٨/٣٣٦.

زِيَادٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَتَكُونُ هَذِهِ الدَّعْوَةُ الْمَذْكُورَةُ مَخْصُوصَةً بِالْأُمَّةِ مَضْمُونَةَ الْإِجَابَةِ وَإِلاَّ فَقَدْ أَخْبَرَ ﷺ أَنَّهُ سَأَلَ لِأُمَّتِهِ أَشْيَاءَ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا أُعْطِيَ بَعْضَهَا وَمُنِعَ بَعْضَهَا وَادَّخَرَ لَهُمْ هَذِهِ الدَّعْوَةَ لِيَوْمِ الْفَاقَةِ وَخَاتِمَةِ الْمِحَنِ وَعَظِيمِ السُّؤَالِ وَالرَّغْبَةِ: جَزَاهُ الله أَحْسَنَ مَا جَزَى نَبِيّاً عَنْ أُمَّتِهِ وَصَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيراً[1].

الفصل الحادي عشر: في تَفْضِيلِهِ ﷺ فِي الْجَنَّةِ بِالْوَسِيلَةِ وَالدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ وَالْكَوْثَرِ وَالْفَضِيلَةِ

[حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ الله مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى التَّمِيمِيُّ، وَالْفَقِيهُ أَبُو الْوَلِيدِ هِشَامُ بْنُ أَحْمَدَ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِمَا قَالاَ حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْغَسَّانِي حَدَّثَنَا النَّمَرِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ التَّمَّارُ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ. حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنِ ابْنِ لَهِيعَةَ وَحَيْوَةُ وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ كَعْبِ بْنِ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ جُبَيْرٍ][2] عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **«إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْراً ثُمَّ سَلُوا الله لِيَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ الله لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ»**[3].

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[4]: **الْوَسِيلَةُ أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ.**

وَعَنْ أَنَسٍ[5] قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذْ عَرَضَ لِي نَهْرٌ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ قُلْتُ لِجِبْرِيلَ مَا هَذَا قَالَ هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ الله قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى طِينَتِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِسْكاً»**[6].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند؛ ٥/ ٢٤٠. وفي الصحيح أنه ﷺ قال: سألت الله عز وجل ثلاث خصال فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة..

(٢) [. . . .] ساقطة من نسخة دمشق.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح: ١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩، كتاب الصلاة (٤) باب استحباب القول مثل قول المؤذن. . . (٧) الحديث رقم: ١١/ ٣٨٤.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ٢/ ٩٤ كتاب الأذان (١٠) باب الدعاء عند النداء (٨) الحديث ٦١٤. دون قوله: «والدرجة الرفيعة». وقال الإمام السخاوي في المقاصد الحسنة: ٢١٢. الحديث ٤٨٤. . .

(٦) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٨/ ٥٦٢، ٥٦٣ في تفسير سورة: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾. وفي الرقاق باب الحوض، وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح تحت رقم: ٤٠٠ في الصلاة باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة، وأخرجه الإمام الترمذي في السنن تحت رقم: ٣٣٥٧، في التفسير باب ومن سورة: ﴿إنا أعطيناك الكوثر..﴾ وأخرجه أبو داود في السنن تحت رقم: ٤٧٤٧، ٤٧٤٨ في السنة باب في الحوض، والنسائي في السنن ٣/ ١٣٣ ـ ١٣٤، في الصلاة باب قراءة «بسم الله الرحمن الرحيم».

وَعَنْ عَائِشَةَ[١] وَعَبْدِ اللهِ[٢] بْنِ عَمْرِو مِثْلُهُ قَالَ: «وَمَجْرَاه عَلَى الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ»، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: «فَإِذَا هُوَ يَجْرِي وَلَمْ يُشَقَّ شَقّاً عَلَيْهِ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي»، وَذَكَرَ حَدِيثَ الْحَوْضِ وَنَحْوَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[٣].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضاً قَالَ: الْكَوْثَرُ الْخَيْرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ.

وقال سعيد بن جبير: والنهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ[٤] فِيمَا ذَكَرَ ﷺ عَنْ رَبِّهِ «وَأَعْطَانِي الْكَوْثَرَ نَهْراً مِنَ الْجَنَّةِ يَسِيلُ فِي حَوْضِي»[٥] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥] قَالَ أَلْفُ قَصْرٍ مِنْ لُؤْلُؤٍ تُرَابُهُنَّ الْمِسْكُ وَفِيهِ مَا يُصْلِحُهُنَّ. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى وَفِيهِ مَا يَنْبَغِي لَهُ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالْخَدَمِ.

الفصل الثاني عشر: في الأحاديث الواردة. في النهي عن تفضيله

فَإِنْ قُلْتَ إِذَا تَقَرَّرَ مِنْ دَلِيلِ الْقُرْآنِ وَصَحِيحِ الْأَثَرِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ كَوْنُهُ أَكْرَمَ الْبَشَرِ وَأَفْضَلَ الْأَنْبِيَاءِ فَمَا مَعْنَى الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ بِنَهْيِهِ عَنِ التَّفْضِيلِ كَقَوْلِهِ [فِيمَا حَدَّثَنَاهُ الْأَسَدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا السَّمَرْقَنْدِيُّ حَدَّثَنَا الْفَارِسِيُّ حَدَّثَنَا الْجُلُودِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ سُفْيَانَ حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ سَمِعْتُ أَبَا الْعَالِيَةِ يَقُولُ حَدَّثَنِي ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ ﷺ يَعْنِي][٦] ابْنَ عَبَّاسٍ[٧] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»[٨] وَفِي غَيْرِ هَذَا الطَّرِيقِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ يَعْنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ ـ الْحَدِيثَ» وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الْيَهُودِيِّ الَّذِي قَالَ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ

---

(١) (٢) (٣) (٤) تقدمت تراجمهم.

(٥) هو نفس الحديث السابق... وقال سعيد بن جبير: والنهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله.

(٦) [....] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٤٢٨/٦ كتاب الأنبياء (٦٠) باب قول الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾[طه: ٩] (٢٤) الحديث رقم: ٣٣٩٥، وفي ٦/ ٤٥٠ باب قوله تعالى: ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾ [الصافات: ٣٧/ ٣٩] (٢٣) الحديث رقم ٣٤١٣. وفي ١٣/ ٥١٢. كتاب التوحيد (٩٧) باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه (٥٠) رقم الحديث: ٧٥٣٩. والإمام مسلم في الصحيح: ٤/ ١٨٤٦، كتاب الفضائل (٤٣) باب في ذكر يونس عليه السلام (٤٣) الحديث رقم: ١٦٧/ ٢٣٧٧.

والحديث متفق عليه من حديث ابن عباس، وأبي هريرة رضي الله عنه، وانفرد الإمام البخاري بروايته عن ابن مسعود.

فَلَطَمَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَقَالَ تَقُولُ ذَلِكَ وَرَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «لاَ تُفَضِّلُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى» فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ: «وَلاَ أَقُولُ إِنَّ أَحداً أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «مَنْ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى» فَقَدْ كَذَبَ. وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى» وَفِي حَدِيثِهِ الآخرِ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ فَقَالَ «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ». فَاعْلَمْ أَنَّ لِلْعُلَمَاءِ فِي هَذِهِ الأَحَادِيثِ تَأْوِيلاَتٍ: أَحَدُهَا أَنَّ نَهْيَهُ عَنِ التَّفْضِيلِ كَانَ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ فَنَهَى عَنِ التَّفْضِيلِ إِذْ يَحْتَاجُ إِلَى تَوْقِيفٍ وَأَنَّ مَنْ فَضَّلَ بِلاَ عِلْمٍ فَقَدْ كَذَبَ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: لاَ أَقُولُ أَنَّ أَحَداً أَفْضَلُ مِنْهُ لاَ يَقْتَضِي تَفْضِيلَهُ هُوَ وَإِنَّمَا هُوَ فِي الظَّاهِرِ كَفٌّ عَنِ التَّفْضِيلِ: الْوَجْهُ الثَّانِي أَنَّهُ قَالَهُ ﷺ عَلَى طَرِيقِ التَّوَاضُعِ وَنَفْيِ التَّكَبُّرِ، وَالْعُجْبِ وَهَذَا لاَ يَسْلَمُ مِنَ الاعْتِرَاضِ. الْوَجْهُ الثَّالِثُ أَلاَّ يُفَضَّلَ بَيْنَهُمْ تَفْضِيلاً يُؤَدِّي إِلَى تَنَقُّصِ بَعْضِهِمْ أَوِ الْغَضِّ مِنْهُ لاَ سِيَّمَا فِي جِهَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ إِذْ أَخْبَرَ الله عَنْهُ بِمَا أَخْبَرَ لِئَلا يَقَعَ فِي نَفْسِ مَنْ لاَ يَعْلَمُ مِنْهُ بِذَلِكَ غَضَاضَةٌ وَانْحِطَاطٌ مِنْ رُتْبَتِهِ الرَّفِيعَةِ إِذْ قَالَ تَعَالَى عَنْهُ: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الصافات: ١٤٠] ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فَرُبَّمَا يُخَيَّلُ لِمَنْ لاَ عِلْمَ عِنْدَهُ حَطِيطَتُهُ[1] بِذَلِكَ الْوَجْهُ الرَّابِعُ: مَنْعُ التَّفْضِيلِ فِي حَقِّ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ، فَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ فِيهَا عَلَى حَدٍّ وَاحِدٍ إِذْ هِيَ شَيْءٌ وَاحِدٌ لاَ يَتَفَاضَلُ. وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ فِي زِيَادَةِ الأَحْوَالِ وَالْخُصُوصِ وَالْكَرَامَاتِ وَالرُّتَبِ. وَالأَلْطَافِ. وَأَمَّا النُّبُوَّةُ فِي نَفْسِهَا فَلاَ تَتَفَاضَلُ، وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ بِأُمُورٍ أُخَرَ زَائِدَةٍ عَلَيْهَا وَلِذَلِكَ مِنْهُمْ رُسُلٌ وَمِنْهُمْ أُولُو عَزْمٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمِنْهُمْ مَنْ رُفِعَ مَكَاناً عَلِيّاً، وَمِنْهُمْ مَنْ أُوتِيَ الْحُكْمَ صَبِيّاً وَأُوتِيَ بَعْضُهُمُ الزَّبُورَ وَبَعْضُهُمُ الْبَيِّنَاتِ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ الله وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ قَالَ الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥] الآيَةَ وَقَالَ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] الآيَةَ قَالَ: بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَالتَّفْضِيلُ الْمُرَادُ لَهُمْ هُنَا فِي الدُّنْيَا وَذَلِكَ بِثَلاثَةِ أَحْوَالٍ أَنْ تَكُونَ آيَتُهُ وَمُعْجِزَاتُهُ أَبْهَرَ وَأَشْهَرَ أَوْ تَكُونَ أُمَّتُهُ أَزْكَى وَأَكْثَرَ أَوْ يَكُونَ فِي ذَاتِهِ أَفْضَلَ وَأَظْهَرَ، وَفَضْلُهُ فِي ذَاتِهِ رَاجِعٌ إِلَى مَا خَصَّهُ الله بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَاخْتِصَاصِهِ مِنْ كَلاَمٍ أَوْ خُلَّةٍ أَوْ رُؤْيَةٍ أَوْ مَا شَاءَ الله مِنْ أَلْطَافِهِ وَتُحَفِ وِلاَيَتِهِ، وَاخْتِصَاصِهِ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلنُّبُوَّةِ أَثْقَالاً وَإِنَّ يُونُسَ تَفَسَّخَ مِنْهَا تَفَسُّخَ الرُّبَعِ» فَحَفِظَ ﷺ مَوْضِعَ الْفِتْنَةِ مِنْ أَوْهَامِ مَنْ يَسْبِقُ إِلَيْهِ بِسَبَبِهَا جَرْحٌ فِي نُبُوَّتِهِ أَوْ قَدْحٌ فِي اصْطِفَائِهِ وَحَطٌّ فِي رُتْبَتِهِ وَوَهَنٌ فِي عِصْمَتِهِ شَفَقَةً مِنْهُ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ وَقَدْ يَتَوَجَّهُ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ وَجْهٌ خَامِسٌ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ «أَنَا» رَاجِعاً إِلَى الْقَائِلِ نَفْسِهِ أَيْ لاَ يَظُنُّ أَحَدٌ وَإِنْ بَلَغَ مِنَ الذَّكَاءِ وَالْعِصْمَةِ وَالطَّهَارَةِ مَا بَلَغَ أَنَّهُ

---

(١) أي نقصه.

خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ لِأَجْلِ مَا حَكَى الله عَنْهُ فَإِنَّ دَرَجَةَ النُّبُوَّةِ أَفْضَلُ وَأَعْلَى، وَإِنَّ تِلْكَ الأَقْدَارَ لَمْ تَحُطَّهُ عَنْهَا حَبَّةَ خَرْدَلٍ وَلاَ أَدْنَى؛ وَسَنَزِيدُ فِي الْقِسْمِ، الثَّالِثِ فِي هَذَا بَيَاناً إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى فَقَدْ بَانَ لَكَ الْغَرَضُ وَسَقَطَ بِمَا حَرَّزْنَاهُ شُبْهَةُ الْمُعْتَرِضِ، وَبِالله التَّوْفِيقُ وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ.

الفَصْلُ الثالث عشر: فِي أَسْمَائِهِ ﷺ وَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِن فَضِيلَتِهِ

[حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ مُوسَى بْنُ أَبِي تَلِيدٍ الْفَقِيهُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ الْحَافِظُ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ نَصْرٍ حَدَّثَنَا قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ وَضَّاحٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ][1] جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ. وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو الله بِيَ الْكُفْرَ وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ وَأَنَا الْعَاقِبُ»**[2]. وَقَدْ سَمَّاهُ الله تَعَالَى فِي كِتَابِهِ مُحَمَّداً وَأَحْمَدَ فَمِنْ خَصَائِصِهِ تَعَالَى لَهُ أَنْ ضَمَّنَ أَسْمَاءَهُ ثَنَاءَهُ فَطَوَى أَثْنَاءَ ذِكْرِهِ عَظِيمَ شُكْرِهِ، فَأَمَّا اسْمُهُ أَحْمَدُ فَأَفْعَلُ مُبَالَغَةً مِنْ صِفَةِ الْحَمْدِ، وَمُحَمَّدٌ مُفَعَّلٌ مُبَالَغَةً مِنْ كَثْرَةِ الْحَمْدِ فَهُوَ ﷺ أَجَلُّ مِنْ حَمِدَ وَأَفْضَلُ مَنْ حُمِدَ وَأَكْثَرُ النَّاسِ حَمْداً فَهُوَ أَحْمَدُ الْمَحْمُودِينَ وَأَحْمَدُ الْحَامِدِينَ وَمَعَهُ لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَتِمَّ لَهُ كَمَالُ الْحَمْدِ وَيَتَشَهَّرَ فِي تِلْكَ الْعَرَصَاتِ بِصِفَةِ الْحَمْدِ، وَيَبْعَثُهُ رَبُّهُ هُنَاكَ مَقَاماً مَحْمُوداً كَمَا وَعَدَهُ يَحْمَدُهُ فِيهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ بِشَفَاعَتِهِ لَهُمْ وَيَفْتَحُ عَلَيْهِ فِيهِ مِنَ الْمَحَامِدِ كَمَا قَالَ ﷺ: مَا لَمْ يُعْطَ غَيْرُهُ، وَسَمَّى أُمَّتَهُ فِي كُتُبِ أَنْبِيَائِهِ بِالْحَمَّادِينَ فَحَقِيقٌ أَنْ يُسَمَّى مُحَمَّداً وَأَحْمَدَ ثُمَّ فِي هَذَيْنِ الاسْمَيْنِ مِنْ عَجَائِبِ خَصَائِصِهِ، وَبَدَائِعِ آيَاتِهِ فَنٌّ آخَرُ هُوَ أَنَّ الله جَلَّ اسْمُهُ حَمَى[3] أَنْ يُسَمَّى بِهِمَا أَحَدٌ قَبْلَ زَمَانِهِ أَمَّا أَحْمَدُ الَّذِي أَتَى فِي الْكُتُبِ وَبَشَّرَتْ بِهِ الأَنْبِيَاءُ فَمَنَعَ الله تَعَالَى بِحِكْمَتِهِ أَنْ يُسَمَّى بِهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ وَلاَ يُدْعَى بِهِ مَدْعُوٌّ قَبْلَهُ حَتَّى لاَ يَدْخُلَ لَبْسٌ عَلَى ضَعِيفِ الْقَلْبِ أَوْ شَكٌّ وَكَذَلِكَ مُحَمَّدٌ أَيْضاً لَمْ يُسَمَّ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ وَلاَ غَيْرُهُمْ إِلَى أَنْ شَاعَ قُبَيْلَ وُجُودِهِ ﷺ وَمِيلاَدِهِ أَن نَبِيّاً يُبْعَثُ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ فَسَمَّى قَوْمٌ قَلِيلٌ مِنَ الْعَرَبِ أَبْنَاءَهُمْ بِذَلِكَ رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ هُوَ، وَالله أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ] وَهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ أُحَيْحَةَ بْنِ الْجُلاَحِ الأَوْسِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الأَنْصَارِيُّ. وَمُحَمَّدُ بْنُ بَرَّاءٍ الْبَكْرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ سُفْيَانَ بْنِ مُجَاشِعٍ. وَمُحَمَّدُ بْنُ حُمْرَانَ الْجُعْفِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ خُزَاعِيٍّ السُّلَمِيُّ لاَ سَابِعَ لَهُمْ]. وَيُقَالُ أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ

---

(١) [. . . .] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٢) الحديث متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٦/ ٥٥٤. كتاب المناقب (٦١) باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ (١٧) الحديث رقم: ٣٥٣٢. والإمام مسلم في الصحيح: ٤/ ١٨٢٨ كتاب الفضائل (٤٣) باب في أسمائه ﷺ (٤٣) الحديث رقم: ١٢٤/ ٢٣٥٤.

(٣) أي منع وصان.

مُحَمَّداً مُحَمَّدُ بْنُ سُفْيَانَ، وَالْيَمَنُ، تقولُ بَلْ مُحَمَّدُ بْنُ الْيُحْمِدِ مِنَ الأَزْدِ ثُمَّ حَمَى الله كُلَّ مَنْ تُسَمَّى بِهِ أَنْ يَدَّعِيَ النُّبُوَّةَ أَوْ يَدَّعِيهَا أَحَدٌ لَهُ أَوْ يَظْهَرَ عَلَيْهِ سَبَبٌ يُشَكِّكُ أَحَداً فِي أَمْرِهِ حَتَّى تَحَقَّقَتِ السِّمَتَانِ لَهُ ﷺ وَلَمْ يُنَازَعْ فِيهِمَا، وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: **«وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو الله بِيَ الْكُفْرَ»** فَفُسِّرَ فِي الْحَدِيثِ وَيَكُونُ مَحْوُ الْكُفْرِ، إِمَّا مِنْ مَكَّةَ وَبِلَادِ الْعَرَبِ وَمَا زُوِيَ لَهُ مِنَ الأَرْضِ وَوَعَدَ أَنَّهُ يَبْلُغُهُ مُلْكُ أُمَّتِهِ أَوْ يَكُونَ الْمَحْوَ عَامّاً بِمَعْنَى الظُّهُورِ وَالْغَلَبَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة:٣٣] وَقَدْ وَرَدَ تَفْسِيرُهُ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ الذِي مُحِيَتْ بِهِ سَيِّئَاتُ مَنْ اتَّبَعَهُ، . وَقَوْلُهُ: **«وَأَنَا الْحَاشِرُ الذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي»**، أَيْ عَلَى زَمَانِي وَعَهْدِي أَيْ لَيْسَ بَعْدِيَ نَبِيٌّ كَمَا قَالَ: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠] وَسُمِّيَ عَاقِباً لِأَنَّهُ عَقَبَ غَيْرَهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَفِي الصَّحِيحِ: **«أَنَا الْعَاقِبُ الذِي لَيسَ بَعْدِي[1] نَبِيٌّ»**. وَقِيلَ مَعْنَى عَلَى قَدَمِي أَيْ يُحْشَرُ النَّاسُ بِمُشَاهَدَتِي كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣] وَقِيلَ عَلَى قَدَمِي عَلَى سَابِقَتِي قَالَ الله تَعَالَى: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس:٢] وَقِيلَ عَلَى قَدَمِي أَيْ قُدَّامِي وَحَوْلِي أَيْ يَجْتَمِعُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ قَدَمِي عَلَى سُنَّتِي وَمَعْنَى قَوْلِهِ: **«لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ»**[2] قِيلَ إِنَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَعِنْدَ أُوْلِي الْعِلْمِ مِنَ الأُمَمِ السَّالِفَةِ؛ وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ ﷺ: **«لِي عَشَرَةُ أَسْمَاءٍ»** وَذَكَرَ مِنْهَا: طَه وَيس؛ حَكَاهُ مَكِّيٌّ[3] وَقَدْ قِيلَ فِي بَعْضِ تَفَاسِيرِ: طَه. إِنَّهُ يَا طَاهِرُ يَا هَادِي، وَفِي يس يَا سَيِّدُ، حَكَاهُ السُّلَمِيُّ عَنِ الْوَاسِطِي وَجَعْفَرِ[4] بْنِ مُحَمَّدٍ؛ وَذَكَرَ غَيْرُهُ: لِي عَشَرَةُ أَسْمَاءٍ، فَذَكَرَ الْخَمْسَةَ التِي في الْحَدِيثِ الأَوَّلِ، قَالَ: **«وَأَنَا رَسُولُ الرَّحْمَةِ وَرَسُولُ الرَّاحَةِ وَرَسُولُ الْمَلَاحِمِ وَأَنَا الْمَقفِّي قَفَّيْتُ النَّبِيِّينَ وَأَنَا قَيِّمٌ»**، وَالْقَيِّمُ: الْجَامِعُ الْكَامِلُ كَذَا وَجَدْتُهُ وَلَمْ أَرْوِهِ وَأَرَى أَنَّ صَوَابَهُ قُثَمُ بِالثَّاءِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ بَعْدُ عَنِ الْحَرْبِيِّ وَهُوَ أَشْبَهُ بِالتَّفْسِيرِ وَقَدْ وَقَعَ أَيْضاً فِي كُتُبِ الأَنْبِيَاءِ قَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللَّهُمَّ ابْعَثْ لَنَا مُحَمَّداً مُقِيمَ السُّنَّةِ بَعْدَ الْفَتْرَةِ فَقَدْ يَكُونُ الْقَيِّمُ بِمَعْنَاهُ، وَرَوَى النَّقَّاشُ عَنْهُ ﷺ: **«لِي فِي الْقُرْآنِ سَبْعَةُ أَسْمَاءٍ: مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَيس وَطَه وَالْمُدَّثِرُ، وَالْمُزَّمِّلُ وَعَبْدُ الله[5]»**. وَفِي حَدِيثِ عَنْ

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد: ٥/٥٥. وأبو نعيم في دلائل النبوة: ١/١٢. وأخرجه الحميدي في مسنده: ٥٥٥. وأخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٤/٢٢٥، والإمام أحمد في المسند: ٤/٨٠، ٨٤. .

(٢) سبق تخريجه في الصفحة.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٦/٤٠٤ في الأنبياء باب ما جاء في أسماء النبي ﷺ، وفي تفسير سورة الصف، وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح تحت رقم: ٢٣٥٤ في الفضائل باب في أسمائه ﷺ ـ وأخرجه الإمام مالك في الموطأ: ٢/١٠٠٤ في أسماء النبي ﷺ، والترمذي في السنن تحت رقم: ٢٨٤٢ في الأدب باب ما جاء في أسماء النبي ﷺ.

جُبَيْرِ[١] بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هِيَ سِتٌّ: مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ وَخَاتِمٌ وَعَاقِبٌ وَحَاشِرٌ وَمَاحٍ؛ وَفِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ[٢]: أَنَّهُ كَانَ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً فَيَقُولُ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَالْمُقَفِّي وَالْحَاشِرُ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ**»[٣]. وَيُرْوَى الْمَرْحَمَةُ وَالرَّاحَةُ وَكُلٌّ صَحِيحٌ إِنْ شَاءَ اللهُ وَمَعْنَى الْمُقَفِّي مَعْنَى الْعَاقِبِ وَأَمَّا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ وَالتَّوْبَةِ وَالْمَرْحَمَةِ وَالرَّاحَةِ[٤] فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] وَكَمَا وَصَفَهُ بِأَنَّهُ يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. وَبِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ وَقَدْ قَالَ فِي صِفَةِ أُمَّتِهِ إِنَّهَا أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد:١٧] أَيْ يَرْحَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً فَبَعَثَهُ ﷺ رَبُّهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِأُمَّتِهِ وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَرَحِيماً بِهِمْ وَمُتَرَحِّماً وَمُسْتَغْفِراً لَهُمْ وَجَعَلَ أُمَّتَهُ أُمَّةً مَرْحُومَةً وَوَصَفَهَا بِالرَّحْمَةِ وَأَمَرَهَا ﷺ بِالتَّرَاحُمِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**»، وَقَالَ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»، وَأَمَّا رِوَايَةُ نَبِيِّ الْمَلْحَمَةِ فَإِشَارَةٌ إِلَى مَا بُعِثَ بِهِ مِنَ الْقِتَالِ وَالسَّيْفِ ﷺ وَهِيَ صَحِيحَةٌ وَرَوَى حُذَيْفَةُ مِثْلَ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى، وَفِيهِ وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَنَبِيُّ الْمَلَاحِمِ وَرَوَى الْحَرْبِيُّ فِي حَدِيثِهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أَتَانِي مَلَكٌ فَقَالَ لِي: أَنْتَ قُثَمُ**»: أَيْ مُجْتَمِعٌ قَالَ وَالْقُثُومُ الْجَامِعُ لِلْخَيْرِ وَهَذَا اسْمٌ هُوَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ ﷺ مَعْلُومٌ، وَقَدْ جَاءَتْ مِنْ أَلْقَابِهِ ﷺ وَسِمَاتِهِ فِي الْقُرْآنِ عِدَّةٌ كَثِيرَةٌ سِوَى مَا ذَكَرْنَاهُ كَالنُّورِ وَالسِّرَاجِ الْمُنِيرِ، وَالْمُنْذِرِ وَالنَّذِيرِ وَالْمُبَشِّرِ وَالْبَشِيرِ وَالشَّاهِدِ وَالشَّهِيدِ. وَالْحَقِّ الْمُبِينِ وَخَاتِمِ النَّبِيِّينَ، وَالرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ وَالْأَمِينِ، وَقَدَمِ الصِّدْقِ وَرَحْمَةٍ لِلْعَالَمِينَ وَنِعْمَةِ اللهِ وَالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالنَّجْمِ الثَّاقِبِ وَالْكَرِيمِ وَالنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَدَاعِي اللهِ فِي أَوْصَافٍ كَثِيرَةٍ وَسِمَاتٍ جَلِيلَةٍ وَجَرَى مِنْهَا فِي كُتُبِ اللهِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَكُتُبِ أَنْبِيَائِهِ وَأَحَادِيثِ رَسُولِهِ وَإِطْلَاقِ الْأُمَّةِ جُمْلَةٌ شَافِيَةٌ كَتَسْمِيَتِهِ بِالْمُصْطَفَى، وَالْمُجْتَبَى، وَأَبِي الْقَاسِمِ، وَالْحَبِيبِ وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالشَّفِيعِ الْمُشَفَّعِ وَالْمُتَّقِي، وَالْمُصْلِحِ. وَالظَّاهِرِ وَالْمُهَيْمِنِ. وَالصَّادِقِ وَالْمَصْدُوقِ وَالْهَادِي وَسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ وَحَبِيبِ اللهِ. وَخَلِيلِ الرَّحْمَنِ وَصَاحِبِ الْحَوْضِ الْمَوْرُودِ وَالشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَصَاحِبِ الْوَسِيلَةِ وَالْفَضِيلَةِ، وَالدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ، وَصَاحِبِ التَّاجِ وَالْمِعْرَاجِ وَاللِّوَاءِ، وَالْقَضِيبِ، وَرَاكِبِ الْبُرَاقِ. وَالنَّاقَةِ وَالنَّجِيبِ، وَصَاحِبِ الْحُجَّةِ وَالسُّلْطَانِ وَالْخَاتِمِ وَالْعَلَامَةِ وَالْبُرْهَانِ، وَصَاحِبِ الْهِرَاوَةِ وَالنَّعْلَيْنِ؛ وَمِنْ أَسْمَائِهِ فِي الْكُتُبِ، الْمُتَوَكِّلُ، وَالْمُخْتَارُ وَمُقِيمُ السُّنَّةِ

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح تحت رقم: ٢٣٥٥. في الفضائل باب في أسمائه ﷺ.

(٣) نفس الحديث السابق.

وَالْمُقَدَّسُ وَرُوحُ الْقُدُسِ وَرُوحُ الحَقِّ، وَهُوَ مَعْنَى الْبَارِ قَلِيطِ فِي الْإِنْجِيلِ. وَقَالَ ثَعْلَبُ[١] الْبَارِ قَلِيطُ الذي يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَمِنْ أَسْمَائِهِ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ: مَاذْ مَاذْ، وَمَعْنَاهُ طَيِّبٌ طَيِّبٌ وَحِمَّاطَايَا، وَالْخَاتِمُ وَالْحَاتِمُ، حَكَاهُ كَعْبُ الْأَحْبَارِ وَقَالَ ثَعْلَبُ فَالْخَاتِمُ الذِي خَتَمَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْحَاتِمُ أَحْسَنُ الْأَنْبِيَاءِ خَلْقاً وَخُلُقاً وَيُسَمَّى بِالسُّرْيَانِيَّةِ مُشَفَّحٌ وَالْمُنْحَمِنَّا، وَاسْمُهُ أَيْضاً فِي التَّوْرَاةِ أُحِيدُ رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ[٢] وَمَعْنَى صَاحِبِ الْقَضِيبِ أَي السَّيْفِ، وَقَعَ ذَلِكَ مُفَسَّراً فِي الْإِنْجِيلِ قَالَ مَعَهُ قَضِيبٌ مِنْ حَدِيدٍ يُقَاتِلُ بِهِ. وَأُمَّتُهُ كَذَلِكَ وَقَدْ يُحْمَلُ عَلَى أَنَّهُ الْقَضِيبُ الْمَمْشُوقُ الذِي كَانَ يُمْسِكُهُ ﷺ وَهُوَ الآنَ عِنْدَ الْخُلَفَاءِ، وَأَمَّا الْهِرَاوَةُ التِي وُصِفَ بِهَا فَهِيَ فِي اللُّغَةِ الْعَصَا وَأُرَاهَا. وَاللهُ أَعْلَمُ الْعَصَا الْمَذْكُورَةَ فِي حَدِيثِ الْحَوْضِ: أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ بِعَصَايَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ[٣].

وَأَمَّا التَّاجُ فَالْمُرَادُ بِهِ الْعِمَامَةُ وَلَمْ تَكُنْ حِينَئِذٍ إِلاَّ لِلْعَرَبِ وَالْعَمَائِمُ تِيجَانُ الْعَرَبِ. وَأَوْصَافُهُ، وَأَلْقَابُهُ، وَسِمَاتُهُ فِي الْكُتُبِ كَثِيرَةٌ وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْهَا مُقْنِعٌ إِنْ شَاءَ اللهُ وَكَانَتْ كُنْيَتُهُ الْمَشْهُورَةُ أَبَا الْقَاسِمِ.

وَرُوِيَ عَنْ أَنَسٍ[٤] أَنَّهُ لَمَّا وُلِدَ إِبْرَاهِيمُ جَاءَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ.

الفصل الرابع عشر: فِي تَشْرِيفِ الله تعالى

بِمَا سَمَّاهُ بِهِ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَوَصَفَهُ بِهِ مِنْ صِفَاتِهِ الْعُلَى.

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى مَا أَحْرَى هَذَا الْفَصْلَ بِفُصُولِ الْبَابِ الْأَوَّلِ لِانْخِرَاطِهِ فِي سِلْكِ مَضْمُونِهَا وَامْتِزَاجِهِ بِعَذْبِ مَعِينِهَا لَكِنْ لَمْ يَشْرَحِ اللهُ الصَّدْرَ لِلْهِدَايَةِ إِلَى اسْتِنْبَاطِهِ وَلاَ أَنَارَ الْفِكْرَ لاسْتِخْرَاجِ جَوْهَرِهِ، وَالْتِقَاطِهِ إِلاَّ عِنْدَ الْخَوْضِ فِي الْفَصْلِ الذِي قَبْلَهُ فَرَأَيْنَا أَنْ نُضِيفَهُ إِلَيْهِ وَنَجْمَعَ بِهِ شَمْلَهُ فَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَصَّ كَثِيراً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِكَرَامَةٍ خَلَعَهَا

---

(١) ثعلب هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء كنيته أبو العباس إمام أهل الكوفة في النحو واللغة كان من رواة الشعر ومن المحدثين المشهورين بالحفظ وبلاغة النطق ثقة وحجة ولد ببغداد وبها توفي سنة ٢٩١ هـ.

(٢) ابن سيرين هو محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء. إمام زمانه في علوم الدين بدون منازع من أجلة التابعين، ثقة أخذ الفقه والحديث عن علماء عصره وأخرج له اللائحة الستة واشتهر بالورع والتقوى والزهد وحسن تعبير الرؤيا توفي رحمه الله سنة ١١٠ هـ.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح في المناقب.

(٤) تقدمت ترجمته.

عَلَيْهِمْ مِنْ أَسْمَائِهِ كَتَسْمِيَةِ إِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ بِعَلِيمٍ وَحَلِيمٍ. وَإِبْرَاهِيمَ بِحَلِيمٍ، وَنُوحٍ بِشَكُورٍ، وعِيسَى وَيَحْيَى بِبَرٍّ وَمُوسَى بِكَرِيمٍ وَقَوِيٍّ وَيُوسُفَ بِحَفِيظٍ عَلِيمٍ وَأَيُّوبَ بِصَابِرٍ وَإِسْمَاعِيلَ بِصَادِقِ الْوَعْدِ كَمَا نَطَقَ بِذَلِكَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ مِن مَوَاضِعِ ذِكْرِهِمْ وَفَضَّلَ نَبِيَّنَا مُحَمَّداً ﷺ بِأَنْ حَلاَّهُ مِنْهَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَعَلَى أَلْسِنَةِ أَنْبِيَائِهِ بِعِدَّةٍ كَثِيرَةٍ اجْتَمَعَ لَنَا مِنْهَا جُمْلَةٌ بَعْدَ إِعْمَالِ الْفِكْرِ وَإِحْضَارِ الذِّكْرِ. إِذْ لَمْ نَجِدْ مَنْ جَمَعَ مِنْهَا فَوْقَ اسْمَيْنِ وَلاَ مَنْ تَفَرَّغَ فِيهَا لِتَأْلِيفِ فَصْلَيْنِ وَحَرَّرْنَا مِنْهَا فِي هَذَا الْفَصْلِ نَحْوَ ثَلاَثِينَ اسْماً وَلَعَلَّ الله تَعَالَى كَمَا أَلْهَمَ إِلَى مَا عَلَّمَ مِنْهَا وَحَقَّقَهُ يُتِمُّ النِّعْمَةَ بِإِبَانَةِ مَا لَمْ يُظْهِرْهُ لَنَا الآنَ وَيَفْتَحُ غَلَقَهُ. فَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْحَمِيدُ وَمَعْنَاهُ الْمَحْمُودُ لِأَنَّهُ حَمِدَ نَفْسَهُ وَحَمِدَهُ عِبَادُهُ وَيَكُونُ أَيْضاً بِمَعْنَى الْحَامِدِ لِنَفْسِهِ وَلِأَعْمَالِ الطَّاعَاتِ وَسَمَّى النَّبِيَّ ﷺ مُحَمَّداً وَأَحْمَدَ فَمُحَمَّدٌ بِمَعْنَى مَحْمُودٍ وَكَذَا وَقَعَ اسْمُهُ فِي زُبُرِ دَاوُدَ وَأَحْمَدَ بِمَعْنَى أَكْبَرُ مَنْ حَمِدَ. وَأَجَلُّ مَنْ حُمِدَ وَقَدْ أَشَارَ إِلَى نَحْوِ هَذا حَسَّانُ[1] بِقَوْلِهِ:

وَشَقَّ لَهُ مِنِ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ وَهُمَا بِمَعْنَى مُتَقَارِبٍ وَسَمَّاهُ فِي كِتَابِهِ بِذَلِكَ فَقَالَ: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْحَقُّ الْمُبِينُ وَمَعْنَى الْحَقِّ، الْمَوْجُودُ وَالْمُتَحَقِّقُ أَمْرُهُ وَكَذَلِكَ الْمُبِينُ أَي الْبَيِّنُ أَمْرُهُ وَإِلٰهِيَّتُهُ بَانَ وَأَبَانَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَيَكُونُ بِمَعْنَى الْمُبِينِ لِعِبَادِهِ أَمْرَ دِينِهِمْ وَمَعَادِهِمْ وَسَمَّى النَّبِيَّ ﷺ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف:٢٩] وَقَالَ: ﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحجر:٨٩] وَقَالَ: ﴿جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [يونس:١٠٨] وَقَالَ: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ [الأنعام:٥] قِيلَ مُحَمَّدٌ وَقِيلَ الْقُرْآنُ وَمَعْنَاهُ هُنَا ضِدُّ الْبَاطِلِ. وَالْمُتَحَقِّقُ صِدْقُهُ وَأَمْرُهُ وَهُوَ بِمَعْنَى الْأَوَّلِ، وَالْمُبِينُ: الْبَيِّنُ أَمْرُهُ وَرِسَالَتُهُ أَوِ الْمُبِينُ عَنِ الله تَعَالَى مَا بَعَثَهُ بِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤] وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى النُّورُ وَمَعْنَاهُ ذُو النُّورِ أَيْ خَالِقُهُ أَوْ مُنَوِّرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْأَنْوَارِ وَمُنَوِّرُ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْهِدَايَةِ وَسَمَّاهُ نُوراً فقال: ﴿جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة:١٥] قِيلَ مُحَمَّدٌ وَقِيلَ الْقُرْآنُ وَقَالَ فِيهِ ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٦] سُمِّيَ بِذَلِكَ لِوُضُوحِ أَمْرِهِ وَبَيَانِ نُبُوَّتِهِ وَتَنْوِيرِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْعَارِفِينَ بِمَا جَاءَ بِهِ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الشَّهِيدُ وَمَعْنَاهُ الْعَالِمُ وَقِيلَ الشَّاهِدُ عَلَى عِبَادِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسَمَّاهُ شَهِيداً

---

(١) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري كنيته أبو الوليد العمادي شاعر الدعوة وشاعر الرسول ﷺ من الشعراء المخضرمين عاش نصف عمره في الجاهلية والنصف في الإسلام يذود فيها عن حمى النبوة ويدافع عن راية الإسلام، باللسان والسنان توفي رحمة الله بالمدينة سنة ٥٤ هـ. وسنه ١٢٠ سنة. ترجمته: في الإصابة ١/٣٢٦، والثقات ٣/٨١.

وَشَاهِداً فَقَالَ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ [الفتح:٨] وقال: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣] وَهُوَ بِمَعْنَى الأَوَّلِ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْكَرِيمُ مَعْنَاهُ الْكَثِيرُ الْخَيْرِ وَقِيلَ الْمُفَضِّلُ وَقِيلَ الْعَفُوُّ وَقِيلَ الْعَلِيُّ وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ فِي أَسْمَائِهِ تَعَالَى الأَكْرَمُ وَسَمَّاهُ تَعَالَى كَرِيماً بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠] قِيلَ مُحَمَّدٌ وَقِيلَ جِبْرِيلُ وَقَالَ ﷺ: «أَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ» وَمَعَانِي الاسْمِ صَحِيحَةٌ فِي حَقِّهِ ﷺ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: الْعَظِيمُ وَمَعْنَاهُ الْجَلِيلُ الشَّأْنِ الذِي كُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ وَقَالَ فِي النَّبِيِّ ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] وَوَقَعَ فِي أَوَّلِ سِفْرٍ مِنَ التَّوْرَاةِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ وَسَيَلِدُ عَظِيماً لِأُمَّةٍ عَظِيمَةٍ فَهُوَ عَظِيمٌ وَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْجَبَّارُ وَمَعْنَاهُ الْمُصْلِحُ وَقِيلَ الْقَاهِرُ وَقِيلَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ الشَّأْنِ، وَقِيلَ الْمُتَكَبِّرُ وَسُمِّيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي كِتَابِ دَاوُدَ بِجَبَّارٍ فَقَالَ: تَقَلَّدْ أَيُّهَا الْجَبَّارُ سَيْفَكَ فَإِنَّ نَامُوسَكَ وَشَرَائِعَكَ مَقْرُونَةٌ بِهَيْبَةِ يَمِينِكَ. وَمَعْنَاهُ فِي حَقِّ النَّبِيِّ ﷺ إِمَّا لِإِصْلَاحِهِ الأُمَّةَ بِالْهِدَايَةِ وَالتَّعْلِيمِ أَوْ لِقَهْرِهِ أَعْدَاءَهُ أَوْ لِعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ عَلَى الْبَشَرِ وَعَظِيمِ خَطَرِهِ وَنَفَى عَنْهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ جَبْرِيَّةَ التَّكَبُّرِ التِي لاَ تَلِيقُ بِهِ فَقَالَ: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق:٤٥].

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْخَبِيرُ، وَمَعْنَاهُ الْمُطَّلِعُ بِكُنْهِ الشَّيْءِ. الْعَالِمُ بِحَقِيقَتِهِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ الْمُخْبِرُ وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٩] قَالَ الْقَاضِي بَكْرُ[١] بْنُ الْعَلَاءِ الْمَأْمُورُ بِالسُّؤَالِ غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمَسْؤُولُ الْخَبِيرُ هُوَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ غَيْرُهُ بَلِ السَّائِلُ النَّبِيُّ ﷺ وَالْمَسْؤُولُ هُوَ اللهُ تَعَالَى فَالنَّبِيُّ خَبِيرٌ بِالْوَجْهَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ قِيلَ لِأَنَّهُ عَالِمٌ عَلَى غَايَةٍ مِنَ الْعِلْمِ بِمَا أَعْلَمَهُ اللهُ مِنْ مَكْنُونِ عِلْمِهِ وَعَظِيمِ مَعْرِفَتِهِ مُخْبِرٌ لِأُمَّتِهِ بِمَا أُذِنَ لَهُ فِي إِعْلَامِهِمْ بِهِ وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْفَتَّاحُ وَمَعْنَاهُ الْحَاكِمُ بَيْنَ عِبَادِهِ أَوْ فَاتِحُ أَبْوَابِ الرِّزْقِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمُنْغَلِقِ مِنْ أُمُورِهِمْ عَلَيْهِمْ أَوْ يَفْتَحُ قُلُوبَهُمْ وَبَصَائِرَهُمْ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَيَكُونُ أَيْضاً بِمَعْنَى النَّاصِرِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال:١٩] أَيْ إِنْ تَسْتَنْصِرُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ النَّصْرُ وَقِيلَ مَعْنَاهُ مُبْتَدِىءُ الْفَتْحِ وَالنَّصْرِ وَسَمَّى اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ بِالْفَاتِحِ فِي حَدِيثِ الإِسْرَاءِ الطَّوِيلِ مِنْ رِوَايَةِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ وَغَيْرِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَفِيهِ مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى وَجَعَلْتُكَ فَاتِحاً وَخَاتِماً وَفِيهِ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي ثَنَائِهِ عَلَى رَبِّهِ وَتَعْدِيدِ مَرَاتِبِهِ: «وَرَفَعَ لِي

(١) القاضي بكر هو بكر بن محمد بن العلاء القشيدي من أبناء عمران بن حصين الصحابي الجليل رضي الله عنه توفي رحمه الله سنة ٣٣٤ هـ.

ذِكْرِي وَجَعَلَنِي فَاتِحاً وَخَاتِماً»؛ فَيَكُونُ الْفَاتِحُ لِبَصَائِرِهِمْ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ بِاللهِ أَوِ النَّاصِرِ لِلْحَقِّ أَوِ الْمُبْتَدى بِهِدَايَةِ الْأُمَّةِ أَوِ الْمُبَدَّى الْمُقَدَّمِ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْخَاتِمِ لَهُمْ كَمَا قَالَ ﷺ: «كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ».

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْحَدِيثِ: الشَّكُورُ وَمَعْنَاهُ الْمُثِيبُ عَلَى الْعَمَلِ الْقَلِيلِ وَقِيلَ الْمُثْنِي عَلَى الْمُطِيعِينَ وَوَصَفَ بِذَلِكَ نَبِيَّهُ نُوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣] وَقَدْ وَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ نَفْسَهُ بِذَلِكَ فَقَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً»، أَيْ مُعْتَرِفاً بِنِعَمِ رَبِّي عَارِفاً بِقَدْرِ ذَلِكَ مُثْنِياً عَلَيْهِ مُجْهِداً نَفْسِي فِي الزِّيَادَةِ مِنْ ذَلِكَ لِقَوْلِهِ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧]. وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْعَلِيمُ وَالْعَلَّامُ وَعَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ. وَوَصَفَ نَبِيَّهُ ﷺ بِالْعِلْمِ وَخَصَّهُ بِمَزِيَّةٍ مِنْهُ قَالَ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣] وَقَالَ: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٥١] وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَمَعْنَاهُمَا: السَّابِقُ لِلْأَشْيَاءِ قَبْلَ وُجُودِهَا وَالْبَاقِي بَعْدَ فَنَائِهَا وَتَحْقِيقُهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَوَّلٌ وَلَا آخِرٌ وَقَالَ ﷺ: «كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ»، وَفُسِّرَ بِهَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب:٧] فَقَدَّمَ مُحَمَّداً ﷺ وَقَدْ أَشَارَ إِلَى نَحْوِ مِنْهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ: «نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ»[١] وَقَوْلُهُ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»[٢] وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَآخِرُ الرُّسُلِ ﷺ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْقَوِيُّ وَذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ وَمَعْنَاهُ الْقَادِرُ وَقَدْ وَصَفَهُ اللهُ تَعَالَى بِذَلِكَ فَقَالَ: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير:٢٠] قِيلَ مُحَمَّدٌ وَقِيلَ جِبْرِيلُ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: الصَّادِقُ فِي الْحَدِيثِ الْمَأْثُورِ وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَيْضاً اسْمُهُ ﷺ بِالصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْوَلِيُّ وَالْمَوْلَى وَمَعْنَاهُمَا: النَّاصِرُ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة: ٥٥] وقال ﷺ: «أَنَا وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ» وقال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

---

(١) متفق عليه من رواية أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في الصحيح: ٢/ ٣٥٤ كتاب الجمعة (١١) باب فرض الجمعة... (١) الحديث رقم: ٨٧٦. والإمام مسلم في الصحيح: ٢/ ٥٨٥ كتاب الجمعة (٧) باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٦) الحديث رقم ١٩/ ٨٥٥.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في السنن: ٥/ ٦٢٢. كتاب المناقب (٥٠) باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٨) الحديث رقم: ٣٦٩٢، واللفظ له، وأخرجه ابن حبان ذكره الهيثمي في موارد الظمآن: ٥٣٩ كتاب المناقب (٣٦) باب فيما اشترك فيه أبو بكر وعمر الحديث رقم: ٢١٩٤.

[الأحزاب:٦] وَقَالَ ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ. فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ». وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: الْعَفُوُّ وَمَعْنَاهُ الصَّفُوحُ وَقَدْ وَصَفَ الله تَعَالَى بِهَذَا نَبِيَّهُ فِي الْقُرْآنِ. وَالتَّوْرَاةِ وَأَمَرَهُ بِالْعَفْوِ فَقَالَ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعراف:١٩٩] وَقَالَ ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ [المائدة:١٣] وَقَالَ لَهُ جِبْرِيلَ وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعراف:١٩٩] قَالَ أَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ وَقَالَ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ فِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ فِي صِفَتِهِ: لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْهَادِي وَهُوَ بِمَعْنَى تَوْفِيقُ الله لِمَنْ أَرَادَ مِنْ عِبَادِهِ وَبِمَعْنَى الدَّلاَلَةِ وَالدُّعَاءِ قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس:٢٥] وَقَالَ فِيهِ ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [الأحزاب:٤٦] فَالله تَعَالَى مُخْتَصٌّ بِالْمَعْنَى الأَوَّلِ، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦] وَبِمَعْنَى الدَّلاَلَةِ يُطْلَقُ عَلَى غَيْرِهِ تَعَالَى، وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ قِيلَ هُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ فَمَعْنَى الْمُؤْمِنِ فِي حَقِّهِ تَعَالَى: الْمُصَدِّقُ وَعْدَهُ عِبَادَهُ وَالْمُصَدِّقُ قَوْلَهُ الْحَقَّ، وَالْمُصَدِّقُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَرُسُلِهِ وَقِيلَ الْمُوَحِّدُ نَفْسَهُ وَقِيلَ الْمُؤْمِنُ عِبَادَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ ظُلْمِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ فِي الآخِرَةِ مِنْ عَذَابِهِ، وَقِيلَ الْمُهَيْمِنُ بِمَعْنَى الأَمِينِ مُصَغَّرٌ مِنْهُ فَقُلِبَتِ الْهَمْزَةُ هَاءً وَقَدْ قِيلَ إِنَّ قَوْلَهُمْ فِي الدُّعَاءِ آمِينَ إِنَّهُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الله تَعَالَى وَمَعْنَاهُ مَعْنَى الْمُؤْمِنِ وَقِيلَ الْمُهَيْمِنُ بِمَعْنَى الشَّاهِدِ وَالْحَافِظِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ أَمِينٌ وَمُهَيْمِنٌ وَمُؤْمِنٌ وَقَدْ سَمَّاهُ الله تَعَالَى أَمِيناً فَقَالَ: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:٢١] وَكَانَ ﷺ يُعْرَفُ بِالأَمِينِ وَشُهِرَ بِهِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَبَعْدَهَا وَسَمَّاهُ الْعَبَّاسُ[1] فِي شِعْرِهِ مُهَيْمِناً فِي قَوْلِهِ:

ثُمَّ احْتَوَى بَيْتُكَ الْمُهَيْمِنُ مِنْ ... خِنْدِفَ عَلْيَاءَ تَحْتَهَا النُّطُقُ

قِيلَ الْمُرَادُ يَا أَيُّهَا الْمُهَيْمِنُ، قَالَهُ الْقُتَيْبِيُّ. وَالإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ وقَالَ تَعَالَى: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:٦١] أَيْ يُصَدِّقُ وَقَالَ ﷺ: «أَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي»[2] بِمَعْنَى الْمُؤْمِنِ.

---

(١) تقدمت ترجمته. وتقدم الكلام على القصيدة.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح تحت رقم: ٢٥٣١ في فضائل الصحابة باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابي. والحديث مروي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جعلنا حتى نصلي معه العشاء قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: ما زلتم هاهنا؟ قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا: جلسنا حتى نصلي معك العشاء، قال: أحسنتم ـ أو أصبتم ـ قال: فرفع رأسه إلى السماء ـ وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء ـ فقال النجوم أَمَنَةٌ السماءِ، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما تُوعَدُ. وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أَمَنَةٌ لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون». أخرجه الإمام مسلم كما سبق، ويظهر من منهاج القاضي في سوق الأحاديث أنه كان كثيراً ما يأخذ ما يحتاج إليه من النصوص سواء من البداية أو الوسط أو النهاية. وهذا يجعل الباحث في حيص بيص في العثور على الحديث المستشهد به...

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْقُدُّوسُ وَمَعْنَاهُ الْمُنَزَّهُ عَنِ النَّقَائِصِ، الْمُطَهَّرُ عَنْ سِمَاتِ الْحَدَثِ وَسُمِّيَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ لِأَنَّهُ يُتَطَهَّرُ فِيهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَمِنْهُ الْوَادِي الْمُقَدَّسُ وَرُوحُ الْقُدُسِ وَوَقَعَ فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ فِي أَسْمَائِهِ ﷺ الْمُقَدَّسُ أَيِ الْمُطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] أَوِ الَّذِي يُتَطَهَّرُ بِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَيُتَنَزَّهُ بِاتِّبَاعِهِ عَنْهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [المائدة: ١٦] أَوْ يَكُونُ مُقَدَّساً بِمَعْنَى مُطَهَّراً مِنَ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ وَالْأَوْصَافِ الدَّنِيئَةِ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: الْعَزِيزُ وَمَعْنَاهُ الْمُمْتَنِعُ الْغَالِبُ أَوِ الَّذِي لاَ نَظِيرَ لَهُ أَوِ الْمُعِزُّ لِغَيْرِهِ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ [المنافقون: ٨] أَيِ الامْتِنَاعُ وَجَلاَلَةُ الْقَدْرِ وَقَدْ وَصَفَ اللهُ تَعَالَى نَفْسَهُ بِالْبِشَارَةِ وَالنِّذَارَةِ فَقَالَ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ [التوبة: ٢١] وَقَالَ: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ﴾ [آل عمران: ٣٩] وَسَمَّاهُ اللهُ تَعَالَى مُبَشِّراً وَنَذِيراً وَبَشِيراً أَيْ مُبَشِّراً لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وَنَذِيراً لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ. وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى فِيمَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: طه، وَيس، وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَيْضاً أَنَّهُمَا مِنْ أَسْمَاءِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ.

الفصل الخامس عشر: استدراك في صفات الخالق والمخلوق

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى وَهَا أَنَا أَذْكُرُ نُكْتَةً أُذَيِّلُ بِهَا هَذَا الْفَصْلَ وَأَخْتِمُ بِهَا هَذَا الْقِسْمَ وَأُزِيحُ الْإِشْكَالَ بِهَا فِيمَا تَقَدَّمَ عَنْ كُلِّ ضَعِيفِ الْوَهْمِ سَقِيمِ الْفَهْمِ تُخَلِّصُهُ مِنْ مَهَاوِي التَّشْبِيهِ وَتُزَحْزِحُهُ عَنْ شُبَهِ التَّمْوِيهِ وَهُوَ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى جَلَّ اسْمُهُ فِي عَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ وَمَلَكُوتِهِ وَحُسْنَى أَسْمَائِهِ وَعَلِيِّ صِفَاتِهِ لاَ يُشْبِهُ شَيْئاً مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ وَلاَ يُشَبَّهُ بِهِ وَأَنَّ مَا جَاءَ مِمَّا أَطْلَقَهُ الشَّرْعُ عَلَى الْخَالِقِ وَعَلَى الْمَخْلُوقِ فَلاَ تَشَابُهَ بَيْنَهُمَا فِي الْمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ؛ إِذْ صِفَاتُ الْقَدِيمِ بِخِلاَفِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ فَكَمَا أَنَّ ذَاتَهُ تَعَالَى لاَ تُشْبِهُ الذَّوَاتِ كَذَلِكَ صِفَاتُهُ لاَ تُشْبِهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ إِذْ صِفَاتُهُمْ لاَ تَنْفَكُّ عَنِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَغْرَاضِ وَهُوَ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ بَلْ لَمْ يَزَلْ بِصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَكَفَى فِي هَذَا قَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وَللهِ دَرُّ[(١)] مَنْ قَالَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعَارِفِينَ الْمُحَقِّقِينَ: التَّوْحِيدُ إِثْبَاتُ ذَاتٍ غَيْرِ مُشْبِهَةٍ لِلذَّوَاتِ وَلاَ مُعَطَّلَةٍ عَنِ الصِّفَاتِ؛ وَزَادَ هَذِهِ النُّكْتَةَ الْوَاسِطِيُّ[(٢)] رَحِمَهُ اللهُ بَيَاناً وَهِيَ مَقْصُودُنَا فَقَالَ لَيْسَ كَذَاتِهِ ذَاتٌ وَلاَ كَاسْمِهِ اسْمٌ وَلاَ كَفِعْلِهِ فِعْلٌ وَلاَ كَصِفَتِهِ صِفَةٌ إِلاَّ مِنْ جِهَةِ مُوَافَقَةِ اللَّفْظِ اللَّفْظَ وَجَلَّتِ الذَّاتُ

---

(١) لله دَرّ من قال: أصل معناه اللبن ويعبر به عن الخير والعمل والصالح واللام في لله للتعجب ويقال في الثناء: لله در فلان للثناء عليه والتعجب من أخلاقه ومحاسنه.

(٢) تقدمت ترجمته.

الْقَدِيمَةُ أَنْ تَكُونَ لَهَا صِفَةٌ حَدِيثَةٌ كَمَا ٱسْتَحَالَ أَنْ تَكُونَ لِلذَّاتِ الْمُحْدَثَةِ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ وَهَذَا كُلُّهُ مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ رَضِيَ الله عَنْهُمْ. وَقَدْ فَسَّرَ الإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ[1] الْقُشَيْرِيُّ رَحِمَهُ الله قَوْلَهُ هَذَا لِيَزِيدَهُ بَيَاناً فَقَالَ: هَذِهِ الْحِكَايَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى جَوَامِعِ مَسَائِلِ التَّوْحِيدِ وَكَيْفَ تُشْبِهُ ذَاتُهُ ذَاتَ الْمُحْدَثَاتِ وَهِيَ بِوُجُودِهَا مُسْتَغْنِيَةٌ وَكَيْفَ يُشْبِهُ فِعْلُهُ فِعْلَ الْخَلْقِ وَهُوَ لِغَيْرِ جَلْبِ أُنْسٍ أَوْ دَفْعِ نَقْصٍ حَصَلَ وَلاَ بِخَوَاطِرِ وَأَغْرَاضٍ وُجِدَ وَلاَ بِمُبَاشَرَةٍ وَمُعَالَجَةٍ ظَهَرَ، وَفِعْلُ الْخَلْقِ لاَ يَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ، وَقَالَ آخَرُ مِنْ مَشَايِخِنَا: مَا تَوَهَّمْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ أَوْ أَدْرَكْتُمُوهُ بِعُقُولِكُمْ فَهُوَ مُحْدَثٌ مِثْلُكُمْ، وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو الْمَعَالِي[2] الْجُوَيْنِيُّ: مَنِ اطْمَأَنَّ إِلَى مَوْجُودٍ انْتَهَى إِلَيْهِ فِكْرُهُ فَهُوَ مُشَبِّهٌ وَمَنِ اطْمَأَنَّ إِلَى النَّفْيِ الْمَحْضِ فَهُوَ مُعَطِّلٌ وَإِنْ قَطَعَ بِمَوْجُودٍ اعْتَرَفَ بِالْعَجْزِ عَنْ دَرْكِ حَقِيقَتِهِ فَهُوَ مُوَحِّدٌ. وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ذِي النُّونِ الْمِصْرِيِّ: حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ قُدْرَةَ الله تَعَالَى فِي الأَشْيَاءِ بِلاَ عِلاَجٍ وَصُنْعُهُ لَهَا بِلاَ مِزَاجٍ وَعِلَّةُ كُلِّ شَيْءٍ صُنْعُهُ وَلاَ عِلَّةَ لِصُنْعِهِ وَمَا تُصُوِّرَ فِي وَهْمِكَ فَالله بِخِلاَفِهِ؛ وَهَذَا كَلاَمٌ عَجِيبٌ نَفِيسٌ مُحَقَّقٌ. وَالْفَصْلُ الآخَرُ تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وَالثَّانِي تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] وَالثَّالِثُ تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] ثَبَّتَنَا الله وَإِيَّاكَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالإِثْبَاتِ وَالتَّنْزِيهِ، وَجَنَّبَنَا طَرَفَيِ الضَّلاَلَةِ وَالْغَوَايَةِ مِنَ التَّعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ بِمَنِّهِ وَرَحْمَتِهِ.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) أبو علي الجويني هو إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني النيسابوري، إمام اللائحة فريد عصره، صاحب الفضائل والمصنفين والتآليف الكثيرة وهو شيخ الإمام الغزالي ـ توفي رحمه الله: ٤٧٨ هـ. ذو النون المصري، هو الزاهد المعروف بالورع والتقوى كنيته أبو الفضيل ثوبان ابن إبراهيم الأخميسي كان من أجلة العلماء الفضلاء توفي رحمه الله سنة ٢٤٥ هـ.

الفصل الأول: مقدمة الباب

الفصل الثاني: اعلم أن الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده.

الفصل الثالث: اعلم أن معنى تسميتنا ما جاءت به الأنبياء معجزة.

الفصل الرابع: في إعجاز القرآن.

الفصل الخامس: الوجه الثاني من إعجازه.

الفصل السادس: الوجه الثالث من الإعجاز.

الفصل السابع: الوجه الرابع ما أنبأ به من أخباره والقرون السالفة.

الفصل الثامن: هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بنية لا نزع فيما ولا مرية.

الفصل التاسع: ومنها الروعة..

الفصل العاشر: ومن وجوه إعجازه.

الفصل الحادي عشر: وقد عد جماعة من الأئمة...

الفصل الثاني عشر: في انشقاق القمر وحبس الشمس.

الفصل الثالث عشر: في نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته.

الفصل الرابع عشر: ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته..

الفصل الخامس عشر: ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه.

الفصل السادس عشر: في كلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته.

الفصل السابع عشر: في قصة حنين الجذع.

الفصل الثامن عشر: ومثل هذا في سائر الجمادات.

الفصل التاسع عشر: في الآيات في ضروب الحيوانات.

الفصل العشرون: في إحياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع.

الفصل الواحد والعشرون: في إبراء المرضى وذوي العاهات.

الفصل الثاني والعشرون: في إجابة دعائه ﷺ.

الفصل الثالث والعشرون: في كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره.

الفصل الرابع والعشرون: ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون...

الفصل الخامس والعشرون: في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه..

الفصل السادس والعشرون: من معجزاته الباهرة.

الفصل السابع والعشرون: ومن خصائصه ﷺ وكراماته وباهر آياته إنباؤه مع الملائكة..

الفصل الثامن والعشرون: ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت به الأخبار...

الفصل التاسع والعشرون: ومن ذلك ما ظهر من الآيات.

الفصل الثلاثون: خاتمة وتذييل[١].

(١) ساقط من النسخة الأصلية.

الْبَابُ الرَّابِعُ

فِيمَا أَظْهَرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ وَشَرَّفَهُ بِهِ مِنَ الْخَصَائِصِ وَالْكَرَامَاتِ

وفيه ثلاثون فصلاً

الفصل الأول

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ: حَسْبُ الْمُتَأَمِّلِ أَنْ يُحَقِّقَ أَنَّ كِتَابَنَا هَذَا لَمْ نَجْمَعْهُ لِمُنْكِرِ نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ وَلاَ لِطَاعِنٍ فِي مُعْجِزَاتِهِ فَنَحْتَاجُ إِلَى نَصْبِ الْبَرَاهِينِ عَلَيْهَا وَتَحْصِينِ حَوْزَتِهَا حَتَّى لاَ يَتَوَصَّلَ الْمُطَاعِنُ إِلَيْهَا وَتَذْكُرَ شُرُوطَ الْمُعْجِزِ وَالتَّحَدِّيَ وَحَدَّهُ وَفَسَادَ قَوْلِ مَنْ أَبْطَلَ نَسْخَ الشَّرَائِعِ وَرَدَّهُ. بَلْ أَلَّفْنَاهُ لِأَهْلِ مِلَّتِهِ الْمُلَبِّينَ لِدَعْوَتِهِ الْمُصَدِّقِينَ لِنُبُوَّتِهِ لِيَكُونَ تَأْكِيداً فِي مَحَبَّتِهِمْ لَهُ وَمَنْمَاةً لِأَعْمَالِهِمْ وَ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٥] وَنِيَّتُنَا أَنْ نُثْبِتَ فِي هَذَا الْبَابِ أُمَّهَاتِ مُعْجِزَاتِهِ وَمَشَاهِيرَ آيَاتِهِ لِتَدُلَّ عَلَى عَظِيمِ قَدْرِهِ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَتَيْنَا مِنْهَا بِالْمُحَقَّقِ وَالصَّحِيحِ الْإِسْنَادِ، وَأَكْثَرُهُ مِمَّا بَلَغَ الْقَطْعَ أَوْ كَادَ وَأَضَفْنَا إِلَيْهَا بَعْضَ مَا وَقَعَ فِي مَشَاهِيرِ كُتُبِ الأَئِمَّةِ؛ وَإِذَا تَأَمَّلَ الْمُتَأَمِّلُ الْمُنْصِفُ مَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ جَمِيلِ أَثَرِهِ وَحَمِيدِ سِيَرِهِ وَبَرَاعَةِ عِلْمِهِ وَرَجَاحَةِ عَقْلِهِ وَحِلْمِهِ وَجُمْلَةِ كَمَالِهِ وَجَمِيعِ خِصَالِهِ وَشَاهِدِ حَالِهِ وَصَوَابِ مَقَالِهِ لَمْ يَمْتَرِ فِي صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ وَصِدْقِ دَعْوَتِهِ وَقَدْ كَفَى هَذَا غَيْرَ وَاحِدٍ فِي إِسْلاَمِهِ وَالإِيمَانِ بِهِ فَرَوَيْنَا عَنِ التِّرْمِذِيِّ(١) وَابْنِ قَانِعٍ(٢) وَغَيْرِهِمَا بِأَسَانِيدِهِمْ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلاَمٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ جِئْتُهُ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ.

[حَدَّثَنَا بِهِ الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ الصَّيْرَفِيُّ وَأَبُو الْفَضْلِ بْنُ خَيْرُونَ عَنْ أَبِي يَعْلَى الْبَغْدَادِيِّ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ السِّنْجِيِّ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنِ التِّرْمِذِيِّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَابْنُ أَبِي عَدِيٍّ وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ عَوْفِ بْنِ أَبِي جَمِيلَةَ الأَعْرَابِيِّ عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلاَمٍ الْحَدِيثَ](٢)

وَعَنْ أَبِي رِمْثَةَ(٣) التَّيْمِيِّ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعِي ابْنٌ لِي فَأُرِيتُهُ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ قُلْتُ هَذَا نَبِيُّ اللهِ؛

---

(١) الترمذي هو أبو عيسى بن محمد بن عيسى الترمذي ولد سنة: ٢٠٩ هـ. وهو أحد العلماء الحفاظ الكبار وله باع كبير في الفقه، وله تصانيف وتآليف عديدة في الحديث، وكتابه الصحيح من أصح الكتب بعد صحيح البخاري، عرضه على علماء الأمصار فرضوا به قال: ومن كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي يتكلم توفي في ترمذ سنة: ٢٧٩ هـ.

(٢) [. . . .] ساقطة من نسخة دمشق المحققة وإن قانع توفي سنة ٣٥١ هـ.

(٣) أبو رمثة التيمي هو رفاعة بن يثري روى عن النبي ﷺ وعنه أخذ إياد بن لقيط، وثابت بن منقذ وأخرج له =

وَرَوَى مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ أَنَّ ضِمَاداً[١] لَمَّا وَفَدَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَّ الْحَمْدَ لله: نَحْمَدَهُ وَنَسْتَعِينُهُ مَنْ يَهْدِهِ الله فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»، قَالَ لَهُ أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلاَءِ فَلَقَدْ بَلَغْتَ قَامُوسَ الْبَحْرِ هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ. وَقَالَ جَامِعُ بْنُ[٢] شَدَّادٍ كَانَ رَجُلٌ مِنَّا يُقَالُ لَهُ طَارِقٌ[٣] فَأَخْبَرَ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ: «هَلْ مَعَكُمْ شَيْءٌ تَبِيعُونَهُ» قُلْنَا هَذَا الْبَعِيرَ قَالَ «بِكَمْ» قُلْنَا بِكَذَا وَكَذَا وَسْقاً مِنْ تَمْرٍ فَأَخَذَ بِخُطَامِهِ وَسَارَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقُلْنَا بِعْنَا مِنْ رَجُلٍ لاَ نَدْرِي مَنْ هُوَ وَمَعَنَا ظَعِينَةٌ فَقَالَتْ أَنَا ضَامِنَةٌ لِثَمَنِ الْبَعِيرِ رَأَيْتُ وَجْهَ رَجُلٍ مِثْلَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لاَ يَخِيسُ بِكُمْ فَأَصْبَحْنَا فَجَاءَ رَجُلٌ بِتَمْرٍ فَقَالَ أَنَا رَسُولُ رَسُولِ الله ﷺ إِلَيْكُمْ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ هَذَا التَّمْرِ وَتَكْتَالُوا حَتَّى تَسْتَوْفُوا فَفَعَلْنَا: وَفِي خَبَرِ الْجُلَنْدِي[٤] مَلِكُ عُمَانَ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَدْعُوهُ إِلَى الإِسْلاَمِ قَالَ الْجُلَنْدِيُّ وَالله لَقَدْ دَلَّنِي عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الأُمِّيِّ أَنَّهُ لاَ يَأْمُرُ بِخَيْرٍ إِلاَّ كَانَ أَوَّلَ آخِذٍ بِهِ وَلاَ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ إِلاَّ كَانَ أَوَّلَ تَارِكٍ لَهُ وَأَنَّهُ يَغْلِبُ فَلاَ يَبْطَرُ وَيُغْلَبُ فَلاَ يَضْجَرُ وَيَفِي بِالْعَهْدِ وَيُنْجِزُ الْمَوْعُودَ، وَأَشْهَدُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَقَالَ نَفْطَوَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥] هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ الله تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ يَقُولُ يَكَادُ مَنْظَرُهُ يَدُلُّ عَلَى نُبُوَّتِهِ وَإِنْ لَمْ يَتْلُ قُرْآناً كَمَا قَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ[٥]:

لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ ... لَكَانَ مَنْظَرُهُ يُنْبِيكَ بِالْخَبَرِ

= أصحاب السنن الثلاثة وصحح حديثه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم... ترجمته: في الثقات ٣/ ١٢٦ والإصابة: ٢/ ٥١٩.

(١) ضماد بن ثعلبة الأزدي نسبة إلى الأزد قبيلة مشهورة، وكان صديقاً للنبي ﷺ قبل النبوة، وفد مكة وأسلم في أول الإسلام وكان عاقلاً يتطبب ويرقي: ترجمته. في الثقات ٣/ ٢٠١، والطبقات ٤/ ٢٤١ والإصابة: ٢/ ٢١٠.

(٢) جامع بن شداد هو أبو ضمرة الأسدي المحاربي الكوفي أخرج له الإمام أبو داود والنسائي ثقة توفي رحمه الله سنة ١١٨ هـ.

(٣) طارق بن عبد الله المحاربي سكن الكوفة وأخرج له النسائي: وقدمت على النبي ﷺ. وإذا هو قائم على النبي يخطب ويقول: يد المعطي العليا». ترجمته في الثقات ٣/ ٢٠١، والطبقات ٦/ ٤٢، والإصابة: ٢/ ٢٢٠.

(٤) الجلندي اختلف في إسلامه إلا أن النويري جزم بإسلامه وكتب إليه النبي ﷺ وإلى أخيه لولايتهما على عمان فأجابا. ترجمته في السيرة الحلبية: ٢/ ٣٧٤، وصبح الأعشى: ٦/ ٣٨٠، والمواهب اللدنية بشرح الزرقاني ٣.

(٥) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري شاعر الدعوة وشاعر النبي ﷺ والأمير الثالث في غزوة مؤتة سنة ٨ هـ. التي قتل فيها بعد صاحبيه زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب في حياة الرسول ﷺ ولم يشهد الفتح لموته قبلها سنة ٨ هـ. ترجمته في الثقات ٣/ ٢٢١، والطبقات ٣/ ٥٢٥، والإصابة ٢/ ٣٠٦، والحلية: ١/ ١١٨.

وَقَدْ آنَ أَنْ نَأْخُذَ فِي ذِكْرِ النُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ وَبَعْدَهُ فِي مُعْجِزَةِ الْقُرْآنِ وَمَا فِيهِ مِنْ بُرْهَانٍ وَدَلاَلَةٍ.

الفصل الثاني: بين النبوّة والرسالة

أَعْلَمْ أَنَّ اللهَ جَلَّ اسْمُهُ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ الْمَعْرِفَةِ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ وَالْعِلْمِ بِذَاتِهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَجَمِيعِ تَكْلِيفَاتِهِ ابْتِدَاءً دُونَ وَاسِطَةٍ لَوْ شَاءَ كَمَا حُكِيَ عَنْ سُنَّتِهِ فِي بَعْضِ الأَنْبِيَاءِ وَذَكَرَهُ بَعْضُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١] وَجَائِزٌ أَنْ يُوصِلَ إِلَيْهِمْ جَمِيعَ ذَلِكَ بِوَاسِطَةٍ تُبَلِّغُهُمْ كَلاَمَهُ وَتَكُونُ تِلْكَ الْوَاسِطَةُ إِمَّا مِنْ غَيْرِ الْبَشَرِ كَالْمَلاَئِكَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ أَوْ مِنْ جِنْسِهِمْ كَالأَنْبِيَاءِ مَعَ الأُمَمِ وَلاَ مَانِعَ لِهَذَا مِنْ دَلِيلِ الْعَقْلِ وَإِذَا جَازَ هَذَا وَلَمْ يَسْتَحِلْ وَجَاءَتِ الرُّسُلُ بِمَا دَلَّ عَلَى صِدْقِهِمْ مِنْ مُعْجِزَاتِهِمْ وَجَبَ تَصْدِيقُهُمْ فِي جَمِيعِ مَا أَتَوْا بِهِ لأَنَّ الْمُعْجِزَ مَعَ التَّحَدِّي مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَائِمٌ مَقَامَ قَوْلِ اللهِ صَدَقَ عَبْدِي فَأَطِيعُوهُ وَاتَّبِعُوهُ وَشَاهِدٌ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا يَقُولُهُ وَهَذَا كَافٍ، وَالتَّطْوِيلُ فِيهِ خَارِجٌ عَنِ الْغَرَضِ فَمَنْ أَرَادَ تَتَبُّعَهُ وَجَدَهُ مُسْتَوْفًى فِي مُصَنَّفَاتِ أَئِمَّتِنَا رَحِمَهُمْ اللهُ فَالنُّبُوَّةُ فِي لُغَةِ مَنْ هَمَزَ مَأْخُوذَةٌ مِنَ النَّبَإِ وَهُوَ الْخَبَرُ وَقَدْ لاَ يُهْمَزُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ تَسْهِيلاً، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَطْلَعَهُ عَلَى غَيْبِهِ وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ نَبِيُّهُ فَيَكُونُ نَبِيٌّ مُنَبَّأً، فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ أَوْ يَكُونُ مُخْبِراً عَمَّا بَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ وَمُنَبِّئاً بِمَا أَطْلَعَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ وَيَكُونُ عِنْدَ مَنْ لَمْ يَهْمِزْهُ مِنَ النُّبُوَّةِ، وَهُوَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الأَرْضِ مَعْنَاهُ أَنَّ لَهُ رُتْبَةً شَرِيفَةً وَمَكَانَةً نَبِيهَةً عِنْدَ مَوْلاَهُ مَنِيفَةً فَالْوَصْفَانِ فِي حَقِّهِ مُؤْتَلِفَانِ، وَأَمَّا الرَّسُولُ فَهُوَ الْمُرْسَلُ، وَلَمْ يَأْتِ فَعُولٌ بِمَعْنَى مُفْعَلٍ فِي اللُّغَةِ إِلاَّ نَادِراً وَإِرْسَالُهُ أَمْرُ اللهِ لَهُ بِالإِبْلاَغِ إِلَى مَنْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ. وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ التَّتَابُعِ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ جَاءَ النَّاسُ أَرْسَالاً إِذَا تَبِعَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً فَكَأَنَّهُ أُلْزِمَ تَكْرِيرَ التَّبْلِيغِ أَوْ أُلْزِمَتِ الأُمَّةُ اتِّبَاعَهُ وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ هَلِ النَّبِيُّ الرَّسُولُ بِمَعْنًى أَوْ بِمَعْنَيَيْنِ. فَقِيلَ هُمَا سَوَاءٌ وَأَصْلُهُ مِنَ الإِنْبَاءِ وَهُوَ الإِعْلاَمُ وَاسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢] فَقَدْ أَثْبَتَ لَهُمَا الإِرْسَالَ مَعاً، قَالَ وَلاَ يَكُونُ النَّبِيُّ إِلاَّ رَسُولاً وَلاَ الرَّسُولُ إِلاَّ نَبِيّاً وَقِيلَ هُمَا مُفْتَرِقَانِ مِنْ وَجْهٍ إِذْ قَدِ اجْتَمَعَا فِي النُّبُوَّةِ الَّتِي هِيَ الاطِّلاَعُ عَلَى الْغَيْبِ وَالإِعْلاَمُ بِخَوَاصِّ النُّبُوَّةِ أَوِ الرِّفْعَةِ لِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ وَحَوْزِ دَرَجَتِهَا وَافْتَرَقَا فِي زِيَادَةِ الرِّسَالَةِ لِلرَّسُولِ وَهُوَ الأَمْرُ بِالإِنْذَارِ وَالإِعْلاَمِ كَمَا قُلْنَا وَحُجَّتُهُمْ مِنَ الآيَةِ نَفْسِهَا، التَّفْرِيقُ بَيْنَ الاسْمَيْنِ وَلَوْ كَانَا شَيْئاً وَاحِداً كَمَا حَسُنَ تَكْرَارُهُمَا فِي الْكَلاَمِ الْبَلِيغِ قَالُوا وَالْمَعْنَى وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَى أُمَّةٍ أَوْ نَبِيٍّ وَلَيْسَ بِمُرْسَلٍ إِلَى أَحَدٍ وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الرَّسُولَ مَنْ جَاءَ بِشَرْعٍ مُبْتَدإٍ وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ نَبِيٌّ غَيْرُ رَسُولٍ، وَإِنْ أُمِرَ بِالإِبْلاَغِ، وَالإِنْذَارِ، وَالصَّحِيحِ وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجَمَّاءُ الْغَفِيرُ[1] أَنَّ كُلَّ

---

(١) الجماء الغفير: الجماعة الكبيرة من الناس، والغفير صفة لازمة للجماء لا ينفرد دونها، والغفر الشر.

رَسُولٍ نَبِيٌّ وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولاً. وَأَوَّلُ الرُّسُلِ آدَمُ وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَفِي حَدِيثِ أَبِي(١) ذَرٍّ رَضِيَ الله عَنْهُ: أَنَّ الأَنْبِيَاءَ مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةُ وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَبِيٍّ وَذَكَرَ أَنَّ الرُّسُلَ مِنْهُمْ ثَلاثُمِائَةٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَ. أَوَّلُهُمْ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَقَدْ بَانَ لَكَ مَعْنَى النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَلَيْسَتَا عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ ذَاتاً لِلنَّبِيِّ وَلاَ وَصْفَ ذَاتٍ خِلافاً لِلْكَرَّامِيَّةِ فِي تَطْوِيلٍ لَهُمْ وَتَهْوِيلٍ لَيْسَ عَلَيْهِ تَعْوِيلٌ وَأَمَّا الْوَحْيُ فَأَصْلُهُ الإِسْرَاعُ فَلَمَّا كَانَ النَّبِيُّ يَتَلَقَّى مَا يَأْتِيهِ مِنْ رَبِّهِ بِعَجَلٍ سُمِّيَ وَحْياً وَسُمِّيَتْ أَنْوَاعُ الإِلْهَامَاتِ وَحْياً تَشْبِيهاً بِالْوَحْيِ إِلَى النَّبِيِّ وَسُمِّيَ الْخَطُّ وَحْياً لِسُرْعَةِ حَرَكَةِ يَدِ كَاتِبِهِ، وَوَحْيُ الْحَاجِبِ، وَاللَّحْظِ سُرْعَةُ إِشَارَتِهِمَا وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:١١] أَيْ أَوْمَأَ وَرَمَزَ وَقِيلَ كَتَبَ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ الْوَحَا الْوَحَا أَيِ السُّرْعَةَ السُّرْعَةَ وَقِيلَ أَصْلُ الْوَحْيِ السِّرُّ وَالإِخْفَاءُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الإِلْهَامُ وَحْياً وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأنعام:١٢١] أَيْ يُوَسْوِسُونَ فِي صُدُورِهِمْ وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ [القصص:٧] أَيْ أُلْقِيَ فِي قَلْبِهَا وَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى:٥١] أَيْ ما يُلْقِيهِ فِي قَلْبِهِ دُونَ وَاسِطَةٍ.

الفصل الثالث: معنى المعجزات

اعْلَمْ أَنَّ مَعْنَى تَسْمِيَتِنَا مَا جَاءَتْ بِهِ الأَنْبِيَاءُ مُعْجِزَةً هُوَ أَنَّ الْخَلْقَ عَجَزُوا عنه الإِتْيَانِ بِمِثْلِهَا وَهِيَ عَلَى ضَرْبَيْنِ، ضَرْبٌ هُوَ مِنْ نَوْعِ قُدْرَةِ الْبَشَرِ فَعَجَزُوا عَنْهُ فَتَعْجِيزُهُمْ عَنْهُ فِعْلٌ لله دَلَّ عَلَى صِدْقِ نَبِيِّهِ كَصَرْفِهِمْ عَنْ تَمَنِّي الْمَوْتِ وَتَعْجِيزِهِمْ عَنِ الإِتْيَانِ بِمِثْلِ الْقُرْآنِ عَلَى رَأْيِ بَعْضِهِمْ وَنَحْوِهِ وَضَرْبٌ هُوَ خَارِجٌ عَنْ قُدْرَتِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ كَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَقَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً.

وَإِخْرَاجِ نَاقَةٍ مِنْ صَخْرَةٍ وَكَلامِ شَجَرَةٍ وَنَبْعِ الْمَاءِ مِنَ الأَصَابِعِ وَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ مِمَّا لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَهُ أَحَدٌ إِلاَّ الله فَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَى يَدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ فِعْلِ الله تَعَالَى وَتَحَدِّيهِ مَنْ يُكَذِّبُهُ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ تَعْجِيزٌ لَهُ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي ظَهَرَتْ عَلَى يَدِ نَبِيِّنَا ﷺ وَدَلاَئِلَ نُبُوَّتِهِ وَبَرَاهِينَ صِدْقِهِ مِنْ هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ مَعاً وَهُوَ أَكْثَرُ الرُّسُلِ مُعْجِزَةً وَأَبْهَرُهُمْ آيَةً وَأَظْهَرُهُمْ بُرْهَاناً كَمَا سَنُبَيِّنُهُ وَهِيَ فِي كَثْرَتِهَا لاَ يُحِيطُ بِهَا ضَبْطٌ فَإِنَّ وَاحِداً مِنْهَا وَهُوَ الْقُرْآنُ لاَ يُحْصَى عَدَدُ مُعْجِزَاتِهِ بِأَلْفٍ وَلا أَلْفَيْنِ وَلاَ أَكْثَرَ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ تَحَدَّى بِسُورَةٍ مِنْهُ فَعُجِزَ عَنْهَا، قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَأَقْصَرُ السُّوَرِ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر:١] فَكُلُّ آيَةٍ أَوْ آيَاتٍ مِنْهُ بِعَدَدِهَا وَقَدْرِهَا مُعْجِزَةٌ ثُمَّ فِيهَا

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند وابن حبان في الصحيح والحاكم في المستدرك.

نَفْسِهَا مُعْجِزَاتٌ عَلَى مَا سَنُفَصِّلُهُ فِيمَا أَنْطَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ ثُمَّ مُعْجِزَاتُهُ ﷺ عَلَى قِسْمَيْنِ، قِسْمٌ مِنْهَا عُلِمَ قَطْعاً وَنُقِلَ إِلَيْنَا مُتَوَاتِراً كَالْقُرْآنِ فَلاَ مِرْيَةَ وَلاَ خِلاَفَ بِمَجِيءِ النَّبِيِّ بِهِ وَظُهُورِهِ مِنْ قِبَلِهِ وَاسْتِدْلاَلِهِ بِحُجَّتِهِ وَإِنْ أَنْكَرَ هَذَا مُعَانِدٌ جَاحِدٌ فَهُوَ كَإِنْكَارِهِ وُجُودَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّمَا جَاءَ اعْتِرَاضُ الْجَاحِدِينَ فِي الْحُجَّةِ بِهِ فَهُوَ فِي نَفْسِهِ وَجَمِيعِ مَا تَضَمَّنَهُ مِنْ مُعْجِزٍ مَعْلُومٌ ضَرُورَةً، وَوَجْهُ إِعْجَازِهِ مَعْلُومٌ ضَرُورَةً وَنَظَراً كَمَا سَنَشْرَحُهُ، قَالَ بَعْضُ أَئِمَّتِنَا وَيَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى عَلَى الْجُمْلَةِ أَنَّهُ قَدْ جَرَى عَلَى يَدَيْهِ ﷺ آيَاتٌ وَخَوَارِقُ عَادَاتٍ إِنْ لَمْ يَبْلُغْ وَاحِدٌ مِنْهَا مُعَيَّناً الْقَطْعَ، فَيَبْلُغُهَا جَمِيعُهَا فَلاَ مِرْيَةَ فِي جَرَيَانِ مَعَانِيهَا عَلَى يَدَيْهِ وَلاَ يَخْتَلِفُ مُؤْمِنٌ وَلاَ كَافِرٌ أَنَّهُ جَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ عَجَائِبُ وَإِنَّمَا خِلاَفُ الْمُعَانِدِ فِي كَوْنِهَا مِنْ قِبَلِ اللهِ وَقَدْ قَدَّمْنَا كَوْنَهَا مِنْ قِبَلِ اللهِ وَأَنَّ ذَلِكَ بِمَثَابَةِ قَوْلِهِ صَدَقْتَ فَقَدْ عُلِمَ وُقُوعُ مِثْلِ هَذَا أَيْضاً مِنْ نَبِيِّنَا ضَرُورَةً لاتِّفَاقِ مَعَانِيهَا كَمَا يُعْلَمُ ضَرُورَةً جُودُ حَاتِمٍ[1] وَشَجَاعَةُ عَنْتَرَةَ[2]، وَحِلْمُ أَحْنَفَ[3] لاتِّفَاقِ الأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى كَرَمِ هَذَا وَشَجَاعَةِ هَذَا وَحِلْمِ هَذَا: وَإِنْ كَانَ كُلُّ خَبَرٍ بِنَفْسِهِ لاَ يُوجِبُ الْعِلْمَ وَلاَ يُقْطَعُ بِصِحَّتِهِ. وَالْقِسْمُ الثَّانِي مَا لَمْ يَبْلُغْ مَبْلَغَ الضَّرُورَةِ، وَالْقَطْعِ وَهُوَ عَلَى نَوْعَيْنِ نَوْعٌ مُشْتَهِرٌ مُنْتَشِرٌ رَوَاهُ الْعَدَدُ وَشَاعَ الْخَبَرُ بِهِ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ وَالرُّوَاةِ وَنَقَلَةِ السِّيَرِ وَالأَخْبَارِ كَنَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ الأَصَابِعِ وَتَكْثِيرِ الطَّعَامِ. وَنَوْعٌ مِنْهُ اخْتَصَّ بِهِ الْوَاحِدُ وَالاثْنَانِ وَرَوَاهُ الْعَدَدُ الْيَسِيرُ وَلَمْ يَشْتَهِرِ اشْتِهَارَ غَيْرِهِ لَكِنَّهُ إِذَا جُمِعَ إِلَى مِثْلِهِ اتَّفَقَا فِي الْمَعْنَى وَاجْتَمَعَا عَلَى الإِتْيَانِ بِالْمُعْجِزِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ.

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَأَنَا أَقُولُ صَدْعاً بِالْحَقِّ إِنَّ كَثِيراً مِنْ هَذِهِ الآيَاتِ الْمَأْثُورَةِ عَنْهُ ﷺ مَعْلُومَةٌ بِالْقَطْعِ أَمَّا انْشِقَاقُ الْقَمَرِ، فَالْقُرْآنُ نَصٌّ بِوُقُوعِهِ وَأَخْبَرَ عَنْ وُجُودِهِ وَلاَ يُعْدَلُ عَنْ ظَاهِرٍ إِلاَّ بِدَلِيلٍ وَجَاءَ بِرَفْعِ احْتِمَالِهِ صَحِيحُ الأَخْبَارِ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ وَلاَ يُوهِنُ عَزْمَنَا خِلاَفُ أَخْرَقَ مُنْحَلٌّ عُرَى الدِّينِ وَلاَ يُلْتَفَتُ إِلَى سَخَافَةِ مُبْتَدِعٍ يُلْقِي الشَّكَّ عَلَى قُلُوبِ ضُعَفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ يُرْغِمُ بِهَذَا أَنْفَهُ وَنَنْبِذُ بِالْعَرَاءِ سُخْفَهُ وَكَذَلِكَ قِصَّةُ نَبْعِ الْمَاءِ وَتَكْثِيرِ الطَّعَامِ رَوَاهَا الثِّقَاتُ وَالْعَدَدُ الْكَثِيرُ عَنِ الْجَمَّاءِ الْغَفِيرِ عَنِ الْعَدَدِ الْكَثِيرِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ الْكَافَّةُ عَنِ الْكَافَّةِ مُتَّصِلاً

---

(١) حاتم الطائي أشهر من علم، فأخباره في الكرم والجود مشهورة معروفة وكان في الجاهلية قريباً من مبعثه وابنه هو عدي بن حاتم أدرك الإسلام وكان من كبار الصحابة رضوان الله عليه. ترجمته في الثقات ٣/٣١٧، والطبقات ٦/ ٥٥، ٧/٤٧٦. الإصابة ٢/ ٤٧٠.

(٢) عنترة بن معاوية بن شداد العبسي من فرسان العرب وفصحائها المشهورين وهو من أصحاب المعلقات السبع توفي في الجاهلية.

(٣) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التيمي كنيته أبو بحر، سيد تميم وأحد دهاة العرب العظام وأشجعهم الفاتحين يضرب به المثل في في الحلم والحكمة ولد بالبصرة وأدرك النبي ﷺ ولم يره وهو الذي كان إذا غضب غضب معه مائة ألف لا يدرون فيم غضب توفي سنة ٧٢ هـ.

عَمَّنْ حَدَّثَ بِهَا مِنْ جُمْلَةِ الصَّحَابَةِ وَأَخْبَارِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي مَوْطِنِ ٱجْتِمَاعِ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ فِي يَوْمِ الْخَنْدَقِ[١] وَفِي غَزْوَةِ بُوَاطٍ[٢] وَعُمْرَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ[٣] وَغَزْوَةِ تَبُوكَ وَأَمْثَالِهَا مِنْ مَحَافِلِ الْمُسْلِمِينَ وَمَجْمَعِ الْعَسَاكِرِ وَلَمْ يُؤْثَرْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مُخَالَفَةٌ لِلرَّاوِي فِيمَا حَكَاهُ وَلاَ إِنْكَارٌ عَمَّا ذُكِرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ رَأَوْهُ، كَمَا رَوَاهُ فَسُكُوتُ السَّاكِتِ مِنْهُمْ كَنُطْقِ؛ النَّاطِقِ؛ إِذْ هُمُ الْمُنَزَّهُونَ عَنِ السُّكُوتِ عَلَى بَاطِلٍ وَالْمُدَاهَنَةِ فِي كَذِبٍ وَلَيْسَ هُنَاكَ رَغْبَةٌ وَلاَ رَهْبَةٌ تَمْنَعُهُمْ وَلَوْ كَانَ مَا سَمِعُوهُ مُنْكَراً عِنْدَهُمْ وَغَيْرَ مَعْرُوفٍ لَدَيْهِمْ لأَنْكَرُوهُ كَمَا أَنْكَرَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ أَشْيَاءَ رَوَاهَا مِنَ السُّنَنِ وَالسِّيَرِ وَحُرُوفِ الْقُرْآنِ وَخَطَّأَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَوَهَّمَهُ فِي ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ فَهَذَا النَّوْعُ كُلُّهُ يُلْحَقُ بِالْقَطْعِيِّ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ لِمَا بَيَّنَّاهُ وَأَيْضاً فَإِنَّ أَمْثَالَ الأَخْبَارِ الَّتِي لاَ أَصْلَ لَهَا وَبُنِيَتْ عَلَى بَاطِلٍ لاَ بُدَّ مَعَ مُرُورِ الأَزْمَانِ وَتَدَاوُلِ النَّاسِ وَأَهْلِ الْبَحْثِ مِنَ ٱنْكِشَافِ ضَعْفِهَا وَخُمُولِ ذِكْرِهَا كَمَا يُشَاهَدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَخْبَارِ الْكَاذِبَةِ وَالأَرَاجِيفِ الطَّارِئَةِ، وَأَعْلاَمُ نَبِيِّنَا ﷺ هَذِهِ الْوَارِدَةُ مِنْ طَرِيقِ الآحَادِ لاَ تَزْدَادُ مَعَ مُرُورِ الزَّمَانِ إِلاَّ ظُهُوراً وَمَعَ تَدَاوُلِ الْفِرَقِ وَكَثْرَةِ طَعْنِ الْعَدُوِّ وَحِرْصِهِ عَلَى تَوْهِينِهَا وَتَضْعِيفِ أَصْلِهَا وَاجْتِهَادِ الْمُلْحِدِ عَلَى إِطْفَاءِ نُورِهَا إِلاَّ قُوَّةً وَقُبُولاً وَلاَ لِلطَّاعِنِ عَلَيْهَا إِلاَّ حَسْرَةً وَغَلِيلاً وَكَذَلِكَ إِخْبَارُهُ عَنِ الْغُيُوبِ وَإِنْبَاؤُهُ بِمَا يَكُونُ وَكَانَ، مَعْلُومٌ مِنْ آيَاتِهِ عَلَى الْجُمْلَةِ بِالضَّرُورَةِ، وَهَذَا حَقٌّ لاَ غِطَاءَ عَلَيْهِ وَقَدْ قَالَ بِهِ مِنْ أَئِمَّتِنَا الْقَاضِي[٤] وَالأُسْتَاذُ أَبُو بَكْرٍ[٥] وَغَيْرُهُمَا رَحِمَهُمُ اللهُ وَمَا عِنْدِي أَوْجَبَ قَوْلَ الْقَائِلِ إِنَّ هَذِهِ الْقِصَصَ الْمَشْهُورَةَ مِنْ بَابِ خَبَرِ الْوَاحِدِ إِلاَّ قِلَّةُ مُطَالَعَتِهِ لِلأَخْبَارِ وَرِوَايَتِهَا، وَشُغْلُهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَارِفِ وَإِلاَّ فَمَنِ ٱعْتَنَى بِطُرُقِ النَّقْلِ وَطَالَعَ الأَحَادِيثَ وَالسِّيَرَ لَمْ يَرْتَبْ فِي صِحَّةِ هَذِهِ الْقِصَصِ الْمَشْهُورَةِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَلاَ يَبْعُدُ أَنْ يَحْصُلَ الْعِلْمُ بِالتَّوَاتُرِ عِنْدَ وَاحِدٍ وَلاَ يَحْصُلُ عِنْدَ آخَرَ فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَعْلَمُونَ بِالْخَبَرِ كَوْنَ بَغْدَادَ مَوْجُودَةً وَأَنَّهَا مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ وَدَارُ الإِمَامَةِ وَالْخِلاَفَةِ وَآحَادٌ مِنَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ٱسْمَهَا فَضْلاً عَنْ وَصْفِهَا وَهَكَذَا يَعْلَمُ الْفُقَهَاءُ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ بِالضَّرُورَةِ وَتَوَاتُرِ النَّقْلِ عَنْهُ أَنَّ مَذْهَبَهُ إِيجَابُ قِرَاءَةِ أُمِّ الْقُرْآنِ فِي الصَّلاَةِ لِلْمُنْفَرِدِ وَالإِمَامِ، وَإِجْزَاءُ النِّيَّةِ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ عَمَّا سِوَاهُ وَأَنَّ الشَّافِعِيَّ[٦] يَرَى تَجْدِيدَ النِّيَّةِ كُلَّ لَيْلَةٍ وَالاقْتِصَارَ فِي الْمَسْحِ عَلَى بَعْضِ الرَّأْسِ وَأَنَّ مَذْهَبَهُمَا الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ بِالْمُحَدَّدِ وَغَيْرِهِ وَإِيجَابُ النِّيَّةِ فِي الْوُضُوءِ وَٱشْتِرَاطُ الْوَلِيِّ فِي النِّكَاحِ

---

(١) الخندق: غزوة الخندق أو غزوة الأحزاب كانت سنة ٥ هـ، وسميت بغزوة الأحزاب لاجتماع أحزاب المشركين واليهود، فأمر النبي ﷺ بحفر الخندق بإشارة من سلمان الفارسي الصحابي الجليل ولم يكن ذلك معروفاً لدى العرب وإنما هو من مكائد الفرس. وكان ذلك في شوال سنة ٥ هـ.

(٢) غزوة بواط كانت في شهر ربيع الأول بعد (١٣) شهراً من الهجرة.

(٣) تقدم الكلام عليها.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

وَأَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ يخالفهما فِي هَذِهِ المَسَائِلِ وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ لَمْ يَشْتَغِلْ بِمَذَاهِبِهِمْ وَلاَ رَوَى أَقْوَالَهُمْ لاَ يَعْرِفُ هَذَا مِنْ مَذَاهِبِهِمْ فَضْلاً. عَمَّنْ سِوَاهُ وَعِنْدَ ذِكْرِنَا آحَادَ هَذِهِ الْمُعْجِزَاتِ نَزِيدُ الْكَلاَمَ فِيهَا بَيَاناً إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى.

الفصل الرابع : في إعجاز القرآن

اعْلَمْ وَفَّقَنَا الله وَإِيَّاكَ كِتَابَ الله الْعَزِيزَ مُنْطَوٍ عَلَى وُجُوهٍ مِنَ الإِعْجَازِ كَثِيرَةٍ وَتَحْصِيلُهَا مِنْ جِهَةِ ضَبْطِ أَنْوَاعِهَا فِي أَرْبَعَةِ وُجُوهٍ: أَوَّلُهَا حُسْنُ تَأْلِيفِهِ وَالتِئَامِ كَلِمِهِ وَفَصَاحَتُهُ وَوُجُوهُ إِيجَازِهِ. وَبَلاَغَتُهُ الْخَارِقَةُ عَادَةَ الْعَرَبِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَرْبَابَ هَذَا الشَّأْنِ وَفُرْسَانَ الْكَلاَمِ قَدْ خُصُّوا مِنَ الْبَلاَغَةِ، وَالْحِكَمِ مَا لَمْ يُخَصَّ بِهِ غَيْرُهُمْ مِنَ الأُمَمِ وَأُوتُوا مِنْ ذَرَابَةِ اللِّسَانِ مَا لَمْ يُؤْتَ إِنْسَانٌ وَمِنْ فَصْلِ الْخِطَابِ مَا يُقَيِّدُ الأَلْبَابَ جَعَلَ الله لَهُمْ ذَلِكَ طَبْعاً وَخِلْقَةً وَفِيهِمْ غَرِيزَةً وَقُوَّةً يَأْتُونَ مِنْهُ عَلَى الْبَدِيهَةِ بِالعَجَبِ وَيُدْلُونَ بِهِ إِلَى كُلِّ سَبَبٍ فَيَخْطُبُونَ بَدِيهاً فِي الْمُقَامَاتِ وَشَدِيدِ الْخَطْبِ، وَيَرْتَجِزُونَ بِهِ بَيْنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ وَيَمْدَحُونَ. وَيَقْدَحُونَ وَيَتَوَسَّلُونَ وَيَتَوَصَّلُونَ وَيَرْفَعُونَ وَيَضَعُونَ فَيَأْتُونَ مِنْ ذَلِكَ بِالسِّحْرِ الحَلاَلِ وَيُطَوِّقُونَ مِنْ أَوْصَافِهِمْ أَجْمَلَ مِنْ سِمْطِ الآل فَيَخْدَعُونَ الأَلْبَابَ وَيُذَلِّلُونَ الصِّعَابَ وَيُذْهِبُونَ الإِحَنَ وَيُهَيِّجُونَ الدِّمَنَ وَيُجَرِّئُونَ الْجَبَانَ وَيَبْسُطُونَ يَدَ الْجَعْدِ الْبَنَانِ وَيُصَيِّرُونَ النَّاقِصَ كَامِلاً وَيَتْرُكُونَ النَّبِيهَ خَامِلاً. مِنْهُمْ الْبَدَوِيُّ ذُو اللَّفْظِ الْجَزْلِ وَالْقَوْلِ الفَصْلِ. وَالْكَلاَمِ الْفَخْمِ وَالطَّبْعِ الجَزْلِ وَالقَوْلِ الفَصْلِ، وَالْكَلاَمِ الْفَخْمِ وَالطَّبْعِ الجَوْهَرِيِّ وَالْمَنْزَعِ القَوِيِّ وَمِنْهُمُ الحَضَرِيُّ: ذُو الْبَلاَغَةِ الْبَارِعَةِ وَالأَلْفَاظِ النَّاصِعَةِ وَالْكَلِمَاتِ الْجَامِعَةِ. وَالطَّبْعِ السَّهْلِ وَالتَّصَرُّفِ فِي الْقَوْلِ الْقَلِيلِ الْكُلْفَةِ الْكَثِيرِ الرَّوْنَقِ الرَّقِيقِ الْحَاشِيَةِ وَكِلاَ الْبَابَيْنِ فَلَهُمَا فِي الْبَلاَغَةِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ وَالْقُوَّةُ الدَّامِغَةُ. وَالْقِدْحُ الْفَالِجُ[1] وَالْمَهْيَعُ النَّاهِجُ لاَ يَشُكُّونَ أَنَّ الْكَلاَمَ طَوْعُ مُرَادِهِمْ. وَالْبَلاَغَةَ مِلْكُ قِيَادِهِمْ قَدْ حَوَوْا فُنُونَهَا وَاسْتَنْبَطُوا عُيُونَهَا وَدَخَلُوا مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهَا وَعَلَوْا صَرْحاً لِبُلُوغِ أَسْبَابِهَا فَقَالُوا فِي الْخَطِيرِ «وَالْمَهِينِ» وَتَفَنَّنُوا فِي الْغَثِّ وَالسَّمِينِ وَتَقَاوَلُوا فِي الْقُلِّ وَالْكُثْرِ وَتَسَاجَلُوا فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ فَمَا رَاعَهُم إِلاَّ رَسُولٌ كَرِيمٌ بِكِتَابٍ عَزِيزٍ ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢] أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ وَفُصِّلَتْ كَلِمَاتُهُ وَبَهَرَتْ بَلاَغَتُهُ الْعُقُولَ وَظَهَرَتْ فَصَاحَتُهُ عَلَى كُلِّ مَقُولٍ وَتَظَافَرَ إِيجَازُهُ وَإِعْجَازُهُ وَتَظَاهَرَتْ حَقِيقَتُهُ وَمَجَازُهُ وَتَبَارَتْ فِي الْحُسْنِ مَطَالِعُهُ وَمَقَاطِعُهُ وَحَوَتْ كُلَّ الْبَيَانِ جَوَامِعُهُ وَبَدَائِعُهُ وَاعْتَدَلَ مَعَ إِيجَازِهِ حُسْنُ نَظْمِهِ وَانْطَبَقَ عَلَى كَثْرَةِ فَوَائِدِهِ مُخْتَارُ لَفْظِهِ وَهُمْ أَفْسَحُ مَا كَانُوا فِي هَذَا الْبَابِ مَجَالاً وَأَشْهَرُ فِي الْخِطَابَةِ رِجَالاً وَأَكْثَرُ فِي السَّجْعِ وَالشِّعْرِ سِجَالاً وَأَوْسَعُ فِي الْغَرِيبِ وَاللُّغَةِ مَقَالاً بِلُغَتِهِمْ الَّتِي بِهَا يَتَحَاوَرُونَ وَمَنَازِعِهِمْ الَّتِي عَنْهَا يَتَفَاضَلُونَ

---

(١) القدح: واحد الأقداح وهو قداح الميسر المعروف في الجاهلية. والفالج: الفائز يقال فلج أمره: فاز. . .

صارخاً بهم في كل حين ومقرّعاً لهم بضعاً وعشرين عاماً على رؤوس الملإ أجمعين ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس:٣٨] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة:٢٣] إلى قوله ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة:٢٤] ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء:٨٨] الآية ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [هود:١٣] وذلك أن المفترى أسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار أقرب واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللأول على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد فلم يزل يقرعهم ﷺ أشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وإياهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب والإغراء بالافتراء وقولهم: إن هذا إلا قول البشر؛ إن هذا إلا سحر يؤثر؛ وسحر مستمر وإفك افتراه، وأساطير الأولين.

والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف؛ و﴿فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥]. و﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦] والادعاء مع العجز بقولهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأنفال:٣١] وقد قال لهم الله ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عوارة لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم وإلا فلم يخف على أهل المنبر منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين وأتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة[1] من النبي ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل:٩٠] الآية قال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر؛ وذكر أبو عبيد أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر:٩٤] فسجد وقال سجدت لفصاحته؛ وسمع آخر رجلاً يقرأ ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف:٨٠] فقال أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوماً نائماً في المسجد فإذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فأعلمه أنه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وأنه سمع رجلاً من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فإذا قد جمع فيها ما أنزل الله على عيسى ابن مريم من أحوال الدنيا والآخرة وهي قوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ﴾ [النور:٥٢] الآية؛ وحكى الأصمعي أنه سمع

---

(١) الوليد بن المغيرة بن عبد الله المخزومي كبير قريش وزعيمها. وهو أب الصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه، توفي الوليد كافراً ولم يسلم...

كَلامَ جارِيَةٍ فَقالَ لَهَا: قَاتَلَكِ الله ما أَفْصَحكِ؟ فَقالَتْ أَو يُعَدُّ هَذا فَصاحَةً بَعْدَ قَوْلِ الله تَعالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص:٧] الآيَةَ فَجَمَعَ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ وَنَهْيَيْنِ وَخَبَرَيْنِ وَبِشَارَتَيْنِ فَهَذا نَوْعٌ مِنْ إِعْجَازِهِ مُنْفَرِدٌ بِذَاتِهِ غَيْرُ مُضَافٍ إِلَى غَيْرِهِ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالصَّحِيحِ مِنَ الْقَوْلَيْنِ وَكَوْنُ الْقُرْآنِ مِنْ قِبَلِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ أَتى بِهِ مَعْلُومٌ ضَرُورَةً وَكَوْنُهُ ﷺ مُتَحدِّياً بِهِ مَعْلُومٌ ضَرُورَةً وَعَجْزُ الْعَرَبِ عَنِ الإِتْيَانِ بِهِ مَعْلُومٌ ضَرُورَةً وَكَوْنُهُ فِي فَصَاحَتِهِ خَارِقاً لِلْعَادَةِ مَعْلُومٌ ضَرُورَةً لِلْعَالَمِينَ بِالْفَصَاحَةِ وَوُجُوهِ الْبَلاغَةِ وَسَبِيلُ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا عِلْمُ ذَلِكَ بِعَجْزِ الْمُنْكِرِينَ مِنْ أَهْلِهَا عَنْ مُعَارَضَتِهِ وَاعْتِرَافِ الْمُقِرِّينَ بِإِعْجَازِ بَلاغَتِهِ وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة:١٧٩] وَقَوْلَهُ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ:٥١] وَقَوْلَهُ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤] وَقَوْلَهُ ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ [هود:٤٤] الآيَةَ. وَقَوْلَهُ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ [العنكبوت:٤٠] الآيَةَ وَأَشْبَاهَهَا مِنَ الآيِ بَلْ أَكْثَرَ الْقُرْآنِ حَقَّقْتَ مَا بَيَّنْتُهُ مِنْ إِيجَازِ أَلْفَاظِهَا وَكَثْرَةِ مَعَانِيهَا وَدِيبَاجَةِ عِبَارَتِهَا وَحُسْنِ تَأْلِيفِ حُرُوفِهَا وَتَلاؤُمِ كَلِمِهَا. وَأَنَّ تَحْتَ كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْهَا جُمَلاً كَثِيرَةً وَفُصُولاً جَمَّةً وَعُلُوماً زَوَاخِرَ مُلِئَتِ الدَّوَاوِينُ مِنْ بَعْضِ مَا اسْتُفِيدَ مِنْهَا وَكَثُرَتِ الْمَقَالاتُ فِي الْمُسْتَنْبَطَاتِ عَنْهَا ثُمَّ هُوَ فِي سَرْدِ الْقَصَصِ الطِّوَالِ وَأَخْبَارِ الْقُرُونِ السَّوَالِفِ الَّتِي يَضْعُفُ فِي عَادَةِ الْفُصَحَاءِ عِنْدَهَا الْكَلامُ وَيَذْهَبُ مَاءُ الْبَيَانِ آيَةٌ لِمُتَأَمِّلِهِ مِنْ رَبْطِ الْكَلامِ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ وَالْتِئَامِ سَرْدِهِ وَتَنَاصُفِ وُجُوهِهِ كَقِصَّةِ يُوسُفَ عَلَى طُولِهَا ثُمَّ إِذَا تَرَدَّدَتْ قِصَصُهُ اخْتَلَفَتِ الْعِبَارَاتُ عَنْهَا عَلَى كَثْرَةِ تَرَدُّدِهَا حَتَّى تَكَادَ كُلُّ وَاحِدَةٍ تُنْسِي فِي الْبَيَانِ صَاحِبَتَهَا وَتُنَاصِفُ فِي الْحُسْنِ وَجْهَ مُقَابَلَتِهَا وَلاَ نُفُورَ لِلنُّفُوسِ مِنْ تَرْدِيدِهَا وَلاَ مُعَادَاةَ لِمُعَادِهَا.

الفصل الخامس: إعجاز النظم والأسلوب

الْوَجْهُ الثَّانِي مِنْ إِعْجَازِهِ صُورَةُ نَظْمِهِ الْعَجِيبِ، وَالأُسْلُوبُ الْغَرِيبُ الْمُخَالِفُ لِأَسَالِيبِ كَلامِ الْعَرَبِ وَمَنَاهِجِ نَظْمِهَا وَنَثْرِهَا الَّذِي جَاءَ عَلَيْهِ وَوَقَفَتْ مَقَاطِعُ آيِهِ وَانْتَهَتْ فَوَاصِلُ كَلِمَاتِهِ إِلَيْهِ وَلَمْ يُوجَدْ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ نَظِيرٌ لَهُ وَلاَ اسْتَطَاعَ أَحَدٌ مُمَاثَلَةَ شَيْءٍ مِنْهُ بَلْ حَارَتْ فِيهِ عُقُولُهُمْ وَتَدَلَّهَتْ دُونَهُ أَحْلامُهُمْ يَهْتَدُوا إِلَى مِثْلِهِ فِي جِنْسِ كَلامِهِمْ مِنْ نَثْرٍ أَوْ نَظْمٍ أَوْ سَجْعٍ أَوْ رَجَزٍ أَوْ شِعْرٍ وَلَمَّا سَمِعَ كَلامَهُ ﷺ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ[١] وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ رَقَّ فَجَاءَهُ أَبُو جَهْلٍ[٢] مُنْكِراً

(١) الوليد بن المغيرة بن عبد الله المخزومي رئيس قريش وأحد زعمائها، وهو أب خالد بن الوليد رضي الله عنه، مات المغيرة كافراً.

(٢) أبو جهل عدو الله من أشد الناس عداوة للرسول والمسلمين ومن أكبر المؤذين لرسول الله ﷺ، قتل في غزوة بدر الكبرى على يد معوذ وأخيه وهما ابنا عفراء الأنصاريين.

عَلَيْهِ قَالَ وَالله مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ أَعْلَمُ بِالأَشْعَارِ مِنِّي وَالله مَا يُشْبِهُ الذِي يَقُولُ شَيْئاً مِنْ هَذَا: وَفِي خَبَرِهِ الآخِرِ حِينَ جَمَعَ قُرَيْشاً عِنْدَ حُضُورِ الْمَوْسِمِ وَقَالَ: إِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ تَرِدُ فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْياً لاَ يُكَذِّبُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَقَالُوا: نَقُولُ كَاهِنٌ قَالَ وَالله مَا هُوَ بِكَاهِنٍ مَا هُوَ بِزَمْزَمَتِهِ وَلاَ سَجْعِهِ قَالُوا: مَجْنُونٌ، قَالَ مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ وَلاَ بِخَنْقِهِ وَلاَ وَسْوَسَتِهِ، قَالُوا: فَنَقُول شَاعِرٌ، قَالَ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ قَدْ عَرَفْنَا الشِّعْرَ كُلَّهُ رَجَزَهُ وَهَزَجَهُ وَقَرِيضَهُ وَمَبْسُوطَهُ وَمَقْبُوضَهُ، مَا هُوَ بِشَاعِرٍ قَالُوا: فَنَقُولُ سَاحِرٌ، قَالَ مَا هُوَ بِسَاحِرٍ وَلاَ نَفْثِهِ وَلاَ عَقْدِهِ قَالُوا: فَمَا تَقُولُ قَالَ مَا أَنْتُمْ بِقَائِلِينَ مِنْ هَذَا شَيْئاً إِلاَّ وَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّهُ بَاطِلٌ وَإِنَّ أَقْرَبَ الْقَوْلِ أَنَّهُ سَاحِرٌ فَإِنَّهُ سِحْرٌ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَابْنِهِ وَالْمَرْءِ وَأَخِيهِ وَالْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَالْمَرْءِ وَعَشِيرَتِهِ فَتَفَرَّقُوا وَجَلَسُوا عَلَى السُّبُلِ يُحَذِّرُونَ النَّاسَ [1]، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى فِي الْوَلِيدِ ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١] الآيَاتِ، وَقَالَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ حِينَ سَمِعَ الْقُرْآنَ: يَا قَوْمِ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي لَمْ أَتْرُكْ شَيْئاً إِلاَّ وَقَدْ عَلِمْتُهُ وَقَرَأْتُهُ وَقُلْتُهُ، وَالله لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلاً، وَالله مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ مَا هُوَ بِالشِّعْرِ وَلاَ بِالسِّحْرِ وَلاَ بِالْكَهَانَةِ؛ وَقَالَ النَّضْرُ [2] بْنُ الْحَارِثِ نَحْوَهُ وَفِي حَدِيثِ إِسْلاَمِ أَبِي ذَرٍّ وَوَصَفَ [3] أَخَاهُ [4] أُنَيساً فَقَالَ: وَالله [5] مَا سَمِعْتُ بِأَشْعَرَ مِنْ أَخِي أُنَيْسٍ لَقَدْ نَاقَضَ اثْنَي عَشَرَ شَاعِراً فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنَا أَحَدُهُمْ وَأَنَّهُ انْطَلَقَ إِلَى مَكَّةَ وَجَاءَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ بِخَبَرِ النَّبِيِّ ﷺ قُلْتُ فَمَا يَقُولُ النَّاسُ؟ قَالَ يَقُولُونَ شَاعِرٌ كَاهِنٌ سَاحِرٌ لَقَدْ سَمِتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ وَلَقَدْ وَضَعْتُهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشِّعْرِ فَلَمْ يَلْتَئِمْ وَمَا يَلْتَئِمُ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي أَنَّهُ شِعْرٌ وَإِنَّهُ لَصَادِقٌ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ؛ وَالأَخْبَارُ فِي هَذَا صَحِيحَةٌ كَثِيرَةٌ وَالإِعْجَازُ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ النَّوْعَيْنِ: الإِيجَازُ وَالْبَلاَغَةُ بِذَاتِهَا، وَالأُسْلُوبُ الْغَرِيبُ بِذَاتِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نَوْعُ إِعْجَازٍ عَلَى التَّحْقِيقِ لَمْ تَقْدِرِ الْعَرَبُ عَلَى الإِتْيَانِ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذْ كُلُّ وَاحِدٍ خَارِجٌ عَنْ قُدْرَتِهَا مُبَايِنٌ لِفَصَاحَتِهَا وَكَلاَمِهَا؛ وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُحَقِّقِينَ وَذَهَبَ بَعْضُ الْمُقْتَدَى بِهِمْ إِلَى أَنَّ الإِعْجَازَ فِي مَجْمُوعِ الْبَلاَغَةِ، وَالأُسْلُوبِ وَأَتَى عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلٍ تَمُجُّهُ الأَسْمَاعُ وَتَنْفِرُ مِنْهُ الْقُلُوبُ. وَالصَّحِيحُ مَا قَدَّمْنَاهُ، وَالْعِلْمُ بِهَذَا كُلِّهِ ضَرُورَةً وَقَطْعاً وَمَنْ تَفَنَّنَ فِي عُلُومِ الْبَلاَغَةِ وَأَرْهَفَ خَاطِرَهُ وَلِسَانَهُ أَدَبُ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مَا قُلْنَا وَقَدِ اخْتَلَفَ أَئِمَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي وَجْهِ عَجْزِهِمْ عَنْهُ فَأَكْثَرُهُمْ يَقُولُ إِنَّهُ مِمَّا جُمِعَ فِي قُوَّةِ جَزَالَتِهِ وَنَصَاعَةِ أَلْفَاظِهِ وَحُسْنِ نَظْمِهِ

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة من رواية ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) أخوه هو أنيس بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار الغفاري وهو أخو أبي ذر وكان أكبر منه كما كان من الشعراء.

(٥) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح.

وَإِيجَازِهِ وَبَدِيعِ تَأْلِيفِهِ وَأُسْلُوبِهِ لاَ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ فِي مَقْدُورِ الْبَشَرِ وَأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْخَوَارِقِ الْمُمْتَنِعَةِ عَنْ أَقْدَارِ الْخَلْقِ عَلَيْهَا كَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَقَلْبِ الْعَصَا وَتَسْبِيحِ الْحَصَا وَذَهَبَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ(١) إِلَى أَنَّهُ مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ يَدْخُلَ مِثْلُهُ تَحْتَ مَقْدُورِ الْبَشَرِ، وَيُقْدِرُهُمُ اللهُ عَلَيْهِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ هَذَا وَلاَ يَكُونُ فَمَنَعَهُمُ اللهُ هَذَا وَعَجَّزَهُمْ عَنْهُ، وَقَالَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَعَلَى الطَّرِيقَيْنِ فَعَجْزُ الْعَرَبِ عَنْهُ ثَابِتٌ وَإِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِمَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ فِي مَقْدُورِ الْبَشَرِ، وَتُحَدِّيهِمْ بِأَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ قَاطِعٌ وَهُوَ أَبْلَغُ فِي التَّعْجِيزِ وَأَحْرَى بِالتَّقْرِيعِ وَالاحْتِجَاجِ بِمَجِيءِ بَشَرٍ مِثْلِهِمْ بِشَيْءٍ لَيْسَ مِنْ قُدْرَةِ الْبَشَرِ لاَزِمٌ وَهُوَ أَبْهَرُ آيَةٍ وَأَقْمَعُ دَلاَلَةٍ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَمَا أَتَوْا فِي ذَلِكَ بِمَقَالٍ بَلْ صَبَرُوا عَلَى الْجَلاَءِ وَالْقَتْلِ وَتَجَرَّعُوا كَاسَاتِ الصَّغَارِ وَالذُّلِّ وَكَانُوا مِنْ شُمُوخِ الأَنْفِ وَإِبَاءَةِ الضَّيْمِ بِحَيْثُ لاَ يُؤْثِرُونَ ذَلِكَ اخْتِيَاراً وَلاَ يَرْضَوْنَهُ إِلاَّ اضْطِرَاراً وَإِلاَّ فَالْمُعَارَضَةُ لَوْ كَانَتْ مِنْ قُدَرِهِمْ وَالشُّغْلُ بِهَا أَهْوَنُ عَلَيْهِمْ وَأَسْرَعُ بِالنُّجْحِ وَقَطْعِ الْعُذْرِ وَإِفْحَامِ الْخَصْمِ لَدَيْهِمْ وَهُمْ مِمَّنْ لَهُمْ قُدْرَةٌ عَلَى الْكَلاَمِ وَقُدْوَةٌ فِي الْمَعْرِفَةِ بِهِ لِجَمِيعِ الأَنَامِ وَمَا مِنْهُمْ إِلاَّ مَنْ جَهَدَ جَهْدَهُ وَاسْتَنْفَذَ مَا عِنْدَهُ فِي إِخْفَاءِ ظُهُورِهِ وَإِطْفَاءِ نُورِهِ فَمَا جَلَوْا فِي ذَلِكَ خَبِيئَةً مِنْ بَنَاتِ شِفَاهِهِمْ وَلاَ أَتَوْا بِنُطْفَةٍ مِنْ مَعِينِ مِيَاهِهِمْ مع طُولِ الأَمَدِ وَكَثْرَةِ الْعَدَدِ وَتَظَاهُرِ الْوَالِدِ وَمَا وَلَدَ بَلْ أَبْلَسُوا فَمَا نَبَسُوا وَمُنِعُوا فَانْقَطَعُوا فَهَذَانِ النَّوْعَانِ مِنْ إِعْجَازِهِ.

الفصل السادس: الأخبار عن الغيب

الْوَجْهُ الثَّالِثُ مِنَ الإِعْجَازِ مَا انْطَوَى عَلَيْهِ مِنَ الأَخْبَارِ بِالْمُغَيَّبَاتِ وَمَا لَمْ يَكُنْ وَلَمْ يَقَعْ فَوُجِدَ كَمَا وَرَدَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَخْبَرَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ٣] وَقَوْلِهِ: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الفتح: ٣٣] وَقَوْلِهِ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥] الآيَةَ وَقَوْلِهِ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] إِلَى آخِرِهَا فَكَانَ جَمِيعُ هَذَا كَمَا قَالَ فَغَلَبَتِ الرُّومُ فَارِسَ فِي بِضْعِ سِنِينَ؛ وَدَخَلَ النَّاسُ فِي الإِسْلاَمِ أَفْوَاجاً فَمَا مَاتَ ﷺ وَفِي بِلاَدِ الْعَرَبِ كُلِّهَا مَوْضِعٌ لَمْ يَدْخُلْهُ الإِسْلاَمُ وَاسْتَخْلَفَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الأَرْضِ وَمَكَّنَ فِيهَا دِينَهُمْ وَمَلَّكَهُمْ إِيَّاهَا مِنْ أَقْصَى الْمَشَارِقِ إِلَى أَقْصَى الْمَغَارِبِ كَمَا قَالَ ﷺ: زُوِيَتْ لِي الأَرْضُ فَأُرِيتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] فَكَانَ كَذَلِكَ لاَ يَكَادُ يُعَدُّ مَنْ سَعَى فِي تَغْيِيرِهِ وَتَبْدِيلِ مُحْكَمِهِ مِنَ الْمُلْحِدَةِ وَالْمُعَطِّلَةِ لاَ سِيَّمَا الْقَرَامِطَةُ فَأَجْمَعُوا كَيْدَهُمْ وَحَوْلَهُمْ وَقُوَّتَهُمُ الْيَوْمَ نَيِّفاً عَلَى خَمْسِمِائَةِ عَامٍ فَمَا قَدَرُوا عَلَى إِطْفَاءِ شَيْءٍ مِنْ نُورِهِ وَلاَ تَغْيِيرِ كَلِمَةٍ مِنْ كَلاَمِهِ وَلاَ تَشْكِيكِ الْمُسْلِمِينَ فِي حَرْفٍ مِنْ

(١) تقدمت ترجمته.

حُرُوفِهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ١١] وَقَوْلُهُ: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: ١٤] الآيَةَ وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [التوبة: ٣٣] الآيَةَ وَقَوْلُهُ: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ [آل عمران: ١١١] الآيَةَ فَكَانَ كُلُّ ذَلِكَ وَمَا فِيهِ مِنْ كَشْفِ أَسْرَارِ الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودِ وَمَقَالِهِمْ وَكَذِبِهِمْ فِي حَلِفِهِمْ وَتَقْرِيعِهِمْ بِذَلِكَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة: ٨] وَقَوْلُهُ: ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ [آل عمران: ١٥٤] الآيَةَ وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ﴾ [المائدة: ٤١] الآيَةَ، وَقَوْلُهُ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن - إلى قوله - فِى ٱلدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦] وَقَدْ قَالَ مُبْدِياً مَا قَدَّرَهُ اللهُ وَاعْتَقَدَهُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ بَدْرٍ ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧] وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥] وَلَمَّا نَزَلَتْ بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ أَصْحَابَهُ بِأَنَّ اللهَ كَفَاهُ إِيَّاهُمْ وَكَانَ الْمُسْتَهْزِئُونَ نَفَراً بِمَكَّةَ يُنَفِّرُونَ النَّاسَ عَنْهُ وَيُؤْذُونَهُ فَهَلَكُوا، وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] فَكَانَ كَذَلِكَ عَلَى كَثْرَةِ مَنْ رَامَ ضُرَّهُ وَقَصَدَ قَتْلَهُ وَالأَخْبَارُ بِذَلِكَ مَعْرُوفَةٌ صَحِيحَةٌ.

الفصل السابع: الأخبار عن القرون السالفة

الْوَجْهُ الرَّابِعُ مَا أَنْبَأَ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ وَالأُمَمِ الْبَائِدَةِ وَالشَّرَائِعِ الدَّاثِرَةِ مِمَّا كَانَ لاَ يَعْلَمُ مِنْهُ الْقِصَّةَ الْوَاحِدَةَ إِلاَّ الْفَذُّ مِنْ أَحْبَارِ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِي قَطَعَ عُمْرَهُ فِي تَعَلُّمِ ذَلِكَ فَيُورِدُهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى وَجْهِهِ وَيَأْتِي بِهِ عَلَى نَصِّهِ فَيَعْتَرِفُ الْعَالِمُ بِذَلِكَ بِصِحَّتِهِ وَصِدْقِهِ وَأَنَّ مِثْلَهُ لَمْ يَنَلْهُ بِتَعْلِيمٍ وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ ﷺ أُمِّيٌّ لاَ يَقْرَأُ وَلاَ يَكْتُبُ وَلاَ اشْتَغَلَ بِمُدَارَسَةٍ وَلاَ مُثَافَنَةٍ وَلَمْ يَغِبْ عَنْهُمْ وَلاَ جَهِلَ حَالَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ كَثِيراً مَا يَسْأَلُونَهُ ﷺ عَنْ هَذَا فَيَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ مَا يَتْلُو عَلَيْهِمْ مِنْهُ ذِكْراً كَقِصَصِ الأَنْبِيَاءِ مَعَ قَوْمِهِمْ وَخَبَرَ مُوسَى، وَالْخَضِرِ[1] وَيُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ وَذِي[2] الْقَرْنَيْنِ

---

(١) الخضر يقال هو بليا بن ملكان اختلف المحدثون في نبوته ورسالته وحياته وولادته، إلا أن الأغلب ذهب إلى أنه ولي من أولياء الله، وذهب بعضهم إلى أنه لا زال حياً، إلا أن هذا القول يعوزه الدليل القطعي وقال الإمام البخاري أنه سمي الخضر لأنه جلس على فروة فإذا هي تهتز من خلفه خضراء. والفروة: هي الأرض اليابسة أو الحشيش اليابس.

(٢) ذو القرنين هو إسكندر ذكرت قصته في سورة الكهف: ويسألونك عن ذي القرنين: ١٨/ ٨٢.

لقمان بن عنقاء اختلف فيه قيل: إنه ابن أخت داود عليه السلام وعنه أخذ الحكمة وقيل إنه نبي وقيل إنه ولي، وقال الأكثرون إنه ولي وليس بنبي واعتمد على حديث روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: لم يكن لقمان نبياً ولكن كان عبداً كثير التفكير حسن اليقين أحب الله تعالى فأحبه فمن عليه بالحكمة. الحديث. وقيل في حقه إنه عاش ألف سنة وبذلك يكون عاش أكثر من نوح عليه السلام.

وَلُقْمَانَ وَٱبْنِهِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ مِنَ الْأَنْبَاءِ وَبَدْءِ الْخَلْقِ وَمَا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَصُحفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى مِمَّا صَدَّقَهُ فِيهِ الْعُلَمَاءُ بِهَا وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى تَكْذِيبِ مَا ذُكِرَ مِنْهَا بَلْ أَذْعَنُوا لِذَلِكَ فَمِنْ مُوَفَّقٍ آمَنَ بِمَا سَبَقَ لَهُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ شَقِيٍّ مُعَانِدٍ حَاسِدٍ وَمَعَ هَذَا لَمْ يُحْكَ عَنْ وَاحِدٍ مِنَ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ عَلَى شِدَّةِ عَدَاوَتِهِمْ لَهُ وَحِرْصِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِ وَطُولِ ٱحْتِجَاجِهِ عَلَيْهِمْ بِمَا فِي كُتُبِهِمْ وَتَقْرِيعِهِمْ بِمَا ٱنْطَوَتْ عَلَيْهِ مَصَاحِفُهُمْ وَكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ لَهُ ﷺ وَتَعْنِيتِهِمْ إِيَّاهُ عَنْ أَخْبَارِ أَنْبِيَائِهِمْ وَأَسْرَارِ عُلُومِهِمْ وَمُسْتَوْدَعَاتِ سِيَرِهِمْ وَإِعْلَامِهِ لَهُمْ بِمَكْتُومِ شَرَائِعِهِمْ وَمُصَنَّفَاتِ كُتُبِهِمْ مِثْلَ سُؤَالِهِمْ عَنِ الرُّوحِ وَذِي الْقَرْنَيْنِ وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ وَعِيسَى وَحُكْمِ الرَّجْمِ وَمَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَنْعَامِ وَمِنْ طَيِّبَاتٍ كَانَتْ أُحِلَّتْ لَهُمْ فَحُرِّمَتْ عَلَيْهِمْ بِبَغْيِهِمْ، وَقَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ [الفتح: ٢٩] وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ الَّتِي نَزَلَ فِيهَا الْقُرْآنُ فَأَجَابَهُمْ وَعَرَّفَهُمْ بِمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أَنْكَرَ ذَلِكَ أَوْ كَذَّبَهُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ صَرَّحَ بِصِحَّةِ نُبُوَّتِهِ وَصِدْقِ مَقَالَتِهِ وَٱعْتَرَفَ بِعِنَادِهِ وَحَسَدِهِ إِيَّاهُ كَأَهْلِ نَجْرَانَ (١) وَٱبْنِ صُورِيَا (٢) وَٱبْنَيْ (٣) أَخْطَبَ وَغَيْرِهِمْ وَمَنْ بَاهَتَ فِي ذَلِكَ بَعْضَ الْمُبَاهَتَةِ وَٱدَّعَى أَنَّ فِيمَا عِنْدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ لِمَا حَكَاهُ مُخَالَفَةً دُعِيَ إِلَى إِقَامَةِ حُجَّتِهِ وَكَشْفِ دَعْوَتِهِ فَقِيلَ لَهُ ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٩٣ ـ ٩٤] فَقَرَّعَ وَوَبَّخَ وَدَعَا إِلَى إِحْضَارِ مُمْكِنٍ غَيْرِ مُمْتَنِعٍ فَمِنْ مُعْتَرِفٍ بِمَا جَحَدَهُ وَمُتَوَاقِحٍ يُلْقَى عَلَى فَضِيحَتِهِ مِنْ كِتَابِهِ يَدَهُ وَلَمْ يُؤْثَرْ أَنَّ وَاحِداً مِنْهُمْ أَظْهَرَ خِلَافَ قَوْلِهِ مِنْ كُتُبِهِ وَلَا أَبْدَى صَحِيحاً وَلَا سَقِيماً مِنْ صُحُفِهِ قَالَ الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥] الْآيَتَيْنِ.

الفصل الثامن: التحدي والتعجيز

هَذِهِ الْوُجُوهُ الْأَرْبَعَةُ مِنْ إِعْجَازِهِ بَيِّنَةٌ لَا نِزَاعَ فِيهَا وَلَا مِرْيَةَ وَمِنَ الْوُجُوهِ الْبَيِّنَةِ فِي إِعْجَازِهِ

---

(١) أهل نجران طائفة من النصارى أتوا النبي ﷺ وَحَاجُوهُ في عيسى عليه السلام فدعاهم إلى المباهلة فامتنعوا خوفاً...

(٢) وابن صوريا هو عبد الله بن صوريا الأعور أحد أحبار اليهود الذين كانوا بالمدينة وهو الذي أخفى آية الرجم بيده، واختلف في إسلامه ولكن الأكثر إنه مات كافراً، ولقب بالأعور لأن عبد الله بن سلام قال له حين وضع يده على آية الرجم يخفيها.. ارفع يدك يا أعور، والقصة أخرجها الإمام البخاري في الصحيح.

(٣) ابنا أخطب هما حيي وأبو ياسر ـ وحيي هو والد صفية أم المؤمنين رضي الله عنها وكانت تقول: كان عمي أبو ياسر أحسن رأياً من أبي، كان يقول ألست تجده في كتبنا فيقول: نعم هو هو فيقول له فما في نفسك منه..؟.

مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْوُجُوهِ أَيْ وَرَدَتْ بِتَعْجِيزِ قَوْمٍ فِي قَضَايَا وَإِعْلاَمِهِمْ أَنَّهُمْ لاَ يَفْعَلُونَهَا فَمَا فَعَلُوا وَلاَ قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ كَقَوْلِهِ لِلْيَهُودِ ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً﴾ [البقرة: ٩٤] الآيَةَ قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ فِي هَذِهِ الآيَةِ أَعْظَمُ حُجَّةٍ وَأَظْهَرُ دَلاَلَةٍ عَلَى صِحَّةِ الرِّسَالَةِ لِأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ ﴿فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ﴾ [الجمعة: ٦] وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُمْ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً فَلَمْ يَتَمَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ «وَالذِي[1] نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَقُولُهَا رَجُلٌ مِنْهُمْ إِلاَّ غُصَّ بِرِيقِهِ»، يَعْنِي يَمُوتُ مَكَانَهُ فَصَرَفَهُمُ اللهُ عَنْ تَمَنِّيهِ وَجَزَّعَهُمْ لِيُظْهِرَ صِدْقَ رَسُولِهِ وَصِحَّةَ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ إِذْ لَمْ يَتَمَنَّهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَكَانُوا عَلَى تَكْذِيبِهِ أَحْرَصَ لَوْ قَدَرُوا وَلَكِنِ اللهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ فَظَهَرَتْ بِذَلِكَ مُعْجِزَتُهُ وَبَانَتْ حُجَّتُهُ؛ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الأَصِيلِيُّ[2] مِنْ أَعْجَبِ أَمْرِهِمْ أَنَّهُ لاَ يُوجَدُ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ وَاحِدٌ مِنْ يَوْمِ أَمَرَ اللهُ بِذَلِكَ نَبِيَّهُ يُقْدِمُ عَلَيْهِ وَلاَ يُجِيبُ إِلَيْهِ وَهَذَا مَوْجُودٌ مُشَاهَدٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَمْتَحِنَهُ مِنْهُمْ، وَكَذَلِكَ آيَةُ الْمُبَاهَلَةِ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى حَيْثُ وَفَدَ عَلَيْهِ أَسَاقِفَةُ نَجْرَانَ وَأَبَوا الإِسْلاَمَ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ آيَةَ الْمُبَاهَلَةِ[3] بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٦١] الآيَةَ فَامْتَنَعُوا مِنْهَا وَرَضُوا بِأَدَاءِ الْجِزْيَةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَاقِبَ عَظِيمَهُمْ قَالَ لَهُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَّهُ مَا لاَعَنَ قَوْماً نَبِيٌّ قَطُّ فَبَقِيَ كَبِيرُهُمْ وَلاَ صَغِيرُهُمْ وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٤] فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ لاَ يَفْعَلُونَ كَمَا كَانَ وَهَذِهِ الآيَةُ أَدْخَلُ فِي بَابِ الإِخْبَارِ عَنِ الْغَيْبِ وَلَكِنْ فِيهَا مِنَ التَّعْجِيزِ مَا فِي الَّتِي قَبْلَهَا.

الفصل التاسع: الروعة في السمع والهيبة في القلوب

وَمِنْهَا الرَّوْعَةُ الَّتِي تَلْحَقُ قُلُوبَ سَامِعِيهِ وَأَسْمَاعَهُمْ عِنْدَ سَمَاعِهِ وَالْهَيْبَةُ الَّتِي تَعْتَرِيهِمْ عِنْدَ تِلا[وَتِهِ] لِقُوَّةِ حَالِهِ وَإِنَافَةِ خَطَرِهِ وَهِيَ عَلَى الْمُكَذِّبِينَ بِهِ أَعْظَمُ حَتَّى كَانُوا يَسْتَثْقِلُونَ سَمَاعَهُ وَيَزِيدُ[هُ]ـم نُفُوراً كَمَا قَالَ تَعَالَى وَيَوَدُّونَ انْقِطَاعَهُ لِكَرَاهَتِهِمْ لَهُ وَلِهَذَا قَالَ ﷺ «إِنَّ الْقُرْآنَ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ عَلَى مَنْ كَرِهَهُ» وَهُوَ الْحَكَمُ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَلاَ تَزَالُ رَوْعَتُهُ بِهِ وَهَيْبَتُهُ إِيَّاهُ مَعَ تِلاَوَتِهِ

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما بهذا اللفظ، وأخرجه الإمام أحمد في المسند في مسند ابن عباس مرفوعاً.

(٢) أبو محمد الأصيلي هو: عبد الله بن إبراهيم الأموي كان من علماء الحديث والفقه من أهل أصيلة في المغرب رحل في طلب العلم والمعرفة، ثم عاد إلى الأندلس فتوفي بقرطبة سنة ٣٩٢ هـ.

(٣) المباهلة: الملاعنة. أي الدعاء باللعنة على الكاذب وحديثها أنهم لما قدموا عليه قالوا: له: يا محمد لم تعيب عيسى وتسميه عبداً؟ فقال: أجل عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم، قالوا: أرنا مثله يحيي الموت ويبرىء الأكمه، والأبرص... فقال لهم إن الله أمرني إن لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم. القصة في كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعلبي ص: ٣٨٣. وتفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب: ٢/ ٦٩٩ والسيرة الحلبية ٢/ ٣٢٤.

تُولِيهِ انْجِذاباً وَتَكْسِبُهُ هَشاشَةً لِمَيْلِ قَلْبِهِ إِلَيْهِ وَتَصْدِيقِهِ بِهِ قَالَ الله تَعَالَى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر:٢٣] وَقَالَ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحشر:٢١] الآيَةَ وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا شَيْءٌ خُصَّ بِهِ أَنَّهُ يَعْتَرِي مَنْ لاَ يَفْهَمُ مَعَانِيَهُ وَلاَ يَعْلَمُ تَفَاسِيرَهُ كَمَا رُوِيَ عَنْ نَصْرَانِيٍّ أَنَّهُ مَرَّ بِقَارِىءٍ فَوَقَفَ يَبْكِي فَقِيلَ لَهُ مِمَّ بَكَيْتَ قَالَ لِلشَّجَا وَالنَّظْمِ وَهَذِهِ الرَّوْعَةُ قَدِ اعْتَرَتْ جَمَاعَةً قَبْلَ الإِسْلاَمِ وَبَعْدَهُ فَمِنْهُمْ مَنْ أَسْلَمَ لَهَا لأَوَّلِ وَهْلَةٍ وَآمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ، فَحُكِيَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ جُبَيْرِ[١] بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ إِلى قوله: ﴿الْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٧] كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ لِلإِسْلاَمِ: وَفِي رِوَايَةٍ وَذَلِكَ أَوَّلُ مَا وَقَرَ الإِسْلاَمُ فِي قَلْبِي. وَعَنْ عُتْبَةَ بْنِ[٢] رَبِيعَةَ: أَنَّهُ كَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ[٣] فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ خِلاَفِ قَوْمِه فَتَلاَ عَلَيْهِمْ ﴿حم﴾ [فصلت:١] إلى قَوْلِهِ ﴿صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت:١٣] فَأَمْسَكَ عُتْبَةُ[٢] بِيَدِهِ[٤] عَلَى فِي النَّبِيِّ ﷺ وَنَاشَدَهُ الرَّحِمَ أَنْ يَكُفَّ وَفِي رِوَايَةٍ فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ وَعُتْبَةُ مُصْغٍ مُلْقٍ يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدٌ عَلَيْهِمَا حَتَّى انْتَهَى إِلَى السَّجْدَةِ فَسجد النَّبِيُّ ﷺ: وَقَامَ عُتْبَةُ لاَ يَدْرِي بِمَ يُرَاجِعُهُ وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى قَوْمِهِ حَتَّى أَتَوْهُ فَاعْتَذَرَ لَهُمْ وَقَالَ وَالله لَقَدْ كَلَّمَنِي بِكَلاَمٍ وَالله مَا سَمِعْتُ أذناي بِمِثْلِهِ قَطُّ فَمَا دَرَيْتُ مَا أَقُولُ لَهُ، وَقَدْ حُكِيَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِمَّنْ رَامَ مُعَارَضَتَهُ أَنَّهُ اعْتَرَتْهُ رَوْعَةٌ وَهَيْبَةٌ كَفَّ بِهَا عَنْ ذَلِكَ فَحُكِيَ أَنَّ ابْنَ الْمُقَفَّعِ طَلَبَ ذَلِكَ وَرَامَهُ وَشَرَعَ فِيهِ فَمَرَّ بِصَبِيٍّ يَقْرَأُ ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ [هود:٤٤] فَرَجَعَ فَمَحَا مَا عَمِلَ وَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا لاَ يُعَارَضُ وَمَا هُوَ مِنْ كَلاَمِ الْبَشَرِ وَكَانَ مِنْ أَفصح أَهْلِ وَقْتِهِ وَكَانَ يَحْيَى بْنُ[٥] حكم الْغَزَالُ بَلِيغَ الأَنْدَلُسِ فِي زَمَنِهِ فَحُكِيَ أَنَّهُ رَامَ شَيْئاً مِنْ هَذَا فَنَظَرَ فِي سُورَةِ الإِخْلاَصِ لِيَحْذُو عَلَى مِثَالِهَا وَيَنْسُجَ بِزَعْمِهِ عَلَى مِنْوَالِهَا قَالَ فَاعْتَرَتْنِي مِنْهُ خَشْيَةٌ وَرِقَّةٌ حَمَلَتْنِي عَلَى التَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ.

الفصل العاشر: البقاء الدائم

وَمِنْ وُجُوهِ إِعْجَازِهِ الْمَعْدُودَةِ كَوْنُهُ آيَةً بَاقِيَةً لاَ تُعْدَمُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا مَعَ تَكَفُّلِ الله تَعَالَى

---

(١) أخرجه الديلمي عن الحكم بن عمير مرفوعاً.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف والد هند أم معاوية رضي الله عنهما والذي قتل عتبة هو عبيدة بن الحارث في غزوة بدر كافراً سنة ٢ هـ.

(٤) أخرجه الإمام البغوي في تفسيره عن جابر بلفظ المصنف وأخرجه أبو يعلى بنحوه.

(٥) يحيى بن الحكم الجياني الملقب بالغزال شاعر مبدع من شعراء الأندلس امتاز بحدة الخاطر وبالرأي الصائب وحسن الجواب والشجاعة والإقدام توفي رحمه الله سنة ٢٥٠ هـ.

بِحِفْظِهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩] وَقَالَ ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت:٤٢] الآيَةَ وَسَائِرُ مُعْجِزَاتِ الأَنْبِيَاءِ انْقَضَتْ بِانْقِضَاءِ أَوْقَاتِهَا فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ خَبَرُهَا وَالْقُرْآنُ الْعَزِيزُ الْبَاهِرَةُ آيَاتُهُ الظَّاهِرَةُ مُعْجِزَاتُهُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ مُدَّةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ وَخَمْسٍ وَثَلاثِينَ سَنَةً لأَوَّلِ نُزُولِهِ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا حُجَّتُهُ قَاهِرَةٌ وَمُعَارَضَتُهُ مُمْتَنِعَةٌ وَالأَعْصَارُ كُلُّهَا طَافِحَةٌ بِأَهْلِ الْبَيَانِ وَحَمَلَةِ عِلْمِ اللِّسَانِ وَأَئِمَّةِ الْبَلاَغَةِ وَفُرْسَانِ الْكَلاَمِ وَجَهَابِذَةِ الْبَرَاعَةِ، وَالْمُلْحِدُ فِيهِمْ كَثِيرٌ وَالْمُعَادِي لِلشَّرْعِ عَتِيدٌ فَمَا مِنْهُمْ مَنْ أَتَى بِشَيْءٍ يُؤَثِّرُ فِي مُعَارَضَتِهِ وَلاَ أَلَّفَ كَلِمَتَيْنِ فِي مُنَاقَضَتِهِ وَلاَ قَدَرَ فِيهِ عَلَى مَطْعَنٍ صَحِيحٍ وَلاَ قَدَحَ الْمُتَكَلِّفُ مِنْ ذِهْنِهِ فِي ذَلِكَ إِلاَّ بِزَنْدٍ شَحِيحٍ بَلِ الْمَأْثُورُ عَنْ كُلِّ مَنْ رَامَ ذَلِكَ إِلْقَاؤُهُ فِي الْعَجْزِ بِيَدَيْهِ وَالنُّكُوصُ عَلَى عَقِبَيْهِ.

الفصل الحادي عشر: وجوه أخرى للإعجاز

وَقَدْ عَدَّ جَمَاعَةٌ مِنَ الأَئِمَّةِ وَمُقَلِّدِي الأُمَّةِ فِي إِعْجَازِهِ وُجُوهاً كَثِيرَةً. مِنْهَا أَنَّ قَارِئَهُ لاَ يَمَلُّهُ وَسَامِعَهُ لاَ يَمُجُّهُ بَلِ الإِكْبَابُ عَلَى تِلاَوَتِهِ يَزِيدُهُ حَلاَوَةً وَتَرْدِيدُهُ يُوجِبُ لَهُ مَحَبَّةً لاَ يَزَالُ غَضّاً طَرِيّاً وَغَيْرُهُ مِنَ الْكَلاَمِ وَلَوْ بَلَغَ فِي الْحُسْنِ وَالْبَلاَغَةِ مَبْلَغَهُ يُمَلُّ مَعَ التَّرْدِيدِ وَيُعَادَى إِذَا أُعِيدَ وَكِتَابُنَا يُسْتَلَذُّ بِهِ فِي الْخَلَوَاتِ وَيُؤْنَسُ بِتِلاَوَتِهِ فِي الأَزْمَاتِ وَسِوَاهُ مِنَ الْكُتُبِ لاَ يُوجَدُ فِيهَا ذَلِكَ حَتَّى أَحْدَثَ أَصْحَابُهَا لَهَا لُحُوناً وَطُرُقاً يَسْتَجْلِبُونَ بِتِلْكَ اللُّحُونِ تَنْشِيطَهُمْ عَلَى قِرَاءَتِهَا وَلِهَذَا وَصَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ: لاَ يَخْلَقُ[1] عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلاَ تَنْقَضِي عِبَرُهُ وَلاَ تَفْنَى عَجَائِبُهُ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ لاَ يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلاَ تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ وَلاَ تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ حِينَ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا، ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن:١]، وَمِنْهَا جَمْعُهُ لِعُلُومٍ وَمَعَارِفَ لَمْ تَعْهَدِ الْعَرَبُ عَامَّةً وَلاَ مُحَمَّدٌ ﷺ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ خَاصَّةً بِمَعْرِفَتِهَا وَلاَ الْقِيَامِ بِهَا وَلاَ يُحِيطُ بِهَا أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الأُمَمِ وَلاَ يَشْتَمِلُ عَلَيْهَا كِتَابٌ مِنْ كُتُبِهِمْ فَجُمِعَ فِيهِ مِنْ بَيَانِ عِلْمِ الشَّرَائِعِ وَالتَّنْبِيهِ عَلَى طُرُقِ الْحُجَجِ الْعَقْلِيَّاتِ وَالرَّدِّ عَلَى فِرَقِ الأُمَمِ بِبَرَاهِينَ قَوِيَّةٍ وَأَدِلَّةٍ بَيِّنَةٍ سَهْلَةِ الأَلْفَاظِ مُوجَزَةِ الْمَقَاصِدِ رَامَ الْمُتَحَذْلِقُونَ بَعْدَ أَنْ يَنْصِبُوا أَدِلَّةً مِثْلَهَا فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ﴾ [يس:٨١] و﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس:٧٩] و﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢] إِلَى مَا حَوَاهُ مِنْ عُلُومِ السِّيَرِ، وَأَنْبَاءِ الأُمَمِ وَالْمَوَاعِظِ وَالْحِكَمِ وَأَخْبَارِ الدَّارِ الآخِرَةِ وَمَحَاسِنِ الآدَابِ وَالشِّيَمِ قَالَ اللهُ جَلَّ اسْمُهُ ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨] ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا

(١) أخرجه الإمام الترمذي في السنن من رواية الإمام علي كرم الله وجهه مرفوعاً مع نقص قوله: «هو الذي أرشده الجن».

لِكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل:٨٩] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الروم:٥٨] وقال ﷺ «إنَّ الله أَنْزَلَ هَذَا القُرْآنَ آمِراً وَزَاجِراً وَسُنَّةً خَالِيَةً وَمَثَلاً مَضْرُوباً فِيهِ نَبَؤُكُمْ وَخَبَرُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَنَبأُ مَا بَعْدَكُمْ وَحَكَمُ مَا بَيْنَكُمْ لاَ يُخْلِقُهُ طُولُ الرَّدِّ وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الْحَقُّ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ خَاصَمَ بِهِ فَلَجَ وَمَنْ قَسَمَ بِهِ أَقْسَطَ وَمَنْ عَمِلَ بهِ أُجِرَ وَمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِمٍ وَمَنْ طَلَبَ الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِهِ قَصَمَهُ اللهُ، هُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَالنُّورُ الْمُبِينُ وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَحَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ؛ عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَنَجَاةٌ لِمَنْ اتَّبَعَهُ، لاَ يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ وَلاَ يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ وَلاَ يُخْلِقُ عَلى كَثْرَةِ الرَّدِّ»[١]. وَنَحْوُهُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ[٢] وَقَالَ فِيهِ: «وَلاَ يَخْتَلِفُ وَلاَ يَتَشَانُّ، فِيهِ نَبَأُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ»[٣]. وَفِي الْحَدِيثِ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ: «إِنِّي مُنَزِّلٌ عَلَيْكَ تَوْرَاةً حَدِيثَةً تَفْتَحُ بِهَا أَعْيُناً عُمْياً وَآذَاناً صُمّاً وَقُلُوباً غُلْفاً فِيهَا يَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَفَهْمُ الْحِكْمَةِ وَرَبِيعُ الْقُلُوبِ»[٤] وَعَنْ كَعْبٍ[٥] «عَلَيْكُمْ بِالقُرْآنِ فَإِنَّهُ فَهْمُ الْعُقُولِ وَنُورُ الْحِكْمَةِ»[٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل:٧٦] وَقَالَ ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى﴾ [آل عمران:١٣٨] الآيَةَ، فَجُمِعَ فِيهِ مَعَ وَجَازَةِ أَلْفَاظِهِ وَجَوامِعِ كَلِمِهِ أَضْعَافُ مَا فِي الْكُتُبِ قَبْلَهُ التي أَلْفَاظُهَا عَلى الضِّعْفِ مِنْهُ مَرَّاتٍ.

وَمِنْهَا جَمْعُهُ فِيهِ بَيْنَ الدَّلِيلِ وَمَدْلُولِهِ وَذَلِكَ أَنَّهُ احْتَجَّ بِنَظْمِ الْقُرْآنِ وَحُسْنِ وَصْفِهِ وَإِيجَازِهِ وَبَلاَغَتِهِ وَأَثْنَاءَ هَذِهِ الْبَلاَغَةِ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ وَوَعْدُهُ وَوَعِيدُهُ فَالتَّالِي لَهُ يَفْهَمُ مَوْضِعَ الْحُجَّةِ وَالتَّكْلِيفِ مَعاً مِنْ كَلاَمٍ وَاحِدٍ وَسُورَةٍ مُنْفَرِدَةٍ.

وَمِنْهَا أَنْ جَعَلَهُ فِي حَيِّزِ الْمَنْظُومِ الذي لَمْ يَعْهَدْ وَلَمْ يَكُنْ فِي حَيِّزِ الْمَنْثُورِ لأَنَّ الْمَنْظُومَ

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في السنن عن الإمام علي رضي الله عنه مرفوعاً وهو جزء من الحديث السابق الذكر. وأخرجه البغدادي في موضع أوهام الجمع والتفريق: ١/ ٥١.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك برواية ابن مسعود مرفوعاً. وهو يشابه الحديث السابق قبله.

(٤) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن الكريم برواية كعب رضي الله عنه، كما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف برواية مغيث بن سمي مرفوعاً ولفظه: «أنزلت علي توراة محدثة فيها نور الحكمة وينابيع العلم ليفتح به أعيناً عمياً، وقلوباً غلفاً وآذاناً صماً».

(٥) كعب بن ماتع بن هينوع أدرك زمان الرسول ﷺ ولم يشاهده أسلم أيام الخليفة الأول أبي بكر رضي الله عنه وكان من صحابة عمر وعنه أكثر الرواية، كما روى عنه الصحابة رضي الله عنهم، سكن اليمن ثم سكن حمص بالشام بعد إسلامه وبها ظل حيث توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ٣٢ هـ.

(٦) أخرجه الألباني في السلسلة الضعيفة: ٢٠. والهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٤٤.

أَسْهَلُ عَلَى النُّفُوسِ وَأَوْعَى لِلْقُلُوبِ وَأَسْمَعُ فِي الآذَانِ وَأَحْلَى عَلَى الأَفْهَامِ فَالنَّاسُ إِلَيْهِ أَمْيَلُ وَالأَهْوَاءُ إِلَيْهِ أَسْرَعُ.

وَمِنْهَا تَيْسِيرُهُ تَعَالَى حِفْظَهُ لِمُتَعَلِّمِيهِ وَتَقْرِيبُهُ عَلَى مُتَحَفِّظِيهِ قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر:٢٢] وَسَائِرُ الأُمَمِ لاَ يَحْفَظُ كُتُبَهَا الْوَاحِدُ مِنْهُمْ فَكَيْفَ الْجَمَّاءُ عَلَى مُرُورِ السِّنِينَ عَلَيْهِمْ وَالْقُرآنُ مُيَسَّرٌ حِفْظُهُ لِلْغِلْمَانِ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ.

وَمِنْهَا مُشَاكَلَةُ بَعْضِ أَجْزَائِهِ بَعْضاً وَحُسْنُ ٱئْتِلاَفِ أَنْوَاعِهَا وَٱلْتِئَامِ أَقْسَامِهَا وَحُسْنُ التَّخَلُّصِ مِنْ قِصَّةٍ إِلَى أُخْرَى وَالْخُرُوجِ مِنْ بَابٍ إِلَى غَيْرِهِ عَلَى ٱخْتِلاَفِ مَعَانِيهِ وَٱنْقِسَامِ السُّورَةِ الْوَاحِدَةِ إِلَى أَمْرٍ وَنَهْيٍ وَخَبَرٍ وَٱسْتِخْبَارٍ وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ وَإِثْبَاتِ نُبُوَّةٍ وَتَوْحِيدٍ وَتَفْرِيدٍ وَتَرْغِيبٍ وَتَرْهِيبٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَوَائِدِهِ دُونَ خَلَلٍ يَتَخَلَّلُ فُصُولَهُ؛ وَالْكَلاَمُ الفَصِيحُ إِذَا اعْتَوَرَهُ مِثْلُ هَذَا ضَعُفَتْ قُوَّتُهُ وَلاَنَتْ جَزَالَتُهُ وَقَلَّ رَوْنَقُهُ وَتَقَلْقَلَتْ أَلْفَاظُهُ فَتَأَمَّلْ أَوَّلَ ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص:١] وَمَا جُمِعَ فِيهَا مِنْ أَخْبَارِ الْكُفَّارِ وَشِقَاقِهِمْ وَتَقْرِيعِهِمْ بِإِهْلاَكِ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ذُكِرَ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَتَعَجُّبِهِمْ مِمَّا أَتَى بِهِ وَالْخَبَرِ عَنِ ٱجْتِمَاعِ مَلَئِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ وَمَا ظَهَرَ مِنَ الْحَسَدِ فِي كَلاَمِهِمْ وَتَعْجِيزِهِمْ وَتَوْهِينِهِمْ وَوَعِيدِهِم بِخِزْيِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَتَكْذِيبِ الأُمَمِ قَبْلَهُمْ وَإِهْلاَكِ الله لَهُمْ وَوَعِيدِ هَؤُلاَءِ مِثْلَ مُصَابِهِمْ وَتَصْبِيرِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَذَاهُمْ وَتَسْلِيَتِهِ بِكُلِّ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ثُمَّ أَخَذَ فِي ذِكْرِ دَاوُدَ(١) وَقَصَصِ الأَنْبِيَاءِ، كُلُّ هَذَا فِي أَوْجَزِ كَلاَمٍ وَأَحْسَنِ نِظَامٍ وَمِنْهُ الْجُمْلَةُ الْكَثِيرَةُ الَّتِي ٱنْطَوَتْ عَلَيْهَا الْكَلِمَاتُ الْقَلِيلَةُ وَهَذَا كُلُّهُ وَكَثِيرٌ مِمَّا ذَكَرْنَا أَنَّهُ ذُكِرَ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ إِلَى وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ ذَكَرَهَا الأَئِمَّةُ لَمْ نَذْكُرْهَا إِذْ أَكْثَرُهَا دَاخِلٌ فِي بَابِ بَلاَغَتِهِ فَلاَ نُحِبُّ أَنْ يُعَدَّ فَنّاً مُنْفَرِداً فِي إِعْجَازِهِ إِلاَّ فِي بَابِ تَفْصِيلِ فُنُونِ الْبَلاَغَةِ وَكَذَلِكَ كَثِيرٌ مِمَّا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ عَنْهُمْ يُعَدُّ فِي خَوَاصِّهِ وَفَضَائِلِهِ لاَ فِي إِعْجَازِهِ؛ وَحَقِيقَةُ الإِعْجَازِ: الْوُجُوهُ الأَرْبَعَةُ الَّتِي ذَكَرْنَا فَلْيُعْتَمَدْ عَلَيْهَا وَمَا بَعْدَهَا مِنْ خَوَاصِّ الْقُرْآنِ وَعَجَائِبِهِ الَّتِي لاَ تَنْقَضِي وَالله وَلِيُّ التَّوْفِيقِ.

الفصل الثاني عشر: انشقاق القمر وحبس الشمس

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر:١ ـ ٢] أَخْبَرَ تَعَالَى بِوُقُوعِ ٱنْشِقَاقِهِ بِلَفْظِ الْمَاضِي وَإِعْرَاضِ الْكَفَرَةِ عَنْ آيَاتِهِ وَأَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ وَأَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى وُقُوعِهِ: [أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَافِظُ مِنْ كِتَابِهِ حَدَّثَنَا الْقَاضِي سِرَاجُ بْنُ عَبْدِ الله حَدَّثَنَا الأَصِيلِيُّ حَدَّثَنَا الْمَرْوَزِيُّ حَدَّثَنَا الْفِرَبْرِيُّ حَدَّثَنَا الْبُخَارِي حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ

---

(١) تقدمت ترجمته.

حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ شُعْبَةَ وَسُفْيَانَ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِي مُعْمَرٍ] عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: انْشَقَّ القَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةً فَوْقَ الْجَبَلِ وَفِرْقَةً دُونَهُ،(١) فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «اشْهَدُوا»(٢)، وَفِي رِوَايَةِ(٣) مُجَاهِدٍ وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَفِي بَعْضِ طُرُقِ الأَعْمَشِ(٤) بِمِنًى وَرَوَاهُ أَيْضاً عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ الأَسْوَدُ(٥)(٦): وَقَالَ: حَتَّى رَأَيْتُ الْجَبَلَ بَيْنَ فُرْجَتَي الْقَمَرِ وَرَوَاهُ عَنْهُ مَسْرُوقٌ(٧) أَنَّهُ كَانَ(٨) بِمَكَّةَ وَزَادَ فَقَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ سَحَرَكُمُ ابْنُ أَبِي(٩) كَبْشَةَ(١٠) فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ إِنَّ مُحَمَّداً إِنْ كَانَ سَحَرَ القَمَرَ فَإِنَّهُ لاَ يَبْلُغُ مِنْ سِحْرِهِ أَنْ يَسْحَرَ الأَرْضَ كُلَّهَا فَاسْأَلُوا مَنْ يَأْتِيكُمْ مِنْ بَلَدٍ آخَرَ هَلْ رَأَوْا هَذَا فَأَتَوْا فَسَأَلُوهُمْ فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ رَأَوْا مِثْلَ ذَلِكَ وَحَكَى السَّمَرْقَنْدِيُّ(١١) عَنِ الضَّحَّاكِ(١٢) نَحْوَهُ وَقَالَ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ(١٣) هَذَا سِحْرٌ

---

(١) متفق عليه. أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٦/٦٣١. كتاب المناقب (٦١) باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية. (٢٧) الحديث رقم: ٣٦٣٦، وفي: ٨/٦١٧ كتاب التفسير (٦٥) سورة ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]. باب ﴿وانشق القمر، وإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾ [القمر: ١ ـ ٢]. الحديث رقم: ٤٨٤٦. واللفظ له. والإمام مسلم في الصحيح: ٤/٢١٥٨ كتاب صفة القيامة. والجنة والنار. (٥٠) باب انشقاق القمر (٨) الحديث رقم ٤٣/٢٨٠٠، ٤٥/٢٨٠٠.

(٢) نفس الحديث في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) [. . . .] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٦/٦٣١ كتاب المناقب (٦١) باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية(٢٧) الحديث رقم: ٣٦٣٦ وفي ٨/٦١٧ كتاب التفسير (٦٥) سورة: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر: ١] باب وانشق القمر. . وهو الحديث السابق. ولفظه: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ: فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا. .

(٥) الأعمش هو سلميان بن مهران الأسدي بالولاء وكنيته أبو محمد تابعي مشهور ينتسب إلى الري كان عالماً بالقرآن وعلومه والحديث ورواته والفرائض وكان من أجلة العلماء الكبار في العلم والصلاح والورع، وقال عنه الشخاوي أنه: لم ير السلاطين والملوك والأغنياء في مجلس أحقر منهم في مجلس الأعمش مع شدة حاجته وفقره. ولد في الكوفة وبها توفي رحمه الله سنة ١٤٨ هـ ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي: ٣/٨٠٥ وشذرات الذهب: ٢/٢٨٨، والعبر: ٢/١٥٨. والنجوم الزاهرة: ٣/٢٤١.

(٦) ابن مسعود الأسود هو: الأسود بن يزيد بن قيس بن قيس بن عبد الله النخعي تابعي عرف بالرواية عن ابن مسعود حتى اشتهر فقهه وحفظه وزهده وعبادته المتواصلة وهو أحد علماء الكوفة الكبار في وقته توفي رحمه الله سنة ٧٥ هـ.

(٧) أخرجه الإمام أحمد في المسند. (٨) تقدمت ترجمته.

(٩) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة.

(١٠) أبو كبشة رجل فارق دين الجاهلية وعبد الشعري فيشبهوا الرسول ﷺ، أو أن أباه من الرضاعة كانت له ابنته تسمى كبشة فكني بها. (١١) تقدمت ترجمته.

(١٢) تقدمت ترجمته. (١٣) تقدمت ترجمته.

فَٱبْعَثُوا إِلَى أَهْلِ الآفَاقِ حَتَّى تَنْظُرُوا أَرَأَوْا ذَلِكَ أَمْ لاَ فَأَخْبَرَ أَهْلُ الآفَاقِ أَنَّهُمْ رَأَوْهُ مُنْشَقاً فَقَالُوا يَعْنِي الْكُفَّارَ هَذَا: سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ، وَرَوَاهُ أَيْضاً عَنِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ[١] عَلْقَمَةُ[٢] فَهُؤلاَءِ الأَرْبَعَةُ عَنْ عَبْدِ[٣] الله وَقَدْ رَوَاهُ غَيْرُ ٱبْنِ مَسْعُودٍ كَمَا رَوَاهُ ٱبْنُ مَسْعُودٍ مِنْهُمْ أَنَسٌ[٤] وَٱبْنُ عَبَّاسٍ[٥] وَٱبْنُ عُمَرَ[٦] وَحُذَيْفَةُ[٧] وَعَلِيٌّ[٨] وَجُبَيْرُ[٩] بْنُ مُطْعِمٍ فَقَالَ عَلِيٌّ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي حُذَيْفَةَ[١٠] الأَرْحَبِيِّ: ٱنْشَقَّ الْقَمَرُ وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ.

وَعَنْ أَنَسٍ[١١] سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ: «أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ ٱنْشِقَاقَ الْقَمَرِ مَرَّتَيْنِ حَتَّى رَأَوْا حِرَاءَ بَيْنَهُمَا». رَوَاهُ عَنْ أَنَسٍ قَتَادَةُ.

وَفِي رِوَايَةِ مَعْمَرٍ[١٢] وَغَيْرِهِ عَنْ قَتَادَةَ[١٣] عَنْهُ أَرَاهُمُ الْقَمَرَ مَرَّتَيْنِ ٱنْشِقَاقَهُ فَنَزَلَتْ ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١] وَرَوَاهُ عَنْ جُبَيْرِ[١٤] بْنِ مُطْعِمٍ ٱبْنُهُ مُحَمَّدٌ وَٱبْنُ ٱبْنِهِ جُبَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَرَوَاهُ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ[١٥] عُبَيْدُ الله بْنُ عَبْدِ[١٦] الله بْنُ عُتْبَةَ، وَرَوَاهُ عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ[١٧]

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي كنيته أبو شبل من التابعين اشتهر بالفقه، وكان من فقهاء العراق وكان يشبه ابن مسعود في الورع والتقوى والهدي، والفضل، ولد في حياة الرسول ﷺ وسكن الكوفة وبها توفي رحمه الله سنة: ٦٢ هـ.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) أبو حذيفة الأرحبي هو: مسلمة بن صهيب. كنيته أبو حذيفة الكوفي الأرحبي أخذ عن حذيفة بن اليمان وابن مسعود وعلي وعائشة رضي الله عنهم. وعده ابن حبان في الثقات.

(١١) تقدمت ترجمته.

(١٢) تقدمت ترجمته.

(١٣) تقدمت ترجمته.

(١٤) تقدمت ترجمته.

(١٥) تقدمت ترجمته.

(١٦) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الهذلي كنيته أبو عبد الله مفتي يثرب وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، من أجلة التابعين، وهو مؤدب الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز، كان شاعراً ثقة يجيد شتى الفنون. عالماً فقيهاً جم الحديث والعلم وله ديوان شعر لا زال لم يجمع بعد، ذهب بصره في آخر حياته توفي رحمه الله سنة ٩٨ هـ ودفن بالمدينة.

(١٧) تقدمت ترجمته.

مُجاهِدٌ[1] وَرَوَاهُ عَنْ حُذَيْفَةَ[2] أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ ومُسْلِمُ بْنُ أَبِي[3] عِمْرَانَ الأَزْدِيُّ وَأَكْثَرُ طُرُقِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ صَحِيحَةٌ وَالآيَةُ مُصَرِّحَةٌ وَلاَ يُلْتَفَتُ إِلَى اعْتِرَاضِ مَخْذُولٍ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ هَذَا لَمْ يَخْفَ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ إِذْ هُوَ شَيْءٌ ظَاهِرٌ لِجَمِيعِهِمْ إِذْ لَمْ يُنْقَلْ لَنَا عَنْ أَهْلِ الأَرْضِ أَنَّهُمْ رَصَدُوهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَلَمْ يَرَوْهُ انْشَقَّ وَلَوْ نُقِلَ إِلَيْنَا عَمَّنْ لاَ يَجُوزُ تَمالُؤُهُمْ لِكَثْرَتِهِمْ عَلَى الْكَذِبِ كَمَا كَانَتْ عَلَيْنَا بِهِ حُجَّةٌ إِذْ لَيْسَ الْقَمَرُ فِي حَدٍّ وَاحِدٍ لِجَمِيعِ أَهْلِ الأَرْضِ فَقَدْ يَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ قَبْلَ أَنْ يَطْلُعَ عَلَى الآخَرِينَ وَقَدْ يَكُونُ مِنْ قَوْمٍ بِضِدِّ مَا هُوَ مِنْ مُقَابِلِهِمْ مِنْ أَقْطَارِ الأَرْضِ أَوْ يَحُولُ بَيْنَ قَوْمٍ وَبَيْنَهُ سَحَابٌ أَوْ جِبَالٌ وَلِهَذَا نَجِدُ الْكُسُوفَاتِ فِي بَعْضِ الْبِلاَدِ دُونَ بَعْضٍ وَفِي بَعْضِهَا جُزْئِيَّةً وَفِي بَعْضِهَا كُلِّيَّةً وَفِي بَعْضِهَا لاَ يَعْرِفُهَا إِلاَّ الْمُدَّعُونَ لِعِلْمِهَا؛ ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس:٣٨] وَآيَةُ الْقَمَرِ كَانَتْ لَيْلَةً وَالْعَادَةُ مِنَ النَّاسِ بِاللَّيْلِ الْهُدُوُّ وَالسُّكُونُ وَإِيجَافُ الأَبْوَابِ وَقَطْعُ التَّصَرُّفِ وَلاَ يَكَادُ يَعْرِفُ مِنْ أُمُورِ السَّمَاءِ شَيْئاً إِلاَّ مَنْ رَصَدَ ذَلِكَ وَاهْتَبَلَ بِهِ وَلِذَلِكَ مَا يَكُونُ الْكُسُوفُ الْقَمَرِيُّ كَثِيراً فِي الْبِلاَدِ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُ بِهِ حَتَّى يُخْبَرَ وَكَثِيراً مَا يُحَدِّثُ الثِّقَاتُ بِعَجَائِبَ يُشَاهِدُونَهَا مِنْ أَنْوَارٍ وَنُجُومٍ طَوَالِعَ عِظَامٍ تَظْهَرُ فِي الأَحْيَانِ بِاللَّيْلِ فِي السَّمَاءِ وَلاَ عِلْمَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهَا.

وَخَرَّجَ الطَّحَاوِيُّ[4] فِي مُشْكِلِ الْحَدِيثِ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ مِنْ طَرِيقَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُوحَى إِلَيْهِ وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ عَلِيٍّ فَلَمْ يُصَلِّ الْعَصْرَ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَصَلَّيْتَ يَا عَلِيُّ**»، قَالَ لاَ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ فِي طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ فَارْدُدْ عَلَيْهِ الشَّمْسَ**»، قَالَتْ أَسْمَاءُ[5] فَرَأَيْتُهَا غَرَبَتْ ثُمَّ رَأَيْتُهَا طَلَعَتْ بَعْدَ مَا غَرَبَتْ وَوَقَفَتْ عَلَى الْجِبَالِ وَالأَرْضِ وَذَلِكَ بِالصَّهْبَاءِ فِي خَيْبَرَ قَالَ وَهَذَانِ الْحَدِيثَانِ ثَابِتَانِ وَرُوَاتُهُمَا ثِقَاتٌ.

وَحَكَى الطَّحَاوِيُّ أَنَّ أَحْمَدَ[6] بْنَ صَالِحٍ كَانَ يَقُولُ لاَ يَنْبَغِي لِمَنْ سَبِيلُهُ الْعِلْمُ التَّخَلُّفُ عَنْ حِفْظِ حَدِيثِ أَسْمَاءَ لأَنَّهُ مِنْ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ.

---

(١) تقدمت ترجمته. (٢) تقدمت ترجمته.

(٣) مسلم بن عمران، وقيل ابن أبي عمران البطين كنيته أبو عبد الله الكوفي أخذ عن عطاء، ومجاهد، وسعيد بن جبير وقال عنه: أحمد بن أبي معين، وأبو حاتم، والنسائي: ثقة.

(٤) الطحاوي هو: أحمد بن محمد بن مسلمة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي ثم المصري الحنفي المذهب، المحدث الجليل القدر، كنيته أبو جعفر، وكان في بداية الأمر شافعي المذهب ثم صار حنفياً وله مصنفات وتآليف كثيرة ولد سنة ٢٣٩ هـ وتوفي سنة ٣٢١ هـ.

(٥) أسماء بنت عميس بن معد بن تيم الخثعمي صحابية جليلة كان لها شأن في حياة الرسول ﷺ، أسلمت قبل وصول النبي ﷺ إلى دار الأرقم، زوجها جعفر بن أبي طالب ثم أبو بكر ثم علي رضي الله عنهم توفيت حوالي سنة ٤٠ هـ.

(٦) أحمد بن صالح كنيته أبو جعفر الطبري المصري الحافظ الثقة أخذ عن ابن عيينة وعنه أخذ البخاري، وأصحاب السنن توفي رحمه الله: ٢٤٨ هـ.

وَرَوى يُونُسُ(١) بْنُ بُكَيْرٍ فِي زِيَادَةِ االمَغَازِي رِوَايَتَهُ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ(٢) لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَخْبَرَ قَوْمَهُ بِالرُّفْقَةِ وَالْعَلَامَةِ التِي فِي الْعِيرِ قَالُوا مَتَى تَجِيءُ قَالَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ أَشْرَفَتْ قُرَيْشُ يَنْظُرُونَ وَقَدْ وَلَّى النَّهَارُ وَلَمْ تَجِيءْ فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَزِيدَ لَهُ فِي النَّهَارِ سَاعَةً وَحُبِسَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ.

الفصل الثالث عشر: في نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته

أَمَّا الأَحَادِيثُ فِي هَذَا فَكَثِيرَةٌ جِداً رَوَى حَدِيثَ نَبْعِ الْمَاءِ مِنْ أَصَابِعِهِ ﷺ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ أَنَسٌ وَجَابِرٌ وَابْنُ مَسْعُودٍ: [حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَرٍ الْفَقِيهُ رَحِمَهُ اللهُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ حَدَّثَنَا الْقَاضِي عِيسَى بْنُ سَهْلٍ، حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ حَاتِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ بْنُ الْفَخَّارِ، حَدَّثَنَا أَبُو عِيسَى حَدَّثَنَا يَحْيَى حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ](٣) عَنْ أَنَسِ(٤) بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: رَأَيْتُ(٥) رَسُولَ اللهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوَضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَضُوءٍ فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ذَلِكَ الإِنَاءِ يَدَهُ وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّؤُوا مِنْهُ قَالَ فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتَّى تَوَضَّؤُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ وَرَوَاهُ أَيْضاً عَنْ أَنَسٍ(٦) قَتَادَةُ(٧) وَقَالَ: بِإِنَاءٍ(٨) فِيهِ مَاءٌ يَغْمُرُ أَصَابِعَهُ أَوْ لاَ يَكَادُ يَغْمُرُ قَالَ كَمْ كُنْتُمْ قَالَ زُهَاءَ ثَلَاثِمَائَةٍ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ وَهُمْ بِالزَّوْرَاءِ عِنْدَ السُّوقِ وَرَوَاهُ أَيْضاً حُمَيْدٌ(٩) وَثَابِتٌ(١٠) وَالْحَسَنُ(١١) عَنْ أَنَسٍ(١٢) وَفِي رِوَايَةِ حُمَيْدٍ قُلْتُ كَمْ كَانُوا قَالَ ثَمَانِينَ رَجُلاً، وَنَحْوُهُ عَنْ ثَابِتٍ(١٣) عَنْهُ وَعَنْهُ أَيْضاً وَهُمْ نَحْوٌ مِنْ سَبْعِينَ رَجُلاً.

وَأَمَّا ابْنُ مَسْعُودٍ(١٤) فَفِي الصَّحِيحِ مِنْ رِوَايَةِ عَلْقَمَةَ(١٥) عَنْهُ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اطْلُبُوا مَنْ مَعَهُ فَضْلُ مَاءٍ»، فَأُتِيَ بِمَاءٍ فَصَبَّهُ فِي إِنَاءٍ ثُمَّ

---

(١) يونس بن بكير كنيته أبو بكر الشيباني الإمام الحافظ الثقة، وقالوا عنه إنه صدوق توفي سنة ١٩٩ هـ.
(٢) تقدمت ترجمته.
(٣) [....] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.
(٤) تقدمت ترجمته.
(٥) أخرجه الشيخان في الصحيحين، إلا أن المصنف أورده شاهداً بسنده إلى الإمام مالك عنه. وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد: ١/٢١٧.
(٦) تقدمت ترجمته.
(٧) تقدمت ترجمته.
(٨) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح.
(٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) تقدمت تراجمهم.

وَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[١].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ سَالِمِ[٢] بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا وَأَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ وَقَالُوا لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ إِلاَّ مَا فِي رَكْوَتِكَ فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُور مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ وَفِيهِ فَقُلْتُ كَمْ كُنْتُمْ قَالَ لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا: كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً: وَرُوِيَ مِثْلُهُ عَنْ أَنَسٍ عَنْ جَابِرٍ وَفِيهِ أَنَّهُ كَانَ بِالْحُدَيْبِيَةِ[٣].

وَفِي رِوَايَةِ الْوَلِيدِ بْنِ[٤] عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنْهُ فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ الطَّوِيلِ فِي ذِكْرِ غَزْوَةِ بُوَاطٍ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ «يَا جَابِرُ نَادِ الْوَضُوءَ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ إِلاَّ قَطْرَةً فِي عَزْلاَءِ شَجْبٍ فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَغَمَزَهُ وَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ لاَ أَدْرِي مَا هُوَ وَقَالَ: «نَادِ بِجَفْنَةِ الرَّكْبِ» فَأَتَيْتُ بها فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَسَطَ يَدَهُ فِي الْجَفْنَةِ وَفَرَّقَ أَصَابِعَهُ وَصَبَّ جَابِرٌ[٥] عَلَيْهِ، وَقَالَ «بِسْمِ اللهِ» قَالَ فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ثُمَّ فَارَتِ الْجَفْنَةُ وَٱسْتَدَارَتْ حَتَّى ٱمْتَلأَتْ وَأَمَرَ النَّاسَ بِالاسْتِقَاءِ فَٱسْتَقَوا حَتَّى رَوَوْا فَقُلْتُ هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ لَهُ حَاجَةٌ فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الْجَفْنَةِ وَهِيَ مَلأَى[٦].

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ[٧]: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَسْفَارِهِ بِإِدَاوَةِ مَاءٍ وَقِيلَ مَا مَعَنَا يَا رَسُولَ اللهِ مَاءٌ غَيْرُهَا

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٥٨٧/٦. كتاب المناقب (٦١) باب علامات النبوة في الإسلام (٢٥) الحديث رقم: ٣٥٧٩، وأورد الحافظ بن حجر العسقلاني في فتح الباري: ٥٩١/٦ - ٥٩٢.

(٢) سالم بن أبي الجعد الأشجعي الكوفي وهو من كبار التابعين الثقات برواية ابن عباس رضي الله عنه له ترجمة مفصلة في الميزان توفي سنة ١٠٠ هـ.

(٣) متفق عليه. أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٤٠٧/٧ كتاب المغازي (٦٤) باب علامات النبوة في الإسلام (٢٥) الحديث رقم: ٣٥٧٦. واللفظ له. والإمام مسلم في الصحيح: ١٤٨٤/٣ كتاب الإمارة (٣) باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال (١٨) الحديث رقم: ١٨٥٦/٧٣.

(٤) الوليد بن عبادة بن الصامت، ولد في حياة الرسول ﷺ، وتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان وعده أهل الحديث في الثقات إلا أنه قليل الرواية، أخرج أحاديثه، البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وكان الوليد يروي عن أبيه عبادة بن الصامت.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح وقال الحلبي عن هذا الحديث إنه لم يوجد في الكتب الستة إلا الإمام مسلم.

(٧) الشعبي هو: عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري كنيته أبو عمرو تابعي مشهور بالحفظ وهو جليس الخليفة عبد الملك ومن رجالات الحديث الثقات توفي رحمه الله سنة ١٠٣ هـ ودفن بالكوفة...

فَسَكَبَهَا فِي رَكْوَةٍ وَوَضَعَ إِصْبَعَهُ وَسَطَهَا وَغَمَسَهَا فِي الْمَاءِ وَجَعَلَ النَّاسِ يَجِيئُونَ وَيَتَوضَّؤونَ ثُم يَقُومُونَ؛ قَالَ التِّرْمِذِيُّ وَفِي الْبَابِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ وَمِثْلُ هَذَا فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ الْحَفِلَةِ وَالْجُمُوعِ الْكَثِيرَةِ لاَ تَتَطَرَّقُ التُّهمَةُ إِلَى الْمُحَدِّثِ بِهِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَسْرَعَ شَيْءٍ إِلَى تَكْذِيبِهِ لِمَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ مِنْ ذَلِكَ وَلِأَنَّهُمْ كَانُوا مِمَّنْ لاَ يَسْكُتُ عَلَى بَاطِلٍ، فَهَؤلاَءِ قَدْ رَوَوْا هَذَا وَأَشَاعُوهُ وَنَسَبُوا حُضُورَ الْجَمَّاءِ الْغَفِيرِ لَهُ وَلَمْ يُنْكِرْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ مَا حَدَّثُوا بِهِ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ فَعَلُوهُ وَشَاهَدُوهُ فَصَارَ كَتَصْدِيقِ جَمِيعِهِمْ لَهُ.

الفصل الرابع عشر

وَمِمَّا يُشْبِهُ هَذَا مِنْ مُعْجِزَاتِهِ تَفْجِيرُ الْمَاءِ بِبَرَكَتِهِ وَٱبْتِعَاثِهِ بِمَسِّهِ وَدَعْوَتِهِ.

فِيمَا رَوَى مَالِكٌ(١) فِي الْمُوَطَّأ(٢) عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ فِي قِصَّةِ غَزْوَةِ تَبُوكَ(٣) وَأَنَّهُمْ وَرَدُوا(٤) الْعَيْنَ وَهِيَ تَبِضُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ مِثْلِ الشِّرَاكِ فَغَرَفُوا مِنَ الْعَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ حَتَّى ٱجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ ثُمَّ غَسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ وَجْهَهُ. وَيَدَيْهِ وَأَعَادَهُ فِيهَا فَجَرَتْ بِمَاءٍ كَثِيرٍ فَٱسْتَقَى النَّاسُ قَالَ فِي حَدِيثِ ٱبْنِ إِسْحَاقَ فَٱنْخَرَقَ مِنَ الْمَاءِ مَالَهُ حِسٌّ كَحِسِّ الصَّوَاعِقِ ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَاهَا هُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَاناً.

وَفِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ(٥) وَسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ وَحَدِيثُهُ أَتَمُّ فِي قِصَّةِ الْحُدَيْبِيَةِ وَهُمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً وَبِئْرُهَا لاَ تُرْوِي خَمْسِينَ شَاةً فَنَزَحْنَاهَا فَلَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً فَقَعَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى جَبَاهَا قَالَ الْبَرَاءُ وَأُتِيَ بِدَلْوٍ مِنْهَا فَبَصَقَ فَدَعَا وَقَالَ سَلَمَةُ فَإِمَّا دَعَا وَإِمَّا بَصَقَ فِيهَا فَجَاشَتْ فَأَرْوَوْا أَنْفُسَهُمْ وَرِكَابَهُمْ وَفِي غَيْرِ هَاتَيْنِ الرِّوَايَتَيْنِ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ طَرِيقِ ٱبْنِ شِهَابٍ(٦) فِي الْحُدَيْبِيَةِ(٧) فَأَخْرَجَ

---

(١) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي كنيته أبو عبد الله المدني تقدمت ترجمته.

(٢) الموطأ: كتاب ألفه الإمام مالك السابق الذكر جمع فيه أحاديث رسول الله ﷺ مع أقوال الصحابة، وسماه: الموطأ من التوطئة ومعناه التليين والتمهيد. وهو أول كتاب دون في الحديث. مع ذلك فمالك اشتهر بالفقه.

(٣) غزوة تبوك كانت سنة ٩ هـ وهي آخر غزوة للنبي ﷺ وفيها نزل حديث الإفك، وسورة النور.

(٤) أخرجه الإمام مسلم، وأخرجه عياض برواية مالك.

(٥) البراء بن عازب الأنصاري الأوسي وله صحبة وكذلك لابيه صحبة شهد أحد سنة ٣ هـ. وغزا مع رسول الله ﷺ (١٥) غزوة وسافر معه (١٨) مرة توفي بالكوفة سنة: ٧٢ هـ.

(٦) ابن شهاب هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري الفقيه المحدث من كبار التابعين رأى عشرة من الصحابة كتبت عمر بن بعد العزيز بابن شهاب إلى الآفاق، قائلاً: فإنكم لا تجدون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه. توفي رحمه الله سنة ١٢٤ هـ.

(٧) تقدمت في السابق.

سَهْماً مِنْ كِنَانَتِهِ فَوَضَعَهُ فِي قَعْرِ قَلِيبٍ لَيْسَ فِيهِ مَاءٌ فَرَوِيَ النَّاسُ حَتَّى ضَرَبُوا بِعَطَنٍ.

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ(١) وَذَكَرَ أَنَّ النَّاسَ شَكَوْا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الْعَطَشَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَدَعَا بِالْمِيضَأَةِ فَجَعَلَهَا فِي ضِبْنِهِ ثُمَّ الْتَقَمَ فَمَهَا فَاللهُ أَعْلَمُ نَفَثَ فِيهَا أَمْ لاَ فَشَرِبَ النَّاسُ حَتَّى رَوُوا وَمَلَؤُوا كُلَّ إِنَاءٍ مَعَهُمْ فَخُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّهَا كَمَا أَخَذَهَا مِنِّي وَكَانُوا اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ رَجُلاً؛ وَرَوَى مِثْلَهُ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ(٢) وَذَكَرَ الطَّبَرِيُّ(٣) حَدِيثَ أَبِي قَتَادَةَ(٤) عَلَى غَيْرِ مَا ذَكَرَهُ أَهْلُ الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ بِهِمْ مُمِدّاً لأَهْلِ مُؤْتَةَ عِنْدَمَا بَلَغَهُ قَتْلُ الأُمَرَاءِ وَذَكَرَ حَدِيثاً طَوِيلاً فِيهِ مُعجِزَاتٌ وَآيَاتٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَفِيهِ إِعْلاَمُهُمْ أَنَّهُمْ يَفْقِدُونَ الْمَاءَ فِي غَدٍ وَذَكَرَ حَدِيثَ الْمِيضَأَةِ، قَالَ وَالْقَوْمُ زُهَاءُ ثَلاَثِمِائَةٍ وَفِي كِتَابِ مُسْلِمٍ أَنَّهُ قَالَ لأَبِي قَتَادَةَ: احْفَظْ عَلَيَّ مِيضَأَتَكَ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَهَا نَبَأٌ، وَذَكَر نَحْوَهُ وِمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ: عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ(٥) حِينَ أَصَابَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ عَطَشٌ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِمْ فَوَجَّهَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَعْلَمَهُمَا أَنَّهُما يَجِدَانِ امْرَأَةً بِمَكَانِ كَذَا مَعَهَا بَعِيرٌ عَلَيْهِ مَزَادَتَانِ. الْحَدِيثَ فَوَجَدَاهَا وَأَتَيَا بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَجَعَلَ فِي إِنَاءٍ مِنْ مَزَادَتَيْهَا: وَقَالَ فِيهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ أَعَادَ الْمَاءَ فِي الْمَزَادَتَيْنِ ثُمَّ فُتِحَتْ عَزَالَيْهِمَا وَأَمَرَ النَّاسَ فَمَلَؤُوا أَسْقِيَتَهُمْ حَتَّى لَمْ يَدَعُوا شَيْئاً إِلاَّ مَلَؤوهُ قَالَ عِمْرَانُ وَيُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّهُمَا لَمْ تَزْدَادْ إِلاَّ امْتِلاَءً ثُمَّ أَمَرَ فَجُمِعَ لِلْمَرْأَةِ مِنَ الأَزْوَادِ حَتَّى مَلأَ ثَوْبَهَا وَقَالَ: اذْهَبِي فَإِنَّا لَمْ نَأْخُذْ مِنْ مَائِكِ شَيْئاً وَلَكِنَّ اللهَ سَقَانَا(٦) . الْحَدِيثَ بِطُولِهِ ـ وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ : «هَلْ مِنْ وَضُوءٍ» فَجَاءَ رَجُلٌ بِإِدَاوَةٍ فِيهَا نُطْفَةٌ فَأَفْرَغَهَا فِي قَدَحٍ فَتَوَضَّأْنَا كُلُّنَا نُدَغْفِقُهُ دَغْفَقَةً أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً وَفِي حَدِيثِ: عُمَرَ(٧) فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ(٨) وَذَكَرَ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْعَطَشِ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ فَيَعْصِرُ فَرْثَهُ فَيَشْرَبُهُ فَرَغِبَ أَبُو بَكْرٍ(٩) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الدُّعَاءِ فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَرْجِعْهُمَا حَتَّى قَالَتِ السَّمَاءُ فَانْسَكَبَتْ فَمَلَؤُوا مَا مَعَهُمْ مِنْ آنِيَةٍ وَلَمْ تُجَاوِزِ الْعَسْكَرَ وَعَنْ عَمْرِو(١٠) بْنِ شُعَيْبٍ أَنَّ أَبَا

---

(١) تقدمت ترجمته. (٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته. (٤) تقدمت ترجمته.

(٥) أخرجه الشيخان في الصحيحين.

(٦) أخرجه الشيخان في صحيحهما.

(٧) أخرجه الإمام ابن خزيمة في صحيحة، والبيهقي في دلائل النبوة.

(٨) العسرة هي غزوة تبوك سنة ٩ هـ. وتسمى العسرة.

(٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي الصحابي المشهور في الاحتجاج بعمر وهو اختلاف وهو يروي عن أبيه وأخرج له أربعة من أصحاب السنن وهذا الحديث ليس في السنن. توفي رحمه الله سنة ١١٨ هـ.

طَالِبٍ[١] قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ رَدِيفُهُ بِذِي الْمَجَازِ[٢] عَطِشْتُ وَلَيْسَ عِنْدِي مَاءٌ فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَرَبَ بِقَدَمِهِ الْأَرْضَ فَخَرَجَ الْمَاءُ فَقَالَ «اشْرَبْ» وَالْحَدِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرٌ وَمِنْهُ الْإِجَابَةُ بِدُعَاءِ الْاسْتِسْقَاءِ. وَمَا جَانَسَهُ.

الفصل الخامس عشر: ومن معجزاتِهِ تكثيرُ الطعامِ ببركتهِ ودعائِهِ

[حَدَّثَنَا الْقَاضِي الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ الله حَدَّثَنَا الْعُذْرِيُّ حَدَّثَنَا الرَّازِيُّ حَدَّثَنَا الْجَلُودِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ سُفْيَانَ حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ الْحَجاجِ حَدَّثَنَا سلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَعْيَنَ حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ][٣] عَنْ جَابِرٍ[٤]: أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَطْعِمُهُ فَأَطْعَمَهُ شَطْرَ وَسْقِ شَعِيرٍ فَمَا زَالَ يَأْكُلُ مِنْهُ وَامْرَأَتُهُ وَضَيْفُهُ حَتَّى كَالَهُ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ «لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ وَلَقَامَ بِكُمْ»[٥].

وَمِنْ ذَلِكَ[٦] حَدِيث أَبِي[٧] طَلْحَةَ الْمَشْهُورُ وَإِطْعَامُهُ ﷺ ثَمَانِينَ أَوْ سَبْعِينَ[٨] رَجُلاً مِنْ أَقْرَاصٍ مِنْ شَعِيرٍ جَاءَ بِهَا أَنَسٌ تَحْتَ يَدِهِ أَيْ إِبْطِهِ فَأَمَرَ بِهَا فَفُتَّتْ وَقَالَ فِيهَا مَا شَاءَ الله أَنْ يَقُولَ؛ وَحَدِيثُ جَابِرٍ فِي إِطْعَامِهِ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَلْفَ رَجُلٍ مِنْ صَاعِ شَعِيرٍ وَعِنَاقٍ وَقَالَ جَابِرٌ[٩] فَأُقْسِمُ بِالله لَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغطُّ كَمَا هِيَ وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ بَصَقَ فِي الْعَجِينِ وَالْبُرْمَةِ وَبَارَكَ؛ رَوَاهُ عَنْ جَابِرٍ[١٠] سَعِيدُ[١١] بْنُ مِينَاءَ وَأَيْمَنُ[١٢] وَعَنْ ثَابِتٍ[١٣] مِثْلُهُ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَامْرَأَتِهِ وَلَمْ يُسَمِّهِمَا قَالَ وَجِيءَ بِمِثْلِ الْكَفِّ فَجَعَلَ رَسُولُ

---

(١) أبو طالب هو عم الرسول ﷺ، كان النصير له والوالد بعد وفاة أبيه ولكنه أبى أن يسلم وكان على دين قريش حتى توفي سنة ١٠ هـ.

(٢) ذو اعجاز: سوق كانت معروفة في الجاهلية كانت تعمر بعرفة..

(٣) [....] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح.

(٦) أخرجه الشيخان في الصحيحين.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) وجزم الإمام مسلم في روايته أن الرجال كانوا ثمانين رجلاً.

(٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) تقدمت ترجمته.

(١١) تقدمت ترجمته.

(١٢) أيمن هو أيمن الحبشي المكي، أمه هي أم أيمن حاضنة النبي ﷺ ومولاته أخو أسامة بن زيد لأمه استشهد في غزوة حنين.

(١٣) تقدمت ترجمته.

اللهِ ﷺ يَبْسُطُهَا فِي الْإِنَاءِ وَيَقُولُ مَا شَاءَ اللهُ فَأَكَلَ مِنْهُ مَنْ فِي الْبَيْتِ وَالْحُجْرَةِ وَالدَّارِ وَكَانَ ذَلِكَ قَدِ امْتَلأَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَهُ ﷺ لِذَلِكَ وَبَقِيَ بَعْدَ مَا شَبِعُوا مِثْلُ مَا كَانَ فِي الْإِنَاءِ. وَحَدِيثُ[1] أَبِي أَيُّوبَ[2] أَنَّهُ صَنَعَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَلِأَبِي بَكْرٍ مِنَ الطَّعَامِ زُهَاءَ مَا يَكْفِيهِمَا فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «ادْعُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَشْرَافِ الْأَنْصَارِ»، فَدَعَاهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوا ثُمَّ قَالَ «ادْعُ سِتِّينَ» فَكَانَ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ «ادْعُ سَبْعِينَ» فَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَمَا خَرَجَ مِنْهُمْ أَحَدٌ حَتَّى أَسْلَمَ وَبَايَعَ قَالَ أَبُو أَيُّوبَ فَأَكَلَ مِنْ طَعَامِي مِائَةٌ وَثَمَانُونَ رَجُلاً؛ وَعَنْ سَمُرَةَ[3] بْنِ جُنْدُبٍ: أُتِيَ النَّبِيُّ[4] ﷺ بِقَصْعَةٍ فِيهَا لَحْمٌ فَتَعَاقَبُوهَا مِنْ غُدْوَةٍ حَتَّى اللَّيْلِ يَقُومُ قَوْمٌ وَيَقْعُدُ آخَرُونَ؛ وَمِنْ ذَلِكَ، حَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمَٰنِ[5] بْنِ أَبِي بَكْرٍ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً وَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ عُجِنَ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ وَصُنِعَتْ شَاةٌ فَشُوِيَ سَوَادُ بَطْنِهَا قَالَ وَايْمُ اللهِ مَا مِنَ الثَّلَاثِينَ وَمِائَةٍ إِلاَّ وَقَدْ حَزَّ لَهُ حَزَّةً مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا قَصْعَتَيْنِ فَأَكَلْنَا أَجْمَعُونَ وَفَضَلَ فِي الْقَصْعَتَيْنِ فَحَمَلْتُهُ عَلَى الْبَعِيرِ[6]، وَمِنْ ذَلِكَ، حَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمَٰنِ[7] بْنِ أَبِي عَمْرَةَ[8] الْأَنْصَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ وَمِثْلُهُ لِسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ[9] وَأَبِي هُرَيْرَةَ[10] وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَذَكَرُوا مَخْمَصَةً أَصَابَتِ

---

(١) أخرجه الطبراني والبيهقي في دلائل النبوة.

(٢) أبو أيوب هو: خالد بن زيد الأنصاري من بني النجار شهد العقبة وبدراً، وأحداً، والخندق وسائر المشاهد، كان شجاعاً ورعاً ولما غزا يزيد بن معاوية القسطنطينية في خلافة أبيه صحبه أبو أيوب غازياً فحضر الوقائع ومرض ومات ودفن في أصل حصن هناك سنة ٥٢ هـ.

(٣) سمرة بن جندب الغزاوي من الصحابة الشجعان والقادة المبصرين نشأ بالمدينة وسكن البصرة، وكان والياً عليها أيام زياد بن أبيه وبعده توفي بالكوفة سنة ٦٠ هـ ترجمته في الثقات: ٣/ ١٧٤، والطبقات ٦/ ٣٤، والإصابة: ٢/ ٧٨...

(٤) أخرجه الإمام الترمذي في السنن والبيهقي في دلائل النبوة وصححه، والنسائي في السنن برواية سمرة بن جندب.

(٥) عبد الرحمن بن عبد الله أبي بكر الصديق القرشي الصحابي ابن الصحابي كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فسماه الرسول ﷺ عبد الرحمن وكان من أشجع قريش وأرماهم بسهم وكان من الشعراء المجلين توفي قبل بيعة يزيد بن معاوية سنة ٥٣ هـ ودفن بمكة. ترجمته في الثقات: ٣/ ٢٥٢. والطبقات: ٧/ ٤١٧، والإصابة: ٢/ ٤١٤.

(٦) أخرجه الشيخان في الصحيحين. برواية عبد الرحمن بن عبد الله رضي الله عنه.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) عبد الرحمن بن أبي عمرة بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري الصحابي البدري قتل مع الإمام علي كرم الله وجهه، بصفين.

(٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) تقدمت ترجمته.

النَّاسَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ: فَدَعَا بِبَقِيَّةِ الْأَزْوادِ فَجَاءَ الرَّجُلُ بِالْحَثْيَةِ مِنَ الطَّعَامِ وَفَوْقَ ذَلِكَ وَأَعْلاهُمْ الذِي أَتَى بِالصَّاعِ مِنَ التَّمْرِ فَجَمَعَهُ عَلَى نِطَعٍ قَالَ سَلَمَةُ[1] فَحَزَرْتُهُ كَرَبْضَةِ الْعَنْزِ ثُمَّ دَعَا النَّاسَ بِأَوْعِيَتِهِمْ فَمَا بَقِيَ فِي الْجَيْشِ وِعَاءٌ إِلاَّ مَلَؤُهُ وَبَقِيَ مِنْهُ قَدْرُ مَا جُعِلَ وَأَكْثَرُ وَلَوْ وَرَدَهُ أَهْلُ الأَرْضِ لَكَفَاهُمْ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[2]: أَمَرَنِي النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَدْعُوَ لَهُ أَهْلَ الصُّفَّةِ فَتَتَبَّعْتُهُمْ حَتَّى جَمَعْتُهُمْ فَوُضِعَتْ بَيْنَ أَيْدِينَا صَحْفَةٌ فَأَكَلْنَا مَا شِئْنَا وَفَرَغْنَا وَهِيَ مِثْلُهَا حِينَ وُضِعَتْ إِلاَّ أَنَّ فِيهَا أَثَرَ الأَصَابِعِ، وَعَنْ عَلِيِّ[3] بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: جَمَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَكَانُوا أَرْبَعِينَ مِنْهُمْ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ الْجَذَعَةَ وَيَشْرَبُونَ الْفَرَقَ فَصَنَعَ لَهُمْ مُدّاً مِنْ طَعَامٍ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ كَمَا هُوَ ثُمَّ دَعَا بِعُسٍّ فَشَرِبُوا حَتَّى رَوُوا وَبَقِيَ كَأَنَّهُ لَمْ يُشْرَبْ مِنْهُ وَقَالَ أَنَسٌ[4]: إِنَّ النَّبِيَّ[5] ﷺ: حِينَ ابْتَنَى بِزَيْنَبَ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ قَوْماً سَمَّاهُمْ وَكُلَّ مَنْ لَقِيتَ حَتَّى امْتَلأَ الْبَيْتُ وَالْحُجْرَةُ وَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ تَوْراً فِيهِ قَدْرُ مُدٍّ مِنْ تَمْرٍ جُعِلَ حَيْساً فَوَضَعَهُ قُدَّامَهُ وَغَمَسَ ثَلاَثَ أَصَابِعِهِ وَجَعَلَ الْقَوْمُ يَتَغَدَّوْنَ وَيَخْرُجُونَ وَبَقِيَ التَّوْرُ نَحْواً مِمَّا كَانَ وَكَانَ الْقَوْمُ أَحَداً أَوْ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَوْ مِثْلِهَا إِنَّ الْقَوْمَ كَانُوا زُهَاءَ ثَلاثِمائَةٍ وَإِنَّهُمْ أَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَقَالَ لِي ارْفَعْ فَلاَ أَدْرِي حِينَ وُضِعَتْ كَانَتْ أَكْثَرَ أَمْ حِينَ رُفِعَتْ وَفِي حَدِيثِ[6] جَعْفَرِ[7] بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ فَاطِمَةَ[8] طَبَخَتْ قِدْراً لِغَذَائِهِمَا وَوَجَّهَتْ[9] عَلِيّاً إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لِيَتَغَدَّى مَعَهُمَا فَأَمَرَهَا فَغَرَفَتْ مِنْهَا لِجَمِيعِ نِسَائِهِ صَحْفَةً صَحْفَةً ثُمَّ لَهُ ﷺ ولِعَلِيٍّ ثم لَهَا ثُمَّ رَفَعَتِ القِدْرَ وَإِنَّهَا لَتَفِيضُ قَالَتْ فَأَكَلْنَا مِنْهَا مَا شَاءَ اللهُ.

وَأَمَرَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَنْ يُزَوِّدَ أَرْبَعَمِائَةِ رَاكِبٍ مِنْ أَحْمَسَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ مَا هِيَ إِلاَّ أَصْوُعٌ قَالَ اذْهَبْ فَذَهَبَ فَزَوَّدَهُمْ مِنْهُ وَكَانَ قَدْرَ الْفَصِيلِ الرَّابِضِ مِنَ التَّمْرِ وَبَقِيَ بِحَالِهِ مِنْ رِوَايَةِ دُكَيْنٍ الأَحْمَسِيِّ وَمِنْ رِوَايَةِ جَرِيرٍ وَمِثْلُهُ[10] مِنْ رِوَايَةِ النُّعْمَانِ[11] بْنِ مُقَرِّنٍ الْخَبَرُ بِعَيْنِهِ إِلاَّ أَنَّهُ

---

(١) تقدمت ترجمته. (٢) تقدمت ترجمته.
(٣) تقدمت ترجمته. (٤) تقدمت ترجمته.
(٥) أخرجه الشيخان. في الصحيحين واللفظ لمسلم.
(٦) أخرجه ابن سعد منقطعاً لأن محمداً، ووالده لم يدركا علياً رضي الله عنه.
(٧) تقدمت ترجمته. (٨) تقدمت ترجمته.
(٩) تقدمت ترجمتها.
(١٠) أخرجه الإمام أحمد في المسند. والبيهقي في دلائل النبوة بسند صحيح.
(١١) النعمان بن مقرن بن عائذ المزني كنيته أبو عمرو صحابي جليل وهو صاحب لواء مزينة يوم فتح مكة ٨ هـ سكن البصرة ثم ارتحل إلى الكوفة حارب الهمذاني وهزمه ووجهه عمر غازياً إلى أصفهان ففتحها ثم إلى نهاوند فاستشهد فيها سنة ٢١ هـ ولما بلغ خبر مقتله عمر دخل المسجد ونعاه إلى الناس على المنبر ثم بكى: ترجمته في الثقات: ٣/ ٤٠٩ والإصابة: ٣/ ٥٦٥.

قَالَ أَرْبعمَائَةِ رَاكِبٍ مِنْ مُزَيْنَةَ وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ[١] جَابِرٍ[٢] فِي دَيْنِ أَبِيهِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَقَدْ كَانَ بَذَلَ لِغُرَمَاءِ أَبِيهِ أَصْلَ مَالِهِ فَلَمْ يَقْبَلُوهُ وَلَمْ يَكُنْ فِي ثَمرِهَا سَنَتَيْنِ كَفَافُ دِينهِمْ فَجَاءَهُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ أَنْ أَمَرَهُ بِجَدِّهَا وَجَعْلِهَا بَيَادِرَ فِي أُصُولِهَا فَمَشَى فِيهَا وَدَعَا فَأَوْفَى مِنْهُ جَابِرٌ[٣] غُرَمَاءَ أَبِيهِ وَفَضَلَ مِثْلُ مَا كَانُوا يَجِدُّونَ كُلَّ سَنَةٍ وَفِي رِوَايَةٍ مِثْلُ مَا أَعْطَاهُمْ قَالَ وَكَانَ الْغُرَمَاءُ يَهُودَ فَعَجِبُوا مِنْ ذَلِكَ.

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ[٤] رَضِيَ الله عَنْهُ: أَصَابَ[٥] النَّاسَ مَخْمَصَةٌ فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: **«هَلْ مِنْ شَيْءٍ»**، قُلْتُ نَعَمْ شَيْءٌ مِنَ التَّمْرِ فِي الْمِزْوَدِ قَالَ: **«فَأْتِنِي بِهِ»** فَأَدْخَلَ يَدَهُ. فَأَخْرَجَ قَبْضَةً فَبَسَطَهَا وَدَعَا بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: **«ادْعُ عَشَرَةً»**، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ عَشَرَةً كَذَلِكَ حَتَّى أَطْعَمَ الْجَيْشَ كُلَّهُمْ وَشَبِعُوا قَالَ: **«خُذْ مَا جِئْتَ بِهِ وَأَدْخِلْ يَدَكَ وَاقْبِضْ مِنْهُ وَلاَ تَكُبُّهُ»** فَقَبَضْتُ عَلَى أَكْثَرَ مِمَّا جِئْتُ بِهِ فَأَكَلْتُ مِنْهُ وَأَطْعَمْتُ حَيَاةَ رَسُولِ الله ﷺ وَأَبِي[٦] بَكْرٍ وَعُمَرَ[٧] إِلَى أَنْ قُتِلَ عُثْمَانُ[٨] فَانْتُهِبَ مِنِّي فَذَهَبَ وَفِي رِوَايَةٍ[٩] فَقَدْ حَمَلْتُ مِنْ ذَلِكَ التَّمْرِ كَذَا وَكَذَا مِنْ وَسْقٍ فِي سَبِيلِ الله وَذُكِرَتْ مِثْلُ هَذِهِ الْحِكَايَةِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَأَنَّ التَّمْرَ كَانَ بِضْعَ عَشَرَةَ تَمْرَةً وَمِنْهُ أَيْضاً حَدِيثُ[١٠] أَبِي هُرَيْرَةَ[١١] حِينَ أَصَابَهُ الْجُوعِ فَاسْتَتْبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَوَجَدَ لَبَناً فِي قَدَحٍ قَدْ أُهْدِيَ إِلَيْهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُو أَهْلَ الصُّفَّةِ قَالَ فَقُلْتُ مَا هَذَا اللَّبَنُ فِيهِمْ كُنْتُ أَحَقَّ أَنْ أُصِيبَ مِنْهُ شَرْبَةً أَتقوَّى بِهَا فَدَعَوْتُهُمْ وَذَكَرَ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ أَنْ يَسْقِيَهُمْ فَجَعَلْتُ أُعْطِي الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوى ثُمَّ يَأْخُذُهُ الآخَرُ حَتَّى رَوِيَ جَمِيعُهُمْ، قَالَ فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْقَدَحَ وَقَالَ: **«بَقِيتُ، أَنَا وَأَنْتَ اقْعُدْ**

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح.

(٢) تقدمت ترجمته. (٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، والحاكم في المستدرك: ٤/١١٦. والهيثمي في موارد الظمآن: ٢٢١ وعبد الرزاق في مصنفه. والطحاوي في مشكل الآثار: ٣/١٧٩ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣٥٤٠٢، وابن كثير في البداية والنهاية: ٦/١٣٦.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي أمير المؤمنين يلقب بذي النورين، ثالث الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ولد بمكة وأسلم من الأوائل اشتهر بالكرم والجود والحياء أول من جمع القرآن الكريم في المصحف في عهده واشتهر زمانه بالفتوحات قتل ظلماً وعدواناً يوم عيد الأضحى صباحاً وهو يقرأ القرآن في بيته سنة: ٣٥ هـ. ترجمته في الإصابة ٦/٣٩١.

(٩) أخرجه الإمام الترمذي في السنن وحسنه.

(١٠) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح.

(١١) تقدمت ترجمته.

فَاشْرَبْ» فَشَرِبْتُ، ثُم قَالَ «اشْرَبْ» وَمَا زَالَ يَقُولُهَا وَأَشْرَبُ حَتَّى قُلْتُ لاَ وَالذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكاً فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَحَمِدَ الله وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ[1]. وَفِي حَدِيثِ خَالِدِ[2] بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى أَنَّهُ أَجْزَرَ النَّبِيُّ ﷺ شَاةً وَكَانَ عِيالُ خَالِدٍ كَثِيراً يَذْبَحُ الشَّاةَ فَلاَ تُبِدُّ عِيالَهُ عَظْماً وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّاةِ وَجَعَلَ فَضْلَتَهَا فِي دَلْوِ خَالِدٍ وَدَعَا لَهُ بِالبَرَكَةِ فَنَثَرَ ذَلِكَ لِعِيالِهِ فَأَكَلُوا وَأَفْضَلُوا ذَكَرَ خَبَرَهُ الدُّولاَبِي[3] وَفِي حَدِيثِ الآجُرِّيِّ[4] فِي إِنْكَاحِ النَّبِيِّ ﷺ لِعَلِيٍّ[5] فَاطِمَةَ[6]: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِلاَلاً بِقَصْعَةٍ مِنْ أَرْبَعَةِ أَمْدَادٍ أَوْ خَمْسَةٍ وَيَذْبَحُ جَزُوراً لِوَلِيمَتِهَا، قَالَ فَأَتَيْتُهُ بِذَلِكَ فَطَعَنَ فِي رَأْسِهَا، ثُمَّ أَدْخَلَ النَّاسَ رُفْقَةً رُفْقَةً يَأْكُلُونَ مِنْهَا حَتَّى فَرَغُوا وَبَقِيَت مِنْهَا فَضْلَةٌ فَبَرَّكَ فِيهَا وَأَمَرَ بِحَمْلِهَا إِلَى أَزْوَاجِهِ وَقَالَ: كُلْنَ وَأَطْعِمْنَ مَنْ غَشِيَكُنَّ، وَفِي حَدِيثِ[7]: أَنَسٍ[8] رَضِيَ الله عَنْهُ تَزَوَّجَ رَسُولُ الله ﷺ فَصَنَعَتْ أُمِّي أُمُّ سُلَيْمٍ[9] حَيْساً فَجَعَلَتْهُ فِي تَوْرٍ فَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ «ضَعْهُ وَادْعُ لِي فُلاَناً وَفُلاَناً وَمَنْ لَقِيتَ» فَدَعَوْتُهُمْ وَلَمْ أَدَعْ أَحَداً لَقِيتُهُ إلاَّ دَعَوْتُهُ وَذَكَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا زُهَاءَ ثَلاَثِمائَةٍ حَتَّى مَلَؤُوا الصُّفَّةَ وَالْحُجْرَةَ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «تَحَلَّقُوا[10] عَشَرَةً عَشَرَةً». وَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَى الطَّعَامِ فَدَعَا فِيهِ وَقَالَ مَا شَاءَ الله أَنْ يَقُولَ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن وابن ماجه في سننه من رواية أبي قتادة.

(٢) خالد بن عبد العزى هو أبو خناس ينتسب إلى خزاعة له صحبة وأخذ عنه ابن مسعود، وهو ابن أخي خديجة رضي الله عنها هاجر إلى الحبشة فتوفي في الطريق.

(٣) الدولابي هو الإمام الحافظ كنيته أبو بشر محمد بن أحمد بن سعيد بن مسلم الأنصاري الرازي الوراق المحدث الكبير صاحب التصانيف والتآليف أخذ عنه كبار العلماء كالطبراني وأبي حاتم، توفي بمكة سنة ٣١٠ هـ.

(٤) الآجري هو: محمد بن الحسين بن عبد الله كنيته أبو بكر الآجري فقيه شافعي المذهب محدث ولد ببغداد ثم ارتحل إلى مكة فتزهد، توفي سنة ٣٦٠ هـ.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمتها.

(٧) أخرجه الشيخان في الصحيحين.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) أم سليم بنت ملحان بن خالد الأنصارية هي أم أنس بن مالك خادم الرسول ﷺ. عشر سنين تزوجت مالك ابن النضر في الجاهلية فانجبت منه أنساً هذا في الجاهلية، واعتنقت الإسلام من الأوائل، فغضب زوجها وخرج إلى الشام فمات بها وتزوجت بعده أبا طلحة شهدت غزوة حنين ودافعت عن الرسول ﷺ. ترجمتها في الإصابة: ٤/٤٣١.

(١٠) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح. ٩/٢٢٦ ـ ٢٢٧ كتاب النكاح (٦٧) باب الهدية للعروس (٦٤) الحديث ٥١٦٣، والإمام مسلم في الصحيح ٢/١٠٥١ كتاب النكاح (١٦) باب زواج زينب بنت جحش... (١٥) الحديث: ١٤٢٨/٩٤ والحديث طويل ومتفق عليه.

كُلُّهُمْ، فَقَالَ لِي: «ارْفَعْ» فَمَا أَدْرِي حِينَ وُضِعَتْ كَانَتْ أَكْثَرَ أَمْ حِينَ رُفِعَتْ وَأَكْثَرُ أَحَادِيثِ هَذِهِ الْفُصُولِ الثَّلاَثَةِ فِي الصَّحِيحِ وَقَدِ اجْتَمَعَ عَلَى مَعْنَى حَدِيثِ هَذَا الْفَصْلِ بِضْعَةَ عَشَرَ مِنَ الصَّحَابَةِ رَوَاهُ عَنْهُمْ أَضْعَافُهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ ثُمَّ مَنْ لاَ يَنْعَدُّ بَعْدَهُمْ وَأَكْثَرُهَا فِي قِصَصٍ مَشْهُورَةٍ وَمَجَامِعَ مَشْهُودَةٍ وَلاَ يُمْكِنُ التَّحَدُّثُ عَنْهَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَسْكُتُ الْحَاضِرُ لَهَا عَلَى مَا أُنْكِرَ مِنْهَا.

الفصل السادس عشر: في كلام الشجرِ وشهادتِها له بالنبوّة وإجابتِها دعوته

[قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنُ غَلْبُونِ الشَّيْخُ الصَّالِحُ فِيمَا أَجَازَ فِيهِ عَنْ أَبِي عَمْرٍو وَالطَّلَمَنْكِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ الْمُهَنْدِسِ عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَغَوِيِّ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عِمْرَانَ الأَخْنَسِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ التَّيْمِيُّ وَكَانَ صَدُوقاً عَنْ مُجَاهِدٍ][1] عَنِ ابْنِ عُمَرَ[2] قَالَ: كُنَّا مَعَ[3] رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَدَنَا مِنْهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: «يَا أَعْرَابِيُّ أَيْنَ تُرِيدُ؟» قَالَ إِلَى أَهْلِي قَالَ: «هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ» قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ: «تَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» قَالَ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ عَلَى مَا تَقُولُ قَالَ «هَذِهِ الشَّجَرَةُ السَّمُرَةُ» وَهِيَ بِشَاطِيءِ الْوَادِي فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الأَرْضَ حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلاَثاً فَشَهِدَتْ أَنَّهُ كَمَا قَالَ ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا. وَعَنْ بُرَيْدَةَ[4] سَأَلَ أَعْرَابِيٌّ[5] النَّبِيَّ ﷺ آيَةً فَقَالَ لَهُ: «قُلْ لِتِلْكَ الشَّجَرَةِ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُوكِ» قَالَ فَقَالَتِ الشَّجَرَةُ عَنْ يَمِينِهَا وَشِمَالِهَا وَبَيْنَ يَدَيْهَا وَخَلْفَهَا فَتَقَطَّعَتْ عُرُوقُهَا ثُمَّ جَاءَتْ تَخُدُّ الأَرْضَ تَجُرُّ عُرُوقَهَا مُغْبَرَّةً حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتِ السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ الأَعْرَابِيُّ مُرْهَا فَلْتَرْجِعْ إِلَى مَنْبَتِهَا فَرَجَعَتْ فَدَلَّتْ عُرُوقَهَا فَاسْتَوَتْ فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ ائْذَنْ لِي أَسْجُدْ لَكَ قَالَ: «لَوْ أَمَرْتُ أَحَداً أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا». قَالَ فَأْذَنْ لِي أَنْ أُقَبِّلَ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ فَأَذِنَ لَهُ. وَفِي الصَّحِيحِ فِي حَدِيثِ جَابِرِ[6] بْنِ عَبْدِ اللهِ الطَّوِيلِ: ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

---

(١) [. . . .] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) أخرجه الدارمي في السنن ١/٩ ـ ١٠ المقدمة باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجرة به والبهائم والجن، وابن حبان في صحيحه أورده الهيثمي في موارد الظمآن ص: ٥١٩ ـ ٥٢٠. كتاب علامات نبوة نبينا ﷺ (٣٥) باب شهادة الشجر وانقيادها له (٩) الحديث: ٢١١٠.

(٤) بريدة بن الحصب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاج. . الأسلمي من المهاجرين. كنيته أبو عبد الله وقيل أبو سهل وقيل أبو ساسان أسلم قديماً، وسكن البصرة ثم انتقل إلى سجستان ومنها إلى مرو حيث توفي أيام خلافة معاوية وقيل في خلافة يزيد ابنه.

ترجمته في: الطبقات: ٢٤١/٤، ٨/٨ والإصابة: ١٤٦/١ والثقات ٢٩/٣.

(٥) الحديث السابق في نفس الموضوع.

(٦) تقدمت ترجمته.

يَقْضِي حَاجَتَهُ فَلَمْ يَرَ شَيْئاً يَسْتَتِرُ بِهِ فَإِذَا بِشَجَرَتَيْنِ بِشَاطِيءِ الْوَادِي فَانْطَلَقَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى إِحْدَهُمَا فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ الله»، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ الذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ وَذَكَرَ أَنَّهُ فَعَلَ بِالأُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصِفِ بَيْنَهُمَا قَالَ: «الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ الله» فَالْتَأَمَتَا. وَفِي رِوَايَةٍ[1] أُخْرَى فَقَالَ: «يَا جَابِرُ قُلْ لِهَذِهِ الشَّجَرَةِ يَقُولُ لَكِ رَسُولُ الله ﷺ الْحِقِي بِصَاحِبَتِكِ حَتَّى أَجْلِسَ خَلْفَكُمَا» فَزَحَفَتْ حَتَّى لَحِقَتْ بِصَاحِبَتِهَا فَجَلَسَ خَلْفَهُمَا فَخَرَجْتُ أَحْضِرُ وَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي فَالْتَفَتُّ فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ مُقْبِلاً وَالشَّجَرَتَانِ قَدِ افْتَرَقَتَا فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ فَوَقَفَ رَسُولُ الله ﷺ وَقْفَةً فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا يَمِيناً وَشِمَالاً.

وَرَوَى[2] أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ[3] نَحْوَهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ: «هَلْ يَعْنِي مَكَاناً لِحَاجَةِ رَسُولِ الله ﷺ» فَقُلْتُ إِنَّ الْوَادِي مَا فِيهِ مَوْضِعٌ بِالنَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَرَى مِنْ نَخْلٍ أَوْ حِجَارَةٍ» قُلْتُ أَرَى نَخَلاَتٍ مُتَقَارِبَاتٍ قَالَ: «انْطَلِقْ وَقُلْ لَهُنَّ إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَأْمُرُكُنَّ أَنْ تَأْتِينَ لِمَخْرَجِ رَسُولِ الله ﷺ وَقُلْ لِلْحِجَارَةِ مِثْلَ ذَلِكَ» فَقُلْتُ ذَلِكَ لَهُنَّ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَقَدْ رَأَيْتُ النَّخَلاَتِ يَتَقَارَبْنَ حَتَّى اجْتَمَعْنَ وَالْحِجَارَةَ يَتَعَاقَدْنَ حَتَّى صِرْنَ رُكَاماً خَلْفَهُنَّ فَلَمَّا قَضَى حَاجَتَهُ قَالَ لِي: «قُلْ لَهُنَّ يَفْتَرِقْنَ» فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَرَأَيْتُهُنَّ وَالْحِجَارَةَ يَفْتَرِقْنَ حَتَّى عُدْنَ إِلَى مَوَاضِعِهِنَّ.

وَقَالَ يَعْلَى[4] بْنُ سَبَابَةَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَسِيرٍ وَذَكَرَ نَحْواً مِنْ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ وَذَكَرَ فَأَمَرَ وَدِيَّتَيْنِ فَانْضَمَّتَا وَفِي رِوَايَةٍ أَشَاءَتَيْنِ وَعَنْ غَيْلاَنَ[5] بْنِ سَلَمَةَ الثَّقَفِيِّ مِثْلُهُ فِي شَجَرَتَيْنِ وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ[6] عَنِ النبي ﷺ مِثْلُهُ فِي غَزَاةِ حُنَيْنٍ وَعَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ وَهُوَ ابْنُ سَبَابَةَ أَيْضاً وَذَكَرَ أَيْضاً أَشْيَاءَ رَآهَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ فَذَكَرَ أَنَّ طَلْحَةَ أَوْ سَمُرَةَ جَاءَتْ فَأَطَافَتْ بِهِ ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّهَا اسْتَأْذَنَتْ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَيَّ». وَفِي حَدِيثِ[7] عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ[8] رَضِيَ الله عَنْهُ آذَنَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِالْجِنِّ لَيْلَةَ اسْتَمَعُوا لَهُ شَجَرَةٌ وَعَنْ مُجَاهِدٍ[9] عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي

---

(١) أخرجها الإمام مسلم في الصحيح بالشكل السابق الذكر مع تغيير في الألفاظ.

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، وأخرجه أبو يعلى بسند حسن عنه.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) يعلى بن سبابة هو يعلى بن مرة: والده اسمه مرة وأمه اسمها سبابة يقال إن له صحبة: ترجمته في: الثقات ٣/٤٤١ والطبقات ٦/٤٠ والإصابة ٣/٦٦٩.

(٥) غيلان بن سلمة الثقفي أسلم بعد الطائف وكان شاعراً موهوباً، وكانت أمه من بني جشم، وعند اسم كان تحته عشر نسوة فأمره النبي ﷺ أن يختار منهن أربعاً. توفي في آخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه موالي سنة ٢٣ هـ. ترجمته في الثقات: ٣/٣٢٨ والطبقات ٥/٥٠٥، والإصابة ٣/١٨٩.

(٦) تقدمت ترجمته. (٧) أخرجه الشيخان في الصحيحين.

(٨) تقدمت ترجمته.

هَذَا الحَدِيثِ أَنَّ الْجِنَّ قَالُوا مَنْ يَشْهَدُ لَكَ قَالَ: «هَذِهِ الشَّجَرَةُ، تَعَالَي يَا شَجَرَةُ»، فَجَاءَتْ تَجُرُّ عُرُوقَهَا لَهَا قَعَاقِعُ وَذَكَرَ مِثْلَ الْحَدِيثِ الأَوَّلِ أَوْ نَحْوَهُ قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ فَهَذَا ابْنُ عُمَرَ [١] وَبُرَيْدَةُ [٢] وَجَابِرٌ [٣] وَابْنُ مَسْعُودٍ [٤] وَيَعْلَى [٥] بْنُ مُرَّةَ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَأَنَسُ [٦] بْنُ مَالِكٍ وَعَلِيُّ [٧] بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ [٨] وَغَيْرُهُمْ قَدْ اتَّفَقُوا عَلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ نَفْسِهَا أَوْ مَعْنَاهَا وَرَوَاهَا عَنْهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ أَضْعَافُهُمْ فَصَارَتْ فِي انْتِشَارِهَا مِنَ الْقُوَّةِ حَيْثُ هِيَ؛ وَذَكَرَ ابْنُ فُورَكٍ [٩] أَنَّهُ ﷺ سَارَ فِي غَزْوَةِ الطَّائِفِ لَيْلاً وَهُوَ وسِنٌ فَاعْتَرَضَتْهُ سِدْرَةٌ فَانْفَرَجَتْ لَهُ نِصْفَيْنِ حَتَّى جَازَ بَيْنَهُمَا وَبَقِيَتْ عَلَى سَاقَيْنِ إِلَى وَقْتِنَا وَهِيَ هُنَاكَ مَعْرُوفَةٌ مُعَظَّمَةٌ.

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ [١٠] أَنَسٍ [١١] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السلام قال لِلنَّبِيِّ ﷺ وَرَآهُ حَزِيناً أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيكَ آيَةً قَالَ نَعَم فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ وَرَاءِ الْوَادِي فَقَالَ: «ادْعُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ» فَجَاءَتْ تَمْشِي حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ: «مُرْهَا فَلْتَرْجِعْ فَعَادَتْ إِلَى مَكَانِهَا»؛ وَعَنْ عَلِيٍّ [١٢] نَحوَ هَذَا وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهَا جِبْرِيلَ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَرِنِي آيَةً لاَ أُبَالِي مَنْ كَذَّبَنِي بَعْدَهَا»، فَدَعَا شَجَرَةً مِثْلَهُ وَذَكَر؛ وَحُزْنُهُ ﷺ لِتَكْذِيبِ قَوْمِهِ وطَلَبُهُ الآيَةَ لَهُمْ لاَ لَهُ وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ [١٣] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرَى رَكَانَةَ مِثْلَ هَذِهِ الآيَةِ فِي شَجَرَةٍ دَعَاهَا فَأَتَتْ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ ارْجِعِي فَرَجَعَتْ وَعَنِ الْحَسَنِ [١٤] أَنَّهُ ﷺ شَكَا إِلَى رَبِّهِ مِنْ قَوْمِهِ وَأَنَّهُمْ يُخَوِّفُونَهُ وَمَا لَهُ آيَةً يَعْلَمُ بِهَا أَنْ لاَ مَخَافَةَ عَلَيْهِ فَأُوحِيَ إِلَيْهِ أَنِ ائْتَ وَادِي كَذَا فِيهِ شَجَرَةٌ فَادْعُ غُصْناً مِنْهَا يَأْتِكَ فَفَعَلَ فَجَاءَ يَخُطُّ الأَرْضَ خَطّاً حَتَّى انْتَصَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَحَبَسَهُ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ ارْجِعْ كَمَا جِئْتَ فَرَجَعَ فَقَالَ: يَا رَبِّ عَلِمْتُ أَنْ لاَ مَخَافَةَ عَلَيَّ.

وَنَحْوٌ مِنْهُ عَنْ عُمَرَ [١٥] وَقَالَ فِيهِ: أَرِنِي [١٦] آيَةً لاَ أُبَالِي مَنْ كَذَّبَنِي بَعْدَهَا، وَذَكَرَ نَحْوَهُ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ [١٧] رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ ﷺ قَالَ لِأَعْرَابِيٍّ [١٨]: «أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتَ هَذَا الْعِذْقَ مِنْ

---

(١) تقدمت ترجمته.
(٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) تقدمت ترجمته.
(١٠) تقدمت ترجمته.
(١١) أخرجه ابن ماجه في السنن والدارمي والبيهقي برواية أنس.
(١٢) تقدمت ترجمته. (١٣) تقدمت ترجمته.
(١٤) تقدمت ترجمته. (١٥) تقدمت ترجمته.
(١٦) تقدمت ترجمته.
(١٧) أخرجه البزار وأبو يعلى والبيهقي برواية عمر رضي الله عنه بسند حسن.
(١٨) تقدمت ترجمته.
(١٩) أخرجه الإمام البخاري في تاريخه، والدارمي والبيهقي مسنداً. والترمذي في السنن وقال حديث صحيح.

هَذِهِ النَّخْلَةَ أَتشهَدُ أَنِّي رَسُولُ الله ﷺ قَال نَعَم. فَدَعَاهُ فَجَعَلَ يَنقِرُ حَتَّى أَتَاهُ فَقَالَ: «ارجِعْ» فَعَادَ إِلَى مَكَانِهِ وَخَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ[١] وَقَالَ هَذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

الفصل السابع عشر: في قصة حنين الجذع

وَيَعْضُدُ هَذِهِ الأَخْبَارَ حَدِيثُ[٢] أَنِينِ الجِذْعِ وَهُوَ فِي نَفْسِهِ مَشْهُورٌ مُنْتَشِرٌ والخَبَرُ بِهِ مُتَواتِرٌ قَدْ خَرَّجَهُ أَهْلُ الصحيح وَرَوَاهُ مِنَ الصَّحَابَةِ بِضْعَةَ عَشَر مِنْهُمْ أُبَيُّ[٣] بْنُ كَعْبٍ وَجَابِرُ[٤] بْنُ عَبْدِ الله وَأَنَسُ[٥] بْنُ مَالِكٍ وَعَبْدُ[٦] الله بْنُ عُمَرَ وَعبدُ الله بنُ عَبَاسٍ[٧] وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ[٨] وَأَبُو سَعِيدٍ[٩] الْخُدْرِيُّ وَبُرَيْدَةُ[١٠] وَأُمُّ[١١] سَلَمَةَ وَالْمُطَّلِبُ[١٢] بْنُ أَبي وَدَاعَةَ كُلُّهُمْ يُحَدِّثُ بِمَعْنَى هَذَا الحَدِيثِ قَالَ التِّرْمِذِيُّ[١٣] وَحَدِيثُ أَنَسٍ[١٤] صَحِيحٌ قَالَ جَابِرُ بْنُ[١٥] عَبْدِ الله كان الْمَسْجِدُ مَسْقُوفاً عَلَى جُذُوعِ نَخْلٍ فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ المِنْبَرُ سَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتاً كَصَوْتِ العِشَارِ[١٦].

وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ[١٧]: حَتَّى ارْتَجَّ الْمَسْجِدُ بِخُوَارِهِ. وَفِي رِوَايَةِ سَهْلٍ[١٨] وَكَثُرَ بُكَاءُ النَّاسِ لِمَا رَأَوْا بِهِ. وَفِي رِوَايَةِ الْمُطَّلِبِ[١٩] وَأُبَيٍّ[٢٠] حَتَّى تَصَدَّعَ وَانْشَقَّ حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَسَكَتَ؛ زَادَ غَيْرُهُ فَقَالَ النبي ﷺ: «إِنَّ هَذَا بَكَى لِمَا فَقَدَ مِنَ الذِّكْرِ»، وَزَادَ غَيْرُهُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ أَلْتَزِمْهُ لَمْ يَزَلْ هَكَذَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ تَحَزُّناً عَلَى رَسول الله ﷺ فَأَمَرَ به رسولُ الله ﷺ فَدُفِنَ تَحْتَ المِنْبَرِ كَذَا فِي حَدِيثِ الْمُطَّلِبِ وَسَهْلِ[٢١] بْنِ سَعْدٍ وَإِسْحَاقَ[٢٢] عَنْ أَنَسٍ وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ عَنْ سَهْلٍ فَدُفِنَتْ تَحْتَ مِنْبَرِهِ أَوْ جُعِلَتْ فِي السَّقْفِ.

وَفِي حَدِيثِ أُبَيٍّ[٢٣] فَكَانَ إِذَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلَّى إِلَيْهِ فَلَمَّا هُدِمَ الْمَسْجِدُ أَخَذَهُ أُبَيٌّ

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) أخرجه أصحاب الكتب الستة في الحديث، وابن حبان وابن خزيمة والحديث متواتر، برواية عشرة من الصحابة.

(٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) ترجمتهم تقدمت.

(١٣) (١٤) (١٥) تقدمت ترجمته.

(١٦) العشار: الناقة التي أتى عليها الفحل عشرة أشهر وزال عنها اسم المخاض ثم لا تزال كذلك حتى تضع وبعد وضعها.

(١٧) تقدم الكلام عليه. (١٨) تقدمت ترجمته.

(١٩) تقدمت ترجمته. (٢٠) تقدمت ترجمته.

(٢١) تقدمت ترجمته.

(٢٢) إسحاق هو إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري أخرج أحاديثه الأئمة الستة، وأخذ هو عن أبيه، وهو من أجلة التابعين يعده البعض ثقة وحجة توفي رحمه الله سنة ١٣٢ هـ.

(٢٣) تقدمت ترجمته.

فَكَانَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ أَكَلَتْهُ الأَرْضُ وَعَادَ رُفَاتاً. وَذَكَرَ الإِسْفَرَائِيُّ[١] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَاهُ إِلى نَفْسِهِ فَجَاءَهُ يَخْرِقُ الأَرْضَ فَالْتَزَمَهُ ثُمَّ أَمَرَهُ فَعَادَ إِلَى مَكَانِه. وَفِي حَدِيثِ بُرَيْدَةَ[٢] فَقَال يعني النبي ﷺ: «إِنْ شِئْتَ[٣] أَرُدُّكَ إِلَى الْحَائِطِ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ تَنْبُتُ لَكَ عُرُوقُكَ وَيَكْمُلُ خَلْقُكَ وَيُجَدَّدُ لَكَ خُوصٌ وَثَمَرَةٌ وَإِنْ شِئْتَ أَغْرِسُكَ فِي الجَنَّةِ فَيَأْكُلُ أَوْلِيَاءُ الله مِنْ ثَمْرِكَ»، ثُمَّ أَصْغَى لَهُ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَمِعُ مَا يَقُولُ فَقَالَ: بَلْ تَغْرِسُنِي فِي الجَنَّةِ فَيَأْكُلُ مِنِّي أَوْلِيَاءُ الله وَأَكُونُ في مَكانٍ لاَ أَبْلَى فِيهِ فَسَمِعَهُ مَنْ يَلِيهِ فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «قَدْ فَعَلْتُ». ثُمَّ قال: «اخْتَارَ دَارَ الْبَقَاءِ عَلَى دَارِ الْفَنَاءِ». فَكَانَ الحَسَنُ[٤] إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا بَكَى وَقَالَ يَا عِبَادَ الله الْخَشَبَةُ تَحِنُّ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ شَوْقاً إِلَيْهِ لِمَكَانِهِ فَأَنْتُم أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَى لِقَائِهِ، رواه عن جابِرٍ[٥] حَفْصُ[٦] بْنُ عُبَيْدِ الله وَيُقَالُ عَبْدُ الله بْنُ حَفْصٍ[٧] وَأَيْمَنُ[٨] وَأَبُو نَضْرَةَ[٩] وَابنُ الْمُسَيَّبِ[١٠] وَسَعِيدُ[١١] بْنُ أَبي كَرْبٍ وَكُرَيْبُ[١٢] وَأَبُو صَالِحٍ[١٣] وَرَوَاهُ عَنْ أَنَسِ[١٤] بْنِ مَالِكٍ، الحَسَنُ[١٥] وَثَابِتُ[١٦] وَإِسْحَاقُ[١٧] بْنُ أَبِي طَلْحَةَ وَرَوَاهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ[١٨] نَافِعٌ[١٩] وَأَبُو حَيَّةَ[٢٠] ورواه أَبُو نَضْرَةَ[٢١] وَأَبُو الوَدَّاكِ[٢٢] عَنْ أَبي سَعِيدٍ[٢٣] وَعَمَّارُ[٢٤] بْنُ أَبي عَمَّارٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[٢٥] وَأَبُو

---

(١) الأسفرائيني هو: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران كنيته أبو إسحق اشتهر بالفقه والأصول، وكان يلقب بركن الدين نشأ في اسفرايين ثم ارتحل إلى نيسابور، وفيها بنيت له مدرسة فدرس حتى ارتحل إلى خراسان، وهو ثقة في رواية الحديث وله مناظرات مع المعتزلة، توفي بنيسابور سنة: ٤١٨ هـ.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٢/ ٥٠١. وعياض في الشفا: ١/ ٥٨٤.

(٤) تقدمت ترجمته. (٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) أبو نضرة هو: المنذر بن مالك العبدي النفري أخذ عن ابن عباس وأخرج له أئمة السنن، وكان بليغاً فصيحاً ثقة توفي رحمه الله سنة ٨٥٩ هـ.

(١٠) تقدمت ترجمته.

(١١) سعيد بن أبي كرب وقيل ابن أبي كريب تابعي ثقة كنيته أبو زرعة، وقال ابن حبان والمديني مجهول.

(١٢) كريب بن أبي مسلم مولى بني هاشم تابعي، وثقة عند ابن سعد وابن معين والنسائي وابن حبان. توفي رحمه الله سنة ٩٨هـ.

(١٣) أبو صالح هو: ذكوان السمان الزيات المدني مولى جويرية بنت الأحمس الغطفاني من أجلة الناس وأوثقهم، كثير الحديث وكان يأخذ عن أبي هريرة توفي رحمه الله سنة ١٠١ هـ وهي السنة التي توفي فيها عمر بن عبد العزيز.

(١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) تقدمت تراجمهم.

حَازِم[١] وَعباسُ[٢] بْنُ سَهْلِ عن سَهْلِ بْنِ سعْدٍ وَكَثِيرُ[٣] بْنُ زَيْدٍ عن المُطَلب[٤] وعبدُ الله[٥] بنُ بُرَيْدَةَ عن أبيهِ والطُّفَيْلُ[٦] بْنُ أَبِيِّ عن أبيه. قال القاضي أبو الْفَضْل وَفَّقَهُ الله فَهَذَا حديثٌ: كَمَا تَرَاهُ خَرَّجَهُ أَهْلُ الصِّحَّةِ مَنْ ذَكَرْنَا وَغَيْرُهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ ضِعْفُهُمْ إِلَى مَنْ لَم نَذْكُرْهُ وَبِدُونَ هَذَا الْعَدَدِ يَقَعُ الْعِلْمُ لِمَنِ اعْتَنَى بِهَذَا الْبَابِ وَالله الْمُثَبِّتُ عَلَى الصَّوَابِ.

الفصل الثامن عشر: ومثل هذا في سائر الجمادات

[حَدَّثَنَا القَاضِي أَبُو عَبْدِ الله محمدُ بْنُ عِيسَى التَّيْمِيُّ حَدَّثَنَا القَاضِي أَبو عَبد الله محمدُ بْنُ المُرَابِطِ حَدَّثَنَا الْمُهَلَّبُ حَدَّثَنَا أَبو القاسِمِ حَدَّثَنا أبو الحَسَنِ الْقَابِسيُّ حَدَّثَنا الْمَروزِيُّ حَدَّثَنا الفِرَبْرِي حَدَّثَنَا الْبُخَارِيُّ حَدَّثَنا محمدٌ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنا إِسْرَائِيلُ عَنِ مَنصورٍ عَنِ إِبْرَاهِيمَ عن عَلْقَمَةَ][٧] عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ[٨] قال: لَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَام وَهُوَ يُؤْكَلُ[٩]، وَفِي غير هَذِهِ الرواية عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ كُنَّا نَأْكُلُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ الطَّعَامَ وَنَحْنُ نَسْمَعُ تَسْبِيحَهُ، وَقَالَ أَنَسٌ[١٠] أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ كَفاً مِنْ حَصًى فَسَبَّحْنَ فِي يَدِ رسول الله ﷺ حَتَّى سَمِعْنَ التَّسْبِيحَ ثُمَّ صَبَّهُنَّ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ[١١] رَضِيَ الله عَنْهُ فَسَبَّحْنَ ثُمَّ فِي أَيْدِينَا فَمَا سَبَّحْنَ.

وَرَوَى مِثْلَهُ أَبو ذَرٍّ[١٢] وَذَكَر: أَنَهُنَّ سَبَّحْنَ[١٣] في كَفِّ عُمَرَ[١٤] وعثمانَ[١٥] رَضِيَ الله عَنْهُما وقال عليٌّ[١٦] كُنَّا بِمَكَّةَ مَعَ رسول الله ﷺ فَخَرَجَ إِلى بَعْضِ نَوَاحِيهَا فما اسْتَقْبَلَهُ شَجَرَةٌ وَلاَ جَبَلٌ إِلاَّ قَالَ لَهُ السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله.

وعن جَابِرِ[١٧] بْنِ سَمُرَةَ عَنْهُ ﷺ: «إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَراً بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ»؛ قِيلَ إِنَّهُ الْحَجَرُ الأَسْوَدُ.

---

(١) أبو حازم هو: مسلمة بن وضاء المخزومي كنيته أبو حازم من علماء المدينة وقضاتها يعد من الزهاد الورعين توفي سنة ١٤٠ هـ.

(٢) تقدمت ترجمته. (٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته. (٥) تقدمت ترجمته.

(٦) الطفيل بن أبي بن كعب الأنصاري الخزرجي ولد في حياة الرسول ﷺ، وثقه ابن سعد، والعجلي وابن حبان.

(٧) تقدمت ترجمته. (٨) [....] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٩) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، والترمذي في السنن في المناقب وقال حسن صحيح.

(١٠) تقدمت ترجمته. (١١) تقدمت ترجمته.

(١٢) (١٣) (١٤) (١٥): تقدمت ترجمتهم.

(١٦) أخرجه الطبراني والبيهقي والبزار.

(١٧) أخرجه الامام مسلم في الصحيح ٤/ ١٧٨٢ كتاب الفضائل (٤٣) باب فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة (١) الحديث ٢/ ٢٢٧٧. ولفظه: وتسليم الحجر عليه قبل النبوة (١) الحديث ٢/ ٢٢٧٧، ولفظه: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعْرِفُهُ الآن».

وعن عائشة[١] رَضِيَ الله عَنها: «**لَمَّا اسْتَقْبَلَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِالرِّسَالَةِ جَعَلْتُ لاَ أَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلاَ شَجَرٍ إِلاَّ قَالَ السَّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله**»[٢].

وَعن جَابِرِ[٣] بنِ عَبْدِ الله: لَمْ يَكُن النَّبِيُّ[٤] ﷺ يَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلاَ شَجَرٍ إِلاَّ سَجَدَ لَهُ، وَفِي حَدِيثِ الْعَبَّاسِ[٥]: إِذَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ النبيُّ ﷺ وَعَلَى بَنِيهِ بِمُلاءَةٍ وَدَعَا لَهُمْ بِالسَّتْرِ مِنَ النَّارِ كَسَتْرِهِ إِيَّاهُمْ بِمُلاءَتِهِ فَأَمَّنَتْ أَسْكُفَّةُ الْبَابِ وَحَوَائِطُ الْبَيْتِ آمِينَ آمِينَ[٦].

وعن جعفرِ بْنِ[٧] محمدٍ عن أَبِيه: مَرِضَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَاهُ جبريلُ بِطَبَقٍ فِيهِ رُمَّانٌ وَعِنَبٌ فَأَكَلَ مِنْهُ النبيُّ ﷺ فَسَبَّحَ[٨]، وَعن أَنَسٍ[٩] صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ وأبو بكرٍ وَعُمَرُ وعثمانُ أُحُداً فَرَجَفَ بِهِمْ فَقال: «**اثْبُتْ أُحُداً**[١٠] **فَإِنَّما عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ**» وَمِثْلُهُ عَن أبي هُرَيْرَةَ[١١] في حَرَاءٍ[١٢] وَزَادَ مَعَهُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَقالَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ أَوْ صَدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ وَالْخَبَرُ في حَرَاءٍ أَيْضاً عَن عثمانَ[١٣] قَالَ وَمَعَهُ عَشَرَةٌ مِن أَصْحابِهِ أَنا فِيهِمْ وَزَادَ عَبْدَ الرَّحْمَٰنِ[١٤] وسعداً قال: ونَسِيتُ الاثْنَين. وفي حديثِ سَعِيدِ[١٥] بْنِ زَيْد أَيضاً مِثْلُهُ وَذَكَرَ عَشَرَةً[١٦] وَزَادَ نَفْسَهُ. وَقَدْ رُوِيَ: أَنهُ حِينَ طَلَبَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ لَهُ: ثَبِيرُ اهْبِطْ يَا رسَولَ الله فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَقْتُلُوكَ عَلَى ظَهْرِي فَيُعَذِّبَنِي الله فَقَالَ حِرَاءُ إِلَيَّ يَا رَسُولَ الله. وَرَوَى ابنُ عُمَرَ[١٧] رَضِيَ الله عَنهُما أَن النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ على المِنْبرِ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١] ثُمَّ قَالَ: «**يُمَجِّدُ الْجَبَّارُ نَفْسَهُ يقولُ: أَنَا**[١٨] **الْجَبَّارُ أَنَا**

---

(١) تقدمت ترجمتها.
(٢) أخرجه البزار في مسنده وهو حديث صحيح.
(٣) تقدمت ترجمته.
(٤) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح.
(٥) تقدمت ترجمته.
(٦) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة.
(٧) تقدمت ترجمته.
(٨) هذا أخرجه صاحب الشفا وحده.
(٩) تقدمت ترجمته.
(١٠) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ٧/ ٤٢ كتاب فضائل الصحابة (٦٢) باب مناقب عمر (٦) الحديث: ٣٦٨٦. ولفظه: إن النبي ﷺ صَعِدَ أحداً، وأبو بكر، وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله فقال اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان».
(١١) تقدمت ترجمته.
(١٢) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٧/ ١٩٣. والهيثمي في موارد الظمآن: ٢١٩٨. وابن حجر في المطالب العالية: ٤٠٣٢. والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣٦٧٣٩.
(١٣) تقدمت ترجمته.
(١٤) تقدمت ترجمته.
(١٥) تقدمت ترجمته.
(١٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ١/ ١٨٨.
(١٧) تقدمت ترجمته.
(١٨) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص ٢٨٦/ ط الأولى.

الجَبَّارُ أَنَا الكَبِيرُ الْمُتَعَالِ» فَرَجَفَ المِنْبَرُ حَتَّى قُلْنَا لَيَخِرَّنَّ عَنْهُ. وَعَنِ ابنِ عَباسٍ[١]: كانَ حَوْلَ البَيْتِ[٢] سِتُّونَ وَثلاثُمِائَةِ صَنَم مُثْبَتَة الأَرْجُلِ بِالرَّصَاصِ في الْحِجَارَة فَلَمَّا دَخَلَ رسول الله ﷺ المَسْجِدَ عَامَ الْفَتْحِ جَعَلَ يُشِيرُ بِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ إِلَيْهَا وَلاَ يَمَسُّهَا، وَيَقُولُ ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١] الآيَة، فَمَا أَشَارَ إِلَى وَجْهِ صَنَمٍ إِلاَّ وَقَعَ لِقَفَاهُ وَلاَ لِقَفَاهُ أَلاَّ وَقَعَ لِوَجْهِه حَتَّى مَا بَقِيَ مِنْهَا صَنَمٌ؛ وَمِثْلُهُ في حديثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَقَالَ فَجَعَلَ يَطْعَنُها ويَقُولُ: «جاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِىءُ البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ»؛ وَمِنَ ذَلِكَ حَدِيثُهُ مَعَ الرَّاهِبِ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ: إِذْ خَرَجَ تَاجِراً مَعَ عَمِّهِ وَكَانَ الرَّاهِبُ لاَ يَخْرُجُ إِلَى أَحَدٍ فَخَرَجَ وَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمْ حَتَّى أَخَذَ بِيَدِ رسول الله ﷺ فَقَالَ: «هَذَا سَيِّدُ[٣] العَالَمِينَ يَبْعَثُهُ الله رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ»، فَقال لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَا عِلْمُكَ فقال إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلاَ حَجَرٌ إِلاَّ خَرَّ سَاجِداً لَهُ وَلاَ يَسْجُدُ إِلاَّ لِنَبِيٍّ وَذَكَرَ القِصَّةَ ثُمَّ قَالَ وَأَقْبَلَ ﷺ وَعَلَيْهِ غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ فَلَمَّا دَنَا مِنَ القَوْمِ وَجَدَهُمْ سَبَقُوهُ إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ الفَيْءُ إِلَيْهِ.

الفصل التاسع عشر: في الآيات في ضروب الحيوانات

[حَدَّثَنَا سِرَاجُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ أبو الحُسَيْنِ الحَافِظُ حَدَّثَنَا أَبي حَدَّثَنَا القَاضِي أبو يُونسَ حَدَّثَنَا أبو الفَضْلِ الصَّقَلِيُّ حَدَّثَنَا ثَابِتُ بنُ قَاسِمِ بنُ ثابتٍ عن أَبِيهِ وَجَدِّهِ قالا حَدَّثَنَا أبو العَلاءِ أَحْمَدُ بنُ عِمْرَانَ حَدَّثَنَا محمدُ بنُ فُضَيْلٍ حَدَّثَنَا يُونُسُ بنُ عَمْرو حَدَّثَنَا مُجاهِدٌ][٤] عَنْ عَائِشَةَ[٥] رَضِيَ الله عَنْهَا: قَالَتْ كَانَ[٦] عِنْدَنَا دَاجِنٌ فَإِذَا كَانَ عِنْدَنَا رَسُولُ الله ﷺ قَرَّ وَثَبَتَ مَكَانَهُ فَلَمْ يَجِيءْ وَلَمْ يَذْهَبْ وَإِذَا خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ جاءَ وَذَهَبَ؛ وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ[٧]: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ فِي مَحْفَلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِذْ جاءَ أَعْرَابِيٌّ قَدْ صَادَ ضَبّاً فقال مَنْ هَذَا قَالُوا نَبِيُّ الله فَقَالَ وَاللاَّتِ وَالعُزَّى لاَ آمَنْتُ بِكَ أَوْ يُؤْمِنُ بِكَ هَذَا الضَّبُّ وَطَرَحَهُ بَيْنَ يَدَيِ النبيِّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ: «يَا ضَبُّ»؛ فَأَجَابَهُ بِلِسَانٍ مُبِين يَسْمَعُهُ القَوْمُ جَمِيعاً لَبَّيكَ وَسَعْدَيْكَ يَا زَيْنَ مَنْ وَافَى القِيَامَةَ، قَالَ: «مَنْ تَعْبُدُ؟» قَالَ الذي في السَّماءِ عَرْشُهُ وَفِي الأَرْضِ سُلْطَانُهُ وَفِي البَحْرِ سَبِيلُهُ وَفِي الْجَنَّةِ رَحْمَتُهُ وَفِي النَّارِ عِقَابُهُ: قَالَ: «فَمَنْ أَنَا؟» قَالَ رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ صَدَّقَكَ

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) أخرجه الإمام البخاري والإمام مسلم في الصحيحين والطبراني والبيهقي وأبو يعلى برواية جابر وابن مسعود.

(٣) أخرجه الترمذي في السنن تحت رقم: ٣٦٢٠، والتبريزي في مشكاة المصابيح: ٥٩١٨.

(٤) [. . . .] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٥) تقدمت ترجمتها.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند، والبزار، وأبو يعلى والبيهقي الدارقطني والطبراني.

(٧) تقدمت ترجمته.

وَخَابَ مَنْ كَذَّبَكَ. فَأَسْلَمَ الأَعْرَابِيُّ[١].

وَمِنْ ذَلِكَ قِصَّةُ كَلامِ الذِّئْبِ المَشْهُورَةُ عَنْ أَبي سَعِيدٍ[٢] الْخُدْرِيِّ: بَيْنَا رَاعٍ يَرْعَى غَنَماً لَهُ عَرَضَ الذِّئْبُ لِشَاةٍ مِنْهَا فَأَخَذَهَا مِنْهُ فَأَقْعَى الذِّئْبُ وَقَالَ لِلرَّاعِي أَلاَ تَتَّقِي الله حُلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ رِزْقِي؟ قَالَ الرَّاعِي الْعَجَبُ مِنْ ذِئْبٍ يَتَكَلَّمُ بِكَلاَمِ الإِنْسِ، فَقَالَ الذِّئْبُ أَلاَ أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ؟ رسولُ الله بَيْنَ الحَرَّتَيْنِ يُحَدِّثُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ، فَأَتَى الرَّاعِي النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فقال النبيُّ ﷺ له: «قُمْ فَحَدِّثْهُمْ»؛ ثُمَّ قَالَ صَدَقَ؛ وَالْحَدِيثُ فِيهِ قِصَّة وَفي بَعْضِهِ طُولٌ، وَرُوِيَ حَدِيثُ الذِّئْبِ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ[٣] وفي بَعْضِ الطُّرُقِ عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ فقال الذِّئْبُ أَنْتَ أَعْجَبُ وَاقِفاً عَلَى غَنَمِكَ وَتَرَكْتَ نَبِيّاً لَمْ يَبْعَثَ الله نَبِيّاً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهُ عِنْدَهُ قَدْراً قَدْ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ وَأَشْرَفَ أَهْلُهَا عَلَى أَصْحَابِهِ يَنْظُرُونَ قِتَالَهُمْ وَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ إِلاَّ هَذَا الشِّعْبُ فَتَصِيرُ فِي جُنُودِ الله؛ قَالَ الرَّاعِي مَنْ لِي بِغَنَمِي؟ قَالَ الذِّئْبُ أَنَا أَرْعَاهَا حَتَّى تَرْجِعَ فَأَسْلَمَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ غَنَمَهُ وَمَضَى وَذَكَرَ قِصَّتَهُ وَإِسْلاَمَهُ وَوُجُودَهُ النبيَّ ﷺ يُقَاتِلُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «عُدْ إِلَى غَنَمِكَ تَجِدْهَا بِوَفْرِهَا» فَوَجَدَهَا كَذَلِكَ وَذَبَحَ لِلذِّئْبِ شَاةً[٤] مِنْهَا. وَعَنْ أُهْبَانَ[٥] بْنِ أَوْسٍ وَأَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ الْقِصَّةِ وَالْمُحَدِّثَ بِهَا وَمُكَلِّمَ الذِّئْبِ وَعَنْ سَلَمَةَ[٦] بْنِ عَمْرِو بْنِ الأَكْوَعِ وَأَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ هَذِهِ الْقِصَّةِ أَيْضاً وَسَبَبَ إِسْلاَمِهِ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبي سَعِيدٍ[٧] وَقَدْ رَوَى ابْنُ وَهْبٍ[٨] مِثْلَ هَذَا أَنَّهُ جَرَى لأَبي سُفْيَانَ[٩] بنِ حَرْبٍ وَصَفْوَانَ[١٠] بنِ أُمَيَّةَ مَعَ ذِئْبٍ وَجَدَاهُ أَخَذَ ظَبْياً فَدَخَلَ الظَّبْيُ الْحَرَمَ فَانْصَرَفَ الذِّئْبُ فَعَجِبَا مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ الذِّئْبُ أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ محمدُ بنُ عَبْدِ الله بِالْمَدِينَةِ يَدْعُوكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَتَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ فَقَالَ أَبُو سفْيَانَ وَاللاَّتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ ذَكَرْتَ هَذَا بِمَكَّةَ لَتَتْرُكَنَّها خُلُوفاً؛ وَقَدْ رُوِيَ مِثْلُ هَذَا الْخَبَرِ وَأَنَّهُ جَرَى لأَبي جَهْلٍ[١١] وَأَصْحَابِهِ وَعَنِ

---

(١) قيل في هذا الحديث إنه موضوع: وقال الإمام السيوطي إنه ضعيف وليس بموضوع.
(٢) تقدمت ترجمته.
(٣) تقدمت ترجمته.
(٤) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٧/ ١٩٤. وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في المسند والبزار والبيهقي والبغوي وأبو نعيم بسند صحيح.
(٥) أهبان بن أوس الأسلمي الصحابي الجليل سكن الكوفة وظل حتى توفي في خلافة معاوية رضي الله عنه.
(٦) تقدمت ترجمته.
(٧) تقدمت ترجمته.
(٨) ابن وهب وهو: أبو عبد الله، أبو محمد بن وهب بن مسلم الفهري المصري أحد علماء الحديث الكبار، عوض عليه القضاء فطلب العفو وانقطع للعبادة والتصنيف توفي رحمه الله سنة ١٩٧ هـ.
(٩) تقدمت ترجمته. (١٠) تقدمت ترجمته.
(١١) تقدمت ترجمته.

عَباس[١] بْنِ مِرْدَاسٍ لَمَّا تَعَجَّبَ مِنْ كَلَامِ ضِمَارٍ صَنَمِهِ وَإِنْشَادِهِ الشِّعْرَ الَّذِي ذَكَرَ فِيهِ النَّبِيَّ ﷺ فَإِذَا طَائِرٌ سَقَطَ فقال يَا عَبَّاسُ أَتَعْجَبُ مِنْ كَلَامِ ضِمَارٍ وَلَا تَعْجَبُ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَدْعُو إِلَى الإِسْلَامِ وَأَنْتَ جَالِسٌ فَكَانَ سَبَبَ إِسْلَامِهِ، وَعَن جابرٍ[٢] بن عَبدِ الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ رَجُلٍ أَتَى النبيَّ ﷺ: وآمَنَ بِهِ وَهُوَ عَلَى بَعْضِ حُصُونِ خَيْبَرَ وَكَانَ فِي غَنَمٍ يَرْعَاهَا لَهُمْ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ بِالْغَنَمِ قَالَ: أَحْصِبْ وُجُوهَهَا فَإِنَّ اللهَ سَيُؤَدِّي عَنْكَ أَمَانَتَكَ وَيَرُدُّهَا إِلَى أَهْلِهَا فَفَعَلَ فَسَارَتْ كُلُّ شَاةٍ حَتَّى دَخَلَتْ إِلَى أَهْلِهَا[٣]؛ وَعَنْ أَنَسٍ[٤] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دَخَلَ النبيُّ ﷺ حَائِطَ أَنْصَارِيٍّ وَأَبُو[٥] بَكْرٍ وَعُمَرُ[٦] وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وَفِي الْحَائِطِ غَنَمٌ فَسَجَدَتْ لَهُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ[٧] نَحْنُ أَحَقُّ بِالسُّجُودِ لَكَ مِنْهَا ـ الحديث ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[٨] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: دَخَلَ النَّبِيُّ[٩] ﷺ حَائِطاً فَجَاءَ بَعِيرٌ فَسَجَدَ لَهُ وَذَكَرَ مِثْلَهُ؛ وَمِثْلُهُ فِي الْجَمَلِ عَنْ ثَعْلَبَةَ بنِ مَالِكٍ[١٠] وَجَابِرِ[١١] بْنِ عَبْدِ اللهِ وَيَعْلَى[١٢] بْنِ مُرَّةَ وَعَبْدِ اللهِ[١٣] بنِ جَعْفَرٍ قَالَ وَكَانَ لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْحَائِطَ إِلَّا شَدَّ عَلَيْهِ الْجَمَلُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ النبيُّ ﷺ دَعَاهُ فَوَضَعَ مِشْفَرَهُ عَلَى الأَرْضِ وَبَرَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَخَطَمَهُ وَقَالَ: «مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ شَيْءٌ إِلَّا يَعْلَمُ أَنِّي رسولُ اللهِ إِلَّا عَاصِيَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ». وَمِثْلُهُ عَن عَبد الله بن أبي أَوْفَى وَفِي خَبَرٍ آخَرَ فِي حَدِيثِ الْجَمَلِ أَنَّ النبيَّ ﷺ سَأَلَهُمْ عَنْ شَأْنِهِ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ أَرَادُوا ذَبْحَهُ وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ النبيَّ ﷺ قال لَهُمْ: «إِنَّهُ شَكَا كَثْرَةَ الْعَمَلِ وَقِلَّةَ الْعَلَفِ»؛ وَفِي رِوَايَةٍ: «أَنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكُمْ أَرَدْتُمْ ذَبْحَهُ بَعْدَ أَنِ اسْتَعْمَلْتُمُوهُ

---

(١) عباس بن مرداس السلمي المصري من الذين حرموا الخمر على أنفسهم في الجاهلية، اعتنق الإسلام فحسن إسلامه وهو ابن الخنساء الشاعرة تماضر توفي رحمه الله في خلافة عمر رضي الله عنه. سنة ١٨ هـ.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥/ ٢٥، وأخرجه البزار بسند حسن.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) تقدمت ترجمته.

(١١) تقدمت ترجمته.

(١٢) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح، وأبو داود في السنن.

(١٣) عبد الله بن أبي أوفى صحابي وابن صحابي رضي الله تعالى عنهما شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، وهو الذي دعا له النبي ﷺ حين أتى إليه بصدقته. فقال اللهم صلِ على آل أبي أوفى.

فِي شَاقِّ الْعَمَلِ مِنْ صِغَرِهِ فَقَالُوا(١) نَعَمْ، وَقَدْ رُوِيَ فِي قِصَّةِ الْعَضْبَاءِ(٢) وَكَلامِهَا لِلنبيِّ ﷺ وَتَعْرِيفِهَا لَهُ بِنَفْسِهَا وَمُبَادَرَةِ الْعُشْبِ إِلَيْهَا فِي الرَّعْيِ وَتَجَنُّبِ الْوُحُوشِ عَنْهَا وَنِدَائِهِمْ إِنَّكِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَأَنَّهَا لَمْ تَأْكُلْ وَلَمْ تَشْرَبْ بَعْدَ مَوْتِهِ حَتَّى مَاتَتْ، ذَكَرَهُ الإِسْفَرَائِينِيُّ(٣)؛ وَرَوَى ابنُ وَهْبٍ(٤): أَنَّ حَمَامَ مَكَّةَ أَظَلَّتِ النبيَّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِهَا فَدَعَا لَهَا بِالْبَرَكَةِ. وَرُوِيَ عَنْ أَنَسٍ(٥) وزيدٍ(٦) بْنِ أَرْقَمَ وَالْمُغِيرَةِ(٧) بْنِ شُعْبَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ أَمَرَ اللهُ لَيْلَةَ الْغَارِ شَجَرَةً فَنَبَتَتْ تُجَاه النبي ﷺ فَسَتَرَتْهُ وَأَمَرَ حَمَامَتَيْنِ فَوَقَفَتَا بِفَمِ الْغَارِ؛ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ وَأَنَّ الْعَنْكَبُوتَ نَسَجَتْ عَلى بَابِهِ فَلَمَّا أَتَى الطَّالِبُونَ لَهُ وَرَأَوْا ذَلِكَ قَالُوا لَوْ كَانَ فِيهِ أَحَدٌ لَمْ تَكُنِ الحَمَامَتَانِ بِبَابِهِ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَسْمَعُ كَلامَهُمْ فَانْصَرَفُوا(٨)، وَعن عبدِ اللهِ(٩) بنِ قُرْطٍ قُرِّبَ إِلى النبي ﷺ بَدَنَاتٌ خَمْسٌ أَوْ سِتٌّ أَوْ سَبْعٌ لِيَنْحَرَهَا يَوْمَ عِيدٍ فَازْدَلَفْنَ إِلَيْهِ بِأَيِّهِن يَبْدَأُ. وَعن أُمِّ سَلَمَةَ(١٠): كَانَ النبي ﷺ فِي صَحْرَاءَ فَنَادَتْهُ ظَبْيَةٌ يا رسولَ الله قال: «ما حَاجَتُكِ» قَالَتْ صَادَنِي هَذَا الأَعْرَابِيُّ وَلِي خِشْفَانِ فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ فَأَطْلِقْنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأُرْضِعَهُمَا وَأَرْجِعَ قَالَ: «أَوَ تَفْعَلِينَ؟» قَالَتْ: نَعَمْ فَأَطْلَقَهَا فَذَهَبَتْ وَرَجَعَتْ فَأَوْثَقَهَا فَانْتَبَه الأَعْرَابِيُّ وقال يا رسولَ الله أَلَكَ حَاجَةٌ؟ قَالَ: «تُطْلِقُ هَذِهِ الظَّبْيَةَ»؛ فَأَطْلَقَهَا فَخَرَجَتْ تَعْدُو فِي الصَّحْرَاءِ وَتَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ(١١)؛ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا رُوِيَ مِنْ تَسْخِيرِ الأَسَدِ لِسَفِينَةَ مَوْلَى رسولِ الله ﷺ إِذْ وَجَّهَهُ إِلى مُعَاذٍ بِالْيَمَنِ فَلَقِيَ الأَسَدَ فَعَرَّفَهُ أَنَّهُ مَوْلَى رسولِ الله ﷺ وَمَعَهُ كِتَابُهُ فَهَمْهَمَ وَتَنَحَّى عَنِ الطَّرِيقِ وَذَكَرَ فِي مُنْصَرَفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْهُ: أَنَّ سَفِينَةً تَكَسَّرَتْ(١٢) بِهِ فَخَرَجَ إِلى جَزِيرَةٍ فَإِذَا الأَسَدُ فَقُلْتُ أَنَا

---

(١) أخرجه الطبراني وابن ماجه في السنن وفي غزوة ذات الرقاع برواية جابر بن عبد الله وتميم الداري.

(٢) أن هذه القصة غير معروفة عند الأئمة الستة.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) أخرجه ابن سعد، والبيهقي وأبو نعيم، والبزار والطبراني برواية أنس رضي الله عنه.

(٩) عبد الله بن قرط أمير حمص أيام معاوية، أخرج أحاديثه أصحاب السنن، استشهد بأرض الروم سنة ٥٦ هـ. في خلافة معاوية رضي الله عنه.

(١٠) تقدمت ترجمتها.

(١١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، إلا أن ابن كثير أنكره وقال لا وجود له، وأخرجه أبو نعيم في الدلائل بروايات مختلفة وفيها مجاهيل برواية أم سلمة.

(١٢) أخرج القصة البيهقي في دلائل النبوة والبزار وصححها الإمام السيوطي في تخريجه.

مَوْلَى رسولِ الله ﷺ فَجعَلَ يَغمِزُنِي بِمَنْكَبِهِ حَتَّى أَقَامَنِي عَلى الطَّرِيقِ وَأَخَذَ عَليهِ السلامُ بأُذُنِ شَاةٍ لِقَوْمٍ مِنْ عَبْدِ القَيْسِ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ ثُمَّ خَلاَّهَا فَصَارَ لَهَا مِيسَماً وَبَقِيَ ذَلِكَ الأَثَرُ فِيهَا وَفِي نَسْلِهَا بَعْدُ، وَمَا رُوِيَ عن إبراهيمَ[(١)] بن حَمَّادٍ بسندِهِ من كلام الحِمَارِ الَّذِي أَصَابَهُ بخَيْبَرَ وَقَالَ لَهُ: اسْمِي يَزِيدُ بنُ شهابٍ فَسمَّاهُ النبي ﷺ يعفُوراً وَأَنَّهُ كَانَ يُوَجِّهُهُ إِلَى دُورِ أَصْحَابِهِ فَيَضْرِبُ عَلَيْهِمُ الْبَابَ بِرَأْسِهِ وَيَسْتَدْعِيهِمْ وَأَنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمَّا مَاتَ تَرَدَّى فِي بِئْرٍ جَزَعاً وَحُزْناً فَمَاتَ[(٢)]. وَحَدِيثُ[(٣)] النَّاقَةِ الَّتِي شَهِدَتْ عِنْدَ النبيِّ ﷺ لِصَاحِبِهَا أَنَّهُ مَا سَرَقَهَا وَأَنَّهَا مِلْكُهُ. وَفِي حَدِيثِ[(٤)] الْعَنْزِ الَّتِي أَتَتْ رَسُولَ الله ﷺ فِي عَسْكَرِهِ وَقَدْ أَصَابَهُمْ عَطَشٌ وَنَزَلُوا عَلَى مَاءٍ وَهُمْ زُهَاءَ ثَلاثِمَائَةٍ فَحَلَبَهَا رسولُ الله ﷺ فَأَرْوَى الْجُنْدَ، ثُمَّ قَالَ لِرَافِعٍ[(٥)]: «أَمْلِكْهَا وَمَا أَرَاكَ»، فَرَبَطَهَا فَوَجَدَهَا قَدِ انْطَلَقَتْ، رواه ابن قَانِعٍ[(٦)] وغيرُهُ، وفيهِ فقال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ الَّذِي جَاءَ بِهَا هُوَ الَّذِي ذَهَبَ بِهَا»، وَقَالَ لِفَرَسِهِ عليهِ السَّلامُ وَقَدْ قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ: «لاَ تَبْرَحْ بَارَكَ الله فِيكَ حَتَّى نَفْرُغَ مِنْ صَلاَتِنَا»، وَجَعَلَهُ قِبْلَتَهُ فَمَا حَرَّكَ عُضْواً حَتَّى ﷺ[(٧)]؛ وَيَلْتَحِقُ بِهَذَا مَا رَوَاهُ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا وَجَّهَ رُسُلَهُ إِلَى الْمُلُوكِ فَخَرَجَ سِتَّةُ نَفَرٍ مِنْهُمْ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فَأَصْبَحَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ الْقَوْمِ الَّذِينَ بَعَثَهُ إِلَيْهِمْ؛ وَالْحَدِيثُ فِي هَذَا البابِ كَثِيرٌ وَقَدْ جِئْنَا مِنْهُ بِالْمَشْهُورِ وَمَا وَقَعَ فِي كُتُبِ الأَئِمَّةِ.

الفصل العشرون: في إحياء الموتى وكلامهم
«وَكَلاَمِ الصِّبْيَانِ وَالْمَرَاضِعِ وَشَهَادَتِهِمْ لَهُ بِالنُّبُوَّةِ ﷺ»

[حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ هِشَامُ بْنُ أَحمدَ الْفَقِيهُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ وَالْقَاضِي أَبُو الوَلِيدِ محمدُ بْنُ رُشْدٍ وَالقَاضِي أبو عبدِ الله محمدُ بْنُ عِيسَى التَّمِيمِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ سَمَاعاً وَإِذْناً قَالُوا حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ

---

(١) إبراهيم بن حماد بن محمد بن عبد الرحمن الرؤاسي الكوفي كنيته أبو إسحاق وعده ابن معين وأبو حاتم والنسائي ثقة توفي رحمه الله سنة ١٧٨ هـ.

(٢) أخرجه ابن حبان في الضعفاء وابن الجوزي في الموضوعات وقصة يعفور ذكرها السهيلي في روضة الأنف عن ابن فورك في كتاب الفصول.

(٣) أخرجه الطبراني عن زيد بن ثابت رضي الله عنه بسند فيه مجاهيل، وأخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن عمر رضي الله عنهما، ووضعه الذهبي.

(٤) أخرج هذا الحديث البيهقي وابن عدي وابن سعد عن سعد مولى أبي بكر رضي الله عنه.

(٥) رافع هو أبو رافع مولى النبي ﷺ واسمه إبراهيم اختلف في زمان وفاته ومن المؤرخين من يسميه أسلم ومنهم من يسميه ثابتاً.

(٦) ابن قانع هو عبد الباقي بن قانع بن مرزوق الأموي مؤلف معجم الصحابة وتوفي سنة ٣٥١ هـ.

(٧) أخرجه القاضي عياض في الشفا: ١/٦٠٦.

الْحَافِظُ حَدَّثَنَا أبو عُمَرَ الحافظُ حَدَّثَنَا أبو زَيْدٍ عبدُ الرحمن بنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا أَحمدُ بنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا ابنُ الأَعْرَابِيّ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا وَهْبُ بنُ بَقِيَّةَ عن خالِدٍ هُوَ الطَّحَّانُ عن محمدِ بنِ عَمْرٍو وعن أَبي سَلَمَةَ](١) عَنْ أبي هُرَيْرَةَ(٢) رَضِيَ الله عَنْهُ: أَنَّ يَهُودِيَّةً أَهْدَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِخَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً سَمَّتْهَا فَأَكَلَ رسولُ الله ﷺ مِنْهَا وَأَكَلَ الْقَوْمُ فقالَ: «ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ» فَمَاتَ بِشْرُ بنُ البَرَاءِ(٣) وقال لِلْيَهُودِيَّةِ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْت؟» قالت: إنْ كُنْتَ نَبِيّاً لَمْ يَضُرَّكَ الَّذِي صَنَعْتُ وَإِنْ كُنْتَ مَلِكاً أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ قَالَ فَأَمَرَ بِهَا فَقُتِلَتْ. وَقَدْ رَوَى هَذَا الحديثَ أَنَسٌ(٤) وَفِيهِ قالت أَرَدْتُ قَتْلَكَ فقال: «مَا كَانَ الله لِيُسَلِّطَكَ عَلَى ذَلِكَ» فقالوا: نَقْتُلُها قال «لا» وَكَذَلِكَ. رُوِيَ عن أبي هُرَيْرَةَ(٥) مِن روايةِ. غَيْرِ وَهْبٍ(٦) قَالَ فَمَا عَرَضَ لَهَا، وَرَوَاهُ أيضاً، جَابِرُ بنُ(٧) عَبْدِ الله وَفِيهِ أَخْبَرَتْنِي بِهِ هَذِهِ الذِّرَاعُ قالَ وَلَمْ يُعَاقِبْهَا وفي رِوايةِ الْحَسَنِ: «أَنَّ فَخِذَهَا تُكَلِّمُنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ»؛ وفي رِوايةِ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ(٨) عَبْدِ الرحمنِ قالت إِنِّي مَسْمُومَةٌ؛ وَكَذَلِكَ ذَكَرَ الْخَبَرَ ابنُ إِسْحَاقَ وقال فِيهِ فَتَجَاوَزَ عَنْهَا؛ وَفِي الْحَدِيثِ الآخرِ عن أَنسٍ(٩) أنه قال فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رسولِ الله ﷺ، وَفِي حَدِيثِ أبي هُرَيْرَةَ(١٠) أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «مَا زَالَتْ أُكْلَةُ خَيْبَرَ تُعَادُنِي فَالآنَ أَوَانُ قَطَعَتْ أَبْهَرِي». وَحَكَى ابنُ إِسحاقَ(١١) إِنْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَيَرَوْنَ أَنَّ رسولَ الله ﷺ مَاتَ شَهِيداً مَعَ مَا أَكْرَمَهُ الله بِهِ مِنَ النُّبُوَّةِ، وقال ابنُ سُحْنُونٍ(١٢) أَجْمَعَ أَهلُ الحدِيثِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَتَلَ

---

(١) [. . . .] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.
(٢) تقدمت ترجمته.
(٣) بشر بن البراء صحابي جليل شهد العقبة وبدراً أمرة النبي ﷺ على بني نضلة واختلف في وفاته قيل بعد توليته وقيل بعد سنة.
(٤) أخرجه الشيخان في الصحيحين، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ١٠/ ١١ والبغوي في شرح السنة ٦/ ٢٠١ وأنس تقدمت ترجمته.
(٥) تقدمت ترجمته.
(٦) وهب بن منبه الأنباري اليماني هو أبو عبد تابعي مشهور بفهمه للعلوم القديمة أخذ عن بعض الصحابة واتفق أهل الحديث على توثيقه وورعه وعبادته، أخرج أحاديثه أئمة الكتب الستة توفي رحمه الله سنة ١١٤ هـ.
(٧) تقدمت ترجمته.
(٨) تقدمت ترجمته.
(٩) تقدمت ترجمته.
(١٠) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة: ٤/ ٢٦٤. والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٧/ ١٨٤ وابن كثير في البداية والنهاية: ٤/ ٢١٠.
(١١) تقدمت ترجمته.
(١٢) ابن سحنون هو: محمد بن عبد الله بن سعيد التنوخي من فقهاء المالكية المرموقين مناظر مشهور في النوازل الفقهية، له تصانيف ومؤلفات توفي بتونس ودفن بالقيروان سنة ٢٥٦ هـ. ورثاه بعض الشعراء.

الْيَهُودِيَّةَ الَّتِي سَمَّتْهُ؛ وَقَدْ ذَكَرْنا اخْتِلافَ الرِّوَايَاتِ في ذَلِكَ عن أبي هُرَيْرَةَ[١] وأَنَسٍ[٢] وَجابِرٍ[٣] وفي روايةِ ابن عباسٍ[٤] رضي الله عنهما أَنَّهُ دَفَعَهَا لأَوْلِيَاءِ بِشْرِ[٥] بْنِ الْبَرَاءِ فَقَتَلُوها، وَكَذَلِكَ قَدِ اخْتُلِفَ فِي قَتْلِهِ لِلَّذِي سَحَرَهُ، قَالَ الْوَاقِدِي[٦] وَعفوهُ عَنْهُ أَثْبَتُ عِنْدَنَا وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَتَلَهُ وَرَوَى الحديثَ الْبَزَّارُ[٧] عن أبي سَعِيدٍ[٨] فَذَكَرَ مِثْلَهُ إلاَّ أَنَّهُ قَالَ في آخِرِهِ فَبَسَطَ يَدَهُ، وَقَالَ: «كُلُوا بِسْمِ الله»، فَأَكَلْنَا وَذَكَرَ اسْمَ الله فَلَمْ تَضُرَّ مِنَّا أَحَداً قال القاضِي أَبو الفَضْلِ وَقَدْ خَرَّجَ حديثَ الشَّاةِ الْمَسْمُومَةِ أهلُ الصحيحِ وَخَرَّجَهُ الأئمَّةُ، وهو حديثٌ مَشْهُورٌ وَاخْتَلَفَ أَئِمَّةُ أَهْلِ النَّظَرِ فِي هَذَا البابِ فَمِنْ قَائِلٍ يقولُ هُوَ كَلامٌ يَخْلُقُهُ الله تَعالَى في الشَّاةِ الْمَيْتَةِ أَوِ الْحَجَرِ أَوِ الشَّجَرِ وَحُرُوفٌ وَأَصْوَاتٌ يُحْدِثُهَا الله فِيهَا وَيُسْمِعُهَا مِنْهَا دُونَ تَغْيِيرِ أَشْكَالِهَا وَنَقْلِهَا عَنْ هَيْئَتِهَا وَهُو مَذْهَبُ الشَّيْخِ أبي الْحَسَنِ[٩] والقَاضِي أبي بَكْرٍ رحمهما الله وآخرونَ ذَهَبُوا إلى إيجَادِ الْحَيَاةِ بِهَا أَوَّلاً ثُمَّ الْكَلامِ بَعْدَهُ، وَحُكِيَ هَذَا أَيْضاً عن شَيْخِنَا أَبي الْحَسَنِ وَكُلٌّ مُحْتَمَلٌ وَالله أَعْلَمُ إِذْ لَمْ يَجْعَلِ الْحَيَاةَ شَرْطاً لِوُجُودِ الْحُرُوفِ وَالأَصْوَاتِ إِذْ لاَ يَسْتَحِيلُ وُجُودُهَا مَعَ عَدَمِ الْحَيَاةِ بِمُجَرَّدِهَا فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ عِبارَةً عَنِ الْكَلامِ النَّفْسِيِّ فَلاَ بُدَّ مِنْ شَرْطِ الْحَيَاةِ لَهَا إِذْ لاَ يُوجَدُ كَلامُ النَّفْسِ إلاَّ مِنْ حَيٍّ خِلافاً لِلْجُبَائِيِّ[١٠] مِنْ بَيْنِ سَائِرِ مُتَكَلِّمِي الفِرَقِ فِي إِحَالَةِ وُجُودِ الكَلامِ اللَّفْظِيِّ وَالْحُرُوفِ وَالأَصْوَاتِ إلاَّ مِنْ حَيٍّ مُرَكَّب على تَرْكِيبِ مَنْ يَصِحُّ مِنْهُ النُّطْقُ بِالْحُرُوفِ وَالأَصْوَاتِ وَالْتَزَمَ ذَلِكَ فِي الْحَصَا وَالْجِذْعِ وَالذِّرَاعِ وَقَالَ إِنَّ الله خَلَقَ فِيهَا حَيَاةً وَخَرَقَ لَهَا فَماً وَلِسَاناً وَآلَةً أَمْكَنَهَا بِهَا مِنَ الْكَلامِ وَهَذَا لَوْ كَانَ لَكَانَ نَقْلُهُ وَالتَّهَمُّمُ به آكَدَ مِنَ التَّهَمُّمِ بِنَقْلِ تَسْبِيحِهِ أَوْ حَنِينِهِ وَلَمْ يَنْقُلْ أَحَدٌ مِنَ أَهْلِ السِّيَرِ وَالرِّوَايَةِ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فَدَلَّ عَلَى سُقُوطِ دَعْوَاهُ مَعَ أَنَّهُ لاَ

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) الواقدي: ولي القضاء ببغداد في عهد المأمون العباسي وأخذ عن مالك وعنه أخذ الشافعي، وكاد أن يقع الإجماع على ضعفه وترجمته في الميزان، توفي سنة ٢١١ هـ.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) الجبائي هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام من أئمة علماء الكلام ومن المعتزلة كان بارعاً في علم الكلام، عنه أخذ الإمام الأشعري مدة ٤٠ سنة. وله معه مناظرات في علم الكلام توفي الجبائي سنة ٣٠٣ هـ.

ضَرُورَةَ إِلَيْهِ فِي النَّظَرِ وَالْمُوَفِّقُ الله، وروى وَكِيعٌ[١] رَفَعَهُ عَن فَهْدِ بن عَطِيَّةَ أن النبي ﷺ: أُتِيَ بِصَبِيٍّ قَدْ شَبَّ لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ فَقَالَ: «مَنْ أَنَا» فقال رَسُولُ الله، وَرُوِيَ عن مُعرّض[٢] بن مُعَيقيب رَأَيْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَجَباً جِيءَ بِصَبِيٍّ يَوْمَ وُلِدَ فَذَكَرَ مِثْلَهُ، وَهُوَ حَدِيثُ مُبَارَكِ الْيَمَامَةِ وَيُعْرَفُ بِحَدِيثِ شَاصُونَةَ اسْمِ رَاوِيهِ وَفِيهِ فقال له النبي ﷺ «صَدَقْتَ بَارَكَ الله فِيكَ»[٣] ثُمَّ إِنَّ الْغُلاَمَ لَمْ يَتَكَلَّمْ بَعْدَهَا حَتَّى شَبَّ فَكَانَ يُسَمَّى مُبَارَكَ الْيَمَامَةِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ بِمَكَّةَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ؛ وعنِ الحَسَنِ[٤] أتى رَجُلُ النبي ﷺ فَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ طَرَحَ بُنَيَّةً لَهُ فِي وَادِي كَذَا فَانْطَلَقَ مَعَهُ إِلَى الْوَادِي. وَنَادَاهَا بِاسْمِهَا: «يَا فُلاَنَةُ أَجِيبِي بِإِذْنِ الله»، فَخَرَجَتْ وَهِيَ تَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ فَقَالَ لَهَا «إِنَّ أَبَوَيْكِ قَدْ أَسْلَمَا فَإِنْ أَحْبَبْتِ أَنْ أَرُدَّكِ عَلَيْهِمَا» قَالَتْ لاَ حَاجَةَ لِي فِيهِمَا وَجَدْتُ الله خَيْراً لِي مِنْهُمَا، وعن أنسٍ[٥] أَنَّ شَابّاً مِنَ الأَنْصَارِ تُوفِّيَ وَلَهُ أُمٌّ عَجُوزٌ عَمْيَاءُ فَسَجَّيْنَاهُ وَعَزَّيْنَاهَا فَقَالَتْ مَاتَ ابْنِي قُلْنَا نَعَمْ قَالَتِ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي هَاجَرْتُ إِلَيْكَ وَإِلَى رَسُولِكَ رَجَاءَ أَنْ تُعِينَنِي عَلَى كُلِّ شِدَّةٍ فَلاَ تَحْمِلَنَّ عَلَيَّ هَذِهِ الْمُصِيبَةَ فَمَا بَرِحْنَا أَنْ كَشَفَ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ فَطَعِمَ وَطَعِمْنَا[٦]. وَرُوِيَ عن عبدِ الله[٧] بنِ عُبَيْدِ الله الأَنْصَارِيِّ كُنْتُ فِيمَنْ دَفَنَ ثَابِتَ[٨] بنَ قَيْسِ بْنَ شَمَّاسٍ وَكَانَ قُتِلَ بِالْيَمَامَةِ فَسَمِعْنَاهُ حِينَ أَدْخَلْنَاهُ الْقَبْرَ يَقُولُ: محمدٌ رسول الله، أبو بكر الصِّدِّيقُ؛ عُمَرُ الشَّهِيدُ[٩]، عُثْمَانُ[١٠] الْبَرُّ الرَّحِيمُ. فَنَظَرْنَا فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ، وَذُكِرَ عَنِ النُّعْمَانِ[١١] بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ زَيْدَ[١٢] بنَ خَارِجَةَ خَرَّ مَيِّتاً فِي بَعْضِ أَزِقَّةِ الْمَدِينَةِ فَرُفِعَ وَسُجِّيَ إِذْ

---

(١) وكيع بن الجراح بن ملح الرواسي كنيته أبو شعبان ثقة حافظ ثبت، محدث العراق في عصره، امتنع من وظيفة القضاء خوفاً من ظلم الخلائق، توفي سنة ١٩٧ هـ.

(٢) معرض بن معيقيب اليمامي نسبة إلى اليمامة روي عنه حديث الطفل الذي نطق بتصديق النبي ﷺ، توفي في زمان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

(٣) أخرجه اليزيدي في إتحاف السادة المتقين: ٧/ ١٩٥. والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣٥٤٠١، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: ٣/ ٤٤٣.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) أخرج حديث أنس البيهقي وأبو نعيم وابن أبي الدنيا وابن عدي.

(٧) ترجمته غير معروفة بهذه الصيغة.

(٨) ثابت بن قيس بن مالك بن زهير الأنصاري كان خطيب الأنصار. اشتهر بالفصاحة وشهد له الرسول ﷺ بالجنة واستشهد في غزوة اليمامة سنة ١٢ هـ في خلافة أبي بكر الصديق.

(٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) تقدمت ترجمته.

(١١) تقدمت ترجمته. (١٢) تقدمت ترجمته.

سَمِعُوهُ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ وَالنِّسَاءُ يَصْرُخْنَ حَوْلَهُ يَقُولُ أَنْصِتُوا فَحَسَرَ عَنْ وَجْهِهِ فَقَالَ محمدٌ رسولُ[1] الله ﷺ الْأُمِّيُّ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ ثُمَّ قَالَ صَدَقَ صَدَقَ، وَذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ وَعُثْمَانَ[2] ثُمَّ قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يا رسول الله وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ ثُمَّ عَادَ مَيِّتاً كَمَا كَانَ.

الفصل الحادي والعشرون: في إبراء المرضى وذوي العاهات

[أَخْبَرَنَا أَبو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُشَرَّفٍ فِيمَا أَجَازَنِيهِ وَقَرَأْتُهُ عَلَى غَيْرِهِ قال حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْحَبَّالُ حَدَّثَنَا أَبُو محمدٍ بْنُ النَّحَّاسِ[3] حَدَّثَنَا أَبو الْوَرْدِ عَنِ الْبَرْقِيِّ[4] عَنِ ابنِ هِشَام عن زِيَادٍ الْبَكَّائِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إسحاق] حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ[5] وَعَاصِمُ[6] بْنُ عُمَر بنِ قَتَادَةَ[7] وَجَمَاعَةٌ ذَكَرَهُمْ بِقَضِيَّةِ أُحُدٍ بِطُولِهَا قَالَ وَقَالُوا قَالَ سَعْدُ[8] بْنُ أَبي وَقَّاصٍ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ لِيُنَاوِلُنِي السَّهْمَ لاَ نَصْلَ لَهُ. فَيَقُولُ: «ارْمِ بِهِ» وَقَدْ رَمَى رسولُ الله ﷺ يَوْمَئِذٍ عَنْ قَوْسِهِ حَتَّى انْدَقَّتْ وَأُصِيبَ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ[9] يَعْنِي ابنَ النُّعْمَانِ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْنَتَيْهِ فَرَدَّهَا[10] رَسُولُ الله ﷺ فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ. وَرَوَى قِصَّةَ قَتَادَةَ عَاصِمُ[11] بْنُ عُمَرَ بْنُ قَتَادَةَ وَيَزِيدُ[12] بْنُ عَيَّاضِ بْنُ عُمَرَ بْنُ قَتَادَةَ وَرَوَاهَا: أَبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ قَتَادَةَ وَبَصَقَ عَلَى أَثَرِ سَهْمٍ فِي وَجْهِ أَبِي قَتَادَةَ[13] فِي يَوْمِ ذِي قَرَدٍ قَالَ فَمَا ضَرَبَ عَلَيَّ وَلاَ قَاحَ؛ وَرَوَى النَّسَائِيُّ عن

(١) روى ترجمته بعضهم أنه ابن حارثة والمشهور أنه ابن خارجة الأنصاري وهذا ما ذهب إليه ابن عبد البر في الاستيعاب وابن الأثير والذهبي وأبو نعيم والأصبهاني، وشهد بدراً. وكان صهر أبي بكر.

(٢) أخرجه البيهقي في موارد الظمآن: ٢٥٩٢، والطبراني في المعجم الكبير: ١٨/ ٧٣.

(٣) [. . . .] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) عاصم بن عمر بن قتادة الظفري توفي حوالي سنة ١٢٠ هـ على خلاف في ذلك.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) أخرجه ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلاً، ووصله ابن عدي، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة برواية عاصم السابق الذكر، عن جده عن قتادة، وأخرجه البيهقي بطريق آخر عن أبي سعيد الخدري عن قتادة.

(٨) قتادة بن النعمان الأوسي الظفري، أخو أبي سعيد الخدري لأمه، وكنيته أبو عمرو الأنصاري شهد بدراً أخذ عنه أخوه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه. وابنه عمر بن قتادة ومحمود بن لبيد وجماعة. توفي سنة ٦٥ سنة.

(٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) يزيد بن عياض بن عمر بن قتادة، الليثي الحجازي روى أحاديث عن نافع رضي الله عنه.

(١١) تقدمت ترجمته.

(١٢) تقدمت ترجمته.

(١٣) النسائي. (٢١٥ ـ ٣٠٣ هـ) هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي تفرد بالمعرفة والإتقان وعلو الإسناد وكان فقيهاً شافعي المذهب ترجمته في تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٤١ وجامع الأصول ١/ ١١٥ ـ ١١٦، وفهرسة ابن خير: ١٥٤ ـ ١٥٥ والبداية والنهاية ١١/ ١٢٣. وطبقات الشافعية. ٢/ ٨٣ ـ ٨٤، وتوضيح الأفكار: ١/ ٢١٩. . .

عُثْمَانَ[1] بنِ حُنَيْفٍ: أَنَّ أَعْمَى قَالَ يَا رَسول الله أُدْعُ الله أَنْ يَكْشِفَ لِي عَنْ بَصَرِي قَالَ: **«فَانْطَلِقْ فَتَوَضَّأْ ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ أَنْ يَكْشِفَ عَنْ بَصَرِي اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ»** قَالَ فَرَجَعَ وَقَدْ كَشَفَ الله عَنْ بَصَرِهِ[2]؛ وَرُوِيَ أَنَّ ابنَ مُلاَعِبِ[3] الأَسِنَّةِ أَصَابَهُ اسْتِسْقَاء فَبَعَثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخَذَ بِيَدِهِ حَثْوَةً مِنَ الأَرْضِ فَتَفَلَ عَلَيْهَا، ثُمَّ أَعْطَاهَا رَسُولَهُ فَأَخَذَهَا مُتَعَجِّباً يَرَى أَنْ قَدْ هُزِيءَ بِهِ فَأَتَاهُ بِهَا وَهُوَ عَلَى شَفاً فَشَرِبَهَا فَشَفَاهُ الله وَذَكَرَ الْعُقَيْلِيُّ[4] عَنْ حَبِيبِ[5] بْنِ فُدَيْكٍ ويقالُ فُرَيْكٍ: أَنَّ أَبَاهُ ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ فَكَانَ لاَ يُبْصِرُ بِهِمَا شَيْئاً فَنَفَثَ رسولُ الله ﷺ[6] فِي عَيْنَيْهِ فَأَبْصَرَ فَرَأَيْتُهُ يُدْخِلُ الْخَيْطَ فِي الإِبْرَةِ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ، وَرُمِيَ كُلْثُومَ بنُ الْحُصَيْنِ يَوْمَ أُحُدٍ فِي نَحْرِهِ فَبَصَقَ رسولُ الله ﷺ فِيهِ فَبَرَأَ وَتَفَلَ عَلَى شَجَّةِ عَبدِ[7] الله بنِ أُنَيْسٍ فَلَمْ تُمِدَّ، وَتَفَلَ فِي عَيْنَيْ عَلِيٍّ يَوْمَ خَيْبَرَ وَكَانَ رَمِداً فَأَصْبَحَ بَارِئاً وَنَفَثَ عَلَى ضَرْبَةٍ بِسَاقِ سَلَمَةَ بنِ الأَكْوَعِ[8] يَوْمَ خَيْبَرَ فَبَرِئَت وَفِي رَجلِ زَيْدِ بنِ مُعَاذٍ[9] حِينَ أَصَابَهَا السَّيْفُ إِلَى الْكَعْبِ حِينَ قَتَلَ ابْنَ الأَشْرَفِ[10] فَبَرِئَتْ وَعَلَى سَاقِ عَلِيِّ بنِ الْحَكَمِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ إِذِ انْكَسَرَتْ فَبَرِيءَ مَكَانَهُ وَمَا نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَاشْتَكَى عَلِيٌّ[11] بنُ

---

(١) عثمان بن حنيف بالتصغير وهو أخو، عباد وسهل ابنا وهب له صحبة ورواية تولى أمر العراق والبصرة، وعاش حتى خلافة معاوية رضي الله عنه...

(٢) أخرجه النسائي في السنن، والترمذي في سننه وقال عنه حسن صحيح غريب، وأخرجه الحاكم في المستدرك والبيهقي في دلائل النبوة وصححه. وأخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الصلاة.

(٣) ابن ملاعب الأسنة قال البرهان الحلبي لا يعرف بهذا الاسم ولا تعرف له ترجمته، وأما ملاعب الأسنة فهو عامر بن مالك، وسمي أيضاً ملاعب الرماح والأسنة، وعده بعض المؤرخين من جملة الصحابة وعند الذهبي أنه لم يسلم.

(٤) العقيلي بالتصغير هو أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى مؤلف كتاب الضعفاء من الأئمة الحفاظ، وهو ثقة توفي رحمه الله سنة ٣٢٢ هـ.

(٥) حبيب بن فديك هو حبب بن عمرو بن فديك السلاماني وقد اختلف في صحبته واسمه وزمان وفاته.

(٦) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، والطبراني في المعجم الكبير وابن أبي شيبة في مسنده.

(٧) عبد الله بن أنيس بن أسعد بن حرام الأنصاري شهد أحداً، وكانت شجته عندما بعثه رسول الله ﷺ مع عبد الله بن رواحة إلى اليسير بن رزام بخيبر.

(٨) تقدمت ترجمته. (٩) لم نعثر له على ترجمته.

(١٠) كعب بن الأشرف زعيم من زعماء اليهود الذين وقفوا في وجه الإسلام فأرسل إليه الرسول ﷺ الصحابة لقتله وقد كان من حظ محمد بن مسلمة وسلطان بن سلامة وقيس وأبو عبس بن جبير وعباد بن بشر. ترجمة بعض هؤلاء في: الطبقات ٣/٣٦٢، والطبقات ٣/٤٤٣ والإصابة: ٣/٣٨٣.

(١١) تقدمت ترجمته.

وحديث كلثوم. غير معروف.

أبي طَالِبٍ فَجَعَلَ يَدْعُو فقالَ النبيُّ ﷺ «اللَّهُمَّ اشْفِهِ أَوْ عَافِهِ» ثُمَّ ضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ، فَمَا اشْتَكَى ذَلِكَ الْوَجَعَ بَعْدُ وَقطعَ أبو جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ يَدَ مُعَوِّذِ بنِ عفْرَاءَ فَجَاءَ يَحْمِلُ يَدَهُ فَبَصَقَ عَلَيْهَا رسولُ الله ﷺ وَأَلْصَقَهَا فَلَصِقَتْ، رواهُ ابنُ وَهْبٍ (٤).

وَمِن رِوَايَتِهِ أيضاً أَنَّ خُبَيْبَ بنَ يَسَافٍ أُصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَ رَسولِ الله ﷺ بِضَرْبَةٍ عَلَى عَاتِقِهِ حَتَّى مَالَ شِقُّهُ فَرَدَّهُ رَسُولُ الله ﷺ وَنَفَثَ عَلَيْهِ حَتَّى صَحَّ؛ وَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمٍ مَعَهَا صَبِيٌّ بِهِ بَلاَءٌ لاَ يَتَكَلَّمُ فَأُتِيَ بِمَاءٍ فَمَضْمَضَ فَاهُ وَغَسَلَ يَدَيْهِ ثُمَّ أَعْطَاهَا إِيَّاهُ وَأَمَرَهَا بِسَقْيِهِ وَمَسِّهِ بِهِ فَبَرَأَ الْغُلاَمُ وَعَقَلَ عَقْلاً يَفْضُلُ عُقُولَ النَّاسِ (٥).

وعن ابنِ عباس جَاءَتِ امْرَأَةٌ بِابْنٍ لَهَا بِهِ جُنُونٌ فَمَسَحَ صَدْرَهُ فَثَعَّ ثَعَّةً فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ مِثْلُ الْجَرْوِ الأَسْوَدِ فَسَعَى (٦)، وَانْكَفَأَتِ الْقِدْرُ عَلَى ذِرَاعِ محمدِ بنِ حَاطِبٍ (٧) وَهُوَ طِفْلٌ فَمَسَحَ عَلَيْهِ وَدَعَا لَهُ وَتَفَلَ فِيهِ فَبَرَأَ لِحِينِهِ وَكَانَتْ فِي كَفِّ شُرَحْبِيلَ الْجُعْفِيِّ (٨) سِلْعَةٌ تَمْنَعُهُ الْقَبْضَ عَلَى السَّيْفِ وَعِنَانِ الدَّابَّةِ فَشَكَاهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَمَا زَالَ يَطْحَنُهَا بِكَفِّهِ حَتَّى رَفَعَهَا وَلَمْ يَبْقَ لَهَا أَثَرٌ (٩). وَسَأَلَتْهُ جَارِيَةٌ طَعَاماً، وَهُوَ يَأْكُلُ فَنَاوَلَهَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَكَانَتْ قَلِيلَةَ الْحَيَاءِ فَقَالَتْ إِنَّمَا أُرِيدُ مِنَ الَّذِي فِي فِيكَ فَنَاوَلَهَا مَا فِي فِيهِ، وَلَمْ يَكُنْ يُسْأَلُ شَيْئاً فَيَمْنَعَهُ فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي جَوْفِهَا أُلْقِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْحَيَاءِ مَا لَمْ تَكُنِ امْرَأَةٌ بِالْمَدِينَةِ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْهَا.

---

(١) تقدم الكلام عليه.

(٢) معوذ بن عفراء ينسب إلى أمه عفراء وهو من شهداء بدر الكبرى سنة ٣ هـ. ويقال إن معوذاً هو الذي قتل أبا جهل فضربه ابنه عكرمة، وطرح يده وتعلقت بجلده، وقاتل يومه ويده خلفه فلما اشتد ألمها وضع عليها رجله فنشلها.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) خبيب بنُ يساف بن عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم من بني الحارث في الخزرج من أهل بدر ترجمته في: الثقات ٣/١٠٨ والطبقات ٣/٥٣٤، والإصابة: ١/٤١٨، وحلية الأولياء: ١/٣٦٤.
وحديث أبي جهل أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، وحديث خبيب أخرجه أيضاً البيهقي من رواية ابن إسحاق، وحديث المرأة الخثعمية، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف عن أم جندب.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) محمد بن حاطب بن الحارث بن يعمر القرشي كنيته أبو إبراهيم خرج أبوه حاطب إلى النجاشي مع جعفر بن أبي طالب فولد له محمد في السفينة، سكن الكوفة، ترجمته في: الثقات ٣/٣٦٥ والطبقات ٦/٦٢، والإصابة ٣/٣٧٦.

(٧) شرحبيل كنيته أبو عبد الرحمن الجعفي. له صحبة ترجمته في الثقات ٣/١٨٨، والإصابة ٢/١٤٤.

(٨) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير والبيهقي في دلائل النبوة.

(٩) أخرجه الطبراني برواية أبي أمامة.

الفصل الثاني والعشرون: في إجابة دعائه ﷺ «وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ جِدّاً»

وَإِجَابَةُ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِجَمَاعَةٍ بِمَا دَعَا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ مُتَوَاتِرٌ عَلَى الْجُمْلَةِ مَعْلُومٍ ضَرُورَةً.

وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ(١) حُذَيْفَةَ: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا دَعَا لِرَجُلٍ أَدْرَكَتِ الدَّعْوَةَ وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ(٢).

[حَدَّثَنَا أبو محمد العَتَابِيُّ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ حَدَّثَنَا أبو القاسِمِ حَاتِمُ بْنُ محمدٍ حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْقَابِسِيُّ حَدَّثَنَا أبو زَيْدٍ الْمَرْوَزِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ أبي الأَسْوَدِ حَدَّثَنَا حَرَمِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عن قَتَادَةَ](٣) عَنْ أَنَسٍ(٤) رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَتْ أُمِّي(٥) يا رسولَ الله خَادِمُكَ أَنَسٌ ادْعُ الله لَهُ قَالَ: **«اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبارِكْ لَهُ فِيما آتَيْتَهُ»**(٦). وَمِنْ رِوايَةِ عِكْرِمَةَ(٧) قَالَ أَنَسٌ(٨) فَوَالله إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيُعَادُّونَ الْيَوْمَ عَلَى نَحْوِ الْمِائَةِ؛ وَفِي رِوَايَةٍ فَمَا أَعْلَمُ أَحَداً أَصَابَ مِنْ رَخَاءِ الْعَيْشِ مَا أَصَبْتُ وَلَقَدْ دَفَنْتُ بِيَدَيَّ هَاتَيْنِ مِائَةً مِنْ وَلَدِي لاَ أَقُولُ سِقْطاً وَلاَ وَلَدَ وَلَدٍ.

وَمِنْهُ دُعَاؤُهُ لِعَبْدِ الرَّحْمٰنِ(٩) بن عَوْفٍ بِالْبَرَكَةِ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَلَوْ رَفَعْتُ حَجَراً لَرَجَوْتُ أَنْ أُصِيبَ تَحْتَهُ ذَهَباً وَفَتَحَ الله عَلَيْهِ وَمَاتَ فَحُفِرَ الذَّهَبُ مِنْ تَرِكَتِهِ بِالْفُؤُوسِ حَتَّى مَجِلَتْ فِيهِ الْأَيْدِي وَأَخَذَتْ كُلُّ زَوْجَةٍ ثَمَانِينَ أَلْفاً وَكُنَّ أَرْبَعاً وَقِيلَ مِائَةَ أَلْفٍ وَقِيلَ بَلْ صُولِحَتْ إِحْدَاهُنَّ لِأَنَّهُ طَلَّقَهَا فِي مَرَضِهِ عَلَى نَيِّفٍ وَثَمَانِينَ أَلْفاً وَأَوْصَى بِخَمْسِينَ أَلْفاً بَعْدَ صَدَقَاتِهِ الْفَاشِيَةِ فِي حَيَاتِهِ

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند.

(٣) [....] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) أمه هي الصحابية المشهورة بأم سليم. اسمها رملة وقيل الرمضاء. ترجمتها في الإصابة ٤/ ٤٣١.

(٦) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٨/ ٩١، ٩٣، ١٠١، والإمام مسلم في الصحيح تحت رقم ٤٥٨/ ١٩٢٨، والترمذي في السنن تحت رقم: ٣٨٢٩. والإمام أحمد في المسند: ٣/ ١٩٤، ٢٤٨، ٦/ ٤٣٠، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٩٦.

(٧) عكرمة بن عبد الله ينسب إلى البربر، مولى عبد الله بن عباس، من فقهاء المدينة المشهورين ومن أجلة التابعين وممن يجب الاقتداء به في الورع والفقه والحديث والتفسير توفي رحمه الله سنة ١٠٧ هـ.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف القرشي الزهري كنيته أبو محمد، أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة الذين عدهم عمر للشورى أسلم قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم، وهاجر الهجرتين وشهد كل المشاهد توفي رحمه الله ورضي عنه سنة ٣١ هـ. ترجمته في الإصابة: ٦/ ٣١١ ـ ٣١٣.

وَعَوارِفِهِ الْعَظِيمةِ أَعْتَقَ يَوْماً ثَلاثِينَ عَبْداً وَتَصدَّقَ مَرَّةً بَعيرٍ فِيهَا سَبْعُمائَةِ بَعيرٍ وَرَدَتْ عَلَيْهِ تَحْمِلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَتَصَدَّقَ بِها وبِمَا عَلَيْهَا وَبِأَقْتَابِها وَأَحْلاَمِهَا وَدَعَا [1] لِمُعَاوِيَةَ بِالتَّمْكِينِ فَنالَ الْخِلاَفَةَ، وَلِسَعْدِ بنِ أَبي [2] وَقَّاصٍ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنْ يُجِيبَ الله دَعْوَتَهُ فَمَا دَعا عَلى أَحَدٍ إلاَّ اسْتُجِيبَ لَهُ؛ وَدعا بِعِزِّ الإِسْلاَمِ بِعُمَرَ [3] رَضِيَ الله عَنْهُ أَوْ بِأَبِي [4] جَهْلٍ فَاسْتُجِيبَ لَهُ فِي عُمَرَ، وَقالَ ابْنُ مَسْعُودٍ [5] رَضِيَ الله عَنْهُ مَا زِلْنا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ؛ وَأَصابَ النَّاسَ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ عَطَشٌ فَسأَلَهُ عُمَرُ الدُّعاءَ فَدَعا فَجاءَتْ سَحابَةٌ فَسَقَتْهُمْ حاجَتَهُمْ ثُمَّ أَقْلَعَتْ وَدَعا فِي الاسْتِسْقَاءِ فَسُقُوا ثُمَّ شَكَوا إِلَيْهِ الْمَطَرَ فَدَعا فَصَحَوا وَقالَ لأَبِي قَتادَةَ [6]: **«أَفْلَحَ وَجْهُكَ اللَّهُمَّ بارِكْ لَهُ فِي شَعَرِهِ وَبَشَرِهِ»** فَماتَ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِينَ سَنَةً وَكَأَنَّهُ ابْنُ خَمْسَ عَشَرَةَ سَنَةً، وَقَالَ لِلنَّابِغَةِ: [7] **«لاَ يَفْضُضِ الله فَاكَ»** فَما سَقَطَتْ لَهُ سِنٌّ وَفِي رِوايَةٍ فَكانَ أَحْسَنَ النَّاسِ ثَغْراً إِذَا سَقَطَتْ لَهُ سِنٌّ نَبَتَتْ لَهُ أُخْرَى وَعاشَ عِشْرِينَ وَمِائَةً وَقِيلَ أَكْثَرَ مِنْ هذَا، وَدَعا لابْنِ [8] عَبَّاسٍ: **«اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»** فَسُمِّيَ بَعْدُ الْحَبْرَ، وَتَرْجُمانَ الْقُرْآنِ [9]. وَدَعا لِعَبْدِ الله بنِ جَعْفَرٍ [10] بِالْبَرَكَةِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ فَما

---

(١) معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن عبد الرحمن القرشي الأموي توفيّ يوم الخميس ١٥ رجب سنة ٦٠ هـ وهو ابن ٧٨ سنة وصلى عليه الضحاك ويعد معاوية رضي الله عنه من دهاة العرب. ترجمته في: الثقات ٣/ ٣٧٣، والإصابة ٣/ ٤٣٣، والطبقات: ٧/ ٤٠٦.

(٢) سعد بن أبي وقاص هو سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف أحد العشرة وآخر الصحابة المبشرين بالجنة موتاً، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وهو أحد الستة أهل الشورى توفي بالعقيق وحمل إلى المدينة وصلي علية بالمسجد سنة ٥٥ هـ. ترجمته في أسد الغابة ٤/ ١٧٠ ـ ١٧٧.

(٣) تقدمت ترجمته. (٤) تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمت ترجمته. (٦) تقدمت ترجمته.

(٧) النابغة هو قيس وقيل حبان بن عبد الله بن عمر بن علس ولقبه النابغة وهناك من الشعراء من تلقب بهذا الاسم كالنابغة الذبياني إلا أن النابغة إذا أطلق في السيرة فهو الشاعر المخضرم الذي عاش طويلاً بين الجاهلية والإسلام واجتمع بالرسول ﷺ ومدحه بقصيدته الرائية في نحو مائة بيت أنشدها بين يديه فدعا له الرسول ﷺ والبيت الذي أعجب به الرسول ﷺ هو:

«وَلاَ خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

واختلف في وفاته قيل إنه توفي سنة ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م أو سنة ٦٥ هـ/ ٦٧٤م ترجمته في موسوعة الشعر العربي الجزء: ٥/ ٣١٧ ـ ٣٤٥.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١/ ٤٨ ـ في فضائل الصحابة (١٣٨) والإمام أحمد في المسند. ١/ ٢٦٦، ٣١٤، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٥، والعجلوني في كشف الخفاء: ١/ ٢٢٠، والتبريزي في مشكاة المصابيح: ١٣٩، والسيوطي في جمع الجوامع: ١٠٠٣٩. والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٤/ 435 والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ١/ ٢٥٨، ٤/ ٥٣٢، ٧/ ٢٥٩، ٩/ ٦٤٧...

(١٠) تقدمت ترجمته.

اشْتَرَى شَيْئاً إلاَّ رَبِحَ فِيهِ؛ وَدَعَا لِلمِقْدَادِ[١] بِالْبَرَكَةِ فَكَانَتْ عِنْدَهُ غَرَائِرُ مِنَ الْمَالِ وَدَعَا بِمِثْلِهِ لِعُرْوَةَ[٢] بنِ أَبِي الْجَعْدِ فَقَالَ فَلَقَدْ كُنْتُ أَقُومُ بِالْكُنَاسَةِ فَمَا أَرْجِعُ حَتَّى أَرْبَحَ أَرْبَعِينَ أَلْفاً، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ[٣] فِي حَدِيثِهِ. فَكَانَ لَوْ اشْتَرَى التُّرَابَ رَبِحَ فِيهِ، وَرُوِيَ مِثْلُ هَذَا لِغَرْقَدَةَ[٤] أَيْضاً وَنَدَتْ لَهُ نَاقَةٌ فَدَعَا فَجَاءَهُ بِهَا إِعْصَارُ رِيحٍ حَتَّى رَدَّهَا عَلَيْهِ، وَدَعَا لِأُمِّ أَبِي[٥] هُرَيْرَةَ فَأَسْلَمَتْ، وَدَعَا لِعَلِيٍّ[٦] أَنْ يُكْفَى الْحَرَّ وَالْقُرَّ، فَكَانَ يَلْبَسُ فِي الشِّتَاءِ ثِيَابَ الصَّيْفِ، وَفِي الصَّيْفِ ثِيَابَ الشِّتَاءِ، وَلاَ يُصِيبُهُ حَرٌّ وَلاَ بَرْدٌ، وَدَعَا اللهَ[٧] لِفَاطِمَةَ[٨] ابْنَتِهِ أَنْ لاَ يُجِيعَهَا قَالَتْ فَمَا جُعْتُ بَعْدُ، وَسَأَلَهُ الطُّفَيْلِ بْنُ عَمْرٍو آيَةً لِقَوْمِهِ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ[٩] نَوِّرْ لَهُ**» فَسَطَعَ لَهُ نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَقَالَ يَا رَبِّ أَخَافُ أَنْ يَقُولُوا مُثْلَةٌ فَتَحَوَّلَ إِلَى طَرَفِ سَوْطِهِ فَكَانَ يُضِيءُ فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ فَسُمِّيَ النُّورِ. وَدَعَا عَلَى مُضَرَ فَأُقْحِطُوا حَتَّى اسْتَعْطَفَتْهُ قُرَيْشٌ، فَدَعَا لَهُمْ فَسُقُوا، وَدَعَا عَلَى كِسْرَى[١٠] حِينَ مَزَّقَ كِتَابَهُ أَنْ يُمَزِّقَ اللهُ مُلْكَهُ، فَلَمْ تَبْقَ لَهُ بَاقِيَةٌ، وَلاَ بَقِيَتْ لِفَارِسَ رِيَاسَةٌ فِي أَقْطَارِ الدُّنْيَا وَدَعَا عَلَى صَبِيٍّ قَطَعَ عَلَيْهِ الصَّلاَةَ أَنْ يَقْطَعَ اللهُ أَثَرَهُ، فَأُقْعِدَ، وَقَالَ لِرَجُلٍ رَآهُ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**»، فَقَالَ لاَ أَسْتَطِيعُ، فَقَالَ «**وَلاَ اسْتَطَعْتَ**» فَلَمْ يَرْفَعْهَا إِلَيَّ فِيهِ، وَقَالَ لِعُتْبَةَ[١١] فِي أَبِي لَهَبٍ: «

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) عروة بن الجعد بن أبي الجعد البارقي، وبارق جبل ينزله الأزد سكن الكوفة. وحدث عنه أهلها. ترجمته في: الثقات ٣/ ٣١٤، والإصابة ٢/ ٤٧٦، والطبقات: ٦/ ٣٤.

(٣) البخاري ترجمته في البداية والنهاية ١١/ ٢٤، وتاريخ بغداد ٢/ ٤ وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٥. وتهذيب التهذيب: ٩/ ٤٧، وشذرات الذهب: ٢/ ١٣٤ وطبقات الحنابلة: ١/ ٢٧١ وطبقات الشافعية ٢/ ٢١٢، وطبقات المفسرين ٢/ ١٠٠، والعبر: ٢/ ١٢، والفهرس: ١/ ٥٢١، ومفتاح السعادة ٢/ ١٣٠ والنجوم الزاهرة: ٣/ ٢٥. وهدية العارفين: ٢/ ١٦ والوافي بالوفيات ٢/ ٢٠٦. ووفيات الأعيان: ١/ ٤٥٥.

(٤) عرقدة صحابي جليل كنيته أبو شيب أخذ عنه ابنه.

(٥) أم أبي هريرة هي أميمة بنت صبح وقيل بنت صفيح وقيل اسمها ميمونة وهي أم أبي هريرة رضي الله عنه. أسلمت وحسن إسلامها.

(٦) تقدمت ترجمته. (٧) تقدمت ترجمتها.

(٨) الطفيل بن عمرو الأزدي الدوسي وهو ذو النون وهو من كبار الصحابة وأصحاب النور الستة الذي هم: أسيد بن حضير، وعباد بن بشر وحمزة بن عمرو الأسلمي. وقتادة بن النعمان، والحسن بن علي، والطفيل وقتل الطفيل في وقعة اليمامة سنة ١٢ هـ.

(٩) أخرجه عياض في الشفا: ١/ ٦٣١.

(١٠) كسرى لقب لكل ملوك الفرس وكسرى هذا هو الذي دعاه الرسول ﷺ برسالة واسمه: أبرويز بن هرمز وهو من أبناء أنوشروان.

(١١) عتبة بن أبي لهب الجهني كان لأبي لهب أبناء ثلاثة: عتبة وعتيبة، ومعتب اعتنق منهم الإسلام اثنان يوم الفتح ولم يهاجرا من مكة، وبقي عتبة كافراً، وكانت عنده بنت النبي ﷺ فطلقها ودعا عليه النبي ﷺ.

اللَّهُمَّ[1] سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْباً مِنْ كِلاَبِكَ» فَأَكَلَهُ الأَسَدُ، وَقَالَ لامْرَأَةٍ: أَكَلَكِ الأَسَدُ فَأَكَلَهَا.

وَحَدِيثُهُ الْمَشْهُورُ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ[2] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي دُعَائِهِ عَلَى قُرَيْشٍ حِينَ وَضَعُوا السَّلاَ عَلَى رَقَبَتِهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ مَعَ الْفَرْثِ وَالدَّمِ وَسَمَّاهُمْ، وَقَالَ فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ، وَدَعَا عَلَى الْحَكَمِ بْنِ أَبِي[3] الْقَاضِي، وَكَانَ يَخْتَلِجُ بِوَجْهِهِ وَيَغْمِزُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ أَيْ لاَ، فَرَآهُ فَقَالَ: كَذَلِكَ كُنْ فَلَمْ يَزَلْ يَخْتَلِجُ إِلَى أَنْ مَاتَ وَدَعَا عَلَى مُحَلِّم بن[4] جَثَّامَةَ فَمَاتَ لِسَبْعٍ فَلَفَظَتْهُ الأَرْضُ ثُمَّ وُرِيَ فَلَفَظَتْهُ مَرَّاتٍ فَأَلْقَوهُ بَيْنَ صُدَّيْنِ وَرَجَمُوا عَلَيْهِ بِالْحِجَارَة ـ الصُدُّ جَانِبُ الْوَادِي وَجَحَدَهُ رَجُلٌ بِبَيْعِ فَرَسٍ. وَهِيَ التي شَهِدَ فِيهَا خُزَيْمَةُ[5] لِلنَّبِيِّ ﷺ فَرَدَّ الْفَرَسَ بَعْدُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الرَّجُلِ وَقَالَ[6]: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَاذِباً فَلاَ تُبَارِكْ لَهُ فِيهَا» فَأَصْبَحَتْ شَاصِيَةً بِرِجْلِهَا ـ أَيْ رَافِعَةً ـ وَهَذَا الْبَابُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِ.

الفصل الثالث والعشرون: فِي كَرَامَاتِهِ وَبَرَكَاتِهِ وَانْقِلاَبِ الأَعْيَانِ لَهُ فِيمَا لَمَسَهُ أَوْ بَاشَرَهُ ﷺ

[أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بنُ محمدٍ حَدَّثَنَا أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ إِجَازَةً وحَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَلِيّ سَمَاعاً وَالقَاضِي أَبو عبدِ الله مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ وَغَيْرُهُمَا قَالُوا حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ القاضي حَدَّثَنَا أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ حَدَّثَنَا أبو محمدٍ وَأَبو إِسْحَاقَ وَأَبُو الْهَيْثَم قَالُوا حَدَّثَنَا الْفِرَبْرِيُّ حَدَّثَنَا الْبُخَارِيُّ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عن قَتَادَةَ][7] عَنْ أَنَسٍ[8] بن مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَزِعُوا مَرَّةً فَرَكِبَ رسولُ الله ﷺ فَرَساً لِأَبِي طَلْحَةَ كَانَ يَقْطُفُ أَوْ بِهِ قِطَافٌ وَقَالَ غَيْرُهُ يُبَطَّأُ فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ: وَجَدْنَا فَرَسَكَ بَحْراً فَكَانَ بَعْدُ لاَ يُجَارَى وَنَخَسَ جَمَلَ جَابِرٍ وَكَانَ قَدْ أَعْيَا فَنَشَطَ

---

(١) أخرجه البخاري في فتح الباري لابن حجر: ٣٩/٤، والقرطبي في تفسيره: ٨٢/١٧ وابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف: ١٦٠، وابن نعيم في دلائل النبوة: ١٦٣.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) الحكم بن أبي العاص بن عبد شمس بن عبد مناف وكنيته أبو مروان وعم عثمان رضي الله عنه وأسلم يوم الفتح. وكان قد أخرجه النبي ﷺ في الطائف هو وابنه مروان ورده عثمان في خلافته لما علم من توبته، توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه.

(٤) محلم بن جثامة، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا﴾ [النساء: ٩٤].

(٥) خزيمة صحابي مشهور كنيته أبو خزيمة قتل بصفين مع الإمام علي كرم الله وجهه سنة ٣٧ هـ. وقال في حقه الرسول ﷺ: من شهد له خزيمة فهو حسبه».

(٦) أخرجه عياض في الشفا: ٦٣٤/١.

(٧) [. . . .] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٨) تقدمت ترجمته.

حَتَّى كَانَ مَا يَمْلِكُ زِمَامَهُ[١]. وَصَنَعَ مِثْلَ ذَلِكَ بِفَرَسٍ لِجُعَيْلٍ الأَشْجَعِي[٢] خَفَقَهَا بِمِخْفَقَةٍ مَعَهُ وَبَرَكَ عَلَيْهَا فَلَمْ يَمْلِكْ رَأْسَهَا نَشَاطاً وَبَاعَ مِنْ بَطْنِهَا بِاثْنَيْ عَشَرَ أَلْفاً وَرَكِبَ حِمَاراً قَطُوفاً لِسَعْدِ بنِ عُبَادَةَ فَرَدَّهُ هِمْلَاجاً لاَ يُسَايَرُ وَكَانَتْ شَعَرَاتٌ مِنْ شَعَرِهِ فِي قَلَنْسُوةِ خَالِدِ[٣] بنِ الْوَلِيدِ فَلَمْ يَشْهَدْ بِهَا قِتَالاً إِلا رُزِقَ النَّصْرَ وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَسْمَاءِ[٤] بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ[٥] رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا أَخْرَجَتْ جُبَّةً طَيَالِسَةٍ وَقَالَتْ كَانَ رسولُ الله ﷺ يَلْبَسُهَا فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى يُسْتَشْفَى بِهَا وَحَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَلِيّ[٦] عَنْ شَيْخِهِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْمَأْمُونِ قَالَ كَانَتْ عِنْدَنَا قَصْعَةٌ مِنْ قِصَاعِ النَّبِيِّ ﷺ فَكُنَّا نَجْعَلُ فِيهَا الْمَاءَ لِلْمَرْضَى فَيَسْتَشْفُونَ بِهَا وَأَخَذَ جِهْجَاهُ الْغِفَارِيُّ[٧] الْقَضِيبَ مِنْ يَدِ عُثْمَانَ[٨] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِيَكْسِرَهُ عَلَى رُكْبَتِهِ فَصَاحَ النَّاسُ بِهِ فَأَخَذَتْهُ فِيهَا الأَكِلَةُ فَقَطَعَهَا وَمَاتَ قَبْلَ الْحَوْلِ وَسَكَبَ مِنْ فَضْلِ وَضُوئِهِ فِي بِئْرِ قُبَاءٍ فَمَا نَزَفَتْ[٩] بَعْدُ، وَبَزَقَ فِي بِئْرٍ كَانَتْ فِي دَارِ أَنَسٍ فَلَمْ يَكُنْ بِالْمَدِينَةِ أَعْذَبَ مِنْهَا وَمَرَّ عَلَى مَاءٍ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ اسْمُهُ بَيْسَانُ وَمَاؤُهُ مِلْحٌ فَقَالَ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري والإمام مسلم في صحيحيهما.

(٢) جعيل الأشجعي وهو ابن زياد وقيل سمرة الصحابي الكوفي وينسب إلى قبيلة أشجع وهي قبيلة معروفة.

(٣) سعد بن عبادة بن دليم بن أبي خزيمة بن ثعلبة. . . بن الخزرج الأنصاري وأحد الأمراء الأشراف في الجاهلية والإسلام شهد العقبة مع السبعين وهو أحد النقباء الاثنى عشر، وشهد المشاهد كلها. وتوفي سنة: ١٤ هـ في خلافة عمر رضي الله عنه. ترجمته في: الثقات ٣/ ١٤٨ والإصابة ٢/ ٣٠، والطبقات ٣/ ٦١٣، ٧/ ٣٨٩.
خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم كان من أشراف قريش في الجاهلية، والإسلام وشهد مع المشركين حروب الإسلام إلى عمرة القضاء أي الحديبية، وأسلم قبل الفتح سنة ٨ هـ وأمره أبو بكر على قتال المرتدين، ثم العراق ثم الشام وجعله أمير الأمراء في الشام، وعزله عمر في خلافته وولى مكانه أبا عبيدة بن الجراح، فلم يؤثر ذلك عليه، وقال قولته المشهورة: إني لا أقاتل من أجل عمر وإنما أقاتل من أجل إعلاء كلمة الله لا يهمني كنت رئيساً أو مرؤوساً. توفي سنة: ٢١ هـ ترجمته في: الثقات ٣/ ١٠١، والإصابة ١/ ٤١٣، والطبقات ٤/ ٢٥٢، ٧/ ٣٩٤.

(٤) أسماء بنت أبي بكر الصديق صحابية جليلة أخت عائشة رضي الله عنهما. لأبيها وهي بنت الصحابي وزوجة الصحابي وأم الصحابي، كانت فصيحة بليغة وناظرت الحجاج بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير وتوفيت سنة ٧٣ هـ بعد أن عاشت ١٠٠ سنة. ترجمتها في: الثقات ٣/ ٢٣ والطبقات: ٨/ ٢٤٩، والحلية: ٢/ ٥٥ والإصابة ٤/ ٢٢٨.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) أبو علي هو الحسين بن محمد كنيته أبو علي قاضي محدث من سرقسطة رحل إلى المشرق من سنة (٤٨١ - ٤٩٠ هـ) وتولى القضاء في المرية على كره منه واستهشد بثغر الأندلس.

(٧) جهجاه الغفاري قيل إن اسم أبيه هو ابن مسعود بن حرام وقيل ابن سعيد وقيل ابن قيس وهو صحابي جليل من المهاجرين المدني شهد المشاهد كلها. ترجمته في الإصابة: ١/ ٢٥٣ والثقات ٣/ ٦١.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة برواية أنس بن مالك رضي الله عنه.

بَلْ هُوَ نُعْمَانُ وَمَاؤُهُ طَيِّبٌ فَطَابَ وَأُتِيَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ فَمَجَّ فِيهِ فَصَارَ أَطْيَبَ مِنَ الْمِسْكِ وَأَعْطَى الْحَسَنَ[١] وَالْحُسَيْنَ[٢] لِسَانَهُ فَمَصَّاهُ وَكَانَا يَبْكِيَانِ عَطَشاً فَسَكَتَا وَكَانَ لِأُمِّ مَالِكٍ[٣] عُكَّةٌ تُهْدِي فِيهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ سَمْناً فَأَمَرَهَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لاَ تَعْصِرَهَا ثُمَّ دَفَعَهَا إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ مَمْلُوءَةٌ سَمْنًا فَيَأْتِيهَا بَنُوهَا يَسْأَلُونَهَا الْأُدْمَ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ فَتَعْمَدُ إِلَيْهَا فَتَجِدُ فِيهَا سَمْناً فَكَانَتْ تُقِيمُ إِدْمَهَا حَتَّى عَصَرَتْهَا وَكَانَ يَتْفِلُ فِي أَفْوَاهِ الصِّبْيَانِ الْمَرَاضِعِ فَيُجْزِئُهُمْ رِيقُهُ إِلَى اللَّيْلِ وَمِنْ ذَلِكَ بَرَكَةُ يَدِهِ فِيمَا لَمَسَهُ وَغَرَسَهُ لِسَلْمَانَ[٤] رَضِيَ الله عَنْهُ حِينَ كَاتَبَهُ مَوَالِيهِ عَلَى ثَلاثِمِائَةِ وَدِيَّةٍ يَغْرِسُهَا لَهُمْ كُلُّهَا تَعْلَقُ وَتُطْعِمُ وَعَلَى أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً مِنْ ذَهَبٍ فَقَامَ ﷺ وَغَرَسَهَا لَهُ بِيَدِهِ إِلاَّ وَاحِدَةً غَرَسَهَا غَيْرُهُ فَأَخَذَتْ كُلُّهَا إِلاَّ تِلْكَ الْوَاحِدَةَ فَقَلَعَهَا النبيُّ ﷺ وَرَدَّهَا فَأَخَذَتْ وَفِي كِتَابِ الْبَزَّارِ فَأَطْعَمَ النَّخْلُ مِنْ عَامِهِ إِلاَّ الْوَاحِدَةَ فَقَلَعَهَا رَسُولُ الله ﷺ وَغَرَسَهَا فَاطْعَمَتْ مِنْ عَامِهَا وَأَعْطَاهُ مِثْلَ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ بَعْدَ أَنْ أَدَارَهَا عَلَى لِسَانِهِ فَوَزَنَ مِنْهَا لِمَوَالِيهِ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً وَبَقِيَ عِنْدَهُ مِثْلَمَا أَعْطَاهُمْ.

وَفِي حَدِيثِ حَنَشٍ[٥] بنِ عُقَيْلٍ سَقَانِي رَسُولُ الله ﷺ شَرْبَةً مِنْ سَوِيقٍ شَرِبَ أَوَّلَهَا وَشَرِبْتُ آخِرَهَا فَمَا بَرِحْتُ أَجِدُ شِبَعَهَا إِذَا جُعْتُ وَرِيَّهَا إِذَا عَطِشْتُ وَبَرْدَهَا إِذَا ظَمِئْتُ وَأَعْطَى قَتَادَةَ[٦] بنَ النُّعْمَانِ. وَصَلَّى مَعَهُ الْعِشَاءَ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ مَطِيرَةٍ عُرْجُوناً وَقَالَ: «**انْطَلِقْ بِهِ فَإِنَّهُ سَيُضِيءُ لَكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ عَشْراً وَمِنْ خَلْفِكَ عَشْراً فَإِذَا دَخَلْتَ بَيْتَكَ فَسَتَرَى سَوَاداً فَاضْرِبْهُ حَتَّى يَخْرُجَ فَإِنَّهُ الشَّيْطَانُ**» فَانْطَلَقَ فَأَضَاءَ لَهُ الْعُرْجُونَ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ وَوَجَدَ السَّوَادَ فَضَرَبَهُ حَتَّى خَرَجَ[٧] وَمِنْهَا دَفْعُهُ لِعُكَاشَةَ[٨] جِذْلَ حَطَبٍ وَقَالَ: «**اضْرِبْ بِهِ**» حِينَ انْكَسَرَ سَيْفُهُ يَوْمَ بَدْرٍ فَعَادَ

---

(١) تقدمت ترجمته. (٢) تقدمت ترجمته.
(٣) أم مالك هي أم سليمان بنت ملحان الصحابية الأنصارية ترجمتها في الإصابة: ٤/ ٤٩٤، والثقات ٣/ ٤٦٥.
(٤) سلمان هو أبو عبد الله الفارسي مولى رسول الله ﷺ وهو من قرية جوّجوّ في أصبهان اعتنق الإسلام ولم يتخلف عن رسول الله ﷺ بعد إسلامه. وكان من أئمة الصحابة وزهادهم توفي سنة ٣٥ هـ أو ٣٦ هـ بالمدائن وبها دفن. ترجمته في الثقات ٣/ ١٥٧ والحلية ١/ ١٨٥، والإصابة ٢/ ٦٢، والطبقات: ٤/ ٨٥، ٦/ ١٦، ٧/ ٣١٨.
(٥) حنش بن عقيل أحد بني نفلة بن مليك أخو غفار وروى عن المسور بن مخرمة. لما عرف عمر رضي الله عنه قبره ترحم عليه.
(٦) تقدمت ترجمته.
(٧) أخرجه الإمام أحمد في المسند برواية أبي سعيد. بسند صحيح.
(٨) عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي من بني غنم صحابي من أهل السرايا من أهل المدينة شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ وهو الذي قال فيه عليه السلام: سبقك بها عكاشة واستشهد بنجد أثناء حرب الردة سنة: ١١ هـ ترجمته في: الثقات ٣/ ٣٢١، والطبقات: ٣/ ٩٢، والحلية: ٢/ ١٢، والإصابة ٢/ ٤٩٤.

فِي يَدِهِ سَيْفاً صَارِماً طَوِيلَ الْقَامَةِ أَبْيَضَ شَدِيدَ الْمَتْنِ فَقَاتَلَ بِهِ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ يَشْهَدُ بِهِ الْمَوَاقِفَ إِلَى أَنِ اسْتُشْهِدَ فِي قِتَالِ أَهْلِ الرِّدَّةِ وَكَانَ هَذَا السَّيْفُ يُسَمَّى الْعَوْنَ وَدَفَعَهُ لِعَبْدِ الله[(١)] بْنِ جَحْشٍ يَوْمَ أُحُدٍ وَقَدْ ذَهَبَ سَيْفُهُ عَسِيبَ نَخْلٍ فَرَجَعَ فِي يَدِهِ سَيْفاً وَمِنْهُ بَرَكَتُهُ فِي دُورِ الشِّيَاهِ الْحَوَائِلِ بِاللَّبَنِ الْكَثِيرِ كَقِصَّةِ شَاةِ أُمِّ مَعْبَدٍ[(٢)] وَأَعْنُزِ مُعَاوِيَةَ[(٣)] بْنِ ثَوْرٍ وَشَاةِ أَنَسٍ[(٤)] وَغَنَمِ حَلِيمَةَ[(٥)] مُرْضِعَتِهِ وَشَارِفِهَا وَشَاةِ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ[(٦)] وَكَانَتْ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا فَحْلٌ وَشَاةِ الْمِقْدَادِ[(٧)] وَمِنْ ذَلِكَ تَزْوِيدُهُ أَصْحَابَهُ سِقَاءَ مَاءٍ بَعْدَ أَنْ أَوْكَاهُ وَدَعَا فِيهِ فَلَمَّا حَضَرَتْهُمُ الصَّلَاةُ نَزَلُوا فَحَلُّوهُ فَإِذَا بِهِ لَبَنٌ طَيِّبٌ وَزُبْدَةٌ فِي فَمِهِ مِنْ رِوَايَةِ حَمَادِ بْنِ[(٨)] سَلَمَةَ وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِ عُمَيْرِ بْنِ[(٩)] سَعِيدٍ وَبَرَّكَ فَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ فَمَا شَابَ وَرُوِيَ مِثْلُ هَذِهِ الْقِصَصِ. عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ[(١٠)]. وَمَدْلُوكَ[(١١)] وَكَانَ يُوجَدُ لِعُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ[(١٢)] طِيبٌ يَغْلِبُ طِيبَ نِسَائِهِ لِأَنَّ رَسُول

---

(١) عبد الله بن جحش هو ابن عمة الرسول ﷺ وأمه أميمة بنت عبد المطلب هاجر الهجرتين واستشهد بأحد سنة ٣ هـ ترجمته في: الثقات ٣/ ٢٣٧، والطبقات ٤/ ١٠٢ والإصابة ٢/ ٢٨٦، والحلية ١/ ١٠٨.

(٢) أم معبد زوج كعب بن مالك السلمي له صحبة ترجمتها في الثقات ٣/ ٤٦١، والإصابة ٤/ ٤٩٩.

(٣) معاوية بن ثور بن عبادة بن البكار العامري وفد على الرسول ﷺ وعلمه هو وابنه بشراً سورتي يس والفاتحة..

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) حليمة بنت عبد الله بن الحارث السعدية وزوجها هو الحارث بن عبد العزى، أسلمت وهي وزوجها وأولادها وهي مرضعته في صباه ﷺ.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) المقداد بن عمرو ويعرف بابن الأسود الكندي البهراني الحضرمي كنيته أبو معبد وقيل أبو عمرو صحابي وبطل من أبطال الإسلام في المعارج الحربية، وأول من أظهر الإسلام مع السبعة الأوائل، وأول من قاتل على فرس في سبل الله شهد بدراً وباقي المشاهد، سكن المدينة وبقربها توفي فحمل إليها. وعمره ٧٠ سنة ترجمته في: الثقات ٣/ ٣٧١، والطبقات ٣/ ١٦١ والحلية: ١/ ١٧٢ والإصابة ٣/ ٤٥٤.

(٨) حماد بن سلمة. أخرج له شعبة ومالك بن أنس صدوق وليس في قوة مالك وأخرج له الإمام مسلم في الصحيح وأخرج له الأربعة توفي رحمه الله سنة ١٩٩ هـ.

(٩) عمير بن سعد بن عبيد الأوسي والأنصاري صحابي من الولاة الزهاد شهد فتوح الشام وولاه عمر رضي الله عنه حمص ثم دعاه إلى المدينة بعد سنة، وأبى الرجوع إليها بعد أن طلب منه عمر ذلك وكان عمر يقول: وددت أن لي رجال مثل عمير بن سعد أستعين بهم على أعمال المسلمين.

(١٠) السائب بن يزيد بن سعد بن تمامة بن الأسود صحابي جليل ولد قبل الهجرة بسنة وكان مع أبيه يوم حج النبي ﷺ حجة الوداع واستعمله عمر على سوق المدينة وكان آخر من توفي بها من الصحابة. وله في الصحيحين (٢٢) حديثاً. ترجمته في الثقات ٣/ ١٧١. والإصابة: ٢/ ١٢.

(١١) مدلوك هو أبو سفيان القرازي له وفادة على النبي ﷺ مع مواليه سكن الشام وأتى النبي ﷺ فمسح برأسه فكان ما مست يده أسود وسائر رأسه أبيض. ترجمته في: الثقات: ٣/ ٣٨٢.

(١٢) عتبة هو أبو عبد الله بن فرقد بن يربوع السلمي الصحابي الجليل شهد خيبر وبنى في الموصل داراً ومسجداً. =

الله ﷺ مَسَحَ بِيَدَيْهِ عَلَى بَطْنِهِ وَظَهْرِهِ وسَلَتَ الدَّمَ عَنْ وَجْهِ عَائِذِ[1] بْنِ عَمْرٍو وَكَانَ جُرِحَ يَوْمَ حُنَيْنٍ[2] وَدَعَا لَهُ فَكَانَتْ لَهُ غُرَّةٌ كَغُرَّةِ الْفَرَسِ وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِ قَيْسِ[3] بنِ زَيْدٍ الْجُذَامِيِّ وَدَعا لَهُ فَهَلَكَ وَهُوَ ٱبْنُ مِائَةِ سَنَةٍ وَرَأْسُهُ أَبْيَضُ وَمَوْضِعُ كَفِّ النبيِّ ﷺ وَمَا مَرَّتْ يَدُهُ عَلَيْهِ مِنْ شَعَرِهِ أَسْوَدُ فَكَانَ يُدْعَى الأَغَرَّ وَرُوِيَ مِثْلُ هٰذِهِ الْحِكَايَةِ لِعَمْرِو بنِ ثَعْلَبَةَ[4] الْجُهَنِيِّ وَمَسَحَ وَجْهَ آخَرَ فَمَا زَالَ عَلَى وَجْهِهِ نُورٌ وَمَسَحَ وَجْهَ قَتَادَةَ[5] بْنِ مِلْحَانَ فَكَانَ لِوَجْهِهِ بَرِيقٌ حَتَّى كَانَ يُنْظَرُ فِي وَجْهِهِ كَمَا يُنْظَرُ فِي الْمِرْآةِ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ حَنْظَلَةَ بْنِ حِذْيَمٍ وَبَرَّكَ عَلَيْهِ فَكَانَ حَنْظَلَةُ[6] يُؤْتَى بِالرَّجُلِ قَدْ وَرِمَ وَجْهُهُ وَالشَّاةِ قَدْ وَرِمَ ضَرْعُهَا فَيُوضَعُ عَلَى مَوْضِعِ كَفِّ النَّبِيِّ ﷺ فَيَذْهَبُ الْوَرَمُ وَنَضَحَ فِي وَجْهِ زَيْنَبَ[7] بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ نَضْحَةً مِنْ مَاءٍ فَمَا يُعْرَفُ كَانَ فِي وَجْهِ ٱمْرَأَةٍ مِنَ الْجَمَالِ مَا بِهَا وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِ صَبِيٍّ بِهِ عَاهَةٌ فَبَرَأَ وَٱسْتَوَى شَعَرُهُ وَمِثْلُهُ رُوِيَ فِي خَبَرِ الْمُهَلَّبِ[8] بْنِ قُبَالَةَ وَعَلَى غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الصِّبْيَانِ وَالْمَرْضَى وَالْمَجَانِينِ فَبَرَؤُوا وَأَتَاهُ رَجُلٌ بِهِ أُدْرَةٌ فَأَمَرَهُ أَنْ يَنْضَحَهَا بِمَاءٍ مِنْ عَيْنٍ مَجَّ فِيهِ فَفَعَلَ فَبَرَأَ.

وَعَنْ طَاوُسٍ[9] لَمْ يُؤْتَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَحَدٍ بِهِ مَسٌّ فَصَكَّ فِي صَدْرِهِ إِلاَّ ذَهَبَ الْمَسُّ

= وسكن الكوفة ولقب أبناؤه الفراقدة. ترجمته في: الإصابة: ٢/ ٤٥٥، والثقات ٣/ ٢٩٧، والطبقات ٦/ ٤١..

(١) عائذ بن عمرو بن هلال بن عبيد بن يزيد المزني كنيته أبو هبيرة. من الذين بايعوا تحت الشجرة. سكن البصرة وتوفي في خلافة ابن زياد. ترجمته في: الثقات: ٣/ ٣١٣، والإصابة ٢/ ٢٦٢، والطبقات: ٧/ ٣١.

(٢) حنين معركة وقعت بين المسلمين وهوازن سنة: ٨ هـ.

(٣) قيس بن زيد بن جبار الجذامي، ويقال له: قيس الأغر وروي أنه وفد على الرسول ﷺ فولاه الرئاسة على قرية بين يديه ومسح على رأسه ودعا له، وقال له: بارك الله فيك يا قيس وكان ابنه نائل سيد قومه جذام بالشام. ترجمته في: الثقات: ٣/ ٣٤١، والإصابة ٣/ ٢٦٣ والطبقات ٦/ ٤٢٦.

(٤) عمرو بن ثعلبة الجهني هو وهب بن عدي بن مالك البخاري الزهري والجهني نسبة إلى جهينة وهي قبيلة معروفة. ترجمته في الثقات ٣/ ٢٧٢، والإصابة ٢/ ٥٢٧.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) حنظلة بن حذيم بن حنيفة التيمي وله صحبة مع أبيه وجده ومسح النبي على رأسه وقال له: بارك الله فيك. ترجمته في: الثقات ٣/ ٩٢، والإصابة ١/ ٣٥٩.

(٧) زينب بنت أم سلمة وأم سلمة هي أم المؤمنين واسمها هند وقيل رملة وأبوها هو حذيفة المعروف بزاد الراكب، فزينب كانت ربيبة الرسول ﷺ وأخت عبد الله بن الزبير من الرضاعة وتزوجت عبد الله بن زمعة فولدت له، وكانت من أعلم وأفقه أهل عصرها وكانت ولدت بأرض الحبشة فأتت بها أمها وكانت اسمها برة فسماها الرسول ﷺ زينب. ترجمتها في. الثقات: ٣/ ١٤٥، والإصابة ٤/ ٣١٧، والطبقات ٨/ ٤٦١.

(٨) المهلب بن قُبالة وفد على الرسول ﷺ وهو أقرع فمسح الرسول على رأسه فنبت شعره وله قصة مشهورة في بداية إسلامه.

(٩) طاوس بن كيسان اليماني كنيته أبو عبد الرحمن وهو من أبناء الفرس وابنه ذكوان، فلقب بطاوس لأنه طاوس القراء وكان على رأس التابعين حجة في العلم، عاملاً زاهداً توفي سنة ١٠٥ هـ و١٠٦ هـ وله أخرج اللائحة الستة حج ٤٠ حجة.

الْجُنُونُ، وَمَجَّ فِي دِلْوٍ مِنْ بِئْرٍ ثُمَّ صَبَّ فِيهَا فَفَاحَ مِنْهَا رِيحُ الْمِسْكِ، وَأَخَذَ قُبْضَةً مِنْ تُرَابٍ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِ الْكُفَّارِ وَقَالَ شَاهَتِ الْوُجُوهُ فَانْصَرَفُوا يَمْسَحُونَ الْقَذَى عَنْ أَعْيُنِهِمْ، وَشَكَا إِلَيْهِ أَبُو هُرَيْرَةَ[1] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ النِّسْيَانَ: فَأَمَرَهُ[2] بِبَسْطِ ثَوْبِهِ وَغَرَفَ بِيَدِهِ فِيهِ ثُمَّ أَمَرَهُ بِضَمِّهِ فَفَعَلَ فَمَا نَسِيَ شَيْئاً بَعْدُ، وَمَا يُرْوَى فِي هَذَا كَثِيرٌ وَضَرَبَ صَدْرَ جَرِيرِ بْنِ[3] عَبْدِ اللهِ وَدَعَا لَهُ وَكَانَ ذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ لاَ يَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ فَصَارَ مِنْ أَفْرَسِ الْعَرَبِ وَأَثْبَتِهِمْ، وَمَسَحَ رَأْسَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ[4] بْنِ زَيْدِ بنِ الْخَطَّابِ وَهُوَ صَغِيرٌ وَكَانَ دَمِيماً وَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ فَفَرَعَ الرِّجَالَ طُولاً وَتَمَاماً.

الفصل الرابع والعشرون: وَمِنْ ذَلِكَ مَا أُطْلِعَ عَلَيهِ مِنَ الْغُيوبِ وَمَا يَكُونُ

وَالأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ بَحْرٌ لاَ يُدْرَكُ قَعْرُهُ وَلاَ يُنْزَفُ غَمْرُهُ وَهَذِهِ الْمُعْجِزَةُ مِنْ جُمْلَةِ مُعْجِزَاتِهِ الْمَعْلُومَةِ عَلَى الْقَطْعِ الْوَاصِلِ إِلَيْنَا خَبَرُهَا عَلَى التَّوَاتُرِ لِكَثْرَةِ رُوَاتِهَا وَاتِّفَاقِ مَعَانِيهَا عَلَى الاطِّلاعِ عَلَى الْغَيْبِ.

[حَدَّثَنَا الإِمَامُ أَبو بَكر محمدُ بنُ الْوَلِيدِ الْفِهْرِيُّ إِجَازَةً وَقَرَأْتُهُ عَلَى غَيْرِهِ قَالَ أَبُوبَكْرٍ حَدَّثَنَا أَبو عَلِيٍّ التُّسْتَرِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ الْهَاشِمِيُّ حَدَّثَنَا اللُّؤْلُؤِيُّ حَدَّثَنَا أَبو دَاوُدَ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بنُ أَبي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الأَعْمَش عن أبي وَائِلٍ][5] عَنْ حُذَيْفَةَ[6] قَالَ قَامَ فِينَا رسولُ الله ﷺ مَقَاماً فَمَا تَرَكَ شَيْئاً يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلاَّ حَدَّثَهُ حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلاَءِ وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ فَأَعْرِفُهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ، ثُمَّ قَالَ حُذَيْفَةُ مَا أَدْرِي أَنَسِيَ أَصْحَابِي أَمْ تَنَاسَوْهُ وَاللهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح.

(٣) جرير بن عبد الله البجلي كنيته أبو عمر وفد إلى الرسول ﷺ سنة ١٠ هـ في شهر رمضان فلما دنا من المدينة أناخ راحلته وكحل عينيه ولبس حلته فأقبل والنبي ﷺ يخطب وقد قال لهم النبي ﷺ يطلع عليكم رجل من اليمن به مسحة ملك يقال إن النبي ﷺ ألقى إليه رداءه وقال: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه. ترجمته في: الثقات ٣/ ٥٤. والإصابة ١/ ٢٣٢، والطبقات ٦/ ٢٢.

(٤) عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب القرشي العدوي أمه هي لبابة بنت أبي لبابة الأنصارية ولد سنة ٥ هـ وقيل إنه ولد عام الهجرة وزوجه عمر رضي الله عنه ابنته فاطمة فولدت له عبد الله وتولى أمرة ملكة في خلافة يزيد بن معاوية. ترجمته في: الثقات ٣/ ٢٤٩ والإصابة ٣/ ٦٩، والطبقات ٥/ ٤٩.

(٥) [...] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٦) تقدمت ترجمته.

الله ﷺ مِنْ قَائِدِ فِتْنَةٍ إِلَى أَنْ تَنْقَضِي الدُّنْيَا يَبْلُغُ مَنْ مَعَهُ ثَلاثِمَائَةٍ فَصَاعِداً إِلاَّ قَدْ سَمَّاهُ لَنَا بِٱسْمِهِ وَٱسْمِ أَبِيهِ وَقَبِيلَتِهِ وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ[١] لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ الله ﷺ وَمَا يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلاَّ ذَكَرَنَا مِنْهُ عِلْماً وَقَدْ خَرَّجَ أَهْلُ الصَّحِيحِ وَالأَئِمَّةُ مَا أَعْلَمَ بِهِ أَصْحَابَهُ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مِمَّا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنَ الظُّهُورِ عَلَى أَعْدَائِهِ وَفَتْحِ مَكَّةَ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَالْيَمَنِ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَظُهُورِ الأَمْنِ حَتَّى تَظْعَنَ الْمَرْأَةُ مِنَ الْحِيرَةِ إِلَى مَكَّةَ لاَ تَخَافُ إِلاَّ الله وَأَنَّ الْمَدِينَةَ سَتُغْزَى وَتُفْتَحُ خَيْبَرُ عَلَى يَدَيْ عَلِيٍّ[٢] فِي غَدِ يَوْمِهِ وَمَا يَفْتَحُ الله عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الدُّنْيَا وَيُؤْتَوْنَ مِنْ زَهْرَتِهَا وَقِسْمَتِهِمْ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَمَا يَحْدُثُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْفُتُونِ وَالاخْتِلاَفِ. وَالأَهْوَاءِ وَسُلُوكِ سَبِيلِ مَنْ قَبْلَهُمْ وَٱفْتِرَاقِهِمْ عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً: النَّاجِيَةُ مِنْهَا فِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَّهَا سَتَكُونُ لَهُمْ أَنْمَاطٌ وَيَغْدُو أَحَدُهُمْ فِي حُلَّةٍ، وَيَرُوحُ فِي أُخْرَى وَتُوضَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ صَحْفَةٌ وَتُرْفَعُ أُخْرَى وَيَسْتُرُونَ بُيُوتَهُمْ كَمَا تُسْتَرُ الْكَعْبَةُ، ثُمَّ قَالَ آخِرَ الْحَدِيثِ: «وَأَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ»، وَأَنَّهُمْ إِذَا مَشَوْا الْمُطَيْطَاءَ وَخَدَمَتْهُمْ بَنَاتُ فَارِسَ وَالرُّومِ رَدَّ الله بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ وَسَلَّطَ شِرَارَهُمْ عَلَى خِيَارِهِمْ وَقِتَالِهِمُ التُّرْكَ وَالْخَزَرَ وَالرُّومَ وَذَهَابَ كِسْرَى وَفَارِسَ حَتَّى لاَ كِسْرَى وَلاَ فَارِسَ بَعْدَهُ وَذَهَابَ قَيْصَرَ حَتَّى لاَ قَيْصَرَ بَعْدَهُ وَذَكَرَ أَنَّ الرُّومَ ذَاتُ قُرُونٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ وَبِذَهَابِ الأَمْثَلِ فَالأَمْثَلِ مِنَ النَّاسِ وَتَقَارُبُ الزَّمَانِ، وَقَبْضِ الْعِلْمِ وَظُهُورِ الْفِتَنِ، وَالْهَرْجِ، وَقَالَ «وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ ٱقْتَرَبَ»[٣]، وَأَنَّهُ زُوِيَتْ لَهُ الأَرْضُ فَأُرِيَ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِهِ مَا زُوِيَ لَهُ مِنْهَا وَلِذَلِكَ كَانَ، ٱمْتَدَّتْ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ مَا بَيْنَ أَرْضِ الْهِنْدِ أَقْصَى الْمَشْرِقِ إِلَى نَحْرِ طَنْجَةَ حَيْثُ لاَ عِمَارَةَ وَرَاءَهُ وَذَلِكَ مَا لَمْ تَمْلِكْهُ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ وَلَمْ تَمْتَدَّ فِي الْجُنُوبِ وَلاَ فِي الشَّمَالِ مِثْلَ ذَلِكَ.. وَقَوْلُهُ: «لاَ يَزَالُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[٤] ذَهَبَ ٱبْنُ الْمَدِينِيِّ[٥] إِلَى أَنَّهُمُ الْعَرَبُ لأَنَّهُمُ الْمُخْتَصُّونَ بِالسَّقْيِ بِالْغَرْبِ وَهِيَ الدَّلْوُ، وَغَيْرُهُ يَذْهَبُ إِلَى

---

(١) تقدمت ترجمته. (٢) تقدمت ترجمته.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٤/١٦٨، ٢٤١، ٩/ ٦٠، ٦٧ كتاب الفتن: (١)، (٢) وأخرجه الإمام الترمذي في السنن تحت رقم: ٢١٨٧ وأبو داود في السنن تحت رقم: ٤٢٤٩. والحاكم في المستدرك ١/ ١٠٨ ٤/ ٤٣٩، ٤٨٣، وابن ماجه في السنن تحت رقم ٣٩٥٣ والإمام أحمد في المسند: ٢/ ٩٠ظ، ٣٩١، ٥٣٦، ٥٤١، ٦/ ٤٢٨، ٤٢٩ وابن أبي شيبة في مصنفه: ١٥/ ٥٥، ١٨٧، ٢٤٥. والهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ٢٦٩، ٢٨١، ٢٩٠.

(٤) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال تحت رقم: ٣٥٠٢٥. وأبو العرب في طبقات علماء إفريقية ١٠/ ١١، والألباني في السلسلة الصحيحة: ٩٦٥ والإمام مسلم في الصحيح تحت رقم ١٧٧. كتاب الإمارة (٥٣).

(٥) ابن المديني هو علي بن عبد الله بن جعفر بن خزع كنيته أبو الحسن إمام أهل الحديث في عصره، قال عنه الإمام النسائي: «وكأن الله لم يخلقه إلا لهذا الشأن» وقال الإمام البخاري في حقه: ما استصغرت نفسي إلا بين يدي علي بن المدني وينسب إلى مدينة الرسول ﷺ توفي رحمه الله سنة: ٢٣٤ هـ وعمره ٧٣ سنة.

أَنَّهُمْ أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَقَدْ وَرَدَ الْمَغْرِبُ كَذَا فِي الْحَدِيثِ بِمَعْنَاهُ.

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي أُمَامَةَ[١] «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِم حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»[٢] قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ «**بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ**». وَأَخْبَرَ بِمُلْكِ بَنِي أُمَيَّةَ وَوِلاَيَةِ مُعَاوِيَةَ وَوَصَّاهُ، وَاتِّخَاذِ بَنِي أُمَيَّةَ مَالَ اللهِ دُوَلاً، وَخُرُوجِ وَلَدِ الْعَبَّاسِ بِالرَّايَاتِ السُّودِ وَمُلْكِهِمْ أَضْعَافَ مَا مَلَكُوا وَخُرُوجِ الْمَهْدِيِّ[٣] وَمَا يَنَالُ أَهْلَ بَيْتِهِ وَتَقْتِيلِهِمْ وَتَشْرِيدِهِمْ وَقَتْلَ عَلِيٍّ[٤] وَأَنَّ أَشْقَاهَا الَّذِي يَخْضِبُ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ أَيْ لِحْيَتَهُ مِنْ رَأْسِهِ، وَأَنَّهُ قَسِيمُ النَّارِ يَدْخُلُ أَوْلِيَاؤُهُ الْجَنَّةَ وَأَعْدَاؤُهُ النَّارَ فَكَانَ فِيمَنْ عَادَاهُ الْخَوَارِجُ، وَالنَّاصِبَةُ وَطَائِفَةٌ مِمَّنْ يُنْسَبُ إِلَيْهِ مِنَ الرَّوَافِضِ كَفَّرُوهُ، وَقَالَ يُقْتَلُ عُثْمَانُ[٥] وَهُوَ يَقْرَأُ الْمُصْحَفَ، وَأَنَّ اللهَ عَسَى أَنْ يُلْبِسَهُ قَمِيصاً، وَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ خَلْعَهُ، وَأَنَّهُ سَيَقْطُرُ دَمُهُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ﴾ [البقرة: ١٣٧] وَأَنَّ الْفِتَنَ لاَ تَظْهَرُ مَا دَامَ عُمَرُ حَيّاً، وَبِمُحَارَبَةِ الزُّبَيْرِ[٦] لِعَلِيٍّ[٧] وَبِنُبَاحِ كِلاَبِ الْحَوْأَبِ عَلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ، وَأَنَّهُ يُقْتَلُ حَوْلَهَا قَتْلَى كَثِيرَةٌ وَتَنْجُو بَعْدَ مَا كَادَتْ فَنَبَحَتْ عَلَى عَائِشَةَ[٨] عِنْدَ خُرُوجِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ، وَأَنَّ عَمَّاراً[٩] تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ فَقَتَلَهُ أَصْحَابُ مُعَاوِيَةَ

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) أخرجه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: ١٣/٢٨٦، ٢٩٣، والمتقي الهندي في كنز العمال تحت رقم: ٣٤٤٩٦. ولفظه: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله».
وهناك لفظ آخر وهو: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق».
أخرج هذه الرواية: الحاكم في المستدرك ٤/٤٤٩، ٥٥٠ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق: ١/٦٥ والخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث: ٤٨ وعلي القاري في الأسرار المرفوعة: ١٩٥.

(٣) ورد هذا الخبر لدى أصحاب السنن وغيرهم من طرق مختلفة لا تخلو من ضعف، قيل إن المهدي عباسي. وقيل إنه علوي وإنه سيملك سبع سنين، وكنيته أبوالقاسم واسمه محمد بن عبد الله وإنه سيأتي في آخر الزمان ويبسط العدل والأمن، وذهب بعضهم إنه عيسى عليه السلام. وقد ذكر النبي ﷺ ذلك بالاسم والصفة وهو ممن يملك الأرض كلها. وفي هذا نظر لدى الكثير من العلماء.

(٤) تقدمت ترجمته. (٥) تقدمت ترجمته.

(٦) الزبير بن العوام بن خويلد بن أحمد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة تزوج أسماء بيت أبي بكر الصديق وولدت له عبد الله وحملت به في مكة وكان عبد الله أول مولود في الإسلام بعد الهجرة. له ترجمة طويلة في الإصابة والطبقات..

(٧) تقدمت ترجمته. (٨) تقدمت ترجمتها.

(٩) عمار بن يسار بن عامر الكناني المذحجي كنيته أبو اليقظان صحابي من الولاة الشجعان ذوي الرأي من السابقين إلى الإسلام والجهر به هاجر إلى المدينة وشهد بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان وكان النبي ﷺ يلقبه الطيب المطيب وهو أول من بنى مسجداً في الإسلام وولاه عمر رضي الله عنه الكوفة ثم عزله وشهد الجمل مع علي رضي الله عنه وقتل في حنين وعمره: ٩٣ سنة.

وَقَالَ لِعَبْدِ الله بنِ الزُّبَيْرِ[١]: «وَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنكَ وَوَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ»[٢] وَقَالَ فِي قُزْمَانَ[٣] وَقَدْ أَبْلَى مَعَ الْمُسْلِمِينَ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، وَقَالَ فِي جَمَاعَةٍ فِيهِمْ أَبُو هُرَيْرَةَ[٤] وَسَمُرَةُ[٥] بْنُ جُنْدَبٍ وَحُذَيْفَةُ[٦] آخِرُكُمْ مَوْتاً فِي النَّارِ فَكَانَ بَعْضُهُمْ يَسْأَلُ عَنْ بَعْضٍ فَكَانَ سَمُرَةُ آخِرَهُمْ مَوْتاً هَرِمَ وَخَرِقَ فَاصْطَلَى بِالنَّارِ فَاحْتَرَقَ فِيهَا، وَقَالَ فِي حَنْظَلَةَ[٧] الْغَسِيلِ «سَلُوا زَوْجَتَهُ عَنْهُ فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَلَائِكَةَ تُغَسِّلُهُ» فَسَأَلُوهَا فَقَالَتْ إِنَّهُ خَرَجَ جُنُباً وَأَعْجَلَهُ الْحَالُ عَنِ الْغُسْلِ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ[٨] رَضِيَ الله عَنْهُ، وَوَجَدْنَا رَأْسَهُ يَقْطُرُ مَاءً، وَقَالَ: «الْخِلَافَةُ فِي قُرَيْشٍ وَلَنْ يَزَالَ هَذَا الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا أَقَامُوا الدِّينَ»[٩]، وَقَالَ: «يَكُونُ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ» فَرَأَوْهُمَا الْحَجَّاجَ[١٠] وَالْمُخْتَارَ[١١]؛ وَأَنَّ مُسَيْلِمَةَ[١٢] يَعْقِرُهُ الله؛ وَأَنَّ فَاطِمَةَ[١٣] أَوَّلُ أَهْلِهِ لُحُوقاً بِهِ، وَأَنْذَرَ بِالرِّدَّةِ

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) أخرجه الدارقطني في السنن: ٢٢٨/١، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق: ٤٠١/٧. وعياض في الشفاء ٦٥٩/١.

(٣) قزمان هو مولى لبعض رجال الأنصار اشتهر بالشجاعة إلا أنه كان منافقاً اطلع الرسول ﷺ على حاله وأظهر في المعارك إعجاب الصحابة إلا أن ذلك لم يكن خالصاً فتوفي على النفاق.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) حنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن مالك المعروف بغسيل الملائكة ويعرف أبوه في الجاهلية بالراهب واسمه عمرو ويقال له: عبد عمرو وكان يذكر البعث ودين الحنيفية فلما بعث النبي ﷺ عانده وحده وخرج من المدينة وشهد مع الكفار أحداً ثم رجع مع الكفار إلى مكة ثم إلى الروم فتوفي هناك سنة ٩ هـ وأسلم ابنه حنظلة فحسن إسلامه، واستشهد بغزوة أحد سنة ٣ هـ.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) أخرجه الإمام أحمد في المسند، والترمذي في السنن.

(١٠) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي كنيته أبو محمد، قائد من دهاة العرب سفاك خطيب، ولد ونشأ في الطائف وانتقل إلى الشام فلحق روح بن زنباع خليفة عبد الملك بن مروان فكان شرطياً من شرطه فأخلص في عمله فقلده عبد الملك عسكره وأمره بقتال عبد الله بن الزبير فقتله وهو بالكعبة وتوفي الحجاج بواسط. فاندرس قبره بجريان الماء عليه.

(١١) المختار بن عبيد الثقفي بن مسعود بن عمر بن عمير، أسلم أبوه في حياة النبي ﷺ ولم يره فلم يحسب من الصحابة، وكان المختار يزعم أن جبريل عليه السلام يأتيه وكان يظهر مدح ابن الزبير ومحمد بن الحنفية واستولى على الكوفة وأظهر التشيع وطلب بأخذ ثأر الحسين وعظم أمره ويتكهن ويزعم أن الوحي يأتيه وله كرسي يضاهي به تابوت بني إسرائيل وظل على هذا الحال حتى قتله مصعب بن الزبير.

(١٢) تقدمت ترجمته.

(١٣) تقدمت ترجمتها.

وبِأَنَّ الْخِلاَفَةَ بَعْدَهُ ثَلاَثُونَ سَنَةً ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً فَكَانَتْ كَذَلِكَ بِمُدَّةِ الْحَسَنِ[١] بْنِ عَلِيٍّ وَقَالَ: «**إِنَّ هَذَا لأَمْرَ بَدَأَ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً. ثُمَّ يَكُونُ رَحْمَةً وَخِلاَفَةً ثُمَّ يَكُونُ مُلْكاً عَضُوضاً ثُمَّ يَكُونُ عُتُوّاً وَجَبرُوتاً وَفَساداً فِي الأُمَّةِ**» وَأُخْبَر بِشَأْنِ أُوَيْسٍ[٢] الْقُرَنِي وَبِأُمَرَاءِ يُؤَخِّرُونَ الصَّلاَةَ عَنْ وَقْتِهَا وَسَيَكُونُ فِي أُمَّتِهِ ثَلاَثُونَ كَذَّاباً فِيهِمْ أَرْبَعُ نُسْوَةٍ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «**ثَلاَثُونَ دَجَّالاً كَذَّاباً أَحَدُهُمُ الدَّجَّالُ الْكَذَّابُ كُلُّهُمْ يَكْذِبُ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ**». وَقَالَ: «**يُوشِكُ أَنْ يَكْثُرَ فِيكِمُ الْعَجَمُ يَأْكُلُونَ فَيْئَكُمْ وَيَضْرِبُونَ رِقَابَكُمْ وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَسُوقَ النَّاسَ بِعَصَاهُ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ**[٣]». وَقَالَ: «**خَيْرُكُمْ**[٤] **قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ وَلاَ يَنْذِرُونَ وَلاَ يُوفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**». وَقَالَ: «**لاَ يَأْتِي زَمَانٌ إِلاَّ وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ**». وَقَالَ: «**هَلاَكُ أُمَّتِي عَلَى يَدِي أُغَيْلِمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ**»[٥]. وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ[٦] رَاوِيهِ لَوْ شِئْتُ سَمَّيْتُهُمْ لَكُمْ بَنُو فُلاَنٍ[٧] وَبَنُو فَلاَنٍ. وَأَخْبَرَ بِظُهُورِ الْقَدَرِيَّةِ[٨] وَالرَّافِضَةِ وَسَبِّ آخِرِ هَذِهِ الأُمَّةِ أَوَّلَهَا وَقِلَّةِ الأَنْصَارِ حَتَّى يَكُونُوا كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ فَلَمْ يَزَلْ أَمْرُهُمْ يَتَبَدَّدُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُمْ جَمَاعَةٌ، وَأَنَّهُمْ سَيَلْقَوْنَ بَعْدَهُ أَثَرَةً، وَأَخْبَرَ بِشَأْنِ الْخَوَارِجِ وَصِفَتِهِمْ، وَالْمُخَدَّجِ الَّذِي فِيهِمْ وَأَنَّ سِيمَاهُمْ التَّحْلِيقُ وَيُرَى رُعَاءَ الْغَنَمِ رُؤُوسَ النَّاسِ، وَالْعُرَاةُ وَالْحُفَاةُ يَتَبَارُونَ فِي الْبُنْيَانِ وَأَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنَّ قُرَيْشاً وَالأَحْزَابَ لاَ يَغْزُونَهُ أَبَداً وَأَنَّهُ هُوَ يَغْزُوهُمْ، وَأَخْبَرَ بِالْمَوْتَانِ الَّذِي يَكُونُ بَعْدَ فَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَمَا وَعَدَ مِنْ سُكْنَى الْبَصْرَةِ وَأَنَّهُمْ يَغْزُونَ فِي الْبَحْرِ كَالْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ، وَأَنَّ الدِّينَ لَوْ كَانَ مَنُوطاً بِالثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ وَهَاجَتْ رِيحٌ فِي غَزَاتِهِ، فَقَالَ: «**هَاجَتْ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ**»[٩] فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَجَدُوا ذَلِكَ؛ وَقَالَ لِقَوْمٍ

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) أويس القرني بن عامر المرادي نسبة إلى قبيلة مشهورة والقرني نسبة إلى قرن بن ردمان بن ناجية من أجلة التابعين بشهادة النبي ﷺ له وكان أدرك زمان النبي ﷺ ولم يره لاشتغاله ببر أمه وقتل بصفين سنة ٣٧ هـ مع الإمام علي رضي الله عنه.

(٣) رجل من قحطان اسمه الجهجاه كما ورد في الحديث الذي أخرجه الشيخان البخاري ومسلم.

(٤) رجل من قحطان هو الجهجاه. أخرج هذا الحديث الشيخان البخاري ومسلم برواية أبي هريرة.

(٥) أخرجه الشيخان البخاري ومسلم.

(٦) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ٦/ ٦١٢ كتاب المناقب (٦١) باب علامات النبوة في الإسلام (٢٥) الحديث رقم ٣٦٠٥ برواية أبي هريرة، وفي ٩/١٣ وكتاب الفتن (١٢) باب النبي ﷺ: هلاك أمتي على يد أغلمة سفهاء.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) القدرية مجوس هذه الأمة أخرجه الترمذي في السنن وأبو داود والحاكم في المستدرك، واللفظ له.

(٩) هو رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قنيقاع وكان من دهاة اليهود وكبار المنافقين.

مِنْ جُلَسَائِهِ: «ضِرْسُ أَحَدِكُمْ فِي النَّارِ أَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ[١] فَذَهَبَ الْقَوْمُ يَعْنِي. مَاتُوا وَبَقِيتُ أَنَا وَرَجُلٌ فَقُتِلَ مُرْتَدّاً يَوْمَ الْيَمَامَةِ؛ وَأَعْلَمَ بِالَّذِي غَلَّ خَرَزاً مِنْ خَرَزِ يَهُودَ فَوُجِدَتْ فِي رَحْلِهِ، وَبِالَّذِي غَلَّ الشَّمْلَةَ. وَحَيْثُ هِيَ وَنَاقَتُهُ حِينَ ضَلَّتْ وَكَيْفَ تَعَلَّقَتْ بِالشَّجَرَةِ بِخِطَامِهَا وَبِشَأْنِ كِتَابِ حَاطِبٍ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ وَبِقَضِيَّةِ عُمَيْرٍ[٢] مَعَ صَفْوَانَ[٣] حِينَ سَارَّهُ وَشَارَطَهُ عَلَى قَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا جَاءَ عُمَيْرٌ النَّبِيَّ ﷺ قَاصِداً لِقَتْلِهِ وَأَطْلَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْأَمْرِ، وَالسِّرِّ أَسْلَمَ؛ وَأَخْبَرَ بِالْمَالِ الَّذِي تَرَكَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ[٤] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عِنْدَ أُمِّ الْفَضْلِ بَعْدَ أَنْ كَتَمَهُ، فَقَالَ مَا عَلِمَهُ غَيْرِي وَغَيْرُهَا فَأَسْلَمَ، وَأَعْلَمَ بِأَنَّهُ سَيَقْتُلُ أُبَيَّ[٥] بْنَ خَلَفٍ وَفِي عُتْبَةَ[٦] بْنِ أَبِي لَهَبٍ: «أَنَّهُ يَأْكُلُهُ كَلْبُ اللهِ». وَعَنْ مَصَارِعِ أَهْلِ بَدْرٍ فَكَانَ كَمَا قَالَ، وَقَالَ فِي الْحَسَنِ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَسَيُصْلِحُ اللهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ»[٧] وَلِسَعْدٍ[٨]: «لَعَلَّكَ تُخَلَّفُ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيَسْتَضِرَّ بِكَ آخَرُونَ» وَأَخْبَرَ بِقَتْلِ أَهْلِ مُؤْتَةَ[٩] يَوْمَ قُتِلُوا وَبَيْنَهُمْ مَسِيرَةُ شَهْرٍ أَوْ أَزْيَدَ وَبِمَوْتِ النَّجَاشِيِّ[١٠] يَوْمَ

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) عمير بن وهب بن خلف الجمحي كنيته أبو أمية، صحاب من الشجعان أسلم متأخراً وشهد بدراً مع المشركين فأسر ابن له من طرف المسلمين فرجع إلى مكة فخلا به صفوان بن أمية بالحجر وقال له: دينك علي، وعيالك علي أعولهم ما عشت. . إن خرجت إلى قتل محمد فوافقه عمير ورحل إلى المدينة فدخل بسيفه على النبي ﷺ وهو بالمسجد فسأله لم قدمت؟ قال أريد فداء ابني فقال مالك والسلاح؟ قال نسيته عليَّ لما دخلت. قال فما جعل لك صفوان بن أمية في الحجر؟ فأنكر، فأخبره الرسول ﷺ بما كان بينهما فاندهش وأعلن إسلامه ثم هاجر إلى المدينة وشهد أحد وما بعدها. ترجمته في الثقات: ٣/٤٥٧.

(٣) صفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي القرشي المكي كنيته أبو وهب صحابي جليل اشتهر بالفصاحة والجود كان من أشراف قريش في الجاهلية والإسلام. قال فيه أبو عبيدة: إن صفوان قنطر في الجاهلية وقنصر أبوه» أسلم بعد الفتح وكان من المؤلفة قلوبهم، شهد اليرموك ومات بمكة أخرج له الشيخان ١٣ حديثاً. ترجمته في: الثقات ٣/١٩١ والإصابة ٢/١٨٧ والطبقات ٥/٤٤٩.

(٤) العباس تقدمت ترجمته.

(٥) أبي بن خلف تقدمت ترجمته.

(٦) عتبة بن أبي لهب تقدمت ترجمته.

(٧) أخرجه أبو داود في السنن تحت رقم ٤٢٩٠ في المهدي وإسناده ضعيف ولكن لأكثره شواهد في الأحاديث الأخرى.

وأخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٧/٩٥ كتاب فضائل الصحابة (٦٢) باب مناقب الحسن من (٢٢)، الحديث رقم ٣٧٥٣.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) غزوة الأمراء كانت سنة ٨ هـ في أرض الروم قتل فيها زيد بن حارثة وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن رواحة وتولى أمر جيش المسلمين خالد بن الوليد.

(١٠) تقدمت ترجمته.

مَاتَ، وَهُوَ بِأَرْضِهِ، وَأَخْبَرَ فَيْرُوزَ[١] إِذْ وَرَدَ عَلَيْهِ رَسُولاً مِنْ كِسْرَى بِمَوْتِ كِسْرَى[٢] ذَلِكَ الْيَوْمَ فَلَمَّا حَقَّقَ فَيْرُوزُ الْقِصَّةَ أَسْلَمَ وَأَخْبَرَ أَبَا ذَرٍ[٣] رَضِيَ الله عَنْهُ بِتَطْرِيدِهِ كَمَا كَانَ وَوَجَدَهُ فِي الْمَسْجِدِ نَائِماً، فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ بِكَ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْهُ؟ قَالَ أَسْكُنُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، قَالَ فَإِذَا أُخْرِجْتَ مِنْهُ؟ - الْحَدِيثَ[٤] - وَبِعَيْشِهِ وَحْدَهُ وَمَوْتِهِ وَحْدَه، وَأَخْبَرَ أَنَّ أَسْرَعَ أَزْوَاجِهِ بِهِ لُحُوقاً أَطْوَلُهُنَّ يَداً فَكَانَتْ زَيْنَبَ[٥]. لِطُولِ يَدِهَا بِالصَّدَقَةِ وَأَخْبَرَ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ[٦] بِالطَّفِّ، وَأَخْرَجَ بِيَدِهِ تُرْبَةً، وَقَالَ: فِيهَا مَضْجَعُهُ، وَقَالَ فِي زَيْدِ بْنِ صُوحَانَ[٧]: **«يَسْبِقُهُ عُضْوٌ مِنْهُ إِلَى الْجَنَّةِ»** فَقُطِعَتْ يَدُهُ فِي الْجِهَادِ، وَقَالَ فِي الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ عَلَى حِرَاءٍ: **«اُثْبُتْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدٌ»**[٨] فَقُتِلَ عَلِيٌّ[٩] وَعُمَرُ[١٠] وَعُثْمَانُ[١١] وَطَلْحَةُ[١٢] وَالزُّبَيْرُ[١٣] وَطُعِنَ سَعْدٌ[١٤] رَضِيَ الله عَنْهُم، وَقَالَ: لِسُرَاقَةَ[١٥]: **«كَيْفَ بِكَ إِذَا لَبِسْتَ سُوَارَيْ كِسْرَى»**[١٦] فَلَمَّا أُتِيَ بِهِمَا عُمَرُ أَلْبَسَهُمَا إِيَّاهُ، وَقَالَ الْحَمْدُ لله الَّذِي سَلَبَهُمَا كِسْرَى وَأَلْبَسَهُمَا سُرَاقَةَ، وَقَالَ: **«تُبْنَى مَدِينَةٌ بَيْنَ دِجْلَةَ وَدُجَيْلٍ وَقُطْرُبُلَ وَالصَّرَاةِ تُجْبَى إِلَيْهَا خَزَائِنُ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِهَا»** يَعْنِي بَغْدَادَ؛ وَقَالَ: **«سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْوَلِيدُ هُوَ شَرٌّ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ»**[١٧]. وَقَالَ: «لاَ

---

(١) فيروز وزير من وزراء كسرى ملك الفرس.

(٢) كسرى لقب لكل ملك يتولى أمر الفرس. واسم الملك الذي كان في عهد الرسالة: أبرويز وهو الذي كتب إليه النبي ﷺ رسالة يدعوه فيها إلى الإسلام، فمزقها فدعا عليه الرسول عليه الصلاة والسلام بتمزيق دولته، فاستجاب الله دعوته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده. وتتمته: ألحق بالشام أرض الهجرة والمحشر وأرض الأنبياء فأكون رجلاً من أهلها، قال فإذا أخرجوك من الشام؟ قال: أرجع إليه فيكون منزلي، قال: كيف بك إذا أخرجوك منه الثانية؟ قال: آخذ بسيفي. وأقاتل حتى أموت فوكزه ﷺ، وقال: «خير لك منه أن تنقاد حيث قادوك حتى تلقاني وأنت على ذلك». والقصة أخرجها البيهقي وابن راهويه وابن أبي أسامة.

(٥) أخرجه الإمام البخاري ومسلم، وأخرجه الشعبي مرسلاً ولفظ الإمام مسلم برواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) زيد بن صوحان بن حجر بن الحارث العَبدي وهو أخو صعصعة وفد على النبي ﷺ، وقيل إنه تابعي.

(٨) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٤/٣٤١، وابن أبي عاصم في السنة ٢/٦٢١.

(٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) تقدمت تراجمهم.

(١٦) تقدمت ترجمته.

(١٧) أخرجه ابن حجر في القول المسدد: ١٥ والسيوطي في اللآلىء المصنوعة: ١/٥٧. وعياض في الشفا: ١/٦٧٥.

تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ»[١]. وَقَالَ لِعُمَرَ فِي سُهَيْلِ[٢] بْنِ عَمْرٍو «عَسَى أَنْ يَقُومَ مَقَاماً مَا يَسُرُّكَ يَا عُمَرُ». فَكَانَ كَذَلِكَ قَامَ بِمَكَّةَ مَقَامَ أَبِي بَكْرٍ[٣] يَوْمَ بَلَغَهُمْ مَوْتُ النَّبِيِّ ﷺ وَخَطَبَ بِنَحْوِ خُطْبَتِهِ وَثَبَّتَهُمْ وَقَوَّى بَصَائِرَهُمْ، وَقَالَ لِخَالِدٍ[٤] حِينَ وَجَّهَهُ لِأُكَيْدِرَ «**إِنَّكَ تَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ**». فَوُجِدَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا قَالَ ﷺ مَا أَخْبَرَ بِهِ جُلَسَاءَهُ مِنْ أَسْرَارِهِمْ وَبَوَاطِنِهِمْ وَاطَّلَعَ عَلَيْهِ مِنْ أَسْرَارِ الْمُنَافِقِينَ وَكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ فِيهِ وَفِي الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى إِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَقُولُ لِصَاحِبِهِ اسْكُتْ فَوَاللهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَنْ يُخْبِرُ لَأَخْبَرَتْهُ حِجَارَةُ الْبَطْحَاءِ، وَإِعْلَامُهُ بِصِفَةِ السِّحْرِ الَّذِي سَحَرَهُ بِهِ لَبِيدُ[٥] بْنُ الْأَعْصَمِ وَكَوْنِهِ فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَةٍ فِي جُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ وَأَنَّهُ أُلْقِيَ فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ فَكَانَ كَمَا قَالَ، وَوُجِدَ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ، وَإِعْلَامُهُ قُرَيْشاً بِأَكْلِ الْأَرَضَةِ[٦] مَا فِي صَحِيفَتِهِمْ الَّتِي تَظَاهَرُوا بِهَا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَقَطَعُوا بِهَا رَحِمَهُمْ وَأَنَّهَا أَبْقَتْ فِيهَا كُلَّ اسْمٍ للهِ فَوَجَدُوهَا كَمَا قَالَ وَوَصْفُهُ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ بَيْتَ الْمَقْدِسِ حِينَ كَذَّبُوهُ فِي خَبَرِ الْإِسْرَاءِ[٧] وَنَعْتُهُ إِيَّاهُ نَعْتُ مَنْ عَرَفَهُ وَإِعْلَامُهُمْ بِعِيرِهِمْ الَّتِي مَرَّ عَلَيْهَا فِي طَرِيقِهِ وَإِنْذَارُهُمْ بِوَقْتِ وُصُولِهَا فَكَانَ كُلُّهُ كَمَا قَالَ إِلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْحَوَادِثِ الَّتِي تَكُونُ وَلَمْ تَأْتِ بَعْدُ مِنْهَا مَا ظَهَرَتْ مُقَدِّمَاتُهَا كَقَوْلِهِ: «**عِمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ**». وَمِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَآيَاتِ حُلُولِهَا وَذِكْرِ النَّشْرِ وَالْحَشْرِ، وَأَخْبَارِ الْأَبْرَارِ، وَالْفُجَّارِ، وَالْجَنَّةِ، وَالنَّارِ وَعَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ. وَبِحَسْبِ هَذَا الْفَصْلِ أَنْ يَكُونَ دِيوَاناً مُفْرَداً يَشْتَمِلُ عَلَى أَجْزَاءٍ وَحْدَهُ وَفِيمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ مِنْ نُكَتِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا كِفَايَةٌ وَأَكْثَرُهَا فِي الصَّحِيحِ وَعِنْدَ الْأَئِمَّةِ.

الفصل الخامس والعشرون: في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من أذاهم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٤/٢٤٣، ٩/٢٢، ٧٤ والإمام مسلم في الصحيح كتاب الفتن باب (٤) رقم: ١٧ والإمام أحمد في المسند: ٢/٣١٣، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/٢٤٤، ٢٤٨، وعبد الرزاق في مصنفه: ١٨٦٥٨ والبيهقي في دلائل النبوة: ٤١٨٦، والتبريزي في مشكاة المصابيح: ٥٤١٠، والبغوي في شرح السنة: ١٠/٢٢٩، ١٥/٣٨، والحميدي في مسنده: ٧٤٩. والمتقي الهندي في كنز العمال رقم: ٣١٢٠٣، ٣٨٣٧٣، وابن كثير في البداية والنهاية ٦/٢٤٣.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) الأرضة دويبة تأكل الخشب والورق.

(٧) تقدم الكلام عليه.

فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨] وقال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦] قيل بكافٍ محمداً ﷺ أعداءَهُ المشركينَ وقيلَ غيرَ هذا وقَالَ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر:٩٥] وقال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنفال:٣٠] الآية.

[أَخْبَرَنَا الْقَاضِي الشَّهِيدُ أبو عَلِيّ الصَّدَفِيُّ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ وَالْفَقِيهُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الله الْمُعَافِرِيُّ قَالا حَدَّثَنَا أبو الْحُسَيْنِ الصَّيْرَفِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى الْبَغْدَادِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ السِّنْجِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَرْوَزِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عِيسَى الْحَافِظ حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ حَدَّثَنَا مُسْلِم بْنُ إبرَاهِيم حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ عُبَيْدٍ عن سَعِيدِ الْجُرَيْرِيّ عَنْ عَبدِ الله بْن شَقِيق][(١)] عَن عَائِشَةَ[(٢)] رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧] فَأَخْرَجَ رَسُولُ الله ﷺ رَأْسَهُ مِنَ الْقُبَّةِ فَقَالَ لَهُم: «يَا أَيُّهَا النَّاس انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ»[(٣)] وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا نَزَلَ مَنْزِلاً اخْتَارَ لَهُ أَصْحَابُهُ شَجَرَةً يَقِيلُ تَحْتَهَا فَأَتَاهُ أَعْرَابِيٌّ فَاخْتَرَطَ سَيْفَهُ ثُمَّ قَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقَالَ: الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فَرُعِدَتْ يَدُ الأَعْرَابِيِّ وَسَقَطَ سَيْفُهُ وَضَرَبَ بِرَأْسِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى سَالَ دِمَاغُهُ فَنَزَلَتِ الآيَةُ، وَقَدْ رُوِيَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ فِي الصَّحِيحِ وَأَنَّ غورثَ[(٤)] بنَ الْحَارِثِ صَاحِبُ هَذِهِ الْقِصَّةِ وَأَنَّ النبي ﷺ عَفَا عَنْهُ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ وَقَدْ حُكِيَتْ مِثْلُ هَذِهِ الْحِكَايَةِ أَنَّهَا جَرَتْ لَهُ يَوْمَ بَدْرٍ وَقدِ انفَرَدَ مِنْ أَصْحَابِهِ لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ فَتَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَذَكَرَ مِثْلَهُ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ وَقَعَ لَهُ مِثْلُهَا فِي غَزْوَةِ غَطَفَانَ بِذِي أَمَرَ مَعَ رَجُلٍ اسْمُهُ دعثُورُ[(٥)] بْنُ الْحَارِثِ وَأَنَّ الرَّجُلَ أَسْلَمَ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ الذينَ أَغْرَوْهُ وَكَانَ سَيِّدَهُمْ وَأَشْجَعَهُمْ قَالُوا لَهُ أَيْنَ مَا كُنْتَ تَقُولُ وَقَدْ أَمْكَنَكَ فَقَالَ إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ أَبْيَضَ طَوِيلٍ دَفَعَ فِي صَدْرِي فَوَقَعْتُ لِظَهْرِي وَسَقَطَ السَّيْفُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ مَلَكٌ وَأَسْلَمْتُ؛ قِيلَ وَفِيهِ نَزَلَتْ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ [المائدة:١١] الآية.

---

(١) [....] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٢) تقدمت ترجمتها.

(٣) أخرجه الترمذي في السنن تحت رقم ٣٠٤٩، في التفسير. باب ومن سورة المائدة وأخرجه بنحوه ابن جرير الطبري تحت رقم: ١٢٢٧٦، والحاكم في المستدرك ٢/٣١٣ وصححه، وحسنه الحافظ ابن حجر.

(٤) غوث بن الحارث اختلف في إسلامه. لاختلاف الرواية في القصة فقد جاء في القصة إن النبي ﷺ قال: له «لا أو تسلم» فقال: غوث: لا، ولكن أعاهدك ألا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك» وقال الذين تمسكوا بإسلامه بقوله: جئتكم من عند خير الناس...

(٥) دعثور بن الحارث رجل من المحاربين. وقد تقدم الكلام عليه.

وَفِي رِوَايَةِ الْخَطَابِيِّ[١] أَنَّ غُورَثَ بْنَ الْحَارِثِ الْمُحَارِبِيَّ أَرَادَ أَنْ يَفْتِكَ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ إِلاَّ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ مُنْتَضِياً سَيْفَهُ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِ بِمَا شِئْتَ**»[٢] فَانْكَبَّ مِنْ وَجْهِهِ مِنْ زُلَّخَةٍ زُلِّخَهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَنَدَرَ سَيْفُهُ مِنْ يَدِهِ (والزُّلَّخَةُ) وَجَعُ الظَّهْرِ وَقِيلَ فِي قِصَّتِهِ غَيْرُ هَـٰذَا، وَذُكِرَ أَنَّ فِيهِ نَزَلَتْ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ [المائدة:١١] الآية وَقِيلَ كَانَ رَسُولَ الله ﷺ يَخَافُ قُرَيْشاً فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ اسْتَلْقَى ثُمَّ قَالَ: «مَنْ شَاءَ فَلْيَخْذُلْنِي».

وَذَكَرَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ[٣] قال كَانَتْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ تَضَعُ الْعِضَاةَ وَهِيَ جَمْرٌ عَلَى طَرِيقِ رَسُولِ الله ﷺ فَكَأَنَّمَا يَطَؤُهَا كَثِيباً أَهْيَلَ: وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ[٤] عَنْهَا أَنَّهَا لِمَّا بَلَغَها نُزُولُ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد:١] وَذِكْرُهَا بِمَا ذَكَرَهَا الله مَعَ زَوْجِهَا مِنَ الذَّمِّ أَتَتْ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ[٥] وَفِي يَدِهَا فِهْرٌ مِنْ حِجَارَةٍ فَلَمَّا وَقَفَتْ عَلَيْهِمَا لَمْ تَرَ إِلاَّ أَبَا بَكْرٍ[٥] أَيْنَ صَاحِبُكَ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ يَهْجُونِي وَالله لَوْ وَجَدْتُهُ لَضَرَبْتُ بِهَذَا الْفِهْرِ فَاهُ، وَعَنِ الْحَكَمِ[٦] بْنِ أَبِي الْعَاصِي قَالَ تَوَاعَدْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى إِذَا رَأَيْنَاهُ سَمِعْنَا صَوْتاً خَلْفَنَا مَا ظَنَنَّا أَنَّهُ بَقِيَ بِتِهَامَةَ أَحَدٌ فَوَقَعْنَا مَغْشِيّاً عَلَيْنَا فَمَا أَفَقْنَا حَتَّى قَضَى صَلاَتَهُ وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ ثُمَّ تَوَاعَدْنَا لَيْلَةً أُخْرَى فَجِئْنَا حَتَّى إِذَا رَأَيْنَاهُ جَاءَتِ الصَّفَا وَالْمَرْوَةُ فَحَالَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، وَعَنْ عُمَرَ[٧] رَضِيَ الله عَنْهُ تَوَاعَدْتُ أَنَا وَأَبُو جَهْمِ بْنُ حُذَيْفَةَ لَيْلَةً قَتْلَ رَسُولِ الله ﷺ فَجِئْنَا مَنْزِلَهُ فَسَمِعْنَا لَهُ فَافْتَتَحَ وَقَرَأَ ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة:١ ـ ٢] إِلَى ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة:٨] فَضَرَبَ أَبُو جَهْمٍ[٨] عَلَى عَضُدِ عُمَرَ وَقَالَ انْج وَفرًا هَارِبَيْنِ فَكَانَتْ مِنْ مُقَدِّمَاتِ إِسْلاَمِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُ؛ وَمِنْهُ

---

(١) الخطابي هو أبو سليمان كان رأساً في سائر العلوم ولا سيما الحديث والتفسير والفقه والأدب، كان على مذهب الشافعي، له التآليف والمصنفات الكثيرة منها معالم السنن وغريب الحديث وشرح أسماء الله الحسنى، وله أشعار كثيرة تنم عن ذوق الشاعر توفي رحمه الله سنة ٣٠٨ هـ.

(٢) أخرجه القرطبي في تفسيره: ٥/ ٣٧٢.

(٣) تقدمت ترجمته. (٤) تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) الحاكم بن أبي العاص بن أمية القرشي له صحبة وهو والد مروان بن الحكم ترجمته في الثقات: ٣/ ٨٤، والإصابة: ١/ ٣٤٥ والطبقات: ٥/ ٤٤٧.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) أبو جهم هو عامر بن حذيفة بن غانم بن عامر العدوي أسلم عام الفتح ٨ هـ وله صحبة وكان معظماً في قريش توفي في خلافة معاوية رضيَ الله عنه. وقال إنه عمل في الكعبة مرتين في الجاهلية والإسلام. ترجمته في الثقات: ٣/ ٢٩١. والإصابة: ٢/ ٢٤٩، ٤/ ٣٥.

الْعِبْرَةُ الْمَشْهُورَةُ وَالْكِفَايَةُ التَّامَّةُ عِنْدَمَا أَخَافَتْهُ قُرَيْشٌ وَأَجْمَعَتْ عَلَى قَتْلِهِ وَبَيَّتُوهُ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْتِهِ فَقَامَ عَلَى رُؤُسِهِمْ وَقَدْ ضَرَبَ اللهُ تَعَالَى عَلَى أَبْصَارِهِمْ وَذَرَّ التُّرَابَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ وَخَلَصَ مِنْهُمْ وَحِمَايَتُهُ عَنْ رُؤْيَتِهِمْ فِي الْغَارِ بِمَا هَيَّأَ اللهُ لَهُ مِنَ الآيَاتِ وَمِنَ الْعَنْكَبُوتِ الَّذِي نَسَجَ عَلَيْهِ حَتَّى قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ حِينَ قَالُوا نَدْخُلُ الْغَارَ مَا أَرَبُكُمْ فِيهِ وَعَلَيْهِ مِنْ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ مَا أَرَى أَنَّهُ قَبْلَ أَنْ يُولَدَ مُحَمَّدٌ وَوَقَفَتْ حَمَامَتَانِ عَلَى فَمِ الْغَارِ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ لَوْ كَانَ فِيهِ أَحَدٌ لَمَا كَانَتْ هُنَاكَ الْحَمَامُ، وَقِصَّتُهُ مَعَ سُرَاقَةَ[1] بنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشَم حِينَ الهِجْرَةِ وَقَدْ جَعَلَتْ قُرَيْشٌ فِيهِ وَفِي أَبِي بَكْرٍ الْجَعَائِلَ فَأُنْذِرَ بِهِ فَرَكِبَ فَرَسَهُ وَاتَّبَعَهُ حَتَّى إِذَا قَرُبَ مِنْهُ دَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَسَاخَتْ قَوَائِمُ فَرَسِهِ فَخَرَّ عَنْهَا وَاسْتَقْسَمَ بِالأَزْلاَمِ فَخَرَجَ لَهُ مَا يَكْرَهُ ثُمَّ رَكِبَ وَدَنَا حَتَّى سَمِعَ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ لاَ يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ[2] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَلْتَفِتُ وَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أُتِينَا فَقَالَ: **«لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَاهُ»**. فَسَاخَتْ ثَانِيَةً إِلَى رُكْبَتَيْهَا وَخَرَّ عَنْهَا فَزَجَرَهَا فَنَهَضَتْ وَلِقَوَائِمِهَا مِثْلُ الدُّخَانِ فَنَادَاهُمْ بِالأَمَانِ فَكَتَبَ لَهُ النَّبِيُّ أَمَاناً كَتَبَهُ ابْنُ فُهَيْرَةَ[3] وَقِيلَ أَبُو بَكْرٍ وَأَخْبَرَهُمْ بِالأَخْبَارِ وَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لاَ يَتْرُكَ أَحَداً يَلْحَقُ بِهِمْ فَانْصَرَفَ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُفِيتُمْ مَا هَهُنَا وَقِيلَ بَلْ قَالَ لَهُمَا أَرَاكُمَا دَعَوْتُمَا عَلَيَّ فَادْعُوا لِي فَنَجَا وَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ ظُهُورُ النَّبِيِّ ﷺ وَفِي خَبَرٍ آخَرَ أَنَّ رَاعِياً عَرَفَ خَبَرَهُمَا فَخَرَجَ يَشْتَدُّ يُعْلِمُ قُرَيْشاً فَلَمَّا وَرَدَ مَكَّةَ ضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ فَمَا يَدْرِي مَا يَصْنَعُ وَأُنْسِيَ مَا خَرَجَ لَهُ حَتَّى رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ وَجَاءَهُ فِيمَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ[4] وَغَيْرُهُ أَبُو[5] جَهْلٍ بِصَخْرَةٍ وَهُوَ سَاجِدٌ وَقُرَيْشٌ يَنْظُرُونَ لِيَطْرَحَهَا عَلَيْهِ فَلَزِقَتْ بِيَدِهِ وَيَبِسَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ وَأَقْبَلَ يَرْجِعُ الْقَهْقَرَى إِلَى خَلْفِهِ ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ فَفَعَلَ فَانْطَلَقَتْ يَدَاهُ وَكَانَ قَدْ تَوَاعَدَ مَعَ قُرَيْشٍ بِذَلِكَ وَحَلَفَ لَئِنْ رَآهُ لَيَدْمَغَنَّهُ فَسَأَلُوهُ عَنْ شَأْنِهِ فَذَكَرَ أَنَّهُ عَرَضَ لِي دُونَهُ فَحْلٌ مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ قَطُّ هَمَّ بِي أَنْ يَأْكُلَنِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«ذَاكَ جِبْرِيلُ لَوْ دَنَا لأَخَذَهُ»**، وَذَكَرَ السَّمَرْقَنْدِي[6] أَنَّ رَجُلاً مِنْ بَنِي الْمُغِيرَةِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ لِيَقْتُلَهُ فَطَمَسَ اللهُ عَلَى بَصَرِهِ فَلَمْ يَرَ النَّبِيَّ ﷺ وَسَمِعَ قَوْلَهُ فَرَجَعَ إِلَى

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) ابن فهيرة هو عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه، كان أبو بكر اشتراه وأعتقه وأسلم وكان يرعى له غنماً ويهيء لأبي بكر والنبي كل ليلة وهما في الغار اللبن، ثم هاجر معهما وشهد بدراً وأحداً واستشهد ببئر معونة. ترجمته في: الحلية: ١/١٠٩، والإصابة ٢/٢٥٦، والثقات: ٣/٢٩٢ والطبقات ٣/ ٢٣٠.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرهُمْ حَتَّى نَادَوْهُ وَذَكَرَ أَنَّ فِي هَاتَيْنِ الْقِصَّتَيْنِ نَزَلَتْ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ [يس:٨] الآيَتَيْنِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ[١] فِي قِصَّتِهِ إِذْ خَرَجَ لِي بَنِي قُرَيْظَةَ فِي أَصْحَابِهِ فَجَلَسَ إِلَى جِدَارِ بَعْضِ آطَامِهِمْ فَانْبَعَثَ عَمْرُو[٢] بْنُ جُحَّاشٍ أَحَدَهُمْ لِيَطْرَحَ عَلَيْهِ رَحى فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَانْصَرَفَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَعْلَمَهُمْ بِقِصَّتِهِمْ وَقَدْ قِيلَ إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ [المائدة:١١] فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ نَزَلَتْ، وَحَكَى السَّمَرْقَنْدِيُّ[٣] أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ يَسْتَعِينُ فِي عَقْلِ الْكِلَابِيَّيْنِ اللَّذَيْنِ قَتَلَهُمَا عَمْرُو[٤] بْنُ أُمَيَّةَ فَقَالَ لَهُ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ اجْلِسْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ حَتَّى نُطْعِمَكَ وَنُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ أَبِي بَكْرٍ[٥] وَعُمَرَ[٦] رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَتَوَامَرَ حُيَيُّ مَعَهُمْ عَلَى قَتْلِهِ فَأَعْلَمَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّبِيَّ ﷺ بِذَلِكَ فَقَامَ كَأَنَّهُ يُرِيدُ حَاجَتَهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ وَذَكَرَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ مَعْنَى الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[٧] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَا[٨] جَهْلٍ وَعَدَ قُرَيْشاً لَئِنْ رَأَى مُحَمَّداً يُصَلِّي لَيَطَأَنَّ رَقَبَتَهُ فَلَمَّا ﷺ أَعْلَمُوهُ فَأَقْبَلَ فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُ وَلَّى هَارِباً نَاكِصاً عَلَى عَقِبَيْهِ مُتَّقِياً بِيَدَيْهِ فَسُئِلَ فَقَالَ لَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ أَشْرَفْتُ عَلَى خَنْدَقٍ مَمْلُوءٍ نَاراً كِدْتُ أَهْوِي فِيهِ وَأَبْصَرْتُ هَوْلاً عَظِيماً وَخَفْقَ أَجْنِحَةٍ قَدْ مَلَأَتِ الْأَرْضَ فَقَالَ ﷺ: «تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ لَوْ دَنَا لَاخْتَطَفَتْهُ عُضْواً عُضْواً» ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ [العلق:٦] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ؛ وَيُرْوَى: أَنَّ شَيْبَةَ بْنَ[٩] عُثْمَانَ الْحَجَبِيَّ أَدْرَكَهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَكَانَ حَمْزَةُ[١٠] قَدْ قَتَلَ أَبَاهُ وَعَمَّهُ فَقَالَ الْيَوْمَ أُدْرِكُ ثَأْرِي مِنْ مُحَمَّدٍ

---

(١) تقدمت ترجمته. (٢) عمرو بن جحاش وهو رجل من بني قريظة قتل.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس الصحابي الجليل الذي كان الرسول ﷺ يرسله في أموره وهو الذي بعث إلى النجاشي بكتاب النبي ﷺ فأجابه، وأسلم هو وزوجته أم حبيبة وشهد بئر معونة وتوفي في خلافة معاوية رضي الله عنه. ترجمته في: الطبقات ٣٩/٤ والإصابة ٥٢٤/٢. والحلية: ١١/٢، والثقات ٢٧١/٣.

(٥) تقدمت ترجمته. (٦) تقدمت ترجمته.

(٧) تقدمت ترجمته. (٨) تقدمت ترجمته.

(٩) شيبة بن عثمان الحجبي بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي الصحابي المشهور خادم الكعبة، ومن بيده مفتاحها، اعتنق الإسلام يوم الفتح سنة ٨ هـ وقيل يوم حنين وتوفي سنة ٥٩ هـ وأخرج أحاديثه الإمام البخاري والإمام أحمد وأبو داود. ترجمته في: الإصابة ١٦١/٢ والثقات ١٨٦/٣.

(١٠) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم كنيته أبو عمارة، القرشي، عم النبي ﷺ، أحد أبطال العرب في المعارك، من سادة قريش في الجاهلية والإسلام، ولد وتربى بمكة، ولما ظهر الإسلام تردد في الانقياد إليه، ولما علم أن أبا جهل اعترض سبيل الرسول ﷺ ونال منه، قصده وضربه وأعلن إسلامه وهاجر إلى المدينة وشهد بدراً وأول من حمل لواء الإسلام في الحروب واستشهد يوم أحد سنة ٣ هـ. ترجمته في: الإصابة ٣٥٣/١. والطبقات ٨/٣ والثقات ٦٩/٣.

فَلَمَّا اخْتَلَطَ النَّاسُ أَتَاهُ مِنْ خَلْفِهِ وَرَفَعَ سَيْفَهُ لِيَصُبَّهُ عَلَيْهِ فَقَالَ فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ ارْتَفَعَ إِلَيَّ شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ أَسْرَعَ مِنَ الْبَرْقِ فَوَلَّيْتُ هَارِباً وَأَحَسَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ فَدَعَانِي فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي وَهُوَ أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَيَّ فَمَا رَفَعَهَا إِلاَّ وَهُوَ أَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ، وَقَالَ لِي **«ادْنُ فَقَاتِلْ»** فَتَقَدَّمْتُ أَمَامَهُ أَضْرِبُ بِسَيْفِي وَأَقِيهِ بِنَفْسِي وَلَوْ لَقِيتُ أَبِي تِلْكَ السَّاعَةَ لأَوْقَعْتُ بِهِ دُونَهُ؛ وَعَنْ فُضَالَةَ[1] بْنِ عَمْرٍو، قَالَ أَرَدْتُ قَتْلَ النَّبِيِّ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ قَالَ: **«أَفُضَالَةُ؟»** قُلْتُ نَعَمْ؛ قَالَ: **«مَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ؟»** قُلْتُ: لاَ شَيْءَ؛ فَضَحِكَ وَاسْتَغْفَرَ لِي وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي فَسَكَنَ قَلْبِي، فَوَاللهِ مَا رَفَعَهَا حَتَّى مَا خَلَقَ اللهُ شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ؛ وَمِنْ مَشْهُورِ ذَلِكَ خَبَرُ عَامِرِ[2] بْنِ الطُّفَيْلِ وَأَرْبَدَ[3] بْنِ قَيْسٍ حِينَ وَفَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَ عَامِرٌ قَالَ لَهُ أَنَا أَشْغَلُ عَنْكَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ فَاضْرِبْهُ أَنْتَ فَلَمْ يَرَهُ فَعَلَ شَيْئاً فَلَمَّا كَلَّمَهُ فِي ذَلِكَ قَالَ لَهُ وَاللهِ مَا هَمَمْتُ أَنْ أَضْرِبَهُ إِلاَّ وَجَدْتُكَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَفَأَضْرِبُكَ؟ وَمِنْ عِصْمَتِهِ لَهُ تَعَالَى أَنَّ كَثِيراً مِنَ الْيَهُودِ وَالْكَهَنَةِ أَنْذَرُوا بِهِ وَعَيَّنُوهُ لِقُرَيْشٍ وَأَخْبَرُوهُمْ بِسَطْوَتِهِ بِهِمْ وَحَضُّوهُمْ عَلَى قَتْلِهِ فَعَصَمَهُ اللهُ تَعَالَى حَتَّى بَلَغَ فِيهِ أَمْرَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ نَصْرُهُ بِالرُّعْبِ أَمَامَهُ مَسِيرَةَ شَهْرٍ كَمَا قَالَ ﷺ[4].

الفصل السادس والعشرون: معارفه وعلومه ﷺ

وَمِنْ مُعْجِزَاتِهِ الْبَاهِرَةِ مَا جَمَعَهُ اللهُ لَهُ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ وَخَصَّهُ بِهِ مِنَ الاطِّلاَعِ عَلَى

---

(١) فضالة بن عمرو الليثي شيخ جاهلي قديم علمه النبي ﷺ الإسلام فقال له: ما يشغلك فلا تدع العصرين: صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها. ترجمته في: الثقات ٣/ ٣٣٠، والطبقات ٧/ ٧٩. والإصابة ٣/ ٢٠٨.

(٢) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري من بني عامر بن صعصعة من الفرسان في أهله، وكان من أشجعهم وأفتكهم بأعدائهم، وأشعرهم ورئيسهم في الجاهلية، كنيته، أبو علي، ولد ونشأ بنجد، وأدرك الإسلام وهو شيخ، فوفد على الرسول ﷺ بعد فتح مكة، يريد الغدر به، فلم يجرؤ على ذلك، فدعاه إلى الإسلام فاشترط شروطاً تتنافى مع الإسلام فرده الرسول ﷺ، فعاد إلى أهله غضباً حنقاً إلا أنه توفي في الطريق قبل الوصول إلى أهله. وهو ابن عمر لبيد الشاعر.

(٣) أربد بن قيس أخو لبيد الشاعر المشهور والصحابي الجليل، كان أربد شاعراً أيضاً معانداً للإسلام فأرسل الله عليه صاعقة أحرقته، فمات كافراً، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿فيرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء، وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال﴾.

(٤) أخرجه الإمام النسائي في السنن في الجهاد باب (١)، والإمام أحمد في المسند: ٢/٢٦٨، ٣٩٦، ٥/ ١٦٢، ٢٤٨، والبيهقي في السنن الكبرى: ١/ ٢١٤، ٢/ ٤٣٣، ٤٣٤، ٧/ ٤٨. وابن حجر في تغليق التعليق: ٩٦٢، وابن عبد البر في التمهيد: ٥/ ٢١٨، ٢٢٥، ٦/ ٤٦٠ وابن أبي شيبة في مصنفه: ١١/ ٤٣٢، ٤٣٣. والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٧/ ١١٣، ١٠/ ٤٨٧، ٤٨٨، والسيوطي في الدر المنثور: ٢/ ٨٣، ٥/ ٢٣٧، ٦/ ٢١٤.

جَمِيعِ مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ وَمَعْرِفَتُهُ بِأُمُورِ شَرَائِعِهِ وَقَوَانِينِ دِينِهِ، وَسِيَاسَةِ عِبَادِهِ وَمَصالِحِ أُمَّتِهِ وَمَا كَانَ فِي الأُمَمِ قَبْلَهُ وَقِصَصِ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَالْجَبَابِرَةِ، وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى زَمَنِهِ وَحِفْظِ شَرَائِعِهِمْ وَكُتُبِهِمْ وَوَعْيِ سِيَرِهِمْ وَسَرْدِ أَنْبَائِهِمْ وَأَيَّامِ اللهِ فِيهِمْ وَصِفَاتِ أَعْيَانِهِمْ وَاخْتِلاَفِ آرَائِهِمْ وَالْمَعْرِفَةِ بِمُدَدِهِمْ وَأَعْمَارِهِمْ وَحِكَمِ حُكَمَائِهِمْ وَمُحاجَّةِ كُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الْكَفَرَةِ وَمُعَارَضَةِ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنَ الْكِتَابِيِّينَ بِمَا فِي كُتُبِهِمْ وَإِعْلاَمِهِمْ بِأَسْرَارِهَا وَمُخَبَّآتِ عُلُومِهَا وَإِخْبَارِهِمْ بِمَا كَتَمُوهُ مِنْ ذَلِكَ وَغَيَّرُوهُ إِلَى الاحْتِوَاءِ عَلَى لُغَاتِ الْعَرَبِ وَغَرِيبِ الأَلْفَاظِ فِرَقِهَا وَالإِحَاطَةِ بِضُرُوبِ فَصَاحَتِهَا، وَالْحِفْظِ لأَيَّامِهَا وَأَمْثَالِهَا وَحِكَمِهَا وَمَعَانِي أَشْعَارِهَا وَالتَّخْصِيصِ بِجَوَامِعِ كَلِمِهَا إِلَى الْمَعْرِفَةِ بِضَرْبِ الأَمْثَالِ الصَّحِيحَةِ، وَالْحِكَمِ الْبَيِّنَةِ لِتَقْرِيبِ التَّفْهِيمِ لِلْغَامِضِ، وَالتَّبْيِينِ لِلْمُشْكِلِ إِلَى تَمْهِيدِ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ الذِي لاَ تَنَاقُضَ فِيهِ وَلاَ تَخَاذُلَ مَعَ اشْتِمَالِ شَرِيعَتِهِ عَلَى مَحَاسِنِ الأَخْلاَقِ وَمَحَامِدِ الآدَابِ وَكُلِّ شَيْءٍ مُسْتَحْسَنٍ مُفَصَّلٍ لَمْ يُنْكِرْ مِنْهُ مُلْحِدٌ ذُو عَقْلٍ سَلِيمٍ شَيْئاً إِلاَّ مِنْ جِهَةِ الْخِذْلاَنِ بَلْ كُلُّ جَاحِدٍ لَهُ وَكَافِرٍ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ بِهِ إِذَا سَمِعَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ صَوَّبَهُ وَاسْتَحْسَنَهُ دُونَ طَلَبِ إِقَامَةِ بُرْهَانٍ عَلَيْهِ ثُمَّ مَا أَحَلَّ لَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَبَائِثِ وَصَانَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَأَعْرَاضَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ مِنَ الْمُعَاقَبَاتِ وَالْحُدُودِ عَاجِلاً وَالتَّخْوِيفِ بِالنَّارِ آجِلاً مِمَّا لاَ يَعْلَمُ عِلْمَهُ وَلاَ يَقُومُ بِهِ وَلاَ بِبَعْضِهِ إِلاَّ مَنْ مَارَسَ الدَّرْسَ وَالْعُكُوفَ عَلَى الْكُتُبِ وَمُثَافَنَةِ بَعْضِ هَذَا إِلَى الاحْتِوَاءِ عَلَى ضُرُوبِ الْعِلْمِ وَفُنُونِ الْمَعَارِفِ كَالطِّبِّ وَالْعِبَارَةِ وَالْفَرَائِضِ وَالْحِسَابِ وَالنَّسَبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ مِمَّا اتَّخَذَ أَهْلُ هَذِهِ الْمَعَارِفِ كَلاَمَهُ ﷺ فِيهَا قُدْوَةً وَأُصُولاً فِي عِلْمِهِمْ كَقَوْلِهِ ﷺ: **«الرُّؤْيَا لأَوَّلِ عَابِرٍ وَهِيَ عَلَى رَجُلِ طَائِرٍ»**[١] وَقَوْلِهِ: **«الرُّؤْيَا ثَلاَثٌ رُؤْيَا حَقٌّ وَرُؤْيَا يُحَدِّثُ بِهَا الرَّجُلُ نَفْسَهُ وَرُؤْيَا تَحْزِينٍ مِنَ الشَّيْطَانِ»**[٢]. وَقَوْلِهِ: **«إِذَا تَقَارَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ»**[٣] وَقَوْلِه: **«أَصْلُ كُلِّ دَاءٍ الْبَرَدَةُ»**[٤] وَمَا رُوِيَ عَنْهُ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ[٥] رَضِيَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن في: ٣٩١٥. والسيوطي في الدر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة: ٨٩. والألباني في السلسلة الصحيحة: ١٢٠.

(٢) أخرجه ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ١٢/ ٤٠٧، والمتقي الهندي في كنز العمال: تحت رقم: ٤١٤٢٨.

(٣) أخرجه الشيخان في صحيحهما من طريق أبي هريرة رضي الله عنه مسنداً.

(٤) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال تحت رقم: ٢٨٠٧٥، ٢٨٢٤٧، ٢٨٢٤٩. والعجلوني في كشف الخفاء: ١/ ١٤٦. والسيوطي في الدر المنثور ٣/ ٨٠. وابن حجر في لسان الميزان ٣/ ١٦٧٠. وابن حبان في المجروحين: ١/ ٢٠٢ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٧/ ٤٠٠. وابن القسراني في تذكرة الموضوعات ص: ١١٤، والسيوطي في الدر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة. ص: ١٥ والخطابي في إصلاح خطأ المحدثين: ص ١٣.

(٥) تقدمت ترجمته.

الله عَنْهُ مِنْ قَوْلِهِ: «**المَعِدَةُ حَوْضُ البَدَنِ وَالْعُرُوقُ إِلَيْهَا وارِدَةٌ**»[١]. وَإِنْ كَانَ هَذَا حَدِيثاً لاَ نُصَحِّحُهُ لِضَعْفِهِ وَكَوْنِهِ مَوْضُوعاً تَكَلَّمَ عَلَيْهِ الدَّارَقُطْنِي[٢]؛ وَقَوْلِهِ: «**خَيرُ مَا تَدَاوَيْتُمْ به السَّعُوطُ وَاللَّدُودُ وَالْحِجَامَةُ وَالْمَشِي**»[٣]. وَخَيْرُ الْحِجَامَةِ يَوْمَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَتِسْعَ عَشْرَةَ وَإِحْدَى وَعِشْرِينَ وَفِي الْعُودِ الْهِنْدِيِّ سَبْعَةُ أَشْفِيَةٍ مِنْهَا ذَاتُ الْجَنْبِ». وَقَوْلِهِ: «**مَا مَلأَ ٱبْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنٍ** ـ إِلَى قَوْلِهِ ـ **فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ**»[٤] وَقَوْلِهِ: وَقَدْ سُئِلَ عَنْ سَبَإٍ أَرَجُلٌ هُوَ أَمِ ٱمْرَأَةٌ أَمْ أَرْضٌ؟ فَقَالَ: «**رَجُلٌ وَلَدَ عَشَرَةً تَيَامَنَ**[٥] **مِنْهُم سِتَّةٌ وَتَشَأَّمَ أَرْبَعَةٌ**». الْحَدِيثَ: بِطُولِهِ؛ وَكَذَلِكَ جَوَابُهُ فِي نَسَبِ قُضَاعَةَ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا ٱضْطَرَّتِ الْعَرَبُ عَلَى شَغْلِهَا بِالنَّسَبِ إِلَى سُؤَالِهِ عَمَّا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ ذَلِكَ، وَقَوْلِهِ: «**حِمْيَرُ**[٦] **رَأْسُ الْعَرَبِ وَنَابُهَا وَمَذْحِجٌ هَامَتُهَا وَغَلْصَمَتُهَا وَالأَزْدُ كَاهِلُهَا وَجُمْجُمَتُهَا وَهَمَدَانُ غَارِبُهَا وَذِرْوَتُهَا**» وَقَوْلِهِ: «**إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ ٱسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ الله السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**»[٧] وَقَوْلِهِ: «**فِي الْحَوْضِ زَوَايَاهُ سَوَاءٌ**»[٨]، وَقَوْلِهِ

---

(١) أخرجه الإمام الطبراني في الأوسط. وضعفه المؤلف.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٩١، كتاب الطب (٢٩) باب ما جاء في الحجامة (١٢) الحديث رقم: ٢٠٣٥، ضمن رواية طويلة وقال عنه: «حديث حسن غريب». وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٢٠٩ كتاب الطب باب خير ما تداويتم به. . . واللفظ له.

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد. ص: ٢١٣، باب في طلب الحلال الحديث رقم: ٦٠٣، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤/ ١٣٢ والترمذي في السنن ٤/ ٥٩٠ كتا الزهد (٣٧) باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل. (٤٧) الحديث رقم: ٢٣٨٠، وقال عنه: «حديث حسن صحيح» واللفظ، وابن ماجه في السنن ٢/ ١١١١ كتاب الأطعمة (٢٩) باب الاقتصاد في الأكل. (٥٠) الحديث رقم: ٣٣٤٩. والحاكم في المستدرك ٤/ ١٢١. كتاب الأطعمة باب كان أحب الفاكهة إلى النبي ﷺ.

(٥) أخرجه عياض في الشفا: ١/ ٦٩٩. وابن أبي شيبة في مصنفه: ٤/ ١٩٦ وابن الكلبي في الأصنام: ٨٦.

(٦) حمير هو: حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، من ملوك اليمن القدماء وإليه ينسب الحميريون كان من الشجعان المغاور حكم سبأ بعد أبيه، وعاصمة ملكه صنعاء، وبلغ بحروبه حتى الصين وقاتل قبائل ثمود واسمه: العرنجج ولقبه حمير للبسه الثياب الحمر ويرجع تاريخ قيام هذه الدولة إلى سنة ١١٥ ق.م.

(٧) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٣/ ٥٩٠، في الحج باب الخطبة أيام منى وفي الأضاحي ١٠/ ٦، باب من قال الأضحى يوم النحر، وفي التفسير ٨/ ٢٤٤ باب تفسير سورة براءة وفي بدء الخلق: ٦/ ٢١١ باب ما جاء في سبع أرضين وفي الفتن ١٣/ ٢٣ باب لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وفي ١/ ١٤٥ باب رب مبلغ أوعى من سامع، وأخرجه الإمام مسلم تحت رقم: ١٦٧٩ في القسامة باب تحريم الدماء، وأبو داود في السنن تحت رقم: ١٩٤٧. في الحج باب الأشهر الحرم.

(٨) أخرجه الإمام البخاري في الحج: ١١/ ٤٦٣ كتاب الرقاق (٨١) باب في الحوض (٥٣) الحديث رقم: ٦٥٧٩. والإمام مسلم في الصحيح: ٤/ ١٧٩٣ كتاب الفضائل (٤٣) باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته (٩) الحديث رقم: ٢٧/ ٢٢٩٢.

فِي حَدِيثِ الذِّكْرِ: «وَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا. فَتِلْكَ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ عَلَى اللِّسَانِ وَأَلْفٌ وَخَمْسمِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ»[١]. وَقَوْلِهِ وَهُوَ بِمَوْضِعٍ: «نَعَمْ مَوْضِعُ الْحَمَّامِ هَذَا»[٢] وَقَوْلِهِ: «مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ»[٣]. وَقَوْلِهِ لِعُيَيْنَةَ[٤] أَوِ الأقرع[٥]: «أنا أفرس بالخيل منك»[٦] وَقَوْلِهِ لِكَاتِبِهِ: «ضَعِ الْقَلَمَ عَلَى أُذُنِكَ فَإِنَّهُ أَذْكَرُ لِلْمُمِلِّ»[٧] هَذَا مَعَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ لاَ يَكْتُبُ وَلَكِنَّهُ أُوتِيَ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى قَدْ وَرَدَتْ آثَارٌ بِمَعْرِفَتِهِ حُرُوفَ الْخَطِّ وَحُسْنَ تَصْوِيرِهَا كَقَوْلِهِ: «لاَ تَمُدُّوا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ»[٨] رَوَاهُ ابْنُ شَعْبَانَ[٩] مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ وَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الآخَرِ الَّذِي يُرْوَى عَنْ مُعَاوِيَةَ[١٠] أَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «أَلْقِ الدَّوَاةَ وَحَرِّفِ الْقَلَمَ وَأَقِمِ الْبَاءَ وَفَرِّقِ السِّينَ وَلاَ تُعَوِّرِ الْمِيمَ وَحَسِّنِ اللهَ وَمُدَّ الرَّحْمٰنَ وَجَوِّدِ الرَّحِيمَ»[١١] وَهَذَا وَإِنْ لَمْ تَصِحَّ الرِّوَايَةُ أَنَّهُ ﷺ كَتَبَ فَلاَ يَبْعُدُ أَنْ يُرْزَقَ عِلْمَ هَذَا وَيُمْنَعَ الْكِتَابَةَ، وَالْقِرَاءَةَ.

وَأَمَّا عِلْمُهُ ﷺ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ وَحِفْظُهُ مَعَانِي أَشْعَارِهَا فَأَمْرٌ مَشْهُورٌ قَدْ نَبَّهْنَا عَلَى بَعْضِهِ أَوَّلَ

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن، وابن ماجه في السنن من طريق عبد الله بن عمرو بن العاص. رضي الله تعالى عنهما.

(٢) أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان: ١/ ٢٣٠.

(٣) أخرجه الترمذي في السنن تحت رقم: ٣٤٢، ٣٤٤ والنسائي في السنن ٤/ ١٧٢ وابن ماجه في السنن تحت رقم: ١٠١١. والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٩، والحاكم في المستدرك: ١/ ٢٠٥، وابن أبي شيبة في مصنفه: ٢/ ٣٦٢. والدارقطني في سننه: ١/ ٢٧٠، والبغوي في شرح السنة: ١/ ١٢٢. والزيلعي في نصب الراية: ١/ ٣٠٣، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٦/ ٤٤٥، وابن حجر في تلخيص الحبير: ١/ ٢١٣.

(٤) عيينة بن حصن الفزاري. كنيته أبو مالك، أسلم يوم الفتح سنة ٨ هـ وكان من المؤلفة قلوبهم وهو من جفاة العرب وفيه قال: ﷺ: «إنه الأحمق المطاع» لأنه كان سيد قومه قبل الإسلام وبعده.

(٥) الأقرع بن حابس بن عفان بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي. واسمه (فراس) ولقب بالأقرع لقرع في رأسه وهو من المؤلفة قلوبهم وكان من الشجعان الفرسان رئيس قومه في الجاهلية والإسلام، أسلم وقدم على رسول الله ﷺ في وفد نبي تميم وفيه نزل قوله تعالى: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤/ ٣٨٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٤٣ وعياض في الشفا: ١/ ٧٠١.

(٧) أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٧ كتاب الاستئذان (٤٣) باب (٢١) الحديث رقم: ٢٧١٤. وقال هذا: حديث غريب.

(٨) أخره عياض في الشفا: ١/ ٧٠٢.

(٩) ابن شعبان هو: محمد بن القاسم بن شعبان بن إسحاق المصري المالكي المذهب توفي سنة: ١٥٥ هـ وضعفه ابن حزم وترجم له صاحب الميزان.

(١٠) تقدمت ترجمته.

(١١) أخرجه عياض في الشفا: ١/ ٧٠٢.

الْكِتَابِ وَكَذَلِكَ حِفْظُهُ لِكَثِيرٍ مِنْ لُغَاتِ الْأُمَمِ كَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ: «**سَنَهْ سَنَهْ**»(١) وَهِيَ حَسَنَةٌ بِالْحَبَشِيَّةِ؛ وَقَوْلِهِ: «**وَيَكْثُرُ الهَرْجُ**»(٢) وَهُوَ الْقَتْلُ بِهَا وَقَوْلِهِ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ(٣): «**أَشْكَنْبْ دَرْدْ**» أَيْ وَجَعُ الْبَطْنِ بِالْفَارِسِيَّةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لاَ يَعْلَمُ بَعْضَ هَذَا وَلاَ يَقُومُ بِهِ وَلاَ بِبَعْضِهِ إِلاَّ مَنْ مَارَسَ الدَّرْسَ وَالْعُكُوفَ عَلَى الْكُتُبِ وَمُثَافَنَةَ أَهْلِهَا عُمْرَهُ وَهُوَ رَجُلٌ كَمَا قَالَ الله تَعَالَى: «أُمِّيٌّ لَمْ يَكْتُبْ وَلَمْ يَقْرَأْ وَلاَ عُرِفَ بِصُحْبَةِ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ وَلاَ نَشَأَ بَيْنَ قَوْمٍ لَهُمْ عِلْمٌ وَلاَ قِرَاءَةٌ لِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ لأُمُورِ وَلاَ عُرِفَ هُوَ قَبْلُ بِشَيْءٍ مِنْهَا قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] الآيَةَ؛ إِنَّمَا كَانَتْ غَايَةُ مَعَارِفِ الْعَرَبِ النَّسَبَ وَأَخْبَارَ أَوَائِلِهَا وَالشِّعْرَ وَالْبَيَانَ وَإِنَّمَا حَصَلَ ذَلِكَ لَهُمْ بَعْدَ التَّفَرُّغِ لِعِلْمِ ذَلِكَ وَالاشْتِغَالِ بِطَلَبِهِ وَمُبَاحَثَةِ أَهْلِهِ عَنْهُ؛ وَهَذَا الفَنُّ نُقْطَةٌ مِنْ بَحْرِ عِلْمِهِ ﷺ وَلاَ سَبِيلَ إِلَى جَحْدِ الْمُلْحِدِ لِشَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ وَلاَ وَجَدَ الْكَفَرَةُ حِيلَةً فِي دَفْعِ مَا نَصَصْنَاهُ إِلاَّ قَوْلَهُمْ ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤، والفرقان: ٥] وَ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣] فَرَدَّ الله قَوْلَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٣٠] ثُمَّ قَالُوهُ: مُكَابَرَةَ الْعِيَانِ فَإِنَّ الذِي نَسَبُوا تَعْلِيمَهُ إِلَيْهِ إِمَّا: سَلْمَانُ(٤) أَوِ الْعَبْدُ الرُّومِيُّ(٥) وَسَلْمَانُ إِنَّمَا عَرَفَهُ بَعْدَ الْهِجْرَةِ وَنُزُولِ الْكَثِيرِ مِنَ الْقُرْآنِ وَظُهُورِ مَا لاَ يَنْعَدُّ مِنَ الآيَاتِ؛ وَأَمَّا الرُّومِيُّ فَكَانَ أَسْلَمَ وَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ وَاخْتُلِفَ فِي اسْمِهِ وَقِيلَ بَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْلِسُ عِنْدَهُ عِنْدَ الْمَرْوَةِ وَكِلاَهُمَا أَعْجَمِيُّ اللِّسَانِ وَهُمُ الْفُصَحَاءُ اللُّدُّ وَالْخُطَبَاءُ اللُّسْنُ قَدْ عَجَزُوا عَنْ مُعَارَضَةِ مَا أَتَى بِهِ وَالإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ بَلْ عَنْ فَهْمِ وَصْفِهِ وَصُورَةِ تَأْلِيفِهِ وَنَظْمِهِ فَكَيْفَ بِأَعْجَمِيٍّ أَلْكَنَ؟ نَعَمْ وَقَدْ كَانَ سَلْمَانُ أَوْ بَلْعَامُ الرُّومِيُّ أَوْ يَعِيشُ أَوْ جَبْرٌ أَوْ يَسَارٌ عَلَى اخْتِلاَفِهِمْ فِي اسْمِهِ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ يُكَلِّمُونَهُمْ مَدَى أَعْمَارِهِمْ فَهَلْ حُكِيَ عَنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح برواية أم خالد رضي الله عنها: ٤/ ٩٠، ٥/ ٦٤، ٨/ ٨، والحاكم في المستدرك: ٢/ ٦٢٤، وابن حجر في فتح الباري: ٧/ ١٨٨ ورواية: سَنَاه سَنَاه يام خالد. أخرجهما أبو داود في السنن. كتاب اللباس (٢) والإمام أحمد: ٦/ ٣٦٥ والحميدي في مسنده: ٣٣٧.

(٢) أخرجه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحهما.

(٣) أخرجه ابن ماجه في السنن تحت رقم: ٣٤٥٨. والطبري في تفسيره: ١/ ٢٠٥ والعقيلي في الضعفاء: ٢/ ٤٨. وابن الجوزي في العلل المتناهية: ١/ ١٧١ ـ ١٧٢. وابن القيسراني في تذكرة الموضوعات: ١١١. وترجمة أبي هريرة تقدمت.

(٤) سلمان الفارسي صحابي جليل سمى نفسه سلمان الإسلام أصله من فارس أصبهان، عمر طويلاً، فكان ﷺ يقول: سلمان منا أهل البيت. ترجمته في الحلية ١/ ١٨٥، والإصابة ٢/ ٦٢، والثقات ٣/ ١٥٧. والطبقات: ٤/ ٧٥، ٦/ ١٦، ٧/ ٣١٨.

(٥) العبد الرومي هو يعيش غلام حويطب بن عبد العزى الرومي، كان يقرأ في الجاهلية. وأسلم، واختلف في اسمه، قيل يعيش، وقيل بلعام وقيل جبر. . . له صحبة ترجمته في الإصابة ٣/ ٦٦٩.

شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ مَا كَانَ يَجِيءُ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ؟ وَهَلْ عُرِفَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِمَعْرِفَةِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَمَا مَنَعَ الْعَدُوَّ حِينَئِذٍ عَلَى كَثْرَةِ عَدَدِهِ وَدُؤُوبِ صَلَبِهِ وَقُوَّةِ حَسَدِهِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى هَذَا فَيَأْخُذَ عَنْهُ أَيْضاً مَا يُعَارِضُ بِهِ وَيَتَعَلَّمَ مِنْهُ مَا يَحْتَجُّ بِهِ عَلَى شِيعَتِهِ كَفِعْلِ النَّضْرِ[(١)] بْنِ الْحَارِثِ بِمَا كَانَ يُمَخْرِقُ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ كُتُبِهِ وَلاَ غَابَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَوْمِهِ وَلاَ كَثُرَتِ اخْتِلاَفَاتُهُ إِلَى بِلاَدِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَيُقَالُ: إِنَّهُ اسْتَمَدَّ مِنْهُمْ بَلْ لَمْ يَزَلْ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ يَرْعَى فِي صِغَرِهِ وَشَبَابِهِ عَلَى عَادَةِ أَبْنَائِهِمْ ثُمَّ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ بِلاَدِهِمْ إِلاَّ فِي سَفْرَةٍ أَوْ سَفْرَتَيْنِ لَمْ يَطُلْ فِيهِمَا مُكْثُهُ مُدَّةً يَحْتَمِلُ فِيهَا تَعْلِيمُ الْقَلِيلِ فَكَيْفَ الْكَثِيرُ؟ بَلْ كَانَ فِي سَفَرِهِ فِي صُحْبَةِ قَوْمِهِ وَرِفَاقِهِ وَعَشِيرَتِهِ لَمْ يَغِبْ عَنْهُمْ وَلاَ خَالَفَ حَالَهُ مُدَّةَ مُقَامِهِ بِمَكَّةَ مِنْ تَعْلِيمٍ وَاخْتِلاَفٍ إِلَى حَبْرٍ أَوْ قَسٍّ[(٢)] أَوْ كَاهِنٍ بَلْ لَوْ كَانَ هَذَا بَعْدُ كُلُّهُ لَكَانَ مَجِيءُ مَا أَتَى بِهِ فِي مُعْجِزِ الْقُرْآنِ قَاطِعاً لِكُلِّ عُذْرٍ وَمُدْحِضاً لِكُلِّ حُجَّةٍ وَمُجَلِّياً لِكُلِّ أَمْرٍ.

الفصل السابع والعشرون: أنباؤه مع الملائكة والجن

وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ وَكَرَامَاتِهِ وَبَاهِرِ آيَاتِهِ إِنْبَاؤُهُ مَعَ الْمَلاَئِكَةِ وَالْجِنِّ وَإِمْدَادُ الله لَهُ بِالْمَلاَئِكَةِ وَطَاعَةُ الْجِنِّ لَهُ وَرُؤْيَةُ كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ لَهُمْ.

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ﴾ [التحريم:٤] الآية وَقَالَ: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ [الأنفال:١٢] وَقَالَ ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم﴾ [الأنفال:٩] الآيَتَيْنِ، وَقَالَ ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الأحقاف:٢٩] الآية.

[حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ الْعَاصِ الْفَقِيهُ بِسِمَاعِي عَلَيْهِ حَدَّثَنَا أَبُو اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْغَافِرِ الْفَارِسِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْجُلُودِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ سُفْيَانَ أَنَا مُسْلِمٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سُلَيْمَانَ الشَّيْبَانِيِّ سَمِعَ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ][(٣)] عَنْ عَبْدِ الله قَالَ ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ [النجم:١٨] قَالَ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتُّمَائَةِ جَنَاحٍ؛ وَالْخَبَرُ فِي مُحَادَثَتِهِ مَعَ جِبْرِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ وَمَا شَاهَدَهُ مِنْ كَثْرَتِهِمْ وَعِظَمِ صُوَرِ بَعْضِهِمْ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ مَشْهُورٌ وَقَدْ رَآهُمْ بِحَضْرَتِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي مَوَاطِنَ مُخْتَلِفَةٍ فَرَأَى أَصْحَابُهُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ يَسْأَلُهُ عَنِ الإِسْلاَمِ وَالإِيمَانِ وَرَأَى ابْنُ[(٤)]

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) [. . .] ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٤) تقدمت ترجمته.

عَبَّاسٍ وَأُسَامَةُ[١] بْنُ زَيْدٍ وَغَيْرُهُمَا[٢] عِنْدَهُ جِبْرِيلَ فِي صُورَةِ دِحْيَةَ[٣] وَرَأَى سَعْدٌ[٤] عَلَى يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فِي صُورَةِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ وَمِثْلُهُ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ؛ وَسَمِعَ بَعْضُهُمْ زَجْرَ الْمَلَائِكَةِ خَيْلَهَا يَوْمَ بَدْرٍ وَبَعْضُهُمْ رَأَى تَطَايُرَ الرُّؤُوسِ[٥] مِنَ الْكُفَّارِ وَلاَ يَرَوْنَ الضَّارِبَ وَرَأَى أَبُو سُفْيَانَ[٦] بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَئِذٍ رِجَالاً بِيضاً عَلَى خَيْلٍ بُلْقٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ مَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ وَقَدْ كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تُصَافِحُ عِمْرَانَ[٧] بْنَ حُصَيْنٍ وَأَرَى النَّبِيُّ ﷺ لِحَمْزَةَ جِبْرِيلَ فِي الْكَعْبَةِ فَخَرَّ مَغْشِيّاً عَلَيْهِ وَرَأَى عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ[٨] الْجِنَّ لَيْلَةَ الْجِنِّ وَسَمِعَ كَلاَمَهُمْ وَشَبَّهَهُمْ بِرِجَالِ الزُّطِّ؛ وَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ أَنَّ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ لَمَا قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ أَخَذَ الرَّايَةَ مَلَكٌ عَلَى صُورَتِهِ فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ لَهُ: **«تَقَدَّمْ يَا مُصْعَبُ»**[٩] فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ لَسْتُ بِمُصْعَبٍ فَعَلِمَ أَنَّهُ مَلَكٌ؛ وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُصَنِّفِينَ عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ بِيَدِهِ عَصَا فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَرَدَّ عَلَيْهِ، وَقَالَ ﷺ: **«نَغْمَةُ الْجِنِّ، مَنْ أَنْتَ؟»** قَالَ أَنَا هَامَةُ بْنُ الْهَيْثَمِ بْنُ لاَقِسَ بْنُ إِبْلِيسَ» فَذَكَرَ أَنَّهُ لَقِيَ نُوحاً وَمَنْ بَعْدَهُ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَّمَهُ. سُوَراً فِي الْقُرْآنِ: وَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ[١٠] قَتْلَ خَالِدٍ[١١] عِنْدَ هَدْمِهِ الْعُزَّى لِلسَّوْدَاءِ الَّتِي خَرَجَتْ لَهُ نَاشِرَةً شَعْرَهَا عُرْيَانَةً فَجَزَّ لَهَا بِسَيْفِهِ وَأَعْلَمَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لَهُ تِلْكَ الْعُزَّى.

---

(١) تقدمت ترجمته. (٢) تقدمت ترجمته.

(٣) دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرىء القيس بن عامر... الكلبي كان يشبه بجبريل عليه السلام، بعثه النبي ﷺ رسولاً إلى قيصر، سكن مصر، وتوفي في خلافة معاوية رضي الله عنه ترجمته في الثقات ٣/ ١١٧، والطبقات ٤/ ٢٤٩، والإصابة: ١/ ٤٧٣.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عم الرسول ﷺ، وأخوه من الرضاعة. أرضعتهما حليمة السعدية، وكان يشبه الرسول ﷺ، ويقال إن الإمام علياً علمه لما جاء ليسلم أن يأتي النبي ﷺ من قبل وجهه فيقول: «تالله لقد آثرك الله علينا». ففعل أبو سفيان، فأجابه النبي ﷺ: «لا تثريب عليكم». ترجمته في: الإصابة ٣/ ٤٥٢ والطبقات ٤/ ٤٩، والثقات: ٣/ ٣٧٢.

(٦) ترجمته ترجمته.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٤/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨.

(٩) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد الدار، أسلم أهل المدينة على يده قبل الهجرة الرسول ﷺ إليها. ترجمته في الثقات ٣/ ٣٦٨، والطبقات ٢/ ٣٤٧، ٣/ ٥٨٣، ٧/ ٣٨٧ والإصابة ٣/ ٤٢٦، والحلية: ١/ ٢٢٨.

(١٠) تقدمت ترجمته.

(١١) تقدمت ترجمته.

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ[١] شَيطَاناً تَفَلَّتَ الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلاَتِي فَأَمْكَنَنِي اللهُ مِنْهُ فَأَخَذْتُهُ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَنظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾ [ص: ٣٥] فَرَدَّهُ اللهُ خَاسِئاً» وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ.

الفصل الثامن والعشرون: أخباره ﷺ

وَمِنْ دَلاَئِلِ نُبُوَّتِهِ وَعَلاَمَاتِ رِسَالَتِهِ مَا تَرَادَفَتْ بِهِ الأَخْبَارُ عَنِ الرُّهْبَانِ وَالأَحْبَارِ وَعُلَمَاءِ أَهْلِ الْكُتُبِ مِنْ صِفَتِهِ وَصِفَةِ أُمَّتِهِ وَاسْمِهِ وَعَلاَمَاتِهِ وَذِكْرِ الْخَاتَمِ الذِي بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَمَا وجدَ مِنْ ذَلِكَ فِي أَشْعَارِ الْمُوَحِّدِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ شعْرِ تُبَّعٍ[٢] وَالأَوْسِ[٣] بْنِ حَارِثَةَ وَكَعْبِ[٤] بْنِ لُؤَيٍّ وَسُفْيَانَ بْنِ مُجَاشِعٍ[٥] وَقُسِّ[٦] بْنِ سَاعِدَةَ، وَمَا ذُكِرَ عَنْ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزَنٍ[٧] وَغَيْرِهِمْ. وَمَا عَرَّفَ بِهِ مِنْ أَمْرِهِ زَيْدُ[٨] بْنُ عَمْرِو بْنُ نُفَيْلٍ[٩] وَرقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ وَعَثْكَلاَنُ[١٠] الْحُمَيْرِيُّ وَعُلَمَاءُ يَهُودَ وَشَامُولُ عَالِمُهُمْ صَاحِبُ تُبَّعٍ مِنْ صِفَتِهِ وَخَبَرِهِ وَمَا أُلْفِيَ مِنْ ذَلِكَ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ مِمَّا قَدْ جَمَعَهُ الْعُلَمَاءُ وَبَيَّنُوهُ وَنَقَلَهُ عَنْهُمَا ثِقَاتٌ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ مِثْلُ ابْنِ سَلاَمٍ[١١] وَبَنِي سَعْيَةَ[١٢] وَابْنِ

---

(١) أخرجه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما.

(٢) ملك من ملوك اليمن وكان لا يطلق عليه هذا الاسم إذا ملك حمير وحضرموت واشتهر منهم: تبع الأكبر الأول، وتبع الثاني والذي أراد تخريب المدينة واستئصال اليهود. تراجع ترجمته في كتب التاريخ.

(٣) الأوس بن حارثة هو ابن ثعلبة العنقاء بن عمرو بن مزيقيا بن ماء السماء، الغطريف بن امرىء القيس وهو شاعر وسيد جواد في قومه...

(٤) كعب بن لؤي هو أول من جمع يوم الجمعة وسماها جمعة وكانت تسمى قبله عروبة وكان يخطب في الناس أيام الجاهلية ويبشرهم بالنبي. وله ترجمة طويلة في تاريخ الأدب.

(٥) سفيان بن مجاشع جد الفرزدق الشاعر الأموي، تراجع ترجمته في السيرة.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) سيف بن ذي يزن ملك من ملوك حمير قصته مشهورة في التاريخ والسير.

(٨) زيد بن عمرو بن نوفل. هو عبد العزى بن رباح العدوي الذي قال في حقه ﷺ: إنه يبعث أمة وحده، وكان يطلب دين إبراهيم ويكره الشكر ويوحد الله ورآه النبي ﷺ قبل البعثة، وتوفي قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام.

(٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) عثكلان الحميري نسبة إلى قبيلة حمير، وقصة هذا الرجل غير معروفة.

(١١) عبد الله بن سلام أسلم في عهد الرسول ﷺ لما قدم المدينة وكان من علماء التوراة وأحبارها وتعلم القرآن وشهد له ﷺ كان من كبار الصحابة وأخرج له أئمة الحديث السنة. توفي سنة ٤٣ هـ. ترجمته في: الثقات ٣/٢٢٨ والروض الأنف: ٢/٢٥٧، والطبقات ٢/٣٥٢ والإصابة: ٢/٣٢٠.

(١٢) بني سعية أخوة من اليهود أسلموا كلهم أثناء حصار بني قريظة.

يَامِينَ[١] وَمُخَيْرِيق[٢] وَكَعْب[٣] وَأَشْبَاهِهِمْ مِمَّن أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَاءِ يَهُودَ وَبَحِيرَا[٤] وَنَسْطُور[٥] الْحَبَشَةِ وَصَاحِبِ بُصْرَى[٦] وَضَغَاطِر[٧] وَأُسْقُفِ[٨] الشَّامِ وَالْجَارُودِ[٩]. وَسَلْمَانَ[١٠] وتَمِيم وَالنَّجَاشِيِّ[١١] وَنَصَارَى الْحَبَشَةِ[١٢] وَأَسَاقِفَ نَجْرَانَ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَاءِ النَّصَارَى وَقَدْ اعْتَرَفَ بِذَلِكَ هِرَقْلُ وَصَاحِبُ رُومَةَ عَالِمَا النَّصَارَى وَرَئِيسَاهُمْ وَمُقَوْقِسُ[١٣] صَاحِبُ مِصْرَ وَالشَّيْخ[١٤] صَاحِبُهُ وَابْنُ صُورِيَا[١٥] وَابْنُ أَخْطَبَ[١٦] وَأَخُوهُ وَكَعْبُ[١٧] بْنُ أَسَدٍ وَالزُّبَيْرُ[١٨] بْنُ بَاطِيَا وَغَيْرُهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ مِمَّنْ حَمَلَهُ الْحَسَدُ وَالنَّفَاسَةُ عَلَى الْبَقَاءِ عَلَى الشَّقَاءِ، وَالأَخْبَارُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ لاَ تَنْحَصِرُ وَقَدْ قَرَّعَ أَسْمَاعَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِمَا ذَكَرَ أَنَّهُ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ صِفَتِهِ وَصِفَةِ أَصْحَابِهِ وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ صُحُفُهُمْ وَذَمَّهُمْ بِتَحْرِيفِ ذَلِكَ وَكِتْمَانِهِ وَلَيِّهِمْ أَلْسِنَتَهُمْ بِبَيَانِ أَمْرِهِ وَدَعْوَتِهِمْ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ[١٩] عَلَى الْكَاذِبِ فَمَا مِنْهُمْ إِلاَّ مَنْ نَفَرَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ وَإِبْدَاءِ مَا أَلْزَمَهُمْ مِنْ كُتُبِهِمْ إِظْهَارَهُ وَلَوْ وَجَدُوا خِلاَفَ قَوْلِهِ لَكَانَ إِظْهَارُهُ أَهْوَنَ عَلَيْهِمْ

---

(١) وابن يامين هو: ابن عمير بن عمرو بن كعب بن جحاش من بني النضير ويقال إنه قدم من اليمن مع تبع.
(٢) مخيريق من اليهود الذين اعتنقوا الإسلام وتوفي مسلماً وقال فيه ﷺ: «مخيريق خير يهود».
(٣) كعب الأحبار التابعين المشهور أسلم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وفي سنة ٣٢ هـ.
(٤) بحيرا. قصته مشهورة في السيرة.
(٥) نصطور قصته مشهورة في السير.
(٦) صابح بُصرى: هو الحارث بن أبي شمر الغساني أرسل إليه النبي ﷺ دحية بكتابه.
(٧) ضغاطر أسف من أحبار الروم الكبار أسلم على يد دحية لما أرسل إليه.
(٨) أسقف الشام وهم: صاحب إيليا، وهرقل وابن الناطور.
(٩) الجارود هو ابن عمرو بن العلاء وكنيته أبو غوث واسمه بشر وكان سيد عبد القيس وفد على الرسول ﷺ، وأسلم وحسن إسلامه. وتوفي سنة ٢١ هـ.
(١٠) (١١) (١٢) تقدمت ترجمتهما.
(١٣) المقوس هو الذي أهدى إلى رسول ﷺ قدحاً من القوارير وجاريته مارية القبطية التي ولدت له إبراهيم رضي الله عنه. ولم يسلم وكان اسمه: جريج بن هينا كما ذكره الدارقطني.
(١٤) الشيخ غير معروف، إلا أن المسعود ذكر له قصة في كتابه مروج الذهب.
(١٥) ابن صوريا هو عبد الله بن صوريا اليهودي الأعور وكان أعلم أهل زمانه بالتوراة واختلف في إسلامه بين الردة والبقاء.
(١٦) ابن أخطب حيي هو أبو أمّ المؤمنين صفية رضي الله عنها قتل هو وأخوه كافرين.
(١٧) كعب بن أسد. يهودي من بني قريظة وهو صاحب عقدهم وصاحب القولة المشهورة يوح حصرهم النبي ﷺ.
(١٨) الزبير بن باطيا وهو من بني قريظة أعلم هي قريظة بالتوراة.
(١٩) المباهلة، وقد دعا إليها النبي ﷺ نصارى نجران، ومعناها الملاعنة من البهل وهي اللعنة بأن يقول كل منهما لعنة الله على الظالم الكاذب منا.

مِنْ بَذْلِ النُّفُوسِ وَالأَمْوَالِ وَتَخْرِيبِ الدِّيَارِ وَنَبْذِ الْقِتَالِ وَقَدْ قَالَ لَهُمْ ﴿حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣] إِلَى مَا أَنْذَرَ بِهِ الْكُهَّانُ مِثْلُ شَافِعِ بْنِ كُلَيْبٍ(١) وَشِقٌّ(٢) وَسَطِيحٍ(٣) وَسَوَادِ(٤) بْنِ قَارِبٍ وَخُنَافِرٍ(٥) وَأَفْعَى(٦) نَجْرَانَ وَجِذْلِ(٧) بْنِ جِذْلِ الْكِنْدِيِّ وَابْنِ(٨) خَلَصَةَ الدَّوْسِيِّ وَسَعْدِ(٩) بْنِ بِنْتِ كُرَيْزٍ وَفَاطِمَةَ(١٠) بِنْتِ النُّعْمَانِ وَمِنْ لاَ يَنْعَدُّ كَثْرَةً إِلَى مَا ظَهَرَ عَلَى أَلْسِنَةِ الأَصْنَامِ مِنْ نُبُوَّتِهِ وَحُلُولِ وَقْتِ رِسَالَتِهِ وَسَمِعَ مِنْ هَوَاتِفِ الْجَانِ وَمِنْهُ ذَبَائِحِ النُّصُبِ وَأَجْوَافِ الصُّوَرِ وَمَا وُجِدَ مِنَ اسْمِ النَّبِيِّ ﷺ وَالشَّهَادَةِ لَهُ بِالرِّسَالَةِ مَكْتُوباً فِي الْحِجَارَةِ وَالْقُبُورِ بِالْخَطِّ الْقَدِيمِ مَا أَكْثَرُهُ مَشْهُورٌ وَإِسْلاَمُ مَنْ أَسْلَمَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مَعْلُومٌ مَذْكُورٌ.

الفصل التاسع والعشرون: ما حدث أثناء مولده عليه السلام

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ظَهَرَ مِنَ الآيَاتِ عِنْدَ مَوْلِدِهِ وَمَا حَكَتْهُ أُمُّهُ وَمَنْ حَضَرَهُ مِنَ الْعَجَائِبِ وَكَوْنُهُ رَافِعاً رَأْسَهُ عِنْدَمَا وَضَعَتْهُ شَاخِصاً بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ. وَمَا رَأَتْهُ مِنَ النُّورِ الَّذِي خَرَجَ مَعَهُ عِنْدَ وِلاَدَتِهِ وَمَا رَأَتْهُ إِذْ ذَاكَ أُمُّ عُثْمَانَ(١١) بْنِ أَبِي الْعَاصِ مِنْ تَدَلِّي النُّجُومِ وَظُهُورِ النُّورِ عِنْدَ وِلاَدَتِهِ حَتَّى مَا تَنْظُرُ إِلاَّ النُّورَ وَقَوْلِ الشِّفَا(١٢) أُمِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ: لَمَّا سَقَطَ ﷺ عَلَى يَدَيَّ وَاسْتَهَلَّ سَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ رَحِمَكَ اللهُ وَأَضَاءَ لِي مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى

---

(١) شافع بن كليب وهو كاهن من كهان العرب.

(٢) شق بن صعب بن يشكر بن ربيعة بن المسار وكان مبتور اليد اليسرى وهو من كهان العرب يخبرهم بما سيأتي.

(٣) سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن غسان وعاش طويلاً وهو كاهن من كهان العرب.

(٤) سواد بن قارب الدوسي الصحابي، وكان كاهناً من كهان العرب وأسلم وآمن بالرسول ﷺ.

(٥) خنافر وهو كاهن من كهان حمير، أسلم على يد معاذ بن جبل رضي الله عنه ولم ير النبي ﷺ تابعي.

(٦) أفعى نجران وهو ملك من ملوك نجران كان كاهناً من كهانهم وهو الأفعى بن الأفعى الجرهمي. توفي قبل البعثة.

(٧) جذل بن جذل الكندي كان من كهان العرب كان ينبيء بالغيب..

(٨) ابن خلصة كان من كهان العرب بشر بالنبي ﷺ وسمي باسم أمه الكاهنة.

(٩) سعد بن بنت كريز وهي خالة عثمان بن عفان أخت أمه وكانت سبباً في إسلامه.

(١٠) فاطمة بنت النعمان النجارية، كانت في الجاهلية عالماً كاهنة..

(١١) أم عثمان بن أبي العاص هي فاطمة بنت عبد الله وعثمان ابنها وكنيته أبو عبد الله بن بشير الثقفي من أكابر الصحابة رضي الله عنه. وتولى قضاء البصرة.

(١٢) الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف وهي بنت عوف بن عبد الزهرية من المهاجرين والدة عبد الرحمن وبنت عم أبيه وقيل أخته.

قُصُورِ الرُّومِ. وَمَا تَعَرَّفَتْ بِهِ حَلِيمَةُ[١] وَزَوْجُهَا[٢] ضِنْرَاهُ مِنْ بَرَكَتِهِ وَدُرُور لَبَنِهَا لَهُ وَلَبَنِ شَارِفِهَا وَخِصْبِ غَنَمِهَا وَسُرْعَةِ شَبَابِهِ وَحُسْنِ نَشْأَتِهِ وَمَا جَرَى مِنَ الْعَجَائِبِ لَيْلَةَ مَوْلِدِهِ مِنَ ٱرْتِجَاجِ إِيوَانِ كِسْرَى وَسُقُوطِ شُرُفَاتِهِ وَغَيْضِ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ وَخُمُودِ نَارِ فَارِسَ وَكَانَ لَهَا أَلْفُ عَامٍ لَمْ تَخْمَدْ وَأَنَّهُ كَانَ إِذَا أَكَلَ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ[٣] وَآلِهِ وَهُوَ صَغِيرٌ شَبِعُوا وَرَوُوا فَإِذَا غَابَ فَأَكَلُوا فِي غَيْبَتِهِ لَمْ يَشْبَعُوا وَكَانَ سَائِرُ وَلَدِ أَبِي طَالِبٍ يُصْبِحُونَ شُعْثاً وَيُصْبِحُ ﷺ صَقِيلاً دَهِيناً كَحِيلاً قَالَتْ أُمُّ أَيْمَنَ[٤] حَاضِنَتُه مَا رَأَيْتُهُ ﷺ: شَكَا جُوعاً وَلاَ عَطَشاً صَغِيراً وَلاَ كَبِيراً.

وَمِنْ ذَلِكَ حِرَاسَةُ السَّمَاءِ بِالشُّهُبِ وَقَطْعُ رَصَدِ الشَّيَاطِينِ وَمَنْعُهُم ٱسْتِرَاقَ السَّمْعِ وَمَا نَشَأَ عَلَيْهِ مِنْ بُغْضِ الأَصْنَامِ وَالْعِفَّةِ عَنْ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ.

وَمَا خَصَّهُ اللهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ وَحِمَاهُ، حَتَّى فِي سَتْرِهِ فِي الْخَبَرِ الْمَشْهُورِه عِنْدَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ إِذْ أَخَذَ إِزَارَهُ لِيَجْعَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ لِيَحْمِلَ عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ وَتَعَرى فَسَقَطَ إِلَى الأَرْضِ حَتَّى رَدَّ إِزَارَهُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ عَمُّهُ مَا بَالَكَ؟ فَقَالَ: «**إِنِّي نُهِيتُ عَنِ التَّعَرِّي**» وَمِنْ ذَلِكَ إِظْلاَلُ اللهِ لَهُ بِالْغَمَامِ فِي سَفَرِهِ.

وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ خَدِيجَةَ[٥] وَنِسَاءَهَا رَأَيْنَهُ لَمَّا قَدِمَ وَمَلَكَانِ يُظِلاَّنِهِ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ كَمَيْسَرَةَ[٦] فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ رَأَى ذَلِكَ مُنْذُ خَرَجَ مَعَهُ فِي سَفَرِهِ؛ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ حَلِيمَةَ[٧] رَأَتْ غَمَامَةً تُظِلُّهُ وَهُوَ عِنْدَهَا، وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ أَخِيهِ مِنَ الرَّضَاعَةِ.

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ نَزَلَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ قَبْلَ مَبْعَثِهِ تَحْتَ شَجَرَةٍ يَابِسَةٍ فَٱعْشَوْشَبَ مَا حَوْلَهَا، وَأَيْنَعَتْ هِيَ فَأَشْرَقَتَ وَتَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَغْصَانُهَا بِمَحْضَرِ مَنْ رَآهُ وَمَيْلُ فَيْءِ الشَّجَرَةِ إِلَيْهِ فِي الْخَبَرِ الآخَرِ حَتَّى أَظَلَّتْهُ وَمَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّهُ كَانَ لاَ ظِلَّ لِشَخْصِهِ فِي شَمْسٍ وَلاَ قَمَرٍ لأَنَّهُ كَانَ نُوراً وَأَنَّ الذُّبَابَ كَانَ لاَ يَقَعُ عَلَى جَسَدِهِ وَلاَ ثِيَابِهِ.

---

(١) حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية مرضعته كان النبي ﷺ يكرمها ولما توفيت دفنت بالبقيع.

(٢) زوجها هو الحارث بن عبد العزى كنيته أبو ذؤيب وأسلم هو وزوجته.

(٣) أبو طالب تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمتها.

(٥) تقدمت ترجمتها.

(٦) ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها. وهو الغلام الذي بعثته مع النبي ﷺ في تجارتها إلى الشام، فحكى لها عنه ما حكى.

(٧) تقدمت ترجمتها.

وَمِنْ ذَلِكَ تَحْبِيبُ الْخَلْوَةِ إِلَيْهِ حَتَّى أُوحِيَ إِلَيْهِ. ثُمَّ إِعلامُهُ بِمَوْتِهِ وَدُنُوِّ أَجَلِهِ وَأَنَّ قَبْرَهُ فِي الْمَدِينَةِ وَفِي بَيْتِهِ وَأَنَّ بَيْنَ بَيْتِهِ وَبَيْنَ مِنْبَرِهِ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَتَخْيِيرُ اللهِ لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ حَدِيثُ الْوَفَاةِ مِنْ كَرَامَاتِهِ وَتَشْرِيفِهِ وَصَلاةِ الْمَلائِكَةِ عَلَى جَسَدِهِ عَلَى مَا رَوَيْنَاهُ فِي بَعْضِهَا وَاسْتِئْذَانِ مَلَكِ الْمَوْتِ عَلَيْهِ وَلَمْ يَسْتَأْذِنْ عَلَى غَيْرِهِ قَبْلَهُ وَنِدَائِهِمُ الذِي سَمِعُوهُ: أَنْ لاَ تَنْزِعُوا الْقَمِيصَ عَنْهُ عِنْدَ[1] غُسْلِهِ وَمَا رُوِيَ مِنْ تَعْزِيَةِ الْخَضِرِ وَالْمَلائِكَةِ أَهْلَ بَيْتِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلَى مَا ظَهَرَ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَبَرَكَتِهِ فِي حَيَاتِهِ وَمَوْتِهِ كَاسْتِسْقَاءِ عُمَرَ بِعَمِّهِ وَتَبَرُّكِ غَيْرُ وَاحِدٍ بِذُرِّيَّتِهِ.

الفصل الثلاثون: تذييل وخاتمة

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ رَحِمَهُ اللهُ قَدْ أَتَيْنَا فِي هَذَا الْبَابِ عَلَى نُكَتٍ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ وَاضِحَةٍ وَجُمَلٍ مِنْ عَلامَاتِ نُبُوَّتِهِ مُقْنِعَةٍ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا الْكِفَايَةُ وَالْغُنْيَةُ وَتَرَكْنَا الْكَثِيرَ سِوَى مَا ذَكَرْنَا وَاقْتَصَرْنَا مِنَ الأَحَادِيثِ الطِّوَالِ عَلَى عَيْنِ الْغَرَضِ وَفَصِّ الْمَقْصِدِ وَمِنْ كَثِيرِ الأَحَادِيثِ وَغَرِيبِهَا عَلَى مَا صَحَّ وَاشْتَهَرَ إِلاَّ يَسِيراً مِنْ غَرِيبِهِ مِمَّا ذَكَرَهُ مَشَاهِيرُ الأَئِمَّةِ وَحَذَفْنَا الإِسْنَادَ فِي جُمْهُورِهَا طَلَباً لِلاخْتِصَارِ وَبِحَسْبِ هَذَا الْبَابِ لَوْ تُقُصِّيَ أَنْ يَكُونَ دِيوَاناً جَامِعاً يَشْتَمِلُ عَلَى مُجَلَّدَاتٍ عِدَّةٍ.

وَمُعْجِزَاتُ نَبِيِّنَا ﷺ أَظْهَرُ مِنْ سَائِرِ مُعْجِزَاتِ الرُّسُلِ بِوَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا كَثْرَتُهَا وَأَنَّهُ لَمْ يُؤْتَ نَبِيٌّ مُعْجِزَةً إِلاَّ وَعِنْدَ نَبِيِّنَا مِثْلُهَا أَوْ مَا هُوَ أَبْلَغُ مِنْهَا وَقَدْ نَبَّهَ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ فَإِنْ أَرَدْتَهُ فَتَأَمَّلْ فُصُولَ هَذَا الْبَابِ وَمُعْجِزَاتِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ تَقِفُ عَلَى ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ؛ وَأَمَّا كَوْنُهَا كَثِيرَةً فَهَذَا الْقُرْآنُ، وَكُلُّهُ مُعْجِزٌ وَأَقَلُّ مَا يَقَعُ الإِعْجَازُ فِيهِ عِنْدَ بَعْضِ أَئِمَّةِ الْمُحَقِّقِينَ سُورَةُ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] أَوْ آيَةٌ فِي قَدْرِهَا وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ كُلَّ آيَةٍ مِنْهُ كَيْفَ كَانَتْ مُعْجِزَةٌ وَزَادَ آخَرُونَ أَنَّ كُلَّ جُمْلَةٍ مُنْتَظِمَةٍ مِنْهُ مُعْجِزَةٌ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ كَلِمَةٍ أَوْ كَلِمَتَيْنِ، وَالْحَقُّ مَا ذَكَرْنَاهُ أَوَّلاً لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن﴾ [البقرة: ٢٣] فَهُوَ أَقَلُّ مَا تَحَدَّاهُمْ بِهِ مَع مَا يَنْصُرُ هَذَا مِنْ نَظَرٍ وَتَحْقِيقٍ يَطُولُ بَسْطُهُ وَإِذَا كَانَ هَذَا فَفِي الْقُرْآنِ مِنَ الْكَلِمَاتِ نَحْوٌ مِنْ سَبْعَةٍ وَسَبْعِينَ أَلْفَ كَلِمَةٍ وَنَيِّفٍ عَلَى عَدَدِ بَعْضِهِمْ وَعَدَدِ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] عَشْرُ كَلِمَاتٍ فَتُجَزِّىءُ الْقُرْآنَ عَلَى نِسْبَةِ عَدَدِ كَلِمَاتِ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ أَزْيَدُ مِنْ سَبْعَةِ آلافِ جُزْءٍ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُعْجِزٌ فِي نَفْسِهِ؛ ثُمَّ إِعْجَازُهُ كَمَا تَقَدَّمَ بِوَجْهَيْنِ: طَرِيقِ بَلاغَتِهِ وَطَرِيقِ نَظْمِهِ فَصَارَ فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْ هَذَا الْعَدَدِ مُعْجِزَتَانِ فَتَضَاعَفَ الْعَدَدُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ثُمَّ فِيهِ وُجُوهُ إِعْجَازٍ أُخَرَ مِنَ الإِخْبَارِ بِعُلُومِ الْغَيْبِ فَقَدْ يَكُونُ فِي السُّورَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ هَذِهِ التَّجْزِئَةِ الْخَبَرُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ الْغَيْبِ كُلُّ خَبَرٍ مِنْهَا بِنَفْسِهِ مُعْجِزٌ فَتَضَاعَفَ الْعَدَدُ كَرَّةً أُخْرَى ثُمَّ وُجُوهُ الإِعْجَازِ الأُخَرُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال تحت رقم: ١٨٨٥٤.

توجب التضعيف؛ هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه، ثم الأحاديث الواردة، والأخبار الصادرة عنه ﷺ في هذه الأبواب وعما دل على أمره مما أشرنا إلى جمله يبلغ نحواً من هذا.

الوجه الثاني وضوح معجزاته ﷺ فإن معجزات الرسل كانت بقدر هِمم أهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى غاية علم أهله السحر بعث إليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم؛ وكذلك زمن عيسى أغنى ما كان الطب وأوفر ما كان أهله فجاءهم أمر لا يقدرون عليه وأتاهم ما لم يحتسبوه من إحياء الميت وإبراء الأكمه والأبرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الأنبياء، ثم إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ وجملة معارف العرب وعلومها أربعة: البلاغة، والشعر، والخبر، والكهانة، فأنزل الله عليه القرآن الخارق لهذه الأربعة فصول. من الفصاحة والإيجاز، والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والأسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه ومن الأخبار عن الكوائن والحوادث والأسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه، وإن كان أعدى العدو فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشراً ثم اجتثها من أصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الأخبار عن القرون السالفة وأنباء الأنبياء والأمم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه إلى الفصول الأخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة إلى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه إعجازه إلى ما أخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن إلا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما أخبر فيتجدد الإيمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان؛ وللمشاهدة زيادة في اليقين، والنفس أشد طمأنينة إلى عين اليقين منها إلى علم اليقين وإن كان كل عندها حقاً وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها، ومعجزة نبينا ﷺ لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا أشار ﷺ بقوله [فيما حدثنا القاضي الشهيد أبو علي حدثنا القاضي أبو الوليد حدثنا أبو ذر حدثنا أبو محمد وأبو إسحاق وأبو الهيثم قالوا حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا الليث عن سعيد عن أبيه][1] عن أبي هريرة[2] رضي الله عنه عن

(١) [. . .] ساقطة من نسخة دمشق المحققة. (٢) تقدمت ترجمته.

النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلاَّ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الذِي أُوتِيتُ وَحْياً أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١].

هَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ وَهُوَ الظَّاهِرُ وَالصَّحِيحُ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَذَهَبَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي تَأْوِيلِ هَذَا الْحَدِيثِ وَظُهُورِ مُعْجِزَةِ نَبِيِّنَا ﷺ إِلَى مَعْنَى آخَرَ مِنْ ظُهُورِهَا بِكَوْنِهَا وَحْياً وَكَلاَماً لاَ يُمْكِنُ التَّخَيُّلُ فِيهِ وَلاَ التَّحَيُّلُ عَلَيْهِ وَلاَ التَّشْبِيهُ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنْ مُعْجِزَاتِ الرُّسُلِ قَدْ رَامَ الْمُعَانِدُونَ لَهَا بِأَشْيَاءَ طَمِعُوا فِي التَّخْيِيلِ بِهَا عَلَى الضُّعَفَاءِ كَإِلْقَاءِ السَّحَرَةِ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ، وَشِبْهُ هَذَا مِمَّا يُخَيِّلُهُ السَّاحِرُ أَوْ يَتَحَيَّلُ فِيهِ؛ وَالْقُرْآنُ كَلاَمٌ لَيْسَ لِلْحِيلَةِ وَلاَ لِلسِّحْرِ، فِي التَّخْيِيلِ فِيهِ عَمَلٌ فَكَانَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ عِنْدَهُمْ أَظْهَرَ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ كَمَا لاَ يَتِمُّ لِشَاعِرٍ، وَلاَ خَطِيبٍ أَنْ يَكُونَ شَاعِراً أَوْ خَطِيباً بِضَرْبٍ مِنَ الْحِيَلِ، وَالتَّمْوِيهِ، وَالتَّأْوِيلُ الأَوَّلُ أَخْلَصُ وَأَرْضَى، وَفِي هَذَا التَّأْوِيلِ الثَّانِي مَا نُغَمِّضُ عَلَيْهِ الْجَفْنَ وَنُغْضِي.

وَجْهٌ ثَالِثٌ عَلَى مَذْهَبِ مَنْ قَالَ بِالصَّرْفَةِ، وَأَنَّ الْمُعَارَضَةَ كَانَتْ فِي مَقْدُورِ الْبَشَرِ، فَصُرِفُوا عَنْهَا، أَوْ عَلَى أَحَدِ مَذْهَبَيْ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ أَنَّ الإِتْيَانَ بِمِثْلِهِ مِنْ جِنْسِ مَقْدُورِهِمْ وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ قَبْلُ وَلاَ يَكُونُ بَعْدُ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُقْدِرْهُمْ عَلَيْهِ وَبَيْنَ الْمَذْهَبَيْنِ فَرْقٌ بَيِّنٌ وَعَلَيْهِمَا جَمِيعاً فَتَرْكُ الْعَرَبِ الإِتْيَانَ بِمَا فِي مَقْدُورِهِمْ أَوْ مَا هُوَ مِنْ جِنْسِ مَقْدُورِهِمْ وَرِضَاهُمْ بِالْبَلاَءِ، وَالْجَلاَءِ وَالسِّبَاءِ، وَالإِذْلاَلِ، وَتَغْيِيرِ الْحَالِ وَسَلْبِ النُّفُوسِ وَالأَمْوَالِ، وَالتَّقْرِيعِ، وَالتَّوْبِيخِ، وَالتَّعْجِيزِ، وَالتَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ أَبْيَنُ آيَةٍ، لِلْعَجْزِ عَنِ الإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ، وَالنُّكُولِ عَنْ مُعَارَضَتِهِ، وَأَنَّهُمْ مُنِعُوا عَنْ شَيْءٍ هُوَ مِنْ جِنْسِ مَقْدُورِهِمْ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ الإِمَامُ أَبُو الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيُّ[٢] وَغَيْرُهُ قَالَ وَهَذَا عِنْدَنَا أَبْلَغُ فِي خِلاَفِ الْعَادَةِ بِالأَفْعَالِ الْبَدِيعَةِ فِي أَنْفُسِهَا كَقَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً وَنَحْوِهَا، فَإِنَّهُ قَدْ يَسْبِقُ إِلَى بَالِ النَّاظِرِ بَدَاراً أَنَّ ذَلِكَ مِنَ اخْتِصَاصِ صَاحِبِ ذَلِكَ بِمَزِيدِ مَعْرِفَةٍ فِي ذَلِكَ الْفَنِّ وَفَضْلِ عِلْمٍ إِلَى أَنْ يَرُدَّ ذَلِكَ صَحِيحُ النَّظَرِ وَأَمَّا التَّحَدِّي لِلْخَلاَئِقِ الْمِئِينَ مِنَ السِّنِينَ بِكَلاَمٍ مِنْ

---

(١) أخرجه عياض في الشفا: ١/٧٣٩ وأخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٩/٥، ٦، في فضائل القرآن باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل وفي الاعتصام باب قول النبي ﷺ: بعثت بجوامع الكلم. ومسلم في الصحيح تحت رقم ١٥٢ في الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ.

ولفظه: «ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة». وهو مخالف في بدايته لما جاء في الشفاء عند عياض.

(٢) الجويني هو إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني النيسابوري إمام الأئمة عرباً وعجماً وحيد عصره صاحب المصنفات والتآليف والفضائل، وعليه تتلمذ الإمام الغزالي توفي الجويني رحمه الله سنة ٤٧٨ هـ.

جِنْسِ كَلَامِهِمْ لِيَأْتُوا بِمِثْلِهِ فَلَمْ يَأْتُوا فَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ تَوَفُّرِ الدَّوَاعِي عَلَى الْمُعَارَضَةِ ثُمَّ عَدَمِهَا إِلاَّ أَنْ مَنَعَ اللهُ الْخَلْقَ عَنْهَا بِمَثَابَةِ مَا لَوْ قَالَ نَبِيٌّ آيَتِي أَنْ يَمْنَعَ اللهُ الْقِيَامَ عَنِ النَّاسِ مَعَ مَقْدِرَتِهِمْ عَلَيْهِ وَٱرْتِفَاعِ الزَّمَانَةِ عَنْهُمْ فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ وَعَجَّزَهُمُ اللهُ تَعَالَى عَنِ الْقِيَامِ فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَبْصَرِ آيَةٍ وَأَظْهَرِ دِلَالَةٍ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ؛ وَقَدْ غَابَ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ وَجْهُ ظُهُورِ آيَتِهِ عَلَى سَائِرِ آيَاتِ الأَنْبِيَاءِ حَتَّى ٱحْتَاجَ لِلْعُذْرِ عَنْ ذَلِكَ بِدِقَّةِ أَفْهَامِ الْعَرَبِ وَذَكَاءِ أَلْبَابِهَا وَوُفُورِ عُقُولِهَا وَأَنَّهُمْ أَدْرَكُوا الْمُعْجِزَةَ فِيهِ بِفِطْنَتِهِمْ وَجَاءَهُمْ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ إِدْرَاكِهِمْ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْقِبْطِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ لَمْ يَكُونُوا بِهَذِهِ السَّبِيلِ بَلْ كَانُوا مِنَ الْغَبَاوَةِ وَقِلَّةِ الْفِطْنَةِ بِحَيْثُ جَوَّزَ عَلَيْهِمْ فِرْعَوْنُ أَنَّهُ رَبُّهُمْ وَجَوَّزَ عَلَيْهِمْ السَّامِرِيُّ[1] ذَلِكَ فِي الْعِجْلِ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَعَبَدُوا الْمَسِيحَ مَعَ إِجْمَاعِهِمْ عَلَى صَلْبِهِ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]؛ فَجَاءَتْهُمْ مِنَ الآيَاتِ الظَّاهِرَةِ الْبَيِّنَةِ لِلأَبْصَارِ بِقَدْرِ غَلَظِ أَفْهَامِهِمْ مَا لاَ يَشُكُّونَ فِيهِ وَمَعَ هَذَا فَقَالُوا: ﴿نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ﴾ [البقرة: ٥٥] وَلَمْ يَصْبِرُوا عَلَى الْمَنِّ[2] وَالسَّلْوَى[3] وَٱسْتَبْدَلُوا الذِي هُوَ أَدْنَى بِالذِي هُوَ خَيْرٌ، وَالْعَرَبُ عَلَى جَاهِلِيَّتِهَا أَكْثَرُهَا يَعْتَرِفُ بِالصَّانِعِ وَإِنَّمَا كَانَتْ تَتَقَرَّبُ بِالأَصْنَامِ إِلَى اللهِ زُلْفَى وَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَحْدَهُ مِنْ قَبْلِ الرَّسُولِ ﷺ بِدَلِيلِ عَقْلِهِ وَصَفَاءِ لُبِّهِ؛ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الرَّسُولُ بِكِتَابِ اللهِ فَهِمُوا حِكْمَتَهُ وَتَبَيَّنُوا بِفَضْلِ إِدْرَاكِهِمْ لأَوَّلِ وَهْلَةٍ مُعْجِزَتَهُ فَآمَنُوا بِهِ وَٱزْدَادُوا كُلَّ يَوْمٍ إِيمَاناً وَرَفَضُوا الدُّنْيَا كُلَّهَا فِي صُحْبَتِهِ وَهَجَرُوا دِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَقَتَلُوا آبَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ فِي نُصْرَتِهِ؛ وَأَتَى فِي مَعْنَى هَذَا بِمَا يَلُوحُ لَهُ رَوْنَقٌ وَيُعْجِبُ مِنْهُ زِبْرِجٌ لَوِ ٱحْتِيجَ إِلَيْهِ وَحُقِّقَ، لَكُنَّا قَدَّمْنَا مِنْ بَيَانِ مُعْجِزَةِ نَبِيِّنَا ﷺ وَظُهُورِهَا مَا يُغْنِي عَنْ رُكُوبِ بُطُونِ هَذِهِ الْمَسَالِكِ وَظُهُورِهَا وَبِاللهِ أَسْتَعِينُ وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

تم بحمد الله وكرمه الجزء الأول من كتاب الشفا

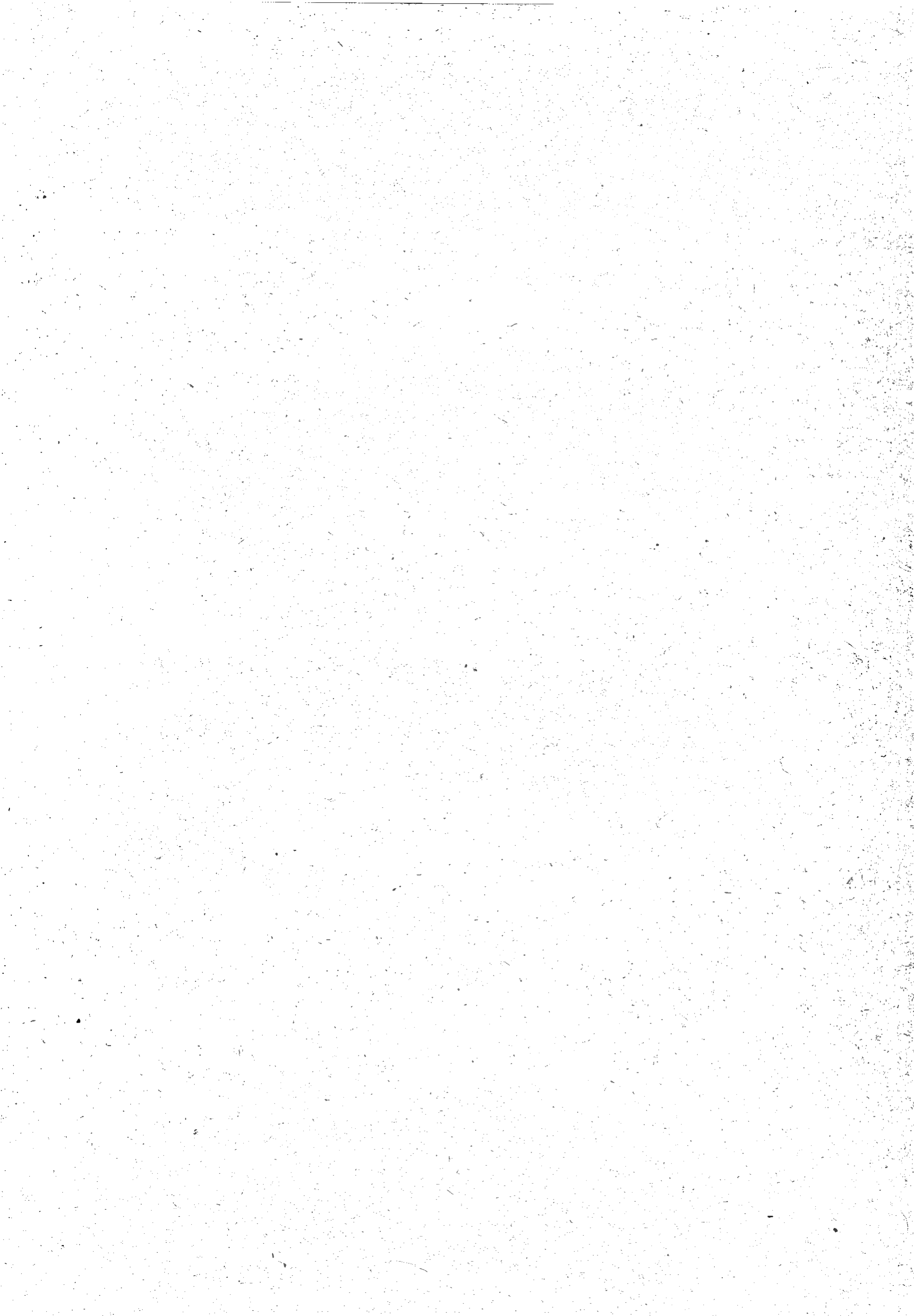
بتعريف حقوق المصطفى ﷺ مع التحقيق والتعليق

---

(١) السامري هو موسى بن ظفر، رجل من بني إسرائيل نسب إلى سامر والسامري هذا من أهل كرمان قومه يعبدون البقر وكان منافقاً يظهر الإسلام وهو الذي صاغ لبني إسرائيل العجل وقال لهم هو إلهكم وإله موسى. قصته وردت في سورة: طه ٩٣.

(٢) المن مادة عسلية حلوة المذاق كالعسل ينزل من الشجرة فيجمع ويؤكل.

(٣) السلوى طائر كالسماني واحده سواه وفي هذا كله إشارة إلى قوله تعالى: في سورة البقرة ٥٦، والآية ٦٠.



فهرس

كتاب الشفا

بتعريف حقوق المصطفى

للقاضي عيّاض بن موسى اليحصبي السبتي المغربي

٤٧٦ - ٥٤٤ هـ

قام بدارسته وتوثيق نصوصه

وتحقيق أصوله وتخريج آياته وأحاديثه

الدكتور عبد السلام البكاري المساري

أستاذ الدراسات الإسلامية بالمركز الوطني

لمفتشي التعليم وأستاذ زائر لكلية الآداب

والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس - الرباط-

المرحوم سيدي محمد المنوني رحمه الله

الجزء الثاني

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٥ - ١٤٢٦هـ

٢٠٠٥م

Email: darelfkr@cyberia.net.lb
E-mail: darifikr@cyberia.net.lb
Home Page: www.darelfikr.com.lb



حارة حريك - شارع عبد النور - برقياً: فكسي - ص.ب: ١١/٧٠٦١

تلفون: ٥٥٩٩٠٠ - ٥٥٩٩٠١ - ٥٥٩٩٠٢ - ٥٥٩٩٠٣

فاكس: ٠٠٩٦١١٥٥٩٩٠٤

بيروت لبنان

رقم الايداع الدولي (ISBN): 9953-35-063-9

الفصول:

الفصل الأول: فرض الإيمان به.

الفصل الثاني: وأما وجوب طاعته.

الفصل الثالث: وأما وجوب اتباعه.

الفصل الرابع: وأما ما ورد عن السلف في اتباعه.

الفصل الخامس: ومخالفة أمره.

الباب الأول

فصل: وأما وجوب طاعته.

فصل: وأما وجوب اتباعه.

فصل: وأما ما ورد عن السلف في اتباعه.

فصل: ومخالفة أمره.



القسم الثاني:

فيما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ

ويتضمن أربعة أبواب وكل باب يشتمل على فصول..

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القسم الثاني

فيما يجِبُ عَلَى الأنامِ مِنْ حُقُوقِهِ ﷺ

مقدمة القسم الثاني

قال القاضي أبو الفَضْلِ وَفَّقَهُ الله وهٰذَا قِسْمٌ لَخَّصْنَا فِيهِ الْكَلاَمَ فِي أَرْبَعَةِ أبوابِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ فِي أَوَّلِ الكِتاب ومَجْمُوعُهَا فِي وُجُوبِ تَصْدِيقِهِ وَاتِّبَاعِهِ فِي سُنَّتِهِ وَطَاعَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَمُنَاصَحَتِهِ وَتَوْقِيرِهِ وَبِرِّهِ وَحُكْمِ الصلاةِ عليه والتَّسْلِيمِ وزِيارَةِ قَبْرِهِ ﷺ.

الباب الأول

فِي فَرْضِ الإيمَانِ بِهِ وَوُجُوبِ طاعَتِهِ واتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وفيه خمسة فصول

الفصل الأول: فرض الإيمان به

إذَا تَقَرَّرَ بِمَا قَدَّمْنَاهُ ثُبوتُ نُبُوَّتِهِ وَصِحَّةُ رِسالَتِهِ وَجَبَ الإيمانُ بِهِ وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَتَى بِهِ. قال الله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ [التغابن:٨]، وقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الفتح:٨ ـ ٩]، وقال: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ﴾ [الأعراف:١٥٨] الآيَةَ، فالإيمانُ بالنبيِّ محمدٍ ﷺ وَاجِبٌ مُتَعَيِّنٌ لاَ يَتِمّ إيمَانٌ إلاَّ بِهِ وَلاَ يَصِحُّ إسْلاَمٌ إلاَّ مَعَهُ قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح:١٣].

حَدَّثَنَا أبو محمدٍ الْخُشَنِيُّ الفقيهُ بِقِرَاءَتِي عليه حَدَّثَنَا الإمامُ أبو عَلِيٍّ الطَّبَرِيُّ حَدَّثَنَا عبدُ الغَافِرِ الفارِسِيُّ حَدَّثَنَا ابنُ عَمْرَوَيْهِ حَدَّثَنَا ابنُ سُفْيَانَ حَدَّثَنَا أبو الْحُسَيْنِ حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بنُ بِسْطَامٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا رَوْحٌ عن الْعَلاَءِ بنِ عبدِ الرَّحْمٰنِ بنِ يَعْقُوبَ عن أَبِيهِ. عن أبي هُرَيْرَةَ[١] رَضِيَ الله عَنْهُ عن رَسُولِ الله ﷺ قال: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذٰلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلاَّ بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»**[٢].

---

(١) أبو هريرة: تقدمت ترجمته.

(٢) أمرت أن أقاتل: الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١/١٣، ٩/١٣٨. كتاب الإيمان (٣٤) والنسائي في السنن: ٥/١٤، ٦/٤، ٧، ٧/٨١، ٨/٧٦، وأبو داود في السنن: ٢٦٤٠ ـ ٢٦٤١، والترمذي في السنن: ٢٦٠، ٢٦٠٦، ٢٦٠٨، والإمام أحمد في المسند ٢/٣٤٥، ٤٢٣، ٣/١٩٩، ٢٢٤، ٤/٨.

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ الله: وَالْإِيمَانُ بِهِ ﷺ هُوَ تَصْدِيقُ نُبُوَّتِهِ وَرِسَالَةِ الله لَهُ وَتَصْدِيقُهُ فِي جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ وَمَا قَالَهُ وَمُطَابَقَةُ تَصْدِيقِ الْقَلْبِ بِذٰلِكَ شَهَادَةُ اللِّسَانِ بِأَنَّهُ رَسُولُ الله ﷺ، فَإِذَا اجْتَمَعَ التَّصْدِيقُ بِهِ بِالْقَلْبِ وَالنُّطْقُ بِالشَّهَادَةِ بِذٰلِكَ بِاللِّسَانِ تَمَّ الْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصْدِيقُ لَهُ كَمَا وَرَدَ فِي هٰذَا الْحَدِيثِ نفسِهِ مِن رِوايَةِ عبدِ الله بن عُمَر[1] رَضِيَ الله عَنْهُما **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّداً رسولُ الله»**[2]، وَقَدْ زَادَهُ وُضُوحاً في حَدِيثِ جبريلَ إِذْ قَالَ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلاَمِ فَقَالَ النبيُّ ﷺ: **«أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّداً رسولُ الله»**[3] وَذَكَرَ أَرْكَانَ الْإِسْلاَمِ ثُمَّ سَأَلَهُ عَنِ الْإِيمَانِ فقال: **«أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ»** الحديثَ؛ فَقَدْ قَرَّرَ أَنَّ الْإِيمَانَ بِهِ مُحْتَاجٌ إِلَى الْعَقْدِ بِالْجِنَانِ وَالْإِسْلاَمَ بِهِ مُضْطَرٌّ إِلَى النُّطْقِ بِاللِّسَانِ وَهٰذِهِ الْحَالَةُ الْمَحْمُودَةُ التَّامَّةُ، وَأَمَّا الْحَالُ الْمَذْمُومَةُ فَالشَّهَادَةُ بِاللِّسَانِ دُونَ تَصْدِيقِ الْقَلْبِ وَهٰذَا هُوَ النِّفَاقُ؛ قال الله تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] أَيْ كَاذِبُونَ فِي قَوْلِهِمْ ذٰلِكَ عَنِ اعْتِقَادِهِمْ وَتَصْدِيقِهِمْ وَهُمْ لاَ يَعْتَقِدُونَهُ فَلَمَّا لَمْ تُصَدِّقْ ذٰلِكَ ضَمَائِرُهُمْ لَمْ يَنْفَعْهُمْ أَنْ يَقُولُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ فَخَرَجُوا عَنِ اسْمِ الْإِيمَانِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ حُكْمُهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ إِيمَانٌ وَلَحِقُوا بِالْكَافِرِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَبَقِيَ عَلَيْهِمْ حُكْمُ الْإِسْلاَمِ بِإِظْهَارِ شَهَادَةِ اللِّسَانِ فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا الْمُتَعَلِّقَةِ بِالأَئِمَّةِ وَحُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَحْكَامُهُمْ عَلَى الظَّوَاهِرِ بِمَا أَظْهَرُوهُ مِنْ عَلاَمَةِ الْإِسْلاَمِ إِذْ لَمْ يُجْعَلْ لِلْبَشَرِ سَبِيلٌ إِلَى السَّرَائِرِ وَلاَ أُمِرُوا بِالْبَحْثِ عَنْهَا بَلْ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ التَّحَكُّمِ عَلَيْهَا وَذَمَّ ذٰلِكَ وقال: **«هَلاَّ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ؟»**[4] وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَقْدِ مَا جُعِلَ فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ: الشَّهَادَةُ مِنَ الْإِسْلاَمِ وَالتَّصْدِيقُ مِنَ الْإِيمَانِ: وَبَقِيَتْ حَالَتَانِ أُخْرَيَانِ بَيْنَ هٰذَيْنِ إِحْدَاهُمَا: أَنْ يُصَدِّقَ بِقَلْبِهِ ثُمَّ يُخْتَرَمَ قَبْلَ اتِّسَاعِ وَقْتٍ لِلشَّهَادَةِ بِلِسَانِهِ فَاخْتُلِفَ فِيهِ فَشَرَطَ بَعْضُهُمْ مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ الْقَوْلَ وَالشَّهَادَةَ بِهِ وَرَآهُ بَعْضُهُمْ مُؤْمِناً مُسْتَوْجِباً لِلْجَنَّةِ لِقَوْلِهِ ﷺ: **«يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ»**[5] فَلَمْ يَذْكُرْ

---

(١) ابن عمر رضي الله عنهما تقدمة ترجمته.

(٢) أمرت أن أقاتل الناس... الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١/٤٩٦، كتاب الصلاة (٨) باب فضل استقبال القبلة (٢٨) الحديث: ٣٩١.

(٣) أن تشهد أن لا إله إلا الله... الحديث/ أخرجه الإمام مسلم في الصحيح كتاب الإيمان باب وصف جبريل للنبي ﷺ، والإيمان (٨) والترمذي في السنن الحديث ٢٧٨٨. وأبو داود في السنن: ٨/٩٧ في الإيمان.

(٤) هلا شققت عن قلبه... أخرجه الإمام مسلم في الصحيح: كتاب الإيمان ١٥٨، والإمام النووي بشرح صحيح مسلم: ٢/٩٩.

(٥) يخرج من النار من كان في قلبه... الحديث/ أخرجه الإمام الترمذي في السنن الحديث: ٢٥٩٨. في صفة =

سِوَى مَا فِي الْقَلْبِ وَهٰذَا مُؤْمِنٌ بِقَلْبِهِ غَيْرُ عَاصٍ وَلاَ مُفَرِّطٍ بِتَرْكِ غَيْرِهِ وَهٰذَا هو الصحِيحُ في هٰذَا الوَجْهِ. الثانِيةُ أنْ يُصَدِّقَ بِقَلْبِهِ وَيُطَوِّلَ مَهلَهُ، وَعَلِمَ ما يَلْزَمُهُ مِنَ الشَّهادَةِ فَلَمْ يَنْطِقْ بِهَا جُمْلَةً وَلاَ اسْتَشْهَدَ فِي عُمُرِهِ وَلا مَرَّةً، فَهٰذَا اخْتُلِفَ فِيهِ أَيْضاً فَقِيلَ هُوَ مُؤْمِنٌ لِأَنَّهُ مُصَدِّقٌ وَالشَّهَادَةُ مِنْ جُمْلَةِ الأَعْمَالِ فَهُوَ عاصٍ بِتَرْكِهَا غَيْرُ مُخَلَّدٍ؛ وَقِيلَ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ حَتَّى يُقَارِنَ عَقْدُهُ شَهادَةَ اللِّسانِ؛ إِذِ الشَّهَادَةُ إِنْشَاءُ عَقْدٍ وَالتِزَامُ إيمانٍ وَهِيَ مُرْتَبِطَةٌ مَعَ العَقْدِ وَلاَ يَتِمُّ التَّصْدِيقُ مَعَ المُهْلَةِ إلاَّ بِهَا وَهٰذَا هُوَ الصَّحِيحُ وَهٰذَا نَبْذٌ يُفْضِي إلى مُتَّسَعٍ مِنَ الكَلاَمِ في الإِسْلاَمِ وَالإيمَانِ وأبْوَابِهِمَا وَفِي الزِّيَادَةِ فِيهِمَا وَالنُّقْصَانِ؛ وَهَل التَّجَزِّي مُمْتَنِعٌ عَلى مُجَرَّدِ التَّصْدِيقِ لاَ يَصِحُّ فِيهِ جُمْلَةً وَإِنَّمَا يَرْجِعُ إلى ما زَادَ عَلَيْهِ مِنْ عَمَلٍ، أَوْ قَدْ يَعْرِضُ فِيهِ لاخْتِلاَفِ صِفَاتِهِ وَتَبَايُنِ حَالاَتِه مِنْ قُوَّةِ يَقِينٍ وَتَصْمِيمِ اعْتِقَادٍ وَوُضُوحِ مَعْرِفَةٍ وَدَوَامِ حَالَةٍ وَحُضُورِ قَلْبٍ؟ وفي بَسْطِ هٰذَا خُرُوجٌ عَنْ غَرَضِ التَّأْلِيفِ وَفِيمَا ذَكَرْنَا غُنْيَةٌ فِيمَا قَصَدْنَا إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

الفصل الثاني: وجوب طاعته

وَأَمَّا وُجُوبُ طَاعَتِهِ: فَإِذَا وَجَبَ الإيمَانُ بِهِ وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا جَاءَ بِهِ وَجَبَتْ طَاعَتُهُ لأنَّ ذَلِكَ مِمَّا أتى بِهِ قال اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: ٢٠] وقَالَ: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢] وَقَالَ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] وَقَالَ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤] وَقَالَ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وَقَالَ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧] وَقَالَ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾[النساء: ٦٩] الآيةَ، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤] فَجَعَلَ تَعالَى طَاعَةَ رَسُولِهِ طاعَتَهُ وَقَرَنَ طَاعَتَهُ وَوَعَدَ على ذَلِكَ بِجَزِيلِ الثَّوابِ وَأَوْعَدَ عَلَى مُخَالَفَتِهِ بِسُوءِ العِقَابِ وَأَوْجَبَ امْتِثَالَ أَمْرِهِ واجْتِنَابَ نَهْيِهِ، قَالَ المُفَسِّرُونَ وَالأَئِمَّةُ طَاعَةُ الرَّسُولِ فِي التِزَامِ سُنَّتِهِ وَالتَّسْلِيمِ لِمَا جَاءَ بِهِ وَقَالُوا: مَا أَرْسَلَ اللهُ مِن رَسُولٍ إلاَّ فَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ وَقَالُوا مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فِي سُنَّتِهِ يُطِعِ اللهَ فِي فَرَائِضِهِ، وَسُئِلَ سَهْلُ بنُ عَبْدِ اللهِ عن شَرَائِعِ الإِسْلاَمِ فَقَالَ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]: وقال السَّمَرْقَنْدِيُّ[1] يُقَالُ: أَطِيعُوا اللهَ فِي فَرَائِضِهِ والرَّسُولَ فِي سُنَّتِهِ وَقِيلَ: أطيعُوا اللهَ فِيما حَرَّمَ عَلَيْكُمْ وَالرَّسُولَ

= جهنم باب ما جاء أن للنار نفسين، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٢/٢٤١، ٢٤٥، ٢٥٠، ٢٥٦، وابن حجر العسقلاني في فتح الباري ١٣/١٢٣، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار: ١/١١٦. والسيوفي في الدر المنثور ٢/١٦٣.

(١) السمرقندي: تقدمت ترجمته.

.... ص ٦ ـ ٧. ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

فِيما بَلَّغَكُمْ وَيُقَالُ: أطِيعُوا الله بِالشَّهَادَةِ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ؛ وَالنَّبِيَّ بِالشَّهَادَةِ لَهُ بِالنُّبُوَّةِ. حَدَّثَنَا أبو محمدِ بنُ عَتَّابٍ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ حَدَّثَنَا حَاتِمُ بنُ محمدٍ حَدَّثَنَا أبو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدِ بْنُ خَلَفٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا الْبُخَارِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدَانُ أخْبَرَنَا عبدُ الله أخْبَرَنَا يُونُسُ عنِ الزُّهْرِيّ أخبرني أبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الرَّحْمٰنِ أنَّهُ سَمِعَ أبَا هُرَيْرَةَ[1] يَقُولُ: إنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: **«مَنْ أطَاعَنِي فَقَدْ أطَاعَ الله وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى الله وَمَنْ أطَاعَ أمِيرِي فَقَدْ أطَاعَنِي وَمَنْ عَصَى أمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي»**[2] فَطَاعَةُ الرَّسُولِ مِنْ طَاعَةِ الله؛ إِذِ الله أمَرَ بِطَاعَتِهِ، فَطَاعَتُهُ امْتِثَالٌ لِمَا أمَرَ الله بِهِ وَطَاعَةٌ لَهُ.

وَقد حَكَى الله عَنِ الْكُفَّارِ فِي دَرَكَاتِ جَهَنَّمَ ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب:٦٦] فَتَمَنَّوْا طَاعَتَهُ حَيْثُ لاَ يَنْفَعُهُمُ التَّمَنِّي، وقَالَ ﷺ: **«إذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإذَا أمَرْتُكُمْ بِأمْرٍ فَأتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»**[3]. وفي حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، عَنْهُ ﷺ: **«كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إلاَّ مَنْ أبَى»**[4] قَالُوا يا رسولَ الله وَمَنْ يَأبَى؟ قَالَ: **«مَنْ أطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أبَى»**[5] وفي الحديثِ الآخَرِ الصحيحِ عَنْهُ ﷺ: **«مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أتَى قَوْماً فقال يَا قَوْمِ إنِّي رَأيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ وَإنِّي أنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَاءَ فَأطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأصْبَحُوا مَكَانَهُمْ فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ»**[6]. وَفِي الحديثِ الآخَرِ فِي مِثْلِهِ: **«كَمَثَلِ**

---

(١) أبو هريرة رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٢) من أطاعني... الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١٣/ ٩٩ في الأحكام باب قوله تعالى: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم...﴾/ وفي الجهاد باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به، والإمام مسلم في الصحيح الحديث: ١٨٣٥ في الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية؛ والنسائي في السنن: ٧/ ١٥٤ في البيعة باب الترغيب في طاعة الإمام.

(٣) إذا نهيتكم عن شيء... الحديث/ أخرجه الزيلعي في نصب الراية: ١/ ١٦٠ والسيوطي في الدر المنثور ٢/ ٣٣٥، وابن كثير في تفسيره: ٣/ ٢٠٢ والطبري في التفسير أيضاً ٧/ ٥٤.

(٤) كل أمتي... الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ١٣/ ٢١٤ في الاعتصام باب الاقتداء سنن الرسول ﷺ.

(٥) من أطاعني دخل الجنة... الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ٩/ ١١٤ والإمام أحمد في المسند ٢/ ٣٦١ والهيثمي في موارد الظمآن: ٢٣٠٦ وفي مجمع الزوائد: ١٠/ ٧٠ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ١١.

والسيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٣٥٩، وابن كثير في التفسير: ٨/ ٤٤٤ وابن حجر في فتح الباري: ١٣/ ٢٤٩.

(٦) مثلي ومثل... الحديث/ أخرجه: الإمام البخاري في الصحيح: ٨/ ١٢٦ وابن حجر العسقلاني في فتح الباري: ١١/ ٣١٦. والمتقي الهندي في كنز العمال: ٩١٤.

مَنْ بَنَى داراً وَجعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبعَثَ داعِياً فَمَنْ أَجابَ الدَّاعِي دَخلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِي لَمْ يَدْخُلِ الدَّارِ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ فَالدَّارُ الْجَنَّةُ وَالدَّاعِي محمدٌ ﷺ فَمَنْ أَطاعَ محمداً فَقَدْ أَطاعَ الله وَمَنْ عَصَى محمداً فَقَدْ عَصىٰ الله وَمُحَمَّدٌ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ»[1].

الفصل الثالث: وجوب اتباعه

وَأَمَّا وُجُوبُ اتِّبَاعِهِ وَامْتِثَالِ سُنَّتِهِ وَالاقْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ فَقَدْ قَالَ الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١] وقَالَ: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨] وقَالَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ - إلى قوله - ﴿تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥] أَيْ يَنْقَادُوا لِحُكْمِكَ يقال سَلَّمَ وَاسْتَسْلَمَ وَأَسْلَمَ إِذَا انْقَادَ. وَقَالَ تَعالَى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١] الآيةَ، قال مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ التِّرمِذِيُّ[2]: الأُسْوَةُ فِي الرَّسُولِ الاقْتِدَاءُ بِهِ وَالإتِّبَاعُ لِسُنَّتِهِ وَتَرْكُ مُخَالَفَتِهِ فِي قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ بِمَعْنَاهُ وَقِيلَ هُوَ عِتَابٌ لِلْمُتَخَلِّفِينَ عَنْهُ، وَقَالَ سَهْلٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧] قَالَ بِمُتَابَعَةِ السُّنَّةِ فَأَمَرَهُمْ تَعَالَى بِذٰلِكَ وَوَعَدَهُمُ الاهْتِدَاءَ بِاتِّبَاعِهِ لأَنَّ الله تَعَالَى أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُزَكِّيَهُمْ وَيُعَلِّمَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيَهْدِيَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَوَعَدَهُمْ مَحَبَّتَهُ تَعَالَى فِي الآيَةِ الأُخْرَى وَمَغْفِرَتَهُ إِذَا اتَّبَعُوهُ وَآثَرُوهُ عَلَى أَهْوَائِهِمْ وَمَا تَجْنَحُ إِلَيْهِ نُفُوسُهُمْ وَأَنَّ صِحَّةَ إِيمَانِهِمْ بِانْقِيَادِهِمْ لَهُ وَرِضَاهُمْ بِحُكْمِهِ وَتَرْكِ الاعْتِرَاضِ عَلَيْهِ؛ وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ أَقْوَاماً قَالُوا يا رَسُولَ الله ﷺ إِنَّا نُحِبُّ الله فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ [آل عمران:٣١] الآيَةَ؛ وَرُوِيَ أَنَّ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي كَعْبِ بن الأَشْرَفِ[3] وَغَيْرِهِ وَأَنَّهُمْ قَالُوا نَحْنُ أَبْنَاءُ الله وَأَحِبَّاؤُهُ وَنَحْنُ أَشَدُّ حُبّاً لله؛ فَأَنْزَلَ الله الآيَةَ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ[4] مَعْنَاهُ: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ [آل عمران:٣١] أَنْ تَقْصِدُوا طَاعَتَهُ فافعَلُوا مَا أَمَرَكُمْ بِهِ؛ إِذْ مَحَبَّةُ الْعَبْدِ لله وَالرَّسُولِ طَاعَتُهُ لَهُمَا وَرِضَاهُ بِمَا أَمَرَا وَمَحَبَّةُ الله لَهُمْ عَفْوُهُ عَنْهُمْ وَإِنْعَامُهُ عَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِهِ، وَيُقَالُ الْحُبُّ مِنَ الله عِصْمَةٌ وَتَوْفِيقٌ وَمِنَ الْعِبَادِ طَاعَةٌ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ[5]:

---

(١) كمثل من بنى داراً... الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١١٤/٩.

(٢) محمد بن علي الترمذي. الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الزاهد الواعظ المؤذن صاحب التصانيف: ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي: ٦٤٥/٢.

(٣) كعب بن الأشرف أحد اليهود المنافقين تقدمت ترجمته.

(٤) الزجاج. تقدمت ترجمته.

(٥) البيتان: في زهر الآداب: ٩٨/١ القائل هو محمود بن الحسن الوراق وفي شرح القاري: القائل: رابعة =

تُعْصِي الإلٰهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ؟ هٰذَا لَعَمْرِي فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ!
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ!

وَيُقَالُ مَحَبَّةُ الْعَبْدِ لله تَعْظِيمُهُ لَهُ وَهَيْبَتُهُ مِنْهُ وَمَحَبَّةُ الله لَهُ رَحْمَتُهُ لَهُ وَإِرَادَتُهُ الْجَمِيلَ لَهُ وَتَكُونُ بِمَعْنَىٰ مَدْحِهِ وَثَنَائِهِ عَلَيْهِ؛ قال الْقُشَيْرِيُّ[١] فَإِذَا كَانَ بِمَعْنَىٰ الرَّحْمَةِ وَالإِرَادَةِ والْمَدْحِ كَانَ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ وَسَيَأْتِي بَعْدُ فِي ذِكْرِ مَحَبَّةِ الْعَبْدِ غَيْرُ هٰذَا بِحَوْلِ الله تَعَالَى حَدَّثَنَا أبو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بنُ جَعْفَرٍ الفَقِيهُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الأَصْبَغِ عِيسَى بنُ سَهْلٍ وحَدَّثَنَا أبو الحسنِ يُونُسُ بنُ مُغيث الفَقِيهُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ قَالاَ حَدَّثَنَا حَاتِمُ بنُ محمدٍ قَالَ حَدَّثَنَا أبو حَفْصٍ الجُهَنِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الآجُرِّيُّ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بنُ مُوسَى الجَوْزِيُّ حَدَّثَنَا دَاوُدُ بنُ رُشَيْدٍ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بنُ مُسْلِمٍ عَنْ ثَوْرِ بنِ يَزِيدَ عن خَالِدِ بنِ مَعْدَانَ عن عبدِ الرَّحْمٰنِ بن عَمْرٍو الأَسْلَمِيِّ وَحُجْرٍ الكَلاَعِيِّ عَنِ الْعِرْبَاضِ بنِ سَارِيَةَ[٢] في حديثِهِ في مَوْعِظَةِ النَّبِيِّ ﷺ أنهُ قال: **«فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمورِ فإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ»**[٣] زَادَ فِي حديثِ جَابِرٍ[٤] بِمعناهُ **«وَكُلُّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ»**[٥] وَفِي حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ[٦] عنه ﷺ: **«لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئاً عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فيقولُ لاَ أَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ الله اتَّبَعْنَاهُ»**[٧] وفِي حديثِ عَائِشَةَ[٨] رَضِيَ الله عَنْهَا صَنَعَ رَسُولُ الله ﷺ شَيْئاً تَرَخَّصَ فِيهِ فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ فَبَلَغَ ذٰلِكَ النبيَّ ﷺ فَحَمِدَ الله ثُمَّ قَالَ: «مَا

= العدوية، وفي الإحياء، القائل هو: عبد الله بن المبارك. ومعنى البيتين: إنه يدعى محبة الله وهو عاص لأوامره، ولو كان صادقاً لم يعصه لأن المحب لا يخالف الحبيب...

(١) القشيري ـ تقدمت ترجمته.

(٢) العرباض بن سارية رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٣) فعليكم بسنتي... الحديث/ أخرجه الإمام الدارمي في السنن ١/ ٤٥ والطبراني في المعجم الكبير ١٨/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩ والإمام أحمد في المسند: ٤/ ١٢٦ ـ ١٢٧ مع اختلاف في اللفظ.

(٤) جابر بن عبد الله رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٥) وكلا ضلالة في النار... الحديث/ أخرجه الإمام في المسند ٤/ ١٢٦ ـ ١٢٧ وهو الحديث السابق الذكر. وهذا جزء منه. وابن ماجه: ١٥ وأبو داود في السنن ٢/ ١٦٩ والإمام مسلم في الصحيح الحديث: ٥٩٢.

(٦) أبو رافع تقدمت ترجمته.

(٧) لا ألفين... الحديث/ أخرجه أبو داود في السنن الحديث: ٤٦٠٥ والترمذي في السنن ٥/ ٣٧ الحديث: ٢٦٦٣ والحاكم في المستدرك: ١/ ١٠٨ والطبراني في المعجم الكبير ١/ ٢٩٥، والإمام الشافعي في مسنده: ١٥١، ٢٣٤. والسيوطي في الدر المنثور: ٢/ ١٧ والبيهقي في دلائل النبوة: ١/ ٢٤، ٦/ ٥٤٩. وابن عبد البر في التمهيد: ١/ ١٥١، والبغوي في السنة ١/ ٢٠١.

(٨) عائشة رضي الله عنها تقدمت ترجمتها.

بَالُ قَوْمٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»[١] وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «الْقُرْآنُ صَعْبٌ مُسْتَصْعِبٌ عَلَى مَنْ كَرِهَهُ، وَهُوَ الْحَكَمُ، فَمَنِ اسْتَمْسَكَ بِحَدِيثِي وَفَهِمَهُ وَحَفِظَهُ جَاءَ مَعَ الْقُرْآنِ، وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالْقُرْآنِ وَحَدِيثِي خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ، أُمِرَتْ أُمَّتِي أَنْ يَأْخُذُوا بِقَوْلِي وَيُطِيعُوا أَمْرِي وَيَتَّبِعُوا سُنَّتِي، فَمَنْ رَضِيَ بِقَوْلِي فَقَدْ رَضِيَ بِالْقُرْآنِ»[٢] قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧] الآية وَقَالَ ﷺ: «مَنِ اقْتَدَى بِي فَهُوَ مِنِّي وَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[٣] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[٤] رَضِيَ الله عَنْهُ عن النبي ﷺ إنه قال: «إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا»[٥] وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بن العاص[٦] رَضِيَ الله عَنْهُ: قَالَ النبيُّ ﷺ: «الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ فَمَا سِوَى ذٰلِكَ فَهُوَ فَضْلٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ»[٧] وعنِ الحسنِ بن أبي الحَسَنِ[٨] رَحمهما الله تَعَالَى قَالَ ﷺ: «عَمَلٌ قَلِيلٌ فِي سُنَّةٍ خَيْرٌ مِنْ عَمَلٍ كَثِيرٍ فِي بِدْعَةٍ»[٩] وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُدْخِلُ الْعَبْدَ الْجَنَّةَ بِالسُّنَّةِ تَمَسَّكَ بِهَا»[١٠] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[١١] رَضِيَ الله عَنْهُ عنِ النبيِّ ﷺ قَالَ:

---

(١) ما بال أقوام... الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح. ١٠/٥١٣ كتاب الأدب (٧٨) باب من لم يوجه الناس بالعتاب (٧٢) الحديث: ٦١٠١ ومسلم في الصحيح: ٤/١٨٢٩ كتاب الفضائل (٤٣) باب علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته (٣٥) الحديث ١٢٧/٢٣٥٦، ١٢٨/٢٣٥٦.

(٢) فمن استمسك... الحديث/ أخرجه أبو نعيم: في الدلائل والديلمي في الفردوس وأبو الشيخ.

(٣) من اقتدى... الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ٧/٢ والإمام مسلم في الصحيح كتاب النكاح (٥) والنسائي في السنن كتاب النكاح (٤) والإمام أحمد في المسند ٢/١٥٨ ٣/٢٤١، ٢٥٩، ٢٨٥، ٥/٤٠٩، والدارمي في السنن: ٢/١٣٣ والبيهقي في السنن الكبرى: ٧/٧٧ والسيوطي في الدر المنثور: ٢/١٧، ٣٠٧ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٥/٥٤، ١٦٠، ٢٨٦، ٧/٢٩٥، ٨/٤٠٥ ـ ٤٠٦، ٩/٣٥١ والمنذري في الترغيب والترهيب: ١/٨٧.

(٤) أبو هريرة رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٥) أن أحسن الحديث... الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١٧/٩ في الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، والإمام مسلم في الصحيح: ١٣/١٢٥ في الأدب باب الهدي الصالح ولفظه: أن أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وإن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين».

(٦) عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها تقدمت ترجمته.

(٧) العلم ثلاث... الحديث/ أخرجه أبو داود في السنن الحديث: ٢٨٨٥. في الفرائض باب ما جاء في تعليم الفرائض، وابن ماجه في السنن المقدمة الحديث: ٥٤ باب اجتناب الرأي والقياس، وفي مسند عبد الرحمن بن زيادة بن أنعم الإفريقي، وعبد الرحمن بن رافع التنوخي وهما ضعيفان.

(٨) الحسن بن أبي الحسن. تقدمت ترجمته.

(٩) عمل قليل.. الحديث/ أخرجه عبد الرزاق في مصنفه تحت عدد: ٢٠٥٦٨ والمتقي الهندي في كنز العمال: ١٠٩٦.

(١٠) إن الله يدخل العبد... الحديث/ لم أعثر له على مخرج في كتب الحديث.

(١١) أبو هريرة رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

«الْمُتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي لَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ»[(١)]، وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَإِنَّ أُمَّتِي تَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلاَّ وَاحِدَةً»[(٢)] قَالُوا وَمَنْ هُمْ يا رسولَ الله؟ قَالَ: «الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي» وَعَنْ أنسٍ[(٣)]: قال ﷺ: «مَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْيَانِي وَمَنْ أَحْيَانِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ»[(٤)] وَعَنْ عَمْرِو بنِ عَوْفٍ[(٥)] الْمُزَنِيِّ أَنَّ النبيَّ ﷺ قال لِبِلالِ بن الحارِثِ[(٦)]: «مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي فَإِنَّ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً وَمَنِ ابْتَدَعَ بِدْعَةَ ضَلاَلَةٍ لاَ تُرْضِي اللهَ وَرَسُولَهُ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِ النَّاسِ شَيْئاً»[(٧)].

الفصل الرابع

وَأَمَّا مَا وَرَدَ عَنِ السَّلَفِ وَالأَئِمةِ مِنَ اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ والاقْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ وَسِيرَتِهِ.

فَحَدَّثَنَا الشَّيْخُ أَبُو عِمْرَانَ مُوسَى بنُ عبدِ الرَّحْمٰنِ بنِ أبي تَلِيدٍ الفَقِيهُ سَمَاعاً عَلَيْهِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ الحافِظُ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بنُ نَصْرٍ حَدَّثَنَا قَاسِمُ بنُ أَصْبَغَ وَوَهْبُ بنُ مَسَرَّةَ قَالاَ حَدَّثَنَا مُحمدُ بنُ وَضَّاحٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا مالِكٌ عَنِ ابنِ شِهابٍ عن رَجُلٍ مِنْ آلِ خَالِدِ بنِ أَسِيدٍ أَنَّهُ سَأَلَ عَبْدَ الله بنَ عُمَرَ[(٨)] فَقَالَ يا أَبَا عبدِ الرَّحْمٰنِ[(٩)] إِنَّا نَجِدُ صَلاَةَ الْخَوْفِ وَصَلاَةَ

---

(١) المستمسك... الحديث/ أخرجه الطبراني في الأوسط.

(٢) إن بني إسرائيل... الحديث/ أخرجه الإمام الترمذي في السنن الحديث: ٢٦٤٣ في الإيمان باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، وفي مسنده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي وهو ضعيف، وقال الترمذي حديث حسن غريب مفسر.

(٣) أنس بن مالك رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٤) من أحيا لسنتي... الحديث/ أخرجه الإمام الترمذي في السنن الحديث: ٢٦٨٠ في العلم باب ما جاء في الأخذ في السنة واجتناب البدع وفي مسنده زيد بن علي بن جدعان وهو ضعيف وقال عنه الترمذي حديث حسن غريب.

(٥) عمرو بن عوف المزني. حليف بني عامر بن لؤي توفي رحمه الله في خلافة معاوية وترجمته في الثقات: ٣/ ٢٧٢، والإصابة: ٢/ ٥٢٤. وحلية الأولياء: ٢/ ١١، والطبقات ٤/ ٢٤٨.

(٦) بلال بن الحارث المزني كنيته أبو عبد الرحمن سأل النبي ﷺ عن فسخ الحج: ألناس خاصة أم للناس عامة؟ فقال هو لنا خاصة، توفي سنة ٦٠ وهو ابن ٨٠ سنة وابنه حسان بن بلال أول من أظهر الإرجاء بالبصرة ترجمته في الثقات ٣/ ٢٨ والإصابة ١/ ١٦٤.

(٧) من أحيا سنة من سنتي... الحديث/ أخرجه الترمذي في السنن. الحديث ٢٦٧٩. في العلم باب ما جاء في الأخذ في السنة والاجتناب البدع وهو جزء من الحديث السابق الذكر...

(٨) عبد الله بن عمر. تقدمت ترجمته.

(٩) أبو عبد الرحمن. تقدمت ترجمته.

الْحَضَرِ فِي الْقُرْآنِ وَلاَ نَجِدُ صَلاَةَ السَّفَرِ فَقَالَ ابنُ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا يا ابنَ أَخِي إِنَّ الله بَعَثَ إِلَيْنَا محمداً ﷺ ولا نَعْلَمُ شَيْئاً وَإِنَّمَا نَفْعَلُ كَمَا رَأَيْنَاهُ يَفْعَلُ.

وَقَالَ عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ[1] سَنَّ رسولُ الله ﷺ ووُلاَةُ الأَمْرِ بَعْدَهُ سُنَناً الأَخْذُ بِهَا تَصْدِيقٌ بِكِتَابِ الله وَاسْتِعْمَالٌ لِطَاعَةِ الله وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ الله لَيْسَ لِأَحَدٍ تَغْيِيرُها ولا تَبْدِيلُهَا وَلاَ النَّظَرُ في رَأْيِ مَنْ خَالَفَهَا، مَنِ اقْتَدَى بِهَا فَهُوَ مُهْتَدٍ وَمَنِ انْتَصَرَ بِهَا فَهُوَ مَنْصُورٌ وَمَنْ خَالَفَهَا وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَلاَّهُ الله ما تَوَلَّى وأَصْلاَهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً.

وَقَالَ: الْحَسَنُ بن أبي الْحَسَنِ[2]: عَمَلٌ قَلِيلٌ في سُنَّةٍ خَيْرٌ مِنْ عَمَلٍ كَثِيرٍ في بِدْعَةٍ؛ وَقَالَ ابنُ شِهابٍ[3] بَلَغَنَا عَنْ رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ قالُوا: الاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ.

وَكَتَبَ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ[4] رَضِيَ الله عَنْهُ إلى عُمَّالِهِ بِتَعَلُّمِ السُّنَّةِ وَالفَرَائِضِ وَاللَّحْنِ أي اللُّغَةِ وَقَالَ إِنَّ ناساً يُجادلُونَكُمْ ـ يَعْنِي بِالْقُرْآن ـ فَخُذُوهُمْ بالسُّنَنِ فإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ الله.

وَفِي خَبَرِهِ حِينَ صَلَّى بِذِي الْحُلَيْفَةِ[5] رَكْعَتَيْنِ فَقَالَ أَصْنَعُ كَمَا رَأَيْتُ رسولَ الله ﷺ يَصْنَعُ.

وَعَنْ عَلِيٍّ[6] حِينَ قَرَنَ فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ[7] تَرَى أَنِّي أَنْهَى النَّاسَ عَنْهُ وَتَفْعَلُهُ؟ قَالَ لَمْ أَكُنْ أَدَعُ سُنَّةَ رسولِ الله ﷺ لِقَوْلِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ.

وَعَنْهُ: أَلاَ إِنِّي لَسْتُ بِنَبِيٍّ وَلاَ يُوحَى إِلَيَّ وَلَكِنِّي أَعْمَلُ بِكِتَابِ الله وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ محمدٍ ﷺ ما اسْتَطَعْتُ.

وَكَانَ ابنُ مَسْعُودٍ[8] يَقُولُ: القَصْدُ في السُّنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الاجْتِهَادِ في البِدْعَةِ.

---

(١) عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي العادل تقدمت ترجمته.

(٢) الحسن بن أبي الحسن. تقدمت ترجمته.

(٣) ابن شهاب. تقدمت ترجمته.

(٤) عمر بن الخطاب الخليفة الثاني في الإسلام. تقدمت ترجمته.

(٥) ذو الحليفة: مكان على أميال من المدينة المنورة من جهة الشام وهو اليوم ميقات أهل المدينة وأهل الشام. وخبر عمر رضي الله عنه أخرجه مسلم في الصحيح: ٤٨١.

(٦) علي بن أبي طالب. تقدمت ترجمته.

(٧) عثمان بن عفان. تقدمت ترجمته.

(٨) ابن مسعود. تقدمت ترجمته.

وقال ابنُ عُمَرَ: صَلاةُ السَّفَرِ رَكْعَتانِ مَن خَالَفَ السُّنَّةَ كَفَرَ.

وَقَالَ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ[(١)] عَلَيْكُمْ بِالسَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ فإِنَّهُ ما عَلَى الأَرْضِ مِنْ عَبْدٍ عَلى السَّبِيلِ والسُّنَّةِ ذَكَرَ اللهَ في نَفْسِهِ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ اللهُ أَبَداً، وَمَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ عَبْدٍ عَلَى السَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ ذَكَرَ اللهَ في نَفْسِهِ فاقْشَعَرَّ جِلْدُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ إلا كانَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ قَدْ يَبِسَ وَرَقُهَا فَهِيَ كَذَلِكَ إِذْ أَصَابَتْهَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَتَحَاتَّ عَنْهَا وَرَقُهَا إلاَّ حُطَّ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا تَحَاتُّ عَنِ الشَّجَرَةِ وَرَقُهَا، فإِنَّ اقْتِصاداً فِي سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ خَيْرٌ مِنَ اجْتِهَادٍ فِي خِلاَفِ سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ وَمُوافَقَةِ بِدْعَةٍ؛ وَانْظُرُوا أَنْ يَكُونَ عَمَلُكُمْ إِنْ كَانَ اجْتِهَاداً أَوِ اقْتِصَاداً أَنْ يَكُونَ عَلَى مِنْهَاجِ الأَنْبِيَاءِ وَسُنَّتِهِمْ.

وَكَتَبَ بَعْضُ عُمَّالِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ[(٢)] إِلَى عُمَرَ بِحَالِ بَلَدِهِ وَكَثْرَةِ لُصُوصِهِ: هَلْ يَأْخُذُهُمْ بِالظِّنَّةِ أَوْ يَحْمِلُهُمْ عَلَى الْبَيِّنَةِ وَمَا جَرَتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ؟ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ خُذْهُمْ بِالبَيِّنَةِ وَمَا جَرَتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ فإِنْ لَمْ يُصْلِحْهُمُ الْحَقُّ فَلاَ أَصْلَحَهُمُ اللهُ.

وَعَنْ عَطَاءٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩] أَيْ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ.

وَقَالَ الشَّافِعِي[(٣)]: لَيْسَ فِي سُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ إِلاَّ اتِّبَاعُهَا.

وَقَالَ عُمَرُ[(٤)] وَنَظَرَ إِلَى الحَجَرِ الأَسْوَدِ إِنَّكَ حَجَرٌ لاَ تَنْفَعُ وَلاَ تَضُرُّ وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ

---

(١) أبي بن كعب. تقدمت ترجمته.

(٢) عمر بن عبد العزيز. تقدمت ترجمته.

(٣) الشافعي: هو أبو عبد الله بن محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف القرشي المكي. ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ. وتوفي في آخر رجب سنة ٢٠٤ هـ. ترجمته في: إرشاد الأريب ٦/٣٦٧ والأنس الجليل ١/٢٩٤. والبداية والنهاية: ١٠/٢٥١، وتاريخ بغداد. ٢/٥١٦وتاريخ الخميس ٢/٣٣٥، وتذكرة الحفاظ ١/٣٦١، وترتيب المدارك ٢/٣٨٢، وتهذيب الأسماء واللغات ١/٤٤. وتهذيب التهذيب. ٩/ ٣٥، وحسن المحاضرة ١/٣٠٣ وحلية الأولياء: ٩/٦٣، وخلاصة تذهيب الكمال: ٢٧٧، والديباج: ٢٢٧ والرسالة المستطرفة ١٧، وشذرات الذهب ٢/ ٩، وصفوة الصفوة ٢/٩٥ وطبقات الحنابلة ١/ ٢٨٠، وطبقات الشيرازي: ٧١ وطبقات القراء لابن الجوزي ٢/٩٥ وطبقات المفسرين ٣/٩٨ وطبقات النحلة ١/٢١، وطبقات ابن هدية: ١١ والعبر: ١/٣٤٣ والفهرست لابن النديم: ٢٠٩. واللباب ٢/٥، ومرآة الجنان ٢/١٣ والنجوم الزاهرة ٢/١٧٦. والوافي بالوفيات ٢/ ١٧١، ووفيات الأعيان لابن خلكان: ١/٤٤٧...

(٤) عمر بن الخطاب رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

رسولَ الله ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ ثُمَّ قَبَّلَهُ[(١)].

رُئِيَ عَبْدُ الله بنُ عُمَرَ[(٢)] يُدِيرُ ناقَتَهُ فِي مَكَانٍ فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ لاَ أَدْرِي إلاَّ أَنِّي رَأَيْتُ رسولَ الله ﷺ فَعَلَهُ فَفَعَلْتُهُ.

وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ الْحِيرِيُّ[(٣)]: مَنْ أَمَّرَ السُّنَّةَ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلاً وَفِعْلاً نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ وَمَنْ أَمَّرَ الْهَوَى عَلَى نَفْسِهِ نَطَقَ بِالْبِدْعَةِ.

وَقَالَ سَهْلُ التُّسْتَرِيُّ أُصُولُ مَذْهَبِنَا ثَلاَثَةٌ: الاقْتِدَاءُ بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي الأَخْلاَقِ وَالأَفْعَالِ، وَالأَكْلُ مِنَ الحَلاَلِ، وَإِخْلاَصُ النِّيَّةِ فِي جَمِيعِ الأَعْمَالِ، وَجَاءَ فِي تَفْسِيرِ قولِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠] أَنَّهُ الاقْتِدَاءُ بِرَسُولِ الله ﷺ.

وَحُكِيَ عَنْ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ[(٤)] قال كُنْتُ يَوْماً مَعَ جَمَاعَةٍ تَجَرَّدُوا وَدَخَلُوا المَاءَ فَاسْتَعْمَلْتُ الْحَدِيثَ «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يَدْخُلُ الْحَمَّامَ إلاَّ بِمِئْزَرٍ»[(٥)] وَلَمْ أَتَجَرَّدْ فَرَأَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ قَائِلاً لِي يَا أَحْمَدُ أَبْشِرْ فَإِنَّ الله قَدْ غَفَرَ لَكَ بِاسْتِعْمَالِكَ السُّنَّةَ وَجَعَلَكَ إِمَاماً يُقْتَدَى بِكَ، قُلْتُ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ.

الفصل الخامس: خطر مخالفة أمره

وَمُخَالَفَةُ أَمْرِهِ وَتَبْدِيلُ سُنَّتِهِ ضَلاَلٌ وَبِدْعَةٌ مُتَوَعَّدٌ مِنَ الله عَلَيْهِ بِالخِذْلاَنِ وَالْعَذَابِ قَالَ الله تَعَالَى: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣] وَقَالَ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النساء:١١٥] الآيةَ، [حَدَّثَنَا أبو محمدٍ عَبْدُ الله بنُ أبي جَعْفَرٍ وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ عَتَّابٍ بِقِرَاءَتِي عَلَيهِمَا قَالاَ حَدَّثَنَا أبو القَاسِمِ حَاتِمُ بنُ مُحمدٍ حَدَّثَنَا أبو الْحَسَنِ القَابِسِيُّ حَدَّثَنَا أبو الْحُسَيْنِ بنُ مَسْرُورٍ الدَّبَّاغُ حَدَّثَنَا أحمد بنُ أبي سُلَيْمَانَ حَدَّثَنَا سُحْنُونُ ابنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا ابنُ القَاسِمِ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنِ الْعَلاَءِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ عَنْ أَبِيهِ][(٦)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[(٧)] أَنَّ رسولَ

---

(١) لولا أني رأيت النبي ﷺ... الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٢/١٧٥، ومسلم في الصحيح: الحديث: ٩٢٥.

(٢) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما تقدمت ترجمته.

(٣) أبو عثمان الحيري تقدمت ترجمته.

(٤) أحمد بن حنبل الإمام المشهور كنيته أبو عبد الله (١٦٤ ـ ٢٤١ هـ) تقدمت ترجمته.

(٥) من كان يؤمن بالله واليوم الآخر.. الحديث/ أخرجه الإمام الترمذي في السنن: ٥/١١٣.

(٦) [...] ص ١٦ ـ ١٧ ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٧) أبو هريرة رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

اللهِ ﷺ خَرَجَ إلى المَقْبَرَةِ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي صِفَةِ أُمَّتِهِ وَفِيهِ: «فَلَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَما يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُ فَأُنَادِيهِم أَلاَ هَلُمَّ أَلاَ هَلُمَّ فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ فَسُحْقاً فَسُحْقاً فَسُحْقاً»[١].

وَرَوَى أَنَسٌ[٢] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[٣] وَقَالَ: «مَنْ أَدْخَلَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»[٤] وَرَوَى ابنُ أَبِي رَافِعٍ[٥] عَنْ أَبِيهِ عنِ النبي ﷺ قَالَ: «لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئاً عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لاَ أَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ»[٦] زَادَ فِي حَدِيثِ المِقْدَادِ[٧]: «أَلاَ وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رسولُ الله ﷺ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللهُ»[٨] وَقَالَ ﷺ وَجِيءَ بِكِتَابٍ فِي كَتِفٍ: «كَفَى بِقَوْمٍ حُمْقاً ـ أَوْ قَالَ ضَلاَلاً ـ أَنْ يَرْغَبُوا عَمَّا جَاءَ بِهِ نَبِيُّهُمْ إِلَى غَيْرِ نَبِيِّهِمْ أَوْ كِتَابٍ غَيْرِ كِتَابِهِمْ» فَنَزَلَتْ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١] الآيَةَ؛ وقال ﷺ: «هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ»[٩].

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ[١٠] رضي الله عنه لَسْتُ تَارِكاً شَيْئاً كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلاَّ عَمِلْتُ بِهِ إِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ.

---

(١) فليذادن عن حوضي... الحديث/ أخرجه الإمام مسلم في الصحيح: الحديث ٢١٨ وابن ماجه في السنن الحديث: ١٤٤٠ ومالك ابن أنس في الموطأ: ٣٠.

(٢) أنس بن مالك رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٣) فمن رغب عن سنتي... الحديث/ تقدم تخريجه.

(٤) من أدخل في أمرنا... الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ٤/٢٩٨ في البيوع باب النجش ووصله في الصلح: ٥/ ٢٢١ باب إذا اصطلحوا على صلح مردود، ومسلم في الصحيح الحديث: ١٧١٨ في الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة، وأبو داود في السنن باب لزوم السنة ٢/٥٠٦، وابن ماجه في المقدمة باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ الحديث: ١٤.

(٥) ابن أبي رافع تقدمت ترجمته.

(٦) لا ألفين... الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٦/٨ في مسند أبي رافع رضي الله عنه وأبو داود في السنن ٥/١٢ كتاب السنة (٣٤) باب في لزوم السنة (٦١) الحديث: ٤٦٠٥ والترمذي في السنن: ٥/ ٣٧ كتاب العلم (٤٢) باب نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ (١٠) الحديث: ٢٦٦٣. وقال عنه حديث حسن صحيح. وابن ماجه في السنن ١/ ٦ ـ ٧ المقدمة باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ (٢) الحديث: ١٣. والحاكم في المستدرك: ١/١٠٨ ـ ١٠٩ كتاب العلم، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٧) المقداد تقدمت ترجمته.

(٨) إلا وأن ما حرم رسول الله ﷺ... الحديث/ أخرجه الدارمي في السنن وابن المنذر وأبو داود وابن جرير الطبري.

(٩) منك المتنطعون... الحديث/ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ١٠/٢١٦، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٢/ ٥٠، والبغوي في شرح السنة ١٢/٣٦٧ وابن حجر في فتح الباري ١٣/ ٢٦٧. والتبريزي في مشكاة المصابيح: ٤٧٨٥...

(١٠) أبو بكر الصديق أول خليفة في الإسلام رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

الباب الثاني
في لزوم محبته ﷺ

وفيه ستة فصول:



الباب الثاني

في لزوم محبته ﷺ

الفصل الأول: في لزوم محبته ﷺ

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ [التوبة:٢٤] الآية؛ فَكَفَى بِهٰذَا حَضاً وَتَنْبِيهاً وَدِلاَلَةً وَحُجَّةً عَلَى إِلْزَام مَحَبَّتِهِ وَوُجُوب فَرْضِهَا وَعِظَم خَطَرِهَا وَاسْتِحْقَاقِهِ لَهَا ﷺ إِذْ قَرَّعَ تَعَالَى مَنْ كَانَ مَالُهُ وَأَهْلُهُ وَوَلَدُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الله وَرَسُولِهِ وَأَوْعَدَهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة:٢٤] ثُمَّ فَسَّقَهُمْ بِتَمَامِ الآيَةِ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُمْ مِمَّنْ ضَلَّ وَلَمْ يَهْدِهِ الله، حَدَّثَنَا أَبُو عَلِي الغَسَّانِيُّ الْحَافِظُ فِيمَا أَجَازَنِيهِ وَهُوَ مِمَّا قَرَأْتُهُ عَلَى غَيْرِ وَاحِدٍ قَالَ حَدَّثَنَا سِرَاجُ بنُ عبدِ الله القَاضِي حَدَّثَنَا أَبو محمّدٍ الأَصِيلِيُّ حَدَّثَنَا الْمَرْوَزِيُّ حَدَّثَنَا أبو عبدِ الله محمَّدُ بنُ يوسُفَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بنُ إبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا ابنُ عُلَيَّةَ عَنْ عَبدِ العزيزِ بنِ صُهَيْبٍ عَنْ أَنسٍ[1] رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **«لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»**[2] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[3] رَضِيَ الله عَنْهُ نَحْوَهُ وَعَنْ أنسٍ[4] عنه ﷺ: **«ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لله وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَما يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»**[5] وَعَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ[6] رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ لأَنْتَ أحبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ[7] فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **«لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى**

---

(١) أنس بن مالك رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٢) لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه... الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١/ ٥٣ ـ ٥٤، باب علامة الإيمان، ومسلم في الصحيح الحديث: ٤٥ باب الدليل على أن من خصال الإيمان إن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، والنسائي في السنن ٨/ ١١٥ باب علامة الإيمان وإسناده صحيح، والترمذي في السنن الحديث: ٢٥١٧ في صفة القيامة باب (٥٩)، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة: ٦٦.

(٣) أبو هريرة رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٤) أنس بن مالك خادم النبي ﷺ تقدمت ترجمته.

(٥) ثلاث من كن فيه... الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١/ ٧٢ كتاب الإيمان (٢) باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار. من الإيمان (١٤) الحديث: ٢١، ١/ ٦٦ كتاب الإيمان (١) باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (١٥) الحديث ٦٧/ ٤٣، واللفظ للبخاري.

(٦) عمر بن الخطاب رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٧) لأنت أحب إليّ من كل شيء... الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح.

أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ»[١]. فقال عُمَرُ[٢] وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي التِي بَيْنَ جَنْبَيَّ فَقَالَ لَهُ النبيُّ ﷺ «الآنَ يا عُمَرُ» قَالَ سَهْلٌ[٣] مَنْ لَمْ يَرَ وِلاَيَةَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ وَيَرَى نَفْسَهُ فِي مِلْكِهِ ﷺ لاَ يَذُوقُ حَلاَوَةَ سُنَّتِهِ لأَنَّ النبي ﷺ قَالَ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ»[٤] الحديث.

الفصل الثاني: في ثواب محبته ﷺ

[حَدَّثَنَا أبو محمدِ بنُ عَتَّابٍ بِقِرَاءَتِي عليهِ حَدَّثَنَا أبو القاسِمِ حاتِمُ بنُ محمدٍ حَدَّثَنَا أبو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ خَلَفٍ حَدَّثَنَا أبو زَيْدٍ المَرْوَزِيُّ حَدَّثَنَا محمَّدُ بنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا عَبْدَانُ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَمْرِو بنِ مُرَّةَ عَنْ سَالِمِ بنِ أَبِي الْجَعْدِ][٥] عن أَنسٍ[٦] رَضِيَ الله عَنْهُ أن رَجُلاً أَتَى النَّبيَّ ﷺ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ يا رسولَ الله؟ قَالَ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا[٧]؟» قَالَ: ما أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلاَةٍ وَلاَ صَوْمٍ وَلاَ صَدَقَةٍ وَلٰكِنِّي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ[٨] قَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» وَعَنْ صَفْوَانَ بنِ قُدَامَةَ[٩] هَاجَرْتُ إلى النَّبِيِّ ﷺ فأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يا رسولَ الله ناوِلْنِي يَدَكَ أُبايِعْكَ فَنَاوَلَنِي يَدَهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي أُحِبُّكَ قَالَ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[١٠] وَرَوَى هٰذَا

---

(١) لن يؤمن أحدكم حتى أكون... الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ١/٥٣. كتاب الإيمان وقد سبق ذكره آنفاً.

(٢) عمر بن الخطاب رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٣) سهل تقدمت ترجمته.

(٤) لا يؤمن أحدكم حتى أكون... الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/٣٣٦ والسيوطي في الدر المنثور ٣/٢٢٣.

(٥) [....] ساقطة من نسخة دمشق المحققة. ص (١٨ ـ ١٩).

(٦) أنس بن مالك رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٧) مَا أَعْدَدتَ لَهَا؟... الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١٠/٥٥٣ كتاب الأدب (٧٨) باب ما جاء في قول الرجل ويلك (٩٥) الحديث: ٦١٦٧ واللفظ له. ومسلم في الصحيح ٤/٢٠٣٢ كتاب البر (٤٥) باب المرء مع من أحب (٥٠) الحديث: ١٦١/٢٦٣٩.

(٨) صفوان بن قدامة المري. حديثه عند ابنه عبد الرحمن بن صفوان ترجمته في الإصابة: ٢/١٨٩.

(٩) المرء من أحب... الحديث/ أخرجه الإمام البخاري ٥/١٤، ٨/٤٩، ٩/٨١، ومسلم في الصحيح: كتاب البر والصلة: ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، والإمام أحمد في المسند ٣/١٦٨، ١٧٢، ١٧٣. ١٧٨، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٢٨، ٢٥٥، ٢٧٦، ٢٨٨. ٥/١٦٦، والمنذري في الترغيب والترهيب ٤/٢٤ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٢٤٦٨٦، ٢٥٥٥٣.

(١٠) من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتين يوم القيامة... الحديث/ أخرجه الإمام الترمذي في السنن الحديث: ٣٧٣٣ والإمام أحمد في المسند ١/٧٦، ٧٧ والمتقي الهندي في كنز العمال: ١٤١٦١، ٣٧٦١٣ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٤/٢٠٦.

اللَّفظَ عَنِ النبيِّ ﷺ عبدِ الله بنُ مَسْعُودٍ(١) وَأَبُو مُوسَى(٢) وَأَنَسٌ(٣) وَعَنْ أبي ذَرٍّ(٤) بِمَعْنَاهُ وَعَن عَلِيٍّ(٥) أَنَّ النبيَّ ﷺ أَخَذَ بِيَدِ حَسَنٍ(٦) وَحُسَيْنٍ(٧) فَقَالَ: «**مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هٰذَيْنِ وَأَباهُمَا وأُمَّهُمَا كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ**» وَرُوِيَ أَنَّ رَجُلاً أَتى النَّبيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ الله لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي وَإِنِّي لأَذْكُرُكَ فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى أَجِيءَ فَأَنْظُرَ إِلَيْكَ وَإِنِّي ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتَكَ فَعَرَفْتُ أَنكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعْتَ مَعَ النَّبِيِّين وَإِنْ دَخَلْتُهَا لاَ أَرَاكَ فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] فَدَعَا بِهِ فَقَرأها عَلَيْهِ.

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ كَانَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ يَنْظُرُ إِلَيْهِ لاَ يَطْرِفُ فَقَالَ: «**مَا بَالُكَ؟**»(٨) قال بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَتَمَتَّعُ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْكَ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ رَفَعَكَ الله بِتَفْضِيلِهِ فَأَنْزَلَ الله الآيَة.

وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ: «**مَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الجَنَّةِ**»(٩).

الفصل الثالث: فيما روي عن السلف والأئمة من محبتهم لِلنَّبِيِّ ﷺ وشَوْقِهِمْ لَهُ

[حَدَّثَنَا القَاضِي الشَّهِيدُ حَدَّثَنَا العُذْرِيُّ حَدَّثَنَا الرَّازِيُّ حَدَّثَنَا الجُلُودِيُّ حَدَّثَنَا ابنُ سُفْيَانَ حَدَّثَنَا مُسلِمٌ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بنُ عَبدِ الرَّحْمٰنِ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ](١٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ(١١) رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبّاً نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ**»(١٢) وَمِثْلُهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ(١٣).

---

(١) ابن مسعود رضي الله عنه تقدمت ترجمته.
(٢) أبو موسى الأشعري رضي الله عنه تقدمت ترجمته.
(٣) أنس بن مالك رضي الله عنه تقدمت ترجمته.
(٤) أبو ذر الغفاري رضي الله عنه تقدمت ترجمته.
(٥) علي بن أبي طالب كرم الله وجهه تقدمت ترجمته.
(٦) حسن بن علي رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.
(٧) حسين بن علي رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.
(٨) ما بالك؟... الحديث/ أخرجه الإمام الترمذي في السنن الحديث: ٣٧٣٣. والإمام أحمد في المسند: ١/ ٧٦ ـ ٧٧ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق: ٤/ ٢٠٦ ـ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: ١٣/ ٢٨٨.
(٩) من أحبني كان معي في الجنة... الحديث/ أخرجه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٣/ ١٤٥.
(١٠) [....] ص ٢١ ساقطة من نسخة دمشق المحققة.
(١١) أبو هريرة رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.
(١٢) من أشد أمتي لي حباً... الحديث/ أخرجه الإمام مسلم في الصحيح الحديث: ٢١٧٨.
(١٣) أبو ذر الغفاري رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ عُمَرَ[١] رَضِيَ الله عَنْهُ وَقَوْلُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي.

وما تَقَدَّمَ عَنِ الصَّحَابَةِ فِي مِثْلِهِ، وَعَنْ عَمْرِو بن العاصِ[٢] رَضِيَ الله عَنْهُ مَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ. وَعَنْ عَبْدَةَ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ[٣] قَالَتْ مَا كَانَ خَالِدٌ[٤] يَأْوِي إِلى فِرَاشٍ إِلاَّ وَهُوَ يَذْكُرُ مِنْ شَوْقِهِ إِلى رسولِ الله ﷺ وَإِلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ يُسَمِّيهِمْ وَيَقُولُ هُمْ أَصْلِي وَفَصْلِي وَإِلَيْهِمْ يَحَنُّ قَلْبِي طَالَ شَوْقِي إِلَيْهِمْ فَعَجِّلْ رَبِّ قَبْضِي إِلَيْكَ حَتَّى يَغْلِبَهُ النَّوْمُ.

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ[٥] رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لإِسْلامُ أَبِي طَالِبٍ كَانَ أَقَرَّ لِعَيْنِي مِنْ إِسْلامِهِ - يَعْنِي أَبَاهُ أَبا قُحَافَةَ[٦] - وَذٰلِكَ أَنَّ إِسْلامَ أَبِي طَالِبٍ كَانَ أَقَرَّ لِعَيْنِكَ[٧] وَنَحْوُهُ عَنْ عُمَرَ بن الخَطَّابِ[٨] قَالَ لِلْعَبَّاسِ[٩] رَضِيَ الله عَنْهُ أَنْ تُسْلِمَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُسْلِمَ الخَطَّابُ لِأَنَّ ذٰلِكَ أَحَبُّ إِلى رَسُولِ الله ﷺ[١٠].

وعنِ ابن إِسْحَاقَ[١١] أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ قُتِلَ أَبُوها وأَخُوها وَزَوْجُهَا يَوْمَ أُحُدٍ مَعَ رسولِ الله ﷺ فَقَالَتْ مَا فَعَلَ رسولُ الله ﷺ؟ قَالُوا خَيْراً هُوَ بِحَمْدِ الله كما تُحِبِّينَ قَالَتْ أَرِنِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ.

وَسُئِلَ عَلِيُّ بنُ أبي طَالِبٍ[١٢] رَضِيَ الله عَنْهُ كَيْفَ كَانَ حُبُّكُمْ لِرَسُولِ الله ﷺ؟ قَالَ كَانَ

---

(١) عمر بن الخطاب رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٢) عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سعد السهمي، ولاه النبي ﷺ جيش ذات السلاسل، كنيته أبو محمد توفي بمصر سنة ٦١ هـ وقيل ٦٢ هـ. ترجمته في الثقات ٣/ ٢٦٥، والإصابة ٣/ ٢ والطبقات ٤/ ٢٥٤، ٧/ ٤٩٣.

(٣) عبدة بنت خالد بن معدان. تقدمت ترجمتها. وذكرها ابن حبان في الثقات.

(٤) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم سماه الرسول ﷺ بسيف الله ترجمته في: الثقات: ٣/ ١٠١، والإصابة: ١/ ٤١٣ والطبقات ٤/ ٢٥٢، ٧/ ٣٩٤.

(٥) أبو بكر الصديق رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٦) أبو قحافة لقب والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٧) إن إسلام أبي طالب كان أقر... الحديث/ أخرجه الإمام أحمد وابن إسحاق في السيرة، وابن أبي حاتم في الدلائل.

(٨) الخطاب هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٩) العباس عم النبي ﷺ، تقدمت ترجمته.

(١٠) ابن إسحاق تقدمت ترجمته.

(١١) لأن ذلك أحب إلى رسول الله ﷺ. أخرج القصة الإمام البيهقي في دلائل النبوة.

(١٢) علي بن أبي طالب رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

وَالله أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَمْوَالِنَا وَأَوْلَادِنَا وَآبَائِنَا وأُمَّهَاتِنَا وَمِنَ الماءِ الْبَارِدِ عَلى الظَّمَإِ؛ وَعَنْ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ(١) خَرَجَ عُمَرُ(٢) رَضِيَ الله عَنْهُ لَيْلَةً يَحْرُسُ النَّاسَ فَرَأَى مِصْبَاحاً في بَيْتٍ وَإِذَا عَجُوزٌ تَنْفُشُ صُوفاً وَتَقُولُ(٣):

عَلَى مُحَمَّدٍ صَلاةُ الأَبْرَارْ صَلَّى عَلَيْهِ الطَّيِّبُونَ الأَخْيَارْ

قَدْ كُنْتَ قَوَّاماً بُكاً بالأَسْحَارْ يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالمَنَايَا أَطْوَارْ

هَلْ تَجْمَعُنِي وَحَبِيبِي الدَّارْ

تَعْنِي النبي ﷺ، فَجَلَسَ عُمَرُ(٤) رَضِيَ الله عَنْهُ يَبْكِي وَفِي الْحِكَايَةِ طُولٌ.

وَرُوِيَ أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ(٥) خَدِرَتْ رِجْلُهُ فَقِيلَ لَهُ اذْكُرْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْكَ يَزُلْ عَنكَ فَصَاحَ يَا مُحَمَّدَاهُ فَانْتَشَرَتْ.

وَلَمَّا احْتُضِرَ بِلالٌ(٦) رَضِيَ الله عَنْهُ نَادَتِ امْرَأَتُهُ: وَاحُزْنَاهُ فَقَالَ وَاطَرَبَاهُ غَداً أَلْقَى الأَحِبَّهْ مُحَمَّداً وَحِزْبَهْ.

وَيُرْوَى أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ لِعَائِشَةَ(٧) رَضِيَ الله عَنْهَا اكْشِفِي لِي قَبْرَ رَسولِ الله ﷺ فَكَشَفَتْهُ لَهَا فَبَكَتْ حَتَّى مَاتَتْ؛ وَلَمَّا أَخْرَجَ أَهْلُ مَكَّةَ زَيْدَ بنَ الدَّثِنَةِ(٨) مِنَ الحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ قَالَ لَهُ أَبو سُفْيَانَ بنُ حَرْبٍ(٩) أَنْشُدُكَ الله يا زَيْدُ أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّداً الآنَ عِنْدَنَا مَكَانَكَ يُضْرَبُ عُنُقُهُ وَأَنَّكَ فِي أَهْلِكَ؟ فَقَالَ زَيْدٌ: وَالله ما أُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّداً الآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ وَإِنِّي جَالِسٌ فِي

---

(١) زيد بن أسلم رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٢) عمر بن الخطاب رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٣) البيتان لامرأة مغمورة لدى مؤرخي الأدب، والسير.

(٤) عمر: تقدمت ترجمته.

(٥) عبد الله بن عمر. تقدمت ترجمته.

(٦) بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ أعتقه أبو بكر وكان تربه وكان له ولاؤه كنيته أبو عمرو، أمه حمامة، قال لأبي بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ إن كنت أعتقتني لله فدعني أذهب حيث شئت وإن كنت أعتقتني لنفسك فأمسكني قال له أبو بكر اذهب حيث شئت، فذهب إلى الشام فسكنها مؤثراً الجهاد على الأذان. رأى أن توفي سنة ٢٦ هـ، وقبره بدمشق. ترجمته في الثقات ٢٨/٣ والطبقات ٣/ ٢٣٢، ٧/ ٣٨٥، والإصابة: ١/ ١٦٥، والحلية: ١/ ١٤٧...

(٧) عائشة رضي الله عنها تقدمت ترجمتها.

(٨) زيد بن الدثنة له صحبة ترجمته: في الثقات ٣/ ١٤٠، والإصابة: ١/ ٥٦٥.

(٩) أبو سفيان بن حرب. تقدمت ترجمته.

أَهْلِي، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَداً يُحِبُّ أَحَداً كَحُبِّ أَصْحَابِ محمَّدٍ محمَّداً.

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ(١) كانَتِ المَرْأَةُ إِذَا أَتَتِ النبيَّ ﷺ حَلَّفَهَا بِالله ما خَرَجَتْ مِنْ بُغْضِ زَوْجٍ وَلاَ رَغْبَةً بِأَرْضٍ وَمَا خَرَجَتْ إِلاَّ حُبّاً لله وَرَسُولِهِ(٢).

وَوَقَفَ ابنُ عُمَرَ(٣) على ابنِ الزُّبَيْرِ(٤) رَضِيَ الله عَنْهُمَا بَعْدَ قَتْلِهِ فَاسْتَغْفَرَ لَهُ وَقَالَ كُنْتَ والله ما عَلِمْتُ صَوَّاماً قَوَّاماً تُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ.

الفصل الرابع: في علامة محبته ﷺ

اعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً آثَرَهُ وَآثَرَ مُوَافَقَتَهُ وَإِلاَّ لَمْ يَكُنْ صَادِقاً فِي حُبِّهِ وَكَانَ مُدَّعِياً فالصَّادِقُ فِي حُبِّ النبيِّ ﷺ مَنْ تَظْهَرُ عَلاَمَةُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَأَوَّلُهَا: الاقْتِدَاءُ بِهِ وَاسْتِعْمَالُ سُنَّتِهِ وَاتِّبَاعُ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَامْتِثَالُ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابُ نَوَاهِيهِ وَالتَّأَدُّبُ بِآدَابِهِ فِي عُسْرِهِ وَيُسْرِهِ وَمَنْشَطِهِ وَمَكْرَهِهِ وَشَاهِدُ هٰذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وَإِيثَارُ مَا شَرَعَهُ وَحَضَّ عَلَيْهِ عَلَى هَوَى نَفْسِهِ وَمُوَافَقَةِ شَهْوَتِهِ قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] وَإِسْخَاطُ العِبَادِ فِي رِضَى الله تَعَالَى.

[حَدَّثَنَا القَاضِي أبو عَلِيٍّ الحَافِظ حَدَّثَنَا أَبُو الحُسَيْنِ الصَّيْرَفِيُّ وَأَبُو الفَضْلِ بْنُ خَيْرُونَ قَالاَ حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى البَغْدَادِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ السِّنْجِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَحْبُوب حَدَّثَنَا أَبُو عِيسَى حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبدِ الله الأنصَارِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيِّ بن زَيْدٍ عَنْ سَعِيدِ بنِ المُسَيَّبِ](٥) قَالَ أَنَسُ(٦) بْنُ مَالِك رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «يَا بُنَيَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ»(٧)، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا بُنَيَّ وَذٰلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ».

---

(١) ابن عباس تقدمت ترجمته.
(٢) كانت المرأة إذا أتت النبي... الحديث/ أخرج هذه القصة ابن جرير الطبري في التفسير، والبزار.
(٣) عبد الله بن عمر تقدمت ترجمته.
(٤) ابن الزبير: هو عبد الله بن الزبير. تقدمت ترجمته.
(٥) [....] ص ٢٤ ساقطة من نسخة دمشق المحققة.
(٦) أنس بن مالك تقدمت ترجمته.
(٧) يا بني إن قدرت...... الحديث/ أخرجه الإمام الترمذي في السنن الحديث: ٢٦٧٩ في العلم باب ما جاء في الأخذ في السنة واجتناب البدع من حديث كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده وإسناده ضعيف، وقال الترمذي حديث حسن، وقد اعترض على تحسين الترمذي له، وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٤٦/١ طبع منير الدمشقي. كثير بن عبد الله متروك واه ولكن للحديث شواهد.

فَمَنِ اتَّصَفَ بِهٰذِهِ الصِّفَةِ فَهُوَ كَامِلُ الْمَحَبَّةِ لله وَرسولِهِ وَمَنْ خَالَفَهَا فِي بَعْضِ هٰذِهِ الأُمُورِ فَهُوَ نَاقِصُ الْمَحَبَّةِ وَلاَ يَخْرُجُ عَنِ اسْمِهَا، وَدَلِيلُهُ قَوْلُهُ ﷺ لِلَّذِي حَدَّهُ في الْخَمْرِ فَلَعَنَهُ بَعْضُهُمْ وَقَالَ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لاَ تَلْعَنْهُ فَإِنَّهُ يحِبُّ الله وَرَسُولَهُ»**(١) وَمِنْ عَلاَمَاتِ مَحَبَّةِ النبيِّ ﷺ كَثْرَةُ ذِكْرِهِ لَهُ فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئاً أَكْثَرَ ذِكْرَهُ(٢) وَمِنها كَثْرَةُ شَوْقِهِ إلى لِقَائِهِ فَكُلُّ حَبِيبٍ يُحِبُّ لِقَاءَ حَبِيبِهِ وَفِي حدِيثِ الأَشْعَرِيِّينَ عِنْدَ قُدُومِهِمْ الْمَدِينَةَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَرْتَجِزُونَ.

غَـداً نَـلْـقَ الأَحِـبَّـةْ ... مـحـمـداً وَصَـحْـبَـهْ

وَتَقَدَّمَ قَوْلُ بِلاَلٍ(٣) وَمِثْلُهُ قَالَ عَمَّارٌ(٤) قَبْلَ قَتْلِهِ وَمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قِصَّةِ خَالِدِ بنِ مَعْدَانَ(٥).

وَمِنْ عَلاَمَاتِه مَعَ كَثْرَةِ ذِكْرِهِ تَعْظِيمُهُ لَهُ وَتَوْقِيرُهُ عِنْدَ ذِكْرِهِ وَإِظْهَارُ الْخُشُوعِ وَالانْكِسَارِ مَعَ سَمَاعِ اسْمِهِ.

قَالَ إِسْحَاقُ التُّجِيبِيُّ(٦) كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَهُ لا يَذْكُرُونَهُ إلاَّ خَشَعُوا وَاقْشَعَرَّتْ جُلُودُهُمْ وَبَكَوْا وَكَذٰلِكَ كَثِيرٌ مِنَ التَّابِعِينَ مِنْهُمْ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ مَحَبَّةً لَهُ وَشَوْقاً إِلَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْعَلُهُ تَهَيُّباً وَتَوْقِيراً.

وَمِنْهَا مَحَبَّتُهُ لِمَنْ أَحَبَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمَنْ هُوَ بِسَبَبِهِ مِنْ آلِ بَيْتِهِ وَصَحَابَتِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَعَدَاوَةُ مَنْ عَادَاهُمْ وَبُغْضُ مَنْ أَبْغَضَهُمْ وَسَبَّهُمْ فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئاً أَحَبَّ مَنْ يُحِبُّ وَقَدْ قَالَ ﷺ في الْحَسَنِ(٧) وَالْحُسَيْنِ(٨) **«اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا»**(٩) وَفِي رِوَايَةٍ في الحسنِ **«اللَّهُمَّ**

---

(١) لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله... الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٧٥/١٢ كتاب الحدود: ٨٦: باب ما يكره من لعن شارب الخمر أي الحديث: ٦٧٨٠ واللفظ له على هذه الرواية: لا يلعنوه فوالله ما علمت هذا إلا أنه يحب الله ورسوله».

(٢) فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره... الحديث/ أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٥/ ٢٠، ٩/ ٦٢١ والمتقي الهندي في كنز العمال: ١٨٢٩ والعجلوني في كشف الخفاء ٢/ ٣٠٧.

(٣) بلال رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٤) عمار رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٥) خالد بن معدان ترجمته في الثقات: ٣/ ٤٤٨ والإصابة: ٣/ ٦٦٥ ـ ٦٦٦.

(٦) إسحاق التجيبي تقدمت ترجمته.

(٧) الحسن رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٨) الحسين رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٩) اللهم إني أحبهما.. الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٢/ ٤٤٦ والبيهقي في السنن الكبرى: ١٠/ ٢٣٣، والسيوطي في جمع الجوامع: ٧٦١ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣٤٢٥٥، ٤٢٧٩، ٣٤٣٨٠، ٣٧٦٩٧، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٣٣٥، ٤/ ٢٠٥ـ٢٠٧، والطبراني في المعجم الكبير ٣/ ٣٩.

إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ»(١) وَقَالَ: **«مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ الله وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي وَمَنْ أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ الله»**(٢) وَقَالَ: **«الله الله فِي أَصْحَابِي لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضاً بَعْدِي فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى الله وَمَنْ آذَى الله يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ»**(٣) وَقَالَ فِي فَاطِمَةَ(٤) رَضِيَ الله عَنْهَا **«أَنَّهَا بَضْعَةٌ مِنِّي يُغْضِبُنِي مَا أَغْضَبَهَا»**(٥) وَقَالَ لِعَائِشَةَ(٦) فِي أُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ(٧) **«أَحِبِّيهِ فَإِنِّي أُحِبُّهُ»**(٨)؛ وَقَالَ: **«آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُهُمْ»**(٩) وفي حديثِ ابنِ عُمَرَ(١٠): **«مَنْ أَحَبَّ العَرَبَ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ فَبِالْحَقِيقَةِ مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً أَحَبَّ كُلَّ شَيْءٍ يُحِبُّهُ»**(١١).

وَهٰذِهِ سِيرَةُ السَّلَفِ حَتَّى فِي الْمُبَاحَاتِ وَشَهَوَاتِ النَّفْسِ وَقَدْ قَالَ أَنَسٌ(١٢) حِينَ رَأَى

---

(١) اللهم إني أحبه فأحب من يحبه.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٥/ ٣٣، ٧/ ٢٠٥، والإمام مسلم في الصحيح الحديث: ١٨٨٢، والإمام ابن ماجه الحديث ١٤٢، والإمام أحمد في المسند: ٢/ ٢٤٩، ٢٩٢، ٣٣١، ٥٣٢، ٤/ ٢٩٢ والترمذي في السنن الحديث: ٣٧٨٣، والحاكم في المستدرك: ٣/ ١٦٩، ١٧٧. والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٢٣٣.

(٢) من أحبهما.. الحديث/ تقدم تخريجه.

(٣) الله الله في أصحابي.. الحديث/ أخرجه الإمام الترمذي في السنن: ٥/ ٦٩٦ في كتاب المناقب (٥٠) باب (٥٩) باب فضل من بايع (٥٨) الحديث: ٣٨٦٢ واللفظ له وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه..

(٤) فاطمة رضي الله عنها تقدمت ترجمته.

(٥) إنها بضعة مني.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٥/ ٢٦، ٣٦، والبيهقي في السنن الكبرى: ٧/ ٦٤، ١٠/ ٢٠١ والحاكم في المستدرك ٣/ ١٥٨ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣٤٢٢، ٣٤٢٢٣، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٦/ ٢٤٤، ٧/ ٢٨١.

(٦) عائشة رضي الله عنها تقدمت ترجمتها.

(٧) أسامة بن زيد رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٨) أحبيه فإني أحبه.. الحديث/ أخرجه الإمام الترمذي في السنن ٥/ ٦٧٧ كتاب المناقب (٥٠) باب مناقب أسامة (٤١) الحديث: ٣٨١٨.

(٩) آية الإيمان حب الأنصار.. الحديث/ أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٤٥٥. وابن أبي نعيم في دلائل النبوة: ١٠/ ١٢ والبغدادي في موضح أوهام الجمع والتفريق ١/ ٣١٦ وابن عدي في الكامل في الضعفاء: ٢/ ٨٠٣.

(١٠) ابن عمر رضي الله عنهما.

(١١) من أحب العرب فبحبني أحبهم.. الحديث/ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٤٥٥ وأبو نعيم في دلائل النبوة ١/ ١٢ والبغدادي في موضح أوهام الجمع والتفريق: ١/ ٣١٦ وابن عدي في الكامل في الضعفاء: ٢/ ٨٠٣.

(١٢) أنس. تقدمت ترجمته.

النَّبِيَّ ﷺ يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوَالِي الْقَصْعَةِ فَمَا زِلْتُ أُحِبُّ الدُّبَّاءِ مِنْ يَوْمَئِذٍ، وَهٰذَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ[١] وَعَبْدُ الله بْنُ عَبَّاسٍ[٢] وابْنُ جَعْفَرٍ[٣] أَتَوْا سَلْمَى وَسَأَلُوهَا أَنْ تَصْنَعَ لَهُمْ طَعَاماً مِمَّا كَانَ يُعْجِبُ رَسُولَ الله ﷺ وكانَ ابْنُ عُمَرَ يَلْبَسُ النِّعَالَ السِّبْتِيَّةَ وَيَصْبُغُ بِالصُّفْرَةِ إِذْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ يَفْعَلُ نَحْوَ ذٰلِكَ.

وَمِنْهَا بُغْضُ مَنْ أَبْغَضَ الله وَرَسُولَهُ وَمُعَادَاةُ مَنْ عَادَاهُ وَمُجَانَبَةُ مَنْ خَالَفَ سُنَّتَهُ وَابْتَدَعَ فِي دِينِهِ وَاسْتِثْقَالُهُ كُلَّ أَمْرٍ يُخَالِفُ شَرِيعَتَهُ قَالَ الله تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] وَهٰؤلاء أَصْحَابُهُ ﷺ قَدْ قَتَلُوا أَحِبَّاءَهُمْ وَقَاتَلُوا آبَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ فِي مَرْضَاتِهِ.

وَقَالَ لَهُ عَبْدُ الله بْنُ عبدِ الله بن أُبَيٍّ[٤]؛ لَوْ شِئْتَ لأَتَيْتُكَ بِرَأْسِهِ يَعْنِي أَبَاهُ. وَمِنْهَا أَنْ يُحِبَّ الْقُرْآنَ الَّذِي أَتَى بِهِ ﷺ وَهَدَى بِهِ وَاهْتَدَى وَتَخَلَّقَ بِهِ حَتَّى قَالَتْ عَائِشَةُ[٥] رَضِيَ الله عَنْهَا. «كانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ» وَحُبُّهُ لِلْقُرْآنِ تِلاَوَتُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ وَتَفَهُّمُهُ وَيُحِبُّ سُنَّتَهُ وَيَقِفُ عِنْدَ حُدُودِهَا؛ قَالَ سَهْلُ بْنُ عبدِ الله[٦]: عَلاَمَةُ حُبِّ الله حُبُّ الْقُرْآنِ وَعَلاَمَةُ حُبِّ الْقُرْآنِ حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلاَمَةُ حُبِّ النَّبِي ﷺ حُبُّ السُّنَّةِ وَعَلاَمَةُ حُبِّ السُّنَّةِ حُبُّ الآخِرَةِ وَعَلاَمَةُ حُبِّ الآخِرَةِ بُغْضُ الدُّنْيَا وَعَلاَمَةُ بُغْضِ الدُّنْيَا أَنْ لاَ يَدَّخِرَ مِنْهَا إِلاَّ زَاداً وَبُلْغَةً إِلَى الآخِرَةِ.

وقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ[٧] لاَ يَسْأَلُ أَحَدٌ عَنْ نَفْسِهِ إِلاَّ الْقُرْآنَ فَإِنْ كَانَ يُحِبُّ الْقُرْآنَ فَهُوَ يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ.

وَمِنْ عَلاَمَاتِ حُبِّهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَفَقَتُهُ عَلَى أُمَّته وَنُصْحُهُ لَهُمْ وَسَعْيُهُ فِي مَصَالِحِهِمْ وَرَفْعُ الْمَضَارِّ عَنْهُمْ، كَمَا كَانَ ﷺ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفاً رَحِيماً. وَمِنْ عَلاَمَةِ تَمَامِ مَحَبَّتِهِ زُهْدُ مُدَّعِيهَا فِي

---

(١) الحسن بن علي. تقدمت ترجمته.
(٢) عبد الله بن عباس. تقدمت ترجمته.
(٣) ابن جعفر. تقدمت ترجمته.
(٤) عبد الله بن عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث. . بن الخزرج الذي يقال له: ابن أبي سلول. كان اسمه الحباب فسماه الرسول ﷺ، وقال: الحباب شيطان. قتل يوم اليمامة شهيداً. ترجمته. في الثقات: ٣/ ٢٤٤ والطبقات ٣/ ٥٤٠ والإصابة ٢/ ٣٣٨.
(٥) عائشة رضي الله عنها تقدمت ترجمتها.
(٦) سهل بن عبد الله رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.
(٧) ابن مسعود رضي الله عنهما. تقدمت ترجمته.

الدُّنْيَا وَإِيثَارُهُ الْفَقْرَ وَاتِّصَافُهُ بِهِ وَقَدْ قَالَ ﷺ لِأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (١): «إِنَّ الْفَقْرَ إِلَى مَنْ يُحِبُّنِي مِنْكُمْ أَسْرَعُ مِنَ السَّيْلِ مِنْ أَعْلَى الْوَادِي أَوِ الْجَبَلِ إِلَى أَسْفَلِهِ» (٢) وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ (٣) قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُحِبُّكَ فَقَالَ: «انْظُرْ مَا تَقُولُ» قَالَ وَاللهِ وَإِنِّي أُحِبُّكَ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - قَالَ: «إِنْ كُنْتَ تُحِبُّنِي فَأَعِدَّ لِلْفَقْرِ تِجْفَافاً» (٤) ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ بِمَعْنَاهُ.

الفصل الخامس: في معنى المحبة للنبي ﷺ وحقيقتها

اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي تَفْسِيرِ مَحَبَّةِ اللهِ وَمَحَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَكَثُرَتْ عِبَارَاتُهُمْ فِي ذٰلِكَ وَلَيْسَتْ تَرْجِعُ بِالْحَقِيقَةِ إِلَى اخْتِلَافِ مَقَالٍ ولكِنَّهَا اخْتِلَافُ أَحْوَالٍ. فَقَالَ سُفْيَانُ (٥) الْمَحَبَّةُ اتِّبَاعُ الرسولِ ﷺ كَأَنَّهُ الْتَفَتَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: ٣١] الآية؛ وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَحَبَّةُ الرَّسُولِ اعْتِقَادُ نُصْرَتِهِ وَالذَّبُّ عَنْ سُنَّتِهِ والانْقِيَادُ لَهَا وَهَيْبَةُ مُخَالَفَتِهِ: وَقَالَ بَعْضُهُمْ الْمَحَبَّةُ دَوَامُ الذِّكْرِ لِلْمَحْبُوبِ؛ وَقَالَ آخَرُ: إِيثَارُ الْمَحْبُوبِ؛ وَقَالَ بَعْضُهُمْ الْمَحَبَّةُ الشَّوْقُ إِلَى الْمَحْبُوبِ؛ وَقَالَ بَعْضُهُمْ الْمَحَبَّةُ مُوَاطَأَةُ الْقَلْبِ لِمُرَادِ الرَّبِّ يُحِبُّ مَا أَحَبَّ وَيَكْرَهُ مَا كَرِهَ؛ وَقَالَ آخَرُ: الْمَحَبَّةُ مَيْلُ الْقَلْبِ إِلَى مُوَافِقٍ لَهُ وأَكْثَرُ العِبَارَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ إِشَارَةٌ إِلَى ثَمَرَاتِ الْمَحَبَّةِ دُونَ حَقِيقَتِهَا وَحَقِيقَةُ الْمَحَبَّةِ الْمَيْلُ إِلَى ما يُوَافِقُ الإِنْسَانَ وَتَكُونُ مُوَافَقَتُهُ لَهُ إِمَّا لِاسْتِلْذَاذِهِ بِإِدْرَاكِهِ كَحُبِّ الصُّوَرِ الْجَمِيلَةِ وَالْأَصْوَاتِ الْحَسَنَةِ وَالْأَطْعِمَةِ وَالْأَشْرِبَةِ اللَّذِيذَةِ وأَشْبَاهِهَا مِمَّا كُلُّ طَبْعٍ سَلِيمٍ مَائِلٌ إِلَيْهَا لِمُوَافَقَتِهَا لَهُ، أَوْ لِاسْتِلْذَاذِهِ بِإِدْرَاكِهِ بِحَاسَّةِ عَقْلِهِ وَقَلْبِهِ مَعَانِيَ بَاطِنَةً شَرِيفَةً كَحُبِّ الصَّالِحِينَ وَالْعُلَمَاءِ وأَهْلِ الْمَعْرُوفِ الْمَأْثُورِ عَنْهُمُ السِّيَرُ الْجَمِيلَةُ وَالأَفْعَالُ الْحَسَنَةُ فَإِنَّ طَبْعَ الإِنْسَانِ مَائِلٌ إِلَى الشَّغَفِ بِأَمْثَالِ هٰؤُلَاءِ حَتَّى يَبْلُغَ التَّعَصُّبُ بِقَوْمٍ لِقَوْمٍ وَالتَّشَيُّعَ مِنْ أُمَّةٍ فِي آخَرِينَ مَا يُؤَدِّي إِلَى الْجَلَاءِ عَنِ الْأَوْطَانِ وَهَتْكِ الْحُرَمِ وَاخْتِرَامِ النُّفُوسِ أَوْ يَكُونَ حُبُّهُ إِيَّاهُ لِمُوَافَقَتِهِ لَهُ مِنْ جِهَةِ إِحْسَانِهِ لَهُ وَإِنْعَامِهِ عَلَيْهِ فَقَدْ جُبِلَتِ النُّفُوسُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا؛ فَإِذَا تَقَرَّرَ لَكَ هٰذَا نَظَرْتَ هٰذِهِ الْأَسْبَابَ كُلَّهَا فِي حَقِّهِ ﷺ

---

(١) أبو سعيد الخدري رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٢) إن الفقر إلى من يحبني منكم.. الحديث/ أخرجه الإمام الترمذي في السنن الحديث: ٢٣٥١ في الزهد باب ما جاء في فضل الفقر وإسناده ضعيف.

(٣) عبد الله بن مغفل المزني، سكن البصرة، وهو المغفل بن عبد نهم بن عفيف وكنيته أبو سعيد. توفي سنة ٥٩ هـ وقيل سنة ٦١ هـ ترجمته في الثقات ٣/ ٢٣٦، والإصابة ٢/ ٣٧٢ والطبقات: ٧/ ١٣.

(٤) إن كنت.. الحديث جزء من سابقه.

(٥) سفيان بن قيس بن أبان أخو وهب بن قيس له صحبة. ترجمته في الثقات ٣/ ١٨٢، والإصابة ٢/ ٥٤.

فَعَلِمْتَ أَنَّهُ ﷺ جامعٌ لِهٰذِهِ المَعَانِي الثَّلاثَةِ المُوجِبَةِ لِلْمَحَبَّةِ. أَمَّا جَمالُ الصُّورَةِ والظَّاهِرِ وكمالِ الأَخْلاقِ وَالبَاطِنِ فَقَدْ قَرَّرْنا مِنْهَا قَبْلُ فِيما مَرَّ مِنَ الكِتَابِ مَا لاَ يَحْتَاجُ إلى زِيَادَةٍ. وَأَمَّا إِحْسَانُهُ وَإِنْعَامُهُ عَلَى أُمَّتِهِ فَكَذٰلِكَ قَد مَرَّ مِنْهُ فِي أَوْصَافِ الله تَعَالَى لَهُ مِنْ رَأْفَتِهِ بِهِمْ وَرَحْمَتِهِ لَهُمْ وَهِدَايَتِهِ إِيَّاهُمْ وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهِمْ وَاسْتِنْقَاذِهِمْ بِهِ مِنَ النَّارِ وَأَنَّهُ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ وَرَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إلى الله بِإِذْنِهِ وَيَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُم الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيَهْدِيهِمْ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم، فَأَيُّ إِحْسَانٍ أَجَلُّ قَدْراً وَأَعْظَمُ خَطَراً مِنْ إِحْسَانِهِ إِلى جَمِيعِ المُؤْمِنِينَ، وأَيُّ إِفْضَالٍ أَهَمُّ مَنْفَعةً وَأَكْثَرُ فَائِدَةً مِنْ إِنْعَامِهِ عَلَى كَافَّةِ المُسْلِمِينَ؟ إِذْ كَانَ ذَرِيعَتَهُمْ إلى الهِدَايَةِ وَمُنْقِذَهُمْ مِنَ العَمَايَةِ وَدَاعِيَهُمْ إلى الفَلاحِ وَالكَرَامَةِ وَوَسِيلَتَهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ وَشَفِيعَهُمْ وَالمُتَكَلِّمَ عَنْهُمْ وَالشَّاهِدَ لَهُمْ وَالمُوجِبَ لَهُمُ البَقَاءَ الدَّائِمَ وَالنَّعِيمَ السَّرْمَدَ فَقَدْ اسْتَبَانَ لَكَ أَنَّهُ ﷺ مُسْتَوْجِبٌ لِلْمَحَبَّةِ الحَقِيقِيَّةِ شَرْعاً بِمَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ صَحِيحِ الآثارِ وَعَادَةً وَجِبِلَّةً بِمَا ذَكَرْنَاهُ آنِفاً لإِفَاضَتِهِ الإِحْسَانَ وَعُمُومِهِ الإِجْمَالَ؛ فَإِذَا كَانَ الإِنْسَانُ يُحِبُّ مَنْ مَنَحَهُ فِي دُنْيَاهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ مَعْرُوفاً أَوِ اسْتَنْقَذَهُ مِنْ هَلَكَةٍ أَوْ مَضَرَّةٍ مُدَّةَ التَّأَذِّي بِهَا قَلِيلٌ مُنْقَطِعٌ فَمَنْ مَنَحَهُ لاَ يَبِيدُ مِنَ النَّعِيمِ وَوَقَاهُ مَا لاَ يَفْنَى مِنْ عَذَابِ الجَحِيمِ أَوْلَى بِالحُبِّ؛ وَإِذَا كَانَ يُحَبُّ بِالطَّبْعِ مَلِكٌ لِحُسْنِ سِيرَتِهِ أَوْ حَاكِمٌ لِمَا يُؤْثَرُ مِنْ قِوَامِ طَرِيقَتِهِ أَوْ قَاصٌّ بَعِيدُ الدَّارِ لِمَا يُشَادُ مِنْ عِلْمِهِ أَوْ كَرَمِ شِيمَتِهِ فَمَنْ جَمَعَ هٰذِهِ الخِصَالَ عَلَى غَايَةِ مَرَاتِبِ الكَمَالِ أَحَقُّ بِالحُبِّ وَأَوْلَى بِالمَيْلِ، وَقَدْ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ الله عَنْهُ فِي صِفَتِهِ ﷺ من رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ. وَذَكَرْنا عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ كَانَ لاَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ عَنْهُ مَحَبَّةً فِيهِ.

الفصل السادس: في وجوب مناصحته ﷺ

قال الله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١] قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ إِذَا نَصَحُوا لله وَرَسُولِهِ إِذَا كَانُوا مُخْلِصِينَ مُسْلِمِينَ فِي السِّرِّ وَالعَلانِيَةِ. [حَدَّثَنَا الفَقِيهُ أبو الوَلِيدِ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ محمَّد حَدَّثَنَا يُوسُفُ بنُ عَبدِ الله حَدَّثَنَا ابنُ عَبدِ المُؤْمِنِ حَدَّثَنَا أبو بَكْر لَتَّمَّارُ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُد حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يونُس حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا سُهَيْلُ بْنُ أَبِي صَالِح عَنْ عَطَاءِ بنِ يَزِيدَ][1] عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ[2] قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ؛ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ؛ إِنَّ الدِّينَ**

(١) [. . . .] ص (٣١ ـ ٣٢) ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٢) تميم الداري هو: تميم بن أوس بن خارجة بن سواد بن خديجة. كنيته أبو رقية كان يختم القرآن في ركعة وربما ردد الآية الواحدة الليل كله إلى الصبح. سكن الشام وبها توفي وقبره ببيت جبرين من بلاد فلسطين. وكان أبوه هند الداري أخاه لأمه. ترجمته في الثقات ٣/ ٣٩، والإصابة ١/ ١٨٣، والطبقات ٧/ ٤٠٨.

النَّصِيحَةُ»[(١)] قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» قَالَ أَئِمَّتُنَا: النَّصِيحَةُ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ وَاجِبَةٌ قَالَ الإِمَامُ أَبو سُلَيْمَانَ الْبُسْتِي[(٢)]: النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ يُعَبَّرُ بِهَا عَنْ جُمْلَةِ إِرَادَةِ الْخَيْرِ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ وَلَيْسَ يُمْكِنُ أَنْ يُعَبَّرَ عَنْهَا بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَحْصُرُهَا، وَمَعْنَاهَا فِي اللُّغَةِ الإِخْلاَصُ مِنْ قَوْلِهِمْ نَصَحْتُ الْعَسَلَ إِذَا خَلَّصْتُهُ مِنْ شَمْعِهِ. وَقَالَ أَبو بَكْرِ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ[(٣)] الْخَفَّافُ: النُّصْحُ فِعْلُ الشَّيْءِ الَّذِي فِيهِ الصَّلاَحُ وَالْمُلاَءَمَةُ؛ مَأْخُوذٌ مِنَ النِّصَاحِ وَهُوَ الْخَيْطُ الَّذِي يُخَاطُ بِهِ الثَّوْبُ؛ وَقَالَ أَبو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ نَحْوَهُ؛ فَنَصِيحَةُ اللهِ تَعَالَى صِحَّةُ الاعْتِقَادِ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَوَصْفُهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَتَنْزِيهُهُ عَمَّا لاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ وَالرَّغْبَةُ فِي مَحَابِّهِ وَالْبُعْدُ مِنْ مَسَاخِطِهِ وَالإِخْلاَصُ فِي عِبَادَتِهِ وَالنَّصِيحَةُ لِكِتَابِهِ: الإِيمَانُ بِهِ وَالْعَمَلُ بِمَا فِيهِ وَتَحْسِينُ تِلاَوَتِهِ وَالتَّخَشُّعُ عِنْدَهُ وَالتَّعَظُّمُ لَهُ وَتَفَهُّمُهُ وَالتَّفَقُّهُ فِيهِ وَالذَّبُّ عَنْهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْغَالِينَ وَطَعْنِ الْمُلْحِدِينَ، وَالنَّصِيحَةُ لِرَسُولِهِ التَّصْدِيقُ بِنُبُوَّتِهِ وَبَذْلُ الطَّاعَةِ لَهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ قَالَهُ أَبو سُلَيْمَانَ[(٤)]. وَقَالَ أَبو بَكْرٍ[(٥)]: وَمُوَازَرَتُهُ وَنُصْرَتُهُ وَحِمَايَتُهُ حَياً وَمَيْتاً، وَإِحْيَاءُ سُنَّتِهِ بِالطَّلَبِ وَالذَّبِّ عَنْهَا وَنَشْرِهَا، وَالتَّخَلُّقُ بِأَخْلاَقِهِ الْكَرِيمَةِ وَآدَابِهِ الْجَمِيلَةِ، وَقَالَ أَبو إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقُ التُّجِيبِيُّ[(٦)]: نَصِيحَةُ رسولِ اللهِ ﷺ التَّصْدِيقُ بِمَا جَاءَ بِهِ وَالاعْتِصَامُ بِسُنَّتِهِ وَنَشْرُهَا وَالْحَضُّ عَلَيْهَا وَالدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ وَإِلَى كِتَابِهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَيْهَا وَإِلَى الْعَمَلِ بِهَا، وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ مِنْ مَفْرُوضَاتِ الْقُلُوبِ اعْتِقَادُ النَّصِيحَةِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ. وَقَالَ أَبو بَكْرٍ الآجُرِّيُّ[(٧)] وَغَيْرُهُ النُّصْحُ لَهُ يَقْتَضِي نُصْحَيْنِ نُصْحاً فِي حَيَاتِهِ وَنُصْحاً بَعْدَ مَمَاتِهِ فَفِي حَيَاتِهِ نُصْحُ أَصْحَابِهِ لَهُ بِالنَّصْرِ وَالْمُحَامَاةِ عَنْهُ وَمُعَادَاةِ مَنْ عَادَاهُ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَهُ وَبَذْلِ النُّفُوسِ وَالأَمْوَالِ دُونَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] الآيَةَ: وَقَالَ: ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الحشر: ٨] الآيَةِ، وَأَمَّا نَصِيحَةُ الْمُسْلِمِينَ لَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ فَالْتِزَامُ التَّوْقِيرِ وَالإِجْلاَلِ وشِدَّةُ الْمَحَبَّةِ لَهُ وَالْمُثَابَرَةُ عَلَى تَعَلُّمِ سُنَّتِهِ وَالتَّفَقُّهُ فِي شَرِيعَتِهِ وَمَحَبَّةُ آلِ بَيْتِهِ وأَصْحَابِهِ وَمُجَانَبَةُ مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِ وَانْحَرَفَ عَنْهَا

---

(١) إن الدين النصيحة.. الحديث/ أخرجه الإمام مسلم في الصحيح الحديث: ٥٥ في الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة، وأبو داود في السنن الحديث: ٤٩٤٤، في الأدب باب في النصيحة، والنسائي في السنن ٧/ ١٥٦ في البيعة باب النصيحة للإمام.

(٢) أبو سليمان البستي.

(٣) أبو إسحاق تقدمت ترجمته.

(٤) أبو سليمان تقدمت ترجمته.

(٥) أبو بكر تقدمت ترجمته.

(٦) أبو إبراهيم إسحاق التجيبي ترجمته تقدمت.

(٧) أبو بكر الآجري تقدمت ترجمته.

وَبُغْضُهُ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ وَالشَّفَقَةُ عَلَى أُمَّتِهِ وَالْبَحْثُ عَنْ تَعَرُّفِ أَخْلَاقِهِ وَسِيَرِهِ وَآدَابِهِ وَالصَّبْرُ عَلَى ذَٰلِكَ: فَعَلَى مَا ذَكَرَهُ تَكُونُ النَّصِيحَةُ إِحْدَى ثَمَراتِ المَحَبَّةِ وَعلَامَةٌ مِنْ علَامَاتِهَا كَمَا قَدَّمْنَاهُ؛ وَحَكَى الإِمَامُ أبو القَاسِمِ القُشَيْرِيُّ(١) أَنَّ عَمْرَو بنَ اللَّيْثِ(٢) أَحَدَ مُلُوكِ خُرَاسَانَ وَمَشَاهِيرِ الثُّوَّارِ المَعْرُوفَ بِالصَّفَّارِ رُئِيَ في النَّوْمِ فَقِيلَ لَهُ مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ؟ فَقَالَ غَفَرَ لِي، فَقِيلَ بِمَاذَا؟ قَالَ صَعِدْتُ ذِرْوَةَ جَبَلٍ يَوْماً فَأَشْرَفْتُ عَلَى جُنُودِي فَأَعْجَبَتْنِي كَثْرَتُهُمْ فَتَمَنَّيْتُ أَنِّي حَضَرْتُ رسولَ الله ﷺ فَأَعَنْتُهُ وَنَصَرْتُهُ فَشَكَرَ اللهُ لِي ذَٰلِكَ وَغَفَرَ لِي.

وَأَمَّا النُّصْحُ لِأَئِمةِ المُسْلِمِينَ فَطَاعَتُهُمْ فِي الحَقِّ وَمَعُونَتُهُمْ فِيهِ وَأَمْرُهُمْ بِهِ وَتَذْكِيرُهُمْ إِيَّاهُ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهٍ وَتَنْبِيهُهُمْ عَلَى مَا غَفَلُوا عَنْهُ وَكُتِمَ عَنْهُمْ مِنْ أُمُورِ المُسْلِمِينَ وَتَرْكُ الخُرُوجِ عَلَيْهِمْ وَتَضْرِيبِ النَّاسِ وَإفْسَادِ قُلُوبِهِمْ عَلَيْهِمْ وَالنُّصْحُ لِعَامَّةِ المُسْلِمِينَ إِرْشَادُهُمْ إلى مَصَالِحِهِمْ وَمَعُونَتُهُمْ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ بِالْقَوْلِ وَالفِعْلِ وَتَنْبِيهُ غَافِلِهِمْ وَتَبْصِيرُ جاهِلِهِمْ وَرِفْدُ مُحْتَاجِهِمْ وَسَتْرُ عَوْرَاتِهِمْ وَدَفْعُ المَضَارِّ عَنْهُمْ وَجَلْبُ المَنَافِعِ إِلَيْهِمْ.

---

(١) أبو القاسم القشيري تقدمت ترجمته.

(٢) عمرو بن الليث. تقدمت ترجمته.

الباب الثالث

في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره

وفيه سبعة فصول:

الباب الثالث

في تَعْظِيمِ أَمْرِهِ وَوُجُوبِ تَوْقِيرِهِ وَبِرِّهِ

الفصل الأول: ما وردَ في ذلك

قــال الله تــعــالـــى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٨ ـ ٩] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]؛ و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوٓا أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] الثَّلاثُ الآياتِ وقال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣] فأَوجَبَ تَعالَى تَعْذِيرَهُ وَتَوْقِيرَهُ وَأَلْزَمَ إِكْرَامَهُ وَتَعْظِيمَهُ؛ قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ[(١)] تُعَزِّرُوهُ تُجِلُّوهُ وَقَالَ المُبَرِّدُ تُعَزِّرُوهُ تُبَالِغُوا فِي تَعْظِيمِهِ؛ وَقَالَ الأَخْفَشُ[(٢)] تَنْصُرُونَهُ؛ وَقَالَ الطَّبَرِيُّ[(٣)] تُعِينُونَهُ، وَقُرِىءَ تُعَزِّزُوهُ بِزاءَيْنِ مِنَ العِزِّ؛ وَنَهَى عَنِ التَّقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالقَوْلِ وَسُوءِ الأَدَبِ بِسَبْقِهِ بِالكَلامِ عَلَى قَوْلِ ابنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ وَهُوَ اخْتِيارُ ثَعْلَبٍ، قَالَ سَهْلُ بنُ عَبدِ الله لا تَقُولُوا قَبْلَ أَنْ يَقُولَ وَإِذَا قَالَ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا، وَنُهُوا عَنِ التَّقَدُّمِ وَالتَّعَجُّلِ بِقَضَاءِ أَمْرٍ قَبْلَ قَضَائِهِ فِيهِ وَأَنْ يَفْتَاتُوا بِشَيْءٍ فِي ذٰلِكَ مِنْ قِتَالٍ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ إِلاَّ بِأَمْرِهِ وَلاَ يَسْبِقُوهُ بِهِ، وَإِلَى هٰذَا يَرْجِعُ قَوْلُ الحَسَنِ[(٤)] وَمُجَاهِدٍ[(٥)] وَالضَّحَّاكِ[(٦)] وَالسُّدِّيِّ[(٧)] وَالثَّوْرِيِّ[(٨)] ثُمَّ وَعَظَهُمْ وَحَذَّرَهُمْ مُخَالَفَةَ ذٰلِكَ فَقَالَ: ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١] قَالَ المَاوَرْدِيُّ[(٩)] اتَّقُوهُ يَعْنِي فِي التَّقَدُّمِ، وَقَالَ السُّلَمِيُّ[(١٠)] اتَّقُوا الله فِي إِهْمَالِ حَقِّهِ وَتَضْيِيعِ حُرْمَتِهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ لِقَوْلِكُمْ عَلِيمٌ بِفِعْلِكُمْ، ثُمَّ نَهَاهُمْ عَنْ رَفْعِ الصَّوْتِ فَوْقَ صَوْتِهِ وَالجَهْرِ لَهُ بِالقَوْلِ كَمَا يَجْهَرُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ، وَقِيلَ كَمَا يُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِاسْمِهِ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ مَكِّيٌّ[(١١)] أَيْ لاَ تُسَابِقُوهُ بِالكَلاَمِ وَتُغْلِظُوا لَهُ بِالخِطَبِ وَلاَ تُنَادُوهُ بِاسْمِهِ نِدَاءَ بَعْضِكُمْ

---

(١) ابن عباس: تقدمت ترجمته.
(٢) الأخفش: تقدمت ترجمته.
(٣) الطبري: تقدمت ترجمته.
(٤) الحسن: تقدمت ترجمته.
(٥) مجاهد: تقدمت ترجمته.
(٦) الضحاك: تقدمت ترجمته.
(٧) السدي: تقدمت ترجمته.
(٨) الثوري: هو أبو عبد الله من أتباع التابعين بالكوفة، وكان من الحفاظ المتقين والفقهاء في الدين، ممن لزم الحديث والفقه وواظب على العبادة والورع حتى صار علماً يرجع إليه في الأمصار وملجئاً يقتدى به في الأقطار توفي بالبصرة سنة ١٦١هـ ويعرف بسفيان الثوري. ترجمته في المشاهير: ١٦٧.
(٩) الماوردي: هو أبو الحسن الماوردي علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري تفقه على أبي القاسم الصميري بالبصرة، ارتحل إلى الشيخ أبي حامد الأسفراييني درس بالبصرة وبغداد سنين، كان حافظاً للمذهب توفي ببغداد سنة ٤٥٠ هـ ترجمته في: الحسيني ١٥١، السبكي ٣/٣٠٣، وابن خلكان ٢/٤٤٤.
(١٠) السلمي. تقدمت ترجمته.
(١١) أبو محمد مكي. تقدمت ترجمته.

لِبَعْضٍ وَلٰكِنْ عَظِّمُوهُ وَوَقِّرُوهُ وَنَادُوهُ بِأَشْرَفِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُنَادِى بِهِ: يَا رَسُولَ اللهِ يَا نَبِيَّ اللهِ؛ وَهٰذَا كَقَوْلِهِ فِي الآيَةِ الأُخْرَى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور:٦٣] عَلَى أَحَدِ التَّأْوِيلَيْنِ وَقَالَ غَيْرُهُ لاَ تُخَاطِبُوهُ إلاَّ مُسْتَفْهِمِينَ؛ ثُمَّ خَوَّفَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِحَبْطِ أَعْمَالِهِمْ إنْ هُمْ فَعَلُوا ذٰلِكَ وَحَذَّرَهُمْ مِنْهُ؛ قِيلَ نَزَلَتِ الآيَةُ فِي وَفْدِ بَنِي تَمِيمٍ وَقِيلَ فِي غَيْرِهِمْ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَنَادُوهُ يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ اخْرُجْ إِلَيْنَا فَذَمَّهُمُ اللهُ تَعَالَى بِالجَهْلِ وَوَصَفَهُمْ بِأَنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ؛ وَقِيلَ نَزَلَتِ الآيَةُ الأُولَى فِي مُحَاوَرَةٍ كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ[١] وَعُمَرَ[٢] بَيْنَ يَدَيِ النبيِّ ﷺ وَاخْتِلاَفٍ جَرَى بَيْنَهُمَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا[٣] وَقِيلَ نَزَلَتْ فِي ثَابِتِ بنِ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ[٤] خَطِيبِ النبي ﷺ فِي مُفَاخَرَةِ بَنِي تَمِيمٍ وَكَانَ فِي أُذُنَيْهِ صَمَمٌ فَكَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ: فَلَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ أَقَامَ فِي مَنْزِلِهِ وَخَشِيَ أَنْ يَكُونَ حَبِطَ عَمَلُهُ ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللهِ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ هَلَكْتُ؛ نَهَانَا اللهُ أَنْ نَجْهَرَ بِالقَوْلِ وَأَنَا امْرُؤٌ جَهِيرُ الصَّوْتِ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا ثَابِتُ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ حَمِيداً وَتُقْتَلَ شَهِيداً وَتَدْخُلَ الجَنَّةَ؟**»[٥] فَقُتِلَ يَوْمَ اليَمَامَةِ؛ وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ[٦] لَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ قَالَ وَاللهِ يا رسولَ الله لاَ أُكَلِّمُكَ بَعْدَهَا إلاَّ كَأَخِي السِّرَارِ وَأَنَّ عُمَرَ[٧] كَانَ إِذَا حَدَّثَهُ حَدَّثَهُ كَأَخِي السِّرَارِ مَا كَانَ يُسْمِعُ رسولَ الله ﷺ بَعْدَ هٰذِهِ الآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات:٣] وَقِيلَ نَزَلَتْ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ [الحجرات:٤] فِي غَيْرِ بَنِي تَمِيمٍ نَادَوْهُ بِاسْمِهِ، وَرَوَى صَفْوَانُ بنُ عَسَّالٍ[٨] بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي سَفَرٍ إِذْ نَادَاهُ أَعْرَابِيٌّ بِصَوْتٍ لَهُ جَهْوَرِيٍّ أيا مُحَمَّدُ أيا مُحَمَّدُ فَقُلْنَا لَهُ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ فَإِنَّكَ قَدْ نُهِيتَ عَنْ رَفْعِ الصَّوْتِ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) أبو بكر الصديق رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٢) عمر بن الخطاب رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٣) أخرج القصة الإمام الترمذي في السنن ٥/ ٣٨٧.

(٤) ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري. كنيته أبو عبد الرحمن قال فيه النبي ﷺ: نعم الرجل ثابت بن قيس بن الشماس».
ترجمته في الثقات ٣/ ٤٣ والإصابة: ١/ ١٩٥.

(٥) يا ثابت أما ترضى أن تعيش.. الحديث/ أخرجه الإمام مسلم في الصحيح الحديث: ١١٠، وابن كثير في تفسيره: ٤/ ٤٠٦، والقرطبي في التفسير: ١٦/ ٣٠، والواقدي: ٢١٨.

(٦) أبو بكر تقدمت ترجمته.

(٧) عمر تقدمت ترجمته.

(٨) صفوان بن عسال المرادي سكن الكوفة، حديث صفوان عند أهل الكوفة ترجمته في الثقات ٣/ ١٩٢، والإصابة ٢/ ١٩٠.

ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ [البقرة:١٠٤] قَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ: هِيَ لُغَةٌ كَانَتْ فِي الأَنْصَارِ نُهُوا عَنْ قَوْلِهَا تَعْظِيماً لِلنَّبِيِّ[١] ﷺ وَتَبْجِيلاً لَهُ لِأَنَّ مَعْنَاهَا ارْعَنَا نَرْعَكَ فَنُهُوا عَنْ قَوْلِهَا إِذْ مُقْتَضَاهَا كَأَنَّهُمْ لاَ يَرْعَوْنَهُ إِلاَّ بِرِعَايَتِهِ لَهُمْ بَلْ حَقُّهُ أَنْ يُرْعَى عَلى كُلِّ حال وَقِيلَ كَانَتِ اليَهُودُ تُعَرِّضُ بِهَا لِلنبيِّ ﷺ بالرُّعُونَةِ فَنُهِيَ المُسْلِمُونَ عَنْ قَوْلِهَا قَطْعاً لِلذَّرِيعَةِ وَمَنْعاً لِلتَّشَبُّهِ بِهِمْ فِي قَوْلِهَا لِمُشَارَكَةِ اللَّفْظَةِ، وَقِيلَ غَيْرُ هٰذَا.

الفصل الثاني: فِي عَادَةِ الصَّحَابَةِ فِي تَعْظِيمِهِ ﷺ وتوقِيرِهِ وَإِجْلاَلِهِ

[حدثنا القاضِي أبو عَلِيٍّ الصَّدَفِيُّ وأبو بَحْرٍ الأَسَدِيُّ بِسَمَاعِي عَلَيْهِمَا فِي آخَرِينَ قَالُوا حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ عُمَرَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ الحَسَنِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ عِيسَى حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بنُ سُفْيَانَ حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ مُثَنَّى وَأَبُو مَعْنٍ الرَّقَّاشِيُّ وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالُوا حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ بْنُ مَخْلَدٍ حَدَّثَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْح حدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ عَنِ ابْنِ شُمَاسَةَ المَهْرِيِّ قَالَ حَضرنا عَمرو بْنَ العَاص فَذَكَرَ حَدِيثاً طَوِيلاً فِيهِ][٢] عَنْ عَمْرو قَالَ وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ وَلاَ أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلالاً وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنِي مِنْهُ.

وَرَوَى التِّرْمِذِي عَنْ أَنَسٍ[٣] أَنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يَخْرُجُ عَلى أَصْحَابِهِ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصارِ وَهُمْ جُلُوسٌ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ[٤] وَعُمَرُ[٥] فَلاَ يَرْفَعُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَيْهِ بَصَرَهُ إِلاَّ أَبُو بَكْر وَعُمَرُ فَإِنَّهُمَا كَانَ يَنْظُرَانِ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمَا وَيَتَبَسَّمَانِ إِلَيْهِ وَيَتَبَسَّمُ لَهُمَا.

وَرَوَى أُسَامَةُ بْنُ شَرِيكٍ[٦] قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وأَصْحَابُهُ حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ.

وَفِي حَدِيثِ صِفَتِهِ إِذَا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جُلَسَاؤُهُ كَأَنَّمَا على رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ.

---

(١) بينا النبي ﷺ في سفر إذ ناداه.. الحديث/ أخرجه الإمام الترمذي في السنن ٥/٥٤٥، والنسائي في السنن..

(٢) [....] ص ٣٧ ـ ٣٨ ساقطة من نسخة دمشق المحققة.

(٣) أنس: تقدمت ترجمته.

(٤) أبو بكر: تقدمت ترجمته.

(٥) عمر: تقدمت ترجمته.

(٦) أسامة بن شريك الثعلبي العامري سكن الكوفة وعنه أخذ أهلها. ترجمته في الثقات ٣/ ٢ والإصابة: ١/ ٣١، والطبقات: ٦/ ٢٧.

وقالَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ[1] حِينَ وَجَّهَتْهُ قُرَيْشٌ عامَ القَضِيَّةِ إلى رسولِ الله ﷺ وَرَأى مِنْ تَعْظِيمِ أَصْحَابِهِ لَهُ مَا رَأى وَأَنَّهُ لاَ يَتَوَضَّأُ إلاَّ ابْتَدَرُوا وَضُوءَهُ وكادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَيْهِ وَلا يَبْصُقُ بُصَاقاً وَلاَ يَتَنَخَّمُ نُخَامَةً إلاَّ تَلَقَّوْهَا بِأَكُفِّهِمْ فَدَلَكُوا بِهَا وُجُوهَهُمْ وَأَجْسَادَهُمْ وَلاَ تَسْقُطُ مِنْهُ شَعَرَةٌ إلاَّ ابْتَدَرُوهَا وَإِذَا أَمَرَهُمْ بِأَمْرٍ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيماً لَهُ فَلَمَّا رَجَعَ إلَى قُرَيْشٍ قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إنِّي جِئْتُ كِسْرَى[2] فِي مُلْكِهِ وَقَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ وَالنَّجَاشِيَّ[3] فِي مُلْكِهِ وَإِنِّي وَاللهِ مَا رَأَيْتُ مَلِكاً فِي قَوْمٍ قَطُّ مِثْلَ محمدٍ فِي أَصْحَابِهِ؛ وَفِي رِوَايَةٍ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكاً قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ ما يُعَظِّمُ محمداً أَصْحَابُهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ قَوْماً لاَ يُسْلِمُونَهُ أَبداً.

وعن أنسٍ[4] لَقَدْ رَأَيْتُ رسولَ الله ﷺ وَالحَلاَّقُ يَحْلِقُهُ وَأَطَافَ بِهِ أَصْحَابُهُ فَمَا يُرِيدُونَ أَنْ تَقَعَ شَعَرَةٌ إلاَّ فِي يَدِ رَجُلٍ وَمِنْ هٰذَا لَمَّا أَذِنَتْ قُرَيْشٌ لِعُثْمَانَ فِي الطَّوَافِ بِالبَيْتِ حِينَ وَجَّهَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ فِي القَضِيَّةِ أَبَى وَقَالَ ما كُنْتُ لِأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ.

وفي حديثِ طَلْحَةَ[5] أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ الله ﷺ قالُوا لِأَعْرَابِيٍّ جاهِلٍ سَلْهُ عَمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ، وَكَانُوا يَهَابُونَهُ وَيُوقِّرُونَهُ، فَسَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ إِذْ طَلَعَ طَلْحَةُ[6] فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: **«هٰذَا مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ»**[7].

وفي حديثِ قَيْلَةَ: فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ جالساً القُرْفُصَاءَ أُرْعِدْتُ مِنَ الفَرَقِ وَذٰلِكَ هَيْبَةً لَهُ وَتَعْظِيماً؛ وفي حديثِ المُغِيرَةِ كانَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ يَقْرَعُونَ بَابَهُ بِالأَظَافِرِ.

وقَالَ البَرَاءُ بنُ عازِبٍ لَقَدْ كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ رَسُولَ الله ﷺ عن الأَمْرِ فَأُؤَخِّرُ سِنِينَ مِنْ هَيْبَتِهِ.

---

(١) عروة بن مسعود الثقفي كنيته أبو مسعود له صحبة ترجمته في الثقات ٣/ ٣١٣ والإصابة: ٢/ ٤٧٧.

(٢) كسرى. تقدمت ترجمته.

(٣) النجاشي. تقدمت ترجمته.

(٤) أنس. تقدمت ترجمته.

(٥) طلحة بن عمرو البصري سكن البصرة يعد من أصحاب الصفة حديثه عند أهل البصرة ترجمته في الثقات ٣/ ٢٠٤ والإصابة ٢/ ٢٣١، والحلية ١/ ٣٧٤.

(٦) طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٧) هذا ممن قضى نحبه.. الحديث/ أخرجه الإمام الترمذي في السنن الحديث: ٣٢٠٣، ٣٧٤٢. وابن ماجه في السنن الحديث: ٢٦ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣٣٣٦٦، ٣٦٥٩٩ والسيوطي في الدر المنثور ٥/ ١٩١ والقرطبي في التفسير ١٤/ ١٥٩، والطبري في تفسيره ٢١/ ٩٣، وابن كثير في البداية والنهاية: ٧/ ٢٤٨.

الفصل الثالث: حرمته وتوقيره ﷺ

وَاعلَمْ أن حُرْمَةَ النَّبيِّ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهِ وَتَوْقِيرَهُ وَتَعْظِيمَهُ لازِمٌ كما كانَ حالَ حَيَاتِهِ وَذٰلِكَ عِنْدَ ذِكْرِهِ ﷺ وذِكْرِ حَدِيثِهِ وَسُنَّتِهِ وَسَمَاعِ اسْمِهِ وَسِيرتِهِ وَمُعَامَلَةِ آلِهِ وَعِتْرَتِهِ وَتَعْظِيمِ أَهْلِ بَيْتِهِ وَصَحَابَتِهِ.

قال أبو إِبْرَاهِيمَ التَّجِيبيُّ[١] وَاجِبٌ على كُلِّ مُؤْمِنٍ مَتَى ذَكَرَهُ أَوْ ذُكِرَ عِنْدَهُ أَنْ يَخْضَعَ وَيَخْشَعَ وَيَتَوقَّرَ وَيَسْكُنَ مِنْ حَرَكَتِهِ وَيَأْخُذَ في هَيْبَتِهِ وَإِجْلالِهِ بِمَا كَانَ يَأْخُذُ بِهِ نَفْسَهُ لَوْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَتأدَّبَ بِمَا أَدَّبَنَا الله بِهِ.

قال القاضِي أبو الفَضْلِ[٢] وَهٰذِهِ كانَتْ سِيرَةُ سَلَفِنَا الصَّالِحِ وَأَئِمَّتِنَا الماضِينَ رَضِيَ الله عَنْهُم.

[حَدَّثَنَا القَاضِي أبو عبدِ الله مُحمَّدُ بنُ عبد الرَّحْمٰن الأشْعَرِيُّ وَأَبُو القَاسِمِ أَحْمَدُ بنُ بَقِيٍّ الحَاكِمُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ فِيمَا أَجَازُونِيهِ قَالُوا أَخْبَرَنَا أَبو العَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ دِلْهَاثٍ قالَ حَدَّثَنَا أبو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ فِهْرٍ حَدَّثَنَا أبو بَكْرٍ محمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بنُ الفَرَجِ حَدَّثَنَا أبو الحَسَنِ عَبْدُ الله بْنُ المُنْتَابِ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بنُ أبي إِسْرَائِيلَ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ][٣] قالَ نَاظَرَ أَبُو جَعْفَرٍ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ[٤] مَالِكاً[٥] في مَسْجِدِ رسولِ الله ﷺ فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ لاَ تَرْفَعْ صَوْتَكَ في هٰذَا المَسْجِدِ فَإِنَّ الله تَعَالَى أَدَّبَ قَوْماً فَقَالَ: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] الآية: وَمَدَحَ قَوْماً فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٤] الآيَةَ، وَذَمَّ قَوْماً فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ [الحجرات: ٤] الآيَةَ وإِنَّ حُرْمَتَهُ مَيْتاً كَحُرْمَتِهِ حَيّاً فَاسْتَكَانَ لَهَا أبو جَعْفَرٍ[٦] وَقَالَ يَا أَبَا عبدِ الله[٧] أَسْتَقْبِلُ القِبْلَةَ وَأَدْعُو أَمْ أَسْتَقْبِلُ رَسُولَ الله ﷺ؟ فَقَالَ: وَلِمَ تَصْرِفُ وَجْهَكَ عَنْهُ وَهُوَ وَسِيلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ آدَمَ عَلَيْهِ السلامُ إِلَى الله تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ؟ بَلْ اسْتَقْبِلْهُ وَاسْتَشْفِعْ بِهِ فَيُشَفِّعَهُ الله قَالَ الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ٦٤] الآيَةَ.

---

(١) أبو إبراهيم التجيبي تقدمت ترجمته.
(٢) القاضي أبو الفضل تقدمت ترجمته.
(٣) [. . . .] ص (٢٠ ـ ٤١) ساقطة من نسخة دمشق.
(٤) أبو جعفر أمير المؤمنين، تقدمت ترجمته.
(٥) مالك. تقدمت ترجمته.
(٦) أبو جعفر. تقدمت ترجمته.
(٧) أبو عبد الله. تقدمت ترجمته.

وقال مالك[١] ـ وَقَدْ سُئِلَ عن أَيُوبَ السَّخْتِيَانِي[٢] ـ مَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ أَحَدٍ إلاَّ وَأَيُّوبُ أَفْضَلُ مِنْهُ، قَالَ وَحَجَّ حَجَّتَيْنِ فَكُنْتُ أَرْمُقُهُ وَلاَ أَسْمَعُ مِنْهُ غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا ذُكِرَ النبيُّ ﷺ بَكَى حَتَّى أَرْحَمَهُ فَلَمَّا رَأَيْتُ مِنْهُ مَا رَأَيْتُ وَإِجْلاَلَهُ لِلنبيِّ ﷺ كَتَبْتُ عَنْهُ.

وقَالَ مُصْعَبُ بنُ عبدِ الله[٣] كَانَ مَالِكٌ إِذَا ذُكِرَ النبيُّ ﷺ يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ وَيَنْحَنِي حَتَّى يَصْعُبَ ذٰلِكَ عَلَى جُلَسَائِهِ فَقِيلَ لَهُ يَوْماً في ذٰلِكَ فَقَالَ لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَمَا أَنْكَرْتُمْ عَلَيَّ مَا تَرَوْنَ وَلَقَدْ كُنْتُ أَرَى مُحَمَّدَ بنَ الْمُنْكَدِرِ[٤] وَكَانَ سَيِّدَ الْقُرَّاءِ لاَ نَكَادُ نَسْأَلُهُ عَنْ حَدِيثٍ أَبَداً إلاَّ يَبْكِي حَتَّى نَرْحَمَهُ وَلَقَدْ كُنْتُ أَرَى جعفرَ بنَ مُحَمَّدٍ[٥] وَكَانَ كَثِيرَ الدُّعَابَةِ وَالتَّبَسُّمِ فَإِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ النبيُّ ﷺ اصْفَرَّ وَمَا رَأَيْتُهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ إلاَّ عَلَى طَهَارَةٍ، وَلَقَدِ اخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ زَمَاناً فَمَا كُنْتُ أَرَاهُ إلاَّ عَلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ إِمَّا مُصَلِّياً وَإِمَّا صَامِتاً وَإِمَّا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَلاَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لاَ يَعْنِيهِ وَكَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَّادِ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ الله عَزَّ وَجَلَّ.

وَلَقَدْ كَانَ عبدُ الرحمنِ بنُ القَاسِمِ[٦] يَذْكُرُ النبيَّ ﷺ فَيُنْظَرُ إِلَى لَوْنِهِ كَأَنَّهُ نُزِفَ مِنْهُ الدَّمُ وَقَدْ جَفَّ لِسَانُهُ فِي فَمِهِ هَيْبَةً مِنْهُ لِرَسُولِ الله ﷺ.

وَلَقَدْ كُنْتُ آتِي عَامِرَ بنَ عبدِ الله بنَ الزُّبَيْرِ[٧] فَإِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ النبيُّ ﷺ بَكَى حَتَّى لاَ يَبْقَى فِي عَيْنَيْهِ دُمُوعٌ.

وَلَقَدْ رَأَيْتُ الزُّهْرِيَّ[٨] وَكَانَ مِنْ أَهْنَأ النَّاسِ وَأَقْرَبِهِمْ فَإِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ النبيُّ ﷺ فَكَأَنَّهُ مَا عَرَفَكَ وَلاَ عَرَفْتَهُ.

لَقَدْ كُنْتُ آتِي صَفْوَانَ بنَ سُلَيْمٍ[٩] وَكَانَ مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ الْمُجْتَهِدِينَ فَإِذَا ذُكِرَ النبيُّ ﷺ بَكَى فَلاَ يَزَالُ يَبْكِي حَتَّى يَقُومَ النَّاسُ عَنْهُ وَيَتْرُكُوهُ.

---

(١) مالك. تقدمت ترجمته.

(٢) أيوب السختياني. تقدمت ترجمته.

(٣) مصعب بن عبد الله. تقدمت ترجمته.

(٤) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهذير التيمي. توفي سنة ٣٠ هـ وقيل سنة ٣١ هـ ترجمته في تذكرة الحفاظ: ١/١٢٧، وتهذيب التهذيب ٩/٣٧٣ وخلاصة تذهيب الكمال: ٣٠٨.

(٥) جعفر بن محمد. تقدمت ترجمته.

(٦) عبد الرحمن بن القاسم. تقدمت ترجمته.

(٧) عامر بن عبد الله بن الزبير. تقدمت ترجمته.

(٨) الزهري محمد بن مسلم بن عبيد الله القرشي كنيته أبو بكر من أحفظ أهل زمانه للسنن وأحسنهم سياقاً كان فقيهاً فاضلاً توفي سنة ١٢٤ هـ ترجمته في المشاهير: ٦٦.

(٩) صفوان بن سُلَيم تقدمت ترجمته.

وَرُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ[١] أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَمِعَ الحدِيثَ أَخَذَهُ العَوِيلُ وَالزَّوِيلُ. وَلَمَّا كَثُرَ عَلى مَالِكٍ[٢] النَّاسُ قِيلَ لَهُ لَوْ جَعَلْتَ مُسْتَمْلِياً[٣] يُسْمِعُهُمْ، فَقَالَ قال الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] وَحُرْمَتُهُ حَيّاً وَمَيِّتاً سَوَاءٌ. وَكَانَ ابنُ سِيرِينَ رُبَّمَا يَضْحَكُ فإذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ حَدِيثُ النَّبِيِّ ﷺ خَشَعَ. وكانَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ مَهْدِيٍّ[٤] إذَا قَرَأَ حَدِيثَ النبيِّ ﷺ أَمَرَهُمْ بِالسُّكُوتِ وَقَالَ: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] وَيَتَأَوَّلُ أَنَّهُ يَجِبُ لَهُ مِنَ الإِنْصَاتِ عِنْدَ قِرَاءَةِ حَدِيثِهِ مَا يَجِبُ لَهُ عِنْدَ سِمَاعِ قَوْلِهِ.

الفصل الرابع: في سيرة السلف في تعظيم رواية حدِيثِ رسول الله ﷺ وسنته

[حَدَّثَنَا الحُسَيْنُ بنُ مُحَمَّدٍ الحافِظُ حَدَّثَنَا أبو الفَضْلِ بنُ خَيْرُونَ حَدَّثَنَا أَبو بَكْرٍ البَرْقَانِيُّ وَغَيْرُهُ حَدَّثَنَا أبو الحَسَنِ الدَّارقُطْنِيُّ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بنُ مُبَشِّرٍ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ سِنَانٍ القَطَّانُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بنُ هَارُونَ حَدَّثَنَا المَسْعُودِي عَنْ مُسْلم البَطِينِ عَن عَمْرِو بنِ مَيْمُون[٥] قَالَ اخْتَلَفْتُ إِلى ابنِ مَسْعُودٍ[٦] سَنَةً فَمَا][٧] سَمِعْتُهُ يَقُولُ قَالَ رسولُ الله ﷺ إلاَّ أَنَّهُ حَدَّثَ يَوْماً فَجَرَى عَلى لِسَانِهِ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ عَلاهُ كَرْبٌ حَتَّى رَأَيْتُ العَرَقَ يَتَحَدَّرُ عَنْ جَبْهَتِهِ ثُمَّ قَالَ هٰكَذَا إنْ شَاءَ الله أَوْ فَوْقَ ذَا أَوْ مَا دُونَ ذَا أَوْ مَا هُوَ قَرِيبٌ مِنْ ذَا.

وَفِي رِوَايَةٍ فَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ وَفِي رِوايَةٍ وَقَدْ تَغَرْغَرَتْ عَيْنَاهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ:

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بنُ عَبْدِ الله بنُ قُرَيْمٍ الأَنْصَارِيُّ[٨] قَاضِي المدِينَةِ مَرَّ مَالِكُ[٩] بنُ أنس على أبي حازِمٍ[١٠] وَهُوَ يُحَدِّثُ فَجَازَهُ وَقَالَ إِنِّي لَمْ أَجِدْ مَوْضِعاً أَجْلِسُ فِيهِ فَكَرِهْتُ أَنْ آخُذَ حَدِيثَ رسولِ الله ﷺ وَأَنَا قَائِم.

---

(١) قتادة. تقدمت ترجمته.

(٢) مالك. تقدمت ترجمته.

(٣) ابن سيرين. تقدمت ترجمته.

(٤) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري مولاهم كنيته أبو سعيد البصري ثقة، ثبت حافظ عارف بالرجال والحديث، قال ابن المديني ما رأيت أعلم منه من الطبقة التاسعة توفي سنة ١٩٨ هـ ترجمته في تقريب التهذيب: ١/ ٤٩٩.

(٥) [. . . .] ص ٤٣ ساقطة من نسخة دمشق.

(٦) عمرو بن ميمون تقدمت ترجمته.

(٧) ابن مسعود تقدمت ترجمته.

(٨) إبراهيم بن عبد الله بن قريم الأنصاري تقدمت ترجمته.

(٩) ما تقدمت ترجمته.

(١٠) أبو حازم. تقدمت ترجمته.

وَقَالَ مَالِكٌ جَاءَ رَجُلٌ إلى ابنِ المُسَيَّبِ[١] فَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيثٍ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ فَجَلَسَ وَحَدَّثَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ وَدِدْتُ أَنَّكَ لَمْ تَتَعَنَ فَقَالَ إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَحَدِّثَ عَنْ رسولِ الله ﷺ وأنا مُضْطَجِع.

وَرُوِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ سِيرينَ[٢] أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ يَضْحَكُ فإذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ حَدِيثُ النَّبِيِّ ﷺ خَشَعَ.

وَقَالَ أبو مُصْعَبٍ[٣] كَانَ مَالِكُ بنُ أنسٍ[٤] لاَ يُحَدِّثُ بِحَدِيثِ رسولِ الله ﷺ إلاَّ وَهُوَ على وُضُوءٍ إجْلاَلاً لَهُ.

وَحَكَى مَالِكٌ ذٰلِكَ عَنْ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ[٥].

وَقَالَ مُصْعَبُ بنُ عَبْدِ الله كَانَ مالِكُ بنُ أنسٍ إذَا حَدَّثَ عَنْ رَسولِ الله ﷺ تَوَضَّأَ وَتَهَيَّأَ وَلَبِسَ ثِيَابَهُ ثُمَّ يُحدثُ قَالَ مُصْعَبُ فَسُئِلَ عَنْ ذٰلِكَ فَقَالَ إنَّهُ حَدِيثُ رَسُولِ الله ﷺ.

قَالَ مُطَرِّفٌ كَانَ إذَا أَتَى النَّاسُ مَالِكاً خَرَجَتْ إِلَيْهِمُ الْجَارِيَةُ فَتَقُولُ لَهُمْ يَقُولُ لَكُمْ الشَّيْخُ تُرِيدُونَ الْحَدِيثَ أَوِ الْمَسَائِلَ؟ فَإِنْ قَالُوا الْمَسَائِلَ خَرَجَ إِلَيْهِمْ وَإِنْ قَالُوا الْحَدِيثَ دَخَلَ مُغْتَسَلَهُ وَاغْتَسَلَ وَتَطَيَّبَ وَلَبِسَ ثِيَاباً جُدُداً وَلَبِسَ سَاجَهُ وَتَعَمَّمَ وَوَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ رِدَاءَهُ وَتُلْقَى لَهُ مِنَصَّةٌ فَيَخْرُجُ فَيَجْلِسُ عَلَيْهَا وَعَلَيْهِ الْخُشُوعُ وَلاَ يَزَالُ يُبَخِّرُ بِالعُودِ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ حَدِيثِ رسولِ الله ﷺ قَالَ غَيْرُهُ وَلَمْ يَكُنْ يَجلِسُ عَلَى تِلْكَ الْمِنَصَّةِ إلاَّ إِذَا حَدَّثَ عَنْ رسولِ الله ﷺ.

قَالَ ابنُ أَبِي أُوَيْسٍ[٦] فَقِيلَ لِمَالِكٍ[٧] في ذٰلِكَ فَقَالَ أُحِبُّ أَنْ أُعَظِّمَ حَدِيثَ رسولِ الله ﷺ وَلاَ أُحَدِّثُ بِهِ إلاَّ عَلَى طَهَارَةٍ مُتَمَكِّناً.

قَالَ وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُحَدِّثَ فِي الطَّرِيقِ أَوْ وَهُوَ قَائِمٌ أَوْ مُسْتَعْجِلٌ وَقَالَ أُحِبُّ أَنْ أُفَهِّمَ حَدِيثَ رَسُولِ الله ﷺ.

---

(١) ابن المسيب. تقدمت ترجمته.
(٢) محمد بن سيرين. تقدمت ترجمته.
(٣) أبو مصعب تقدمت ترجمته.
(٤) مالك بن أنس تقدمت ترجمته.
(٥) جعفر بن محمد تقدمت ترجمته.
(٦) ابن أبي أويس تقدمت ترجمته.
(٧) مالك. تقدمت ترجمته.

قَالَ ضِرَارُ بْنُ مُرَّةَ(١) كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يُحَدِّثُوا عَلَى غَيْرِ وُضُوءٍ وَنَحْوُهُ عَنْ قَتَادَةَ(٢).

وَكَانَ الأَعْمَشُ(٣) إِذَا حَدَّثَ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ وُضُوءٍ تَيَمَّمَ.

قَالَ عَبدُ الله بنُ الْمُبَارَكِ(٤) كُنْتُ عِنْدَ مَالِكٍ وَهُوَ يُحَدِّثُنَا فَلَدَغَتْهُ عَقْرَبٌ سِتَّ عَشْرَةَ مَرَّةً وَهُوَ يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ وَيَصْفَرُّ وَلاَ يَقْطَعُ حَدِيثَ رَسُولِ الله ﷺ فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْمَجْلِسِ وَتَفَرَّقَ عَنْهُ النَّاسُ قُلْتُ لَهُ يَا أَبَا عَبدِ الله(٥) لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْكَ الْيَوْمَ عَجَباً قَالَ نَعَمْ إِنَّمَا صَبَرْتُ إِجْلالاً لِحَدِيثِ رسولِ الله ﷺ.

قَالَ ابنُ مَهْدِيٍّ(٦) مَشَيْتُ يَوْماً مَعَ مَالِك(٧) إِلَى الْعَقِيقِ فَسَأَلْتُهُ عَن حدِيث فَانْتَهرني وَقَالَ لِي كُنْتَ فِي عَيْنِي أَجَلَّ مِنْ أَنْ تَسْأَلَ عن حديثِ رَسُولِ الله ﷺ وَنَحْنُ نَمْشِي.

وَسَأَلَهُ جَرِيرُ بْنُ عبدِ الحميدِ القاضي(٨) عن حديثٍ وَهُوَ قَائِمٌ فَأَمَرَ بِحَبْسِهِ، فَقِيل لَهُ إِنَّهُ قَاضٍ، قَالَ: القَاضِي أَحَقُّ مَنْ أُدِّبَ.

وَذُكِرَ أَنَّ هِشَامَ بنَ الْغَازِي(٩) سَأَلَ مَالِكاً عن حَديث وَهُوَ وَاقِفٌ فَضَرَبَهُ عِشْرِينَ سَوْطاً ثُمَّ أَشْفَقَ عَلَيْهِ فَحَدَّثَهُ عِشْرِينَ حَدِيثاً فقال هِشَامٌ وَدِدْتُ لَوْ زَادَنِي سِيَاطاً وَيَزِيدُنِي حَدِيثاً.

قَالَ عبدُ الله بنُ صَالِحٍ(١٠) كَانَ مَالِكٌ وَاللَّيْثُ(١١) لاَ يَكْتُبَانِ الْحَدِيثَ إِلاَّ وَهُمَا طَاهِرَانِ.

---

(١) ضرار بن مرة. تقدمت ترجمته.

(٢) قتادة. تقدمت ترجمته.

(٣) الأعمش. تقدمت ترجمته.

(٤) عبد الله بن المبارك الإمام الرباني الزاهد كنيته أبو عبد الرحمن المروزي الحنظلي، اسمع السفيانين وروى عنه فهد بن الحسن. وابن مهدي. جمع العلم والفقه والأدب والنحو واللغة والزهد والشعر الورع والعبادة روى له جماعة وكان حجة ثقة مأموناً صنف الكتاب الكثيرة توفي سنة ١٨١ هـ. ترجمته في: التاريخ الكبير ١/ ٢١٢، والبداية والنهاية ١٠/ ١٧٧. تهذيب التهذيب ٥/ ٣٨٢، وحلية الأولياء: ٨/ ١٦٢، والجواهر المضيئة ٢/ ٢٣٤...

(٥) أبو عبد الله تقدمت ترجمته.

(٦) ابن مهدي تقدمت ترجمته.

(٧) مالك تقدمت ترجمته.

(٨) جرير بن عبد الحميد القاضي تقدمت ترجمته.

(٩) هشام.. تقدمت ترجمته.

(١٠) عبد الله بن صالح.. تقدمت ترجمته.

(١١) الليث.. تقدمت ترجمته.

وَكَانَ قَتَادَةُ[١] يَسْتَحِبُ أَنْ لاَ يَقْرَأُ أَحَادِيثَ النَّبِيِّ ﷺ إِلاَّ عَلَى وُضُوءٍ وَلاَ يُحَدِّثُ إِلاَّ عَلَى طَهَارَةٍ؛ وَكَانَ الأَعْمَشُ[٢] إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحَدِّثَ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ وُضُوءٍ تَيَمَّمَ.

الفصل الخامس: بر آله وذريته وأمهات المؤمنين

وَمِنْ تَوْقِيرِهِ ﷺ وَبِرِّهِ بِرُّ آلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَزْوَاجِهِ كَمَا حَضَّ عَلَيْهِ ﷺ وَسَلَكَهُ السَّلَفُ الصَّالِحُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣] الآيَةَ: وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

[أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبو مُحَمَّدٍ بنُ أَحْمَدَ الْعَدْلُ مِنْ كِتَابِهِ وَكَتَبْتُ مِنْ أَصْلِهِ حَدَّثَنَا أَبو الْحَسَنِ الْمُقْرِيءُ الْفَرْغَانِيُّ حدثتني أُمُّ الْقَاسِمِ بِنْتُ الشَّيْخ أَبِي بكرِ الْخَفَافِ قَالَتْ حدثني أَبِي حدثنا حاتِمٌ هُوَ ابنُ عُقَيْلٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى هُوَ ابنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا يَحْيَى هُوَ الْحِمَّانِيُّ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ أَبِيهِ عن سَعِيدِ بنِ مَسْرُوقٍ عَنْ يَزِيدَ بنِ حَيَّانَ][٣] عَنْ زَيْدِ بن أَرْقَمَ[٤] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَنْشُدُكُمُ اللهَ أَهْلَ بَيْتِي ـ ثَلاثاً ـ»**[٥] قُلْنَا لِزَيْدٍ مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ قَالَ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ الْعَبَّاسِ.

وقَالَ ﷺ: **«إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَم تَضِلُّوا: كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا»**[٦].

وَقَالَ ﷺ: **«مَعْرِفَةُ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَحُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ جَوَازٌ عَلَى الصِّرَاطِ وَالْوِلاَيَةُ لآلِ مُحَمَّد أَمَانٌ مِنَ الْعَذَابِ»**. قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مَعْرِفَتُهُمْ هِيَ مَعْرِفَةُ مَكَانِهِمْ مِنَ

---

(١) قتادة. تقدمت ترجمته.

(٢) الأعمش. هو الإمام الحافظ الثقة. أبو حامد بن حمدون بن أحمد بن رستم النيسابوري جمع حديث الأعمش واعتنى به فنسب إليه وكان يحفظ ووالده حمدون القصار أحد الزهاد توفي سنة ٣٢١ هـ. ترجمته في تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٠٥، وشذرات الذهب ٢/ ٢٨٨ ـ والعبر ٢/ ١٨٥ والنجوم الزاهرة: ٢/ ٢٨٦.

(٣) [. . . .] ص (٤٧) ساقطة من نسخة دمشق.

(٤) زيد بن أرقم رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٥) أنشدكم الله أهل بيتي. . . ثلاثاً . . الحديث/ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٥/ ٢٠٥ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣٧٥١٩. وفي شرح معاني الآثار: ٤/ ١٤٢.

(٦) إني تارك فيكم ما إن أخذتم به. . الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٣٦ ـ ٣٦٧. والدارمي في السنن ٢/ ٤٣١ ـ ٤٣٢ كتاب فضائل القرآن باب فضائل من قرأ القرآن، والترمذي في السنن ٥/ ٦٦٣ كتاب المناقب (٥٠) باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ (٣٢) الحديث: ٣٧٨٨ واللفظ له والحاكم في المستدرك ٣/ ١٤٨ كتاب معرفة الصحابة باب إني تارك فيكم الثقلين وقال على شرط الشيخين.

النَّبِيِّ ﷺ وَإِذَا عَرَفَهُمْ بِذٰلِكَ عَرَفَ وُجُوبَ حَقِّهِمْ وَحُرْمَتَهُمْ بِسَبَبِهِ.

وَعَنْ عُمَرَ بن أَبِي سَلَمَةَ(١) لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣] الآيَةَ - وَذٰلِكَ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ(٢) - دَعَا فَاطِمَةَ(٣) وَحَسَناً وَحُسَيْناً فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ وَعَلِيٌّ(٤) خَلْفَ ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ هٰؤُلاَءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً(٥).

وَعَنْ سَعْدِ بن أبي وقاص(٦) لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ المُبَاهَلَةِ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلِيّاً وَحَسَناً وَحُسَيْناً وَفَاطِمَةَ وَقَالَ: **«اللَّهُمَّ هٰؤُلاَءِ أَهْلِي»**(٧). وَقَالَ النبي ﷺ فِي عَلِيٍّ **«مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ(٨)، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاَهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ»**(٩) وَقَالَ فِيهِ: **«لاَ يُحِبُّكَ إِلاَّ مُؤْمِنٌ وَلاَ يُبْغِضُكَ إِلاَّ مُنَافِقٌ»**(١٠) وَقَالَ لِلعَبَّاسِ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لله**

---

(١) عمر بن أبي سلمة تقدمت ترجمته.

(٢) أم سلمة رضي الله عنها تقدمت ترجمتها.

(٣) فاطمة بنت النبي ﷺ تقدمت ترجمتها.

(٤) علي بن أبي طالب رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٥) اللهم هؤلاء وأهل بيتي: . . الحديث/ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ١١/٩ وابن كثير في البداية والنهاية: ٣٥/٨. والإمام أحمد برواية فيها: اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق. في ١٠٧/٤ ورواية أخرى فيها: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس في ٢٩٢/٦، ٣٠٤.

(٦) سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٧) اللهم هؤلاء أهلي. . الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٨٥/١ والبيهقي في السنن الكبرى ٦٣/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٩/٢ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣٦٤٩٦، وابن الجوزي في زاد المسير: ٣٩٩/١.

(٨) من كنت مولاة فعلي مولاه. . الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٦٨/٤ ضمن رواية مطولة، والترمذي في السنن ٦٣٣/٥. كتاب المناقب (٥٠) باب مناقب علي (٢٠) الحديث: ٣٧١٣ والحاكم في المستدرك ١٠٩/٣ - ١١٠ كتاب معرفة الصحابة باب وصية النبي ﷺ في كتاب الله.

وذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢١٧/٦ الحديث ٩٠٠٠ وعزاه للضياء وذكره المزي في تحفة الأشراف ١٩٥/٣ الحديث ٣٦٦٧ وعزاه للنسائي.

(٩) اللهم وال من ولاه. . الحديث/ أخرجه ابن ماجه في السنن الحديث: ١١٦، والإمام أحمد في المسند: ٢١٩/١، ٢٨١/٤، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٣، ٥/ ٣٧٠ - والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠٧/٩ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣٦٣٤٣، ٣٦٤٣٧، ٣٦٤٨٥، والطبراني في المعجم الكبير ٢٤١/٥، ١٢/ ١٢٢.

(١٠) لا يحبك إلا مؤمن. . الحديث/ أخرجه الإمام الترمذي في السنن الحديث ٣٧٣٦. والنسائي في السنن ١١٦/٨ والهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٣/٩ والبغوي في شرح السنة ١١٤/١٤ والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٢٨٧٨، ٣٣٠٢٨ والحميدي في المسند: ٥٨ وابن كثير في البداية والنهاية ٣٥٥/٧ والحديث في تاريخ بغداد ٤١٧/٨، ١٤/ ١٤٢٦.

ورسولِهِ وَمَنْ آذى عَمِّي فَقَدْ آذاني، وَإِنَّمَا عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ»[١] وَقَالَ لِلعباسِ: «أَغْدُ عَلَيَّ يَا عَمِّ مَعَ وَلَدِكَ»[٢] فَجَمَعَهُمْ وَجَلَّلَهُمْ بِمُلاَءَتِهِ وَقَالَ: «هٰذَا عَمِّي وَصِنْوُ أَبِي وَهٰؤُلاَءِ أَهْلُ بَيْتِي فَاسْتُرْهُمْ مِنَ النَّارِ كَسَتْرِي إِيَّاهُمْ» فَأَمَّنَتْ أُسْكُفَّةُ الْبَابِ وَحَوَائِطُ الْبَيْتِ آمِينَ آمِينَ. وَكَانَ يَأْخُذُ بِيَدِ أُسَامَةَ بن زيدٍ والحسنِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا»[٣].

وَقَالَ أبو بكرٍ[٤] رَضِيَ الله عَنْهُ ارْقُبُوا مُحَمَّداً في أَهْلِ بَيْتِهِ، وَقَالَ أَيضاً: والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رسولِ الله ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي، وَقَالَ ﷺ: «أَحَبَّ الله مَنْ أَحَبَّ حَسَناً»[٥] وَقَالَ: «مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هٰذَيْنِ[٦] - وَأَشَارَ إِلَى حَسَنٍ وَحُسَيْنٍ - وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وَقَالَ ﷺ: «مَنْ أَهَانَ قُرَيْشاً أَهَانَهُ الله»[٧] وَقَالَ ﷺ: «قَدِّمُوا قُرَيْشاً وَلاَ تَقَدَّمُوهَا» وَقَالَ ﷺ لأُمِّ سَلَمَةَ[٨]: «لاَ تُؤْذِينِي[٩] فِي عَائِشَةَ»[١٠].

وَعَنْ عُقْبَةَ بنِ الْحَارِثِ[١١] رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ وَجَعَلَ.................

---

(١) والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان.. الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٦٥ والترمذي في السنن ٢/ ٦٥٢ كتاب المناقب (٥٠) باب مناقب العباس (٢٩) الحديث ٣٧٥٨ والحاكم في المستدرك ٣/ ٣٣٣ كتاب معرفة الصحابة والحديث طويل إلا أن عياض لم يأت إلا بجزء منه. وباقي الحديث. قال للعباس: أغد عليّ.

(٢) اغد عليّ يا عم مع ولدك.. الحديث/ أخرجه القاضي عياض في الشفا: ٢/ ١٠٧.

(٣) اللهم إني أحبهما.. الحديث/ تقدم تخريجه.

(٤) أبو بكر الصديق رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٥) أحب الله من أحب حسناً.. الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤/ ١٧٢ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣٤٢٨٩ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ٣٠٧. وفيه: حسين بدل حسن.

(٦) من أحبني وأحب هذين.. الحديث/ أخرجه تقدم تخريجه.

(٧) من أهان قريشاً أهانه الله.. الحديث/ أخرجه الإمام الترمذي في السنن الحديث: ٢٢٢٥ في الفتن (٤٧) وفي سنده زياد بن كليب العدوي لم يوثقه غير ابن ماجه، وسعد بن أوس العدوي أو العبدي البصري وهو صدوق له أغاليط ومع ذلك فقد قال الترمذي حديث حسن غريب وفيه: السلطان بدل: قريش.

(٨) أم سلمة زوجة النبي ﷺ وأم المؤمنين اسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم توفيت بعد الحسين بن علي بن أبي طالب في نهاية سنة ٦١ هـ حين جاءها نعيه. ترجمتها في: الثقات ٣/ ٤٣٩، والإصابة ٤/ ٤٢٣ والطبقات ٨/ ٨٦.

(٩) لا تؤذيني في عائشة.. الحديث/ أخرجه أحمد في المسند: ٦/ ٢٩٣، والبيهقي في السنن الكبرى ٦/ ٣٧٠، والطحاوي في مشكل الآثار: ١/ ١٣١ وابن سعد في الطبقات ٨/ ١١٧ والتبريزي في مشكاة المصابيح: ٦١٨٠، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٥/ ٣٥٤..

(١٠) عائشة رضي الله عنها تقدمت ترجمتها.

(١١) عقبة بن الحارث بن عامر بن عدي بن نوفل بن عبد مناف كان أبوه أحد المطعمين يوم بدر مع المشركين=

الْحَسَنَ[١] عَلَى عُنُقِهِ وَهُوَ يَقُولُ: بِأَبِي شَبِيهٌ بِالنَّبِيِّ. لَيْسَ شَبِيهاً بِعَلِي[٢]. وَعَلِيٌّ رَضِيَ الله عَنْهُ يَضْحَكُ.

وَرُوِيَ عن عبدِ الله بنِ حسنِ بنِ حُسَيْنٍ[٣] قَالَ أَتَيت عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ[٤] فِي حَاجَةٍ فَقَالَ لِي إِذَا كَانَ لَكَ حَاجَةٌ فَأَرْسِلْ إِلَيَّ أَوِ اكْتُبْ فَإِنِّي أَسْتَحْيِي مِنَ الله أَنْ يَرَاكَ عَلَى بَابِي.

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ[٥] قَالَ صَلَّى زَيْدُ بنُ ثَابِتٍ[٦] عَلَى جَنَازَةِ أُمِّهِ ثُمَّ قُرِّبَتْ بَغْلَتُهُ لِيَرْكَبَهَا فَجَاءَ ابنُ عَبَّاسٍ[٧] فَأَخَذَ بِرِكَابِهِ فَقَالَ زيدٌ خَلِّ عَنْهُ يَا ابْنَ عَمِّ رسولِ الله ﷺ هٰكَذَا نَفْعَلُ بِالْعُلَمَاءِ فَقَبَّلَ زَيْدٌ يَدَ ابنِ عباسٍ وَقَالَ هٰكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا.

وَرَأَى ابنُ عُمَرَ[٨] مُحَمَّدَ بنَ أُسَامَةَ بن زيدٍ[٩] فَقَالَ لَيْتَ هٰذَا عَبْدِي فَقِيلَ لَهُ هُوَ محمدُ بنُ أُسَامَةَ، فَطَأْطَأَ ابنُ عمرَ رَأْسَهُ وَنَقَرَ بِيَدِهِ الأَرْضَ، وَقَالَ لَوْ رَآهُ رَسُولُ الله ﷺ لأَحَبَّهُ.

وَقَالَ الأَوْزَاعِي[١٠] دَخَلَتْ بِنتُ أُسَامَةَ بن زيدٍ[١١] صَاحِبِ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى عُمَرَ بن عبدِ العَزِيزِ[١٢] وَمَعَهَا مُوْلًى لَهَا يُمْسِكُ بِيَدِهَا فَقَامَ لَهَا عمرُ وَمَشَى إِلَيْهَا حَتَّى جَعَلَ يَدَيْهَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَدَاهُ فِي ثِيَابِهِ وَمَشَى بِهَا حَتَّى أَجْلَسَهَا عَلَى مَجْلِسِهِ وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا تَرَكَ لَهَا حَاجَةً إِلاَّ قَضَاهَا.

= عداده في أهل مكة، كنيته، أبو سروعة القرشي، أمه درة ابنة أبي لهب بن عبد المطلب، ترجمته في الطبقات ٣/ ٢٧٩، والإصابة: ٢/ ٤٨٨، والطبقات ٥/ ٤٤٧.

(١) الحسن رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٢) علي رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٣) عبد الله بن حسن بن حسين. تقدمت ترجمته.

(٤) عمر بن عبد العزيز. تقدمت ترجمته.

(٥) الشعبي. تقدمت ترجمته.

(٦) زيد بن ثابت. تقدمت ترجمته.

(٧) ابن عباس. تقدمت ترجمته.

(٨) ابن عمر. تقدمت ترجمته.

(٩) محمد بن أسامة بن زيد. تقدمت ترجمته.

(١٠) الأوزاعي هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد كنيته أبو عمرو أحد أئمة الدين فقهاً وعلماً وورعاً وحفظاً، وفضلاً وعبادة، وضبطاً مع زهاد من أتباع التابعين توفي ببيروت مرابطاً سنة ١٥٧ هـ. ترجمته في المشاهير: ١٨٠.

(١١) بنت أسامة بن زيد. تقدمت ترجمته.

(١٢) عمر بن عبد العزيز. تقدمت ترجمته.

وَلَمَّا فَرَضَ عمرُ بنُ الْخَطَّابِ[١] لابنِهِ عبدِ اللهِ[٢] فِي ثَلاثَةِ آلافٍ وَلِأُسَامَةَ بن زيدٍ فِي ثَلاثَةِ آلافٍ وَخَمْسِمِائَةٍ قَالَ عبدُ الله لِأَبِيهِ لِمَ فَضَّلْتَهُ فَوَاللهِ مَا سَبَقَنِي إِلَى مَشْهَدٍ؟ فَقَالَ لَهُ لِأَنَّ زَيْداً[٣] كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ مِنْ أَبِيكَ وَأُسَامَةَ[٤] أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْكَ فَآثَرْتُ حُبَّ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى حُبِّي.

وَبَلَغَ مُعَاوِيَةَ أَنَّ كَابِسَ بنَ رَبِيعَةَ[٥] يُشْبِهُ بِرَسُولِ الله ﷺ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ مِنْ بَابِ الدَّارِ[٦] قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَلَقَّاهُ وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَأَقْطَعَهُ الْمِرْغَابَ لِشَبَهِهِ صُورَةَ رَسُولِ الله ﷺ.

وَرُوِيَ أَنَّ مَالِكاً رَحِمهُ الله لَمَّا ضَرَبَهُ جعفرُ بنُ سُلَيْمَانَ[٧] وَنَالَ مِنْهُ مَا نَالَ وَحُمِلَ مَغْشِيّاً عَلَيْهِ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَأَفَاقَ فَقَالَ أُشْهِدُكُمْ أَنِّي جَعَلْتُ ضَارِبِي فِي حِلٍّ، فَسُئِلَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَقَالَ خِفْتُ أَنْ أَمُوتَ فَأَلْقَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَسْتَحْيِي مِنْهُ أَنْ يَدْخُلَ بَعْضُ آلِهِ النَّارَ بِسَبَبِي.

وَقِيلَ إِنَّ الْمَنْصُورَ أَقَادَهُ مِنْ جعفرٍ فَقَالَ لَهُ أَعُوذُ بِاللهِ وَاللهِ مَا ارْتَفَعَ مِنْهَا سَوْطٌ عَنْ جِسْمِي إِلاَّ وَقَدْ جَعَلْتُهُ فِي حِلٍّ لِقَرَابَتِهِ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ. وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بنُ عَيَّاشٍ[٨] لَوْ أَتَانِي أبو بكرٍ[٩] وعمرُ[١٠] وَعَلِيٌّ لَبَدَأْتُ بِحَاجَةِ عَلِيٍّ قَبْلَهُمَا لِقَرَابَتِهِ مِنْ رسولِ الله ﷺ وَلأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُقَدِّمَهُ عَلَيْهِمَا، وَقِيلَ لابنِ عباسٍ مَاتَتْ فُلانَةُ - لِبَعْضِ أَزْوَاجِ النبيِّ ﷺ - فَسَجَدَ فَقِيلَ لَهُ أَتَسْجُدُ هٰذِهِ السَّاعَةَ؟ فَقَالَ أَلَيْسَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«إِذَا رَأَيْتُمْ آيَةً فَاسْجُدُوا»**[١١]؟ وَأَيُّ آيَةٍ أَعْظَمُ مِنْ ذَهَابِ أَزْوَاجِ النبيِّ ﷺ؟.

---

(١) عمر بن الخطاب. تقدمت ترجمته.
(٢) عبد الله بن عمر. تقدمت ترجمته.
(٣) زيد. تقدمت ترجمته.
(٤) أسامة. تقدمت ترجمته.
(٥) محابس بن ربيعة. تقدمت ترجمته.
(٦) مالك. تقدمت ترجمته.
(٧) جعفر بن سليمان. تقدمت ترجمته.
(٨) أبو بكر بن عياش. تقدمت ترجمته.
(٩) أبو بكر الصديق. تقدمت ترجمته.
(١٠) عمر بن الخطاب. تقدمت ترجمته.
(١١) إذا رأيتم آية فاسجدوا.. الحديث/ أخرجه أبو داود في السنن ١/ ٧٠٦ كتاب الصلاة (٢) باب السجود عند الآيات (٢٦٩) الحديث: ١١٩٧ والترمذي في السنن: ٥/ ٧٠٨ كتاب المناقب (٥٠) باب فضل أزواج النبي ﷺ (٦٤) الحديث: ٣٨٩١. والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٣٤٣ كتاب الكسوف باب من استحب الفزع إلى الصلاة. والإمام البغوي في شرح السنة ٤/ ٣٩٧ باب السجود عند حدوث آية. الحديث: ١١٥٦. وبدايته قال عكرمة: قيل لابن عباس ماتت فلانة..

وَكَانَ أبو بكر[١] وعمرُ[٢] يَزُورَانِ أُمَّ أَيْمَنَ[٣] مَوْلاَةَ النبيِّ ﷺ وَيَقُولاَنِ كَانَ رسولُ الله ﷺ يَزُورُهَا.

وَلَمَّا وَرَدَتْ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ[٤] عَلَى النَّبِيِّ ﷺ «**بَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ**»[٥] وَقَضَى حَاجَتَهَا، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَفَدَتْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وعمر فَصَنَعَا بِهَا مِثْلَ ذٰلِكَ.

الفصل السادس: توقير وبر أصحابه ومعرفة حقهم

وَمِنْ تَوْقِيرِهِ وَبِرِّهِ ﷺ تَوْقِيرُ أَصْحَابِهِ وَبِرُّهُمْ وَمَعْرِفَةُ حَقِّهِمْ وَالاقْتِدَاءُ بِهِمْ وَحُسْنُ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَالاسْتِغْفَارُ لَهُمْ وَالإمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ وَمُعَادَاةُ مَنْ عَادَاهُمْ وَالإضْرَابُ عَنْ أَخْبَارِ المُؤَرِّخِينَ وَجَهَلَةِ الرُّوَاةِ وَضُلاَّلِ الشِّيعَةِ وَالمُبْتَدِعِينَ القَادِحَةِ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ وَأَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ فِيما نُقِلَ عَنْهُمْ مِنْ مِثْلِ ذٰلِكَ فِيما كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الفِتَنِ أَحْسَنُ التَّأْوِيلاَتِ وَيُخَرَّجَ لَهُمْ أَصْوَبُ المَخَارِجِ إِذْ هُمْ أَهْلُ ذٰلِكَ وَلاَ يُذْكَرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِسُوءٍ وَلاَ يُغَمَّصُ عَلَيْهِ أَمْرٌ بَلْ تُذْكَرُ حَسَنَاتُهُمْ وَفَضَائِلُهُمْ وَحَمِيدُ سِيَرِهِمْ وَيُسْكَتُ عَمَّا وَرَاءَ ذٰلِكَ كما قَالَ ﷺ: «**إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا**»[٦] قَالَ الله تَعَالَى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩] إلى آخِرِ السُّورَةِ؛ وَقَالَ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة:١٠٠] الآية وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨] وَقَالَ: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣] الآيةَ.

حَدَّثَنَا القَاضِي أبو عَلِيٍّ حَدَّثَنَا أَبو الحُسَيْنِ وَأَبُو الفضلِ قَالاَ حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى حَدَّثَنَا أبو عَلِيٍّ

---

(١) أبو بكر الصديق رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٢) عمر بن الخطاب رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٣) أم أيمن رضي الله عنها تقدمت ترجمتها.

(٤) حليمة السعدية مرضعة النبي ﷺ تقدمت ترجمتها.

(٥) بسط لها رداءه.. الحديث/ أخرجه أبو داود في السنن الحديث ٥١٤٤ في الأدب باب بر الوالدين وفي سنده من لا يعرف وروايته عن ابن الطفيل رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يقسم لحماً بالجعرانية وأنا يومئذٍ غلام أحمل عظم الجزور إذا أقبلت امرأة حتى دنت إلى رسول الله ﷺ فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هي؟ فقالوا: هذه أمه النبي أرضعته. هذا الحديث أخرجه أيضاً أبو داود في السنن الكبرى.

(٦) إذا ذكر أصحابي فأمسكوا.. الحديث/ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٢/٩٣ والهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/٢٠٢، ٢٢٣، والألباني في السلسلة الصحيحة: ٣٤، والسيوطي في الدر المنثور، ٣/٣٥، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين. ٢/٤٢، ٥١، ٢٢٣، ٨/٥٥، ٩/٤٠٢ وابن عبد البر في التمهيد: ٦/ ٦٨، والمتقي الهندي في كنز العمال: ٩٠١. والعراقي في المغني عن حمل الأسفار: ١/٣٠، ٩٣، ٤/ ١١٤.

السِنْجيُّ حَدَّثَنا مُحَمَّدُ بنُ مَحْبوبٍ حَدَّثَنا التِّرمِذِيُّ حَدَّثَنا الحَسَنُ بنُ الصَّبّاح حَدَّثَنا سُفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ عَنْ زائِدَةَ عَنْ عَبْد المَلِكِ بن عُمَيْرٍ عَنْ رِبْعِيِّ بنِ حِرَاشٍ عَنْ حُذَيْفَةَ قالَ قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ»[١].

وقال: «أَصْحَابِي كالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُم اهْتَدَيْتُم»[٢].

وعن أنسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَثَلُ أَصْحَابِي كَمَثَلِ المِلْحِ في الطَّعَامِ لاَ يَصْلُحُ الطَّعَامُ إلاَّ بِهِ»[٣]. وقَالَ: «اللهَ اللهَ في أَصْحَابِي[٤] لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضاً بَعْدِي فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى الله وَمَنْ آذَى الله يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ» وَقَالَ: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ»[٥] وَقَالَ: «مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يَقْبَلُ الله مِنْهُ صَرْفاً وَلاَ عَدْلاً»[٦] وَقَالَ: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا» وَقَالَ في حَدِيثِ جَابِرٍ[٧] «إِنَّ الله اخْتَارَ أَصْحَابِي عَلَى جَمِيعِ العَالَمِينَ[٨] سِوَى النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَاخْتَارَ لِي مِنْهُمْ أَرْبَعَةً أَبَا

---

(١) اقتدوا بالذين من بعدي. . الحديث/ أخرجه الإمام الترمذي في السنن رقم ٣٦٦٢، ٣٨٠٥ وابن ماجه في السنن رقم: ٩٧، والإمام أحمد في المسند: ٥/ ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٢. والبيهقي في السنن الكبرى: ٥/ ١٢، ٨/ ١٥٣ ـ والحاكم في المستدرك: ٣/ ٧٥.

(٢) أصحابي كالنجوم. . الحديث/ أخرجه صاحب ميزان الاعتدال تحت رقم: ١٥١١، ٢٢٩٩. وابن حجر في لسان الميزان ٢/ ٤٨٨، ٥٩٤، والعجلوني في كشف الخفا: ١/ ١٤٧. والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٢/ ٢٢٣، وابن حجر في تلخيص الحبير: ٤/ ١٩٠.

(٣) مثل أصحابي كمثل الملح. . الحديث/ أخرجه ابن المبارك في الزهد: ٢٠٠ ـ ٢٠١ ـ باب ما جاء في الفقر الحديث: رقم ٥٧٢ واللفظ له، وأبو يعلى في المسند ٥/ ١٥١ رقم الحديث ٢٧٦٢ ـ والإمام البغوي في شرح السنة ١٤/ ٧٢ ـ ٧٣. الحديث رقم: ٣٨٦٣. والبزار ذكره الهيثمي في كشف الأسفار: ٣/ ٢٩١ كتاب علامات النبوة باب مناقب أصحاب رسول الله ﷺ الحديث رقم: ٢٧٧١.

(٤) الله الله في أصحابي. . الحديث/ أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٩٤، كتاب المناقب (٥٠) باب (٥٩)، وهو ما يلي: باب في فضل من بايع. . (٥٨) الحديث: ٣٨٦٢. واللفظ له وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وابن حبان ذكره الهيثمي في موارد الظمآن: ٥٦٨ ـ ٥٦٩. كتاب المناقب (٣٦) باب فضل أصحاب رسول الله ﷺ (٣٧) الحديث: ٢٢٨٤.

[. . . .] ص ٥٣. ساقطة من نسخة دمشق.

(٥) لا تسبوا أصحابي. . الحديث/ أخرجه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: ٧/ ٢١.

(٦) من سب أصحابي. . الحديث/ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ١٢/ ١٤٢ والهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ٢١، والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣٢٤٧٧، وأبو نعيم في الحلية ٧/ ١٠٣. والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: ٤/ ٢٤١، وابن أبي عاصم في السنة ٢/ ٤٨٣. وابن عدي في الكامل في الضعفاء: ٥/ ١٨٥٥.

(٧) جابر بن عبد الله رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٨) إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين. . الحديث/ أخرجه البزار في المسند، والديلمي. .

بَكْرٍ[١] وَعُمَرَ[٢] وَعُثْمَانَ[٣] وَعَلِيّاً[٤] فَجَعَلَهُمْ خَيْرَ أَصْحَابِي وَفِي أَصْحَابِي كُلِّهِمْ خَيْرٌ» وَقَالَ: «مَنْ أَحَبَّ عُمَرَ فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَ عُمَرَ فَقَدْ أَبْغَضَنِي»[٥]. وَقَالَ مَالِكُ بنُ أَنَسٍ[٦] وَغَيْرُهُ: مَنْ أَبْغَضَ الصَّحَابَةَ وَسَبَّهُمْ فَلَيْسَ لَهُ فِي فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ حَقٌّ وَنَزَعَ بِآيَةِ الْحَشْرِ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر:١٠] الآية، وَقَالَ: مَنْ غَاظَهُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ فَهُوَ كَافِرٌ قَالَ الله تَعَالَى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩] وَقَالَ عَبْدُ الله بنُ الْمُبَارَكِ[٧]: خَصْلَتَانِ مَنْ كَانَتَا فِيهِ نَجَا: الصِّدْقُ وَحُبُّ أَصْحَابِ محمدٍ ﷺ؛ قَالَ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ[٨]: مَنْ أَحَبَّ أَبا بَكْرٍ[٩] فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ وَمَنْ أَحَبَّ عُمَرَ فَقَدْ أَوْضَحَ السَّبِيلَ وَمَنْ أَحَبَّ عُثْمَانَ[١٠] فَقَدِ اسْتَضَاءَ بِنُورِ الله وَمَنْ أَحَبَّ عَلِيّاً فَقَدْ أَخَذَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَمَنْ أَحْسَنَ الثَّنَاءَ عَلَى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَدْ بَرِىءَ مِنَ النِّفَاقِ وَمَنِ انْتَقَصَ أَحَداً مِنْهُمْ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ مُخَالِفٌ لِلسُّنَّةِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ وَأَخَافُ أَنْ لاَ يَصْعَدَ لَهُ عَمَلٌ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى يُحِبَّهُمْ جَمِيعاً وَيَكُونَ قَلْبُهُ سَلِيماً.

وَفِي حَدِيثِ خالدِ بن سَعِيدٍ[١١] أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَاضٍ[١٢] عَنْ أَبِي

---

(١) أبو بكر. تقدمت ترجمته.
(٢) عمر. تقدمت ترجمته.
(٣) عثمان. تقدمت ترجمته.
(٤) علي. تقدمت ترجمته.
(٥) من أحب عمر.. الحديث/ أخرجه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٤/٤٨٧.
(٦) مالك بن أنس.
(٧) عبد الله بن المبارك الإمام الرباني الزاهد، أبو عبد الرحمن المروزي الحنظلي أسمع السفيانين، وروى عنه محمد بن الحسن، وابن مهدي جمع العلم والفقه والأدب، والنحو، واللغة والزهد والشعر والورع والعبادة روى له جماعة، وكان حجة ثقة مأمونا صنف الكتب الكثيرة توفي سنة ١٨١ هـ. ترجمته في التاريخ الكبير: ١/٢١٢، والبداية والنهاية: ١٠/١٧٧، وتهذيب التهذيب: ٥/ ٣٨٢، وحلية الأولياء ٨/ ١٨٢، والجواهر المضيئة ٢/ ٢٣٤.
(٨) أيوب السختياني. تقدمت ترجمته.
(٩) أبو بكر. تقدمت ترجمته.
(١٠) عثمان. تقدمت ترجمته.
(١١) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي ولاه أبو بكر الشام قتل يوم أجنادين، وقيل إنه قتل بمرج الصفر في المحرم سنة: ١٤ هـ واستعمله رسول الله ﷺ على صدقات بني زبيد وقد قيل إنه أسلم قبل أبي بكر لرؤيا رآها في رسول الله ﷺ، ترجمته في الثقات: ٣/١٠٣، والإصابة ١/ ٤٠٦، والطبقات: ٤/ ٩٤.
(١٢) أيها الناس إني راضي.. الحديث/ أخرجه عياض في الشفا: ٢/ ١٢١. تحقيق دمشق.

بَكْرٍ[١] فَاعْرِفُوا لَهُ ذَٰلِكَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَاضٍ عَنْ عُمَرَ[٢] وَعَنْ عَلِيّ[٣] وَعَنْ عثمانَ[٤] وطَلْحَةَ[٥] وَالزُّبَيْرِ[٦] وَسَعْدٍ[٧] وَسَعِيدٍ[٨] وعبدِ الرحمٰنِ بنِ عَوْفٍ[٩] فَاعْرِفُوا لَهُمْ ذَٰلِكَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ غَفَرَ لِأَهْلِ بَدْرٍ وَالْحُدَيْبِيَةِ[١٠]، أَيُّهَا النَّاسُ ٱحْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي وَأَصْهَارِي وَأَخْتَانِي لاَ يُطَالِبَنَّكُمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِمَظْلِمَةٍ فَإِنَّهَا مَظْلِمَةٌ لاَ تُوهَبُ فِي الْقِيَامَةِ غَداً»[١١] وَقَالَ رَجُلٌ لِلْمُعَافَى بنِ عِمْرَانَ[١٢]: أَيْنَ عمرُ بنُ عبدِ العَزِيزِ[١٣] مِنْ مُعَاوِيَةَ[١٤] فَغَضِبَ وَقَالَ لاَ يُقَاسُ بِأَصْحَابِ النبيِّ ﷺ أَحَدٌ: مُعَاوِيَةُ صَاحِبُهُ وَصِهْرُهُ وَكَاتِبُهُ وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِ الله، وَأُتِيَ النبيُّ ﷺ بِجِنَازَةِ رَجُلٍ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ وَقَالَ: «كَانَ يُبْغِضُ عُثْمانَ فَأَبْغَضَهُ الله»[١٥] وَقَالَ ﷺ فِي الأَنْصَارِ: «اعْفُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ وَٱقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ»[١٦] وَقَالَ: «احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي وَأَصْهَارِي فَإِنَّه مَنْ حَفِظَنِي فِيهِمْ حَفِظَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْنِي فِيهِمْ تَخَلَّى اللهُ مِنْهُ وَمَنْ تَخَلَّى اللهُ مِنْهُ يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ»[١٧] وَعَنْهُ ﷺ: «مَنْ حَفِظَنِي فِي أَصْحَابِي كُنْتُ لَهُ حَافِظاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١٨] وَقَالَ: «مَنْ حَفِظَنِي فِي أَصْحَابِي وَرَدَ عَلَيَّ الْحَوْضَ وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْنِي فِي أَصْحَابِي لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الْحَوْضَ وَلَمْ يَرَنِي إِلاَّ مِنْ بَعِيدٍ».

---

(١) أبو بكر. تقدمت ترجمته.
(٢) عمر. تقدمت ترجمته.
(٣) علي. تقدمت ترجمته.
(٤) عثمان. تقدمت ترجمته.
(٥) طلحة. تقدمت ترجمته.
(٦) الزبير. تقدمت ترجمته.
(٧) سعد. تقدمت ترجمته.
(٨) سعيد. تقدمت ترجمته.
(٩) عبد الرحمن بن عوف تقدمت ترجمته.
(١٠) أيها الناس إن الله غفر.. الحديث/ أخرجه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق وفيه أن الله قد غفر بزيادة حرف «قد»... ٦/ ١٢٩.
(١١) أيها الناس احفظوني.. الحديث/ أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١٩٧.
(١٢) المعافى بن عمران. تقدمت ترجمته.
(١٣) عمر بن عبد العزيز. تقدمت ترجمته.
(١٤) معاوية. تقدمت ترجمته.
(١٥) كان يبغض عثمان فأبغضه الله.. الحديث/ أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٣٠.
(١٦) اعفو عن مسيئهم.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٥/ ٤٣ ومسلم في الصحيح: ١٩٤٩.
(١٧) احفظوني في أصحابي.. الحديث/ أخرجه أبو نعيم والديلمي وقد تقدم ذكره.
(١٨) من حفظني في أصحابي.. الحديث/ أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٢٣، ١٠/ ١٧ والطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٢٨٣ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣٢٥٣٤. وابن عدي في الكامل في الضعفاء. ٦/ ٢١٠٣.

قَالَ مَالِكٌ[١] رحِمهِ الله هٰذَا النبيُّ مؤدِّبُ الْخَلْقِ الَّذِي هَدَانَا الله بِهِ وَجَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ يَخْرُجُ في جَوْفِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ فَيَدْعُو لَهُمْ وَيَسْتَغْفِرُ كَالْمُوَدِّعِ لَهُمْ وَبِذٰلِكَ أَمَرَهُ الله وَأَمَرَ النبيُّ ﷺ بِحُبِّهِمْ وَمُوَالاتِهِمْ وَمُعَادَاةِ مَنْ عَادَاهُمْ.

وَرُوِيَ عَنْ كَعْبٍ[٢] لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ محمدٍ ﷺ إلاَّ لَهُ شَفَاعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَطَلَبَ مِنَ الْمُغِيرَةِ بنِ نَوْفَلٍ[٣] أَنْ يَشْفَعَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ سَهْلُ بنُ عبدِ الله التُّسْتَرِيُّ[٤]: لَمْ يُؤْمِنْ بِالرَّسُولِ مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ أَصْحَابَهُ وَلَمْ يُعِزَّ أَوَامِرَهُ.

الفصل السابع: إعزاز وإكرام من له صلة به ﷺ

وَمِنْ إِعْظَامِهِ وَإِكْبَارِهِ إِعْظَامُ جَمِيعِ أَسْبَابِهِ وَإِكْرَامُ مَشَاهِدِهِ وَأَمْكِنَتِهِ مِنْ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَمَعَاهِدِهِ وَمَا لَمَسَهُ ﷺ أَوْ عُرِفَ بِهِ.

وَرُوِيَ عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ نَجْدَةَ[٥] قَالَتْ كَانَ لِأَبِي مَحْذُورَةَ[٦] قُصَّةٌ فِي مُقَدَّمِ رَأْسِهِ إِذَا قَعَدَ وَأَرْسَلَهَا أَصَابَتِ الأَرْضَ فَقِيلَ له أَلاَ تَحْلِقُهَا فَقَالَ لَمْ أَكُنْ بِالَّذِي أَحْلِقُهَا وَقَدْ مَسَّهَا رَسُولُ الله ﷺ بِيَدِهِ. وَكَانَتْ فِي قَلَنْسُوَةِ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ[٧] شَعَرَاتٌ مِنْ شَعَرِهِ ﷺ فَسَقَطَتْ قَلَنْسُوَتُهُ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِ فَشَدَّ عَلَيْهَا شَدَّةً أَنْكَرَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ النبيِّ ﷺ كَثْرَةَ مَنْ قُتِلَ فِيهَا فَقَالَ لَمْ أَفْعَلْهَا بِسَبَبِ الْقَلَنْسُوَةِ بَلْ لِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ شَعَرِهِ ﷺ لِئَلاَّ أُسْلَبَ بَرَكَتَهَا وَتَقَعَ فِي أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ.

وَرُئِيَ ابنُ عُمَرَ[٨] وَاضِعاً يَدَهُ عَلَى مَقْعَدِ النبيِّ ﷺ مِنَ الْمِنْبَرِ ثُمَّ وَضَعَهَا عَلَى وَجْهِهِ.

وَلِهٰذَا كَانَ مَالِكٌ[٩] رَحِمهِ الله لاَ يَرْكَبُ بِالْمَدِينَةِ دَابَّةً وَكَانَ يَقُولُ أَسْتَحْيِي مِنَ الله أَنْ أَطَأَ تُرْبَةً فِيهَا رسولُ الله ﷺ بِحَافِرِ دَابَّةٍ.

وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ وَهَبَ لِلشَّافِعِيِّ[١٠] كُرَاعاً كَثِيراً كَانَ عِنْدَهُ فَقَالَ الشافِعِي أَمْسِكْ مِنْهَا دَابَّةً

---

(١) مالك. تقدمت ترجمته.
(٢) كعب. تقدمت ترجمته.
(٣) المغيرة بن نوفل. تقدمت ترجمته.
(٤) سهل بن عبد الله التُستري. تقدمت ترجمته.
(٥) صفية بنت نجدة. تقدمت ترجمته.
(٦) أبو محذورة. تقدمت ترجمته.
(٧) خالد بن الوليد. تقدمت ترجمته.
(٨) ابن عمر رضي الله عنه تقدمت ترجمته.
(٩) مالك بن أنس تقدمت ترجمته.
(١٠) الشافعي تقدمت ترجمته.

فَأَجَابَهُ بِمِثْلِ هٰذَا الْجَوَابِ.

وَقَدْ حَكَى أَبو عبدِ الرحمٰنِ السَلَمِيُّ[١] عَنْ أَحمدَ بنِ فَضْلُوَيْهِ[٢] الزَّاهِدِ وَكَانَ مِنَ الْغُزَاةِ الرُّمَاةِ أَنَّهُ قَالَ: مَا مَسَسْتُ الْقَوْسَ بِيَدِي إِلاَّ عَلَى طَهَارَةٍ مُنْذُ بَلَغَنِي أَنَّ النبيَّ ﷺ أَخَذَ الْقَوْسَ بِيَدِهِ.

وَقَدْ أَفْتَى مَالِكٌ فِيمَنْ قَالَ تُرْبَةُ الْمَدِينَةِ رَدِيَّةٌ يُضْربُ ثَلاثِينَ دِرَّةً وَأَمَرَ بِحَبْسِهِ وَكَانَ لَهُ قَدْرٌ وَقَالَ مَا أَحْوَجَهُ إِلَى ضَرْبِ عُنُقِهِ: تُرْبَةٌ دُفِنَ فِيهَا النبيُّ ﷺ يَزْعُمُ أَنَّها غَيْرُ طَيِّبَةٍ! وَفِي الصحيح أَنَّهُ قَالَ ﷺ فِي الْمَدِينَةِ: «مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثاً أَوْ آوَى مُحدِثاً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لاَ يَقْبَلُ الله مِنْهُ صَرْفاً وَلاَ عَدْلاً»[٣].

وَحُكِيَ أَنَّ جهجاهاً الغِفَارِيَّ[٤] أَخَذَ قَضِيبَ النبيِّ ﷺ مِنْ يَدِ عُثْمانَ[٥] رَضِيَ الله عَنْهُ وَتَنَاوَلَهُ لِيَكْسِرَهُ عَلَى رُكْبَتِهِ فَصَاحَ بِهِ النَّاسُ فَأَخَذَتْهُ الآكِلَة في رُكْبَتِهِ فَقَطَعَهَا وَمَاتَ قَبْلَ الحَوْلِ.

وَقَالَ ﷺ «مَنْ حَلَفَ عَلَى مِنْبَرِي كَاذِباً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه، مِنَ النَّارِ»[٦].

وَحُدِّثْتُ أَنَّ أَبَا الفَضل الجوهري[٧] لَمَّا وَرَدَ المَدِينَةَ زَائِراً وَقُربَ مِنَ بُيُوتِهَا تَرَجَّلَ وَمَشَى بَاكِياً مُنْشِداً[٨]:

وَلَمَّا رَأَيْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدَعْ لَنَا ... فُؤَاداً لِعِرْفَانِ الرُّسُومِ وَلاَ لُبَّا

نَزَلْنَا عَنِ الأَكْوَارِ نَمْشِي كَرَامَةً ... لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبَا

---

(١) أبو عبد الرحمن السلمي، تقدمت ترجمته.

(٢) أحمد بن فضلويه، تقدمت ترجمته.

(٣) من أحدث فيها حدثاً.. الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥٢٦/٢. والبيهقي في السنن الكبرى: ٥/ ١٩٦، وعبد الرزاق في مصنفه تحت رقم ١٨٨٤٦ وابن حجر في شرح فتح الباري على صحيح البخاري: ٨١/٤. ومسلم في الصحيح: ٩٩٦.

(٤) جهجاه الغفاري ذكر ترجمته ابن عبد البر في الاستيعاب: ٢٦٩/١ مع هذه القصة.

(٥) عثمان بن عفان رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٦) من حلف على منبري كاذباً.. الحديث/ أخرجه الإمام الترمذي في السنن ٥٢٤/٤ وابن ماجه في السنن: رقم ١٣، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٩٨/٧، ١٧٦/١٠ والحاكم في المستدرك ٢٩٦/٤ ـ ٢٩٧، والشافعي في مسنده: ١٥٣ ومالك في الموطأ: ٧٢٨.

(٧) أبو الفضل الجوهر. تقدمت ترجمته.

(٨) البيتان من شعر أبي الطيب المتنبي. الديوان: ٥٦/١.

وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْمُرِيدِينَ أَنَّهُ لَمَّا أَشْرَفَ عَلَى مَدِينَةِ الرسول ﷺ أَنْشَأَ يَقُولُ مُتَمَثِّلاً[١]:

رُفِعَ الْحِجَابُ لَنَا فَلاَحَ لِنَاظِرٍ ... قَمَرٌ تَقَطَّعُ دُونَهُ الأَوْهَامُ
وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّداً ... فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّحَالِ حَرَامُ
قَرَّبْنَنَا مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِىءَ الثَّرَى ... فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامُ

وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْمَشَايِخِ أَنَّهُ حَجَّ مَاشِياً فَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ فَقَالَ الْعَبْدُ الآبِقُ[٢] يَأْتِي إِلَى بَيْتِ مَوْلاَهُ رَاكِباً لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَمْشِيَ عَلَى رَأْسِي مَا مَشَيْتُ عَلَى قَدَمَيَّ.

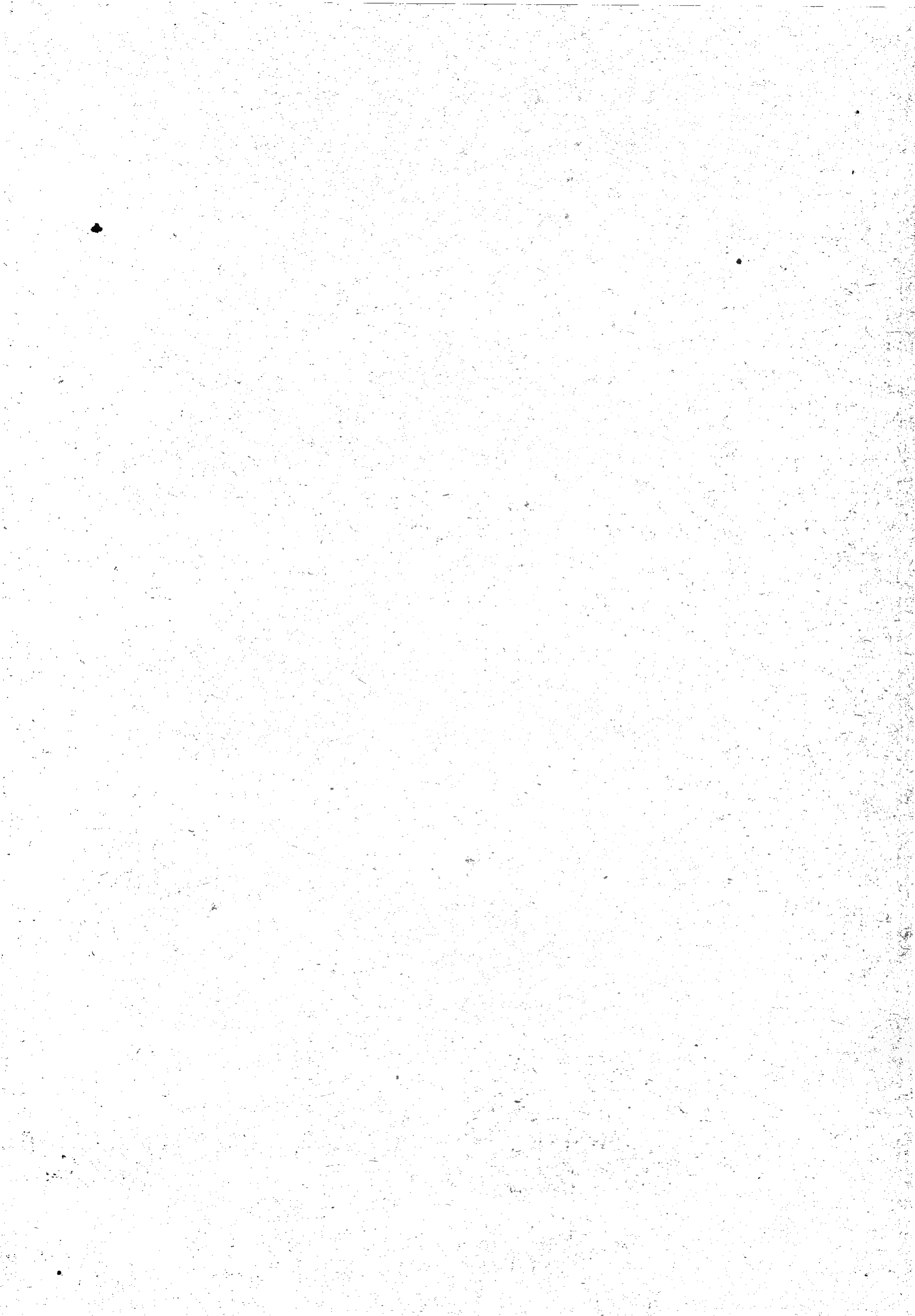
قَالَ الْقَاضِي وَجَدِيرٌ لِمَواطِنَ عُمِرتْ بِالْوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ وَتَرَدَّدَ بِهَا جِبريلُ وَمِكيائِيلُ وَعَرَجَتْ مِنْهَا الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ وَضَجَّتْ عَرَصَاتُهَا بِالتَّقْدِيسِ وَالتَّسْبِيحِ وَاشْتَمَلَتْ تُرْبَتُهَا عَلَى جَسَدِ سَيِّدِ الْبَشَرِ وَانْتَشَرَ عَنْهَا مِنْ دِينِ الله وَسُنَّةِ رَسُولِهِ مَا انْتَشَرَ مَدارِسُ آيَاتٍ وَمَسَاجِدُ وَصَلَوَاتٌ وَمَشَاهِدُ الْفَضَائِلِ وَالْخَيْرَاتِ وَمَعَاهِدُ الْبَرَاهِينِ وَالْمُعْجِزَاتِ وَمَنَاسِكُ الدِّينِ وَمَشَاعِرُ الْمُسْلِمِينَ وَمَوَاقِفُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَمُتَبَوَّأُ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ حَيْثُ انْفَجَرَتِ النُّبُوَّةُ وَأَيْنَ فَاضَ عُبَابُهَا وَمَوَاطِنُ طُوِيَتْ فِيهَا الرِّسَالَةُ وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدَ الْمُصْطَفَى تُرَابُهَا أَنْ تُعَظَّمَ عَرَصَاتُهَا وَتُتَنَسَّمَ نَفَحَاتُهَا وَتُقَبَّلَ رُبُوعُهَا وَجُدْرَانُهَا[٣]:

يَا دَارَ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ وَمَنْ بِهِ ... هُدِيَ الأَنَامُ وَخُصَّ بِالآيَاتِ
عِنْدِي لأَجْلِكِ لَوْعَةٌ وَصَبَابَةٌ ... وَتَشَوُّقٌ مُتَوَقِّدُ الْجَمَرَاتِ
وَعَلَيَّ عَهْدٌ إِنْ مَلأْتُ مَحَاجِرِي ... مِنْ تِلْكُمُ الْجُدرَاتِ وَالْعَرَصَاتِ
لأُعَفِّرَنَّ مَصُونَ شَيْبِي بَيْنَهَا ... مِنْ كَثْرَةِ التَّقْبِيلِ وَالرَّشَفَاتِ
لَوْلاَ الْعَوَادِي وَالأَعَادِي زُرْتُهَا ... أَبَداً وَلَوْ سَحْباً عَلَى الْوَجَنَاتِ
لٰكِنْ سَأُهْدِي مِنْ حَفِيلِ تَحِيَّتِي ... لِقَطِينِ تِلْكَ الدَّارِ وَالْحُجُرَاتِ
أَزْكَى مِنَ الْمِسْكِ الْمُفَتَّقِ نَفْحَةً ... تَغْشَاهُ بِالآصَالِ وَالْبُكُرَاتِ
وَتَخُصُّهُ بِزَوَاكِي الصَّلَوَاتِ ... وَنَوَامِيَ التَّسْلِيمِ وَالْبَرَكَاتِ

---

(١) الأبيات الثلاثة لأبي نواس الحسن بن هاني الديوان: ٤٠٨.
(٢) العبد الآبق: العبد الهارب الفار من سيده.
(٣) الأبيات الثمانية المستشهد بها هنا للمؤلف القاضي عياض أورد ذلك الشهاب الخفاجي في نسيم الرياض: ٤٨٨/٣، وأوعزه الملا علي القاري في شرح الشفا: ١٠٢/٢ الشعر أيضاً للمؤلف إلا أنه أسند ذلك إلى الحلبي.

يا دار خير المرسلين ومن به. . .



الباب الرابع
في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته ﷺ

وفيه عشر فصول:

الفصل الأول: معنى الصلاة على النبي ﷺ

الفصل الثاني: اعلم أن الصلاة على النبي ﷺ فرض.

الفصل الثالث: في المواطن التي يستحب فيها.

الفصل الرابع: في كيفية الصلاة.

الفصل الخامس: في فضيلة الصلاة عليه.

الفصل السادس: في ذم من لم يصل عليه.

الفصل السابع: في تخصيصه بتبليغ صلاة المصلين.

الفصل الثامن: في الاختلاف في الصلاة على غيره.

الفصل التاسع: في حكم زيارة قبره.

الفصل العاشر: فيما يلزم من دخل مسجد النبي ﷺ.



الباب الرابع

في حُكْمِ الصَّلاةِ عَلَيْهِ وَالتَّسْلِيمِ وَفَرْضِ ذٰلِكَ وَفَضِيلَتِهِ ﷺ

الفصل الأول: في معنى الصلاة عليه ﷺ

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] الآية، قَالَ ابنُ عباس[١] مَعْنَاهُ أَنَّ الله وَمَلائِكَتَهُ يُبَارِكُونَ عَلَى النَّبِيِّ؛ وَقِيلَ إِنَّ الله يَتَرَحَّمُ عَلَى النبيِّ وَمَلائِكَتَهُ يَدْعُونَ لَهُ.

قَالَ الْمُبَرِّدُ[٢] وَأَصْلُ الصَّلاةِ التَّرَحُّمُ فَهِيَ مِنَ الله رَحْمَةٌ وَمِنَ الْمَلائِكَةِ رِقَّةٌ وَاسْتِدْعَاءٌ لِلرَّحْمَةِ مِنَ الله، وَقَدْ وَرَدَ فِي الحدِيثِ «**صِفَةُ صَلاةِ الْمَلائِكَةِ عَلَى مَنْ جَلَسَ يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**» فَهٰذَا دُعَاءٌ. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْقُشَيْرِيُّ[٣]: الصَّلاةُ مِنَ الله تَعَالَى لِمَنْ دُونَ النبيِّ ﷺ رَحْمَةٌ وللنبيِّ ﷺ تَشْرِيفٌ وَزِيَادَةُ تَكْرِمَةٍ. وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ[٤]: صَلاةُ الله وَثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلائِكَةِ وَصَلاةُ الْمَلائِكَةِ الدُّعَاءُ.

قَالَ الْقَاضِي أَبو الفضلِ[٥]: وَقَدْ فَرَّقَ النبيُّ ﷺ في حديثِ تَعْلِيم الصَّلاةِ عَلَيْهِ بَيْنَ لَفْظِ الصَّلاةِ وَلَفْظِ الْبَرَكَة فَدَلَّ أَنَّهُمَا بِمَعْنَيَيْنِ، وَأَمَّا التَّسْلِيمُ الَّذِي أَمَرَ الله تَعَالَى بِهِ عِبَادَهُ. فَقَالَ القَاضِي أبو بَكْرِ بن بُكَيْر نزلت هذِهِ الآيَةُ عَلَى النبيِّ ﷺ فَأَمَرَ الله أَصْحَابَهُ أَنْ يُسَلِّمُوا عَلَيْهِ وَكَذٰلِكَ مَنْ بَعْدَهُمْ أُمِرُوا أَنْ يُسَلِّمُوا عَلَى النبيِّ ﷺ عِنْدَ حُضُورِهِمْ قَبْرَهُ وَعِنْدَ ذِكْرِهِ.

وَفِي مَعْنَى السَّلامِ عَلَيْهِ ثَلاثَةُ وُجُوهٍ: أَحَدُهَا السَّلامَةُ لَكَ وَمَعَكَ، وَيَكُونُ السَّلامُ مَصْدَراً كَاللَّذَاذِ وَاللَّذَاذَةِ. الثَّانِي أي السَّلامُ عَلَى حِفْظِكَ وَرِعَايَتِكَ مُتَوَلٍّ لَهُ وَكَفِيلٌ بِهِ وَيَكُون هُنَا السَّلامُ اسْمَ الله. الثَّالِثُ أَنَّ السَّلامَ بِمَعْنَى المُسَالمةِ لَهُ والانْقِيَادِ كَمَا قَالَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

---

(١) ابن عباس رضي الله عنهما تقدمت ترجمته.
ويرجع في معنى الصلاة لغة اصطلاحاً إلى تفسير ابن كثير: ٦/ ٤٤٧ وإلى سنن الترمذي: ٢/ ٣٥٢، وسنن النسائي ٣/ ٣٧، وسنن ابن ماجه: ١/ ٢٩٢ وصحيح البخاري ٦/ ١٥١، ٨/ ٨٩، وصحيح مسلم. ٢٨٨، ٣٠٥، ١٩٧٨ وسنن أبي داود ١/ ٩٨، ٢/ ١٩١ وموطأ مالك: ١/ ١٦٥ وأحكام القرآن للقرطبي ١٤/ ٢٣٢...

(٢) المبرد.. تقدمت ترجمته.

(٣) بكر القشيري.. تقدمت ترجمته.

(٤) أبو العالية.. تقدمت ترجمته.

(٥) القاضي أبو الفضل.. تقدمت ترجمته.

الفصل الثاني: حكم الصلاة عليه ﷺ

اعْلَمْ أَنَّ الصَّلاَةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَرْضٌ عَلَى الجُمْلَةِ غَيْرُ مَحَدَّدٍ بِوَقْتٍ لِأَمْرِ الله تَعَالَى بِالصَّلاَةِ عَلَيْهِ وَحَمْلِ الأَئِمَةِ وَالعُلَمَاءِ لَهُ عَلَى الوُجُوبِ وَأَجْمَعُوا عَلَيْهِ.

وَحَكَى أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ[١] أَنَّ مَحْمِلَ الآيَةِ عِنْدَهُ على النَّدْبِ وَادَّعى فِيهِ الإِجْمَاعَ وَلَعَلَّه فِيما زَادَ على مَرَّةٍ وَالوَاجِبُ مِنْهُ الَّذِي يَسْقُطُ بِهِ الحَرَجُ وَمَأْثَمُ تَرْكِ الفَرْضِ مَرَّةً كالشَّهَادَةِ لَهُ بالنُّبُوَّةِ وَمَا عَدَا ذٰلِكَ فَمَنْدُوبٌ مُرَغَّبٌ فِيهِ مِنْ سُنَنِ الإِسْلاَمِ وَشِعَارِ أَهْلِهِ.

قَالَ القَاضِي أبو الحَسَنِ بنُ القَصَّارِ[٢]: المَشْهُورُ عَنْ أَصْحَابِنَا أَنَّ ذٰلِكَ وَاجِبٌ في الجُمْلَةِ عَلَى الإِنْسَانِ وَفَرْضٌ عَلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا مَرَّةً مِنْ دَهْرِهِ مَعَ القُدْرَةِ عَلَى ذٰلِكَ.

وَقَالَ القَاضِي أبو بكرِ بنُ بُكَيْرٍ[٣]: افْتَرَضَ الله عَلَى خَلْقِهِ أَنْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً وَلَمْ يَجْعَلْ ذٰلِكَ لِوَقْتٍ مَعْلُومٍ فَالوَاجِبُ أَنْ يُكْثِرَ المَرْءُ مِنْهَا وَلاَ يَغْفَلُ عَنْهَا.

قَالَ القَاضِي أَبُو مُحَمَّدِ بنُ نَصْرٍ[٤]: الصَّلاَةُ عَلَى النبيِّ ﷺ وَاجِبَةٌ في الجُمْلَةِ.

قَالَ القَاضِي أبو عبدِ الله مُحَمَّدُ بنُ سَعِيدٍ[٥]: ذَهَبَ مَالِكٌ[٦] وَأَصْحَابُهُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّ الصَّلاَةَ عَلَى النبيِّ ﷺ فَرْضٌ بالجُمْلَةِ بِعَقْدِ الإِيمَانِ لاَ يَتَعَيَّنُ في الصَّلاَةِ وأَنَّ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ عُمُرِهِ سَقَطَ الفَرْضُ عَنْهُ.

وَقَالَ أَصْحَابُ الشَّافِعِيِّ[٧]: الفَرْضُ مِنْهَا الَّذِي أَمَرَ الله تَعَالَى بِهِ وَرَسُولُهُ ﷺ هُوَ في الصَّلاةِ؛ وَقَالُوا وَأَمَّا في غَيْرِهَا فَلاَ خِلاَفَ أَنَّهَا غَيْرُ وَاجِبَةٍ.

وَأَمَّا في الصَّلاَةِ فَحَكَى الإِمَامانِ أبو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ[٨] وَالطَّحَاوِيُّ وَغَيْرُهُمَا إِجْمَاعَ جَمِيعِ المُتَقَدِّمِينَ وَالمُتَأَخِّرِينَ مِنْ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ عَلى أَنَّ الصَّلاَةَ عَلَى النبيِّ ﷺ في التَّشَهُّدِ غَيْرُ وَاجِبَةٍ.

---

(١) أبو جعفر الطبري. . تقدمت ترجمته.
(٢) القاضي أبو الحسن بن القصار. . تقدمت ترجمته.
(٣) القاضي أبو بكر بن بُكير. . تقدمت ترجمته.
(٤) القاضي أبو محمد بن نصر. . تقدمت ترجمته.
(٥) القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد. . تقدمت ترجمته.
(٦) مالك بن أنس. . تقدمت ترجمته.
(٧) الشافعي. تقدمت ترجمته.
(٨) الطبري. تقدمت ترجمته.

وَشَذَّ الشَّافِعِيُّ في ذٰلِكَ فَقَالَ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَى النبيِّ ﷺ مِنْ بَعْدِ التَّشَهُّدِ الآخِرِ قَبْلَ السَّلاَمِ فَصَلاَتُهُ فَاسِدَةٌ وَإِنْ صَلَّى عَلَيْهِ قَبْلَ ذٰلِكَ لَمْ تُجْزِهِ وَلاَ سَلَفَ لَهُ في هٰذَا القَوْلِ وَلا سُنَّةَ يَتَّبِعُهَا وَقَدْ بَالَغَ في إِنْكَارِ هٰذِهِ المَسْأَلَةِ عَلَيْهِ لِمُخَالَفَتِهِ فِيهَا مَنْ تَقَدَّمَهُ جَمَاعَةٌ وَشَنَّعُوا عَلَيْهِ الْخِلاَفَ فِيهَا مِنْهُمُ الطَّبَرِيُّ وَالقُشَيْرِي[١] وَغَيْرُ واحِدٍ.

وَقَالَ أَبو بَكرِ بنُ المُنْذِرِ[٢]: يُسْتَحَبُّ أنْ لاَ يُصَلِّيَ أَحَدٌ صَلاَةً إلاَّ صَلَّى فِيهَا عَلَى رسولِ الله ﷺ فإنْ تَرَكَ ذٰلِكَ تارك فَصَلاَتُهُ مُجزِئَةٌ في مَذْهَبِ مَالِكٍ[٣] وَأَهْلِ المَدِينَةِ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ[٤] وَأَهْلِ الكُوفَةِ مِنْ أَصْحَابِ الرَّأْيِ وَغَيْرِهِمْ وَهُوَ قَوْلُ جُمَلِ أَهْلِ العِلْمِ.

وَحُكِيَ عَنْ مَالِك وَسُفْيَانَ أَنَّهَا في التَّشَهُّدِ الأَخِيرِ مُسْتَحَبَّةٌ وَأَنَّ تَارِكَهَا في التَّشَهُّدِ مُسِيءٌ.

وَشَذَّ الشَّافِعِيُّ[٥] فَأَوْجَبَ عَلى تَارِكِهَا في الصَّلاَةِ الإعَادَةَ وَأَوْجَبَ إِسْحَاقُ الإعادَةَ مَعَ تَعَمُّدِ تَرْكِهَا دُونَ النِّسْيَانِ.

وَحَكَى أَبو محمدِ بنُ أبي زَيْدٍ[٦] عَنْ محمدِ بنِ المَوَّازِ[٧] أَنَّ الصَّلاَةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَرِيضَةٌ؛ قَالَ أَبو مُحمدٍ يُرِيدُ لَيْسَتْ مِنْ فَرَائِضِ الصَّلاَةِ؛ وَقَالَهُ محمدُ بنُ عَبْدِ الْحَكَمِ[٨] وَغَيْرُهُ.

وَحَكَى ابنُ القَصَّارِ[٩] وَعَبْدُ الوَهَّابِ[١٠] أَنَّ محمدَ بنَ المَوَّازِ يَرَاهَا فَرِيضَةً فِي الصَّلاَةِ كَقَوْلِ الشَّافِعِي.

وَحَكَى أبو يَعْلَى العَبْدِيُّ المَالِكِيُّ[١١] عَنِ المَذْهَبِ فِيهَا ثَلاَثَةَ أَقْوَالٍ: الْوُجُوبُ والسُّنَّةُ وَالنَّدْبُ.

---

(١) القشيري. تقدمت ترجمته.
(٢) أبو بكر بن المنذر. تقدمت ترجمته.
(٣) مالك بن أنس تقدمت ترجمته.
(٤) سفيان الثوري.. تقدمت ترجمته.
(٥) الشافعي. تقدمت ترجمته.
(٦) أبو محمد بن أبي زيد. تقدمت ترجمته.
(٧) محمد بن المواز. تقدمت ترجمته.
(٨) محمد بن الحكم. تقدمت ترجمته.
(٩) ابن القصار.. تقدمت ترجمته.
(١٠) عبد الوهاب.. تقدمت ترجمته.
(١١) أبو يعلى العبدي المالكي.. تقدمت ترجمته.

وَقَدْ خَالَفَ الْخَطَّابِيُّ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ وَغَيْرُهُ الشَّافِعِيَّ في هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ قَالَ الْخَطَّابِيُّ وَلَيْسَتْ بِوَاجِبَةٍ في الصَّلاةِ وَهُوَ قَوْلُ جَمَاعَةِ الْفُقَهَاءِ إلاَّ الشَّافِعِيَّ وَلاَ أَعْلَمُ لَهُ فِيهَا قُدْوَةً وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ فُرُوضِ الصَّلاَةِ عَمَلُ السَّلَفِ الصَّالِحِ قَبْلَ الشَّافِعِيِّ وَإِجْمَاعُهُمْ عَلَيْهِ، وَقَدْ شَنَّعَ النَّاسُ عَلَيْهِ هٰذِهِ الْمَسْأَلَةَ جِداً وَهٰذَا تَشَهُّدُ ابنِ مَسْعُودٍ[1] الَّذِي اخْتَارَهُ الشَّافِعِيُّ وَهُوَ الَّذِي عَلَّمَهُ لَهُ النبيُّ ﷺ لَيْسَ فِيهِ الصَّلاَةُ عَلى النبي ﷺ وَكَذٰلِكَ كُلُّ مَنْ رَوَى التَّشَهُّدَ عَنِ النبيِّ ﷺ كَأبي هُرَيْرَةَ[2] وابنِ عَباسٍ[3] وجابِرٍ وابنِ عُمَرَ[4] وأبي سَعيدٍ الْخُدْرِيِّ[5] وأبي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ[6] وعبدِ الله بنِ الزُّبَيْرِ[7] لم يَذْكُرُوا فِيهِ صَلاَةً عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ قَالَ ابنُ عباسٍ[8] وَجابِرٌ[9] كَانَ النبيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَنَحْوُهُ عَنِ أبي سَعِيدٍ[10]، وَقَالَ ابنُ عُمَرَ[11] كانَ أبو بكرٍ[12] يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ عَلَى الْمِنْبَرِ كَمَا يُعَلِّمُونَ الصِّبْيَانَ في الْكُتَّابِ؛ وَعَلَّمَهُ أَيْضاً عَلَى الْمِنْبَرِ عمرُ بنُ الخطابِ[13] رَضِيَ الله عَنْهُ وَفي الحديثِ: «لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»[14] قَالَ ابنُ القَصَّارِ[15] مَعْنَاهُ كَامِلَةً أَوْ لِمَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ مَرَّةً فِي عُمُرِهِ؛ وَضَعَّفَ أهلُ الحديثِ كلُّهم رِوايَةَ هذا الحديثِ وفي حديثِ أبي جعفرٍ[16] عن ابنِ مسعودٍ[17] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلاَةً لَمْ يُصَلِّ فِيهَا عَلَيَّ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِي لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ»[18].

---

(١) ابن مسعود. تقدمت ترجمته. (٢) أبو هريرة.. تقدمت ترجمته.

(٣) ابن عباس رضي الله عنهما. تقدمت ترجمته.

(٤) ابن عمر. رضي الله عنهما. تقدمت ترجمته.

(٥) أبو سعيد الخدري. رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٦) أبو موسى الأشعري رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٧) عبد الله بن الزبير. رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٨) ابن عباس رضي الله عنهما. تقدمت ترجمته.

(٩) جابر بن عبد الله رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(١٠) أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ترجمته تقدمت.

(١١) ابن عمر رضي الله عنهما. تقدمت ترجمته.

(١٢) أبو بكر رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(١٣) عمر بن الخطاب. رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(١٤) لا صلاة لمن لا يصلي عليّ.. الحديث/ أخرجه الزيلعي في نصب الراية: ١/٤٢٦. والبيهقي في السنن الكبرى: ٢/.

(١٥) ابن القصّار تقدمت ترجمته. (١٦) أبو جعفر تقدمت ترجمته.

(١٧) ابن مسعود رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(١٨) من صلى صلاة لم يصلي فيها عليّ.. الحديث/ أخرجه الزيلعي في نصب الراية ٣/٤٣٧ والدارقطني في سننه: ١/٣٥٥.

قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: الصوابُ أنه مِن قولِ أبي جعفر محمدِ بنِ الحسينِ[1] لَوْ صَلَّيْتُ صَلاَةً لَمْ أُصَلِّ فِيهَا عَلَى النبيِّ ﷺ وَلاَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ لَرَأَيْتُ أَنَّهَا لاَ تَتِمُّ.

الفصل الثالث: في المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي ﷺ

وَيُرَغَّبُ مِنْ ذٰلِكَ في تَشَهُّدِ الصَّلاةِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَذٰلِكَ بَعْدَ التَّشَهُّدِ وَقَبْلَ الدُّعَاءِ [حَدَّثَنَا القاضِي أبو عليٍّ رحمه الله بِقراءَتِي عليهِ قَالَ حَدَّثَنَا الإمامُ أبو القاسِمِ البَلْخِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الفارِسِيُّ عَنْ أبي القاسِمِ الخُزاعِيِّ عَنْ أبي الهَيْثَمِ بنِ كُلَيْبٍ عَنْ أبي عِيسَى الحَافِظِ حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بنُ غَيْلاَنَ حَدَّثَنَا عَبدُ الله بنُ يَزِيدَ المُقْرِىءُ حَدَّثَنَا حَيْوَةُ بنُ شُرَيْحٍ حَدَّثَنِي أَبُو هَانِىءٍ الخَوْلاَنِيُّ أَنَّ عَمْرو بنَ مَالِكٍ الجَنْبِي أخبرهُ][2] أنه سَمِعَ فَضَالَةَ بنَ عُبَيْدٍ[3] يقولُ سَمِعَ النبيُّ ﷺ رَجُلاً يَدْعُو في صَلاَتِهِ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النبيِّ ﷺ فَقَالَ النبيُّ ﷺ: **«عَجِلَ هٰذَا»**[4] ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ ولِغيرِهِ: **«إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ الله وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ»**[5] وَيُرْوَى مِنْ غَيْرِ هٰذَا السَّنَدِ بِتَمْجِيدِ الله وَهُوَ أَصَحُّ.

وعَنْ عمرَ بنِ الخطابِ[6] رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ الدُّعَاءُ وَالصَّلاَةُ مُعَلَّقٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فَلاَ يَصْعَدُ إِلَى الله مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

وَعَنْ عَلِيٍّ[7] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بمعناه: وَعَنْ عَلِيٍّ، وَعَلَى آل محمدٍ. وَرُوِيَ أَنَّ الدُّعَاءَ مَحْجُوبٌ حَتَّى يُصَلِّيَ الدَّاعِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

---

(١) أبو جعفر محمد بن الحسين. تقدمت ترجمته.

(٢) [. . .] ص ١٤ ساقطة من نسخة دمشق.

(٣) فضالة بن عبيد بن نافذ الأنصاري من بني عامر بن عوف، سكن مصر. حديثه عن أهل الشام ومصر وكان على قضاء دمشق بعد أبي الدرداء وتوفي في ولاية معاوية ترجمته في الثقات ٣/ ٣٣٠ والطبقات ٧/ ٤٠١ والإصابة ٣/ ٢٠٦ والحلية ٢/ ١٧.

(٤) عَجِلَ هذا. . الحديث/ أخرجه أبو داود في السنن رقم: ١٤٨١، والترمذي في السنن رقم: ٣٤٧٧، والإمام أحمد في المسند: ٦/ ١٨ والبيهقي في السنن الكبرى: ٢/ ١٤٨، والحاكم في المستدرك: ١/ ٢٣٠، والطبراني في المعجم الكبير ١٨/ ٣٠٧، ٣٠٨، وابن خزيمة في صحيحه ٧١٠، وابن الجوزي في زاد المسير ٦٠/ ٤١٩. والزيلعي في نصب الراية ١/ ٤٢٦، ٢/ ٢٧٢، والطحاوي في مشكل الآثار: ٣/ ٧٧، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ٤١.

(٥) إذا صلى أحدكم. . الحديث/ أخرجه الإمام الترمذي في السنن رقم: ٣٤٧٧، والحاكم في المستدرك ١/ ٢٣٠. وابن خزيمة في صحيحه: ٧١٠، والزيلعي في نصب الراية ١/ ٤٢١، ٢/ ٢٧٢، والزبيدي في اتحاف السادة المتقين: ٥/ ٤١ وابن حجر العسقلاني في فتح الباري: ١١/ ١٦٥.

(٦) عمر بن الخطاب رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٧) علي رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

وَعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ[١] إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَسْأَلَ اللهَ شَيْئاً فَلْيَبْدَأْ بِمَدْحِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ لِيَسْأَلْ فَإِنَّهُ اجْدَرَ أَنْ يَنْجَحَ.

وَعَنْ جابِرٍ[٢] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لاَ تَجْعَلُونِي كَقَدَحِ الرَّاكِبِ فَإِنَّ الرَّاكِبَ يَمْلأُ قَدَحَهُ ثُمَّ يَضَعُهُ وَيَرْفَعُ مَتَاعَهُ فَإِنِ احْتَاجَ إِلَى شَرَابٍ شَرِبَهُ أَوِ الْوُضُوءِ تَوَضَّأَ وَإِلاَّ هَرَاقَهُ وَلٰكِنِ اجْعَلُونِي فِي أَوَّلِ الدُّعَاءِ وَأَوْسَطِهِ وَآخِرِهِ»**[٣].

وَقَالَ ابنُ عَطَاءٍ[٤]: لِلدُّعَاءِ أَرْكَانٌ وَأَجْنِحَةٌ وَأَسْبَابٌ وَأَوْقَاتٌ فَإِنْ وَافَقَ أَرْكَانَهُ قَوِيَ وَإِنْ وَافَقَ أَجْنِحَتَهُ طَارَ فِي السَّمَاءِ وَإِنْ وَافَقَ مَوَاقِيتَهُ فَازَ وَإِنْ وَافَقَ أَسْبَابَهُ أَنْجَحَ فَأَرْكَانُهُ حُضُورُ الْقَلْبِ وَالرِّقَّةُ وَالاسْتِكَانَةُ وَالْخُشُوعُ وَتَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِاللهِ وَقَطْعُهُ مِنَ الأَسْبَابِ وَأَجْنِحَتُهُ الصِّدْقُ وَمَوَاقِيتُهُ الأَسْحَارُ وَأَسْبَابُهُ الصَّلاَةُ عَلَى محمدٍ ﷺ.

وَفِي الحديث: **«الدُّعَاءُ بَيْنَ الصَّلاَتَيْنِ لاَ يُرَدُّ»**[٥] وَفِي حَدِيثٍ آخر: **«كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ دُونَ السَّمَاءِ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلاَةُ عَلَيَّ صَعِدَ الدُّعَاءُ»**[٦].

وَفِي دُعَاءِ ابن عباسٍ[٧] الذي رواهُ عنه حَنَشٌ[٨] فَقَالَ فِي آخِرِهِ: **«وَاسْتَجِبْ دُعَائِي»** ثُمَّ تَبْدَأُ بِالصَّلاَةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَتَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ أَفْضَلَ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ أَجْمَعِينَ آمِينَ.

وَمِنْ مَوَاطِنِ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ عِنْدَ ذِكْرِهِ وَسَمَاعِ اسْمِهِ أَوْ كِتَابِهِ أَوْ عِنْدَ الأَذَانِ وَقَدْ قَالَ ﷺ: **«رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»**[٩].

---

(١) ابن مسعود رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٢) جابر بن عبد الله رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٣) لا تجعلوني كقدح الراكب.. الحديث/ أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ١٥٥ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٥/ ٤٢. وعبد الرزاق في مصنفه: ٣١١٧ وابن حجر في المطالب: ٣٣١٦، والمتقي الهندي في كنز العمال: ٢٢٥٢، ٢٢٥٣، ٢٢٥٤، ٣١١٧، وابن القيسراني في تذكرة الموضوعات... والشوكاني في الفوائد المجموعة: ٣٢٧.

(٤) ابن عطاء تقدمت ترجمته.

(٥) الدعاء بين الصلاتين.. الحديث/ أخرجه الترمذي في السنن رقم: ٣٥٩٤ ـ ٣٥٩٥ ـ والإمام أحمد في المسند. ٣/١١٩.

(٦) كل دعاء محجوب.. الحديث/ أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٠.

(٧) ابن عباس رضي الله عنهما تقدمت ترجمته.

(٨) حَنَشٌ: هو حنش بن عبد الله وثقه أبو زرعة وغيره توفي سنة ١٠٠ هـ.

(٩) رِغِمَ أَنْفُ رَجلٍ.. الحديث/ أخرجه الإمام الترمذي في السنن رقم: ٣٥٤٥ والإمام أحمد في المسند: ٢/ ٢٥٤ =

وَكَرِهَ ابنُ حَبِيبٍ ذِكْرَ النبيِّ ﷺ عِنْدَ الذَّبْحِ.

وَكَرِهَ سُحْنُونُ[1] الصَّلاَةَ عَلَيْهِ عِنْدَ التَّعَجُّبِ وَقَالَ لاَ يُصَلَّى عَلَيْهِ إلاَّ عَلَى طَرِيقِ الاحْتِسَابِ وَطَلَبِ الثَّوَابِ.

وَقَالَ أَصْبَغُ عَنِ ابنِ القَاسِمِ[2] مَوْطِنَانِ لاَ يُذْكَرُ فِيهِمَا إلاَّ الله الذَّبِيحَةُ وَالْعُطَاسُ فَلاَ تَقُلْ فِيهِمَا بَعْدَ ذِكْرِ الله محمدٌ رسولُ الله ﷺ وَلَوْ قَالَ بَعْدَ ذِكْرِ الله صلى الله عَلَى محمدٍ لَمْ يَكُنْ تَسْمِيَةً لَهُ مَعَ الله.

وَقَالَهُ أَشْهَبُ[3] قَالَ وَلاَ يَنْبَغِي أَنْ تُجْعَلَ الصَّلاَةُ عَلَى النبيِّ ﷺ فِيهِ اسْتِنَاناً.

وَرَوَى النَّسَائِيُّ[4] عن أَوْسِ بنِ أَوْسٍ[5] عن النبيِّ ﷺ الأَمْرَ بِالإِكْثَارِ مِنَ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ.

وَمِنْ مَوَاطِنِ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ دُخُولُ الْمَسْجِدِ قَالَ أَبو إِسْحَاقَ[6] بنُ شعبانَ وَيَنْبَغِي لِمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى النبيِّ ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَيَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ وَيُبَارِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَيُسَلِّمَ تَسْلِيماً وَيَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَإِذَا خَرَجَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ وَجَعَلَ مَوْضِعَ رَحْمَتِكَ فَضْلِكَ.

وَقَالَ عَمْرُو بنُ دِينَارٍ[7] فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]

= والحاكم في المستدرك: ١/٥٤٩، والتبريزي في مشكاة المصابيح: ٩٢٧٥ والإمام البغوي في شرح السنة ٣/١٩٨. والألباني في إرواء الغليل ١/٣٦، والمتقي الهندي في كنز العمال: ٢١٤٨، ٤٣٨٣٠. والمنذري في الترغيب والترهيب ٢/٥٠٨.

(١) سحنون: هو عبد السلام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي كنيته أبو سعيد ولد بالقيروان سنة ١٦٠ هـ أصله من حمص: اجتمع فيه من الفضائل ما افترق في غيره يعد من أئمة أهل المشرق والمغرب توفي سنة ٢٤٠ هـ ترجمته في شجرة النور الزكية: ٦٩ رقم ٨٠ من أهل الطبقة السادسة.

(٢) ابن القاسم. تقدمت ترجمته.

(٣) أشهب تقدمت ترجمته.

(٤) النسائي. هو الحافظ. أبو عبد الرحمن. أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي ولد سنة ٢١٤ هـ صاحب السنن الكبرى، توفي بفلسطين سنة ٣٠٣ سمع من خلائق لا يحصون وكان إماماً في الحديث ثقة ثبتاً حافظاً ترجمته في تهذيب التهذيب: ١/٣٧.

(٥) أوس بن أوس. تقدمت ترجمته.

(٦) أبو إسحاق بن شعبان. تقدمت ترجمته.

(٧) عمرو بن دينار. تقدمت ترجمته.

قَالَ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ فَقُلِ السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ قَالَ قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ[(١)] الْمُرَادُ بِالْبُيُوتِ هُنَا الْمَسَاجِدُ.

وَقَالَ النَّخعِيُّ[(٢)] إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْمَسْجِدِ أَحَدٌ فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَى رسولِ الله ﷺ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ.

وَعَنْ عَلْقَمَةَ إِذَا دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ أَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ صَلَّى الله وَمَلَائِكَتُهُ عَلَى محمدٍ. وَنَحْوُهُ عَنْ كَعْبٍ[(٣)] إِذَا دَخَلَ وَإِذَا خَرَجَ وَلَمْ يَذْكُرِ الصَّلَاةَ.

وَاحْتَجَّ ابنُ شَعْبَانَ[(٤)] لِمَا ذَكَرَهُ بِحديث فَاطِمَةَ[(٥)] بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ يَفْعَلُهُ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، وَمِثْلُهُ عَنْ أَبِي بَكْرِ بنِ عَمْرِو بنِ حَزْمٍ[(٦)] وَذَكَرَ السَّلَامَ وَالرَّحْمَةَ وَقَدْ ذَكَرْنَا هٰذَا الحديثَ آخِرَ القِسْمِ والاخْتِلَافَ فِي أَلْفَاظِهِ.

وَمِنْ مَوَاطِنِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ أَيضاً الصَّلَاةُ عَلَى الْجَنَائِزِ وَذُكِرَ عن أَبِي أُمَامَةَ[(٧)] أَنَّهَا مِنَ السُّنَّةِ.

وَمِنْ مَوَاطِنِ الصَّلَاةِ الَّتِي مَضَى عَلَيْهَا عَمَلُ الأُمَّةِ وَلَمْ تُنْكِرْهَا: الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وآلِهِ فِي الرَّسَائِلِ وَمَا يُكْتَبُ بَعْدَ الْبَسْمَلَةِ وَلَمْ يَكُنْ هٰذَا فِي الصَّدْرِ الأَوَّلِ وَأُحْدِثَ عِنْدَ وِلَايَةِ بَنِي هَاشِمٍ فَمَضَى بِهِ عَمَلُ النَّاسِ فِي أَقْطَارِ الأَرْضِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَخْتِمُ بِهِ أَيضاً الكُتُبَ؛ وَقَالَ ﷺ: **«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا دَامَ اسْمِي فِي ذٰلِكَ الْكِتَابِ»**[(٨)]. وَمِنْ مَوَاطِنِ السَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ تَشَهُّدُ الصَّلَاةِ.

حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ خَلَفُ بنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُقْرِىءُ الْخَطِيبُ رَحِمَهُ الله وَغَيْرُهُ قَالَ حَدَّثَتْنِي كَرِيمَةُ

---

(١) ابن عباس رضي الله عنهما تقدمت ترجمته.
(٢) النخعي تقدمت ترجمته.
(٣) كعب رضي الله عنه تقدمت ترجمته.
(٤) ابن شعبان. تقدمت ترجمته.
(٥) فاطمة بنت رسول الله ﷺ. تقدمت ترجمتها.
(٦) أبو بكر بن عمرو بن حزم. تقدمت ترجمته.
(٧) أبو أمامة. تقدمت ترجمته.
(٨) من صلى علي في كتاب.. الحديث/ أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب: ١/ ١٠٠ والهيثمي في مجمع الزوائد: ١/ ١٣٦، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٣/ ٢٨٩. وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق: ٢/ ١١٤. والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ١/ ٣١٢ والخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث: ٦٥ وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٢٢٨. والمتقي الهندي في كنز العمال: ٢٢٤٣.

بِنْتُ محمدٍ قَالَتْ حَدَّثَنَا أَبُو الْهَيْثَمِ حَدَّثَنَا محمدُ بنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا محمدُ بنُ إسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيم حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَنْ شَقِيقِ بنِ سَلَمَةَ عن عَبْد الله بنِ مسعودٍ[١] عَنِ النبيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَقُل: التحِيَّاتُ للهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ - فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُموها أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**»[٢] هٰذَا أَحَدُ مَوَاطِنِ التَّسْلِيمِ عَلَيْهِ، وَسُنَّتُهُ أَوَّلَ التَّشَهُّدِ وَقَدْ رَوَى مَالِكٌ[٣] عَنِ ابنِ عُمَرَ[٤] أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ ذٰلِكَ إِذَا فَرَغَ مِنْ تَشَهُّدِ وَأَرَادَ أَنْ يُسَلِّمَ[٥]، وَاسْتَحَبَّ مَالِكٌ فِي المَبْسُوطِ أَنْ يُسَلِّمَ بِمِثْلِ ذٰلِكَ قَبْلَ السَّلَامِ. قَالَ محمدُ بنُ مَسْلَمَةَ[٦] أَرَادَ مَا جَاءَ عَنْ عَائِشَةَ[٧] وابن عُمَرَ[٨] أَنَّهُمَا كَانَا يَقُولَانِ عِنْدَ سَلَامِهِمَا السَّلَامُ عَلَيْكَ أيها النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ؛ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ.

وَاسْتَحَبَّ أَهْلُ العِلْمِ أَنْ يَنْوِيَ الإِنْسَانُ حِينَ سَلَامِهِ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ مِنَ المَلَائِكَةِ وَبَنِي آدَمَ وَالْجِنِّ.

قَالَ مَالِكٌ فِي الْمَجْمُوعَةِ وَأُحِبُّ لِلْمَأْمُومِ إِذَا سَلَّمَ إِمَامُهُ أَنْ يَقُولَ السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ.

الفصل الرابع: في كيفية الصلاة عليه والتسليم

[حَدَّثَنَا أبو إسْحَاقَ إبْرَاهِيمُ بنُ جعفرٍ الفقيهُ بِقِرَاءَتِي عَلِيه حَدَّثَنَا القَاضِي أَبُو الأَصْبَغِ نا أَبُو عَبْدِ اللهِ بنُ عَتَّابٍ حَدَّثَنَا أبو بَكْرِ بنُ وَاقِدٍ وغَيْرُهُ حَدَّثَنَا أبو عيسَى حَدَّثَنَا عُبَيْدُ الله حَدَّثَنَا يَحْيَى حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ عبدِ الله بنِ أَبِي بَكْرِ بن حَزْمٍ عَنْ أَبِيهِ عن عَمْرِو بنِ سُلَيْمٍ الزُّرَقِيِّ أنه قال][٩] أَخْبَرَنِي أَبُو حُمَيْدٍ السَاعِدِيُّ[١٠] أنهم قالوا: يا رسولَ الله كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ: «**قُولُوا**

---

(١) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٢) إذا صلى أحدكم فليقل.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ١/ ٢١١ والبيهقي في السنن الكبرى: ٢/ ١٣٨، وابن حجر العسقلاني في فتح الباري: ٢/ ٣١١.

(٣) مالك بن أنس. تقدمت ترجمته.

(٤) ابن عمر رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٥) إذا فرغ من تشهده.. الحديث/ أخرجه الإمام مالك في الموطأ ١/ ٩٠.

(٦) محمد بن سلمة تقدمت ترجمته.

(٧) عائشة رضي الله عنها تقدمت ترجمتها.

(٨) ابن عمر رضي الله عنهما تقدمت ترجمته.

(٩) أبو حميد الساعدي. تقدمت ترجمته.

(١٠) [....] ص ٦٩ ساقطة من نسخة دمشق.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[١].

وَفِي رِوَايَةِ مَالِكٍ[٢] عَنْ أَبِي مسعودٍ الأَنْصَارِيِّ[٣] قَالَ: «قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ؛ وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عُلِّمْتُمْ»[٤].

وَفِي رِوَايَةِ كَعْبِ بنِ عُجْرَةَ[٥]: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ محمدٍ كما باركتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إنكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[٦] وَعَنْ عُقْبَةَ بن عمروٍ[٧] فِي حَدِيثِهِ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى محمدٍ النبيِّ الأُمِّيِّ وَعَلَى آلِ محمدٍ»[٨].

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ[٩] «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحمدٍ عبدِكَ وَرَسُولِكَ»[١٠]. وَذَكَرَ مَعْنَاهُ.

---

(١) قولوا اللهم صلى الله عليه وسلم.. الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند: ١/ ١٦٢ والطبراني في المعجم الكبير: ١٩/ ١٢٦ ـ ١٣١ والطحاوي في مشكل الآثار: ٣/ ٧٢ والسيوطي في الدر المنثور ٥/ ٢١٦ ـ والقرطبي في التفسير ١٤/ ٢٣٤. وأبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ١٠٨...

(٢) مالك بن أنس رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٣) أبو مسعود الأنصاري. تقدمت ترجمته.

(٤) قولوا اللهم.. الحديث السابق.

(٥) كعب رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٦) اللهم صلِ على محمد وعلى آل محمد.. الحديث/ أخرجه النسائي في السنن: في السهو كتاب ٤٩. وأبو داود في السنن رقم ٩٧٨ والإمام أحمد في المسند: ٤/ ٢٤٣، ٢٤٤، ٥/ ٢٧٤، والبيهقي في السنن الكبرى: ٢/ ١٤٦ ـ ١٤٧ ـ ١٤٨، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٣/ ٧٨، ٧٩، ٥/ ٥٠. والطحاوي في مشكل الآثار: ٣/ ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، والسيوطي في الدر المنثور: ٥/ ٢١٦، ٢١٧...

(٧) عقبة بن عمرو تقدمت ترجمته.

(٨) اللهم صلى على محمد النبي الأمي.. الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤/ ١١٩. والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٥/ ٨٠ والهيثمي في موارد الظمآن: ٥١٥. والدارقطني في السنن: ١/ ٣٥٥، والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣٩٨١.

(٩) أبو سعيد الخدري رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(١٠) اللهم صل على محمد عبدك ورسولك.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري. ٦/ ١٥١، ٨/ ٩٥. والنسائي في السهو كتاب ٥٣، وابن ماجه في السنن رقم: ٩٠٣ والإمام أحمد ٣/ ٤٧ والبيهقي في السنن الكبرى: ٢/ ١٤٧ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ٨٠، ٨١، ١٣٢ وابن كثير في التفسير ٦/ ٤٤٩ والطبري في التفسري ٢٢/ ٣٢، والمتقي الهندي في كنز العمال: ١٥٧٩٠ والطحاوي في مشكل الآثار: ٣/ ٧٣.

وحَدَّثَنَا الْقَاضِي أبو عبدِ الله التَّمِيمِي سَمَاعاً عَلَيْهِ وَأبو عَلِيٍّ[١] الحَسَنُ بنُ طَرِيفٍ النَّحْوِيُّ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ قَالاَ حَدَّثَنَا أبو عبدِ الله بنُ سَعْدٍ أن الْفَقِيه حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ الْمُطَّوِّعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أبو عبدِ الله الحاكِمُ عَنِ أَبِي بَكْرِ بن أَبِي دارمِ الحافِظِ عن عليِّ بنِ أحمدَ العِجْلِيِّ عَن حَرْبِ بنِ الْحَسَنِ عَن يَحْيَى بنِ الْمُسَاوِرِ عن عمرِو بنِ خالدٍ عن زيدِ بنِ علي بن الْحُسَيْنِ عَن أَبِيهِ عليٍّ عن أَبِيهِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بن أَبِي طالِبٍ[٢] قَالَ عَدَّهُنَّ فِي يَدِي رسولُ الله ﷺ وَقَالَ: «عَدَّهُنَّ فِي يَدِي جبريلُ وَقَالَ هٰكَذَا نَزَلَتْ مِن عِندَ رَبِّ الْعِزَّةِ اللَّهُمَّ صلِّ على محمدٍ وَعلى آلِ محمدٍ كَمَا صَلَّيتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلى آلِ إبراهِيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ بارِكْ عَلى محمدٍ وَعلى آلِ محمدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ وَتَرَحَّمْ عَلَى محمدٍ وَعَلَى آلِ محمدٍ كَمَا تَرَحَّمْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ إنكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ وَتَحَنَّنْ عَلَى محمدٍ وَعَلَى آلِ محمدٍ كَمَا تَحَنَّنْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ إنكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى محمدٍ وَعَلَى آلِ محمدٍ كَمَا سَلَّمْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[٣].

وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ[٤] عَنِ النبيِّ ﷺ «مَنْ سَرَّهُ أنْ يَكْتَالَ بالمِكْيَالِ الأَوْفَى إذَا صَلَّى عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيتِ فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ صلِّ عَلى محمدٍ النبيِّ وَأزْوَاجِهِ أُمَّهاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَذُرِّيَّتِهِ وَأهْلِ بَيْتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إبراهيمَ إنكَ حَمِيدٌ مجيدٌ»[٥].

وَفِي رِوَايَةِ زيدِ بنِ خارِجَةَ[٦] الأَنْصَارِيِّ سَأَلْتُ النبيَّ ﷺ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ: «صَلُّوا وَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ ثُمَّ قُولُوا اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى محمدٍ وَعلى آلِ محمدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[٧].

---

(١) [. . .] ص (٦٩ ـ ٧٠) ساقطة من نسخة دمشق.

(٢) علي بن أبي طالب رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٣) عدهن من في يدي. . الحديث/ أخرجه القرطبي في التفسير: ١٤/ ٢٣٤، والمتقي الهندي في كنز العمال: ٢١٨٣، ٣٩٩١.

(٤) أبو هريرة رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٥) من سره أن يكتال. . الحديث/ أخرجه أبو داود في السنن رقم: ٩٨٢ والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ١٥١. والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٣/ ٢٩٠، والسيوطي في الدر المنثور: ٥/ ٢١٦، ٢٩٥ والمتقي الهندي في كنز العمال رقم: ٢١٧٥، ٣٤٨١، والقرطبي في تفسيره: ١٥/ ١٤١ والتبريزي في مشكاة المصابيح: ٩٣٢.

(٦) زيد بن خارجة تقدمت ترجمته.

(٧) صلوا واجتهدوا. . الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ١٩٩ والسيوطي في اللآلىء المصنوعة ٢/ ٥٢.

وَعَنْ سَلامَةَ الْكِنْدِيِّ[1] كان عَلِيٌّ[2] يُعَلِّمُنَا الصَّلاةَ على النبيِّ ﷺ اللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحَاتِ وَبَارِئَ الْمَسْمُوكَاتِ اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ وَرَأْفَةَ تَحَنُّنِكَ عَلَى محمدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَالمُعْلِنِ الحَقَّ وَالدَّامِغِ لِجَيْشَاتِ الأَبَاطِيلِ كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ بِأَمْرِكَ لِطَاعَتِكَ مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ وَاعِياً لِوَحْيِكَ حَافِظاً لِعَهْدِكَ مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِسٍ، آلاءُ اللهِ تَصِلُ بِأَهْلِهِ أَسْبَابَهُ؛ بِهِ هُدِيَتِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الفِتَنِ وَالإِثْمِ وَأَبْهَجَ مُوضِحَاتِ الأَعْلامِ وَنَائِرَاتِ الأَحْكَامِ وَمُنِيرَاتِ الإِسْلامِ فَهُوَ أَمِينُكَ المَأْمُونُ وَخَازِنُ عِلْمِكَ المَخْزُونِ وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً وَرَسُولُكَ بِالحَقِّ رَحْمَةً اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ فِي عَدْنِكَ وَأَجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ مُهَنَّئَاتٍ لَهُ غَيْرَ مُكَدَّرَاتٍ مِنْ فَوْزِ ثَوَابِكَ المَحْلُولِ وَجَزِيلِ عَطَائِكَ المَعْلُولِ اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلى بِنَاءِ النَّاسِ بِنَاءَهُ وَأَكْرِمْ مَثْوَاهُ لَدَيْكَ وَنُزُلَهُ وَأَتِمَّ لَهُ نُورَهُ وَاجْزِهِ مِنَ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ وَمَرْضِيَّ المَقَالَةِ ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وَخُطَّةٍ فَصْلٍ وَبُرْهَانٍ عَظِيمٍ.

وَعَنْهُ أَيْضاً فِي الصَّلاةِ على النبيِّ ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] الآية لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ رَبِّي وَسَعْدَيْك صَلَوَاتُ اللهِ البَرِّ الرَّحِيمِ وَالْمَلائِكَةِ المُقَرَّبِينَ وَالنَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَمَا سَبَّحَ لَكَ مِنْ شَيْءٍ يَا رَبَّ العَالَمِينَ عَلَى مُحَمد بنِ عبدِ الله خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَإِمَامِ المُتَّقِينَ وَرَسُول رَبِّ العَالَمِينَ الشَّاهِدِ البَشِيرِ الدَّاعي إِلَيْكَ بِإِذْنِكَ السِّرَاجِ المُنِيرِ وَعَلَيْهِ السَّلامُ.

وَعَنْ عبدِ الله بن مَسْعُودٍ[3] اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ عَلَى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَإِمَامِ المُتَّقِينَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ محمدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ إِمَامِ الخَيْرِ وَرَسُولِ الرَّحْمَةِ اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً يَغْبِطُهُ فِيهِ الأَوَّلُونَ والآخِرُونَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى محمدٍ وَعَلَى آلِ محمدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ وَبَارِكْ عَلَى محمدٍ وَعَلَى آلِ محمدٍ كما بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

وَكَانَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ[4] يَقُولُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَشْرَبَ بِالكَاسِ الأَوْفَى مِن حَوْضِ المُصْطَفَى فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى محمدٍ وَعلى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَوْلادِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْهَارِهِ وَأَنْصَارِهِ وَأَشْيَاعِهِ وَمُحِبِّيهِ وَأُمَّتِهِ وَعَلَيْنَا مَعَهُمْ أَجْمَعِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

---

(١) سلامة الكندي تقدمت ترجمته.

(٢) علي بن أبي طالب: تقدمت ترجمته.

(٣) عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما تقدمت ترجمته.

(٤) الحسن البصري. تقدمت ترجمته.

وَعَنْ طَاوُسٍ[(١)] عَنِ ابنِ عبَّاسٍ[(٢)] أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ شَفَاعَةَ محمدٍ الكُبْرَى وَٱرْفَعْ دَرَجَتَهُ الْعُلْيَا وآتِهِ سُؤْلَهُ في الآخِرَةِ وَالأُولَى كَمَا آتَيْتَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى.

وَعَنْ وُهَيْبِ بنِ الْوَرْدِ[(٣)] أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ في دُعَائِهِ اللَّهُمَّ أَعْطِ محمداً أَفْضَلَ مَا سَأَلَكَ لِنَفْسِهِ وَأَعْطِ محمداً أَفْضَلَ مَا سَأَلَكَ لَهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ وَأَعْطِ محمداً أفضلَ مَا أَنْتَ مَسْؤُولٌ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَعَنِ ابنِ مسعودٍ[(٤)] رَضِيَ الله عَنْهُ أنه كان يَقُول إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى النبيِّ ﷺ فَأَحْسِنُوا الصَّلاَةَ عَلَيْهِ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ لَعَلَّ ذٰلِكَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ وَقُولُوا اللَّهُمَّ ٱجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ وَخَاتِمِ النَّبِيِّينَ محمدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ إمامِ الْخَيْرِ وَقَائِدِ الْخَيْرِ وَرَسُولِ الرَّحْمَةِ اللَّهُمَّ ٱبْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً يَغْبِطُهُ فِيهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى محمدٍ وَعَلَى آلِ محمدٍ كَمَا صَلَّيتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى محمدٍ وَعَلَى آلِ محمدٍ كَمَا بَارَكتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

وَمَا يُؤْثَرُ مِنْ تَطْوِيلِ الصَّلاَةِ وَتَكْثِيرِ الثَّنَاءِ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَغَيْرِهِمْ كَثِيرٌ وقولُهُ وَالسلامُ كَمَا قَدْ عُلِّمْتُمْ هُوَ مَا عَلَّمَهُمْ في التَّشَهُّدِ مِن قولِهِ السلامُ عليكَ أيها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاتُهُ السلامُ عَلَينا وعَلَى عِبَادِ الله الصالِحِينَ، وفِي تَشَهُّدِ عَلِيٍّ السلامُ على نبيِّ الله السلامُ عَلَى أنبياءِ الله ورُسلهِ السلامُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ عَلى محمدِ بنِ عبدِ الله السلامُ عَلينا وعلى المُؤْمِنِينَ والمؤمِنَاتِ مَنْ غَابَ مِنْهُمْ ومَنْ شَهِدَ اللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لمحمدٍ وَتَقَبَّلْ شَفَاعَتَهُ وَٱغْفِرْ لِأَهْلِ بَيْتِهِ وَٱغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَمَا وَلَدَا وَٱرْحَمْهُمَا السلامُ علينا وَعَلى عِبَادِ الله الصالِحِينَ السلامُ عليكَ أَيُّهَا النبيُّ ورحمةُ الله وبركاتُهُ جاءَ في هَذَا الحَدِيثِ عَنْ عَلِيٍّ[(٥)]: الدُّعاءُ لِلنبيِّ ﷺ بالْغُفْرَانِ.

وَفِي حَدِيثِ الصلاة عليه عَنْهُ أيضاً قَبْلُ: الدُّعاءُ لَهُ بِالرَّحْمَةِ وَلَمْ يَأْتِ فِي غَيْرِهِ مِنَ الأحاديثِ الْمَرْفُوعة المعروفَةِ وَقَدْ ذَهَبَ أبو عمرَ بْنُ عبد البرِّ[(٦)] وغيرُهُ إِلَى أنه لا تُدْعَى للنبيِّ ﷺ بالرَّحْمَةِ وَإِنَّما يُدْعَى لَهُ بالصَّلاَةِ وَالْبَرَكَةِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِهِ وَيُدْعَى لِغَيْرِهِ بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ وَقَدْ ذَكَرَ أبو محمدِ بنُ أبي زيدٍ[(٧)] في الصَّلاَةِ عَلَى النبيِّ ﷺ اللَّهُمَّ ٱرْحَمْ محمداً وآلَ

---

(١) طاوس. تقدمت ترجمته.
(٢) ابن عباس رضي الله عنهما تقدمت ترجمته.
(٣) وهب بن الورد. تقدمت ترجمته.
(٤) ابن مسعود رضي الله عنهما تقدمت ترجمته.
(٥) علي بن أبي طالب رضي الله عنه تقدمت ترجمته.
(٦) أبو عمر بن عبد البر تقدمت ترجمته.
(٧) أبو محمد بن أبي زيد تقدمت ترجمته.

محمدٍ كما تَرَحَّمْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وآل إبراهِيمَ وَلَمْ يَأْتِ هٰذَا في حدِيثٍ صحِيحٍ وَحُجَّتُهُ قولُهُ في السلامِ: السلامُ عليكَ أيها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاتُهُ[(١)].

الفصل الخامس: في فضيلة الصلاة على النبيّ والتسليم عليه والدُّعاء له

[حَدَّثَنَا أحمدُ بنُ محمدٍ الشيخُ الصالِحُ مِن كِتابِهِ حَدَّثَنَا القاضِي يُونُسُ بنُ مُغِيثٍ حَدَّثَنَا أبو بكرِ بن مُعاوِيَةَ حَدَّثَنَا النَّسائِي أَنْبأنا سُوَيْدُ بنُ نَصْرٍ أخبرنا عبدُ الله عن حَيْوَةَ بنِ شُرَيْحٍ قَالَ أخبرنِي كَعْبُ بنُ عَلْقَمَةَ أنه سمِع عبدَ الرحمنِ بنِ جُبَيْرٍ مَوْلَى نافِعٍ أنه سمِعَ عبدَ[(٢)] الله بنَ عَمْرو][(٣)] يقولُ سمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ وَصلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً وَاحِدَةً صلى الله عليه عَشْراً ثُمَّ سَلُوا لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ**»[(٤)].

وَرَوَى أَنَسُ بنُ مَالِكٍ[(٥)] أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَلَّى[(٦)] عَلَيَّ صَلاَةً صَلَى الله عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَحطَّ عَنْهُ عَشْرَ خطِيئَاتٍ وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ**»[(٧)] وَفِي رِوايةٍ وَكَتَبَ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ.

وَعن أنس عنه ﷺ: «**أَنَّ جِبْرِيلَ نَادَانِي[(٨)] فَقَالَ مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلاَةً صلى الله عليه عَشْراً وَرَفَعَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ**» وَمِنْ رِوايةِ عبدِ الرَّحْمٰنِ بنِ عَوْفٍ[(٩)] عَنْهُ ﷺ «**لَقِيتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ لِي إِنِّي أُبَشِّرُكَ أَنَّ الله تَعَالَى يَقُولُ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَمَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ**»[(١٠)].

---

(١) السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.. الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند: ١/١٩٩.

(٢) [. . . .] ساقطة من نسخة دمشق.

(٣) عبد الله بن عمر رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٤) إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول. . الحديث/ أخرجه الإمام مسلم في الصحيح في الصلاة (١١) وأبو داود في السنن رقم: ٥٢٣، والترمذي في السنن رقم: ٣٦١٤ والنسائي في السنن ٢/٢٥. وابن خزيمة في صحيحه ٤١٨.

(٥) أنس بن مالك رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٦) من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر صلوات. . الحديث/ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢/٥١٧ والحاكم في المستدرك: ١/٥٥٠.

(٧) أنس. .

(٨) أن جبريل ناداني. . الحديث/ أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر: ٦٤.

(٩) عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(١٠) لقيت جبريل فقال لي إني أبشرك. . الحديث/ أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ٢/٣٧١، ٩/٢٨٦، وابن أبي الدنيا في الشكر: ٦٤، وقد سبق ذكره.

وَنَحْوُهُ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ[١] وَمَالِكِ بنِ أَوْسٍ[٢] بن الحَدَثَانِ وَعُبَيدِ الله بنِ أبي طَلْحَةَ[٣] وَعَنْ زَيْدِ بنِ الْحُبَابِ[٤] سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ قَالَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى محمدٍ وأَنْزِلْهُ المَنْزِلَ المُقَرَّبَ عِنْدَكَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي**»[٥] وَعَنِ ابنِ مسعودٍ[٦]. «**أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاةً**»[٧] وَعن أبي هُرَيْرَةَ[٨] عَنْهُ ﷺ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلِ المَلائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا بَقِيَ اسْمِي فِي ذٰلِكَ الكِتَابِ**»[٩] وَعَنْ عامِرِ بنِ رَبِيعَةَ[١٠] سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّتْ عَلَيْهِ المَلائِكَةُ مَا صَلَّى عَلَيَّ فَلْيُقِلَّ مِنْ ذٰلِكَ عَبْدٌ أَوْ لِيُكْثِرْ**»[١١] وَعَنْ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ[١٢] كانَ رسولُ الله ﷺ إذا ذَهَبَ رُبُعُ اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا الله جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ**»[١٣] فَقَالَ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ[١٤] يَا رسولَ الله إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاتِي؟ قَالَ: «مَا

---

(١) أبو هريرة رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٢) مالك بن أوس بن الحدثان رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٣) عبيد الله بن أبي طلحة رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٤) زيد بن الحباب رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٥) من قال اللهم صل على محمد.. الحديث/ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٥/ ٤١ والمنذري في الترغيب والترهيب: ٢/ ٥٠٤ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ٥١.

(٦) ابن مسعود رضي الله عنهما تقدمت ترجمته.

(٧) أولى الناس بي يوم القيامة.. الحديث/ أخرجه الترمذي في السنن رقم: ٤٨٤ والهيثمي في موارد الظمآن: ٢٣٨٩ وابن كثير في تفسيره: ٦/ ٤٥٦ والتبريزي في مشكاة المصابيح: ٩٢٣ والإمام البغوي في شرح السنة ٣/ ١٩٧. والسيوطي في الدر المنثور ٥/ ٢١٨. والعجلوني في كشف الخفا ١/ ٣١٤، وفي ميزان الاعتدال: ٢٤٦٢، ٨٩٤٥.

(٨) أبو هريرة رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٩) من صلى عليّ في كتاب.. الحديث/ أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ٥٠، وابن كثير في تفسيره: ٦/ ٤٦٧، والقرطبي في التفسير ١٤/ ٢٣٥، برواية «من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة يصلون عليه».

(١٠) عامر بن رسعة تقدمت ترجمته.

(١١) من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة.. الحديث/ أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٣/ ٢٨٩، ٥/ ٤٨، والإمام البغوي في شرح السنة: ٣/ ١٩٨ وابن المبارك في الزهد: ٣٦٤، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار.

(١٢) أبي بن كعب رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(١٣) يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة.. الحديث/ أخرجه الإمام الترمذي في السنن رقم ٢٤٥٧. والخطيب البغدادي في الفقه والمتفقه: ١٧.

(١٤) أبي بن كعب ترجمته تقدمت.

شِئْتَ»[١] قَالَ: الرُّبُعَ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ» قَالَ: الثُّلُثَ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ» قَالَ: النِّصْفَ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ» قَالَ: الثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ» قَالَ: يَا رسولَ الله فَأَجْعَلُ صَلاَتِي كُلَّهَا لَكَ قَالَ إِذاً تُكْفَى وَيُغْفَرَ ذَنْبُكَ.

وَعَن أبي طَلْحَةَ[٢]: دَخَلْتُ عَلَى النبيِّ ﷺ فَرَأَيْتُ مِنْ بِشْرِهِ وَطَلاَقَتِهِ مَا لَمْ أَرَهُ قَطُّ فَسَأَلْتُهُ؛ فَقَالَ: «وَمَا يَمْنَعُنِي وَقَدْ خَرَجَ جِبْرِيل آنِفاً فَأَتَانِي بِبِشَارَةٍ مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ إن الله تَعَالَى بَعَثَنِي إِلَيْكَ أُبَشِّرُكَ أَنَّهُ لَيسَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ يُصَلِّي عَلَيْكَ إِلاَّ صلى الله عليه وَمَلاَئِكَتُهُ بِهَا عَشْراً»[٣].

وَعَن جَابِرِ بنِ عبدِ الله[٤] قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ اللَّهُمَّ رَبَّ هٰذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ آتِ محمداً الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدْتَهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٥].

وَعَن سعدِ بنِ أَبي وَقَّاصٍ[٦] مَنْ قَالَ: «حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ رَضِيتُ بِالله رَبّاً وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً وَبِالإِسْلاَمِ دِيناً غُفِرَ لَهُ»[٧].

---

(١) ما شئت.. الحديث/ أخرجه الإمام الترمذي في السنن رقم: ٢٤٥٧، والتبريزي في مشكاة المصابيح: ٦١٦، والمتقي الهندي في كنز العمال رقم: ٣٩٩٧، والهيثمي في الفتاوى الحديثة: ١٧.

(٢) أبو طلحة تقدمت ترجمته.

(٣) وما يمنعني.. الحديث/ أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال رقم: ٤٠٠٨.

(٤) جابر بن عبد الله رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٥) من قال حين يسمع النداء.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١/ ١٥٩، ٦/ ١٠٨ والنسائي في السنن ٢/ ٢٧، والإمام أحمد في المسند: ٢/ ٤٥٤ والبيهقي في السنن الكبرى ١/ ٤١٠ والطبراني في المعجم الصغير: ١/ ٢٤٠ والمنذري في الترغيب والترهيب: ١/ ١٨٥ والإمام البغوي في شرح السنة ٢/ ٢٨٤، والتبريزي في مشكاة المصابيح: ٦٥٩ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٣/ ٦، ٥/ ٥٠، والألباني في إرواء الغليل ١/ ٢٥٩، وابن بحر في تلخيص الحبير ١/ ٢١٠، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٩٨ وابن عاصم في السنة: ٢/ ٣٩٥.

(٦) سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٧) من قال حين يسمع المؤذن.. الحديث/ أخرجه الإمام مسلم في الصحيح كتاب الصلاة (١٣) والترمذي في السنن رقم: ٢١٠، والنسائي في السنن: ٢/ ٢٦، والإمام أحمد في المسند: ١/ ١٨١ والحاكم في المستدرك: ١/ ٢٠٣، وأبو داود في السنن رقم: ٥٢٥. وابن خزيمة في صحيحه: ٤٢، والمنذري في الترغيب والترهيب: ١/ ١٨٥ وابن السني في عمل اليوم والليلة: ٩٥.

وَرَوى ابنُ وَهب[١] أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «مَنْ سَلَّمَ عَلَيَّ عشراً فكأنّما أعْتَقَ رَقَبَةً»[٢] وَفي بَعضِ الآثارِ «لَيَردَنَّ عَلَيَّ أقْوامٌ مَا أعْرِفُهُمْ إلاّ بِكَثْرَةِ صَلاتِهمْ عَلَيَّ»[٣] وَفِي آخرَ «إن أنْجاكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنْ أهْوالِهَا وَمَواطِنِهَا أكْثرُكُمْ عَلَيَّ صَلاةً»[٤] وَعَنْ أبي بكر الصِّدِّيق[٥] الصلاة على النبي ﷺ أمْحَقُ لِلذُّنُوبِ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ لِلنَّارِ، وَالسَّلامُ عَلَيهِ أفْضَلُ مِنْ عِتْقِ الرِّقَابِ.

الفصل السادس: في ذم من لم يصل على النبي ﷺ وإثمه

[حَدَّثَنا القاضي الشهيدُ أبو عَلِيٍّ رَحِمَهُ الله حَدَّثَنا أبو الْفَضْل بنُ خَيْرُونَ وأبو الْحَسَنِ الصَّيْرَفِيُّ قَالاَ: حَدَّثَنا أبو يَعْلى، حَدَّثَنا السِّنْجِيُّ، حَدَّثَنا مُحَمَّدُ بنُ مَحْبُوب، حَدَّثَنا أبو عِيسَى، حَدَّثَنا أحْمَدُ بنُ إبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ، حَدَّثَنا رِبْعِيُّ بنُ إبْرَاهِيمَ عن عبدِ الرَّحْمٰن بنِ إسْحاقَ، عن سَعِيدِ بنِ أبي سعِيدٍ][٦]، عن أبي هُرَيْرَةَ[٧] قَالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «رَغِمَ أنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ وَرَغِمَ أنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أنْ يُغْفَرَ لَهُ وَرَغِمَ أنْفُ رَجُلٍ أدْرَكَ عِنْدَهُ أبَوَاهُ الْكِبَرَ فَلَمْ يُدْخلاهُ الْجَنَّةَ»[٨] قالَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ وَأظُنُّهُ قالَ أوْ أحَدُهُما.

وفي حديثٍ آخَرَ أنَّ النبي ﷺ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «آمِينَ» ثُمَّ صَعِدَ فَقَال «آمِينَ»[٩] ثُمَّ صَعِدَ فَقَال: «آمِينَ» فَسَألَهُ مُعاذٌ عَنْ ذٰلِكَ فَقَال: «إنَّ جِبْرِيلَ أتَانِي فَقَالَ يا مُحمدُ مَنْ سُمِّيتَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأبْعَدَهُ الله قُلْ آمِينَ»[١٠] فَقُلْتُ «آمِينَ». وقالَ فِيمَنْ أدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ فَمَاتَ مِثْلَ ذٰلِكَ وَمَنْ أدْرَكَ أبَوَيْهِ أوْ أحَدَهُمَا فَلَمْ يَبَرَّهُمَا فَمَاتَ مِثْلَهُ» وَعَنْ عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِب[١١] عنه ﷺ أنه

---

(١) ابن وهب تقدمت ترجمته.

(٢) من سلم عليّ عشراً فكأنما أعتق رقبة.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٧/٨٦، ٨/٢٩، ٤٩. والترمذي في السنن رقم: ١٢٠٠، وابن ماجه في السنن: ١٦٧١. والإمام أحمد في المسند ٢/٢٠٨، ٤/٣٧، والحاكم في المستدرك: ٢/٢٠٣.

(٣) ليردن عليّ أقوام ما أعرفهم.. هذا الأثر لم أعثر عليه في كتب الحديث.

(٤) إن أنجاكم يوم القيامة من أهوالها.. الحديث/ أخرجه عياض في الشفا: ٢/١٧٦.

(٥) أبو بكر الصديق رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٦) [. . . .] ص (٧٧) ساقطة من نسخة دمشق.

(٧) أبو هريرة رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٨) رغم أنف رجل ذكرت عنده.. الحديث/ أخرجه الإمام مسلم في الصحيح ٤/١٩٧٨ كتاب البر والصلة والآداب (٤٥) باب، رغم أنف من أدرك أبويه (٣) الحديث: ٩/٢٥٥١.

(٩) صعد المنبر فقال آمين.. الحديث/ أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/١٣٩.

(١٠) إن جبريل أتاني فقال.. الحديث/ أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال: ٤٠٠٠، ٣٣٩٢٨.

(١١) علي بن أبي طالب رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

قال: «البَخِيلُ الذِي ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»[(١)] وَعَنْ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ[(٢)] عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَال رسول الله ﷺ «مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ أُخْطِىءَ بِهِ طَرِيقَ الْجَنَّةِ»[(٣)]. وَعَنْ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ[(٤)] أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «إِنَّ البَخِيلَ كُلَّ البَخِيلِ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»[(٥)] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[(٦)] قَالَ أَبُو القَاسِمِ[(٧)] ﷺ «أَيُّمَا قَوْمٍ جَلَسُوا مَجْلِساً ثُمَّ تَفَرَّقُوا قَبْلَ أَنْ يَذْكُرُوا الله وَيُصَلُّوا عَلى النبيِّ ﷺ كانَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ الله تِرَةٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»[(٨)] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[(٩)] رضي الله عنه «مَنْ نَسِيَ الصَّلاةَ عَلَيَّ نَسِيَ طَرِيقَ الجَنَّةِ»[(١٠)] وَعَنْ قَتَادَةَ[(١١)] عَنْهُ ﷺ: «مِنَ الجَفَاءِ أَنْ أُذْكَرَ عِنْدَ الرَّجُلِ فَلاَ يُصَلِّي عَلَيَّ»[(١٢)] وَعَنْ جَابِرٍ[(١٣)] عنه ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً ثُمَّ تَفَرَّقُوا عَلَى غَيْرِ صَلاةٍ عَلى النَّبِيِّ ﷺ إلاَّ تَفَرَّقُوا عَلى أَنْتَنِ مِنْ رِيحِ الجِيفَةِ»[(١٤)] وعن

---

(١) البخيل الذي ذكرت عنده.. الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند: ١/ ٢٠١، والطبراني في المعجم الكبير ٣/ ١٣٧، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ١٦٤ والسيوطي في الدر المنثور: ٥/ ٤٩ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٢١٤٦، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ١/ ٣١١، والعجلوني في كشف الخفا: ١/ ٣٣٢.

(٢) جعفر بن محمد تقدمت ترجمته.

(٣) من ذكرت عنده فلم يصل عليّ.. الحديث/ أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء. ٦/ ٢٣١٦.

(٤) علي بن أبي طالب رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٥) إن البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي.... الحديث/ أخرجه الحاكم في المستدرك: ١/ ٥٤٩، والسيوطي في جمع الجوامع: ٥٤١١ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٢٢٤٦، ٢٢٥٢.

(٦) أبو هريرة رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٧) أبو القاسم تقدمت ترجمته.

(٨) أيما قوم جلسوا مجلساً.. الحديث/ أخرجه الحاكم في المستدرك: ١/ ٤٩٦. وابن السني في اليوم والليلة: ٤٤٣، والمتقي الهندي في كنز العمال: ٢٥٤١٠.

(٩) أبو هريرة رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(١٠) من نسي الصلاة عليّ نسي طريق الجنة.. الحديث/ أخرجه ابن ماجه في السنن رقم ٩٠٨، والبيهقي في السنن الكبرى: ٩/ ٢٨٦، والطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ١٨٠ وابن حجر في فتح الباري: ١١/ ١٦٨، وابن نعيم في حلية الأولياء: ٦/ ٢٧٦.

(١١) قتادة رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(١٢) من الجفاء أن أذكر عند الرجل فلا يصلي عليّ.. الحديث/ أخرجه عياض في الشفا: ٢/ ٦٥٥.

(١٣) جابر بن عبد الله تقدمت ترجمته.

(١٤) ما جلس قوم مجلساً ثم تفرقوا على غير صلاة على النبي.. الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٢/ ٤٤٦، والترمذي في السنن، ٥/ ٤٦١ كتاب الدعاء (٤٩) باب في القوم يجلسون ولا يذكرون الله. (٨) الحديث. ٣٣٨٠، والنسائي في عمل اليوم والليلة: ٣١٣. باب من جلس مجلساً لم يذكر الله تعالى فيه الحديث ٤٠٦.

أبي سَعِيدٍ[1] عنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لاَ يَجْلِسُ قَوْمٌ مَجْلِساً لاَ يُصَلُّونَ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً وَإنْ دَخَلُوا الجَنَّةَ لِمَا يَرَوْنَ مِنَ الثَّوَابِ**»[2] وَحَكَى أبو عيسى التِّرْمِذِيُّ[3] عَنْ بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ قَالَ: إذَا صَلَّى الرَّجُلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مَرَّةً في المَجْلِسِ أَجْزَأَ عَنْهُ مَا كَانَ في ذٰلِكَ المَجْلِسِ.

الفصل السابع: في تخصيصه ﷺ بتبليغ صلاةِ من صلى عليه أو سلم من الأنام

[حَدَّثَنَا القَاضِي أبو عَبْدِ الله التَّمِيمِي حَدَّثَنَا الحُسَيْنُ بنُ محمدٍ حَدَّثَنَا أبو عُمَرَ الحَافِظُ حَدَّثَنَا ابنُ عبد المُؤْمِنِ حَدَّثَنَا ابنُ دَاسَةَ حَدَّثَنَا أبو داودَ حَدَّثَنَا ابنُ عَوْفٍ حَدَّثَنَا المُقْرِىءُ حَدَّثَنَا حَيْوَةُ عَنْ أَبِي صَخْرٍ حُمَيْدِ بنِ زِيادٍ عن يَزِيدَ بنِ عبدِ الله بنِ قُسَيْطٍ][4] عَنْ أبي هُرَيْرَةَ[5] رَضِيَ الله عنه أنَ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إلاَّ رَدَّ الله عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ**»[6] وَذَكَرَ أبو بَكْرِ بنُ أبي شَيْبَةَ[7] عَنْ أبي هُرَيْرَةَ[8] قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ نَائِياً بُلِّغْتُهُ**»[9]. وَعَن ابن مسعود[10]: «**إنَّ لله مَلاَئِكَةً سَيَّاحِينَ في الأَرْض يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلاَمَ**»[11] وَنحوُهُ عَنْ

---

(١) أبو سعيد الخدري رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٢) لا يجلس قوم مجلساً لا يصلون فيه على النبي.. الحديث/ أخرجه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه: ٢/ ١٢٣ وابن الجوزي في العلل المتناهية: ٥/ ٣٥٣.

(٣) أبو عيسى الترمذي تقدمت ترجمته.

(٤) [....] ص (٧٨ ـ ٧٩) ساقطة من نسخة دمشق.

(٥) أبو هريرة رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٦) ما من أحد يسلم عليّ.. الحديث/ أخرجه أبو داود في السنن كتاب المناسك (٩٧) والإمام أحمد في المسند: ٢/ ٥٢٧ والبيهقي في السنن الكبرى ٥/ ٢٤٥، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٦٢ والتبريزي في مشكاة المصابيح: ٩٢٥، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٤٩٩ والمتقي الهندي في كنز العمال ٦/ ٤٦٤، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤/ ٤١٩، ١٠/ ٣٦٥.

(٧) أبو بكر بن أبي شيبة تقدمت ترجمته.

(٨) أبو هريرة رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٩) من صلى علي عند قبري.. الحديث/ أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ٣٠٣ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٣/ ٢٨٩، ١٠/ ٣٦٥، والتبريزي في مشكاة المصابيح: ٩٣٤. والسيوطي في الدر المنثور: ٥/ ٢١٩، والمتقي الهندي في كنز العمال: ٢١٦٥، ٢١٩٧، ٢١٩٨.

(١٠) ابن مسعود رضي الله عنهما تقدمت ترجمته.

(١١) إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام.. الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند: ١/ ٤٥٢، =

أبي هُريرة[١]. وَعَنْ ابنِ عُمر[٢]: «أَكْثِرُوا مِنَ السَّلاَمِ عَلَى نَبِيِّكُمْ كُلَّ جُمُعَةٍ فَإِنَّهُ يُؤْتَى بِهِ مِنكُمْ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ»[٣]. وفي روايةٍ: فَإِنَّ أَحداً لاَ يُصَلِّي عَلَيَّ إِلاَّ عُرِضَتْ صَلاَتُهُ عَلَيَّ حِينَ يَفْرُغُ مِنْهَا. وعن الحسنِ[٤] عنه ﷺ: «حَيْثُمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي»[٥] وَعَن ابنِ عباسٍ[٦] لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ يُسَلِّمُ عَلَيْه وَيُصَلِّي عَلَيْهِ إِلاَّ بُلِّغَهُ. وَذكر بعضُهم أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا صَلَّى عَلَى النبيِّ ﷺ عُرِضَ عَلَيْهِ اسْمُهُ. وَعنِ الحسنِ بنِ عَليٍّ[٧] إِذَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ فَسَلِّمْ عَلَى النبيِّ ﷺ فَإِنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «لاَ تَتَّخِذُوا بَيْتِي عِيداً[٨]: وَلاَ تَتَّخِذُوا بُيُوتَكُمْ قُبُوراً[٩] وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُ كُنْتُمْ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ» وَفِي حَدِيثِ أَوْسٍ[١٠]: «أَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»[١١]

= من مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. والجهضمي في فضل الصلاة على النبي ﷺ: ٣٤، والنسائي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في المجتبى من السنن ٣/ ٤٣، كتاب السهو (١٣) باب السلام على النبي ﷺ (٤٦) وعزاه المزي في تحفة الأشراف: ٧/ ٢١، للنسائي في الكبرى، والدارمي في السنن ٢/ ٣١٧ كتاب الرقائق باب في فضل الصلاة على النبي ﷺ، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٢١ كتاب التفسير باب فضائل الصلاة على النبي ﷺ، والهيثمي في موارد الظمآن: ٥٩٤.

(١) أبو هريرة رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٢) ابن عمر رضي الله عنهما تقدمت ترجمته.

(٣) أكثروا من السلام على نبيكم.. الحديث/ قال في شرح القاري لم يعرف له راو...

(٤) الحسن رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٥) حيثما كنتم فصلوا.. الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٢/ ٣٦٧. والهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ١٦٢ والطبراني في المعجم الكبير: ٣/ ٨٤، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٤٩٨، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٦٥.

(٦) ابن عباس رضي الله عنهما تقدمت ترجمته.

(٧) الحسن بن علي رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٨) لا تتخذوا بيتي عيداً.. الحديث/ أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ٢٤٧ وعبد الرزاق في مصنفه: ٤٨٣٩.

(٩) ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً.. الحديث/ أخرجه ابن ماجه في السنن: ١٣٩٧، والإمام أحمد في المسند ٤/ ١١٤، ١١٦، وعبد الرزاق في مصنفه: ٤٨٣٩، ٢٧٢٦ والهيثمي في كنز العمال: ٤١٥١٠.

(١٠) أوس تقدمت ترجمته.

(١١) أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة.. الحديث/ أخرجه ابن ماجه في السنن: ١٦٣٧. والبيهقي في السنن الكبرى: ٣/ ٢٤٩، والهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ١٤٤، ١٦٩ والمنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٤٩٨ والشافعي في مسنده: ٤٣٢، وابن كثير في تفسيره: ٦/ ٤٦٤ ٨/ ٣٨٦، والتبريزي في مشكاة المصابيح: ١٣٦٦ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٣/ ٢٤١، ٣٨١ والعجلوني في كشف الخفا: ١/ ١٨٩ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٢١٨٠ ٢١٨١، ٢٢١٧، ٢٢٣٥، ٢٢٣٦.

وعن سليمانَ بن سُحَيْم[1]: «رَأَيْتُ النبيَّ ﷺ في النَّوْم فقلتُ يا رسولَ الله هٰؤُلاءِ الَّذِينَ يَأْتونَكَ فَيُسَلِّمُونَ عَلَيْكَ أتفقهُ سَلاَمَهُمْ؟» قَالَ: «نَعَمْ وَأَرُدُّ عَلَيْهِمْ»[2] وَعَنِ ابنِ شِهَابٍ[3]: بَلَغَنَا أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلاَةِ عَلَيَّ في اللَّيْلَةِ الزَّهْرَاءِ وَالْيَوْم الأَزْهَرِ فَإِنَّهُمَا يُؤَدِّيَانِ عَنْكُمْ وَإِنَّ الأَرْضَ لاَ تَأْكُلُ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ وَمَا مِنْ مُسْلِم يُصَلِّي عَلَيَّ إِلاَّ حَمَلَهَا مَلَكٌ حَتَّى يُؤَدِّيهَا إِلَيَّ وَيُسَمِّيهِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ إِنَّ فُلاناً يقول كَذَا وَكَذَا»[4].

الفصل الثامن: في الاختلاف في الصلاة على غير النبي ﷺ وسائِرِ الأنبِيَاءِ عليهم السلامُ

قَالَ الْقَاضِي وَفَّقَهُ الله عَامَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ مُتَّفِقُونَ عَلَى جَوَازِ الصَّلاَة عَلَى غَيْرِ النبيِّ ﷺ وَرُوِيَ عَنِ ابنِ عَبَاسٍ[5] «أَنَّهُ لاَ تَجُوزُ الصَّلاَةُ عَلَى غَيْرِ النبيِّ ﷺ[6]»، وَرُوِيَ عنه لاَ تَنْبَغِي الصَّلاَةُ عَلَى أَحَدٍ إلاَّ النَّبِيِّينَ، وقال سُفْيَانُ[7] يُكْرَهُ أَنْ يُصَلَّى إلاَّ عَلَى نَبِيٍّ، وَوَجَدْتُ بَخَطِّ بَعْضِ شُيُوخِي: مَذْهَبُ مَالِكٍ أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ أَنْ يُصَلِّي عَلَى أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ سِوَى مُحَمَّدٍ ﷺ وهذا غيرُ معروفٍ مِنْ مَذْهَبِهِ، وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ في الْمَبْسُوطِ لِيَحْيٰى بنِ إسحاقَ[8] أَكْرَهُ الصَّلاَةَ عَلَى غَيْرِ الأَنْبِيَاءِ وَمَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَدَّى مَا أُمِرْنَا بِهِ قَالَ يَحْيٰى بنُ يَحيٰى[9] لَسْتُ آخُذُ بِقَوْلِهِ وَلاَ بَأْسَ بالصَّلاَةِ عَلَى الأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ وَعَلَى غَيْرِهِمْ. وَاحْتَجَّ بِحَدِيثِ ابنِ عمرَ[10] وَبِمَا جَاءَ في حديث تَعْليم النبيِّ ﷺ الصلاةَ عليهِ وفيهِ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَعَلَى آلِهِ وَقَدْ وَجَدْتُ مُعَلَّقاً عن أبي عمرانَ الفاسيِّ[11] رَوَى عَنِ ابنِ عباسٍ[12] رَضِيَ الله عَنْهما كَرَاهَةَ الصَّلاَةِ عَلَى غَيْرِ النبيِّ ﷺ قَالَ وَبِهِ

---

(١) سليمان بن سحيم تقدمت ترجمته.
(٢) رأيت النبي ﷺ في النوم. . الحديث/ أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي في حياة الأنبياء، وفي شعب الإيمان.
(٣) ابن شهاب. تقدمت ترجمته.
(٤) أكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الأزهر. . الحديث/ أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٣/ ٣٨١، ٥/ ٤٩، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ١/ ٣١١ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٢١٣٩، ٢١٤٠، ٢١٤٢، ٢١٤٣، ٢١٧٨.
(٥) ابن عباس رضي الله عنهما تقدمت ترجمته.
(٦) إنه لا تجوز الصلاة على غير النبي. . الحديث/ أخرجه الإمام البيهقي في شعب الإيمان.
(٧) سفيان. تقدمت ترجمته.
(٨) ابن إسحاق. تقدمت ترجمته.
(٩) يحيى بن يحيى. تقدمت ترجمته.
(١٠) ابن عمر رضي الله عنهما تقدمت ترجمته.
(١١) أبو عمران الفاسي. تقدمت ترجمته.
(١٢) ابن عباس رضي الله عنهما. تقدمت ترجمته.

نَقُولُ وَلَمْ يَكُنْ يُسْتَعْمَلُ فِيمَا مَضَى، وقد رَوَى عبدُ الرزاقِ[١] عن أبي هُرَيْرَةَ[٢] رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «صَلُّوا عَلَى أَنْبِيَاءِ الله وَرُسُلِهِ فَإِنَّ الله بَعَثَهُمْ كَمَا بَعَثَنِي»[٣] قَالُوا: وَالأَسَانِيدُ عَنِ ابنِ عباسٍ لَيِّنَةٌ والصلاةُ فِي لِسَانِ العَرَبِ بِمَعْنَى التَّرَحُّمِ والدُّعَاءِ وذٰلِكَ عَلَى الإِطْلاقِ حَتَّى يَمْنَعَ مِنْهُ حَدِيثٌ صحيحٌ أَوْ إجماعٌ، وقد قال تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب:٤٣] الآيةَ وَقَالَ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٠٣] الآيَةَ. وَقَالَ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة:١٥٧] وَقَال النبيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى»[٤] وَكَانَ إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ قَالَ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلانٍ، وفي حديثِ الصلاةِ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى محمدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ[٥]»، وفي آخر: وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، قِيلَ أَتْبَاعُهُ، قِيلَ أُمَّتُهُ وَقِيلَ آلُ بَيْتِهِ، وَقِيلَ الأَتْبَاعُ وَالرَّهْطُ وَالعَشِيرَةُ وَقِيلَ آلُ الرَّجُلِ وَلَدُهُ وَقِيلَ قَوْمُهُ، وَقِيلَ أَهْلُهُ الَّذِينَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةُ، وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ[٦] سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ آلُ محمدٍ؟ قَالَ: «كُلُّ تَقِيٍّ»[٧] وَيَجِيءُ على مَذْهَبِ الحَسَنِ أَنَّ المُرَادَ بِآلِ محمدٍ محمد نَفْسُهُ فَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي صَلاتِهِ على النَّبِيِّ ﷺ اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى آلِ محمدٍ يُرِيدُ نَفْسَهُ لِأَنَّهُ كانَ لا يُخِلُّ بِالفَرْضِ وَيأْتِي بالنَّفْلِ لِأَنَّ الفَرْضَ الَّذِي أَمَرَ الله تَعَالَى بِهِ هُوَ الصَّلاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ نَفْسِهِ وَهٰذَا مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: «لَقَدْ أُوتِيَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»[٨] يُرِيدُ مِنْ مَزَامِيرِ دَاوُدَ،

---

(١) عبد الرزاق. تقدمت ترجمته.

(٢) أبو هريرة رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٣) صلوا على أنبياء الله ورسله. . الحديث/ أخرجه الإمام السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٢٢٠ وابن حجر في المطالب العالية: ٣٣٢٧، وفتح الباري: ١١/ ١٦٩ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٢١٧٠، ٢٢٤٥، وابن كثير في تفسيره: ٦/ ٤٦٦ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: ٧/ ٣٧١. والعجلوني في كشف الخفا: ١/ ٩٧ وعلي القاذري في الأسرار المرفوعة: ٩٢.

(٤) اللهم صل على آل أبي أوفى. . الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٢/ ١٥٩، ٨/ ٩٠، ٩٦، والإمام مسلم في الصحيح كتاب الزكاة: ١٧٦ والنسائي في السنن كتاب الزكاة (٧) وابن ماجه في السنن رقم: ١٧٩٦، والإمام أحمد في المسند: ٤/ ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٨١، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ١٥٢، ٤/ ١٥٧، ٧/ ٥ والإمام البغوي في شرح السنة ٣/ ١٤٥ وابن كثير في تفسيره: ٤/ ١٤٦، والقرطبي في التفسير: ١/ ٣٨٢، ١٥/ ١١٨. والسيوطي في الدر المنثور: ٣/ ٢٧٥. . .

(٥) اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته. . الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٨/ ٩٦. والإمام مسلم في الصحيح كتاب الصلاة: ٦٩ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٦/ ٥٠.

(٦) أنس بن مالك رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٧) كل تقي. . الحديث/ أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ٦٩، ١٠/ ٢٦٩ والطبراني في المعجم الصغير: ١/ ١١٥ والسيوطي في الدر المنثور: ٣/ ١٨٣، وابن كثير في تفسيره: ٣/ ٥٩٢.

(٨) لقد أوتي. . الحديث/ أخرجه النسائي في السنن ٢/ ١٨٠.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ[(١)] فِي الصَّلاَةِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى محمدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، وَفِي حَدِيثِ ابنِ عُمَرَ[(٢)] أَنَّهُ كانَ يُصَلِّي عَلَى النبيِّ ﷺ وعلى أبي بكر[(٣)] وَعُمَرَ[(٤)] ذَكَرَهُ مَالِكٌ[(٥)] في المُوَطَّإِ مِنْ رِوَايَةِ يَحْيَى الأَنْدَلُسِيِّ[(٦)] وَالصَّحِيحُ مِنْ رِوَايَةِ غَيْرِهِ وَيَدْعُو لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ. وَرَوَى ابنُ وَهْب عن أنسِ بنِ مَالِكٍ[(٧)] كُنَّا نَدْعُو لِأَصْحَابِنَا بالغَيْبِ فَنَقُولُ اللَّهُمَّ اجْعَلْ مِنْكَ عَلَى فُلاَنٍ صَلَوَاتِ قَوْمٍ أَبْرَارِ الَّذِينَ يَقُومُونَ بالَّلَيْلِ وَيَصُومُونَ بالنَّهَار قَالَ القاضِي وَالَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ المُحَقِّقُونَ وَأَمِيلُ إِلَيْهِ مَا قَالَهُ مَالِكٌ وَسُفْيَانُ[(٨)] رحمهما الله، وَرُوِيَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ[(٩)]، وَاخْتَارَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الفُقَهَاءِ وَالمُتَكَلِّمِينَ أنهُ لاَ يُصَلَّى عَلَى غَيْرِ الأَنْبِيَاءِ عِنْدَ ذِكْرِهِمْ بَلْ هُوَ شَيْءٌ يُخْتَصُّ بِهِ الأَنْبِيَاءُ تَوْقِيراً وَتَعْزِيزاً كَمَا يُخَصُّ الله تَعَالَى عِنْدَ ذِكْرِهِ بالتَّنْزِيهِ وَالتَّقْدِيسِ وَالتَّعْظِيمِ وَلاَ يُشَارِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ كَذَلِكَ يَجِبُ تَخْصِيصُ النَّبيِّ ﷺ وَسَائِرِ الأَنْبِيَاءِ بِالصَّلاَةِ وَالتَّسْلِيمِ وَلاَ يُشَارِكُهُ فِيهِ سِوَاهُمْ كَمَا أَمَرَ الله بِقَوْلِهِ: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] وَيُذْكَرُ مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الأَئِمَةِ وَغَيْرِهِمْ بِالغُفْرَانِ وَالرِّضَى كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠] وَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٠] أَيْضاً فَهُوَ أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفاً في الصَّدْرِ الأَوَّلِ كَمَا قَالَ أَبُو عِمْرَانَ وَإِنَّمَا أَحْدَثَهُ الرَّافِضَةُ وَالمُتَشَيِّعَةُ في بَعْضِ الأَئِمَةِ فَشَارَكُوهُمْ عِنْدَ الذِّكْرِ لَهُمْ بِالصَّلاَةِ وَسَاوَوْهُمْ بِالنبيِّ ﷺ في ذَلِكَ وأيضاً فَإِنَّ التَّشَبُّهَ بِأَهْلِ البِدَعِ مَنْهِيٌّ عَنْهُ فَتَجِبُ مُخَالَفَتُهُمْ فِيمَا الْتَزَمُوهُ مِنْ ذَلِكَ وَذِكْرُ الصَّلاَةِ عَلَى الآلِ وَالأَزْوَاجِ مَعَ النبيِّ ﷺ بِحُكْمِ التَّتَبُّعِ وَالإِضَافَةِ إِلَيْهِ لاَ عَلَى التَّخْصِيصِ قَالُوا وَصَلاَةُ النبيِّ ﷺ عَلَى مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ مَجْرَاهَا مَجْرَى الدُّعَاءِ وَالمُوَاجَهة لَيْسَ فِيهَا مَعْنَى التَّعْظِيمِ وَالتَّوْقِيرِ قَالُوا وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦١] فَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الدُّعَاءُ لَهُ مُخَالِفاً لِدُعَاءِ النَّاسِ بَعْضِهِمْ لِبَعْض، وَهَذَا اخْتِيَارُ الإِمَامِ أَبِي المُظَفَّرِ الإِسفِرَائِينِيِّ[(١٠)] مِنْ شُيُوخِنَا، وَبِهِ قَالَ أبو عمرَ بنُ عبدِ البرِّ[(١١)].

---

(١) أبو حميد الساعدي تقدمت ترجمته. (٢) ابن عمر رضي الله عنهما تقدمت ترجمته.
(٣) أبو بكر الصديق رضي الله عنه تقدمت ترجمته.
(٤) عمر رضي الله عنه تقدمت ترجمته.
(٥) مالك تقدمت ترجمته.
(٦) يحيى الأندلس، تقدمت ترجمته.
(٧) أنس بن مالك رضي الله عنه تقدمت ترجمته.
(٨) سفيان تقدمت ترجمته.
(٩) ابن عباس رضي الله عنهما تقدمت ترجمته.
(١٠) أبو المظفر الأسفرائيني تقدمت ترجمته.
(١١) أبو عمر بن عبد البر. تقدمت ترجمته.

الفصل التاسع: في حكم زيارة قبره ﷺ وفضيلةِ مَنْ زارَهُ وسلَّمَ عليهِ وكيفَ يُسلِّمُ ويدْعُو

وزيارةُ قَبْرِهِ ﷺ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْمُسْلِمينَ مُجْمَعٌ عَلَيْهَا وَفَضيلَةٌ مُرَغَّبٌ فِيهَا.

[حَدَّثَنَا الْقَاضِي أبو عليٍّ حَدَّثَنا أبو الفَضلِ بنُ خَيْرُونَ قَالَ حَدَّثَنَا الحسنُ بنُ جعفرٍ قَالَ حَدَّثَنَا أبو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ عُمَرَ الدَّارَقُطْنِيّ قَالَ حَدَّثَنَا الْقَاضِي الْمُحَامِلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا محمدُ بنُ عبدِ الرزاقِ قَالَ حَدَّثَنَا مُوسَى بن هِلالٍ عَنْ عبيدِ الله بن عمرَ عن نافِعٍ][1] عَنْ ابنِ عمرَ[2] رَضِيَ الله عَنْهُما قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي»**[3] وَعَنْ أنسِ[4] بن مالِكٍ قَالَ قَالَ رسولُ الله ﷺ: **«مَنْ زَارَنِي في الْمَدِينَةِ مُحْتَسِباً كَانَ فِي جِوَارِي وَكُنْتُ لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[5] وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ **«مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأنَّمَا زَارَنِي في حَيَاتِي»**[6] وَكَرِهَ مَالِكٌ[7] أن يقالَ زُرْنَا قَبْرَ النبيِّ ﷺ، وقدِ اخْتُلِفَ في معنَى ذَلِكَ فَقِيلَ كَرَاهِيَةَ الاسْمِ لِمَا وَرَدَ مِنْ قولِهِ ﷺ: **«لَعَنَ الله زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ»**[8] وهذا يَرُدُّهُ قولُهُ: **«نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا»**[9] وَقَولُهُ: **«مَنْ زَارَ قَبْرِي»**[10] فَقَدْ أطْلَقَ اسْمَ الزِّيَارَةِ وَقِيلَ لِأنَّ

---

(١) [....] ص (٨٣) ساقطة من نسخة دمشق.

(٢) ابن عمر رضي الله عنهما تقدمت ترجمته.

(٣) من زار قبري وجبت له شفاعتي.. الحديث/ أخرجه الدارقطني في السنن: ٢/ ٢٧٨ والهيثمي في مجمع الزوائد: ٤/ ٢. والسيوطي في الدر المنثور: ١/ ٢٣٧، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين. ٤/ ٤١٧. ١٠/ ٣٦٣. والمتقي الهندي في كنز العمال: ٤٢٥٨٣.

(٤) أنس بن مالك رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٥) من زارني في المدينة.. الحديث/ أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين. ٤/ ٤١٦. ١٠/ ٣٦٤. والسهمي في تاريخ جرجان ٢٢٠/ ٤٣٤ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٤٢٥٨٤. والسيوطي في الدر المنثور: ١/ ٢٣٧.

(٦) من زارني بعد موتي.. الحديث/ أخرجه الدارقطني في السنن: ٢/ ٢٧٨ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين - ٤/ ٤١٦ وابن حجر في تلخيص الحبير ٢/ ٢٦٦ والمتقي الهندي. في كنز العمال: ١٢٣٧٢، والمنذري في الترغيب والترهيب: ٢/ ٢٢٤، والشوكاني في الفوائد المجموعة: ١١٧ والعجلوني في كشف الخفا: ٢/ ٣٤٧، والسيوطي في الدر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة: ١٥٨ وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٣٥٠.

(٧) مالك بن أنس تقدمت ترجمته.

(٨) لعن الله زوارات القبور القبور.. الحديث/ أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٧٨. والمتقي الهندي في كنز العمال. ٤٥٠٣٩، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٥/ ١٦٩٨ ٦/ ٢٤٣٥، ٧/ ٢٥٨٦، والألباني في إرواء الغليل ٣/ ٢٣٢.

(٩) نهيتكم عن زيارة القبور.. الحديث/ أخرجه ابن أبي شيبة ٣/ ٣٤٤.

(١٠) من زار قبري.. الحديث تقدم تخريجه.

ذٰلِكَ لِمَا قِيلَ إِنَّ الزَّائِرَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَزُور وهذا أيضاً ليسَ بِشَيْءٍ إِذْ لَيْسَ كُلُّ زَائِرٍ بِهٰذِهِ الصِّفَةِ وَلَيْسَ هٰذَا عُمُوماً.

وقَدْ وَرَدَ في حديثِ أَهْلِ الْجَنَّةِ زِيَارَتُهُمْ لِرَبِّهِمْ وَلَمْ يُمْنَعْ هذا اللَّفْظُ في حَقِّهِ تَعَالَى. وقال أبو عِمرانَ رحمه الله إنَّمَا كَرِهَ مالكٌ[1] أن يقالَ طَوافُ الزِّيَارَة وَزُرْنَا قَبْرَ النبيِّ ﷺ لاستِعْمَالِ النَّاسِ ذٰلِكَ بَيْنَهُمْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وكَرِه تَسْوِيَةَ النبيِّ ﷺ مَعَ النَّاسِ بهذا اللَّفْظِ وَأَحَبَّ أَنْ يُخَصَّ بِأَنْ يقالَ سَلَّمْنَا عَلَى النبيِّ ﷺ وأيضاً فَإِنَّ الزِّيَارَةَ مُبَاحَةٌ بَيْنَ النَّاسِ وَوَاجِبٌ شَدُّ الْمَطِيِّ إِلَى قَبْرِهِ ﷺ يُرِيدُ بالْوُجُوبِ هُنَا وُجُوبَ نَدْبٍ وَتَرْغِيبٍ وَتَأْكِيدٍ لاَ وُجُوبَ فَرْضٍ وَالأَوْلَى عِنْدِي أن مَنْعَهُ وَكَرَاهَةَ مَالِكٍ لَهُ لإِضَافَتِهِ إِلَى قَبْرِ النبيِّ ﷺ وأنه لو قال زُرْنَا النبيَّ لَمْ يَكْرَهْهُ لِقَوْلِهِ ﷺ: **«اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ بَعْدِي، اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**[2] فَحَمَى إِضَافَةَ هٰذَا اللَّفْظِ إلى القَبْرِ وَالتَّشَبُّهَ بِفِعْلِ أولٰئِكَ قَطْعاً لِلذَّرِيعَةِ وَحَسْماً لِلْبَابِ وَالله أَعْلَمُ؛ قَالَ إِسْحَاقُ بنُ إِبْرَاهِيمَ[3] الفَقِيهُ: وَمِمَّا لَمْ يَزَلْ مِنْ شَأْنِ مَنْ حَجَّ المُرُورُ بالمَدِينَةِ وَالْقَصْدُ إِلى الصَّلاَةِ في مَسْجِدِ رسول الله ﷺ وَالتَّبَرُّكُ بِرُؤْيَةِ رَوْضَتِهِ وَمِنْبَرِهِ وَقَبْرِهِ وَمَجْلِسِهِ وَمَلاَمِسِ يَدَيْهِ وَمَوَاطِىءِ قَدَمَيْهِ وَالعَمُودِ الَّذِي كانَ يَسْتَنِدُ إِلَيْهِ وَيَنْزِلُ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ فِيهِ عَلَيْهِ وَبِمَنْ عَمَرَهُ وَقَصَدَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ وأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ والاعْتِبَارُ بِذٰلِكَ كُلِّهِ؛ وقالَ ابنُ أبي فُدَيْكٍ[4] سَمِعْتُ بَعْضَ مَنْ أَدْرَكْتُ يَقُولُ: بَلَغَنَا أنهُ مَنْ وَقَفَ عِنْدَ قَبْرِ النبيِّ ﷺ فَتَلاَ هٰذِهِ الآيَةَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] ثُمَّ قال صلى الله عَلَيْكَ يا محمدُ مَنْ يَقُولُهَا سَبْعِينَ مَرَّةً، نَادَاهُ مَلَكٌ صَلَّى الله عَلَيْكَ يَا فُلاَنُ وَلَمْ تَسْقُطْ لَهُ حَاجَةٌ وَعَنْ يَزِيدَ بن أبي سَعِيدٍ المَهْرِيِّ[5] قَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ بنِ عبدِ العَزِيزِ[6] فَلَمَّا وَدَّعْتُهُ قال: لي إِلَيْكَ حَاجَةٌ؛ إِذَا أَتَيْتَ المَدِينَةَ سَتَرَى قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَقْرِهِ مِنِّي السَّلاَمَ؛ قَالَ غَيْرُهُ وَكَانَ يُبْرِدُ إِلَيْهِ البَرِيدَ مِنَ الشَّامِ قال بَعْضُهُمْ رَأَيْتُ أَنَسَ بنَ مَالِكٍ[7] أَتَى قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ فَوَقَفَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنهُ افْتَتَحَ الصَّلاَةَ فَسَلَّمَ على

---

(١) مالك تقدمت ترجمته.

(٢) اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد بعدي. الحديث/ أخرجه الإمام مالك في الموطأ: ١/ ١٧٢ في قصر الصلاة باب جامع الصلاة مرسلاً، وقد صح موصولاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) إسحاق بن إبراهيم تقدمت ترجمته.

(٤) أبو فديك تقدمت ترجمته.

(٥) أبو سعيد المهري تقدمت ترجمته.

(٦) عمر بن عبد العزيز تقدمت ترجمته.

(٧) أنس بن مالك رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

النَّبيِّ ﷺ ثُمَّ انصرَفَ؛ وَقَالَ مالِكٌ في رِوايةِ ابنِ وَهْبٍ[١] إذَا سَلَّمَ على النَّبِيِّ ﷺ وَدَعَا يَقِفُ وَوَجْهُهُ إِلَى القَبْرِ لا إلى القِبْلَةِ وَيَدْنُو وَيُسَلِّمُ وَلاَ يَمسُّ القَبْرَ بِيَدِهِ وَقَالَ في المَبْسُوطِ لا أَرَى أن يَقِفَ عِنْدَ قَبرِ النبي ﷺ يَدْعُو وَلَكِنْ يُسَلِّمُ ويَمْضِي؛ قال ابنُ أبي مُلَيْكَة[٢] مَنْ أَحبَّ أنْ يَقُومَ وَجَاهَ النبي ﷺ فَلْيَجْعَلِ القِنْدِيلَ الَّذي في القِبْلَةِ عِنْدَ القَبْرِ على رَأْسِهِ، وقال نافِعٌ[٣]: كانَ ابنُ عُمَرَ[٤] يُسَلِّمُ على القَبْرِ رَأَيْتُهُ مِائَةَ مَرَّةٍ وَأَكْثَرَ يَجِيءُ إلى القَبْرِ فَيَقُولُ السَّلاَمُ عَلى النَّبيِّ ﷺ السَّلاَمُ على أَبي بَكْرٍ[٥] السَّلاَمُ على أبي ثُمَّ يَنْصَرِفُ، وَرُئِيَ ابنُ عُمَرَ وَاضِعاً يَدَهُ على مَقْعَدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمِنْبَرِ ثُمَّ وَضَعَهَا على وَجْهِهِ. وعنِ ابنِ قُسَيْطٍ[٦] وَالْعُتْبِيِّ[٧] كانَ أَصْحَابُ النبيِّ ﷺ إِذَا خَلاَ المَسْجِدُ حَسُوا رُمَّانَةَ الْمِنْبَرِ التي تَلِي القَبْرَ بِمَيَامِنِهِمْ ثُمَّ اسْتَقْبَلُوا القِبْلَةَ يَدْعُونَ، وفِي المُوَطَّأ مِنْ رِوايَةِ يَحْيَى[٨] بنِ يَحْيَى اللَّيْثِيِّ[٩] أَنَّهُ كانَ يَقِفُ على قَبْرِ النَّبيِّ ﷺ فَيُصَلِّي على النَّبيِّ وعلى أبي بكرٍ وَعُمَرَ[١٠] وَعِنْدَ ابنِ القاسِمِ[١١] والقَعْنَبِيِّ[١٢] وَيَدْعُو لأَبِي بكرٍ وَعُمَرَ قَالَ مَالِكٌ[١٣] _ في رِوايةِ ابنِ وَهْبٍ[١٤] يقولُ المُسَلِّمُ السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ: قال في المَبْسُوطِ وَيُسَلِّمُ عَلَى أبي بكر وَعُمَرَ قال القاضِي أبو الْوَلِيدِ البَاجِيُّ وَعِنْدِي أَنَّهُ يَدْعُو لِلنَّبيِّ ﷺ بِلَفْظِ الصَّلاةِ وَلأَبِي بكرٍ وَعُمَرَ كما في حديثِ ابنِ عُمَرَ مِنَ الْخِلاَفِ؛ وَقَالَ ابنُ حَبِيبٍ[١٥] ويقولُ إذَا دَخَلَ مَسْجِدَ الرَّسُول باسْمِ الله وَسَلاَمٌ على رسولِ الله السَّلاَمُ عَلَيْنَا مِنْ رَبِّنَا وَصلى الله وَمَلاَئِكَتُهُ على محمدٍ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَجَنَّتِكَ

---

(١) ابن وهب تقدمت ترجمته.
(٢) ابن أبي مليكة، تقدمت ترجمته.
(٣) نافع. تقدمت ترجمته.
(٤) ابن عمر رضي الله عنهما تقدمت ترجمته.
(٥) أبو بكر رضي الله عنه تقدمت ترجمته.
(٦) قسيط تقدمت ترجمته.
(٧) العتبي. تقدمت ترجمته.
(٨) يحيى بن يحيى الليثي تقدمت ترجمته.
(٩) عمر رضي الله عنه تقدمت ترجمته.
(١٠) أبو القاسم تقدمت ترجمته.
(١١) القعنبي تقدمت ترجمته.
(١٢) مالك تقدمت ترجمته.
(١٣) ابن وهب تقدمت ترجمته.
(١٤) أبو الوليد الباجي تقدمت ترجمته.
(١٥) ابن حبيب تقدمت ترجمته.

وَاحْفَظْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم، ثُمَّ اقْصِدْ إِلَى الرَّوْضَةِ وَهِيَ ما بَيْنَ القَبْرِ وَالْمِنْبَرِ فَارْكَعْ فِيهَا رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ وُقُوفِكَ بالقَبْرِ تَحْمَدُ الله فِيهِمَا وَتَسْأَلُهُ تَمَامَ مَا خَرَجْتَ إِلَيْهِ وَالْعَوْنَ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ رَكْعَتَاكَ فِي غَيْرِ الرَّوْضَةِ أَجْزَأَتَاكَ وَفِي الرَّوْضَة أَفْضَلُ وقد قال ﷺ: **«مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الجنَّةِ»** ثُمَّ تَقِفُ بِالْقَبْرِ مُتَوَاضِعاً مُتَوَقِّراً فَتُصَلِّي عَلَيْهِ وَتُثْنِي بِمَا يَحْضُرُكَ وَتُسَلِّمُ عَلَى أَبِي بكرٍ[(١)] وعمرَ[(٢)] وَتَدْعُو لَهُمَا وَأَكْثِرْ مِنَ الصَّلاةِ فِي مَسْجِدِ النبيِّ ﷺ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَلاَ تَدَعْ أَنْ تَأْتِيَ مَسْجِدَ قُبَاءِ وَقُبُورَ الشُّهَدَاءِ؛ قَالَ مالِكٌ[(٣)] في كِتَابِ محمدٍ: وَيُسَلِّمُ عَلَى النبيِّ ﷺ إذا دَخَلَ وَخَرَجَ يَعْنِي فِي الْمَدِينَةِ وَفِيمَا بَيْنَ ذٰلِكَ قال محمدٌ وَإِذَا خَرَجَ جَعَلَ آخِرَ عَهْدِهِ الوُقُوفَ بِالْقَبْرِ وَكَذٰلِكَ مَنْ خَرَجَ مُسَافِراً؛ وَرَوَى ابنُ وَهْبٍ[(٤)] عن فاطِمَةَ[(٥)] بِنتِ النبيِّ ﷺ أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«إِذَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ فَصَلِّ عَلَى النبيِّ ﷺ وَقُلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ[(٦)] وَإِذَا خَرَجْتَ فَصَلِّ عَلَى النبيِّ ﷺ وَقُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ»**[(٧)] وَفِي رِوايةٍ أخرى فَلْيُسَلِّمْ مَكانَ فَلْيُصَلِّ فِيهِ ويقولُ إِذَا خَرَجَ **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»** وفي أخرى **«اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ»**[(٨)] وعن محمدِ بنِ سِيرِينَ[(٩)]: كَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ إِذَا دَخَلُوا الْمَسْجِدَ صَلَّى اللهُ وملائِكَتُهُ على محمدٍ السلامُ عليكَ أيها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاتُهُ بِاسم الله دَخَلْنَا وبِاسم الله خَرَجْنَا وَعَلَى الله تَوَكَّلْنَا، وكانوا يقولونَ إذا خَرَجُوا مِثْلَ ذٰلِكَ، وعن فاطِمَةَ أيضاً كان النبيُّ ﷺ إذا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ صلى الله على محمدٍ، ثُمَّ ذَكَرَ مثْلَ حديثِ فاطمةَ قَبْلَ هذا وفي رِوايةٍ حَمِدَ اللهَ وَسَمَّى وَصَلَّى عَلَى النبيِّ ﷺ وذَكَرَ مِثْلَهُ، وفِي رِوايةٍ بِاسم الله والسلامُ على رسولِ الله ﷺ، وعن غيرِها كان رسولِ الله ﷺ إذا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قال: **«اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَيَسِّرْ لِي أَبْوَابَ**

---

(١) أبو بكر رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٢) عمر رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٣) مالك تقدمت ترجمته.

(٤) ابن وهب. تقدمت ترجمته.

(٥) فاطمة بنت النبي ﷺ. تقدمت ترجمتها.

(٦) إذا دخلت المسجد فصل على النبي ﷺ. الحديث/ أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٤/ ١٣٤٦،

(٧) اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي. . الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٦/ ٢٨٢ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٢٣١٠٩ ـ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٥/ ٩١.

(٨) اللهم احفظني من الشيطان. . الحديث/ أخرجه ابن حجر في المطالب العالية ٣٧٤ والقاضي عياض في الشفاء: ٢/ ٢٠٣.

(٩) محمد بن سيرين تقدمت ترجمته.

رِزْقِكَ»(١) وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ(٢) إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيُصَلِّ عَلَى النبيِّ ﷺ وَلْيَقُلْ «**اللَّهُمَّ افْتَحْ لي**» وَقَالَ مَالِكٌ(٣) فِي الْمَبْسُوطِ وَلَيْسَ يَلْزَمُ مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَخَرَجَ مِنْهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْوُقُوفُ بِالْقَبْرِ وَإِنَّمَا ذٰلِكَ لِلْغُرَبَاءِ وقال فِيهِ أيْضاً لاَ بَأْسَ لِمَنْ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ أَوْ خَرَجَ إِلى سَفَرٍ أَنْ يَقِفَ عَلَى قَبْرِ النبي ﷺ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ وَيَدْعُو لَهُ وَلأَبِي بكرٍ(٤) وعمرَ(٥) فَقِيلَ لَهُ إِنَّ نَاساً مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لاَ يَقْدُمُونَ مِنْ سَفَرٍ وَلاَ يُرِيدُونَهُ يَفْعَلُونَ ذٰلِكَ في الْيَوْمِ مَرَّةً أَوْ أَكْثَرَ وَرُبَّمَا وَقَفُوا في الْجُمُعَةِ أَوْ في الأَيَّامِ الْمَرَّةَ أَوِ الْمَرَّتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ عِنْدَ الْقَبْرِ فَيُسَلِّمُونَ وَيَدْعُونَ سَاعةً فقال لَمْ يَبْلُغْنِي هٰذَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ بِبَلَدِنَا وَتَرْكُهُ وَاسِعٌ وَلاَ يُصْلِحُ آخِرَ هٰذِهِ الأُمَّةِ إِلاَّ مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا وَلَمْ يَبْلُغْنِي عَنْ أَوَّلِ هٰذِهِ الأُمَّةِ وَصَدْرِهَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذٰلِكَ: وَيُكْرَهُ إِلاَّ لِمَنْ جَاءَ مِنْ سَفَرٍ أَوْ أَرَادَهُ، قَالَ ابنُ الْقَاسِمِ(٦) وَرَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِذَا خَرَجُوا مِنْهَا أَوْ دَخَلُوهَا أَتَوا الْقَبْرَ فَسَلَّمُوا، قَالَ وذٰلِكَ رَأْيِيَ قَالَ الباجِيُّ(٧) فَفَرَّقَ بَيْنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْغُرَبَاءِ لأَنَّ الْغُرَبَاءَ قَصَدُوا لِذٰلِكَ وَأَهْلَ الْمَدِينَةِ مُقِيمُونَ بِهَا لَمْ يَقْصِدُوهَا مِنْ أَجْلِ الْقَبْرِ وَالتَّسْلِيمِ، وَقَال ﷺ: «**اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ**(٨)، **اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» وقال: «**لاَ تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً**»(٩) وَمِن كِتَابِ أحمدَ بنِ سَعِيدٍ الهِنْدِيِّ(١٠) فِيمَنْ وَقَفَ بِالقبرِ: لاَ يَلْصَقُ بِهِ وَلاَ يَمَسُّهُ وَلاَ يَقِفُ عِنْدَهُ طَوِيلاً؛ وَفِي الْعُتْبِيَّةِ يَبْدَأُ بِالرُّكُوعِ قَبْلَ السَّلاَمِ في مَسْجِدِ النبيِّ ﷺ وَأَحَبُّ مَوَاضِعِ التَّنَفُّلِ فِيهِ مُصَلَّى النبيِّ حَيْثُ الْعَمُودُ الْمُخَلَّقُ، وَأَمَّا في الْفَرِيضَةِ فَالتَّقَدُّمُ إِلَى الصُّفُوفِ وَالتَّنَفُّلُ فِيهِ لِلْغُرَبَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ التَّنَفُّلِ فِي الْبُيُوتِ.

---

(١) اللهم افتح لي أبواب رحمتك.. الحديث/ أخرجه الإمام مسلم في الصحيح رقم: ٤٩٤ وابن ماجه في السنن رقم: ٧٧٣، ٧٧٧٢، والبيهقي في السنن الكبرى: ٢/٤٤١ ـ ٤٤٢ والإمام البغوي في شرح السنة: ٢/٣٦٨ والهيثمي في مجمع الزوائد: ٢/٣٢، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ٩٠، ٩١، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٧/٣٥٨ والقرطبي في التفسير: ١٢/٢٧٣ وابن كثير في التفسير ٤/٢٧٥، ٦/ ٧٠ والهيثمي والقرطبي في التفسير: ١٢/٢٧٣ وابن كثير في التفسير ٤/٢٧٥، ٦/ ٧٠ والهيثمي في موارد الظمآن: ٣٢١ وابن السني في عمل اليوم والليلة: ٨٤، ١٥٣ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٢٠٧٧٣، ٢٠٧٨٣ ٢٠٧٨٤...

(٢) أبو هريرة رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٣) مالك. تقدمت ترجمته.

(٤) أبو بكر رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٥) عمر رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٦) ابن القاسم تقدمت ترجمته.

(٧) الباجي تقدمت ترجمته.

(٨) اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد.. الحديث/ تقدم تخريجه.

(٩) لا تجعلوا قبري عيداً... الحديث/ تقدم تخريجه.

(١٠) أحمد بن سعيد الهندي. تقدمت ترجمته.

الفصل العاشر: آداب دخول المسجد النبوي وفضله

فِيمَا يَلْزَمُ مَنْ دَخَلَ مَسْجِدَ النبيِّ ﷺ مِنَ الأَدَبِ سِوَى مَا قَدَّمْنَاهُ وَفَضْلِهِ وَفَضْلِ الصَّلاَةِ فِيهِ وَفِي مَسْجِدِ مَكَّةَ وَذِكْرِ قَبْرِهِ وَمِنْبَرِهِ وَفَضْلِ سُكْنَى الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ. قال الله تَعَالَى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة:١٠٨] رُوِيَ أَنَّ النبيَّ ﷺ سُئِلَ أَيُّ مَسْجِدٍ هُوَ؟ قَالَ [«مَسْجِدِي هٰذَا»(١) وهوقولُ ابنِ الْمُسَيَّبِ(٢) وزيدِ بنِ ثابتٍ(٣) وابنِ عمرَ ومالكِ(٤) بن أنس وغيرهم، وعنِ ابنِ عباسٍ(٥) أَنَّهُ مَسْجِدُ قُبَاءٍ حَدَّثَنَا هِشَامُ بنُ أَحْمَدَ الْفَقِيهُ بِقِراءَتِي عليهِ قال حَدَّثَنَا الحسينُ بنُ محمد الحافِظُ حَدَّثَنَا أبو عمرَ النَّمَرِيُّ حَدَّثَنَا أبو محمدِ بنُ عبدِ المؤمنِ حَدَّثَنَا أبو بكر بنُ دَاسَةَ حَدَّثَنَا أبو داودَ حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا سُفيانُ عن الزُّهْرِيِّ عن سعيدِ بنِ الْمُسَيَّبِ عن أبي هُرَيْرَةَ(٦) رَضِيَ الله عَنْهُ عنِ النبيِّ ﷺ قال](٧): «لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هٰذَا وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى»(٨) وقد تَقَدَّمَتِ الآثارُ في الصلاةِ والسلامِ على النبيِّ ﷺ عِنْدَ دُخُولِ المسجِدِ» وعن عبدِ الله بنِ عمرو بنِ العاصِ(٩) أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدِ قال: «أَعُوذُ بِالله الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ»(١٠) وَقالَ مالِكٌ رحمه الله سَمِعَ عمرُ بنُ الخطابِ(١١) رَضِيَ الله عَنْهُ صَوْتاً في الْمَسْجِدِ فَدَعَا بِصَاحِبِهِ فقال مِمَّنْ أَنْتَ؟ قال: رَجُلٌ مِنْ ثَقِيفٍ، قال لَوْ كُنْتَ مِنْ هَاتَيْنِ الْقَرْيَتَيْنِ لأَدَّبْتُكَ إِنَّ مَسْجِدَنَا لاَ يُرْفَعُ فِيهِ الصَّوْتُ، وقال محمدُ بنُ مَسْلَمَةَ(١٢): لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَعْتَمِدَ الْمَسْجِدَ بِرَفْعِ الصَّوْتِ وَلاَ

---

(١) مسجدي هذا. الحديث/ أخرجه الإمام أحمد: ١١٦/٥، ٢٣١ والطبري في التفسير: ٢٢/١١.

(٢) ابن المسيب. تقدمت ترجمته.

(٣) زيد بن ثابت رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٤) ابن عمر رضي الله عنها تقدمت ترجمته.

(٥) ابن عباس رضي الله عنهما تقدمت ترجمته.

(٦) أبو هريرة رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٧) [...] ص ٨٩ ساقطة من نسخة دمشق.

(٨) لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ٧٠/٣ كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (٢٠) باب مسجد بيت المقدس (٦) الحديث ١١٩٧، ومسلم في الصحيح: ٩٧٦/٢ كتاب الحج (١٥) باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره (٧٤) الحديث ٨٢٧/٤١٥.

(٩) عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(١٠) أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم.. الحديث/ أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب ٤٥٩/٢، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٩٢/٥ والمتقي الهندي في كنز العمال: ١٧٩٦١.

(١١) عمر بن الخطاب. رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(١٢) محمد بن مسلمة. تقدمت ترجمته.

بِشَيْءٍ مِنَ الأَذَى وَأَنْ يُنَزَّهَ عَمَّا يُكْرَهُ؛ قال القَاضِي حَكَى ذَلِكَ كُلَّهُ القَاضِي إسماعِيلُ[١] في مَبْسُوطِهِ في بابِ فضلِ مسجِدِ النبيِّ ﷺ وَالعُلَمَاءُ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ أنَّ حُكْمَ سَائِرِ المَسَاجِدِ هٰذَا الحُكْمُ، قال القاضي إسماعِيلُ وَقَالَ محمدُ بنُ مَسْلَمَةَ وَيُكْرَهُ في مَسْجِدِ الرسولِ ﷺ الجَهْرُ عَلَى المُصَلِّينَ فِيمَا يُخَلِّطُ عَلَيْهِمْ صَلاتَهُمْ وَلَيْسَ مِمَّا يُخَصُّ بِهِ المَسَاجِدُ رَفْعُ الصَّوْتِ وَقَدْ كُرِهَ رَفْعُ الصَّوْتِ بالتَّلْبِيَةِ فِي مَسَاجِدِ الجَمَاعَاتِ إلاَّ المَسجدَ الحَرَامَ وَمَسْجِدَنَا وَقَالَ أبو هُرَيْرَةَ[٢] عنه ﷺ: «صَلاةٌ في مَسْجِدِي هٰذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إلاَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ»[٣] قَالَ القَاضِي اخْتَلَفَ النَّاسُ في مَعْنَى هٰذَا الاسْتِثْنَاءِ عَلَى اخْتِلافِهِمْ في المُفَاضَلَةِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ فَذَهَبَ مَالِكٌ[٤] في رِوايةِ أشْهَبَ[٥] عنه وقاله ابنُ نافعٍ[٦] صاحِبُهُ وجماعةُ أصحابِهِ إلى أنَّ معنى الحديثِ أنَّ الصلاةَ في مسجدِ الرسولِ أفضلُ مِنَ الصَّلاةِ في سائِرِ المساجِدِ بِأَلْفِ صلاةٍ إلاَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ فَإنَّ الصَّلاةَ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ أفْضَلُ مِنَ الصَّلاةِ فِيهِ بِدُونِ الأَلْفِ: وَاحْتَجُوا بِمَا رُوِيَ عن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ[٧] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «صَلاةٌ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ خَيْرٌ مِنْ مِائَةِ صَلاةٍ فِيمَا سِوَاهُ»[٨] فَتَأْتِي فَضِيلَةُ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ بِتِسْعِمِائَةٍ وَعَلَى غَيْرِهِ بِأَلْفٍ وَهٰذَا مَبْنِيٌّ عَلَى تَفْضِيلِ المَدِينَةِ عَلَى مَكَّةَ عَلى ما قَدَّمْنَاهُ وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ وَمَالِكٍ[٩] وَأَكْثَرِ المَدَنِيِّينَ وَذَهَبَ أَهْلُ مَكَّةَ وَالكُوفَةِ إلى تَفْضِيلِ مَكَّةَ وَهُوَ قَوْلُ عَطَاءٍ[١٠] وَابنِ وَهْبٍ[١١] وابنِ حَبِيبٍ[١٢]

---

(١) القاضي إسماعيل. تقدمت ترجمته.

(٢) أبو هريرة رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(٣) صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٣/ ٥٤ في التطوع. باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، والإمام مسلم في الصحيح رقم ١٣٩٤ في الحج باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، والإمام مالك في الموطأ ١/ ١٩٦ في القبلة باب ما جاء في مسجد النبي ﷺ، والإمام الترمذي في السنن رقم: ٣٢٥ في الصلاة باب ما جاء في أي المساجد أفضل. والإمام النسائي في السنن: ٢/ ٣٥، في المساجد باب فضل مسجد النبي ﷺ والصلاة فيه.

(٤) مالك. تقدمت ترجمته.

(٥) أشهب. تقدمت ترجمته.

(٦) ابن نافع. تقدمت ترجمته.

(٧) عمر بن الخطاب رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٨) صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة.. الحديث/ أخرجه الإمام مسلم في الصحيح كتاب الحج (٩٤) الحديث: ٥١٠، والإمام أحمد في المسند: ٦/ ٣٣٣. والبيهقي في السنن الكبرى: ١٠/ ٨٣.

(٩) مالك بن أنس. تقدمت ترجمته.

(١٠) عطاء. تقدمت ترجمته.

(١١) ابن وهب. تقدمت ترجمته.

(١٢) ابن حبيب. تقدمت ترجمته.

مِنْ أَصْحَابِ مالِكٌ وَحَكَاهُ البَاجِيُّ[١] عَنْ الشَّافِعِيِّ[٢] وَحَمَلُوا الاسْتِثْنَاءَ فِي الحَدِيثِ المُتَقَدِّمِ على ظَاهِرِهِ وَأَنَّ الصَّلاَةَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ وَاحْتَجُّوا بِحَدِيثِ عبدِ الله بن الزُّبَيْرِ عن النبي ﷺ بِمِثْلِ حديث أبي هُرَيْرَةَ[٣] وفيهِ **«وَصَلاَةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلاَةِ في مَسْجِدِي هٰذَا بِمِائَةِ صَلاَةٍ»**[٤] وَرَوَى قَتَادَةُ[٥] مِثْلَهُ: فَيأْتِي فَضْلُ الصَّلاَةِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عَلى هٰذَا على الصَّلاَةِ فِي سَائِرِ الْمَسَاجِدِ بِمِائَةِ أَلْفٍ وَلاَ خِلاَفَ أَنْ مَوْضعَ قَبْرِهِ أَفْضَلُ بِقَاعِ الأَرْضِ؛ قال القَاضِي[٦] أبو الْوَلِيدِ الباجِيُّ: الَّذِي يَقْتَضِيهِ الحديثُ مُخَالَفَةُ حُكْم مَسْجِدِ مَكَّةَ لِسَائِرِ الْمَسَاجِدِ وَلاَ يُعْلَمُ مِنْهُ حُكْمُهَا مَعَ الْمَدِينَةِ؛ وَذَهَبَ الطَّحَاوِيُّ[٧] إلى أنَّ هٰذَا التَّفْضِيلَ إِنَّمَا هُوَ فِي صَلاَةِ الفَرْضِ، وَذَهَبَ مُطَرِّفٌ[٨] مِنْ أَصْحَابِنَا إلى أَنَّ ذٰلِكَ فِي النَّافِلَةِ أيضاً قَالَ وَجُمُعَةٌ خَيْرٌ مِنْ جُمُعَةٍ وَرَمَضَانُ خَيْرٌ مِن رَمَضَانَ وَقَدْ ذَكَرَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ[٩] فِي تَفْضِيلِ رَمَضَانَ بِالْمَدِينَةِ وَغَيْرِهَا حديثاً نَحْوَهُ وقال ﷺ: **«مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ»**[١٠] وَمِثْلُهُ عن أبي هُرَيْرَةَ[١١] وَأَبِي سعِيدٍ[١٢] وَزَادَ: **«وَمِنْبَرِي على حَوْضِي»**[١٣] وفي حديث آخَرَ: **«مِنْبَرِي عَلى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ**

---

(١) الباجي. تقدمت ترجمته. (٢) الشافعي. تقدمت ترجمته.

(٣) أبو هريرة. تقدمت ترجمته.

(٤) وصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٣/ ٦٣، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة، والمدينة (٢٠) باب (١) الحديث رقم: ١١٩٥. والإمام مسلم في الصحيح: ٢/ ١٠١٢ كتاب الحج (١٥) باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة (٩٤) الحديث رقم: ٥٠٥/١٣٩٤.

(٥) قتادة رضي الله عنه تقدمت ترجمته. (٦) القاضي أبو الوليد الباجي تقدمت ترجمته.

(٧) الطحاوي. تقدمت ترجمته.

(٨) مطرف: هو مطرف بن عبد الله بن مطرف كنيته أبو مصعب وهو ابن أخت مالك بن أنس الإمام روى عن مالك وغيره وأخذ عنه أبو زرعة وأبو حاتم والبخاري تفقه بمذهب مالك وهو ثقة صحب مالكاً (١٧) سنة توفي سنة ٢٢٠ هـ. بالمدينة/ ترجمته في الانتقاء: ٥٨ والديباج المذهب: ٣٤٦.

(٩) عبد الرزاق. تقدمت ترجمته.

(١٠) ما بين بيتي ومنبري.. الحديث/ أخرجه البخاري في الصحيح: ٣/ ٧٠ كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة، والمدينة (٢٠) باب فضل ما بين القبر والمنبر (٥) الحديث ١١٩٦ ومسلم في الصحيح: ٢/ ١٠١١ كتاب الحج (١٥) باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة (٩٢) الحديث ٥٠٢/١٣٩١.

(١١) أبو هريرة رضي الله عنه تقدمت ترجمته.

(١٢) أبو سعيد الخدري تقدمت ترجمته.

(١٣) منبري على حوضي.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٣/ ٢٩، ٨/ ١٥١ والإمام مسلم في الصحيح كتاب الحج: ٥٠٣ والإمام أحمد في المسند: ٢/ ٣٧٦، ٤٠٢، ٤٣٨، ٤٦٦، ٥٣٣، ٣/ ٤. والطبراني في المعجم الكبير: ١٢/ ٢٩٤، والإمام البغوي في شرح السنة ٣/ ١٤٩ وابن عبد البر في التمهيد: ٢/ ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧.

الْجَنَّةِ»[١] قَالَ الطَّبَرِيُّ[٢] فِيهِ مَعْنَيَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّ الْمُرَادَ بِالْبَيْتِ بَيْتُ سُكْنَاهُ عَلى الظَّاهِرِ مَعَ أَنَّهُ رُوِيَ مَا يُبَيِّنُهُ **«بَيْنَ حُجْرَتِي وَمِنْبَرِي»**[٣] والثَّاني أَنَّ البَيْتَ هُنَا القَبْرُ وَهُوَ قَوْلُ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ[٤] فِي هٰذَا الحديث كما رُوِيَ بَيْنَ قَبْرِي وَمِنْبَرِي، قال الطَّبَرِيُّ[٥] وَإِذَا كَانَ قَبْرُهُ فِي بَيْتِهِ اتَّفَقَتْ مَعَانِي الرِّوَايَاتِ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهَا خِلَافٌ لأَنَّ قَبْرَهُ فِي حُجْرَتِهِ وَهُوَ بَيْتُهُ، وَقَوْلُهُ: **«وَمِنْبَرِي عَلى حَوْضِي»**[٦] قِيلَ يَحْتَمِلُ أَنهُ مِنْبَرُهُ بِعَيْنِهِ الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ أَظْهَرُ وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ لَهُ هُنَاكَ مِنْبَرٌ وَالثَّالِثُ أَنَّ قَصْدَ مِنْبَرِهِ وَالْحُضُورَ عِنْدَهُ لِمُلَازَمَةِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يُورِدُ الْحَوْضَ وَيُوجِبُ الشُّرْبَ مِنْهُ قَالَهُ البَاجِيُّ[٧]، وَقَوْلُهُ: **«رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ»** يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ مُوجِبٌ لِذٰلِكَ وَأَنَّ الدُّعَاءَ وَالصَّلَاةَ فِيهِ يَسْتَحِقُّ ذٰلِكَ مِنَ الثَّوَابِ كما قِيلَ: الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ وَالثَّانِي أَنَّ تِلْكَ البُقْعَةَ قَدْ يَنْقُلُهَا الله فَتَكُونُ فِي الْجَنَّة بِعَيْنِهَا، قَالَهُ الدَّاوُدِيُّ[٨].

وَرَوَى ابنُ عُمَر[٩] وَجَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال في المَدِينَةِ: **«لاَ يَصْبِرُ عَلى لأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ إِلاَّ كُنْتُ لَهُ شَهِيداً أَوْ شَفِيعاً يَوْمَ القِيَامَةِ»** وقال فِيمَنْ تَحَمَّلَ عَنِ المَدِينَةِ: **«وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ»**[١٠] وقال: **«إِنَّمَا المَدِينَةُ كَالْكِيرِ تَنْفِي خَبَثَهَا وَيَنْصَعُ طِيبُهَا»**[١١] وقَالَ: **«لاَ يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنَ الْمَدِينَةِ رَغْبَةً عَنهَا إِلاَّ أَبْدَلَهَا الله خَيْراً مِنه»**[١٢]. وَرُوِيَ

---

(١) منبري على ترعة من ترع الجنة.. الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٤٠٢، ٥/ ٣٣٣ والطبراني في المعجم الكبير: ٦/ ١٧٤، ٢٣٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٩.

(٢) الطبري. تقدمت ترجمته.

(٣) بين حجرتي ومنبري.. الحديث جزء من الحديث السابق. منبري على حوضي... الخ.

(٤) زيد بن أسلم. تقدمت ترجمته.

(٥) الطبري. تقدمت ترجمته.

(٦) ومنبري على حوضي.. جزء من الحديث السابق.

(٧) الباجي. تقدمت ترجمته.

(٨) الداودي تقدمت ترجمته.

(٩) ابن عمر رضي الله عنهما تقدمت ترجمته.

(١٠) لا يصبر.. الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ١٣٣، ٤٣٩، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٤/ ٤٢٨، وابن سعد في طبقاته: ٣/ ٨.

(١١) إنما المدينة كالكير.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٤/ ٩٦، كتاب فضائل المدينة (٢٩) باب المدينة تنفي الخبث (١٠) الحديث: ١٨٨٣، وفي ١٣/ ٢٠١ كتاب الأحكام (٩٣) باب من بايع ثم استقال البيعة (٤٧) الحديث: ٧٢١١، والإمام مسلم في الصحيح ٢/ ١٠٠٦ كتاب الحج (١٢) باب المدينة تنفي شرارها (٨٨) الحديث: ١٣٨٣.

(١٢) لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها.. الحديث/ أخرجه عبد الرزاق في مصنفه. ١٧١٦٠ وابن عبد البر في تجريد التمهيد: ٧٦، والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣٤٩١٠.

عنه ﷺ: «مَنْ مَاتَ فِي أَحَدِ الْحَرَمَيْنِ حَاجّاً أَوْ مُعْتَمِراً بَعَثَهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِ وَلاَ عَذَابَ»[(١)] وَفِي طَرِيقٍ آخَرَ «بُعِثَ مِنَ الآمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وعَنِ ابنِ عمرَ[(٢)] «مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا»[(٣)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ إلى قوله: ﴿ءَامِنًا﴾ [آل عمران:٩٦] قال بعضُ المفسرِينَ آمِناً مِنَ النَّارِ وَقِيلَ كانَ يَأْمَنُ مِنَ الطَّلَبِ مَنْ أَحْدَثَ حَدَثاً خَارِجاً عَنِ الْحَرَمِ وَلَجأَ إِلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. وهذا مِثْلُ قولِهِ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة:١٢٥] على قولِ بعضِهِم، وحُكِيَ أَنَّ قَوْماً أَتَوْا سَعْدُونَ الْخَوْلاَنِيَّ[(٤)] بِالْمُنَسْتِيرِ فَأَعْلَمُوهُ أَنَّ كُتَامَةَ قَتَلُوا رَجُلاً وَأَضْرَمُوا عَلَيْهِ النَّارَ طُولَ اللَّيْلِ فَلَمْ تَعْمَلْ فِيهِ شَيْئاً وَبَقِيَ أَبْيَضَ الْبَدَنِ فقال: لَعَلَّهُ حَجَّ ثَلاَثَ حِجَجٍ؟ قالوا نَعَمْ، قال حُدِّثْتُ أَنَّ مَنْ حَجَّ حَجَّةً أَدَّى فَرْضَهُ وَمَنْ حَجَّ ثَانِيَةً دَايَنَ رَبَّهُ، وَمَنْ حَجَّ ثَلاَثَ حِجَجٍ حَرَّمَ الله شَعَرَهُ وَبَشَرَهُ عَلَى النَّارِ، وَلَمَّا نَظَرَ رسولُ الله ﷺ إِلَى الْكَعْبَةِ قال: «مَرْحَباً بِكِ مِنْ بَيْتٍ مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ»[(٥)] وفي الحديثِ عنه ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْعُو الله تَعَالَى عِنْدَ الرُّكْنِ الأَسْوَدِ إِلاَّ اسْتَجَابَ الله لَهُ»[(٦)] وكذلكَ عِنْدَ الْمِيزَابِ، وعنه ﷺ: «مَنْ صَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ رَكْعَتَيْنِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَحُشِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الآمِنِينَ»[(٧)] قالَ الفقيهُ القاضِي أبو الفضلِ قَرَأْتُ عَلَى القاضِي الحافِظِ أبي عَلِيٍّ[(٨)] حَدَّثَنَا أبو

---

(١) من مات في أحد الحرمين. . الحديث/ أخرجه الإمام السيوطي في الدر المنثور: ٢/ ٥٥. والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣٥٠٠٥.

(٢) ابن عمر رضي الله عنهما تقدمت ترجمته.

(٣) من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها. . الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٢/ ٧٤، ١٠٤، والترمذي في السنن: ٥/ ٧١٩، كتاب المناقب (٥٠) باب في فضل المدينة (٦٨) الحديث: ٣٩١٧، وقال عنه حديث: حسن غريب. من حديث أيوب السختياني وأورده الهيثمي في موارد الظمآن: ٢٥٥ كتاب الحج (٩) باب فضل مدينة سيدنا رسول الله ﷺ (٣٦) الحديث: ١٠٣١، وابن ماجه في السنن ٢/ ١٠٣٩ كتاب المناسك (٢٥) باب فضل المدينة.

(٤) سعدون الخولاني. تقدمت ترجمته.

(٥) مرحباً بك من بيت. . الحديث/ أخرجه الإمام السيوطي في الدر المنثور: ١/ ١٣٢ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٨١٨.

(٦) ما من أحد يدعو الله تعالى. . الحديث/ أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال: ٣١٤٦.

(٧) من صلى خلف المقام ركعتين. . الحديث/ أخرجه السيوطي في الدر المنثور: ١/ ١٢٠ وفي الحاوي للفتاوي: ١/ ٥٤٨ وابن الجوزي في العلل المتناهية: ١/ ٨١. وابن عدي في الكامل في الضعفاء: ٧/ ٢٥٢٢، وأورد الزبيدي بصيغة أخرى في إتحاف السادة المتقين: ٤/ ٣٥٩.

(٨) القاضي الحافظ أبو علي.

العَبَاسِ الْعُذْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أبو أُسامَةَ مُحَمَّدُ بنُ أحمدَ بْنُ محمدِ الْهَرَوِيُّ حَدَّثَنَا الحَسَنُ بنُ رَشِيقٍ سَمِعتُ أبا الحسنِ محمدُ بنُ الْحَسَنِ بن راشِدٍ سمِعتُ أبا بكرٍ محمدَ بنَ إدْرِيسَ سمِعتُ الحُمَيْدِيَّ قال: سمِعتُ سُفْيَانَ بنَ عُيَيْنَة [1] قال سمِعتُ عمرَو بن دِينار قال سمِعتُ ابنَ عباسٍ [2] يقولُ سمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«مَا دَعَا أحَدٌ بِشَيْءٍ في هٰذَا الْمُلْتَزَمِ إلاَّ اسْتُجِيبَ لَهُ»** قال ابنُ عباسٍ وَأنَا فَمَا دَعَوتُ الله بِشَيْءٍ في هٰذَا الْمُلْتَزَم مُنذُ سَمِعتُ هٰذَا مِن رسولِ الله ﷺ إلاَّ أُسْتُجِيبَ لي، وقال عمرُو بنُ دِينارٍ [3] وَأنَا فَمَا دَعَوْتُ الله تَعالَى بِشَيْءٍ فِي هٰذَا الْمُلْتَزِمِ مُنذُ سَمِعتُ هٰذَا مِن ابنِ عباس إلاَّ اسْتُجِيبَ لِي، وقال سُفيانُ [4] وَأنَا فَمَا دَعَوْتُ الله بِشَيْءٍ في هٰذَا الْمُلْتَزِم مُنذُ سَمِعتُ هٰذَا مِن عمرٍو إلاَّ اسْتُجِيبَ لِي، قال الْحُمَيْدِيُّ وَأنَا فَما دَعوتُ الله بِشَيْءٍ في هٰذَا الْمُلْتَزَم مُنذُ سمعتُ هذا مِن سُفيانَ إلاَّ اسْتُجِيبَ لي؛ وقال محمدُ بنُ إدْرِيسَ [5] وَأنَا فَمَا دَعَوْتُ الله بِشَيْءٍ في هٰذَا الْمُلْتَزَم مُنذُ سَمِعتُ هذا مِنَ الْحُمَيْدِيِّ [6] إلاَّ اسْتُجِيبَ لي؛ وقال أبو الحسنِ محمدُ بنُ الحسنِ [7] وأنَا فَمَا دَعَوْتُ الله بِشَيْءٍ في هذا الْمُلْتَزِمِ منذُ سمِعتُ هذا مِنْ محمدِ بنِ إدريسَ إلا اسْتجِيبَ لي؛ قال أبو أُسَامَةَ وَمَا أذكُرُ الحسنَ بنَ رَشِيقٍ [8] قال فِيهِ شَيْئاً وَأنَا فَمَا دعوتُ الله بِشَيْءٍ في هذا الْمُلْتَزَمِ منذُ سمِعتُ هذا مِن الحسن بنِ رشيق إلا استجيبَ لي مِنْ أمرِ الدُّنْيَا وَأنَا أرْجو أنْ يُسْتَجابَ لي مِنْ أمرِ الآخِرَة قال العُذْرِيُّ [9] وَأنَا فما دعوتُ الله بِشَيْءٍ في هذا الْمُلْتَزِمِ منذُ سمِعتُ هذا مِن أبي أُسَامَةَ [10] إلاَّ اسْتجِيبَ لي قال أبو عليٍّ [11] وأنا فَقَدْ دَعَوتُ الله فِيهِ بِأشياءَ كَثِيرَةٍ اسْتجيبَ لِي بَعْضُهَا وَأنا أرْجو مِنْ سِعَة فَضْلِهِ أنْ يَسْتَجِيبَ لي بَقِيَّتَهَا، قَالَ القَاضِي أبو الفَضْلِ ذَكَرْنَا نُبَذاً مِنْ هٰذِهِ النُّكَتِ في هٰذَا الفَصْلِ وَإنْ لَمْ تَكُنْ مِنَ البَابِ لِتَعَلُّقِهَا بِالْفَصْلِ الَّذِي قَبْلَهُ حِرْصاً على تَمَامِ المَائِدَةِ وَالله المُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ بِرَحْمَتِهِ.

---

(١) [....] ص ٥٤ ساقطة من نسخة دمشق.
(٢) ابن عباس رضي الله عنهما تقدمت ترجمته.
(٣) عمرو بن دينار تقدمت ترجمته.
(٤) سفيان تقدمت ترجمته.
(٥) محمد بن إدريس تقدمت ترجمته.
(٦) الحميدي تقدمت ترجمته.
(٧) أبوالحسن محمد بن الحسن تقدمت ترجمته.
(٨) الحسن بن رشيق تقدمت ترجمته.
(٩) العذري تقدمت ترجمته.
(١٠) أبو أسامة تقدمت ترجمته.
(١١) أبو علي تقدمت ترجمته.

القسم الثالث

فِيما يَجِبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَمَا يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهُ أَوْ يَجُوزُ عَلَيْه وَمَا يَمْتَنِعُ أَوْ يَصِحُ مِنَ الأَحْوالِ البَشَرِيَّةِ أَنْ يُضَافَ إلَيْهِ.

مقدمة القسم الثالث

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [آل عمران:١٤٤] الآيةَ، وقال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة:٧٥] وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان:٢٠] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الكهف:١١٠] الآيةَ، فَمُحَمَّدٌ ﷺ وَسَائِرُ الأَنْبِيَاءِ مِنَ البَشَر وَلَوْلاَ ذٰلِكَ لَمَا أطلق النَّاسُ مُقَاوَمَتَهُمْ وَالقَبُولَ عَنْهُمْ وَمُخَاطَبَتَهُمْ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام:٩] أيْ لَمَا كَانَ إلاَّ في صُورَةِ البَشَرِ الَّذِينَ يُمْكِنُكُمْ مُخَالَطَتُهُمْ إذْ لاَ تُطِيقُونَ مُقَاوَمَةَ المَلَكِ وَمُخَاطَبَتَهُ وَرُؤْيَتَهُ إذَا كَانَ عَلى صُورَتِهِ، وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء:٩٥] أيْ لا يُمْكِنُ فِي سُنَّةِ الله إرْسَالُ المَلَكِ إلاَّ لِمَنْ هُوَ مِنْ جِنْسِهِ أوْ مَنْ خَصَّهُ الله تَعَالَى وَاصْطَفَاهُ وَقَوَّاهُ على مُقَاوَمَتِهِ كَالأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ فَالأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ وَسَائِطُ بَيْنَ الله تعالَى وَبَيْنَ خَلْقِهِ يُبَلِّغُونَهُمْ أوَامِرَهُ وَنَوَاهِيَهُ وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ وَيُعَرِّفُونَهُمْ بِمَا لَمْ يَعْلَمُوهُ مِنْ أمْرِهِ وَخَلْقِهِ وَجَلاَلِهِ وَسُلْطَانِهِ وَجَبَرُوتِهِ وَمَلَكُوتِهِ فَظَوَاهِرُهُمْ وَأَجْسَادُهُمْ وَبِنْيَتُهُمْ مُتَّصِفَةٌ بِأَوْصَافِ البَشَرِ طَارِيءٌ عَلَيْهَا مَا يَطْرَأُ عَلَى البَشَرِ مِنَ الأَعْرَاضِ وَالأَسْقَامِ وَالمَوْتِ وَالفَنَاءِ وَنُعُوتِ الإنْسَانِيَّةِ وَأَرْوَاحُهُمْ وَبَوَاطِنُهُمْ مُتَّصِفَةٌ بِأَعْلَى مِنْ أَوْصَافِ البَشَرِ مُتَعَلِّقَةٌ بِالمَلإِ الأَعْلَى مُتَشَبِّهَةٌ بِصِفَاتِ المَلاَئِكَةِ سَلِيمَةٌ مِنَ التَّغَيُّرِ وَالآفَاتِ لاَ يَلْحَقُهَا غَالِباً عَجْزُ البَشَرِيَّةِ وَلاَ ضَعْفُ الإنْسَانِيَّةِ إذْ لَوْ كَانَتْ بَوَاطِنُهُمْ خَالِصَةً لِلبَشَرِيَّةِ كَظَوَاهِرِهِمْ لَمَا أطَاقُوا الأَخْذَ عَنِ المَلاَئِكَةِ وَرُؤْيَتَهُمْ وَمُخَاطَبَتَهُمْ وَمُخَالَتَهُمْ كَمَا لاَ يُطِيقُهُ غَيْرُهُمْ مِنَ البَشَرِ وَلَوْ كَانَتْ أجْسَادُهُمْ وَظَوَاهِرُهُمْ مُتَّسِمَةً بِنُعُوتِ المَلاَئِكَةِ وَبِخِلاَفِ صِفَاتِ البَشَرِ لَمَا أطَاقَ البَشَرُ وَمَنْ أُرْسِلُوا إلَيْهِ مُخَالَطَتَهُمْ كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِ الله تَعَالَى فَجُعِلُوا مِنْ جِهَةِ الأَجْسَامِ وَالظَّوَاهِرِ مَعَ البَشَرِ وَمِنْ جِهَةِ الأَرْوَاحِ وَالبَوَاطِنِ مَعَ المَلاَئِكَةِ؛ كَمَا قَالَ ﷺ: **«لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أبا بَكْرٍ خَلِيلاً وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإسْلاَمِ لَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ الرَّحْمٰنِ»**[1] وَكَمَا قَالَ: «تَنَامُ

---

(١) لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: ٧/ ٢٢٧ كتاب مناقب الأنصار (٦٣) باب هجرة النبي ﷺ (٤٥) الحديث: ٣٩٠٤، وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح: ٤/ ١٨٥٤ ـ ١٨٥٥ كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب من فضائل أبي بكر... (١) الحديث: ٢/ ٢٣٨٢.

عَيْنَايَ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَظَلُّ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيُسْقِينِي» فَبَوَاطِنُهُمْ مُنَزَّهَةٌ عَنِ الآفَاتِ مُطَهَّرَةٌ عَنِ النَّقَائِصِ وَالاعْتِلاَلاَتِ، وَهٰذِهِ جُمْلَةٌ لَنْ يَكْتَفِيَ بِمَضْمُونِهَا كُلُّ ذِي هِمَّةٍ بَلِ الأَكْثَرُ يَحْتَاجُ إِلَى بَسْطٍ وَتَفْصِيلٍ عَلَى مَا تَأْتِي بِهِ بَعْدَ هٰذَا فِي الْبَابَيْنِ بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَى وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

الباب الأول

فيما يختص بالأمور الدينية والكلام في عصمة نبينا عليه الصلاة والسلام وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجميعن

وفيه ستة عشر فصلاً:

الفصل الأول: في حكم عقد قلب النبي ﷺ.

الفصل الثاني: وأما عصمتهم في هذا الفن.

الفصل الثالث: قال القاضي قد بان.

الفصل الرابع: الأمة مجتمعة على العصمة.

الفصل الخامس: وأما أقواله عليه السلام.

الفصل السادس: وقد وجهت ها هنا سؤلات.

الفصل السابع: هذا القول.

الفصل الثامن: في سهوه.

الفصل التاسع: وأما ما يتعلق بالجوارح.

الفصل العاشر: وقد اختلف في عصمتهم قبل النبوة.

الفصل الحادي عشر: هذا حكم ما تكون المخالفة.

الفصل الثاني عشر: في أحاديث السهو.

الفصل الثالث عشر: في الرد على من أجاز عليهم الصغائر.

الفصل الرابع عشر: فإن قلت.

الفصل الخامس عشر: قد استبان ذلك.

الفصل السادس عشر: في القول في عصمة الملائكة.



الباب الأول

فيما يختص بالأمور الدينية والكلام في عصمة نبينا عليه الصلاة والسلام وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين

تمهيد

قال الْقَاضِي أبو الفضلِ وَفَّقَهُ الله: اعْلَمْ أنَّ الطَّوَارِىءِ مِنَ التَّغَيُّرَاتِ وَالآفَاتِ عَلَى آحَادِ الْبَشَرِ لاَ يَخْلُو أَنْ تَطْرَأَ عَلَى جِسْمِهِ أَوْ عَلَى حَوَاسِّهِ بِغَيْرِ قَصْدٍ وَاخْتِيَارٍ كَالأَمْرَاضِ وَالأَسْقَامِ أَوْ تَطْرَأَ بِقَصْدٍ وَاخْتِيَارٍ وَكُلُّهُ في الْحَقِيقَةِ عَمَلٌ وَفِعْلٌ وَلٰكِن جَرَى رَسْمُ الْمَشَايِخِ بِتَفْصِيلِهِ إِلَى ثَلاَثَةِ أَنْواعٍ: عَقْدٍ بِالْقَلْبِ وَقَوْلٍ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٍ بِالْجَوَارِحِ وَجَمِيعُ الْبَشَرِ تَطْرَأُ عَلَيْهِمُ الآفَاتُ وَالتَّغَيُّرَاتُ بِالاخْتِيَارِ وَبِغَيْرِ الاخْتِيَارِ فِي هٰذِهِ الْوُجُوهِ كُلِّهَا والنبيُّ ﷺ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْبَشَرِ وَيَجُوزُ عَلَى جِبلَّتِهِ. يَجُوزُ عَلَى جِبلَّتِهِ الْبَشَرِ فَقَدْ قَامَتِ الْبَرَاهِينُ الْقَاطِعَةُ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ الإِجْمَاعِ عَلَى خُرُوجِهِ عَنْهُمْ وَتَنْزِيهِهِ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الآفَاتِ الَّتِي تَقَعُ عَلَى الاخْتِيَارِ وَعَلَى غَيْرِ الاخْتِيَارِ كَمَا سَنُبَيِّنُهُ إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى فِيمَا نَأْتِي بِهِ مِنَ التَّفَاصِيلِ.

الفصل الأول: في حُكم عَقدِ قَلْبِ النبيِّ ﷺ من وَقتِ نُبوَّتِهِ

اعْلَمْ مَنَحَنَا الله وَإِيَّاكَ تَوْفِيقَهُ أَنَّ مَا تَعَلَّقَ مِنْهُ بِطَرِيقِ التَّوْحِيدِ وَالْعِلْمِ بِالله وَصِفَاتِهِ وَالإِيمَانِ بِهِ وَبِمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ فَعَلَى غَايَةِ الْمَعْرِفَةِ وَوُضُوحِ الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ وَالانْتِفَاءِ عَنِ الْجَهْلِ بِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ وَالشَّكِّ أَوِ الرَّيْبِ فِيهِ وَالْعِصْمَةِ مِنْ كُلِّ مَا يُضَادُّ الْمَعْرِفَةَ بِذٰلِكَ وَالْيَقِينَ؛ هٰذَا وَمَعَ إِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ؛ وَلاَ يَصِحُّ بِالْبَرَاهِينَ الْوَاضِحَةِ أَنْ يَكُونَ فِي عُقُودِ الأَنْبِيَاءِ سِوَاهُ وَلاَ يُعْتَرَضُ عَلَى هٰذَا بِقَوْلِ إبراهِيمَ عليه السلامُ قَالَ بَلَى ولٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي؛ إِذْ لَمْ يَشُكَّ إبراهيمُ في إِخْبَارِ الله تَعَالَى لَهُ بِإِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَلٰكِنْ أَرَادَ طُمَأْنِينَةَ الْقَلْبِ وَتَرْكَ الْمُنَازَعَةِ لِمُشَاهَدَةِ الإِحْيَاءِ فَحَصَلَ لَهُ الْعِلْمُ الأَوَّلُ بِوُقُوعِهِ وَأَرَادَ الْعِلْمَ الثَّانِي بِكَيْفِيَّتِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ.

الوجهُ الثَّاني أن إبراهيمَ عليهِ السلامُ إِنَّمَا أَرَادَ اخْتِبَارَ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ وعِلْمَ إِجَابَتِهِ دَعْوَتَهُ بِسُؤَالِ ذٰلِكَ مِنْ رَبِّهِ وَيَكُونُ قولُهُ تَعالَى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ [البقرة: ٢٦٠] أَيْ تُصَدِّقْ بِمَنْزِلَتِكَ مِنِّي وَخُلَّتِكَ وَاصْطِفَائِكَ.

الوجه الثالثُ أنه سَأَلَ زِيَادَةَ يَقِينٍ وَقُوَّةَ طُمَأْنِينَةٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الأَوَّلِ شَكٌّ إِذِ الْعُلُومُ الضَّرُورِيَّةُ وَالنَّظَرِيَّةُ قَدْ تَتَفَاضَلُ فِي قُوَّتِهَا، وَطَرَيَانُ الشُّكُوكِ عَلَى الضَّرُورِيَّاتِ مُمْتَنِعٌ وَمُجَوَّزٌ فِي النَّظَرِيَّاتِ؛ فَأَرَادَ الانْتِقَالَ مِنَ النَّظَرِ أَوِ الْخَبَرِ إِلَى الْمُشَاهَدَةِ وَالتَّرَقِّي مِنْ عِلْمِ الْيَقِينِ إِلَى عَيْنِ

الْيَقِينِ فَلَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ؛ وَلِهٰذَا قال سهلُ بنُ عبدِ اللهِ[١] سَأَلَ كَشْفَ غِطَاءِ الْعِيَانِ لِيَزْدَادَ بِنُورِ الْيَقِينِ تمكُّناً في حَالِهِ.

الوجهُ الرابعُ أنه لَمَّا ٱحتجَّ على الْمُشْرِكِينَ بأنَّ رَبَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ طَلَبَ ذَلِكَ مِن ربهِ لِيَصِحَّ ٱحْتِجَاجُهُ عِيَاناً.

الوجهُ الخامسُ قولُ بعضِهِمْ هو سُؤَالٌ عَلَى طَرِيقِ الأَدَبِ: المرادُ أَقْدِرْنِي عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى؛ وَقولُهُ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي عَنْ هذِهِ الأُمْنِيَّةِ.

الوجهُ السادِسُ أنه أرَى مِن نَفْسِهِ الشَّكَّ وَمَا شَكَّ لٰكِنْ لِيُجَاوِبَ فَيَزْدَادَ قُرْبُهُ وقولُ نبيِّنا ﷺ: «نَحْنُ أَحَقُّ بالشَّكِّ مِن إبراهِيمَ» نَفْيٌ لِأَنْ يَكونَ إبراهيم شَكٌّ وإبْعَادٌ لِلْخَوَاطِرِ الضَّعِيفَةِ أَنْ تَظُنَّ هذا بإبراهيمَ أيْ نحنُ مُوقِنُونَ بِالْبَعْثِ وَإحْيَاءِ اللهِ الْمَوْتَى، فَلَوْ شَكَّ إبراهيمُ لَكُنَّا أَوْلَى بالشَّكِّ مِنْهُ إمَّا عَلَى طَرِيقِ الأَدَبِ أَوْ أَنْ يُرِيدَ أُمَّتَهُ الذِينَ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الشَّكُّ أَوْ عَلَى طَرِيقِ التَّوَاضُعِ وَالإشْفَاقِ أَنْ حُمِلَتْ قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ على اخْتِبَارِ حَالِهِ أَوْ زِيَادَةِ يَقِينِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤] الآيَتَيْنِ ـ فَٱحْذَرْ ثَبَّتَ الله قَلْبَكَ أَنْ يَخْطُرَ بِبَالِكَ مَا ذَكَرَهُ فِيهِ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ عنِ ابنِ عَبَّاسٍ[٢] أَوْ غَيْرِهِ مِنْ إِثْبَاتِ شَكٍّ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ وَأَنَّهُ مِنَ البَشَرِ؛ فَمِثْلُ هٰذَا لا يَجُوزُ عَلَيْهِ جُمْلَةً بَلْ قَدْ قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ لَمْ يَشُكَّ النبيُّ ﷺ وَلَمْ يَسْأَلْ؛ وَنَحْوُهُ عنِ ابنِ جُبَيْرٍ[٣] والحَسَنِ[٤]، وَحَكَى قَتَادَةُ[٥] أَنَّ النبيَّ ﷺ قال ما أَشُكُّ وَلاَ أَسْأَلُ؛ وَعَامَّةُ المُفَسِّرِينَ على هٰذَا؛ وَاخْتَلَفُوا في مَعْنَى الآيةِ فَقِيلَ المُرَادُ قُلْ يا مُحمَّدُ لِلشاكِّ ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ [يونس: ٩٤] الآيةَ؛ قَالُوا وَفِي السُّورَةِ نَفْسِهَا مَا دَلَّ على هٰذَا التَّأْوِيلِ: قولُهُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾ [يونس: ١٠٤] الآيةَ؛ وَقِيلَ المُرَادُ بالخطابِ العَرَبُ وَغَيْرُ النبيِّ ﷺ كما قَالَ ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] الآيةَ؛ الخِطَابُ لَهُ وَالمُرَادُ غَيْرُهُ وَمِثْلُهُ ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [هود: ١٠٩] وَنَظِيرُهُ كَثِيرٌ؛ قال بَكْرُ بنُ العلاءِ ألا تَرَاهُ يقولُ: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٩٥] الآيةَ وَهُوَ ﷺ كانَ المُكَذَّبَ فِيمَا يَدْعُو إِلَيْهِ فَكَيْفَ يَكُونُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِهِ؟

---

(١) سهل بن عبد الله. تقدمت ترجمته.

(٢) ابن عباس. تقدمت ترجمته.

(٣) ابن جبير. تقدمت ترجمته.

(٤) الحسن. تقدمت ترجمته.

(٥) قتادة. تقدمت ترجمته.

فَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ المُرَادَ بِالْخِطَابِ غَيْرُهُ وَمِثْلُ هٰذِهِ الآيَةِ قَوْلُهُ: ﴿الرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٩] المَأْمُورُ هٰهُنَا غَيْرُ النبيِّ ﷺ لِيَسْأَلَ النبيَّ والنبيُّ ﷺ هُوَ الْخَبِيرُ المَسْؤُولُ لا المُسْتَخْبِرُ السَّائِلُ وَقَالَ إِنَّ هٰذَا الشَّكَّ الَّذِي أُمِرَ بِهِ غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ بِسُؤَالِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الكِتَابَ إِنَّمَا هُوَ فِيمَا قَصَّهُ اللهُ مِنْ أَخْبَارِ الأُمَمِ لا فِيمَا دَعَا إِلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالشَّرِيعَةِ وَمِثْلُ هٰذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ [الزخرف:٤٥] الآيَةَ المُرَادُ بِهِ المُشْرِكُونَ وَالخِطَابُ مُوَاجَهَةً لِلنبي ﷺ قَالَهُ القُتَيْبِي، وَقِيلَ مَعْنَاهُ سَلْنَا عَمَّنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فَحُذِفَ الخَافِضُ وَتَمَّ الكَلَامُ ثُمَّ ابْتَدَأَ ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الزخرف:٤٥] إلى آخِرِ الآيَةِ على طَرِيقِ الإِنْكَارِ أَيْ مَا جَعَلْنَا، حَكَاهُ مَكِّيٌّ، وَقِيلَ أُمِرَ النبي ﷺ أَنْ يَسْأَلَ الأنبِيَاءَ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ عَنْ ذٰلِكَ فَكَانَ أَشَدَّ يَقِيناً مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلى السُّؤَالِ فَرُوِيَ أَنهُ قَالَ: **«لا أَسْأَلُ قَدِ اكْتَفَيْتُ»**[١] قَالَهُ ابنُ زَيْدٍ؛ وَقِيلَ سَلْ أُمَمَ مَنْ أَرْسَلْنَا هَلْ جَاؤُوهُمْ بِغَيْرِ التَّوْحِيدِ؟ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ[٢] وَالسُّدِّيِّ[٣] وَالضَّحَّاكِ[٤] وَقَتَادَةَ[٥] وَالمُرَادُ بِهٰذَا وَالَّذِي قَبْلَهُ إِعْلَامُهُ ﷺ بما بُعِثَتْ بِهِ الرُّسُلُ وأَنَّهُ تعالَى لم يَأْذَنْ في عِبَادَةِ غَيْرِهِ لأَحَدٍ رَدّاً على مُشْرِكِي العَرَبِ وَغَيْرِهِمْ في قَوْلِهِمْ: إِنَّما نَعْبُدُهُمْ لِيُقَرِّبُونَا إلى اللهِ زُلْفَى؛ وَكَذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام:١١٤] أَيْ في عِلْمِهِمْ بِأَنَّكَ رسولُ اللهِ وَإِنْ لم يُقِرُّوا بِذٰلِكَ وَلَيْسَ المُرَادُ بِهِ شَكَّهُ فيما ذُكِرَ فِي أَوَّلِ الآيَةِ وَقَدْ يَكُونُ أَيْضاً على مِثْلِ مَا تَقَدَّمَ أَيْ قُلْ يا مُحَمَّدُ لِمَنِ امْتَرَى في ذٰلِكَ لا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ أَوَّلَ الآيَةِ: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ [الأنعام:١١٤] الآيَةَ: وأَنَّ النبي ﷺ يُخَاطِبُ بِذٰلِكَ غَيْرَهُ وَقِيلَ هُوَ تَقْرِيرٌ كَقَوْلِهِ: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:١١٦] وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ؛ وَقِيلَ مَعْنَاهُ مَا كُنْتَ في شَكٍّ فَاسْأَلْ تَزْدَدْ طُمَأْنِينَةً وَعِلْماً إِلَى عِلْمِكَ وَيَقِينِكَ، وَقِيلَ إِنْ كُنْتَ تَشُكُّ فِيمَا شَرَّفْنَاكَ وَفَضَّلْنَاكَ بِهِ فَاسْأَلْهُمْ عَنْ صِفَتِكَ في الكُتُبِ وَنَشْرِ فَضَائِلِكَ، وَحُكِيَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ[٦] أَنَّ المُرَادَ إِنْ كُنْتَ في شَكٍّ مِنْ غَيْرِكَ فِيمَا أَنْزَلْنَا. فَإِنْ قِيلَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾ [يوسف:١١٠] عَلَى قِرَاءَةِ التَّخْفِيفِ؟ قُلْنَا المَعْنَى فِي ذٰلِكَ ما قَالَتْهُ عائِشَةُ[٧] رَضِيَ اللهُ عَنْهَا **«مَعَاذَ اللهِ أَنْ تَظُنَّ ذٰلِكَ الرُّسُلُ**

---

(١) لا أسأل قد اكتفيت. . الحديث/ أخرجه ابن الجوزي في زاد المسير: ٣١٩/٧.
(٢) مجاهد. تقدمت ترجمته.
(٣) السدي. تقدمت ترجمته.
(٤) الضحاك. تقدمت ترجمته.
(٥) قتادة. تقدمت ترجمته.
(٦) أبو عبيدة. تقدمت ترجمته.
(٧) عائشة. تقدمت ترجمتها.

بِرَبِّهَا وَإِنَّمَا مَعْنَى ذٰلِكَ أَنَّ الرُّسُلَ لَمَا ٱسْتَيْأَسُوا ظَنُّوا أَنَّ مَنْ وَعَدَهُمُ النَّصْرَ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ كَذَبُوهُمْ وَعَلَى هٰذَا أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ» وَقِيلَ إن ضَمِيرَ «ظَنُّوا» عائِدٌ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَهُوَ قَوْلُ ابنِ عَبَّاسٍ[1] وَالنَّخَعِيِّ[2] وَابْنِ جُبَيْرٍ[3] وَجَمَاعَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَبِهٰذَا الْمَعْنَى قَرَأَ مُجَاهِدٌ كَذَبُوا بِالْفَتْحِ فَلاَ تَشْغَلْ بَالَكَ مِنْ شَاذِّ التَّفْسِيرِ بِسِوَاهُ مِمَّا لاَ يَلِيقُ بِمَنْصِبِ الْعُلَمَاءِ فَكَيْفَ بالأنْبِيَاءِ؟ وَكَذٰلِكَ مَا وَرَدَ في حَدِيثِ السِّيرَةِ وَمَبْدَإِ الْوَحْيِ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ لِخديجةَ[4] «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»[5] لَيْسَ مَعْنَاهُ الشَّكُّ فِيما آتاهُ الله بَعْدَ رُؤْيَةِ المَلكِ وَلٰكِنْ لَعَلَّهُ خَشِيَ أَنْ لا تَحْتَمِلَ قُوَّتُهُ مُقَاوَمَةَ المَلَكِ وَأَعْبَاءَ الْوَحْيِ فَيَنْخَلِعَ قَلْبُهُ أَوْ تَزْهَقَ نَفْسُهُ، هٰذَا عَلَى مَا وَرَدَ في الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَهُ بَعْدَ لِقَائِهِ المَلَكَ أَوْ يَكُونَ ذٰلِكَ قَبْلَ لِقَائِهِ وَإِعْلاَمِ الله تَعَالَى لَهُ بالنُّبُوَّةِ لِأَوَّلِ مَا عُرِضَتْ عَلَيْه مِنَ الْعَجَائِبِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ الْحَجَرُ وَالشَّجَرُ وَبَدَاءَتْهُ الْمَنَامَاتُ وَالتَّبَاشِيرُ كَمَا رُوِيَ في بَعْضِ طُرُقِ هٰذَا الْحَدِيثِ أَنَّ ذٰلِكَ كَانَ أَوَّلاً في الْمَنَامِ ثُمَّ أُرِيَ في الْيَقَظَةِ مِثْلَ ذٰلِكَ تَأْنِيساً لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لِئَلاَّ يَفْجَأَهُ الأَمْرُ مُشَاهَدَةً وَمُشَافَهَةً فَلاَ يَحْتَمِلُهُ لِأَوَّلِ حَالَةِ بِنْيَةُ الْبَشَرِيَّةِ وَفي الصَّحِيح عن عائِشَةَ[6] رَضِيَ الله عَنْها: «أَوَّلُ مَا بُدِىءَ بِهِ رَسُولِ الله ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ، قَالَتْ: ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ؛ وَقالَتْ إِلَى أَنْ جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ في غارِ حِرَاءٍ»[7] الحديث وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ[8] : مَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً يَسْمَعُ الصَّوْتَ وَيَرَى الضوْءَ سَبْعَ سِنِينَ وَلاَ يَرَى شَيْئاً وَثَمانَ سِنِينَ يُوحَى إِلَيْهِ؛ وَقَدْ رَوَى ابن إِسْحَاقَ[9] عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ النبيَّ ﷺ قالَ وَذَكَرَ جِوارَهُ بِغَارِ حِرَاءٍ، قَالَ: «فَجَاءَنِي وَأَنا نَائِمٌ فَقَالَ: اقرأْ؛ فَقُلْتُ: مَا أَقْرأ؟» وَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ عَائِشَةَ[10] في

---

(١) ابن عباس. تقدمت ترجمته.

(٢) النَّخعيُّ. تقدمت ترجمته.

(٣) ابن جبير. تقدمت ترجمته.

(٤) خديجة. تقدمت ترجمتها.

(٥) لقد خشيت على نفسي. . الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١/٣ والإمام مسلم في الإيمان كتاب ٧٣١، رقم: ٢٥٢. والسيوطي في الدر المنثور ٦/٣٦٨. وأبو عوانة في المسند: ١/١٧.

(٦) عائشة رضي الله عنها تقدمت ترجمته.

(٧) أول ما بدىء به رسول الله ﷺ. . الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١/٢٢ كتاب بدء الوحي: (١) باب (٣) الحديث (٣)، وفي: ٨/٧١٥ كتاب التفسير (٦٥) سورة ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ ٩٦/١ ـ ٥، باب (١) الحديث: ٤٩٥٣. وفي: ١٢/٣٥١ ـ ٣٥٢، كتاب التعبير (٩١) باب أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي والرؤيا الصالحة (٩١) الحديث: ٦٩٨٢، والإمام مسلم في الصحيح ١/١٣٩ ـ ١٤٢ كتاب الإيمان (١) باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (٧٣) الحديث: ٢٥٢/١٦٠.

(٨) ابن عباس. تقدمت ترجمته. (٩) ابن إسحاق. تقدمت ترجمته.

(١٠) عائشة. تقدمت ترجمتها.

غَطِّه لَهُ وَإِقْرائِهِ لَهُ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:١] السُّورَةَ قالَ: «**فانْصَرَفَ عَنِّي وَهَبَبْتُ مِنْ نَوْمِي كَأَنَّمَا صُوِّرَتْ في قَلْبي وَلَمْ يَكُنْ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ شاعِرٍ أَوْ مَجْنُونٍ: قُلْتُ لاَ تَحَدَّثُ عَنِّي قُرَيْشٌ بِهٰذَا أَبَداً لأَعْمِدَنَّ إِلى حَالِقٍ مِنَ الجَبَلِ فَلأَطْرَحَنَّ نَفْسِي مِنْهُ فَلأَقْتُلَنَّهَا؛ فَبَيْنَا أنا عامِدٌ لِذٰلِكَ إِذْ سَمِعْتُ مُنَادِياً يُنَادِي مِنَ السَّمَاءِ يا محمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ الله وَأَنا جِبْرِيلُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا جِبْرِيلُ عَلَى صُورَةِ رَجُلٍ - وَذَكَرَ الحَدِيثَ**»[1] فَقَدْ بَيَّنَ في هٰذَا أَنَّ قَوْلَهُ لِمَا قَالَ وَقَصْدَهُ لِمَا قَصَدَ إِنَّمَا كانَ قَبْلَ لِقَاءِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِما السَّلاَمُ وَقَبْلَ إعلاَمِ الله تَعَالَى لَهُ بالنُّبُوَّةِ وَإِظْهَارِهِ وَاصْطِفَائِهِ لَهُ بالرِّسَالَةِ وَمِثْلُهُ حَدِيثُ عمرو بنِ شُرَحْبِيلَ أنه ﷺ قال لِخَدِيجَةَ «**إِنِّي إِذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نِدَاءً وَقَدْ خَشِيتُ وَالله أَنْ يَكُونَ هٰذَا لأَمْرٍ**» وَمِنْ رِوَايَةِ حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ لِخَدِيجَةَ: إِنِّي لأَسْمَعُ صَوْتاً وَأَرَى ضَوْءاً وَأَخْشَى أَنْ يَكُونَ بي جُنُونٌ وَعَلَى هٰذَا يُتَأَوَّلُ لَوْ صَحَّ قَوْلُهُ في بَعْضِ هذِهِ الأَحادِيثِ إِنَّ الأَبْعَدَ شاعِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ وَأَلْفَاظاً يُفْهَمُ مِنْهَا مَعَانِي الشَّكِّ في تَصْحِيحِ مَا رَآهُ وأنهُ كانَ كُلُّهُ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ وَقَبْلَ لِقَاءِ المَلَكِ لَهُ وَإِعْلاَمِ الله لَهُ أنهُ رسولُهُ فَكَيْفَ وَبَعْضُ هٰذِهِ الأَلْفَاظِ لاَ تَصِحُّ طُرُقُهَا؟ وَأَمَّا بَعْدَ إِعلاَمِ الله تَعَالَى لَهُ وَلِقَائِهِ المَلَكَ فَلاَ يَصِحُّ فِيهِ رَيْبٌ وَلاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ شَكٌّ فِيمَا أُلْقِيَ إِلَيْهِ وَقد رَوَى ابنُ إسحاق[2] عن شُيُوخِهِ أَنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يُرْقَى بِمَكَّةَ مِنَ العَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِ فَلَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ القُرْآنُ أَصَابَهُ نَحْوُ مَا كَانَ يُصِيبُهُ فَقالتْ له خديجةُ[3] أُوَجِّهُ إِلَيْكَ مَنْ يَرْقِيكَ قال أَمَّا الآنَ فَلاَ، وَحَدِيثُ خَدِيجَةَ وَاخْتِبَارُهَا أَمْرَ جِبْرِيلَ بِكَشْفِ رَأْسِهَا «**الحديث**» إِنَّمَا ذٰلِكَ فِي حَقِّ خَدِيجَةَ لِتَتَحَقَّقَ صِحَّةَ نُبُوَّةِ رسولِ الله ﷺ وَأَنَّ الَّذِي يَأْتِيهِ مَلَكٌ[4] وَيَزُولَ الشَّكُّ عَنْهَا لأَنَّهَا فَعَلَتْ ذٰلِكَ لِلنبيِّ ﷺ وَلِيَخْتَبِرَ هُوَ حَالَهُ بِذٰلِكَ بَلْ قَدْ وَرَدَ فِي حَدِيثِ عبدِ الله بنِ محمدِ بنِ يَحْيَى بنِ عُرْوَةَ[5] عنِ هِشَامٍ[6] عن أبيه عن عائِشَةَ[7] أَنَّ وَرَقَةَ أَمَرَ خَدِيجَةَ أَنْ تَخْبُرَ الأَمْرَ بِذٰلِكَ، وفي حديث إسماعِيلَ ابنِ أبي حَكِيمٍ[8] أنها قالت لرسولِ الله ﷺ يا ابنَ عمِّ هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِصَاحِبِكَ إِذَا جَاءَكَ؟ قَالَ نَعَمْ فَلَمَّا جَاءَ جِبْرِيلُ أَخْبَرَهَا فقالت له اجْلِسْ إِلَى شِقِّي، وَذَكَرَ الحدِيثَ إِلى آخِرِهِ وفيهِ فقالت مَا هٰذَا

---

(١) فانصرف عني وهبيت.. الحديث/ أخرجه الإمام النووي بشرح صحيح مسلم: ١٩٩/٢.
(٢) ابن إسحاق. تقدمت ترجمته.
(٣) خديجة. تقدمت ترجمتها.
(٤) مالك بن أنس. تقدمت ترجمته.
(٥) عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة. تقدمت ترجمته.
(٦) هشام: تقدمت ترجمته.
(٧) عائشة. تقدمت ترجمتها.
(٨) إسماعيل بن أبي الحكم. تقدمت ترجمته.

بِشيطَان هٰذَا الْمَلَكَ يَا ٱبْنَ عَمٍّ فَاثْبُتْ وَأَبْشِرْ، وَآمَنَتْ بِهِ، فَهٰذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا مُسْتَثْبِتَةٌ بِمَا فَعَلَتْهُ لِنَفْسِهَا وَمُسْتَظْهِرَةٌ لإِيمَانِهَا لاَ لِلنبيِّ ﷺ وقولُ مَعْمَرٍ[1] في فَتْرَةِ الْوَحْيِ فَحَزِنَ النبيُّ ﷺ فِيمَا بَلَغَنَا حُزْناً غَدَا مِنْهُ مِراراً كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ: لاَ يَقْدَحُ فِي هٰذَا الأَصْلِ؛ لِقولِ مَعْمَرٍ عنه فِيمَا بَلَغَنَا وَلَمْ يُسْنِدْهُ وَلاَ ذَكَرَ رُوَاتَهُ وَلاَ مَنْ حَدَّثَ بِهِ وَلاَ أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَهُ وَلاَ يُعْرَفُ مِثْلُ هٰذَا إلاَّ مِنْ جِهةِ النبيِّ ﷺ مَعَ أنه قَدْ يُحمَلُ عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ الأَمْرِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ أَوْ أَنَّهُ فَعَلَ ذٰلِكَ لِمَا أَخْرَجَهُ مِنْ تَكْذِيبِ مَنْ بَلَّغَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:٦] وَيُصَحِّحُ مَعْنَى هٰذَا التَّأْوِيلِ حَدِيثٌ رواهُ شَرِيكٌ[2] عن عبدِ الله بنِ محمدِ بنِ عَقِيلٍ[3] عن جابرِ بنِ عبدِ الله[4] أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمَّا ٱجْتَمَعُوا بِدَارِ النَّدْوَةِ لِلتَّشَاوُرِ فِي شَأْنِ النبيِّ ﷺ وَٱتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَقُولُوا إِنَّهُ سَاحِرٌ ٱشْتَدَّ ذٰلِكَ عَلَيْهِ وَتَزَمَّلَ فِي ثِيَابِهِ وَتَدَثَّرَ فِيهَا فَأَتَاهُ جِبرِيلُ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل:١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر:١] أَوْ خَافَ أَنَّ الفَتْرَةَ لِأَمْرٍ أَوْ سَبَبٍ مِنْهُ فَخَشِيَ أَنْ تَكُونَ عُقُوبَةً مِنْ رَبِّهِ فَفَعَلَ ذٰلِكَ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَرِدْ بَعْدُ شَرْعٌ بِالنَّهْيِ عَنْ ذٰلِكَ فَيُعْتَرَضُ بِهِ، وَنَحْوُ هٰذَا فِرَارُ يُونُسَ عليهِ السلامُ خَشْيَةَ تَكْذِيبِ قَوْمِهِ لَهُ لِمَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ وَقَوْلُ اللهِ فِي يُونُسَ: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء:٨٧] مَعْنَاهُ أَنْ لَنْ نُضَيِّقَ عَلَيْهِ، قال مَكِّيٌّ[5] طَمِعَ فِي رَحْمَةِ اللهِ وَأَنْ لاَ يُضَيِّقَ عَلَيْهِ مَسْلَكَهُ فِي خُرُوجِهِ وَقِيلَ حَسَّنَ ظَنَّهُ بِمَوْلاَهُ أَنهُ لاَ يَقْضِي عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ وَقِيلَ نُقَدِّرُ عَلَيْهِ ما أَصَابَهُ، وَقَدْ قُرِئَ نُقَدِّرُ عَلَيْهِ بِالتَّشْدِيدِ وَقِيلَ نُؤَاخِذُهُ بِغَضَبِهِ وَذَهَابِهِ، وقال ابنُ زَيْدٍ[6] مَعْنَاهُ أَفَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ؟ على الاسْتِفْهَامِ وَلاَ يَلِيقُ أَنْ يُظَنَّ بِنَبِيٍّ أَنْ يَجْهَلَ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ رَبِّهِ؛ وَكَذٰلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [الأنبياء:٨٧] الصَّحِيحُ مُغَاضِباً لِقَوْمِهِ لِكُفْرِهِمْ وَهُوَ قَوْلُ ابنِ عَبَّاسٍ[7] وَالضَّحَّاكِ[8] وَغَيْرِهِمَا لاَ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ مُغَاضَبَةُ اللهِ مُعَادَاةٌ لَهُ وَمُعَادَاةُ اللهِ كُفْرٌ لاَ يَلِيقُ بِالْمُؤْمِنِينَ فَكَيْفَ بِالأَنْبِيَاءِ؟ وَقِيلَ مُسْتَحْيِياً مِنْ قَوْمِهِ أَنْ يَسِمُوهُ بِالْكَذِبِ أَوْ يَقْتُلُوهُ كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ وَقِيلَ مُغَاضِباً لِبَعْضِ الْمُلُوكِ فِيما أَمَرَهُ بِهِ مِنَ التَّوَجُّهِ إِلى أَمْرٍ أَمَرَهُ اللهُ بِهِ عَلى لِسَانِ نَبِيٍّ آخَرَ فَقَالَ لَهُ يُونُسُ غَيْرِي أَقْوَى عَلَيْهِ مِنِّي فَعَزَمَ

---

(١) معمر. تقدمت ترجمته.

(٢) شريك. تقدمت ترجمته.

(٣) عبد الله بن محمد بن عقيل. تقدمت ترجمته.

(٤) جابر بن عبد الله. تقدمت ترجمته.

(٥) مكي. تقدمت ترجمته.

(٦) ابن زيد. تقدمت ترجمته.

(٧) ابن عباس. تقدمت ترجمته.

(٨) الضحاك. تقدمت ترجمته.

عَلَيْهِ فَخَرَجَ لِذٰلِكَ مُغَاضِباً، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّ إِرْسَالَ يُونُسَ وَنُبُوَّتَهُ إِنَّمَا كَانَ بَعْدَ أَنْ نَبَذَهُ الْحُوتُ وَاسْتُدِلَّ مِنَ الآيَةِ بِقَوْلِهِ ﴿۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ﴾ [الصافات: ١٤٥ ـ ١٤٧] وَيُسْتَدَلُّ أَيْضاً بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨] وَذَكَرَ الْقِصَّةَ ثُمَّ قَالَ: ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم: ٥٠] فَتَكُونُ هٰذِهِ الْقِصَّةُ إِذاً قَبْلَ نُبُوَّتِهِ فَإِنْ قِيلَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي فَأَسْتَغْفِرُ اللهَ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[(١)] وفي طريقٍ «**في الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**» فَاحْذَرْ أَنْ يَقَعَ بِبَالِكَ أَنْ يَكُونَ هٰذَا الْغَيْنُ وَسْوَسَةً أَوْ رَيْباً وَقَعَ فِي قَلْبِهِ عليهِ السَّلاَمُ بَلْ أَصْلُ الْغَيْنِ فِي هٰذَا مَا يَتَغَشَّى الْقَلْبَ وَيُغَطِّيهِ؛ قَالَهُ أبو عُبَيْدٍ[(٢)] وَأَصْلُهُ مِنْ غَيْنِ السَّمَاءِ وَهُوَ إِطْبَاقُ الْغَيْمِ عَلَيْهَا؛ وَقَالَ غَيْرُهُ وَالْغَيْنُ شَيْءٌ يُغَشِّي الْقَلْبَ وَلاَ يُغَطِّيهِ كُلَّ التَّغْطِيَةِ كَالْغَيْمِ الرَّقِيقِ الَّذِي يَعْرِضُ فِي الْهَوَاءِ فَلاَ يَمْنَعُ ضَوْءَ الشَّمْسِ وَكَذٰلِكَ لاَ يُفْهَمُ مِنَ الحَدِيثِ أَنَّهُ يُغَانُ على قَلْبِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ فِي الْيَوْمِ إِذْ لَيْسَ يَقْتَضِيهِ لَفْظُهُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَهُوَ أَكْثَرُ الرِّوَايَاتِ وَإِنَّمَا هٰذَا عَدَدٌ للاسْتِغْفَارِ لاَ لِلْغَيْنِ فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِهٰذَا الْغَيْنِ إِشَارَةً إِلى غَفَلاَتِ قَلْبِهِ وَفَتَرَاتِ نَفْسِهِ وَسَهْوِهَا عَنْ مُدَاوَمَةِ الذِّكْرِ وَمُشَاهَدَةِ الْحَقِّ بِمَا كَانَ ﷺ دُفِعَ إِلَيْهِ مِنْ مُقَاسَاةِ الْبَشَرِ وَسِيَاسَةِ الأُمَّةِ وَمُعَانَاةِ الأَهْلِ وَمُقَاوَمَةِ الْوَلِيِّ وَالْعَدُوِّ وَمَصْلَحَةِ النَّفْسِ وَكَلَّفَهُ مِنْ أَعْبَاءِ أداءِ الرِّسَالَةِ وَحَمْلِ الأَمَانَةِ وَهُوَ فِي كُلِّ هٰذَا فِي طَاعَةِ رَبِّهِ وَعِبَادَةِ خَالِقِهِ وَلٰكِنْ لَمَّا كَانَ ﷺ أَرْفَعَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ مَكَانَةً وَأَعْلاَهُمْ دَرَجَةً وَأَتَمَّهُمْ بِهِ مَعْرِفَةً وَكَانَتْ حَالُهُ عِنْدَ خُلُوصِ قَلْبِهِ وَخُلُوِّ هَمِّهِ وَتَفَرُّدِهِ بِرَبِّهِ وَإِقْبَالِهِ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَيْهِ وَمُقَامِهِ هُنَالِكَ أَرْفَعَ حَالَيْهِ رَأَى ﷺ حَالَ فَتْرَتِهِ عَنْهَا وَشُغْلِهِ بِسِوَاهَا غَضّاً مِنْ عَلِيِّ حَالِهِ وَخَفْضاً مِنْ رَفِيعِ مَقَامِهِ فَاسْتَغْفَرَ اللهَ مِنْ ذٰلِكَ؛ هٰذَا أَوْلَى وُجُوهِ الحَدِيثِ وَأَشْهَرُهَا وَإِلَى مَعْنًى مَا أَشَرْنَا بِهِ مَالَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَحَامَ حَوْلَهُ فَقَارَبَ وَلَمْ يَرِدْ وَقَدْ قَرَّبْنَا غَامِضَ مَعْنَاهُ وَكَشَفْنَا لِلْمُسْتَفِيدِ مُحَيَّاهُ وَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى جَوَازِ الْفَتَرَاتِ وَالْغَفَلاَتِ وَالسَّهْوِ فِي غَيْرِ طَرِيقِ الْبَلاَغِ عَلَى مَا سَيَأْتِي وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ وَمَشْيَخَةِ الْمُتَصَوِّفَةِ مِمَّنْ قَالَ بِتَنْزِيهِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ هٰذَا جُمْلَةً وَأَجَلَّهُ أَنْ يَجُوزَ عَلَيْهِ فِي حَالٍ سَهْوٌ أَوْ فَتْرَةٌ إِلَى أَنَّ مَعْنَى الحَدِيثِ مَا يُهِمُّ خَاطِرَهُ وَيَغُمُّ فِكْرَهُ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِهِ ﷺ لاهْتِمَامِهِ بِهِمْ وَكَثْرَةِ شَفَقَتِهِ عَلَيْهِمْ فَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ؛ قَالُوا وَقَدْ يَكُونُ الْغَيْنُ هُنَا عَلَى قَلْبِهِ السَّكِينَةَ تَتَغَشَّاهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٤٠] وَيَكُونُ اسْتِغْفَارُهُ ﷺ عِنْدَهَا إِظْهَاراً لِلْعُبُودِيَّةِ والافْتِقَارِ؛ قَال ابنُ عَطَاءٍ[(٣)] اسْتِغْفَارُهُ

---

(١) إنه ليغان علي قلبي.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١٠١/١١ كتاب الدعوات (٨٠) باب استغفار النبي ﷺ (٣) الحديث: ٦٣٠٧.

(٢) أبو عبيد.. تقدمت ترجمته.

(٣) ابن عطاء. تقدمت ترجمته.

وَفِعْلُهُ هٰذَا تَعْرِيفُ لِلأُمَّةِ يَحْمِلُهُمْ عَلَى الاسْتِغْفَارِ؛ قَالَ غيرُهُ وَيَسْتَشْعِرُونَ الْحَذَرَ وَلاَ يَرْكَنُونَ إِلَى الأَمْنِ؛ وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ هٰذِهِ الإِعَانَةُ حَالَةَ خَشْيَةٍ وَإِعْظَامٍ تَغْشَى قَلْبَهُ فَيَسْتَغْفِرُ حِينَئِذٍ شُكْراً لله وَمُلاَزَمَةً لِعُبُودِيَّتِهِ كَمَا قَالَ فِي مُلاَزَمَةِ الْعِبَادَةِ **«أَفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً»**[1]؟ وَعَلَى هٰذِه الْوُجُوهِ الأَخِيرَةِ يُحْمَلُ مَا رُوِيَ فِي بَعْضِ طُرُقِ هذا الحديثِ عنه ﷺ: **«إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَأَسْتَغْفِرُ الله»** فَإِنْ قلتَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى لمحمدٍ صلى الله عليه وآلِهِ وسلم: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام:٣٥] وقولِهِ لنوحٍ عليه السلام: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود:٤٦]؟ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ يُلْتَفَتُ فِي ذٰلِكَ إِلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ فِي آيَةِ نَبِيِّنَا[2] ﷺ لاَ تَكُونَنَّ مِمَّنْ يَجْهَلُ أَنَّ الله لَوْ شَاءَ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى وفي آيَةِ نوحٍ لاَ تَكُونَنَّ مِمَّنْ يَجْهَلُ أَنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ لِقولِه وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ إِذْ فِيهِ إِثْبَاتُ الْجَهْلِ بِصفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الله وذٰلِكَ لاَ يَجُوزُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ وَالْمَقْصُودُ وَعْظُهُمْ أَنْ لاَ يَتَشَبَّهُوا فِي أُمُورِهِمْ بِسِمَاتِ الجَاهِلِينَ كَمَا قَالَ إِنِّي أَعِظُكَ وَلَيْسَ فِي آيَةٍ مِنْهَا دَلِيلٌ عَلَى كَوْنِهِمْ على تِلْكَ الصِّفَةِ الَّتِي نَهَاهُمْ عَنِ الْكَوْنِ عَلَيْهَا فَكَيْفَ وَآيَةُ نُوحٍ قَبْلَهَا ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ﴾ [هود:٤٦] فَحَمْلُ مَا بَعْدَهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا أَوْلَى لأَنَّ مِثْلَ هٰذَا قَدْ يَحْتَاجُ إِلَى إِذْنٍ وَقَدْ تَجُوزُ إِبَاحَةُ السُّؤَالِ فِيهِ ابْتِدَاءً فَنَهَاهُ الله أَنْ يَسْأَلَهُ عَمَّا طَوَى عَنْهُ عِلْمَهُ وَأَكَنَّهُ مِنْ غَيْبِهِ مِنَ السَّبَبِ الْمُوجِبِ لِهَلاَكِ ابنه ثُمَّ أَكْمَلَ الله تَعَالَى نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ بإعلاَمِهِ ذٰلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود:٤٦] حَكَى مَعْنَاهُ مَكِّيٌّ[3] كَذٰلِكَ أُمِرَ نَبِيُّنَا فِي الآيَةِ الأُخْرَى بالتزام الصَّبْرِ على إِعْرَاضِ قَوْمِهِ وَلاَ يُحْرَجُ عِنْدَ ذٰلِكَ فَيُقَارِبُ حالَ الجَاهِلِ بِشِدَّةِ التَّحَسُّرِ، حَكَاهُ أبو بَكْرِ بْنُ فُورَكٍ[4] وَقِيلَ مَعْنَى الْخِطَابِ لأُمَّةِ محمَّدٍ أَيْ فَلاَ تَكُونُوا مِنَ الجَاهِلِينَ: حَكَاهُ أبو محمَّدٍ مَكِّيٌّ؛ وَقَالَ مِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ؛ فَبِهٰذَا الْفَصْلِ وَجَبَ الْقَوْلُ بِعِصْمَةِ الأَنْبِيَاءِ مِنْه بَعْدَ النُّبُوَّةِ قَطْعاً فَإِنْ قُلْتَ فَإِذَا قَرَّرْتَ عِصْمَتَهُمْ مِنْ هٰذَا وَأَنَّهُ لاَ يَجُوزُ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ فَمَا مَعْنَى إِذاً وعِيدِ الله لِنَبِيِّنَا ﷺ على ذٰلِكَ إِنْ فَعَلَهُ وَتَحْذِيرِهِ مِنْهُ كَقَوْلِهِ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥] الآيَةَ وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَدْعُ

---

(١) أفلا أكون عبداً شكوراً.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٢/٦٣، ٦/١٦٩، ٨/١٢٤، والإمام مسلم في الصحيح، في صفات المنافقين ٧٩، ٨٠، ٨١ والإمام الترمذي في السنن: ٤١٢ والنسائي في السنن: ٣/٢١٩، وابن ماجه في السنن ١٤١٩، ١٤٢٠. والإمام أحمد في المسند ٤/٢٥١، ٢٥٥، ٦/١١٥ والبيهقي في السنن الكبرى ٢/٤٩٧، ٣/١٦، ٧/٣٩، وابن خزيمة في حججه: ١١٨٢ والهيثمي في مجمع الزوائد: ٢/٢٧١.

(٢) إنه ليغان علي قلبي.. الحديث/ سبق تخريجه.

(٣) مكي. تقدمت ترجمته.

(٤) أبو بكر بن فورك. تقدمت ترجمته.

مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس:١٠٦] الآيةَ وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ [الإسراء:٧٥] الآيةَ وَقَوْلِهِ: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [الحاقة:٤٥] وَقَوْلِهِ ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦] وقوله: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى:٢٤] وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة:٦٧] وَقَوْلِهِ: ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب:١] فاعْلَمْ وَفقنا الله وَإِيَّاكَ أنهُ ﷺ لا يَصِحُّ وَلاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ أَنْ لاَ يُبَلِّغَ وَلاَ يُخَالِفَ أَمْرَ رَبِّهِ وَلاَ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَلاَ يَتَقَوَّلَ على الله مَا لاَ يُحِبُّ أَوْ يَفْتَرِيَ عَلَيْهِ أَوْ يَضِلَّ أَوْ يُخْتَمَ على قَلْبِهِ أَوْ يُطِيعَ الكافِرِينَ لَكِنْ يَسَّرَ أَمْرَهُ بِالمُكَاشَفَةِ وَالْبَيَانِ في البَلاَغِ لِلْمُخَالِفِينَ وأَنَّ إِبْلاَغَهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِهٰذه السَّبِيلِ فَكأَنَّهُ ما بَلَّغَ وَطَيَّبَ نَفْسَهُ وَقَوَّى قَلْبَهُ بِقولِهِ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧] كَمَا قَالَ لِموسى وهارونَ ﴿لَا تَخَافَآ﴾ [طه:٤٥] لِتَشْتَدَّ بَصَائِرُهُمْ فِي الإِبْلاَغِ وَإِظْهَارِ دِينِ الله وَيَذْهَبَ عَنْهُمْ خَوْفُ العَدُوِّ المُضْعِفِ لِلنَّفْسِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة:٤٤] الآية وقولُهُ: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ [الإسراء:٧٥] فمعناهُ أَنَّ هٰذَا جَزَاءُ مَنْ فَعَلَ هٰذَا وَجَزَاؤُكَ لَوْ كُنْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ وَهُوَ لاَ يَفْعَلُهُ وَكَذٰلِكَ قولُهُ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦] فالمرادُ غَيْرُهُ كما قال: ﴿إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران:١٣٩] الآيَةَ وقولُهُ: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ﴾ [الشورى:٢٤]: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥] وَمَا أَشْبَهَهُ فالمرادُ غَيْرُهُ وأَنَّ هٰذِهِ حَالُ مَنْ أَشْرَكَ والنبيُّ ﷺ لاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ هٰذَا وقولُهُ: ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأحزاب:١] فَلَيْسَ فِيهِ أَنَّهُ أَطَاعَهُمْ وَالله يَنْهَاهُ عَمَّا يَشَاءُ وَيَأْمُرُهُ بِمَا يَشَاءُ كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام:٥٢] الآيَةَ: وَمَا كَانَ طَرَدَهُمْ ﷺ وَلاَ كَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ.

الفصل الثاني: عصمتهم من هذا قبل النبوة

وَأَمَّا عِصْمَتُهُمْ مِنْ هٰذَا الفَنِّ قَبْلَ النُّبُوَّةِ فَلِلنَّاسِ فِيهِ خِلاَفٌ. وَالصَّوَابُ أَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ مِنَ الْجَهْلِ بِالله وَصِفَاتِهِ وَالتَّشَكُّكِ فِي شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ وَقَدْ تَعَاضَدَتِ الأَخْبَارُ وَالآثَارُ عَنِ الأَنْبِيَاءِ بِتَنْزِيهِهِمْ عَنْ هٰذِهِ النَّقِيصَةِ مُنْذُ وُلِدُوا وَنَشْأَتِهِمْ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالإِيمَانِ بَلْ عَلَى إِشْرَاقِ أَنْوَارِ المَعَارِفِ وَنَفَحَاتِ أَلْطَافِ السَّعَادَةِ كَمَا نَبَّهْنَا عَلَيْهِ فِي البَابِ الثَّانِي مِنَ القِسْمِ الأَوَّلِ مِنْ كِتَابِنَا هٰذَا وَلَمْ يَنْقُلْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الأَخْبَارِ أَنَّ أَحَداً نُبِّيءَ وَاصْطُفِيَ مِمَّنْ عُرِفَ بِكُفْرٍ وَإِشْرَاكٍ قَبْلَ ذٰلِكَ وَمُسْتَنَدُ هٰذَا البَابِ النَّقْلُ وَقَدِ اسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ بِأَنَّ القُلُوبَ تَنْفِرُ عَمَّنْ كَانَتْ هٰذِهِ سَبِيلُهُ وَأَنَا أَقُولُ إِنَّ قُرَيْشاً قَدْ رَمَتْ نَبِيَّنَا بِكُلِّ مَا افْتَرَتْهُ، وَعَيَّرَ كُفَّارُ الأُمَمِ أَنْبِيَاءَهَا بِكُلِّ ما أَمْكَنَهَا وَاخْتَلَقَتْهُ مِمَّا نَصَّ الله تَعَالَى عَلَيْهِ أَوْ نَقَلَتْهُ إِلَيْنَا الرُّوَاةُ وَلَمْ نَجِدْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ تَعْيِيراً لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ

بِرَفْضِهِ آلِهَتَهُ وَتَقْرِيعِهِ بِذَمِّهِ بِتَرْكِ مَا كانَ قَدْ جَامَعَهُمْ عَلَيْهِ وَلَوْ كَانَ هٰذَا لَكَانُوا بِذٰلِكَ مُبَادِرِينَ وبِتَلَوُّنِهِ فِي مَعْبُودِهِ مُحْتَجِّينَ وَلَكَانَ تَوْبِيخُهُمْ لَهُ بِنَهْيِهِمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ قَبْلُ أَفْظَعَ وَأَقْطَعَ فِي الْحُجَّةِ مِنْ تَوْبِيخِهِ بِنَهْيِهِمْ عَنْ تَرْكِهِمْ آلِهَتَهُمْ وَمَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ فَفِي إِطْبَاقِهِمْ عَلَى الإِعْرَاضِ عَنْهُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا سَبِيلاً إِلَيْهِ إِذْ لَوْ كَانَ لَنُقِلَ وَمَا سَكَتُوا عَنْهُ كَمَا لَمْ يَسْكُتُوا عِنْدَ تَحْوِيلِ القِبْلَةِ وَقالوا مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا كَمَا حَكَاهُ الله عَنْهُمْ وَقَدِ اسْتَدَلَّ القَاضِي القُشَيْرِيُّ[1] عَلَى تَنْزِيهِهِمْ عَنْ هٰذَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ﴾ [الأحزاب:٦] الآيةَ وبقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَـٰقَ النَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران:٨١] إلى قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [الأحزاب:٨١] قال وطَهَّرَهُ الله في الْمِيثَاقِ وَبَعِيدٌ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ الْمِيثَاقَ قَبْلَ خَلْقِهِ ثُمَّ يَأْخُذَ مِيثَاقَ النَّبِيِّين بالإِيمَانِ بِهِ وَنَصْرِهِ قَبْلَ مَوْلِدِهِ بِدُهُورٍ وَيَجُوزُ عَلَيْهِ الشِّرْكُ أَوْ غَيْرُهُ مِنَ الذُّنُوبِ، هٰذَا مَا لاَ يُجَوِّزُهُ إِلاَّ مُلْحِدٌ، هذا معنى كَلاَمِهِ؛ وَكَيْفَ يَكُونُ ذٰلِكَ وَقَدْ أَتَاهُ جبريلُ عليه السلامُ وَشَقَّ قَلْبَهُ صَغِيراً وَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً وقال هٰذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ ثُمَّ غَسَلَهُ وَمَلأَهُ حِكْمَةً وَإِيمَاناً كما تَظَاهَرَتْ بِهِ أَخْبَارُ المَبْدَإِ ولا يُشَبِّهُ عَلَيْكَ بِقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْكَوْكَبِ وَالقَمَرِ وَالشَّمْسِ هٰذَا رَبِّي فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ كانَ هٰذَا فِي سِنِّ الطُّفُولِيَّةِ وَابْتِدَاءِ النَّظَرِ وَالاسْتِدْلالِ وَقَبْلَ لُزُومِ التَّكْلِيفِ وَذَهَبَ مُعْظَمُ الحُذَّاقِ مِنَ العُلَمَاءِ وَالمُفَسِّرِينَ إلى أَنَّهُ إِنَّمَا قال ذٰلِكَ مُبَكِّتاً لِقَوْمِهِ وَمُسْتَدِلاً عَلَيْهِمْ وَقِيلَ مَعْنَاهُ الاسْتِفْهَامُ الْوَارِدُ مَوْرِدَ الإِنْكَارِ، وَالمُرَادُ فَهٰذَا رَبِّي، قال الزَّجَّاج قوله: ﴿هَـٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام:٧٦] أي على قولِكُم كما قال: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ [القصص:٧٤]؟ أَيْ عِنْدَكُم، وَيَدُلُّ عَلى أَنَّهُ لم يَعْبُدْ شَيْئاً مِنْ ذٰلِكَ وَلا أَشْرَكَ قَطُّ بالله طَرْفَةَ عَيْنٍ: قَوْلُ الله عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء:٧٠] ثم قال: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ الْعَـٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٧٥ ـ ٧٧] وقال: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات:٨٤] أَيْ مِنَ الشِّرْكِ؛ وَقَوْلُهُ: ﴿وَاجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥] فَإِنْ قُلْتَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّآلِّينَ﴾ [الأنعام:٧٧] قِيلَ إِنَّهُ إِنْ لَمْ يُؤَيِّدْني بِمَعُونَتِهِ أَكُنْ مِثْلَكُمْ فِي ضَلاَلَتِكُمْ وَعِبَادَتِكُمْ عَلى مَعْنَى الإِشْفَاقِ وَالحَذَرِ وَإِلاَّ فَهُوَ مَعْصُومٌ فِي الأَزَلِ مِنَ الضَّلاَلِ فَإِنْ قُلْتَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم:١٣] ثم قال بَعْدُ عنِ الرُّسُلِ ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ [الأعراف:٨٩] فلا يُشْكِلُ عليكَ لَفْظَةُ العَوْدِ وَأَنَّهَا تَقْتَضِي أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَعُودُونَ إِلَى مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ مِلَّتِهِم فَقَدْ تَأْتِي هٰذِهِ اللَّفْظَةُ فِي كَلاَمِ العَرَبِ لِغَيْرِ مَا لَيْسَ لَهُ ابْتِدَاءٌ بِمَعْنَى الصَّيْرُورَةِ كَمَا جَاءَ

---

(١) القاضي القشيري. تقدمت ترجمته.

في حديثِ الجَهَنَّمِيِّينَ: «عَادُوا حُمَماً وَلَمْ يَكُونُوا قَبْلُ كَذٰلِكَ»، وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

تِلْكَ المَكَارِمُ لا قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ ... شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَ بَعْدُ أَبْوَالا

وَمَا كَانَ قَبْلُ كَذٰلِكَ، فَإِنْ قُلْتَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧] فَلَيْسَ هُوَ مِنَ الضَّلَالِ الَّذِي هُوَ الكُفْرُ؟ قِيلَ ضَالاً عَنِ النُّبُوَّةِ فَهَدَاكَ إِلَيْهَا؛ قَالَهُ الطَّبَرِيُّ، وَقِيلَ وَجَدَكَ بَيْنَ أَهْلِ الضَّلَالِ فَعَصَمَكَ مِنْ ذٰلِكَ وَهَدَاكَ بالإيمانِ وَإِلَى إِرْشَادِهِمْ وَنَحْوُهُ عَنِ السُّدِّيِّ[1] وَغَيْرِ وَاحِدٍ، وَقِيلَ ضَالا عَنْ شَرِيعَتِكَ أَيْ لاَ تَعْرِفُهَا فَهَدَاكَ إِلَيْهَا، وَالضَّلَالُ هٰهُنَا التَّحَيُّرُ وَلِهٰذَا كَانَ ﷺ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فِي طَلَبِ مَا يَتَوَجَّهُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ وَيَتَسَرَّعُ بِهِ حَتَّى هَدَاهُ الله إلى الإِسْلَامِ قال مَعْنَاهُ القُشَيْرِيُّ[2] وَقِيلَ لاَ تَعْرِفُ الْحَقَّ فَهَدَاكَ إِلَيْهِ، وَهٰذَا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣] قَالَهُ عَلِيُّ بنُ عِيسَى[3]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ[4] لَمْ تَكُنْ لَهُ ضَلَالَةُ مَعْصِيَةٍ وَقِيلَ هَدَى: أَيْ بَيَّنَ أَمْرَكَ بِالْبَرَاهِينِ وَقِيلَ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ [الضحى: ٧] بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَهَدَاكَ إِلَى المَدِينَةِ وَقِيلَ الْمَعْنَى وَجَدَكَ فَهَدَى بِكَ ضَالاً. وَعَنْ جَعْفَرِ ابْنِ محمدٍ[5] ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ عَنْ مَحَبَّتِي لَكَ فِي الأَزَلِ أَيْ لاَ تَعْرِفُهَا فَمَنَنْتُ عَلَيْكَ بِمَعْرِفَتِي؛ وَقَرأ الحسنُ بنُ عَلِيٍّ ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ أي اهْتَدَى بِكَ، وقال ابنُ عَطَاءٍ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ أي: مُحِبًّا لِمَعْرِفَتِي والضَّالُّ المُحِبُّ كَمَا قال: ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥] أي مَحَبَّتِكَ الْقَدِيمَةِ وَلَمْ يُرِيدُوا هٰهُنَا فِي الدِّينِ إِذْ لَوْ قَالُوا ذٰلِكَ فِي نَبِيِّ الله لَكَفَرُوا وَمِثْلُهُ عِنْدَ هٰذَا قَوْلُهُ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ أَيْ مَحَبَّةٍ بَيِّنَةٍ، وَقَالَ الْجُنَيْدُ وَوَجَدَكَ مُتَحَيِّراً فِي بَيَانِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَهَدَاكَ لِبَيَانِهِ لِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ [النحل: ٤٤] الآيَةَ، وَقِيلَ وَوَجَدَكَ لَمْ يَعْرِفْكَ أَحَدٌ بالنُّبُوَّةِ حَتَّى أَظْهَرَكَ فَهَدَى بِكَ السُّعَدَاءَ ولا أَعْلَمُ أَحَداً قَالَ مِنَ المُفَسِّرِينَ فِيهَا ضالاً عَنِ الإِيمَانِ؛ وَكَذٰلِكَ فِي قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامَ قَوْلُهُ: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠] أَيْ مِنَ المُخْطِئِينَ الْفَاعِلِينَ شَيْئاً بِغَيْرِ قَصْدٍ. قَالَهُ ابنُ عَرَفَةَ[6]، وقالَ الأَزْهَرِيُّ[7]: مَعْنَاهُ مِنَ النَّاسِينَ وَقَدْ قِيلَ ذٰلِكَ فِي قَوْلِهِ:

---

(١) السدي. تقدمت ترجمته.

(٢) القشيري. تقدمت ترجمته.

(٣) علي بن عيسى. تقدمت ترجمته.

(٤) (٥) تقدمت ترجمتهم.

(٦) ابن عرفة: هو محمد بن محمد بن عرفة التونسي المالكي. مقرىء فقيه أصولي منطقي متكلم فرضي خطيب سمع من ابن عبد السلام الهواري وغيره تولى إمامة الجامع الأعظم له المبسوط في الفقه المالكي والمختصر الشامل في أصول الدين ترجمته في: الضوء اللامع ٩/ ٢٤، والشذرات. ٧/ ٣٨، وبغية الوعاة: ٩٨ والبدر الطالع: ٢/ ٢٥٥.

(٧) الأزهري. تقدمت ترجمته.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ أي ناسياً كما قال تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البقرة:٢٨٢] فإن قلت فما معنى قوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى:٥٢] فالجواب: أن السمرقندي[١] قال: معناه ما كنت تدري قبل الوحي أن تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان، وقال بكر القاضي[٢] نحوه؛ قال ولا الإيمان الذي هو الفرائض والأحكام، قال: فكان قبل مؤمناً بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف إيماناً وهو أحسن وجوهه قلت فما معنى قوله: ﴿وَإِن﴾ [يوسف:٣] فاعلم أنه ليس بمعنى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ [يونس:٧] بل حكى أبو عبد الله الهروي[٣] أن معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف إذ لم تعلمها إلا بوحينا وكذلك الحديث الذي يرويه عثمان بن أبي شيبة[٤] بسنده عن جابر[٥] رضي الله عنه أن النبي ﷺ قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه أحدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الآخر كيف أقوم خلفه وعهده باستيلام الأصنام؟ فلم يشهدهم بعد: فهذا حديث أنكره أحمد بن حنبل[٦] جداً وقال هو موضوع أو شبيه بالموضوع، وقال الدارقطني يقال إن عثمان وهم في إسناده، والحديث بالجملة منكر غير متفق على إسناده فلا يلتفت إليه، والمعروف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلافه عند أهل العلم من قوله: «بُغِّضت إليّ الأصنام»[٧] وقوله في الحديث الآخر الذي روته أم أيمن[٨] حين كلمه عمه وآله في حضور بعض أعيادهم وعزموا عليه بعد كراهته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوباً فقال: «كلما دنوت منها من صنم تمثل لي شخص أبيض طويل يصيح بي وراءك لا تمسه» فما شهد بعد لهم عيداً؛ وقوله في قصة بحيرا[٩] حين استحلف النبي ﷺ باللات والعزى إذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه أبي طالب[١٠] وهو صبي ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي ﷺ «لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما»[١١] فقال له بحيرا فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه؛ فقال: «سل عما بدا لك»[١٢] وكذلك المعروف من سيرته ﷺ

---

(١) السمرقندي. تقدمت ترجمته. (٢) بكر القاضي. تقدمت ترجمته.

(٣) أبو عبد الله الهروي. تقدمت ترجمته. (٤) عثمان بن أبي شيبة. تقدمت ترجمته.

(٥) جابر. تقدمت ترجمته. (٦) أحمد بن حنبل. تقدمت ترجمته.

(٧) بغضت إليّ الأصنام.. الحديث/ أخرجه عياض في الشفا: ٢/٢٦٧.

(٨) أم أيمن. تقدمت ترجمتها. (٩) بَحِيْرا. تقدمت ترجمته.

(١٠) أبو طالب. تقدمت ترجمته.

(١١) لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت.. الحديث/ أخرجه ابن سعد في طبقاته ١/١٠٠ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ١/٢٧١.

(١٢) سل عما بدا لك.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١/٢٥، والنسائي في السنن: ٤/١٢٣.=

وَتَوْفِيق الله لَهُ أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ يُخَالِفُ الْمُشْرِكِينَ في وُقُوفِهِمْ بِمُزْدَلِفَةَ في الْحَجِّ فَكَانَ يَقِفُ هُوَ بِعَرَفَةَ لأَنَّهُ كَانَ مَوْقِفَ إِبْرَاهِيمَ عليهِ السلامُ.

الفصل الثالث: معرفة الأنبياء بأمور الدنيا

قَالَ القَاضِي أبو الفَضْلِ وَفَّقَهُ الله قَدْ بَانَ بِمَا قَدَّمْنَاهُ عُقُودُ الأَنْبِيَاءِ في التَّوْحِيدِ وَالإِيمَانِ وَالْوَحْيِ وَعِصْمَتُهُمْ في ذٰلِكَ عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ، فَأَمَّا مَا عَدَا هٰذَا البَابَ مِنْ عُقُودِ قُلُوبِهِمْ فَجِمَاعُهَا أَنَّهَا مَمْلُوءَةٌ عِلْماً وَيَقِيناً على الجُمْلَةِ، وَأَنَّهَا قَدِ احْتَوَتْ مِنَ المَعْرِفَةِ وَالعِلْمِ بِأُمورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا مَا لاَ شَيْءَ فَوْقَهُ وَمَنْ طَالَعَ الأَخْبَارَ وَاعْتَنَى بِالحَدِيثِ وَتَأَمَّلَ مَا قُلْنَاهُ وَجَدَهُ وَقَدْ قَدَّمْنَا مِنْهُ في حَقِّ نَبِيِّنَا ﷺ في البَابِ الرَّابِعِ أَوَّلَ قِسْمٍ مِنْ هٰذَا الكِتَابِ مَا يُنَبِّهُ على مَا وَرَاءَهُ إلاَّ أَنَّ أَحْوَالَهُمْ في هٰذِهِ المَعَارِفِ تَخْتَلِفُ؛ فَأَمَّا مَا تَعَلَّقَ مِنْهَا بِأَمْرِ الدُّنْيَا فَلاَ يُشْتَرَطُ في حَقِّ الأَنْبِيَاءِ العِصْمَةُ مِنْ عَدَمِ مَعْرِفَةِ الأَنْبِيَاءِ بِبَعْضِهَا أَوِ اعْتِقَادِهَا عَلَى خِلاَفِ مَا هِيَ عَلَيْهِ وَلاَ وَصْمَ عَلَيْهِمْ فِيهِ إِذْ هِمَمُهُمْ مُتَعَلِّقَةٌ بالآخِرَةِ وَأَنْبَائِهَا وَأَمْرِ الشَّرِيعَةِ وَقَوَانِينِهَا: وَأُمُورُ الدُّنْيَا تُضَادُّهَا بِخِلاَفِ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ كما سَنُبَيِّنُ هٰذَا في البَابِ الثَّانِي إِنْ شَاءَ الله وَلٰكِنَّهُ لاَ يُقَالُ إِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فإِنَّ ذٰلِكَ يُؤَدِّي إلى الغَفْلَةِ وَالبَلَهِ وَهُمُ المُنَزَّهُونَ عَنْهُ بَلْ قَدْ أُرْسِلُوا إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَقُلِّدُوا سِيَاسَتَهُمْ وَهِدَايَتَهُمْ وَالنَّظَرَ في مَصَالِحِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَهٰذَا لاَ يَكُونُ مَعَ عَدَمِ العِلْمِ بِأُمُورِ الدُّنْيَا بِالكُلِّيَّةِ، وَأَحْوَالُ الأَنْبِيَاءِ وَسِيَرُهُمْ في هٰذا البَابِ مَعْلُومَةٌ وَمَعْرِفَتُهُمْ بِذٰلِكَ كُلِّهِ مَشْهُورَةٌ وَأَمَّا إِنْ كَانَ هٰذَا العَقْدُ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بالدِّينِ فَلاَ يَصِحُّ مِنَ النبيِّ ﷺ إلاَّ العِلْمُ بِهِ وَلاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ جَهْلُهُ جُمْلَةً لأَنَّهُ لاَ يَخْلُو أَنْ يَكُونَ حَصَلَ عِنْدَهُ ذٰلِكَ عَنْ وَحْيٍ مِنَ الله فَهُوَ مَا لاَ يَصِحُّ الشَّكُّ مِنْهُ فِيهِ على ما قدَّمْنَاهُ فَكَيْفَ الجَهْلُ؟ بَلْ حَصَلَ لَهُ العِلْمُ اليَقِينُ أَوْ يَكُونَ فَعَلَ ذٰلِكَ باجْتِهَادِهِ فِيما لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ فِيهِ شَيْءٌ عَلَى القَوْلِ بِتَجْوِيزِ وُقُوعِ الاجْتِهَادِ مِنْهُ في ذٰلِكَ عَلَى قَوْلِ المُحَقِّقِين وَعَلَى مُقْتَضَى حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ[1] إِنِّي إِنَّمَا أَقْضِي بَيْنَكُمْ بَرَأْيِي فِيما لَمْ يُنْزَلْ عَلَى فِيهِ شَيْءٌ خَرَّجَهُ الثِّقَاتُ، وَكَقِصَّةِ أَسْرَى بَدْرٍ وَالإِذْنِ لِلْمُتَخَلِّفِينَ عَلى رَأْيِ بَعْضِهِمْ فَلاَ يَكُونُ أَيْضاً مَا يَعْتَقِدُهُ مِمَّا يُثْمِرُهُ اجْتِهَادُهُ إلاَّ حَقّاً وَصَحِيحاً؛ هٰذَا هُوَ الحَقُّ الَّذِي لاَ يُلْتَفَتُ إِلَى خِلاَفِ مَنْ خَالَفَ فِيه مِمَّنْ أَجَازَ عَلَيْهِ الخَطأَ في الاجْتِهَادِ لاَ عَلَى القَوْلِ بِتَصْوِيبِ المُجْتَهِدِينَ الَّذي هُو الحَقُّ وَالصَّوَابُ عِنْدَنَا وَلاَ عَلَى القَوْلِ الآخَرِ بِأَنَّ الحَقَّ

= وابن ماجه في السنن: ١٤٠٢، والإمام أحمد في المسند: ١/ ٢٦٤، والحاكم في المستدرك: ٣/ ٥٤. والهيثمي في مجمع الزوائد: ٥/ ٢٣٠ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٤٤١٥٤. والقرطبي في التفسير ١٦/ ٥٨ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق: ١/ ٣٧٥.

(١) أم سلمة. تقدمت ترجمتها.

في طَرَفٍ وَاحِدٍ لِعصْمَةِ نبي ﷺ مِنَ الخَطَإِ في الاجْتِهَادِ في الشَّرْعِيَّاتِ وَلِأَنَّ الْقَوْلَ في تَخْطِئَةِ الْمُجْتَهِدِينَ إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ اسْتِقْرَارِ الشَّرْعِ وَنَظَرُ النَّبِيِّ ﷺ وَاجْتِهَادُهُ إِنَّمَا هُوَ فِيمَا لَمْ يُنْزَلْ عَلَيْهِ فِيهِ شَيْءٌ وَلَمْ يُشْرَعْ لَهُ قَبْلُ، هٰذَا فِيمَا عَقَدَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ قَلْبَهُ فَأَمَّا مَا لَمْ يَعْقِدْ عَلَيْهِ قَلْبَهُ مِنْ أَمْرِ النَّوَازِلِ الشَّرْعِيَّةِ فَقَدْ كَانَ لاَ يَعْلَمُ مِنْهَا أَوَّلاً إِلاَّ مَا عَلَّمَهُ اللهُ شَيْئاً شَيْئاً حَتَّى اسْتَقَرَّ عِلْمُ جُمْلَتِهَا عِنْدَهُ إِمَّا بِوَحْيٍ مِنَ اللهِ أَوْ إِذْنٍ أَنْ يَشْرَعَ فِي ذٰلِكَ وَيَحْكُمَ بِمَا أَرَاهُ اللهُ وَقَدْ كَانَ يَنْتَظِرُ الْوَحْيَ فِي كَثِيرٍ مِنْهَا وَلٰكِنَّهُ لَم يَمُتْ حَتَّى اسْتَفْرَغَ عِلْمَ جَمِيعِهَا عِنْدَهُ ﷺ وَتَقَرَّرَتْ مَعَارِفُهَا لَدَيْهِ عَلَى التَّحْقِيقِ وَرَفْعِ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ وَانْتِفَاءِ الجَهْلِ وَبِالجُمْلَةِ فَلاَ يَصِحُّ مِنْهُ الجَهْلُ بِشَيْءٍ مِنْ تَفَاصِيلِ الشَّرْعِ الَّذِي أُمِرَ بِالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ إِذْ لاَ تَصِحُّ دَعْوَتُهُ إِلَى مَا لاَ يَعْلَمُهُ وَأَمَّا مَا تَعَلَّقَ بِعَقْدِهِ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَخَلْقِ اللهِ وَتَعْيِينِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَآيَاتِهِ الْكُبْرَى وَأُمُورِ الآخِرَةِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَأَحْوَالِ السُّعَدَاءِ وَالأَشْقِيَاءِ وَعِلْمِ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ مِمَّا لَمْ يَعْلَمْهُ إِلاَّ بِوَحْيٍ فَعَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنهُ مَعْصُومٌ فِيهِ لاَ يَأْخُذُهُ فِيمَا أُعْلِمَ مِنْهُ شَكٌّ وَلاَ رَيْبٌ بَلْ هُوَ فِيهِ عَلَى غَايَةِ الْيَقِينِ لَكِنَّهُ لاَ يَشْتَرِطُ لَهُ الْعِلْمُ بِجَمِيعِ تَفَاصِيلِ ذٰلِكَ وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْ عِلْمِ ذٰلِكَ مَا لَيْسَ عِنْدَ جَمِيعِ الْبَشَرِ لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنِّي لاَ أَعْلَمُ إِلاَّ مَا عَلَّمَنِي رَبِّي»[١] وَلِقَوْلِهِ: «وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»[٢] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[٣] [السجدة:١٧] وَقَوْلِ مُوسَى لِلخَضِرِ ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦] وقولِهِ ﷺ: «أَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الحُسْنَى مَا عَلِمْتُ مِنْهَا وَمَا لَمْ أَعْلَمْ»[٤] وَقَوْلِهِ: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ»[٥] وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦] قال زيدُ بنُ أَسلمَ وَغَيْرُهُ حَتَّى يَنْتَهِي الْعِلْمُ إِلَى اللهِ وَهٰذَا مَا لاَ خَفَاءَ بِهِ إِذْ مَعْلُومَاتُهُ تَعَالَى لاَ يُحَاطُ بِهَا وَلاَ مُنْتَهَى لَهَا؛ هٰذَا حُكْمُ عَقْدِ النَّبِيِّ ﷺ فِي التَّوْحِيدِ وَالشَّرْعِ وَالْمَعَارِفِ وَالأُمُورِ الدِّينِيَّةِ.

الفصل الرابع: العصمة من الشيطان

وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ مُجْمِعَةٌ عَلَى عِصْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الشَّيْطَانِ وَكِفَايَتِهِ مِنْهُ لاَ فِي جِسْمِهِ

---

(١) إني لا أعلم إلا ما علمني أبي.. الحديث/ أخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى.

(٢) ولا خطر على قلب بشر.. وأول الحديث: أعددت لعبادي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، بلا ما اطلعتم عليه.. أخرجه الإمام مسلم في الصحيح: ١٧٦ والترمذي في سننه: ٣٤٦/٥، والإمام البخاري في الصحيح: ١٧٦/٩ وقال عنه الخفاجي إنه حديث قدسي.

(٣) أسألك بأسمائك...

(٤) أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك.. الحديث/ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٢١٠/١٠.

(٥) [....] ص ١١٧ ساقطة من نسخة دمشق.

بِأَنْوَاعِ الأَذَىٰ وَلاَ عَلى خَاطِرِهِ بِالْوَسَاوِسِ وَقَدْ أَخْبَرَنَا القَاضِي الحافِظِ أبو عَلِيٍّ رَحِمهُ الله قال حَدَّثَنَا أبو الفضلِ بن خَيْرُونَ العَدْلُ حَدَّثَنَا أبو بكرِ البَرْقَانِيُّ وَغَيْرُهُ حَدَّثَنَا أبو الحَسَنِ الدَّارَقُطْنِي حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ الصَّفَّارُ حَدَّثَنَا عباسٌ التَّرْقُفِي حَدَّثَنَا محمدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عن مَنْصُورٍ عن سالِمِ بنِ أَبي الجَعْدِ عن مَسْرُوقٍ عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ[١] قال قال رسولُ الله ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ**»[٢] قَالُوا وَإِيَّاكَ يا رسولَ الله؟ قال: «**وَإِيَّايَ وَلٰكِنَّ الله تعالى أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ**».

زَادَ غَيْرُهُ عن منصورٍ «**فَلاَ يَأْمُرُنِي إِلاَّ بِخَيْرٍ**» وعن عائِشَةَ[٣] بِمَعْنَاهُ رُوِيَ فَأَسْلَمُ بِضَمِّ المِيمِ أَيْ فَأَسْلَمُ أَنَا مِنْهُ وَصَحَّحَ بَعْضُهُمْ هٰذِهِ الرِّوَايَةَ وَرَجَّحَهَا، وَرُوِيَ فَأَسْلَمَ يَعْنِي القَرِينَ أَنَّهُ انْتَقَلَ عَنْ حَالِ كُفْرِهِ إِلَى الإِسْلاَمِ فَصَارَ لاَ يَأْمُرُ إِلاَّ بِخَيْرٍ كَالمَلَكِ، وَهُوَ ظَاهِرُ الحَدِيثِ، وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ فَاسْتَسْلَمَ قَالَ القَاضِي أبو الفَضْلِ وَفَّقَهُ الله فَإِذَا كَانَ هٰذَا حُكْمَ شَيْطَانِهِ وَقَرِينِهِ المُسَلَّطِ على بَنِي آدَمَ فَكَيْفَ بِمَنْ بَعُدَ مِنْهُ وَلَمْ يَلْزَمْ صُحْبَتَهُ وَلاَ أُقْدِرَ عَلَى الدُّنُوِّ مِنْهُ؟ وَقَدْ جَاءَتِ الآثَارُ بِتَصَدِّي الشَّيَاطِينِ لَهُ في غَيْرِ مَوْطِنٍ رَغْبَةً في إِطْفَاءِ نُورِهِ وَإِمَاتَةِ نَفْسِهِ وَإِدْخَالِ شُغْلٍ عَلَيْهِ إِذْ يَئِسُوا مِنْ إِغْوَائِهِ فَانْقَلَبُوا خَاسِرِينَ كَتَعَرُّضِهِ لَهُ في صَلاَتِهِ فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَسَرَهُ.

فَفِي الصِّحَاحِ قال أبو هُرَيْرَةَ[٤] عنه ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ عَرَضَ لِي**»[٥] ـ قال عبدُ الرَّزَّاقِ[٦] في صُورَةِ هِرٍّ ـ فَشَدَّ عَلَيَّ يَقْطَعُ عَلَيَّ الصَّلاَةَ فَأَمْكَنَنِي الله مِنْهُ فَذَعَتُّهُ وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُوثِقَهُ إِلَى سَارِيَةٍ حَتَّى تُصْبِحُوا تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾ [ص: ٣٥] الآيَةَ؛ فَرَدَّهُ الله خَاسِئاً».

وَفِي حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ[٧] عَنْهُ ﷺ «**إِنَّ عَدُوَّ الله إِبْلِيسَ جَاءَنِي بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي، وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي الصَّلاَةِ وَذَكَرَ تَعَوُّذَهُ بِالله مِنْهُ وَلَعْنَهُ لَهُ ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ**»[٨]، وَذَكَرَ نَحْوَهُ

---

(١) عبد الله بن مسعود. تقدمت ترجمته.

(٢) ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجنة وقرينه من الملائكة.. الحديث/ أخرجه الإمام مسلم في الصحيح: ٤/ ٢١٦٧ ـ ٢١٦٨. كتاب صفات المنافقين (٥٠) باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وإن مع كل إنسان قريناً (١٦) الحديث: ٦٩/ ٢٨١٤.

(٣) عائشة. تقدمت ترجمتها. (٤) أبو هريرة. تقدمت ترجمته.

(٥) إن الشيطان عرض لي.. الحديث/ أخرجه الإمام مسلم في الصحيح: ٣٨٤. والإمام أحمد في المسند: ١/ ٢٩٧.

(٦) عبد الرزاق. تقدمت ترجمته. (٧) أبو الدرداء. تقدمت ترجمته.

(٨) إن عدو الله إبليس جاءني بشهاب من نار.. الحديث/ أخرجه الإمام ابن ماجه في السنن رقم: ٣٠١٣، والمنذري في الترغيب والترهيب: ٢/ ٢٠٢، والمتقي الهندي في كنز العمال: ١١٨٠٩، ٣١٩٥٧.

وقالَ: «لأَصْبَحَ مُوثَقاً يَتَلاعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ» وَكَذٰلِكَ فِي حَدِيثِهِ فِي الإِسْرَاءِ «وَطَلَبَ عِفْرِيتٍ لَهُ بِشُعْلَةِ نَارٍ فَعَلَّمَهُ جِبْرِيلُ مَا يَتَعَوَّذُ بِهِ مِنْهُ»[1] ذَكَرَهُ فِي المُوَطَّإِ، وَلَمَّا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى أَذَاهُ بِمُبَاشَرَتِهِ تَسَبَّبَ بِالتَّوَسُّطِ إِلَى عِدَاهُ كَقَضِيَّتِهِ مَعَ قُرَيْشٍ فِي الائْتِمَارِ بِقَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَصَوُّرِهِ فِي صُورَةِ الشَّيْخِ النَّجْدِيِّ[2] وَمَرَّةً أُخْرَى فِي غَزْوَةِ يَوْمِ بَدْرٍ فِي صُورَةِ سُرَاقَةَ بنِ مَالِكٍ[3] وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الأنفال:٤٨] الآيَةَ، وَمَرَّةً يُنْذِرُ بِشَأْنِهِ عِنْدَ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ؛ وَكُلُّ هٰذَا فَقَدْ كَفَاهُ اللهُ أَمْرَهُ وَعَصَمَهُ ضُرَّهُ وَشَرَّهُ وَقَدْ قَالَ ﷺ: «إِنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ كُفِيَ مِنْ لَمْسِهِ فَجَاءَ لِيَطْعَنَ بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِهِ حِينَ وُلِدَ فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ»[4] وقالَ ﷺ حِينَ لُدَّ فِي مَرَضِهِ وَقِيلَ لَهُ خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بِكَ ذَاتُ الجَنْبِ فَقَالَ: «إِنَّهَا مِنَ الشَّيْطَانِ وَلَمْ يَكُنِ اللهُ لِيُسَلِّطَهُ عَلَيَّ»[5]

فَإِنْ قِيلَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٢٠٠] الآيَةَ؟ فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ إِنَّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] ثُمَّ قَالَ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ أَيْ يَسْتَخِفَّنَّكَ غَضَبٌ يَحْمِلُكَ عَلَى تَرْكِ الإِعْرَاضِ عَنْهُمْ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ؛ وَقِيلَ النَّزْغُ هُنَا الْفَسَادُ كَمَا قَالَ: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ [يوسف:١٠٠] وَقِيلَ يَنْزَغَنَّكَ يُغْرِيَنَّكَ وَيُحَرِّكَنَّكَ، وَالنَّزْغُ أَدْنَى الْوَسْوَسَةِ فَأَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ مَتَى تَحَرَّكَ عَلَيْهِ غَضَبٌ عَلَى عَدُوِّهِ أَوْ رَامَ الشَّيْطَانُ مِنْ إِغْرَائِهِ بِهِ وَخَوَاطِرَ أَدْنَى وَسَاوِسِهِ مَا لَمْ يُجْعَلْ لَهُ سَبِيلٌ إِلَيْهِ أَنْ يَسْتَعِيذَ مِنْهُ فَيُكْفَى أَمْرَهُ وَيَكُونُ سَبَبَ تَمَامِ عِصْمَتِهِ إِذْ لَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْهِ بِأَكْثَرَ مِنَ التَّعَرُّضِ لَهُ وَلَمْ يُجْعَلْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَيْهِ وَقَدْ قِيلَ فِي هٰذِهِ الآيَةِ غَيْرُ هٰذَا وَكَذٰلِكَ لاَ يَصِحُّ أَنْ يَتَصَوَّرَ لَهُ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ الْمَلَكِ وَيَلْبِسَ عَلَيْهِ لاَ فِي أَوَّلِ الرِّسَالَةِ وَلاَ بَعْدَهَا وَالاعْتِمَادُ فِي ذٰلِكَ دَلِيلُ الْمُعْجِزَةِ بَلْ لاَ يَشُكُّ النَّبِيُّ أَنَّ مَا يَأْتِيهِ مِنَ اللهِ الْمَلَكُ وَرَسُولُهُ حَقِيقَةً إِمَّا بِعِلْمٍ ضَرُورِيٍّ يَخْلُقُهُ اللهُ لَهُ أَوْ بِبُرْهَانٍ يُظْهِرُهُ لَدَيْهِ لِتَتِمَّ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ. فَإِنْ قِيلَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج:٥٢] الآيَةَ؟ فَاعْلَمْ أَنَّ لِلنَّاسِ فِي مَعْنَى هٰذِهِ الآيَةِ أَقَاوِيلَ مِنْهَا السَّهْلُ وَالْوَعْثُ وَالسَّمِينُ والغَثُّ، وَأَوْلَى مَا يُقَالُ فِيهَا

---

(١) حديث الإسراء. تقدمت ترجمته.

(٢) الشيخ النجدي. تقدمت ترجمته.

(٣) سراقة بن مالك في جعشم الكناني. والقصة مذكورة في تفسير ابن كثير: ١٦/٣ وفي تفسير الطبري ٧/١٤، وفيها: إن الشيطان تمثل لكفار قريش يوم بدر في صورة سراقة المذكور. تقدمت ترجمته.

(٤) إن عيسى عليه السلام كفي من لمسه.. الحديث/ أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: ١٨٣٨. والطبري في تفسيره: ٢٣٨/٦.

(٥) إنها من الشيطان.. الحديث/ أخرجه الحاكم في المستدرك: ٤١٨/٤ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٢٨٤٢٢.

ما عَلَيْهِ الجُمْهُورُ مِنَ المُفَسِّرين أن التَّمَنّي هٰهُنَا التِّلاوَةُ وَإِلْقَاءُ الشَّيْطَانِ فِيهَا إِشْغَالُهُ بِخَواطِرَ وَأَذْكَار مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا لِلتَّالِي حَتَّى يُدْخِلَ عَلَيْهِ الْوَهْمَ وَالنِّسْيَانَ فِيما تَلاهُ أَوْ يُدْخِلَ غَيْرَ ذٰلِكَ عَلى أَفْهَام السَّامِعِينَ مِنَ التَّحْرِيفِ وَسُوءِ التَّأْوِيلِ مَا يُزِيلُهُ الله وَيَنْسَخُهُ وَيَكْشِفُ لَبْسَهُ وَيُحْكِمُ آياتِهِ وَسَيَأْتِي الكَلامُ عَلَى هٰذِهِ الآيَةِ بَعْدُ بِأَشْبَعَ مِنْ هٰذَا إِنْ شَاءَ الله، وَقَدْ حَكَىٰ السَّمَرْقَنْدِيُّ إِنْكَار قَوْلِ مَنْ قَالَ بِتَسَلُّطِ الشَّيْطَانِ على مُلْكِ سُلَيْمان وَغَلَبَتِهِ عَلَيْهِ وَأَنَّ مِثْلَ هٰذَا لاَ يَصِحُّ وَقَدْ ذَكَرْنا قِصَّةَ سُلَيْمَانَ مُبَيَّنَةً بَعْدَ هٰذَا وَمَنْ قَالَ إِنَّ الجَسَدَ هُوَ الْوَلَدُ الَّذِي وُلِدَ لَهُ، وقال أبو محمدٍ مَكِّيٌّ[(١)] في قِصَّةِ أَيُوبَ وَقَوْلِهِ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص:٤١] إِنَّهُ لا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَأَوَّلَ أَنَّ الشَّيْطَانَ هُوَ الَّذِي أَمْرَضَهُ وَأَلْقَى الضُّرَّ في بَدَنِهِ وَلاَ يَكُونُ ذٰلِكَ إلاَّ بِفِعْلِ الله وَأَمْرِهِ لِيَبْتَلِيَهُمْ وَيُثِيبَهُمْ، قال مَكِّيٌّ: وَقِيلَ إِنَّ الَّذِي أَصَابَهُ الشَّيْطَانُ مَا وَسْوَسَ بِهِ إِلى أَهْلِهِ فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى عَنْ يوشَعَ: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف:٦٣] وقولِهِ عن يُوسُفَ: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف:٤٢] وَقَوْلِ نَبِيِّنَا ﷺ حِينَ نَامَ عنِ الصَّلاةِ يَوْمَ الْوَادِي: «إِنَّ هٰذَا وَادٍ بِهِ شَيْطَانٌ»[(٢)] وَقَوْلِ مُوسٰى عليهِ السَّلامُ في وَكْزَتِهِ: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [القصص:٦٥] فاعْلَمْ أَنَّ هٰذَا الكَلامَ قَدْ يَرِدُ في جميعِ هٰذَا على مَوْرِدِ مُسْتَمِرِ كَلامِ العَرَبِ في وَصْفِهِمْ كُلَّ قَبيحٍ مِنْ شَخْصٍ أَوْ فِعْلٍ بالشَّيْطَانِ أَوْ فِعْلِهِ كما قال تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات:٦٥] وقال ﷺ: «فَلْيُقَاتِلْهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيطَانٌ»[(٣)] وَأَيْضاً فَإِنَّ قَوْلَ يُوشَعَ لاَ يَلْزَمُنَا الجَوَابُ عَنْهُ، إِذْ لَمْ يَثْبُتْ لَهُ في ذٰلِكَ الْوَقْتِ نُبُوَّةٌ مَعَ مُوسٰى، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ [الكهف:٦٠] والمَرْوِيُّ أَنَّهُ إِنَّمَا نُبِّيءَ بَعْدَ مَوْتِ مُوسٰى، وَقِيلَ: قُبَيْلَ مَوْتِهِ؛ وَقَوْلُ مُوسٰى كانَ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ بِدَلِيلِ الْقُرْآنِ وَقِصَّةُ يُوسُفَ قَدْ ذُكِرَ أَنَّهَا كَانَتْ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ؛ وَقَدْ قَالَ المُفَسِّرُونَ في قَوْلِهِ: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [يوسف:٤٢] قَوْلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الَّذِي أَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ أَحَدُ صَاحِبَيِ السِّجْنِ وَرَبُّهُ المَلِكُ: أَيْ أَنْسَاهُ أَنْ يَذْكُرَ لِلْمَلِكِ شَأْنَ يُوسُفَ عليهِ السلامُ، وأَيْضاً فإِنَّ مِثْلَ هٰذَا مِنْ فِعْلِ الشَّيْطَانِ لَيْسَ فِيهِ تَسَلُّطٌ على يُوسُفَ وَيُوشعَ بِوَسَاوِسَ وَنَزْغٍ وَإِنَّمَا هُوَ بِشُغْلِ خَوَاطِرِهِمَا بِأُمُورٍ أُخَرَ وَتَذْكِيرِهِمَا مِنْ أُمورِهِمَا مَا يُنْسِيهِمَا مَا نَسِيَا؛ وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّ هٰذَا وادٍ بِهِ شَيْطَانٌ» فَلَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ تَسَلُّطِهِ عَلَيْهِ وَلاَ وَسْوَسَتِهِ لَهُ بَلْ إِنْ كَانَ بِمُقْتَضَىٰ ظَاهِرِهِ فَقَدْ بَيَّنَ أَمرَ ذٰلِكَ الشَّيْطَانِ

---

(١) أبو محمد مكي. تقدمت ترجمته.

(٢) إن هذا وادٍ به شيطان.. الحديث/ أخرجه مالك في الموطأ: ١٤. والتبريزي في مشكاة المصابيح: ٦٨٧، وابن عبد البر في التمهيد ٥/٢٠٣ والبيهقي في دلائل النبوة ٤/٢٧٣.

(٣) فليقاتله فإنما هو شيطان.. الحديث/ أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: ٢٦٣ من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

بِقَوْلِهِ: «إِنَّ الشَّيطَانَ أَتَى بِلالاً فَلَمْ يَزَلْ يُهَدِّئُهُ كما يُهَدَّأُ الصَّبِي حَتَّى نَامَ»(١) فَٱعْلَمْ أَنَّ تَسَلُّطَ الشَّيْطَانِ فِي ذٰلِكَ الْوَادِي إِنَّمَا كَانَ على بلال(٢) الْمُوَكَّلِ بِكَلاَءَةِ الْفَجْرِ، هٰذَا إِنْ جَعَلْنَا قَوْلَهُ: «إِنَّ هٰذَا وَادٍ بِهِ شَيْطَانٌ»(٣) تَنْبِيهاً عَلَى سَبَبِ النَّوْمِ عَنِ الصَّلاَةِ؛ وَأَمَّا إِنْ جَعَلْنَاهُ تَنْبِيهاً على سَبَبِ الرَّحِيلِ عَنِ الْوَادِي وَعِلَّةً لِتَرْكِ الصَّلاَةِ بِهِ وَهُوَ دَلِيلُ مَسَاقِ حديثِ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ(٤) فَلاَ ٱعْتِرَاضَ بِهِ فِي هٰذَا الْبَابِ لِبَيَانِهِ وَٱرْتِفَاعِ إِشْكَالِهِ.

الفصل الخامس: صدق أقواله ﷺ

وَأَمَّا أَقْوَالُهُ ﷺ فَقَدْ قَامَتِ الدَّلاَئِلُ الْوَاضِحَةُ بِصِحَّةِ الْمُعْجِزَةِ على صِدْقِهِ وَأَجْمَعَتِ الأُمَّةُ فِيمَا كَانَ طَرِيقُهُ الْبَلاَغَ أَنَّهُ مَعْصُومٌ فِيهِ مِنَ الإِخْبَارِ عَنْ شَيْءٍ مِنْهَا بِخِلاَفِ مَا هُوَ بِهِ لاَ قَصْداً وَلاَ عَمْداً وَلاَ سَهْواً وَلاَ غَلَطاً أَمَّا تَعَمُّدُ الخلْفِ في ذٰلِكَ فَمنتَفٍ بِدَلِيلِ الْمُعجزَةِ الْقَائِمَةِ مَقَامَ قَوْلِ الله صَدَقَ فِيمَا قال ٱتِّفَاقاً، وَبِإِطْبَاقِ أَهْلِ المِلَّةِ إِجْمَاعاً وَأَمَّا وُقُوعُهُ على جِهَةِ الغَلَطِ في ذٰلِكَ فَبِهٰذِهِ السَّبِيلِ عِنْدَ الأُسْتَاذِ أَبِي إِسْحَاقَ الإِسْفَرَائِنِي وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ وَمِنْ جِهَةِ الإِجْمَاعِ فَقَطْ وَوُرُودِ الشَّرْعِ بِانْتِفَاءِ ذٰلِكَ وَعِصْمَةِ النَّبِيِّ لاَ مِنْ مُقْتَضَى الْمُعْجِزَةِ نَفْسِهَا عِنْدَ القَاضِي أَبِي بَكْرٍ البَاقِلاَنِيِّ(٥) وَمَنْ وَافَقَهُ لاخْتِلاَفٍ بَيْنَهُمْ فِي مُقْتَضَى دَلِيلِ الْمُعْجِزَةِ لاَ نُطَوِّلُ بِذِكْرِهِ فَنَخْرُجُ عن غَرَضِ الْكِتَابِ فَلْنَعْتَمِدْ على مَا وَقَعَ عليْهِ إِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ خُلْفٌ فِي الْقَوْلِ إِبْلاَغِ الشَّرِيعَةِ وَالإِعْلامِ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عن رَبِّهِ وَمَا أَوْحَاهُ إِلَيْهِ مِنْ وَحْيِهِ لاَ عَلَى وَجْهِ العَمْدِ وَلاَ عَلَى غَيْرِ عَمْدٍ وَلاَ فِي حَالَيِ الرِّضَى وَالسُّخْطِ وَالصِّحَّةِ وَالمَرَضِ، وَفِي حديث عبدِ الله بنِ عَمْرٍو(٦) قُلْتُ يَا رَسُولَ الله أَأَكْتُبُ كُلَّ مَا أَسْمَعُ مِنْكَ؟ قال: «نَعَمْ» قُلْتُ فِي الرِّضَى وَالْغَضَبِ؟ قال: «نَعَمْ فَإِنِّي لاَ أَقُولُ فِي ذٰلِكَ كُلِّهِ إِلاَّ حَقاً» وَلْنَزِدْ مَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ مِنْ دَلِيلِ الْمُعْجِزَةِ عَلَيْهِ بَيَاناً: فَنَقُولُ إِذَا قَامَتِ الْمُعْجِزَةُ على صِدْقِهِ وَأَنَّهُ لاَ يَقُولُ إِلاَّ حَقّاً وَلاَ يُبَلِّغُ عن الله إِلاَّ صِدْقاً وَأَنَّ الْمُعْجِزَةَ قَائِمَةٌ مَقَامَ قَوْلِ الله لَهُ صَدَقْتَ فِيمَا تَذْكُرُهُ عَنِّي وَهُوَ يَقُولُ إِنِّي رسولُ الله ﷺ إِلَيْكُمْ لأُبَلِّغَكُم مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ أُبَيِّنُ لَكُمْ مَا نُزِّلَ عَلَيْكُمْ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ فَٱسْتَوَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ٤] وَقَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] فَلاَ يَصِحُّ أَنْ يُوجَدَ

(١) بلال مؤذن الرسول ﷺ.
(٢) إن الشيطان أتى بلالاً.. الحديث/ أخرجه مالك في الموطأ، والبيهقي في السنن الكبرى عن زيد بن أسلم.
(٣) إن هذا واد به شيطان.. الحديث/ تقدم تخريجه.
(٤) زيد بن أسلم. تقدمت ترجمته.
(٥) أبو بكر الباقلاني. تقدمت ترجمته.
(٦) عبد الله بن عمر. تقدمت ترجمته.

مِنْهُ في هٰذَا البَابِ خَبرٌ بِخِلافِ مُخْبَرِهِ على أيِّ وَجْهٍ كَانَ، فَلَوْ جَوَّزْنا عَلَيْهِ الغَلَطَ وَالسَّهْوَ لَمَا تَمَيَّزَ لَنا مِنْ غَيْرِهِ وَلاَ اخْتَلَطَ الْحَقُّ بِالباطِلِ؛ فَالْمُعْجِزَةُ مُشْتَمِلَةٌ على تَصْدِيقِهِ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنْ غَيْرِ خُصُوصٍ فَتَنْزِيهُ النبيِّ ﷺ عَنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَاجِبٌ بُرْهَاناً وَإِجْماعاً كما قَالَهُ أَبُو إِسْحَاقَ.

الفصل السادس: رفع بعض الشبهات

وَقَدْ تَوَجَّهَتْ هٰهُنا لِبَعْضِ الطاعِنِينَ سُؤَالاَتٌ مِنْهَا مَا رُوِيَ مِنْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا قَرَأَ سُورَةَ وَالنَّجْمِ وَقالَ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠] قال تِلْكَ الغَرَانِيقُ[(١)] العُلَى وَإِنَّ شَفَاعَتَهَا لَتُرْتَجَى وَيُرْوَى تُرْتَضَى، وفي رِوايَةٍ إِنَّ شَفَاعَتَهَا لَتُرْتَجَى، وَإِنَّهَا لَمَعَ الغَرَانِيقِ العُلَى وَفِي أُخْرَى وَالغَرَانِقَةُ العُلَى تِلْكَ الشَّفَاعَةُ تُرْتَجَى، فَلَمَّا خَتَمَ السُّورَةَ سَجَدَ وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالكُفَّارُ لَمَّا سَمِعُوهُ أَثْنَى على آلِهَتِهِمْ وَمَا وَقَعَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ الشَّيْطَانَ أَلْقَاهَا عَلى لِسَانِهِ وَأَنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يَتَمَنَّى أَنْ لَوْ نَزَلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ يُقَارِبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ.

وفي رِوايَةٍ أُخْرَى أَنْ لاَ يَنْزِلَ عَلَيْه شَيْءٌ يُنَفِّرُهُمْ عَنْهُ وَذَكَرَ هذِه القِصَّةَ وَأَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ جَاءَهُ فَعَرَضَ عَلَيْه السُّورَةَ فَلَمَّا بَلَغَ الْكَلِمَتَيْنِ قالَ لَهُ مَا جِئْتُكَ بِهاتَيْنِ، فَحَزِنَ لِذٰلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَنْزَلَ الله تعالى تَسْلِيَةً لَهُ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ﴾ [الحج: ٥٢] الآيَةَ وَقَوْلَهُ: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] الآيَةَ: فاعْلَمْ أَكْرَمَكَ الله أَنَّ لَنَا في الْكَلاَمِ عَلَى مُشْكِلِ هذا الْحَدِيثِ مَأْخَذَيْنِ أَحَدُهُمَا في تَوْهِينِ أَصْلِهِ وَالثاني عَلَى تَسْلِيمِهِ، أَمَّا الْمَأْخَذُ الأَوَّلُ فَيَكْفِيكَ أَنَّ هٰذَا حَدِيثٌ لَمْ يُخَرِّجْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الصِّحَّةِ وَلاَ رَوَاهُ ثِقَةٌ بِسَنَدٍ سَلِيمٍ مُتَّصِلٍ وَإِنَّمَا أُولِعَ بِهِ وَبِمِثْلِهِ الْمُفَسِّرُونَ وَالْمُؤَرِّخُونَ الْمولَعُون بِكُلِّ غَرِيبِ الْمُتَلَقِّفُونَ مِنَ الصُّحُفِ كُلَّ صَحِيحٍ وَسَقِيمٍ وَصَدَقَ القَاضِي بَكْرُ بْنُ العَلاءِ الْمَالِكِيُّ[(٢)] حَيْثُ قالَ لَقَدْ بُلِيَ النَّاسُ بِبَعْضِ أَهْلِ الأَهْوَاءِ وَالتَّفْسِيرِ وَتَعَلَّقَ بِذٰلِكَ الْمُلْحِدُونَ مَعَ ضَعْفِ نَقَلَتِهِ وَاضْطِرابِ رِوَايَاتِهِ وَانْقِطَاعِ إِسْنَادِهِ وَاخْتِلاَفِ كَلِمَاتِهِ فَقَائِلٌ يَقُولُ إِنَّهُ في الصَّلاَةِ، وَآخَرُ يَقُولُ قالَهَا في نَادِي قَوْمِهِ حِينَ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ السُّورَةُ؛ وَآخَرُ يَقُولُ قالَهَا وَقَدْ أَصَابَتْهُ سِنَةٌ، وَآخَرُ يَقُولُ بَلْ حَدَّثَتْ نَفْسَهُ فَسَهَا، وَآخَرُ يَقُولُ مِنَ الشَّيْطَانِ قَالَهَا عَلَى لِسَانِهِ وَأَنَّ النبي ﷺ لَمَّا عَرَضَهَا عَلَى جِبْرِيلَ قالَ مَا هٰكَذَا أَقْرَأْتُكَ؛ وَآخَرُ يَقُولُ بَلْ أَعْلَمَهُمُ الشَّيْطَانُ أَنَّ النبي ﷺ قَرَأَهَا؛ فَلَمَّا بَلَغَ النبي ﷺ ذٰلِكَ قَالَ والله مَا هٰكَذَا نَزَلَتْ؛ إِلَى غَيْرِ

---

(١) أما قصة الغرانيق فقد ذكرها الإمام البخاري في صحيحه: ٦/ ١٧٧، والقرطبي في تفسير ٧/ ١٢٤، ١٢/ ٨٢، وابن كثير في التفسير: ٧/ ٤٤٤، ويظهر من كلام القرطبي إنه نقل كلام عياض واستشهد به هناك. والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٦٦، والفتني في تذكرة الموضوعات: ٨٢.

(٢) بكر بن العلاء المالكي، تقدمت ترجمته.

ذٰلِكَ مِنَ اخْتِلاَفِ الرُّوَاةِ؛ وَمَنْ حُكِيَتْ هٰذِهِ الحِكَايَةُ عَنْهُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَالتَّابِعِينَ لَمْ يُسْنِدْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلاَ رَفَعَهَا إِلَى صَاحِبٍ وَأَكْثَرُ الطُّرُقِ عَنْهُمْ فِيهَا ضَعِيفَةٌ وَاهِيَةٌ وَالمَرْفُوعُ فِيهِ حديث شُعْبَة[١] عن أبي بِشْرٍ[٢] عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ[٣] عنِ ابن عباس[٤] قال فِيمَا أحسبُ الشَّكُّ في الحديثِ أنَّ النبي ﷺ كَانَ بِمَكَّةَ وَذَكَرَ القِصَّةَ قال أبو بَكْرٍ البَزَّارُ[٥] هٰذَا الحَدِيثُ لاَ نَعْلَمُهُ يُرْوَى عنِ النَّبِيِّ ﷺ بِإِسْنَادٍ مُتَّصِلٍ يَجُوزُ ذِكْرُهُ إلاَّ هٰذَا وَلَمْ يُسْنِدْهُ عن شُعْبَةَ إلاَّ أُمَيَّةُ بن خالِدٍ[٦] وَغَيْرُهُ يُرْسِلُهُ عن سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ وَإِنَّمَا يُعْرَفُ عنِ الكَلْبِيِّ[٧] عن أَبِي صَالِحٍ[٨] عنِ ابنِ عَبَّاسٍ فَقَدْ بَيَّنَ لَكَ أبو بَكْرٍ[٩] رَحِمَهُ الله أَنَّهُ لاَ يُعْرَفُ مِنْ طَرِيقٍ يَجُوزُ ذِكْرُهُ سِوَى هٰذَا وَفِيهِ مِنَ الضَّعْفِ مَا نَبَّهَ عَلَيْهِ مَعَ وُقُوعِ الشَّكِّ فِيهِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ الذي لاَ يُوثَقُ بِهِ وَلاَ حَقِيقَةَ مَعَهُ، وَأَمَّا حديث الكَلْبِيِّ[١٠] فَمِمَّا لاَ تَجُوزُ الرِّوَايَةُ عَنْهُ وَلاَ ذِكْرُهُ لِقُوَّةِ ضَعْفِهِ وَكَذِبِهِ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ البَزَّارُ رَحِمَهُ الله وَالَّذِي مِنْهُ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ النبيَّ ﷺ قَرَأَ وَالنَّجْمِ وَهُوَ بِمَكَّةَ فَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ، هٰذَا تَوْهِينُهُ مِنْ طَرِيقِ النَّقْلِ، فَأَمَّا مِنْ جِهَةِ المَعْنَى فَقَدْ قَامَتِ الحُجَّةُ وَأَجْمَعَتِ الأُمَّةُ على عِصْمَتِهِ ﷺ وَنَزَاهَتِهِ عَنْ مِثْلِ هٰذِهِ الرَّذِيلَةِ أَمَّا مِنْ تَمَنِّيهِ أَنْ يُنْزَلَ عليهِ مِثْلُ هٰذَا مِنْ مَدْحِ آلِهَةٍ غَيْرِ الله وَهُوَ كُفْرٌ أَوْ أَنْ يَتَسَوَّرَ عَلَيْه الشَّيْطَانُ وَيُشَبِّهَ عَلَيْهِ القُرْآنَ حَتَّى يَجْعَلَ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ وَيَعْتَقِدَ النبيُّ ﷺ أَنَّ مِنَ القُرْآنِ مَا لَيْسَ مِنْهُ حَتَّى يُنَبِّهَهُ جِبْرِيلُ عليه السلامُ وَذٰلِكَ كُلُّهُ مُمْتَنِعٌ في حَقِّهِ ﷺ أَوْ يَقُولَ ذٰلِكَ النبيُّ ﷺ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ عَمْداً - وَذٰلِكَ كُفْرٌ - أَوْ سَهْواً وَهُوَ مَعْصُومٌ مِنْ هٰذَا كُلِّهِ وَقَدْ قَرَّرْنَا بِالبَرَاهِينِ وَالإِجْمَاعِ عِصْمَتَهُ ﷺ مِنْ جَرَيَانِ الْكُفْرِ عَلَى قَلْبِهِ أَوْ لِسَانِهِ لاَ عَمْداً وَلاَ سَهْواً أَوْ أَنْ يَتَشَبَّهَ عَلَيْهِ مَا يُلْقِيهِ المَلَكُ مِمَّا يُلْقِي الشَّيْطَانُ أَوْ يَكُونَ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ أَوْ أَنْ يَتَقَوَّلَ عَلَى الله لاَ عَمْداً وَلاَ سَهْواً مَا لَمْ يُنْزَلْ عَلَيْهِ وَقَدْ قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة: ٤٤] الآيةَ؛ وقال تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٥] الآيةَ؛ وَوَجْهٌ ثَانٍ وَهُوَ اسْتِحَالَةُ هٰذِهِ القِصَّةِ نَظَراً وَعُرْفاً وَذٰلِكَ أَنَّ هٰذَا الكَلاَمَ لَوْ كَانَ كما رُوِيَ لَكَانَ بَعِيدَ الالْتِئَامِ مُتَنَاقِضَ الأَقْسَامِ مُمْتَزِجَ المَدْحِ بِالذَّمِّ مُتَخَاذِلَ التَّأْلِيفِ وَالنَّظْمِ وَلَمَّا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَلاَ مَنْ بِحَضْرَتِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَصَنَادِيدِ الْمُشْرِكِينَ مِمَّنْ يَخْفَى عَلَيْهِ ذٰلِكَ وَهٰذَا لاَ

---

(١) شعبة. تقدمت ترجمته.
(٢) أبو بشر. تقدمت ترجمته.
(٣) سعيد بن جبير. تقدمت ترجمته.
(٤) ابن عباس. تقدمت ترجمته.
(٥) أبو بكر البزار. تقدمت ترجمته.
(٦) أمية بن خالد. تقدمت ترجمته.
(٧) الكلبي. تقدمت ترجمته.
(٨) أبو صالح. تقدمت ترجمته.
(٩) أبو بكر. تقدمت ترجمته.
(١٠) وضعف الذهبي رواية الكلبي في ميزان الاعتدال: ٣/٥٥٨.

يَخفَى عَلَى أدْنى مُتأمِّلٍ فكَيْفَ بِمَنْ رَجحَ حِلْمُهُ واتَّسَعَ في باب البَيانِ وَمعْرِفَةِ فَصِيحِ الكَلامِ عِلْمُهُ، وَوَجْهٌ ثالثٌ أنَّهُ قَدْ عُلِمَ مِنْ عادَةِ المُنافِقِينَ وَمُعانِدِي المُشْرِكِينَ وَضَعَفَةِ القُلُوبِ والجَهلَةِ مِنَ المُسْلِمِينَ نُفُورُهُمْ لِأوَّلِ وَهْلَةٍ وَتَخْلِيطُ العَدُوِّ على النبيِّ ﷺ لِأقَلِّ فِتْنَةٍ وَتَعْيِيرُهُمُ المُسْلِمِينَ والشَّماتَةُ بِهِمُ الفَيْنَةَ بَعْدَ الفَيْنَةِ وارْتِدادُ مَنْ في قَلْبِهِ مَرَضٌ مِمَّنْ أظْهَرَ الإسْلامَ لِأدْنَى شُبْهَةٍ وَلَمْ يَحْكِ أحَدٌ في هٰذِهِ القِصَّةِ شَيْئاً سِوى هٰذِهِ الرِّوايَةِ الضَّعِيفَةِ الأصْلِ وَلَوْ كانَ ذٰلِكَ لَوَجَدَتْ قُرَيْشٌ بِها عَلَى المُسْلِمِينَ الصَّوْلَةَ وَلأقامَتْ بِها اليَهُودُ عَلَيْهِم الحُجَّةَ كَما فَعَلُوا مُكابَرَةً في قِصَّةِ الإسْراءِ حَتَّى كانَتْ في ذٰلِكَ لِبَعْضِ الضُّعَفاءِ رِدَّةٌ وَكَذٰلِكَ ما رُوِيَ في قِصَّةِ القَضِيَّةِ وَلاَ فِتْنَةَ أعْظَمُ مِنْ هٰذِهِ البَلِيَّةِ لَوْ وُجِدَتْ وَلاَ تَشْغِيبَ لِلمُعادِي حِينَئِذٍ أشَدُّ مِنْ هٰذِهِ الحادِثَةِ لَوْ أمْكَنَتْ فَما رُوِيَ عَنْ مُعانِدٍ فِيها كَلِمَةٌ وَلا عَنْ مُسْلِمٍ بِسَبَبِها بِنْتُ شَفَةٍ فَدَلَّ على بُطْلِها واجْتِثاثِ أصْلِها وَلا شَكَّ في إدْخالِ بَعْضِ شَياطِينِ الإنْسِ أوِ الجِنِّ هٰذا الحَدِيثَ عَلى بَعْضِ مُغَفَّلِي المُحَدِّثِينَ لِيُلَبِّسَ بِهِ عَلى ضُعَفاءِ المُسْلِمِينَ. وَوَجْهٌ رابِعٌ ذَكَرَ الرُّواةُ لِهٰذِهِ القَضِيَّةِ أنَّ فِيها نَزَلَتْ ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] الآيَتَيْنِ، وَهاتانِ الآيتانِ تَرُدّانِ الخَبَرَ الَّذِي رَوَوْهُ لأنَّ اللهَ تَعالَى ذَكَرَ أنَّهُمْ كادُوا يَفْتِنُونَهُ حَتَّى يَفْتَرِيَ وَأنَّهُ لَوْلا أنْ ثَبَّتَهُ لَكادَ يَرْكَنُ إلَيْهِمْ فَمَضْمُونُ هٰذا وَمَفْهُومُهُ أنَّ اللهَ تَعالَى عَصَمَهُ مِنْ أنْ يَفْتَرِيَ وَثَبَّتَهُ حَتَّى لَمْ يَرْكَنْ إلَيْهِمْ قَلِيلاً فَكَيْفَ كَثِيراً وَهُمْ يَرْوُونَ في أخْبارِهِمُ الواهِيَةِ أنَّهُ زادَ عَلى الرُّكُونِ والافْتِراءِ بِمَدْحِ آلِهَتِهِمْ وَأنَّهُ قالَ ﷺ: **«افْتَرَيْتُ على اللهِ وَقُلْتُ ما لَمْ يَقُلْ»** وَهٰذا ضِدُّ مَفْهُومِ الآيَةِ وَهِيَ تُضَعِّفُ الحَدِيثَ لَوْ صَحَّ فَكَيْفَ وَلاَ صِحَّةَ لَهُ؟ وَهٰذا مِثْلُ قولِهِ تَعالَى في الآيَةِ الأُخْرَى ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ﴾ [النساء: ١١٣] وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابنِ عَبّاسٍ[1] كُلُّ ما في القُرْآنِ كادَ فَهُوَ ما لاَ يَكُونُ قالَ اللهُ تَعالَى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٣] وَلَمْ يَذْهَبْ وَأكادُ أُخْفِيها وَلَمْ يَفْعَلْ، قالَ القُشَيْرِيُّ[2] القاضِي وَلَقَدْ طالَبَهُ قُرَيْشٌ وَثَقِيفُ إذْ مَرَّ بِآلِهَتِهِمْ أنْ يُقْبِلَ بِوَجْهِهِ إلَيْها وَوَعَدُوهُ الإيمانَ بِهِ إنْ فَعَلَ فَما فَعَلَ وَلاَ كانَ لِيَفْعَلَ، قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ[3] ما قارَبَ الرَّسُولُ وَلاَ رَكَنَ وَقَدْ ذُكِرَتْ في مَعْنَى هٰذِهِ الآيَةِ تَفاسِيرُ أُخَرُ ما ذَكَرْناهُ مِنْ نَصِّ اللهِ على عِصْمَةِ رَسُولِهِ تَرُدُّ سِفْسافَها[4] فَلَمْ يَبْقَ في الآيَةِ إلاَّ أنَّ اللهَ تَعالَى امْتَنَّ عَلَى رَسُولِهِ بِعِصْمَتِهِ وَتَثْبِيتِهِ بِما كادَهُ بِهِ الكُفّارُ وَرامُوا مِنْ فِتْنَتِهِ وَمُرادُنا مِنْ ذٰلِكَ تَنْزِيهُهُ وَعِصْمَتُهُ ﷺ وَهُوَ مَفْهُومُ الآيَةِ؛ وَأمّا المَأخَذُ الثّانِي فَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى تَسْلِيمِ الحَدِيثِ لَوْ صَحَّ وَقَدْ أعاذَنا اللهُ مِنْ صِحَّتِهِ وَلٰكِنْ

---

(١) ابن عباس. تقدمت ترجمته. (٢) القشيري القاضي. تقدمت ترجمته.

(٣) ابن الأنباري. تقدمت ترجمته.

(٤) السفساف: الرديء من كل شيء وأصله ما يطير من غبار التراب والدقيق.

عَلَى كُلِّ حَالٍ فَقَدْ أَجَابَ عَنْ ذٰلِكَ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ بِأَجْوِبَةٍ مِنْهَا الغَثُّ وَالسَّمِينُ فَمِنْهَا مَا رَوَى قَتَادَةُ وَمُقَاتِلٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَصَابَتْهُ سِنَةٌ عِنْدَ قِرَاءَتِهِ هٰذِهِ السُّورَةَ فَجَرَى هٰذَا الْكَلَامُ عَلَى لِسَانِهِ بِحُكْمِ النَّوْمِ وَهٰذَا لاَ يَصِحُّ إِذْ لاَ يَجُوزُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِثْلُهُ فِي حَالَةٍ مِنْ أَحْوَالِهِ وَلاَ يَخْلُقُهُ الله عَلَى لِسَانِهِ وَلاَ يَسْتَوْلِي الشَّيطَانُ عَلَيْهِ فِي نَوْمٍ وَلاَ يَقْظَةٍ لِعِصْمَتِهِ فِي هٰذَا الْبَابِ مِنْ جَمِيعِ الْعَمْدِ وَالسَّهْوِ وَفِي قَوْلِ الْكَلْبِيِّ[١] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَدَّثَ نَفْسَهُ فَقَالَ: «**ذٰلِكَ الشَّيطَانُ عَلَى لِسَانِهِ**»، وَفِي رِوَايَةِ ابنِ شِهَابٍ[٢] عَنْ أَبِي بَكْرِ بنِ عبدِ الرَّحْمٰنِ[٣] قَالَ وَسَهَا فَلَمَّا أُخْبِرَ بِذٰلِكَ قَالَ: «**إِنَّمَا ذٰلِكَ مِنَ الشَّيطَانِ**» وَكُلُّ هٰذَا لاَ يَصِحُّ أَنْ يَقُولَهُ النَّبِيُّ ﷺ لاَ سَهْواً وَلاَ قَصْداً وَلاَ يَتَقَوَّلُهُ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ وَقِيلَ لَعَلَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَهُ أَثْنَاءَ تِلاَوَتِهِ عَلَى تَقْدِيرِ التَّقْرِيرِ وَالتَّوْبِيخِ لِلْكُفَّارِ كَقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:٧٦] عَلَى أَحَدِ التَّأْوِيلاَتِ وَكَقَوْلِهِ ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:٦٣] بَعْدَ السَّكْتِ وَبَيَانِ الْفَصْلِ بَيْنَ الْكَلاَمَيْنِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى تِلاَوَتِهِ وَهٰذَا مُمْكِنٌ مَعَ بَيَانِ الْفَصْلِ وَقَرِينَةٍ تَدُلُّ عَلَى الْمُرَادِ وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَتْلُوِّ وَهُوَ أَحَدُ مَا ذَكَرَهُ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ[٤] وَلاَ يُعْتَرَضُ عَلَى هٰذَا بِمَا رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي الصَّلاَةِ فَقَدْ كَانَ الْكَلاَمُ قَبْلُ فِيهَا غَيْرَ مَمْنُوعٍ وَالَّذِي يَظْهَرُ وَيَتَرَجَّحُ فِي تَأْوِيلِه عِنْدَهُ وَعِنْدَ غَيْرِهِ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ عَلَى تَسْلِيمِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ كما أَمَرَهُ رَبُّهُ يُرَتِّلُ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً وَيُفَصِّلُ الآيَ تَفْصِيلاً فِي قِرَاءَتِهِ كما رَوَاهُ الثِّقَاتُ عَنْهُ فَيُمْكِنُ تَرَصُّدُ الشَّيْطَانِ لِتِلْكَ السَّكَتَاتِ وَدَسُّهُ فِيهَا مَا اخْتَلَقَهُ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ مُحَاكِياً نَغْمَةَ النَّبِيِّ ﷺ بِحَيْثُ يَسْمَعُهُ مَنْ دَنَا إِلَيْهِ مِنَ الْكُفَّارِ فَظَنُّوهَا مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَشَاعُوهَا وَلَمْ يَقْدَحْ ذٰلِكَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ بِحِفْظِ السُّورَةِ قَبْلَ ذٰلِكَ عَلَى مَا أَنْزَلَهَا الله وَتَحَقُّقِهِمْ مِنْ حَالِ النَّبِيِّ ﷺ فِي ذَمِّ الْأَوْثَانِ وَعَيْبِهَا مَا عُرِفَ مِنْهُ وَقَدْ حَكَى مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ[٥] فِي مَغَازِيهِ نَحْوَ هٰذَا؛ وَقَالَ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَسْمَعُوهَا وَإِنَّمَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ ذٰلِكَ فِي أَسْمَاعِ الْمُشْرِكِينَ وَقُلُوبِهِمْ وَيَكُونُ مَا رُوِيَ مِنْ حُزْنِ النَّبِيِّ ﷺ لِهٰذِهِ الإِشَاعَةِ وَالشُّبْهَةِ وَسَبَبِ هٰذِهِ الفِتْنَة وَقَدْ قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج:٥٢] الآيَةَ فَمَعْنَى تَمَنَّى: تلا، قال الله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:٧٨] أَيْ تِلاَوَةً وَقَوْلُهُ: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الحج:٥٢] أَيْ يُذْهِبُهُ وَيُزِيلُ اللَّبْسَ بِهِ وَيُحْكِمُ آيَاتِهِ؛ وَقِيلَ مَعْنَى الآيَةِ هُوَ مَا يَقَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مِنَ السَّهْوِ إِذا قَرَأَ فَيَنْتَبِهُ لِذٰلِكَ وَيَرْجِعُ عَنْهُ

---

(١) الكلبي. تقدمت ترجمته.

(٢) ابن شهاب. تقدمت ترجمته.

(٣) أبو بكر بن عبد الرحمن. تقدمت ترجمته.

(٤) القاضي أبو بكر. تقدمت ترجمته.

(٥) موسى بن عقبة. تقدمت ترجمته.

وَهٰذَا نَحْوُ قَوْلِ الكلْبِيِّ في الآية أنهُ حَدَّثَ نَفْسَهُ وَقَالَ إِذَا تَمَنَّى أَيْ حَدَّثَ نَفْسَهُ، وفي روايةِ أبي بكرِ بنِ عبدِ الرَّحْمٰنِ[1] نَحْوُهُ وَهٰذَا السَّهْوُ في القِرَاءَةِ إِنَّمَا يَصِحُّ فِيمَا لَيْسَ طَرِيقُهُ تَغْيِيرَ المَعَانِي وَتَبْدِيلَ الألْفَاظِ وَزِيَادَةَ مَا لَيْسَ مِنَ القُرْآنِ بَلِ السَّهْوُ عَنْ إِسْقَاطِ آيَةٍ مِنْهُ أَوْ كَلِمَةٍ وَلٰكِنَّهُ لاَ يُقَرُّ على هٰذَا السَّهْوِ بَلْ يُنَبَّهُ عليهِ وَيُذَكَّرُ بِهِ لِلحِينِ على ما سَنَذْكُرُهُ في حُكْمِ مَا يَجُوزُ عليهِ مِنَ السَّهْوِ وَمَا لاَ يَجُوزُ وَمِمَّا يَظْهَرُ في تأويلِهِ أيْضاً أَنَّ مُجَاهِداً رَوَى هٰذه القِصَّةَ وَالغَرَانِقَةُ العُلَى فإِنْ سَلَّمْنا القِصَّةَ قُلْنا لاَ يَبْعُدُ أَنَّ هٰذَا كانَ قُرْآناً وَالمُرَادُ بالغَرانِقَةِ العُلَى وَأَنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَى المَلاَئِكَةُ على هٰذِهِ الرِّوَايَةِ وَبِهٰذَا فَسَّرَ اللكبيُّ الغَرَانِقَةَ أَنَّهَا المَلاَئِكَةُ وَذٰلِكَ أَنَّ الكُفَّارَ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ الأَوْثَانَ وَالمَلاَئِكَةَ بَنَاتُ الله كما حَكَى الله عَنْهُمْ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ في هٰذِهِ السُّورَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ [النجم: ٢١] فأنكرَ الله كُلَّ هٰذَا مِنْ قَوْلِهِمْ وَرَجَاءُ الشَّفَاعَةِ مِنَ المَلاَئِكَةِ صَحِيحٌ فَلَمَّا تَأَوَّلَهُ المُشْرِكُونَ على أَنَّ المُرَادَ بِهٰذَا الذِّكْرِ آلِهَتُهُمْ وَلَبَّسَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ذٰلِكَ وَزَيَّنَهُ في قُلُوبِهِمْ وَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ نَسَخَ الله مَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ وأَحْكَمَ آيَاتِهِ وَرَفَعَ تِلاَوَةَ تِلْكَ اللَّفْظَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَجَدَ الشَّيْطَانُ بِهِمَا سَبِيلاً لِلإِلْبَاسِ كما نُسِخَ كَثِيرٌ مِنَ القُرْآنِ وَرُفِعَتْ تِلاَوَتُهُ وَكَانَ في إِنْزَالِ الله تَعَالَى لِذٰلِكَ حِكْمَةٌ وفي نَسْخِهِ حِكْمَةٌ لِيُضِلَّ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الفَاسِقِينَ وَ ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٣ ـ ٥٤] الآية ـ وَقِيلَ إِنَّ النبيَّ ﷺ لَمَّا قَرَأَ هذِهِ السُّورَةَ وَبَلَغَ ذِكْرَ اللاَّتِ وَالعُزَّى[2] وَمَنَاةَ الثَّالِثَةِ الأُخْرَى خَافَ الكُفَّارُ أَنْ يَأْتِيَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَمِّهَا فَسَبَقُوا إِلَى مَدْحِهَا بِتِلْكَ الكلمَتَيْنِ لِيُخَلِّطُوا في تِلاَوَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَيُشَنِّعُوا عليهِ على عَادَتِهِمْ وقولِهِمْ ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] وَنُسِبَ هٰذَا الفِعْلُ إِلَى الشَّيْطَانِ لِحَمْلِهِ لَهُمْ عليهِ وَأَشَاعُوا ذٰلِكَ وَأَذَاعُوهُ وأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَهُ فَحَزِنَ لِذٰلِكَ مِنْ كَذِبِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ فَسَلاَّهُ الله تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ [الحج: ٥٢] الآيَةَ، وَبَيَّنَ لِلنَّاسِ الحَقَّ مِنْ ذٰلِكَ مِنَ البَاطِلِ وَحَفِظَ القُرْآنَ وَأَحْكَمَ آيَاتِهِ وَدَفَعَ مَا لَبَّسَ بِهِ العَدُوُّ كما ضَمِنَهُ تَعَالَى مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وَمِنْ ذٰلِكَ ما رُوِيَ مِنْ قِصَّةِ يُونُسَ عليهِ السلامُ أَنَّهُ وَعَدَ قَوْمَهُ العَذَابَ عَنْ رَبِّهِ فَلَمَّا تَابُوا كُشِفَ عَنْهُمُ العَذَابُ فقال لا أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ كَذَّاباً أَبداً فَذَهَبَ مُغَاضِباً. فاعْلَمْ أَكْرَمَكَ الله أَنْ لَيْسَ في خَبَرٍ مِنَ الأَخْبَارِ الوَارِدَةِ في هٰذَا البابِ أَنَّ يُونُسَ عليهِ السلامُ قالَ لَهُمْ إِنَّ الله مُهْلِكُهُمْ وَإِنَّمَا فِيهِ أَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِمْ بِالهَلاَكِ، وَالدُّعَاءُ لَيْسَ بِخَبَرٍ يُطْلَبُ صِدْقُهُ مِنْ كَذِبِهِ، لٰكِنَّهُ قال لَهُمْ إِنَّ العَذَابَ مُصَبِّحُكُمْ وَقْتَ كَذَا وَكَذَا

---

(١) أبو بكر بن عبد الرحمن. تقدمت ترجمته.

(٢) اللات ـ والعزى ـ ومناة الثالثة الأخرى: أصنام لثقيف ولغطفان ولهذيل.

فَكَانَ ذَٰلِكَ كما قال ثُمَّ رَفَعَ الله تَعَالَى عَنْهُمُ العَذَابَ وَتَدارَكَهُمْ؛ قال الله تَعَالَى: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ﴾ [يونس:٩٨] الآيَةَ وَرُوِيَ في الأَخْبَارِ أنهُمْ رَأَوْا دَلائِلَ العَذَابِ وَمَخَايِلَهُ، قالَهُ ابنُ مَسْعُودٍ، وقالَ سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ غَشَّاهُمُ العَذَابُ كما يُغَشِّي الثَّوْبُ القَبْرَ. فإنْ قُلْتَ فَمَا مَعْنَى ما رُوِيَ أَنَّ عَبْدَ الله بنَ أبي سَرْحٍ كانَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وآلِهِ وسلم ثُمَّ ارْتَدَّ مُشْرِكاً وَصَارَ إلى قُرَيْش فقالَ لَهُمْ إنِّي كُنْتُ أُصَرِّفُ محمداً حَيْثُ أُرِيدُ كانَ يُمْلي عَلَيَّ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فَأقولُ أوْ عَلِيمٌ حَكِيمٌ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ كُلٌّ صَوابٌ؛ وَفِي حدِيثٍ آخَرَ فَيقُولُ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ «اكْتُبْ كَذَا» فَيَقُولُ أكْتُبُ كَذَا: فَيَقُولُ: «اكْتُبْ كَيفَ شِئْتَ» وَيَقُولُ اكْتُبْ عَلِيماً حَكِيماً فَيَقُولُ أكْتُبُ سَمِيعاً بَصِيراً؟ فَيَقُولُ لَهُ اكْتُبْ كَيْفَ شِئْتَ؛ وَفي الصَّحِيحِ عن أنسٍ[1] رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ نَصْرَانِيّاً كَانَ يَكْتُبُ لِلنبيِّ ﷺ بَعْدَمَا أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ وَكَانَ يَقُولُ مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إلاَّ مَا كَتَبْتُ لَهُ: فَاعْلَمْ ثَبَّتَنَا الله وَإيَّاكَ عَلَى الحَقِّ وَلاَ جَعَلَ لِلشَّيْطَانِ وَتَلْبِيسِهِ الحَقَّ بِالبَاطِلِ إلَيْنَا سَبِيلاً أَنَّ مِثْلَ هٰذِهِ الحِكَايَةِ أَوَّلاً لا تُوقِعُ فِي قَلْبِ مُؤْمِنٍ رَيْباً إذْ هِيَ حِكَايَةٌ عَمَّنِ ارْتَدَّ وَكَفَرَ بالله وَنَحْنُ لاَ نَقْبَلُ خَبَرَ المُسْلِمِ المُتَّهَمِ فَكَيْفَ بِكافِرٍ افْتَرَى هُوَ وَمِثْلُهُ عَلَى الله ورسولِهِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ هٰذَا؟! وَالعَجَبُ لِسَلِيمِ العَقْلِ يَشْغَلُ بِمِثْلِ هٰذِهِ الحِكَايَةِ سِرَّهُ وَقَدْ صَدَرَتْ مِنْ عَدُوٍّ كَافِرٍ مُبْغِضٍ لِلدِّينِ مُفْتَرٍ على الله وَرَسُولِهِ وَلَمْ يَرِدْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ وَلاَ ذَكَرَ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ شَاهَدَ مَا قَالَهُ وَافْتَرَاهُ على نَبِيِّ الله ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النحل:١٠٥] الآية، وَمَا وَقَعَ مِنْ ذِكْرِهَا في حدِيث أنس رضي الله عنه وَظَاهِرِ حِكَايَتِهَا فَلَيْسَ فِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى أنه شَاهَدَها وَلَعَلَّهُ حَكَى مَا سَمِعَ وَقَدْ عَلَّلَ البَزَّارُ[2] حَدِيثَهُ ذٰلِكَ وقال: رَواه ثَابِتٌ[3] عَنْهُ وَلَمْ يُتَابَعْ عَلَيْهِ، وَرَوَاهُ حُمَيْدٌ[4] عن أنسٍ قال وَأظُنُّ حُمَيْداً إنَّمَا سَمِعَهُ مِنْ ثَابِتٍ؛ قَالَ القَاضِي أبو الفَضْلِ[5] وَفَّقَهُ الله وَلِهٰذَا وَالله أَعْلَمُ لَمْ يُخَرِّجْ أَهْلُ الصَّحِيحِ حدِيث ثَابِتٍ وَلاَ حُمَيْدٍ وَالصَّحِيحُ حَدِيثُ عبدِ الله بن عزيزِ بنِ رفيعٍ[6] عن أنسٍ رضي الله عنه الَّذي خَرَّجَهُ أَهْلُ الصِّحَّةِ وَذَكَرْنَاهُ وَلَيْسَ فِيهِ عن أنسٍ قَوْلُ شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ إلاَّ مِنْ حِكَايَتِهِ عَنِ المُرْتَدِّ النَّصْرَانِيِّ وَلَوْ كَانَتْ صَحِيحَةً لَمَا كَانَ فِيها قَدْحٌ وَلا تَوْهِيمٌ لِلنبي ﷺ فِيما أُوحِيَ إلَيْهِ وَلاَ جَوازُ النِّسْيَانِ وَالغَلَطِ عليه وَالتَّحْرِيفِ فِيما بَلَّغَهُ وَلاَ طَعْنَ فِي نَظْمِ القُرْآنِ وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ الله إذْ

(١) أنس. أخرج القصة الإمام البخاري في الصحيح: ٣٤٦/٤.
(٢) البزار. تقدمت ترجمته.
(٣) ثابت. تقدمت ترجمته.
(٤) حميد. تقدمت ترجمته.
(٥) القاضي أبو الفضل. تقدمت ترجمته.
(٦) عبد الله بن عزيز بن رفيع. تقدمت ترجمته.

لَيسَ فِيهِ لَوْ صَحَّ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّ الكاتِبَ قال لَهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ أَوْ كَتَبَهُ فقال لَهُ النبيُّ ﷺ كَذٰلِكَ هُوَ فَسبقَهُ لِسانُهُ أَوْ قَلْبُهُ لِكَلِمَةٍ أَوْ كَلِمَتَيْنِ مِمَّا نُزِّلَ عَلى الرَّسُولِ قَبْلَ إِظْهارِ الرَّسُولِ لَها إِذْ كانَ مَا تَقَدَّمَ مِمَّا أَمْلاهُ الرَّسُولُ يَدُلُّ عليها وَيَقْتَضِي وُقُوعَهَا بِقُوَّةِ قُدْرَةِ الكاتِبِ على الكَلامِ وَمعْرِفته بِهِ وَجَوْدَةِ حِسِّهِ وَفِطْنَتِهِ كما يَتَّفِقُ ذٰلِك لِلْعارِفِ إِذَا سَمِعَ البَيْتَ أَنْ يَسْبِقَ إلى قافِيَتِهِ أَوْ مُبْتَدأ الكلامِ الحَسَنِ إلى مَا يَتِمُّ بِهِ وَلاَ يَتَّفِقُ ذٰلِكَ فِي جُمْلَةِ الكلامِ كما لاَ يَتَّفِقُ ذٰلِكَ في آيةٍ وَلا سُورَةٍ؛ وَكَذٰلِكَ قَوْلُهُ ﷺ إِنْ صَحَّ كُلٌّ صَوابٌ فَقَدْ يَكُونُ هٰذَا فِيما فِيهِ مِنْ مَقاطِعِ الآيِ وَجْهانِ وَقِراءَاتانِ أُنْزِلَتا جَمِيعاً على النَّبِيِّ ﷺ فَأَمْلَى إِحْداهُما وَتَوَصَّلَ الكاتِبُ بِفِطْنَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ بِمُقْتَضَى الكلامِ إلى الأُخْرَى فَذَكَرَها لِلنَّبِيِّ ﷺ فَصَوَّبَها لَهُ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ أَحْكَمَ الله مِنْ ذٰلِكَ مَا أَحْكَمَ وَنَسَخَ مَا نَسَخَ كما قَدْ وُجِدَ ذٰلِكَ في بَعْضِ مَقاطِيعِ الآيِ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨] وَهٰذِهِ قِراءَةُ الجَمْهُورِ وَقَدْ قَرَأَ جَماعَةٌ فَإِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ وَلَيْسَتْ مِنَ المُصْحَفِ وَكَذٰلِكَ كَلِماتٌ جاءَتْ على وَجْهَيْنِ في غَيْرِ المَقاطِعِ قَرَأَ بِهِما مَعاً الجُمْهُورُ وَثَبَتَتا فِي المُصْحَفِ مِثْلُ ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقرة:٢٥٩] وَنُنْشِرُها ـ وَيَقْضِي الحَقَّ؛ وَيَقُصُّ الحَقَّ وَكُلُّ هٰذا لاَ يُوجِبُ رَيْباً وَلاَ يُسَبِّبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ غَلَطاً وَلاَ وَهْماً وَقَدْ قِيلَ إِنَّ هٰذَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فِيمَا يَكْتُبُه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِلى النَّاسِ غَيْرَ القُرْآنِ فَيَصِفُ الله وَيُسَمِّيهِ في ذٰلِكَ كَيْفَ شاءَ.

الفصل السابع: حالته في أخبار الدنيا ﷺ

هٰذَا القَوْلُ فِيما طَرِيقُهُ البَلاغُ وَأَمّا ما لَيْسَ سَبِيلُهُ البَلاغَ مِنَ الأَخْبارِ الَّتِي لاَ مُسْتَنَدَ لَها إِلَى الأَحْكامِ وَلاَ أَخْبارِ الَّتِي لاَ مُسْتَنَدَ لَها إِلَى الأَحْكامِ وَلاَ أَخْبارِ المَعادِ وَلاَ تُضافُ إِلَى وَحْيٍ بَلْ في أُمُورِ الدُّنْيا وَأَحْوالِ نَفْسِهِ فالَّذِي يَجِبُ تَنْزِيهُ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ أَنْ يَقَعَ خَبَرُهُ في شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ بِخِلاَفِ مُخْبَرِهِ لاَ عَمْداً وَلاَ سَهْواً وَلاَ غَلَطاً وَأَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنْ ذٰلِكَ في حالِ رِضاهُ وَفي حالِ سَخَطِهِ وَجِدِّهِ وَمَزْحِهِ وَصِحَّتِهِ وَمَرَضِهِ وَدَلِيلُ ذٰلِكَ اتِّفاقُ السَّلَفِ وَإِجْماعُهُم عَلَيْهِ وَذٰلِكَ أَنَّا نَعْلَمُ مِنْ دِينِ الصَّحابَةِ وَعادَتِهِم مُبادَرَتُهُمْ إِلَى تَصْدِيقِ جَمِيعِ أَحْوالِهِ وَالثِّقَةِ بِجَمِيعِ أَخْبارِهِ في أَيِّ بابٍ كانَتْ وَعَنْ أَيِّ شَيْءٍ وَقَعَتْ وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ تَوَقُّفٌ وَلاَ تَرَدُّدٌ في شَيْءٍ مِنْها وَلاَ اسْتِثْباتٌ عَنْ حالِهِ عِنْدَ ذٰلِكَ هَلْ وَقَعَ فِيها سَهْوٌ أَمْ لاَ، وَلَمّا احْتَجَّ ابْنُ أَبي الحُقَيْقِ اليَهُودِيُّ[١] عَلى عُمَرَ[٢] حِينَ أَجْلاهُمْ مِنْ خَيْبَرَ بِإِقْرارِ رسول الله ﷺ لَهُمْ وَاحْتَجَّ عَلَيْهِ عُمَرُ رضي الله عنه بِقَوْلِهِ ﷺ:

---

(١) ابن أبي الحقيق اليهودي. وهو زوج صفية بنت حيي بن أخطب أم المؤمنين رضي الله عنها، وقد قتل زمن الرسول عليه الصلاة والسلام.

(٢) عمر تقدمت ترجمته.

«كَيفَ بِكَ إذَا أُخرِجتَ مِنَ خَيبَرَ؟»[1] فقالَ اليهُودِيُّ كَانَتْ هُزَيْلَةً مِنْ أبي الْقَاسِم فقالَ لَهُ عُمَرُ كَذَبْتَ يا عَدُوَّ الله وأيضاً فإنَّ أخْبَارَهُ وَآثارَهُ وَسِيرَهُ وَشَمَائِلَهُ مُعْتَنَى بِهَا مُسْتَقْصَى تَفَاصِيلُهَا وَلَمْ يَرِدْ في شَيْءٍ مِنْهَا اسْتِدْرَاكُهُ ﷺ لِغَلَطٍ في قَوْلٍ قالَهُ أوِ اعْتِرَافُهُ بوَهْمٍ في شَيْءٍ أخْبَرَ بِهِ وَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ لَنُقِلَ ما نُقِلَ مِنْ قِصَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ رُجُوعُهُ ﷺ عَمَّا أَشَارَ بِهِ عَلَى الأنْصَارِ في تَلْقِيحِ النَّخْلِ وَكَانَ ذٰلِكَ رَأياً لاَ خَبَراً وَغَيْرُ ذٰلِكَ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْبَابِ كَقَوْلِهِ: «**وَالله لاَ أحْلِفُ على يَمِينٍ فَأرَى غَيْرَهَا**[2] **خَيراً مِنهَا إلاَّ فَعَلْتُ الَّذِي حَلَفتُ عَلَيْهِ وَكَفَّرتُ عَنْ يَمِينِي**»؛ وَقَوْلِهِ «**إنَّكُمْ تَختَصِمُونَ إلَيَّ**[3]» ـ الْحَدِيثَ ـ وَقَوْلِهِ: «**اسْقِ يَا زُبَيرُ حَتَّى يَبْلُغَ الْمَاءُ الْجَدْرَ**» كما سَنُبَيِّنُ كُلَّ مَا فِي هٰذَا مِنْ مُشْكِلٍ مَا فِي هٰذَا الْبَابِ وَالَّذِي بَعْدَهُ إنْ شَاءَ الله مَعَ أشْبَاهِهِمَا وَأيْضاً فَإنَّ الْكَذِبَ مَتَى عُرِفَ مِنْ أحَدٍ في شَيْءٍ مِنَ الأخْبَارِ بِخِلاَفِ مَا هُوَ عَلَى أيِّ وَجْهٍ كَانَ اسْتُرِيبَ بِخَبَرِهِ واتُّهِمَ فِي حَديثه وَلَمْ يَقَعْ قَوْلُهُ في النُّفُوسِ مَوْقِعاً وَلِهٰذَا تَرَكَ المُحَدِّثُونَ وَالْعُلَمَاءُ الْحَدِيثَ عَمَّنْ عُرِفَ بِالْوَهْمِ وَالْغَفْلَةِ وَسُوءِ الْحِفْظِ وَكَثْرَةِ الْغَلَطِ مَعَ ثِقَتِهِ وَأيْضاً فَإنَّ تَعَمُّدَ الْكَذِبِ في أُمُورِ الدُّنْيَا مَعْصِيَةٌ وَالإكْثَارُ مِنْهُ كَبِيرَةٌ بِإجْمَاعٍ مُسْقِطٌ لِلْمُرُوءَةِ وَكُلُّ هٰذَا مِمَّا يُنَزَّهُ عَنْهُ مَنْصِبُ النُّبُوَّةِ وَالمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ مِنْهُ فِيمَا يُسْتَبْشَعُ وَيُسْتَشْنَعُ مِمَّا يُخِلُّ بِصَاحِبِهَا وَيُزْرِي بِقَائِلِهَا لاَحِقَةٌ بِذٰلِكَ وَأمَّا فِيما لاَ يَقَعُ هٰذَا المَوْقِعَ فَإنْ عَدَدْنَاهَا مِنَ الصَّغَائِرِ فَهَلْ تَجْرِي عَلَى حُكْمِهَا في الْخِلاَفِ فِيهَا مُخْتَلَفٌ فِيهِ وَالصَّوَابُ تَنْزِيهُ النُّبُوَّةِ عَنْ قَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ وَسَهْوِهِ وَعَمْدِهِ إذْ عُمْدَةُ النُّبُوَّةِ الْبَلاَغُ وَالإعْلاَمُ وَالتَّبْيِينُ وَتَصْدِيقُ مَا جَاءَ بِهِ النبي ﷺ وَتَجْوِيزُ شَيْءٍ مِنْ هٰذَا قَادِحٌ في ذٰلِكَ وَمُشَكِّكٌ فِيهِ مُنَاقِضٌ لِلْمُعْجِزَةِ فَلْنَقْطَعْ عَنْ يَقِينٍ بِأنَّهُ لاَ يَجُوزُ على الأنْبِيَاءِ خُلْفٌ في الْقَوْلِ في وَجْهٍ مِن الْوُجُوهِ لا بِقَصْدٍ وَلاَ بِغَيْرِ قَصْدٍ وَلاَ نَتَسَامَحُ مع مَنْ تَسَامَحَ في تَجْوِيزِ ذٰلِكَ عَلَيْهِمْ حَالَ السَّهْوِ فيما لَيْسَ طَرِيقُهُ الْبَلاَغَ، نَعَمْ وَبِأنَّهُ لاَ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الْكَذِبُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَلا الاتِّسَامُ بِهِ في أُمُورِهِمْ وَأحْوَالِ دُنْيَاهُمْ لأنَّ ذٰلِك كَانَ يُزْرِي وَيُرِيبُ بِهِمْ وَيُنَفِّرُ الْقُلُوبَ عَنْ تَصْدِيقِهِمْ بَعْدُ وَانْظُرْ أحْوَالَ عَصْرِ النبي ﷺ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهَا مِنَ الأُمَمِ وَسُؤَالِهِمْ عَنْ حَالِهِ في صِدْقِ لِسَانِهِ وَمَا عَرَفُوا بِهِ مِنْ ذٰلِكَ وَاعْتَرَفُوا بِهِ مِمَّا عُرِفَ وَاتَّفَقَ النَّقْلُ على عِصْمَةِ نَبِيِّنَا ﷺ مِنْهُ قَبْلُ وَبَعْدُ وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنَ الآثَارِ فِيهِ في الْبَابِ الثَّانِي أوَّلَ الكِتَابِ مَا يُبَيِّنُ لَكَ صِحَّةَ مَا أشَرْنَا إلَيْهِ.

---

(١) كيف بك إذا أخرجت من خيبر. . الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٣/٢٥٢. والمتقي الهندي في كنز العمال: ١١٥٠٤، والبيهقي في دلائل النبوة: ٤/٢٣٤.

(٢) والله لا أحلف على يمين. . الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٦/٢ والإمام مسلم في الصحيح: ١٢٦٩.

(٣) إنكم تختصمون إليَّ. . الحديث/ أخرجه الشيخان عن أم سلمة. تقدم تخريجه.

الفصل الثامن: رد بعض الاعتراضات

فإنْ قُلْتَ فَمَا مَعْنَى قولِهِ ﷺ في حدِيثِ السَّهْوِ[١] الَّذِي حدثنا بِهِ الفَقِيهُ أبو إسْحَاقِ إبْرَاهِيمُ ابنُ جَعْفَر حَدَّثَنَا القَاضِي أبو الأَصْبَغ بنُ سَهْل حَدَّثَنَا حاتمُ بنُ محمدٍ، حَدَّثَنَا أبو عبدِ الله بنُ الفَخَّار، حَدَّثَنَا أبو عِيسى، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ الله، نا يَحْيَى عَنْ مَالِكٍ، عَنْ دَاوُدَ بنِ الحُصَيْنِ، عن أبي سُفْيَانَ[٢] مَوْلَى ابنِ أبي[٣] أحْمَدَ أنهُ قال: سَمِعْتُ أبا هُرَيْرَةَ[٤] رَضِيَ الله عَنْهُ يَقُولُ صلَّى رسول الله ﷺ صَلاَةَ العَصْرِ فَسَلَّمَ في رَكْعَتَيْنِ فَقَامَ ذُو اليَدَيْنِ[٥] فَقَالَ يا رَسُولَ الله **«أقَصُرَتِ الصَّلاَةُ أمْ نَسِيتَ؟»**[٦] فقال رسولُ الله ﷺ: **«كُلُّ ذٰلِكَ لَمْ يَكُنْ»** وفي الرِّوَايَةِ الأُخْرَى ما قَصُرَتِ الصَّلاَةُ وَمَا نَسِيتُ - الحديثَ بِقِصَّتِهِ - فأخْبَرَ بِنَفْيِ الحالَتَيْنِ وَأنَّهَا لَمْ تَكُنْ وَقَدْ كانَ أحَدُ ذٰلِكَ كما قالَ ذُو اليَدَيْنِ قَدْ كانَ بَعْضُ ذٰلِكَ يا رسولَ الله: فاعْلَمْ وَفَّقَنَا الله وَإيَّاكَ أنَّ لِلْعُلَماءِ في ذٰلِكَ أجْوِبَةً بَعْضُهَا بِصَدَدِ الإنْصَافِ وَمِنْهَا ما هُوَ بِنِيَّةِ التَّعَسُّفِ والاعْتِسَافِ وَهَا أنا أقُولُ أمَّا على القَوْلِ بِتَجْوِيزِ الْوَهْمِ وَالغَلَطِ مِمَّا لَيْسَ طَرِيقُهُ مِنَ القَوْلِ البَلاَغُ وَهُوَ الَّذِي زَيَّفْنَاهُ مِنَ القَوْلَيْنِ فَلاَ اعْتِرَاضَ بِهٰذَا الحديثِ وَشِبْهِهِ وَأمَّا على مَذْهَبِ مَنْ يَمْنَعُ السَّهْوَ وَالنِّسْيَانَ في أفْعَالِهِ جُمْلَةً وَيَرَى أنهُ في مِثْلِ هٰذَا عَامِدٌ لِصُورَةِ النِّسْيَانِ لِيَسُنَّ فَهُوَ صَادِقٌ في خَبَرِهِ لأنَّهُ لَمْ يَنْسَ ولا قَصُرَتْ وَلٰكِنَّهُ على هٰذَا القَوْلِ تَعَمَّدَ هٰذَا الفِعْلَ في هٰذِهِ الصُّورَةِ لِيَسُنَّهُ لِمَنِ اعْتَرَاهُ مِثْلُهُ وَهُوَ قَوْلٌ مَرْغُوبٌ عَنْهُ نَذْكُرُهُ في مَوْضِعِهِ وأمَّا على إحَالَةِ السَّهْوِ عليهِ في الأقْوَالِ وَتَجْوِيزِ السَّهْوِ عليهِ فيما لَيْسَ طَرِيقُهُ القَوْلَ كما سَنَذْكُرُهُ فَفِيهِ أجْوِبَةٌ مِنْهَا أنَّ النبي ﷺ أخْبَرَ عَنِ اعْتِقَادِهِ وَضَمِيرِهِ أمَّا إنْكَارُ القَصْرِ فَحَقٌّ وَصِدْقٌ بَاطِناً وَظَاهِراً وَأمَّا النِّسْيَانُ فأخْبَرَ ﷺ عن اعْتِقَادِهِ وأنَّهُ لَمْ يَنْسَ في ظَنِّهِ فَكَأنهُ قَصَدَ الخَبَرَ بِهٰذَا عَنْ ظَنِّهِ وَإنْ لَمْ يَنْطِقْ بِهِ وَهٰذَا صِدْقٌ أيْضاً وَوَجْهٌ ثَانٍ أنَّ قَوْلَهُ وَلَمْ أنْسَ رَاجِعٌ إلى السَّلاَمِ أيْ أنِّي سَلَّمْتُ قَصْداً وَسَهَوْتُ عَنِ العَدَدِ أيْ لَم أسْهُ في نَفْسِ السَّلاَمِ وَهٰذَا مُحْتَمِلٌ وَفِيهِ بُعْدٌ وَوَجْهٌ ثَالِثٌ وَهُوَ أبْعَدُهَا ما ذَهَبَ إلَيْهِ بَعْضُهُمْ وَإن احْتَمَلَهُ اللَّفْظُ مِنْ قَوْله كُلُّ ذٰلِكَ لَمْ يَكُنْ أيْ لَمْ يَجتمع القَصْرُ وَالنِّسْيَانُ بَلْ كانَ أحَدُهُمَا وَمَفْهُومُ اللَّفْظِ خِلاَفُهُ مَعَ الرِّوَايَةِ الأُخْرَى الصَّحِيحَةِ وَهُوَ قَوْلُهُ مَا قَصُرَتِ الصَّلاَةُ وَمَا نَسِيتُ؛ هٰذَا مَا رَأيْتُ فِيهِ لأئمَّتنَا وَكُلٌّ مِنْ هٰذِهِ الْوُجُوهِ مُحْتَمِلٌ

---

(١) أخرج حديث السهو الإمام البخاري في الصحيح: ١/ ١٢٣، ١٧٣ والإمام مسلم في الصحيح؛ ٤/ ٢٥١.

(٢) أبو سفيان. تقدمت ترجمته.

(٣) [. . . .] ص ١٣٧ ساقطة من نسخة دمشق.

(٤) أبو هريرة. تقدمت ترجمته.

(٥) ذو اليدين، صلى مع النبي ﷺ حيث سها، ويقال له كذلك. ذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي ترجمته في الثقات ٣/ ١٢٠. والطبقات ٣/ ١٦٧ والإصابة ١/ ٤٨٩.

(٦) أقصرت الصلاة أم نسيت؟. . الحديث/ أخرجه أبو داود في السنن: ١٠١٥.

لِلَّفْظِ على بُعْد بَعْضِهَا وَتَعَسُّفِ الآخَرِ مِنْها؛ قال القاضِي أبو الفَضْلِ وَفَّقَهُ الله وَالَّذي أَقُولُ وَيَظْهَرُ لي أنهُ أَقْرَبُ مِنْ هٰذِهِ الْوُجُوه كُلِّهَا أَنْ قولَهُ لَمْ أَنسَ إنكارٌ لِلَّفظِ الذِي نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ وَأنْكَرَهُ على غَيْرِهِ بِقَوْلِهِ: «**بِئْسَمَا لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَقولَ نَسِيتُ آيَةَ كَذَا وَكَذَا وَلٰكِنَّهُ نُسِّيَ**»[١] وَبِقَوْلِهِ في بَعْضِ رِوَايات الحديثِ الآخَرِ «**لَسْتُ أَنْسَى وَلٰكِنْ أُنَسَّ**»[٢] فَلَمَّا قال لَهُ السَّائِلُ أَقَصُرَتِ الصَّلاةُ أَمْ نَسِيتَ أنْكَرَ قَصْرَهَا كما كانَ وَنِسْيَانَهُ هُوَ مِنْ قِبَلِ نَفْسه وَأنه إنْ كانَ جَرَى شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ فَقَدْ نُسِّيَ حَتَّى سَأَلَ غَيْرَهُ فَتَحَقَّقَ أنَّهُ نُسِّيَ وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ ذٰلِكَ لِيَسُنَّ فَقَوْلُهُ على هٰذَا لَمْ أَنسَ وَلَمْ تُقْصَرْ وَكُلُّ ذٰلِكَ لَمْ يَكُنْ صِدْقٌ وَحَقٌّ لَمْ تُقْصَرْ وَلَمْ يَنْسَ حَقِيقَةً وَلٰكِنَّهُ نُسِّيَ.

وَوَجْهٌ آخَرُ اسْتَثَرْتُهُ مِنْ كَلامِ بَعْضِ المَشَايِخِ وَذٰلِكَ أَنَّهُ قال إنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يَسْهُو وَلاَ يَنْسَى وَلِذٰلِكَ نَفَى عَنْ نَفْسِهِ النِّسْيَانَ قال لأنَّ النِّسْيَانَ غَفْلَةٌ وَآفَةٌ وَالسَّهْوُ إنَّمَا هُوَ شُغْلٌ. قال فَكَانَ النبيُّ ﷺ يَسْهُو في صَلاَتِهِ ولا يَغْفُلُ عَنْهَا وَكَانَ يَشْغَلُهُ عَنْ حَرَكات الصَّلاَة ما في الصَّلاَة شُغْلاً بِهَا لا غَفْلَةً عَنْهَا فَهٰذَا إنْ تَحَقَّقَ على هٰذَا المَعْنَى لَمْ يَكُنْ في قَوْلِهِ «**مَا قَصُرَتْ وَمَا نَسِيتُ**»[٣] خُلْفٌ في قَوْلٍ وَعِنْدِي أَنَّ قولَهُ: «**ما قَصُرَتِ الصَّلاةُ وَمَا نَسِيتُ**» بِمَعْنَى التَّرْكِ الَّذِي هُوَ أَحَدُ وَجْهَي النِّسْيَانِ أَرَادَ وَالله أعْلَمُ أَنِّي لَمْ أُسَلِّمْ مِنْ رَكْعَتَيْنِ تَارِكاً لإكمالِ الصَّلاَةِ وَلٰكِنِّي نَسِيتُ وَلَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي وَالدَّلِيلُ على ذٰلِكَ قولُهُ ﷺ في الحديثِ الصَّحِيح: «**إِنِّي لأَنْسَى أَوْ أُنَسَّى؛ لِأَسُنَّ**». وأَمَّا قِصَّةُ كَلِمَاتِ إبْرَاهِيمَ المَذْكُورَةِ أَنَّهَا كَذِبَاتُهُ الثَّلاَثُ المَنْصُوصَةُ في القُرْآنِ مِنْهَا اثْنَتَانِ قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] ـ ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] وَقَوْلُهُ لِلْمَلِكِ عَنْ زَوْجَتِهِ: إِنَّهَا أُخْتِي: فاعْلَمْ أَكْرَمَكَ الله أَنَّ هٰذه كُلَّهَا خَارِجَةٌ عَنِ الكَذِبِ لا في القَصْدِ ولا في غَيْرِهِ وَهِيَ دَاخِلَةٌ في بابِ المعارِيضِ الَّتِي فيها مَنْدُوحَةٌ عَنِ الكَذِبِ أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] فقالَ الحَسَنُ[٤] وَغَيْرُهُ مَعْنَاه: سَأَسْقَمُ أَيْ: أَنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ مُعَرَّضٌ لِذٰلِكَ فاعْتَذَرَ لِقَوْمِهِ مِنَ الخُرُوجِ مَعَهُمْ إلى عِيدِهِمْ بِهٰذَا وَقِيلَ بَلْ سَقِيمٌ بما قُدِّرَ عَلَيَّ مِنَ المَوْتِ وَقِيلَ سَقِيمُ القَلْبِ بما أُشَاهِدُهُ مِنْ كُفْرِكُمْ وَعِنَادِكُمْ وَقِيلَ بَلْ كَانَت الحُمَّى تَأْخُذُهُ عِنْدَ طُلُوعِ نَجْم

---

(١) بئسما لأحدكم أن يقول نسيت آية كذا وكذا. . الحديث/ أخرجه الإمام البخاري ٦/ ٢٣٨، والنسائي في السنن كتاب الافتتاح: (٣٦) والترمذي في السنن: ٢٩٤٢ والتبريزي في مشكاة المصابيح: ٢١٨٨ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: ٥/ ٤٥٣. وأبو حاتم الرازي في علل الحديث: ١٦٩٧.

(٢) لست أنسى ولكن أنس. . الحديث/ تقدم تخريجه.

(٣) ما قصرت الصلاة وما نسيت. . الحديث/ أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ٢/ ٣٥٩. ٣٦٧. والطبراني في المعجم الكبير: ٤/ ٢٧٦، وابن خزيمة في صحيحه: ١٠٣٤ والزيلعي في نصب الراية: ٢/ ٦٨، وابن عبد البر في التمهيد ١/ ٣٦٧. والعقيلي في الضعفاء ٤/ ٢٥١، والإمام مالك في الموطأ: ٩٤.

(٤) الحسن. تقدمت ترجمته.

مَعْلُوم فَلَمَّا رَآهُ اعْتَذَرَ بِعَادَتِهِ وَكُلُّ هٰذَا لَيْسَ فِيهِ كِذْبٌ بَلْ خَبَرٌ صَحِيحٌ صِدْقٌ وَقِيلَ: بَلْ عَرَّضَ بِسقَم حُجَّتِهِ عَلَيْهِمْ وَضَعْفِ مَا أَرَادَ بَيَانَهُ لَهُمْ مِنْ جِهَةِ النُّجُومِ التي كانُوا يَشْتغلُونَ بِهَا وَأَنَّهُ أَثْنَاء نَظَرِهِ فِي ذٰلِكَ وَقَبْلَ اسْتِقَامَةِ حُجَّتِهِ عَلَيْهِمْ في حَال سَقَم وَمَرَض مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَشُكَّ هُوَ وَلاَ ضَعُفَ إِيمَانُهُ وَلٰكِنَّهُ ضَعُفَ في اسْتِدْلاَلِهِ عَلَيْهِمْ وَسَقِمَ نَظَرُهُ كما يُقَالُ حُجَّةٌ سَقِيمَةٌ وَنَظَرٌ مَعْلُولٌ حَتَّى أَلْهَمَهُ الله بِاسْتِدْلاَلِهِ وَصِحَّةِ حُجَّته عَلَيْهِمْ بِالكَوَاكِبِ وَالشَّمْسِ وَالقَمَرِ مَا نَصَّهُ الله تَعَالَى وَقَدَّمْنَا بَيَانَهُ وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:٦٣] الآية فَإِنَّهُ عَلَّقَ خَبَرَهُ بِشَرْطِ نُطْقِهِ كَأَنَّهُ قَالَ إِنْ كَانَ يَنْطِقُ فَهُوَ فِعْلُهُ عَلَى طَرِيقِ التَّبْكِيتِ لِقَوْمِهِ وَهٰذَا صِدْقٌ أَيْضاً وَلاَ خُلْفَ فِيهِ؛ وَأَمَّا قَوْلُهُ أُخْتِي فَقَدْ بَيَّنَ فِي الْحَدِيثِ وَقَالَ: فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الإِسْلاَمِ وَهُوَ صِدْقٌ وَالله تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠] فإِنْ قُلْت: فَهٰذَا النَّبِيُّ ﷺ قَدْ سَمَّاهَا كَذِبَاتٍ وَقَالَ: «**لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ إِلاَّ ثَلاَثَ كَذِبَاتٍ**» وقالَ في حَدِيثِ «**الشَّفَاعَةِ**»[1] وَيَذْكُرُ كَذِبَاتِهِ فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِكَلاَمٍ صُورَتُهُ صُورَةُ الْكَذِبِ وَإِنْ كَانَ حَقّاً في البَاطِنِ إِلاَّ هٰذِهِ الكَلِمَاتِ وَلَمَّا كَانَ مَفْهُومُ ظَاهِرِهَا خِلاَفَ بَاطِنِهَا أَشْفَقَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِمُؤَاخَذَتِهِ بِهَا وَأَمَّا الْحَدِيثُ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادَ غَزْوَةً وَرَّى بِغَيْرِهَا فَلَيْسَ فِيهِ خُلْفٌ في القَوْلِ إِنَّمَا هُوَ سَتْرُ مَقْصِدِهِ لِئَلاَّ يَأْخُذَ عَدُوُّهُ حِذْرَهُ وَكَتَمَ وَجْهَ ذَهَابِهِ بِذِكْرِ السُّؤَالِ عَنْ مَوْضِعِ آخَرَ والْبَحْثِ عَنْ أَخْبَارِهِ وَالتَّعْرِيضِ بِذِكْرِهِ لاَ أَنَّهُ يَقُولُ تَجَهَّزُوا إِلَى غَزْوَةِ كَذَا أَوْ وِجْهَتُنَا إِلَى مَوْضِع كَذَا خِلاَفَ مَقْصِدِهِ فَهٰذَا لَمْ يَكُنْ وَالأَوَّلُ لَيْسَ فِيهِ خَبَرٌ يَدْخُلُهُ الْخُلْفُ. فإِنْ قُلْتَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَقَدْ سُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فقالَ أَنَا أَعْلَمُ فَعَتَبَ الله عَلَيْهِ ذٰلِكَ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ ـ الْحَدِيثَ ـ وَفِيهِ: «**قالَ بَلْ عَبْدٌ لَنَا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ أَعْلَمُ مِنْكَ**» وَهٰذَا خَبَرٌ قَدْ أَنْبَأَ الله أَنَّهُ لَيْسَ كَذٰلِكَ فاعْلَمْ أَنَّهُ وَقَعَ في هٰذَا الْحَدِيثِ مِنْ بَعْضِ طُرُقِهِ الصَّحِيحَةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[2] هَلْ تَعْلَمُ أَحداً أَعْلَمَ مِنْكَ؟ فإِذَا كَانَ جَوَابُهُ عَلَى عِلْمِهِ فَهُوَ خَبَرٌ حَقٌّ وَصِدْقٌ لاَ خُلْفَ فِيهِ وَلاَ شُبْهَةَ؛ وَعَلَى الطَّرِيقِ الآخَرِ فَمَحْمَلُهُ عَلَى ظَنِّهِ وَمُعْتَقَدِهِ كما لَوْ صَرَّحَ بِهِ لأَنَّ حَالَهُ في النُّبُوَّةِ والاصْطِفَاءِ يَقْضِي ذٰلِكَ فَيَكُونَ إِخْبَارُهُ بِذٰلِكَ أَيْضاً عَنِ اعْتِقَادِهِ وَحُسْبَانِهِ صِدْقاً لاَ خُلْفَ فِيهِ وَقَدْ يُرِيدُ بِقَوْلِهِ أنا أَعْلَمُ بِمَا يَقْتَضِيهِ وَظَائِفُ النُّبُوَّةِ مِنْ عُلُومِ التَّوْحِيدِ وَأُمُورِ الشَّرِيعَةِ وَسِيَاسَةِ الأُمَّةِ وَيَكُونُ الخَضِرُ أَعْلَمَ مِنْهُ بِأُمُورٍ أُخَرَ مِمَّا لاَ يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلاَّ بِإِعْلاَمِ الله مِنْ عُلُوم غَيْبِهِ كَالقَصَصِ المَذْكُورَةِ في خَبَرِهِمَا فَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَعْلَمَ عَلَى الْجُمْلَةِ بِمَا تَقَدَّمَ وَهٰذَا أَعْلَمُ عَلَى الْخُصُوصِ بِمَا أُعْلِمَ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥] وَعَتْبُ الله ذٰلِكَ عَلَيْهِ فِيمَا قَالَهُ الْعُلَمَاءُ إِنْكَارُ هٰذَا الْقَوْلِ عَلَيْهِ لأَنَّهُ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ كما قَالَتِ المَلاَئِكَةُ لاَ

---

(١) حديث الشافعة. تقدم تخريجه.

(٢) ابن عباس. تقدمت ترجمته.

عِلم لَنَا إلاَّ مَا عَلَّمْتَنا أوْ لِأنَّهُ لَمْ يَرْضَ قَوْلَهُ شَرْعاً وَذٰلِكَ وَاللهُ أعْلَمُ لِئَلاَّ يَقْتَدِي بِهِ فِيهِ مَنْ لَمْ يَبْلُغْ كمالَهُ في تَزْكِيَةِ نَفْسِهِ وَعُلُوِّ دَرَجتهِ مِنْ أُمَّتِهِ فَيَهْلِكَ لمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ مَدْحِ الإنْسَانِ نَفْسَهُ وَيُورِثُهُ ذٰلِكَ مِنَ الْكِبْرِ وَالعُجْبِ والتَّعَاطِي والدَّعْوَى وَإنْ نُزِّهَ عَنْ هٰذِهِ الرَّذَائِلِ الأَنْبِيَاءُ فَغَيْرُهُمْ بِمَدْرَجَةِ سَبِيلِهَا وَدَرَكِ لَيْلِهَا إلاَّ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ فالتَّحَفُّظُ مِنْهَا أوْلَى لِنَفْسِهِ وَلِيُقْتَدَى بِهِ، وَلِهٰذَا قال ﷺ تَحَفُّظاً مِنْ مِثْلِ هٰذَا مِمَّا قَدْ عُلِمَ بِهِ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلا فَخْرَ**»[١] وَهٰذَا الْحَدِيثُ إحْدَى حُجَجِ الْقَائِلِينَ بِنُبُوَّةِ الخَضِرِ لقولِهِ فِيهِ أنا أعْلَمُ مِنْ مُوسَى ولا يَكُونُ الْوَلِيُّ أعْلَمَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَمَّا الأَنْبِيَاءُ فَيَتَفَاضَلُونَ في المَعَارِفِ وَبِقَوْلِهِ وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أمْرِي؛ فَدَلَّ أنهُ بِوَحْيٍ، وَمَنْ قَالَ إنَّهُ لَيْسَ بِنَبِيٍّ قال يَحْتَمِلُ أنْ يَكُونَ فَعَلَهُ بِأمْرِ نَبِيٍّ آخَرَ، وَهٰذَا يَضْعُفُ لأنَّهُ ما عَلِمْنَا أنَّهُ كانَ فِي زَمَنِ مُوسَى نَبِيٌّ غَيْرُهُ إلاَّ أخَاهُ هارُونَ وما نَقَلَ أحَدٌ مِنْ أهْلِ الأَخْبَارِ فِي ذٰلِكَ شَيْئاً يُعَوَّلُ عَلَيْهِ؛ وَإذا جَعَلْنَا أعْلَمَ مِنْكَ لَيْسَ على العُمُومِ وَإنَّما هُوَ على الْخُصُوصِ وَفِي قَضَايا مُعَيَّنَةٍ لَمْ يَحْتَجْ إلى إثْبَاتِ نُبُوَّةِ خَضِرٍ، وَلِهٰذَا قالَ بَعْضُ الشُّيُوخِ كانَ مُوسَى أعْلَمَ مِنَ الخَضِرِ فِيما أخَذَ عَنِ اللهِ وَالخَضِرُ أعْلَمَ فِيما دُفِعَ إلَيْهِ مِنْ مُوسَى، وقال آخَرُ إنَّمَا أُلْجِيءَ مُوسَى إلى الخَضِرِ لِلتَّأْدِيبِ لا لِلتَّعْلِيمِ.

الفصل التاسع: عصمة الأنبياء في الأعمال

وَأَمَّا ما يَتَعَلَّقُ بِالجَوَارِحِ مِنَ الأَعْمَالِ وَلاَ يَخْرُجُ مِنْ جُمْلَتِهَا القَوْلُ بِاللِّسَانِ فِيما عَدَا الْخَبَرَ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ الْكَلامُ وَلاَ الاعْتِقَادُ بِالْقَلْبِ فِيما عَدَا التَّوْحِيدَ وَمَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ مَعَارِفِهِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ فَأجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عِصْمَةِ الأنبِيَاءِ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَالْكَبَائِرِ الْمُوبِقَاتِ وَمُسْتَنَدُ الْجُمْهُورِ فِي ذٰلِكَ الإجْمَاعُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَهُوَ مَذْهَبُ الْقَاضِي أبِي بَكْرٍ وَمَنَعَهَا غَيْرُهُ بِدَلِيلِ الْعَقْلِ مَعَ الإجْماعِ وَهُوَ قَوْلُ الكَافَّةِ، وَاخْتَارَهُ الأُسْتَاذُ أبو إسْحَاقَ[٢] وَكَذٰلِكَ لاَ خِلاَفَ أنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مِنْ كِتْمَانِ الرِّسَالَةِ وَالتَّقْصِيرِ فِي التَّبْلِيغِ، لِأنَّ كُلَّ ذٰلِكَ يَقْتَضِي الْعِصْمَةَ مِنْهُ الْمُعْجِزَةُ مَعَ الإجْماعِ عَلَى ذٰلِكَ مِنَ الْكَافَّةِ، وَالْجُمْهُورُ قَائِلٌ بِأنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مِنْ ذٰلِكَ مِنْ قِبَلِ اللهِ مُعْتَصِمُونَ بِاخْتِيَارِهِمْ وَكَسْبِهِمْ إلاَّ حُسَيْناً النَّجَّارَ فَإنَّهُ قالَ لاَ قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي أصْلاً، وَأَمَّا الصَّغَائِرُ فَجَوَّزَهَا جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ وَغَيْرِهِمْ عَلَى الأَنْبِيَاءِ وَهُوَ مَذْهَبُ أبِي جَعْفَرَ الطَّبَرِيِّ[٣] وَغَيْرِهِ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْمُتَكَلِّمِينَ، وَسَنُورِدُ بَعْدَ هٰذَا مَا احْتَجُّوا بِهِ، وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى إلَى الْوَقْفِ وَقَالُوا الْعَقْلُ لاَ

---

(١) أنا سيد ولد آدم ولا فخر. الحديث/ أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/ ٦٠٤. والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٧/ ٥٧٢. والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣٢٠٤٠، ٣٣٦٨٢، والخطابي في إصلاح خطأ المحدثين: ٢٩.

(٢) أبو إسحاق. تقدمت ترجمته.

(٣) أبو جعفر. تقدمت ترجمته.

يُحِيلُ وُقُوعَها مِنهُمْ وَلَمْ يَأْتِ في الشَّرْعِ قاطِعٌ بِأَحَدِ الوَجْهَيْنِ، وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى مِنَ المُحَقِّقِينَ مِنَ الفُقَهاءِ وَالمُتَكَلِّمِينَ إِلَى عِصْمَتِهِمْ مِنَ الصَّغَائِرِ كَعِصْمَتِهِمْ مِنَ الكَبَائِرِ، قالُوا: لاخْتِلافِ النَّاسِ في الصَّغائِرِ وَتَعْيِينِها مِنَ الكَبائِرِ؛ وَإِشْكالِ ذٰلِكَ وَقَوْلِ ابنِ عَبَّاسٍ[(١)] وَغَيْرِهِ إِنَّ كُلَّ ما عُصِيَ الله بِهِ فَهُوَ كَبِيرَةٌ وَأَنَّهُ إِنَّمَا سُمِّيَ مِنْهَا الصَّغِيرُ بالإِضافَةِ إِلَى ما هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ وَمُخالَفَةُ البَارِي في أَيِّ أَمْرٍ كانَ يَجِبُ كَوْنُهُ كَبِيرَةً؛ قالَ القاضِي أبو محمدٍ عبدُ الوَهَّابِ[(٢)] لا يُمْكِنُ أَنْ يُقالَ إِنَّ في مَعاصِي الله صَغِيرَةً إلاّ على مَعْنَى أَنَّها تُغْتَفَرُ باجْتِنابِ الكَبائِرِ ولاَ يَكُونُ لَهَا حُكْمٌ مَعَ ذٰلِكَ بِخِلافِ الكَبائِرِ إذا لَمْ يُتَبْ منها فلاَ يُحْبِطُها شَيْءٌ وَالمَشِيئَةُ في العَفْوِ عَنْها إِلى الله تَعالَى وَهُوَ قَوْلُ القاضِي أبي بكرٍ[(٣)] وَجَماعَةِ أئمَّةِ الأَشْعَرِيَّةِ وَكَثِيرٍ مِنْ أَئمَّةِ الفُقَهاءِ، وقال بَعْضُ أَئِمَّتِنا: ولا يَجِبُ على القَوْلَيْنِ أَنْ يَخْتَلِفَ أَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ عَنْ تَكْرارِ الصَّغائِرِ وَكَثْرَتِها إِذْ يُلْحِقُها ذلك بالكَبائِرِ ولا في صَغِيرَةٍ أَدَّتْ إلى إِزالَةِ الحِشْمَةِ وأَسْقَطَتِ المُروءةَ وأَوْجَبَتِ الإِزْراءَ وَالخَساسَةَ، فَهٰذا أيضاً مِمَّا يُعْصَمُ عَنْهُ الأَنْبِياءُ إِجْماعاً، لِأَنَّ مِثْلَ هٰذا يَحُطُّ مَنْصِبَ المُتَّسِمِ بِهِ وَيُزْرِي بِصاحِبِهِ وَيُنَفِّرُ القُلُوبَ عَنْهُ وَالأَنْبِياءُ مُنَزَّهُونَ عَنْ ذٰلِكَ، بَلْ يَلْحَقُ بِهٰذا ما كانَ مِنْ قَبِيلِ المُباحِ فَأَدَّى إِلى مِثْلِهِ لِخُرُوجِهِ بِمَا أَدَّى إِلَيْهِ عَنِ اسْمِ المُباحِ إلى الحَظْرِ، وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلى عِصْمَتِهِمْ مِنْ مُواقَعَةِ المَكْرُوهِ قَصْداً، وَقَدِ اسْتَدَلَّ بَعْضُ الأَئِمَّةِ على عِصْمَتِهِم مِنَ الصَّغائِرِ بالمَصِيرِ إِلى امْتِثالِ أَفْعالِهِمْ واتِّباعِ آثارِهِمْ وسِيَرِهِمْ مُطْلَقاً، وَجُمْهُورُ الفُقَهاءِ على ذٰلِكَ مِنْ أَصْحابِ مالِكٍ[(٤)] وَالشَّافِعِيِّ[(٥)] وأبي حَنِيفَةَ[(٦)] مِنْ غَيْرِ الْتِزامِ قَرِينَةٍ بَلْ مُطْلَقاً عِنْدَ بَعْضِهِمْ وَإِنِ اخْتَلَفُوا في حُكْمِ ذٰلِكَ، وَحَكَى ابنُ خُوَيْزَ مِنْدَادَ[(٧)] وأبو الفَرَجِ[(٨)] عن مالِكٍ الْتِزامَ ذٰلِكَ وُجُوباً وَهُوَ قَوْلُ الأَبْهَرِيِّ[(٩)] وابنِ القَصَّارِ[(١٠)] وأَكْثَرِ أَصْحابِنا وَقَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ العِراقِ وَابنِ سُرَيْجٍ[(١١)] والإِصْطَخْرِيِّ[(١٢)] وابنِ خَيْران[(١٣)] مِنَ الشَّافِعِيَّةِ وَأَكْثَرِ الشَّافِعِيَّةِ على أَنَّ ذٰلِكَ نَدْبٌ، وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إلى الإِباحَةِ. وَقَيَّدَ بَعْضُهُمُ الاتِّباعَ فِيما كانَ مِنَ الأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَعُلِمَ بِهِ مَقْصِدُ القُرْبَةِ وَمَنْ قالَ بالإِباحَةِ في أَفْعالِهِ لَمْ يُقَيِّدْ قال فَلَوْ جَوَّزْنا عليهِمُ الصَّغائر لَمْ يُمْكِنِ الاقْتِداءُ بِهِمْ في أَفْعالِهِمْ، إِذْ لَيْسَ كُلُّ فِعْلٍ مِنْ أَفْعالِ يَتَمَيَّزُ مَقْصِدُ بِهِ مِنَ القُرْبَةِ أو الإِباحَةِ أَوِ الحَظْرِ أَوِ المَعْصِيَةِ، وَلاَ يَصِحُّ أَنْ يُؤْمَرَ المَرءُ بِامْتِثالِ أَمْرٍ لَعَلَّهُ مَعْصِيَةٌ لا سِيَّمَا على مَنْ يَرَى مِنَ الأُصُولِيِّينَ تَقْدِيمَ الفِعْلِ على القَوْلِ إذا تَعارَضَا، نَزِيدُ هٰذا حُجَّةً بِأَنْ نَقُولَ مَنْ جَوَّزَ الصَّغائر وَمَنْ نَفاها عَنْ

---

(١) ابن عباس. تقدمت ترجمته.

(٢) القاضي أبو محمد عبد الوهاب. تقدمت ترجمته.

(٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) تقدمت ترجمتهم.

(١٣) ابن خيران. تقدمت ترجمته.

نَبِيِّنا ﷺ مُجْمِعُونَ على أنَّهُ لا يُقِرُّ على مُنْكَرٍ مِنْ قَوْلٍ أوْ فِعْلٍ وأنَّهُ مَتى رأى شَيْئاً فَسَكَتَ عَنْهُ ﷺ دَلَّ على جَوازِهِ فَكَيْفَ يَكُونُ هٰذَا حالُهُ في حَقِّ غَيْرِهِ ثُمَّ يَجُوزُ وُقُوعُهُ مِنْهُ في نَفْسِهِ وَعلى هٰذَا المَأْخَذِ تَجِبُ عِصْمَتُهُ مِنْ مُوَاقَعَةِ المَكْرُوهِ كَمَا قِيلَ وَإِذِ الحَظْرُ أو النَّدْبُ على الاقْتِدَاءِ بِفِعْلِهِ يُنَافِي الزَّجْرَ وَالنَّهْيَ عَنْ فِعْلِ المَكْرُوهِ؛ وَأيْضاً فَقَدْ عُلِمَ مِنْ دِينِ الصَّحَابَةِ قَطْعاً الاقْتِدَاءُ بِأفْعَالِ النبيِّ ﷺ كَيْفَ تَوَجَّهَتْ وَفي كُلِّ فَنٍّ كالاقْتِدَاءِ بِأقْوَالِهِ فَقَدْ نَبَذُوا خَوَاتِيمَهُمْ حِينَ نَبَذَ خَاتَمَهُ، وَخَلَعُوا نِعَالَهُمْ حِينَ خَلَعَ وَاحْتِجَاجُهُمْ بِرُؤْيَةِ ابنِ عُمَرَ إيَّاهُ جَالِساً لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ مُسْتَقْبِلاً بَيْتَ المَقْدِسِ وَاحْتَجَّ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْهُمْ في غَيْرِ شَيْءٍ مِمَّا بَابُهُ العِبَادَةُ أوِ العَادَةُ بِقَوْلِهِ رَأيْتُ رسولَ الله ﷺ يَفْعَلُهُ وقال: «هَلاَّ خَبَّرْتِيهَا أنِّي أُقَبِّلُ وَأنا صَائِمٌ»[1] وَقَالَتْ عائِشَةُ[2] مُحْتَجَّةً: «كُنْتُ أفْعَلُهُ أنا ورسولُ الله ﷺ[3]» وَغَضِبَ رَسُولُ الله ﷺ على الذي أُخْبِرَ بِمِثْلِ هٰذَا عَنْهُ فَقَالَ: «يُحِلُّ الله لِرَسُولِهِ مَا يَشَاءُ» وَقَالَ: «إنِّي لأخْشَاكُمْ لله وَأعْلَمُكُمْ بِحُدُودِهِ»[4] والآثَارُ في هٰذَا أعْظَمُ مِنْ أنْ نُحِيطَ بِهَا لٰكِنَّهُ يُعْلَمُ مِنْ مَجْمُوعِهَا عَلَى القَطْعِ اتِّبَاعُهُمْ أفْعَالَهُ وَاقْتِدَاؤُهُمْ بِهَا وَلَوْ جَوَّزُوا عَلَيْهِ المُخَالَفَةَ في شَيْءٍ مِنْهَا لَمَا اتَّسَقَ هٰذَا وَلَيُقِلَ عَنْهُمْ وَظَهَرَ بَحْثُهُمْ عَنْ ذٰلِكَ وَلَمَّا أنْكَرَ ﷺ عَلَى الآخَرِ قَوْلَهُ وَاعْتِذَارُهُ بِمَا ذَكَرْنَاهُ، وَأمَّا المُبَاحَاتُ فَجَائِزٌ وُقُوعُهَا مِنْهُمْ إذْ لَيْسَ فِيهَا قَدْحٌ بَلْ هِيَ مَأْذُونٌ فِيهَا وَأيْدِيهِمْ كَأيْدِي غَيْرِهِمْ مُسَلَّمَةٌ عَلَيْهَا إلاَّ أنَّهُمْ بِمَا خُصُّوا بِهِ مِنْ رَفِيعِ المَنْزِلَةِ وَشُرِحَتْ لَهُمْ صُدُورُهُمْ مِنْ أنْوَارِ المَعْرِفَةِ وَاصْطُفُوا بِهِ مِنْ تَعَلُّقِ بَالِهِمْ بالله وَالدَّارِ الآخِرَةِ لاَ يَأْخُذُونَ مِنَ المُبَاحَاتِ إلاَّ الضَّرُورَاتِ مِمَّا يَتَقَوَّوْنَ بِهِ عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِهِمْ وَصَلاَحِ دِينِهِمْ وَضَرُورَةِ دُنْيَاهُمْ وَمَا أُخِذَ عَلَى هٰذِهِ السَّبِيلِ الْتَحَقَ طَاعَةً وَصَارَ قُرْبَةً كَمَا بَيَّنَّا مِنْهُ أوَّلَ الكِتَابِ طَرَفاً فِي خِصَالِ نَبِيِّنَا ﷺ؛ فَبَانَ لَكَ عَظِيمُ فَضْلِ الله على نَبِيِّنَا وَعَلَى سَائِرِ أنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ بِأنْ جَعَلَ أفْعَالَهُمْ قُرُبَاتٍ وَطَاعَاتٍ بَعِيدَةً عَنْ وَجْهِ المُخَالَفَةِ وَرَسْمِ المَعْصِيَةِ.

الفصل العاشر: عصمة الأنبياء من المعاصي

وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي عِصْمَتِهِمْ مِنَ المَعَاصِي قَبْلَ النُّبُوَّةِ فَمَنَعَهَا قَوْمٌ وَجَوَّزَهَا آخَرُونَ وَالصَّحِيحُ إنْ شَاءَ الله تَنْزِيهُهُمْ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَعِصْمَتُهُمْ مِنْ كُلِّ مَا يُوجِبُ الرَّيْبَ فَكَيْفَ وَالمَسْأَلَةُ تَصَوُّرُهَا كَالمُمْتَنِعِ فَإنَّ المَعَاصِيَ وَالنَّوَاهِيَ إنَّمَا تَكُونُ بَعْدَ تَقَرُّرِ الشَّرْعِ وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي حَالِ نَبِيِّنَا ﷺ قَبْلَ أنْ يُوحَى إلَيْهِ هَلْ كَانَ مُتَّبِعاً لِشَرْعٍ قَبْلَهُ أمْ لاَ؟ فَقَالَ جَمَاعَةٌ لَمْ يَكُنْ مُتَّبِعاً لِشَيْءٍ

---

(١) هلا خبرتيها أني أقبل وأنا صائم.. الحديث/ أخرجه الإمام مالك في الموطأ: ١/ ٢٩١.

(٢) عائشة. تقدمت ترجمتها.

(٣) كنت أفعله أنا ورسول الله ﷺ.. الحديث/ أخرجه الإمام مالك في الموطأ ١/ ٢٩١.

(٤) إني لأخشاكم لله وأعلمكم بحدوده.. الحديث/ أخرجه الإمام مالك في الموطأ ١/ ٢٩١.

وَهَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ فالْمَعَاصِي عَلَى هٰذَا الْقَوْلِ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ وَلاَ مُعْتَبَرَةٍ في حَقِّهِ حِينَئِذٍ إِذِ الأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ إِنَّمَا تَتَعَلَّقُ بِالأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَتَقَرُّرِ الشَّرِيعَةِ ثُمَّ اخْتَلَفَتْ حُجَجُ الْقَائِلِينَ بِهٰذِهِ الْمَقَالَةِ عَلَيْهَا فَذَهَبَ سَيْفُ السُّنَّةِ وَمُقْتَدَى فِرَقِ الأُمَّةِ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ[1] إِلى أَنَّ طَرِيقَ الْعِلْمِ بِذٰلِكَ النَّقْلُ وَمَوَارِدُ الْخَبَرِ مِنْ طَرِيقِ السَّمْعِ وَحُجَّتُهُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ ذٰلِكَ لَنُقِلَ وَلَمَا أَمْكَنَ كَتْمُهُ وَسَتْرُهُ في الْعَادَةِ إِذْ كَانَ مِنْ مُهِمِّ أَمْرِهِ وَأَوْلَى مَا اهْتُبِلَ به مِنْ سِيرَتِهِ وَلَفَخَر بِهِ أَهْلُ تِلْكَ الشَّرِيعَةِ وَلاَحْتَجُّوا بِهِ عَلَيْهِ وَلَمْ يُؤْثَرْ شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ جُمْلَةً، وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إلى امْتِنَاعِ ذٰلِكَ عَقْلاً قالُوا: لأَنَّهُ يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ مَتْبُوعاً مَنْ عُرِفَ تابعاً، وَبَنَوْا هٰذَا عَلَى التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ[2] وَهِيَ طَرِيقَةٌ غَيْرُ سَدِيدَةٍ وَاسْتِنَادُ ذٰلِكَ إِلَى النَّقْلِ كَمَا تَقَدَّمَ لِلْقَاضِي أَبي بَكْرٍ أَوْلَى وَأَظْهَرُ، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى بِالْوَقْفِ في أَمْرِهِ ﷺ وَتَرْكِ قَطْعِ الْحُكْمِ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ في ذٰلِكَ إِذْ لَمْ يُحِلِ الْوَجْهَيْنِ مِنْهَا الْعَقْلُ وَلاَ اسْتَبَانَ عِنْدَهَا في أَحَدِهِمَا طَرِيقُ النَّقْلِ وَهُوَ مَذْهَبُ أَبي الْمَعَالِي[3]، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ ثَالِثَةٌ إِنَّهُ كَانَ عَامِلاً بِشَرْعِ مَنْ قَبْلَهُ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا هَلْ يَتَعَيَّنُ ذٰلِكَ الشَّرْعُ أَمْ لاَ فَوَقَفَ بَعْضُهُمْ عَنْ تَعْيِينِهِ وَأَحْجَمَ وَجَسَرَ بَعْضُهُمْ عَلى التَّعْيِينِ وَصَمَّمَ، ثُمَّ اخْتَلَفَتْ هذِهِ الْمُعَيِّنَةُ فِيمَنْ كانَ يَتَّبِعُ فَقِيلَ نُوحٌ وَقِيلَ إِبْرَاهِيمُ وَقِيلَ مُوسٰى وَقِيلَ عِيسٰى صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمْ، فَهٰذِهِ جُمْلَةُ الْمَذَاهِبِ في هٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَالأَظْهَرُ فِيهَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ القاضِي أَبُو بَكْرٍ وَأَبْعَدُهَا مَذَاهِبُ الْمُعَيِّنِينَ إِذْ لَوْ كانَ شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ لَنُقِلَ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَلَمْ يَخْفَ جُمْلَةً وَلاَ حُجَّةَ لَهُمْ فِي أَنْ عيسٰى آخِرُ الأَنْبِيَاءِ فَلَزِمَتْ شَرِيعَتُهُ مَنْ جَاء بَعْدَهَا إِذْ لَمْ يَثْبُتْ عُمُومُ دَعْوة عِيسٰى بَلِ الصَّحِيحُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِنَبِيّ دَعْوَةٌ عَامَّةٌ إلاَّ لِنَبِيِّنَا ﷺ، وَلاَ حُجَّةَ أَيْضاً لِلآخَرِ في قَوْلِهِ: ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل:١٢٣] وَلاَ لِلآخَرِينَ في قولِهِ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشورى:١٣] فَمَحْمَلُ هٰذِهِ الآيَة على اتِّبَاعِهِمْ في التَّوْحِيدِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام:٩٠] وَقَدْ سَمَّى الله تَعَالَى فيهِمْ مَنْ لَمْ يُبْعَثْ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ شَرِيعَةٌ تَخُصُّهُ كَيُوسُفَ بن يَعْقُوبَ على قَوْلِ مَنْ يَقُولُ إِنَّهُ لَيْسَ بِرَسُولٍ وَقَدْ سَمَّى الله تَعَالَى جَمَاعَةً مِنْهُمْ في هٰذِه الآيَة شَرَائِعُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ لا يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَهَا، فَدَلَّ أَنَّ الْمُرَادَ مَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَعِبَادَة الله تَعَالَى وَبَعْدَ هٰذَا فَهَلْ يَلْزَمُ مَنْ قال بِمَنْعِ الاتِّبَاعِ هٰذَا الْقَوْلُ في سَائِرِ الأَنْبِياء غَيْرِ نَبِيِّنا ﷺ أو يُخَالِفُونَ بَيْنَهُمْ أَمَّا مَنْ مَنَعَ الاتِّبَاعَ عَقْلاً فَيَطَّرِدُ أَصْلُهُ في كُلِّ رسول بلا مِرْيَةٍ وَأَمَّا مَنْ مالَ إلى النَّقْل فَأَيْنَمَا تُصُوِّرَ لَهُ وَتَقَرَّرَ

---

(١) القاضي أبو بكر. تقدمت ترجمته.

(٢) وبنوا هذا على التحسين والتقبيح يراجع هذا في شرح القاري: ٢/١٧٠.

(٣) أبو المعالي: هو عبد الملك الجويني الملقب بإمام الحرمين شيخ الإمام الغزالي ت ٥٠٥ هـ. تقدمت ترجمته.

اتَّبعَهُ، وَمَنْ قال بالوَقْفِ فَعَلَى أصْلِهِ، وَمَنْ قَالَ بِوُجُوبِ الاتِّبَاعِ لِمَنْ قَبْلَهُ يَلْتَزِمُهُ بِمَسَاقِ حُجَّتِهِ فِي كُلِّ نَبِيٍّ.

الفصل الحادي عشر: حكم السهو والنسيان في الأفعال

هٰذَا حُكْم ما تَكُونُ المُخَالَفَةُ فِيهِ مِنَ الأعْمَالِ عَنْ قَصْدٍ وَهُوَ مَا يُسَمَّى مَعْصِيَةً وَيَدْخُلُ تَحْتَ التَّكْلِيفِ؛ وَأَمَّا ما يَكُونُ بِغَيْرِ قَصْدٍ وَتَعَمُّدٍ كالسَّهْوِ وَالنِّسْيَانِ في الوَظَائِفِ الشَّرْعِيَّةِ مِمَّا تَقَرَّرَ الشَّرْعُ بِعَدَمِ تَعَلُّقِ الخِطَابِ بِهِ وَتَرْكِ المُؤَاخَذَةِ عَلَيْهِ فأَحْوَالُ الأنْبِيَاءِ في تَرْكِ المُؤَاخَذَةِ بِهِ وَكَونه لَيْسَ بِمَعْصِيَةٍ لَهُمْ مَعَ أُمَمِهِمْ سَوَاءٌ ثُمَّ ذٰلِكَ على نَوْعَيْنِ ما طَرِيقُهُ البَلاَغُ وَتَقْرِيرُ الشَّرْعِ وَتَعَلُّقُ الأَحْكَامِ وَتَعْلِيمُ الأُمَّةِ بالفعْلِ وَأَخْذُهُمْ باتِّبَاعِهِ فيه وَمَا هُوَ خَارِجٌ عَنْ هٰذَا مِمَّا يَخْتَصُّ بِنَفْسِهِ، أَمَّا الأَوَّلُ فَحُكْمُهُ عِنْدَ جَمَاعَةٍ مِنَ العُلَمَاءِ حُكْمُ السَّهْوِ في القَوْلِ في هٰذَا البَابِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا الاتِّفَاقَ على امْتِنَاعِ ذٰلِكَ فِي حَقِّ النبيِّ ﷺ وَعِصْمَتِهِ مِنْ جَوَازِهِ عليه قَصْداً أَوْ سَهْواً؛ فَكَذٰلِكَ قَالُوا الأَفْعَالُ في هٰذَا البَابِ لا يَجُوزُ طُرُوُّ المُخَالَفَة فيهَا لا عَمْداً وَلاَ سَهْواً لِأَنَّهَا بِمَعْنَى القَوْلِ مِنْ جِهَةِ التَّبْلِيغِ وَالأَدَاءِ وَطُرُوُّ هٰذِهِ العَوَارِضِ عَلَيْهَا يُوجِبُ التَّشْكِيكَ وَيُسَبِّبُ المَطَاعِنَ، وَاعْتَذَرُوا عَنْ أَحَادِيثِ السَّهْوِ بِتَوْجِيهَاتٍ نَذْكُرُها بَعْدَ هٰذَا وَإلى هٰذَا مَالَ أبو إسْحَاق[1]، وَذَهَبَ الأَكْثَرُ مِنَ الفُقَهَاءِ وَالمُتَكَلِّمِينَ إلى أَنَّ المُخَالَفَةَ في الأَفْعَالِ البَلاَغِيَّةِ وَالأَحْكَام الشَّرْعِيَّةِ سَهْواً وَعَنْ غَيْرِ قَصْدٍ مِنْهُ جَائِزٌ عليه كما تَقَرَّرَ مِنْ أَحَادِيثِ السَّهْوِ في الصَّلاةِ وَفَرَّقُوا بَيْنَ ذٰلِكَ وَبَيْنَ الأَقْوَالِ البَلاَغِيَّةِ لِقِيَامِ المُعْجِزَةِ على الصِّدْق في القَوْلِ وَمُخَالَفَةُ ذٰلِكَ تُنَاقِضُهَا وَأَمَّا السَّهْوُ في الأَفْعَالِ فَغَيْرُ مُنَاقِص لَهَا وَلا قَادِحٍ في النُّبُوَّةِ بَلْ غَلَطَاتُ الفعْلِ وَغَفَلاتُ القَلْبِ مِنْ سِمَات البَشَرِ كما قال ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَنْسَى كما تَنْسَوْنَ فإذَا نسيتُ فَذَكِّرُونِي»[2] نَعَمْ بلْ حَالَةُ النِّسْيَانِ وَالسَّهْو هُنَا في حَقِّهِ ﷺ سَبَبُ إفادَةِ عِلْمٍ وَتَقْرِيرِ شَرْعٍ كما قال ﷺ: «إِنِّي لأَنْسَى أَوْ أُنَسَّى لأَسُنَّ»[3] بَلْ قَدْ رُوِيَ «لَسْتُ أَنْسَى وَلٰكِنْ أُنَسَّى لِأَسُنَّ» وَهٰذِهِ الحالَةُ زِيَادَةٌ لَهُ في التَّبْلِيغِ وَتَمَامٌ عليهِ في النِّعْمَةِ بَعِيدَةٌ عَنْ سِمَاتِ النَّقْصِ وَأَغْرَاضِ الطَّعْنِ فإنَّ القائِلِينَ بِتَجْوِيزِ ذٰلِكَ يَشْتَرِطُونَ أن الرُّسُلَ لا تُقَرُّ على السَّهْوِ وَالغَلَطِ بَلْ يُنَبَّهُونَ عليهِ وَيَعْرِفُونَ حُكْمَهُ بالفَوْرِ على قَوْلِ بَعْضِهِمْ وَهُوَ الصَّحِيحُ وَقَبْلَ انقِرَاضِهِمْ على قَوْلِ الآخَرِينَ وَأَمَّا ما لَيْسَ طَرِيقُهُ البَلاَغَ ولا بَيَانَ الأَحْكَامِ مِنْ أَفْعَالِهِ ﷺ وَمَا يَخْتَصُّ بِهِ مِن

---

(١) أبو إسحاق الإسفرايني إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحافظ الإمام المشهور توفي سنة ٤١٨ هـ.

(٢) إنما أنا بشر أنسى كما تنسون.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١/ ٥٠٣ كتاب الصلاة (٨) باب التوجه نحو القبلة حيث كان (٣١) الحديث.

(٣) لست أنسى ولكن أنسى لأسَنّ... الحديث/ أخرجه الإمام مسلم في الصحيح: ١٠٠، ٤٠٠، ٤٠٣.

أُمُور دِينِهِ وَأَذْكَارِ قَلْبِهِ مِمَّا لَمْ يَفْعَلْهُ لِيُتَّبَعَ فِيهِ فَالأَكْثَرُ مِنْ طَبَقَاتِ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ عَلَى جَوَازِ السَّهْوِ وَالْغَلَطِ عَلَيْهِ فِيهَا وَلُحُوقِ الْفَتَرَاتِ وَالْغَفَلاَتِ بِقَلْبِهِ وَذٰلِكَ بِمَا كُلِّفَهُ مِنْ مُقَاسَاةِ الْخَلْقِ وَسِيَاسَات الأُمَّةِ وَمُعَانَاةِ الأَهْلِ وَمُلاحَظَةِ الأَعْدَاءِ وَلٰكِنْ لَيْسَ عَلَى سَبِيلِ التَّكْرَارِ وَلاَ الاتِّصَالِ بَلْ عَلَى سَبِيلِ النُّدُور كما قالَ ﷺ: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي فَأَسْتَغْفِرُ اللهَ**»[١] وَلَيْسَ فِي هٰذَا شَيْءٌ يَحُطُّ مِنْ رُتْبَتِهِ وَيُنَاقِضُ مُعْجِزَتَهُ وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى مَنْعِ السَّهْوِ وَالنِّسْيَانِ وَالْغَفَلاَتِ وَالْفَتَرَاتِ فِي حَقِّهِ ﷺ جُمْلَةً وَهُوَ مَذْهَبُ جَمَاعَةِ الْمُتَصَوِّفَةِ وَأَصْحَابِ عِلْمِ الْقُلُوب وَالْمَقَامَاتِ وَلَهُمْ فِي هٰذِهِ الأَحَادِيثِ مَذَاهِبُ نَذْكُرُهَا بَعْدَ هٰذَا إِنْ شَاءَ اللهُ.

الفصل الثاني عشر: في الكلام على الأحاديث المذكور فيها السهو منه ﷺ

وَقَدْ قَدَّمْنَا في الْفُصُولِ قَبْلَ هٰذَا مَا يَجُوزُ فِيهِ عَلَيْهِ السَّهْوُ ﷺ وَمَا يَمْتَنِعُ وَأَحَلْنَاهُ فِي الأَخْبَارِ جُمْلَةً، وفِي الأَقْوَالِ الدِّينِيَّةِ قَطْعاً؛ وَأَجَزْنَا وُقُوعَهُ فِي الأَفْعَالِ الدِّينِيَّةِ عَلَى الْوَجْه الَّذِي رَتَّبْنَاهُ وَأَشَرْنَا إِلَى مَا وَرَدَ فِي ذٰلِكَ وَنَحْنُ نَبْسُطُ الْقَوْلَ فِيهِ الصَّحِيحُ مِنَ الأَحَادِيثِ الْوَارِدَة فِي سَهْوِهِ ﷺ فِي الصَّلاَةِ ثَلاَثَةَ أحادِيثَ: أَوَّلُهَا حَديثُ ذِي الْيَدَيْنِ[٢] فِي السَّلاَمِ مِنَ اثْنَتَيْنِ؛ الثَّانِي حَدِيثُ ابنِ بُحَيْنَةَ[٣] فِي الْقِيَامِ مِنَ اثْنَتَيْنِ؛ الثَّالِثُ حديثُ ابنِ مَسْعُودٍ[٤] رضي الله عنه «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الظُّهر خَمْساً**»[٥]، وَهٰذِهِ الأَحَادِيثُ مَبْنِيَّةٌ على السَّهْوِ في الْفِعْلِ الذي قَرَّرْنَاهُ؛ وَحِكْمَةُ اللهِ فِيهِ لِيُسْتَنَّ بِهِ إِذِ الْبَلاَغُ بِالْفِعْلِ أَجْلَى مِنْهُ بالقَوْلِ وَأَرْفَعُ لِلاحْتِمَالِ وَشَرْطُهُ أَنَّهُ لاَ يُقَرُّ عَلَى السَّهْوِ بَلْ يُشْعرُ بِهِ لِيَرْتَفِعَ الالْتِبَاسُ وَتَظْهَرَ فَائِدَةُ الْحِكْمَة كما قَدَّمْنَاهُ وَأَنَّ النِّسْيَانَ وَالسَّهْوَ فِي الْفِعْلِ فِي حَقِّهِ ﷺ غَيْرُ مُضَادٍ لِلْمُعْجِزَةِ وَلاَ قَادِحٍ فِي التَّصْدِيقِ، وَقَدْ قال ﷺ: «**إِنَّمَا أَنا بَشَرٌ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي**»[٦] وقَالَ: «**رَحِمَ اللهُ فُلاَناً لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذا آيَةً كُنْتُ أَسْقَطْتُهُنَّ - وَيُرْوَى - أُنْسِيتُهُنَّ**»[٧]

---

(١) إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله.. الحديث/ تقدم تخريجه. (٢) ذو اليدين. تقدمت ترجمته.

(٣) ابن بجينة: هو عبد الله بن بجينة وينسب إلى أمه، واسم أبيه مالك وأخرج حديثه الإمام البخاري في الصحيح: ١/ ٨١، والإمام مسلم في الصحيح: رقم: ٣٩٩.

(٤) ابن مسعود. تقدمت ترجمته.

(٥) إن النبي ﷺ صلى الظهر خمساً.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ١/ ٥٠٣ - ٥٠٤ كتاب الصلاة (٨) باب التوجه نحو القبلة حيث كان (٣١) الحديث: ٤٠١. والإمام مسلم في الصحيح: ١/ ٤٠٠ كتاب المساجد (٥) باب السهو في الصلاة والسجود له (١٩) الحديث: ٨٩/ ٥٧٢.

(٦) إنما أنا بشر.. الحديث/ تقدم تخريجه.

(٧) رحم الله فلاناً.. الحديث/ أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤/ ٤٩٣ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٢٧٩٣ - والعراقي في المغني عن حمل الأسفار: ١/ ٢٨٠. والإمام البخاري في الصحيح: ٦/ ٢٣٩. ومسلم في الصحيح: ٥٤٣.

وقالَ ﷺ: «إنّي لأَنْسَى أَوْ أُنَسَّى لأَسُنَّ» قِيلَ هٰذَا اللَّفْظُ شَكٌّ مِنَ الرَّاوِي وَقَدْ رُوِيَ «إنّي لاَ أَنْسَى وَلٰكِنْ أُنَسَّى لأَسُنَّ» وَذَهَبَ ابْنُ نافِعٍ[١] وعِيسَى بْنُ دِينارٍ[٢] أَنَّهُ لَيْسَ بِشَكٍّ وَأن مَعْنَاهُ التَّقْسِيمُ أيْ: أَنْسَى أنا أوْ يُنْسِينِي الله؛ قَالَ القاضي أبو الْوَلِيدِ الْبَاجِي[٣] يَحْتَمِلُ مَا قالاَهُ أَنْ يُرِيدَ أنّي أَنْسَى في الْيَقْظَةِ وَأُنَسَّى في النَّوْمِ أوْ أَنْسَى عَلَى سَبِيلِ عادَةِ الْبَشَرِ مِنَ الذُّهُولِ عَنِ الشَّيْءِ وَالسَّهْوِ أو أُنَسَّى مَعَ إقْبالِي عَلَيْهِ وَتفرُّغي لَهُ فَأضَافَ أَحَدَ النِّسْيانَيْنِ إلَى نَفْسِهِ إذْ كَانَ لَهُ بَعْضُ السَّبَبِ فِيهِ وَنَفَى الآخَرَ عَنْ نَفْسِهِ إذْ هُوَ فِيهِ كَالمُضْطَرِّ؛ وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِ المَعَانِي وَالكَلاَمِ على الحَدِيثِ إلى أنَّ النبي ﷺ كَانَ يَسْهُو في الصَّلاَةِ وَلاَ يَنْسَى لأنَّ النِّسْيَانَ ذُهُولٌ وَغَفْلَةٌ وَآفَةٌ قال والنَّبيُّ ﷺ مُنَزَّهٌ عَنْهَا وَالسَّهْوُ شُغْلٌ فَكَانَ ﷺ يَسْهُو في صَلاَتِهِ وَيُشْغِلُهُ عَنْ حَرَكَاتِ الصَّلاَةِ مَا فِي الصَّلاَةِ شُغْلاً بِهَا لا غَفْلَةَ عَنْهَا وَاحتجَّ بِقَوْلِهِ في الرِّوَايَةِ الأُخْرَى إنِّي لا أَنْسَى[٤]: وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إلى مَنْع هٰذَا كُلِّه عَنْهُ وَقَالُوا: إنّ سَهْوَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَانَ عَمْداً وَقَصْداً لِيَسُنَّ وَهٰذَا قَوْلٌ مَرْغُوبٌ عَنْهُ مُتَنَاقِضُ المَقَاصِدِ لا يُحْلَى مِنْهُ بِطَائِلٍ لأَنَّهُ كَيْفَ يَكُونُ مُتَعَمِّداً سَاهِياً في حَالٍ وَلاَ حُجَّةَ لَهُمْ في قَوْلِهِمْ إنَّهُ أُمِرَ بِتَعَمُّدِ صُورَةِ النِّسْيَانِ لِيَسُنَّ لِقَوْلِهِ: «إنّي لأَنْسَى أَوْ أُنَسَّى» وَقَدْ أَثْبَتَ أَحَدَ الْوَصْفَيْنِ وَنَفى مُنَاقَضَةَ التَّعَمُّدِ وَالقَصْدِ وَقَالَ: «إنَّما أنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ» وَقَدْ مَالَ إلى هٰذَا عَظِيمٌ مِنَ المُحَقِّقِينَ مِنْ أَئِمَّتِنَا وَهُوَ أبو المُظَفَّرِ الاسْفِرَائِي[٥] وَلَمْ يَرْتَضِهِ غَيْرُهُ مِنْهُمْ وَلاَ أَرْتَضِيهِ وَلا حُجَّة لِهَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ في قَوْلِهِ: «إنّي لا أَنْسَى وَلٰكِنْ أُنَسَّى»[٦] إذْ لَيْسَ فِيهِ نَفْيُ حُكْمِ النِّسْيَانِ بِالْجُمْلَةِ وَإنَّما فِيهِ نَفْيُ لَفْظِهِ وَكَرَاهَةُ لَقَبِهِ كَقَوْلِهِ: «بِئْسَما لأحدِكُمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَذَا وَلٰكِنْ نُسِّيَ»[٧] أوْ نَفْيُ الغَفْلَةِ وَقِلَّةِ الاهْتِمَام بِأَمْرِ الصَّلاَةِ عَنْ قَلْبِهِ لٰكِنْ شُغِلَ بِهَا عَنْهَا وَنَسِيَ بَعْضَهَا بِبَعْضِهَا كما تَرَكَ الصَّلاَةَ يَوْمَ الخَنْدَقِ حَتَّى خَرَجَ وَقْتُهَا وَشُغِلَ بالتَّحَرُّزِ مِنَ العَدُوِّ عَنْهَا فَشُغِلَ بِطَاعَةٍ عَنْ طَاعَةٍ وَقِيلَ إنَّ الَّذِي تُرِكَ يَوْمَ الخَنْدَقِ أَرْبَعُ صَلَوَاتٍ: الظُّهْرُ، وَالعَصْرُ، والمَغْرِبُ. وَالعِشَاءُ؛ وَبِهِ احتجَّ مَنْ ذَهَبَ إلى جَوَازِ تَأْخِيرِ الصَّلاَةِ في الْخَوْفِ إذَا لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ أَدَائِهَا إلى وَقْتِ الأَمْنِ وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّامِيِّينَ وَالصَّحِيحُ أَنَّ حُكْمَ صَلاة الْخَوْفِ كانَ بَعْدَ هٰذَا فَهُوَ نَاسِخٌ لَهُ. فإنْ قُلْتَ فَمَا تَقُولُ في نَوْمِهِ ﷺ عَنِ الصَّلاة يَوْمَ الْوَادِي وَقَدْ قالَ: «إنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَان

---

(١) ابن رافع. تقدمت ترجمته.

(٢) عيسى بن دينار. تقدمت ترجمته.

(٣) القاضي أبو الوليد الباجي. تقدمت ترجمته.

(٤) إني لا أنسى.. الحديث/ أخرجه الإمام مالك في الموطأ: ١/ ١٠٠.

(٥) أبو المظفر الإسفرايني. تقدمت ترجمته.

(٦) إني لا أنسى ولكن أنسى.. الحديث/ تقدم تخريجه.

(٧) بئسما لأحدكم أن يقول.. الحديث/ تقدم تخريجه.

وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي»[١]: فاعْلَمْ أنَّ لِلْعُلَماءِ عَنْ ذٰلِكَ أَجْوِبَةً مِنْهَا أنَّ الْمُرَادَ بأنَّ هٰذَا حُكْمُ قَلْبِهِ عِنْدَ نَوْمِهِ وَعَيْنَيْهِ في غالِبِ الأَوْقَاتِ وَقَدْ يَنْدُرُ مِنْهُ غَيْرُ ذٰلِكَ كما يَنْدُرُ مِنْ غَيْرِهِ خِلافُ عَادَتِهِ وَيُصَحِّحُ هٰذَا التَّأْوِيلَ قَوْلُهُ ﷺ في الحديثِ نَفْسِهِ: **«إنَّ الله قَبَضَ أَرْوَاحَنا»**[٢] وَقَوْلُ بِلاَلٍ فِيهِ: مَا أُلْقِيَتْ عَلَيَّ نَوْمَةٌ مِثْلُهَا قَطُّ: وَلٰكِنْ مِثْلُ هٰذَا إنَّمَا يَكُونُ مِنْهُ لأَمْرٍ يُرِيدُهُ الله مِنْ إثْبَاتِ حُكْمٍ وَتَأْسِيسِ سُنَّةٍ وَإظْهَارِ شَرْعٍ، وكما قال في الحديثِ الآخَرِ: **«لَوْ شَاءَ الله لأَيْقَظَنَا وَلٰكِنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ لِمَنْ بَعْدَكُمْ»**[٣]، الثَّانِي أنَّ قَلْبَهُ لا يَسْتَغْرِقُهُ النَّوْمُ حَتَّى يَكُونَ مِنْهُ الحَدَثُ فِيهِ لِمَا رُوِيَ أنَّهُ كانَ مَحْرُوساً وَأنَّهُ كانَ يَنَامُ حَتَّى يَنْفُخَ وَحَتَّى يُسْمَعَ غَطِيطُهُ ثُمَّ يُصَلِّي وَلاَ يَتَوَضَّأُ وَحَدِيثُ ابنِ عَبَّاسٍ[٤] المَذْكُورُ فِيهِ وُضُوءُهُ عِنْدَ قِيامه مِنَ النَّوْمِ فِيهِ نَوْمُهُ مَعَ أَهْله فَلاَ يُمْكِنُ الاحْتِجَاجُ بِهِ على وُضُوئِهِ بِمُجَرَّدِ النَّوْمِ إذْ لَعَلَّ ذٰلِكَ لِمُلاَمَسَةِ الأَهْلِ أَوْ لِحَدَث آخر فَكَيْفَ وفي آخِرِ الحديثِ نَفْسِهِ ثُمَّ نَامَ حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلاةُ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ وَقِيلَ لا يَنَامُ قَلْبُهُ مِنْ أَجْلِ أنَّهُ يُوحَى إلَيْه في النَّوْمِ وَلَيْسَ في قِصَّةِ الْوَادِي إلاَّ نَوْمُ عَيْنَيْهِ عَنْ رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَلَيْسَ هٰذَا مِنْ فِعْلِ القَلْبِ وَقَدْ قال ﷺ: **«إنَّ الله قَبَضَ أَرْوَاحَنَا وَلَوْ شَاءَ لَرَدَّهَا إلَيْنَا في حينٍ غَيْرِ هٰذَا»**[٥]. فإنْ قِيلَ فَلَوْلاَ عَادَتُهُ مِنَ اسْتِغْرَاقِ النَّوْم لما قال لِبِلال[٦] اكْلأْ لَنَا الصُّبْحَ؛ فَقِيلَ في الجَوَاب إنَّهُ كانَ مِنْ شَأنه ﷺ التَّغْلِيسُ بالصُّبْحِ وَمُرَاعاةُ أوَّل الفَجْرِ لا تَصِحُّ مِمَّنْ نامَتْ عَيْنُهُ إذْ هُوَ ظَاهِرٌ يُدْرَكُ بالجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ فَوَكَّلَ بلالاً بمُرَاعاة أوَّلِهِ لِيُعْلِمَهُ بِذٰلِكَ كما لَوْ شُغلَ بِشُغْلٍ غَيْر النَّوْم عَنْ مُراعاتِهِ. فإنْ قِيلَ فَمَا مَعْنَى نَهْيِهِ ﷺ عن القَوْل نَسِيتُ وَقَدْ قال ﷺ: **«إنِّي أَنْسَى كما تَنْسَوْنَ فإذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُوني»** وَقَالَ: **«لَقَدْ أذْكَرَني كَذَا وَكَذَا آيَةً كُنْتُ أُنسِيتُهَا»**[٧] فاعْلَمْ أكْرَمَكَ الله أنَّهُ لاَ

---

(١) إن عيني تنامان ولا ينام قلبي. . الحديث/ أخرجه الإمام مسلم في الصحيح: ٥٠٩.

وأخرج حديث السهو: الإمام البخاري في الصحيح: ٣/١٦ في التهجد باب كيف صلاة النبي ﷺ، ومسلم في الصحيح: ٧٣٦، ٧٣٧ في صلاة المسافرين باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ، ومالك في الموطأ ١/١٢٥ ـ ١٢٦ في صلاة المسافرين باب صلاة النبي ﷺ في الوتر، وأبو داود في السنن: ١٣٣٤، ١٣٤٠، والترمذي في السنن ٤٣٩، ٥٥٤، في الصلاة باب ما جاء في وصف صلاة النبي ﷺ والنسائي في السنن ١/٢١٠، في قيام الليل باب وقت الوتر وباب كيف الوتر بواحد. .

(٢) إن الله قبض أرواحنا. . الحديث/ أخرجه الإمام القرطبي في تفسيره: ١٥/٢٦٢ وابن عبد البر في الاستذكار: ١/١٠٨، ١١٨.

(٣) لو شاء الله لأيقظنا ولكن أراد. . الحديث/ أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات: ١٤٣. وابن عبد البر في التمهيد: ٦/٣٩٢.

(٤) ابن عباس. تقدمت ترجمته.

(٥) إن الله قبض أرواحنا. . الحديث/ تقدم تخريجه.

(٦) بلال. تقدمت ترجمته.

(٧) إني أنسى. . الحديث/ تقدم تخريجه.

تَعارُضَ في هٰذِهِ الألْفَاظِ؛ أَمَّا نَهْيُهُ عَنْ أَنْ يُقَالَ نَسِيتُ آيَةَ كَذَا فَمَحْمُولٌ عَلَى مَا نُسِخَ نَقْلُهُ مِنَ الْقُرْآنِ أَيْ أَنَّ الْغَفْلَةَ فِي هٰذَا لَمْ تَكُنْ مِنْهُ وَلٰكِنِ اللهُ تَعَالَى اضْطَرَّهُ إِلَيْهَا لِيَمْحُوَ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتَ وَمَا كَانَ مِنْ سَهْوٍ أَوْ غَفْلَةٍ مِنْ قِبَلِهِ تَذَكَّرَهَا صَلُحَ أَنْ يُقَالَ فِيهِ أَنْسَى وَقَدْ قِيلَ إِنَّ هٰذَا مِنْهُ ﷺ على طَرِيقِ الاسْتِحْبَابِ أَنْ يُضِيفَ الْفِعْلَ إِلَى خَالِقِهِ وَالآخَرَ عَلى طَرِيقِ الْجَوَازِ لاكْتِسَابِ الْعَبْدِ فِيهِ وَإِسْقَاطُهُ ﷺ لِمَا أَسْقَطَ مِنْ هٰذِهِ الآيَاتِ جَائِزٌ عَلَيْهِ بَعْدَ بَلاغِ مَا أُمِرَ بِبَلاغِهِ وَتَوصِيله إِلَى عِبَادِهِ ثُمَّ يَسْتَذْكِرُهَا مِنْ أُمَّتِهِ أَوْ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ إِلاَّ مَا قَضَى اللهُ نَسْخَهُ وَمَحْوَهُ مِنَ الْقُلُوبِ وَتَرْكَ اسْتِذْكَارِهِ؛ وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَنْسَى النَّبِيُّ ﷺ مَا هٰذَا سَبِيلُهُ كَرَّةً وَيَجُوزُ أَنْ يُنَسَّيَهُ مِنْهُ قَبْلَ الْبَلاغِ مَا لاَ يُغَيِّرُ نَظْماً وَلاَ يُخَلِّطُ حُكْماً مِمَّا لاَ يُدْخِلُ خَلَلاً فِي الْخَبَرِ ثُمَّ يُذَكِّرُهُ إِيَّاهُ وَيَسْتَحِيلُ دَوَامُ نِسْيَانِهِ لَهُ لِحِفْظِ اللهِ كِتَابَهُ وَتَكْلِيفِهِ بَلاغَهُ.

الفصل الثالث عشر: في الردّ على من أجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك

اعْلَمْ أَنَّ الْمُجَوِّزِينَ لِلصَّغَائِرِ على الأَنْبِيَاءِ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ وَمَنْ شَايَعَهُمْ عَلَى ذٰلِكَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ احْتَجُّوا عَلَى ذٰلِكَ بِظَوَاهِرَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ إِنِ الْتَزَمُوا ظَوَاهِرَهَا أَفْضَتْ بِهِمْ إِلَى تَجْوِيزِ الْكَبَائِرِ وَخَرْقِ الإِجْمَاعِ وَمَا لاَ يَقُولُ بِهِ مُسْلِمٌ فَكَيْفَ وَكُلُّ مَا احْتَجُّوا بِهِ مِمَّا اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَاهُ وَتَقَابَلَتْ الاحْتِمَالاَتُ فِي مُقْتَضَاهُ وَجَاءَتْ أَقَاوِيلُ فِيهَا لِلسَّلَفِ بِخِلاَفِ مَا الْتَزَمُوهُ مِنْ ذٰلِكَ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ مَذْهَبُهُمْ إِجْمَاعاً وَكَانَ الْخِلاَفُ فِيمَا احْتَجُّوا بِهِ قَدِيماً وَقَامَتِ الدَّلاَلَةُ عَلَى خَطَإِ قَوْلِهِمْ وَصِحَّةِ غَيْرِهِ وَجَبَ تَرْكُهُ وَالْمَصِيرُ إِلَى مَا صَحَّ وَهَا نَحْنُ نَأْخُذُ فِي النَّظَرِ فِيهَا إِنْ شَاءَ اللهُ؛ فَمِنْ ذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى لِنَبِيِّنَا ﷺ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢]؛ وقولُهُ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩] وقولُهُ: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح:٢ - ٣] وَقَوْلُهُ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٣] وَقَوْلُهُ ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٨] وقولُهُ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عبس:١ - ٢] الآيَة وَمَا قَصَّ مِنْ قِصَصِ غَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه:١٢١] وقولِهِ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] الآيَةَ وقولِهِ عَنْهُ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف:٢٣] الآيةَ وقولِهِ عَنْ يُونُسَ ﴿سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧] وَمَا ذَكَرَهُ مِنْ قِصَّةِ دَاوُدَ، وقَوْلِهِ ﴿مَـَٔابٍ﴾ [ص:٢٤] إلى قَوْلِهِ ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص:٢٥] وقولِهِ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف:٢٤] وَمَا قَصَّ مِنْ قِصَّتِهِ مَعَ إِخْوَتِهِ، وقولِهِ عَنْ مُوسَى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ﴾ [القصص:١٥] وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي دُعَائِهِ: «اللّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا

أخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ»[١] وَنَحْوهِ مِنْ أَدْعِيَتِهِ ﷺ وذِكْرِ الأَنْبِيَاءِ في المَوْقِفِ ذُنُوبَهُمْ في «حديثِ الشَّفَاعَةِ»[٢]، وقولِهِ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ على قَلْبِي فَأَسْتَغْفِرُ اللهَ»[٣] وفي حديثِ أبي هُرَيْرَةَ[٤] «إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ في اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»[٥] وقولِهِ تَعَالَى عَنْ نُوحٍ ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي﴾ [هود:٤٧] الآيَةَ، وَقَدْ كانَ قَالَ اللهُ لَهُ ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هود:٣٧] وقالَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء:٨٢] وقولِهِ عَنْ مُوسَى ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٤٣] وقولِهِ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ [ص:٣٤] إلى ما أَشْبَهَ هٰذِهِ الظَّوَاهِرَ؛ فأَمَّا احْتِجَاجُهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:١] فَهٰذَا قَدِ اخْتَلَفَ فِيهِ المُفَسِّرُونَ؛ فَقِيلَ المُرَادُ ما كانَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا، وَقِيلَ المُرَادُ ما وَقَعَ لَكَ مِنْ ذَنْبٍ وَمَا لَمْ يَقَعْ أَعْلَمَهُ أَنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَقِيلَ المُتَقَدِّمُ ما كانَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَالمُتَأَخِّرُ عِصْمَتُكَ بَعْدَهَا؛ حَكَاهُ أَحْمَدُ بنُ نَصْرٍ، وقيلَ المُرَادُ بِذٰلِكَ أُمَّتُهُ ﷺ وَقِيلَ المُرَادُ ما كانَ عَنْ سَهْوٍ وَغَفْلَةٍ وَتَأْوِيلٍ؛ حَكَاهُ الطَّبَرِيُّ[٦] واخْتَارَهُ القُشَيْرِيُّ[٧]؛ وقيلَ ما تَقَدَّمَ لأَبِيكَ آدَمَ وَمَا تَأَخَّرَ مِنْ ذُنُوبِ أُمَّتِكَ، حَكَاهُ السَّمَرْقَنْدِيُّ[٨] والسُّلَمِيُّ[٩] عَنِ ابنِ عَطَاءٍ[١٠] وَبِمِثْلِهِ وَالَّذِي قَبْلَهُ يُتَأَوَّلُ قَوْلُهُ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد:١٩] قال مَكِّيٌّ[١١] مُخَاطَبَةُ النَّبِيِّ ﷺ هٰهُنَا هِيَ مُخَاطَبَةٌ لأُمَّتِهِ، وقيلَ إِنَّ

---

(١) اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٨/ ١٠٥ والإمام مسلم في الصحيح: ٥٣٦ والترمذي في السنن ٥/ ٤٨٢ الحديث رقم ٣٤٢١، والإمام أحمد في المسند ١/ ٩٤ ـ ٩٥ والقرطبي في التفسير ٢٠/ ٢٣٣.
والسيوطي في جمع الجوامع: ٩٨٢٥، ٩٩٣٢. والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣٦٢٠، ٣٧٩١، والتبريزي في مشكاة المصابيح: ٢٩٨١٧، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٣/ ٨١، ٥/ ٥٨، ٧٧، ١٦٥، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ١٧٢، وابن خزيمة في صحيحه: ٧٤٣، والدارقطني في السنن: ١/ ٢٩٧.

(٢) حديث الشفاعة.. الحديث/ أخرجه الإمام مسلم في الصحيح رقم: ١٩٦ والدارمي في السنن ١/ ٢٧، والإمام أحمد في المسند: ٣/ ١٤٠ وأبو داود في السنن رقم: ٤٧٣٩، والترمذي في السنن رقم: ٢٤٣٥.

(٣) إنه ليغان على قلبي.. الحديث/ تقدم تخريجه.

(٤) أبو هريرة. تقدمت ترجمته.

(٥) إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة.. الحديث/ أخرجه الإمام الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٥/ ٥٧ وابن السني في عمل اليوم والليلة: ٣٦١. والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣٩٦٨.

(٦) الطبري. تقدمت ترجمته.

(٧) القشيري. تقدمت ترجمته.

(٨) السمرقندي. تقدمت ترجمته.

(٩) السلمي. تقدمت ترجمته.

(١٠) ابن عطاء. تقدمت ترجمته. (١١) مكي. تقدمت ترجمته.

النبيّ ﷺ لمّا أمِرَ أنْ يقولَ: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف:٩] سُرَّ بذلك الكُفّارُ فأنزَلَ الله تعالَى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:١] الآيةَ وبمآلِ المؤمنينَ في الآيةِ الأُخرى بعدَها، قالَهُ ابنُ عبّاسٍ[١]، فمَقصِدُ الآيةِ أنّكَ مَغفُورٌ لكَ غيرُ مُؤاخَذٍ بذنبٍ أنْ لَوْ كانَ، قال بعضُهُمْ: المَغفِرَةُ هٰهُنا تبرئَةٌ مِنَ العُيُوب، وأمّا قولُهُ: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح:٢ ـ ٣] فقيلَ ما سَلَفَ مِنْ ذنبِكَ قبلَ النُّبُوّةِ وهُوَ قَوْلُ ابنِ زَيدٍ[٢] والحَسَنِ[٣] ومَعنَى قَوْلِ قَتادَةَ[٤]؛ وقيلَ مَعناهُ أنهُ حُفِظَ قبلَ نُبُوّتِهِ منها وعُصِمَ؛ ولَوْلا ذلكَ لأثقلَتْ ظَهرَهُ، حكَى مَعناهُ السَّمرقَندِيُّ[٥]، وقيلَ المُرادُ بذلكَ ما أثقَلَ ظَهرَهُ مِن أعباءِ الرِّسالَةِ حتّى بلّغَها، حكاهُ الماوَرديُّ[٦] والسُّلَمِيُّ[٧]؛ وقيلَ حطَطْنا عنكَ ثِقَلَ أيّامِ الجاهليّةِ، حكاهُ مكّيٌّ[٨]، وقيلَ ثِقَلَ شُغلِ سِرِّكَ وحَيرَتِكَ وطَلَبِ شَريعَتِكَ حتّى شَرَعْنا ذلكَ لَكَ، حكَى مَعناهُ القُشَيريُّ[٩]، وقيلَ مَعناهُ خفّفْنا عليكَ ما حُمِّلْتَ بحِفظِنا لِمَا استُحفِظْتَ وحُفِظَ عليكَ، ومَعنَى أنقَضَ ظَهرَكَ أي كادَ يَنقُضُهُ فيَكونُ المَعنَى على مَنْ جعَلَ ذلكَ لِما قبلَ النُّبُوّةِ اهتِمامُ النّبيِّ ﷺ بأُمورٍ فعَلَها قبلَ النُّبُوّةِ وحُرِّمَتْ عليهِ بعدَ النُّبُوّةِ فعَدَّها أوزاراً وثَقُلَتْ عليهِ وأشفَقَ منها، أوْ يَكونُ الوَضعُ عِصمَةَ الله لَهُ وكِفايَتَهُ مِنْ ذُنوبٍ لَوْ كانَتْ لأنقَضَتْ ظَهرَهُ، أوْ يَكونُ مِنْ ثِقَلِ الرِّسالَةِ أوْ ما ثَقُلَ عليهِ وشَغَلَ قَلبَهُ مِنْ أُمورِ الجاهليّةِ وإعلامِ الله تعالَى لَهُ بحِفظِ ما استَحفَظَهُ مِنْ وَحيِهِ، وأمّا قَولُهُ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٣] فأمْرٌ لَمْ يَتقدَّمْ للنّبيِّ ﷺ فيهِ مِنَ الله تعالَى نَهْيٌ فيُعَدُّ معصيَةً ولا عَدَّهُ الله تعالَى عليهِ مَعصيَةً بَلْ لَمْ يَعُدَّهُ أهلُ العِلمِ مُعاتَبَةً، وغَلَّطوا مَنْ ذَهَبَ إلى ذلكَ؛ قال نِفطَوَيهِ[١٠] وقَدْ حاشاهُ الله تعالَى مِنْ ذلكَ بَلْ كانَ مُخيَّراً في أمرَيْنِ قالُوا وقَدْ كانَ لَهُ أنْ يَفعَلَ ما شاءَ فيما لَمْ يُنزَلْ عليهِ فيهِ وَحيٌ فكَيفَ وقَدْ قال الله تعالَى: ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ [النور:٦٢] فلَمّا أذِنَ لَهُمْ أعلَمَهُ الله بما لم يَطَّلِعْ عليهِ مِنْ سِرِّهِمْ أنهُ لَوْ لَمْ يَأذَنْ لَهُمْ لقَعَدُوا وأنّهُ لا حَرَجَ عليهِ فيما فعَلَ ولَيسَ ﴿عَفَا﴾ [التوبة:٤٣] هٰهُنا بمَعنَى غفَرَ بَلْ كما قال النبي ﷺ: «عَفَا الله لَكُمْ عَنْ صَدَقَةِ الخَيلِ

---

(١) ابن عباس. تقدمت ترجمته.
(٢) ابن زيد. تقدمت ترجمته.
(٣) الحسن. تقدمت ترجمته.
(٤) قتادة. تقدمت ترجمته.
(٥) السمرقندي. تقدمت ترجمته.
(٦) الماوردي. تقدمت ترجمته.
(٧) السلمي. تقدمت ترجمته.
(٨) مكي. تقدمت ترجمته.
(٩) القشيري. تقدمت ترجمته.
(١٠) نفطويه هو إبراهيم بن محمد بن عرفة إمام في النحو واللغة توفي سنة ٣٢٣ هـ.

والرَّقِيقِ» [١] ولم تجبْ عَلَيْهِمْ قَطُّ أيْ لَمْ يُلْزِمْكُمْ ذٰلِكَ، وَنَحْوُهُ لِلْقُشَيْرِيِّ [٢]، قالَ: وَإِنَّمَا يَقُولُ الْعَفْوُ لاَ يَكُونُ إلاَّ عَنْ ذَنْبٍ: مَنْ لَمْ يَعْرِفْ كَلاَمَ الْعَرَبِ، قالَ وَمَعْنَى عَفَا اللهُ عَنْكَ [٣] أيْ لَمْ يُلْزِمْكَ ذنباً، قالَ الدَّاوُدِيُّ: رُوِيَ أنها كانَتْ تَكْرِمَةً؛ قالَ مَكِّيٌّ هُوَ اسْتِفْتَاحُ كَلاَمٍ مِثْلُ أَصْلَحَكَ اللهُ وَأَعَزَّكَ، وَحَكَى السَّمَرْقَنْدِيُّ [٤] أنَّ مَعْنَاهُ عافاكَ اللهُ؛ وَأَمَّا قَوْلُهُ في أُسَارَى بَدْرٍ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ [الأنفال: ٦٧] الآيتين فَلَيْسَ فِيهِ إلْزَامُ ذَنْبٍ لِلنبيِّ ﷺ بَلْ فِيهِ بَيَانُ مَا خُصَّ بِهِ وَفُضِّلَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الأنْبِيَاءِ فَكَأنَّهُ قالَ مَا كانَ هٰذَا لِنَبِيٍّ غَيْرِكَ كما قالَ ﷺ: **«أُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِنَبِيٍّ قَبْلِي»** [٥] فإنْ قِيلَ فَمَا مَعْنَى قوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنفال: ٦٧] الآيَةَ: قِيلَ المَعْنَى: الْخِطَابُ لِمَنْ أرَادَ ذٰلِكَ مِنْهُمْ وَتَجَرَّدَ غَرَضُهُ لِغَرَضِ الدُّنْيَا وَحدَهُ وَالاسْتِكْثَارِ مِنْهَا وَلَيْسَ المُرَادُ بِهٰذَا النَّبِيَّ ﷺ وَلاَ عِلْيَةَ أصْحَابِهِ، بَلْ قَدْ رُوِيَ عنِ الضَّحَّاكِ [٦] أنَّهَا نَزَلَتْ حِينَ انْهَزَمَ المُشْرِكُونَ يَوْمَ بَدْرٍ وَاشْتَغَلَ النَّاسُ بالسَّلَبِ وَجَمْعِ الْغَنَائِمِ عنِ القِتَالِ حَتَّى خَشِيَ عُمَرُ [٧] أنْ يَعْطِفَ عَلَيْهِمُ الْعَدُوُّ ثُمَّ قالَ تَعالَى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ [الأنفال: ٦٨] فاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ في مَعْنَى الآيَةِ فَقِيلَ: مَعْنَاهَا لَوْلاَ أنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أنْ لاَ أُعَذِّبَ أحداً إلاَّ بَعْدَ النَّهْيِ لَعَذَّبْتُكُمْ؛ فَهٰذَا يَنْفِي أنْ يَكُونَ أمْرُ الأسْرَى مَعْصِيَةً؛ وَقِيلَ المَعْنَى: لَوْلاَ إيمانكُمْ بالْقُرْآنِ وَهُوَ الْكِتَابُ السَّابِقُ فاسْتَوْجَبْتُمْ بِهِ الصَّفْحَ لَعُوقِبْتُمْ عَلَى الْغَنَائِمِ؛ وَيُزَادُ هٰذَا الْقَوْلُ تَفْسِيراً وَبَيَاناً بأنْ يُقَالَ لَوْلاَ مَا كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بالْقُرْآنِ وَكُنْتُمْ مِمَّنْ أُحِلَّتْ لَهُمُ الْغَنَائِمُ لَعُوقِبْتُمْ كما عُوقِبَ مَنْ تَعَدَّى؛ وَقِيلَ: لَوْلاَ أنَّهُ سَبَقَ في اللَّوْحِ المَحْفُوظ أنَّهَا حَلاَلٌ لَكُمْ لَعُوقِبْتُمْ؛ فَهٰذَا كُلُّهُ يَنْفِي الذَّنْبَ وَالمَعْصِيَةَ لأنَّ مَنْ فَعَلَ مَا أُحِلَّ لَمْ يَعْصِ، قالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩] وَقِيلَ: بَلْ كَانَ ﷺ قَدْ خُيِّرَ في ذٰلِكَ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ [٨] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ جاءَ جِبْرِيلُ عليهِ السَّلاَمُ إلَى النبي ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ فقالَ خَيِّرْ أصْحَابَكَ في الأُسَارَى

---

(١) عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق. . الحديث/ أخرجه عياض في الشفا: ٢/ ٣٦١.

(٢) القشيري. تقدمت ترجمته.

(٣) مكي. تقدمت ترجمته.

(٤) السمرقندي. تقدمت ترجمته.

(٥) أحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي. . الحديث/ أخرجه الإمام مسلم في الصحيح: ١٣٦٧. والترمذي في السنن: ٥/ ٢٧٢.

(٦) الضحاك. تقدمت ترجمته.

(٧) عمر بن الخطاب. تقدمت ترجمته.

(٨) علي بن أبي طالب. أخرج حديث الإمام علي كرم الله وجهه أبو داود في السنن ١/ ٢٦٧.

إنْ شَاؤوا الْقَتْلَ وَإنْ شَاؤوا الْفِدَاءَ على أنْ يُقْتَلَ مِنْهُمْ في الْعَامِ الْمُقْبِلِ مِثْلُهُمْ؛ فَقَالُوا الْفِدَاءَ وَيُقْتَلُ مِنَّا، وَهٰذَا دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ مَا قُلْنَا وَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا إلاَّ مَا أُذِنَ لَهُمْ فِيهِ لٰكِنْ بَعْضُهُمْ مَالَ إلَى أَضْعَفِ الْوَجْهَيْنِ مِمَّا كانَ الأَصْلَحُ غَيْرَهُ مِنَ الإثْخَانِ وَالْقَتْلِ فَعُوتِبُوا عَلَى ذٰلِكَ وَبُيِّنَ لَهُمْ ضَعْفُ اخْتيارِهِمْ وَتَصْوِيبُ اخْتِيَارِ غَيْرِهِمْ وَكُلُّهُمْ غَيْرُ عُصَاةٍ وَلاَ مُذْنِبِينَ وَإلى نَحْوِ هٰذَا أَشَارَ الطَّبَرِيُّ، وقولُهُ ﷺ في هٰذِهِ الْقَضِيَّةِ **«لَوْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ عَذَابٌ مَا نَجَا مِنْهُ إلاَّ عُمَرُ»**[(١)] إشَارَةٌ إلَى هٰذَا مِنْ تَصْوِيبِ رَأْيِهِ وَرَأْيِ مَنْ أَخَذَ بِمَأْخَذِهِ في إعْزَازِ الدِّينِ وَإظْهَارِ كَلِمَتِهِ وَإبادَةِ عَدُوِّهِ وَأَنَّ هٰذِهِ الْقَضِيَّةَ لَوِ اسْتَوْجَبَتْ عَذَاباً نَجَا مِنْهُ عُمَرُ[(٢)] وَعَيَّنَ عُمَرَ لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَشَارَ بِقَتْلِهِمْ وَلٰكِنِ الله لَمْ يُقَدِّرْ عَلَيْهِمْ في ذٰلِكَ عَذَاباً لِحلِّهِ لَهُمْ فِيمَا سَبَقَ، وقال الدَّاوُدِيُّ[(٣)] والخَبَرُ بِهٰذَا لا يَثْبُتُ، وَلَوْ ثَبَتَ لَمَا جَازَ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَكَمَ بمَا لاَ نَصَّ فِيهِ وَلاَ دَلِيلَ مِنْ نَصٍّ وَلاَ جُعِلَ الأَمْرُ فيهِ إلَيْهِ وَقَدْ نَزَّهَهُ الله تَعَالَى عنْ ذٰلِكَ؛ وقالَ الْقَاضي بَكْرُ بْنُ الْعَلاَءِ[(٤)] أَخْبَرَ الله تَعَالَى نَبِيَّهُ في هٰذِهِ الآيَةِ أَنَّ تَأْوِيلَهُ وَافَقَ ما كَتَبَهُ لَهُ مِنْ إحْلال الغَنَائِمِ وَالفداءِ وَقَدْ كَانَ قَبْلَ هذَا فادَوْا في سَرِيَّةِ عبدِ الله بنِ جَحْشٍ التي قُتِلَ فِيهَا ابنُ الحَضْرَمِيِّ بِالْحَكَمِ بنِ كَيْسَانَ وَصَاحِبِهِ فَمَا عَتَبَ الله ذٰلِكَ عَلَيْهِمْ وَذٰلِكَ قَبْلَ بَدْرٍ بأَزْيَدَ مِنْ عَامٍ فَهٰذَا كُلُّهُ يَدُلُّ على أَنْ فِعْلَ النبي ﷺ في شَأْنِ الأَسْرَى كَانَ على تأويلٍ وَبَصِيرَةٍ وَعلى مَا تَقَدَّمَ قَبْلُ مِثْلُهُ فَلَمْ يُنْكِرْهُ الله تَعَالَى عَلَيْهِمْ لٰكِنِ الله تَعَالَى أَرَادَ لِعِظَمِ أَمْرِ بَدْرٍ وَكَثْرَة أَسْرَاهَا وَالله أَعْلَمُ إظْهَارَ نِعْمَتِهِ وَتَأْكِيدَ مِنَّتِهِ بِتَعْرِيفِهِمْ مَا كَتَبَهُ في اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مِنْ حِلِّ ذٰلِكَ لَهُمْ لا على وَجهِ عِتَابٍ وَإنْكارٍ وَتَذْنِيبٍ، هٰذَا مَعْنَى كَلاَمِهِ؛ وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عبس:١] الآياتِ فَلَيْسَ فِيهِ إثْبَاتُ ذَنْبٍ لَهُ ﷺ بَلْ إعْلاَمُ الله أَنَّ ذٰلِكَ الْمُتَصَدَّى لَهُ ممَّنْ لاَ يَتَزَكَّى وَأَنَّ الصَّوَابَ وَالأَوْلَى كانَ لَوْ كُشِفَ لَكَ حَالُ الرَّجُلَيْنِ الإقْبَالُ على الأَعْمَى وَفِعْلُ النبيِّ ﷺ لِمَا فَعَلَ وَتَصَدِّيهِ لِذَاكَ الكافِرِ كانَ طَاعَةً لله وَتَبْلِيغاً عَنْهُ وَاسْتِئْلافاً لَهُ كما شَرَعَهُ الله لَهُ لا مَعْصِيَةً وَمُخَالَفَةً لَهُ وَمَا قَصَّهُ الله عَلَيْهِ مِنْ ذٰلِكَ إعْلاَمٌ بِحالِ الرَّجُلَيْنِ وَتَوْهِينِ أَمْرِ الكافِرِ عِنْدَهُ وَالإشَارَةِ إلى الإعْرَاضِ عَنْهُ بِقَوْلِهِ وَمَا عَلَيْكَ ألاّ يَزَّكَّى وَقِيلَ أَرَادَ بِعَبَسَ وَتَوَلَّى الكافِرَ الَّذِي كانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قالَهُ أبو تَمَّام[(٥)].

---

(١) لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه إلا عمر.. الحديث/ أخرجه عياض في الشفاء: ٢/ ٣٦٤.

(٢) عمر رضي الله عنه. تقدمت ترجمته. (٣) الداودي. تقدمت ترجمته.

(٤) القاضي بكر بن العلاء. تقدمت ترجمته.

(٥) أبو تمام: هو حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور في أعلى طبقات المولدين ولكنه لم يعد في علماء الحديث والتفسير.

وَأَمَّا قِصَّةُ آدَمَ عليه السلامُ وقولهُ تَعالَى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ [طه:١٢١] بَعْدَ قولِهِ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٣٥] وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:٢٢] وَتَصْرِيحُهُ تَعالَى عليه بالمَعْصِيَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه:١٢١] أَيْ جَهِلَ وَقِيلَ أَخْطَأَ فإِنَّ اللهَ تَعالَى قَدْ أَخْبَرَ بِعُذْرِهِ بِقولِهِ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه:١١٥] قال ابنُ زَيْدٍ نَسِيَ عَداوَةَ إِبْلِيسَ لَهُ وَمَا عَهِدَ اللهُ إِلَيْهِ مِنْ ذٰلِكَ بِقولِهِ: ﴿هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ [طه:١١٧] الآيَةَ؛ قِيلَ نَسِيَ ذٰلِكَ بِمَا أَظْهَرَ لَهُمَا: وقالَ ابنُ عَبَّاسٍ[١] إِنَّمَا سُمِّيَ الإِنْسَانُ إِنْسَاناً لأَنَّهُ عُهِدَ إِلَيْهِ فَنَسِيَ وَقِيلَ لَمْ يَقْصِدِ الْمُخَالَفَةَ اسْتِحْلالاً لَهَا وَلٰكِنَّهُمَا اغْتَرَّا بِحَلِفِ إِبْلِيسَ لَهُمَا ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف:٢١] تَوَهَّمَا إِنَّ أَحداً لاَ يَحْلِفُ باللهِ حانِثا وَقَدْ رُوِيَ عُذْرُ آدَمَ بِمِثْلِ هٰذَا في بَعْضِ الآثارِ؛ وقالَ ابنُ جُبَيْرٍ[٢] حَلَفَ بِاللهِ لَهُمَا حَتَّى غَرَّهُمَا وَالْمُؤْمِنُ يُخْدَعُ وَقَدْ قِيلَ نَسِيَ وَلَمْ يَنْوِ الْمُخَالَفَةَ فَلِذٰلِكَ قَالَ: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه:١١٥] أَيْ قَصْداً لِلْمُخَالَفَةِ وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ على أَنَّ الْعَزْمَ هُنَا الْحَزْمُ وَالصَّبْرُ وَقِيلَ كَانَ عِنْدَ أَكْلِهِ سَكْرَانَ وَهٰذَا فِيهِ ضَعْفٌ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى وَصَفَ خَمْرَ الجنَّةِ أَنَّها لا تُسْكِرُ فإذا كانَ ناسِياً لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً وَكذلِكَ إِنْ كانَ مُلَبَّساً عليهِ غالِطاً إِذْ الاتِّفَاقُ على خُرُوجِ النَّاسِي وَالسَّاهِي عَنْ حُكْمِ التَّكْلِيفِ؛ وَقالَ الشَّيْخُ أبو بكرِ بنُ فُورَكٍ[٣] وَغَيْرُهُ إِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَدَلِيلُ ذٰلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه:١٢١] فَذَكَرَ أَنَّ الاجْتِبَاءَ والهِدَايَةَ كان بَعْدَ العِصْيَانِ وَقِيلَ بَلْ أَكَلَهَا مُتَأَوِّلاً وَهُوَ لا يَعْلَمُ أَنَّها الشَّجَرَةُ التي نُهِيَ عَنْهَا لأَنَّهُ تَأَوَّلَ نَهْيَ اللهِ عَنْ شَجَرَةٍ مَخْصُوصَةٍ لا على الجِنْسِ، وَلِهٰذَا قِيلَ إِنَّمَا كانَتِ التَّوْبَةُ مِنْ تَرْكِ التَّحَفُّظِ لا مِنَ الْمُخَالَفَةِ، وَقِيلَ تَأَوَّلَ أَنَّ اللهَ لَمْ يَنْهَهُ عَنْهَا نَهْيَ تَحْرِيمٍ. فإِنْ قِيلَ فَعَلَى كُلِّ حالٍ فقدْ قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ وقال: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه:١٢١] وَقَوْلُهُ في حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ[٤] وَيَذْكُرُ ذَنْبَهُ وإِنِّي نُهِيتُ عَنْ أَكْلِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ: فَسَيَأْتِي الْجَوَابُ عَنْهُ وَعَنْ أَشْبَاهِهِ مُجْمَلاً آخِرَ الْفَصْلِ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَأَمَّا قِصَّةُ يُونُسَ فَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ على بَعْضِهَا آنفاً وَلَيْسَ في قِصَّةِ يُونُسَ نَصٌّ عَلَى ذَنْبٍ وَإِنَّمَا فِيهَا أَبَقَ وَذَهَبَ مُغَاضِباً وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَيْهِ، وَقِيلَ إِنَّمَا نَقَمَ اللهُ عَلَيْهِ خُرُوجَهُ عَنْ قَوْمِهِ فاراً مِنْ نُزُولِ الْعَذَابِ، وَقِيلَ بَلْ لَمَّا وعدَهُمُ الْعَذَابَ ثُمَّ عَفَا اللهُ

---

(١) ابن عباس رض الله عنهما. تقدمت ترجمته.

(٢) ابن جبير. تقدمت ترجمته.

(٣) الشيخ أبو بكر بن فورك. هو إمام أهل السنة والكلام كنيته أيضاً أبو محمد بن الحسين الأصبهاني وكان في عصره أعظم من تصدر للوعظ والتأليف والتدريس توفي سنة ٤٠٦ هـ.

(٤) حديث الشفاعة تقدم تخريجه.

عَنْهُمْ قالَ: وَالله لاَ أَلْقَاهُمْ بِوَجْهِ كَذَّابٍ أبداً وَقِيلَ بَلْ كَانُوا يَقْتُلُونَ مَنْ كَذَبَ فَخَافَ ذٰلِكَ، وَقِيلَ ضَعُفَ عَنْ حَمْلِ أَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلاَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكْذِبْهُمْ؛ وَهٰذَا كُلُّهُ لَيْسَ فيهِ نَصٌّ على مَعْصِيَةٍ إلاَّ عَلَى قَوْلٍ مَرْغُوبٍ عَنْهُ وقَوْلُهُ: ﴿أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الصافات: ١٤٠] قَالَ الْمُفَسِّرُونَ تَبَاعَدَ، وَأَمَّا قَوْلُهُ ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فالظُّلْمُ وَضْعُ الشَّيْءِ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ فَهٰذَا اعْتِرَافٌ مِنْهُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ بِذَنْبِهِ فإمَّا أَنْ يَكُونَ لِخُرُوجِهِ عَنْ قَوْمِهِ بِغَيْرِ إِذْنِ رَبِّهِ أَوْ لِضَعْفِهِ عَمَّا حُمِّلَهُ أَوْ لِدُعَائِهِ بِالْعَذَابِ على قَوْمِهِ، وَقَدْ دَعَا نُوحٌ بِهَلاَكِ قَوْمِهِ فَلَمْ يُؤَاخَذْ، وقالَ الْوَاسِطِيُّ [١] في مَعْنَاهُ نَزَّهَ رَبَّهُ عَنِ الظُّلْمِ وَأَضَافَ الظُّلْمَ إِلَى نَفْسِهِ اعْتِرَافاً وَاسْتِحْقَاقاً وَمِثْلُ هٰذَا قَوْلُ آدَمَ وَحَوَّاءَ ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] إذْ كانَا السَّبَبَ في وَضْعِهِمَا في غَيْرِ الْمَوْضِعِ الَّذِي أُنْزِلا فِيهِ وَإِخْرَاجِهِمَا مِنَ الْجَنَّةِ وَإِنْزَالِهِمَا إلى الأَرْضِ.

وَأَمَّا قِصَّةُ دَاوُدَ عليه السَّلاَمُ فَلاَ تَجِبُ أَنْ يُلْتَفَتَ إلى مَا سَطَّرَهُ فِيهِ الأَخْبَارِيُّونَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ بَدَّلُوا وَغَيَّرُوا وَنَقَلَهُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ وَلَمْ يَنُصَّ الله على شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ وَلاَ وَرَدَ في حَدِيثٍ صَحِيحٍ وَالَّذِي نَصَّ الله عَلَيْهِ قولُهُ: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ [ص: ٢٤] إلى قولِهِ: ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢٥] وقولُهُ فِيهِ أَوَّابٌ فَمَعْنَى فَتَنَّاهُ اخْتَبَرْنَاهُ وَأَوَّابٌ قالَ قَتَادَةُ مُطِيعٌ وَهٰذَا التَّفْسِيرُ أَوْلَى؛ قالَ ابنُ عَبَّاسٍ [٢] وابنُ مَسْعُودٍ [٣]: مَا زَادَ دَاوُدُ على أَنْ قالَ لِلرَّجُلِ انْزِلْ لي عَنِ امْرَأَتِكَ وَاكْفُلْنِيهَا فَعَاتَبَهُ الله عَلَى ذٰلِكَ وَنَبَّهَهُ عَلَيْهِ وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ شُغْلَهُ بالدُّنْيَا وَهٰذَا الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُعَوَّلَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِ وَقِيلَ خَطَبَهَا عَلَى خِطْبَتِهِ، وَقِيلَ بَلْ أَحَبَّ بِقَلْبِهِ أَنْ يُسْتَشْهَدَ، وَحَكَى السَّمَرْقَنْدِيُّ [٤] أَنَّ ذَنْبَهُ الَّذِي اسْتَغْفَرَ مِنْهُ قَوْلُهُ لأَحَدِ الْخَصْمَيْنِ ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ [ص: ٢٤] فَظَلَّمَهُ بِقَوْلِ خَصْمِهِ؛ وَقِيلَ بَلْ لِمَا خَشِيَ على نَفْسِهِ وَظَنَّ مِنَ الْفِتْنَةِ بِمَا بُسِطَ لَهُ مِنَ الْمُلْكِ وَالدُّنْيَا، وَإِلى نَفْيِ مَا أُضِيفَ في الأَخْبَارِ إلى دَاوُدَ ذَهَبَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ [٥] وَأَبُو تَمَّامٍ [٦] وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْمُحَقِّقِينَ، قالَ الدَّاوُدِيُّ: لَيْسَ في قِصَّةِ دَاوُدَ وَأُورِيَا خَبَرٌ يَثْبُتُ وَلاَ يُظَنُّ بِنَبِيٍّ مَحَبَّةُ قَتْلِ مُسْلِمٍ وَقِيلَ إِنَّ الْخَصْمَيْنِ اللَّذَيْنِ اخْتَصَمَا إِلَيْهِ رَجُلاَنِ في نِتَاجِ غَنَمٍ على ظَاهِرِ الآيَةِ.

وَأَمَّا قِصَّةُ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ فَلَيْسَ على يُوسُفَ مِنْهَا تَعَقُّبٌ وَأَمَّا إِخْوَتُهُ فَلَمْ تَثْبُتْ نُبُوَّتُهُمْ فَيَلْزَمُ الْكَلاَمُ على أَفْعَالِهِمْ وَذِكْرُ الأَسْبَاطِ وَعَدُّهُمْ في الْقُرْآنِ عِنْدَ ذِكْرِ الأَنْبِيَاءِ، قالَ الْمُفَسِّرُونَ يُرِيدُ مَنْ نُبِّئَ مِنْ أَبْنَاءِ الأَسْبَاطِ وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُمْ كَانُوا حِينَ فَعَلُوا بِيُوسُفَ مَا فَعَلُوهُ صِغَارَ الأَسْنَانِ وَلِهٰذَا لَمْ يُمَيِّزُوا يُوسُفَ حِينَ اجْتَمَعُوا بِهِ وَلِهٰذَا قالُوا أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ وَإِنْ ثَبَتَتْ لَهُمْ

---

(١) الواسطي. تقدمت ترجمته.
(٢) ابن عباس. تقدمت ترجمته.
(٣) ابن مسعود. تقدمت ترجمته.
(٤) السمرقندي. تقدمت ترجمته.
(٥) أحمد بن نصر. تقدمت ترجمته.
(٦) أبو تمام. تقدمت ترجمته.

نُبُوَّةٌ فَبَعْدَ هٰذَا وَالله أَعْلَمُ، وَأَمَّا قَوْلُ الله تَعَالَى فِيهِ ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤] فَعَلَى مَذْهَبِ كَثِيرٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمحَدِّثِينَ أَنَّ هَمَّ النَّفْسِ لاَ يُؤَاخَذُ بِهِ وَلَيْسَتْ سَيِّئَةً لِقَوْلِهِ ﷺ عَنْ رَبِّهِ «إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً»[١] فَلاَ مَعْصِيَةَ فِي هَمِّهِ إذاً وَأَمَّا على مَذْهَبِ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتكلِّمِينَ فَإِنَّ الْهَمَّ إذا وُطِّنَتْ عَلَيْه النَّفْسُ سَيِّئَةٌ وَأَمَّا مَا لَمْ تُوَطَّنْ عَلَيْه النَّفْسُ مِنْ هُمُومِهَا وَخَوَاطِرِهَا فَهُوَ الْمَعْفُوُّ عَنْهُ وَهٰذَا هُوَ الْحَقُّ فَيَكُونُ إِنْ شَاءَ الله هَمُّ يُوسُفَ مِنْ هٰذَا وَيَكُونُ قوله: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾ [يوسف: ٥٣] الآيَةَ أَيْ ما أُبَرِّئُهَا مِنْ هٰذَا الْهَمِّ أَوْ يَكُونُ ذٰلِكَ مِنْهُ على طَرِيقِ التَّوَاضُعِ وَالاعْتِرَافِ بِمُخَالَفَةِ النَّفْسِ لِمَا زُكِّيَ قَبْلُ وَبُرِّيءَ فَكَيْفَ وَقَدْ حَكَى أبو حاتِمٍ[٢] عن أَبِي عُبَيْدَةَ[٣] أَنَّ يُوسُفَ لَمْ يَهُمَّ وَأَنَّ الكَلاَمَ فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ أَيْ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَلَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ لَهَمَّ بِهَا وَقَدْ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عن الْمَرْأَةِ ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢] وَقَالَ تَعَالَى ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ [يوسف: ٢٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ [يوسف: ٢٣] الآيَةَ قِيلَ فِي رَبِّي الله وَقِيلَ المَلِكُ وَقِيلَ هَمَّ بِهَا أَيْ بِزَجْرِهَا وَوَعْظِهَا وَقِيلَ هَمَّ بِهَا أَيْ غَمَّهَا امْتِنَاعُهُ عَنْهَا وَقِيلَ هَمَّ بِهَا نَظَرَ إِلَيْهَا وَقِيلَ هَمَّ بِضَرْبِهَا وَدَفْعِهَا وَقِيلَ هٰذَا كُلُّهُ كَانَ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ؛ وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُهُمْ مَا زَالَ النِّسَاءُ يَمِلْنَ إلى يُوسُفَ مَيْلَ شَهْوَةٍ حَتَّى نَبَّأَهُ الله فَأَلْقَى عَلَيْهِ هَيْبَةَ النُّبوَّة فَشَغَلَتْ هَيْبَتُهُ كُلَّ مَنْ رَآهُ عَنْ حُسْنِهِ.

وَأَمَّا خَبَرُ مُوسَى ﷺ مَعَ قَتِيلِهِ الَّذِي وَكَزَهُ وَقَدْ نَصَّ الله تَعَالَى أَنَّهُ مِنْ عَدُوِّهِ وَقِيلَ كَانَ مِنَ الْقِبْطِ الَّذِينَ على دِينِ فِرْعَوْنَ وَدَلِيلُ السُّورَةِ في هٰذَا كُلِّهِ أنهُ قَبْلَ نُبُوَّةِ مُوسَى، وقالَ قَتَادَةُ[٤] وَكَزَهُ بِالعَصَا وَلَمْ يَتَعَمَّدْ قَتْلَهُ فَعَلَى هٰذَا لا مَعْصِيَةَ في ذٰلِكَ؛ وقوله: ﴿هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ [القصص: ١٥] وقوله: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص: ١٦] قال ابنُ جُرَيْجٍ[٥] قال ذٰلِكَ مِنْ أَجلِ أنهُ لاَ يَنْبَغِي لِنَبيٍّ أَنْ يَقْتُلَ حَتَّى يُؤْمَرَ؛ وقال النَّقَّاشُ[٦]: لَمْ يَقْتُلْهُ عَنْ عَمْدٍ مُرِيداً لِلْقَتْلِ وَإِنَّمَا وَكَزَهُ وَكْزَةً يُرِيدُ بِهَا دَفْعَ ظُلْمِهِ قالَ وَقَدْ قِيلَ إِنَّ هٰذَا كَانَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَهُوَ مُقْتَضَى التِّلاَوَةِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى في قِصَّتِهِ ﴿وَفَتَنَّـٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠] أي ابْتَلَيْنَاكَ ابْتِلاَءً بَعْدَ ابْتِلاَءٍ قيلَ في هٰذِهِ القِصَّةِ وَمَا جَرَى

---

(١) إذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة.. الحديث/ أخرجه الإمام أبو عوانة في مسنده: ١/ ٨٣. والإمام مسلم في صحيحه: ١١٧. وهو من الأحاديث القدسية.

(٢) أبو حاتم. تقدمت ترجمته.

(٣) أبو عبيدة. تقدمت ترجمته.

(٤) قتادة. تقدمت ترجمته.

(٥) (٦) تقدمت ترجمتهما.

لَهُ مَع فِرْعَوْنَ وَقِيلَ إِلْقَاؤُهُ في التَّابُوتِ وَاليَمّ وَغَيْرُ ذٰلِكَ وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَخْلَصْنَاكَ إِخْلاصاً قَالَهُ ابْنُ جُبَيْرٍ[1] وَمُجَاهِدٌ[2] مِنْ قَوْلِهِمْ فَتَنْتَ الفِضَّةَ في النَّارِ إِذَا خَلَّصْتَهَا وَأَصْلُ الْفِتْنَةِ مَعْنَى الاخْتِبَارُ وإِظْهَارُ مَا بَطَنَ إِلاَّ أَنَّهُ اسْتُعْمِلَ في عُرْفِ الشَّرْعِ في اخْتِبَارٍ أَدَّى إِلى مَا يُكْرَهُ وَكَذٰلِكَ ما رُوِيَ في الْخَبَرِ الصَّحِيحِ مِنْ أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ جاءَهُ فَلَطَمَ عَيْنَهُ فَفَقَأَها «الْحَدِيث»[3] لَيْسَ فِيهِ مَا يُحْكَمُ على مُوسٰى عليه السَّلامُ بالتَّعَدِّي وَفِعْلِ مَا لاَ يَجِبُ إِذْ هُوَ ظَاهِرُ الأَمْرِ بَيِّنُ الْوَجْهِ جائزُ الفِعْلِ لأَنَّ مُوسٰى دَافَعَ عَنْ نَفْسِهِ مَنْ أَتَاهُ لإِتْلافِهَا وَقَدْ تُصُوِّرَ لَهُ في صُورَةِ آدَمِي وَلاَ يُمْكِنُ أَنهُ عَلِمَ حِينَئِذٍ أَنَّهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَدَافَعَهُ عَنْ نَفْسِهِ مُدَافَعَةً أَدَّتْ إِلى ذَهَابِ عَيْنِ تِلْكَ الصُّورَةِ التي تَصَوَّرَ لَهُ فِيها الْمَلَكُ امْتِحَاناً مِنَ الله فَلَمَّا جاءَهُ بَعْدُ وَأَعْلَمَهُ الله تعالى أَنَّهُ رَسُولُهُ إِلَيْهِ اسْتَسْلَمَ؛ وَلِلْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتأَخِّرِينَ على هٰذَا الحديثِ أَجْوِبَةٌ هذا أَسَدُّها عِنْدِي وَهُوَ تَأْوِيلُ شَيْخِنَا الإمامِ أبي عبدِ الله المازِرِيِّ[4] وَقَدْ تَأَوَّلَهُ قَدِيماً ابنُ عائِشَةَ[5] وَغَيْرُهُ على صَكِّهِ وَلَطْمِهِ بالحُجَّةِ وَفَقْءِ عَيْنِ حُجَّتِهِ وَهُوَ كَلامٌ مُسْتَعْمَلٌ في هذا البابِ في اللُّغَةِ وَمَعْرُوفٌ.

وَأَمَّا قِصَّةُ سُلَيْمَانَ وَمَا حَكَى فيها أَهْلُ التَّفَاسِيرِ مِنْ ذَنْبِهِ وقولُهُ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ [ص: ٣٤] فَمَعْنَاهُ ابْتَلَيْنَاهُ وابتِلاؤُهُ مَا حُكِيَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ على مائَةِ امْرأَةٍ أَوْ تِسْعٍ وتسعِينَ كُلُّهُنَّ يَأْتِينَ بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ في سَبِيلِ الله»[6] فقالَ لَهُ صَاحِبُهُ: قُلْ إِنْ شَاءَ الله فَلَمْ يَقُلْ. فَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلاَّ وَاحِدَةٌ جاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ الله لَجَاهَدُوا في سَبِيلِ الله»[7] قالَ أَصْحَابُ المَعَاني: وَالشِّقُّ هُوَ الجَسَدُ الَّذِي أُلْقِيَ على كُرْسِيِّهِ حِينَ عُرِضَ عَلَيْهِ وَهِيَ عُقُوبَتُهُ وَمِحْنَتُهُ وَقِيلَ بَلْ ماتَ فَأُلْقِيَ على كُرْسِيِّهِ مَيْتاً، وَقِيلَ ذَنْبُهُ حِرْصُهُ على ذٰلِكَ وَتَمَنِّيه، وَقِيلَ لأَنَّهُ لَمْ يَسْتَثْنِ لِمَا اسْتَغْرَقَهُ مِنَ الْحِرْصِ وَغَلَبَ عَلَيْهِ مِنَ التَّمَنِّي وَقِيلَ عُقُوبَتُهُ أَنْ سُلِبَ مُلْكُهُ وَذَنْبُهُ أَنْ أَحَبَّ بِقَلْبِهِ أَنْ يَكُونَ الحَقُّ لأَخْتَانِهِ على خَصْمِهِمْ وَقِيلَ أُوخِذَ بِذَنْبٍ قارَفَهُ بَعْضُ نِسَائِهِ وَلاَ يَصِحُّ مَا نَقَلَهُ الأَخْبَارِيُّونَ مِنْ تَشَبُّهِ الشَّيْطَانِ بِهِ وَتَسَلُّطِهِ

---

(١) ابن جبير. تقدمت ترجمته.

(٢) مجاهد. تقدمت ترجمته.

(٣) الحديث: أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٢/١٠٨ ومسلم في الصحيح: ١٨٤٣.

(٤) الإمام أبو عبد الله المازري. تقدمت ترجمته.

(٥) ابن عائشة رضي الله عنها. تقدمت ترجمتها.

(٦) لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين.. الحديث/ أخرجه الإمام مسلم في الصحيح: ١٢٧٥ - ١٢٧٦، والإمام الترمذي في السنن: ٤/١٠٩.

(٧) والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله.. الحديث/ أخرجه الإمام السيوطي في الدر المنثور: ٤/٢١٨.

على مُلْكِهِ وَتصرُّفِه في أُمَّتِهِ بالجَوْرِ في حُكْمِهِ لأنَّ الشَّيَاطِينَ لاَ يُسَلَّطُونَ على مِثْلِ هٰذَا؛ وَقَدْ عُصِمَ الأَنْبِيَاءُ مِنْ مِثْلِهِ، وَإنْ سُلِمَ لِمَ لَمْ يَقُلْ سُلَيْمَانُ في القِصَّةِ المَذْكُورَةِ إنْ شَاءَ اللهُ؟ فَعَنْهُ أَجْوِبَةٌ أَحَدُهَا مَا رُوِيَ في الحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ نَسِيَ أَنْ يَقُولَهَا وَذٰلِكَ لِيَنْفُذَ مُرَادُ اللهِ، وَالثَّانِي أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ صَاحِبَهُ وَشُغِلَ عَنْهُ وَقَوْلُهُ: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [ص:٣٥] لَمْ يَفْعَلْ هٰذَا سُلَيْمَانُ غَيْرَةً على الدُّنْيَا وَلاَ نَفَاسَةً بِهَا وَلٰكِنْ مَقْصِدُهُ في ذٰلِكَ على ما ذَكَرَهُ المُفَسِّرُونَ أَنْ لاَ يُسَلَّطَ عَلَيْهِ أَحَدٌ كم سُلِّطَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ الَّذِي سَلَمَهُ إيَّاهُ مُدَّةَ امْتِحَانِهِ على قَوْلِ مَنْ قَالَ ذٰلِكَ. وَقِيلَ بَلْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنَ اللهِ فَضِيلَةٌ وَخَاصَّةٌ يَخْتَصُّ بِهَا كَاخْتِصَاصِ غَيْرِهِ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ بِخَوَاصَّ مِنْهُ، وَقِيلَ لِيَكُونَ دَلِيلاً وَحُجَّةً على نُبُوَّتِهِ كَإِلاَنَةِ الحَدِيدِ لأَبِيهِ وَإحْيَاءِ المَوْتَى لِعِيسَىٰ وَاخْتِصَاصِ محمدٍ ﷺ بالشَّفَاعَةِ وَنَحْوِ هٰذَا.

وَأَمَّا قِصَّةُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَظَاهِرَةُ العُذْرِ وَأَنَّهُ أَخَذَ فِيهَا بالتَّأْوِيلِ وَظَاهِرِ اللَّفْظِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَهْلَكَ﴾ [هود:٤٠] الآية، فَطَلَبَ مُقْتَضَى هٰذَا اللَّفْظِ وَأَرَادَ عِلْمَ مَا طُوِيَ عَنْهُ مِنْ ذٰلِكَ لا أَنَّهُ شَكَّ في وَعْدِ اللهِ فَبَيَّنَ اللهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ الَّذِينَ وَعَدَهُ بِنَجَاتِهِمْ لِكُفْرِهِ وَعَمَلِهِ الَّذِي هُوَ غَيْرُ صَالِحٍ وَقَدْ أَعْلَمَهُ أَنَّهُ مُغْرِقُ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَنَهَاهُ عَنْ مُخَاطَبَتِهِ فِيهِمْ فَأُوخِذَ بِهٰذَا التَّأْوِيلِ وَعُتِبَ عَلَيْهِ وَأَشْفَقَ هُوَ مِنْ إقْدامِهِ على رَبِّهِ لِسُؤَالِهِ ما لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ في السُّؤَالِ فِيهِ وَكَانَ نُوحٌ فِيما حَكاهُ النَّقَّاشُ لاَ يَعْلَمُ بِكُفْرِ ابْنِهِ وَقِيلَ في الآيَةِ غَيْرُ هٰذَا وَكُلُّ هٰذَا لاَ يَقْضِي على نُوحٍ بِمَعْصِيَةٍ سِوَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ تَأْوِيلِهِ وَإقْدامِهِ بالسُّؤَالِ فِيمَنْ لم يُؤْذَنْ لَهُ فِيهِ وَلاَ نُهِيَ عَنْهُ؛ وَمَا رُوِيَ في الصَّحِيحِ مِنْ أَنَّ نَبِيّاً قَرَصَتْهُ نَمْلَةٌ فَحَرَّقَ قَرْيَةَ النَّمْلِ فَأَوْحَى اللهُ إلَيْهِ: «**أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ**»[1] فَلَيْسَ في هٰذَا الحَدِيثِ أَنَّ هٰذَا الَّذِي أَتَى مَعْصِيَةٌ بَلْ فَعَلَ مَا رَآهُ مَصْلَحَةً وَصَوَاباً بِقَتْلِ مَنْ يُؤْذِي جِنْسُهُ وَيَمْنَعُ المَنْفَعَةَ بِمَا أَباحَ اللهُ، أَلاَ تَرَى أَنَّ هٰذَا النَّبِيَّ كَانَ نَازِلاً تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَلَمَّا آذَتْهُ النَّمْلَةُ تَحَوَّلَ بِرَحْلِهِ عَنْهَا مَخَافَةَ تِكْرَارِ الأَذَى عَلَيْهِ وَلَيْسَ فيما أَوْحَى اللهُ إلَيْهِ ما يُوجِبُ عَلَيْهِ مَعْصِيَةً بَلْ نَدَبَهُ إلى احْتِمَالِ الصَّبْرِ وَتَرْكِ التَّشَفِّي كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦] إذْ ظَاهِرُ فِعْلِهِ إنَّمَا كانَ لأَجْلِ أَنَّهَا آذَتْهُ هُوَ في خَاصَّتِهِ فَكَانَ انْتِقاماً لِنَفْسِهِ وَقَطْعَ مَضَرَّةٍ يَتَوَقَّعُهَا مِنْ بَقِيَّةِ النَّمْلِ هُنَاكَ وَلَمْ يَأْتِ في كُلِّ هٰذَا أَمْراً نُهِيَ عَنْهُ فَيَعْصَى بِهِ ولا نَصَّ فِيما أَوْحَى اللهُ إلَيْهِ بِذٰلِكَ وَلاَ بالتَّوْبَةِ والاسْتِغْفَارِ مِنْهُ وَاللهُ أَعْلَمُ فَإنْ قِيلَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ عليه السلامُ: «**ما مِنْ أَحَدٍ إلاَّ أَلَمَّ بِذَنْبٍ أَوْ كَادَ إلاَّ يَحْيَىٰ بنُ زَكَرِيَّا**» أو كما قال عليه السلامُ؟ فالجَوَابُ عَنْهُ كما تَقَدَّمَ مِنْ ذُنُوبِ الأَنْبِيَاءِ التِي وَقَعَتْ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَعَنْ سَهْوٍ وَغَفْلَةٍ.

---

(١) إن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تُسَبِّح. الحديث/ أخرجه ابن ماجه في السنن: ١٠٧٥.

الفصل الرابع عشر: حالة الأنبياء في الخوف والاستغفار

فإنْ قُلْتَ فإذَا نَفَيْتَ عَنْهُمْ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمُ الذُّنُوبَ والمَعَاصِي بِمَا ذَكَرْتَهُ مِنَ اخْتِلافِ المُفَسِّرِينَ وَتأوِيلِ المُحَقِّقِينَ فما مَعْنَى قولِهِ تَعالَى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] وَمَا تَكَرَّرَ في القُرْآنِ والحديثِ الصَّحِيحِ مِنَ اعْتِرافِ الأنبياءِ بِذُنُوبِهِمْ وَتَوْبَتِهِمْ وَاسْتِغْفارِهِمْ وَبُكائِهِمْ على ما سَلَفَ مِنْهُمْ وَإشْفاقِهِمْ وَهَلْ يُشْفَقُ وَيُتابُ وَيُسْتَغْفَرُ مِنْ لا شَيْءٍ؟ فاعْلَمْ وَفَّقَنَا الله وَإيَّاكَ أنَّ دَرَجَةَ الأنْبِياءِ في الرِّفْعَةِ وَالعُلُوِّ وَالمَعْرِفَةِ بالله وَسُنَّتِهِ في عِبادِهِ وعِظَمِ سُلْطانِهِ وَقُوَّةِ بَطْشِهِ مِمَّا يَحْمِلُهُمْ على الخَوْفِ مِنْهُ جَلَّ جَلالُهُ وَالإشْفَاقِ مِنَ المُؤَاخَذَةِ بما لا يُؤَاخَذُ بِهِ غَيْرُهُمْ وأنَّهُمْ في تَصَرُّفِهِمْ بِأُمُورٍ لَمْ يُنْهَوْا عَنْهَا ولا أُمِرُوا بِهَا ثُمَّ وُوخِذُوا عَلَيْهَا وَعُوتِبُوا بِسَبَبِهَا وَحُذِّرُوا مِنَ المُؤَاخَذَةِ بِهَا وَأتَوْهَا على وَجْهِ التَّأوِيلِ أوِ السَّهْوِ أوْ تَزَيُّدٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيا المُباحَةِ خائِفُونَ وَجِلُون وَهِيَ ذُنُوبٌ بالإضَافَةِ إلى عَلِيِّ مَنْصِبِهِمْ وَمَعَاصٍ بالنِّسْبَةِ إلى كمالِ طاعَتِهِمْ لا أنَّهَا كَذُنُوبِ غَيرِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ فإنَّ الذَّنْبَ مَأْخُوذٌ مِنَ الشَّيْءِ الدَّنِّي الرَّذْل وَمِنْهُ ذَنَبُ كُلِّ شَيْءٍ أي آخِرُهُ وَأذْنابُ النَّاسِ رُذَّالُهُمْ فَكَانَ هٰذِهِ أدْنَى أفْعالِهِمْ وَأسْوَأ ما يَجْرِي مِنْ أحْوالِهِمْ لِتَطْهِيرِهِمْ وَتَنْزِيهِهِمْ وَعِمارَةِ بَواطِنِهِمْ وَظَواهِرِهِمْ بالعَمَلِ الصَّالِحِ والكَلِم الطَّيِّبِ والذِّكْرِ الظَّاهِرِ والخَفِيِّ والخَشْيَةِ لله وَإعْظامِهِ في السِّرِّ والعَلانِيَةِ وغَيْرُهُمْ يَتَلوَّثُ مِنَ الكَبائِرِ وَالقَبائِحِ والفَواحِشِ ما تَكُونُ بالإضافَةِ إلى هٰذِهِ الهَناتِ في حَقِّهِ كالحَسَناتِ كما قِيلَ حَسَناتُ الأبْرارِ سَيِّئَاتُ المُقَرَّبِينَ أيْ يَرَوْنَهَا بالإضافَةِ إلى عَلِيِّ أحْوالِهِمْ كالسَّيِّئاتِ وَكَذٰلِكَ العِصْيانُ التَّرْكُ وَالمُخالَفَةُ فَعلَى مُقْتَضَى اللَّفْظَةِ كَيْفَما كانَتْ مِنْ سَهْوٍ أوْ تَأوِيلٍ فَهِيَ مُخالَفَةٌ وَتَرْكٌ وَقَوْلُهُ غَوَى أيْ جَهِلَ أنَّ تِلْكَ الشَّجَرَةَ هِيَ التي نُهِيَ عَنْهَا والغَيُّ الجَهْلُ وقيلَ أخْطَأ ما طَلَبَ مِنَ الخُلُودِ إذْ أكَلَهَا وخابَتْ أُمْنِيَّتُهُ وَهٰذَا يُوسُفُ عليه السَّلامُ قَدح وُوخِذَ بِقَوْلِهِ لأحَدِ صاحِبَي السِّجْنِ ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢] قِيلَ أُنْسِيَ يُوسُفُ ذِكْرَ الله؛ وَقِيلَ أُنْسِيَ صاحِبُهُ أنْ يَذْكُرَهُ لِسَيِّدِه المَلِكِ، قال النبيُّ ﷺ: «لَوْلاَ كَلِمَةُ يُوسُفَ ما لَبِثَ في السِّجْنِ ما لَبِثَ»[(١)] قال ابنُ دِينارٍ[(٢)]: لَمَّا قالَ ذٰلِكَ يُوسُفُ قِيلَ لَهُ اتَّخَذْتَ مِنْ دُونِي وَكِيلاً لأُطِيلَنَّ حَبْسَكَ، فقالَ: يا ربِّ أنْسَى قَلْبِي كَثْرَةُ البَلْوَى؛ وقال بَعْضُهُمْ: يُؤَاخَذُ الأنْبِياءُ بمثاقيلِ الذَّرِّ لِمَكانَتِهِمْ عِنْدَهُ وَيُجاوِزُ عَنْ سائِرِ الخَلْقِ لِقِلَّةِ مُبالاتِهِ بِهِمْ في أضْعافِ ما أتَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الأدَبِ وَقَدْ قالَ المُحْتَجُّ لِلْفِرْقَةِ الأُولَى على سِياقِ ما قُلْنَاهُ إذا كانَ الأنْبِياءُ يُؤَاخَذُونَ بِهٰذَا مِمَّا لا يُؤَاخَذُ بِهِ غَيْرُهُمْ مِنَ السَّهْوِ وَالنِّسْيانِ وَمَا ذَكَرْتَهُ وَحالُهُمْ أرْفَعُ فَحالُهُمْ إذاً في هٰذَا أسْوَأُ حالاً مِنْ غَيْرِهِمْ، فاعْلَمْ أكْرَمَكَ الله أنَّا لا نُثْبِتُ لَكَ

---

(١) لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث.. الحديث/ أخرجه الطبري في تفسيره: ٦/ ١١٢.

(٢) ابن دينار. تقدمت ترجمته.

المُؤَاخَذَةَ في هٰذَا على حَدِّ مُؤَاخَذَةِ غَيْرِهِمْ؛ بَلْ نَقُولُ إنَّهُمْ يُؤَاخَذُونَ بِذٰلِكَ في الدُّنْيَا لِيكونَ ذٰلِكَ زِيَادَةً في دَرَجَاتِهِمْ وَيُبْتَلُونَ بِذٰلِكَ لِيكونَ اسْتِشْعَارُهُمْ لَهُ سَبَباً لِمَنْمَاةِ رُتَبِهِمْ كما قالَ: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢] وقال لِدَاوُدَ ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ [ص: ٣٥] الآيَةَ وقال بَعْدَ قَوْلِ مُوسَى تُبْتُ إِلَيْكَ. ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١٤٤] وقال بَعْدَ ذِكْرِ فِتْنَةِ سُلَيْمَانَ وَإِنَابَتِهِ ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾ [ص: ٣٦] إلى ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢٥] وقال بَعْضُ المُتَكَلِّمينَ زَلَّاتُ الأَنْبِيَاءِ في الظَّاهِرِ زَلَّاتٌ وفي الحَقِيقَةِ كَرَامَاتٌ وَزُلَفٌ وَأَشَارَ إلى نَحْوِ مِمَّا قَدَّمْنَاهُ وَأَيْضاً فَلِيُنَبَّه غَيْرُهُمْ مِنَ البَشَرِ مِنْهُمْ أَوْ مِمَّنْ لَيْسَ في دَرَجَتِهِمْ بِمُؤَاخَذَتِهِمْ بِذٰلِكَ فَيَسْتَشْعِرُوا الحَذَرَ وَيَعْتَقِدُوا المُحَاسَبَةَ لِيَلْتَزِمُوا الشُّكْرَ على النِّعَمِ وَيُعِدُّوا الصَّبْرَ على المِحَنِ بِمُلاحَظَةِ مَا وَقَعَ بأَهْلِ هٰذَا النِّصَابِ الرَّفِيعِ المَعْصُومِ فَكَيْفَ بِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلِهٰذَا قال صَالِحٌ المُرِّيُّ ذِكْرُ دَاوُدَ بَسْطَةٌ لِلتَّوَّابِينَ: قال ابنُ عَطَاءٍ[(١)] لم يَكُنْ مَا نَصَّ الله تَعَالَى مِنْ قِصَّةِ صَاحِبِ الحُوتِ نَقْصاً لَهُ ولٰكِن اسْتِزَادَةً مِنْ نَبِيِّنَا ﷺ وأَيْضاً فَيُقَالُ لَهُمْ فإنَّكُمْ وَمَنْ وَافَقَكُمْ تَقُولُونَ بِغُفْرَانِ الصَّغَائِرِ باجْتِنَابِ الكَبَائِرِ وَلا خِلافَ في عِصْمَةِ الأَنْبِيَاءِ مِنَ الكَبَائِرِ فَمَا جَوَّزْتُمْ مِنْ وُقُوعِ الصَّغَائِرِ عَلَيْهِمْ هِيَ مَغْفُورَةٌ على هٰذَا فَمَا مَعْنَى المُؤَاخَذَةِ بِهَا إذاً عِنْدَكُمْ وَخَوْفِ الأَنْبِيَاءِ وَتَوْبَتِهِمْ منها وهِيَ مَغْفُورَةٌ لَوْ كَانَتْ فَمَا أَجَابُوا بِهِ فَهُوَ جَوَابُنَا عَنِ المُؤَاخَذَةِ بأَفْعَالِ السَّهْوِ وَالتَّأْوِيلِ، وَقَدْ قِيلَ إنَّ كَثْرَةَ اسْتِغْفَارِ النبيِّ ﷺ وَتَوْبَتِهِ وَغَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ على وَجْهِ مُلازَمَةِ الخُضُوعِ وَالعُبُودِيَّةِ والاعْتِرافِ بالتَّقْصِيرِ شُكْراً لله على نِعَمِهِ كما قال ﷺ وَقَدْ أَمِنَ مِنَ المُؤَاخَذَةِ بِمَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ «**أفَلا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً**»[(٢)] وَقال: «**إنِّي أَخْشَاكُمْ لله وَأَعْلَمُكُمْ بِمَا أَتَّقى**»[(٣)] قال الحارِثُ بنُ أَسَدٍ[(٤)]: خَوْفُ المَلائِكَةِ وَالأَنْبِيَاءِ خَوْفُ إِعْظَامٍ وَتَعَبُّدٍ لله لأنَّهُمْ آمِنُونَ. وَقِيلَ فَعَلُوا ذٰلِكَ لِيَقْتَدِي بِهِمْ وَتَسْتَنَّ بِهِمْ أُمَمُهُمْ كما قال ﷺ: «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً**»[(٥)] وَأَيْضاً فإنَّ في التَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ مَعْنًى آخَرَ

---

(١) ابن عطاء. تقدمت ترجمته.

(٢) أفلا أكون عبداً شكوراً.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٨/ ٥٨٤ كتاب التفسير (٦٥) باب: «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك» الفتح: ٤٨/٢، الحديث ٤٨٣٦. ومسلم في الصحيح ٤/ ٢١٧١ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٥٠) باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة (١٨) الحديث: ٢٨١٩/٧٩.

(٣) إني أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١١/ ٢٧٣ في الرقاق باب قول النبي ﷺ- وفي الإيمان والنذور باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، والإمام مسلم في الصحيح: ٧٨١، والإمام الترمذي في السنن: ٢٣١٤ في الزهديات. قول النبي ﷺ: لو تعلمون..

(٤) الحارث بن أسد.

(٥) لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٦/ ٦٨ والإمام مسلم في الصحيح: ١٨٣٢.

لَطِيفاً أشَارَ إلَيْهِ بَعْضُ العُلَمَاءِ وَهُوَ اسْتِدْعَاءُ مَحَبَّةِ الله قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] فإحْدَاثُ الرُّسُلِ والأنْبِيَاءِ الاسْتِغْفَارَ وَالتَّوْبَةَ والإنابةَ والأَوْبَةَ في كُلِّ حِين اسْتِدْعَاءٌ لِمَحَبَّةِ الله وَالاسْتِغْفَارُ فِيهِ مَعْنَى التَّوْبَةِ، وَقَدْ قالَ الله لِنَبِيِّهِ ﷺ بَعْدَ أنْ غَفَرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١١٧] الآيةَ وقال تعالى ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ٣].

الفصل الخامس عشر: فائدة ما مر من الفصول في العصمة

قَدِ اسْتَبَانَ لَكَ أيُّهَا النَّاظِرُ مما قَرَّرْنَاهُ مَا هُوَ الحَقُّ مِنْ عِصْمَتِهِ ﷺ عَنِ الجَهْلِ بالله وَصِفاتِهِ أَوْ كَوْنِهِ على حَالَةٍ تُنَافِي العِلْمَ بِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ جُملةً بَعْدَ النُّبوةِ عَقْلاً وَإِجْمَاعاً وَقَبْلَهَا سَمَاعاً وَنَقْلاً وَلاَ بِشَيْءٍ مِمّا قَرَّرْنَاهُ مِنْ أُمُورِ الشَّرْعِ وَأَدَّاهُ عَنْ رَبِّهِ مِنَ الوَحْيِ قَطْعاً وَعَقْلاً وَشَرْعاً وَعِصْمَتِهِ عَنِ الْكَذِبِ وَخُلْفِ القَوْلِ مُنْذُ نَبَّأَهُ الله وَأَرْسَلَهُ قَصْداً أَوْ غَيْرَ قَصْدٍ وَاسْتِحَالَةَ ذٰلِكَ عَلَيْهِ شَرْعاً وَإِجْمَاعاً وَنَظَراً وَبُرْهَاناً وَتَنْزِيهِهِ عَنْهُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ قَطْعاً وَتَنْزِيهِهِ عن الكَبَائِرِ إجماعاً وَعَنِ الصَّغَائِرِ تَحْقِيقاً وَعَنِ اسْتِدَامَةِ السَّهْوِ وَالغَفْلَةِ وَاسْتِمْرَارِ الغَلَطِ وَالنِّسْيَانِ عَلَيْهِ فيما شَرَعَهُ للأُمَّةِ وَعِصْمَتِهِ في كُلِّ حَالاَتِهِ مِنْ رضى وَغَضَبٍ وَجِدٍّ وَمَزْحٍ فَيَجِبُ عَلَيْكَ أنْ تَتَلَقَّاهُ باليَمِينِ وَتَشُدَّ عَلَيْه يَدَ الضَّنِينِ وَتُقَدِّرَ هٰذِهِ الفُصُولَ حَقَّ قَدْرِهَا وَتَعْلَمَ عَظِيمَ فَائِدَتِهَا وَخَطَرِها فإنَّ مَنْ يَجْهَلُ مَا يَجِبُ للنَّبِيِّ ﷺ أوْ يَجُوزُ أوْ يَسْتَحِيلُ عليهِ ولا يَعْرِفُ صُوَرَ أَحْكَامِهِ لا يَأْمَنُ أنْ يَعْتَقِدَ في بَعْضِهَا خِلافَ مَا هِيَ عَلَيْه وَلا يُنَزِّهُهُ عَمَّا لا يَجِبُ أنْ يُضافَ إِلَيْهِ فَيَهْلِكَ مِنْ حَيْثُ لا يَدْرِي وَيَسْقُطَ في هُوَّةِ الدَّرْكِ الأسْفَلِ مِنَ النَّارِ إذْ ظَنُّ البَاطِلِ به اعْتِقَادُ ما لا يَجُوزُ عليه يُحِلُّ بِصَاحِبِهِ دَارَ البَوَارِ وَلِهٰذَا مَا احْتَاطَ عليهِ السلامُ على الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ رَأيَاهُ لَيْلاً وَهُوَ مُعْتَكِفٌ في المَسْجِدِ مع صَفِيَّةَ[1] فقالَ لَهُمَا: إنَّهَا صَفِيَّةُ، ثُمَّ قال لَهُمَا: **«إنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ وإنِّي خَشِيتُ أنْ يَقْذِفَ في قُلُوبِكُمَا شَيْئاً فَتَهْلِكَا»**[2].

هٰذِهِ أكْرَمَكَ الله إحْدَى فَوَائِدِ مَا تَكَلَّمْنا عليه في هٰذِهِ الفُصُولِ ولَعَلَّ جَاهِلاً لا يَعْلَمُ بِجَهْلِهِ إذَا سَمِعَ شَيْئاً مِنْهَا يَرَى أنَّ الكَلاَمَ فِيهَا جُمْلَةً مِن فُضُولِ العِلْمِ وَأنَّ السُّكُوتَ أوْلَى وَقَدِ اسْتَبَانَ لَكَ أنَّهُ مُتَعَيِّنٌ لِلْفَائِدَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَفَائِدَةٌ ثانِيَةٌ يُضْطَرُّ إلَيْهَا في أُصُولِ الْفِقْهِ وَيُبْتَنَى عَلَيْهَا مَسَائِلُ لاَ تَنْعَدُّ مِنَ الْفِقْهِ وَيَتَخَلَّصُ بِها مِنْ تَشْعِيبِ مُخْتَلِفِي الْفُقَهَاءِ في عِدَّةٍ مِنْهَا وَهِيَ الْحُكْمُ في أقْوَالِ

---

(١) صفية رضي الله عنها. تقدمت ترجمتها.

(٢) إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ٣/ ٦٢. والإمام مسلم في الصحيح: ١٧١٢.

النَّبيِّ ﷺ وَأفعَالِهِ وَهُوَ بابٌ عَظِيمٌ وَأصْلٌ كَبِيرٌ مِنْ أصُول الْفِقْهِ وَلاَ بُدَّ مِنْ بِنَائِهِ على صِدْقِ النَّبيِّ ﷺ في أخْبَارِهِ وَبَلاَغِهِ وَأنَّهُ لاَ يَجُوزُ عَلَيْه السَّهْو فيه وَعِصْمَتِهِ مِنَ المُخَالَفَةِ في أفْعَالِهِ عَمْداً وَبِحَسَبِ اخْتِلاَفِهِمْ في وُقُوعِ الصَّغَائِرِ وَقع خِلاَفٌ في امْتِثَالِ الْفِعْلِ بَسْطُ بَيَانِهِ في كُتُبِ ذُلِكَ الْعِلْمِ فَلاَ نُطَوِّلُ به وَفَائِدَةٌ ثالِثَةٌ يَحْتَاجُ إلَيْهَا الْحَاكِمُ وَالْمُفْتِي فيمَنْ أضَافَ إلى النبيِّ ﷺ شَيْئاً مِنْ هٰذِهِ الأمُورِ وَوَصَفَهُ بِهَا فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ مَا يَجُوزُ وَمَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ وَمَا وَقَعَ الإجْمَاعُ فيه وَالخِلاَفُ كَيْفَ يُصَمِّمُ في الْفُتْيَا في ذُلِكَ وَمِنْ أيْنَ يَدْرِي هَلْ مَا قَالَهُ فيه نَقْصٌ أو مَدْحٌ فإمَّا أنْ يَجْتَرِىءَ على سَفْكِ دَم مُسْلِم حَرَام أوْ يُسْقِطَ حَقّاً وَيُضَيِّعَ حُرْمَةً لِلنَّبيِّ ﷺ؟ وَبِسَبِيل هٰذَا مَا قَدِ اخْتَلَفَ أرْبَابُ الأصُولِ وَأئِمَّةُ الْعُلَمَاءِ وَالمُحَقِّقِينَ في عِصْمَةِ المَلاَئِكَةِ.

الفصل السادس عشر: في القول في عصمة الملائكة

أجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ على أنَّ المَلاَئِكَةَ مُؤْمِنُونَ فُضَلاَءُ وَاتَّفَقَ أئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ أن حُكْمَ الْمُرْسَلِينَ مِنْهُمْ حُكْمُ النَّبِيِّينَ سَوَاءً في الْعِصْمَةِ مِمَّا ذَكَرْنَا عِصْمَتَهُمْ مِنْهُ وَأنَّهُمْ في حُقُوقِ الأنْبِيَاءِ وَالتَّبْلِيغِ إلَيْهِمْ كالأنْبِيَاءِ مَعَ الأُمَمِ وَاخْتَلَفُوا في غَيْرِ الْمُرْسَلِينَ مِنْهُمْ فَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إلى عِصْمَةِ جَمِيعِهِمْ عَنِ الْمَعَاصِي وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] وبِقَوْلِه: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٤ - ١٦٦] وبِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩ - ٢٠] وبِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] الآيَة، بِقَوْلِهِ: ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٦] و ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩] وَنَحْوِهِ مِنَ السَّمْعِيَّاتِ، وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إلى أنَّ هٰذَا خُصُوصٌ لِلْمُرْسَلِينَ مِنْهُمْ وَالْمُقَرَّبِينَ، وَاحْتَجُّوا بِأشْيَاءَ ذَكَرَهَا أهْلُ الأخْبَارِ وَالتَّفَاسِيرِ نَحْنُ نَذْكُرُهَا إنْ شَاءَ الله بَعْدُ وَنُبَيِّنُ الْوَجْهَ فيها إنْ شَاءَ الله، وَالصَّوَابُ عِصْمَةُ جَمِيعِهِمْ وَتَنْزِيهُ نِصَابِهِم الرَّفِيعِ عَنْ جَمِيع مَا يَحُطُّ مِنْ رُتْبَتِهِمْ وَمَنْزِلَتِهِمْ عَنْ جَلِيلِ مِقْدَارِهِمْ وَرَأيْتُ بَعْضَ شُيُوخِنَا أشَارَ بأنْ لاَ حَاجَةَ بالْفَقِيهِ إلى الْكَلاَمِ في عِصْمَتِهِمْ، وَأنَا أقُولُ إنَّ لِلْكَلاَمِ في ذُلِكَ مَا لِلْكَلاَمِ في عِصْمَةِ الأنْبِيَاءِ مِنَ الْفَوَائِدِ الَّتي ذَكَرْنَاهَا سِوَى فَائِدَةِ الْكَلاَمِ في الأقْوَالِ وَالأفْعَالِ فَهِيَ سَاقِطَةٌ هٰهُنَا، فَمِمَّا احْتَجَّ بِهِ مَنْ لَمْ يُوجِبْ عِصْمَةَ جَمِيعِهِمْ قِصَّةُ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا ذَكَرَ فِيهَا أهْلُ الأخْبَارِ وَنَقَلَةُ الْمُفَسِّرِينَ وَمَا رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ[1] وابنِ عَبَّاسٍ[2] في خَبَرِهِمَا

---

(١) علي بن أبي طالب رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٢) ابن عباس. وقد ذكر القصة الإمام أحمد في المسند: ٩/ ٣٥، وابن كثير في التفسير: ١/ ١٩٨ والقرطبي في التفسير كذلك: ٢/ ٥٤.

وَابْتِلَائِهِمَا، فَاعْلَمْ أَكْرَمَكَ اللهُ أَنَّ هٰذِهِ الأَخْبَارَ لَمْ يُرْوَ مِنْهَا شَيْءٌ لاَ سَقِيمٌ وَلاَ صَحِيحٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَيْسَ هُوَ شَيْئاً يُؤْخَذُ بِقِيَاسٍ وَالَّذِي مِنْهُ فِي الْقُرْآنِ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَاهُ، وَأَنْكَرَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ كَمَا سَنَذْكُرُهُ، وَهٰذِهِ الأَخْبَارُ مِنْ كُتُبِ الْيَهُودِ وَافْتِرَائِهِمْ كما نَصَّهُ اللهُ أَوَّلَ الآيَاتِ مِنَ افْتِرَائِهِمْ بِذَلِكَ على سُلَيْمَانَ وَتَكْفِيرِهِمْ إِيَّاهُ؛ وَقَدِ انْطَوَتِ الْقِصَّةُ على شُنَعٍ عَظِيمَةٍ وَهَا نَحْنُ نُخْبِرُ فِي ذٰلِكَ مَا يَكْشِفُ غِطَاءَ هذه الإِشْكَالاَتِ إِنْ شَاءَ اللهُ فَاخْتُلِفَ أَوَّلاً فِي هَارُوتَ وَمَارُوتَ هَلْ هُمَا مَلَكَانِ أَوْ إِنْسِيَّانِ، وَهَلْ هُمَا الْمُرَادُ بِالْمَلَكَيْنِ أَمْ لاَ، وَهَلِ الْقِرَاءَةُ مَلَكَيْنِ أَوْ مَلِكَيْنِ، وَهل ما في قولِهِ: ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ [البقرة: ١٠٢] ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] نَافِيَةٌ أَوْ مُوجِبَةٌ؟ فَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ أن الله تَعَالَى امْتَحَنَ النَّاسَ بِالْمَلَكَيْنِ لِتَعْلِيمِ السِّحْرِ وَتَبْيِينِهِ وَأن عَمَلَهُ كُفْرٌ، فَمَنْ تَعَلَّمَهُ كَفَرَ، وَمَنْ تَرَكَهُ آمَنَ؛ قال الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] وَتَعْلِيمُهُمَا النَّاسَ لَهُ تَعْلِيمُ إِنْذَارٍ أَيْ يَقُولاَنِ لِمَنْ جاء يَطْلُبُ تَعَلُّمَهُ لاَ تَفْعَلُوا كَذَا فَإِنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَلاَ تَتَخَيَّلُوا بِكَذَا فَإِنَّهُ سِحْرٌ فَلاَ تَكْفُرُوا فَعَلَى هٰذَا فِعْلُ الْمَلَكَيْنِ طَاعَةٌ وَتَصَرُّفُهُمَا فِيمَا أُمِرَا به لَيْسَ بِمَعْصِيَةٍ وَهِيَ لِغَيْرِهِمَا فِتْنَةٌ، وَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ[١] عن خَالِدِ بنِ أَبِي عِمْرَانَ[٢] أَنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَهُ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَإِنَّهُمَا يُعَلِّمَانِ السِّحْرَ فقال نَحْنُ نُنَزِّهُهُمَا عَنْ هٰذَا فَقَرَأَ بَعْضُهُمْ ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ [البقرة: ١٠٢] فقال خَالِدٌ لَمْ يُنْزَلْ عَلَيْهِمَا فَهٰذَا خَالِدٌ عَلَى جَلاَلَتِهِ وَعِلْمِهِ نَزَّهَهُمَا عَنْ تَعْلِيمِ السِّحْرِ الَّذِي قَدْ ذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّهُمَا مَأْذُونٌ لَهُمَا فِي تَعْلِيمِهِ بِشَرِيطَةِ أَنْ يُبَيِّنَا أَنَّهُ كُفْرٌ وَأَنَّهُ امْتِحَانٌ مِنَ اللهِ وَابْتِلاَءٌ، فَكَيْفَ لاَ يُنَزِّهُهُمَا عَنْ كَبَائِرِ الْمَعَاصِي وَالْكُفْرِ الْمَذْكُورَةِ فِي تِلْكَ الأَخْبَارِ، وقولُ خَالِدٍ لَمْ يُنْزَلْ يُرِيدُ أَنَّ «مَا» نَافِيَةٌ وهو قولُ ابنِ عباسٍ[٣]، قال مَكِّيٌّ[٤] وَتَقْدِيرُ الْكَلاَمِ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ يُرِيدُ بالسِّحْرِ الَّذِي افْتَعَلَتْهُ عَلَيْهِ الشَّيَاطِينُ وَاتَّبَعَهُمْ فِي ذٰلِكَ الْيَهُودُ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ، قال مَكِّيٌّ هُمَا جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ ادَّعَى الْيَهُودُ عَلَيْهِمَا الْمَجِيءَ بِهِ كَمَا ادَّعَوْا عَلَى سُلَيْمَانَ فَأَكْذَبَهُمُ اللهُ فِي ذٰلِكَ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] بِبَابِلَ هاروتَ وَمَاروت: قِيلَ: هُمَا رَجُلاَنِ تَعَلَّمَاهُ، قال الْحَسَنُ[٥]: هَارُوتُ وماروتُ عِلْجَانِ مِنْ أَهْلِ بابلَ، وَقَرَأَ: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلِكَيْنِ﴾ [البقرة: ١٠٢] بِكَسْرِ اللاَّمِ وَتَكُونُ «ما» إِيجَاباً على هٰذَا، وَكَذَلِكَ قِرَاءَةُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بنِ أَبْزَى[٦] بِكَسْرِ اللاَّمِ، وَلٰكِنَّهُ قال الملِكَانِ

---

(١) ابن وهب. تقدمت ترجمته.

(٢) خالد بن أبي عمران التجيبي التونسي قاضي إفريقية ومحدثها الكبير توفي سنة ١٣٩ هـ.

(٣) (٤) تقدمت ترجمتهما.

(٥) الحسن رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٦) عبد الرحمن بن أبزي. تقدمت ترجمته.

هُنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانُ وَتَكُونُ «ما» نَفياً على ما تَقَدَّمَ؛ وَقِيلَ: كانا مَلِكَينِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَمَسَخَهُمَا الله، حَكاهُ السَّمَرْقَنْدِيُّ[١] وَالقِرَاءَةُ بِكَسْرِ اللام شَاذَّةٌ فَمَحْمِلُ الآيَةِ على تَقْدِيرِ أَبِي مُحمد مَكِّيٍّ[٢] حَسَنٌ يُنَزِّهُ المَلائِكَةَ ويُذْهِبُ الرِّجْسَ عَنْهُمْ وَيُطَهِّرُهُمْ تَطْهِيراً وَقَدْ وَصَفَهُمُ الله بأَنَّهُمْ مُطَهَّرُونَ و﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس:١٦] و﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ [التحريم:٦] وَمِمَّا يَذْكُرُونَهُ قِصَّةَ إِبْلِيسَ وإنهُ كانَ مِنَ المَلائِكَةِ وَرَئِيساً فِيهِمْ وَمِنْ خُزَّانِ الجَنَّةِ إلى آخر ما حَكَوْهُ وَأَنهُ اسْتَثْنَاهُ مِنَ المَلائِكَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [البقرة:٣٤] وَهٰذَا أَيْضاً لَمْ يُتَّفَقْ عَلَيْهِ بَلِ الأَكْبَرُ يَنْفُونَ ذٰلِكَ وأنهُ أبو الجِنِّ كما آدَمُ أو الإنس وَهُوَ قَوْلُ الحَسَنِ[٣] وَقَتَادَةَ[٤] وابنِ زَيْدٍ[٥]، وقالَ شَهْرُ بنُ حَوْشَبٍ[٦] كانَ مِنَ الجِنِّ الَّذِينَ طَرَدَتْهُمُ المَلائِكَةُ في الأَرْضِ حِينَ أَفْسَدُوا، وَالاسْتِثْنَاءُ مِنْ غَيْرِ الجِنْسِ شَائِعٌ في كلامِ العَرَبِ سائِغٌ وَقَدْ قَالَ الله تَعالَى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ﴾ [النساء:١٥٧] وَمِمَّا رَوَوْهُ في الأَخْبَارِ أن خَلْقاً مِنَ المَلائِكَةِ عَصَوا الله فَحُرِّقُوا وَأُمِرُوا أَنْ يَسْجُدُوا لآدَمَ فَأَبَوْا فَحُرِّقُوا ثُمَّ آخَرُونَ كَذٰلِكَ حَتَّى سَجَدَ لَهُ مَنْ ذَكَرَ الله إلا إِبْلِيسَ في أَخْبَارٍ لاَ أَصْلَ لَهَا تَرُدُّهَا صِحَاحُ الأَخْبَارِ فَلاَ يُشْتَغَلُ بِهَا وَالله أَعْلَمُ.

---

(١) السمرقندي. تقدمت ترجمته.

(٢) أبو محمد مكي. تقدمت ترجمته.

(٣) الحسن. تقدمت ترجمته.

(٤) قتادة. تقدمت ترجمته.

(٥) ابن زيد. تقدمت ترجمته.

(٦) شهر بن حوشب. تقدمت ترجمته.



الباب الثاني

فيما يخصهم من الأمور الدنيوية وما يطرأ عليهم من العوارض البشرية

وفيه تسعة فصول:

الفصل الأول: حالة الأنبياء بالنسبة للعوارض البشرية...

الفصل الثاني: في سحره.

الفصل الثالث: هذا حاله في جسمه.

الفصل الرابع: وأما ما يعتقده.

الفصل الخامس: وأما أقواله الدنيوية.

الفصل السادس: فإن قلت قد تقررت.

الفصل السابع: في حكمة إجراء الأمراض.

الفصل الثامن: وأما أفعاله الدنيوية.

الفصل التاسع: فإن قلت فما الحكمة في إجراء الأمراض.

الباب الثاني

فيما يَخُصُّهُمْ من الأُمُور الدُّنْيَوِيَّةِ وَمَا يَطْرَأُ عَلَيْهِمْ مِنَ العَوَارِضِ البَشَرِيَّةِ

الفصل الأول: حالة الأنبياء بالنسبة للعوارض البشرية

قَدْ قَدَّمْنَا أنهُ ﷺ وَسَائِرَ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُل مِنَ البَشَرِ وَأَنَّ جِسْمَهُ وَظَاهِرَهُ خَالِصٌ لِلْبَشَرِ يَجُوزُ عَليه مِنَ الآفَاتِ وَالتَّغْيِيرَاتِ وَالآلام والأَسْقَام وَتَجَرُّع كَأْسِ الْحِمَام مَا يَجُوزُ على البَشَرِ وَهٰذَا كُلُّهُ لَيْسَ بِنَقِيصَةٍ فِيهِ لأنَّ الشَّيْءَ إنَّمَا يُسَمَّى نَاقِصاً بِالإضَافَةِ إلى مَا هُوَ أَتَمُّ مِنْهُ وَأَكْمَلُ مِنْ نَوْعِهِ وَقَدْ كَتَبَ الله تَعَالَى على أَهْلِ هٰذِهِ الدَّارِ فِيهَا يَحْيَوْنَ وفيها يَمُوتُونَ وَمِنْهَا يُخْرَجُونَ وَخَلَقَ جَمِيعَ البَشَرِ بِمَدْرَجَةِ الغِيَرِ فَقَدْ مَرِضَ ﷺ وَاشْتَكَى وَأَصَابَهُ الحَرُّ وَالقَرُّ وَأَدْرَكَهُ الْجُوعُ وَالعَطَشُ وَلَحِقَهُ الغَضَبُ وَالضَّجَرُ وَنَالَهُ الإعْيَاءُ وَالتَّعَبُ وَمَسَّهُ الضَّعْفُ وَالكِبَرُ وَسَقَطَ فَجُحِشَ شِقُّهُ وَشَجَّهُ الكُفَّارُ وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ وَسُقِي السَّمَّ وَسُحِرَ وَتَدَاوَى وَاحْتَجَمَ وَتَنَشَّرَ وَتَعَوَّذَ ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ فَتُوُفِّي ﷺ وَلَحِقَ بِالرَّفِيقِ الأَعْلَى وَتَخَلَّصَ مِنْ دَارِ الامْتِحَان وَالبَلْوَى وَهٰذِهِ سِمَاتُ البَشَرِ الَّتي لاَ مَحِيصَ عَنْهَا وَأَصَابَ غَيْرَهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ فَقُتِلُوا قَتْلاً وَرُمُوا في النَّارِ وَنُشِرُوا بِالْمَنَاشِيرِ وَمِنْهُمْ مَنْ وَقَاهُ الله ذٰلِكَ في بَعْضِ الأَوْقَات وَمِنْهُمْ مَنْ عَصَمَهُ كما عُصِمَ بَعْدُ نَبِيُّنَا مِنَ النَّاسِ فَلَئِنْ لَمْ يَكْفِ نَبِيَّنَا رَبُّهُ يَدَ ابنِ قَمِئَة[1] يَوْمَ أُحُدٍ وَلاَ حَجَبَهُ عَنْ عُيُونِ عِدَاهُ عِنْدَ دَعْوَتِهِ أَهْلَ الطَّائِفِ فَلَقَدْ أَخَذَ على عُيونِ قُرَيْشٍ عِنْدَ خُرُوجِهِ إلى ثَوْرٍ وَأَمْسَكَ عَنْهُ سَيْفَ غَوْرَثٍ[2] وَحَجَر أبي جَهْلٍ[3] وَفَرَسَ سُرَاقَةَ[4] وَلَئِنْ لَمْ يَقِهِ مِنْ سِحْرِ ابنِ الأَعْصَمِ[5] فَلَقَدْ وَقَاهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ سَمِّ الْيَهُودِيَّةِ وَهٰكَذَا سَائِرُ أَنْبِيَائِهِ مُبْتَلًى وَمُعَافًى وَذٰلِكَ مِنْ تَمَام حِكْمَتِهِ لِيُظْهِرَ شَرَفَهُمْ في هٰذِهِ المَقَامَاتِ وَيُبَيِّنَ أَمْرَهُمْ وَيُتِمَّ كَلِمَتَهُ فِيهِمْ وَلِيُحَقِّقَ بامْتِحَانِهِمْ بَشَرِيَّتَهُمْ وَيَرْتَفِعَ الالْتِبَاسُ عَنْ أَهْلِ الضَّعْفِ فِيهِمْ لِئَلاَّ يَضِلُّوا بِمَا يَظْهَرُ مِنَ الْعَجَائِبِ على أَيْدِيهِمْ ضَلاَلَ النَّصَارَى بِعِيسَى ابنِ مَرْيَمَ وَلِيَكُونَ في مِحَنِهِمْ تَسْلِيَةٌ لِأُمَمِهِمْ وَوُفُورٌ لِأُجورِهِم عِنْدَ رَبِّهِمْ تَمَاماً على الَّذِي أَحْسَنَ إِلَيْهِم؛ قالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ وَهٰذِهِ الطَّوَارِىءُ وَالتَّغْيِيرَاتُ المَذْكُورَةُ إِنَّمَا تَخْتَصُّ بِأَجْسَامِهِمْ الْبَشَرِيَّةِ المَقْصُودِ بِهَا مُقَاوَمَةُ الْبَشَرِ وَمُعَانَاةُ بَنِي آدَمَ لِمُشَاكَلَةِ الجِنْسِ وَأَمَّا بَوَاطِنُهُمْ فَمُنَزَّهَةٌ غَالِباً عَنْ ذٰلِكَ مَعْصُومَةٌ مِنْهُ مُتَعَلِّقَةٌ بِالمَلأِ الأَعْلَى وَالمَلاَئِكَةِ لِأَخْذِهَا عَنْهُمْ وَتَلَقِّيهَا الْوَحْيَ مِنْهُمْ قالَ وَقَدْ

---

(١) ابن قمئة. تقدمت ترجمته.

(٢) غوث. تقدمت ترجمته.

(٣) أبو جهل. تقدمت ترجمته.

(٤) سراقة. تقدمت ترجمته.

(٥) ابن الأعصم. تقدمت ترجمته.

قالَ ﷺ: «إنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي»[١] وَقَالَ: «إنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي»[٢] وقالَ: «لَسْتُ أَنسىٰ وَلٰكِنْ أُنسَى لِيُسْتَنَّ بِي»[٣] فَأَخْبَرَ أَنَّ سِرَّهُ وَباطِنَهُ وَرُوحَهُ بِخلاَفِ جِسْمِهِ وَظَاهِرِهِ وَأَنَّ الآفاتِ الَّتي تَحِلُّ ظَاهِرَهُ مِنْ ضَعْفٍ وَجُوعٍ وَسَهرٍ وَنَوْمٍ لاَ يَحِلُّ مِنْهَا شَيْءٌ بَاطِنَهُ بِخلافِ غَيْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ في حُكْمِ الْبَاطِنِ لأنَّ غَيْرَهُ إذَا نَامَ اسْتَغْرَقَ النَّوْمُ جِسْمَهُ وَقَلْبَهُ وَهُوَ ﷺ في نَوْمِهِ حَاضِرُ الْقَلْبِ كما هُوَ في يَقْظَتِهِ حَتَّى قَدْ جَاءَ في بَعْضِ الآثارِ أنَّهُ كانَ مَحْرُوساً مِنَ الْحَدَثِ في نَوْمِهِ لِكَوْنِ قَلْبه يَقْظَانَ كما ذَكَرْنَاهُ وَكَذٰلِكَ غَيْرُهُ إذَا جَاعَ ضَعُفَ لِذٰلِكَ جِسْمُهُ وَخَارَتْ قُوَّتُهُ فَبَطَلَتْ بِالْكُلِّيَّةِ جُمْلَتُهُ وَهُوَ ﷺ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ لاَ يَعْتَرِيهِ ذٰلِكَ وَأَنَّهُ بِخِلاَفِهِمْ لِقَوْلِهِ: «إنِّي لَسْتُ كَهيئَتِكُمْ إنِّي أَبِيتُ يطعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي»[٤] وَكَذٰلِكَ أَقُولُ إنَّهُ في هٰذِهِ الأَحْوَالِ كُلِّهَا مِنْ وَصَبٍ وَمَرَضٍ وَسِحْرٍ وَغَضَبٍ لَمْ يَجْرِ على بَاطِنِهِ مَا يُخِلُّ بِهِ وَلاَ فَاضَ مِنْهُ عَلَى لِسَانِهِ وَجَوَارِحِهِ مَا لاَ يَلِيقُ بِهِ كَما يَعْتَرِي غَيْرَهُ مِنَ الْبَشَرِ مِمَّا نَأْخُذُ بَعْدُ في بَيَانِهِ.

الفصل الثاني: حالتهم بالنسبة للسحر

فَإنْ قُلْتَ فَقَدْ جَاءَتِ الأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ أَنَّهُ ﷺ سُحِرَ كَمَا حدثنا الشَّيْخُ أبو مُحَمَّدٍ الْعَتَّابي بِقِرَاءَتِي عَلَيْه قال نا حَاتِم بْنُ محمد نا أبو الْحَسَنِ عَلِيُّ بن خَلَفٍ نا مُحمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ نا محمَّدُ بْنُ يُوسُفَ نا الْبُخَارِيُّ نا عُبَيْدُ بْنُ إسْمَاعِيلَ نا أبو أُسَامَةَ عَنْ هِشَام بنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ[٥] رَضِيَ الله عَنْهَا قالَتْ: «سُحِرَ رَسُولَ الله ﷺ حَتَّى إنَّهُ لَيُخَيَّلُ إلَيْه أنَّهُ فَعَلَ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ»[٦] وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى حَتَّى كانَ يُخَيَّلُ إلَيْهِ أَنَّهُ كانَ يَأْتِي النِّسَاءَ وَلاَ يَأْتِيهِنَّ «الْحَدِيثَ» وَإذَا كَانَ هٰذَا مِنَ الْتِبَاسِ الأَمْرِ على الْمَسْحُورِ فَكَيْفَ حَالُ النَّبيِّ ﷺ في ذٰلِكَ وَكَيْفَ جَازَ عَلَيْهِ وَهُوَ

---

(١) إن عينيّ تنامان ولا ينام قلبي.. الحديث/ أخرجه البخاري في الصحيح: ٦/ ٣٣٤ كتاب بدء الخلق (٥٩) باب صفة إبليس وجنوده (١١) الحديث: ٣٢٦٨، وفي: ١٠/ ٢٢١ باب هل يستخرج السحر (٤٩) الحديث: ٥٧٦٥.

(٢) إني لست كهيئتكم.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ٤/ ١٧٧، في الصوم باب الوصل وباب الوصال إلى السحر وأبو داود رقم: ٢٣٦١ في الصوم باب في الوصال.

(٣) لست أنّسى ولكن أنسى ليستن بي.. الحديث/ أخرجه. تقدم تخريجه.

(٤) إني لست كهيئتكم.. الحديث/ تقدم تخريجه.

(٥) [....] ص ١٨٠. ساقطة من نسخة دمشق.

(٦) عائشة رضي الله عنها. تقدمت ترجمتها.

(٧) سحر رسول الله ﷺ.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٧/ ١٧٧.
والساحر هو: لبيد بن الأعصم، واختلف فيه قيل إنه يهودي وقيل منافق كان حليفاً لليهود.

مَعْصُومٌ؟ فاعْلَمْ وَفَّقَنَا الله وَإِيَّاكَ أَنَّ هٰذَا الحَدِيثَ صَحِيحٌ مُتَّفَقٌ عليهِ وَقَدْ طَعَنَتْ فيهِ المُلْحِدَةُ وَتَدَرَّعَتْ بِهِ لِسُخْفِ عُقُولِهَا وَتَلْبِيسِهَا على أَمْثَالِهَا إلى التَّشْكِيكِ في الشَّرْعِ وَقَدْ نَزَّهَ الله الشَّرْعَ والنبيَّ عَمَّا يُدْخِلُ في أَمْرِه لَبْساً وَإِنَّمَا السِّحْرُ مَرَضٌ مِنَ الأَمْرَاضِ وَعَارِضٌ مِنَ العِلَلِ يَجُوزُ عَلَيْهِ كأَنْواعِ الأَمْرَاضِ مِمَّا لا يُنْكَرُ وَلاَ يَقْدَحُ في نُبُوَّتِهِ.

وَأَمَّا مَا وَرَدَ أَنهُ كانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنهُ فَعَلَ الشَّيْءَ وَلاَ يَفْعَلُهُ فَلَيْسَ في هٰذَا ما يُدْخِلُ عَلَيْهِ دَاخِلَةً في شَيْءٍ مِنْ تَبْلِيغِه أَوْ شَرِيعَتِهِ أَوْ يَقْدَحُ في صِدْقِهِ لِقِيامِ الدَّلِيلِ والإِجْماعِ على عِصْمَتِهِ مِنْ هٰذَا وَإِنَّمَا هذا فِيما يَجُوزُ طُرُوُّهُ عليه في أَمْرِ دُنْيَاهُ التي لم يُبْعَثْ بِسَبَبِهَا وَلا فُضِّلَ مِنْ أَجْلِهَا وَهُوَ فِيهَا عُرْضَةٌ لِلآفَاتِ كَسَائِرِ البَشَرِ فَغَيْرُ بَعِيدٍ أَنْ يُخَيَّلَ إِلَيْه مِنْ أُمُورِها ما لا حَقِيقَةَ لَهُ ثُمَّ يَنْجَلي عَنْهُ كما كانَ وَأَيْضاً فَقَدْ فَسَّرَ هٰذَا الفَصْلَ الحَدِيثُ الآخَرُ مِنْ قَوْلِهِ: «حَتَّى يُخَيَّلَ إليه أَنَّهُ يَأْتِي أَهْلَهُ وَلا يَأْتِيهِنَّ» وَقَدْ قَالَ سُفْيَانُ[1]: هٰذَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ السِّحْرِ وَلَم يَأْتِ في خَبَرٍ مِنْهَا أَنَّهُ نُقِلَ عَنْهُ في ذٰلِكَ قَوْلٌ بِخِلاَفِ ما كانَ أَخْبَرَ أَنهُ فَعَلَهُ ولم يَفْعَلْهُ وَإِنَّمَا كانَتْ خَوَاطِرَ وَتَخْييلاَت. وَقَدْ قِيلَ إِنَّ المُرَادَ بالحديثِ أنهُ كانَ يَتَخَيَّلُ الشَّيْءَ أَنَّهُ فَعَلَهُ وَمَا فَعَلَهُ لكِنَّهُ تَخْيِيلٌ لا يَعْتَقِدُ صِحَّتَهُ فَتَكُونُ اعْتِقَادَاتُهُ كُلُّهَا على السَّدَادِ وَأَقْوالُهُ على الصِّحَّةِ، هذا ما وَقَفْتُ عليهِ لأَئِمَّتِنَا مِنَ الأَجْوِبَةِ عَنْ هذا الحديثِ مَعَ ما أَوْضَحْنَا مِنْ مَعْنَى كَلاَمِهِمْ وَزِدْنَاهُ بَيَاناً مِنْ تَلْوِيحَاتِهِمْ وَكُلُّ وَجْهٍ مِنْهَا مُقْنِعٌ لٰكِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لي في الحديثِ تَأْوِيلٌ أَجْلَى وَأَبْعَدُ مِنْ مَطَاعِنِ ذَوِي الأَضَالِيلِ يُسْتَفَادُ مِنْ نَفْسِ الحَدِيثِ وَهُوَ أَنَّ عَبْدَ الرَّزَّاقِ[2] قَدْ رَوَى هذا الحَدِيثَ عَنِ ابنِ المُسَيَّبِ[3] وَعُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ[4]؛ وقال فِيهِ عَنْهُمَا سَحَرَ يَهُودُ بَنِي زُرَيْقٍ رسول الله ﷺ فَجَعَلُوهُ في بِئْرٍ حَتَّى كَادَ رسولُ الله ﷺ أَنْ يُنْكِرَ بَصَرَهُ ثُمَّ دَلَّهُ الله عَلى مَا صَنَعُوا فَاسْتَخْرَجَهُ مِنَ البِئْرِ، وَرُوِيَ نَحْوُهُ عَنِ الوَاقِدِيِّ[5] وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بنِ كَعْبٍ[6] وعُمَرَ بنِ الحَكَمِ[7] وَذُكِرَ عَنْ عَطَاءٍ الخُرَاسَانِيِّ[8] عن يَحْيَى بن يَعْمَرَ[9]

---

(١) سفيان الثوري: هو أبو عبد من أتباع التابعين بالكوفة وكان من الحفاظ المتقين والفقهاء في الدين ممن لزم الحديث والفقه وواظب على العبادة والورع حتى صار علماً يرجع إليه في الأمصار وملجئاً يقتدى به في الأقطار توفي بالبصرة سنة: ١٦١ هـ ترجمته في المشاهير: ١٧٠.

(٢) عبد الرزاق. تقدمت ترجمته.

(٣) ابن المسيب. تقدمت ترجمته.

(٤) عروة بن الزبير. تقدمت ترجمته.

(٥) الواقدي. تقدمت ترجمته.

(٦) عبد الرحمن بن كعب. تقدمت ترجمته.

(٧) عمر بن الحكم. تقدمت ترجمته.

(٨) عطاء الخراساني. تقدمت ترجمته. (٩) يحيى بن يعمر. تقدمت ترجمته.

حُبِسَ رسولُ الله ﷺ عن عَائِشَةَ[(١)] سَنَةً فَبَيْنَا هُوَ نَائِمٌ أتَاهُ مَلَكَان فَقَعَدَ أحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ «الحَدِيثَ»؛ قال عَبْدُ الرَّزَّاق: حُبِسَ رسولُ الله ﷺ عن عَائِشَةَ خَاصَّةً سَنَةً حَتَّى أنْكَر بَصَرَهُ؛ وَرُوِيَ محمدُ بنُ سعدٍ[(٢)] عن ابنِ عَبَّاس[(٣)] مَرِضَ رسولُ الله ﷺ فَحُبِسَ عَنِ النِّسَاءِ وَالطَّعام وَالشَّرَاب فَهَبَطَ عليه مَلَكَانِ وَذَكَرَ القِصَّةَ؛ فَقَد اسْتَبَانَ لَكَ مِنْ مَضْمُونِ هٰذِهِ الرِّوَايَاتِ أنَّ السِّحْرَ إنَّمَا تَسَلَّطَ على ظَاهِرِهِ وَجَوارِحِهِ لاَ عَلَى قَلْبِهِ وَاعْتِقَادِهِ وَعَقْلِهِ وَأنَّهُ إنَّمَا أثَّرَ في بَصَرِهِ وَحَبَسَهُ عن وَطْءِ نِسَائِهِ وَطَعَامِهِ وَأضْعَفَ جِسْمَهُ وَأمْرَضَهُ وَيكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ: يُخَيَّلُ إلَيْهِ أنَّه يأتي أهْلَهُ وَلاَ يأتِيهِنَّ[(٤)]، أيْ: يَظْهَرُ لَهُ مِنْ نَشَاطِهِ وَمُتَقَدَّمِ عَادَتِهِ القُدْرَةُ على النِّسَاءِ فإذَا دَنا مِنْهُنَّ أصَابَتْهُ أُخْذَةُ السِّحْرِ فَلَمْ يَقْدِرْ على إتْيَانِهِنَّ كما يَعْتَرِي مَنْ أُخِذَ واعْتُرِضَ، وَلَعَلَّهُ لِمِثْل هٰذَا أشَارَ سُفْيَانُ[(٥)] بِقَوْلِهِ: وَهٰذَا أشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ السِّحْرِ وَيَكُونُ قَوْلُ عَائِشَةَ فِي الرِّوَايَةِ الأُخْرَى إنَّهُ لَيُخَيَّلُ إلَيْهِ أنَّهُ فَعَلَ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ مِنْ بَابِ مَا اخْتَلَّ مِنْ بَصَرِهِ كَما ذُكِرَ في الحَدِيثِ فَيَظُنُّ أنَّهُ رَأَى شَخْصاً مِنْ بَعْضِ أزْوَاجِهِ أوْ شَاهَدَ فِعْلاً مِنْ غَيْرِهِ وَلَمْ يَكُنْ على مَا يُخَيَّلُ إلَيْهِ لمَا أصَابَهُ في بَصَرِهِ وَضَعْفِ نَظَرِهِ لاَ لِشَيْءٍ طَرَأ عَلَيْهِ في مَيْزِهِ وَإذَا كانَ هٰذَا لَمْ يَكُنْ فِيما ذُكِرَ مِنْ إصَابَة السِّحْرِ لَهُ وَتأثِيرِه فِيهِ مَا يُدْخِلُ لَبْساً وَلاَ يَجِدُ به المُلْحِدُ المُعْتَرِضُ أُنساً.

الفصل الثالث: أحواله ﷺ في أمور الدنيا

هٰذَا حَالُهُ في جِسْمِهِ، فأمَّا أحْوَالُهُ في أُمُورِ الدُّنْيَا فَنَحْنُ نَسْبِرُهَا على أسْلُوبِهَا المُتَقَدِّمِ بالعَقْدِ وَالقَوْلِ وَالفِعْلِ؛ أمَّا العَقْدُ مِنْهَا فَقَدْ يَعْتَقِدُ في أُمُورِ الدُّنْيَا الشَّيْءَ على وَجْهٍ وَيَظْهَرُ خِلاَفُهُ أوْ يَكُونُ مِنْهُ على شَكٍّ أوْ ظَنٍّ بِخِلافِ أُمُورِ الشَّرْعِ كما حَدَّثَنَا أبو بَحْرٍ سُفْيَانُ بن العَاصِ وَغَيْرُ وَاحِدٍ سَمَاعاً وَقِرَاءَةً قالُوا حَدَّثَنا أبو العَبَّاس أحْمَدُ بْنُ عُمَرَ؛ قال حَدَّثَنَا أبو العَبَّاس الرَّازِيُّ حَدَّثَنَا أبو أحْمَدَ بْنُ عَمْرَوَيْهِ حَدَّثَنَا ابْنُ سُفْيَانَ حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ الرُّومِيِّ وَعَبَّاسٌ العَنْبَرِيُّ وَأحْمَدُ المَعْقِرِيُّ قالُوا حَدَّثَنا النَّضر بْنُ محمَّدٍ قالَ حدثني عِكْرِمَةُ حَدَّثَنَا أبو النَّجَاشِيِّ قالَ حَدَّثَنَا رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ قالَ: قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المَدِينَةَ وَهُمْ يأبُرُونَ النَّخْلَ فَقَالَ: **«مَا تَصْنَعُونَ؟»**[(٦)] قالُوا: كُنَّا نَصْنَعُهُ؛ قالَ: **«لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كانَ خَيْراً»** فَتَرَكُوهُ فَنَفَضَتْ، فَذَكَرُوا ذٰلِكَ لَهُ فَقَالَ: **«إنَّمَا أنَا بَشَرٌ إذَا أمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ وَإذَا أمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيٍ فَإنَّمَا أنا**

---

(١) عائشة. تقدمت ترجمته.
(٢) محمد بن سعد. تقدمت ترجمته.
(٣) ابن عباس. تقدمت ترجمته.
(٤) الحديث/ تقدم تخريجه.
(٥) سفيان الثوري. تقدمت ترجمته.
(٦) [....] ص ١٨٣ ساقطة من نسخة دمشق.

بَشَرٌ»[١] وفي رِوَايَةِ أَنَسٍ «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ» وفي حَدِيثٍ آخَرَ «إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنّاً فَلاَ تُؤَاخِذُونِي بالظَّنِّ»[٢] وَفي حَدِيثِ ابنِ عَبَّاسٍ[٣] في قِصَّةِ الْخَرْصِ فقالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّمَا أنا بَشَرٌ فما حَدَّثْتُكُمْ عَنَ الله فَهُوَ حَقٌّ وَمَا قُلْتُ فِيهِ مِنْ قِبَلِ نَفْسِي فَإِنَّمَا أنا بَشَرٌ أُخْطِىءُ وَأُصِيبُ»[٤] وَهٰذَا على مَا قَرَّرْنَاهُ فِيما قالهُ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ في أُمُورِ الدُّنْيَا وَظَنِّهِ مِنْ أَحْوَالِهَا لاَ ما قالَهُ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ وَاجْتِهَادِهِ في شَرْعٍ شَرَعَهُ وَسُنَّةٍ سَنَّها وكما حَكىٰ ابْنُ إسْحاقَ[٥] أَنَّهُ ﷺ لَمَّا نَزَلَ بأدنى مِيَاهِ بَدْر قالَ له الْحُبابُ بْنُ الْمُنْذِرِ[٦]: «أَهٰذَا مَنْزِلٌ أَنْزَلَكَهُ الله لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَهُ أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟»[٧] قَالَ: «لاَ بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ» قالَ فإِنَّهُ لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، انْهَضْ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى ماءٍ مِنَ الْقَوْمِ فَنَنْزِلَهُ ثُمَّ نُغَوِّرَ مَا وَرَاءَهُ مِنَ الْقُلْبِ فَنَشْرَبَ ولا يَشْرَبُونَ. فقالَ: «أَشَرْتَ بالرَّأْيِ» وَفَعَلَ ما قالَهُ، وَقَدْ قالَ الله تعالى له ﷺ ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وأَرادَ مُصالَحَةَ بَعْضِ عَدُوِّهِ على ثُلُثِ تَمْرِ الْمَدِينَةِ فاسْتَشَارَ الأَنْصارَ فَلَمَّا أَخْبَرُوهُ بِرأْيِهِمْ رَجَعَ عَنْهُ، فَمِثْلُ هٰذَا وَأَشْبَاهِهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا التي لا مَدْخَلَ فِيها لِعلْم دِيانَةٍ وَلاَ اعْتِقَادِهَا ولا تَعْلِيمِهَا يَجُوزُ عليهِ فيها ما ذَكَرْناهُ، إِذْ لَيْسَ في هٰذَا كُلِّهِ نَقِيصَةٌ ولا مَحَطَّةٌ وإِنَّمَا هيَ أُمُورٌ اعْتِيَادِيَّةٌ يَعْرِفُهَا مَنْ جَرَّبَهَا وَجَعَلَها هَمَّهُ وَشَغَلَ نَفْسَهُ بها والنبيُّ ﷺ مَشْحُونُ الْقَلْبِ بِمَعْرِفَةِ الرُّبُوبِيَّةِ مَلآنُ الْجَوَانِحِ بِعُلُومِ الشَّرِيعَةِ مُقَيَّدُ البَالِ بِمَصَالِحِ الأُمَّةِ الدِّينِيَّةِ والدُّنْيَوِيَّةِ ولٰكِنْ هٰذَا إِنَّمَا يَكُونُ في بَعْضِ الأُمُورِ وَيَجُوزُ في النادِرِ وَفِيما سَبِيلُهُ التَّدْقِيقُ في حِرَاسَةِ الدُّنْيَا وَاسْتِثْمَارِهَا لا في الكَثِيرِ الْمُؤْذِنِ بالبَلَهِ وَالغَفْلَةِ وَقَدْ تَوَاتَرَ بِالنَّقْلِ عَنْهُ ﷺ مِنَ المَعْرِفَةِ بِأُمُورِ الدُّنْيَا وَدَقَائِقِ مَصَالِحِهَا وَسِيَاسَةِ فِرَقِ أَهْلِهَا ما هُوَ مُعْجِزٌ في البَشَرِ مِمَّا قَدْ نَبَّهْنَا عَلَيْهِ في بابِ مُعْجِزَاتِهِ مِنْ هٰذَا الكِتَابِ.

---

(١) ما تصنعون.. الحديث/ أخرجه الإمام مسلم في الصحيح كتاب الفضائل: ٧٨ الحديث: ١٤٠، والطبراني في المعجم الكبير: ٤/ ٣٣٤، والهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٤٢. والتبريزي في مشكاة المصابيح: ٢٤٧.

(٢) إنما ظننت ظناً.. الحديث/ أخرجه الإمام مسلم في الصحيح: ١٨٣٥.

(٣) ابن عباس رضي الله عنهما تقدمت ترجمته.

(٤) إنما أنا بشر فما حدثتكم.. الحديث/ أخرجه الإمام مسلم في الصحيح كتاب الفضائل الحديث: ١٤٠ والطبراني في المعجم الكبير: ٤/ ٣٣٤، والتبريزي في مشكاة المصابيح: ١٤٧، والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣٢١٧٦.

(٥) ابن إسحاق. تقدمت ترجمته.

(٦) الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة كنيته أبو عمرو المدني الأنصاري من بني جشم بن الخزرج، شهدا بدراً، وهو القائل يوم السقيفة: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب. توفي في خلافة عثمان. ترجمته في الثقات: ٣/ ٩٠، والطبقات ٦/ ٣٣، والإصابة ١/ ٣٠٤.

(٧) أهذا منزل أنزلكه لك الله.. أورد القصة ابن هشام في سيرته. ٢/ ٢٥٩.

الفصل الرابع: أحكام البشر الجارية على يديه ﷺ

وَأما ما يَعْتَقِدُهُ في أُمُورِ أَحْكَامِ البَشَرِ الجارِيَةِ على يَدَيْهِ وَقَضَاياهُمْ وَمَعْرِفَةِ المُحِقِّ مِنَ المُبْطِلِ وَعِلْمِ المُصْلِحِ مِنَ المُفْسِدِ فَبِهَٰذِهِ السَّبِيلِ لِقَولِهِ ﷺ **«إِنَّمَا أَنا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِيَ لَهُ على نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ بِشَيْءٍ فَلاَ يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»**[1].

[حَدَّثَنَا الْفَقِيهُ أبو الوليدِ رَحِمَهُ الله حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بنُ محمدٍ الحافِظُ حَدَّثَنا أبو عمرَ حَدَّثَنا أبو محمدٍ حَدَّثَنَا أبو بكرٍ حَدَّثَنَا أبو داودَ حَدَّثَنَا محمدُ بنُ كثيرٍ أخبرنا سُفْيَانُ عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ عنْ أَبِيهِ][2] عن زينبَ[3] بِنتِ أُمِّ سَلَمَةَ[4] عن أُمِّ سَلَمَةَ قالت قال رسولُ الله ﷺ **«الحديثُ»**[5] وفي رِوايةِ الزُّهْرِيِّ[6] عن عُرْوَةَ[7]، **فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ فَأَحْسِبَ أَنَّهُ صَادِقٌ فَأَقْضِيَ لَهُ**، وَيُجْرِي أَحْكَامَهُ ﷺ على الظَّاهِرِ وَمُوجَبِ غَلَبَاتِ الظَّنِّ بِشِهَادَةِ الشَّاهِدِ وَيَمِينِ الحَالِفِ وَمُرَاعَاةِ الأَشْبَهِ وَمَعْرِفَةِ العِفَاصِ وَالْوِكَاءِ مَعَ مُقْتَضَى حِكْمَةِ الله في ذٰلِكَ فَإِنَّهُ تَعَالَى لَوْ شَاءَ لأَطْلَعَهُ عَلَى سَرَائِرِ عِبادِهِ وَمُخَبَّآتِ ضَمَائِرِ أُمَّتِهِ فَتَوَلَّى الْحُكْمَ بَيْنَهُمْ بِمُجَرَّدِ يَقِينِهِ وَعِلْمِهِ دُونَ حَاجَةٍ إِلَى اعْتِرَافٍ أَوْ بَيِّنَةٍ أَوْ يَمِينٍ أَوْ شُبْهَةٍ وَلٰكِنْ لَمَّا أَمَرَ الله أُمَّتَهُ بِاتِّبَاعِهِ وَالاقْتِداءِ به في أَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ وَقَضَايَاهُ وَسِيَرِهِ وَكَانَ هٰذَا لَوْ كَانَ مِمَّا يَخْتَصُّ بِعِلْمِهِ وَيُؤْثِرُهُ الله بِهِ لَمْ يَكُنْ لِلأُمَّةِ سَبِيلٌ إِلَى الاقْتِدَاءِ به في شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ وَلاَ قَامَتْ حُجَّةٌ بِقَضِيَّةٍ مِنْ قَضَايَاهُ لأَحَدٍ في شَرِيعته لأَنَّا لاَ نَعْلَمُ مَا أُطْلِعَ عَلَيْهِ هُوَ في تِلْكَ الْقَضِيَّةِ بحكْمِهِ هُوَ إِذاً في ذٰلِكَ بالمَكْنُونِ مِنْ إِعْلاَمِ الله لَهُ بِمَا أَطْلَعَهُ عَلَيْهِ مِنْ سَرَائِرِهِمْ وَهٰذَا مَا لاَ تَعْلَمُهُ الأُمَّةُ فأَجْرَى الله تَعَالَى أَحْكَامَهُ على ظَوَاهِرِهِمْ الَّتِي يَسْتَوِي في ذٰلِكَ هُوَ وَغَيْرُهُ مِنَ الْبَشَرِ لِيَتِمَّ اقْتِدَاءُ أُمَّتِهِ به في تَعْيِينِ قَضَايَاهُ وَتَنْزِيلِ أَحْكَامِهِ وَيأْتُونَ مَا أَتَوْا مِنْ ذٰلِكَ على عِلْمٍ وَيَقِينٍ مِنْ سُنَّتِهِ، إِذ الْبَيَانُ بِالْفِعْلِ أَوْقَعُ مِنْهُ بالْقَوْلِ وَأَرْفَعُ لاحْتِمَالِ اللَّفْظِ وَتَأْوِيلِ الْمُتَأَوِّلِ وَكَانَ حُكْمُهُ على الظَّاهِرِ أَجْلَى في الْبَيَانِ وَأَوْضَحَ في وُجُوهِ الأَحْكَامِ

---

(١) إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ ولعل.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١٢/ ٣٣٩، كتاب الحيل (٩٠) باب (١٠) وهو ما قبل باب في النكاح (١١) الحديث ٦٩٦٧ واللفظ له، والإمام مسلم في الصحيح ٣/ ١٣٣٧ كتاب الأقضية (٣٠) باب الحكم بالظاهر. (٣) الحديث: ٤/ ١٧١٣.

(٢) [....] ص ١٨٦ ساقطة من نسخة دمشق.

(٣) زينب بنت أم سلمة. تقدمت ترجمته.

(٤) أم سلمة. تقدمت ترجمتها.

(٥) الحديث. تقدم تخريج الحديث.

(٦) الزهري. تقدمت ترجمته.

(٧) عروة. تقدمت ترجمته.

وَأَكْثَرَ فائِدَةً لِمُوجِبَاتِ التَّشَاجُرِ وَالْخِصَامِ وَلِيَقْتَدِيَ بِذٰلِكَ كُلِّهِ حُكَّامُ أُمَّتِهِ وَيُسْتَوْثَقَ بِمَا يُؤْثَرُ عَنْهُ وَيَنْضَبِطَ قَانُونُ شَرِيعَتِهِ وَطِيُّ ذٰلِكَ عَنْهُ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ الَّذِي اسْتَأْثَرَ بِهِ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ على غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَيُعْلِمُهُ مِنْهُ بِمَا شَاءَ وَيَسْتَأْثِرُ بِمَا شَاءَ وَلاَ يَقْدَحُ هٰذَا فِي نُبُوَّتِهِ وَلاَ يَفْصِمُ عُرْوَةً مِنْ عِصْمَتِهِ.

الفصل الخامس: أخباره الدنيوية ﷺ

وَأَمَّا أَقْوَالُهُ الدُّنْيَوِيَّةِ مِنْ أَخْبَارِهِ عَنْ أَحْوَالِهِ وَأَحْوالِ غَيْرِهِ وَمَا يَفْعَلُهُ أَوْ فَعَلَهُ فَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ الْخُلْفَ فِيهَا مُمْتَنِعٌ عَلَيْهِ فِي كُلِّ حَالٍ وَعَلَى أَيِّ وَجْهٍ مِنْ عَمْدٍ أَوْ سَهْوٍ أو صِحَّةٍ أَوْ مَرَضٍ أو رِضًى أو غَضَبٍ وَإِنَّهُ مَعْصُومٌ مِنْهُ ﷺ. هٰذَا فِيمَا طَرِيقُهُ الْخَبَرُ الْمَحْضُ مِمَّا يَدْخُلُهُ الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ فَأَما الْمَعَارِيضُ الْمُوهِمُ ظَاهِرُهَا خِلاَفَ بَاطِنِهَا فَجَائِزٌ وَرُودُهَا مِنْهُ في الأُمُور الدُّنْيَوِيَّةِ لاَ سِيَّمَا لِقَصْدِ الْمَصْلَحَةِ كَتَوْرِيَته عَنْ وَجْهِ مَغَازِيهِ لِئَلاَّ يَأْخُذَ الْعَدُوُّ حذرَهُ وَكما رُوِيَ مِنْ مُمَازَحَتِهِ وَدُعَابَتِهِ لِبَسْطِ أُمَّتِهِ وَتَطْيِيبِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ صَحَابَتِهِ وَتأْكِيداً فِي تَحَبُّبِهِمْ وَمَسَرَّةِ نُفُوسِهِمْ كَقَوْلِهِ: **«لأَحْمِلَنَّكَ على ابنِ النَّاقَةِ»**[1] وَقَوْلِهِ لِلْمَرْأَةِ الَّتِي سَأَلَتْهُ عَنْ زَوْجِهَا: **«أَهُوَ الَّذِي بِعَيْنِهِ بَيَاضٌ»**؟ وَهٰذَا كُلُّهُ صِدْقٌ لأَنَّ كُلَّ جَمَلٍ ابْنُ نَاقَةٍ وَكُلُّ إِنْسَانٍ بِعَيْنِهِ بَيَاضٌ وَقَدْ قَالَ ﷺ: **«إِنِّي لأَمْزَحُ وَلاَ أَقُولُ إِلاَّ حَقّاً»**[2] هٰذَا كُلُّهُ فِيمَا بَابُهُ الْخَبَرِ.

فَأَمَّا ما بَابُهُ غَيْرُ الخَبَرِ مِمَّا صُورَتُهُ صُورَةُ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِي الأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ فَلاَ يَصِحُّ مِنْهُ أَيْضاً وَلاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ أَنْ يَأْمُرَ أَحَداً بِشَيْءٍ أَوْ يَنْهَى أَحَداً عَنْ شَيْءٍ وَهُوَ يُبْطِنُ خِلاَفَهُ وَقَدْ قَالَ ﷺ: **«مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ»**[3] فَكَيْفَ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ قَلْبٍ؟ فَإِنْ قُلْتَ فَمَا مَعْنَى قولـه تعالى فِي قِصَّةِ زَيْدٍ ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧] الآيَةَ؟ فاعْلَمْ أَكْرَمَكَ الله وَلاَ تَسْتَرِبْ فِي تَنْزِيهِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ هٰذَا الظَّاهِرِ وَأَنْ يَأْمُرَ زَيْداً[4] بِإِمْسَاكِهَا وَهُوَ يُحِبُّ تَطْلِيقَهُ إِيَّاهَا كما ذُكِرَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَأَصَحُّ ما فِي هٰذَا ما حَكَاهُ أَهْلُ التَّفْسِيرِ عَنْ عَلِيِّ بن حُسَيْنٍ أَنَّ الله تَعَالَى كَانَ أَعْلَمَ نَبِيَّهُ أَنَّ زَيْنَبَ سَتَكُونُ مِنْ أَزْوَاجِهِ فَلَمَّا شَكَاهَا إِلَيْهِ زَيدٌ قال له ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ﴾ [الأحزاب: ٣٧] وَأَخْفَى مِنْهُ فِي نَفْسِهِ مَا أَعْلَمَهُ الله بِهِ مِنْ أَنهُ سَيَتَزَوَّجُهَا مِمَّا الله مُبْدِيهِ وَمُظْهِرُهُ بِتَمَامِ التَّزْوِيجِ وَطَلاَقِ زَيْدٍ[5] لَهَا،

---

(١) لأحملنك على ابن الناقة.. الحديث/ أخرجه الإمام الترمذي في السنن: ٣٥٧/٤.

(٢) ابن لأمزح ولا أقول إلا حقاً.. الحديث/ أخرجه الإمام الترمذي في السنن: ٣٥٧/٤.

(٣) ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين.. الحديث/ أخرجه أبو داود في السنن: ٣٦٦/١.

(٤) زينب رضي الله عنها تقدمت ترجمتها.

(٥) زيد. تقدمت ترجمته.

وَرَوى نحوَهُ عمرُو بنُ فائِدٍ[١] عن الزُّهريِّ[٢] قال نَزَلَ جبريلُ عَلَى النبيِّ ﷺ يُعْلِمُهُ أنَّ الله يُزَوِّجُهُ زَيْنَبَ بنتَ جَحْشٍ[٣] فَذٰلِكَ الَّذِي أَخْفَى فِي نَفْسِهِ، وَيُصَحِّحُ هذا قولَ الْمُفَسِّرينَ في قولِهِ تَعالَى بعدَ هذا ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧] أَيْ لاَ بُدَّ لَكَ أَنْ تَتزَوَّجَها، وَيُوضِحُ هذا أَنَّ الله لَمْ يُبْدِ مِنْ أَمْرِهِ مَعَهَا غَيْرَ زَوَاجِهِ لَهَا؛ فَدَلَّ أَنهُ الَّذِي أَخْفَاهُ ﷺ مِمَّا كَانَ أَعْلَمَهُ بِهِ تَعالَى وَقولُهُ تَعالَى في الْقِصَّةِ[٤]: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٣٨] الآيَةَ، فَدَلَّ أَنهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ حَرجٌ في الأَمْرِ؛ قال الطَّبَرِيُّ[٥] ما كَانَ الله لِيُؤَثِّمَ نَبِيَّهُ فِيمَا أَحَلَّ لَهُ مِثَالَ فِعْلِهِ لِمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ، قال الله تَعالَى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ [الأحزاب: ٣٨] أَيْ مِنَ النَّبِيِّينَ فِيمَا أَحَلَّ لَهُمْ وَلَوْ كَانَ عَلَى مَا رُوِيَ في حَدِيث قَتَادَةَ[٦] مِنْ وُقُوعِهَا مِنْ قَلْبِ النبيِّ ﷺ عِنْدَ مَا أَعْجَبَتْهُ وَمَحَبَّتِهِ طَلاَقَ زَيْدٍ[٧] لَهَا لَكَانَ فِيهِ أَعْظَمُ الْحَرجِ وَمَا لاَ يَلِيقُ بِهِ مِنْ مَدِّ عَيْنَيْهِ لِمَا نُهِيَ عَنْهُ مِنْ زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَكَانَ هٰذَا نَفْسَ الْحَسَدِ الْمَذْمُومِ الَّذِي لاَ يَرْضَاهُ وَلاَ يَتَّسِمُ بِهِ الأَتْقِيَاءُ، فَكَيْفَ سَيِّدُ الأنبياءِ؟ قال القُشَيْرِيُّ[٨] وَهٰذَا إِقْدَامٌ عَظِيمٌ مِنْ قَائِلِهِ وَقِلَّةُ مَعْرِفَةٍ بِحَقِّ النبيِّ ﷺ وَبِفَضْلِهِ وَكَيْفَ يُقَالُ رَآهَا فَأَعْجَبَتْهُ وَهِيَ بنتُ عَمَّتِهِ وَلَمْ يَزَلْ يَرَاهَا مُنْذُ وُلِدَتْ وَلاَ كَانَ النِّسَاءُ يَحْتَجِبْنَ مِنْهُ ﷺ وَهُوَ زَوَّجَهَا لزيدٍ؟ وَإِنَّمَا جَعَلَ الله طَلاَقَ زَيْدٍ لَهَا وَتَزْوِيجَ النبيِّ ﷺ إِيَّاهَا لإِزَالَةِ حُرْمَةِ التَّبَنِّي وَإِبْطَالِ سُنَّته كَمَا قَالَ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقال ﴿لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، ونحوُهُ لابْنِ فُورَكٍ[٩]، وقال أبو اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيُّ[١٠] فَإِنْ قِيلَ فَمَا الْفَائِدَةُ في أَمْرِ النبيِّ ﷺ لِزَيْدٍ[١١] بِإِمْسَاكِهَا فَهُوَ أَنَّ الله أَعْلَمَ نَبِيَّهُ أَنَّهَا زَوْجَتُهُ فَنَهَاهُ النبيُّ ﷺ عَنْ طَلاَقِهَا إِذْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَهُمَا أُلْفَةٌ وَأَخْفَى فِي نَفْسِهِ مَا أَعْلَمَهُ الله بِهِ فَلَمَّا طَلَّقَهَا زَيْدٌ خَشِيَ قَوْلَ النَّاسِ يَتَزَوَّجُ ٱمْرَأَةَ ٱبْنِهِ فَأَمَرَهُ الله بِزَوَاجِهَا لِيُبَاحَ مِثْلُ ذٰلِكَ لأُمَّتِهِ كما قال تعالى: ﴿لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٧] وقد قِيلَ كَانَ أَمْرُهُ لِزَيْدٍ بِإِمْسَاكِهَا قَمْعاً لِلشَّهْوَةِ وَرَدّاً لِلنَّفْسِ عَنْ هَوَاهَا وَهٰذَا إِذَا جَوَّزْنَا عَلَيْهِ أَنَّهُ رَآهَا فَجْأَةً وَٱسْتَحْسَنَهَا وَمِثْلُ هٰذَا لاَ نُكْرَةَ فِيهِ لما طُبِعَ عَلَيْهِ ابنُ آدمَ مِنَ ٱسْتِحْسَانِهِ الْحَسَنَ[١٢] وَنَظْرَةُ الْفُجَاءَةِ مَعْفُوٌّ عَنْهَا ثُمَّ قَمَعَ نَفْسَهُ عَنْهَا وَأَمَرَ زَيْداً بِإِمْسَاكِهَا وَإِنَّمَا تُنْكَرُ

---

(١) عمرو بن فائد. تقدمت ترجمته. (٢) الزهري. تقدمت ترجمته.

(٣) زينب بنت جحش رضي الله عنها تقدمت ترجمتها.

(٤) والقصة أوردها القرطبي في تفسيره: ١٨٩/١٤ وابن كثير في تفسيره: ٣٢٠/٦.

(٥) الطبري. تقدمت ترجمته.

(٦) (٧) (٨) تقدمت تراجمهم. (٩) ابن فورك. تقدمت ترجمته.

(١٠) أبو الليث السمرقندي. تقدمت ترجمته.

(١١) زيد. تقدمت ترجمته. (١٢) الحسن. تقدمت ترجمته.

تِلْكَ الزِّيَادَاتُ الَّتِي فِي الْقِصَّةِ وَالتَّعْوِيلُ وَالأَوْلَى مَا ذَكَرْنَاهُ عن عليِّ بنِ حُسَيْنٍ وَحَكَاهُ السَّمَرْقَنْدِيُّ وهو قولُ ابنِ عَطَاءٍ[1] وَاسْتَحْسَنَهُ القاضِي الْقُشَيْرِيُّ[2] وعليه عَوَّلَ أبو بكرِ بنُ فُورَكٍ وقال إنهُ مَعنَى ذَلِكَ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ؛ قال والنبيُّ ﷺ مُنَزَّهٌ عن اسْتِعْمَالِ النِّفَاقِ فِي ذَلِكَ وَإِظْهَارِ خِلاَفِ مَا فِي نَفْسِهِ وَقَدْ نَزَّهَهُ الله عَنْ ذَلِكَ بقولِهِ تَعَالَى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ [الأحزاب:٣٨] قال وَمَنْ ظَنَّ ذَلِكَ بالنَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ أَخْطَأَ قالَ وَلَيْسَ مَعنَى الْخَشْيَةِ هُنَا الْخَوْفُ وَإِنَّمَا مَعنَاهُ الاسْتِحْيَاءُ أَيْ يَسْتَحْيِي مِنْهُمْ أَنْ يَقُولُوا تَزَوَّجَ زَوْجَةَ ابْنِهِ وَأَنَّ خَشْيَتَهُ ﷺ مِنَ النَّاسِ كَانَتْ مِنْ إِرْجَافِ الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودِ وَتَشْغِيبِهِمْ على الْمُسْلِمِينَ بِقَوْلِهِمْ تَزَوَّجَ زَوْجَةَ ابْنِهِ بَعْدَ نَهْيِهِ عَنْ نِكَاحِ حَلاَئِلِ الأَبْنَاءِ كَمَا كَانَ فَعَتَبَهُ الله على هَذَا وَنَزَّهَهُ عَنِ الالْتِفَاتِ إِلَيْهِمْ فِيمَا أَحَلَّهُ لَهُ كَمَا عَتَبَهُ على مُرَاعَاةِ رِضَى أَزْوَاجِهِ فِي سُورَةِ التَّحْرِيمِ بِقَوْلِهِ: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم:١] الآيَةَ؛ كَذَلِكَ قولهُ: لَهُ هَهُنَا ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب:٣٧] وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الحَسَنِ وَعَائِشَةَ[3]: لَوْ كَتَمَ رسولُ الله ﷺ شَيْئاً لَكَتَمَ هَذِهِ الآيَةَ لما فيها مِنْ عَتْبِهِ وَإِبْدَاءِ مَا أَخْفَاهُ.

الفصل السادس: حديث الوصية

فإنْ قُلْتَ قَدْ تَقَرَّرَتْ عِصْمَتُهُ ﷺ في أَقْوَالِهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَأَنَّهُ لاَ يَصِحُّ مِنْهُ فيهَا خُلْفٌ وَلاَ اضْطِرَابٌ فِي عَمْدٍ وَلاَ سَهْوٍ وَلا صِحَّةٍ وَلا مَرَضٍ وَلاَ جِدٍّ وَلاَ مَزْحٍ ولا رِضَى وَلاَ غَضَبٍ وَلَكِنْ مَا مَعنَى الحَدِيثِ فِي وَصِيَّتِهِ ﷺ الَّذِي حَدَّثَنَا بِهِ القاضِي[4] الشَّهِيدُ أبو عليٍّ رَحِمَهُ الله قالَ حَدَّثَنَا القاضِي أبو الوَلِيدِ حَدَّثَنَا أبو ذَرٍّ حَدَّثَنَا أبو محمَّدٍ وأبو الهَيْثَمِ وَأبو إِسْحَاقَ قالوا حَدَّثَنَا محمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا محمَّدُ بن إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الله حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ الله بنِ عبد الله عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ[5] قال لما احْتُضِرَ رسولُ الله ﷺ وفي البَيْتِ رِجَالٌ فقالَ النبيُّ ﷺ: **«هَلُمُّوا أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَاباً لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ»**[6] فقال بَعْضُهُمْ إِنَّ رسولَ الله ﷺ قَدْ غَلَبَهُ الْوَجَعُ «الحديثَ» وفي رِوَايَةٍ **«ائْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَاباً لَنْ**

---

(١) ابن عطاء. تقدمت ترجمته. (٢) القاضي القشيري. تقدمت ترجمته.

(٣) عائشة. أورد القصة ابن كثير في تفسيره: ٦/ ٤٢٠.

(٤) [. . . .] ص (١٩١ ـ ١٩٢) ساقطة من نسخة دمشق.

(٥) ابن عباس رضي الله عنها. تقدمت ترجمته.

(٦) هلموا أكتب لكم كتاباً. . الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٦/ ١١. والإمام مسلم في الصحيح: ١٢٥٨. والبيهقي في دلائل النبوة: ٧/ ١٨٣، وابن كثير في البداية والنهاية، ٥/ ١٢٧ وهناك رواية أخرى: هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، (لا) بدل: (لن) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٦/ ١١ وابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح البخاري: ٨/ ١٣٢ والتبريزي في مشكاة المصابيح: ٥٩٦٦.

تَضِلُّوا بَعْدي أَبداً»[١] فَتَنَازَعُوا فقالُوا مالَهُ أَهجَرَ: اسْتَفْهِمُوهُ، فقالَ: «دَعُوني فإنّ الَّذي أنا فيه خَيْرٌ» وَفي بَعْضِ طُرُقِهِ: إنّ النَّبيَّ ﷺ يَهْجُرُ. وفي روايةٍ هَجَرَ وَيُرْوَى أَهُجْرٌ، وَيُرْوَى أَهُجْراً؛ وفيه فقالَ عُمَرُ[٢] «إنَّ النَّبيَّ ﷺ قَدِ اشْتَدَّ بِهِ الْوَجَعُ[٣] وَعِنْدَنَا كِتَابُ الله حَسْبُنَا وَكَثُرَ اللَّغَطُ فقالَ قُومُوا عَنّي وفي رِوايَةٍ وَاخْتَلَفَ أَهْلُ البَيْتِ وَاخْتَصَمُوا فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ قَرِّبوا يَكْتُبْ لَكُمْ رسولُ الله ﷺ كِتاباً وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ما قال عُمَرُ، قال أَئِمَّتُنا في هٰذَا الحديثِ إنّ النبيَّ ﷺ غَيْرُ مَعْصُوم مِنَ الأَمْراضِ وَما يَكُونُ مِنْ عَوَارِضِهَا مِنْ شِدةٍ وَجَعٍ وَغَشْيٍ وَنَحْوِهِ مِمَّا يَطْرَأُ على جِسْمِهِ مَعْصُومٌ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ مِنَ القَوْلِ أَثْنَاءَ ذٰلِكَ ما يَطْعَنُ في مُعْجِزَتِهِ وَيُؤَدِّي إلى فَسَادٍ في شَرِيعَتِهِ مِنْ هَذَيَانٍ أَوِ اخْتِلالٍ في كَلامٍ. وعلى هٰذَا لاَ يَصِحُّ ظَاهِرُ رِوَايَةِ مَنْ رَوَى في الحديثِ هَجَرَ إذْ مَعْنَاهُ هَذَى يُقَالُ هَجَرَ هُجْراً إذَا هَذَى، وَأَهْجَرَ هُجْراً إذا أَفْحَشَ، وَأَهْجَرَ تَعْدِيَةُ هَجَرَ، وَإِنَّمَا الأَصَحُّ وَالأَوْلَى: أَهَجَرَ؟ على طَرِيقِ الإنْكارِ على مَنْ قالَ لاَ يَكْتُبُ؛ وَهٰكَذَا رِوَايَتُنَا فِيه في صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ[٤] مِنْ رِوَايَةِ جَمِيعِ الرُّوَاةِ في حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ[٥] الْمُتَقَدِّمِ؛ وَفي حَدِيثِ محمَّدِ بنِ سَلاَّمٍ[٦] عَنِ ابنِ عُيَيْنَةَ وَكَذَا ضَبَطَهُ الأصِيلِيُّ بِخَطِّهِ في كِتابِهِ وَغَيْرُهُ مِنْ هٰذِهِ الطُّرُقِ وَكَذَا رَوَيْنَاهُ عَنْ مُسْلِم في حَدِيثِ سُفْيَانَ[٧] وَعَنْ غَيْرِهِ وَقَدْ تُحْمَلُ عَلَيْهِ رِوَايَةُ مَنْ رَوَاهُ هَجَرَ على حَذْفِ أَلِفِ الاسْتِفْهَامِ وَالتَّقْدِيرُ أَهَجَرَ؟ أَوْ أَنْ يُحْمَلَ قَوْلُ الْقَائِلِ هَجَرَ أَوْ أَهجَرَ دَهْشَةً مِنْ قائِلِ ذٰلِكَ وَحَيْرَةً لِعَظِيمِ مَا شَاهَدَ مِن حالِ الرَّسُولِ ﷺ وَشِدَّةِ وَجَعِهِ وَالمَقَامِ الَّذي اخْتُلِفَ فيه عَلَيْهِ وَالأمرِ الَّذي هَمَّ بالْكِتَابِ فيه حَتَّى لَمْ يَضْبِطْ هٰذَا القَائِلُ لَفْظَهُ وَأَجْرَى الْهُجْرَ مُجْرَى شِدةِ الْوَجَعِ لا أَنَّهُ اعْتَقَدَ أَنَّهُ يَجُوزُ عَلَيْهِ الْهُجْرُ كما حَمَلَهُمُ الإِشْفَاقُ على حِرَاسَتِهِ وَالله يَقُولُ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧] وَنَحْوِ هٰذَا.

وَأَمَّا على رِوَايَةِ أَهُجْراً - وهِيَ رِوَايَةُ أبي إسْحَاقَ الْمُسْتَمْلِي في الصَّحِيح في حَدِيثِ ابنِ جُبَيْر عَنِ ابنِ عَبَّاس مِنْ رِوَايَةِ قُتَيْبَةَ[٨] - فَقَدْ يَكُونُ هٰذَا رَاجِعاً إلى الْمُخْتَلِفِينَ عِنْدَهُ ﷺ وَمُخَاطَبَةً

(١) ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبداً.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٦/ ١١، ومسلم في الصحيح كتاب الوصية (٢٠) والإمام أحمد في المسند: ١/ ٢٢٢ والبيهقي في السنن الكبرى: ٩/ ٢٠٧، وفي دلائل النبوة: ٧/ ١٨١ والزيلعي في نصب الراية ٣/ ٣٥٥، وعبد الرزاق في مصنفه: ٩٩٩٢ وابن حجر في فتح الباري ٨/ ١٣٢.

(٢) عمر بن الخطاب رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٣) إن النبي ﷺ اشتد به الوجع.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٦/ ١١.

(٤) البخاري. تقدمت ترجمته.

(٥) الزهري. تقدمت ترجمته.

(٦) محمد بن سلام بن عيينة. تقدمت ترجمته.

(٧) سفيان. تقدمت ترجمته.

(٨) قتيبة. تقدمت ترجمته.

لَهُم مِنْ بَعْضِهِمْ أَيْ جِئْتُمْ بِاخْتِلافِكُمْ على رسُول الله ﷺ وَبَيْنَ يَدَيْهِ هُجراً وَمُنْكراً مِنَ الْقَوْلِ؛ والْهُجْرُ بِضَمِّ الْهَاءِ: الْفُحْشُ في المَنْطِقِ، وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ في مَعْنَى هٰذَا الحَدِيثِ وَكَيْفَ اخْتَلَفُوا بَعْدَ أَمْرِهِ ﷺ أَنْ يَأْتُوهُ بالكتَابِ؛ فقَالَ بَعْضُهُمْ أَوَامِرُ النبيِّ ﷺ يُفْهَمُ إِيجَابُهَا مِنْ نَدْبِهَا مِنْ إباحَتِهَا بِقَرَائِنَ، فَلَعَلَّ قَدْ ظَهَرَ مِنْ قَرَائِنِ قَوْلِهِ ﷺ لِبَعْضِهِمْ مَا فَهِمُوا أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ مِنْهُ عَزْمَةٌ بَلْ أَمْرٌ رَدَّهُ إلى اخْتِيَارِهِم وَبَعْضُهُمْ لَمْ يَفْهَمْ ذٰلِكَ فقالَ: اسْتَفْهِمُوهُ، فَلَمَّا اخْتَلَفُوا كَفَّ عَنْهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ عَزْمَةً وَلِمَا رَأَوْهُ مِنْ صَوَابِ رَأْيِ عُمَرَ[1]: ثُمَّ هٰؤُلاءِ قالُوا وَيَكُونُ امْتِنَاعُ عُمرَ إِمَّا إِشْفَاقاً على النَّبِي ﷺ مِنْ تَكْلِيفِهِ في تِلْكَ الحَالِ إِمْلاءَ الْكِتَابِ وَأَنْ تَدْخُلَ عَلَيْهِ مَشَقَّةٌ مِنْ ذٰلِكَ كما قالَ إِنَّ النبيَّ ﷺ اشْتَدَّ به الْوَجَعُ؛ وَقِيلَ خَشِيَ عُمَرُ أَنْ يكْتُبَ أُمُوراً يَعْجِزُونَ عَنها فَيَحْصُلُونَ في الحَرَجِ بِالْمُخَالَفَةِ وَرَأى أَنَّ الأرْفَقَ بِالأُمَّةِ في تِلْكَ الْأُمُورِ سِعَةُ الاجْتِهَادِ وَحُكْمُ النَّظَرِ وَطَلَبُ الصَّوَابِ فَيَكُونُ الْمُصِيبُ والْمُخْطِئُ مَأْجُوراً، وَقَدْ عَلِمَ عُمَرُ تَقَرُّرَ الشَّرْعِ وَتَأْسِيسَ الْمِلَّةِ وَأَنَّ الله تَعَالَى قالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣] وَقَوْلُهُ ﷺ: «**أُوصِيكُمْ بِكِتَابِ الله وَعِتْرَتي**»[2] وَقَوْلُ عُمَرَ: حَسْبُنَا كِتَابُ الله رَدٌّ على مَنْ نَازَعَهُ لا على أَمْرِ النَّبيِّ ﷺ؛ وَقَد قِيلَ: إِنَّ عُمَرَ خَشِيَ تَطَرُّقَ الْمُنَافِقِينَ وَمَنْ في قَلْبِهِ مَرَضٌ لِمَا كُتِبَ في ذٰلِكَ الْكِتَابِ في الخَلْوَةِ وَأَنْ يَتَقَوَّلُوا في ذٰلِكَ الأقَاوِيلَ كَادِّعَاءِ الرَّافِضَةِ الْوَصِيَّةَ وَغَيْرِ ذٰلِكَ، وَقِيلَ إِنَّهُ كانَ من النبيِّ ﷺ لَهُمْ على طَرِيقِ المَشْوَرَةِ وَالاخْتِبَارِ وَهَلْ يَتَّفِقُونَ على ذٰلِكَ أَمْ يَخْتَلِفُونَ، فَلَمَّا اخْتَلَفُوا تَرَكَهُ، وقالتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى: إِنَّ معنَى الحَدِيثِ أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآلِهِ وسلم كَانَ مُجِيباً في هٰذَا الكِتَابِ لِمَا طُلِبَ مِنْهُ لاَ أَنهُ ابْتَدَا بالأمْرِ بهِ بَلِ اقْتَضَاهُ مِنْهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَأَجَابَ رَغْبَتَهُمْ وَكَرِهَ ذٰلِكَ غَيْرُهُم لِلْعِلَلِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا؛ وَاسْتُدِلَّ في مِثْلِ هٰذِهِ الْقِصَّةِ بِقَوْلِ العباسِ[3] لِعَلِيٍّ[4]: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى رسول الله ﷺ فَإِنْ كَانَ الأَمْرُ فِينَا عَلِمْنَاهُ، وَكَرَاهَةِ عَلِيٍّ هٰذَا وَقَوْلِهِ: وَالله لاَ أَفْعَلُ ـ الحَدِيثَ ـ وَاسْتُدِلَّ بِقَوْلِهِ «**دَعُونِي فَإِنَّ الَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ**»[5] أي الَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِنْ إِرْسَالِ الأمْرِ وَتَرْكِكُمْ وَكِتَابَ

---

(١) عمر رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٢) أوصيكم بكتاب الله وعترتي. . الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ١٧ والحاكم في المستدرك ٣/ ١٤٨، والألباني في السلسلة الصحيحة: ١٧٦١ والطبراني في المعجم الكبير ١/ ١٣١، ١٣٥ والطحاوي في مشكل الآثار ٤/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩ والعقيلي في الضعفاء: ٢/ ٢٥٠.

(٣) العباس. تقدمت ترجمته. (٤) علي. تقدمت ترجمته.

(٥) دعوني فإن الذي أنا فيه خير. . الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٤/ ٨٥. ٦/ ١١، ومسلم في الصحيح كتاب الوصية (٥) الحديث ٢٠، والإمام أحمد في المسند: ١/ ٢٢٢ وعبد الرزاق في مصنفه: ١٩٣٧١ وابن حجر في فتح الباري ٨/ ١٣٢ والبغوي في شرح السنة: ١١/ ١٨٠ وابن سعد في طبقاته ٢/ ٣٦. وابن كثير في البداية والنهاية ٥/ ٢٢٧.

الله وَأنْ تَدَعُوني مِمَّا طَلَبْتُم، وَذُكِرَ أنَّ الَّذِي طَلِبَ كِتَابَةُ أمْرِ الْخِلاَفَةِ بَعْدَهُ وَتَعْيِينُ ذٰلِكَ.

الفصل السابع: دراسة أحاديث أخرى

فَإِنْ قِيلَ فَمَا وَجْهُ حَدِيثِهِ أيضاً الَّذِي حَدَّثَنَاهُ الفقِيهُ أبو محمدٍ الْخُشَنيُّ[١] بِقِراءَتِي عليه [حَدَّثَنَا أبو عليٍّ الطَّبَرِيُّ حَدَّثَنَا عبد الغافِرِ الفارِسِيُّ حَدَّثَنَا أبو أحمدَ الْجُلُودِيُّ قال حَدَّثَنَا إبراهيمُ بنُ سُفْيَانَ حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بنُ الْحَجَّاجِ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا لَيْثٌ عن سعيدِ بنِ أبي سَعِيدٍ عن سالِمٍ مَوْلَى النَّصْرِيينَ][٢] قال: سمعتُ أبا هريرةَ[٣] يقولُ سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: **«اللَّهُمَّ إِنَّمَا محمدٌ بَشَرٌ يَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ وَإِنِّي قَدِ اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ عَهْداً لَنْ تُخْلِفَنِيهِ فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ آذَيْتُهُ أوْ سَبَبْتُهُ أوْ جَلَدْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ كَفَّارَةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[٤].

وفي رِوايةٍ: **«فَأَيُّمَا أحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ دَعْوَةً»**، وفي رِوايةٍ **«لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ»**[٥]، وفي رِوايةٍ **«فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ أوْ لَعَنْتُهُ أوْ جَلَدْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَصَلاَةً وَرَحْمَةً»**[٦] وَكَيْفَ يَصِحُّ أنْ يَلْعَنَ النبيُّ ﷺ مَنْ لاَ يَسْتَحِقُّ اللَّعْنَ وَيَسُبَّ مَنْ لاَ يَسْتَحِقُّ اللَّعْنَ وَيَجْلِدَ مَنْ لاَ يَسْتَحِقُّ الْجَلْدَ أوْ يَفْعَلَ مِثْلَ ذٰلِكَ عِنْدَ الْغَضَبِ وَهُوَ مَعْصُومٌ مِنْ هٰذَا كُلِّهِ؟ فَاعْلَمْ شَرَحَ الله صَدْرَكَ أنَّ قَوْلَهُ ﷺ أوَّلاً **«لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ»** أيْ عِنْدَكَ يَا رَبِّ فِي بَاطِنِ أمْرِهِ فَإِنَّ حُكْمَهُ ﷺ عَلَى الظَّاهِرِ كما قال ولِلْحِكْمَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فَحَكَمَ ﷺ بِجَلْدِهِ أوْ أدَّبَهُ بِسَبِّهِ أوْ لَعْنِهِ بِمَا اقْتَضَاهُ عِنْدَهُ حَالُ ظَاهِرِهِ ثُمَّ دَعَا لَهُ ﷺ لِشَفَقَتِهِ عَلَى أُمَّتِهِ وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّتِي وَصَفَهُ الله بِهَا وَحَذَرِهِ أنْ يَتَقَبَّلَ الله فِيمَنْ دَعَا عَلَيْهِ دَعْوَتَهُ أنْ يَجْعَلَ دُعَاءَهُ وَفِعْلَهُ لَهُ رَحْمَةً وَهُوَ معنى قولِهِ **«لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ»**، لاَ أنَّهُ ﷺ يَحْمِلُهُ الْغَضَبُ وَيَسْتَفِزُّهُ الضَّجَرُ لأنْ يَفْعَلَ مِثْلَ هٰذَا بِمَنْ لاَ يَسْتَحِقُّهُ مِنْ مُسْلِمٍ، وَهٰذَا معنًى صحيحٌ؛ وَلاَ يُفْهَمُ من قَوْلِهِ: **«أغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ»**[٧] أنَّ الْغَضَبَ حَمَلَهُ عَلَى مَا لاَ يَجِبُ بَلْ يَجُوزُ أنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهٰذَا أنَّ الْغَضَبَ لله حَمَلَهُ عَلَى مُعَاقَبَتِهِ بِلَعْنِهِ أوْ سَبِّهِ وَأنَّهُ مِمَّا

---

(١) أبو محمد الخشني. تقدمت ترجمته. (٢) [. . . .] ص ١٩٥ ساقطة من نسخة دمشق.

(٣) أبو هريرة رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٤) اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب. . الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤٩٣٢، وابن حجر في فتح الباري ١١/١٧١ والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ٣/١٦٧ والسيوطي في جمع الجوامع: ٩٧٤٩.

(٥) فأيما أحد دعوت عليه. . الحديث/ جزء من الحديث السابق.

(٦) فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته. . الحديث/ أخرجه مسلم في الصحيح في البر (٨٩)، وابن حجر العسقلاني في فتح الباري: ١١/١٧١.

(٧) أغضب كما يغضب البشر. . الحديث/ تقدم تخريجه.

كَانَ يَحتَمِلُ وَيَجُوزُ عَفْوُهُ عَنْهُ أَوْ كَانَ مِمَّا خُيِّرَ بَيْنَ الْمُعَاقَبَةِ فِيهِ وَالْعَفْوِ عَنْهُ، وَقَدْ يُحْمَلُ عَلَى أَنَّهُ خَرَجَ مَخْرَجَ الإِشْفَاقِ وَتَعْلِيمِ أُمَّتِهِ الْخَوْفَ وَالْحَذَرَ مِنْ تَعَدِّي حُدُودِ اللهِ وَقَدْ يُحْمَلُ مَا وَرَدَ مِنْ دُعَائِهِ هُنَا وَمِنْ دَعَوَاتِهِ عَلَى غَيْرِ وَاحِدٍ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ عَلَى غَيْرِ الْعَقْدِ وَالْقَصْدِ بَلْ بِمَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْعَرَبِ وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهَا الإِجَابَةَ كَقَوْلِهِ: **«تَرِبَتْ يَمِينُكَ، وَلا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَكَ، وَعَقْرَى حَلْقَى»**[1] وَغَيْرِهَا مِنْ دَعَوَاتِه، وَقَدْ وَرَدَ فِي صِفَتِهِ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ أَنه ﷺ لم يَكُنْ فَحَّاشاً، وقال أَنسٌ[2] لَمْ يَكُنْ سَبَّاباً وَلا فَاحِشاً ولا لَعَّاناً وكانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ **«مَا لَهُ؟ تَرِبَ جَبِينُهُ»**[3] فَيَكُونُ حَمْلُ الحَدِيثِ على هذا المَعْنَى؛ ثُمَّ أَشْفَقَ ﷺ مِنْ مُوَافَقَةِ أَمْثَالِهَا إِجَابَةً فَعَاهَدَ رَبَّهُ كما قال في الحَدِيثِ أَنْ يَجْعَلَ ذٰلِكَ لِلْمَقُولِ لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً وَقُرْبَةً، وَقَدْ يَكُونُ ذٰلك إِشْفَاقاً على الْمَدْعُوِّ عليه وَتَأْنِيساً لَهُ لِئَلاَّ يَلْحَقَهُ مِنِ اسْتِشْعَارِ الْخَوْف وَالْحَذَرِ مِنْ لَعْنِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَقَبُّلِ دُعَائِهِ ما يَحْمِلُهُ على اليَأْسِ والقُنُوطِ؛ وَقَدْ يَكُونُ ذٰلِكَ سُؤَالاً مِنْهُ لِرَبِّهِ لِمَنْ جَلَدَهُ أَوْ سَبَّهُ على حَقٍّ وبِوَجْهٍ صحيح أَنْ يَجْعَلَ ذٰلِكَ لَهُ كَفَّارَةً لِمَا أَصَابَهُ وَتَمْحِيَةً لِمَا اجْتَرَمَ وأَنْ تَكُونَ عُقُوبَتُهُ لَهُ في الدُّنْيَا سَبَبَ العَفْوِ وَالغُفْرَانِ كما جاءَ في الحديثِ الآخَرِ **«وَمَنْ أَصابَ مِن ذٰلِكَ شَيْئاً فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ»**[4] فإِنْ قُلْتَ فَمَا مَعْنَى حَدِيثِ الزُّبَيْرِ وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ حِينَ تَخاصُمِهِ مَعَ الأَنْصَارِيِّ فِي شِرَاجِ الحَرَّةِ: **«اسْقِ يا زُبَيْرُ حَتَّى يَبْلُغَ الكَعْبَيْنِ»**[5] فقالَ لَهُ الأَنْصَارِيُّ أَنْ كانَ يا رسول الله ابنَ عَمَّتِكَ؟ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رسولِ الله ﷺ ثُمَّ قَالَ: **«اسْقِ يا زُبَيْرُ ثُمَّ احْبِسْ حَتَّى يَبْلُغَ الجَدْرَ»** الحديثَ فالجَوابُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُنَزَّهٌ أَنْ يَقَعَ بِنَفْسِ مُسْلِمٍ مِنْهُ فِي هٰذِهِ القِصَّةِ أَمْرٌ يُرِيبُ وَلٰكِنَّهُ ﷺ نَدَبَ الزُّبَيْرَ[6] أَوَّلاً إلى الاقْتِصَارِ على بَعْضِ حَقِّهِ على طَرِيقِ التَّوَسُّطِ وَالصُّلْحِ فَلَمَّا لَمْ يَرْضَ بِذٰلِكَ الآخَرُ وَلَجَّ وقال ما لا يَجِبُ اسْتَوْفَى النَّبِيُّ ﷺ لِلزُّبَيْرِ حَقَّهُ وَلِهٰذَا تَرْجَمَ البُخَارِيُّ

---

(١) تربت يمينك.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١٥١/٦، ٤٥/٨ ومسلم في الصحيح كتاب الرضاع: ٤، ٦، ٨، والإمام أحمد في المسند: ٣٧/٦، والبيهقي في السنن الكبرى: ١٦٨/١، ١٩٣/١٠ وابن عبد البر في التمهيد: ٢٤٠/٨، ٣٣٣.

(٢) أنس رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٣) ترب جبينه.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٧/٧، ١٨.

(٤) أخرجه الشيخان برواية عبادة بن الصامت.

(٥) اسق يا زبير.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٣٤/٥ كتاب المساقاة (٤٢) باب سكر الأنهار (٦١) الحديث: ٢٣٥٩، وفي ٢٥٤/٨ كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم» النساء: ٧٥/٤ الحديث: ٤٥٨٥، ومسلم في الصحيح: ١٨٢٩/٤ ـ ١٨٣٠ كتاب الفضائل (٤٣) باب وجوب اتباعه ﷺ (٣٦) الحديث: ٢٣٥٧/١٢٩.

(٦) الزبير رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

على هٰذَا الحديثِ: «بابٌ إذَا أشارَ الإمامُ بالصُّلْحِ فأبى» حَكَم عَلَيْهِ بالحُكْم: وَذَكَرَ في آخِرِ الحديثِ: فاسْتَوْعَى رسولُ الله ﷺ حِينَئِذٍ لِلزُّبَيْرِ حَقَّهُ. وَقَدْ جَعَلَ الْمُسْلِمُونَ هٰذَا الحديثَ أصْلاً في قَضِيَّتِهِ؛ وفيهِ الاقْتِدَاءُ بِهِ ﷺ في كُلِّ ما فَعَلَهُ في حالِ غَضَبِه وَرِضَاهُ وأنَّهُ وإنْ نَهى أنْ يَقْضِيَ القاضي وَهُوَ غَضْبَانُ فإنَّهُ في حُكْمِهِ في حالِ الغَضَبِ وَالرِّضَى سَوَاءٌ لِكَوْنِهِ فِيهَا مَعْصُوماً، وَغَضَبُ النَّبِيِّ ﷺ في هٰذَا إنَّمَا كانَ لله تعالى لا لِنَفْسِهِ كما جاءَ في الحديثِ الصحِيحِ، وَكَذٰلِكَ الحدِيثُ في إقَادَتِهِ عُكَاشَةَ[1] مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَكُنْ لِتَعَمُّدِ حَمَلَهُ الغَضَبُ عليه بلْ وَقَعَ في الحَدِيثِ نَفْسِه أنَّ عُكَاشَةَ قالَ لهُ: وَضَرَبْتَني بالقَضِيبِ، فَلاَ أدْرِي أعَمْداً أمْ أرَدْتَ ضَرْبَ النَّاقةِ؟ فقال النَّبيُّ ﷺ «أُعِيذُكَ بالله يا عُكَاشَةُ أنْ يَتَعَمَّدَكَ رسولُ الله ﷺ»[2] وَكَذٰلِكَ في حَدِيثِهِ الآخَرِ مَعَ الأعْرَابِيِّ حِينَ طَلَبَ عليه السلامُ الاقْتِصَاصَ مِنْهُ؛ فقالَ الأعْرَابِيُّ قَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ ضَرَبَهُ بالسَّوْطِ لِتَعَلُّقِهِ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى وَالنبيُّ ﷺ يَنْهَاهُ ويقولُ له: «تُدْرِكُ حَاجَتَكَ»[3] وهُوَ يَأْبَى فَضَرَبَهُ بَعْدَ ثَلاثِ مَرَّاتٍ، وَهٰذَا مِنهُ ﷺ لِمَنْ لَمْ يَقِفْ عِنْدَ نَهْيِهِ صَوَابٌ وَمَوْضِعُ أدَبٍ، لٰكِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلامُ أشْفَقَ إذْ كَانَ حَقَّ نَفْسِهِ مِنَ الأمْرِ حَتَّى عَفَا عَنْهُ: وَأما حَدِيثُ سَوَادِ بنِ عَمْرو[4]: أتَيْتُ النبيَّ ﷺ وَأنَا مُتَخَلِّقٌ فقالَ: «وَرْسٌ وَرْسٌ حُطَّ حُطَّ»[5] وَغَشِيَنِي بِقَضِيبٍ في يَدِهِ في بَطْنِي فَأوْجَعَنِي، قلتُ الْقِصَاصَ يا رسولَ الله؛ فَكَشَفَ لِي عَنْ بَطْنِهِ: إنَّمَا ضَرَبَهُ ﷺ لِمُنْكَرٍ رَآهُ بِهِ وَلَعَلَّهُ لَمْ يُرِدْ بِضَرْبِهِ بالقَضِيبِ إلاَّ تَنْبِيهَهُ، فَلمَّا كَانَ مِنْهُ إيجَاعٌ لَمْ يَقْصِدْهُ طَلَبَ التَّحَلُّلَ مِنْهُ عَلَى مَا قَدَّمْنَاهُ.

الفصل الثامن: أفعاله الدنيوية ﷺ

وَأمَّا أفْعَالُهُ ﷺ الدُّنْيَوِيَّةُ فَحُكْمُهُ فيهَا مِنْ تَوَقِّي المَعَاصِي وَالْمَكْرُوهَاتِ مَا قَدَّمْنَاهُ وَمِنْ جَوازِ السَّهْوِ وَالغَلَطِ في بَعْضِهَا مَا ذَكَرْنَاهُ وَكُلُّهُ غَيْرُ قَادِحٍ في النُّبُوَّةِ بَلْ إنَّ هٰذَا فِيهَا عَلَى النُّدُورِ إذْ عَامَّةُ أفْعَالِهِ عَلَى السَّدَادِ وَالصَّوابِ بَلْ أكْثَرُهَا أوْ كُلُّهَا جَارِيَةٌ مَجْرَى العِبَادَاتِ وَالقُرَبِ عَلَى مَا بَيَّنَّا إذْ كَانَ ﷺ لاَ يَأْخُذُ مِنْهَا لِنَفْسِهِ إلاَّ ضَرُورَتَهُ وَمَا يُقِيمُ رَمَقَ جِسْمِهِ وَفِيهِ مَصْلَحَةُ ذَاتِهِ الَّتِي بِهَا يَعْبُدُ رَبَّهُ وَيُقِيمُ شَرِيعَتَهُ وَيَسُوسُ أمَّتَهُ وَمَا كَانَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ مِنْ ذٰلِكَ فَبَيْنَ مَعْرُوفٍ يَصْنَعُهُ أوْ بِرٍّ يُوَسِّعُهُ أوْ كَلاَمٍ حَسَنٍ يَقُولُهُ أوْ يُسْمِعُهُ أوْ تَألُّفِ شَارِدٍ أوْ قَهْرِ مُعَانِدٍ، أوْ مُدَارَاةِ حَاسِدٍ وَكُلُّ

---

(١) عكاشة: تقدمت ترجمته.
(٢) أعيذك بالله يا عكاشة.. الحديث/ لم أعثر له على راوٍ. إلا ما أخرجه عياض في الشفاء ٢/٤٤٢.
(٣) تدرك حاجتك.. الحديث/ أخرجه الإمام عياض في الشفاء ٢/٤٤٣.
(٤) سواد بن عمرو: تقدمت ترجمته.
(٥) ورس، ورس حط حط.. الحديث/ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤/٤١٣.

هٰذَا لأَحِقٌ بِصَالِحِ أَعْمَالِهِ مُنْتَظِمٌ فِي زَاكِي وَظَائِفِ عِبَادَاتِهِ وَقَدْ كَانَ يُخَالِفُ فِي أَفْعَالِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ بِحَسَبِ اخْتِلافِ الأَحْوَالِ وَيُعِدُّ لأُمُورٍ أَشْبَاهَهَا فَيَرْكَبُ فِي تَصَرُّفِهِ لِمَا قَرُبَ الْحِمَارَ وَفِي أَسْفَارِهِ الرَّاحِلَةَ وَيَرْكَبُ الْبَغْلَةَ فِي مَعَارِكِ الْحَرْبِ دَلِيلاً عَلَى الثَّبَاتِ وَيَرْكَبُ الْخَيْلَ وَيُعِدُّهَا لِيَوْمِ الْفَزَعِ وَإِجَابَةِ الصَّارِخِ وَكَذٰلِكَ فِي لِبَاسِهِ وَسَائِرِ أَحْوَالِهِ بِحَسَبِ اعْتِبَارِ مَصَالِحِهِ وَمَصَالِحِ أُمَّتِهِ وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُ الْفِعْلَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا مُسَاعَدَةً لِأُمَّتِهِ وَسِيَاسَةً وَكَرَاهِيَةً لِخِلافِهَا وَإِنْ كَانَ قَدْ يَرَى غَيْرَهُ خَيْراً مِنْهُ كَمَا يَتْرُكُ الْفِعْلَ لِهٰذَا وَقَدْ يَرَى فِعْلَهُ خَيْراً مِنْهُ وَقَدْ يَفْعَلُ هٰذَا فِي الأُمُورِ الدِّينِيَّةِ مِمَّا لَهُ الْخِيرَةُ فِي أَحَدِ وَجْهَيْهِ كَخُرُوجِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ لِأُحُدٍ وَكَانَ مَذْهَبُهُ التَّحَصُّنُ بِهَا وَتَرْكِهِ قَتْلَ الْمُنَافِقِينَ وَهُوَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَمْرِهِمْ مُؤَالَفَةً لِغَيْرِهِمْ ورِعَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَرَابَتِهِمْ وَكَرَاهَةً لأَنْ يَقُولَ النَّاسُ إِنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ وَتَرْكِهِ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ عَلَى قَوَاعِدِ إبراهِيمَ مُرَاعَاةً لِقُلُوبِ قُرَيْشٍ وَتَعْظِيمِهِمْ لِتَغَيُّرِهَا وَحَذَراً مِنْ نَفَارِ قُلُوبِهِمْ لِذٰلِكَ وَتَحْرِيكِ مُتَقَدِّمِ عَدَاوَاتِهِمْ لِلدِّينِ وَأَهْلِهِ فقال لِعَائِشَةَ[1] فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: **«لَوْلاَ حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لأَتْمَمْتُ الْبَيْتَ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ»**[2] وَيَفْعَلُ الْفِعْلَ ثُمَّ يَتْرُكُهُ لِكَوْنِ غَيْرِهِ خَيْراً مِنْهُ كَانْتِقَالِهِ مِنْ أَدْنَى مِيَاهِ بَدْرٍ إِلَى أَقْرَبِهَا لِلْعَدُوِّ مِنْ قُرَيْشٍ وكقولِهِ: **«لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الْهَدْيَ»**[3] وَيَبْسُطُ وَجْهَه لِلْكَافِرِ وَالعَدُوِّ رَجَاءَ اسْتِئْلافِهِ وَيَصْبِرُ لِلْجَاهِلِ وَيَقُولُ: **«إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنِ اتَّقَاهُ النَّاسُ لِشَرِّهِ»**[4] وَيَبْذُلُ لَهُ الرَّغَائِبَ لِيُحَبِّبَ إِلَيْهِ شَرِيعَتَهُ ودِينَ رَبِّهِ وَيَتَوَلَّى فِي مَنْزِلِهِ ما يَتَوَلَّى الخادمُ مِنْ مِهْنَتِهِ، وَيَتَسَمَّتُ فِي مُلاَءَتِهِ حَتَّى لا يَبْدُوَ مِنْهُ شَيْءٌ مِنْ أَطْرَافِهِ وَحَتَّى كَأَنَّ على رُؤُوسِ جُلَسَائِهِ

---

(١) عائشة رضي الله عنها. تقدمت ترجمتها.

(٢) لولا حِدثانُ قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١/١٩٨ ـ ١٩٩، في العلم باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه، وفي الحج باب فضل مكة وبنيانها وفي الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد في البيت﴾ وفي التمني باب ما يجوز من اللوم. والإمام مسلم في الصحيح: الحديث: ١٣٣٣ في الحج باب نقض الكعبة وبنائها. والإمام مالك في الموطأ: ١/٣٦٣ ـ ٣٦٤ في الحج باب ما جاء في بناء الكعبة والإمام النسائي في السنن: ٥/ ٢١٤ ـ ٢١٦. في الحج باب بناء الكعبة، والترمذي في السنن الحديث: ٨٧٥ باب ما جاء في كسر الكعبة.

(٣) لو استقبلت من أمري ما استدبرت.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ٣/٤٠٢ ـ ٤٠٣ في الحج باب تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت، والإمام مسلم في الصحيح الحديث: ١٢١٣ في الحج باب بيان وجوه الإحرام، وأبو داود في السنن الحديث: ١٧٨٥ في المناسك باب في إفراد الحج، والنسائي في السنن: ٥/ ١٧٨ ـ ١٧٩ في الحج باب إباحة فسخ الحج.

(٤) إن من شر الناس من اتقاه الناس لشره.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٧/ ١٦، ٢١، ٣٨. والإمام مسلم في الصحيح الحديث: ٢٠٠٢.

الطَّيْر وَيَتَحدَّثُ مَعَ جُلَسَائِهِ بِحَدِيثِ أَوَّلِهِمْ وَيَتَعَجَّبُ مِمَّا يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ وَيَضْحَكُ مِمَّا يَضْحَكُونَ مِنْهُ وَقَدْ وَسِعَ النَّاسَ بِشْرُهُ وَعَدْلُهُ لا يَسْتَفِزُّهُ الغَضَبُ ولا يُقَصِّرُ عَنِ الحَقِّ ولا يُبْطِنُ على جُلَسَائِهِ يَقُولُ: «**ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خائِنَةُ الأَعْيُنِ**»[1] فإِنْ قُلْتَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ لِعَائِشَةَ[2] رَضِيَ الله عَنْهَا في الدَّاخِلِ عليه «**بِئْسَ ابنُ العَشِيرَةِ**»[3] فَلَمَّا دَخَلَ أَلانَ لَهُ القَوْلَ وَضَحِكَ مَعَهُ، فَلَمَّا خَرَجَ سَأَلْتُهُ عَنْ ذٰلِكَ قال: «**إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنِ اتَّقَاهُ النَّاسُ لِشَرِّهِ**» وَكَيْفَ جازَ أَنْ يُظْهِرَ لَهُ خِلافَ مَا يُبْطِنُ وَيَقُولُ في ظَهْرِهِ ما قال؟ فالجَوَابُ أَنَّ فِعْلَهُ ﷺ كانَ اسْتِئْلافاً لِمِثْلِهِ وَتَطْيِيباً لِنَفْسِهِ لِيَتَمَكَّنَ إِيمانُهُ وَيَدْخُلَ في الإِسْلامَ بِسَبَبِهِ أَتْبَاعُهُ وَيَرَاهُ مِثْلُهُ فَيَنْجَذِبَ بِذٰلِكَ إِلى الإِسْلامِ، وَمِثْلُ هٰذَا على هٰذَا الوَجْهِ قَدْ خَرَجَ مِنْ حَدِّ مُدَارَاةِ الدُّنْيَا إِلى السِّيَاسَةِ الدِّينِيَّةِ وَقَدْ كَانَ يَسْتَأْلِفُهُمْ بِأَمْوَالِ الله العَرِيضَةِ فَكَيْفَ بِالكَلِمَةِ اللَّيِّنَةِ؟ قال صَفْوَانُ[4] لَقَدْ أَعْطَانِي وَهُوَ أَبْغَضُ الخَلْقِ إِليَّ فَمَا زَالَ يُعْطِينِي حَتَّى صارَ أَحَبَّ الخَلْقِ إِليَّ؛ قَوْلُهُ فِيهِ بِئْسَ ابنُ العَشِيرَةِ هُوَ غَيْرُ غِيبَةٍ بَلْ هُوَ تَعْرِيفُ ما عَلِمَهُ مِنْهُ لِمَنْ لَمْ يَعْلَمْ لِيَحْذَرَ حالَهُ وَيَحْتَرِزَ مِنْهُ وَلا يُوثَقَ بِجَانِبِهِ كُل الثِّقَةِ لا سِيَّمَا وَكانَ مُطاعاً مَتْبُوعاً، وَمِثْلُ هٰذَا إِذَا كانَ لِضَرُورَةٍ وَدَفْعِ مَضَرَّةٍ لَمْ يَكُنْ بِغِيبَةٍ بَلْ كان جائِزاً بَلْ واجِباً في بَعْضِ الأَحْيَانِ كَعَادَةِ المُحَدِّثِينَ في تَجْرِيحِ الرُّوَاةِ وَالمُزَكِّينَ في الشُّهُودِ؛ فإِنْ قِيلَ فَمَا مَعْنَى المُعْضِلِ الوَارِدِ في حَدِيثِ بَرِيرَةَ[5] مِنْ قوله ﷺ لِعَائِشَةَ[6] وَقَدْ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ مَوَالِيَ بَرِيرَةَ أَبوا بَيْعَهَا إِلاَّ أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الوَلاَءُ فقالَ لَهَا ﷺ: «**اشْتَرِيها واشْتَرِطِي لَهُمُ الوَلاَءَ**»[7] فَفَعَلَتْ، ثُمَّ قامَ خَطِيباً فقال: «**ما بالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطاً لَيْسَتْ في كِتَابِ الله؟ كُلُّ شَرْطٍ لَيْسَ في كِتَابِ الله فَهُوَ بَاطِلٌ**»[8] والنبيُّ ﷺ قَدْ أَمَرَهَا بالشَّرْطِ لَهُمْ وعليهِ باعُوا وَلَوْلاَهُ وَالله أَعْلَمُ لمَا باعُوهَا مِنْ عائِشَةَ كما لَمْ

---

(١) ما كان لنبيء أن تكون له خائنة الأعين. . الحديث/ تقدم تخريجه.

(٢) عائشة رضي الله عنها. تقدمت ترجمتها.

(٣) بئس ابن العشيرة. . الحديث/ أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة: ٣٢٣.

(٤) صفوان رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.

(٥) بريرة رضي الله عنها. تقدمت ترجمتها.

(٦) عائشة رضي الله عنها. تقدمت ترجمتها.

(٧) اشتريها واشترطي لهم الولاء. . الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٨/ ١٨٢ والإمام أحمد في المسند: ٦/ ١٧٥، والبيهقي في السنن الكبرى: ٧/ ٢٢٣، وسعيد بن منصور في سننه: ١٢٦٠.

(٨) ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله. . الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١/ ١٢٣، ٣/ ٢٥٩، والإمام مسلم في الصحيح، في العتق كتاب (٢) الحديث: ٨ والترمذي في السنن: ١٢١٤ والنسائي في السنن ٣/ ٧٢، ٤/ ٨٤، ٦/ ١٦٤، ٢٨٠، ٧/ ٣٠ ٣ ٢٧٣، وعبد الرزاق في المصنف: ١٣٠٠٦، والبيهقي في السنن الكبرى: ٧/ ١٣٢، والدارقطني في السنن: ٣/ ٢٢، والطبراني في المعجم الكبير ١١/ ٢٨٣ والهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٨٦، ٢٤٧، ٣٤٤، والهيثمي في موارد الظمآن: ١٢١٢..

يَبِيعُوها قَبْلُ حَتَّى شَرَطُوا ذٰلِكَ عَلَيْهَا ثُمَّ أَبْطَلَهُ ﷺ وَهُوَ قَدْ حَرَّمَ الغِشَّ وَالخَدِيعَةِ؟ فاعْلَمْ أَكْرَمَكَ الله أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُنَزَّهٌ عَمَّا يَقَعُ في بالِ الجاهِلِ مِنْ هٰذَا وَلِتَنْزِيهِ النبيِّ ﷺ عَنْ ذٰلِكَ ما قَدْ أَنْكَرَ قَوْمٌ هٰذِهِ الزِّيادَةَ قَوْلَهُ: «اشْتَرِطِي لَهُمُ الْوَلاَءَ» إِذْ لَيسَ في أَكْثَرِ طُرُقِ الحديثِ وَمَعَ ثَباتِها فَلا اعْتِرَاضَ بِهَا إِذْ يَقَعُ لَهُمْ بِمَعْنًى عَلَيْهِمْ قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ [الرعد:٢٥] وقال: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء:٧] فَعَلَى هٰذَا اشْتَرِطِي عَلَيْهِمُ الْوَلاَءَ لك وَيَكُونُ قِيَامُ النَّبِيِّ ﷺ وَوَعْظُهُ لِما سَلَفَ لَهُمْ مِنْ شَرْطِ الْوَلاَءِ لأَنْفُسِهِمْ قَبْلَ ذٰلِكَ.

وَوَجْهٌ ثانٍ أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ: «اشْتَرِطِي لَهُمُ الْوَلاَءَ»(١) لَيْسَ على مَعْنَى الأَمْرِ لٰكِنْ على مَعْنَى التَّسْوِيَةِ والإعْلام بأَنَّ شَرْطَهُ لَهُمْ لا يَنْفَعُهُمْ بَعْدَ بَيَانِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُمْ قَبْلُ أَنَّ الْوَلاَءَ لِمَنْ أَعْتَقَ فَكَأَنَّهُ قال: «اشْتَرِطِي أَوْ لا تَشْتَرِطِي فإِنَّهُ شَرْطٌ غَيْرُ نافِعٍ»، وَإِلى هٰذَا ذَهَبَ الدَّاوُدِيُّ وَغَيْرُهُ وَتَوْبِيخُ النبيِّ ﷺ لَهُمْ وَتَقْرِيعُهُمْ على ذٰلِكَ يَدُلُّ على عِلْمِهِمْ بِهِ قَبْلَ هٰذَا.

الْوَجْهُ الثَّالِثُ أَنَّ مَعْنَى قولِهِ: «اشْتَرِطِي لَهُمُ الْوَلاَءَ» أَيْ: أَظْهِرِي لَهُمْ حُكْمَهُ وَبَيِّنِي عِنْدَهُمْ سُنَّتَهُ أَنَّ الْوَلاَءَ إِنَّمَا هُوَ لِمَنْ أَعْتَقَ؛ ثُمَّ بَعْدَ هٰذَا قامَ هُوَ ﷺ مُبَيِّناً ذٰلِكَ وَمُوَبِّخاً على مُخَالَفَةِ ما تَقَدَّمَ مِنْهُ فِيهِ؛ فإِنْ قيلَ فَمَا مَعْنَى فعْلِ يُوسُفَ عليه السَّلامُ بأَخِيه إِذْ جَعَلَ السِّقَايَةَ في رَحْلِهِ وَأَخْذِهِ باسْمِ سَرِقَتِهَا وَمَا جَرَى على إِخْوَتِهِ في ذٰلِكَ وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [يوسف:٧٠] وَلَمْ يَسْرِقُوا؟ فاعْلَمْ أَكْرَمَكَ الله أَنَّ الآيَةَ تَدُلُّ على أَنَّ فِعْلَ يُوسُفَ كانَ مِنْ أَمْرِ الله لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يوسف:٧٦] الآيةَ فإِذَا كانَ كَذٰلِكَ فَلاَ اعْتِرَاضَ بِهِ كَانَ فِيهِ ما فيه، وَأَيْضاً فإِنَّ يُوسُفَ كانَ أَعْلَمَ أَخاهُ بأَنِّي أنا أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ فكان ما جَرَى عَلَيْهِ بَعْدَ هٰذَا مِنْ وَفْقِهِ وَرَغْبَتِهِ وعلى يَقِينٍ مِنْ عُقْبى الخَيْرِ لَهُ بِهِ وَإِزَاحَةِ السُّوءِ وَالْمَضَرَّةِ عَنْهُ بِذٰلِكَ؛ وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [يوسف:٧٠] فَلَيْسَ مِنْ قَوْلِ يُوسُفَ فَيَلْزَمُ عَلَيْهِ جَوابٌ يَحِلُّ شُبَهَهُ وَلَعَلَّ قائِلَهُ إِنْ حَسَّنَ لَهُ التَّأْوِيلَ كائِناً مَنْ كانَ ظَنَّ على صُورَةِ الحَالِ ذٰلِكَ وَقَدْ قِيلَ قالَ ذٰلِكَ لِفِعْلِهِمْ قَبْلُ بِيُوسُفَ وَبَيْعِهِمْ لَهُ وَقِيلَ غَيْرُ هٰذَا وَلاَ يَلْزَمُ أَنْ نَقُولَ الأَنْبِيَاءَ مَا لَمْ يَأْتِ أَنَّهُمْ قالُوهُ حَتَّى يُطْلَبَ الخَلاَصُ مِنْهُ وَلاَ يَلْزَمُ الاعْتِذَارُ عَنْ زَلاَّتِ غَيْرِهِمْ.

الفصل التاسع: حكم المرض والابتلاء له ﷺ

فإِنْ قِيلَ فَمَا الْحِكْمَةُ في إِجْرَاءِ الأَمْرَاضِ وَشِدَّتِهَا عَلَيْهِ وعلى غَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ على

---

(١) اشترطي لهم الولاء.. الحديث/ تقدم تخريجه.

جَمِيعِهِمُ السَّلاَمُ: وَمَا الْوَجْهُ فيما ابْتِلاَهُمُ الله بِهِ مِنَ الْبَلاَءِ وَامْتِحَانِهِمْ بِمَا امْتَحِنُوا بِهِ كَأَيُّوبَ[١] وَيَعْقُوبَ[٢] وَدَنْيَالَ[٣] وَيَحْيَى[٤] وَزَكَرِيَّا[٥] وَعِيسَى[٦] وَإِبْرَاهِيمَ[٧] وَيُوسُفَ[٨] وَغَيْرِهِمْ صَلَواتُ الله عَلَيْهِمْ وَهُمْ خِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ وَأَحِبَّاؤُهُ وَأَصْفِيَاؤُهُ؟ فاعْلَمْ وَفَّقَنَا الله وَإِيَّاكَ أَنَّ أَفْعَالَ الله تَعَالَى كُلَّهَا عَدْلٌ وَكَلِمَاتِهِ جَمِيعَهَا صِدْقٌ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ يَبْتَلي عِبَادَهُ كما قالَ لَهُمْ لَنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ: ﴿عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ﴾ [هود:٧] ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [آل عمران:١٤٠] مِنْكُمْ؛ ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢] ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١] فامْتِحَانُهُ إِيَّاهُمْ بِضُرُوبِ الْمِحَنِ زِيَادَةٌ في مَكَانَتِهِمْ وَرِفْعَةٌ في دَرَجَاتِهِمْ وَأَسْبَابٌ لاسْتِخْرَاجِ حَالاَتِ الصَّبْرِ وَالرِّضَى وَالشُّكْرِ وَالتَّسْلِيمِ وَالتَّوَكُّلِ وَالتَّفْوِيضِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ مِنْهُمْ وَتَأْكِيدٌ لِبَصَائِرِهِمْ في رَحْمَةِ الْمُمْتَحَنِينَ وَالشَّفَقَةِ على الْمُسْلِمِينَ وَتَذْكِرَةً لِغَيْرِهِمْ وَمَوْعِظَةٌ لِسِوَاهُمْ لِيَتَأَسَّوْا في الْبَلاَءِ بِهِمْ وَيَتَسَلَّوْا في الْمِحَنِ بِمَا جَرَى عَلَيْهِمْ وَيَقْتَدُوا بِهِمْ في الصَّبْرِ وَمَحْوٌ لِهِنَاتٍ فَرَطَتْ مِنْهُمْ أَوْ غَفَلاَتٍ سَلَفَتْ لَهُمْ لِيَلْقَوْا الله طَيِّبِينَ مُهَذَّبِينَ وَلِيَكُونَ أَجْرُهُمْ أَكْمَلَ وَثَوَابُهُمْ أَوْفَرَ وَأَجْزَلَ.

[حَدَّثَنَا الْقَاضِي أبو عليٍّ الْحَافِظُ حَدَّثَنَا أبو الْحُسَيْنِ الصَّيْرَفِيُّ وأبو الفَضْلِ بْنُ خَيْرُونَ قالاَ حَدَّثَنَا أبو يَعْلَى الْبَغْدَادِيُّ حَدَّثَنَا أبو عَلِيٍّ السِّنْجِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَحْبُوبٍ حَدَّثَنَا أبو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بنُ زيدٍ عن عاصِمِ بنِ بَهْدَلَةَ][٩] عَنْ مُصْعَبِ بنِ سعد عن أبيهِ قال قلتُ يا رسولَ الله أيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قال: «الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاَءُ بِالْعَبْدِ حَتَّ يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»[١٠]؛ وكما قال تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران:١٤٦] الآياتِ الثلاثَ وعن أبي هريرة[١١] مَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْمُؤْمِنِ في نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى الله وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ؛ وعن أنس[١٢] عنه ﷺ: «إِذَا أَرَادَ الله بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ في الدُّنْيَا؛ وَإِذَا أَرَادَ الله بِعَبْدِهِ الشَّرَّ

---

(١) أيوب. تقدم الكلام عليه.
(٢) يعقوب. تقدم الكلام عليه.
(٣) دنيال. تقدم الكلام عليه.
(٤) يحيى. تقدم الكلام عليه.
(٥) زكرياء. تقدم الكلام عليه.
(٦) عيسى. تقدم الكلام عليه.
(٧) إبراهيم. تقدم الكلام عليه.
(٨) يوسف. تقدم الكلام عليه.
(٩) [. . .] ص ٢٠٥. ساقطة من نسخة دمشق.
(١٠) الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه.. الحديث/ أخرجه التبريزي في مشكاة المصابيح: ١٥٦٢، والترمذي في السنن: ٤/٦٠٢، وابن ماجه في السنن الحديث: ١٣٣٤.
(١١) أبو هريرة: تقدمت ترجمته.
(١٢) أنس. تقدمت ترجمته.

أَمسكَ عَنهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1] وفي حدِيث آخرَ: **«إِذَا أَحبَّ الله عَبْداً ابْتَلاهُ لِيَسْمَعَ تَضَرُّعَهُ»**[2] وَحكَى السَّمَرْقَنْدِيُّ[3] أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ أَكْرَمَ عَلَى الله تَعَالَى كَانَ بَلاؤُهُ أَشَدَّ كَيْ يَتَبَيَّنَ فَضْلُهُ وَيَسْتَوْجِبَ الثَّوَابَ كَمَا رُوِيَ عَنْ لُقْمَانَ أَنَّهُ قَالَ يَا بُنَيَّ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ يُخْتَبَرَانِ بِالنَّارِ وَالْمُؤْمِنُ يُخْتَبَرُ بِالْبَلاَءِ، وَقَدْ حُكِيَ أَنَّ ابْتِلاَ يعقوبَ بِيُوسُفَ كَانَ سَبَبَهُ الْتِفَاتَهُ فِي صَلاَتِهِ إِلَيْهِ وَيوسفُ نَائِمٌ مَحَبَّةً لَهُ، وقِيل: بَلِ اجْتَمَعَ يَوْماً هُوَ وَابْنُهُ يوسف عَلَى أَكْلِ حَمَلٍ مَشْوِيٍّ وَهُمَا يَضْحَكَانِ وَكَانَ لَهُمْ جَارٌ يَتِيمٌ فَشَمَّ رِيحَهُ وَاشْتَهَاهُ وَبَكَى وَبَكَتْ لَهُ جَدَّةٌ لَهُ عَجُوزٌ لِبُكَائِهِ وَبَيْنَهُمَا جِدَارٌ وَلاَ عِلْم عِنْدَ يَعْقُوبَ وَابْنِهِ فَعُوقِبَ يَعقوبُ بِالْبُكَاءِ أَسَفاً عَلَى يوسفَ إِلَى أَنْ سَالَتْ حَدَقَتَاهُ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَلَمَّا عَلِمَ بِذٰلِكَ كَانَ بَقِيَّةَ حَيَاتِهِ يَأْمُرُ مُنَادِياً يُنَادِي عَلَى سَطْحِهِ أَلاَ مَنْ كَانَ مُفْطِراً فَلْيَتَغَدَّ عِنْدَ آلِ يَعقوبَ وَعُوقِبَ يُوسُفُ بِالْمِحْنَةِ الَّتِي نَصَّ الله عَلَيْهَا، وَرُوِيَ عَنِ اللَّيْثِ[4] أَنَّ سَبَبَ بَلاَءِ أَيُّوبَ أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ أَهْلِ قَرْيَتِهِ عَلَى مَلِكِهِمْ فَكَلَّمُوهُ فِي ظُلْمِهِ وَأَغْلَظُوا لَهُ إلا أَيُّوبَ فَإِنَّهُ رَفَقَ به مَخَافَةً عَلَى زَرْعِهِ فَعَاقَبَهُ الله بَبَلائِهِ؛ وَمِحْنَةُ سُلَيْمَانَ لِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ نِيَّتِهِ فِي كَوْنِ الْحَقِّ فِي جَنْبَةِ أَصْهَارِهِ أَوْ لِلْعَمَلِ بِالْمَعْصِيَةِ فِي دَارِهِ وَلاَ عِلْمَ عِنْدَهُ وَهٰذِهِ فَائِدَةُ شِدَّةِ الْمَرَضِ وَالْوَجع بالنبيِّ ﷺ، قالت عائِشةُ مَا رأيتُ الْوَجَعَ عَلَى أَحَدٍ أَشَدَّ مِنْهُ عَلَى رسولِ الله ﷺ؛ وعن عبدِ الله[5] رأيتُ النبيَّ ﷺ في مَرَضِهِ يُوعَكُ وَعْكاً شَديداً فقلتُ إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكاً شَدِيداً؛ قال: **«أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ»**، قلتُ ذٰلِكَ أَنَّ لَكَ الأَجْرَ مَرَّتَيْنِ قال: **«أَجَلْ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ»**[6] وفي حديثِ أبي سعيدٍ[7] أَنَّ رَجُلاً وَضَعَ يَدَهُ عَلَى النبيِّ ﷺ فقال وَالله مَا أُطِيقُ أَضَعُ يَدِي عَلَيْكَ مِنْ شِدَّةِ حُمَّاكَ فقال النبيُّ ﷺ: **«إِنَّا مَعْشَرَ الأَنْبِيَاءِ يُضَاعَفُ لَنَا الْبَلاَءُ إِنْ كَانَ**

---

(١) إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا.. الحديث/ أخرجه الترمذي في السنن: ٤/٦٠١ كتاب الزهد (٣٧) باب ما جاء في الصبر على البلاء (٥٦) الحديث ٢٣٩٦، وقال حديث حسن غريب، وابن ماجه في السنن: ٢/١٣٣٨ كتاب الفتن (٣٦) باب الصبر على البلاء (٢٣) الحديث: ٤٠٣١، والحاكم في المستدرك: ١/٣٤٩ كتاب الجنائز، والإمام أحمد في المسند: ١/٨٧.

(٢) إذا أحب الله.. الحديث/ أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٥/٣٨، ٩/٢٧٧، ٥٢٤، ٦٥٠، والفتني في تذكرة الموضوعات: ١٩٣ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣١٧٩٣، ٣٠٦٧٧١.

(٣) السمرقندي. تقدمت ترجمته.

(٤) الليث. تقدمت ترجمته.

(٥) عبد الله. تقدمت ترجمته.

(٦) قال أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم.. الحديث/ أخرجه الإمام مسلم في الصحيح: ٤/١٩٩٠ كتاب البر والصلة والآداب (٤) باب فضل عيادة المريض (١٣) الحديث: ٤٣/٢٥٦٩.

(٧) أبو سعيد. تقدمت ترجمته.

النبيُّ لَيُبْتَلَى بالقَمْلِ حَتَّى يَقْتُلَهُ وَإِنْ كَانَ النبيُّ لَيُبْتَلَى بالفَقْرِ وَإِنْ كَانُوا لَيفْرَحُونَ بالبَلاَءِ كَمَا يَفْرَحُونَ بالرَّخَاءِ»(١) وعن أنسٍ(٢) عنه ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاَءِ وَإِنَّ الله إِذَا أَحَبَّ قَوماً ابْتَلاَهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»(٣) وقد قال المفسرونَ في قولِهِ تَعَالَى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣] أَنَّ المُسْلِمَ يُجْزَى بِمَصَائِبِ الدُّنْيَا فَتَكُونُ لَهُ كَفَّارَةً، وَرُوِيَ هٰذَا عَنْ عَائِشَةَ(٤) وَأُبَيٍّ(٥) وَمُجَاهِدٍ(٦)؛ وقال أبو هُرَيْرَةَ(٧) عَنْهُ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ»(٨) وقال في رِوَايةِ عائِشَةَ «مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ المُسْلِمَ إِلاَّ يُكَفِّرُ الله بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا»(٩) وقال في رِوَايةِ أبي سَعِيدٍ(١٠) «مَا يُصِيبُ المُؤْمِنَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلاَّ كَفَّرَ الله بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»(١١) وفي حديث ابنِ مَسْعُودٍ(١٢) «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى إِلاَّ حَاتَّ الله عَنْهُ خَطَايَاهُ كما يُحَتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ»(١٣) وَحِكْمَةٌ أُخْرَى أَوْدَعَهَا الله في الأَمْرَاضِ لِأَجْسَامِهِمْ وَتَعَاقُبِ الأَوْجَاعِ وَشِدَّتِهَا عِنْدَ

---

(١) إنا معشر الأنبياء.. الحديث/ أخرجه الإمام ابن ماجه في السنن: ٢/١٣٣٥.

(٢) أنس. تقدمت ترجمته.

(٣) إن عظم الجزاء مع عظم البلاء.. الحديث/ أخرجه الإمام الترمذي في السنن ٤/٦٠١ والنسائي في السنن: ٤/١٢٣.

(٤) عائشة. تقدمت ترجمتها. (٥) أبي. تقدمت ترجمته.

(٦) مجاهد. تقدمت ترجمته.

(٧) أبو هريرة. تقدمت ترجمته.

(٨) من يرد الله به خيراً يصب منه.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١٠/١٠٣ كتاب المرض (٧٥) باب ما جاء في كفارة المرض.. (١) الحديث: ٥٦٤٥. والإمام أحمد في المسند: ٢/٢٣٧، والربيع بن حبيب في المسند: ٢/٥٩ والتبريزي في مشكاة المصابيح: ١٥٣٦. والبغوي في شرح السنة: ٥/ ٢٣٢ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: ٦/٢٩٦ ـ ٩/١٤٢، والمتقي الهندي في كنز العمال: ٥١٨، ٦٧٧٣.

(٩) ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر بها عنه.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٧/١٤٨، والإمام أحمد في المسند: ٦/٨٨. والبيهقي في السنن الكبرى: ٣/٣٧٣ والمنذري في الترغيب والترهيب: ٤/٢٨٥، السيوطي في الدر المنثور: ٢/٢٢٨، والمتقي الهندي في كنز العمال: ٦٧٩٤..

(١٠) أبو سعيد. تقدمت ترجمته.

(١١) ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم.. الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٢/٣٠٣ وابن أبي شيبة في مصنفه: ٣/٢٣٠، والبغوي: ١/١٣٠ والمنذري في الترغيب والترهيب: ٤/٢٨٤، والسيوطي في الدر المنثور: ٢/٢٢٨، والمتقي الهندي في كنز العمال: ٦٧٩٩. والقرطبي في التفسير: ٢/١٧٥ وابن كثير في كذلك: ٢/٣٧٣.

(١٢) ابن مسعود. تقدمت ترجمته.

(١٣) ما من مسلم يصبه أذى.. الحديث/ أخرجه الإمام الذهبي في الطب النبوي: ١٤٤.

مَمَاتِهِمْ لِتَضْعُفَ قُوَى نُفُوسِهِمْ فَيَسْهُلَ خُرُوجُهَا عِنْدَ قَبْضِهِمْ وَتَخِفَّ عَلَيْهِمْ مَؤُنَةُ النَّزْعِ وَشِدَّةُ السَّكَرَاتِ بِتَقَدُّمِ الْمَرَضِ وَضَعْفِ الجِسْمِ والنَّفْسِ لِذَلِكَ خِلاَفُ مَوْتِ الفُجَاَةِ وَأَخْذِهِ كما يُشَاهَدُ مِنَ اخْتِلاَفِ أَحْوَالِ المَوْتَى في الشِّدَّةِ واللِّينِ والصُّعُوبَةِ وَقَدْ قال ﷺ: **«مَثَلُ المُؤْمِنِ مَثَلُ خَامَةِ الزَّرْعِ تُفَيِّئُهَا الرِّيحُ هَكَذَا وَهَكَذَا»**(١) وفي رِوايَةِ أَبي هُرَيْرَةَ(٢) **«مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ تَكْفَؤُهَا فإذَا سَكَنَتِ اعْتَدَلَتْ، وَكَذَلِكَ المُؤْمِنُ يُكْفَأُ بالبَلاَءِ؛ وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الأَرْزَةِ صَمَّاءَ مُعْتَدِلَةً حَتَّى يَقْصِمَهُ الله»**(٣) مَعْنَاهُ أَنَّ الْمُؤْمِنَ مُرَزَّءٌ مُصَابٌ بالبَلاَءِ وَالأَمْرَاضِ رَاضٍ بِتَصْرِيفِهِ بَيْنَ أَقْدَارِ الله تَعَالَى مُنْطَاعٌ لِذَلِكَ لَيِّنُ الجَانِبِ بِرِضَاهُ وَقِلَّةِ سَخَطِهِ كَطَاعَةِ خَامَةِ الزَّرْعِ وانْقِيَادِها لِلرِّيَاحِ وَتَمَايُلِهَا لِهُبُوبِهَا وَتَرَنُّحِهَا مِنْ حَيْثُ مَا أَتَتْهَا فإذَا أَزَاحَ الله عَنِ الْمُؤْمِنِ رِيَاحَ الْبَلاَيَا وَاعْتَدَلَ صَحِيحاً كما اعْتَدَلَتْ خَامَةُ الزَّرْعِ عِنْدَ سُكُونِ رِيَاحِ الْجَوِّ رَجَعَ إلى شُكْرِ رَبِّهِ وَمَعْرِفَةِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ بِرَفْعِ بَلاَئِهِ مُنْتَظِراً رَحْمَتَهُ وَثَوَابَهُ عَلَيْهِ، فإذَا كَانَ بِهَذِهِ السَّبِيلِ لَمْ يَصْعُبْ عَلَيْهِ مَرَضُ الْمَوْتِ وَلاَ نُزُولُهُ وَلاَ اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ سَكَرَاتُهُ وَنَزْعُهُ لِعَادَتِهِ بِمَا تَقَدَّمَهُ مِنَ الآلامِ وَمَعْرِفَةِ ما لَهُ فِيهَا مِنَ الأَجْرِ وَتَوْطِينِهِ نَفْسَهُ على الْمَصَائِبِ وَرِقَّتِهَا وَضَعْفِهَا بِتَوَالِي الْمَرَضِ أَوْ شِدَّتِهِ وَالْكَافِرُ بِخِلاَفِ هَذَا مُعَافَى في غَالِبِ حَالِهِ مُمَتَّعٌ بِصِحَّةِ جِسْمِهِ كَالأَرْزَةِ الصَّمَّاءِ حَتَّى إذَا أَرَادَ الله هَلاَكَهُ قَصَمَهُ لِحِينِهِ على غِرَّةٍ وَأَخَذَهُ بَغْتَةً مِنْ غَيْرِ لُطْفٍ وَلاَ رِفْقٍ فَكَانَ مَوْتُهُ أَشَدَّ عَلَيْهِ حَسْرَةً وَمقَاسَاةُ نَزْعِهِ مَعَ قُوَّةِ نَفْسِهِ وَصِحَّةِ جِسْمِهِ أَشَدَّ أَلَماً وَعَذَاباً وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ كَانْجِعَافِ الأَرْزَةِ وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٥] وَكَذَلِكَ عَادَةُ الله تَعَالَى في أَعْدَائِهِ كما قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [العنكبوت: ٤٠] الآيَةَ، فَفَجَأَ جَمِيعَهُمْ بالمَوْتِ على حَالِ عُتُوٍ وَغَفْلَةٍ وَصَبَّحَهُمْ به على غَيْرِ اسْتِعْدَادٍ بَغْتَةً وَلِهَذَا ذُكِرَ عَنِ السَّلَفِ أَنَّهُمْ كانُوا يَكْرَهُونَ مَوْتَ الفُجَاءَةِ ومنه في حديثِ إبْرَاهِيمَ(٤) كانوا يَكْرَهُونَ أَخْذَةً كَأَخْذَةِ الأَسَفِ أي الغَضَبِ يُرِيدُ مَوْتَ الفُجَاءَةِ.

وحِكْمَةٌ ثالِثَةٌ أَنَّ الأَمْرَاضَ نَذِيرُ المَمَاتِ وَبِقَدْرِ شِدَّتِهَا شِدَّةُ الْخَوْفِ مِنْ نُزُولِ المَوْتِ فَيَسْتَعِدُّ مَنْ أَصَابَتْهُ وَعَلِمَ تَعَاهُدَهَا لَهُ لِلِقَاءِ رَبِّهِ وَيُعْرِضُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا الكَثِيرَةِ الأَنْكَادِ وَيَكُونُ قَلْبُهُ

---

(١) مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح. الحديث/ أخرجه الإمام أحمد: ٣/ ٤٥٤، ٥/ ١٤٢، والدارمي في سننه ٢/ ٣١٠، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٢/ ٢٩٣، الطبراني في المعجم الكبير: ١٩/ ٩٤..

(٢) أبو هريرة.

(٣) من حيث أتتها الريح تكفؤها فإذا سكنت اعتدلت. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٩/ ١٦٨، والبيهقي في الأسماء والصفات: ١٤٩ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق: ١/ ٥٩.

(٤) إبرهيم. تقدمت ترجمته.

مُعلَّقاً بالمَعادِ فيَتَنصَّلُ مِنْ كُلِّ مَا يَخْشَى تِبَاعَتَهُ مِنْ قِبَلِ الله وَقِبَلِ العِبَادِ وَيُؤَدِّي الحُقُوق إلى أهْلِهَا وَيَنْظُرُ فيما يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ وَصِيَّةٍ فِيمَنْ يُخَلِّفُهُ أوْ أمْرٍ يَعْهَدُهُ وَهٰذَا نَبِيُّنا ﷺ المَغْفُورُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ وَما تَأخَّرَ قَدْ طَلَبَ التَّنَصُّلَ في مَرَضِهِ مِمَّنْ كانَ لَهُ عَلَيْه مالٌ أوْ حَقٌّ في بَدَنٍ وأقادَ مِنْ نَفْسِهِ وَمَالِهِ وأمْكَنَ مِنَ القِصَاصِ مِنْهُ على ما وَرَدَ في حديثِ الفَضْلِ[1] وحديثِ الوَفاةِ وَأوْصَى بالثَّقَلَيْنِ بَعْدَهُ: كِتَابِ الله وعِتْرَتِه، وبالأنْصَارِ عَيْبَتِهِ، وَدَعَا إلى كَتْبِ كِتَابٍ لِئَلاَّ تَضِلَّ أُمَّتُهُ بَعْدَهُ إمَّا في النَّصِّ على الخِلاَفَةِ أوِ الله أعْلَمُ بمُرَادِهِ ثُمَّ رَأى الإمْسَاكَ عَنْهُ أفْضَلَ وَخَيْراً وهكَذَا سِيرَةُ عِبادِ الله المُؤْمِنينَ وأوْلِيَائِهِ المُتَّقِينَ وَهٰذَا كُلُّهُ يُحْرمُهُ غالِباً الكُفَّارُ لإمْلاَءِ الله لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إثْماً وَلِيَسْتَدْرِجَهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ، قالَ الله تَعَالَى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٤٩ ـ ٥٠] وَلِذٰلِكَ قالَ ﷺ في رَجُلٍ ماتَ فُجَاءَةً «سُبْحَانَ الله كَأنَّهُ على غَضَبِ المَحْرُومُ مَنْ حُرِمَ وَصِيَّتَهُ» وقال: «مَوْتُ الفُجَاءَةِ رَاحَةٌ لِلْمُؤمِنِ وَأخْذَةُ أسَفٍ لِلكافِرِ أوِ الفاجِرِ» وذٰلِكَ لأنَّ المَوْتَ يأتي المُؤْمِنَ غالِباً مُسْتَعِدٌّ لَهُ مُنْتَظِرٌ لِحُلُولِهِ فَهَانَ أمْرُهُ عَلَيْهِ كَيْفَمَا جاءَ وَأفْضَى إلى راحَتِهِ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وأذاهَا كما قال ﷺ: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ» وتأتي الكافِرَ وَالفَاجِرَ مَنِيَّتُهُ على غَيْرِ اسْتِعْدَادٍ وَلاَ أُهْبَةٍ ولا مُقَدِّماتٍ مُنْذِرَةٍ مُزْعِجَةٍ ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٠] فَكانَ المَوْتُ أشَدَّ شَيْءٍ عليه وفِراقُ الدُّنْيَا أفْظَعَ أمْرٍ صَدَمَهُ وأكْرَهَ شَيْءٍ لَهُ. وإلى هذا المَعْنَى أشارَ ﷺ بقولِهِ: «مَنْ أحَبَّ لِقَاءَ الله أحَبَّ الله لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ الله لِقَاءَهُ»[2].

القسم الرابع في تصرف وجوه الأحكام

فيمن تَنَقَّصَهُ أوْ سَبَّهُ عليه الصلاةُ والسلامُ

مقدمة: قال القاضي أبو الفضلِ وَفَّقَهُ الله قَدْ تَقَدَّمَ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإجْمَاعِ الأُمَّةِ ما يَجِبُ مِنَ الحُقُوقِ للنبيِّ ﷺ وما يَتَعَيَّنُ لَهُ مِنْ بِرٍ وَتَوْقِيرٍ وَتَعْظِيمٍ وَإكْرَامٍ وَبِحَسَبِ هذا حَرَّمَ الله تَعَالَى أذاهُ في كِتابِهِ وَأجْمَعَتِ الأُمَّةُ على قَتْلِ مُتَنَقِّصِيهِ مِنَ المُسْلِمِينَ وَسابِّه، قالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١] وقالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا

---

(١) الفضل. تقدمت ترجمته.

(٢) من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١١/ ٣٥٧ كتاب الرقاق (٨١) باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (٤١) الحديث: ٦٥٠٧ ومسلم في الصحيح: ٤/ ٢٠٦٥ كتاب الذكر والدعاء والاستغفار (٤٨) باب من أحب لقاء الله (٥) الحديث ١٤/ ٢٦٨٣.

رَسُولَ اللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] وقالَ تَعالَى في تَحريمِ التَّعريضِ لَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٤] الآيَة؛ وَذٰلِكَ أَنَّ اليَهُودَ كانُوا يَقُولُونَ رَاعِنَا يا محمَّدُ: أَيْ أَرْعِنا سَمْعَكَ وَاسْمَعْ مِنَّا؛ وَيُعَرِّضُونَ بالْكَلِمَةِ يُرِيدُونَ الرُّعُونَةَ فَنَهَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ التَّشَبُّهِ بِهِمْ وَقَطع الذَّرِيعَةَ بِنَهْيِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْهَا لِئَلاَّ يَتَوَصَّلَ بِهَا الكافِرُ وَالْمُنافِقُ إلى سَبِّهِ والاسْتِهْزَاءِ بِهِ وَقِيلَ بَلْ لِمَا فِيهَا مِنْ مُشَارَكَةِ اللَّفْظِ لأنَّهَا عِنْدَ الْيَهُودِ بِمَعْنَى اسْمَعْ لاَ سَمِعْتَ، وَقِيلَ: بَلْ لِمَا فِيهَا مِنْ قِلَّةِ الأَدَبِ وَعَدَمِ تَوْقِيرِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَعْظِيمِهِ لأَنَّهَا في لُغَةِ الأَنْصَارِ بِمَعْنَى ارْعَنَا نرْعَكَ فَنُهُوا عَنْ ذٰلِكَ إِذْ مُضَمَّنُهُ أَنَّهُمْ لاَ يَرْعَوْنَهُ إلاَّ بِرِعايَتِهِ لَهُمْ وَهُوَ ﷺ واجِبُ الرِّعَايَةِ بِكُلِّ حَالٍ وَهٰذَا هُوَ ﷺ قَدْ نَهَى عَنِ التَّكَنِّي بِكُنْيَتِهِ فقالَ: «**سَمُّوا باسْمِي وَلاَ تُكَنُّوا بِكُنْيَتِي**»[1] صِيَانَةً لِنَفْسِهِ وَحِمَايَةً عَنْ أَذَاهُ إِذْ كَانَ ﷺ اسْتَجَابَ لِرَجُلٍ نَادَى يا أبا القَاسِمِ، فقالَ: لم أَعْنِكَ، إِنَّمَا دَعَوْتُ هذا، فَنَهَى حِينَئِذٍ عَنِ التَّكَنِّي بِكُنْيَتِهِ لِئَلاَّ يَتَأَذَّى بإجابَةِ دَعْوَةِ غَيْرِهِ لِمَنْ لَمْ يَدْعُهُ وَيجِدَ بِذٰلِكَ الْمُنافِقُونَ وَالْمُسْتَهْزِئُونَ ذَرِيعَةً إِلَى أَذَاهُ وَالإِزْرَاءِ بِهِ فَيُنَادُونَهُ فَإِذَا الْتَفَتَ قالُوا: إِنَّمَا أَرَدْنَا هٰذَا لِسِوَاهُ. تَعْنِيتاً لَهُ وَاسْتِخْفَافاً بِحَقِّهِ على عادَةِ الْمُجَّانِ وَالْمُسْتَهْزِئِينَ فَحَمَى ﷺ حِمَى أَذَاهُ بِكُلِّ وَجْهٍ؛ فَحَمَلَ مُحَقِّقُو الْعُلَمَاءِ نَهْيَهُ عَنْ هٰذَا على مُدَّةِ حَيَاتِهِ وَأَجازُوهُ بَعْدَ وَفاتِهِ لارْتِفَاعِ العِلَّةِ، وَلِلنَّاسِ في هٰذَا الحَدِيثِ مَذَاهِبُ لَيْسَ هٰذَا مَوْضِعَهَا وَمَا ذَكَرْنَاهُ هُوَ مَذْهَبُ الْجُمْهُورِ وَالصَّوَابُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنَّ ذٰلِكَ على طَرِيقِ تَعْظِيمِهِ وَتَوْقِيرِهِ وعلى سَبِيلِ النَّدْبِ وَالاسْتِحْبَابِ لا على التَّحْرِيمِ وَلِذٰلِكَ لَمْ يَنْهَ عَنِ اسْمِهِ لأَنَّهُ قَدْ كانَ اللهُ مَنَعَ مِنْ نِدَائِهِ بِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣] وَإِنَّمَا كانَ الْمُسْلِمُونَ يَدْعُونَهُ يا رَسُولَ اللهِ يا نَبِيَّ اللهِ وَقَدْ يَدْعُونَهُ بِكُنْيَتِهِ أَبا القَاسِمِ بَعْضُهُمْ في بَعْضِ الأَحْوَالِ؛ وَقَدْ رَوَى أَنَسٌ[2] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْهُ ﷺ ما يَدُلُّ على كَرَاهَةِ التَّسَمِّي باسْمِهِ وَتَنْزِيهِهِ عَنْ ذٰلِكَ إِذَا لَمْ يُوَقَّرْ، فقالَ: «**تُسَمُّونَ أَوْلاَدَكُمْ مُحَمَّداً ثُمَّ تَلْعَنُونَهُمْ**»[3] وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ[4] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كتب إلى أَهْلِ الْكُوفَةِ لاَ يُسَمَّى أَحَدٌ باسْمِ النَّبِيِّ ﷺ حَكاهُ أبو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ[5]؛ وَحَكَى محمَّدُ بْنُ سَعْدٍ أَنَّهُ نَظَرَ إِلى رَجُلٍ اسْمُهُ محمَّدٌ وَرَجُلٌ يَسُبُّهُ وَيَقُولُ لَهُ

---

(١) سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٦/ ٢١٧ كتاب فرض الخمس (٥٧) باب قول الله تعالى: ﴿فإن لله خمسة وللرسول﴾ [الأنفال: ٨/ ٤١]. الحديث: ٣١١٤. ومسلم في الصحيح: ٣/ ١٦٨٣ كتاب الآداب (٣٨) باب النهي عن التكني بأبي القاسم (١) الحديث: ٥/ ٢١٣٣.

(٢) أنس. تقدمت ترجمته.

(٣) تسمون أولادكم محمداً ثم تلعنونهم.. الحديث/ أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال: ٤٥٢٢٢.

(٤) عمر. تقدمت ترجمته.

(٥) أبو جعفر الطبري. تقدمت ترجمته.

فَعَلَ الله بِكَ يا مُحَمَّدُ وَصَنَعَ، فقالَ عُمَرُ لابنِ أخِيهِ محمَّدِ بنِ زيدْ بْنِ الْخَطَّابِ[1] : لا أرى محمَّداً ﷺ يُسَبُّ بِكَ وَالله لاَ تُدْعَى محمَّداً ما دُمْتُ حَيّاً وَسَمَّاهُ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ وَأرَادَ أنْ يَمْنَعَ لِهٰذَا أنْ يُسَمَّى أحَدٌ بِأسْمَاءِ لأنْبِيَاءِ إكْرَاماً لَهُمْ بِذٰلِكَ وَغَيَّرَ أسْمَاءَهُمْ وقالَ لاَ تُسَمُّوا بأسْمَاءِ الأنْبِيَاءِ ثُمَّ أمْسَكَ، وَالصَّوَابُ جَوازُ هٰذَا كُلِّهِ بَعْدَهُ ﷺ بِدَلِيلِ إطْبَاقِ الصَّحَابَةِ عَلَى ذٰلِكَ وَقَدْ سَمَّى جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ ابْنَهُ مُحَمَّداً وَكَنَّاهُ بِأبِي القاسِمِ وَرُوِيَ أنَّ النبيَّ ﷺ أذِنَ في ذٰلِكَ لِعلِيٍّ رَضِيَ الله عَنْهُ وَقَدْ أخْبَرَ ﷺ أنَّ ذٰلِكَ اسْمُ الْمَهْدِيّ وَكُنْيَتُهُ وَقَدْ سَمَّى به النبيُّ ﷺ محمدَ بنَ طَلْحَةَ[2] ومحمدَ بنَ عمرو بنِ حَزْم ومحمد بن ثابِتِ بن قيس[3] وغَيْرَ واحدٍ وقال: **«ما ضَرَّ أحَدُكُمْ أنْ يَكُونَ في بَيْتِهِ مُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدَانِ وَثلاثَةٌ»**[4] وَقَدْ فَصَّلْتُ الْكَلاَمَ في هٰذَا الْقِسْم عَلَى بَابَيْنِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ.

---

(١) محمد بن زيد بن الخطاب. تقدمت ترجمته.

(٢) محمد بن طلحة بن عمرو بن حزم. تقدمت ترجمته.

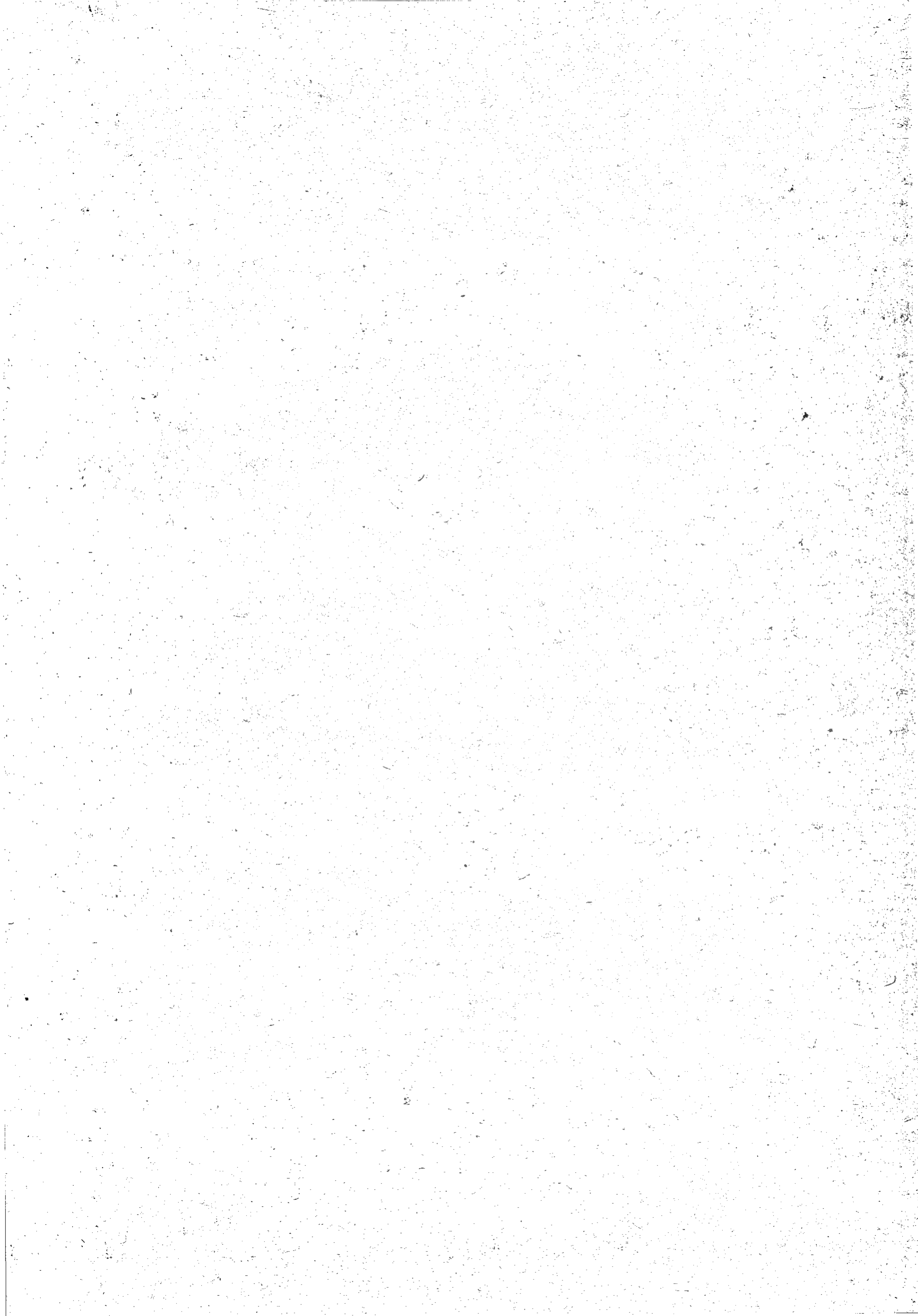
(٣) محمد بن ثابت بن قيس. تقدمت ترجمته.

(٤) ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد.. الحديث/ أخرجه ابن سعد في الطبقات ٥/٣٨ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٤٥٢٠٥.

الباب الأول

في بيان ما هو في حقه ﷺ سب أو نقص من تعريض أو نص

وفيه عشرة فصول:



الباب الأول

فِي بيان ما هو في حقِّهِ ﷺ سَبٌّ أَوْ نَقْصٌ مِنْ تَعْرِيض أَوْ نَصٍّ

الفصل الأول: الحكم الشرعي فيمن سب النبي ﷺ أو تنقصه

اَعْلَمْ وَفَّقَنَا الله وَإِيَّاكَ أَنَّ جَمِيعَ مَنْ سَبَّ النبيَّ ﷺ أَوْ عَابَهُ أَوْ أَلْحَقَ بِهِ نَقْصاً في نَفْسِهِ أَوْ نَسَبِهِ أَوْ دِينه أَوْ خَصْلَةٍ مِنْ خِصَالِهِ أَوْ عَرَّضَ بِهِ أَوْ شَبَّهَهُ بِشَيْءٍ عَلَى طَرِيقِ السَّبِّ لَه أَوِ الإِزْرَاءِ عَلَيْهِ أَوِ التَّصْغِيرِ لِشَأْنِهِ أَوِ الغَضِّ مِنْهُ وَالعَيْبِ لَهُ فَهُوَ سَابٌّ لَهُ وَالْحُكْمُ فِيهِ حُكْمُ السَّابِّ يُقْتَلُ كَمَا نُبَيِّنُهُ وَلاَ نَسْتَثْنِي فَصْلاً مِنْ فُصُولِ هٰذَا الْبَابِ عَلَى هٰذَا المَقْصِدِ وَلاَ يَمْتَرِي فِيهِ تَصْرِيحاً كَانَ أَوْ تَلْوِيحاً وَكَذٰلِكَ مَنْ لَعَنَهُ أَوْ دَعَا عَلَيْهِ أَوْ تَمَنَّى مَضَرَّةً لَهُ أَوْ نَسَبَ إِلَيْهِ مَا لاَ يَلِيقُ بِمَنْصِبِهِ عَلَى طَرِيقِ الذَّمِّ أَوْ عَبِثَ فِي جِهَتِهِ الْعَزِيزَةِ بِسُخْفٍ مِنَ الْكَلاَمِ وَهَجْرٍ وَمُنْكَرٍ مِنَ الْقَوْلِ وَزُورٍ أَوْ عَيَّرَهُ بِشَيْءٍ مِمَّا جَرَى مِنَ الْبَلاَءِ وَالْمِحْنَةِ عَلَيْهِ أَوْ غَمَصَهُ بِبَعْضِ الْعَوَارِض الْبَشَرِيَّةِ الْجَائِزَةِ وَالْمَعْهُودَةِ لَدَيْهِ وَهٰذَا كُلُّه إِجْمَاعٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَأَئِمَّةِ الْفَتْوَى مِنْ لَدُنِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ الله عَلَيْهِمْ إِلَى هَلُمَّ جَرًّا، قال أبو بكرِ بنُ الْمُنْذِرِ[(١)] أَجْمَعَ عَوَامُّ أَهْل الْعِلْم على أَنْ مَنْ سَبَّ النبيَّ ﷺ يُقْتَلُ وَمِمَّنْ قَالَ ذٰلِكَ مَالِكُ بنُ أَنس[(٢)] وَاللَّيْثُ[(٣)] وَأَحْمَدُ[(٤)] وإِسْحَاقُ[(٥)] وَهُوَ مَذْهَبُ الشافِعِيِّ[(٦)] قال القَاضِي أبو الْفَضْلِ وَهُوَ مُقْتَضَى قول أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ[(٧)] رَضِيَ الله عَنْهُ وَلاَ تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ عِنْدَ هٰؤُلاَءِ، وَبِمِثْلِهِ قال أبو حَنِيفَةَ[(٨)] وأصحابُهُ والثَّوْرِيُّ[(٩)] وأَهلُ الكُوفَةِ وَالأَوْزَاعِي[(١٠)] في الْمُسْلِمِينَ لٰكِنَّهُمْ قالوا: هِيَ رِدَّةٌ: وروى مِثْلَهُ الْوَلِيدُ بنُ مُسْلِم[(١١)] عن مالكٍ وحَكَى الطَّبَرِيُّ[(١٢)] مِثْلَهُ عن أبي حنيفةَ وأَصحابِهِ فِيمَنْ تَنَقَّصَهُ ﷺ أَوْ بَرِىءَ مِنْهُ أَوْ كَذَّبَهُ وقال سُحْنُونٌ فِيمَنْ سَبَّهُ: ذٰلِكَ رِدَّةٌ كَالزَّنْدَقَةِ وَعَلَى هٰذَا وَقَعَ الْخِلاَفُ في اسْتِتَابَتِهِ وَتَكْفِيرِهِ وَهَلْ قَتْلُهُ حَدٌّ أَوْ كُفْرٌ كَمَا سَنُبَيِّنُهُ في الْبَابِ الثَّاني إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى، وَلاَ نَعْلَمُ خِلاَفاً في اسْتِبَاحَةِ دَمِهِ بَيْنَ عُلَمَاءِ الأَمْصَارِ وَسَلَفِ الأُمَّةِ وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ الإِجْمَاعَ عَلَى قَتْلِهِ وَتَكْفِيرِهِ وَأَشَارَ بَعْضُ الظَّاهِرِيَّةِ وَهُوَ أبو محمدٍ عليُّ بنُ أحمدَ الفَارِسِيُّ[(١٣)] إِلَى الْخِلاَفِ فِي تَكْفِيرِ الْمُسْتَخِفِّ بِهِ وَالْمَعْرُوفُ مَا قَدَّمْنَاهُ قال محمدُ بنُ

---

(١) أبو بكر بن المنذر: هو محمد بن إبراهيم النيسابوري.
(٢) مالك بن أنس. تقدمت ترجمته.
(٣) الليث. تقدمت ترجمته.
(٤) أحمد. تقدمت ترجمته.
(٥) إسحاق. تقدمت ترجمته.
(٦) الشافعي. تقدمت ترجمته.
(٧) أبو بكر. تقدمت ترجمته.
(٨) أبو حنيفة. تقدمت ترجمته.
(٩) الثوري. تقدمت ترجمته.
(١٠) الأوزاعي. تقدمت ترجمته.
(١١) الوليد بن مسلم. تقدمت ترجمته.
(١٢) الطبري. تقدمت ترجمته.
(١٣) أبو محمد علي بن أحمد الفارسي. تقدمت ترجمته.

سُحْنُونٍ[1] أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ شَاتِمَ النبيِّ ﷺ الْمُتَنَقِّصَ لَهُ كَافِرٌ وَالْوَعِيدُ جَارٍ عَلَيْهِ بِعَذَابِ الله لَهُ وَحُكْمُهُ عِنْدَ الأُمَّةِ الْقَتْلُ وَمَنْ شَكَّ في كُفْرِهِ وَعَذَابِهِ كَفَرَ؛ وَاحْتَجَّ إبراهيمُ بنُ حُسَيْنِ بنِ خالِدٍ[2] الفقيهُ في مِثْلِ هٰذَا بِقَتْلِ خالِدِ بنِ الْوَلِيدِ[3] مالِكَ بْنَ نُوَيْرَةَ[4] لِقولِهِ عنِ النبيِّ ﷺ صاحِبُكُمْ، وقالَ أبو سليمانَ الْخَطَّابِيُّ[5] لاَ أَعْلَمُ أَحَداً مِنَ الْمُسْلِمِينَ اخْتَلَفَ في وُجُوبِ قَتْلِهِ إذَا كَانَ مُسْلِماً؛ وقال ابنُ القاسِمِ[6] عن مالِكٍ[7] في كتاب ابنِ سَحْنُونٍ[8] وَالْمَبْسُوطِ وَالْعُتْبِيَّةِ وَحَكَاهُ مُطَرِّفٌ[9] عن مالِكٍ في كتابِ ابنِ حبيبٍ[10] مَنْ سَبَّ النبيَّ ﷺ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قُتِلَ وَلَمْ يُسْتَتَبْ؛ قال ابنُ القاسِمِ في الْعُتْبِيَّةِ مَنْ سَبَّهُ أَوْ شَتَمَهُ أَوْ عَابَهُ أَوْ تَنَقَّصَهُ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ وَحُكْمُهُ عِنْدَ الأُمَّةِ الْقَتْلُ كَالزِّنْدِيقِ وَقَدْ فَرَضَ الله تَعَالَى تَوْقِيرَهُ وَبِرَّهُ وفي الْمَبْسُوط عن عثمانَ بنِ كِنَانَةَ[11] مَنْ شَتَمَ النبيَّ ﷺ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قُتِلَ أَوْ صُلِبَ حَيّاً وَلَمْ يُسْتَتَبْ، وَالإِمَامُ مُخَيَّرٌ في صَلْبِهِ حَيّاً أَوْ قَتْلِهِ، ومِن رِوايةِ أبي الْمُصْعَبِ[12] وابنِ أبي أُوَيْسٍ[13] سمعنا مالِكاً يقولُ: مَنْ سَبَّ رسولَ الله ﷺ أَوْ شَتَمَهُ أَوْ عَابَهُ أَوْ تَنَقَّصَهُ قُتِلَ: مُسْلِماً كَانَ أَوْ كَافِراً وَلاَ يُسْتَتَابُ، وفي كِتاب محمدٍ أخبرَنا أصحابُ مالِكٍ أنه قال: مَنْ سَبَّ النبيَّ ﷺ أَوْ غَيْرَهُ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ مُسْلِمٍ أَوْ كَافِرٍ قُتِلَ وَلَمْ يُسْتَتَبْ؛ وقال أَصْبَغُ: «يُقْتَلُ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَسَرَّ ذٰلِكَ أَوْ أَظْهَرَهُ وَلاَ يُسْتَتَابُ لأَنَّ تَوْبَتَهُ لاَ تُعْرَفُ، وقال عبدُ الله بنُ عبدِ الْحَكَمِ[14] مَنْ سَبَّ النبي ﷺ مِنْ مُسْلِمٍ أَوْ كَافِرٍ قُتِلَ وَلَمْ يُسْتَتَبْ» وحَكَى الطَّبَرِيُّ[15] مِثْلَهُ عن أَشْهَبَ[16] عن مَالِكٍ[17]؛ وَرَوَى ابنُ وَهْبٍ[18] عن مالِك مَنْ قال إنَّ رِدَاءَ النبي ﷺ - ويُرْوَى زِرَّ النبيِّ ﷺ - وَسِخٌ أَرَادَ بِهِ عَيْبَهُ قُتِلَ، وقال بعضُ عُلَمَائِنَا أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أن مَنْ دَعَا عَلَى نَبِيٍّ مِنَ الأنْبِيَاءِ بالْوَيْلِ أَوْ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَكْرُوهِ أَنَّهُ يُقْتَلُ بِلاَ اسْتِتَابَةٍ وَأَفْتَى أبو

---

(١) محمد بن سحنون. تقدمت ترجمته. (٢) إبراهيم بن حسين بن خالد. تقدمت ترجمته.

(٣) خالد بن الوليد. تقدمت ترجمته. (٤) مالك بن نويرة. تقدمت ترجمته.

(٥) أبو سليمان. تقدمت ترجمته. (٦) ابن القاسم. تقدمت ترجمته.

(٧) مالك. تقدمت ترجمته. (٨) ابن سحنون. تقدمت ترجمته.

(٩) مطرف. تقدمت ترجمته. (١٠) ابن حبيب. تقدمت ترجمته.

(١١) عثمان بن كنانة: يعد من فقهاء المالكية وأئمتهم له كتاب المبسوط توفي سنة: ١٨٦ هـ.

(١٢) أبو المصعب: هو أحمد بن أبي بكر ويقال له أبو مصعب الزهري قاضي المدينة وعالمها الثقة المحدث. روى عن مالك وغيره توفي سنة: ٢٤٢ هـ. وترجمته في ميزان الاعتدال للذهبي: ١/ ٨٤.

(١٣) ابن أبي أوس: هو إسماعيل بن عبد الله بن أويس ابن أخت الإمام مالك بن أنس. واشتهر بالرواية عن خاله مالك رحمه الله.

(١٤) عبد الله بن عبد الحكم. تقدمت ترجمته. (١٥) الطبري. تقدمت ترجمته.

(١٦) أشهب. تقدمت ترجمته. (١٧) مالك. تقدمت ترجمته.

(١٨) ابن وهب. تقدمت ترجمته.

الحَسَن القابِسيُّ [١] فِيمَنْ قال في النبيِّ ﷺ الحَمَّالُ يَتِيمُ أبي طالِب [٢] بالْقَتْلِ، وَأَفْتَى أبو محمدِ بنُ أبي زيدٍ [٣] بِقَتْلِ رَجُلٍ سَمِعَ قَوْماً يَتَذَاكَرُونَ صِفَةَ النبيِّ ﷺ إِذْ مَرَّ بِهِمْ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ وَاللِّحْيَةِ فقال لهم تُرِيدُونَ تَعرفُونَ صِفَتَهُ هِيَ في صِفَةِ هٰذَا الْمَارِّ في خَلْقِهِ وَلِحْيَتِهِ قال وَلاَ تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ وَقَدْ كَذَبَ لَعَنَهُ اللهُ وَلَيْسَ يَخْرُجُ مِنْ قَلْبٍ سَلِيمِ الْإِيمَانِ وقال أحمدُ بنُ أبي سليمانَ [٤] صاحِبُ سُحْنُونٍ مَنْ قال إنَّ النبيَّ ﷺ كانَ أَسْوَدَ، يُقْتَلُ، وقال فِي رَجُلٍ قِيلَ لَهُ لا وَحَقِّ رسولِ اللهِ؛ فقال فَعَلَ اللهُ برسولِ اللهِ كَذَا ـ وَذَكَرَ كَلاَماً قَبِيحاً ـ فَقِيلَ لَهُ ما تَقُولُ يا عَدُوَّ اللهِ؟ فقالَ أَشَدَّ مِنْ كلامِهِ الْأَوَّلِ ثُمَّ قال: إنَّمَا أَرَدْتُ برسولِ اللهِ العَقْرَبَ فقال ابنُ أبي سُلَيْمَانَ لِلَّذِي سَأَلَهُ اشْهَدْ عَلَيْهِ وَأَنَا شَرِيكُكَ؛ يُرِيدُ فِي قَتْلِهِ وَثَوَابِ ذٰلِكَ. قال حَبِيبُ بنُ الرَّبِيع [٥] لأنَّ ادِّعاءَ التَّأْوِيلِ في لَفْظٍ صُرَاحٍ لا يُقْبَلُ لأنَّهُ امْتِهَانٌ وَهُوَ غَيْرُ مُعَزِّرٍ لِرسولِ اللهِ ﷺ ولا مُوَقِّرٍ لَهُ فَوَجَبَ إباحَةُ دَمِهِ؛ وَأَفْتَى أبو عبدِ اللهِ بنُ عَتَّابٍ [٦] في عَشَّارٍ [٧] قال لِرَجُلٍ أَدِّ واشْكُ إلى النبيِّ ﷺ وقال إنْ سَأَلْتُ أَوْ جَهِلْتُ فَقَدْ جَهِلَ وَسَأَلَ النبيُّ ﷺ بالْقَتْلِ وَأَفْتَى فُقَهَاءُ الأَنْدَلُسِ بِقَتْلِ ابنِ حَاتِمٍ المُتَفَقِّهِ الطُّلَيْطُلِيِّ [٨] وَصَلْبِهِ بما شُهِدَ عَلَيْهِ بِهِ مِنَ اسْتِخْفَافِهِ بحَقِّ النبيِّ ﷺ وَتَسْمِيَتِهِ إِيَّاهُ أَثْنَاءَ مُنَاظَرَتِهِ باليَتِيمِ وَخَتَنِ حَيْدَرَةَ وَزَعْمِهِ أَنَّ زُهْدَهُ لَمْ يَكُنْ قَصْداً وَلَوْ قَدَرَ على الطَّيِّبَاتِ أَكَلَهَا إلى أَشْبَاهٍ لِهٰذا، وَأَفْتَى فُقَهَاءُ القَيرَوَانِ وَأَصْحَابُ سُحْنُونٍ بِقَتْلِ إِبْرَاهِيمَ الفَزَارِيِّ [٩] وكانَ شاعِراً مُتَفَنِّناً في كَثِيرٍ مِنَ العُلُوم وكانَ مِمَّنْ يَحْضُرُ مَجْلِسَ القاضِي أبي العباسِ بنِ طالِبٍ [١٠] لِلْمُنَاظَرَةِ فَرُفِعَتْ عليهِ أُمُورٌ مُنْكَرَةٌ مِنْ هٰذَا البابِ في الاسْتِهْزَاءِ باللهِ وَأَنْبِيائِهِ وَنَبِيِّنَا ﷺ فأَحْضَرَ لهُ القاضِي يَحْيَىٰ بنَ عُمَرَ [١١] وَغَيْرَهُ مِنَ الفُقَهَاءِ وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ وَصَلْبِهِ فَطُعِنَ بالسِّكِّينِ وَصُلِبَ مُنَكَّساً ثُمَّ أُنْزِلَ وَأُحْرِقَ بالنَّارِ،

---

(١) أبو الحسن القابسي. هو علي بن محمد بن خلف المعافري القيرواني إمام الحديث والفقه المالكي، الزاهد الورع العابد صنف الكثير وألف الكثير في الأصول والفقه. توفي سنة ٤٠٣ هـ.

(٢) أبو طالب. تقدمت ترجمته.

(٣) أبو محمد بن أبي زيد: هو عبد الله القيرواني الذي انتهت إليه رئاسة المذهب المالكي بالمغرب وكثر الأخذ عنه، وقال عنه عياض إنه حاز رئاسة الدنيا والدين فلقب بمالك الأصغر توفي سنة: ٣٨٩ هـ.

(٤) أحمد بن أبي سليمان. تقدمت ترجمته.

(٥) حبيب بن الربيع. تقدمت ترجمته.

(٦) أبو عبد الله بن عتاب. تقدمت ترجمته.

(٧) عشار. تقدمت ترجمته.

(٨) ابن حاتم الطليطلي. تقدمت ترجمته.

(٩) إبراهيم الفزاري. تقدمت ترجمته.

(١٠) القاضي أبو العباس بن طالب. تقدمت ترجمته.

(١١) القاضي يحيى بن عمر. تقدمت ترجمته.

وَحَكَى بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ أَنهُ لمَّا رُفِعَتْ خَشَبَتُهُ وَزَالَتْ عَنْهَا الأيْدِي اسْتَدَارَتْ وَحَوَّلَهُ عَنِ الْقِبْلَةِ فَكَانَ آيَةً لِلْجَمِيعِ وَكَبَّرَ النَّاسُ؛ وَجَاءَ كَلْبٌ فَوَلَغَ فِي دَمِهِ فقال يَحْيَى بنُ عُمَرَ صَدَقَ رسولُ الله ﷺ وَذَكَرَ حَدِيثاً عنه ﷺ أنه قال: «لاَ يَلَغُ الكَلْبُ فِي دَمِ مُسْلِم»[1] وقال القاضِي أبو عبدِ الله بنُ المُرَابِطِ[2]: «مَنْ قَالَ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ هُزِمَ يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلاَّ قُتِلَ لأَنَّهُ تَنَقُّصٌ إِذْ لا يَجُوزُ ذَلِكَ عليهِ فِي خاصَّتِهِ إِذْ هُوَ على بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ وَيَقِينٍ مِنْ عِصْمَتِهِ، وَقَالَ حَبِيبُ بنُ رَبِيعٍ القَرَوِيُّ[3]: مَذْهَبُ مَالِكٍ[4] وَأَصْحَابِهِ أَنَّ مَنْ قَالَ فِيهِ ﷺ ما فِيهِ نَقْصٌ قُتِلَ دُونَ اسْتِتَابَةٍ؛ وَقالَ ابنُ عَتَّابٍ[5]: الكِتَابُ والسُّنَّةُ مُوجِبَانِ أَنَّ مَنْ قَصَدَ النبي ﷺ بِأذًى أَوْ نَقص مُعَرِضاً أَوْ مُصَرِّحاً وإِنْ قَلَّ فَقَتْلُهُ وَاجِبٌ، فَهٰذَا البابُ كُلُّهُ مِمَّا عَدَّهُ العُلَمَاءُ سَبّاً أَوْ تَنَقُّصاً يَجِبُ قَتْلُ قَائِلِهِ لَمْ يَخْتَلِفْ فِي ذٰلِكَ مُتَقَدِّمُهُمْ وَلاَ مُتَأَخِّرُهُمْ وَإِن اخْتَلَفُوا فِي حُكْمِ قَتْلِهِ على مَا أَشَرْنا إِلَيْهِ وَنُبَيِّنُهُ بَعْدُ وَكَذٰلِكَ أَقُولُ حُكْمُ مَنْ غَمَصَهُ أَوْ عَيَّرَهُ بِرِعَايَةِ الغَنَمِ أَوِ السَّهْوِ أَوِ النِّسْيَانِ أَوِ السِّحْرِ أَوْ مَا أَصَابَهُ مِنْ جُرْحٍ أَوْ هَزِيمَةٍ لِبَعْضِ جُيُوشِهِ أَوْ أذى مِنْ عَدُوِّهِ أَوْ شِدَّةٍ مِنْ زَمَنِهِ أَوْ بالْمَيْلِ إلى نِسَائِهِ فَحُكْمُ هٰذَا كُلِّهِ لِمَنْ قَصَدَ بِهِ نَقْصَهُ القَتْلُ وَقَدْ مَضَى مِنْ مَذَاهِبِ العُلَمَاءِ فِي ذٰلِكَ وَيَأْتِي مَا يَدُلُّ عليهِ.

الفصل الثاني: في الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه ﷺ

فَمِنَ الْقُرْآنِ لَعْنُهُ تعالَى لِمُؤْذِيهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَقِرَانُهُ تَعَالَى أَذَاهُ بِأَذَاهُ وَلاَ خِلاَفَ فِي قَتْلِ مَنْ سَبَّ الله وَأَنَّ اللَّعْنَ إِنَّمَا يَسْتَوْجِبُهُ مَنْ هُوَ كافِرٌ وَحُكْمُ الكافِرِ القَتْلُ فقالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٥٧] الآيةَ وَقَالَ فِي قاتِلِ الْمُؤْمِنِ مِثْلَ ذٰلِكَ فَمِنْ لَعْنَتِهِ فِي الدُّنْيَا القَتْلُ قالَ الله تَعَالَى: ﴿مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦١] وقالَ فِي الْمُحَارِبِينَ وَذِكْرِ عُقُوبَتِهِمْ ﴿ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [المائدة: ٣٣] وَقَدْ يَقَعُ الْقَتْلُ بِمَعْنَى اللَّعْنِ قالَ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠] وَ ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤] أي لَعَنَهُمُ الله وَلأَنَّهُ فَرَّقَ بَيْنَ أَذَاهُمَا وَأَذَى الْمُؤْمِنِينَ وَفِي أَذَى الْمُؤْمِنِينَ ما دُونَ الْقَتْلِ مِنَ الضَّرْبِ وَالنَّكَالِ فَكانَ حُكْمُ مُؤْذِي الله وَنَبِيِّهِ أَشَدَّ مِنْ ذٰلِكَ وَهُوَ الْقَتْلُ وَقَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ

---

(١) لا يلغ الكلب في دم مسلم.. الحديث/ أخرجه غير معروف لدى أهل الحديث وأنكره ابن حجر العسقلاني وقال له لا أصل له.

(٢) القاضي أبو عبد الله بن المرابط. هو أبو مصعب ومن أجلة فقهاء ـ المالكية في المذهب توفي سنة ٤٨٠ هـ وقيل قبل ذلك بقليل.

(٣) حبيب بن ربيع القروي، تقدمت ترجمته.

(٤) مالك. تقدمت ترجمته.

(٥) ابن عتاب. تقدمت ترجمته.

فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] الآية فَسَلَبَ اسْمَ الإِيمَانِ عَمَّنْ وَجَدَ فِي صَدْرِهِ حَرَجاً مِنْ قَضَائِهِ وَلَمْ يُسَلِّمْ لَهُ وَمَنْ تَنَقَّصَهُ فَقَدْ نَاقَضَ هَذَا وقالَ الله تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [الحجرات: ٢] وَلاَ يُحْبِطُ الْعَمَلَ إلاَّ الْكُفْرُ وَالْكافِرُ يُقْتَلُ وقالَ الله تَعالَى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة: ٨] ثُمَّ قالَ ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المجادلة: ٨] وقالَ تَعالَى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة: ٦١] ثُمَّ قالَ: ﴿يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١] وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥] إلى قوله: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦] قالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ كَفَرْتُمْ بِقَوْلِكُمْ في رسولِ الله ﷺ وَأَمَّا الإِجْمَاعُ فَقَدْ ذَكَرْنَاهُ وَأَمَّا الآثَارُ فحدثنا الشَّيْخُ أبو عبدِ الله أَحْمَدُ بْنُ مُحمدِ بنِ غَلْبُونَ عَنِ الشَّيْخِ أبي ذَرٍّ الْهَرَوِيِّ إجازَةً قال حَدَّثَنَا أبو الحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ وأبو عُمَرَ بْنُ حَيُّويَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدِ بنِ الْحَسَنِ بنِ زَبَالَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ مُوسَى بنِ جَعْفَرٍ عَنْ عَلِيِّ بنِ مُوسَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيِّ بنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ[(١)] أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ سَبَّ نَبِياً فَاقْتُلُوهُ وَمَنْ سَبَّ أَصْحَابي فاضْرِبُوهُ»[(٢)].

وفي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بقَتْلِ كَعْبِ بنِ الأَشْرَفِ[(٣)] وَقَوْلِهِ: «مَنْ لِكَعْبِ بنِ الأَشْرَفِ فَإِنَّهُ يُؤْذِي الله وَرَسُولَهُ» وَوَجَّهَ إِلَيْهِ مَنْ قَتَلَهُ غِيلَةً دُونَ دَعْوَةٍ بِخِلافِ غَيْرِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَعَلَّلَ بأذاهُ لَهُ فَدَلَّ أَنَّ قَتْلَهُ إِيَّاهُ لِغَيْرِ الإِشْرَاكِ بَلْ لِلأَذَى وَكَذلِكَ قَتَلَ أَبا رَافِعٍ[(٤)]، قال الْبَرَاءُ[(٥)] وَكانَ يُؤْذِي رسولَ الله ﷺ وَيُعِينُ عَلَيْه وَكَذٰلِكَ أَمْرُهُ يَوْمَ الْفَتْحِ بِقَتْلِ ابنِ خَطَلٍ[(٦)] وَجَارِيَتَيْهِ اللَّتَيْنِ كانَتَا تُغَنِّيَانِ بِسَبِّهِ ﷺ.

وفي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّ رَجُلاً كانَ يَسُبُّهُ ﷺ فقالَ: «مَنْ يَكْفِينِي عَدُوِّي؟» فقالَ خالِدٌ[(٧)] أنا فَبَعَثَهُ النَّبيُّ ﷺ فَقَتَلَهُ وَكَذٰلِكَ أَمَرَ بِقَتْلِ جَمَاعَةٍ مِمَّنْ كانَ يُؤْذِيهِ مِنَ الكُفَّارِ وَيَسُبُّهُ كالنَّضْرِ بنِ الحَارِثِ[(٨)] وَعُقْبَةَ بنِ أبي مُعَيْطٍ[(٩)] وَعَهِدَ بِقَتْلِ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ قَبْلَ الْفَتْحِ وَبَعْدَهُ فَقُتِلُوا إلاَّ مَنْ بَادَرَ بِإِسْلامِهِ قَبْلَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ وَقَدْ رَوَى الْبَزَّارُ[(١٠)] عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ[(١١)] أَنَّ عُقْبَةَ بْنَ أبي مُعَيْطٍ نادَى يا

---

(١) [. . . .] ص (٢٢٠) ساقطة من نسخة دمشق.

(٢) علي بن أبي طالب. تقدمت ترجمته.

(٣) من سب نبياً فاقتلوه ومن سب أصحابي فاضربوه.. الحديث/ أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٦/ ٢٦٠ والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣٢٤٧٨، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة: ٢١٤ والألباني في السلسلة الضعيفة: ٢٠٦.

(٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) تقدمت تراجمهم.

مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ مَا لي أُقْتَلُ مِنْ بَيْنِكُمْ صَبْراً؟ فقال له النبيُّ ﷺ: «بِكُفرِكَ وَٱفْتِرَائِكَ عَلَى رسولِ الله ﷺ وَذَكَرَ عبدُ الرزاق[1] أَنَّ النبيَّ ﷺ سَبَّهُ رَجُلٌ فقال: «مَنْ يَكْفِينِي عَدُوِّي؟»[2] فقال الزُّبَيْرُ: أَنَا، فَبَارَزَهُ فَقَتَلَهُ الزُّبَيْرُ[3]. ورُوِيَ أيضاً أَنَّ ٱمْرَأَةً كَانَتْ تَسُبُّهُ ﷺ فقال: «مَنْ يَكْفِينِي عَدُوَّتِي؟»[4] فَخَرَجَ إِلَيْهَا خالدُ بنُ الْوَلِيدِ[5] فَقَتَلَهَا؛ ورُوِيَ أَنَّ رَجُلاً كَذَبَ عَلَى النبيِّ ﷺ فَبَعَثَ عَلِيّاً[6] والزُّبَيْرَ إِلَيْهِ لِيَقتلاهُ، وَرَوى ابنُ قانِعٍ[7] أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى النبيِّ ﷺ فقال يا رسولَ الله سمعتُ أبي يقولُ فيكَ قَوْلاً قَبيحاً فَقتَلْتُهُ فَلَمْ يَشُقَّ ذٰلِكَ عَلَى النبيِّ ﷺ وَبَلَغَ الْمُهَاجِرَ بنَ أبي أُمَيَّةَ أَمِيرَ الْيَمَنِ[8] لأبي بكرٍ[9] رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ ٱمْرَأَةً هُنَاكَ فِي الرِّدَّةِ غَنَّتْ بِسَبِّ النبيِّ ﷺ فَقَطَعَ يَدَهَا وَنَزَعَ ثَنِيَّتَهَا فَبَلَغَ أبا بكرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ ذٰلكَ فَقال له لَوْلاَ مَا فَعَلْتَ لأَمَرْتُكَ بِقَتْلِهَا لأَنَّ حَدَّ الأَنْبِيَاءِ لَيْسَ يُشْبِهُ الْحُدُودَ وعن ابن عباسٍ[10] هَجَتِ ٱمْرَأَةٌ مِنْ خَطْمَةَ النبيَّ ﷺ فقال «مَنْ لي بِهَا؟» فقال رجلٌ مِنْ قَوْمِهَا أَنَا يا رسولَ الله فَنَهَضَ فَقَتَلَهَا فَأَخْبَرَ النبيَّ ﷺ فقال: «لاَ يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ» وعن ابنِ عباسٍ أَنَّ أَعْمَى كَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَسُبُّ النبيَّ ﷺ فَيَزْجُرُهَا فَلاَ تَنْزَجِرُ فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النبيِّ ﷺ وَتَشْتُمُهُ فَقَتَلَهَا وَأَعْلَمَ النبيَّ ﷺ بِذٰلِكَ فَأَهْدَرَ دَمَهَا؛ وفي حديثِ أبي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ[11] كُنْتُ يَوْماً جَالِساً عِنْدَ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ فَغَضِبَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحَكَى القاضِي إسماعيلُ[12] وغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الأَئِمَّةِ في هٰذَا الحديثِ[13] أنه سَبَّ أبا بكرٍ ورواه النَّسائيُّ: أَتَيْتُ أبا بكرٍ وَقَدْ أَغْلَظَ لِرَجُلٍ فَرَدَّ عَلَيْهِ قال فقلتُ يا خليفةَ رسول الله دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ فقال اجْلِسْ فَلَيْسَ ذٰلِكَ لأَحَدٍ إلاَّ رسولُ الله ﷺ قال القاضي أبو محمدِ بنُ نَصْرٍ[14] وَلَمْ يُخَالِفْ عَلَيْهِ أَحَدٌ، فَاسْتَدَلَّ الأَئِمَّةُ بهٰذَا الحديثِ عَلَى قَتْلِ مَنْ أَغْضَبَ النبيَّ ﷺ بِكُلِّ مَا أَغْضَبَهُ أَوْ آذَاهُ أَوْ سَبَّهُ[15] وَمِنْ

---

(١) تقدمت تراجمهم

(٢) من يكفيني عدوي؟.. الحديث/ أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء: ٨/ ٤٥ وعبد الرزاق في مصنفه: ٩٤٧٧، ٩٧٠٤، ٩٧٠٥. والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣٦٦١٩.

(٣) الزبير. تقدمت ترجمته. (٤) الحديث أورده الخفاجي في نسيم الرياض ٤/ ١٣٩٥.

(٥) خالد بن الوليد. تقدمت ترجمته. (٦) علي. تقدمت ترجمته.

(٧) ابن قانع: هو عبد الباقي بن قانع الإمام الحافظ كنيته أبو الحسين الأموي.

(٨) المهاجر بن أبي أمية أمير اليمن. تقدمت ترجمته.

(٩) أبو بكر. تقدمت ترجمته. (١٠) ابن عباس. تقدمت ترجمته.

(١١) أبو برزة الأسلمي. تقدمت ترجمته. (١٢) القاضي إسماعيل. تقدمت ترجمته.

(١٣) أخرج القصة الواقدي في كتاب المغازي: ١٣٢، ١٧٣، ١٧٤.

(١٤) أبو محمد بن نصر. تقدمت ترجمته.

(١٥) من أغضب.. الحديث/ أخرجه النسائي في السنن: ٧/ ١٨٥ والطيالسي في مسنده: ٣، والإمام أحمد في المسند: ٦/ ٦٩، ٧٢.

ذٰلِكَ كِتَابُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ[١] إلى عَامِلِهِ بالْكُوفَةِ وَقَدِ اسْتَشَارَهُ في قَتْلِ رَجُلٍ سَبَّ عمرَ رَضِيَ الله عَنْهُ فَكَتَبَ إلَيْهِ عمرُ: إِنَّهُ لاَ يَحِلُّ قَتْلُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ بِسَبِّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ إلاَّ رَجُلاً سَبَّ رسولَ الله ﷺ فَمَنْ سَبَّهُ فَقَدْ حَلَّ دَمُهُ، وَسَأَلَ الرَّشِيدُ[٢] مَالِكاً[٣] في رَجُلٍ شَتَمَ النبيَّ ﷺ وَذَكَرَ لَهُ أَنْ فُقَهَاءَ الْعِرَاقِ أَفْتَوْهُ بِجَلْدِهِ فَغَضِبَ مَالِكٌ وقال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا بَقَاءُ الأُمَّةِ بَعْدَ شَتْمِ نَبِيِّهَا؟ مَنْ شَتَمَ الأَنْبِيَاءَ قُتِلَ وَمَنْ شَتَمَ أَصْحَابَ النبيِّ ﷺ جُلِدَ. قال القاضي أبو الفضلِ: كَذَا وَقَعَ في هٰذِهِ الْحِكَايَةِ رَوَاهَا غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ مَنَاقِبِ مَالِكٍ وَمُؤَلِّفِي أَخْبَارِهِ وَغَيْرِهِمْ وَلاَ أَدْرِي مَنْ هٰؤُلاَءِ الْفُقَهَاءُ بالْعِرَاقِ الَّذِينَ أَفْتَوْا الرَّشِيدَ بِمَا ذُكِرَ وَقَدْ ذَكَرْنَا مَذْهَبَ العِرَاقِيِّينَ بِقَتْلِهِ وَلَعَلَّهُمْ مِمنْ لَمْ يُشْهَرْ بِعِلْمٍ أَوْ مِنْ لاَ يُوثَقُ بِفَتْوَاهُ أَوْ يَمِيلُ بِهِ هَوَاهُ أَوْ يَكُونُ مَا قَالَهُ يُحْمَلُ عَلَى غَيْرِ السَّبِّ فَيَكُونُ الْخِلاَفُ هَلْ هُوَ سَبٌّ أَوْ غَيْرُ سَبٍّ أَوْ يَكُونُ رَجَعَ وَتَابَ عَنْ سَبِّهِ فَلَمْ يَقْتُلْهُ لِمَالِكٍ عَلَى أَصْلِهِ وَإِلاَّ فَالإِجْمَاعُ عَلَى قَتْلِ مَنْ سَبَّهُ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَيَدُلُّ عَلَى قَتْلِهِ مِنْ جِهَةِ النَّظَرِ وَالاعْتِبَارِ أَنَّ مَنْ سَبَّهُ أَوْ تَنَقَّصَهُ ﷺ فَقَدْ ظَهَرَتْ عَلاَمَةُ مَرَضِ قَلْبِهِ وَبُرْهَانُ سِرِّ طَوِيَّتِهِ وَكُفْرِهِ، وَلِهٰذَا مَا حَكَمَ لَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاء بالرِّدَّةِ وهِيَ رِوَايَةُ الشَّامِيِّينَ عَنْ مَالِكٍ[٤] والأَوْزَاعِيِّ[٥] وقولُ الثَّوْرِيِّ[٦] وَأَبي حَنِيفَةَ[٧] وَالكُوفِيِّينَ وَالقَوْلُ الآخَرُ أنهُ دَلِيلٌ على الكُفرِ فَيُقْتَلُ حَدّاً وَإِنْ لَمْ يُحْكَمْ لَهُ بالكُفرِ إلاَّ أَنْ يَكُونَ مُتَمَادِياً على قوله غَيْرَ مُنْكِرٍ لَهُ وَلاَ مُقْلِعٍ عَنْهُ فَهٰذَا كافِرٌ، وَقَوْلُهُ إمَّا صَرِيحُ كُفْرٍ كالتَّكْذِيبِ وَنَحْوِهِ أَوْ مِنْ كَلِمَاتِ الاسْتِهْزَاءِ وَالذَّمِّ فاعْتِرَافُهُ بهَا وَتَرْكُ تَوْبَتِهِ عَنْهَا دَلِيلُ اسْتِحْلاَلِهِ لِذٰلِكَ وَهُوَ كُفْرٌ أَيْضاً فَهٰذَا كَافِرٌ بِلا خِلاَفٍ قال الله تَعَالَى في مِثْلِهِ: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤] قال أَهْلُ التَّفْسِيرِ هِيَ قَوْلُهُمْ إِنْ كانَ مَا يَقُولُ محمدٌ حَقّاً لَنَحْنُ شَرٌّ مِنَ الْحَمِيرِ وَقِيلَ بَلْ قَوْلُ بَعْضِهِمْ مَا مِثْلُنَا وَمِثْلُ محمدٍ إلاَّ قَوْلُ القَائِلِ سَمِّنْ كَلْبَكَ يأْكُلكَ و﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨] وقد قِيلَ إن قائلَ مِثْلِ هٰذَا إنْ كانَ مُسْتَتِراً به أنَّ حُكْمَهُ حُكْمُ الزِّنْدِيقِ يُقْتَلُ ولأَنَّهُ قَدْ غَيَّرَ دِينَهُ وَقَدْ قال ﷺ: «مَنْ غَيَّرَ دِينَهُ فاضْرِبُوا عُنُقَهُ»[٨] ولأَنَّ لِحُكْمِ النبيِّ ﷺ في الْحُرْمَةِ مَزِيَّةً على أُمَّتِهِ وَسَابُّ الْحُرِّ مِنْ أُمَّتِهِ يُحَدُّ فَكَانَتِ العُقُوبَةُ لِمَنْ سَبَّهُ ﷺ القَتْلَ لِعَظِيمِ قَدْرِهِ وَشُفُوفِ مَنْزِلَتِهِ على غَيْرِهِ.

---

(١) عمر بن عبد العزيز. تقدمت ترجمته. (٢) الرشيد. تقدمت ترجمته.
(٣) مالك. تقدمت ترجمته. (٤) مالك. تقدمت ترجمته.
(٥) الأوزاعي. تقدمت ترجمته. (٦) الثوري. تقدمت ترجمته.
(٧) أبو حنيفة. تقدمت ترجمته.
(٨) من غير دينه فاضربوا عنقه.. الحديث/ أخرجه الإمام الشافعي في مسنده: ٣٢١، والساعاتي في بدائع المنن: ١٤٨٢ وابن عبد البر في تجريد التمهيد: ١١٤ ومالك في الموطأ: ٧٣٦.

الفصل الثالث: حكم أسباب عفوه ﷺ عن بعض من أذاه

فَإِنْ قُلْتَ فَلِمَ لَمْ يَقْتُل النَّبيُّ ﷺ اليَهُودِيَّ الَّذِي قال لَهُ السَّامُ عَلَيْكُمْ وَهٰذَا دُعَاءٌ عليه وَلاَ قَتَلَ الآخَرَ الَّذِي قالَ لَهُ إِنَّ هٰذَا لِقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بها وَجْهُ الله وَقَدْ تَأَذَّى النَّبِيُّ ﷺ مِنْ ذٰلِكَ وقال قَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرَ مِنْ هٰذَا فَصَبَرَ وَلاَ قَتَلَ المُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُؤْذُونَهُ في أَكْثَرِ الأَحْيَانِ؟ فَاعْلَمْ وَفَّقَنَا الله وَإِيَّاكَ أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ الإِسْلامِ يَسْتَأْلِفُ عَلَيْهِ النَّاسَ وَيَمِيلُ قُلُوبَهُمْ وَيُمَيِّلَ إِلَيْهِ وَيُحَبِّبُ إِلَيْهِمُ الإِيمَانَ وَيُزَيِّنُهُ في قُلُوبِهِمْ وَيُدَارِئُهُمْ ويقولُ لأصحابِهِ: **«إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُنَفِّرِينَ»** ويقولُ: **«يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا وَسَكِّنُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا»**[1] ويقولُ: **«لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»** وَكَانَ ﷺ يُدَارِي الكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَيُجَمِّلُ صُحْبَتَهُمْ وَيُغْضِي عَنْهُمْ وَيَحْتَمِلُ مِنْ أَذَاهُمْ وَيَصْبِرُ عَلَى جَفَائِهِمْ مَا لاَ يَجُوزُ لَنَا الْيَوْمَ الصَّبْرُ لَهُمْ عَلَيْه وَكَانَ يُرْفِقُهُمْ بِالْعَطَاءِ وَالإِحْسَانِ وَبِذٰلِكَ أَمَرَهُ الله تَعَالَى فقال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:١٣] وقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤] وذٰلِكَ لِحَاجَةِ النَّاسِ لِلتَّأَلُّف أَوَّلَ الإِسْلاَمِ وَجَمْعِ الْكَلِمَةِ عَلَيْهِ فَلَمَّا اسْتَقَرَّ وَأَظْهَرَهُ الله عَلَى الدِّين كُلِّه قَتَلَ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ وَاشْتَهَرَ أَمْرُهُ كَفِعْلِهِ بِابْنِ خَطَلٍ[2] وَمَنْ عَهِدَ بِقَتْله يَوْمَ الْفَتْح وَمَنْ أَمْكَنَهُ قَتْلُهُ غِيلَةً مِنْ يَهُودَ وَغَيْرِهِمْ أَوْ غَلَبَةً مِمَّنْ لَمْ يَنْتَظِمْهُ قَبْلُ سِلْكَ صُحْبَتِهِ وَالانْخِرَاطَ في جُمْلَةِ مُظْهِرِي الإِيمَانِ به مِمَّنْ كَانَ يُؤْذِيهِ كَابْنِ الأَشْرَفِ[3] وأبي رافِعٍ[4] والنَّضْرِ[5] وعُقْبَةَ[6] وَكَذٰلِكَ نَذَرَ دَمَ جَمَاعَةٍ سِوَاهُمْ كَكَعْب بن زُهَيْر[7] وابن الزِّبَعْرَى[8] وغيرهما مِمَّنْ آذَاهُ حَتَّى أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ وَلَقُوهُ مُسْلِمِينَ وَبِوَاطِنُ الْمُنَافِقِينَ مُسْتَتِرَةٌ وَحُكْمُهُ ﷺ على الظَّاهِرِ وأَكْثَرُ تِلْكَ الكَلِمَاتِ إِنَّمَا كانَ يَقُولُهَا القَائِلُ مِنْهُمْ خُفْيَةً وَمَعَ أَمْثَالِهِ وَيَحْلِفُونَ عَلَيْهَا إِذَا نُمِيَتْ وَيُنْكِرُونَهَا وَيَحْلِفُونَ بالله ما قالُوا وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وكانَ مَعَ

---

(١) يسروا ولا تعسروا.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ١/ ٢٧، ٨/ ٣٦ ومسلم في الصحيح في الجهاد: ٦، ٨، وأبو داود في السنن كتاب الأدب ٢٠ والمنذري في الترغيب والترهيب ٣/ ٣٢٢ والمتقى الهندي في كنز العمال: ٥٣٦٠، ٥٤٢٨، والبيهقي في دلائل النبوة: ٥/ ٤٠٣، والطبري في المعجم الكبير: ١١/ ٣٣، ٣١٢، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٨٦.

(٢) ابن خطل. تقدمت ترجمته.

(٣) ابن الأشرف. تقدمت ترجمته.

(٤) أبو رافع. تقدمت ترجمته.

(٥) النضر. تقدمت ترجمته.

(٦) عقبة. تقدمت ترجمته.

(٧) كعب بن زهير. تقدمت ترجمته.

(٨) ابن الزبعري. تقدمت ترجمته.

هٰذَا يَطْمَعُ في فَيأَتِهِمْ وَرُجُوعِهِمْ إلى الإسْلاَمِ وَتَوْبَتِهِمْ فَيَصْبِرُ ﷺ على هَنَاتِهِمْ وَجفْوَتِهِمْ كما صَبَرَ أولُو العَزْمِ[١] مِنَ الرُّسُلِ حَتَّى فَاءَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ باطِناً كما فاءَ ظَاهِراً وَأَخْلَصَ سرّاً كما أَظْهَرَ جَهْراً وَنَفَعَ الله بَعْدُ بِكَثِيرٍ مِنْهُمْ وقامَ مِنْهُمْ لِلدِّينِ وُزَرَاءُ وَأَعْوَانٌ وَحُمَاةٌ وأَنْصارٌ كما جاءَتْ به الأَخْبَارُ وَبِهٰذَا أَجَابَ بَعْضُ أَئِمَّتِنَا رَحِمَهُمُ الله عَنْ هٰذَا السُّؤَالِ قالَ وَلَعَلَّهُ لم يَثْبُتْ عِنْدَهُ ﷺ مِنْ أَقْوَالِهِمْ مَا رُفِعَ وَإِنَّمَا نَقَلَهُ الْوَاحِدُ وَمَنْ لَمْ يَصِلْ رُتْبَةَ الشَّهَادَةِ في هٰذَا البابِ مِنْ صَبِيٍّ أَوْ عَبْدٍ أو امْرَأَةٍ وَالدِّمَاءُ لا تُسْتَبَاحُ إلاَّ بِعَدْلَيْنِ وعلى هٰذَا يُحْمَلُ أَمْرُ اليَهُودِيِّ في السَّلاَمِ وَأَنَّهُمْ لَوَّوْا به أَلْسِنَتَهُمْ وَلَمْ يُبَيِّنُوهُ أَلاَ تَرَى كَيْفَ نَبَّهَتْ عَلَيْهِ عَائِشَةُ[٢] وَلَوْ كَانَ صَرَّحَ بِذٰلِكَ لَمْ تَنْفَرِدْ بِعِلْمِهِ وَلِهٰذَا نَبَّهَ النبيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ على فِعْلِهِمْ وَقِلَّةِ صِدْقِهِمْ في فِعْلِهِمْ وَقِلَّةِ صِدْقِهِمْ في سَلاَمِهِمْ وخِيَانَتِهِمْ في ذٰلِكَ لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً في الدِّينِ فقالَ إنَّ اليَهُودَ إذَا سَلَّمَ أَحَدُهُمْ فَإِنَّمَا يَقُولُ السَّامُ عَلَيْكُمْ فَقُولُوا عَلَيْكُمْ وَكَذٰلِكَ قال بَعْضُ أَصْحَابِنَا البَغْدَادِيِّينَ إنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَقْتُلِ الْمُنَافِقِينَ بِعِلْمِهِ فِيهِم وَلَمْ يَأْتِ أنهُ قامَتْ بَيِّنَةٌ على نِفَاقِهِمْ فَلِذٰلِكَ تَرَكَهُمْ وأَيْضاً فإنَّ الأَمْرَ كانَ سِرّاً وباطِناً وَظَاهِرُهُمُ الإسْلاَمُ والإيمانُ وإنْ كانَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ بالعَهْدِ وَالجِوَارِ وَالنَّاسُ قَرِيبٌ عَهْدُهُمْ بالإسْلاَمِ لَمْ يَتَمَيَّزْ بَعْدُ الخَبِيثُ مِنَ الطَّيِّبِ وَقَدْ شَاعَ عَنِ المَذْكُورِينَ في الْعَرَبِ كَوْنُ مَنْ يُتَّهَمُ بالنِّفَاقِ مِنْ جُمْلَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَصَحَابَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَأَنْصارِ الدِّينِ بِحُكْمِ ظَاهِرِهِمْ فَلَوْ قَتَلَهُمْ النبي ﷺ لِنِفَاقِهِمْ وَمَا يَبْدُرُ مِنْهُمْ وَعِلْمِهِ بِمَا أَسَرُّوا في أَنْفُسِهِمْ لَوَجَدَ المُنَفِّرُ مَا يَقُولُ وَلاَ ارْتَابَ الشَّارِدُ وَأَرْجَفَ المُعَانِدُ وَارْتَاعَ مِنْ صُحْبَةِ النبيِّ ﷺ وَالدُّخُولِ في الإسْلاَمِ غَيْرُ وَاحِدٍ وَلَزَعَمَ الزَّاعِمُ وَظَنَّ الْعَدُوُّ الظَّالِمُ أن الْقَتْلَ إنَّمَا كانَ لِلْعَدَاوَةِ وَطَلَبَ أَخْذِ التِّرَةِ وَقَدْ رَأَيْتُ مَعْنًى مَا حَرَّرْتُهُ مَنْسُوباً إلى مَالِكِ بنِ أَنَسٍ[٣] رَحِمَهُ الله وَلِهٰذَا قالَ ﷺ لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أنَّ محمداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ، وقالَ أُولٰئِكَ الَّذِينَ نَهَانِي الله عَنْ قَتْلِهِمْ وَهٰذَا بِخِلاَفِ إجْراءِ الأَحْكَامِ الظَّاهِرَةِ عَلَيْهِمْ مِنْ حُدُودِ الزِّنَى وَالْقَتْلِ وَشِبْهِهِ لِظُهُورِهَا وَاسْتِوَاءِ النَّاسِ في عِلْمِهَا وَقَدْ قالَ مُحَمَّدُ بْنُ المَوَّازِ[٤] لَوْ أَظْهَرَ الْمُنَافِقُونَ نِفَاقَهُمْ لَقَتَلَهُمُ النبيُّ ﷺ وَقَالَهُ الْقَاضِي أبو الحَسَنِ بْنُ الْقَصَّارِ[٥]، وقالَ قَتَادَةُ[٦] في تَفْسِيرِ قوله تَعالَى: ﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا

---

(١) أولو العزم هم نوح، إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم.
(٢) عائشة رضي الله عنهما تقدمت ترجمتها.
(٣) مالك بن أنس. تقدمت ترجمته.
(٤) محمد بن المواز. تقدمت ترجمته.
(٥) القاضي أبو الحسن بن القصار. تقدمت ترجمته.
(٦) قتادة. تقدمت ترجمته.

سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦٠ ـ ٦٢] الآية، قالَ مَعْنَاهُ إِذَا أَظْهَرُوا النِّفَاقَ، وَحَكَى مُحمَّد بنُ مَسْلَمَةَ[١] في المَبْسُوطِ عَنْ زَيْد بن أَسْلَمَ أنَّ قوْلَهُ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] نَسَخَهَا ما كانَ قَبْلَهَا وقالَ بَعْضُ مَشَايِخِنَا لَعَلَّ القَائِلَ هٰذِهِ قِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ الله وَقولَهُ اعْدِلْ لَمْ يَفْهَم النَّبيُّ ﷺ مِنْهُ الطَّعْنَ عليه وَالتُّهَمَةَ لَهُ وَإِنَّمَا رَآهَا مِنْ وَجْهِ الغَلَطِ في الرَّأْيِ وَأُمورِ الدُّنْيَا وَالاجْتِهَادِ في مَصَالِحِ أَهْلِهَا فَلَمْ يَرَ ذٰلِكَ سَبّاً وَرَأَى أَنَّهُ مِنَ الأَذَى الَّذِي لَهُ العَفْوُ عَنْهُ وَالصَّبْرُ عليهِ فَلِذلِكَ لَمْ يُعَاقِبْهُ وَكَذٰلِكَ يُقَالُ في اليَهُودِ إِذْ قَالُوا السَّامُ عَلَيْكُم لَيْسَ فِيهِ صَرِيحُ سَبٍّ ولا دُعَاءٍ إِلاَّ بِمَا لاَ بُدَّ مِنْهُ مِنَ المَوْتِ الَّذِي لاَ بُدَّ مِنْ لِحَاقِهِ جَمِيعَ البَشَرِ وَقِيلَ بَلِ المُرَادُ تَسْأَمُونَ دِينَكُمْ وَالسَّأْمُ وَالسَّآمَةُ المَلاَلُ وَهٰذَا دُعَاءٌ على سَآمَةِ الدِّينِ لَيْسَ بِصَريح سَبٍّ وَلِهٰذَا تَرْجَمَ البُخَارِي على هٰذَا الحَدِيثِ «بَابُ إِذَا عَرَّضَ الذِّمِّيُّ أَوْ غَيْرُهُ بِسَبِّ النَّبِيِّ ﷺ» قال بَعْضُ عُلَمَائِنَا وَلَيْسَ هٰذَا بِتَعْرِيض بالسَّبِّ وَإِنَّمَا هُوَ تَعْرِيضٌ بالأَذَى قالَ القَاضِي أَبُو الفَضْلِ قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ الأَذَى والسَّبَّ في حَقِّهِ ﷺ سَوَاءٌ وقالَ القَاضِي أَبُو مُحَمَّدِ بن نَصْرٍ[٢] مُجيباً عن هٰذَا الحَدِيثِ بِبَعْضِ مَا تَقَدَّمَ ثُمَّ قَالَ وَلَمْ يَذْكُرْ في الحَدِيثِ هَلْ كَانَ هٰذَا اليَهُودِيُّ مِنْ أَهْلِ العَهْدِ وَالذِّمَّةِ أَوِ الحَرْبِ وَلاَ يُتْرَكُ مُوجِبُ الأَدِلَّةِ لِأَمْرِ المُحْتَمَلِ وَالأَوْلَى في ذٰلِكَ كُلِّهِ وَالأَظْهَرُ مِنْ هٰذِهِ الوُجُوهِ مَقْصدُ الاسْتِئْلافِ وَالمُدَارَةِ على الدِّينِ لَعَلَّهُمْ يُؤْمِنُونَ وَلِذٰلِكَ تَرْجَمَ البُخَارِي على حديث القِسْمَةِ وَالخَوَارِجِ «بابُ مَنْ تَرَكَ قِتَالَ الخَوَارِجِ لِلتَّأَلُّف وَلئلاَّ يَنْفِر النَّاسُ عَنْهُ» وَلَمَّا ذَكَرْنا مَعْنَاهُ عَنْ مَالِكٍ[٣] وَقَرَّرْنَاهُ قَبْلُ وَقَدْ صَبَرَ لَهُمْ ﷺ على سِحْرِهِ وَسَمِّه وَهُوَ أَعْظَمُ مِنْ سَبِّهِ إِلى أَنْ نَصَرَهُ الله عَلَيْهِمْ وَأَذِنَ لَهُ في قَتْلِ مِنْ حَيَّنَهُ مِنْهُمْ وَإِنْزَالِهِمْ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ في قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ وَكَتَبَ على مَنْ شاءَ مِنْهُمُ الجَلاَءَ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ دِيارِهِمْ وَخَرَّبَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدي المُؤْمِنِينَ وكاشَفَهُمْ بالسَّبِّ فقال: «يا إِخْوَةَ القِرَدَةِ وَالخَنَازِيرِ» وَحَكَّمَ فِيهِمْ سُيُوفَ المُسْلِمِينَ وَأَجْلاَهُمْ مِنْ جِوَارِهِمْ وَأَوْرَثَهُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ العُلْيَا وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى فَإِنْ قُلْتَ فَقَدْ جَاءَ في الحَدِيثِ الصحيح عن عائِشَةَ[٤] رَضِيَ الله عَنْها أنه ﷺ: «مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ في شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله فَيَنْتَقِمَ لله» فَاعْلَمْ أَنَّ هٰذَا لا يَقْتَضِي أَنَّهُ لم يَنْتَقِمْ مِمَّنْ سَبَّهُ أَوْ آذَاهُ أَوْ كَذَّبَهُ فَإِنَّ هٰذِهِ مِنْ حُرُماتِ الله التِي انْتَقَمَ لَهَا وَإِنَّمَا يَكُونُ مَا لاَ يَنْتَقِمُ مِنْهُ لَهُ فيما تَعَلَّقَ بِسُوءِ أَدَبٍ أَوْ مُعَامَلَةٍ مِنَ القَوْلِ والفِعْلِ بالنَّفْسِ وَالمَالِ مِمَّا لَمْ يَقْصِدْ فاعِلُهُ بِهِ

---

(١) محمد بن مسلمة. تقدمت ترجمته.

(٢) القاضي أبو محمد بن نصر. تقدمت ترجمته.

(٣) مالك بن أنس. تقدمت ترجمته.

(٤) عائشة. تقدمت ترجمتها.

أذاهُ لٰكِنْ مِمَّا جُبِلَتْ عَلَيْهِ الأعْرَابُ مِنَ الجفَاءِ وَالجَهْلِ أوْ جُبِلَ عليهِ البَشَرُ مِنَ السَّفَهِ كَجَبْذِ الأعْرَابِيِّ إزارَهُ حَتَّى أَثَّرَ في عُنُقِهِ وَكَرَفْعِ صَوْتِ الآخَرِ عِنْدَهُ وَكَجَحْدِ الأعْرَابِيِّ شِرَاءَهُ مِنْهُ فَرَسَهُ التِي شَهِدَ فيهَا خُزَيْمَةُ وكما كانَ مِنْ تَظَاهُرِ زَوْجَيْهِ عَلَيْهِ وأشْبَاهِ هٰذَا مِمَّا يَحْسُنُ الصَّفْحُ عَنْهُ وَقَدْ قال بَعْضُ عُلَمَائِنَا أنَّ أذى النبي ﷺ حَرَامٌ لاَ يَجُوزُ بِفِعْلٍ مُباحٍ ولا غَيْرِهِ وَأما غَيْرُهُ فَيَجُوزُ بِفِعْلٍ مُبَاحٍ مِمَّا يَجُوزُ لِلإنْسَانِ فِعْلُهُ وَإنْ تَأذَّى بِهِ غَيْرُهُ وَاحْتَجَّ بِعُمُومِ قولِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧] وبقولِهِ ﷺ في حديثِ فاطِمَةَ[1]: **«إنَّهَا بِضْعَةٌ مِنِّي يُؤْذِينِي مَا يُؤْذِيهَا ألاَ وَإنِّي لاَ أُحَرِّمُ مَا أحَلَّ الله وَلٰكِنْ لاَ تَجْتَمِعُ ابْنَةُ رسول الله وَابْنَةُ عَدُوِّ الله عِنْدَ رَجُلٍ أبَداً»**[2] أو يَكُونُ هٰذَا مِمَّا أذَاهُ به كَافِرٌ رَجَا بَعْدَ ذٰلِكَ إسْلاَمَهُ كَعَفْوِهِ عَنِ اليَهُودِيِّ الَّذِي سَحَرَهُ وعنِ الأعْرَابِيِّ الَّذِي أرَادَ قَتْلَهُ وعنِ اليهوديَّةِ الَّتِي سَمَّتْهُ وقد قِيلَ قَتَلَهَا وَمِثْلُ هٰذَا مِمَّا يَبْلُغُهُ مِنْ أذَى أهْلِ الكِتَابِ وَالمُنَافِقِينَ فَصَفَحَ عَنْهُمْ رَجَاءَ اسْتِئْلاَفِهِمْ وَاسْتِئْلاَفِ غَيْرِهِمْ كَمَا قَرَّرْنَاهُ قَبْلُ وبالله التوفِيقُ.

الفصل الرابع: حكم من فعل ذلك دون قصد

قال القَاضِي تَقَدَّمَ الكلامُ في قَتْلِ القاصِدِ لِسَبِّهِ وَالإزْرَاءِ بِهِ وَغَمْصِهِ بأيِّ وَجْهٍ كَانَ مِنْ مُمْكِنٍ أوْ مُحَالٍ فَهٰذَا وَجْهٌ بَيِّنٌ لاَ إشْكَالَ فِيهِ.

الوجهُ الثاني لأحَقُّ به في البَيَانِ وَالجَلاَءِ وَهُوَ أنْ يَكُونَ القَائِلُ لِمَا قال في جِهَتِهِ ﷺ غَيْرَ قَاصِدٍ لِلسَّبِّ وَالإزْرَاءِ وَلاَ مُعْتَقِدٍ لَهُ وَلٰكِنَّهُ تَكَلَّمَ في جِهَتِهِ ﷺ بِكَلِمَةِ الكُفْرِ مِنْ لَعْنِهِ أوْ سَبِّهِ أو تَكْذِيبِهِ أوْ إضَافَةِ مَا لاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ أو نَفْيِ مَا يَجِبُ لَهُ مِمَّا هُوَ في حَقِّهِ ﷺ نَقِيصَةٌ مِثْلُ أنْ يَنْسُبَ إلَيْهِ إتْيَانَ كَبِيرَةٍ أوْ مُدَاهَنَةً في تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أوْ في حُكْمٍ بَيْنَ النَّاسِ أوْ يَغُضَّ مِنْ مَرْتَبَتِهِ أو شَرَفِ نَسَبِهِ أو وُفُورِ عِلْمِهِ أوْ زُهْدِهِ أو يُكَذِّبَ بِمَا اشْتَهَرَ مِنْ أُمُورٍ أخْبَرَ بِهَا ﷺ وَتَوَاتَرَ الخَبَرُ بِهَا عَنْ قَصْدٍ لِرَدِّ خَبَرِهِ أو يَأْتِي بِسَفَهٍ مِنَ القَوْلِ أو قَبِيحٍ مِنَ الكَلاَمِ وَنَوْعٍ مِنَ السَّبِّ في جِهَتِهِ وَإنْ ظَهَرَ بِدَلِيلِ حَالِهِ أنَّهُ لَمْ يَعْتَمِدْ ذَمَّهُ وَلَمْ يَقْصِدْ سَبَّهُ إمَّا لِجَهَالَةٍ حَمَلَتْهُ عَلَى مَا قَالَهُ أوْ لِضَجَرٍ أوْ سُكْرٍ اضْطَرَّهُ إلَيْهِ أوْ قِلَّةِ مُرَاقَبَةٍ وَضَبْطٍ لِلِسَانِهِ وَعَجْرَفَةٍ وَتَهَوُّرٍ في كَلاَمِهِ فَحُكْمُ هٰذَا الوَجْهِ حُكْمُ الوَجْهِ الأوَّلِ القَتْلُ دُونَ تَلَعْثُمٍ إذْ لاَ يُعْذَرُ أحَدٌ في الكُفْرِ بِالجَهَالَةِ وَلاَ بِدَعْوَى زَلَلِ اللِّسَانِ وَلاَ بِشَيْءٍ

---

(١) فاطمة بنت الرسول ﷺ. تقدمت ترجمتها.

(٢) إنها بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٧/١٠٥، ٩/٣٢٧، كتاب فضائل الصحابة (٦٢) باب مناقب فاطمة (٢٩) الحديث: ٣/٥٢٣٠، والإمام مسلم في الصحيح ٤/١٩٠٢ كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب فضائل فاطمة (١٥) الحديث ٩٣/٢٣٣٩.

مِمَّا ذَكَرْنَاهُ إِذَا كَانَ عَقْلُهُ في فِطْرَتِهِ سَلِيماً إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بالإيمانِ وَبِهٰذَا أَفْتَى الأَنْدَلُسِيُّونَ عَلَى ابن حاتم في نَفْيِهِ الزُّهْدَ عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الَّذي قَدَّمْنَاهُ وقال محمدُ بْنُ سُحْنُونٍ في الْمَأْمُورِ يَسُبُّ النبيَّ ﷺ في أَيْدِي الْعَدُوِّ يُقْتَلُ إلاَّ أَنْ يُعْلَمَ تَبَصُّرُهُ أَوْ إِكْرَاهُهُ وعن أبي محمد بنِ أبي زيدٍ لاَ يُعْذَرُ بدَعْوَى زَلَلِ اللِّسَانِ في مِثْلِ هٰذَا وَأَفْتَى أَبُو الْحَسَنِ الْقَابِسِيُّ فيمَنْ شَتَمَ النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم في سُكْره يُقْتَلُ لأَنَّهُ يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ يَعْتَقِدُ هٰذَا وَيَفْعَلُهُ في صَحْوِهِ وَأَيْضاً فَإِنَّهُ حَدٌّ لاَ يُسْقِطُهُ السُّكْرُ كَالْقَذْفِ وَالْقَتْلِ وَسَائِرِ الْحُدُودِ لأَنَّهُ أَدْخَلَهُ عَلَى نَفْسِهِ لأَنَّ مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ عَلى عِلْمٍ مِنْ زَوَالِ عَقْلِهِ بهَا وَإتْيَانِ مَا يُنْكَرُ مِنْهُ فَهُوَ كَالْعَامِدِ لِمَا يَكُونُ بِسَبَبِهِ وَعَلَى هٰذَا أَلْزَمْنَاهُ الطَّلاَقَ وَالْعِتَاقَ وَالْقِصَاصَ وَالْحُدودَ وَلاَ يُعْتَرَضُ عَلَى هٰذَا بِحَدِيثِ حَمْزَةَ وقولِهِ للنبيِّ ﷺ وَهَلْ أَنْتُمْ إلاَّ عَبِيدٌ لأبي قال فَعَرَفَ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّهُ ثَمِلٌ فَانْصَرَفَ لأَنَّ الْخَمْرَ كَانَتْ حِينَئِذٍ غَيْرَ مُحَرَّمَةٍ فَلَمْ يَكُنْ في جِنَايَاتِهَا إِثْمٌ وَكَانَ حُكْمُ مَا يَحْدُثُ عَنْهَا مَعْفُوّاً عَنْهُ كَمَا يَحْدُثُ مِنَ النَّوْمِ وَشُرْبِ الدَّوَاءِ الْمَأْمُونِ.

الفصل الخامس: حكم القائل لذلك

الْوَجْهُ الثَّالِثُ أن يَقْصِدَ إِلَى تَكْذِيبه فيمَا قَالَهُ أو أتى به أَوْ وُجُودَهُ أَوْ يَكْفُرَ أَوْ يَنْفِي نُبُوَّتَهُ أَوْ رِسَالَتَهُ به انْتَقَلَ بِقَوْلِهِ ذٰلِكَ إِلَى دين آخَرَ غَيْرَ مِلَّتِهِ أَمْ لاَ؟ فَهٰذَا كَافِرٌ بإجْمَاعٍ يَجِبُ قَتْلُهُ ثُمَّ يُنْظَرُ فَإِنْ كَانَ مُصَرِّحاً بِذٰلِكَ كَانَ حُكْمُهُ أَشْبَهَ بِحُكْمِ الْمُرْتَدِّ وَقَوِيَ الْخِلاَفُ في اسْتِتَابَتِهِ وَعَلَى الْقَوْلِ الآخَرِ لاَ تُسْقِطُ الْقَتْلَ عَنْهُ تَوْبَتُهُ لِحَقِّ النبيِّ ﷺ إِنْ كَانَ ذَكَرَهُ بِنَقِيصَةٍ فِيمَا قَالَهُ مِنْ كَذِبٍ أَوْ غَيْرِهِ وَإِنْ كَانَ مُتَسَتِّراً بِذٰلِكَ فَحُكْمُهُ حُكْمُ الزِّنْدِيقِ لاَ تُسْقِطُ قَتْلَهُ التَّوْبَةُ عِنْدَنَا كَمَا سَنُبَيِّنُهُ قال أبو حنيفة[1] وأصحابُهُ مَنْ بَرِيءَ مِنْ مُحمَّدٍ أَوْ كَذَّبَ به فَهُوَ مُرْتَدٌّ حَلاَلُ الدَّمِ إلاَّ أَنْ يَرْجِعَ وقال ابنُ القاسِمِ[2] في الْمُسْلِمِ إِذَا قال إِنَّ مُحمَّداً لَيْسَ بِنَبِيٍّ أَوْ لَمْ يُرْسَلْ أَوْ لَمْ يُنْزَلْ عَلَيْهِ قُرْآنٌ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ تَقَوَّلَهُ يُقْتَلُ وقالَ وَمَنْ كَفَرَ بِرسولِ الله ﷺ وَأَنْكَرَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُرْتَدِّ وَكَذٰلِكَ مَنْ أَعْلَنَ بِتَكْذِيبِهِ أنهُ كَالْمُرْتَدِّ يُسْتَتَابُ وَكَذٰلِكَ قال فِيمَنْ تَنَبَّأَ وَزَعَمَ أَنهُ يُوحَى إِلَيْه وقالهُ سُحْنُونٌ[3] وقال ابنُ القاسِم دَعَا إِلَى ذٰلِكَ سِرّاً أَوْ جَهْراً وقال أَصْبَغُ وهُوَ كَالْمُرْتَدِّ لأَنَّهُ قَدْ كَفَرَ بِكِتَابِ الله مَعَ الْفِرْيَةِ عَلَى اللهِ وقال أَشْهَبُ في يَهُودِيٍّ تَنَبَّأَ أَوْ زَعَمَ أَنَّهُ أُرْسِلَ إِلَى النَّاسِ أَوْ قَالَ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ نَبِيٌّ أَنَّهُ يُسْتَتَابُ إِنْ كَانَ مُعْلِناً بِذٰلِكَ فَإِنْ تَابَ وَإِلاَّ قُتِلَ وَذٰلِكَ لأَنَّهُ مُكَذِّبٌ للنبيِّ ﷺ

(١) أبو حنيفة. تقدمت ترجمته.

(٢) ابن القاسم. تقدمت ترجمته.

(٣) سحنون. تقدمت ترجمته.

في قَوْلِه: «لاَ نَبيَّ بَعْدِي» مُفْتَر عَلَى الله في دَعْوَاهُ عَلَيْه الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ؛ وقال محمدُ بنُ سُحْنُونٍ[1] مَنْ شَكَّ في حَرْف مِمَّا جَاءَ بِهِ محمدٌ ﷺ عَنِ الله فَهُوَ كَافِرٌ جَاحِدٌ، وقال: مَنْ كَذَّبَ النبيَّ ﷺ كَانَ حُكْمُهُ عِنْدَ الأُمَّةِ الْقَتْلَ، وقال أحمدُ بنُ أبي سليمانَ[2] صاحِبُ سُحْنُونٍ[3]: مَنْ قَالَ إِنَّ النبيَّ ﷺ أَسْوَدُ قُتِلَ. لَمْ يَكُنِ النبيُّ ﷺ بِأَسْوَدَ وقال نحوَهُ أبو عثمانَ الْحَدَّادُ[4] قال: لَوْ قَالَ إِنَّهُ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَلْتَحِي أَوْ أَنَّهُ كَانَ بِتَاهَرْتَ وَلَمْ يَكُنْ بِتِهَامَةَ قُتِلَ لأن هٰذَا نَفْيٌ قال حَبِيبُ بنُ رَبيعٍ[5] تَبْدِيلُ صِفَتِهِ وَمَوَاضِعِهِ كُفْرٌ وَالْمُظْهِرُ لَهُ كَافِرٌ وَفِيهِ الاسْتِتَابَةُ وَالْمُسِرُّ لَهُ زِنْدِيقٌ يُقْتَلُ دُونَ اسْتِتَابَةٍ.

الفصل السادس: حكم فيما لو كان الكلام يحتمل سبباً أو غيره

الوجهُ الرابعُ أَنْ يَأْتِيَ مِنَ الْكَلاَمِ بِمُجْمَلٍ وَيَلْفِظُ مِنَ الْقَوْلِ بِمُشْكِلٍ يُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَى النبيِّ ﷺ أَوْ غَيْرِهِ أَوْ يُتَرَدَّدُ فِي الْمُرَادِ بِهِ من سَلاَمَتِهِ مِنَ الْمَكْرُوهِ أَوْ شَرِّهِ فَهٰهُنَا مُتَرَدَّدُ النَّظَرِ وَحَيْرَةُ الْعِبَرِ وَمَظِنَّةُ اخْتِلاَفِ الْمُجْتَهِدِينَ وَوَقْفَةِ اسْتِبْرَاءِ الْمُقَلِّدِينَ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ فَمِنْهُمْ مَنْ غَلَّبَ حُرْمَةَ النبيِّ ﷺ وَحَمَى حِمَى عِرْضِهِ فَجَسَرَ عَلَى الْقَتْلِ وَمِنْهُمْ مَنْ عَظَّمَ حُرْمَةَ الدَّمِ وَدَرَأَ الحَدَّ بالشُّبْهَةِ لاحْتِمَالِ الْقَوْلِ وَقَدِ اخْتَلَفَ أَئِمَّتُنَا فِي رَجُلٍ أَغْضَبَهُ غَرِيمُهُ فَقَالَ لَهُ صَلِّ على محمدٍ ﷺ فقال لَهُ الطَّالِبُ لا صلى الله على مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ فَقِيلَ لِسُحْنُونٍ[6] هَلْ هُوَ كَمَنْ شَتَمَ النبيَّ ﷺ أَوْ شَتَمَ الملائِكَةَ الَّذِينَ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ؟ قال: لا إذا كانَ على ما وَصَفْتَ مِنَ الغَضَبِ لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُضمِراً الشَّتْمَ، وقال أبو إسْحَاقَ البَرْقِيُّ[7] وأَصْبَغُ بنُ الفَرَجِ[8] لا يُقْتَلُ لأَنَّهُ إِنَّمَا شَتَمَ النَّاسَ وَهٰذَا نَحْوُ قَوْلِ سُحْنُونٍ لأَنَّهُ لم يَعْذِرْهُ بالغَضَبِ في شَتْمِ النبيِّ ﷺ ولٰكِنَّهُ لَمَّا احْتَمَلَ الكَلاَمَ عِنْدَهُ وَلَمْ تَكُنْ مَعَهُ قَرِينَة تَدُلُّ على شَتْمِ النَّبيِّ ﷺ أَوْ شَتْمِ الْمَلاَئِكَةِ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمْ ولا مُقَدِّمَة يُحْمَلُ عَلَيْهَا كَلاَمُهُ بَلِ القَرِينَةُ تَدُلُّ على أَنَّ مُرَادَهُ النَّاسُ غَيْرُ هٰؤُلاءِ لأَجْلِ قَوْلِ الآخَرِ لَهُ صَلِّ على النَّبيِّ فَحُمِلَ قَوْلُهُ وَسَبُّهُ لِمَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ الآنَ لأَجْلِ أَمْرِ الآخَرِ لَهُ بِهٰذَا عِنْدَ غَضَبِهِ هٰذَا مَعْنَى قَوْلِ سُحْنُونٍ وَهُوَ مُطَابِقٌ لِعِلَّةِ صَاحِبَيْهِ وَذَهَبَ الْحَارِثُ

---

(١) محمد بن سحنون. تقدمت ترجمته.
(٢) أحمد بن أبي سليمان. تقدمت ترجمته.
(٣) سحنون. تقدمت ترجمته.
(٤) أبو عثمان الحداد. تقدمت ترجمته.
(٥) حبيب بن ربيع. تقدمت ترجمته.
(٦) سحنون. تقدمت ترجمته.
(٧) أبو إسحاق. تقدمت ترجمته.
(٨) أصبغ بن الفرج. تقدمت ترجمته.

ابنُ مِسْكِين[١] القاضي وَغَيْرُهُ في مِثْلِ هٰذَا إلى القَتْلِ وَتَوَقَّفَ أبو الْحَسَنِ القابِسيُّ[٢] في قَتْلِ رَجُلٍ قال كُلُّ صَاحِبِ فُنْدُقٍ قَرْنانٌ وَلَوْ كَانَ نَبِيّاً مُرْسلاً فأمَرَ بِشَدِّه بالقُيُودِ وَالتَّضْييقِ عليهِ حَتَّى يُسْتَفْهَمَ البَيِّنَةُ عَنْ جُمْلَةِ أَلْفَاظِهِ وَمَا يَدُلُّ على مَقْصدِهِ هَلْ أَرَادَ أَصْحَابَ الفَنَادق الآنَ فَمَعْلُومٌ أَنهُ لَيْسَ فِيهِمْ نَبِي مُرْسَلٌ فَيَكُونُ أَمْرُهُ أَخَفَّ قال وَلٰكِنْ ظَاهِرُ لَفظِهِ العُمُومُ لِكُلِّ صَاحِبِ فُنْدُقٍ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأخِرِينَ وقد كانَ فِيمَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الأنْبِيَاءِ والرُّسُلِ مَن اكْتَسَبَ الْمَالَ قال وَدَمُ الْمُسْلِمِ لا يُقْدَمُ عَلَيْهِ إلاَّ بِأَمْرٍ بَيِّنٍ وَمَا تُرَدُّ إلَيْه التَّأْوِيلاتُ لا بُدَّ مِنْ إمْعانِ النَّظَرِ فِيه هٰذَا مَعْنَى كَلامِهِ وَحُكي عَنْ أبي مُحمدِ بن أبي زَيْدٍ[٣] رَحِمَهُ الله فِيمَنْ قالَ لَعَنَ الله العَرَبَ وَلَعَنَ الله بَنِي إسْرَائِيلَ وَلَعَنَ الله بَني آدَمَ وذَكَرَ أنهُ لَم يُرِدِ الأنْبِيَاءَ وَإنَّما أرَدْتُ الظَّالِمِينَ مِنْهُمْ أنَّ عَلَيْهِ الأدَبَ بِقَدْرِ اجْتِهَادِ السُّلْطَانِ وَكَذٰلِكَ أَفْتَى فِيمَنْ قال: لَعنَ الله مَنْ حَرَّمَ الْمُسْكِرَ وقالَ لم أَعْلَمْ مَنْ حَرَّمَهُ وفيمَنْ لَعَنَ حَدِيثَ: «لا يَبعْ حاضِرٌ لِبَادٍ» وَلَعَنَ ما جاءَ بِهِ أَنهُ إنْ كانَ يُعْذَرُ بالجَهْلِ وَعَدَمِ مَعْرِفَةِ السُّنَنِ فَعَلَيْهِ الأدَبُ الْوَجِيعُ وذٰلِكَ أَنَّ هٰذَا لَمْ يَقْصِدْ بِظَاهِرِ حالِهِ سَبَّ الله ولا سَبَّ رَسُولِهِ وَإنَّما لَعَنَ مَنْ حَرَّمَهُ مِنَ النَّاسِ على نَحْوِ فَتْوَى سُحْنُون[٤] وأَصْحَابِهِ في المَسْأَلَةِ المُتَقَدِّمَةِ ومِثْلُ هٰذَا مَا يَجْرِي في كَلاَمِ سُفَهَاءِ النَّاسِ مِنْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ لِبَعْض - يا ابنَ أَلْفِ خِنْزِيرٍ، ويا ابنَ مائَةِ كَلْبٍ - وَشِبْهِهِ مِنْ هُجْرِ القَوْلِ ولا شَكَّ أنهُ يَدْخُلُ في مِثْلِ هٰذَا العَدَدِ مِنْ آبائه وأَجْدَادِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الأنْبِيَاءِ وَلَعَلَّ بَعْضَ هٰذَا العَدَدِ مُنْقَطِعٌ إلى آدَمَ عليه السلامُ فَيَنْبَغِي الزَّجْرُ عَنْهُ وَتَبْيينُ ما جَهِلَ قائِلُهُ مِنْه وَشِدَّةُ الأَدَبِ فِيه وَلَوْ عُلِمَ أنهُ قَصَدَ سَبَّ مَنْ في آبائِهِ مِنَ الأنْبِيَاءِ على عِلْم لَقُتِلَ وَقَدْ يُضَيَّقُ الْقَوْلُ في نَحْوِ هذا لَوْ قالَ لِرَجُلٍ هاشِمِيٍّ لَعَنَ الله بَنِي هاشِم؛ وقال: أرَدْتُ الظَّالِمِينَ مِنْهُمْ أوْ قال لِرَجُلٍ مِنْ ذُرِّيَّةِ النبيِّ ﷺ قَوْلاً قَبيحاً في آبائِهِ أوْ مِنْ نَسْلِهِ أوْ وَلَدِهِ على عِلْم مِنْهُ أنهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ النبي ﷺ وَلَمْ تَكُنْ قَرِينَةٌ في المَسْأَلَتَيْن تَقْتَضِي تَخْصِيصَ بَعْضِ آبائه وإخْرَاجَ النبي ﷺ مِمَّنْ سَبَّهُ مِنْهُمْ وَقَدْ رَأَيْتُ لأَبِي مُوسَى عِيسَى بْنِ مَنَاسَ[٥] فِيمَنْ قال لِرَجُلٍ لَعَنَكَ الله إلى آدَمَ عليه السلامُ أَنَّه إنْ ثَبَتَ عليه ذٰلِكَ قُتِلَ قال القاضِي وَفَّقَهُ الله وَقَدْ كان اخْتَلَفَ شُيُوخُنَا فِيمَنْ قال لِشَاهِدٍ شَهِدَ عليه بِشَيْءٍ ثُمَّ قال لَه تَتَّهِمُنِي؟ فقال له الآخَرُ: الأَنْبِيَاءُ يُتَّهَمُونَ فَكَيْفَ أَنْتَ؟ فَكَانَ شَيْخُنَا أبو إسْحاقَ بنُ جعفرٍ[٦] يَرَى قَتْلَهُ لِبَشَاعَةِ ظَاهِرِ اللَّفْظ وكانَ القاضِي أبو محمدِ بْنُ منصورٍ يَتَوَقَّفُ

---

(١) الحارث بن مسكين. تقدمت ترجمته.
(٢) أبو الحسن القابسي. تقدمت ترجمته.
(٣) أبو محمد بن أبي زيد. تقدمت ترجمته.
(٤) سحنون. تقدمت ترجمته.
(٥) أبو موسى عيسى بن مناس من تلاميذ الإمام سحنون وينسب إلى أهل القيروان.
(٦) أبو إسحاق بن جعفر. تقدمت ترجمته.

عَنِ الْقَتْلِ لاحْتِمَالِ اللَّفْظِ عِنْدَهُ أنْ يَكُونَ خَبَراً عَمَّنْ اتَّهَمَهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَأفْتَى فِيهَا قَاضِي قُرْطُبَةَ أبو عبدِ الله بنُ الْحَاجِّ[١] بِنَحْو مِنْ هٰذَا وَشَدَّدَ القاضِي أبو محمدٍ[٢] تَصْفِيدَهُ وَأطَالَ سجْنَهُ ثُمَّ اسْتَحْلَفَهُ بَعْدُ عَلَى تَكْذِيبِ مَا شَهِدَ بِهِ عَلَيْهِ إنْ دَخَلَ في شَهَادَةِ بَعْضِ مَنْ شَهِدَ عَلَيْهِ وَهْنٌ ثُمَّ أطْلَقَهُ وَشَاهَدْتُ شَيْخَنَا القاضِي أبا عبد الله بنَ عِيسَى[٣] أيَّامَ قَضَائِهِ أُتِيَ بِرَجُلٍ هَاتَرَ رَجُلاً اسْمُهُ مُحَمَّدٌ ثُمَّ قَصَدَ إلَى كَلْبٍ فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ وقال له: قُمْ يا محمدُ فَأنْكَرَ الرَّجُلُ أنْ يَكُونَ قال ذٰلِكَ وَشَهِدَ عَلَيْهِ لَفِيفٌ مِنَ النَّاسِ فَأمَرَ به إلَى السِّجْنِ وَتَقَصَّى عَنْ حَالِهِ وَهَلْ يَصْحَبُ مَنْ يُسْتَرَابُ بِدِينِهِ فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ مَا يُقَوِّي الرِّيبَةَ بِاعْتِقَادِهِ ضَرَبَهُ بالسَّوْطِ وَأطْلَقَهُ.

الفصل السابع: حكم من وصف نفسه بصفة من صفات الأنبياء عليهم السلام

الوجهُ الخامِسُ أنْ لاَ يَقْصِدَ نَقْصاً وَلاَ يَذْكُرَ عَيْباً وَلاَ سَبّاً لٰكِنَّهُ يَنْزِعُ بِذِكْرِ بَعْضِ أوْصافِهِ أوْ يَسْتَشْهِدُ بِبَعْضِ أحْوَالِهِ ﷺ الجَائِزَةِ عَلَيْهِ في الدُّنْيَا عَلَى طَرِيقِ ضَرْبِ الْمَثَلِ وَالْحُجَّةِ لِنَفْسِهِ أوْ لِغَيْرِهِ أوْ عَلَى التَّشَبُّهِ به أوْ عِنْدَ هَضِيمَةٍ نَالَتْهُ أوْ غَضَاضَةٍ لَحِقَتْهُ لَيْسَ عَلَى طَرِيقِ التَّأسِّي وَطَرِيقِ التَّحْقِيقِ بَلْ عَلَى مَقْصِدِ التَّرْفِيعِ لِنَفْسِهِ أوْ لِغَيْرِهِ أوْ عَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ وَعَدَمِ التَّوْقِيرِ لِنَبِيِّه ﷺ أوْ قَصْدِ الْهَزْلِ وَالتَّنْذِيرِ بقوله كقولِ القائِلِ إنْ قِيلَ فِيَّ السُّوءُ فقد قيلَ في النبيِّ أوْ إنْ كُذِّبْتُ فَقَدْ كُذِّبَ الأنْبِيَاءُ أوْ إنْ أذْنَبْتُ فَقَدْ أذْنَبُوا أوْ أنَا أسْلَمُ مِنْ ألْسِنَةِ النَّاسِ وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهُمْ أنْبِيَاءُ الله ورسلُهُ أوْ قَدْ صَبَرْتُ كَمَا صَبَرَ أولُو الْعَزْمِ أوْ كَصَبْرِ أيُّوبَ أوْقَدْ صَبَرَ نَبِيُّ الله عَنْ عِدَاهُ وحَلُمَ عَلَى أكْثَرَ مِمَّا صَبَرْتُ وكقولِ المُتَنَبِّي[٤]:

أنَا فِي أُمَّةٍ تَدَارَكَهَا الله غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثَمُودِ

وَنَحْوِهِ مِنْ أشْعَارِ الْمُتَعَجْرِفِينَ في الْقَوْلِ الْمُتَسَاهِلِينَ في الْكَلاَمِ كقولِ المَعَرِّي[٥]:

كُنْتَ مُوسَى وَافَتْهُ بِنْتُ شُعَيْبٍ غَيْرَ أنْ لَيْسَ فِيكُمَا مِنْ فَقِيرِ

عَلَى أنَّ آخِرَ الْبَيْتِ شَدِيدٌ وَدَاخِلٌ في الإزْرَاءِ وَالتَّحْقِيرِ بالنبيِّ ﷺ وَتَفْضِيلُ حَالِ غَيْرِهِ عَلَيْهِ وكذٰلِكَ قولُهُ:

---

(١) أبو عبد الله بن الحاج. تقدمت ترجمته.

(٢) القاضي أبو محمد. تقدمت تراجمهم.

(٣) القاضي أبو عبد الله بن عيسى. تقدمت ترجمته.

(٤) المتنبي أبو الطيب الجعفي الكوفي الشاعر: ت/ ٣٥٤هـ. البيت في الديوان: ١/ ٣٢٤.

(٥) المعري: أبو العلاء المعري هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي الشاعر الفيلسوف المشهور توفي سنة ٤٠٩ هـ. البيت الأول في ديوانه: ٣ الأبيات للمعوي أيضاً: الديوان: ٩، ١٨٥.

لَوْلاَ انْقِطَاعُ الْوَحْيِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ قُلْنَا مُحَمَّدُ عَنْ أَبِيهِ بَدِيلُ
هُوَ مِثْلُهُ فِي الْفَضْلِ إِلاَّ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِهِ بِرِسَالَةٍ جِبْرِيلُ

فَصَدْرُ البَيْتِ الثَّانِي مِنْ هٰذَا الفَصْلِ شَدِيدٌ لِتَشْبِيهِهِ غَيْرَ النبيِّ ﷺ فِي فَضْلِ بالنَّبي وَالعَجْزُ مُحتَمِلٌ لِوَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّ هٰذِهِ الفَضِيلَةَ نَقَّصَتِ الْمَمْدُوحَ وَالآخَرُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنْهَا وَهٰذه أَشَدُّ وَنَحْوٌ مِنْهُ قَوْلُ الآخَرِ[١]:

وَإِذَا مَا رُفِعَتْ رَايَاتُهُ صَفَّقَتْ بَيْنَ جَنَاحَيْ جَبْرِينْ

وَقَوْلُ الآخَرِ مِنْ أَهْلِ العَصْرِ[٢]:

فَرَّ مِنَ الْخُلْدِ وَاسْتَجَارَ بِنَا فَصَبَّرَ الله قَلْبَ رَضْوَانِ

وكَقَوْلِ حَسَّانَ الْمَصِيصِي[٣] مِنْ شُعَرَاءِ الأَنْدَلُسِ فِي مُحمدِ بنِ عَبَّادٍ[٤] الْمَعْرُوفِ بِالْمُعْتَمِدِ وَوَزِيرِهِ أَبِي بَكْرٍ بن زَيْدُونَ[٥]:

كَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَبُو بَكْرٍ الرِّضَا وَحَسَّانُ حَسَّانٌ وَأَنْتَ مُحَمَّدُ

إلى أَمْثَالِ هٰذَا وَإِنَّمَا أَكْثَرْنَا بِشَاهِدِهَا مَعَ اسْتِثْقَالِنَا حِكَايَتَهَا لِتَعْرِيفِ أَمْثِلَتِهَا وَلِتَسَاهُلِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فِي وُلُوجِ هٰذَا البابِ الضَّنْكِ وَاسْتِخْفَافِهِمْ فادِحَ هٰذَا العِبْءِ وِقِلَّةِ عِلْمِهِمْ بِعَظِيمِ ما فِيهِ مِنَ الْوِزْرِ وَكَلامِهِمْ مِنْهُ بِمَا لَيْسَ لَهُمْ به عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ الله عَظِيمٌ لا سِيَّمَا الشُّعَرَاءُ وَأَشَدُّهُمْ فِيهِ تَصْرِيحاً وَلِلسانِهُ تَسْرِيحاً ابنُ هَانِيءِ الأَنْدَلُسِيُّ وابنُ سُلَيْمَانَ المَعَرِّيُّ[٦] بَلْ قَدْ خَرَجَ كَثِيرٌ مِنْ كَلاَمِهِمَا إِلَى حَدِّ الاسْتِخْفَافِ وَالنَّقْصِ وَصَرِيحِ الكُفْرِ وَقَدْ أَجَبْنَا عَنْهُ وَغَرَضُنا الآنَ الكَلاَمُ فِي هٰذَا الفَصْلِ الذِي سُقْنا أَمْثِلَتَهُ فإِنَّ هٰذِهِ كُلَّهَا وإِنْ لَمْ تَتَضَمَّنْ سَبّاً ولا أَضافَتْ إِلَى المَلاَئِكَةِ وِالأَنْبِيَاءِ نَقْصاً وَلَسْتُ أَعْنِي عَجُزَي بَيْتَي المَعَرِّي ولا قَصَدَ قائِلُهَا إِزْرَاءً وغَضّاً فَمَا وَقَّرَ النُّبُوَّةَ ولا عَظَّمَ الرِّسَالَةَ ولا عَزَّرَ حُرْمَةَ الاصْطِفَاءِ ولا عَزَّزَ حُظْوَةَ الكَرَامَةِ حَتَّى شَبَّهَ مَنْ شَبَّهَ فِي كَرَامَةٍ نَالَهَا أَوْ مَعَرَّةٍ قَصَدَ الانْتِفَاءَ مِنْهَا أَوْ ضَرْبِ مَثَلٍ لِتَطْيِيبِ مَجْلِسِه أَوْ إِغْلاءٍ فِي وَصْفِ

---

(١) قول الآخر: هو زيد بن عبد الرحمن المغربي من شعراء الذخيرة. والبيت في الذخيرة من قصيدة لزيد المذكور: . . . وإذا ما رفعت . . .

(٢) قول الآخر من أهل العصر: شاعر مجهول والبيت ينسب إليه: فر من الخلد . .

(٣) حسان المصيصي.

(٤) محمد بن عباد المعروف بالمعتمد.

(٥) أبو بكر بن زيدون . .
كان أبا بكر أبو بكر الرضا . . البيت.

(٦) ابن سليمان المعري هو: أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان الشاعر الفيلسوف المشهور والمتوفى عام ٤٠٩ هـ . . .

لِتَحسِينِ كَلاَمِهِ بِمَنْ عَظَّمَ اللهُ خَطَرَهُ وَشَرَّفَ قَدْرَهُ وَأَلْزَمَ تَوْقِيرَهُ وبِرَّهُ وَنَهَى عَنْ جَهْرِ القَوْلِ لَهُ وَرَفْعِ الصَّوْتِ عِنْدَهُ فَحَقُّ هٰذَا إنْ دُرِىءَ عَنْهُ القَتْلُ: الأَدَبُ وَالسِّجْنِ وَقُوَّةُ تَعْزِيرِهِ بِحَسَبِ شُنْعَةِ مَقَالِهِ وَمُقْتَضَى قُبْحِ ما نَطَقَ بِهِ وَمَأْلُوفِ عادَتِهِ لِمِثْلِهِ أَوْ نُدُورِهِ وَقَرِينَةِ كَلاَمِهِ أَوْ نَدَمِهِ على ما سَبَقَ مِنْهُ وَلَمْ يَزَلِ المُتَقَدِّمُونَ يُنْكِرُونَ مِثْلَ هٰذَا مِمَّنْ جَاءَ بِهِ وَقَدْ أَنْكَرَ الرَّشِيدُ(١) على أبي نُوَاس(٢) قَوْلَهُ:

فَإنْ يَكُ باقِي سِحْرِ فِرْعَوْنَ فِيكُمُ ... فَإنَّ عَصَا مُوسَى بِكَفِّ خَصِيبِ

وقالَ لَهُ يا بنَ اللَّخْنَاءِ أَنْتَ المُسْتَهْزِىءُ بِعَصَا مُوسَى وَأَمَرَ بِإخْرَاجِهِ عَنْ عَسْكَرِهِ مِنْ لَيْلَتِهِ وَذَكَرَ اليُقْتَبِيُّ أَنَّ مِمَّا أُخِذَ عليهِ أَيْضاً وَكُفِّرَ فِيهِ أَوْ قَارَبَ قَوْلُهُ في محمدٍ الأَمِينِ وَتَشْبِيهِهِ إيَّاهُ بالنبيِّ ﷺ حيثُ قال:

تَنَازَعَ الأَحْمَدَانِ(٣) الشَّبْهَ فَأَشْتَبَهَا ... خَلْقاً وَخُلْقاً كَمَا قُدَّ الشِّرَاكَانِ

وقَدْ أَنْكَرُوا عَلَيْهِ أيضاً قوله:

كَيْفَ لاَ يُدْنِيكَ مِنْ أَمَلٍ(٤) ... مَنْ رسولُ اللهِ مِنْ نَفَرِهِ

لأَنَّ حَقَّ الرسولِ وَمُوجَبَ تَعْظِيمِهِ وَإنَاقَةَ مَنْزِلَتِهِ أَنْ يُضَافَ إلَيْهِ وَلاَ يُضَافُ فَالْحُكْمُ في أَمْثَالِ هٰذَا مَا بَسَطْنَاهُ في طَرِيقِ الْفُتْيَا عَلَى هٰذَا الْمَنْهج جاءَتْ فُتْيَا إمَامِ مَذْهَبِنَا مالِك بن أَنَس(٥) رَحِمَهُ اللهُ وأصحابُهُ فَفِي النَّوَادِرِ مِنْ رِوَايةِ ابنِ أبي مَرْيَمَ في رَجُلٍ عَيَّرَ رَجُلاً بالْفَقْرِ فقال: تُعَيِّرُونِي بالْفَقْرِ وَقَدْ رَعَى النبيُّ ﷺ الْغَنَمَ فقال مالكٌ قَدْ عَرَّضَ بِذِكْرِ النبيِّ ﷺ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ أَرَى أَنْ يُؤَدَّبَ قال: وَلاَ يَنْبَغِي لأَهْلِ الذُّنُوبِ إذَا عُوتِبُوا أَنْ يَقُولُوا قد أَخْطَأَتِ الأَنْبِيَاءُ قَبْلَنَا، وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ(٦) لِرجلٍ: «اُنْظُرْ لَنَا كَاتِباً يَكُونُ أَبُوهُ عَرَبِيّاً» فقال كَاتِبٌ لَهُ: قَدْ كَانَ أبو النبيِّ كَافِراً. فقال: «جَعَلْتَ هٰذَا مَثَلاً» فَعَزَلَهُ وقال: «لاَ تَكْتُبْ لي أبداً» وَقَدْ كَرِهَ سُحْنُونٌ(٧) أَنْ

---

(١) الرشيد تقدمت ترجمته.

(٢) أبو نواس. هو الحسن بن هانىء الشاعر الخمري المعروف ولد بالبصرة ونشأ بها ثم ارتحل إلى بغداد واتصل بالخلفاء ومدحهم توفي سنة ١٩٥ هـ والبيت في ديوانه: ٤٨٤ : فإن يك باقي.. والبيت في الشعر والشعراء: ٧٨٣.

(٣) تنازع الأحمدان.. البيت في الشعر والشعراء ٧٨٢ والصناعتين: ١١٦.

(٤) كيف لا يدينك من أمل.. الديوان لأبي نواس: ٤٣٠.

(٥) مالك ابن أنس. تقدمت ترجمته.

(٦) عمر بن عبد العزيز. تقدمت ترجمته.

(٧) سحنون. تقدمت ترجمته.

يُصَلَّى عَلَى النبيِّ ﷺ عِنْدَ التَّعَجُّبِ إلاَّ عَلَى طَرِيقِ الثَّوَابِ وَالاحْتِسَابِ تَوْقِيراً لَهُ وَتَعْظِيماً كَمَا أَمَرَنَا الله وَسُئِلَ القابسيُّ عَنْ رَجُلٍ قَالَ لِرَجُلٍ قَبِيحٍ كَأَنَّهُ وَجْهُ نَكِيرٍ، ولِرَجُلٍ عَبُوسٍ كَأَنَّهُ وَجْهُ مَالِكٍ الْغَضْبَانِ فقال أَيَّ شَيْءٍ أَرَادَ بِهٰذَا وَنَكِيرٌ أَحَدُ فَتَّانَي الْقَبْرِ وَهُمَا مَلَكَان فَمَا الَّذِي أَرَادَ أَرَوْعٌ دَخَلَ عَلَيْهِ حِينَ رَآهُ مِنْ وَجْهِهِ أَمْ عَافَ النَّظَرَ إِلَيْهِ لِدَمَامَةِ خَلْقِهِ فَإِنْ كَانَ هٰذَا فَهُوَ شَدِيدٌ لأَنَّهُ جَرَى مَجْرَى التَّحْقِيرِ وَالتَّهْوِينِ فَهُوَ أَشَدُّ عُقُوبَةً وَلَيْسَ تَصْرِيحٌ بالسَّبِّ لِلْمَلَكِ وَإِنَّمَا السَّبُّ وَاقِعٌ عَلَى الْمُخَاطَبِ وَفي الأَدَبِ بالسَّوْطِ والسِّجْنِ نَكَالٌ لِلسُّفَهَاءِ؛ قال: «وَأَمَّا ذَاكِرُ مَالِكٍ خَازِنِ النَّارِ فَقَدْ جَفَا الَّذِي ذَكَرَهُ عِنْدَ مَا أَنْكَرَ حَالَهُ مِنْ عُبُوسِ الآخَرِ إلاَّ أَنْ يَكُونَ الْمُعَبَّسُ لَهُ يَدٌ فَيَرْهَبُ بِعُبْسَتِهِ فَيُشَبِّهُهُ الْقَائِلُ عَلَى طَرِيقِ الذَّمِّ لهٰذَا في فِعْلِهِ وَلُزُومِهِ في ظُلْمِهِ صِفَةَ مَالِكٍ الْمَلَكِ الْمُطِيعِ لِرَبِّهِ في فِعْلِهِ فَيَقُولُ كَأَنَّهُ لله يَغْضَبُ غَضَبَ مَالِكٍ فَيَكُونُ أَخَفَّ وَمَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُ التَّعَرُّضُ لِمِثْلِ هٰذَا وَلَوْ كَانَ أَثْنَى عَلَى الْعَبُوسِ بِعُبْسَتِهِ وَاحْتَجَّ بِصِفَةِ مَالِكٍ كَانَ أَشَدَّ وَيُعَاقَبُ الْمُعَاقَبَةَ الشَّدِيدَةَ وَلَيْسَ في هٰذَا ذَمٌّ لِلْمَلَكِ وَلَوْ قَصَدَ ذَمَّهُ لَقُتِلَ وقال أبو الْحَسَنِ[١] أيْضاً في شابٍّ مَعْرُوفٍ بالْخَيْرِ قال لِرَجُلٍ شَيْئاً فقال له الرَّجُلُ اسْكُتْ فَإِنَّكَ أُمِّيٌّ فقال الشابُّ أَلَيْسَ كَانَ النبيُّ ﷺ أُمِّيّاً فَشَنَّعَ عَلَيْهِ مَقَالَهُ وَكَفَّرَهُ النَّاسُ وَأَشْفَقَ الشَّابُّ مِمَّا قَالَ وَأَظْهَرَ النَّدَمَ عَلَيْهِ فقال أبو الْحَسَنِ أَمَّا إطْلاَقُ الْكُفْرِ عَلَيْهِ فَخَطَأٌ لٰكِنَّهُ مُخْطِىءٌ في اسْتِشْهَادِهِ بِصِفَةِ النبيِّ ﷺ وَكَوْنُ النبيِّ ﷺ أُمِّيّاً آيَةٌ لَهُ وَكَوْنُ هٰذَا أُمِّيّاً نَقِيصَةٌ فِيهِ وَجَهَالَةٌ وَمِنْ جَهَالَتِهِ احْتِجَاجُهُ بِصِفَةِ النبيِّ ﷺ لٰكِنَّهُ إذَا اسْتَغْفَرَ وَتَابَ وَاعْتَرَفَ وَلَجأَ إلَى الله فَيُتْرَكُ لأَنَّ قَوْلَهُ: «لاَ يَنْتَهِي إلى حَدِّ الْقَتْلِ وَمَا طَرِيقُهُ الأَدَبُ فَطَوعُ فَاعِلِهِ بالذَّمِّ عَلَيْهِ يُوجِبُ الْكَفَّ عَنْهُ وَنَزَلَتْ أيْضاً مَسْأَلَةٌ اسْتَفْتَى فِيهَا بَعْضُ قُضَاةِ الأَنْدَلُسِ شَيْخَنَا الْقَاضِي أبا محمدِ ابنَ مَنْصُورٍ[٢] رَحِمَهُ الله في رَجُلٍ تَنَقَّصَهُ آخَرُ بِشَيْءٍ فقالَ لَهُ إنَّمَا تُرِيدُ نَقْصِي بِقَوْلِكَ - وَأَنَا بَشَرٌ وَجَمِيعُ الْبَشَرِ يَلْحَقُهُمُ النَّقْصُ حَتَّى النبي ﷺ - فَأَفْتَاهُ بإطَالَةِ سِجْنِهِ وإِيجَاعِ أَدَبِهِ إذْ لَم يَقْصِد السَّبَّ وكانَ بَعْضُ فُقَهَاءِ الأَنْدَلُسِ أَفْتَى بِقَتْلِهِ.

الفصل الثامن: حكم الحاكي لهذا الكلام عن غيره

الْوَجْهُ السَّادِسُ أَنْ يَقُولَ القائِلُ ذٰلِكَ حاكياً عَنْ غَيْره وَآثِراً لَهُ عَنْ سِوَاهُ فَهٰذَا يُنْظَرُ في صُورَةِ حِكَايَتِهِ وَقَرِينَةِ مَقَالَتِه وَيَخْتَلِفُ الحُكْمُ باخْتلاف ذٰلِكَ على أرْبَعَةِ وُجُوهٍ: الْوُجُوبِ، وَالنَّدْبِ، والكَرَاهَةِ، والتَّحْرِيم فإنْ كان أَخْبَرَ بِهِ على وَجْهِ الشَّهَادَةِ وَالتَّعْرِيفِ بقائِلِهِ وَالإِنْكارِ والإِعلاَمِ بقَوْلِهِ والتَّنْفِيرِ منْهُ وَالتَّجْرِيحِ لَهُ فهٰذَا مِمَّا يَنْبَغِي امْتِثَالُهُ وَيُحْمَدُ فاعِلُهُ وَكَذٰلِكَ إنْ حَكَاهُ

---

(١) أبو الحسن. تقدمت ترجمته.

(٢) القاضي أبو محمد بن منصور تقدمت ترجمته.

في كِتَابٍ أَوْ في مَجْلِسٍ على طَرِيقِ الرَّدِّ لَهُ والنَّقْض على قائِلِهِ والفُتْيَا بمَا يَلْزَمُهُ وهٰذا مِنْهُ ما يَجِبُ وَمِنْهُ ما يُسْتَحَبُّ بحَسَبِ حَالاَتِ الحاكي لِذٰلِكَ وَالمَحْكي عَنْهُ فإنْ كانَ القائلُ لِذٰلِكَ مِمَّنْ تَصَدَّى لأَنْ يُؤْخَذَ عَنْهُ العِلْمُ أَوْ روايةُ الحديثِ أَوْ يُقْطَعَ بحُكْمِهِ أَوْ شَهادَتِهِ أَوْ فُتْيَاهُ في الحُقُوق وَجَبَ على سَامِعِهِ الإشَادَةُ بمَا سُمعَ مِنْهُ وَالتَّنْفِيرُ لِلنَّاس عَنْهُ وَالشَّهَادَةُ عليه بمَا قالَهُ وَوَجَبَ على مَنْ بَلَغَهُ ذٰلِكَ مِنْ أئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ إنْكارُهُ وَبيانُ كُفْرِهِ وَفَسادِ قوله بِقَطْعِ ضَرَرِهِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ وَقِيَاماً بِحَقِّ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَكَذٰلِكَ إنْ كانَ مِمَّنْ يَعظُ العَامَّةَ أَوْ يُؤَدِّبُ الصِّبْيَانَ فإنَّ مَنْ هٰذِهِ سَرِيرَتُهُ لا يُؤْمَنُ على إلْقَاءِ ذٰلِكَ في قُلُوبِهِمْ فَيَتَأَكَّدُ في هٰؤلاءِ الإيجابُ لِحَقِّ النَّبيِّ ﷺ وَلِحَقِّ شَرِيعَتِهِ وإنْ لَمْ يَكُنِ القائِلُ بهٰذِهِ السَّبيلِ فالْقِيَامُ بحَقِّ النبيِّ ﷺ وَاجِبٌ وَحِمَايَةُ عِرْضِهِ مُتَعَيِّنٌ وَنُصْرَتُهُ على الأَذى حَيّاً وَمَيْتاً مُسْتَحَقٌّ على كُلِّ مُؤْمِنٍ لٰكِنَّهُ إذَا قامَ بهٰذَا مَنْ ظَهَرَ بِهِ الْحَقُّ وَفُصِلَتْ بِهِ القَضِيَّةُ وَبَانَ به الأَمْرُ سَقَطَ عَنِ البَاقي الفَرْضُ وَبَقِيَ الاسْتِحْبَابُ في تَكْثِيرِ الشَّهَادَةِ عليهِ وَعَضْد التَّحْذِير مِنْهُ وَقَدْ أَجْمَعَ السَّلَفُ على بَيَان حال المُتَّهَم في الحديث فَكَيْفَ بِمِثْلِ هٰذَا وَقَدْ سُئِلَ أَبو محمدِ بنُ أَبي زَيْدٍ[1] عَنِ الشَّاهِدِ يَسْمَعُ مِثْلَ هٰذَا في حَقِّ الله تَعالَى أَيسعُهُ أَنْ لا يُؤَدِّيَ شَهادَتَهُ قال: إنْ رَجا نَفَاذَ الحُكْم بِشَهادَتِهِ فَلْيَشْهَدْ وَكَذٰلِكَ إنْ عَلِمَ أَنَّ الْحَاكِمَ لا يَرَى القَتْلَ مَا شَهِدَ بِهِ وَيَرَى الاسْتِتَابَةَ وَالأَدَبَ فَلْيَشْهَدْ وَيَلْزَمُهُ ذٰلِكَ وأَمَّا الإباحةُ لِحِكاية قوله لِغَيْرِ هٰذَيْنِ المَقْصِدَيْنِ فَلاَ أَرَى لَهَا مَدْخلاً في هٰذَا البابِ فَلَيْسَ التَّفَكُّهُ بِعِرْضِ رَسُولِ الله ﷺ وَالتَّمَضْمُضُ بِسُوءِ ذِكْرِهِ لأَحَدٍ لا ذَاكِراً ولا آثِراً لِغَيْرِ غَرَضٍ شَرْعِيٍّ بِمُبَاحٍ وَأَمَّا لِلأَغْرَاضِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَمُتَرَدِّدٌ بَيْنَ الإيجاب والاسْتِحْبَابِ وَقَدْ حَكَى الله تَعالَى مَقَالاَتِ الْمُفْتَرِينَ عليه وعلى رُسُلِهِ في كِتَابِهِ على وَجْهِ الإنْكارِ لِقَوْلِهِمْ والتَّحْذِيرِ مِنْ كُفْرِهِمْ وَالْوَعِيدِ عليه والرَّدِّ عَلَيْهِمْ بِمَا تَلاهُ الله عَلَيْنَا في مُحْكَمِ كِتَابِهِ وَكَذٰلِكَ وَقَعَ مِنْ أَمْثَالِهِ في أَحَاديث النبيِّ ﷺ الصَّحِيحَةِ على الْوُجُوه الْمُتَقَدِّمَةِ وَأَجْمَعَ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ مِنْ أَئِمَّةِ الْهُدَى على حِكَاياتِ مَقَالاتِ الكَفَرَةِ وَالْمُلْحِدِينَ في كُتُبِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ لِيُبَيِّنُوهَا لِلنَّاسِ وَيَنْقُضُوا شُبَهَهَا عَلَيْهِمْ وإنْ كانَ وَرَدَ لأَحْمَدَ بن حَنْبَلٍ إنْكارٌ لِبَعْض هٰذَا على الْحَارِثِ بن أَسَد فَقَدْ صَنَعَ أَحْمَدُ مِثْلَهُ في رَدِّهِ على الْجَهْمِيَّةِ وَالقائِلِينَ بالْمَخْلُوقِ وَهٰذِهِ الْوُجُوهُ الشَّائِعَةُ الْحِكَايَةُ عَنْهَا فأَمَّا ذِكْرُها على غيرِ هٰذَا مِنْ حِكَايَةِ سَبِّهِ وَالإِزْرَاءِ بِمَنْصِبِهِ على وَجْهِ الحِكاياتِ وَالأَسْمَارِ والطُّرَفِ وَأَحَادِيثِ النَّاس وَمَقَالاَتِهِمْ في الْغَثِّ وَالسَّمِينِ وَمَضَاحِكِ الْمُجَّانِ وَنَوَادِرِ السُّخَفَاءِ وَالْخَوْضِ في قِيلٍ وقالَ وَمَا لا يَعْنِي فَكُلُّ هٰذَا مَمْنُوعٌ وَبَعْضُهُ أَشَدُّ في المَنْع وَالْعُقُوبَةِ مِنْ بَعْضٍ فَمَا كانَ مِنْ قَائِلِهِ الْحَاكِي لَهُ على غَيْرِ قَصْدٍ أَوْ مَعْرِفَةٍ بِمِقْدَارِ مَا حَكَاهُ أَوْ لَمْ تَكُنْ

---

(١) أبو محمد بن أبي زيد. تقدمت ترجمته.

عَادَتُهُ أوْ لم يَكُنِ الْكَلاَمُ مِنَ الْبَشَاعَةِ حَيْثُ هُوَ وَلَمْ يَظْهَرْ على حَاكِيهِ اسْتِحْسَانُهُ وَاسْتِصْوَابُهُ زُجِرَ عَنْ ذٰلِكَ وَنُهِيَ عَنِ الْعَوْدَةِ إلَيْهِ وَإنْ قُوِّمَ بِبَعْضِ الأدَبِ فَهُوَ مُسْتَوْجِبٌ لَهُ وَإنْ كانَ لَفْظُهُ مِنَ الْبَشَاعَةِ حَيْثُ هُوَ كَانَ الأدَبُ أشَدَّ، وَقَدْ حُكِيَ أنَّ رَجُلاً سَأَلَ مَالِكاً عَمَّنْ يَقُولُ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَقَالَ مَالِكٌ[1] كافِرٌ فاقْتُلُوهُ فَقَالَ إنَّمَا حَكَيْتُهُ عَنْ غَيْرِي فقالَ مالِكٌ إنَّما سَمِعْنَاهُ مِنْكَ وَهٰذا مِنْ مالِكٍ رَحِمَهُ الله على طَرِيقِ الزَّجْرِ وَالتَّغْلِيظِ بِدَلِيلِ أنَّهُ لَمْ يُنَفِّذْ قَتْلَهُ وَإن اتُّهِمَ هَذَا الْحَاكِي فِيما حَكَاهُ أنَّهُ اخْتَلَقَهُ وَنَسَبَهُ إلى غَيْرِهِ أو كَانَتْ تِلْكَ عَادَةً لَهُ أوْ ظَهَرَ اسْتِحْسَانُهُ لِذٰلِكَ أوْ كَانَ مُولَعاً بِمِثْلِهِ وَالاسْتِخْفَافِ لَهُ أو التَّحَفُّظِ لِمِثْلِهِ وَطَلَبِهِ وَرِوَايَةِ أشْعَارِ هَجْوِهِ ﷺ وَسَبِّهِ فَحُكْمُ هٰذَا حُكْمُ السَّابِّ نَفْسِهِ يُؤَاخَذُ بِقَوْلِهِ ولا تَنْفَعُهُ نِسْبَتُهُ إلى غَيْرِهِ فَيُبَادَرُ بِقَتْلِهِ وَيُعَجَّلُ إلى الْهَاوِيَةِ أُمِّهِ وَقَدْ قالَ أبو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلاَّمٍ[2] فِيمَنْ حَفِظَ شَطْرَ بَيْتٍ مِمَّا هُجِيَ به النبي ﷺ فَهُوَ كُفْرٌ وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ مَنْ أَلَّفَ في الإجْمَاعِ إجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ على تَحْرِيمِ رِوَايَةِ مَا هُجِيَ به النبيُّ ﷺ وَكِتَابَتِهِ وَقِرَاءَتِهِ وَتَرْكِهِ مَتَى وُجِدَ دُونَ مَحْوٍ وَرَحِمَ الله أَسْلاَفَنَا الْمُتَّقِينَ الْمُتَحَرِّزِينَ لِدِينِهِمْ فَقَدْ أَسْقَطُوا مِنْ أحَادِيثِ الْمَغَازِي وَالسِّيَرِ ما كانَ هٰذَا سَبِيلَهُ وَتَرَكُوا رِوايَتَهُ إلاَّ أشْيَاءَ ذَكَرُوهَا يَسِيرَةً وَغَيْرَ مُسْتَبْشَعَةٍ على نَحْوِ الْوُجُوهِ الأَوَّلِ لِيُرُوا نِقْمَةَ الله مِنْ قائِلِهَا وَأَخْذَهُ الْمُفْتَرِيَ عَلَيْهِ بِذَنْبِهِ وَهٰذَا أبو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلاَّمٍ رَحِمَهُ الله قَدْ تَحَرَّى فِيما اضْطُرَّ إلى الاسْتِشْهَادِ بِهِ مِنْ أهَاجِي أشْعَارِ الْعَرَبِ في كُتُبِهِ فَكَنَّى عَنِ اسْمِ الْمَهْجُوِّ بِوَزْنِ اسْمِهِ اسْتِبْرَاءً لِدِينِهِ وَتَحَفُّظاً مِنَ الْمُشَارَكَةِ في ذَمِّ أحَدٍ بِرِوَايَتِهِ أوْ نَشْرِهِ فَكَيْفَ بِمَا يَتَطَرَّقُ إلى عِرْضِ سَيِّدِ الْبَشَرِ ﷺ.

الفصل التاسع: بعض الحالات التي تجوز عليه ﷺ

الْوَجْهُ السَّابِعُ أنْ يَذْكُرَ مَا يَجُوزُ على النَّبِيِّ ﷺ أوْ يُخْتَلَفُ في جَوَازِهِ عَلَيْهِ وَمَا يَطْرَأُ مِنَ الأُمُورِ الْبَشَرِيَّةِ به وَيُمْكِنُ إضَافَتُهَا إلَيْه أوْ يَذْكُرَ مَا امْتُحِنَ به وَصَبَرَ في ذَاتِ الله على شِدَّتِهِ مِنْ مُقَاساةِ أعْدَائِهِ وَأذَاهُمْ لَهُ وَمَعْرِفَةِ ابْتِدَاءِ حالِهِ وَسِيرَتِهِ وَمَا لَقِيَهُ مِنْ بُؤْسِ زَمَنِهِ وَمَرَّ عليه مِنْ مُعَانَاةِ عِيشَتِهِ كُلُّ ذٰلِكَ على طَرِيقِ الرِّوَايَةِ وَمُذَاكَرَةِ الْعِلْمِ وَمَعْرِفَةِ ما صَحَّتْ مِنْهُ الْعِصْمَةُ لِلأنْبِيَاءِ وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِمْ فَهٰذَا فَنٌّ خَارِجٌ عَنْ هٰذِهِ الْفُنُونِ السِّتَّةِ إذْ لَيْسَ فِيه غَمْصٌ وَلاَ نَقْصٌ وَلاَ إزْرَاءٌ وَلاَ اسْتِخْفَافٌ لا في ظَاهِرِ اللَّفْظِ وَلاَ في مَقْصِدِ اللاَّفِظِ لٰكِنْ يَجِبُ أنْ يَكُونَ الْكَلاَمُ فيه مَعَ أهْلِ الْعِلْمِ وَفُهَمَاءِ طَلَبَةِ الدِّينِ مِمَّنْ يَفْهَمُ مَقَاصِدَهُ وَيُحَقِّقُونَ فَوَائِدَهُ وَيُجَنَّبُ ذٰلِكَ مَنْ عَسَاهُ لاَ يَفْقَهُ أوْ يُخْشَى به فِتْنَتُهُ فَقَدْ كَرِهَ بَعْضُ السَّلَفِ تَعْلِيمَ النِّسَاءِ سُورَةَ يوسفَ لِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ

---

(١) مالك. تقدمت ترجمته.

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام. تقدمت ترجمته.

الْقِصَصِ لِضَعْفِ مَعْرِفَتِهِنَّ وَنَقْصِ عُقُولِهِنَّ وَإِدْرَاكِهِنَّ فَقَدْ قال ﷺ مُخْبِراً عَنْ نَفْسِهِ بِاسْتِيجَارِهِ لِرِعَايَةِ الْغَنَمِ فِي ابْتِدَاءِ حَالِهِ وقال: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ وَقَدْ رَعَى الْغَنَمَ»[١] وأَخبرَنَا الله تَعالَى بِذٰلِكَ عن موسى عليه السلامُ وَهٰذَا لاَ غَضَاضَةَ فيه جُمْلَةً وَاحِدَةً لِمَنْ ذَكَرَهُ عَلَى وَجْهِهِ بِخِلافِ مَنْ قَصَدَ به الْغَضَاضَةَ وَالتَّحْقِيرَ بَلْ كَانَتْ عَادَةُ جَمِيعِ الْعَرَبِ، نَعَمْ في ذٰلِكَ لِلأَنْبِيَاءِ حِكْمَةٌ بالِغَةٌ وَتَدْرِيجُ لله تَعَالَى لَهُمْ إِلَى كَرَامَتِهِ وَتَدْرِيبٌ بِرِعَايَتِهَا لِسِيَاسَةِ أُمَمِهِمْ مِنْ خَلِيقَتِهِ بما سَبَقَ لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ فِي الأَزَلِ وَمُتَقَدِّمِ الْعِلْمِ وَكَذٰلِكَ قَدْ ذَكَرَ الله يُتْمَهُ وَعَيْلَتَهُ عَلى طَرِيقِ الْمِنَّةِ عَلَيْه وَالتَّعْرِيفِ بِكَرامَتِهِ لَهُ فَذِكْرُ الذَّاكِرِ لَهَا عَلَى وَجْهِ تَعْرِيفِ حالِهِ وَالْخَبَرِ عَنْ مُبْتَدَئِهِ وَالتَّعَجُّبِ مِنْ مِنَحِ الله قِبَلَهُ وَعَظِيمِ مِنَّتِهِ عِنْدَهُ لَيْسَ فِيهِ غَضَاضَةٌ بَلْ فِيهِ دَلالَةٌ عَلَى نُبُوَّتِهِ وَصِحَّةِ دَعْوَتِهِ إِذْ أَظْهَرَهُ الله تَعَالَى بَعْدَ هٰذَا عَلَى صَنَادِيدِ الْعَرَبِ وَمَنْ نَاوَأَهُ مِنْ أَشْرَافِهِمْ شَيْئاً فَشَيْئاً وَنَمى أَمْرُهُ حَتَّى قَهَرَهُمْ وَتَمَكَّنَ مِنْ مِلْكِ مَقَالِيدِهِمْ وَاسْتِبَاحَةِ مَمَالِكِ كَثِيرٍ مِنَ الأُمَمِ غَيْرِهِمْ بِإِظْهَارِ الله تَعَالَى لَهُ وَتَأْيِيدِهِ بِنَصْرِهِ وبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِم وَإِمْدَادِهِ بِالْمَلائِكَةِ الْمُسَوِّمِينَ وَلَوْ كَانَ ابنُ مَلِكٍ[٢] أَوْ ذَا أَشْيَاعٍ مُتَقَدِّمِينَ لَحَسِبَ كَثِيرٌ مِنَ الْجُهَّالِ أَنَّ ذٰلِكَ مُوجِبُ ظُهُورِهِ وَمُقْتَضَى عُلُوِّهِ ولِهٰذا قال هِرَقْلُ[٣] حِينَ سَأَلَ أَبا سُفْيَانَ[٤] عَنْهُ هَلْ فِي آبائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ ثم قال: وَلَوْ كَانَ فِي آبائِهِ مَلِكٌ لَقُلْنا رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ وَإِذَا الْيُتْمُ مِنْ صِفَتِهِ وَإِحدَى عَلامَاتِهِ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَأَخْبَارِ الأُمَمِ السَّالِفَةِ وَكَذَا وَقَعَ ذِكْرُهُ فِي كِتَابِ أَرْمِيَاءَ وَبِهٰذا وَصَفَهُ ابنُ ذِي يَزَنٍ لِعبد الْمُطَّلِبِ وَبَحِيرا[٥] لأَبِي طالِبٍ وَكَذٰلِكَ إِذَا وُصِفَ بِأَنَّهُ أُمِّيٌّ كَمَا وَصَفَهُ الله فَهِيَ مِدْحَةٌ لَهُ وَفَضِيلَةٌ ثَابِتَةٌ فِيهِ وَقَاعِدَةُ مُعْجِزَتِهِ إِذْ مُعْجِزَتُهُ الْعُظْمَى مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ إِنَّمَا هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِطَرِيقِ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ مَعَ مَا مُنِحَ ﷺ وَفُضِّلَ به مِنْ ذٰلِكَ كَمَا قَدَّمْنَاهُ فِي الْقِسْمِ الأَوَّلِ وَوُجُودُ مِثْلِ ذٰلِكَ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَقْرأْ وَلَمْ يَكْتُبْ وَلَمْ يُدَارِسْ وَلاَ لُقِّنَ مُقْتَضَى الْعَجَبِ وَمُنْتَهَى الْعِبَرِ وَمُعْجِزَةُ الْبَشَرِ وَلَيْسَ فِي ذٰلِكَ نَقِيصَةٌ إِذِ الْمَطْلُوبُ مِنَ الْكِتَابَةِ وَالْقِرَاءَةِ الْمَعْرِفَةُ وَإِنَّمَا هِيَ آلَةٌ لَهَا وَوَاسِطَةٌ مُوَصِّلَةٌ إِلَيْهَا غَيْرُ مُرَادَةٍ فِي نَفْسِهَا فَإِذَا حَصَلَتِ الثَّمَرَةُ وَالْمَطْلُوبُ اسْتُغْنِيَ عَنِ الْوَاسِطَةِ وَالسَّبَبِ، وَالأُمِّيَّةُ فِي غَيْرِهِ نَقِيصَةٌ لأَنَّهَا سَبَبُ الْجَهَالَةِ وَعُنْوَانُ الْغَبَاوَةِ فَسُبْحَانَ مَنْ بَايَنَ أَمْرَهُ مِنْ أَمْرِ غَيْرِهِ وَجَعَلَ شَرَفَهُ فِيمَا فِيه مَحَطَّةُ سِوَاهُ وَحَيَاتَهُ فِيمَا فِيهِ هَلاكُ مَنْ عَدَاهُ هٰذَا شَقُّ قَلْبِهِ وَإِخْرَاجُ حُشْوَتِهِ كَانَ تَمَامَ حَيَاتِهِ وَغَايَةَ قُوَّةِ

---

(١) ما من نبي إلا وقد رعى الغنم.. الحديث/ أخرجه الإمام مالك في الموطأ: ٩٧١ وابن كثير في البداية والنهاية: ٦/ ٣٢٤ والهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/ ١٨٢. والمتقي الهندي في كنز العمال: ١٩٢٤٢.

(٢) مالك. تقدمت ترجمته.

(٣) هرقل. تقدمت ترجمته.

(٤) أبو سفيان. تقدمت ترجمته.

(٥) بحيرا: هذا هو الراهب الذي رأى النبي ﷺ في بلاد الشام صحبة عمه.

نَفْسِهِ وَثَبَاتَ رُوعِهِ وَهُوَ فِيمَنْ سِواهُ مُنْتَهَى هَلاَكِهِ وَحَتْمُ مَوْتِهِ وَفَنَائِهِ وَهَلُمَّ جَرًّا إِلَى سائِرِ ما رُوِيَ مِنْ أَخْبَارِهِ وَسِيَرِهِ وَتَقَلُّلِهِ مِنَ الدُّنْيَا وِمنَ الْمَلْبَسَ وَالْمَطْعَمِ وَالْمَرْكَبِ وَتَواضُعِهِ وَمِهْنَتِهِ نَفْسَهُ في أُمُورِهِ وَخِدْمَةِ بَيْتِه زُهْداً وَرَغْبَةً عنِ الدُّنْيَا وَتَسْوِيَةً بَيْنَ حَقِيرِهَا وَخَطِيرِهَا لِسُرْعَةِ فَنَاءِ أُمُورِهَا وَتَقَلُّبِ أَحْوَالِهَا كُلُّ هٰذَا مِنْ فَضَائِلِهِ وَمآثِرِهِ وَشَرَفِهِ كما ذَكَرْنَاهُ فَمَنْ أَوْرَدَ شَيْئاً مِنْهَا مَوْرِدَهُ وَقَصَدَ بِهَا مَقْصِدَهُ كانَ حَسَناً وَمَنْ أَوْرَدَ ذٰلِكَ على غَيْرِ وَجْهِه وعُلِمَ مِنْهُ بِذٰلِكَ سُوءُ قَصْدِهِ لَحِقَ بالفُصُولِ التي قَدَّمْنَاهَا وَكَذٰلِكَ مَا وَرَدَ مِنْ أَخْبَارِهِ وَأَخْبَارِ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ في الأَحادِيث مِمَّا في ظَاهِرِهِ إِشْكَالٌ يَقْتَضِي أُموراً لا تَلِيقُ بِهِمْ بِحَالٍ وَتَحْتَاج إِلَى تأْوِيلٍ وَتَرَدُّدِ احْتمالٍ فَلاَ يَجِبُ أَنْ يُتَحَدَّثَ مِنْهَا إِلاَّ بِالصَّحِيحِ وَلا يُرْوَى مِنْهَا إِلاَّ المَعْلُومُ الثَّابِتُ وَرَحِمَ الله مَالكاً[1] فَلَقَدْ كَرِهَ التَّحدُّثَ بِمِثْلِ ذٰلِكَ مِنَ الأَحَادِيثِ المُوهِمَةِ لِلتَّشْبِيهِ وَالمُشْكِلَةِ المَعْنَى وقال: مَا يَدْعُو النَّاسَ إلى التَّحدُّثِ بِمِثْلِ هٰذَا فَقِيلَ لَهُ إِنَّ ابنَ عَجْلان[2] يُحَدِّثُ بِهَا فقال لم يَكُنْ مِنَ الفُقَهَاءِ وَلَيْتَ النَّاسَ وَافَقُوهُ على تَرْكِ الْحَدِيثِ بِهَا وَسَاعَدُوهُ على طَيِّهَا فأَكْثَرُهَا لَيْسَ تَحْتَهُ عَمَلٌ وَقَدْ حُكِيَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ بَلْ عَنْهُمْ على الْجُمْلَةِ أَنَّهُمْ كانُوا يَكْرَهُونَ الكَلاَمَ فِيما لَيْسَ تَحْتَهُ عَمَلٌ وَالنبيُّ ﷺ أَوْرَدَهَا على قَوْمٍ عَرَبٍ يَفْهَمُونَ كَلاَمَ العَرَبِ على وَجْهِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ في حَقِيقَتِهِ وَمَجَازِهِ وَاسْتِعَارَتِهِ وَبَلِيغِهِ وَإِيجَازِهِ فَلَمْ تَكُنْ في حَقِّهِمْ مُشْكِلَةً ثُمَّ جَاءَ مَنْ غَلَبَتْ عليه العُجْمَةُ وَدَاخَلَتْهُ الأُمِّيَّةُ فَلاَ يَكادُ يَفْهَمُ مِنْ مَقَاصِدِ العَرَبِ إِلاَّ نَصَّهَا وَصَرِيحَهَا وَلا يَتَحَقَّقُ إِشَارَاتِهَا إِلَى غَرَضِ الإِيجاز ووحْيِهَا وَتَبْلِيغِهَا وَتَلْوِيحِها فَتَفَرَّقُوا في تأويلهَا أَوْ حَمْلِهَا على ظَاهِرِهَا شَذَرَ مَذَرَ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ فَأَمَّا مَا لاَ يَصِحُّ مِنْ هٰذه الأَحادِيثِ فَوَاجِبٌ أَنْ لا يُذْكَرَ مِنْهَا شَيْءٌ في حَقِّ الله ولا في حَقِّ أَنْبِيَائِهِ وَلا يُتَحَدَّثَ بِهَا وَلاَ يُتَكَلَّفَ الكَلاَمُ على مَعَانِيهَا، وَالصَّوَابُ طَرْحُهَا وَتَرْكُ الشُّغْلِ بِهَا أَنْ تُذْكَرَ على وَجْهِ التَّعْرِيفِ بِأَنَّهَا ضَعِيفَةُ الْمَقَادِ وَاهِيَةُ الإِسْنَادِ وَقَدْ أَنْكَرَ الأَشْيَاخُ على أَبِي بَكْرِ بن فُورَكٍ[3] تَكَلُّفَهُ في مُشْكِلِهِ الكَلاَمَ على أَحَادِيثَ ضَعِيفَةٍ مَوْضُوعَةٍ لا أَصْلَ لَهَا أَوْ مَنْقُولَةٍ عَنْ أَهْلِ الكِتَابِ الَّذِينَ يُلَبِّسُونَ الْحَقَّ بالبَاطِلِ كانَ يَكْفِيهِ طَرْحُهَا وَيُغْنِيهِ عَنِ الكَلاَمِ عَلَيْهَا التَّنْبِيهُ على ضَعْفِهَا إِذِ المَقْصُودُ بالكَلاَمِ على مُشْكِلِ ما فِيهَا إِزَالَةُ اللَّبْسِ بِهَا وَاجْتِثَاثُهَا مِنْ أَصْلِهَا وَطَرْحُهَا أَكْشَفُ لِلَّبْسِ وأَشْفَى للنَّفْس.

الفصل العاشر: الأدب اللازم عند ذكر أخباره ﷺ

وَمِمَّا يَجِبُ على المُتَكَلِّم فِيما يَجُوزُ على النَّبِيِّ ﷺ وما لا يَجُوزُ وَالذَّاكِرُ مِنْ حَالاتِهِ ما

---

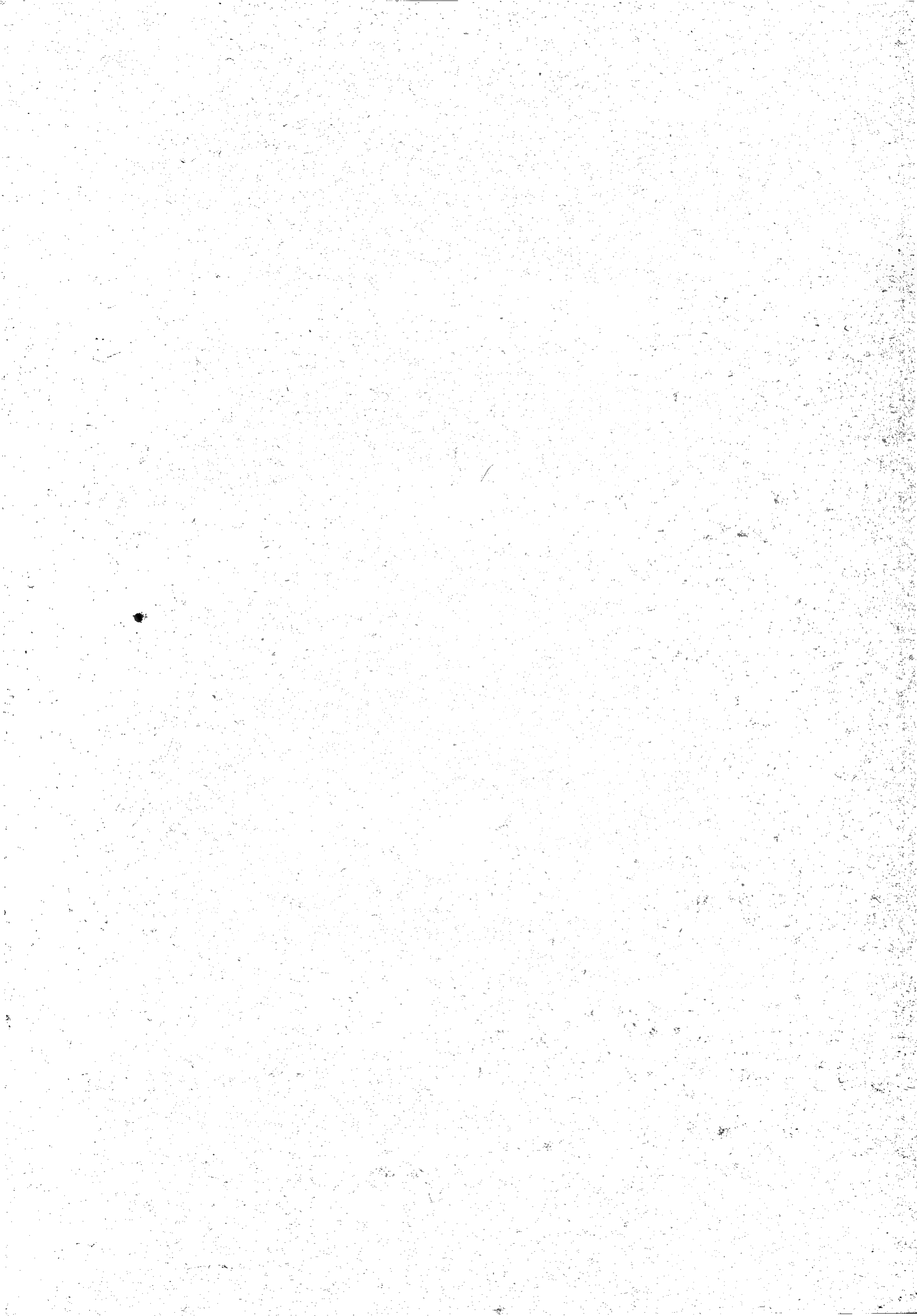
(١) مالك. تقدمت ترجمته. (٢) ابن عجلان. تقدمت ترجمته.

(٣) أبو بكر بن فورك. تقدمت ترجمته.

قَدَّمْنَاهُ في الفَصْلِ قَبْلَ هٰذَا على طَريق المُذَاكَرَةِ والتعْلِيم أنْ يَلْتَزِمَ في كَلامِهِ عِنْدَ ذِكْرِهِ ﷺ وذِكْرِ تِلْكَ الأحْوالِ الْوَاجِبَ مِنْ تَوْقِيرِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَيُرَاقِبَ حَالَ لِسَانِهِ ولا يُهْمِلَهُ وَتَظْهَرَ عليهِ عَلامَاتُ الأَدَبِ عِنْدَ ذِكْرِهِ فَإذَا ذَكَرَ ما قاساهُ مِنَ الشَّدَائِد ظَهَرَ عليهِ الإشْفَاقُ والارْتِمَاضُ والغَيْظ على عَدُوِّه وَمَوَدَّةُ الفِدَاءِ للنَّبِيِّ ﷺ لَوْ قَدرَ عَلَيْه وَالنُّصرَةُ لَوْ أمْكَنَتْهُ وإذَا أخَذَ في أَبْوَابِ العِصْمَةِ وَتكَلَّمَ على مَجَارِي أعْمَالِهِ وَأقْوالِهِ ﷺ تَحرَّى أحْسَنَ اللَّفْظ وَأدَبَ العِبَارَةِ ما أمْكَنَهُ وَاجْتَنَبَ بَشِيعَ ذٰلِكَ وَهَجَرَ مِنَ الْعِبَارَةِ مَا يَقْبُحُ كَلَفْظَةِ الْجَهْلِ وَالكَذِبِ وَالمَعْصِيَةِ فَإذَا تَكَلَّمَ في الأَقْوَالِ قال هَلْ يَجُوزُ عَلَيْه الْخُلْفُ في القَوْلِ وَالإخْبارُ بِخِلاَفِ مَا وَقَعَ سَهْواً أوْ غَلَطاً ونحوَهُ مِنَ الْعِبَارَةِ وَيَتَجَنَّبُ لَفْظَةَ الكَذِبِ جُمْلَةً وَاحِدَةً وَإذَا تَكَلَّمَ عَلَى الْعِلْم قال هَلْ يَجُوزُ أنْ لاَ يَعْلَمَ إلاَّ ما عُلِّمَ وَهَلْ يُمْكِنُ أنْ لاَ يَكُونَ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ بَعْضِ الأشْيَاءِ حَتَّى يُوحَى إلَيْهِ وَلاَ يَقُولُ بِجَهْلٍ لِقُبْحِ اللَّفْظِ وَبَشَاعَتِهِ وَإذَا تَكَلَّمَ في الأفْعَالِ قال هَلْ يَجُوزُ مِنْهُ الْمُخَالَفَةُ في بَعْضِ الأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَمُوَاقَعَةُ الصَّغَائِرِ فَهُوَ أوْلَى وآدَبُ مِنْ قَوْلِهِ هَلْ يَجُوزُ أنْ يَعْصِيَ أوْ يَذْنِبَ أوْ يَفْعَلَ كَذَا وَكَذَا مِنْ أنْوَاعِ الْمَعَاصِي فَهٰذَا مِنْ حَقِّ تَوْقِيرِهِ ﷺ وَمَا يَجِبُ لَهُ مِنْ تَعْزِيزٍ وَإعْظَامٍ وَقَدْ رَأيْتُ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ لَمْ يَتَحَفَّظْ مِنْ هٰذَا فَقُبِّحَ مِنْهُ وَلَمْ اسْتَصْوِبْ عِبارَتَهُ فِيهِ وَوَجَدْتُ بَعْضَ الْجَائِرِينَ قَوَّلَهُ لأَجْلِ تَرْكِ تَحَفُّظِهِ في الْعِبَارَةِ مَا لَمْ يَقُلْهُ وَشَنَّعَ عَلَيْهِ بِمَا يَأبَاهُ وَيُكَفِّرُ قَائِلَهُ وَإذَا كَانَ مِثْلُ هٰذَا بَيْنَ النَّاسِ مُسْتَعْمَلاً في آدابِهِمْ وَحُسْنِ مُعَاشَرَتِهِمْ وَخِطَابِهِمْ فَاسْتِعْمَالُهُ في حَقِّه ﷺ أوْجَبُ وَالْتِزَامُهُ آكَدُ فَجَوْدَةُ العِبَارَةِ تُقَبِّحُ الشَّيْءَ أوْ تُحَسِّنُهُ وَتَحْرِيرُهَا وَتَهْذِيبُهَا يُعَظِّمُ الأمْرَ أوْ يُهَوِّنُهُ وَلِهٰذَا قال ﷺ : **«إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْراً»**[1] فأمَّا ما أوْرَدَهُ عَلَى جِهَةِ النَّفْيِ عَنْهُ وَالتَّنْزِيه فَلاَ حَرَجَ في تَسْرِيح العِبارَةِ وَتَصْرِيحِها فيه كَقَوْلِهِ لا يَجُوزُ عَلَيْهِ الكَذِبُ جُمْلَةً وَلاَ إتْيَانُ الكَبَائِرِ بِوَجْهٍ وَلاَ الْجَوْرُ في الْحُكْم عَلَى حَالٍ وَلٰكِنْ مَعَ هٰذَا يَجِبُ ظُهُورُ تَوْقِيرِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَتَعْزِيزِهِ عِنْدَ ذِكْرِهِ مُجَرَّداً فَكَيْفَ عِنْدَ ذِكْرِ مِثْل هٰذَا وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ تَظْهَرُ عَلَيهِمْ حَالاَتٌ شَدِيدَةٌ عِنْدَ مُجَرَّدِ ذِكْرِهِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ في القِسْم الثَّاني وكانَ بَعْضُهُمْ يَلْتَزِمُ مِثْلَ ذٰلِكَ عِنْدَ تِلاَوَةِ آيٍ مِنَ القُرْآنِ حَكَى اللهُ تَعَالَى فِيهَا مَقَالَ عِدَاهُ وَمَنْ كَفَرَ بآيَاتِهِ وَافْتَرَى عَلَيْهِ الكَذِبَ فَكَانَ يَخْفِضُ بِهَا صَوْتَهُ إعْظَاماً لِرَبِّهِ وَإجْلالاً لَهُ وَإشْفَاقاً مِنَ التَّشَبُّهِ بِمَنْ كَفَرَ بِهِ.

---

(١) إن من البيان سحراً.. الحديث/ أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٧٨ كتاب الأدب (٣٥) باب ما جاء في الشعر (٩٥) الحديث: ٥٠١٢ واللفظ له، وذكره السيوطي في جمع الجوامع، ١/ ٦٤٦ وعزاه للروياني وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة، والعسكري في الأمثال.



الباب الثاني

في حكم سابه وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته، وذكر استتابته ووراثته

وفيه خمسة فصول:



الباب الثاني

فِي حكمِ سابِّه وَشَانِئِهِ وَمُتَنَقِّصِهِ وَمُؤْذِيهِ وَعُقُوبَتِهِ وذِكْرِ اُسْتِتَابَته ووراثَته

الفصل الأول: في حكم سابه وشانئه ﷺ

قَدْ قَدَّمْنا ما هُوَ سَبٌّ وأذًى في حَقِّهِ ﷺ وَذَكَرْنا إجْماعَ العُلَماءِ عَلَى قَتْلِ فاعِلِ ذْلِكَ وقائِلِهِ وَتَخييرِ الإمَامِ في قَتْلِهِ أَوْ صَلْبِهِ عَلَى ما ذَكَرْناهُ وَقَرَّرْنا الْحُجَجَ عَلَيْهِ وَبَعْدُ فاعْلَمْ أَنَّ مَشْهُورَ مَذْهَبِ مالِكٍ وَأَصْحابِهِ وَقَوْلَ السَّلَفِ وَجُمهُور العُلَماءِ قَتْلُهُ حَدّاً لا كُفْراً إنْ أَظْهَرَ التَّوْبَةَ مِنْهُ وَلِهٰذَا لا تُقْبَلُ عِنْدَهُمْ تَوْبَتُهُ ولا تَنْفعُهُ اسْتِقَالَتُهُ وَلاَ فَيْأَتُهُ كَمَا قَدَّمْنَاهُ قَبْلُ وَحُكْمُهُ حُكْمُ الزِّنْدِيقِ وَمُسِرِّ الكُفْرِ في هٰذَا القَوْلِ وَسَوَاءٌ كانَتْ تَوْبَتُهُ عَلَى هٰذَا بَعْدَ القُدْرَةِ عَلَيْهِ والشَّهادَةِ على قوله: أو جَاءَ تائِباً مِنْ قِبَلِ نَفْسِه لأنهُ حَدٌّ وَجَبَ لا تُسْقِطُهُ التَّوْبَةُ كَسَائِرِ الْحُدُود قال الشَّيخُ أَبُو الْحَسَنِ القابسيُّ[(١)] رحمَهُ الله إذَا أَقَرَّ بالسَّبِّ وتابَ مِنْهُ وأظْهَرَ التَّوْبَةَ قُتِلَ بالسَّبِّ لأَنَّهُ هو حَدُّهُ وقال أبو محمدِ بنُ أبي زَيْدٍ[(٢)] مِثْلَهُ وَأَمَّا مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله فَتَوْبَتُهُ تَنْفَعُهُ، وقالَ ابْنُ سُحْنُونٍ[(٣)] مَنْ شَتَمَ النبيَّ ﷺ مِنَ المُوَحِّدِينَ ثُمَّ تَابَ عَنْ ذٰلِكَ لَمْ تُزِلْ تَوْبَتُهُ عَنْهُ الْقَتْلَ وَكَذٰلِكَ قَدِ اخْتُلِفَ في الزِّنْدِيقِ إذَا جاءَ تائِباً فَحَكَى القاضي أبو الحَسَن بنُ الْقَصَّارِ[(٤)] في ذٰلِكَ قَوْلَيْنِ، قالَ مِنْ شُيُوخِنَا: مَنْ قَالَ اقْتُلْهُ بإقْرارِهِ لأَنَّهُ كانَ يَقْدِرُ على سَتْرِ نَفْسِهِ فَلَمَّا اعْتَرَفَ خِفْنَا أَنَّهُ خَشِيَ الظُّهُورَ عليه فَبَادَرَ لِذٰلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ قالَ أَقْبَلُ تَوْبَتَهُ لأَنِّي أَسْتَدِلُّ على صِحَّتِها بمَجِيئِهِ فَكَأَنَّنا وَقَفْنا على باطِنِهِ بِخِلاَفِ مَنْ أَسَرَتْهُ البَيِّنَةُ قالَ القاضي أبو الفَضْلِ[(٥)] وَهٰذَا قَوْلُ أَصْبَغَ وَمَسْأَلَةُ سَابِّ النبيِّ ﷺ أَقْوَى لا يُتَصَوَّرُ فِيهَا الْخِلاَفُ على الأصْلِ المُتَقَدِّمِ لأَنَّهُ حَقٌّ مُتَعَلِّقٌ للنَّبيِّ ﷺ وَلأُمَّتِهِ بِسَبَبِه لا تُسْقِطُهُ التَّوْبَةُ كَسَائِرِ حُقُوقِ الآدَمِيِّينَ وَالزِّنْدِيقُ إذَا تَابَ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْه فَعِنْدَ مَالِكٍ[(٦)] واللَّيْثُ[(٧)] وَإِسْحَاقَ[(٨)] وأَحْمَدَ[(٩)] لا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ[(١٠)] تُقْبَلُ وَاخْتُلِفَ فيه عَنْ أَبي حَنِيفَةَ[(١١)]

---

(١) أبو الحسن القابسي. تقدمت ترجمته. (٢) أبو محمد بن أبي زيد. تقدمت ترجمته.
(٣) ابن سحنون. تقدمت ترجمته. (٤) أبو الحسن بن القصار. تقدمت ترجمته.
(٥) القاضي أبو الفضل. تقدمت ترجمته.
(٦) مالك. تقدمت ترجمته.
(٧) الليث. تقدمت ترجمته.
(٨) إسحاق. تقدمت ترجمته.
(٩) أحمد. تقدمت ترجمته.
(١٠) الشافعي. تقدمت ترجمته.
(١١) أبو حنيفة. تقدمت ترجمته.

وأبي يُوسُفَ [(١)] وحكى ابنُ المُنذِرِ [(٢)] عَنْ عَليّ بنِ أبي طَالِبٍ [(٣)] رَضِيَ الله عَنْهُ يُسْتَتَابُ، قالَ مُحمَّدُ بْنُ سُحْنُونٍ [(٤)] وَلَمْ يَزَلْ القَتْلُ عَنِ المُسْلِم بالتَّوْبَةِ مِنْ سَبِّهِ ﷺ لأنَّهُ لَمْ ينتَقِلْ مِنْ دِينٍ إلى غَيْرِهِ وَإنَّمَا فَعَلَ شَيْئاً حَدُّهُ عِنْدَنَا القَتْلُ لاَ عَفْوَ فيه لأحَدٍ كالزِّنْدِيقِ لأنَّه لَمْ يَنْتَقِلْ مِنْ ظاهِرٍ إلى ظاهِرٍ؛ وقالَ القاضي أبو محمَّدِ بنُ نَصْرٍ [(٥)] مُحتَجاً لِسُقُوطِ اعْتِبَارِ تَوْبَتِهِ وَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ سَبَّ الله تَعَالَى على مَشْهُورِ القَوْل باسْتِتَابَتِهِ أنَّ النَّبيَّ ﷺ بَشَرٌ وَالْبَشَرُ جِنْسٌ تَلْحَقُهُ المَعَرَّةُ إلاَّ مَنْ أكْرَمَهُ الله بِنُبُوَّتِهِ وَالْبَارِي تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ جَمِيعِ المَعَايِبِ قَطْعاً وَلَيْسَ مِنْ جِنْسٍ تَلْحَقُ المَعَرَّةُ بِجِنْسِهِ وَلَيْسَ سَبُّهُ ﷺ كالارْتِدَادِ المَقْبُولِ فيه التَّوْبَةُ لأنَّ الارْتِدَادَ مَعْنًى يَنْفَرِدُ به المُرْتَدُّ لا حَقَّ فيه لِغَيْرِهِ مِنَ الآدَمِيِّينَ فَقُبِلَتْ تَوْبَتُه وَمَنْ سَبَّ النَّبيَّ ﷺ تَعَلَّقَ فِيهِ لآدَمِيٍّ فَكانَ كالمُرْتَدِّ يُقْتَلُ حِينَ ارْتِدَادِهِ أوْ يَقْذِفُ فإنَّ تَوْبَتَهُ لا تُسقِطُ عَنْهُ حَدَّ القَتْلِ وَالْقَذْفِ وَأيضاً فإنَّ تَوْبَةَ المُرْتَدِّ إذَا قُبِلَتْ لا تُسْقِطُ ذُنُوبَهُ مِنْ زِنًى وَسَرِقَةٍ وَغَيْرِهَا وَلَمْ يُقْتَلْ سَابُّ النَّبيِّ ﷺ لِكُفْرِهِ لَكِنْ لِمَعْنًى يَرْجِعُ إلى تَعْظِيمِ حُرْمَتِهِ وَزَوَالِ المَعَرَّةِ به وَذٰلِكَ لا تُسْقِطُهُ التَّوْبَةُ؛ قالَ القاضي أبو الفَضْلِ يُرِيدُ وَالله أعْلَمُ لأنَّ سَبَّهُ لَمْ يَكُنْ بِكَلِمَةٍ تَقْتَضي الكُفْرَ وَلٰكِنْ بِمَعْنَى الإزْرَاءِ وَالاسْتِخْفَافِ أوْ لأنَّ بِتَوْبَتِهِ وَإظْهَارِ إنَابَتِهِ ارْتَفَعَ عَنْهُ اسْمُ الكُفْرِ ظاهِراً وَالله أعْلَمُ بِسَرِيرَتِهِ وَبَقِيَ حُكْمُ السَّبِّ عَلَيْه، وقالَ أبو عِمْرَانَ القَابِسِيُّ [(٦)] مَنْ سَبَّ النَّبيَّ ﷺ ثُمَّ ارْتَدَّ عَنِ الإسْلاَمِ قُتِلَ وَلَمْ يُسْتَتَبْ، لأنَّ السَّبَّ مِنْ حُقُوقِ الآدَمِيِّينَ الَّتي لا تُسْقِطُ عَنِ المُرْتَدِّ وَكَلاَمُ شُيُوخِنَا هٰؤُلاَءِ مَبْنِيٌّ على القَوْلِ بِقَتْلِهِ حَدّاً لاَ كُفْراً وَهُوَ يَحْتَاجُ إلى تَفْصِيلٍ.

وَأمَّا عَلَى رِوَايَةِ الوَلِيدِ بنِ مُسْلِمٍ [(٧)] عَنْ مَالِكٍ [(٨)] وَمَنْ وَافَقَهُ على ذٰلِكَ مِمَّنْ ذَكَرْنَاهُ وقالَ به مِنْ أهْلِ العِلْمِ فَقَدْ صَرَّحُوا أنَّهُ رِدَّةٌ قالُوا وَيُسْتَتَابُ منها فإنْ تابَ نُكِّلَ وَإنْ أبى قُتِلَ فَحُكِمَ لَهُ بِحُكْمِ المُرْتَدِّ مُطْلَقاً في هٰذَا الوَجْهِ وَالوَجْه الأوَّلُ أشْهَرُ وَأظْهَرُ لما قَدَّمْنَاهُ وَنَحْنُ نَبْسُطُ الكَلاَمَ فيه فَنَقُولُ مَنْ لَمْ يَرَهُ رِدَّةً فَهُوَ يُوجِبُ القَتْلَ فيه حَدّاً وَإنَّمَا نَقُولُ ذٰلِكَ مَعَ فَصْلَيْنِ: إمَّا مَعَ إنْكَارِهِ ما

---

(١) أبو يوسف. تقدمت ترجمته.

(٢) ابن المنذر. تقدمت ترجمته.

(٣) علي بن أبي طالب. تقدمت ترجمته.

(٤) محمد بن سحنون. تقدمت ترجمته.

(٥) القاضي أبو محمد بن نصر. تقدمت ترجمته.

(٦) أبو عمران الفابسي وفي نسخ «القابسي» هو موسى بن عيسى توفي ٤٣٠هـ. تقدمت ترجمته.

(٧) الوليد بن مسلم. تقدمت ترجمته.

(٨) مالك. تقدمت ترجمته.

شُهِدَ عَلَيْهِ به أَوْ إظْهَارِهِ الإقْلاعَ وَالتَّوْبَةَ عنهُ فَنَقْتُلُهُ حَدّاً لِثَبَاتِ كَلِمَةِ الكُفْرِ عَلَيْه في حَقِّ النبيِّ ﷺ وَتَحْقِيرِهِ ما عَظَّمَ الله مِنْ حَقِّهِ وأَجْرَيْنَا حُكْمَهُ في ميراثِهِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ حُكْمَ الزِّنْدِيقِ إذا ظَهَرَ عَلَيْه وأَنْكَرَ أو تابَ فإنْ قِيلَ فَكَيْفَ تُثْبِتُونَ عَلَيْه الكُفْرَ وَيَشْهَدُ عَلَيْه بِكَلِمَةِ الكُفْر ولا تَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِحُكْمِهِ مِنَ الاسْتِتَابَةِ وَتَوابِعِها قُلْنا نَحْنُ وإنْ أَثْبَتْنا لَهُ حُكْمَ الكافِرِ في القَتْلِ فلا نَقْطَعُ عَلَيْه بِذٰلِكَ لإقْرارِهِ بالتَّوْحِيد والنُّبُوَّةِ وإنْكارِهِ ما شُهِدَ به عَلَيْهِ أو زَعْمِهِ أنّ ذٰلِكَ كانَ مِنْهُ وَهلاً وَمَعْصِيَةً وأنه مُقْلِعٌ عَنْ ذٰلِكَ نادِمٌ عَلَيْه ولا يَمْتَنِعُ إثْباتُ بَعْضِ أَحْكام الكُفْرِ عَلى بَعْضِ الأشْخاصِ وإنْ لَمْ تَثْبُتْ لَهُ خَصائِصُهُ كَقَتْلِ تارِكِ الصَّلاةِ وأمَّا مَنْ عُلِمَ أنهُ سَبَّهُ مُعْتَقِداً لاسْتِحْلالِهِ فَلا شَكَّ في كُفْرِهِ بِذٰلِكَ وَكَذٰلِكَ إنْ كانَ سَبُّهُ في نَفْسِهِ كُفْرَ كَتَكْذِيبِهِ أو تَكْفِيره، وَنَحْوِهِ فَهٰذا مِمَّا لا إشْكالَ فِيهِ وَيُقْتَلُ وإنْ تابَ مِنْهُ لأنَّا لا نَقْبَلُ تَوْبَتَهُ وَنَقْتُلُهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ حَدّاً لِقَوْلِهِ وَمُتَقَدِّم كُفْرِهِ وأَمْرُهُ بَعْدُ إلَى الله المُطَّلِعِ عَلى صِحَّةِ إقْلاعِهِ العالِمِ بِسِرِّهِ وَكَذٰلِكَ مَنْ لَمْ يُظْهِرِ التَّوْبَةَ واعْتَرَفَ بِمَا شُهِدَ بِهِ عَلَيْه وَصَمَّمَ عَلَيْه فَهٰذا كافِرٌ بِقَوْله وباسْتِحْلالِهِ هَتْكَ حُرْمَةِ الله وحُرْمَةِ نَبِيِّه ﷺ يُقْتَلُ كافِراً بِلا خِلاف فَعَلَى هٰذه التَّفْصِيلاتِ خُذْ كَلامَ العُلَماءِ وَنَزِّلْ مُخْتَلَفَ عِباراتِهِمْ في الاحْتِجاجِ عَلَيْهَا وأَجْرِ اخْتِلافَهُمْ في المُوارَثَة وغَيْرِها عَلَى تَرْتِيبِها تَتَّضِحْ لَكَ مَقاصِدُهُمْ إنْ شاء الله تَعالَى.

الفصل الثاني: حكم المرتد إذا تاب

إذا قُلْنا بالاسْتِتابَةِ حَيْثُ تَصِحُّ فالاخْتِلافُ عَلَى الاخْتِلافِ في تَوْبَةِ المُرْتَدِّ إذْ لا فَرْقَ بَيْنَهُمَا وَقَدِ اخْتَلَفَ السَّلَفُ في وُجُوبِها وَصُورَتِها ومُدَّتِها فَذَهَبَ جُمْهُورُ أَهْلِ العِلْمِ إلَى أنَّ المُرْتَدَّ يُسْتَتابُ وَحَكَى ابنُ القَصَّارِ أنهُ إجْماعٌ مِنَ الصَّحابَةِ عَلَى تَصْوِيبِ قَوْلِ عمرَ [١] في الاسْتِتابَةِ وَلَمْ يُنْكِرْهُ واحِدٌ مِنْهُمْ وهوَ قولُ عثمانَ [٢] وعليٍّ [٣] وابنِ مسعودٍ [٤] وبه قال عَطاءُ [٥] بْنُ أبي رَباح [٦] والنَّخَعِيُّ [٧] والثَّوْرِيُّ [٨] ومالِكٌ [٩] وأصحابُهُ والأوْزاعِيُّ [١٠] والشافِعِيُّ [١١] وأحمدُ [١٢] وإسْحاقُ [١٣] وأصحابُ الرأْيِ وَذَهَبَ طاوُسٌ وعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْر [١٤] والحَسَنُ [١٥] في إحْدى الرِّوايَتَيْنِ عَنْهُ أنه لا يُسْتَتابُ وقالَهُ عبدُ العزيزِ بنُ أبي سَلَمَةَ [١٦] وذَكَرَهُ عن مُعاذٍ [١٧] وأنْكَرَهُ

(١) عمر رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.
(٢) عثمان. تقدمت ترجمته.
(٣) علي رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.
(٤) ابن مسعود. تقدمت ترجمته.
(٥) عطاء بن أبي رباح. تقدمت ترجمته.
(٦) النخعي. تقدمت ترجمته.
(٧) الثوري. تقدمت ترجمته.
(٨) مالك. تقدمت ترجمته.
(٩) الأوزاعي. تقدمت ترجمته.
(١٠) الشافعي. تقدمت ترجمته.
(١١) أحمد. تقدمت ترجمته.
(١٢) إسحاق. تقدمت ترجمته.
(١٣) (١٤) (١٥) تقدمت تراجمهم.
(١٦) عبد العزيز بن أبي سلمة. تقدمت ترجمته.
(١٧) سحنون. تقدمت ترجمته.
(١٨) معاذ. تقدمت ترجمته.

سُحْنُونٌ عن مُعاذٍ[1] وحَكاهُ الطَّحَاوِيُّ[2] عن أبي يوسفَ[3] وهو قولُ أهْلِ الظَاهِرِ قالوا وَتَنْفَعُهُ تَوْبَتُهُ عِنْدَ اللهِ ولٰكِنْ لا نَدْرَأُ القَتْلَ عَنْهُ لقوله ﷺ مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فاقْتُلُوهُ وحُكِيَ عن عَطَاءٍ[4] أنهُ إنْ كَانَ مِمَّنْ وُلِدَ في الإسْلامِ لَمْ يُسْتَتَبْ ويُسْتَتَابُ الإسْلامِي وجُمْهُورُ العُلَمَاءِ عَلَى أنَّ الْمُرْتَدَّ والمُرْتَدَّةَ في ذٰلِكَ سَواء ورُوِيَ عن عليٍّ[5] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لا تُقْتَلُ المُرْتَدَّةُ وتُسْتَرَقُّ قالَهُ عَطَاء وَقَتَادَةُ[6] ورُوِيَ عنِ ابنِ عباسٍ[7] لا تُقْتَلُ النِّساءُ في الرِّدَّةِ وبه قال أبو حَنِيفةَ[8] قال مالِكٌ[9] والْحُرُّ والعَبْدُ والذَّكَرُ والأُنْثَى في ذٰلِكَ سَواء وأمَّا مُدَّتُها فَمَذْهَبُ الْجُمْهُور ورُوِيَ عن عمرَ[10] أنهُ يُسْتَتَابُ ثَلاثَةَ أيّام يُحْبَسُ فِيها وقَدِ اخْتلفَ فيهِ عن عمرَ وهو أحَدُ قَوْلَي الشافِعِيِّ[11] وقولِ أحمدَ[12] وإسْحاقَ[13] واسْتَحْسَنَهُ مالِكٌ وقال لا يَأْتي الاسْتِظْهارُ إلاَّ بِخَيْرٍ وَلَيْسَ عَلَيْه جَمَاعَةُ النّاسِ قال الشيخُ أبو محمدِ بنُ أبي زيد يُريدُ في الاسْتِينَاءِ ثَلاثاً وقال مالِكٌ أيْضاً الَّذِي آخُذُ به في المُرْتَد قَوْلُ عُمَرَ يُحْبَسُ ثَلاثَةَ أيّام وَيُعْرَضُ عليه كُلَّ يَوْم فَإنْ تَابَ وإلا قُتِلَ وقال أبو الْحَسَنِ بنُ القَصّارِ[14] في تأْخِيرِهِ ثلاثاً رِوَايَتانِ عن مالِكٍ هَلْ ذٰلِكَ واجِبٌ أوْ مُسْتَحَبٌّ واسْتَحْسَنَ الاسْتِتابَةَ والاسْتِينَاءَ ثلاثاً أصْحَابُ الرَّأْيِ وَرُوِيَ عن أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ[15] أنهُ اسْتَتابَ امْرَأةً فَلَمْ تَتُبْ فَقَتَلَهَا، وقالَ الشَّافِعِيُّ مَرَّةً فقال إنْ لم يَتُبْ مَكانَهُ قُتِلَ وَاسْتَحْسَنَهُ المُزَنِيُّ[16] وقالَ الزُّهْرِيُّ[17] يُدْعى إلى الإسْلامِ ثلاثَ مَرّاتٍ فإنْ أبى قُتِلَ وَرُوِيَ عَنْ علي[18] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُسْتَتَابُ شَهْرَيْنِ، وقالَ النَّخَعِيُّ[19] يُسْتَتَاب أبداً وبِهِ أخَذَ الثَّوْرِيُّ[20] مَا رُجِيَتْ تَوْبَتُهُ، وَحَكَى ابنُ القَصّارِ[21] عن أبي حَنيفَةَ[22] أنَّهُ يُسْتَتَابُ ثلاثَ مَرَّات في ثَلاثَة أيّام أوْ ثَلاثِ جُمَعٍ كُلَّ يَوْمٍ أوْ جُمُعَةٍ مَرَّةً وفي كِتَابِ محمدٍ عن ابن القاسِمِ[23] يُدْعَى المُرْتَدُّ إلى الإسْلام ثلاثَ مَرّاتٍ فَإنْ أبَى ضُرِبَتْ عُنُقُهُ واخْتُلِفَ على هٰذا هَلْ يُهَدَّدُ أوْ يُشَدَّدُ عليهِ أيّامَ الاسْتِتابةِ لِيَتُوبَ أمْ لا

---

(١) معاذ. تقدمت ترجمته.
(٢) الطحاوي. تقدمت ترجمته.
(٣) أبو يوسف. تقدمت ترجمته.
(٤) عطاء. تقدمت ترجمته.
(٥) علي. تقدمت ترجمته.
(٦) قتادة. تقدمت ترجمته.
(٧) ابن عباس. تقدمت ترجمته.
(٨) أبو حنيفة. تقدمت ترجمته.
(٩) مالك. تقدمت ترجمته.
(١٠) عمر. تقدمت ترجمته.
(١١) الشافعي. تقدمت ترجمته.
(١٢) أحمد. تقدمت ترجمته.
(١٣) إسحاق. تقدمت ترجمته.
(١٤) أبو محمد بن أبي زيد. تقدمت ترجمته.
(١٥) الحسن بن القصار. تقدمت ترجمته.
(١٦) تقدمت تراجمهم.
(١٧) تقدمت تراجمهم.
(١٨) تقدمت تراجمهم.
(١٩) النخعي. تقدمت ترجمته.
(٢٠) الثوري. تقدمت ترجمته.
(٢١) ابن القصار. تقدمت ترجمته.
(٢٢) أبو حنيفة. تقدمت ترجمته.
(٢٣) ابن القاسم. تقدمت ترجمته.

فقال مالكٌ مَا عَلِمْتُ في الاسْتِتابة تَجْويعاً ولا تَعْطيشاً وَيُؤْتى مِن الطَّعَامِ بِمَا لا يَضُرُّهُ وقالَ أَصْبَغُ[١] يُخَوَّفُ أَيَّامَ الاسْتِتَابةِ بالقَتْلِ وَيُعْرَضُ عليهِ الإِسْلامُ وفي كِتَابِ أَبي الحَسَنِ الطَّابثي[٢] يُوعَظُ في تِلْكَ الأَيَّام وَيُذَكَّرُ بالجَنَّةِ وَيُخَوَّفُ بالنَّارِ قال أَصْبَغُ وأَيُّ المَوَاضِعِ حُبِسَ فيهَا مِنَ السُّجُونِ مَعَ النَّاسِ أَوْ وَحْدَهُ إِذَا اسْتوثِقَ مِنْهُ سَوَاءٌ وَيُوقَفُ مالُهُ إِذَا خِيفَ أَنْ يُتْلِفَهُ على المُسْلِمِينَ وَيُطْعَمُ مِنْهُ وَيُسْقَى وَكَذٰلِكَ يُسْتَتَابُ أَبداً كُلَّمَا رَجَعَ وارْتَدَّ وَقَدِ اسْتَتَابَ رسولُ الله ﷺ نَبْهَانَ الَّذي ارْتَدَّ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ أَوْ خَمْساً قال ابنُ وَهْبٍ عن مالِكٍ يُسْتَتَابُ أبداً كُلَّما رَجَعَ وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيّ[٣] وأَحْمَدَ[٤] وقالَهُ ابنُ القاسم[٥] وقال إِسْحَاقُ يُقْتَلُ في الرَّابِعَةِ وقال أَصْحابُ الرَّأْيِ إِنْ لم يَتُبْ في الرَّابِعَةِ قُتِلَ دُونَ اسْتِتَابةٍ وإِنْ تاب ضُرِبَ ضَرْباً وجيعاً ولم يَخْرُجْ مِنَ السِّجْنِ حَتَّى يَظْهَرَ عليه خُشُوعُ التَّوْبَةِ قال ابنُ المُنْذِرِ[٦] ولا نَعْلَمُ أحداً أَوْجَبَ على المُرْتَدِّ في المَرَّةِ الأُولى أَدَباً إِذَا رجع وَهُوَ على مَذْهَبِ مالِكٍ[٧] والشَّافِعِيِّ والكُوفِيِّ[٨].

الفصل الثالث: هذا حُكْم من ثبت عليه ذلك بِمَا يَجبُ ثبوته من إقرارٍ أَوْ عُدُولٍ لم يُدْفع فيهم

فأَمَّا مَنْ لَمْ تَتِمَّ الشَّهَادَةُ عَلَيْه بِمَا شَهِدَ عليه الْوَاحِدُ أَوِ اللَّفِيفُ مِنَ النَّاسِ أَوْ ثَبَتَ قَوْلُهُ لٰكِنِ احْتُمِلَ وَلَمْ يَكُنْ صَرِيحاً وَكَذٰلِكَ إِنْ تابَ على القَوْلِ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِ فَهٰذَا يُدْرَأُ عَنْهُ القَتْلُ وَيَتَسَلَّطُ عَلَيْه اجْتِهَادُ الإِمام بقَدْرِ شُهْرَةِ حالِهِ وقُوَّةِ الشَّهَادَةِ عليه وضَعْفِهَا وَكَثْرَةِ السَّمَاعِ عَنْهُ وصُورَةِ حاله مِنَ التُّهْمَةِ في الدِّينِ والنَّبْزِ بالسَّفَه والمُجُونَ فَمَنْ قَوِيَ أَمْرُهُ أَذَاقَهُ مِنْ شَدِيدِ النَّكالِ مِنَ التَّضْيِيقِ في السِّجْنِ والشَّدِّ في القُيُود إلى الغَايةِ التي هيَ مُنْتَهى طَاقَتِهِ مِمَّا لا يَمْنَعُهُ القِيامَ لضَرُورَتِهِ ولا يُقْعِدُهُ عَنْ صَلاته وَهُوَ حُكْمُ كُل مَنْ وَجَبَ عليه القَتْلُ لٰكِنْ وُقِفَ عَنْ قَتْلِهِ لِمَعْنًى أَوْجَبَهُ وَتُرُبِّصَ به لإِشْكالٍ وَعَائِقٍ اقْتَضَاهُ أَمْرُهُ وحالاتُ الشِّدَّةِ في نَكالِهِ تَخْتَلِفُ بِحَسَبِ اخْتِلافِ حالِهِ وَقَدْ رَوَى الْوَلِيدُ[٩] عن مالِكٍ والأَوْزَاعِيّ[١٠] أَنَّهَا رِدَّةٌ فإِذا تابَ نُكِّلَ ولِمَالِكٍ في العُتْبِيَّةِ وكتابِ محمدٍ[١١] مِن رِوايةِ أَشْهَبَ[١٢] إذا تابَ الْمُرْتَدُّ فَلاَ عُقُوبَةَ عَلَيْهِ وقالَهُ سُحْنُونٌ[١٣] وأَفْتَى أبو عبدِ الله بنُ

---

(١) أصبغ. تقدمت ترجمته.
(٢) أبو الحسن الطابثي. تقدمت ترجمته.
(٣) الشافعي. تقدمت ترجمته.
(٤) أحمد. تقدمت ترجمته.
(٥) ابن القاسم. تقدمت ترجمته.
(٦) ابن المنذر. تقدمت ترجمته.
(٧) مالك. تقدمت ترجمته.
(٨) الكوفي. تقدمت ترجمته.
(٩) الوليد. تقدمت ترجمته.
(١٠) الأوزاعي. تقدمت ترجمته.
(١١) محمد. تقدمت ترجمته.
(١٢) أشهب. تقدمت ترجمته.
(١٣) سحنون. تقدمت ترجمته.

عَتَّابٍ[١] فِيمَنْ سَبَّ النبيَّ ﷺ فَشَهِدَ عَلَيْهِ شاهِدانِ عُدِّلَ أَحَدُهُمَا بالأَدَبِ المُوجع والتَّنْكِيلِ والسِّجْنِ الطَّوِيلِ حَتَّى تَظْهَرَ تَوْبَتُهُ وقال القابِسِيُّ[٢] في مِثْلِ هٰذَا وَمَنْ كانَ أَقْصَى أَمْرِهِ القَتْلُ فَعَاقَ عائِقٌ أَشْكَلَ في القَتْلِ لَمْ يَنْبَغِ أَنْ يُطْلَقَ مِنَ السِّجْنِ وَيُسْتَطَالُ سِجْنُهُ وَلَوْ كَانَ فِيهِ مِنَ المُدَّةِ ما عَسَى أَنْ يُقِيمَ وَيُحْمَلَ عَلَيْهِ مِنَ القَيْدِ ما يُطِيقُ وقال في مِثْلِهِ مِمَّنْ أَشْكَلَ أَمْرُهُ يُشَدُّ في القُيُودِ شَدّاً وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ في السِّجْنِ حَتَّى يُنْظَرَ فيما يَجِبُ عَلَيْهِ؛ وقال في مَسْأَلَةٍ أُخْرَى مِثْلَهَا ولا تُهْرَاقُ الدِّماءُ إلاَّ بالأَمْرِ الواضِحِ وفي الأَدَبِ بالسَّوْطِ والسِّجْنِ نَكَالٌ لِلسُّفَهاءِ ويُعاقَبُ عُقُوبَةً شَدِيدَةً فَأَمَّا إنْ لَمْ يَشْهَدْ عَلَيْه سِوَى شاهِدَيْنِ فأَثْبَتَ مِنْ عَداوَتِهِمَا أَوْ جَرْحَتِهِما ما أَسْقَطَهُما عَنْهُ وَلَمْ يُسْمَعْ ذٰلِكَ مِنْ غَيْرِهِما فَأَمْرُهُ أَخَفُّ لِسُقُوطِ الحُكْمِ عَنْهُ وَكَأَنَّهُ لَمْ يُشْهَدْ عَلَيْهِ إلاَّ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يَلِيقُ به ذٰلِكَ وَيَكُونُ الشاهِدانِ مِنْ أَهْلِ التَّبْرِيزِ فأَسْقَطَهُما بِعَداوَةٍ فَهُوَ وَإنْ لَمْ يَنْفُذِ الحُكْمُ عَلَيْه بِشَهادَتِهِما فَلا يَدْفَعُ الظَّنُّ صِدْقَهُما ولِلْحاكِمِ هُنا في تَنْكِيلِهِ مَوْضِعُ اجْتِهادٍ وَاللهُ وَلِيُّ الإِرْشادِ.

الفصل الرابع: قال القاضي أبو الفضل

هٰذَا حُكْمُ المُسْلِمِ فَأَمَّا الذِّمِّيُّ إذا صَرَّحَ بِسَبِّهِ أَوْ عَرَّضَ أَوِ اسْتَخَفَّ بِقَدْرِهِ أَوْ وَصَفَهُ بِغَيْرِ الوَجْهِ الَّذِي كَفَرَ بِهِ فَلاَ خِلافَ عِنْدَنا في قَتْلِهِ إنْ لَمْ يُسْلِمْ لأَنَّا لَمْ نُعْطِهِ الذِّمَّةَ أَوِ العَهْدَ على هٰذَا وهُوَ قَوْلُ عامَّةِ العُلَماءِ إلاَّ أَبا حَنِيفَةَ[٣] والثَّوْرِيَّ[٤] وأتْباعَهُما مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ فَإِنَّهُمْ قالوا لا يُقْتَلُ لأَنَّ ما هو عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ أَعْظَمُ ولٰكِنْ يُؤَدَّبُ وَيُعَذَّرُ وَاسْتَدَلَّ بَعْضُ شُيُوخنا عَلى قَتْلِهِ بقوله تَعالَى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢] الآيةَ، ويُسْتَدَلُّ أَيضاً عَلَيْهِ بِقَتْلِ النبيِّ ﷺ لابْنِ الأَشْرافِ[٥] وأَشْباهِهِ ولأَنَّا لَمْ نُعاهِدْهُمْ ولَمْ نُعْطِهِمُ الذِّمَّةَ عَلى هٰذَا ولا يَجُوزُ لَنا أَنْ نَفْعَلَ ذٰلِكَ مَعَهُمْ فَإذا أَتَوْا ما لَمْ يُعْطَوْا عَلَيْه العَهْدَ ولا الذِّمَّةَ فَقَدْ نَقَضُوا ذِمَّتَهُمْ وصارُوا كُفَّاراً أَهْلَ حَرْبٍ يُقْتَلُونَ لِكُفْرِهِمْ وأَيضاً فَإنَّ ذِمَّتَهُمْ لا تُسْقِطُ حُدودَ الإسْلامِ عَنْهُمْ مِنَ القَطْعِ في سَرِقَةِ أَمْوالِهِمْ والقَتْلِ لِمَنْ قَتَلُوهُ مِنْهُمْ وإنْ كانَ ذٰلِكَ حَلالاً عِنْدَهُمْ فَكَذٰلِكَ سَبُّهُمْ لِلنبيِّ ﷺ يُقْتَلُونَ به وَوَرَدَتْ لأَصْحابِنا ظَواهِرُ تَقْتَضِي الخِلافَ إذا ذَكَرَهُ الذِّمِّيُّ بالوَجْهِ الَّذِي كَفَرَ به سَتَقِفُ عَلَيْهَا مِنْ كَلامِ ابنِ القاسِمِ[٦] وابنُ سُحْنُونٍ[٧] بَعْدُ وحَكَى أبو المُصْعَبِ[٨] الخِلافَ فيها عَنْ أَصْحابِهُ المَدَنِيِّينَ واخْتَلَفُوا إذا سَبَّهُ ثُمَّ أَسْلَمَ فَقِيلَ؛ يُسْقِطُ إسْلامُهُ قَتْلَهُ لأَنَّ الإِسْلامَ يَجِبُّ ما قَبْلَهُ بخِلافِ المُسْلِمِ إذا سَبَّهُ ثُمَّ تابَ لأَنَّا نَعْلَمُ باطِنَهُ الكافِرِ في بُغْضِهِ لَهُ وَتَنَقُّصِهِ بِقَلْبِهِ

---

(١) أبو عبد الله بن عتاب. تقدمت ترجمته.
(٢) القابسي. تقدمت ترجمته.
(٣) أبو حنيفة. تقدمت ترجمته.
(٤) الثوري. تقدمت ترجمته.
(٥) ابن الأشرف. تقدمت ترجمته.
(٦) ابن القاسم. تقدمت ترجمته.
(٧) ابن سحنون. تقدمت ترجمته.
(٨) أبو المصعب. تقدمت ترجمته.

لٰكِنَّا مَنَعْنَاهُ مِنْ إِظْهارِهِ فَلَمْ يَزِدْنا ما أَظْهَرَهُ إِلاَّ مُخالَفَةً لِلأَمْرِ وَنَقْضاً لِلْعَهْدِ فَإِذا رَجَعَ عَنْ دِينِهِ الأَوَّلِ إِلَى الإِسْلامِ سَقَطَ ما قَبْلَهُ؛ قال الله تَعالَى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨] والمُسْلِم بخلافه إِذْ كانَ ظَنُّنا بباطِنِهِ حُكْمُ ظاهِرِهِ وخِلافُ ما بَدا مِنْهُ الآنَ فَلَمْ نَقْبَلْ بَعْدُ رُجُوعَهُ ولا اسْتَنَمْنا إِلَى باطِنِهِ إِذْ قَدْ بَدَتْ سَرائِرُهُ وما ثَبَتَ عَلَيْهِ مِنَ الأَحْكامِ باقِيَةٌ عَلَيْهِ لَمْ يُسْقِطْها شَيْءٌ وقِيلَ لا يُسْقِطُ إِسْلامُ الذِّمِّيِّ السابِّ قَتْلَهُ لأَنَّهُ حَقٌّ للنبيِّ ﷺ وَجَبَ عليه لانْتِهاكِهِ حُرْمَتَهُ وَقَصْدِهِ إِلْحاقَ النَّقِيصَةِ والمَعَرَّةِ بِهِ فَلَمْ يَكُنْ رُجُوعُهُ إِلَى الإِسْلامِ بالَّذِي يُسْقِطُه كما وَجَبَ عليه مِنْ حُقُوقِ المُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ إِسْلامِهِ مِنْ قَتْلٍ وَقَذْفٍ وإِذا كُنَّا لا نَقْبَلُ تَوْبَةَ المُسْلِمِ فَأَنْ لا نَقْبَلَ تَوْبَةَ الكافِرِ أَوْلَى. قال مالكٌ[(١)] في كتابِ ابنِ حَبِيبٍ المَبْسُوطِ[(٢)] وابنِ القاسِمِ[(٣)] وَابْنِ الماجِشُونِ[(٤)] وَابْنِ عَبْدِ الحَكَمِ[(٥)] وأَصْبَغُ فِيمَنْ شَتَمَ نَبِيَّنا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ أَوْ أَحَداً مِنَ الأَنْبِياءِ عليهِمُ السَّلامُ قُتِلَ إِلاَّ أَنْ يُسْلِمَ وقالَهُ ابنُ القاسِمِ في العُتْبِيَّةِ وعِنْدَ محمدٍ وابنِ سُحْنُونَ[(٦)] وقال سُحْنُونُ وأَصْبَغُ لا يُقالُ لَهُ أَسْلِمْ ولا لا تُسْلِمْ ولٰكِنْ إِنْ أَسْلَمَ فَذٰلِكَ لَهُ تَوْبَةٌ وفي كِتابِ مُحمدٍ أَخْبَرَنا أَصْحابُ مالِكٍ[(٧)] أَنَّهُ قال مَنْ سَبَّ رسولَ الله ﷺ أَوْ غَيْرَهُ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ مُسْلِمٍ أَوْ كافِرٍ قُتِلَ وَلَمْ يُسْتَتَبْ ورُوِيَ لَنا عن مالِكٍ إِلاَّ أَنْ يُسْلِمَ الكافِرُ وَقَدْ رَوَى ابنُ وَهْبٍ عنِ ابنِ عُمَرَ[(٨)] أَنَّ رَاهِباً تَناوَلَ النَّبيَّ ﷺ فقال ابنُ عُمَرَ فَهَلاَّ قَتَلْتُمُوهُ وَرَوَى عِيسَى عنِ ابنِ القاسِمِ في ذِمِّيٍّ قال إِنَّ مُحمداً لَمْ يُرْسَلْ إِلَيْنا إِنَّما أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ وإِنَّما نَبِيُّنا مُوسَى أَوْ عِيسَى وَنَحْوُ هٰذَا لا شَيْءَ عَلَيْهِمْ لأَنَّ الله تَعالَى أَقَرَّهُمْ على مِثْلِهِ وأَمَّا إِنْ سَبَّهُ فقال لَيْسَ بِنَبِيٍّ أو لَمْ يُرْسَلْ أَوْ لَمْ يُنْزَلْ عَلَيْهِ قُرْآنٌ وَإِنَّما هُوَ شَيْءٌ تَقَوَّلَهُ أَوْ نَحْوُ هٰذَا فَيُقْتَلُ قال ابنُ القاسِمِ وإِذا قال النَّصْرانِيُّ دِينُنا خَيْرٌ مِنْ دِينِكُمْ إِنَّما دِينُكُمْ دِينُ الحَمِيرِ وَنَحْوَ هٰذَا مِنَ القَبِيحِ أَوْ سَمِعَ المُؤَذِّنَ يَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّ مُحمداً رسولُ الله فقالَ كَذٰلِكَ يُعْطِيكُمُ الله فَفِي هٰذَا الأَدَبُ المُوجِعُ والسِّجْنُ الطَّوِيلُ قال وأَمَّا إِنْ شَتَمَ النَّبيَّ ﷺ شَتْماً يُعْرَفُ فإِنَّهُ يُقْتَلُ إِلاَّ أَنْ يُسْلِمَ قالَهُ مالِكٌ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَمْ يَقُلْ يُسْتَتابُ قال ابنُ القاسِمِ وَمَحْمِلُ قوله عِنْدِي إِنْ أَسْلَمَ طائِعاً، وقال ابنُ سُحْنُونٍ في سُؤالاتِ سُلَيْمانَ بنِ سالِمٍ في اليَهُودِيِّ يَقُولُ لِلْمُؤَذِّنِ إِذا تَشَهَّدَ كَذَبْتَ يُعاقَبُ العُقُوبَةَ المُوجِعَةَ مَعَ السِّجْنِ الطَّوِيلِ وفي النَّوادِرِ مِنْ رِوايَةِ سُحْنُونٍ عَنْهُ مَنْ شَتَمَ الأَنْبِياءَ مِنَ اليَهُودِ والنَّصارَى بِغَيْرِ الوَجْهِ الَّذِي به كَفَرُوا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ إِلاَّ أَنْ يُسْلِمَ قال مُحمدُ بنُ سُحْنُون فَإِنْ قِيلَ لِمَ قَتَلْتَهُ في سَبِّ النَّبيِّ ﷺ وَمِنْ دِينِهِ سَبُّهُ

---

(١) مالك. تقدمت ترجمته.
(٢) ابن حبيب. تقدمت ترجمته.
(٣) ابن القاسم. تقدمت ترجمته.
(٤) ابن الماجشون. تقدمت ترجمته.
(٥) ابن عبد الحكم. تقدمت ترجمته.
(٦) ابن سحنون. تقدمت ترجمته.
(٧) مالك. تقدمت ترجمته.
(٨) ابن عمر. تقدمت ترجمته.

وَتَكْذِيبُهُ قِيلَ لأنَّا لَمْ نُعْطِهِمُ العَهْدَ على ذٰلِكَ وَلاَ على قَتْلِنَا وأَخْذِ أَمْوالِنَا فإذا قَتَلَ وَاحِداً مِنَّا قَتَلْنَاهُ وإِنْ كانَ مِنْ دِينِهِ اسْتِحْلالُهُ فَكَذٰلِكَ إظْهَارُهُ لسَبِّ نَبِيِّنَا ﷺ قال سُحْنُونٌ كما لَوْ بَذَل لَنا أَهْلُ الْحَرْبِ الْجِزْيَةَ عَلى إقْرَارِهِمْ على سَبِّهِ لَمْ يَجُوزْ لَنَا ذٰلِكَ في قَوْلِ قائِلٍ كَذٰلِكَ يَنْتَقِضُ عَهْدُ مَنْ سَبَّ مِنْهُمْ وَيَحِلُّ لَنَا دَمُهُ وكما لَمْ يُحَصِّنِ الإِسْلامُ مَنْ سَبَّهُ مِنَ القَتْلِ كَذٰلِكَ لا تُحَصِّنُهُ الذِّمَّةُ قال القاضِي أبو الفَضْلِ ما ذَكَرَهُ ابنُ سُحْنُونٍ[1] عَنْ نَفْسِهِ وعن أَبِيهِ مُخَالِفٌ لِقَوْلِ ابنِ القاسِمِ[2] فيما خَفَّفَ عُقُوبَتَهُمْ فِيهِ مِمَّا به كَفَرُوا فَتَأَمَّلْهُ وَيَدُلُّ على أَنَّهُ خِلافُ ما رُوِيَ عَنِ المَدَنِيِّينَ في ذٰلِكَ فَحَكَى أبو المُصْعَبِ الزُّهْرِيُّ[3] قال أُتِيتُ بِنَصْرَانِيٍّ قال والَّذِي اصْطَفَى عِيسَى على مُحَمَّدٍ فاخْتُلِفَ عَلَيَّ فِيهِ فَضَرَبْتُهُ حَتَّى قَتَلْتُهُ أَوْ عَاشَ يَوْماً وَلَيْلَةً وأَمَرْتُ مَنْ جَرَّ بِرِجْلِهِ وطُرِحَ على مَزْبَلَةٍ فَأَكَلَتْهُ الكِلابُ وسُئِلَ أبو المُصْعَبِ عَنْ نَصْرَانِيٍّ قال عِيسَى خَلَقَ مُحمداً فقال يُقْتَلُ وقال ابنُ القاسِمِ سَأَلْنَا مالِكاً[4] عَنْ نَصْرَانِيٍّ بِمِصْرَ شُهِدَ عَلَيْهِ أَنَّهُ قال مِسْكِينٌ مُحمدٌ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ في الْجَنَّةِ ما لَهُ لَمْ يَنْفَعْ نَفْسَهُ إِذْ كَانَتِ الكِلابُ تَأْكُلُ سَاقَيْهِ لَوْ قَتَلُوهُ اسْتَرَاحَ مِنْهُ النَّاسُ قَالَ مَالِكٌ أَرَى أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُهُ قال وَلَقَدْ كِدْتُ أَنْ لاَ أَتَكَلَّمَ فِيها بِشَيْءٍ ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّهُ لاَ يَسَعُنِي الصَّمْتُ قال ابنُ كِنَانَةَ[5] في المَبْسُوطَةِ مَنْ شَتَمَ النبيَّ ﷺ مِنَ الْيَهُودِ والنَّصَارَى فَأَرَى لِلإِمامِ أَنْ يُحْرِقَهُ بالنَّارِ وَإِنْ شَاءَ قَتَلَهُ ثُمَّ حَرَقَ جُثَّتَهُ وَإِنْ شَاءَ أَحْرَقَهُ بالنَّارِ حَياً إذَا تَهَافَتُوا في سَبِّهِ وَلَقَدْ كُتِبَ إلى مالِكٍ مِنْ مِصْرَ وَذَكَرَ مَسْأَلَةَ ابنِ القَاسِمِ المُتَقَدِّمَةَ قالَ فأَمَرَنِي مَالِكٌ فَكَتَبْتُ بِأَنْ يُقْتَلَ وَتُضْرَبَ عُنُقُهُ فَكَتَبْتُ ثُمَّ قُلْتُ يا أبا عَبْدِ الله[6] وأَكْتُبُ ثُمَّ يُحْرَقُ بالنَّارِ فقالَ إنَّهُ لَحَقِيقٌ بِذٰلِكَ وَمَا أَوْلاَهُ بِهِ فَكَتَبْتُهُ بِيَدِي بَيْنَ يَدَيْهِ فَمَا أَنْكَرَهُ وَلاَ عَابَهُ وَنَفَذَتِ الصَّحِيفَةُ بِذٰلِكَ فَقُتِلَ وَحُرِقَ؛ وَأَفْتَى عَبْدُ الله بنُ يَحْيَى[7] وَابْنُ لُبَابَةَ[8] في جَمَاعَةِ سَلَفِ أَصْحَابِنَا الأنْدَلُسِيِّينَ بِقَتْلِ نَصْرَانِيَّةٍ اسْتَهَلَّتْ بنَفْيِ الرُّبُوبِيَّةِ وَنُبُوَّةِ عِيسَى لله وَتَكْذِيبِ محمَّدٍ في النُّبُوَّةِ وبِقَبُولِ إسْلاَمِهَا وَدَرْءِ الْقَتْلِ عَنْهَا بِهِ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ المُتَأَخِّرِينَ؛ مِنْهُمُ الْقَابِسِيُّ وَابْنُ الْكَاتِبِ؛ وقالَ أبو الْقَاسِمِ بنُ الجَلاَّبِ[9] في كِتَابِهِ مَنْ سَبَّ الله وَرَسُولَهُ مِنْ مُسْلِمٍ أَوْ كَافِرٍ قُتِلَ ولا يُسْتَتَابُ. وَحَكَى الْقَاضِي أبو محمَّدٍ[10] في الذِّمِّيِّ يَسُبُّ ثُمَّ يُسْلِمُ رِوَايَتَيْنِ في دَرْءِ الْقَتْلِ عَنْهُ بإِسْلاَمِهِ، وقالَ ابنُ سُحْنُونٍ[11] وَحَدُّ الْقَذْفِ وَشِبْهُهُ مِنْ حُقُوقِ الْعِبَادِ لاَ يُسْقِطُهُ عَنِ الذِّمِّيِّ إسْلاَمُهُ وَإِنَّمَا يَسْقُطُ عَنْهُ بإِسْلاَمِهِ حُدُودُ الله فأَمَّا حَدُّ الْقَذْفِ فَحَقٌّ

---

(١) ابن وهب. تقدمت ترجمته.
(٢) ابن سحنون. تقدمت ترجمته.
(٣) ابن القاسم. تقدمت ترجمته.
(٤) أبو المصعب الزهري. تقدمت ترجمته.
(٥) مالك. تقدمت ترجمته.
(٦) ابن كنانة. تقدمت ترجمته.
(٧) أبو عبد الله. تقدمت ترجمته.
(٨) عبد الله بن يحيى. تقدمت ترجمته.
(٩) ابن لبابة. تقدمت ترجمته.
(١٠) أبو القاسم بن جلاب. تقدمت ترجمته.
(١١) القاضي أبو محمد. تقدمت ترجمته.
(١٢) ابن سحنون. تقدمت ترجمته.

لِلْعِبَادِ كانَ ذَلِكَ لِنَبيٍّ أَوْ غَيْرِهِ فأَوْجَبَ على الذِّمِّيِّ إِذَا قَذَفَ النبيَّ ﷺ ثُمَّ أَسْلَمَ حَدَّ الْقَذْفِ وَلَكِنْ انْظُر ماذَا يَجِبُ عَلَيْه هَلْ حَدُّ الْقَذْفِ في حَقِّ النَّبيِّ ﷺ وَهُوَ الْقَتْلُ لِزِيادَةِ حُرْمَةِ النبيِّ ﷺ على غَيْرِهِ أَمْ هَلْ يَسْقُطُ الْقَتْلُ بإِسْلامِهِ وَيُحَدُّ ثَمانِينَ فَتَأَمَّلْهُ.

الفصل السادس: في ميراثِ من قتل في سب النبيِّ ﷺ وَغُسْلِهِ والصلاة عليه

اخْتَلَفَ الْعُلَماءُ في ميرَاثِ مَنْ قُتِلَ بِسَبِّ النبي ﷺ فَذَهَبَ سُحْنُونٌ[1] إلى أَنَّهُ لِجَماعَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قِبَلِ أَنَّ شَتْمَ النَّبيِّ ﷺ كُفرٌ يُشْبِهُ كُفرَ الزِّنْدِيقِ، وقال أَصْبَغُ[2] مِيراثُهُ لِوَرَثَتِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِنْ كانَ مُسْتَسِرّاً بذٰلِكَ وَإِنْ كانَ مُظْهِراً لَهُ مُسْتَهِلاً بِهِ فَمِيراثُهُ لِلْمُسْلِمِينَ وَيُقْتَلُ على كُلِّ حالٍ ولا يُسْتَتابُ، قالَ أبو الحَسَنِ القَابِسِيُّ[3]: «إِنْ قُتِلَ وَهُوَ مُنْكِرٌ لِلشَّهادَةِ عَلَيْهِ فالْحُكْمُ في مِيراثِهِ على ما أَظْهَرَ مِنْ إِقْرارِهِ يَعْنِي لوَرَثَتِهِ وَالْقَتْلُ حَدٌّ ثَبَتَ عَلَيْهِ لَيْسَ مِنَ الْمِيراثِ في شَيْءٍ وَكَذٰلِكَ لَوْ أَقَرَّ بالسَّبِّ وأَظْهَرَ التَّوْبَةَ لَقُتِلَ إِذْ هُوَ حَدُّهُ وَحُكْمُهُ في مِيراثه وَسَائِرِ أَحْكامِهِ حُكْمُ الإِسْلام وَلَوْ أَقَرَّ بالسَّبِّ وَتَمادى عَلَيْهِ وأَبى التَّوْبَةَ مِنْهُ فَقُتِلَ على ذٰلِكَ كانَ كافِراً وميراثُهُ لِلْمُسْلِمِينَ وَلاَ يُغَسَّلُ وَلاَ يُصَلَّى عَلَيْهِ وَلاَ يُكَفَّنُ وَتُسْتَرُ عَوْرَتُهُ وَيُوارَى كما يُفْعَلُ بالْكُفَّارِ وَقَوْلُ الشَّيْخِ أَبي الحَسَنِ في الْمُجاهِرِ الْمُتَمادِي بَيِّنٌ لا يُمْكِنُ الْخِلافُ فيه لأَنَّهُ كافِرٌ مُرْتَدٌّ غَيْرُ تائِبٍ وَلاَ مُقْلِعٍ وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ أَصْبَغَ وَكَذٰلِكَ في كِتابِ ابن سُحْنُونٍ في الزِّنْدِيقِ يَتَمادَى على قَوْلِهِ، وَمِثْلُهُ لابنِ الْقاسِمِ[4] في العُتْبِيَّةِ وَلِجَماعَةٍ مِنْ أَصْحابِ مالِكٍ[5] في كِتابِ ابنِ حَبِيبٍ فِيمَنْ أَعْلَنَ كُفرَهُ مِثْلُهُ؛ قالَ ابْنُ الْقاسِمِ وَحُكْمُهُ حُكْمُ الْمُرْتَدِّ لا تَرِثُهُ وَرَثَتُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ولا مِنْ أَهْلِ الدِّينِ الَّذِي ارْتَدَّ إِلَيْهِ ولا يَجُوزُ وَصاياهُ ولا عِتْقُهُ؛ وقالَهُ أَصْبَغُ قُتِلَ على ذٰلِكَ أو ماتَ عليهِ وقال أبو محمدِ بْنُ أَبي زيدٍ[6] وإِنَّمَا يُخْتَلَفُ في ميراثِ الزِّنْدِيقِ الَّذِي يَسْتَهِلُّ بالتَّوْبَةِ فلا تُقْبَلُ مِنْهُ فَأَمَّا الْمُتَمادِي فلا خِلافَ أَنهُ لا يُورَثُ؛ وقال أبو محمدٍ فيمَنْ سَبَّ اللهَ تَعالَى ثُمَّ مَاتَ ولَمْ تُعَدَّلْ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ أو لَمْ تُقْبَلْ إنهُ يُصَلَّى عَلَيْه، ورَوَى أَصْبَغُ[7] عن ابن القاسِمِ[8] في كِتابِ ابن حبيبٍ فيمَنْ كَذَّبَ برسولِ اللهِ ﷺ أَوْ أَعْلَنَ دِيناً مِمَّا يُفارِقُ بِهِ الإِسْلامَ أَنَّ ميراثَهُ لِلْمُسْلِمِينَ، وقال: بِقولِ مالِكٍ[9] إِنَّ مِيراثَ الْمُرْتَد لِلْمُسْلِمِينَ ولا تَرِثُهُ وَرَثَتُهُ رَبِيعَةُ والشافِعِيُّ وأبو ثَوْرٍ[10] وابنُ أبي لَيْلَى[11] وَاخْتُلِفَ فِيهِ عن

---

(١) سحنون. تقدمت ترجمته.
(٢) أصبغ. تقدمت ترجمته.
(٣) أبو الحسن القابسي. تقدمت ترجمته.
(٤) ابن القاسم. تقدمت ترجمته.
(٥) مالك. تقدمت ترجمته.
(٦) أبو محمد بن أبي زيد. تقدمت ترجمته.
(٧) أصبغ. تقدمت ترجمته.
(٨) ابن القاسم. تقدمت ترجمته.
(٩) مالك. تقدمت ترجمته.
(١٠) أبو ثور. تقدمت ترجمته.
(١١) ابن أبي ليلة. تقدمت ترجمته.

أحمد[١] وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ[٢] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وابنُ مَسْعُودٍ[٣] وابنُ الْمُسَيَّبِ[٤] والْحَسَنُ[٥] والشعبي[٦] وعمرُ بنُ عبدِ العزيزِ[٧] والْحَكَمُ[٨] والأوزاعيُّ[٩] واللَّيْثُ[١٠] وإسْحاقُ[١١] وأبو حنيفةَ[١٢] يرثُهُ وَرَثَتُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وقِيلَ ذٰلِكَ فِيما كَسَبَهُ قَبْلَ ارْتدادِهِ وما كَسَبَهُ في الارْتدادِ فَلِلْمُسْلِمِينَ وَتَفصِيلُ أبي الحسنِ في باقِي جَوابِهِ حَسَنٌ بَيِّنٌ وَهُوَ عَلَى رَأْيِ أصْبَغَ[١٣] وخلاف قولِ سُحْنُونٍ واخْتلافُهُما على قَوْلَيْ مالِكٍ في ميراثِ الزِّنْدِيق فَمَرَّةً وَرَّثَهُ وَرَثَتَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قامَتْ عَلَيْهِ بذٰلِكَ بَيِّنَةٌ فأنْكَرَها أو اعْتَرَفَ بذٰلكَ وأظْهَرَ التَّوْبَةَ، وقالَهُ أصْبَغُ ومحمدُ بنُ مَسْلَمَةَ[١٤] وغَيْرُ واحِدٍ مِن أصحابِهِ لأنهُ مُظْهِرٌ لِلإسْلام بإنْكارِهِ أو تَوْبَتِهِ وَحُكْمُهُ حُكْمُ المنافِقِينَ الذِينَ كانُوا عَلَى عَهْدِ رسولِ اللهِ ﷺ وَرَوَى ابن نافِع عَنْهُ في العُتْبِيَّةِ وكِتابِ محمدٍ[١٥] أنَّ ميراثَهُ لِجَماعَةِ الْمُسْلِمِينَ لأنَّ مالَهُ تَبَعٌ لِدَمِهِ، وقال به أيضاً جَماعَةٌ مِنْ أصْحابِهِ، وقالَهُ أشْهَبُ[١٦] والْمُغِيرَةُ[١٧] وعبدُ الْمَلِكِ[١٨] ومحمدٌ؛ وسُحْنُونٌ[١٩] وَذَهَبَ ابنُ قاسِمٍ[٢٠] في العُتْبِيَّةِ إلَى أنهُ إنِ اعْتَرَفَ بِما شُهِدَ عَلَيْهِ به وَتابَ فَقُتِلَ فَلا يُورَثُ وإنْ لَمْ يُقِرَّ حَتَّى ماتَ أوْ قُتِلَ وُرِّثَ؛ قال وَكَذٰلِكَ كُلُّ مَنْ أسَرَّ. كُفْراً فَإنَّهُمْ يَتوارَثُونَ بوراثَةِ الإسْلام وسُئِلَ أبو القاسِمِ بنُ الكاتِبِ[٢١] عَنِ النَّصْرانِيِّ يَسُبُّ النبيَّ ﷺ فَيُقْتَلُ هَلْ يَرِثُهُ أهْلُ دِينِهِ أم الْمُسْلِمُونَ فَأجَابَ أنهُ لِلْمُسْلِمِينَ لَيْسَ عَلَى جِهَةِ الْمِيراثِ لأنهُ لا تَوارُثَ بَيْنَ أهْلِ مِلَّتَيْنِ ولٰكِنْ لأنهُ مِنْ فَيْئِهِمْ لنَقْضِهِ العَهْدَ هٰذا مَعْنَى قَوْله وَاخْتِصارُهُ.

---

(١) الشافعي. تقدمت ترجمته.
(٢) أحمد. تقدمت ترجمته.
(٣) علي. تقدمت ترجمته.
(٤) ابن مسعود. تقدمت ترجمته.
(٥) ابن المسيب. تقدمت ترجمته.
(٦) الحسن. تقدمت ترجمته.
(٧) الشعبي. تقدمت ترجمته.
(٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) تقدمت ترجمتهم.
(١٦) محمد. تقدمت ترجمته.
(١٧) أشهب. تقدمت ترجمته.
(١٨) المغيرة. تقدمت ترجمته.
(١٩) عبد الملك. تقدمت ترجمته.
(٢٠) سحنون. تقدمت ترجمته.
(٢١) ابن القاسم. تقدمت ترجمته.

الباب الثالث

في حكم من سب الله تعالى وملائكته وأنبياءه وكتبه وآل النبي ﷺ وأزواجه وصحبه

وفيه عشرة فصول:

الفصل الأول: حكم ساب الله تعالى وحكم استتابته.

الفصل الثاني: وأما من أضاف إلى الله ما لا يليق به تعالى.

الفصل الثالث: في تحقيق القول في إكفار المتأولين.

الفصل الرابع: في بيان ما هو من المقالات كفر.

الفصل الخامس: حكم الذمي إذا سب الله تعالى.

الفصل السادس: حكم ادعاء الإلهية أو الكذب على الله.

الفصل السابع: حكم من تعرض بساقط القول وسخيف اللفظ لله تعالى.

الفصل الثامن: حكم من سب بقية الأنبياء والملائكة.

الفصل التاسع: حكم من سب القرآن الكريم.

الفصل العاشر: حكم من سب آل البيت.



الباب الثالث

في حُكم مَنْ سَبَّ الله تعالى ومَلائكتَهُ وأنبياءَهُ وكتبَهُ وآلَ النبيِّ ﷺ وأزواجَه وصحبَهُ

الفصل الأول: حكم ساب الله تعالى وحكم استتابته

لا خلافَ أنَّ سابَّ الله تَعَالَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ كافرٌ حلالُ الدَّم واخْتُلِفَ في اسْتِتَابَتِهِ فقال ابنُ القاسِمِ[١] في الْمَبْسُوطِ وفي كتاب ابنِ سُحْنُونَ[٢] ومحمدٍ[٣] ورواه ابنُ القاسم عن مالِكٍ[٤] في كِتابِ إسْحاقَ بنِ يَحْيَى[٥] مَنْ سَبَّ الله تَعَالَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ قُتلَ ولَمْ يُسْتَتَبْ إلاَّ أنْ يَكُونَ افْتراءً على الله بارْتِداده إلى دين دانَ بِهِ وأظْهَرَهُ فَيُسْتَتَابُ وإنْ لَمْ يُظْهِرْهُ لَمْ يُسْتَتَبْ، وقال في الْمَبْسُوطَةِ مُطَرِّفٌ[٦] وعبدُ الْمَلِكِ[٧] مثلَهُ؛ وقال الْمَخْزُومِيُّ[٨] ومحمد بنُ مَسْلَمَةَ[٩] وابنُ أبي حازمٍ[١٠] لا يُقْتَلُ الْمُسْلِمُ بالسَّبِّ حَتَّى يُسْتَتابَ وَكَذٰلِك اليَهُودِيُّ والنَّصْرَانِيُّ فَإنْ تَابُوا قُبِلَ مِنْهُمْ وإنْ لَمْ يَتُوبُوا قُتلوا ولا بُدَّ مِنَ الاسْتِتابَةِ وذٰلِكَ كُلُّهُ كالرِّدَّةِ وهُوَ الَّذِي حَكاهُ القاضي ابنُ نَصْرٍ[١١] عنِ الْمَذْهَبِ وأفْتَى أبو محمدِ بنُ أبي زيدٍ[١٢] فيما حُكِيَ عَنْهُ في رَجُلٍ لَعَنَ رَجُلاً وَلَعنَ الله فقالَ إنَّما أرَدْتُ أنْ ألْعَنَ الشَّيْطانَ فَزَلَّ لِساني فقال يُقْتَلُ بظاهِرِ كُفْرِهِ ولا يُقْبَلُ عُذْرُهُ وَأمَّا فِيما بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله تَعالَى فَمَعْذُورٌ وَاخْتَلَفَ فُقَهاءُ قُرْطُبَةَ في مَسْألَةِ هارُونَ[١٣] بن حبيبٍ أخِي عبدِ الملِكِ الفَقِيهِ وكانَ ضَيِّقَ الصَّدْرِ كَثِيرَ التَّبَرُّمِ وكانَ قَدْ شُهِدَ عَلَيْهِ بِشَهادَاتٍ مِنهَا أنهُ قال عِنْدَ اسْتِلالِه مِنْ مَرَضٍ لَقِيتُ في مَرَضي هٰذَا ما لَوْ قَتَلْتُ أبا بكرٍ[١٤] وعمرَ[١٥] لَمْ أسْتَوْجِبْ هٰذَا كُلَّهُ فَأفْتَى إبراهيمُ بنُ حُسَيْنِ بنُ خالِدٍ بِقَتْلِهِ وأنَّ مُضَمَّنَ قَوْلِهِ تَجْوِيرٌ لله تَعالَى وَتَظَلُّمٌ مِنْهُ والتَّعْرِيضُ فيه كالتَّصْرِيحِ وأفْتَى أخُوهُ عبدُ الْمَلِكَ بنُ حَبِيبٍ وإبراهيمُ بنُ حُسَيْنِ بنِ عاصِمٍ[١٦] وسعِيدُ بنُ مليمان[١٧] القاضي بِطَرْحِ القَتْلِ عَنْهُ إلاَّ أنَّ القاضِيَ رَأى عَلَيْهِ التَّثْقِيلَ في الْحَبْسِ والشِّدَّةَ في الأدَبِ لاحْتمالِ

---

(١) ابن القاسم. تقدمت ترجمته.
(٢) ابن سحنون. تقدمت ترجمته.
(٣) محمد. تقدمت ترجمته.
(٤) مالك. تقدمت ترجمته.
(٥) إسحاق بن يحيى. تقدمت ترجمته.
(٦) مطرف. تقدمت ترجمته.
(٧) عبد الملك بن حبيب. تقدمت ترجمته.
(٨) المخزومي. تقدمت ترجمته.
(٩) محمد بن سلمة. تقدمت ترجمته.
(١٠) ابن أبي حازم. تقدمت ترجمته.
(١١) القاضي بن نصر. تقدمت ترجمته.
(١٢) أبو محمد بن أبي زيد. تقدمت ترجمته.
(١٣) هارون. تقدمت ترجمته.
(١٤) أبو بكر. تقدمت ترجمته.
(١٥) عمر. تقدمت ترجمته.
(١٦) إبراهيم بن حسن بن عاصم. تقدمت ترجمته.
(١٧) سعيد بن سليمان. تقدمت ترجمته.

كَلامِهِ وصَرْفِهِ إِلَى التَّشَكِّي فَوَجْهُ مَنْ قال في سابِّ الله بالاسْتِتابَةِ أنهُ كُفْرٌ ورِدَّةٌ مَحْضَةٌ لَمْ يَتَعَلَّقْ بها حَقٌّ لِغَيْرِ الله فَأَشْبَهَ قَصْدَ الكُفْرِ بِغَيْرِ سَبِّ الله وإظْهار الانْتقالِ إلَى دِينٍ آخَرَ مِنَ الأدْيانِ المُخَالِفَةِ لِلإسْلامِ ووَجْهُ تَرْكِ اسْتِتابَتِهِ أنهُ لمَّا ظَهَرَ مِنْهُ ذٰلِكَ بَعْدَ إظْهار الإسْلام قَبْلُ اتَّهَمْناهُ وظَنَنَّا أنَّ لِسانَهُ لَمْ يَنْطِقْ به إلاَّ وَهُوَ مُعْتَقِدٌ لَهُ إذْ لا يَتَساهَلُ في هٰذَا أحَدٌ فَحُكِمَ لَهُ بِحُكْمِ الزِّنْدِيقِ وَلَمْ تُقْبَلْ تَوْبَتُهُ وإذا انْتَقَلَ مِنْ دِينٍ إلَى دِينٍ آخَرَ وأظْهَرَ السَّبَّ بِمَعْنَى الارْتِدَادَ فَهٰذَا قَدْ أعْلَمَ أنهُ خَلَعَ رِبْقَةَ الإسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ بِخلافِ الأوَّلِ المُسْتَمْسِكِ بِهِ وَحُكْمُ هٰذَا حُكْمُ المُرْتَدِّ يُسْتَتابُ على مَشْهُورِ مَذاهِبِ أكْثَرِ العُلَمَاءِ وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ[١] وأصحابِهِ عَلَى ما بيَّنَّاهُ قَبْلُ وَذَكَرْنا الخِلافَ في فُصُولِهِ.

الفصل الثاني: حكم إضافة مالا يليق به تعالى

وأمَّا مَنْ أضافَ إلَى الله تَعَالَى ما لاَ يَلِيقُ به لَيْسَ عَلَى طَرِيقِ السَّبِّ ولا الرِّدَّةِ وَقَصْدِ الكُفْرِ ولٰكِنْ على طَرِيقِ التَّأوِيلِ والاجْتِهادِ والخَطَإِ المُفْضِي إلى الهَوَى والبدعَةِ مِنْ تَشْبيهٍ أو نَعْتٍ بِجارِحَة أو نَفْيِ صِفَةِ كمال فَهٰذَا مِمَّا اخْتَلَفَ السَّلَفُ وَالخَلَفُ في تَكْفِيرِ قائِلِهِ ومُعْتَقِدِهِ واخْتَلَفَ قَوْلُ مالِكٍ وأصحابِهِ في ذٰلِكَ ولَمْ يَخْتَلِفُوا في قِتالِهِمْ إذا تَحَيَّزُوا فِئَةً وأنهمْ يُسْتَتابُونَ فإنْ تابُوا وإلاَّ قُتِلُوا وإنَّمَا اخْتَلَفُوا في المُنْفَرِدِ مِنْهُمْ فأكْثَرُ قَوْلِ مالِكٍ وأصحابِهِ تَرْكُ القَوْلِ بِتَكْفِيرِهِمْ وتَرْكُ قَتْلِهِمْ وَالمُبالَغَةُ في عُقُوبَتِهِمْ وإطالَةُ سِجْنِهِمْ حَتَّى يَظْهَرَ إقْلاعُهُمْ وَتَسْتَبِينَ تَوْبَتُهُمْ كَمَا فَعَلَ عمرُ رَضِيَ الله عَنْهُ بِصَبِيغ وهٰذا قولُ محمدِ بن المَوَّازِ[٢] في الخَوارِجِ وعبد المَلِكِ بنِ الماجِشُونِ[٣] وقولُ سُحْنُونٍ[٤] في جَمِيعِ أهْلِ الأهْواءِ، وبه فُسِّرَ قَوْلُ مالِكٍ[٥] في المُوَطَّإِ وما رَوَاهُ عَنْ عُمَرَ بنِ عبدِ العَزِيزِ[٦] وَجَدِّهِ وَعَمِّهِ مِنْ قَوْلِهِمْ في القَدَرِيَّةِ يُسْتَتابونَ فإنْ تابُوا وإلاَّ قُتِلُوا؛ وقال عِيسَى بنُ القاسمِ[٧] في أهْلِ الأهْوَاءِ مِنَ الإباضِيَّةِ وَالقَدَرِيَّةِ وَشِبْهِهِم مِمَّنْ خالَفَ الجَمَاعَةَ مِنْ أهْلِ البِدَعِ وَالتَّحْرِيفِ لِتأوِيلِ كِتابِ الله يُسْتَتَابُونَ أظْهَرُوا ذلك أوْ أسَرُّوهُ فإنْ تابوا وَإلاَّ قُتِلُوا وَمِيرَاثُهُمْ لِوَرَثَتِهِمْ؛ وقال مِثْلَهُ أيضاً ابنُ القَاسِمِ[٨] في كِتابِ محمدٍ في أهْلِ القَدَرِ وَغَيْرِهِمْ قال وَاسْتِتَابَتُهُمْ أنْ يُقالَ لَهُمْ اتْرُكُوا ما أنْتُمْ عليهِ وَمِثْلُهُ في المَبْسُوط في الإباضِيَّةِ وَالقَدَرِيَّةِ وَسائِرِ أهْلِ البِدَعِ قالَ وَهُمْ مُسْلِمُونَ وَإنَّمَا قُتِلُوا لِرَأْيِهِم السُّوءِ وبهٰذَا عَمِلَ عُمَرُ بنُ عبدِ العَزِيزِ، قال ابنُ القاسِمِ: «مَنْ قَالَ إنَّ الله لَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيماً اسْتُتِيبَ فإنْ تابَ وَإلاَّ قُتِلَ» وابنُ

---

(١) مالك. تقدمت ترجمته.
(٢) محمد بن المواز. تقدمت ترجمته.
(٣) عبد المالك بن الماجشون. تقدمت ترجمته.
(٤) سحنون. تقدمت ترجمته.
(٥) مالك. تقدمت ترجمته.
(٦) عمر بن عبد العزيز. تقدمت ترجمته.
(٧) عيسى بن القاسم. تقدمت ترجمته.
(٨) ابن القاسم. تقدمت ترجمته.

حَبِيبٍ[١] وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِنا يرى تَكْفِيرَهُمْ وَتَكْفِيرَ أَمْثَالِهِمْ مِنَ الخَوَارِجِ وَالقَدَرِيَّةِ وَالمُرْجِئَةِ؛ وَقَدْ رُوِيَ أيضاً عَنْ سُحْنُونٍ مِثْلُهُ فِيمَنْ قال لَيْسَ لله كلامٌ أنهُ كافِرٌ واخْتَلَفَت الرِّوَايَاتُ عَنْ مَالِكٍ[٢] فَأَطْلَقَ في رِوَايَةِ الشامِيِّينَ أبي مُسْهِرٍ[٣] ومَرْوَانَ بنِ محمدٍ الطاطِرِيِّ[٤]: «الكُفْرَ عَلَيْهِمْ» وقَدْ شُووِرَ في زَوَاجِ القَدَرِيِّ فقال: «لا تُزَوِّجْهُ» قال الله تَعالَى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِن مُشْرِكٍ﴾ [البقرة: ٢٢١] ورُوِيَ عَنْهُ أيضاً أَهْلُ الأهْواءِ كُلُّهُمْ كُفَّارٌ وقال مَنْ وَصَفَ شَيْئاً مِنْ ذاتِ الله تَعالَى وأشارَ إلى شَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَدٍ أو سَمْعٍ أو بَصَرٍ قُطِعَ ذٰلِكَ مِنْهُ لأنهُ شَبَّهَ الله بِنَفْسِهِ وقال فِيمَنْ قال القُرْآنُ مَخْلُوقٌ كافرٌ فاقْتُلُوهُ[٥] وقال أيضاً في روايةِ ابنِ نافعٍ[٦] يُجْلَدُ ويُوجَعُ ضَرْباً ويُحْبَسُ حَتَّى يَتُوبَ وفي رِوايةِ بِشْرِ بنِ بكرٍ التِّنِّيسِيِّ[٧] عَنْهُ يُقْتَلُ ولا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ قال القاضِي أبو عبدِ الله البَرْنَكانِيُّ[٨] والقاضِي أبو عبدِ الله التُّسْتَرِيُّ[٩] مِنْ أئِمَّةِ العراقِيِّينَ جوابُهُ مُخْتَلِفٌ يُقْتَلُ المُسْتَبْصِرُ الدَّاعِيَةُ وعَلَى هذا الخِلافِ اخْتَلَفَ قولُهُ في إعادَةِ الصَّلاةِ وحَكَى ابنُ المُنْذِرِ[١٠] عنِ الشافِعِيِّ[١١] لا يُسْتَتاب القَدَرِيُّ وأكْثَرُ أقْوالِ السَّلَفِ تَكْفِيرُهُمْ ومِمَّنْ قال به اللَّيْثُ[١٢] وابنُ عُيَيْنَةَ[١٣] وابنُ لَهِيعَةَ[١٤] ورُوِيَ عنهمْ ذٰلِكَ فِيمَنْ قال بِخَلْقِ القُرْآنِ وقالَهُ ابنُ المُبارَكِ[١٥] والأَوْدِيُّ[١٦] ووَكِيعٌ[١٧] وحَفْصُ بنُ غِياثٍ[١٨] وأبو إسْحاقَ الفَزارِيُّ[١٩] وهُشَيْمٌ[٢٠] وعلِيُّ بنُ عاصِمٍ[٢١] في آخرين وهو مِن قولِ أكْثَرِ المُحَدِّثِينَ والفُقَهاءِ وَالمُتَكَلِّمِينَ فِيهِمْ وفي الخَوارِجِ والقَدَرِيَّةِ وأهْلِ الأهْواءِ المُضِلَّةِ وأصْحابِ البِدَعِ المُتَأَوِّلِينَ وَهُوَ قَوْلُ أحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ[٢٢] وَكَذٰلِكَ قالُوا في الوَاقِفَةِ وَالشَّاكَّةِ في هٰذِهِ الأُصُولِ وَمِمَّنْ رُوِيَ عَنْهُ مَعْنَى

---

(١) ابن حبيب. تقدمت ترجمته.
(٢) مالك. تقدمت ترجمته.
(٣) أبو مسهر. تقدمت ترجمته.
(٤) مروان بن محمد الطاطري. تقدمت ترجمته.
(٥) القرآن مخلوق. تقدمت ترجمته.
(٦) ابن نافع. تقدمت ترجمته.
(٧) بشر بن بكر التنيسي إمام ثقة أخرج أحاديثه أصحاب السنن توفي سنة: ٢٠٥ هـ وله ترجمة في ميزان الاعتدال للذهبي: ١/ ٣١٤.
(٨) القاضي أبو عبد الله البرتكاني. لم يترجم له أحَدٌ.
(٩) القاضي أبو عبد الله التستري. تقدمت ترجمته.
(١٠) ابن المنذر. تقدمت ترجمته.
(١١) الشافعي. تقدمت ترجمته.
(١٢) الليث. تقدمت ترجمته.
(١٣) ابن عيينة. تقدمت ترجمته.
(١٤) ابن لهيعة. تقدمت ترجمته.
(١٥) ابن المبارك. تقدمت ترجمته.
(١٦) الأودي. تقدمت ترجمته.
(١٧) وكيع. تقدمت ترجمته.
(١٨) حفص بن غياث. تقدمت ترجمته.
(١٩) أبو إسحاق الفزاري. تقدمت ترجمته.
(٢٠) هشيم. تقدمت ترجمته.
(٢١) علي بن عاصم. تقدمت ترجمته.
(٢٢) أحمد بن حنبل. تقدمت ترجمته.

الْقَوْلَ الآخَرِ بِتَرْكِ تَكْفِيرِهِمْ عَلِيٌّ بْنُ أبي طَالِبٍ[١] وَابْنُ عُمَرَ[٢] وَالحَسَنُ البَصْرِيُّ[٣] وَهُوَ رَأْيُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ النُّظَّارِ وَالمُتَكَلِّمِينَ وَاحْتَجُّوا بِتَوْرِيثِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَرَثَةَ أَهْلِ حَرُورَاءَ وَمَنْ عُرِفَ بِالْقَدَرِ مِمَّنْ مَاتَ مِنْهُمْ وَدَفْنِهِمْ فِي مَقَابِرِ المُسْلِمِينَ وَجَرْيِ أَحْكَامِ الإِسْلاَمِ عَلَيْهِمْ، قال إِسْمَاعِيلُ الْقَاضِي[٤] وَإِنَّمَا قَالَ مالِكٌ[٥] في الْقَدَرِيَّةِ وَسَائِرِ أَهْلِ الْبِدَعِ يُسْتَتَابُونَ فَإِنْ تَابُوا وَإِلاَّ قُتِلُوا لأَنَّهُ مِنَ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ كما قالَ في الْمُحَارِبِ إِنْ رَأى الإِمامُ قَتْلَهُ وَإِنْ لَمْ يَقْتُلْ قَتَلَهُ وَفَسَادُ الْمُحَارِبِ إِنَّمَا هُوَ فِي الأَمْوَالِ وَمَصَالِحِ الدُّنْيَا وَإِنْ كانَ قَدْ يَدْخُلُ أَيْضاً فِي أَمْرِ الدِّينِ مِنْ سَبِيلِ الحَجِّ وَالْجِهَادِ، وَفَسادُ أَهْلِ الْبِدَعِ مُعْظَمُهُ على الدِّينِ وَقَدْ يَدْخُلُ في أَمْرِ الدُّنْيَا بِمَا يُلْقُونَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْعَدَاوَةِ.

الفصل الثالث: حكم تحقيق القول في إكفار المتأولين

فِي تَحْقِيقِ الْقَوْلِ فِي إِكْفَارِ الْمُتَأَوِّلِينَ.

قَدْ ذَكَرْنَا مَذَاهِبَ السَّلَفِ فِي إِكْفَارِ أَصْحَابِ البِدَعِ وَالأَهْوَاءِ المُتَأَوِّلِينَ مِمَّنْ قالَ قَوْلاً يُؤَدِّيهِ مَسَاقُهُ إِلَى كُفْرٍ هُوَ إِذَا وُقِفَ عَلَيْهِ لاَ يَقُولُ بِمَا يُؤَدِّيهِ قوله إِلَيْهِ وعلى اخْتِلاَفِهِمْ اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ وَالْمُتَكَلِّمُونَ فِي ذٰلِكَ فَمِنْهُمْ مَنْ صَوَّبَ التَّكْفِيرَ الَّذِي قالَ به الْجُمْهُورُ مِنَ السَّلَفِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَبَاهُ وَلَمْ يَرَ إِخْرَاجَهُمْ مِنْ سَوَادِ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وقالُوا هُمْ فُسَّاقٌ عُصَاةٌ ضُلاَّلٌ وَنُوَرِّثُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَنَحْكُمُ لَهُمْ بِأَحْكامِهِمْ وَلِهٰذَا قالَ سُحْنُونُ[٦] لاَ إِعادَةَ على مَنْ صَلَّى خَلْفَهُمْ قالَ وَهُوَ قَوْلُ جميع أَصْحَابِ مالِكٍ[٧] الْمُغِيرَةِ[٨] وابن كِنَانَةَ[٩] وَأَشْهَبَ[١٠] قال لأَنَّهُ مُسْلِمٌ وَذَنْبُهُ لَمْ يُخْرِجْهُ مِنَ الإِسْلاَمِ وَاضْطَرَبَ آخَرُونَ في ذٰلِكَ وَوَقَفُوا عَنِ الْقَوْلِ بالتَّكْفِيرِ أَوْ ضِدِّهِ وَاخْتِلاَفُ قَوْلَيْ مالِكٍ في ذٰلِكَ وَتَوَقُّفُهُ عَنْ إِعَادَةِ الصَّلاَةِ خَلْفَهُمْ مِنْهُ وَإِلى نَحْوٍ مِنْ هٰذَا ذَهَبَ الْقَاضِي أبو بَكْرٍ[١١] إِمامُ أَهْلِ التَّحْقِيقِ وَالْحَقِّ وَقالَ إِنَّهَا مِنَ الْمُعْوِصاتِ إِذِ الْقَوْمُ لَمْ يُصَرِّحُوا بِاسْمِ الكُفْرِ وَإِنَّمَا قالُوا قَوْلاً يُؤَدِّي إِلَيْهِ وَاضْطَرَبَ قَوْلُهُ في الْمَسْأَلَةِ على نَحْوِ اضْطِرَابِ قَوْلِ إِمَامِهِ مالِكِ بنِ أَنَسٍ[١٢] حَتَّى قالَ في بَعْضِ كَلاَمِهِ إِنَّهُمْ على رَأْيِ مَنْ كَفَّرَهُمْ بالتَّأْوِيلِ لا تَحِلُّ مُنَاكَحَتُهُمْ وَلاَ أَكْلُ ذَبَائِحِمْ وَلاَ الصَّلاةُ على مَيِّتِهِمْ وَيُخْتَلَفُ في مَوَارَثَتِهِمْ على الْخلاَفِ في

---

(١) علي بن أبي طالب. تقدمت ترجمته.
(٢) ابن عمر. تقدمت ترجمته.
(٣) الحسن البصري. تقدمت ترجمته.
(٤) إسماعيل القاضي. تقدمت ترجمته.
(٥) مالك. تقدمت ترجمته.
(٦) سحنون. تقدمت ترجمته.
(٧) مالك. تقدمت ترجمته.
(٨) المغيرة. تقدمت ترجمته.
(٩) ابن كنانة. تقدمت ترجمته.
(١٠) أشهب. تقدمت ترجمته.
(١١) أبو بكر. تقدمت ترجمته.
(١٢) مالك بن أنس. تقدمت ترجمته.

مِيرَاثِ الْمُرْتَدِ وقال أيضاً نُورِّثُ مَيِّتَهُمْ وَرَثَتَهم مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلاَ نُورِّثُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَكْثَرُ مَيْلِهِ إلى تَرْكِ التَّكْفِيرِ بالمَآلِ وَكَذٰلِكَ اضْطَرَبَ فِيهِ قَوْلُ شَيْخِهِ أبي الْحَسَنِ الأشْعَرِيِّ[١] وَأَكْثَرُ قَوْلِهِ تَرْكُ التَّكْفِيرِ وَأنّ الكُفْرَ خَصْلَةٌ وَاحِدَةٌ وَهُوَ الْجَهْلُ بِوُجُودِ الْبَارِي تعالى وقال مَرَّةً مَنْ اعْتَقَدَ أنّ الله جِسْمٌ أوِ المسيحُ[٢] أوْ بَعْضَ مَنْ يَلْقَاهُ في الطُّرُق فَلَيْسَ بِعَارِفٍ بِهِ وَهُوَ كَافِرٌ وَلِمثْلِ هٰذَا ذَهَبَ أبو المَعَالي رَحِمهُ الله في أجْوبَتِهِ لأبي محمَّدٍ عَبْدِ الْحَقِّ[٣] وَكانَ سَأَلَهُ عَنِ الْمَسْألَةِ فاعْتَذَرَ لَهُ بأن الغَلَطَ فِيهَا يَصْعُبُ لأنّ إدْخالَ كافِرٍ في المِلَّةِ وَإخْرَاجَ مُسْلِم عَنهَا عَظِيمٌ في الدِّينِ وقال غَيْرُهُمَا مِنَ الْمُحَقِّقِينَ: الَّذِي يَجِبُ الاحْتِرَازُ مِنَ التَّكْفِيرِ في أهْلِ التَّأويلِ فَإنّ اسْتِبَاحَةَ دِمَاءِ المُصلِّين المُوَحِّدِينَ خَطَرٌ والخَطَا في تَرْكِ ألْفِ كافِرٍ أهْوَنُ مِنَ الْخَطَإ في سَفْكِ مِحْجَمَةٍ مِنْ دم مُسْلِم وَاحِدٍ وقد قال ﷺ: **«فَإذَا قالُوها يَعْنِي الشَّهَادَةَ عَصَمُوا مِني دِمَاءَهُمْ وَأمْوَالَهُمْ إلاَّ بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلى الله»**[٤] فالعِصْمَةُ مَقْطُوعٌ بهَا مَعَ الشَّهَادَةِ ولا تَرْتَفِعُ وَيُسْتَبَاحُ خِلافُهَا إلاّ بِقَاطِعٍ ولا قَاطِعَ مِنْ شَرْعٍ ولا قِيَاسٍ عليه وَألْفَاظُ الأحاديثِ الْوَارِدَةِ في البَابِ مُعَرَّضَةٌ لِلتَّأْوِيلِ فَمَا جَاءَ مِنْهَا في التَّصْرِيحِ بِكُفْرِ القَدَرِيَّةِ وَقَوْلُهُ لا سَهْمَ لَهُمْ في الإسْلام وَتَسْمِيَتُهُ الرَّافِضَةَ بالشِّرْكِ وإطْلاقُ اللَّعْنَةِ عَلَيْهِمْ وَكَذٰلِكَ في الْخَوارِجِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أهْلِ الأهْوَاءِ فَقَدْ يَحْتَجُّ بها مَنْ يَقُولُ بالتَّكْفِيرِ وَقَدْ يُجِيبُ الآخَرُ بِأنَّهُ قَدْ وَرد مِثْلُ هٰذِهِ الألْفَاظِ في الحدِيثِ في غَيْرِ الكَفَرَةِ على طَرِيقِ التَّغْلِيظ وَكُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ وَإشْرَاكٌ دُونَ إشْرَاكٍ وَقَدْ وَرَدَ مِثْلُهُ في الرِّياءِ وَعُقُوقِ الوَالِدَيْنِ وَالزَّوْجِ والزُّورِ وَغَيْرِ مَعْصِيَةٍ وإذَا كانَ مُحْتَمِلاً لِلأمْرَيْنِ فلا يُقْطَعُ على أحَدِهِمَا إلاّ بِدَلِيلٍ قاطِعٍ؛ وَقَوْلُهُ في الخَوارِجِ: **«هُمْ مِنْ شَرِّ البَرِيَّةِ»** وهٰذِهِ صِفَةُ الكُفَّارِ، وقال: **«شَرُّ قَبِيلٍ تَحتَ[٥] أدِيم السَّمَاءِ طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ أوْ قَتَلُوه»**، وقال: **«فإذا وَجَدْتموهُمْ فاقتُلوهُمْ قَتْلَ عَادٍ»** وَظاهِرُ هٰذَا الكُفْرُ لا سِيَّما مَعَ تَشْبِيهِهِمْ بِعَادٍ فَيَحْتَجُّ بِهِ مَنْ يَرَى تَكْفِيرَهُمْ فَيَقُولُ لَهُ الآخَرُ إنَّمَا ذٰلِكَ مِنْ قَتْلِهِمْ لِخُرُوجِهِمْ على المُسْلِمِينَ وَبَغْيِهِمْ عَلَيْهِمْ بِدَلِيلِهِ مِنَ الحديثِ نَفْسِهِ: **«يَقْتُلُونَ أهْلَ الإسْلامِ»** فَقَتْلُهُمْ هٰهُنَا حَدٌّ لا كُفْرٌ وَذِكْرُ عادٍ تَشْبِيهٌ لِلْقَتْلِ وَحِلِّهِ لا لِلْمَقْتُول وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ حُكِمَ بِقَتْلِهِ يُحْكَمُ بِكُفْرِهِ وَيُعَارِضُهُ بِقَوْل خالِدٍ في الحديثِ دَعْنِي أضْرِبُ عُنُقَهُ يا رسول الله فقال لَعَلَّهُ يُصَلِّي فإن احْتَجُّوا بقولِهِ ﷺ: **«يَقْرَؤُونَ**

---

(١) أبو الحسن. تقدمت ترجمته.

(٢) المسيح. تقدمت ترجمته.

(٣) أبو محمد عبد الحق. تقدمت ترجمته.

(٤) فإذا قالوها.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ١/ ١٤ ومسلم في الصحيح: ١/ ٥٢ ولفظ الحديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وإن محمداً رسول الله ﷺ ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا قالوها...».

(٥) شر قيل تحت أديم السماء.. الحديث/ أخرجه الإمام مسلم في الصحيح: الحديث: ٧٤١.

القُرْآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ فَأَخْبَرَ أَنَّ الإِيمَانَ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ»[(١)] وَكَذٰلِكَ قَوْلُهُ «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ ثُمَّ لا يَعُودُونَ إِلَى حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ على فُوقِهِ» وبقوله: «سَبَقَ الفَرْثَ والدَّمَ» يَدُلُّ على أنهُ لم يَتَعَلَّقْ مِنَ الإِسْلامِ بِشَيْءٍ أجابهُ الآخَرُونَ أنّ مَعْنَى لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ لا يَفْهَمُونَ مَعَانِيَهُ بِقُلُوبِهِمْ ولا تَنْشَرِحُ لَهُ صُدُورُهُمْ ولا تَعْمَلُ بِهِ جَوارِحُهُمْ وعارَضُوهُمْ بِقَوْلِهِ وَيَتَمَارَى في الفُوقِ وهٰذَا يَقْتَضِي التَّشَكُكَ في حَالِهِ وإِنِ احْتَجُّوا بِقَولِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ[(٢)] في هٰذَا الحديثِ. سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ في هٰذِهِ الأُمَّةِ»[(٣)] ولم يَقُلْ «مِنْ هٰذِهِ» وَتَحْرِيرُ أبي سَعِيدٍ الرِّوَايَةَ وإِتْقَانُهُ اللَّفْظَ أجابَهُمُ الآخَرُونَ بأَنَّ العِبَارَةَ بِفِي لا تَقْتَضِي تَصْرِيحاً بكَوْنِهِمْ مِنْ غَيْرِ الأُمَّةِ بِخِلافِ لَفْظَةِ مِنْ - التي هِيَ لِلتَّبْعِيضِ وكَوْنِهِمْ مِنَ الأُمَّةِ مَعَ أَنهُ قَدْ رُوِيَ عَنْ أَبي ذَرٍّ[(٤)] وَعَلِيٍّ[(٥)] وأبي أُمامَةَ[(٦)] وغَيْرِهِمْ في هٰذَا الحَدِيثِ يَخْرُجُ مِنْ أُمتي، وَسَيَكُونُ مِنْ أُمتي، وحُرُوفُ المَعَاني مُشْتَرَكَةٌ فلا تَعْوِيلَ على إِخْرَاجِهِمْ مِنَ الأُمَّةِ بفِي ولا على إِدْخَالِهِمْ فيها بِمِنْ لكِنّ أبا سَعِيدٍ رَضِيَ الله عَنْهُ أجادَ ما شاءَ في التَّنْبِيهِ الَّذِي نَبَّهَ عَلَيْهِ وهٰذَا مِمَّا يَدُلُّ على سِعَةِ فِقْهِ الصَّحابَةِ وَتَحْقِيقِهِمْ لِلْمَعاني واسْتِنْبَاطِهَا مِنَ الأَلْفَاظِ وتَحْرِيرِهِمْ لَهَا وَتَوَقِّيهِمْ في الرِّوَايَةِ هٰذِهِ المَذَاهِبُ المَعْرُوفَةُ لأَهْلِ السُّنَّةِ ولِغَيْرِهِمْ مِنَ الفِرَقِ فيها مَقالاتٌ كَثِيرَةٌ مُضْطَرِبَةٌ سَخِيفَةٌ أَقْرَبُهَا قَوْلُ جَهْمٍ[(٧)] ومحمدِ بنِ شَبِيبٍ[(٨)] إِنَّ الكُفْرَ بالله الجَهْلُ بِهِ لا يَكْفُرُ أَحَدٌ بِغَيْرِ ذٰلِكَ قال أبو الهُذَيْلِ[(٩)] إِنَّ كُلَّ مُتَأَوِّلٍ كانَ تَأْوِيلُهُ تَشْبِيهاً لله بِخَلْقِهِ وَتَجْوِيراً لَهُ في فِعْلِهِ وَتَكْذِيباً لِخَبَرِهِ فَهُوَ كافِرٌ وكُلُّ مَنْ أَثْبَتَ شَيْئاً قَدِيماً لا يُقالُ لَهُ الله فَهُوَ كافِرٌ وقال بَعْضُ المُتَكَلِّمِينَ إِنْ كانَ مِمَّنْ عَرَّفَ الأَصْلَ وبَنَى عليه وكانَ فِيما هُوَ مِنْ أَوْصافِ الله فَهُوَ كافِرٌ وإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ هٰذَا البابِ فَفاسِقٌ إلاَّ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفِ الأَصْلَ فَهُوَ مُخْطِىءٌ غَيْرُ كافِرٍ وذَهَبَ عُبَيْدُ الله بنُ الحَسَنِ العَنْبَرِيُّ[(١٠)] إِلى تَصْوِيبِ أَقْوَالِ المُجْتَهِدِينَ في أُصُولِ الدِّينِ فِيما كانَ عُرْضَةً لِلتَّأْوِيلِ

---

(١) يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٦/ ٣٧٦ كتاب الأنبياء (٦٠) باب قول الله تعالى ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً﴾ ١١/ ٥٠ الحديث: ٣٣٤٤. والإمام مسلم في الصحيح. ٢/ ٧٤١ كتاب الزكاة (١٢) باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٤٧) الحديث ١٤٣/ ١٠٦٤.

(٢) أبو سعيد الخدري. تقدمت ترجمته.

(٣) يخرج في هذه الأمة.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ٩/ ٢١. والربيع بن حبيب في مسنده ١/ ١٢، وابن أبي عاصم في السنة ٢/ ٤٥٦ وابن حجر في فتح الباري برواية أخرى ٤/ ٤٣٦ والسيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٥٥.

(٤) أبو ذر. تقدمت ترجمته.

(٥) علي. تقدمت ترجمته.

(٦) أبو أمامة. تقدمت ترجمته.

(٧) جهنم. تقدمت ترجمته.

(٨) محمد بن شعيب. تقدمت ترجمته.

(٩) أبو الهذيل. تقدمت ترجمته.

(١٠) عبد الله بن الحسن العنبري. تقدمت ترجمته.

وفارَقَ في ذٰلِكَ فِرَقَ الأُمَّةِ إذْ أجمَعُوا سِواهُ على أنَّ الْحَقَّ في أُصُولِ الدِّينِ في واحِدٍ والمُخْطِىءُ فِيهِ آثِمٌ عاصٍ فاسِقٌ وَإنَّما الْخِلافُ في تَكْفِيرِهِ وقَدْ حَكَى القاضِي أبو بكرٍ الباقِلاّنِيُّ[١] مِثْلَ قَوْلِ عُبَيْدِ الله عَنْ دَاوُدَ الأصبهانِيِّ[٢] وقال وحَكَى قَوْمٌ عَنْهُما أنَّهُما قالا ذٰلِكَ في كُلِّ مَنْ عَلِمَ الله سُبْحانَهُ مِنْ حالِهِ اسْتِفْراغَ الْوُسْعِ في طَلَبِ الْحَقِّ مِنْ أهْلِ مِلَّتِنا أوْ مِنْ غَيْرِهِمْ وقال نَحْوَ هٰذا القَوْلِ الْجاحِظُ[٣] وثُمامَةُ[٤] في أنَّ كَثِيراً مِنَ العامَّةِ والنِّساءِ والبُلْهِ ومُقَلِّدَةَ النَّصارَى واليَهُودِ وغَيْرِهِمْ لا حُجَّةَ لله عَلَيْهِمْ إذْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ طِباعٌ يُمْكِنُ مَعَها الاسْتِدْلالُ وَقَدْ نَحا الغزالِيُّ[٥] قَرِيباً مِنْ هٰذا المَنْحَى في كِتابِ التَّفْرِقَةِ وقائِلُ هٰذا كُلِّهِ كافِرٌ بالإجْماعِ على كُفْرِ مَنْ لَمْ يُكَفِّرْ أحَداً مِنَ النَّصارَى واليَهُودِ وَكُلُّ مَنْ فارَقَ دِينَ المُسْلِمِينَ أو وَقَفَ في تَكْفِيرِهِمْ أو شَكَّ قال القاضي أبو بكرٍ[٦] لأنَّ التَّوْقِيفَ والإجْماعَ اتَّفَقا عَلَى كُفْرِهِمْ فَمَنْ وَقَفَ في ذٰلِكَ فَقَدْ كَذَّبَ النَّصَّ والتَّوْقِيفَ أوْ شَكَّ فِيهِ والتَّكْذِيبُ أو الشَّكُّ فيه لا يَقَعُ إلاّ مِنْ كافِرٍ.

الفصل الرابع: في بَيَانِ ما هُو مِنَ المَقَالات كُفر وَمَا يُتَوَقَّفُ أو يُخْتلف فيه وما ليس بِكفر

اعْلَمْ أنَّ تَحْقِيقَ هٰذا الْفَصْلِ وَكَشْفَ اللَّبْسِ فِيهِ مَوْرِدُهُ الشَّرْعُ ولا مَجالَ لِلْعَقْلِ فِيهِ وَالْفَصْلُ الْبَيِّنُ في هذا أنَّ كُلَّ مَقالَةٍ صَرَّحَتْ بِنَفْيِ الرُّبُوبِيَّةِ أوِ الْوَحْدانِيَّةِ أوْ عِبادَةِ أحَدٍ غَيْرِ الله أوْ مَعَ الله فَهِيَ كُفْرٌ كَمَقالَةِ الدَّهْرِيَّةِ وَسائِرِ فِرَقِ أصْحابِ الاثْنَيْنِ مِنَ الدَّيْصانِيَّةِ وَالمَانَوِيَّةِ وأشْباهِهِمْ مِنَ الصَّابِئِينَ وَالنَّصارَى وَالْمَجُوسِ وَالَّذِينَ أشْرَكُوا بِعِبادَةِ الأوْثانِ أوِ المَلائِكَةِ أوْ الشَّياطِينِ أوِ الشَّمْسِ أوِ النُّجُومِ أوِ النَّارِ أوْ أحَدٍ غَيْرِ الله مِنْ مُشْرِكي الْعَرَبِ وَأهْلِ الْهِنْدِ وَالصِّينِ وَالسُّودانِ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لا يَرْجِعُ إلى كِتابٍ وَكَذٰلِكَ الْقَرامِطَةُ وَأصْحابُ الْحُلُولِ وَالتَّناسُخِ مِنَ الْباطِنِيَّةِ وَالطَّيَّارَةِ مِنَ الرَّوافِضِ وَكَذٰلِكَ مَن اعْتَرَفَ بالإلٰهِيَّةِ الله وَوَحْدانِيَّتِهِ وَلٰكِنَّهُ اعْتَقَدَ أنَّهُ غَيْرُ حَيٍّ أوْ غَيْرُ قَدِيمٍ وأنَّهُ مُحْدَثٌ أوْ مُصَوَّرٌ أو ادَّعَى لَهُ وَلَداً أوْ صاحِبَةً أوْ والِداً أوْ مُتَوَلِّدٌ مِنْ شَيْءٍ أوْ كائِنٌ عَنْهُ أوْ أنَّ مَعَهُ في الأزَلِ شَيْئاً قَدِيماً غَيْرَهُ أوْ أنَّ ثَمَّ صانِعاً لِلْعالَمِ سِواهُ أوْ مُدَبِّراً غَيْرَهُ فَذٰلِكَ كُلُّهُ كُفْرٌ بإجْماعِ الْمُسْلِمِينَ كَقَوْلِ الإلٰهِيِّينَ مِنَ الْفَلاسِفَةِ وَالْمُنَجِّمِينَ وَالطَّبائِعِيِّينَ وَكَذٰلِكَ مَنِ ادَّعَى مُجالَسَةَ

---

(١) أبو بكر. تقدمت ترجمته.
(٢) عبد الله بن داود الأصبهاني. تقدمت ترجمته.
(٣) الجاحظ. تقدمت ترجمته.
(٤) ثمامة. تقدمت ترجمته.
(٥) الغزالي. تقدمت ترجمته.
(٦) القاضي أبو بكر. تقدمت ترجمته.

الله وَالْعُرُوجَ إِلَيْهِ وَمُكَالَمَتَهُ أَوْ حُلُولَه في أَحَدِ الأَشْخَاصِ كَقَوْلِ بَعْضِ المُتَصَوِّفَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ وَالنَّصَارَى وَالقَرَامِطَةِ وَكَذٰلِكَ نَقْطَعُ على كُفرِ مَنْ قَالَ بِقِدَمِ الْعَالَمِ أَوْ بَقَائِهِ أَوْ شَكَّ في ذٰلِكَ على مَذْهَبِ بَعْضِ الْفَلاَسِفَةِ وَالدَّهْرِيَّةِ أَوْ قَالَ بِتَنَاسُخِ الأَرْوَاحِ وَانْتِقَالِهَا أَبَدَ الآبادِ في الأَشْخَاص وَتَعْذِيبِهَا أَوْ تَنَعُّمِهَا فِيهَا بِحَسَبِ زَكَائِهَا وَخُبْثِهَا وَكَذٰلِكَ مَنِ اعْتَرَفَ بالإِلٰهِيَّةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ وَلٰكِنَّهُ جَحَدَ النُّبُوَّةَ مِنْ أَصْلِهَا عُمُوماً أَوْ نُبُوَّةَ نَبِيِّنَا ﷺ خُصُوصاً أَوْ أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ نَصَّ الله عَلَيْهِمْ بَعْدَ عِلْمِهِ بِذٰلِكَ فَهُوَ كافِرٌ بَلاَ رَيْبٍ كالبَرَاهِمَةِ وَمُعْظَم الْيَهُودِ وَالأُرُوسِيَّةِ مِنَ النَّصَارَى وَالْغُرَابِيَّةِ مِنَ الرَّوَافِض الزَّاعِمِينَ أَنَّ عَلِيّاً كانَ المَبْعُوثَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ وَكالمُعَطِّلَةِ وَالْقَرَامِطَةِ وَالإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَالْعَنْبَرِيَّةِ مِنَ الرَّافِضَةِ وَإِنْ كانَ بَعْضُ هَؤُلاَءِ قَدْ أَشْرَكُوا في كُفْرٍ آخَرَ مَعَ مَنْ قَبْلَهُمْ وَكَذٰلِكَ مَنْ دَانَ بالْوَحْدَانِيَّةِ وَصِحَّةِ النُّبُوَّةِ وَنُبُوَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ وَلٰكِنْ جَوَّزَ على الأَنْبِيَاءِ الْكَذِبَ فِيما أَتَوْا بِهِ ادَّعَى في ذٰلِكَ المَصْلَحَةَ بِزَعْمِهِ أَوْ لَمْ يَدَّعِهَا فَهُوَ كافِرٌ بإِجْماعٍ كالمُتَفَلْسِفِينَ وَبَعْضِ البَاطِنِيَّةِ وَالرَّوَافِضِ وَغُلاةِ المُتَصَوِّفَةِ وَأَصْحَابِ الإِبَاحَةِ فَإِنَّ هٰؤُلاءِ زَعَمُوا أَنَّ ظَوَاهِرَ الشَّرْعِ وأَكْثَرَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنَ الأَخْبَارِ عَمَّا كانَ وَيَكُونُ مِنْ أُمورِ الآخِرَةِ وَالحَشْرِ؛ وَالقِيَامَةِ؛ وَالجَنَّةِ، وَالنَّارِ لَيْسَ مِنها شَيْءٌ على مُقْتَضَى لَفْظِهَا وَمَفْهُومِ خِطَابِهَا وَإِنَّما خاطَبُوا بِهَا الخَلْقَ على جِهَةِ المَصْلَحَةِ لَهُمْ إِذْ لَمْ يُمْكِنْهُمُ التَّصْرِيحُ لِقُصُورِ أَفْهامِهِمْ فَمُضَمَّنُ مَقَالاَتِهِمْ إِبْطَالُ الشَّرائِعِ وَتَعْطِيلُ الأَوامِرِ وَالنَّوَاهِي وَتَكْذِيبُ الرُّسُلِ وَالارْتِيَابُ فِيما أَتَوْا به وَكَذٰلِكَ مَنْ أَضافَ إِلى نَبِيِّنَا ﷺ تَعَمُّدَ الكَذِبِ فيما بَلَّغَهُ وَأَخْبَرَ به أَوْ شَكَّ في صِدْقِهِ أَوْ سَبَّهُ أَوْ قالَ إِنَّهُ لَمْ يُبَلِّغْ أَوِ اسْتَخَفَّ بِهِ أَوْ بأَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ أَوْ أَزْرَى عَلَيْهِمْ أَوْ آذاهُمْ أَوْ قَتَلَ نَبِيّاً أَوْ حَارَبَهُ فَهُوَ كافِرٌ بإِجْماعٍ وَكَذٰلِكَ نُكَفِّرُ مَنْ ذَهَبَ مَذْهَبَ بَعْضِ القُدَمَاءِ في أَنَّ في كُلِّ جِنْسٍ مِنَ الحَيَوانِ نَذِيراً وَنَبِيّاً مِنَ القِرَدَةِ؛ وَالخَنَازِيرِ وَالدَّوَابِّ والدُّودِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ؛ وَيَحْتَجُّ بِقولِهِ تَعالَى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] إِذْ ذلك يُؤَدِّي إِلى أَنْ يُوصَفَ أَنْبِيَاءُ هٰذِهِ الأَجْنَاسِ بِصِفَاتِهِمُ المَذْمُومَةِ وفيه مِنَ الإِزْرَاءِ على هٰذَا المَنْصِبِ المُنِيفِ ما فيه مَعَ إِجْماعِ المُسْلِمِينَ على خِلافِهِ وَتَكْذِيبِ قائِلِيهِ وكذلك نُكَفِّرُ مَنِ اعْتَرَفَ من الأُصُولِ الصَّحِيحَةِ بِمَا تَقَدَّمَ وَنُبُوَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ وَلٰكِنْ قال كانَ أَسْوَدَ أَوْ ماتَ قَبْلَ أَنْ يَلْتَحِيَ أَوْ لَيْسَ الذي كانَ بمكَّةَ والحِجاز أَوْ لَيْسَ بِقُرَشِيٍّ لأَنَّ وَصْفَهُ بِغَيْرِ صِفَاتِهِ المَعْلُومَةِ نَفْيٌ لَهُ وَتَكْذِيبٌ به وكذلك مَنِ ادَّعَى نُبُوَّةَ أَحَدٍ مَعَ نَبِيِّنَا ﷺ أَوْ بَعْدَهُ كالعِيسَوِيَّةِ مِنَ اليَهُودِ القَائِلِينَ بِتَخْصِيص رِسالَته إِلى العَرَب وكالخُرَّمِيَّةِ القَائِلِينَ بِتَوَاتُرِ الرُّسُل وَكَأَكْثَرِ الرَّافِضَةِ القَائِلِينَ بِمُشَارَكَةِ عليٍّ في الرِّسَالَةِ للنَّبِيِّ ﷺ وَبَعْدَهُ فَكذلك كلُّ إِمَام عِنْدَ هٰؤلاءِ يَقُومُ مَقَامَهُ في النُّبُوَّةِ والحُجَّةِ وكالبَزِيغِيَّةِ وَالبَيَانِيَّةِ مِنْهُمُ القَائِلِينَ بِنُبُوَّةِ بزيغ وَبَيَانٍ وَأَشْبَاهِ هٰؤُلاءِ أَوْ مَنِ ادعى النُّبُوَّةَ لِنَفْسِهِ أَوْ جَوَّزَ اكْتِسَابَهَا والبُلُوغَ بِصَفَاءِ القَلْبِ إِلى مَرْتَبَتِهَا كالفَلاَسِفَةِ وغُلاةِ المُتَصَوِّفَةِ وَكَذٰلِكَ مَن ادعى مِنْهُمْ أَنهُ يُوحَى إِلَيْهِ وإِنْ لَمْ يدَّعِ النُّبُوَّةَ أَوْ أَنهُ يَصْعَدُ إِلى السَّمَاءِ وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ وَيأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَيُعَانِقُ

الْحَورَ العِينَ كُلُّهمْ كُفَّارٌ مُكَذِّبُونَ للنَّبيِّ ﷺ لأنَّهُ أخْبَرَ ﷺ «أنه خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لا نَبيّ بَعْدَهُ»[1] وأخْبَرَ عَنِ الله تَعالَى أنهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وأنهُ أرْسِلَ كافَّةً لِلنَّاسِ وأجْمَعَت الأُمَّةُ على حَمْلِ هٰذا الكَلامَ على ظاهِرِهِ وأنّ مَفْهُومَهُ المُرادُ به دُونَ تأْوِيلٍ ولا تَخْصِيصٍ فلا شَكَّ في كُفْرِ هٰؤُلاءِ الطَّوائِفِ. كُلِّهَا قَطْعاً إجْماعاً وَسَمْعاً وَكَذٰلِكَ وَقَعَ الإجْماعُ على تَكْفِيرِ كُلِّ مَنْ دافَعَ نَصَّ الكِتابِ أوْ خَصَّ حديثاً مُجْمَعاً على نَقْلِهِ مَقْطُوعاً به مُجمَعاً على حَمْلِهِ على ظَاهِرِهِ كَتَكْفِيرِ الخَوارِجِ بإبْطال الرَّجْمِ ولِهٰذا نُكَفِّرُ مَنْ لَمْ يُكَفِّرْ مَنْ دَانَ بِغَيْرِ مِلَّةِ المُسْلِمِينَ مِنَ المِلَلِ أوْ وَقَفَ فِيهِمْ أوْ شَكَّ أوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ وإنْ أظْهَرَ مَعَ ذٰلِكَ الإسْلاَمَ وَاعْتَقَدَهُ وَاعْتَقَدَ إبْطالَ كُلِّ مَذْهَبٍ سِواهُ فَهُوَ كَافِرٌ بإظْهارِهِ ما أظْهَرَ مِنْ خِلافِ ذٰلِكَ وَكَذٰلِكَ نَقْطَعُ بِتَكْفِيرِ كُلِّ قائِلٍ قال قَوْلاً يُتَوَصَّلُ به إلى تَضْلِيلِ الأُمَّةِ وَتَكْفِيرِ جَمِيعِ الصَّحابَةِ كَقَوْلِ الكُمَيْلِيَّةِ[2] مِنَ الرافِضَةِ بِتَكْفِيرِ جَمِيعِ الأُمَّةِ بَعْدَ النبيِّ ﷺ إذْ لَمْ تُقَدِّمْ عَلِيّاً وَكَفَّرَتْ عَلِيّاً إذْ لَمْ يَتَقَدَّمْ وَيَطْلُبْ حَقَّهُ في التَّقْديم فَهٰؤُلاءِ قَدْ كَفَرُوا مِنْ وُجُوهٍ لأنَّهُمْ أبْطَلُوا الشَّرِيعَةَ بأسْرِها إذْ قَد انْقَطَعَ نَقْلُهَا وَنَقْلُ القُرْآنِ إذْ نَاقِلُوهُ كَفَرَةٌ عَلَى زَعْمِهِمْ وَإلَى هٰذَا والله أعْلَمُ أشارَ مالِكٌ في أحَدِ قَوْلَيْهِ بِقَتْلِ مَنْ كَفَّرَ الصَّحابَةَ ثُمَّ كَفَرُوا مِنْ وَجْهٍ آخَرَ بِسَبِّهِمُ النبيَّ ﷺ عَلَى مُقْتَضَى قَوْلِهِمْ وَزَعْمِهِمْ أنهُ عَهِدَ إلَى عَلِيٍّ رَضِيَ الله عَنْهُ وهُوَ يَعْلَمُ أنهُ يَكْفُرُ بَعْدَهُ عَلَى قَوْلِهِمْ لَعْنَةُ الله عَلَيْهِمْ وصلى الله على رسولِهِ وآلِهِ وكَذٰلِكَ نُكَفِّرُ بِكُلِّ فِعْلٍ أجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ أنهُ لا يَصْدُرُ إلاَّ مِنْ كافِرٍ وإنْ كانَ صاحِبُهُ مُصَرِّحاً بالإسْلامِ مع فِعْلِهِ ذٰلِكَ الفِعْلَ كالسُّجُودِ لِلصَّنَمِ وللشَّمْسِ والقَمَرِ والصَّلِيبِ والنَّارِ والسَّعْيِ إلى الكَنائِسِ والبِيَعِ مَعَ أهْلِها والتَّزَيِّي بزِيِّهِمْ مِنْ شَدِّ الزَّنانِيرِ وفَحْصِ الرُّؤوس فَقَدْ أجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ أنّ هٰذَا لا يُوجَدُ إلاَّ مِنْ كافِرٍ وأنّ هٰذِهِ الأفْعالَ عَلامَةٌ عَلَى الكُفْرِ وإنْ صَرَّحَ فاعِلُها بالإسْلام وكَذٰلِكَ أجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ على تَكْفِيرِ كُلِّ مَنِ اسْتَحَلَّ القَتْلَ أو شُرْبَ الْخَمْرِ أوِ الزِّنى مِمّا حَرَّمَ الله بَعْدَ عِلْمِهِ بِتَحْرِيمِهِ كَأصْحابِ الإباحَةِ مِنَ القَرامِطَةِ وبَعْضِ غُلاةِ الْمُتَصَوِّفَةِ وكَذٰلِكَ نَقْطَعُ بِتَكْفِيرِ كُلِّ مَنْ كَذَّبَ وأنْكَرَ قاعِدَةً مِنْ قَواعِدِ الشَّرْعِ وما عُرِفَ يَقِيناً بالنَّقْلِ الْمُتَواتِرِ مِنْ فِعْلِ الرَّسُولِ وَوَقَعَ الإجْماعُ الْمُتَّصِلُ عَلَيْه كَمَنْ أنْكَرَ وُجُوبَ الصَّلَواتِ الْخَمْسِ وعَدَدَ رَكَعاتِها وسَجَداتِها ويَقُولُ إنّما أوْجَبَ الله عَلَيْنَا في كِتابِهِ

---

(١) إنه خاتم النبيين.. الحديث/ أخرجه الإمام البخاري في الصحيح: ٦/٥٥٨. كتاب المناقب (٦١) باب خاتم النبيين ﷺ الحديث ٣٥٣٤، ومسلم في الصحيح: ٤/ ١٧٩١ كتاب الفضائل (٤٣) باب كونه موته ﷺ خاتم النبيين (٧) الحديث: ٢٣/ ٢٢٨٧.

(٢) الكُمَيْلِيَّةُ: ليس من الفرق ما يلقب بهذا اللقب وإنما منهم فرقة من الشيعة تلقب بالكاملية نسبة إلى أبي كامل، كان يقول بكفر الصحابة بترك بيعة الإمام علي رضي الله عنه، ويكفر علي كرم الله وجهه بترك طلب الحق، كما كان يقول بالتناسخ في الأرواح عند الموت، وإنما الإمامة نور ينتقل من شخص إلى آخر وقد يصير في شخص بنبوة بعدما كانت في الآخر إمامة..

الصَّلاةَ على الْجُمْلَةِ وَكَوْنُها خَمْساً وعلى هٰذِهِ الصِّفات والشُّروطِ لا أعْلَمُهُ إذْ لَمْ يَرِدْ فِيهِ في القُرْآنِ نَصٌّ جَلِيٌّ والْخَبَرُ به عنِ الرسولِ الله ﷺ خَبَرُ واحِدٍ وَكَذٰلِكَ أُجْمِعَ على تَكْفِيرِ مَنْ قال مِنَ الْخَوارِجِ إنَّ الصَّلاةَ طَرَفِي النَّهارِ وعلى تَكْفِيرِ الباطِنِيَّةِ في قَوْلِهِمْ إنَّ الفَرائِضَ أسْماءُ رِجالٍ أُمِرُوا بولايَتِهِمْ والْخَبائِثُ والْمَحارِمُ أسْماءُ رِجالٍ أُمِرُوا بالبَراءَةِ مِنْهُمْ وقَوْلُ بَعْضِ الْمُتَصَوِّفَةِ إنَّ العِبادَةَ وطُولَ الْمُجاهَدَةِ إذا صَفَتْ نُفُوسُهُمْ أفْضَتْ بِهِم إلى إسْقاطِها وإباحَةِ كُلِّ شَيْءٍ لَهُمْ ورَفْعِ عُهَدِ الشَّرائِعِ عَنْهُمْ وكَذٰلِكَ إنْ أنْكَرَ مُنْكِرٌ مَكَّةَ أو البَيْتَ أوِ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ أوْ صِفَةَ الْحَجِّ أوْ قالَ الْحَجُّ واجِبٌ في القُرْآنِ وَٱسْتِقْبال القِبْلَةِ كَذٰلِكَ ولٰكِنْ كَوْنُهُ على هذه الْهَيْئَةِ الْمُتَعارَفَةِ وأنَّ تِلْكَ البُقْعَةَ هِيَ مَكَّةُ والبَيْتُ وَالْمَسْجِدُ الْحَرامُ لا أدْرِي هَلْ هِيَ تِلْكَ أو غَيْرُها ولَعَلَّ الناقِلينَ أنَّ النبيَّ ﷺ فَسَّرَها بِهٰذِهِ التَّفاسِيرِ غَلِطُوا ووَهِمُوا فَهٰذا ومِثْلُهُ لا مِرْيَةَ في تَكْفِيرِهِ إنْ كانَ مِمَّنْ يُظَنُّ بِهِ عِلْمُ ذٰلِكَ ومِمَّنْ خالَطَ الْمُسْلِمِينَ وَٱمْتَدَّتْ صُحْبَتُهُ لَهُمْ إلاَّ أنْ يَكُونَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِإسْلام فَيُقالُ لَهُ سَبِيلُكَ أنْ تَسْأَلَ عَنْ هٰذا الَّذِي لَمْ تَعْلَمْهُ بَعْدُ كافَّةَ الْمُسْلِمِينَ فَلا تَجِدُ بَيْنَهُمْ خِلافاً كافَّةً عَنْ كافَّةٍ إلى مُعاصِرِ الرَّسُولِ ﷺ أنَّ هذهِ الأُمُورَ كما قِيلَ لَكَ وأنَّ تِلْكَ البُقْعَةَ هِيَ مَكَّةُ والبَيْتُ الَّذِي فِيهَا هُو الكَعْبَةُ والقِبْلَةُ التي صَلَّى لَهَا الرَّسُولُ ﷺ والمُسْلِمُونَ وَحَجُّوا إلَيها وطافُوا بِهَا وأنَّ تِلْكَ الأفْعالَ هِيَ صِفاتُ عِبادَةِ الْحَجِّ والمُرادُ به وهِيَ التي فَعَلَها النبيُّ ﷺ والمُسْلِمُونَ وإنَّ صِفاتِ الصَّلَواتِ المَذْكُورَةِ هِيَ التي فَعَلَ النبيُّ ﷺ وَشَرَحَ مُرادَ الله بِذٰلِكَ وَأبانَ حُدُودَها فَيَقَعُ لَكَ العِلْمُ كما وَقَعَ لَهُمْ ولا تَرْتابُ بِذٰلِكَ بَعْدُ والمُرْتابُ في ذٰلِكَ والمُنْكِرُ بَعْدَ البَحْثِ وصُحْبَةِ المُسْلِمِينَ كافِرٌ باتِّفاقٍ ولا يُعْذَرُ بقوله لا أدْرِي ولا يُصَدَّقُ فيه بَلْ ظاهِرُهُ التَّسَتُّرُ عَنِ التكْذِيبِ إذْ لا يُمْكِنُ أنهُ لا يدْرِي وأيْضاً فإنَّهُ إذا جَوَّزَ على جَمِيعِ الأُمَّةِ الوَهْمَ والغَلَطَ فِيما نَقَلُوهُ مِنْ ذٰلِكَ وأجْمَعُوا أنهُ قَوْلُ الرَّسُولِ وفِعْلُهُ وتَفْسِيرُ مُرادِ الله به أدْخَلَ الاسْتِرابَةَ في جَمِيعِ الشَّرِيعَةِ إذْ هُمُ النَّاقِلُونَ لَها ولِلْقُرْآنِ وانحَلَّتْ عُرَى الدِّينِ كَرَّةً ومَنْ قال هٰذا كافِرٌ وكذلك مَنْ أنْكَرَ القُرْآنَ أوْ حَرْفاً مِنْهُ أوْ غَيَّرَ شَيْئاً مِنْهُ أوْ زادَ فِيهِ كَفِعْلِ البَاطِنِيَّةِ والإسْماعِيلِيَّةِ أوْ زَعَمَ أنهُ لَيْسَ بِحُجَّةٍ لِلنبيِّ ﷺ أوْ لَيْسَ فيه حُجَّةٌ ولا مُعْجِزَةٌ كَقَوْلِ هِشامِ الفُوطِيِّ وَمَعْمَرٍ الصَّيْمَرِيِّ إنَّهُ لا يَدُلُّ على الله ولا حُجَّةَ فيه لِرَسُولِهِ ولا يَدُلُّ على ثَوابٍ ولا عِقابٍ ولا حُكْمٍ ولا مَحالَةَ في كُفْرِهِمَا بذلكَ القَوْلِ وكذلكَ نُكَفِّرُهُما بإنْكارِهِمَا أنْ يَكُونَ في سائِرِ مُعْجِزاتِ النَّبِيِّ ﷺ حُجَّةٌ لَهُ أوْ في خَلْقِ السَّمٰواتِ وَالأرْضِ دَلِيلٌ على الله لِمُخالَفَتِهِمُ الإجْماعَ والنَّقْلَ المُتَواتِرَ عن النبيِّ ﷺ باحْتِجاجِهِ بِهٰذا كُلِّهِ وَتَصْرِيحِ القُرْآنِ بِهِ وكذلكَ مَنْ أنْكَرَ شَيْئاً مِمَّا نَصَّ فيهِ القُرْآنُ بَعْدَ عِلْمِهِ أنهُ مِنَ القُرْآنِ الذِي في أيْدِي النَّاسِ ومَصاحِفِ المُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ جاهِلاً به ولا قَرِيبَ عَهْدٍ بالإسْلام وَاحْتَجَّ لإنكارِه إمَّا بأنهُ لَمْ يَصِحَّ النَّقْلُ عِنْدَهُ ولا بَلَغَهُ العِلْمُ بِهِ أوْ لِتَجْوِيزِ الوَهْمِ على ناقلة تُكَفِّرُهُ بالطَّرِيقَيْنِ المُتَقَدِّمَيْنِ لأنَّهُ مُكَذِّبٌ لِلْقُرْآنِ مُكَذِّبٌ لِلنبيِّ ﷺ لٰكِنَّهُ تَسَتَّرَ بدَعْواهُ وكذلكَ مَنْ أنْكَرَ الْجَنَّةَ أوِ النَّارَ أو البَعْثَ أو

الحِسَابَ أَوِ القِيَامَةَ فَهُوَ كَافِرٌ بِإجْمَاعٍ لِلنصِّ عليه وإجْماعِ الأُمَّةِ على صِحَّةِ نَقْلِهِ مُتَوَاتِراً وكذلكَ مَنِ اعْتَرَفَ بذلكَ ولٰكِنَّهُ قال إنَّ المُرَادَ بالجَنَّةِ والنَّارِ والحَشْرِ والنَّشْرِ والثَّوَابِ والعِقَابِ مَعْنًى غَيْرُ ظاهِرِهِ وأنَّهَا لَذَّاتٌ رُوحانِيَّةٌ ومعانٍ باطِنَةٌ كَقَوْلِ النَّصارَى والفَلاسِفَةِ والباطِنِيَّةِ وبَعْضِ المُتَصَوِّفَةِ وزَعَمَ أنَّ مَعْنَى القِيامَةِ المَوْتُ أوْ فَناءٌ مَحْضٌ وَانْتِقَاضُ هَيْئَةِ الأفلاكِ وتَحْلِيلُ العَالَمِ كَقَوْلِ بَعْضِ الفَلاسِفَةِ وكذلِكَ نَقْطَعُ بِتَكْفِيرِ غلاة الرَّافِضَةِ في قَوْلِهِمْ إنَّ الأئمة أفْضَلُ مِنَ الأنْبِياءِ فأمَّا مَنْ أنْكَرَ ما عُرِفَ بالتَّوَاتُرِ مِنَ الأخْبارِ والسِّيَرِ والبِلادِ التي لا يَرْجِعُ إلى إبْطالِ شَرِيعَةٍ ولا يُفْضِي إلى إنْكارِ قاعِدَةٍ مِنَ الدِّينِ كإنْكار غَزْوَةِ تَبُوكٍ[(١)] أوْ مُؤْتَةَ[(٢)] أوْ وُجُودِ أبي بَكْرٍ[(٣)] وعُمَرَ[(٤)] أوْ قَتْلِ عُثْمَانَ[(٥)] أوْ خِلافَةِ عَلِيٍّ[(٦)] ممَّا علِم بالنَّقْلِ ضَرُورَةً ولَيْسَ في إنْكارِهِ جَحْدُ شَرِيعَةٍ فلا سَبِيلَ إلى تَكْفِيرِهِ بِجَحْدِ ذلك وإنْكار وُقُوعِ العِلْمِ لَهُ إذْ لَيْسَ في ذٰلِكَ أكْثَرُ مِنَ المُبَاهَتَةِ كإنْكارِ هِشَامٍ وَعِبادٍ وَقْعَةَ الْجَمَلِ وَمُحَارَبَةَ عَلِيٍّ مَنْ خَالَفَهُ فأمَّا إنْ ضَعَّفَ ذٰلِكَ مِنْ أجْلِ تُهْمَةِ النَّاقِلِينَ وَوَهَّمَ المُسْلِمِينَ أجْمَعَ فَتُكَفِّرُهُ بِذٰلِكَ لِسَرَيانِهِ إلَى إبْطالِ الشَّرِيعَةِ فأمَّا مَنْ أنْكَرَ الإجْمَاعَ المُجَرَّدَ الَّذِي لَيْسَ طَرِيقَهُ النَّقْلُ المُتَوَاتِرُ عَنِ الشَّارِعِ فأكْثَرُ المُتَكلمينَ ومِنَ الفُقَهاءِ وَالنُّظَّارِ في هٰذَا البَابِ قالُوا بِتَكْفِيرِ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الإجْمَاعَ الصَّحِيحَ الجَامِعَ لِشُرُوطِ الإجْماعِ المُتَّفَقِ عَلَيْهِ عُمُوماً وَحُجَّتُهُمْ قولُهُ تَعالَى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ [النساء: ١١٥] الآيَة وَقَوْلُهُ ﷺ **«مَنْ خَالَفَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ»** وَحَكَوا الإجْماعَ على تَكْفِيرِ مَنْ خالَفَ الإجْماعَ وَذَهَبَ آخَرُونَ إلى الوُقُوفِ عَنِ القَطْعِ بِتَكْفِيرِ مَنْ خَالَفَ الإجْماعَ الَّذِي يَخْتَصُّ بِنَقْلِهِ الْعُلَماءُ وَذَهَبَ آخَرُونَ إلى التَّوَقُّفِ في تَكْفِيرِ مَنْ خَالَفَ الإجْماعَ الكائِنَ عَنْ نَظَرٍ كَتَكْفِيرِ النَّظَّامِ بإنْكارِهِ الإجْماعَ لأنَّهُ بِقَوْلِهِ هٰذا مُخالِفٌ إجْماعَ السَّلَفِ على احْتِجاجِهِمْ بِهِ خارِقٌ للإجْمَاعِ، قالَ القَاضِي أبو بكر[(٧)] القَوْلُ عِنْدِي أنَّ الكُفْرَ بالله هُوَ الجَهْلُ بِوُجُودِهِ والإيمانُ بالله هُوَ العِلْمُ - بِوُجُودِهِ وَأنَّهُ لاَ يُكَفَّرُ أحَدٌ بِقَوْلٍ وَلاَ رَأْيٍ إلاَّ أنْ يَكُونَ هُوَ الجَهْلُ بالله فإنْ عَصَى بِقَوْلٍ أوْ فِعْلٍ نَصَّ الله وَرَسُولُهُ أوْ أجْمَعَ المُسْلِمُونَ أنَّهُ لا يُوجَدُ إلاَّ مِنْ كافِرٍ أوْ يَقُومُ دَلِيلٌ على ذٰلِكَ فَقَدْ كَفَرَ لَيْسَ لأجْلِ قَوْلِهِ أوْ فِعْلِهِ لٰكِنْ لِمَا يُقارِنه مِنَ الكُفر فالكُفْرُ بالله لا يَكُونُ إلاَّ بِأحد ثلاثَةِ أُمُورٍ أحَدُهَا

---

(١) تبوك. غزوة ترأس جيوشها النبي ﷺ سنة ٩ هـ وفيها وقع حديث الإفك.
(٢) مؤتة أو غزوة الأمراء كانت سنة ٨ هـ مع الروم.
(٣) أبو بكر رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.
(٤) عمر رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.
(٥) عثمان رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.
(٦) علي رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.
(٧) القاضي أبو بكر. تقدمت ترجمته.

الجَهْلُ بالله تَعَالَى وَالثَّانِي أَنْ يَأْتِيَ فِعْلاً أَوْ يَقُولَ قَوْلاً يُخْبِرُ الله وَرَسُولُهُ أَوْ يُجْمِعُ المُسْلِمُونَ أَنَّ ذٰلِكَ لاَ يَكُونَ إلاَّ مِنْ كافِرٍ كالسُّجُودِ لِلصَّنَمِ وَالْمَشْيِ إلى الكَنائِسِ بالتِزَامِ الزُّنَّارِ مَعَ أَصْحَابِهَا في أَعْيَادِهِمْ أَوْ يَكُونَ ذٰلِكَ الْقَوْلُ أَوْ الفِعْلُ لاَ يُمْكِنُ مَعَهُ العِلْمُ بالله قالَ فَهٰذَانِ الضَّرْبَانِ وَإِنْ لَمْ يَكُونا جَهْلاً بالله فَهُمَا عَلَمٌ أَنَّ فاعِلَهُمَا كافِرٌ مُنْسَلِخٌ مِنَ الإيمانِ فأمّا مِنْ نَفَى صِفَةً مِنْ صِفَاتِ الله تَعَالَى الذَّاتِيَّةِ أَوْ جَحَدَهَا مُسْتَبْصِراً في ذٰلِكَ كَقَوْلِهِ: لَيْسَ بِعَالِمٍ وَلاَ قَادِرٍ وَلاَ مُرِيدٍ ولا مُتَكَلِّمٍ وَشِبْهِ ذٰلِكَ مِنْ صِفَاتِ الكَمَالِ الْوَاجِبَةِ لَهُ تَعَالَى فَقَدْ نَصَّ أَئِمَّتُنَا على الإجْمَاعِ عَلَى كُفْرِ مَنْ نَفَى عَنْهُ تَعَالَى الْوَصْفَ بِهَا وَأَعْرَاهُ عَنْهَا وعلى هٰذَا حُملَ قَوْلُ سُحْنُونٍ[1] مَنْ قالَ لَيْسَ لله كَلامٌ فَهُوَ كافِرٌ وَهُوَ لا يُكَفِّرُ المُتَأَوِّلِينَ كما قَدَّمْنَاهُ فأمّا مَنْ جَهِلَ صِفَةً مِنْ هٰذِهِ الصِّفَاتِ فاخْتَلَفَ العُلَمَاءُ هٰهُنَا فَكَفَّرَهُ بَعْضُهُمْ وَحُكِيَ ذٰلِكَ عَنْ أبي جَعْفَرٍ الطَّبَرِيِّ[2] وَغَيْرِهِ وَقَالَ به أبو الْحَسَنِ الأشْعَرِيُّ[3] مَرَّةً وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إلى أَنَّ هٰذَا لاَ يُخْرِجُهُ عَن اسْمِ الإيمانِ وَإِلَيْهِ رَجَعَ الأشْعَرِيُّ قالَ: لأَنَّهُ لَمْ يَعْتَقِدْ ذٰلِكَ اعْتِقَاداً يَقْطَعُ بِصَوَابِهِ وَيَرَاهُ دِيناً وَشَرْعاً وَإِنَّمَا يَكْفُرُ مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ مَقَالَهُ حَقٌّ وَاحْتَجَّ هٰؤُلاَءِ بِحَدِيثِ السَّوْدَاءِ وَأَنَّ النَّبيَّ ﷺ إنَّمَا طَلَبَ مِنْهَا التَّوْحِيدَ لاَ غَيْرُ وَبِحَدِيثِ القَائِلِ لَئِنْ قَدَرَ الله عَلَيَّ وَفي رِوَايَةٍ فِيهِ لَعَلِّي أَضِلُّ الله ثُمَّ قال: فَغَفَرَ الله لَهُ قالوا وَلَوْ بُوحِثَ أَكْثَرُ النَّاسِ عَنِ الصِّفاتِ وكُوشِفُوا عَنْهَا لَمَا وُجِدَ مَنْ يَعْلَمها إلاَّ الأقَلُّ، وَقَدْ أجابَ الآخَرُ عن هذا الحَدِيثِ بِوُجُوهٍ مِنْهَا أَنَّ قَدَرَ بِمَعْنَى قَدَّرَ ولا يَكُونُ شَكُّهُ في القُدْرَةِ على إحْيَائِهِ بَلْ في نَفْسِ البَعْثِ الَّذِي لا يُعْلَمُ إلاَّ بِشَرْعٍ ولَعَلَّهُ لَمْ يَكُنْ وَرَدَ عِنْدَهُمْ به شَرْعٌ يُقْطَعُ عَلَيْهِ فَيَكُونُ الشَّكُّ فِيهِ حِينَئِذٍ كُفْراً فَأَمَّا ما لَمْ يَرِدْ بِهِ شَرْعٌ فَهُوَ مِنْ مُجَوِّزَاتِ العُقُولِ أَوْ يَكُونُ قَدَرَ بِمَعْنَى ضَيَّقَ وَيَكُونُ ما فَعَلَهُ بِنَفْسِهِ إزْرَاء عَلَيْها وَغَضَباً لِعِصْيانِها وقِيل: إنَّمَا قال ما قالَهُ وهُوَ غَيْرُ عاقِلٍ لِكَلامه ولا ضابِطٍ لِلَفْظِهِ مِمَّا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ مِنَ الْجَزَعِ والخَشْيَةِ الَّتي أَذْهَبَتْ لُبَّهُ فَلَمْ يُؤاخَذْ به وقيلَ كانَ هٰذَا في زَمَنِ الفَتْرَةِ وَحَيْثُ يَنْفَعُ مُجَرَّدُ التَّوْحِيدِ وقِيلَ بَلْ هٰذَا مِنْ مَجَازِ كَلاَمِ العَرَبِ الَّذِي صُورَتُهُ الشَّكُّ ومَعْنَاهُ التَّحْقِيقُ وهُوَ يُسَمَّى تَجاهُلَ العارِفِ ولَهُ أَمْثِلَةٌ في كَلامِهِمْ كقولِهِ تَعالَى: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٤] وقولِهِ: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:٢٤] فَأَمَّا مَنْ أَثْبَتَ الْوَصْفَ ونَفَى الصِّفَةَ فقالَ أَقُولُ عالِمٌ ولٰكِنْ لا عِلْمَ لَهُ وَمُتَكَلِّمٌ ولٰكِنْ لا كَلامَ لَهُ وهٰكَذا في سائِرِ الصِّفاتِ على مَذْهَبِ المُعْتَزِلَةِ فَمَنْ قال بالمِآلِ لِمَا يُؤَدِّيهِ إلَيْهِ قولُهُ ويَسُوقُهُ إلَيْهِ مَذْهَبُهُ كَفَّرَهُ لأنَّهُ إذا نَفَى العِلْمَ انْتَفَى وَصْفُ عالِمٍ إذْ لا يُوصَفُ بِعالِمٍ إلاَّ مَنْ لَهُ عِلْمٌ فكأنَّهُمْ

(١) سحنون. تقدمت ترجمته.

(٢) أبو جعفر الطبري. تقدمت ترجمته.

(٣) أبو الحسن الأشعري. تقدمت ترجمته.

صَرَّحُوا عِنْدَهُ بما أَدَّى إِلَيْه قَوْلُهُمْ وهٰكَذَا عِنْدَ هٰذَا سائِرُ فِرَق أَهْلِ التَّأْوِيلِ مِنَ الْمُشَبِّهَةِ وَالقَدَرِيَّة وغَيْرِهِمْ وَمَنْ لَمْ يَرَ أخْذَهُمْ بِمآلِ قولِهِمْ ولا أَلْزَمَهُمْ مُوجِبَ مَذْهَبِهِمْ لَمْ يَرَ إِكفَارَهُمْ قال لأَنَّهُمْ إذا وُقِّفوا عَلَى هٰذَا قالُوا لا نقولُ لَيْسَ بِعالِمٍ وَنَحْنُ نَنْتَفِي مِنَ القَوْلِ بِالْمآلِ الَّذِي أَلْزَمْتُمُوهُ لَنَا وَنَعْتَقِدُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ أَنهُ كُفْرٌ بَلْ نَقولُ إِنَّ قَوْلَنَا لا يَؤُولُ إِلَيْهِ على ما أَصَّلْنَاهُ فَعَلَى هٰذَيْنِ الْمَأْخَذَيْنِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي إِكْفَارِ أَهْلِ التَّأْوِيل وإذا فَهِمْتَهُ اتَّضَحَ لَكَ المُوجِبُ لاخْتِلافِ النَّاسِ فِي ذٰلِكَ والصَّوَابُ تَرْكُ إِكْفارِهِمْ والإِعْراضِ عَنِ الْحَتْمِ عَلَيْهِمْ بالْخُسْرانِ وإِجْراءُ حُكْمِ الإِسْلامِ عَلَيْهِمْ في قِصاصِهِمْ ووِراثاتِهِمْ ومُناكَحاتِهِمْ ودِيَاتِهِمْ والصَّلواتُ عَلَيْهِمْ ودَفْنِهِمْ في مَقَابِرِ المُسْلِمِينَ وسائِرِ مُعامَلاتِهِمْ لٰكِنَّهُمْ يُغَلَّظُ عَلَيْهِمْ بِوَجِيعِ الأَدَبِ وشَدِيدِ الزَّجْرِ والهَجْرِ حَتَّى يَرْجِعُوا عَنْ بِدْعَتِهِمْ وهٰذِهِ كانَتْ سِيرَةُ الصَّدْرِ الأَوَّلِ فِيهِمْ فَقَدْ كانَ نَشَأَ عَلَى زَمَنِ الصَّحابَةِ وَبَعْدَهُمْ فِي التابِعينَ مَنْ قال بِهٰذِهِ الأَقْوالِ مِنَ القَدَرِ وَرأْيِ الْخَوارِجِ والاعْتِزالِ فَما أَزاحُوا لَهُمْ قَبْراً ولا قَطَعُوا لأَحَدٍ مِنْهُمْ مِيراثاً لٰكِنَّهُمْ هَجَرُوهُمْ وأَدَّبُوهُمْ بالضَّرْبِ والنَّفْيِ والقَتْلِ على قَدْرِ أَحْوالِهِمْ لأَنَّهُمْ فُسَّاقٌ ضُلَّالٌ عُصاةٌ أَصْحابُ كَبائِرَ عِنْدَ المُحَقِّقِينَ وَأَهْلِ السُّنَّةِ مِمَّنْ لَمْ يَقُلْ بِكُفْرِهِمْ مِنْهُمْ خلافاً لِمَنْ رَأَى غَيْرَ ذٰلِكَ واللهُ الْمُوَفِّقُ للصَّوابِ قال القاضِي أبو بكرٍ[(١)] وأَمَّا مَسائِلُ الْوَعْدِ والْوَعِيدِ والرُّؤْيَةِ والمَخْلُوقِ وخَلْقِ الأَفعالِ وبَقَاءِ الأَعْراضِ والتَّوَلُّدِ وشِبْهِها مِنَ الدَّقائقِ فالْمَنْعُ فِي إِكْفارِ الْمُتَأَوِّلِينَ فيها أَوْضَحُ إِذْ لَيْسَ في الْجَهْلِ بِشَيْءٍ مِنها جَهْلٌ باللهِ تَعالَى ولا أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ على إِكْفارِ مَنْ جَهِلَ شَيْئاً مِنها وقَدْ قَدَّمْنا فِي الفَصْلِ قَبْلَهُ مِنَ الكَلامِ وصُورَةِ الْخِلاف في هٰذَا ما أَغْنَى عَنْ إِعادَتِه بِحَوْلِ اللهِ تَعالَى.

الفصل الخامس: حكم الذمي إذا سب الله عز وجل

هذا حُكْمُ المُسْلِمِ السَّابِّ لله تَعالَى وأَمَّا الذِّمِّيُّ فَرُوِيَ عن عبدِ الله بن عمرَ[(٢)] في ذِمِّيٍّ تَناوَلَ مِنْ حُرْمَةِ اللهِ تَعالَى غَيْرَ ما هُوَ عَلَيْه مِنْ دِينِهِ وحاجَّ فِيهِ فَخَرَجَ ابنُ عمرَ عليهِ بالسَّيْفِ فَطَلَبَهُ فَهَرَبَ وقال مالِكٌ[(٣)] في كِتابِ ابنِ حَبِيبٍ[(٤)] والْمَبْسُوطَةِ، وابنُ القاسمِ في الْمَبْسُوطِ وكِتابِ محمدٍ وابنِ سُحْنُونٍ: مَنْ شَتَمَ اللهَ مِنَ اليَهُودِ والنَّصارَى بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي كَفَرَ به قُتِلَ ولَمْ يُسْتَتَبْ قال ابنُ القاسِمِ[(٥)] إلاَّ أَنْ يُسْلِمَ قال في المَبْسُوطَةِ طَوْعاً قال أَصْبَغُ لأَنَّ الْوَجْهَ الَّذِي بِهِ

---

(١) القاضي أبو بكر. تقدمت ترجمته.
(٢) عبد الله بن عمر. تقدمت ترجمته.
(٣) مالك. تقدمت ترجمته.
(٤) ابن حبيب. تقدمت ترجمته.
(٥) ابن القاسم. تقدمت ترجمته.

كَفَرُوا هُوَ دِينُهُمْ وعَلَيْهِ عُوهِدُوا مِنْ دَعْوى الصاحبَة والشَّرِيكِ والْوَلَدِ وَأَمَّا غَيْرُ هٰذَا مِنَ الفِرْيَةِ والشَّتْمِ فَلَمْ يُعاهَدُوا عليه فَهُوَ نَقْضٌ لِلْعَهْدِ قال ابنُ القاسم في كتابِ محمدٍ[1] ومَنْ شَتَمَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الأَدْيانِ الله تَعالَى بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذي ذُكِرَ في كِتابه قُتِلَ إلاَّ أَنْ يُسْلِمَ وقال المَخْزومِي في المَبْسُوطَة ومحمدُ بنُ مَسْلَمَةَ[2] وابنُ أبي حازِمٍ[3] لا يُقْتَلُ حَتَّى يُسْتَتابَ؛ مُسْلِماً كانَ أَوْ كافِراً فَإِنْ تابَ وإلاَّ قُتِلَ وقال مُطَرِّفٌ[4] وعبدُ المَلِكِ[5] مِثْلَ قَوْلِ مالِكٍ[6] وقال أبو محمدِ بن أبي زيدٍ[7] مَنْ سَبَّ الله تَعالَى بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذي بِهِ كَفَرَ قُتِلَ إلاَّ أَنْ يُسْلِم وَقَدْ ذَكَرْنا قَوْلَ ابنِ الجَلاَّبِ[8] قَبْلُ وذَكَرْنا قَوْلَ عُبَيْدِ الله وابنُ لُبابَةَ[9] وشُيُوخ الأَنْدَلُسِيِّينَ في النَّصْرانِيَّةِ وفُتْياهُمْ بِقَتْلِها لِسَبِّها بالْوَجْهِ الَّذي كَفَرَتْ بِهِ الله والنبيَّ وإِجْماعَهُمْ على ذٰلِكَ وهُوَ نَحْوُ القَوْلِ الآخِرِ فِيمَنْ سَبَّ النبيَّ ﷺ مِنْهُم بالْوَجْهِ الَّذي كَفَرَ به ولا فَرْقَ في ذٰلِكَ بَيْنَ سَبِّ الله وَسَبِّ نَبِيِّهِ لأَنَّا عاهَدْناهُمْ على أَنْ لا يُظْهِرُوا لَنا شَيْئاً مِنْ كُفْرِهِمْ وأَنْ لا يُسْمِعُونا شَيْئاً مِنْ ذٰلِكَ فَمَتَى فَعَلُوا شَيْئاً مِنْهُ فَهُوَ نَقْضٌ لِعَهْدِهِمْ وَاخْتَلَفَ العُلَماءُ في الذِّمِّيِّ إذا تَزَنْدَقَ فقال مالِكٌ ومُطَرِّفٌ وابنُ عبدِ الحَكَمِ[10] وأَصْبَغُ[11] لا يُقْتَلُ لأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ كُفْرٍ إلى كُفْرٍ وقال عبدُ المَلِكِ بنُ المَاجِشُونِ يُقْتَلُ لأَنَّهُ دِينٌ لا يُقَرُّ عليه أَحَدٌ ولا يُؤْخَذُ عليه جِزْيَةٌ قال ابنُ حَبِيبٍ وما أَعْلَمُ مَنْ قالَهُ غَيْرَهُ.

الفصل السادس: حكم ادعاء الإلهية أو الكذب على الله

هٰذَا حُكْمُ مَنْ صَرَّحَ بِسَبِّهِ وإضافةِ ما لا يَليقُ بِجَلالِهِ وإلٰهِيَّتِهِ.

فَأَمَّا مُفْتَرِي الكَذِبِ عليهِ تَبارَكَ وتعالى بادِّعاءِ الإلٰهِيَّةِ أَوِ الرِّسالةَ أو النَّافي أَنْ يَكُونَ الله خالِقَهُ أَوْ رَبَّهُ أَوْ قال لَيْسَ لي رَبٌّ أَوِ الْمُتَكَلِّمُ بما لا يُعْقَلُ مِنْ ذٰلِكَ في سَكْرِهِ أَوْ غَمْرَةِ جُنُونِهِ فَلا خِلافَ في كُفْرِ قائِلِ ذٰلِكَ ومُدَّعِيهِ مَعَ سَلامَةِ عَقْلِهِ كما قَدَّمْناهُ لٰكِنَّهُ تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ على المَشْهُورِ وَتَنْفَعُهُ إنابَتُهُ وتُنَجِّيهِ مِنَ القَتْلِ فَيْأَتُهُ لٰكِنَّهُ لا يَسْلَمُ مِنْ عَظِيمِ النَّكالِ ولا يُرَفَّهُ عَنْ شَدِيدِ العِقابِ لِيَكُونَ ذٰلِكَ زَجْراً لِمِثْلِهِ عَنْ قوله ولَهُ عَنِ العَوْدَةِ لِكُفْرِهِ أَوْ جَهْلِهِ إلاَّ مَنْ تَكَرَّرَ مِنْهُ ذٰلِكَ وعُرِفَ اسْتِهانَتُهُ بما أَتَى به فَهُوَ دَلِيلٌ على سُوءِ طَوِيَّتِهِ وكَذِبِ تَوْبَتِهِ وصارَ كالزِّنْدِيقِ الَّذي لا نَأْمَنُ باطِنَهُ ولا نَقْبَلُ رُجُوعَهُ وحُكْمُ السَّكْرانِ في ذٰلِكَ حُكْمُ الصاحِي وأَمَّا المَجْنُونُ والْمَعْتُوهُ فما عُلِمَ أَنَّهُ

---

(١) محمد بن سحنون. تقدمت ترجمته.
(٢) محمد بن مسلمة. تقدمت ترجمته.
(٣) ابن أبي حازم. تقدمت ترجمته.
(٤) مطرف. تقدمت ترجمته.
(٥) عبد الملك. تقدمت ترجمته.
(٦) مالك. تقدمت ترجمته.
(٧) محمد بن أبي زيد. تقدمت ترجمته.
(٨) ابن الجلاب. تقدمت ترجمته.
(٩) ابن لبابة. تقدمت ترجمته.
(١٠) ابن عبد الحكم. تقدمت ترجمته.
(١١) أصبغ. تقدمت ترجمته.

قالَهُ مِنْ ذٰلِكَ في حالِ غَمْرَتِهِ وذَهابِ مَيْزِهِ فَلا نَظَرَ فيه وما فَعَلَهُ مِنْ ذٰلِكَ في حالِ مَيْزِهِ وإنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ عَقْلُهُ وسَقَطَ تَكْلِيفُهُ أُدِّبَ على ذٰلِكَ لِيَنْزَجِرَ عَنْهُ كما يُؤَدَّبُ على قَبائِحِ الأفْعالِ ويُوالَى أدَبُهُ على ذٰلِكَ حَتَّى يَنْكَفَّ عَنْهُ كما تُؤَدَّبُ البَهِيمَةُ على سُوءِ الخُلُقِ حَتَّى تُرَاضَ وقَدْ أَحْرَقَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِبٍ [(١)] رَضِيَ الله عَنْهُ مَنِ ادَّعَى لَهُ الإلٰهِيَّةَ وَقَدْ قَتَلَ عبدُ المَلِكِ بنُ مَرْوَانَ [(٢)] الحَارِثَ المُتَنَبِّي [(٣)] وصَلَبَهُ وفَعَلَ ذٰلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الخُلَفَاءِ والمُلُوكِ بأَشْبَاهِهِمْ وأَجْمَعَ عُلَمَاءُ وَقْتِهِمْ على صَوَابِ فِعْلِهِمْ والمُخَالِفُ في ذٰلِكَ مِنْ كُفْرِهِمْ كافِرٌ وأَجْمَعَ فُقَهاءُ بَغْدَادَ أَيَّامَ المُقْتَدِرِ مِنَ المَالِكِيَّةِ وقاضِي قُضاتِهَا أبو عُمَرَ المَالِكِيُّ [(٤)] على قَتْلِ الحَلَّاجِ [(٥)] وَصَلْبِهِ لِدَعْوَاهُ الإلٰهِيَّةَ والقَوْلَ بالحُلُولِ وَقَوْلِهِ: ـ أنا الحَقُّ ـ مَعَ تمسُّكِهِ في الظَّاهِرِ بالشَّرِيعَةِ وَلَمْ يَقْبَلُوا تَوْبَتَهُ وكَذلك حَكَمُوا في ابنِ أَبِي الفَرَاقِيد [(٦)] وكانَ على نَحْوِ مَذْهَبِ الحَلَّاجِ بعدَ هذا أَيَّامَ الرَّاضِي بالله [(٧)] وقاضِي قُضاةِ بَغْدَادَ يَوْمَئِذٍ أبو الحُسَيْنِ بنُ أَبِي عُمَرَ المَالِكِيُّ [(٨)]: وقالَ ابنُ عبدِ الحَكَمِ [(٩)] في المَبْسُوطِ مَنْ تَنَبَّأَ قُتِلَ؛ وقال أبو حَنِيفَةَ [(١٠)] وأَصْحَابُهُ: مَنْ جَحَدَ أَنَّ الله تَعَالَى خالِقُهُ أَوْ رَبُّهُ أَوْ قالَ لَيْسَ لِي رَبٌّ فَهُوَ مُرْتَدٌّ؛ وقال ابنُ القَاسِمِ [(١١)] في كِتابِ ابنِ حَبِيبٍ [(١٢)] ومحمدٍ [(١٣)] في العُتْبِيَّةِ فيمَنْ تَنَبَّأَ يُسْتَتَابُ أَسَرَّ ذلكَ أَوْ أَعْلَنَهُ وهوَ كالمُرْتَدِّ وقالَهُ سُحْنُونُ [(١٤)] وَغَيْرُهُ وقالَهُ أَشْهَبُ في يَهُودِيٍّ تَنَبَّأَ وادَّعَى أنهُ رَسُولٌ إِلَيْنَا إنْ كانَ مُعْلِناً بذلك اسْتُتِيبَ فإنْ تابَ وَإلاَّ قُتِلَ، وقال أبو محمدِ بنُ أَبِي زَيْدٍ [(١٥)] فَمَنْ لَعَنَ بارِئَهُ وادَّعَى أَنَّ لِسَانَهُ زَلَّ وَإنَّمَا أرَادَ لَعْنَ الشَّيْطَانِ يُقْتَلُ بِكُفْرِهِ ولا يُقْبَلُ عُذْرُهُ وهٰذَا على القَوْلِ الآخَرِ مِنْ أنهُ لا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ وقال أبو الحَسَنِ القابِسِيُّ [(١٦)] في سَكْرَانَ قال: أنا الله أنا الله إنْ تابَ أُدِّبَ فإنْ عادَ إلى مِثْلِ قَوْلِهِ طُولِبَ مُطَالَبَةَ الزِّنْدِيق لأنَّ هٰذا كُفْرُ المُتَلَاعِبِينَ.

الفصل السابع: حكم من تعرض بساقط القول وسخيف اللفظ لله تعالى دون قصد

وَأَمَّا مَنْ تَكَلَّمَ مِنْ سَقَطِ القَوْلِ وَسُخْفِ اللَّفْظِ مِمَّنْ لم يَضْبِطْ كلامَهُ وأَهْمَلَ لِسَانَهُ بِمَا

---

(١) علي بن أبي طالب. تقدمت ترجمته.
(٢) عبد الملك بن مروان. تقدمت ترجمته.
(٣) الحارث المتنبي. تقدمت ترجمته.
(٤) أبو عمر المالكي. تقدمت ترجمته.
(٥) الحلاج. تقدمت ترجمته.
(٦) ابن أبي الفراقيد وفي نسخة الفراقير وهو محمد بن علي بن أبي الفراقيد ت/ ٣٢٢هـ.
(٧) الراضي بالله. تقدمت ترجمته.
(٨) أبو الحسين بن أبي عمر المالكي. تقدمت ترجمته.
(٩) ابن عبد الحكم. تقدمت ترجمته.
(١٠) أبو حنيفة. تقدمت ترجمته.
(١١) ابن القاسم. تقدمت ترجمته.
(١٢) ابن حبيب. تقدمت ترجمته.
(١٣) محمد. تقدمت ترجمته.
(١٤) سحنون. تقدمت ترجمته.
(١٥) أبو محمد بن أبي زيد. تقدمت ترجمته.
(١٦) أبو الحسن القابسي. تقدمت ترجمته.

يَقْتَضِي الاسْتِخْفَافَ بِعَظَمَةِ رَبِّهِ وَجَلالَةِ مَوْلاهُ أَوْ تَمَثَّلَ فِي بَعْضِ الأَشْيَاءِ بِبَعْضِ مَا عَظَّمَ اللهُ مِنْ مَلَكُوتِهِ أَوْ نَزَعَ مِنَ الكَلامِ لِمَخْلُوقٍ بِمَا لا يَلِيقُ إلا فِي حَقِّ خَالِقِهِ غَيْرَ قَاصِدٍ لِلْكُفْرِ وَالاسْتِخْفَافِ وَلا عَامِدٍ لِلإِلْحَادِ فَإِنْ تَكَرَّرَ هٰذَا مِنْهُ وَعُرِفَ بِهِ دَلَّ عَلَى تَلاعُبِهِ بِدِينِهِ وَاسْتِخْفَافِهِ بِحُرْمَةِ رَبِّهِ وَجَهْلِهِ بِعَظِيمِ عِزَّتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ وَهٰذَا كُفْرٌ لا مِرْيَةَ فِيهِ وَكَذٰلِكَ إِنْ كَانَ مَا أَوْرَدَهُ يُوجِبُ الاسْتِخْفَافَ وَالتَّنَقُّصَ لِرَبِّهِ وَقَدْ أَفْتَى ابنُ حَبِيبٍ[(١)] وَأَصْبَغُ بنُ خَلِيلٍ[(٢)] مِنْ فُقَهَاءِ قُرْطُبَةَ بِقَتْلِ المَعْرُوفِ بِابنِ أَخِي عَجَبٍ وَكَانَ خَرَجَ يَوْماً فَأَخَذَهُ المَطَرُ فَقَالَ: بَدَأَ الخَرَّازُ[(٣)] يَرُشُّ جُلُودَهُ، وَكَانَ بَعْضُ الفُقَهَاءِ بِهَا أَبُو زَيْدٍ[(٤)] صَاحِبُ الثَّمَانِيَةِ وَعَبْدُ الأَعْلَى بنُ وَهْبٍ[(٥)] وَأَبَانُ بنُ عِيسَى[(٦)] قَدْ تَوَقَّفُوا عَنْ سَفْكِ دَمِهِ وَأَشَارُوا إِلَى أَنَّهُ عَبَثٌ مِنَ القَوْلِ يَكْفِي فِيهِ الأَدَبُ وَأَفْتَى بِمِثْلِهِ القَاضِي حِينَئِذٍ مُوسَى بنُ زِيَادٍ[(٧)] فَقَالَ ابنُ حَبِيبٍ: دَمُهُ فِي عُنُقِي، أَيُشْتَمُ رَبٌّ عَبَدْنَاهُ ثُمَّ لا نَنْتَصِرُ لَهُ؟ إِنَّا إِذاً لَعَبِيدُ سُوءٍ مَا نَحْنُ لَهُ بِعَابِدِينَ؛ وَبَكَى وَرَفَعَ المَجْلِسُ إِلَى الأَمِيرِ بِهَا عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بنِ الحَكَمِ[(٨)] الأُمَوِيِّ وَكَانَتْ عَجَبُ عَمَّةُ هٰذَا المَطْلُوبِ مِنْ حَظَايَاهُ وَأُعْلِمَ بِاخْتِلافِ الفُقَهَاءِ فَخَرَجَ الإِذْنُ مِنْ عِنْدِهِ بِالأَخْذِ لِقَوْلِ ابنِ حَبِيبٍ[(٩)] وَصَاحِبِهِ وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ فَقُتِلَ وَصُلِبَ بِحَضْرَةِ الفَقِيهَيْنِ وَعَزَلَ القَاضِيَ لِتُهْمَتِهِ بِالمُدَاهَنَةِ فِي هٰذِهِ القِصَّةِ وَوَبَّخَ بَقِيَّةَ الفُقَهَاءِ وَسَبَّهُمْ. وَأَمَّا مَنْ صَدَرَتْ عَنْهُ مِنْ ذٰلِكَ الهَنَةُ الوَاحِدَةُ وَالفَلْتَةُ الشَّارِدَةُ مَا لَمْ يَكُنْ تَنَقُّصاً وَإِزْرَاءً فَيُعَاقَبُ عَلَيْهَا وَيُؤَدَّبُ بِقَدْرِ مُقْتَضَاهَا وَشُنْعَةِ مَعْنَاهَا وَصُورَةِ حَالِ قَائِلِهَا وَشَرْحِ سَبَبِهَا وَمُقَارِنِهَا؛ وَقَدْ سُئِلَ ابنُ القَاسِمِ[(١٠)] رَحِمَهُ اللهُ عَنْ رَجُلٍ نَادَى رَجُلاً بِاسْمِهِ فَأَجَابَهُ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ قَالَ إِنْ كَانَ جَاهِلاً أَوْ قَالَهُ عَلَى وَجْهِ سَفَهٍ فَلا شَيْءَ عَلَيْهِ قَالَ القَاضِي أَبُو الفَضْلِ وَشَرْحُ قَوْلِهِ أَنَّهُ لا قَتْلَ عَلَيْهِ وَالجَاهِلُ يُزْجَرُ وَيُعَلَّمُ وَالسَّفِيهُ يُؤَدَّبُ وَلَوْ قَالَهَا عَلَى اعْتِقَادِ إِنْزَالِهِ مَنْزِلَةَ رَبِّهِ لَكَفَرَ، هٰذَا مُقْتَضَى قَوْلِهِ وَقَدْ أَسْرَفَ كَثِيرٌ مِنْ سُخَفَاءِ الشُّعَرَاءِ وَمُتَّهَمِيهِمْ فِي هٰذَا البَابِ وَاسْتَخَفُّوا عَظِيمَ هٰذِهِ الحُرْمَةِ فَأَتَوْا مِنْ ذٰلِكَ بِمَا نُنَزِّهُ كِتَابَنَا وَلِسَانَنَا وَأَقْلامَنَا عَنْ ذِكْرِهِ وَلَوْلا أَنَّا قَصَدْنَا نَصَّ مَسَائِلَ حَكَيْنَاهَا لَمَا ذَكَرْنَا شَيْئاً مِمَّا يَثْقُلُ ذِكْرُهُ عَلَيْنَا مِمَّا حَكَيْنَاهُ فِي هٰذِهِ الفُصُولِ، وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي هٰذَا مِنْ أَهْلِ الجَهَالَةِ وَأَغَالِيطِ اللِّسَانِ كَقَوْلِ بَعْضِ الأَعْرَابِ:

رَبَّ العِبَادِ مَا لَنَا وَمَالَكَا ... قَدْ كُنْتَ تَسْقِينَا فَمَا بَدَا لَكَا

أَنْزِلْ عَلَيْنَا الغَيْثَ لا أَبَا لَكَا

---

(١) ابن حبيب. تقدمت ترجمته.
(٢) أصبغ بن خليل. تقدمت ترجمته.
(٣) الخزاز. تقدمت ترجمته.
(٤) أبو زيد. تقدمت ترجمته.
(٥) عبد الله علي بن وهب. تقدمت ترجمته.
(٦) أبان بن عيسى. تقدمت ترجمته.
(٧) موسى بن زياد. تقدمت ترجمته.
(٨) عبد الرحمن بن الحكم. تقدمت ترجمته.
(٩) ابن حبيب. تقدمت ترجمته.
(١٠) ابن القاسم. تقدمت ترجمته.

في أشباهٍ لِهٰذا مِنْ كَلامِ الجُهَّالِ وَمَنْ لَمْ يُقَوِّمْهُ ثِقافُ تأديبِ الشَّريعَةِ وَالعِلْمِ في هٰذا البابِ فَقَلَّما يَصْدُرُ إلاَّ مِنْ جاهِلٍ يَجِبُ تَعْليمُهُ وَزَجْرُهُ وَالإغلاظُ لَهُ عَنِ العَوْدَةِ إلى مِثْلِهِ قالَ أبو سُلَيْمان الخَطَّابيُّ[1] وَهٰذا تَهَوُّرٌ مِنَ القَوْلِ وَالله مُنَزَّهٌ عَنْ هٰذه الأُمورِ وَقَدْ رَوَيْنا عَنْ عَوْنِ بن عَبْدِ الله[2] أنَّهُ قالَ لِيُعَظِّمْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ أنْ يَذْكُرَ اسْمَهُ في كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى لاَ يَقُولَ أخْزَى الله الكَلْبَ وَفَعَلَ بِهِ كَذَا وَكَذا وكانَ بَعْضُ مَنْ أدْرَكْنا مِنْ مَشايِخِنا قَلَّما يَذْكُرُ اسْمَ الله تَعالَى إلاَّ فيما يَتَّصِلُ بِطاعَتِهِ وَكَانَ يَقُولُ للإنْسَانِ جُزِيتَ خَيْراً وَقَلَّما يَقُولُ جَزاكَ الله خَيْراً إعْظاماً لاسْمِهِ تَعالَى أنْ يُمْتَهَنَ في غَيْرِ قُرْبَةٍ؛ وحدثنا الثقةُ أنَّ الإمامَ أبا بَكْرٍ الشَّاشِيَّ[3] كانَ يَعيبُ على أهْلِ الكَلامِ كَثْرَةَ خَوْضِهِمْ فِيهِ تَعالَى وفي ذِكْرِ صِفاتِهِ إجْلالاً لاسْمه تَعالَى وَيَقُولُ هٰؤلاءِ يَتَمَنْدَلُونَ بالله عَزَّ وجلَّ وَيُنَزَّلُ الكَلامُ في هٰذا البَابِ تَنْزيلَهُ في بابِ سابِّ النبي ﷺ على الوُجُوهِ الَّتي فَصَّلْنَاهَا وَالله المُوَفِّقُ.

الفصل الثامن: حكم سب بقية الأنبياء والملائكة

وَحُكْمُ مَنْ سَبَّ سَائِرَ أنْبياءِ الله تَعالَى وَمَلائِكَتَهُ وَاسْتَخَفَّ بِهِمْ أوْ كَذَّبَهُمْ فيما أتَوْا به أوْ أنْكَرَهُمْ وَجَحَدَهُمْ حُكْمُ نَبِيِّنا ﷺ على مَساقِ ما قَدَّمْناهُ قال الله تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٠] الآيةَ وَقالَ تَعالَى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ الآيةَ إلى قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ [البقرة: ١٣٦] وقال: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] قال مالِكٌ[4] في كِتابِ ابنِ حَبيبٍ[5] ومحمدٍ[6] وقال ابنُ القاسِمِ[7] وابنُ الماجِشُونِ[8] وابنُ عبدِ الحَكَمِ[9] وأصْبَغُ[10] وسُحْنُونٌ[11] فِيمَنْ شَتَمَ الأنْبياءَ أوْ أحداً مِنْهُمْ أوْ تَنَقَّصَهُ قُتِلَ ولَمْ يُسْتَتَبْ

---

(١) أبو سليمان الخطاب. تقدمت ترجمته.

(٢) عون بن عبد الله. تقدمت ترجمته.

(٣) أبو بكر الشاشي: هو محمد بن علي بن إسماعيل القفال، إمام ثقة له تصانيف وتآليف، عمدة في مذهبه توفي سنة ٣٦٦ هـ.

(٤) مالك. تقدمت ترجمته.

(٥) ابن حبيب. تقدمت ترجمته.

(٦) محمد. تقدمت ترجمته.

(٧) ابن القاسم. تقدمت ترجمته.

(٨) ابن الماجشون. تقدمت ترجمته.

(٩) ابن الحكم. تقدمت ترجمته.

(١٠) أصبغ. تقدمت ترجمته. (١١) سحنون. تقدمت ترجمته.

وَمَنْ سَبَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ قُتِلَ إلاَّ أَنْ يُسْلِمَ وَرَوَى سُحْنُونٌ عَنِ ابنِ القَاسِمِ: مَنْ سَبَّ الأَنْبِياءَ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصارَى بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي بِهِ كَفَرَ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ إلاَّ أَنْ يُسْلِمَ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْخِلافُ فِي هٰذا الأَصْلِ وقال القاضِي بِقُرْطُبَةَ سعيدُ بنُ سُلَيْمانَ في بَعْضِ أجْوِبَتِهِ مَنْ سَبَّ اللهِ وَمَلائِكَتَهُ قُتِلَ، وقال سُحْنُونٌ مَنْ شَتَمَ مَلَكاً مِنَ الْمَلائِكَةِ فَعَلَيْهِ القَتْلُ، وفي النَّوادِرِ عَنِ مالكٍ فِيمَنْ قال إنْ جِبْرِيلَ أَخْطَأَ بالْوَحْيِ وَإِنَّمَا كانَ النبيُّ عليَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ[1] اسْتُتِيبَ فَإِنْ تابَ وإلاَّ قُتِلَ وَنَحْوُهُ عن سُحْنُونٍ وهٰذَا قَوْلُ الغُرَابِيَّةِ مِنَ الرَّوافِضِ سُمُّوا بِذٰلِكَ لِقَوْلِهِمْ كانَ النبيُّ ﷺ أَشْبَهَ بِعَلِيٍّ مِنَ الغُرَابِ بالْغُرَابِ وقال أبو حَنِيفَةَ[2] وأَصْحابُهُ على أَصْلِهِمْ مَنْ كَذَّبَ بِأَحَدٍ مِنَ الأَنْبِياءِ أَوْ تَنَقَّصَ أَحداً مِنْهُمْ أو بَرِئَ مِنْهُمْ فَهُوَ مُرْتَدٌّ وقال أبو الْحَسَنِ القَابِسِيُّ[3] في الَّذِي قال لآخَرَ كأنَّهُ وَجْهُ مالِكٍ الغَضْبانِ لَوْ عُرِفَ أنهُ قَصَدَ ذَمَّ الْمَلَكَ قُتِلَ قال القاضي أبو الفضْلِ وهٰذا كُلُّه فِيمَنْ تَكَلَّمَ فِيهِم بِمَا قُلْناهُ على جُمْلَةِ الْمَلائكَةِ والنَّبيين أوْ عَلى مُعَيَّنٍ مِمَّنْ حَقَّقنا كَوْنَهُ مِنَ الْمَلائكَةِ والنَّبِيِّينَ مِمَّنْ نَصَّ اللهُ عليه في كِتابِهِ أوْ حَقَّقْنا عَلَيْهِ بالْخَبَرِ الْمُتَوَاتِرِ وَالْمُشْتَهِرِ الْمُتَّفَقِ عليه بالإِجْماعِ القَاطِعِ لجبرِيلَ وَمِيكائِيلَ ومالِكٍ وخَزَنَةِ الجَنَّةِ وَجَهَنَّمَ والزَّبانِيَةِ وحَمَلَةِ العَرْشِ الْمَذْكُورِينَ في القُرْآنِ مِنَ الْمَلائِكَةِ ومَنْ سُمِّيَ فيه مِنَ الأَنْبياءِ وكَعَزْرائيل وإسرافِيل ورضوان والْحَفَظَةِ ومُنْكَر ونَكِير مِنَ الْمَلائكَةِ الْمُتَّفَقِ على قَبُولِ الخبرِ بهِمَا فأَمَّا مَنْ لَمْ تَثْبُتِ الأَخْبارُ بِتَعْيِينِهِ ولا وَقَعَ الإِجْماعُ على كَوْنِهِ مِنَ الملائكةِ أو الأَنْبِياءِ كَهارُوتَ ومارُوتَ في الملائكَةِ والْخَضِرِ[4] ولُقْمانَ[5] وذِي القَرْنَيْنِ[6] ومَرْيَمَ[7] وآسِيَةَ[8] وخالِدِ بنِ سِنانَ[9] الْمَذْكُورِ أنهُ نَبِيُّ أَهْلِ الرَّسِّ وزَرادُشْتَ الَّذِي تَدَّعِي الْمَجُوسُ وَالْمُؤَرِّخُونَ نُبُوَّتَهُ فَلَيْسَ الْحُكْمُ في سابِّهِمْ والكافِرِ بِهِمْ كالْحُكْمِ فِيمَنْ قَدَّمْناهُ إذْ لَمْ تَثْبُتْ لَهُمْ تِلْكَ الْحُرْمَةُ ولٰكِنْ يُزْجَرُ مَنْ تَنَقَّصَهُمْ وآذاهُمْ وَيُؤَدَّبُ بِقَدْرِ حالِ الْمَنْقُولِ فِيهِ لا سِيَّما مَنْ عُرِفَتْ صِدِّيقِيَّتُهُ وفَضْلُهُ مِنْهُمْ وإنْ لَمْ تَثْبُتْ نُبُوَّتُهُ وأَمَّا إنْكارُ نُبُوَّتِهِمْ أوْ كَوْنِ الآخَرِ مِنَ الْمَلائِكَةِ فَإِنْ كانَ الْمُتَكَلِّمُ في ذٰلِكَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ فَلاَ حَرَجَ لاخْتِلافِ العُلَماءِ في ذٰلِكَ وإنْ

---

(١) علي بن أبي طالب. تقدمت ترجمته.

(٢) أبو حنيفة. تقدمت ترجمته.

(٣) أبو الحسن القابسي. تقدمت ترجمته.

(٤) الخضر. تقدمت ترجمته.

(٥) لقمان. تقدمت ترجمته.

(٦) ذو القرنين. تقدمت ترجمته.

(٧) مريم عليها السلام أم عيسى عليه السلام.

(٨) أمية امرأة فرعون.

(٩) خالد بن سنان. تقدمت ترجمته.

كانَ مِنْ عَوامِّ الناسِ زُجِرَ عَنِ الْخَوْضِ في مِثْلِ هٰذَا فَإِنْ عادَ أُدِّبَ إِذْ لَيْسَ لَهُمُ الكَلامُ في مِثْلِ هٰذَا وقَدْ كَرِهَ السَّلَفُ الكَلامَ في مِثْلِ هٰذَا مِمَّا لَيْسَ تَحْتَهُ عَمَلٌ لأَهْلِ العِلْمِ فَكَيْفَ لِلْعامَّةِ؟.

الفصل التاسع: حكم من استخفّ بالقرآن الكريم

وٱعْلَمْ أَنَّ مَنِ ٱسْتَخَفَّ بِالقُرْآنِ أَوِ الْمُصْحَفِ أَوْ بِشَيْءٍ مِنْهُ أَوْ سَبَّهُما أَوْ جَحَدَهُ أَوْ حَرْفاً مِنْهُ أَوْ آيَةً أَوْ كَذَّبَ بِه أَوْ بِشَيْءٍ مِنْهُ أَوْ كَذَّبَ بِشَيْءٍ مِمَّا صُرِّحَ بِهِ فِيهِ مِنْ حُكْمٍ أَوْ خَبَرٍ أَوْ أَثْبَتَ ما نَفاهُ أَوْ نَفَى ما أَثْبَتَهُ على عِلْمٍ مِنْهُ بِذٰلِكَ أَوْ شَكَّ في شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ فَهُوَ كافِرٌ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ بِإِجْماعٍ قالَ الله تَعالَى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١ ـ ٤٢]. [حَدَّثَنا الفَقيهُ أبو الوَليدِ هِشامُ بنُ أَحْمَدَ رَحِمَهُ الله حَدَّثَنا أبو عَلِيٍّ حَدَّثَنا ابنُ عَبْدِ البَرِّ حَدَّثَنا ابنُ عَبْدِ المُؤْمِنِ حَدَّثَنا ابنُ داسَةَ حَدَّثَنا أبو داوُدَ حَدَّثَنا أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ حَدَّثَنا يَزيدُ بنُ هارُونَ حَدَّثَنا مُحمدُ بنُ عَمْرٍو عَنْ أبي سَلَمَةَ] عن أبي هُرَيْرَةَ عنِ النبي قال: «المِراءُ في القُرْآنِ كُفْرٌ» تُؤُوِّلَ بِمَعْنَى الشَّكِّ وبِمَعْنَى الجِدالِ؛ وعنِ ابنِ عَبَّاسٍ عَنِ النبيِّ : «مَنْ جَحَدَ آيَةً مِنْ كِتابِ الله مِنَ المُسْلِمِينَ فَقَدْ حَلَّ ضَرْبُ عُنُقِهِ» وكَذٰلِكَ إِنْ جَحَدَ التَّوْراةَ والإِنْجِيلَ وكُتُبَ الله المُنَزَّلَةَ أَوْ كَفَرَ بِها أَوْ لَعَنَها أَوْ سَبَّها أَوِ اسْتَخَفَّ بِها فَهُوَ كافِرٌ وَقَدْ أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ أَنَّ القُرْآنَ المَتْلُوَّ في جَمِيعِ أَقْطارِ الأَرْضِ المَكْتُوبَ في المُصْحَفِ بِأَيْدِي المُسْلِمِينَ مِمَّا جَمَعَهُ الدَّفَّتانِ مِنْ أَوَّلِ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] ـ إلى آخِرِ ـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١] أنهُ كَلامُ الله وَوَحْيُهُ المُنَزَّلُ على نَبِيِّهِ مُحمدٍ وأَنَّ جَمِيعَ ما فِيهِ حَقٌّ وأَنَّ مَنْ نَقَصَ مِنْهُ حَرْفاً قاصِداً لِذٰلِكَ أَوْ بَدَّلَهُ بِحَرْفٍ آخَرَ مَكانَهُ أَوْ زادَ فِيهِ حَرْفاً مِمَّا لم يَشْتَمِلْ عَلَيْهِ المُصْحَفُ الَّذِي وَقَعَ الإِجْماعُ عَلَيهِ وَأُجْمِعَ على أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ القُرْآنِ عامِداً لِكُلِّ هٰذا أَنَّهُ كافِرٌ ولِهٰذا رَأى مالِكٌ قَتْلَ مَنْ سَبَّ عائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْها بالفِرْيَةِ لأَنَّهُ خالَفَ القُرْآنَ وَمَنْ خالَفَ القُرْآنَ قُتِلَ أَيْ لأَنَّهُ كَذَّبَ بِمَا فِيه، وقال ابنُ القاسِمِ مَنْ قال إن الله تَعالَى لم

[. . . .] ص (٢٠٤) ساقطة من نسخة دمشق.
أبو هريرة. تقدمت ترجمته.
المراء في القرآن كفر. الحديث/ أخرجه أبو داود في السنن: ٢/١٦٩.
ابن عباس. تقدمت ترجمته.
من جحد آية من كتاب الله من المسلمين. الحديث/ أخرجه ابن ماجه في السنن. الحديث: ٨٤٩.
مالك. تقدمت ترجمته.
عائشة. تقدمت ترجمته.
ابن القاسم. تقدمت ترجمته.

يُكَلِّمْ مُوسى تَكْلِيماً يُقْتَلُ وقالَهُ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ مَهْدِيٍّ[١] وقال مُحمدُ بنُ سُحْنُونٍ[٢] فِيمَنْ قال المُعَوِّذَتانِ لَيْسَتا مِنْ كِتَابِ الله يُضْرَبُ عُنُقُهُ إلاَّ أنْ يَتُوبَ وَكَذٰلِكَ كُلُّ مَنْ كَذَّبَ بِحَرْفٍ مِنْهُ قال وَكَذٰلِكَ إنْ شَهِدَ شَاهِدٌ على مَنْ قالَ إنَّ الله لم يُكَلِّمْ مُوسى تَكْلِيماً وشَهِدَ آخَرُ عليهِ أنهُ قال إن الله لم يَتَّخِذْ إبْرَاهِيمَ خَلِيلاً لأنَّهُمَا اجْتَمَعَا على أنَّهُ كَذَّبَ النَّبِيَّ ﷺ وقال أبو عُثمانَ الْحَدَّادُ[٣] جَمِيعُ مَنْ يَنْتَحِلُ التَّوْحِيدَ مُتَّفِقُونَ أنَّ الجَحْدَ لِحَرْفٍ مِنَ التَّنْزِيلِ كُفْرٌ وكانَ أبو العالِيَةِ[٤] إذا قَرَأَ عِنْدَهُ رَجُلٌ لم يَقُلْ لَهُ لَيْسَ كما قَرَأْتَ وَيَقُولُ أمَّا أنا فأقْرَأُ كذا فَبَلَغَ ذٰلِكَ إبْرَاهِيمَ فقالَ أرَاهُ سَمِعَ أنَّهُ مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ وقال عَبْدُ الله بنُ مَسْعُودٍ[٥] مَنْ كَفَرَ بِآيَةٍ مِنَ القُرْآنِ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ وقال أصْبَغُ بنُ الفَرَجِ[٦] مَنْ كَذَّبَ بِبَعْضِ القُرْآنِ فَقَدْ كَذَّبَ به كلِّهِ وَمَنْ كَذَّبَ بِهِ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ وَمَنْ كَفَرَ بِهِ فَقَدْ كَفَرَ بالله وَقَدْ سُئِلَ القَابِسِيُّ عَمَّنْ خاصَمَ يَهُودِيّاً فَحَلَفَ لَهُ بالتَّوْرَاةِ فقالَ الآخَرُ لَعَنَ الله التَّوْرَاةَ فَشَهِدَ عليه بذٰلِكَ شاهِدٌ ثُمَّ شَهِدَ آخَرُ أنهُ سَألَهُ عَنِ القَضِيَّةِ فقال إنَّما لَعَنْتُ تَوْرَاةَ اليَهُودِ فقال أبو الحَسَنِ الشَّاهِدُ الْوَاحِدُ لا يُوجِبُ القَتْلَ والثَّانِي عَلَّقَ الأمْرَ بِصِفَةٍ تَحْتَمِلُ التَأْوِيلَ إذْ لَعَلَّهُ لا يَرَى اليَهُودَ مُتَمَسِّكِينَ بِشَيْءٍ مِنْ عِنْدِ الله لِتَبْدِيلِهِمْ وَتَحْرِيفِهِمْ ولَوِ اتَّفَقَ الشَّاهِدَانِ على لَعْنِ التَّوْرَاةِ مُجَرَّداً لَضَاقَ التَّأْوِيلُ؛ وَقَدِ اتَّفَقَ فُقَهَاءُ بَغْدَادَ على اسْتِتَابَةِ ابن شَنْبُوذَ المُقْرِىءِ أحَدِ أئِمَّةِ المُقْرِئِينَ المُتَصَدِّرِينَ بها مَعَ ابنِ مُجَاهِدٍ[٧] لِقِرَاءَتِهِ وَإقْرَائِهِ بِشَوَاذٍّ مِنَ الْحُرُوفِ مِمَّا لَيْسَ في المُصْحَفِ وَعَقَدُوا عليه بالرُّجُوعِ عَنْهُ والتَّوْبَةِ مِنْهُ سِجِلاًّ أشْهَدَ فِيهِ بِذٰلِكَ على نَفْسِهِ في مَجْلِسِ الْوَزِيرِ[٨] أبي عليٍّ بنِ مُقْلَةَ سَنَةَ ثَلاثٍ وَعِشْرِينَ وَثَلاثِمائَةٍ وَكانَ فِيمَنْ أفْتَى عليه بذٰلِكَ أبو بَكْرٍ الأبْهَرِيُّ[٩] وَغَيْرُهُ وَأفْتَى أبو محمَّدِ بنُ أبي زَيْدٍ[١٠] بالأدَبِ فِيمَنْ قالَ لِصَبِيٍّ لَعَنَ الله مُعَلِّمَكَ وَمَا عَلَّمَكَ وَقالَ أرَدْتُ سُوءَ الأدَبِ وَلَمْ أُرِدِ القُرْآنَ قالَ أبو محمَّدٍ وَأمَّا مَنْ لَعَنَ المُصْحَفَ فَإنَّهُ يُقْتَلُ.

الفصل العاشر: الحكم في سب آل البيت والأزواج والأصحاب

وَسَبُّ آلِ بَيْتِهِ وَأزْوَاجِهِ وَأصْحَابِهِ ﷺ وَتَنَقُّصُهُمْ حَرَامٌ مَلْعُونٌ فاعِلُهُ.

قال: القَاضِي الشَّهِيدُ أبو عَلِيٍّ رَحِمَهُ الله حَدَّثَنَا أبو الحُسَيْنِ الصَّيْرَفِيُّ وأو الفَضْلِ العَدْلُ [حَدَّثَنَا أبو يَعْلَى حَدَّثَنَا أبو عَلِيٍّ السِّنْجِيُّ حَدَّثَنَا ابنُ مَحْبُوبٍ حَدَّثَنَا التِّرْمِذِيُّ حَدَّثَنا محمَّدُ بنُ

---

(١) عبد الرحمن بن مهدي. تقدمت ترجمته.
(٢) محمد بن سحنون. تقدمت ترجمته.
(٣) أبو عثمان الحداد. تقدمت ترجمته.
(٤) أبو العالية. تقدمت ترجمته.
(٥) عبد الله بن مسعود. تقدمت ترجمته.
(٦) أصبغ بن الفرج. تقدمت ترجمته.
(٧) ابن مجاهد. تقدمت ترجمته.
(٨) العزيز أبو علي بن مقلة. تقدمت ترجمته.
(٩) أبو بكر الأبهري. تقدمت ترجمته.
(١٠) أبو محمد بن أبي زيد. تقدمت ترجمته.

يَحْيَى حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بنُ إبراهِيمَ حَدَّثَنَا عُبَيْدَةُ بنُ أبي رَابِطَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بنِ زِيادٍ][1] عَنْ عَبْدَ اللهِ بن مُغَفَّل[2] قالَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«اللهَ اللهَ في أصْحابِي لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضاً بَعْدِي فَمَنْ أحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أحَبَّهُمْ وَمَنْ أبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أبْغَضَهُمْ**[3] **وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ وَمَنْ آذَى اللهَ يُوشِكُ أنْ يَأخُذَهُ»** وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«لا تَسُبُّوا أصْحابي فَمَنْ سَبَّهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أجْمَعِينَ لاَ يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفاً وَلاَ عَدْلاً»**[4] وقالَ ﷺ: **«لاَ تَسُبُّوا أصْحَابِي فإنَّهُ يَجِيءُ قَوْمٌ في آخِرِ الزَّمَانِ يَسُبُّونَ أصْحابي فَلاَ تُصَلُّوا عَلَيْهِمْ وَلاَ تُصَلُّوا مَعَهُمْ وَلاَ تُنَاكِحُوهُمْ وَلاَ تُجَالِسُوهُمْ وَإنْ مَرِضُوا فَلاَ تَعُودُوهُمْ»** وَعَنْهُ ﷺ **«مَنْ سَبَّ أصْحابي فاضْرِبُوهُ»** وَقَدْ أعْلَمَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ سَبَّهُمْ وَأذَاهُمْ يُؤْذِيهِ وأذَى النبيِّ ﷺ حَرَامٌ فقالَ: **«لا تُؤْذُوني في أصْحَابي وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي»** وقالَ: **«لاَ تُؤْذُوني في عائِشَةَ»**[5] وقالَ في فاطِمَةَ[6] **«بِضْعَةٌ مِنِّي يُؤْذِينِي ما آذَاهَا»** وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ في هٰذا فَمَشْهُورُ مَذْهَبِ مالِكٍ[7] في ذٰلِكَ الاجْتِهَادُ وَالأدَبُ المُوجِعُ، قالَ مالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ مَنْ شَتَمَ النَّبيَّ ﷺ قُتِلَ وَمَنْ شَتَمَ أصْحَابَهُ أُدِّبَ وقالَ أيْضاً مَنْ شَتَمَ أحَداً مِنْ أصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ أبا بَكْرٍ[8] أوْ عُمَرَ[9] أوْ عُثْمانَ[10] أوْ مُعَاوِيَةَ[11] أوْ عَمْرَو بنَ العَاصِ[12] فإنْ قال كانُوا على ضَلالٍ وكُفْرٍ قُتِلَ وإنْ شَتَمَهُمْ بِغَيْرِ هٰذَا مِنْ مُشَاتَمَةِ النَّاسِ نُكِّلَ نَكالاً شَدِيداً، وقال ابنُ حَبِيبٍ[13] مَنْ غَلاَ مِنَ الشِّيعَةِ إلى بُغْضِ عُثْمَانَ والبَرَاءَةِ مِنْهُ أُدِّبَ أدباً شَدِيداً وَمَنْ زَادَ إلى بُغْضِ أبي بَكْرٍ وَعُمَرَ فالْعُقُوبَةُ عليه أشَدُّ وَيُكَرَّرُ ضَرْبُهُ وَيُطَالُ سِجْنُهُ حَتَّى

---

(١) [. . . .] ساقطة من نسخة دمشق.
(٢) عبد الله بن مغفل. تقدمت ترجمته.
(٣) الله الله.. الحديث/ أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤/ ٨٧ والترمذي في السنن: ٥/ ٦٩٦ كتاب المناقب (٥٠) باب (٥٩) الحديث: ٣٨٦٢ واللفظ له وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.
(٤) لا تسبوا أصحابي.. الحديث/ أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال: ٣٢٥٤٢ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٨/ ١٤٤. وأخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء: ٣/ ١٠٩٣ وعلي القاري في الأسرار المرفوعة: ٣١٤.
(٥) عائشة رضي الله عنها. تقدمت ترجمتها.
(٦) فاطمة رضي الله عنها. تقدمت ترجمتها.
(٧) مالك. تقدمت ترجمته.
(٨) أبو بكر. تقدمت ترجمته.
(٩) عمر. تقدمت ترجمته.
(١٠) عثمان. تقدمت ترجمته.
(١١) معاوية. تقدمت ترجمته.
(١٢) عمرو بن العاص. تقدمت ترجمته.
(١٣) ابن حبيب. تقدمت ترجمته.

يَموتَ ولا يُبْلَغُ بِهِ القَتْلُ إلاَّ في سَبِّ النبيِّ ﷺ وقال سُحْنونٌ[١] مَنْ كَفَّرَ أحداً مِنْ أصْحابِ النبيِّ ﷺ عَلِيّاً[٢] أوْ عثمانَ[٣] أوْ غَيْرَهُما يُوجَعُ ضَرْباً وحَكَى أبو محمدٍ ابنُ أبي زَيدٍ[٤] عن سُحْنُونٍ فِيمَنْ قال في أبي بكرٍ[٥] وعمرَ وعثمان وعليٍّ إنَّهُمْ كانُوا عَلَى ضَلالٍ وكُفرٍ قُتِلَ ومَنْ شَتَمَ غَيْرَهُمْ مِنَ الصَّحابَةِ بِمِثْلِ هٰذَا نُكِّلَ النَّكالَ الشَّدِيدَ.

ورُوِيَ عن مالِكٍ[٦] مَنْ سَبَّ أبا بكرٍ جُلِدَ وَمَنْ سَبَّ عائِشَةَ قُتِلَ، قيلَ لَهُ لِمَ؟ قال مَنْ رَمَاهَا فَقَدْ خالَفَ القُرْآنَ وقال ابنُ شعبانَ[٧] عَنْهُ لأنَّ الله يقولُ: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور:١٧] فَمَنْ عادَ لِمِثْلِهِ فَقَدْ كَفَرَ.

وَحَكَى أبو الْحَسَنِ الصِّقَلِّيُّ أنَّ القاضِيَ أبا بَكرِ بنَ الطَّيِّبِ قال إنَّ الله تَعالَى إذا ذَكَرَ في القُرْآنِ ما نَسَبَهُ إلَيْهِ المُشْرِكُونَ سَبَّحَ نَفْسَهُ لِنَفْسِهِ كقولِهِ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [الأنبياء:٢٦] في آيٍ كَثِيرَةٍ وَذَكَرَ تَعالَى ما نَسَبَهُ المُنافِقُونَ إلى عائِشَةَ فقال: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ﴾ [النور:١٦] سَبَّحَ نَفْسَهُ في تَبرِئَتِها مِنَ السُّوءِ كَما سَبَّحَ نَفْسَهُ في تَبرِئَتِهِ مِنَ السُّوءِ وهٰذَا يَشْهَدُ لِقَوْلِ مالكٍ في قَتْلِ مَنْ سَبَّ عائِشَةَ وَمَعْنَى هٰذَا والله أعْلَمُ أنَّ الله لَمَّا عَظَّمَ سَبَّهَا كما عَظَّمَ سَبَّهُ وكانَ سَبُّهَا سَبّاً لِنَبِيِّهِ وَقَرَنَ سَبَّ نَبِيِّهِ وأذاهُ بأذاهُ تَعالَى وكانَ حُكْمُ مُؤْذِيهِ تَعالَى القَتْلَ كانَ مُؤْذِي نَبِيِّهِ كَذٰلِكَ كما قَدَّمْناهُ؛ وَشَتَمَ رَجُلٌ عائِشَةَ[٨] بالكُوفَةِ فَقُدِّمَ إلى مُوسَى بنِ عِيسَى[٩] العَبَّاسِيِّ فقال مَنْ حَضَرَ هٰذَا فقال ابنُ أبي لَيْلَى أنا فَجَلَدَ ثَمانِينَ وحَلَقَ رَأْسَهُ وأسْلَمَهُ لِلْحَجَّامِينَ ورُوِيَ عن عمرَ بنِ الخطابِ[١٠] أنَهُ نَذَرَ قَطعَ لِسانِ عُبَيْدِ الله بنِ عُمَرَ[١١] إذْ شَتَمَ المِقْدَادَ بنَ الأسْوَدِ[١٢] فَكُلِّمَ في ذٰلِكَ فقال دَعُوني أقْطَعْ لِسانَهُ حَتَّى لا يَشْتُمَ أحَدٌ بَعْدُ أصْحابَ النبيِّ ﷺ وَرَوَى أبو ذَرٍّ الهَرَوِيُّ أنَّ عُمرَ بنَ الخطابِ أُتِيَ بِأعْرابِيٍّ يَهْجُو الأنْصارَ فقال لَوْلاَ أنَ لَهُ صُحْبَةً لَكَفَيْتُكُمُوه قال مالِكٌ مَنِ انْتَقَصَ أحَداً مِنْ أصْحابِ النبيِّ ﷺ فَلَيْسَ لَهُ في هٰذَا الفَيْءِ حَقٌّ قَدْ قَسَمَ الله الفَيْءَ في ثَلاثَةِ أصْنافٍ فقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الحشر:٨] الآيةَ ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر:٩] الآيةَ وهؤلاء هُمُ الأنصارُ ثُمَّ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر:١٠]

---

(١) سحنون. تقدمت ترجمته.
(٢) علي. تقدمت ترجمته.
(٣) عثمان. تقدمت ترجمته.
(٤) أبو محمد بن أبي زيد. تقدمت ترجمته.
(٥) أبو بكر. تقدمت ترجمته.
(٦) مالك. تقدمت ترجمته.
(٧) ابن شعبان. تقدمت ترجمته.
(٨) عائشة رضي الله عنها. تقدمت ترجمتها.
(٩) موسى بن عيسى. تقدمت ترجمته.
(١٠) عمر رضي الله عنه. تقدمت ترجمته.
(١١) عبيد بن عمر. تقدمت ترجمته.
(١٢) المقداد بن الأسود. تقدمت ترجمته.

الآيَةَ فَمَنْ تَنَقَّصَهُمْ فَلاَ حَقَّ لَهُ فِي فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ؛ وفي كتابِ ابنِ شَعْبَانَ[١] مَنْ قالَ في واحِدٍ مِنهُمْ إنَّهُ ابنُ زانِيَةٍ وأُمُّهُ مُسلِمَةٌ حُدَّ عِندَ بَعْضِ أصْحابِنا حَدَّيْنِ حَدّاً لَهُ وَحَدّاً لأُمِّهِ ولا أجْعَلُهُ كَقاذِفِ الْجَماعَةِ في كَلِمَةٍ لِفَضْلِ هٰذَا على غَيْرِهِ ولِقوله ﷺ: «ومَنْ سَبَّ أصحابي فاجْلِدُوهُ»[٢] قال ومَنْ قَذَفَ أمَّ أحَدِهِمْ وهِيَ كافِرَةٌ حُدَّ حَدَّ الفِرْيَةِ لأنَّهُ سَبٌّ لَهُ فإنْ كانَ أحَدٌ مِنْ وَلَدِ هٰذَا الصَّحابِيِّ حَيّاً قامَ بِما يَجِبُ لَهُ وإلاَّ فَمَنْ قامَ مِنَ المُسْلِمِينَ كَانَ عَلَى الإمَامِ قَبُولُ قِيامِهِ قَالَ وَلَيْسَ هٰذَا كَحُقُوقِ غَيْرِ الصَّحابَةِ لِحُرْمَةِ هٰؤُلاءِ بِنَبِيِّهِمْ ﷺ وَلَوْ سَمِعَهُ الإمامُ وأشْهَدَ عليه كانَ وَلِيَّ القِيامِ بِهِ قال وَمَنْ سَبَّ غَيْرَ عائِشَةَ مِنْ أزْواجِ النبيِّ ﷺ فَفِيها قَوْلانِ أحَدُهُما يُقْتَلُ لأنَّهُ سَبَّ النبيَّ ﷺ بِسَبِّ حَلِيلَتِهِ والآخَرُ أنَّها كَسائِرِ الصَّحابَةِ يُجْلَدُ حَدَّ المُفْتَرِي قال وبِالأوَّلِ أقُولُ وَرَوَى أبُو مُصْعَبٍ[٣] عَنْ مالِكٍ[٤] فِيمَنْ سَبَّ مَنِ انْتَسَبَ إلى بَيْتِ النبيِّ ﷺ يُضْرَبُ ضَرْباً وَجِيعاً ويُشْهَرُ ويُحْبَسُ طَوِيلاً حَتَّى تَظْهَرَ تَوبَتُهُ لأنَّهُ اسْتِخْفافٌ بِحَقِّ الرَّسُولِ ﷺ وَأفْتَى أبو المُطَرِّفِ الشَّعْبِيُّ[٥] فَقيهُ مالِقَةَ في رَجُلٍ أنْكَرَ تَحْلِيفَ امْرَأةٍ بِاللَّيْلِ وقال لَوْ كَانَتْ بِنْتَ أبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ[٦] ما حُلِّفَتْ إلاَّ بالنَّهارِ وَصَوَّبَ قولَه بَعْضُ المُتَسَمِّينَ بالفِقْهِ فقال أبو المُطَرِّفِ ذِكْرُ هٰذَا لابْنَةِ أبي بَكْرٍ[٧] في مِثْلِ هٰذَا يُوجِبُ عليه الضَّرْبَ الشَّدِيدَ والسِّجْنَ الطَّوِيلَ والفَقِيهُ الَّذِي صَوَّرَ قَوْلَهُ هُوَ أخَصُّ باسْمِ الفِسْقِ مِن اسْمِ الفِقْهِ فَيُتَقَدَّمُ إلَيْهِ في ذٰلِكَ ويُزْجَر ولا تُقْبَلُ فَتْوَاهُ ولا شَهادَتُهُ وهِيَ جُرْحَةٌ ثابِتَةٌ فِيهِ وَيُبْغَضُ في الله وقال أبو عِمْرانَ[٨] في رَجُلٍ قال لَوْ شَهِدَ عَلَيَّ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ أنَّهُ إنْ كانَ أرادَ أنَّ شَهادَتَهُ في مِثْلِ هٰذَا لا يَجُوزُ فيه الشَّاهِدُ الْوَاحِدُ فلا شيءَ عليه وإنْ كانَ أرادَ غَيْرَ هٰذَا فَيُضْرَبُ ضَرْباً يَبْلُغُ به حَدَّ المَوْتِ وَذَكَرُوهَا رِوَايَةً.

قال القاضِي أبو الفَضْلِ هُنَا انْتَهَى القَوْلُ بِنَا فِيما حَرَّرْنَاهُ وانْتَجَزَ الغَرَضُ الَّذِي انْتَحَيْنَاهُ واسْتَوْفِيَ الشَّرْطُ الَّذِي شَرَطْنَاهُ مِمَّا أرْجُو أنَّ في كُلِّ قِسْمٍ مِنْهُ لِلْمُرِيدِ مَقْنَعٌ وَفِي كُلِّ بابٍ مَنْهَجٌ إلى بُغْيَتِهِ وَمَنْزَعٌ وَقَدْ سَفَرْتُ فِيهِ عَنْ نُكَتٍ تُسْتَغْرَبُ وَتُسْتَبْدَعُ وَكَرَعْتُ في مَشارِبَ مِنَ التَّحْقِيقِ

---

(١) ابن شعبان. تقدمت ترجمته.

(٢) ومن سب أصحابي فاجلدوه. الحديث/ أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢١، والمتقي الهندي في كنز العمال: ٣٢٥٤١.

(٣) أبو مصعب. تقدمت ترجمته.

(٤) مالك. تقدمت ترجمته.

(٥) أبو المطرف الشعبي. تقدمت ترجمته.

(٦) بنت أبي بكر. تقدمت ترجمتها.

(٧) أبو بكر. تقدمت ترجمته.

(٨) أبو عمران.

لَمْ يُورَدْ لَهَا قَبْلُ فِي أَكْثَرِ التَّصَانِيفِ مَشْرَعُ وَأَوْدَعْتُهُ غَيْرَ ما فَضْلٍ وَدِدْتُ لَوْ وجَدْتُ مَنْ بَسَطَ قَبْلِي الكَلامَ فِيهِ أَوْ مُقْتَدَى يُفِيدُنِيهِ عَنْ كِتَابه أَوْ فِيه لأَكْتَفِي بِمَا أَرْوِيهِ عَمَّا أُرَوِّيهِ وَإِلى الله تَعَالَى جَزِيلُ الضَّرَاعَةِ والمِنَّةِ بِقَبُولِ ما مِنْهُ لِوَجْهِهِ والعفْوِ عَمَّا تَخَلَّلَهُ مِنْ تَزَيُّنٍ وَتَصَنُّعٍ لِغَيْرِهِ وأَنْ يَهَبَ لَنَا ذٰلِكَ بِجَمِيلِ كَرَمِهِ وَعَفْوِهِ لِمَا أَوْدَعْنَاهُ مِنْ شَرَفِ مُصْطَفَاهُ وأَمِينِ وَحْيِهِ وأَسْهَرْنَا بِهِ جُفُونَنَا لِتَتَبُّعِ فَضَائِلِهِ وَأَعْمَلْنَا فِيهِ خَوَاطِرَنا مِنْ إِبْرَازِ خَصَائِصِهِ وَوَسَائِلِهِ وَيَحْمِي أَعْرَاضَنَا عَنْ نَارِهِ المُوقَدَةِ لِحِمَايَتِنَا كَرِيمَ عِرْضِهِ وَيَجْعَلَنَا مِمَّنْ لا يُذَادُ إِذَا ذِيدَ المُبَدِّلُ عَنْ حَوْضه وَيَجْعَلَهُ لَنَا وَلِمَنْ تَهَمَّمَ باكْتِتَابه واكتسابه سَبَباً يَصِلُنَا بِأَسْبَابِهِ وذَخِيرَةً نَجِدُهَا يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً نَحُوزُ بِهَا رِضَاهُ وَجَزِيلَ ثَوَابِهِ وَيَخُصَّنَا بِخَصِّيصَى زُمْرَةِ نَبِيِّنَا وَجَمَاعَتِهِ وَيَحْشُرَنا في الرَّعِيلِ الأَوَّلِ وأَهْلِ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِهِ، وَنَحْمَدُهُ تَعَالَى على ما هَدَى إِلَيْهِ مِنْ جَمْعِهِ وأَلْهَمَ وَفَتَحَ البَصِيرَةَ لِدَرْكِ حَقَائِقِ ما أَوْدَعْنَاهُ وَفَهَّمَ، وَنَسْتَعِيذُهُ جَلَّ اسْمُهُ مِنْ دُعاءٍ لا يُسْمَعُ وعِلْم لا يَنْفَعُ وَعَمَلٍ لا يَرْفَعُ فَهُوَ الْجَوَادُ الَّذِي لا يُخَيِّبُ مَنْ أَمَّلَهُ ولا يَنْتَصِرُ مَنْ خَذَلَهُ ولا يَرُدُّ دَعْوَةَ القَاصِدِينَ ولا يُصْلِحُ عَمَلَ المُفْسِدِينَ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَصَلاتُهُ على سَيِّدِنا وَنَبِيِّنَا مُحمدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَسَلَّم تَسْلِيماً كَثِيراً والْحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ.

تم الجزء الثاني من كتاب الشفا، وبه تم الكتاب

كشاف عام للآيات القرآنية

الواردة في الجزء الأول لكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض

سورة الفاتحة: ١

سورة البقرة: ٢

سورة آل عمران: ٣

سورة المائدة: ٥

سورة الأنعام: ٦

سورة الأعراف: ٧

سورة الأنفال: ٨

سورة التوبة: ٩

سورة يونس: ١٠

سورة هود: ١١

سورة يوسف: ١٢

سورة الرعد: ١٣

سورة إبراهيم: ١٤

سورة الحجر: ١٥

سورة النحل: ١٦

سورة الإسراء: ١٧

سورة الكهف: ١٨

سورة مريم: ١٩

سورة طه: ٢٠

سورة الأنبياء: ٢١

سورة الحج: ٢٢

سورة النور: ٢٤

سورة الفرقان: ٢٥

سورة الشعراء: ٢٦

سورة النمل: ٢٧

سورة القصص: ٢٨

سورة العنكبوت: ٢٩

سورة الروم: ٣٠

سورة سبأ: ٣٤

سورة فاطر: ٣٥

سورة يس: ٣٦

سورة الصافات: ٣٧

سورة ص: ٣٨

سورة الزمر: ٣٩

سورة غافر: ٤٠

سورة فصلت: ٤١

سورة الشورى: ٤٢

سورة الزخرف: ٤٣

سورة الدخان: ٤٤

سورة الأحقاف: ٤٦

سورة الفتح: ٤٨

سورة الحجرات: ٤٩

سورة قٓ: ٥٠

سورة الذاريات: ٥١

سورة الطور: ٥٢

سورة النجم: ٥٣

سورة القمر: ٥٤

سورة الواقعة: ٥٦

سورة الحديد: ٥٧

سورة المجادلة: ٥٨

سورة الحشر: ٥٩

سورة الجمعة: ٦٢

سورة المنافقون: ٦٣

سورة التغابن: ٦٤

سورة التحريم: ٦٦

سورة القلم: ٦٨

سورة الحاقة: ٦٩

سورة نوح: ٦٩

سورة الجن: ٧٢

سورة المدثر: ٧٤

سورة التكوير: ٨١

سورة المطففين: ٨٣

سورة الطارق: ٨٦

سورة الفجر: ٨٩

سورة البلد: ٩٠

سورة الضحى: ٩٣

سورة الشرح: ٩٤

سورة التين: ٩٥

سورة العلق: ٩٦

سورة الكوثر: ١٠٨

سورة النصر: ١١٠

سورة المسد: ١١١

كشاف عام للآيات القرآنية

الواردة في الجزء الثاني لكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض

سورة الفاتحة: ١

سورة البقرة: ٢

سورة آل عمران: ٣

سورة النساء: ٤

سورة المائدة: ٥

سورة الأنعام: ٦

سورة الأعراف: ٧

سورة الأنفال: ٨

سورة التوبة: ٩

سورة يونس: ١٠

سورة هود: ١١

سورة يوسف: ١٢

سورة طه: ٢٠

سورة الأنبياء: ٢١

سورة الحج: ٢٢

سورة النور: ٢٤

سورة الفرقان: ٢٥

سورة الشعراء: ٢٦

سورة القصص: ٢٨

سورة العنكبوت: ٢٩

سورة السجدة: ٣٢

سورة الأحزاب: ٣٣

سورة سبأ: ٣٤

سورة فاطر: ٣٥

سورة الحجرات: ٤٩

سورة النجم: ٥٣

سورة الواقعة: ٥٦

سورة المجادلة: ٥٨

سورة الحشر: ٥٩

سورة المنافقون: ٦٣

سورة التغابن: ٦٤

سورة التحريم: ٦٦

سورة القلم: ٦٨

سورة الحاقة: ٦٩

سورة المزمل: ٧٣

سورة المدثر: ٧٤

سورة عبس: ٨٠

سورة الضحى: ٩٣

سورة الشرح: ٩٤

سورة العلق: ٩٦

سورة النصر: ١١٠

سورة الناس: ١١٤

كشاف عام للأحاديث الواردة في الجزء الأول لكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض

تنبيه:

١ ـ في هذا الكشاف اكتفيت بما ورد في الجزء الأول من الأحاديث.

٢ ـ لم أكتب في هذا الكشاف إلا الأحاديث القولية.

الأحاديث

كشاف عام للأحاديث الواردة في الجزء الثاني لكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض

تنبيه:

١ ـ في هذا الكشاف اكتفيت بما ورد في الجزء الثاني من الأحاديث.

٢ ـ لم أكتب في هذا الكشاف إلا الأحاديث القولية المنسوبة للرسول الأعظم ﷺ.

الأحاديث

كشاف المصادر والمراجع لكتاب الشفا
بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض

* القرآن الكريم برواية الإمام ورش.
* ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمٰن بن محمد توفي ٣٢٧هـ.
- **الجرح والتعديل**. حيدر آباد ـ الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ.
- **علل الحديث**. تحقيق محب الدين الخطيب. بيروت، دار المعرفة، طبعة مصورة عن طبعة القاهرة الأولى عام ١٣٤٣هـ.
- **المراسيل**. تحقيق شكرالله قوجاني. بيروت، مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.
* ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد توفي ٢٨١هـ.
- **كتاب الشكر**. القاهرة، مطبعة المنار، الطبعة الأولى ١٣٤٩هـ.
- **كتاب الصمت وآداب اللسان**. تحقيق نجم عبد الرحمٰن خلف. بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
* ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد توفي ٢٣٥هـ.
- **المصنف**. تصحيح عامر عمر الأعظمي. حيدُر آباد ـ الهند، نشر السيد علي يوسف صاحب مطبعة قريب. الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ.
* ابن الأثير الجزري، أبو الحسن علي بن محمد توفي ٦٣٠هـ.
- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**. القاهرة، المطبعة الوهبية، الطبعة الأولى ١٢٨٦هـ.
- **اللباب في تهذيب الأنساب**. بيروت، دار صادر ١٤٠٠هـ.
* ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات، المبارك بن محمد توفي ٦٠٦هـ.
- **جامع الأصول في أحاديث الرسول**. تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، دمشق، مكتبة الحلواني، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ.
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**. تحقيق محمود محمد الطناحي، القاهرة، مطبعة عيسى الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ.
* ابن إسحاق، محمد المطلبي توفي ١٥١هـ.
- **السير والمغازي**. تحقيق سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.
* ابن إياس، محمد بن أحمد توفي ٩٣٠هـ.

ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، المكتبة الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمان، الطبعة الثانية ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

* ابن بدران، عبد القادر توفي ١٣٤٦هـ.

ـ تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٣٢٩ ـ ١٣٥١هـ.

* ابن التركماني، علاء الدين بن علي المارديني توفي ٧٤٥هـ.

ـ الجوهر النقيس في التعليق على السنن الكبرى للبيهقي. حيدر آباد ـ الهند، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، ١٣٤٤ ـ ١٣٥٥هـ.

* ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي توفي ٨٧٤هـ.

ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. القاهرة، دار الكتب، ١٩٢٩ ـ ١٩٧٢م.

* ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم توفي ٧٢٨هـ.

ـ الفتاوى الكبرى. تقديم حسنين مخلوف. بيروت، دار المعرفة، (مصور بالأوفست عن الطبعة المصرية).

ـ مجموع فتاوي. جمع وترتيب عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، طبع على نفقة الملك خالد بن عبد العزيز. مكتبة المعارف ـ الرباط دون تاريخ.

* ابن تيمية، مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله توفي ٦٥٢هـ.

ـ المنتقى من أخبار المصطفى. تحقيق محمد حامد الفقي، المكتبة التجارية، الطبعة الأولى، ١٣٥٠هـ.

* ابن الجارود النيسابوري، أبو محمد عبد الله بن علي توفي ٣٠٧هـ.

ـ المنتقى. تحقيق عبد الله هاشم اليماني. باكستان، لاهور، مطابع الأشرف، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

* ابن جميع الصيداوي، أبو الحسن محمد بن أحمد توفي ٤٠٢هـ.

ـ معجم الشيوخ. تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، مؤسسة الرسالة، وطرابلس، دار الإيمان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

* ابن الجوزي، عبد الرحمٰن بن علي توفي ٥٩٧هـ.

ـ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية. تقديم وضبط خليل الميس. بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

ـ الموضوعات. تحقيق عبد الرحمٰن محمد عثمان. المدينة المنورة، المكتبة السلفية، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٩م.

* ابن حبان البستي، محمد توفي ٣٥٤هـ.

- **صحيح ابن حبان**. ترتيب الأمير علاء الدين الفارسي. تحقيق عبد الرحمٰن محمد عثمان المدينة المنورة، نشر محمد عبد المحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ.
- **صحيح ابن حبان**. بترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ٧٣٩هـ. تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين أسد. بيروت. مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- **كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**. تحقيق محمود إبراهيم زايد. حلب، دار الوعي، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.

* **ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي توفي ٨٥٢هـ.**

- **الإصابة في تمييز الصحابة**. بيروت، دار الكتاب العربي (طبعة مصورة عن الطبعة المصرية الأولى عام ١٣٥٩هـ) ومعه بأسفل صفحاته كتاب الإستيعاب لابن عبد البر.
- **بلوغ المرام من أدلة الأحكام**. تحقيق رضوان، القاهرة، دار الكتاب العربي ١٤٠٣هـ.
- **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه للذهبي**. تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، سلسلة تراثنا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ.
- **تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة**، حيدر آباد ـ الهند، الطبعة الأولى ١٣٢٤هـ.
- **تعريف أهل التقديس براتب الموصوفين بالتدليس**. تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، ومحمد أحمد عبد العزيز. بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- **تقريب التهذيب**. تحقيق محمد عوامة، حلب، دار الرشيد، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**. تحقيق ونشر عبد الله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ، الفهارس (وضعها يوسف المرعشلي وطبعت بدار المعرفة في بيروت عام ١٣٠٦هـ).
- **تهذيب التهذيب**. حيدر آباد ـ الند، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى ١٣٢٥ ـ ١٣٢٧هـ.
- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، حيدر آباد ـ الهند، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى ١٣٤٩ ـ ١٣٥٠هـ.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية، الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ.
- **لسان الميزان**. تصحيح أمير الحسن النعماني، وأبو بكر الحضرمي، حيدر آباد ـ الهند، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى ١٣٢٩ ـ ١٣٣١هـ.
- **المطالب العالية بزوائد الثمانية**. تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي، الكويت، وزارة الأوقاف، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ.

- النكت الظراف على الأطراف. تحقيق عبد الصمد شرف الدين. بومباي ـ الهند، الدار القيمة، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ.

* ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد توفي ٤٠٦هـ.

- المحلى بالآثار في شرح المجلى بالاختصار. القاهرة، مطبعة النهضة، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ.

* ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق توفي ٣١١هـ.

- صحيح ابن خزيمة. تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٩١ ـ ١٣٩٩هـ.

* ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد توفي ٦٨١هـ.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر.

* ابن دقيق العيد، أبو الفتح تقي الدين توفي ٧٠٢هـ.

- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام. تصحيح محمد منير الدمشقي، القاهرة، إدارة الطباعة المنيرية، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ.

- الإلمام بأحاديث الأحكام. تحقيق محمد سعيد المولوي، دمشق، نشر المحقق، الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ.

* ابن الديبع الشيباني، عبد الرحمن بن علي توفي ٨٦٦هـ.

- تمييز الطيب من الخبيث. دار الكتاب العربي، (طبعة مصورة) بدون تاريخ.

* ابن رجب الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد توفي ٧٩٨هـ.

- الإستخراج لأحكام الخراج. تحقيق عبد الله الصديق الغماري. بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ، ومعه: الخراج للقاضي أبي يوسف، والخراج ليحيى بن آدم القرشي.

* ابن سعد، أبو عبد الله محمد توفي ٢٣٠هـ.

- الطبقات الكبرى. تحقيق إحسان عباس. بيروت، دار صادر، ١٣٨٠هـ.

* ابن السني، أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري توفي ٣٦٤هـ.

- عمل اليوم والليلة، تحقيق عبد القادر أحمد عطا. بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

* ابن شاهين، أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان توفي ٣٨٥هـ.

- تاريخ أسماء الثقات. تحقيق صبحي السامرائي. الكويت، الدار السلفية، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم. تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي. بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

* ابن الصابوني، جمال الدين أبي حامد محمد توفي ٧٢٣هـ.

- تكملة إكمال الإكمال. تحقيق مصطفى جواد. بغداد، الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

- تكملة إكمال الإكمال. بيروت، عالم الكتب. الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

* ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمٰن الشهرزوري توفي ٦٤٢هـ.

- مقدمة في علوم الحديث. تحقيق نور الدين عتر. المدينة المنورة، المكتبة العلمية. الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

* ابن طاهر المقدسي، أبو الفضل محمد بن طاهر توفي ٥٠٧هـ.

- معرفة التذكرة في الأحاديث الموضوعة. تحقيق عماد حيدر. بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

* ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله القرطبي توفي ٤٦٣هـ.

- الإستيعاب في معرفة الأصحاب. (طبع بأسفل صفحات الإصابة لابن حجر) بيروت، دار الكتاب العربي، (طبعة مصورة عن طبعة القاهرة عام ١٣٥٩هـ).

- الإنباه على قبائل الرواة. تحقيق إبراهيم الأبياري. بيروت، دار الكتاب العربي. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد بن عبد الكبير البكري. المغرب، وزارة عموم الأوقاف، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم. تحقيق إبراهيم الأبياري. بيروت دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

* ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عبد الحكم توفي ٢٥٧هـ.

- فتوح مصر وأخبارها. لندن، بريل، الطبعة الأولى ١٩٢٠م.

* ابن عدي، عبد الله بن عدي الجرجاني أبو أحمد توفي ٣٦٥هـ.

- الكامل في ضعفاء الرجال. بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

* ابن العربي المالكي القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله الإشبيلي توفي ٥٤٣هـ.

- شرح الجامع الصحيح للترمذي ـ أو ـ عارضة الأحوذي في شرح كتاب أبي عيسى، محمد بن عيسى الترمذي. القاهرة، المطبعة المصرية، الطبعة الأولى ١٣٥٠هـ.

* ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي توفي ١٠٨٩هـ.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب. القاهرة، مكتبة المقدسي، الطبعة الأولى ١٣٧٠ ـ ١٣٧١هـ.

* ابن القيسراني، أبو الفضل محمد بن طاهر توفي ٥٠٧هـ.

- كتاب الجمع بين رجال الصحيحين. حيدر آباد ـ الهند، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى ١٣٢٣هـ.

* ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي توفي ٧٥١هـ.

- **تهذيب سنن أبي داود**. تحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمد حامد الفقي، القاهرة، مطبعة أنصار السنة المحمدية، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ، (طبع مع مختصر المنذري ومعالم السنن للخطابي).
- **المنار المنيف في الصحيحي والضعيف**. تحقيق عبد الفتاح أبو غدة. حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية. الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

* **ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي توفي ٧٧٤هـ.**
- **البداية والنهاية**. بيروت، مكتبة المعارف ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- **البداية والنهاية**. تصحيح أحمد أبو ملحم وآخرين، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- **تفسير القرآن العظيم**. تقديم يوسف المرعشلي. بيروت، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

* **ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد توفي ٢٧٥هـ.**
- **سنن ابن ماجة**. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ.

* **ابن ماكولا، الأمير الحافظ أبو نصر علي بن هبة الله توفي ٤٧٥هـ.**
- **الإكمال في رفع الإرتياب عن المؤتلف في الأسماء والكنى والأنساب**. تصحيح عبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي. حيدر آباد ـ الهند، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ ـ ١٣٨٧هـ.

* **ابن المبارك، عبد الله المروزي توفي ١٨١هـ.**
- **الزهد ويليه الرقائق**، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي ـ بيروت، دار الكتب العلمية (مصور بالأوفست عن الطبعة الهندية عام ١٣٨٦هـ).

* **ابن معين، أبو زكريا يحيى البغدادي توفي ٢٣٣هـ.**
- **تاريخ يحيى بن معين**. تحقيق أحمد محمد نور سيف. القاهرة الهيئة المصرية العامة، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ (صدر عن مركز البحث العلمي بمكة المكرمة).

* **ابن منجويه، أحمد بن علي الأصبهاني توفي ٤٢٨هـ.**
- **رجال صحيح مسلم**. تحقيق عبد الله الليثي. بيروت، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

* **ابن منده، محمد بن إسحاق بن يحيى توفي ٣٩٥هـ.**
- **كتاب الإيمان**. تحقيق علي بن محمد بن ناصر الفقيهي. بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

* **ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم توفي ٧١١هـ.**
- **لسان العرب**. بيروت، دار صادر، طبعة مصورة ١٣٠٠هـ.

* ابن هانىء النيسابوري، إسحاق بن إبراهيم توفي ٢٧٥هـ.

- مسائل الإمام أحمد. تحقيق زهير الشاويش. بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

* ابن هداية الله الحسيني، أبو بكر توفي ١٠١٤هـ.

- طبقات الشافعية. تحقيق عادل نويهض، بيروت، دار الآفاق. الطبعة الأولى ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

* ابن هشام، أبو محمد عبد الملك ٢١٨هـ.

- السيرة النبوية. تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي. القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٥٥هـ.

* ابن وهب، عبد الله بن وهب المصري توفي ١٩٧هـ.

- الجامع. تحقيق دافيد ويل. منشورات المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٣٩م.

* أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث توفي ٢٧٥هـ.

- سنن أبي داود. تحقيق عزة عبيد الدعاس، وعادل السيد، حمص، دار الحديث، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ.

- المراسيل. القاهرة، المطبعة العلمية، الطبعة الأولى ١٣١٠هـ.

- المراسيل. راجعه وفهرس أحاديثه يوسف المرعشلي. بيروت، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- مسائل الإمام أحمد. تصحيح محمد رشيد رضا، القاهرة، مكتبة المنار، الطبعة الأولى ١٣٥٣هـ.

* أبو داود الطيالسي، سليمان بن داود توفي ٢٠٤هـ.

- مسند أبو داود الطيالسي. بيروت، دار المعرفة (طبعة مصورة عن طبعة حيدر آباد ـ الهند، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى ١٣٢١هـ).

- مسند أبو داود الطيالسي. بيروت، دار المعرفة (طبعة مصورة عن طبعة حيدر آباد ـ الهند، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى ١٣٢١هـ).

* أبو زرعة الرازي، عبيد الله بن عبد الكريم توفي ٢٦٤هـ.

- كتاب الضعفاء ـ أو ـ أسامي الضعفاء ومن تكلم فيهم من المحدثين. تحقيق سعدي الهاشمي. المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، المجلس العلمي، سلسلة إحياء التراث الإسلامي عدد ٣، مسند أبو داود الطيالسي. بيروت، دار المعرفة الطبعة الأولى ١٣٢١هـ).

* أبو الشيخ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني توفي ٣٦٩هـ.

- أخلاق النبي وآدابه. تحقيق السيد الجميلي، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

* **أبو عبيد، القاسم بن سلام توفي ٢٢٤هـ.**
- **الأموال**. تحقيق محمد خليل الهراس. بيروت، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ/ ١٩٨٥م (مصور بالأوفست عن الطبعة المصرية الأولى عام ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).
* **أبو عوانة الإسفرائيني، يعقوب بن إسحاق توفي ٣١٦هـ.**
- **المستخرج على صحيح مسلم ـ المسمى بمسند أبي عوانة ـ** تصحيح عبد الرحمن اليماني، بيروت، دار المعرفة. الطبعة الأولى ١٣٦٣هـ.
* **أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود توفي ٧٣٢هـ.**
- **المختصر في أخبار البشر**. القاهرة، المطبعة الحسينية، الطبعة الثانية ١٣٢٥هـ.
* **أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني توفي ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م.**
- **دلائل النبوة**. حيدر آباد الدكن الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.
- **ذكر أخبار إصبهان** ليدن، بريل، الطبعة الأولى، ١٣٥٠هـ.
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**. القاهرة، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى ١٣٥١ ـ ١٣٥٧هـ.
* **أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي توفي ٣٠٧هـ.**
- **مسند أبي يعلى**. تحقيق حسين سليم أسد، دمشق، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٤ ـ ١٤٠٥هـ.
* **أبو يوسف، القاضي يعقوب بن إبراهيم صاحب أبي حنيفة توفي ١٨٢هـ.**
- **كتاب الخراج**. بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ، ومعه كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي، والاستخراج لأحكام الخراج لابن رجب الحنبلي.
* **أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله توفي ٢٤١هـ.**
- **الأشربة**. تحقيق صبحي السامرائي، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- **كتاب الزهد**. تحقيق محمد جلال شرف، بيروت، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.
- **مسند الإمام أحمد**. القاهرة، المطبعة الميمنية، الطبعة الأولى ١٣١٣هـ.
- **الورع**. القاهرة، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى ١٣٤٠هـ.
* **الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم توفي ٧٢٢هـ.**
- **طبقات الشافعية ـ المسمى بمجموع ملخص المهمات ـ** تحقيق عبد الله الجبوري. بغداد، مطبعة الإرشاد، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
* **الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي توفي ٤٩٤هـ.**
- **المنتقى شرح الموطأ**. القاهرة، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى ١٣٣١هـ.

* **البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل توفي ٢٥٦هـ.**

- **الأدب المفرد**. ترتيب وتقديم كمال الحوت. بيروت، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- **التاريخ الصغير**. تحقيق محمود إبراهيم زايد، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الأولى الجديدة المصححة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٩م.
- **التاريخ الكبير**. تصحيح عبد الرحمن اليماني وجماعة. حيدر آباد ـ الهند، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى ١٣٦٢هـ.
- **جزء القراءة خلف الإمام**. مصر، الطبعة الأولى ١٣٢٠هـ.
- **خلق أفعال العباد**. بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- **صحيح البخاري ـ أو الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله ﷺ**. مع شرحه فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية، الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ.
- **الضعفاء الصغير**. تحقيق بوران ضناوي، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- **كتاب الضعفاء الصغير**. تحقيق محمود إبراهيم زايد، حلب، دار الوي، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ (ومعه كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي).

* **بروكلمان كارل، المستشرق الألماني توفي ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.**

- **تاريخ الأدب العربي تعريب عبد الحليم النجار والسيد يعقوب بكر**، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- **دائرة المعارف الإسلامية**. تعريب أحمد الشنتاوي وآخرين. القاهرة، نشرها إبراهيم زكي خورشيد، الطبعة الأولى ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م مطابع الشعب، معدلة ومزيدة.

* **البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد أمين توفي ١٣٣٩هـ.**

- **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**. بغداد، مكتبة المثنى (طبعة مصورة بالأوفست عن طبعة إسطنبول) ١٣٦٥هـ.
- **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**. إسطنبول، وكالة المعارف، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ.

* **البغوي الفراء، الحسين بن مسعود توفي ٥١٦هـ.**

- **تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل**. تحقيق خالد العك ومروان سوار، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٧٦م.
- **شرح السنة**. تحقيق شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

- مصابيح السنة. تصحيح إبراهيم الدسوقي. القاهرة، مطبعة بولاق، الطبعة الأولى ١٢٩٤هـ.
- مصابيح السنة. القاهرة، مطبعة محمد علي صبيح، الطبعة الأولى ١٣٥٥هـ.
- مصابيح السنة. مخطوط في مكتبة برلين رقم ١٢٧٠ ـ ٢٢٧٦.

* **البنا الساعاتي، أحمد بن عبد الرحمٰن توفي ١٣٧١هـ.**
- **الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني**. القاهرة، مطبعة الفتح الرباني، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.

* **البوصيري، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل توفي ٨٤٠هـ.**
- **مصابيح الزجاجة في زوائد ابن ماجة**. تحقيق محمد المنتقى الكشناوي، بيروت دار العربية، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

* **البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي توفي ٤٥٧هـ.**
- **الأسماء والصفات**. بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٦م.
- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**. تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- **السنن الكبرى**. بيروت، دار المعرفة (مصور عن طبعة حيدر آباد ـ الهند)، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى ١٣٤٤ ـ ١٣٥٥هـ.
- **القراءة خلف الإمام**. تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول. بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٥ ـ ١٩٨٤م.
- **مختصر شعب الإيمان**. اختصار القزويني. بيروت، دار الكتب العلمية طبعة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- **معرفة السنن والآثار**. تحقيق سيد أحمد صقر. القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء أمهات كتب السنة، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ.

* **الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة توفي ٢٧٩هـ.**
- **سنن الترمذي أو الجامع الصحيح**. تحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوه عوض. القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٥٦ ـ ١٣٨١هـ.
- **سنن الترمذي أو الجامع الصحيح**. تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الرحمٰن محمد عثمان، بيروت، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
- **الشمائل المحمدية**. تحقيق عزت عبيد الدعاس. حمص، مؤسسة الزعبي، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ.

* **الجهضمي، إسماعيل بن إسحاق توفي ٢٨٢هـ.**
- **فضل الصلاة على النبي ﷺ**، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

* الجورقاني، أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم توفي ٥٤٣هـ.

- الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير. تحقيق عبد الرحمٰن عبد الجبار القريوائي. الهند، المطبعة السلفية، بنار، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

* الجوزجاني، أبو أسحاق إبراهيم بن يعقوب توفي ٢٠٩هـ.

- أحوال الرجال. تحقيق صبحي السامرائي. بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

* الجوهري، إسماعيل بن حماد الفارابي توفي ٣٩٣هـ.

- الصحاح. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. القاهرة، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ.

* حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني توفي ١٠٦٧هـ.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. تقديم شهاب الدين النجفي المرعشي، إسطامبول، مطبعة المعارف، الطبعة الأولى ١٣٦٠هـ.

* الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله توفي ٤٠٥هـ.

- المستدرك على الصحيحين. بيروت دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٣٣٤هـ.

* حسان بن ثابت الأنصاري توفي ٤٠هـ.

- دوان حسان بن ثابت الأنصاري. تحقيق وليد عرفات. بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

* الحكيم الترمذي، أبو عبد الله محمد (من علماء القرن الثالث الهجري).

- نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول. بيروت، دار صادر، بدون تاريخ.

* الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير توفي ٢١٩هـ.

- مسند الحميدي. تحقيق حبيب الرحمٰن العظمي، الهند، المجلس العلمي، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ.

* الخرائطي، أبو بكر محمد بن جعفر توفي ٣٦٧هـ.

- مكارم الأخلاق ومعاليها. القاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها، الطبعة الأولى ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٠م.

* الخطابي، أبو سليمان أحمد بن محمد توفي ٣٨٨هـ.

- معالم السنن. تحقيق أحمد شاكر، ومحمد حامد الفقي. القاهر، مطبعة أنصار السنة المحمدية، الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ.

* الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي توفي ٤٦٣هـ.

- تاريخ بغداد. تصحيح محمد سعيد العرفي، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى ١٣٤٩هـ.

* الخطيب التيريزي، محمد بن عبد الله (توفي بعد سنة ٨٣٧هـ).

- مشكاة المصابيح. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

* خليفة بن خياط، أبو عمرو العصفري توفي ٢٤٠هـ.

- كتاب الطبقات. تحقيق أكرم ضياء العمري، بغداد، طبعة بمساعدة جامعة بغداد بمطبعة العاني، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ.

* الخوانساري، محمد باقر الموسوي الأصفهاني توفي ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م.

- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات. طهران، الطبعة الثانية ١٣٤٧هـ/ ١٩٦٨م.

* خيثمة بن سليمان الأطرابلسي توفي ٣٤٣هـ.

- من حديث خيثمة بن سليمان الأطرابلسي. تحقيق عمر عبد السلام الترمذي، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

* الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر توفي ٣٨٥هـ.

- سنن الدارقطني. تحقيق عبد الله هشام اليماني، بيروت، دار المعرفة مصورة عن طبعة القاهرة، دار المحاسن للطباعة، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ).

- كتاب الضعفاء والمتروكين. تحقيق صبحي السامرائي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

- كتاب النزول ومعه كتاب الصفات. تحقيق د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي الأستاذ المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، نشره المحقق عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

* الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمٰن توفي ٢٥٥هـ.

- سنن الدارمي. بتحقيق محمد أحمد دهمان. القاهرة، مطبعة الاعتدال، الطبعة الأولى ١٣٤٩هـ.

* الداودي، محمد بن علي بن أحمد توفي ٩٤٥هـ.

- طبقات المفسرين. تحقيق علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ.

* الدولابي، أبو بشر محمد بن أحمد توفي ٣١٠هـ.

- كتاب الكنى والأسماء. حيدر آباد ـ الهند، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى ١٣٢٢هـ.

* الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد توفي ٧٤٨هـ.

- تجريد أسماء الصحابة. تصحيح عبد الحكيم شرف الدين، الهند ـ بومباي، نشره شرف الدين الكتبي، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ.

- تذكرة الحفاظ. تصحيح عبد الرحمٰن اليماني، حيدر آباد ـ الهند، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ، (وبذيله ثلاث ذيول للحسيني والمكي والسيوطي).

- تلخيص المستدرك للحاكم. طبع بأسفل المستدرك بحيدر آباد ـ الهند، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى ١٣٣٤هـ.

- دول الإسلام. بيروت الأعلمي، الطبعة الأولى صف جديد، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- سير أعلام النبلاء. تحقيق شعيب الأرنؤوط وجماعته، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٠ ـ ١٤٠٤هـ.
- العبر في خبر من غبر. تحقيق صلاح الدين المنجد وفؤاد السيد، الكويت، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.
- العبر في خبر من غبر. تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول. بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة. بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- المشتبه في الرجال، أسماؤهم وأنسابهم. تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ.
- معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد. تحقيق إبراهيم سعيداي إدريس. بيروت، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- المعين في طبقات المحدثين. تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، عمان، دار الفرقان، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- المغني في الضعفاء. تحقيق نور الدين عتر، حلب، دار المعارف، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال. تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، مكتبة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٧٣ ـ ١٣٨٤هـ.

* الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (كان حياً حوالي سنة ٦٦٦هـ).
- مختار الصحاح. دمشق، دار الحكمة ١٣٩٤هـ.

* الزرقاني محمد بن عبد الباقي توفي ١١٢٢هـ.
- شرح موطأ الإمام مالك. تحقيق إبراهيم عطوه عوض، مطبعة البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٨١ ـ ١٣٨٢هـ.

* الزركشي، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله توفي ٧٩٤هـ.
- اللآلىء المنثورة في الأحاديث المشهورة ـ المعروف بالتذكرة في الأحاديث المشتهرة. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

* الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد توفي ١٣٩٦هـ.
- الأعلام. بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ١٣٩٩هـ.

* الزمخشري، جار الله محمود بن عمر توفي ٥٣٨هـ.

* الفائق في غريب الحديث. تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة، مطبعة

عيسى الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٦٥ ـ ١٣٦٧هـ.

* **الزيلعي، جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف توفي ٧٦٢هـ.**

- **نصب الراية لأحاديث الهداية**. الهند المجلس العلمي والقاهرة، دار المأمون، الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ.

* **السبكي، تاج الدين تقي الدين أبي نصر عبد الوهاب توفي ٧٧١هـ.**

- **طبقات الشافعية الكبرى**. القاهرة، المطبعة الحسنية، الطبعة الأولى ١٣٢٤هـ.

* **السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمٰن ٩٠٢هـ.**

- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**. مصر الطبعة الأولى ١٣٥٣ ـ ١٣٢٤هـ.

- **القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع**. بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- **المقاصد الحسنية في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**. تحقيق عبد الله محمد الصديق الغماري وعبد اللطيف، نشر الخانجي، مطبعة دار الأدب العربية القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٧٥هـ.

- **المقاصد الحسنية في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**. تحقيق محمد عثمان الخشب. بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

* **سركيس، يوسف إليا ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.**

- **معجم المطبوعات العربية المعربة**. القاهرة، مطبعة سركيس، الطبعة الأولى ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م.

* **السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور توفي ٥٦٢هـ.**

- **الأنساب**. تحقيق عبد الرحمٰن اليماني، بيروت، نشره محمد أمين، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

- **التحبير في المعجم الكبير**. تحقيق منيرة ناجي سالم. بغداد، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

* **السيوطي جلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر توفي ٩١١هـ.**

- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**. تحقيق ممد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة عيسى الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٨٤ ـ ١٣٨٥هـ.

- **تحذير الخواص من أكاذيب القصاص**. تحقيق محمد بن لطفي الصباغ، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- **تنوير الحوالك شرح موطأ مالك**. القاهرة، مطبعة دار إحياء الكتب، الطبعة الأولى ١٣٤٣هـ.

- **الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير**. طبع بأعلى صفحات فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي. القاهرة، مطبعة مصطفى محمد، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.

- **الجامع الكبير** المسمى جمع الجوامع. تقديم الحسيني عبد المجيد هاشم. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- الخصائص الكبرى. حيدر آباد ـ الهند، دائرة المعارف النظامية، الطبعة الأولى ١٣٢٠هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور. تصحيح محمد زهري الغمراوي، القاهرة، المطبعة الميمنية، الطبعة الأولى ١٣١٤هـ.
- زهر الربى شرح المجتبى من سنن النسائي. (طبع بأسفل صفحات المجتبى) القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ.
- طبقات الحفاظ. تحقيق علي محمد عمر، القاهرة مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ.
- طبقات المفسرين. بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٧٣م.
- اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة. بيروت، دار المعرفة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

* الشافعي، الإمام محمد بن إدريس توفي ٢٠٤هـ.
- الأم. تصحيح محمد زهري النجار، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
- المسند. بترتيب محمد عابد السندي، وتحقيق يوسف علي الزواوي وعزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٣٧٠هـ.

* الشوكاني، محمد بن علي توفي ١٢٥٠هـ.
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة. تحقيق عبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي اليماني. القاهرة، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار. القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ.

* الصغاني، أبو الفضائل الحسن بن محمد توفي ٦٥٠هـ.
- موضوعات الغاني. تحقيق جماعة من المحققين، بيروت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، سلسلة النشرات الإسلامية، الطبعة الأولى ١٣٥٠ ـ ١٤٠٥هـ.

* الصفدي، صلاح الدين بن أيبك توفي ٧٦٤هـ.
- الوافي بالوفيات. تحقيق جماعة من المحققين. بيروت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، سلسلة النشرات الإسلامية، الطبعة الأولى ١٣٥٠ ـ ١٤٠٥هـ.

* الصنعاني، عبد الرزاق أبو بكر بن همام توفي (٢١١هـ).
- تفسير عبد الرزاق. تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي. بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- المصنف. تحقيق حبيب الرحمان الأعظمي، الهند، المجلس العلمي، ط١، ١٣٩٢هـ.

* طاشكري زادة، أحمد بن مصطفى توفي ٩٦٨هـ.
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. تحقيق كامل بكري. وعبد الوهاب أبو النور، القاهرة، دار الكتب الحديثة، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

- **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**. بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

* **الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد توفي ٣٦٠هـ.**

- **المعجم الصغير**. دلهي ـ الهند، الطبعة الأولى ١٣١١هـ.
- **المعجم الكبير**. تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي. بغداد، وزارة الأوقاف، سلسلة إحياء التراث ٣١ مطبعة الوطن العربي، الطبعة الأولى ١٣٩٨ ـ ١٤٠٤هـ.

* **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير توفي ٣١٠هـ.**

- **تهذيب الآثار (مسند عبد الله بن عباس)**. تحقيق محمود محمد شاكر. القاهرة، مطبعة المدني، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- **جامع البيان عن أحكام القرآن**. القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، الطبعة الأولى ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م.

* **الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة توفي ٣٢١هـ.**

- **شرح معاني الآثار**. تحقيق محمد زهري النجاري ومحمد سيد جاد الحق. القاهرة، مطبعة الأنوار المحمدية، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ.
- **مشكل الآثار**. حيدر آباد ـ الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الطبعة الأولى ١٣٣٣هـ.

* **العامري، يحيى بن أبي بكر بن محمد اليمني توفي ٨٩٣هـ.**

- **الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة**. تصحيح عمر الديراوي، بيروت، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ.

* **العجلوني، إسماعيل بن محمد توفي ١١٦٢هـ.**

- **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**. تصحيح أحمد القلاش. بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٦٣م.

* **العجلي، أبو الحسن، أحمد بن عبد الله توفي ٢٦١هـ.**

- **تاريخ الثقات**. بترتيب الحافظ نور الدين الهيثمي، وتضمينات الحافظ ابن حجر العسقلاني. تحقيق عبد المعطي قلعجي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

* **العراقي، زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين توفي ٨٠٦هـ.**

- **تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد**. بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار**. مطبوع بذيل إحياء علوم الدين للغزالي، بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ.

* عفاف عبد الغفور.

- **البغوي ومنهجه في التفسير**. عمان، دار الفرقان، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

* **العقيلي**، أبو جعفر محمد بن عمرو ٣٢٢هـ.

- **كتاب الضعفاء الكبير**. تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

* **عياض بن موسى اليحصبي السبتي المغربي توفي ٥٤٤هـ.**

- **الشفاء بتعريف حقوق المصطفى**. تحقيق محمد أمين قرة وآخرين، دمشق، مكتبة الفرابي ومؤسسة علوم القرآن، الطبعة الأولى (بدون تاريخ).

* **الغزالي**. أبو حامد بن محمد توفي ٥٠٥هـ.

- **إحياء علوم الدين**. بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ.

* **الغماري**، عبد العزى بن محمد (معاصر).

- **التأنيس بشرح منظومة الذهبي في أهل التدليس**. مطبعة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

* **الفتني الهندي**، محمد طاهر بن علي توفي ٩٨٦هـ.

- **تذكرة الموضوعات**. بيروت، دار إحياء التراث العربي، (طبعة مصورة بالأوفست)-١٣٤٣هـ/ ١٩٢٣م.

- **المغني في ضبط أسماء الرجال ومعرفة كنى الرواة وألقابهم وأنسابهم**، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٢هـ.

* **الفسوي**، أبو سيف يعقوب بن سفيان توفي ٢٧٧هـ.

- **المعرفة والتاريخ**. تحقيق أكرم ضياء العمري، بيروت، مؤسسة الرسالة. الطبعة الثانية ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

* **الفيروزآبادي**، مجد الدين بن يعقوب توفي ٨١٧هـ.

- **القاموس المحيط**. تصحيح مصطفى عناني. القاهرة، المطبعة والمكتبة الحسينية، الطبعة الأولى ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م.

* **الفيومي**، أحمد بن محمد بن علي المقري توفي ٧٧٠هـ.

- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**. بيروت المكتبة العلمية بدون تاريخ.

* **القضاعي**، أبو عبد الله محمد بن سلامة توفي ٤٥٤هـ.

- **مسند الشهاب**. تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي. بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

* **الكاندهلوي، محمد إدريس الصديقي.**

- **التعليق الصبيح عى مشكاة المصابيح.** دمشق، مطبعة، الاعتدال، الطبعة الأولى ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٤م.

* **الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير.**

- **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات.** باعتناء، د. إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

* **الكتاني، محمد بن جعفر الإديسي توفي ١٣٤٥هـ.**

- **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة.** بيروت، الطبعة الأولى ١٣٣٢هـ.

- **عيون التواريخ.** تحقيق فيصل السامر ونبيلة داود. بغداد، وزارة الإعلام العراقية.

- **فوات الوفيات والذيل عليها.** تحقيق د. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ.

* **كحالة عمر رضا.**

- **معجم المؤلفين،** بيروت، دار إحياء التراث العربي ومكتبة المثنى (طبعة مصورة بالأوفست).

* **الكلاباذي، أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسين توفي ٣٩٨هـ.**

- **رجال صحيح البخاري، المسمى الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد،** تحقيق عبد الله الليثي، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

* **اللكنوي، عبد الحي بن محمد توفي ١٣٠٤هـ.**

- **الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة.** تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول. بيروت، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

* **مالك بن أنس، الإمام صاحب المذهب توفي ١٧٩هـ.**

- **الموطأ.** تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ.

* **المباركفوري، أبو الفلى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم.**

- **تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي.** الهند، الطبعة الأولى ١٣٤٦هـ.

* **المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين توفي ٩٧٥هـ.**

- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال،** تحقيق بكري حياني وصفوة السقا، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

* **المراغي، عبد الله بن مصطفى.**

- **الفتح المبين في طبقات الأصوليين،** بيروت نشره محمد أمين، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

* المروزي، أبو عبد الله محمد بن نصر توفي ٢٩٤هـ.
- قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر. اختيار المقريزي أحمد بن علي ٨٤٥هـ. لاهور ـ الهند، الطبعة الأولى ١٣٩٦.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال. تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
* مسلم، الإمام أبو الحسين بن الحجاج النيسابوري توفي ٢٦١هـ.
- صحيح مسلم ـ أو ـ الجامع الصحيح. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ.
- الكنى والأسماء تحقيق عبد الرحيم القشيري. المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، المجلس العلمي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
* معهد المخطوطات العربية.
- مجلة معهد المخطوطات العربي. القاهرة، العدد ١٥، المجلد الثاني، رضمان ١٣٧٩هـ/١٩٦٩م.
* الملا علي بن سلطان محمد القاري الهروي توفي ١٠١٤هـ.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. القاهرة، المطبعة الميمنية، الطبعة الأولى ١٣٠٩هـ.
* المناوي، زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين ١٠٣١هـ.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي. القاهرة، مطبعة مصطفى محمد، الطبعة الأولى ١٣٥٦ ـ ١٣٥٧هـ.
* المنجد، صلاح الدين.
- معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ، بيروت، دار الكتب الجديد، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- معجم المخطوطات المطبوعة (ما بين سنتي ١٩٠٤ ـ ١٩٨٠م) بيروت، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى ١٣٨٣ ـ ١٤٠٠هـ/ ١٩٦٢ ـ ١٩٨٠م.
* المنذري، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي توفي ٦٠٦هـ.
- مختصر سنن أبي داود الأشعري، تحقيق أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي. القاهرة، مطبعة أنصار السنة المحمدية، الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ.
* النسائي، أحمد بن شعيب توفي ٣٠٣هـ.
- تهذيب خصائص الإمام علي. تحقيق أبو إسحاق الجويني الأثري حجازي بن محمد بن شريف. بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
- عمل اليوم والليلة. تحقيق فاروق حمادة. بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

- كتاب الضعفاء والمتروكين. تحقيق محمود إبراهيم زايد. حلب، دار الوعي، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.
- المجتبى من سنن النسائي. القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ.

* النووي، أبو زكرياء محيي الدين يحيى بن شرف الدين توفي ٦٧٦هـ.

- الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار. وعليه شرح وجيز مختصر من شرح العلامة ابن علان، بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ.
- الأربعون النووية. بشرح ابن دقيق العقد، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- التقريب (في فن أصول الحديث). دمشق، مكتبة الحلبوني. بدون تاريخ.
- تهذيب الأسماء واللغات. بيروت، دار الكتب العلمية بدون تاريخ.
- شرح صحيح مسلم. القاهرة، المطبعة المصرية الأزهرية، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ.
- المجموع شرح المهذب للشيرازي. القاهرة، إدارة الطباعة المنيرية، الطبعة الأولى ١٣٤٩هـ.

* الهروي، أبو عبيد القاسم بن عبد سلام توفي ٢٢٤هـ.

- غريب الحديث. حيدر آباد الهند، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ.

* الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر توفي ٨٠٧هـ.

- كشف الأستار عن زوائد البزار. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٣٩٩ ـ ١٤٠٥هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. بتحرير الحافظان العراقي وابن حجر، القاهرة، مكتبة القدسي، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ.
- المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي. تحقيق نايف بن هاشم الدعيس، جدة، المملكة العربية السعودية، شركة تهامة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان. تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة، القاهرة، المكتبة السلفية، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

* الواقدي، محمد بن عمر توفي ٢٠٧هـ.

- المغازي. تحقيق م. جونس. القاهرة، مطبعة دار المعارف، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ.

* اليافعي عفيف الدين، عبد الله بن أسعد اليمني توفي ٧٦٨هـ.

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان. حيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى ١٣٣٧ ـ ١٣٣٩هـ.

* ياقوت الحموي، أبو عبد الله توفي ٦٢٦هـ.

- معجم البلدان. بيروت، دار صادر. بدون تاريخ.

*** يحيى ابن آدم القرشي توفي ٢٠٣هـ.**

- **كتاب الخراج**. تحقيق أحمد محمد شاكر. بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ، ومعه كتاب الخراج لأبي يوسف، والاستخراج لأحكام الخراج لابن رجب الحنبلي.

وهناك مصادر أخرى اعتمد عليها القاضي عياض في تأليف كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وردت في مقدمة المحقق يمكن الرجوع إليها، وهي أهم ما اعتمد عليه في إخراج كتاب الشفا.

القاضي عياض بأقلام رجال الفكر العربي
عبر مجلات ثقافية وفكرية وصحف وطنية وعربية

* **مجلة المناهل** (عدد خاص عن القاضي عياض):

- د. **محمد بن تاويت الطنجي**: القاضي عياض أديباً، العدد ١٩ السنة، ٧ صفر ١٤٠١هـ موافق دجنبر ١٩٨٠م، ص ١١ ـ ٤٦.
- د. **المرحوم عبد اللّه كنون**: قبس من مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض، العدد ١٩ السنة، ٧ صفر ١٤٠١هـ موافق دجنبر ١٩٨٠م، ص ٤٧ ـ ٥٦.
- د. **عائشة عبد الرحمٰن**: ذكرى أبي الفضل عياض اليحصبي، العدد ١٩ السنة ٧، صفر ١٤٠١هـ موافق دجنبر ١٩٨٠م، ص ٥٧ ـ ١٥٤.
- د. **محمد العربي الخطابي**: القاضي عياض الناقد، العدد ١٩ السنة، ٧ صفر ١٤٠١هـ موافق دجنبر ١٩٨٠م، ص ١٥٥ ـ ١٩٨.
- د. **عبد اللّه الطيب**: غلا هذا المغيربي، العدد ١٩ السنة، ٧ صفر ١٤٠١هـ موافق دجنبر ١٩٨٠م، الرباط، ص ١٩٩ ـ ٢٢٢.
- د. **عبد الرحمٰن الفاسي**: منهج البحث الأدبي عند القاضي عياض من خلال كتاب بغية الرائد، العدد ١٩ السنة، ٧ صفر ١٤٠١هـ موافق دجنبر ١٩٨٠م، الرباط، ص ٢٢٣ ـ ٢٥٩.
- د. **ابتسام مرهون الصفار**: عياض الناقد البلاغي، العدد ١٩ السنة، ٧ صفر ١٤٠١هـ موافق دجنبر ١٩٨٠م، الرباط، ص ٢٦٠ ـ ٣٠٣.
- د. **محمد بن تاويت**: كتاب التعريف بالقاضي عياض لولده القاضي أبي عبد اللّه محمد، العدد ١٩ السنة، ٧ صفر ١٤٠١هـ موافق دجنبر ١٩٨٠م، الرباط، ص ٣٠٤ ـ ٣٣٤.
- د. **محمد بن شريفة**: مقدمة معاصرة لكتاب الشفا للقاضي عياض، العدد ١٩ السنة، ٧ صفر ١٤٠١هـ موافق دجنبر ١٩٨٠م، عدد خاص الرباط، ص ٣٣٥ ـ ٣٦٣.
- د. **محمد الكتاني**: رواية مشرقية لكتاب الشفا عن طريق الرحالة الأندلسي أبي الحسين بن جبير، العدد ١٩ السنة، ٧ صفر ١٤٠١هـ موافق دجنبر ١٩٨٠م، الرباط.
- د. **محمد المنوني**: اتجاه عياض الفكري بين الواقع والمذهب، العدد ١٩ السنة، ٧ صفر ١٤٠١هـ موافق دجنبر ١٩٨٠م، ص ٣٩٢ ـ ٣٩٩.
- د. **محمد أكبير**: القاضي عياض اللغوي، العدد ١٩ السنة، ٧ صفر ١٤٠١هـ موافق دجنبر ١٩٨٠م، الرباط، ص ٤٠٠ ـ ٤٣١.

- د. **عبد العلي الودغيري**: القاضي عياض بين العلم والسياسة، العدد ١٩ السنة، ٧ صفر ١٤٠١هـ موافق دجنبر ١٩٨٠م، الرباط، ص ٤٣٢ ـ ٤٧١.
- د. **عبد الهادي التازي**: كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، العدد ١٩ السنة، ٧ صفر ١٤٠١هـ موافق دجنبر ١٩٨٠م، الرباط، ص ٤٧٢ ـ ٤٨٧.
- د. **بلدري محمد فهد**: القاضي عياض اللغوي من خلال حديث أم زرع، العدد ١٩ السنة، ٧ صفر ١٤٠١هـ موافق دجنبر ١٩٨٠م، الرباط، ص ٤٨٨ ـ ٥٣٥.
- د. **التهامي الراجي**: شيء من منهجية عياض في دراسة النص، العدد ١٩ السنة، ٧ صفر ١٤٠١هـ موافق دجنبر ١٩٨٠م، ص ٥٣٦ ـ ٦١٢.
- د. **عبد السلام الهراس**: القاضي عياض منهاج في العلم وقدوة في السلوك، العدد ١٩ السنة، ٧ صفر ١٤٠١هـ موافق دجنبر ١٩٨٠م، الرباط، ص ٦١٣ ـ ٦٣٦.
- د. **عبد القادر زمامة**: الإعلام الثقافي، العدد ١٩ السنة، ٧ صفر ١٤٠١هـ موافق دجنبر ١٩٨٠م، ص ٦٣٧ ـ ٦٥٠.
- د. **محمد المنوني**: القاضي عياض من خلال رواته ورواياته، العدد ٢٢ السنة ٩، ربيع الأول ١٤٠٢هـ موافق يناير ١٩٨٢م، ص ٣٠٥ ـ ٣٢٣.

***مجلة الإعتصام** (عدد خاص عن القاضي عياض):

- د. **أحمد بغداد**: دراسة عن القاضي عياض (رسالة)، العدد ٧ السنة ٨، جمادى الأولى ١٤٠٢هـ موافق مارس ١٩٨٢م الرباط، ص ١٥١ ـ ١٥٩.
- د. **إسماعيل الخطيب**: سبتة مدينة القاضي عياض، العدد ٧ السنة ٨، جمادى الأولى ١٤٠٢هـ موافق مارس ١٩٨٢م الرباط، ص ١١٠ ـ ١١٣.
- د. **الحسين وكاك**: جوانب من شخصية القاضي عياض وأسلوبه الإصلاحي في شفائه، العدد ٧ السنة ٨، جمادى الأولى ١٤٠٢هـ موافق مارس ١٩٨٢م الرباط، ص ١٦٠ ـ ١٦٦.
- د. **خيرت منصور**: رحلات عياض، العدد ٧ السنة ٨، جمادى الأولى ١٤٠٢هـ موافق مارس ١٩٨٢م الرباط، ص ١٠٤ ـ ١٠٩.
- د. **محمد حماد الصقلي**: حياة القاضي عياض العامة، العدد ٧ السنة ٨، جمادى الأولى ١٤٠٢هـ موافق مارس ١٩٨٢م الرباط، ص ١٤٥ ـ ١٥٠.
- د. **محمد الراوندي**: أصل السراج من الشفا وما عليه من طرر وسماعات وأسانيد، العدد ٧ السنة ٨، جمادى الأولى ١٤٠٢هـ موافق مارس ١٩٨٢م الرباط، ص ١٧٧ ـ ١٩٥.
- د. **محمد الكبير العلوي**: كتاب الشفا في الصحراء المغربية، العدد ٧ السنة ٨، جمادى الأولى ١٤٠٢هـ موافق مارس ١٩٨٢م الرباط، ص ٤٩ ـ ٦٥.

- د. **محمد عبد القادر السلاوي**: عياض في توطيد المذهب المالكي بالمغرب، العدد ٧ السنة ٨، جمادى الأولى ١٤٠٢هـ موافق مارس ١٩٨٢م الرباط، ص ٦٤ ـ ٧٤.
- د. **عبد الكبير المدغري**: القاضي عياض المصلح الاجتماعي، العدد ٧ السنة ٨، جمادى الأولى ١٤٠٢هـ موافق مارس ١٩٨٢م الرباط، ص ٨٧ ـ ٩٥.
- د. **عبد القادر العافية**: الصراع المذهبي من خلال كتاب المدارك، العدد ٧ السنة ٨، جمادى الأولى ١٤٠٢هـ موافق مارس ١٩٨٢م الرباط، ص ٩٢ ـ ٨٦.
- د. **عبد السلام الودغري**: موقف عياض من المرابطين والموحدين، العدد ٧ السنة ٨، جمادى الأولى ١٤٠٢هـ موافق مارس ١٩٨٢م الرباط، ص ٧٧ ـ ٨٦.
- د. **عمر الجعيدي**: أثر القاضي عياض في فقه المعاملات، العدد ٧ السنة ٨، جمادى الأولى ١٤٠٢هـ موافق مارس ١٩٨٢م الرباط، ص ٥٣ ـ ٦٣.
- د. **سعيد بو ركبة**: عياض ومكانته العلمية، العدد ٧ السنة ٨، جمادى الأولى ١٤٠٢هـ موافق مارس ١٩٨٢م الرباط، ص ١٢ ـ ٢٧.
- د. **يوسف الكتاني**: عياض المحدث، العدد ٧ السنة ٨، جمادى الأولى ١٤٠٢هـ موافق مارس ١٩٨٢م الرباط، ص ٣١ ـ ٤٣.

* **مجلة الإيمان** (عدد خاص عن القاضي عياض):

- **إبراهيم الصقلي**: تشبه بعياض تنل غاية القصد. قصيدة في ١٤ بيتاً. العدد ٧٢/ ٧٣ السنة ٨، صفر وربيع الأولى ١٣٩٨هـ موافق يناير فبراير ١٩٧٨م.
- **أبو بكر القادري**: نص الرسالة التي وجهت إلى الكتابْ والعلماء باسم جمعية شباب النهضة الإسلامية في ٢٦ محرم ١٣٩٢هـ موافق ١٢ مارس ١٩٧٢م. للإسهام في أسبوع القاضي عياض، العدد ٧٢/ ٧٣ السنة ٨، صفر وربيع الأول ١٣٩٨هـ موافق يناير فبراير ١٩٧٨م، ص ١٣٤ ـ ١٣٥.
- **نضالية القاضي عياض ودفاعه عن عقيدته ومذهبه**، العدد ٧٢/ ٧٣ السنة ٨، صفر وربيع الأول ١٣٩٨هـ موافق يناير فبراير ١٩٧٨م ص ٦٤ ـ ٩٦.
- د. **تقي الدين الهلالي**: مقام القاضي عياض في محبة النبي ﷺ واتباع ما جاء به، العدد ٧٢/ ٧٣ السنة ٨، صفر وربيع الأول ١٣٩٨هـ موافق يناير فبراير ١٩٧٨م الرباط ص ٢٧ ـ ٣٦.
- **التهامي الراجي**: التعريف بكتاب الشفا للقاضي عياض، العدد ٧٢/ ٧٣ السنة ٨، صفر وربيع الأول ١٣٩٨هـ موافق يناير فبراير ١٩٧٨م، الرباط. ص ٨٣ ـ ١٠٧.
- د. **الرحالي الفاروقي**: شخصية القاضي عياض ومكانته العلمية والاجتماعية، العدد ٧٢/ ٧٣ السنة ٨، صفر وربيع الأول ١٣٩٨هـ موافق يناير فبراير ١٩٧٨م، الرباط. ص ٥ ـ ٢٠.
- د. **الطاهر بن عاشور**: القول الفصل لأبي الفضل في عصمة الأنبياء من بعد النبوة، العدد ٧٢/ ٧٣

السنة ٨، صفر وربيع الأول ١٣٩٨هـ موافق يناير فبراير ١٩٧٨م، الرباط ص ٢١ ـ ٢٦.

- **القاضي عياض**، العدد ٧٢/ ٧٣ السنة ٨، صفر وربيع الأول ١٣٩٨هـ موافق يناير فبراير ١٩٧٨م، الرباط ص ٣٧ ـ ٤٥.

- **عاطف شكري أبو عرض**: القاضي عياض اليحصبي، العدد ٧٢/ ٧٣ السنة ٨، صفر وربيع الأول ١٣٩٨هـ موافق يناير فبراير ١٩٧٨م ص ١١٩ ـ ١٢٨.

- **أبو الفضل عياض**: من خلال مشيخته الأدبية، العدد ٧٢/ ٧٣ السنة ٨، صفر وربيع الأول ١٣٩٨هـ موافق يناير فبراير ١٩٧٨م، الرباط، ص ١٠٨ ـ ١١٣.

- د. **عثمان بن خضراء**: القاضي عياض ينبوع المعرفة ومعدن الإفادة، العدد ٧٢/ ٧٣ السنة ٨، صفر وربيع الأول ١٣٩٨هـ موافق يناير فبراير ١٩٧٨م، الرباط، ص ١١٨ ـ ١١٩.

- د. **الهاشمي الهواري**: عرفناك يا عياض (قصيدة ٣٠ بيتاً). العدد ٧٢/ ٧٣ السنة ٨، صفر وربيع الأول ١٣٩٨هـ موافق يناير فبراير ١٩٧٨م، الرباط.

- د. **أحمد بغداد**: القاضي عياض بدار الحديث الحسنية، عرض عن رسالة تقدم بها الباحث عن القاضي عياض بالدار، العدد ٧٢/ ٧٣ السنة ٨، صفر وربيع الأول ١٣٩٨هـ موافق يناير فبراير ١٩٧٨م، ص ١٢٩ ـ ١٣٣.

* **ندوة الإمام مالك**

- **دورة القاضي عياض**، التي عقدت بمراكش أيام ١٣ ـ ١٥ جمادى الأولى ١٤٠١هـ موافق ٢٠ ـ ٢٢ مارس ١٩٨١م.

* **مجلة دعوة الحق** (عدد خاص عن القاضي عياض):

- د. **المرحوم سيدي عبد الله كنون**: القاضي عياض، العدد ٣ السنة ٢٢، رجب ١٤٠١هـ موافق ماي ١٩٨١م، الرباط ـ المغرب، ص ١٠ ـ ١٨.

- د. **عبد العزيز بن عبد الله**: سبة في عصر عياض، العدد ٣ السنة ٢٢، رجب ١٤٠١هـ موافق ماي ١٩٨١م، الرباط ـ المغرب، ص ١٩ ـ ٣١.

- د. **عبد الهادي التازي**: عياض في فاس، العدد ٣ السنة ٢٢، رجب ١٤٠١هـ موافق ماي ١٩٨١م، الرباط ـ المغرب، ص ٣٢ ـ ٣٨.

- د. **رضا الله إبراهيم الألغي**: عياض بين سبعة رجال، العدد ٣ السنة ٢٢، رجب ١٤٠١هـ موافق ماي ١٩٨١م، الرباط ـ المغرب، ص ٣٩ ـ ٤٨.

- د. **محمد عبد الكبير العلوي**: كتاب الشفا في الصحراء المغربية. العدد ٣ السنة ٢٢، رجب ١٤٠١هـ موافق ماي ١٩٨١م، الرباط ـ المغرب، ص ٤٩ ـ ٦٥.

- د. حسن الوراكلي: القاضي عياض مفسراً، العدد ٣ السنة ٢٢، رجب ١٤٠١هـ موافق ماي ١٩٨١م، الرباط ـ المغرب، ص ٦٦ ـ ٩٦.
- د. عبد الله الجراري: أبو الفضل عياض ومشيخته الأدبية، العدد ٤ السنة ١٨، ٨١ جمادى الأولى ١٣٩٧هـ موافق ماي ١٩٧٧م، الرباط ـ المغرب، ص ٧٨ ـ ٨١.

● **القاضي عياض**. العدد ٩ السنة ١٨، شوال ١٣٩٧هـ موافق أكتوبر ١٩٧٧م، ص ١٠٨ ـ ١١٢.

● **القاضي عياض**. العدد ٣ السنة ٢٢، رجب ١٤٠١هـ موافق ماي ١٩٨١م، الرباط، ص ١٠ ـ ١٨.

● **القاضي عياض**. العدد ٨ السنة ١٣، رجب ١٣٩٠هـ موافق شتنبر ١٩٧٠م، الرباط، ص ٢٧.

● **عياض في فاس**. العدد ٣ السنة ٢٢ رجب ١٤٠١هـ موافق ماي ١٩٨١م الرباط، ص ٣٢ ـ ٣٨.

● **مع شعراء المغرب في أرض الحجاز الحبيبة**. العدد ٤ السنة ٢٢، شعبان رمضان ١٤٠١هـ موافق يونيو يوليو ١٩٨١م، الرباط ـ المغرب، ص ٥٢ ـ ٥٣.

*** مجلة الثقافة المغربية**

- د. محمد الفاسي: العدد الثالث أكتوبر ١٩٤١م الرباط ـ المغرب، ص ١٠٥ ـ ١١٢.

*** مجلة الأمة**

- أحمد لكطيف: العدد ٣٩ السنة ٤ قطر ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ص ٢٦ ـ ٢٩.

*** مجلة الاعتدال**

- أسد رستم: المجلد الرابع السنة الأولى العدد ١٠ سنة ١٩٣٣م، النجف ـ العراق، ص ٥٦٥ ـ ٥٦٦.

*** مجلة النصر**

- سليمان الصيع: عباقرة التاريخ القاضي عياض. العدد ٤ السنة ٢، ١٤١٥هـ، ص ٢٣ ـ ٢٤.

*** مجلة الكاتب المغربي**

● العدد الأول مارس ١٩٨٣م، ص ١٥٠ ـ ١٥٤، ٢١٢، مارس ١٩٨٣.

*** مجلة الجماعة الإسلامية**

● **القاضي عياض**. العدد الأول، السنة الأولى ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٤م، ص ٣٩ ـ ٥٤.

* المجلة العربية

- القاضي عياض. العدد ٢ السنة الأولى، رجب ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص ١٥ ـ ١٩.

* جريدة السعادة

- ابن لحان: من مفاخر المغرب، القاضي عياض، أديب المغرب. العدد ٩٢٥٤. ٣٠ ربيع الثاني ١ جمادى الأولى ١٣٧٤هـ موافق ٢٧ ديسمبر ١٩٥٤م.
- أبو السلام: عيون الأدب العربي البلاغة النبوية للقاضي عياض. العدد ٨٧٧٦ السنة ٥٠، ١٠ رمضان ١٣٧٢هـ موافق ٣ يونيو ١٩٥٣م، ص ٢.
- الراوي: من روائع الأدب العربي. القاضي عياض من أعظم علماء العصر المرابطي.
- العدد ٨٧٣٦ السنة ٥٠، ٣ شعبان ١٣٧٢هـ موافق ١٤ أبريل ١٩٥٣م، ص ٣.
- العدد ٨٧٧٧ السنة ٥٠، ٢١ رمضان ١٣٧٢هـ موافق ٤ يونيو ١٩٥٣م، ص ٣.
- المكناسي: القاضي أبو الفضل عياض وتأليفه. العدد ٩٠٩٥ السنة ٥١، ٢٢ شوال ١٣٧٣هـ ٢٤ يونيو ١٩٥٤م، ص ٢.

* جريدة العلم

- عبد القادر الإدريسي: متحف القاضي عياض. العدد ١١٤٦٤ السنة ٣٥، ٩ جمادى الثانية ١٤٠١هـ موافق ١٤ أبريل ١٩٨١م، ص ١٠.
- العلم الثقافي. القاضي عياض الأديب، العدد ٦٦٥ السنة ١٤، ٦ ذي الحجة ١٤٠٣هـ موافق شتنبر ١٩٨٣م، ص ٤، ٥، ١١.
- العلم الثقافي. القاضي عياض بدار الحديث الحسنية، العدد ٤٢٢ السنة ٨، ١١ صفر ١٣٩٧هـ موافق ٢١ يناير ١٩٧٨م، ص ١ ـ ٢.

* جريدة الميثاق

- د. التهامي الراجي الهاشمي: التعريف بكتاب الشفا للقاضي عياض، بحث نشر بجريدة الميثاق التي تصدرها رابطة علماء المغرب بطنجة ابتداء من فاتح صفر الخير ١٣٩٣هـ موافق ٦ مارس ١٩٧٣م ـ ١٥ جمادى الأولى ١٣٩٤هـ موافق ٦ يونيو ١٩٧٤م، المغرب.

* جريدة الإصلاح

- د. أحمد الحداد: ترجمة القاضي عياض. العدد ٢٧٨ السنة ١٢، ٤ ربيع الأول ١٣٧٤هـ ٢٠ غشت ١٩٢٨م.

* جريدة العمل التونسية

- د. محمد أبو الأجفان: القاضي عياض. صفحة الإسلام والحضارة، ١٢ أبريل ١٩٧٩م.

مجهود مشكور وعمل مبرور في إحياء التراث والتنويه بأعلامه المخلصين جزى الله الجميع خيراً...

فهرس

كتاب الشفا

الجزء الثاني



فهرس